المقتطف



المقتطف

الجزء الأول من المجلد الثامن والثمانين

٦ شوال سنة ١٣٥٤ — ١ يناير سنة ١٩٣٦

هذا العدد من المقتطف يختلف عن كل عدد صدر منذ ستين سنة الى يومنا هذا . فهو في موضوع واحد ، ولكاتب واحد

أما الموضوع فأبو الطيب المتنبي

وأما الكاتب فالاستاذ محمود محمد شاكر

وقد رأى محرر « المقتطف » في العناية بالاحتفال بانقضاء ألف سنة على وفاة المتنبي ، وفي طرافة المباحث التي انطوت عليها رسالة الاستاذ شاكر ، ما يسوّغ له أن يجعل هذا العدد بمثابة كتاب برأسه :

الى ابي الطيب المتنبي

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي

وأسمعت كلماتي من به صممُ

أنام ملء جفوني عن شواردها

ويسهر الخلق جرّاها ويختصم

كنت في غلواء الشباب حين وقعت لي فيما كنا نتعلم من « المحفوظات العربية » أبياتٌ للمتنبي حفظتها في غير عناء، وجعلت أرددها بكثير من اللذة والحماسة، لأنها كانت تنطوي — فيما أظن الآن — على ذكر سجايا يتيه بها الشاب وتهزّ عاطفته، إذ لا يزال في مستهل الحياة، يراها، أو يتصورها ممتدة أمامه، ميداناً رحباً ليس له فيه إلا الاقتحام والفوز والظفر. فكذلك كان مما حفظته — وكأنما طبعت في ذاكرتي بأحرف من نار:

ردي حياض الردى، يا نفس، واتركي حياض خوف الردى للشاء والنعمِ
إن لم أذرك على الأرماح سائلة فلا دعيت ابن أمّ المجد والكرمِ

***

أين فضلي، إذا قنعت من الدهـــر بعيش معجل التنكيدِ؟
أبداً أقطعُ البـلاد، ونجمي في نحوس، وهمتي في سـعودِ

***

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبــه الدمُ

***

ولا تحســبنّ المجـد زقًّا وقينــةً فما المجد إلا السيف والفتكة البكرُ

وتضريب أعناق الملوك ، وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المجرُ
وتركك في الدنيا دويًّا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشرُ

وعندما اراجع ديوان المتنبي الآن تمر بي أبيات من الشعر كأن رنينها إذ أقرؤها محول إلي من مغاور متغلغلة في جوف الماضي . وأكثر هذه الابيات من شعر الغزل والنسيب الذي كان المتنبي يستهل به بعض قصائده . ولست أحفظ الآن من ذلك إلا نزراً يسيراً ، لان رجولة المتنبي كانت هي التي فتنتني في صباي دون رقته ونسيبه ، وقد كنت اظن ان رجولته هذه يكون مردها في الغالب ، الى خياله المتوثب وحده — الى ان قرأت اصول هذا الجزء من المقتطف وتجاربه ، فاذا هي ، بحسب رأي الكاتب ، متصلة أوثق اتصال بأصله ونشأته وتربيته التي قامت عليها جدته ، « أم أمه » وحوادث عصره وحياته ، واذا أقوى شعره إعراب بليغ ، وبيان واضح عن ذلك كله

وكنت اطلب العلم في جامعة بيروت الاميركية فكان أستاذنا في الادب العربي (جبر ضومط) رحمة الله عليه ، مولعاً بدراسة المتنبي وتدريسه ، فقضينا معه سنتين نحفظ من قصائد المتنبي ما يتخيره لنا منها ، ونحن في حل أبياتها وإعراب ألفاظها ، ونحن هو في تفسير معانيها وبيان ما تضمن في ثناياها من حكمة وفلسفة . وكان لا يفوته ان يلمح احياناً الى ان حياة المتنبي لعلى صلة وثيقة بعصره . وكان معظمنا لا يعي من تاريخ الشرق العربي في ذلك العهد إلا اليسير ، فنمرّ بهذا التلميح غير آبه

وأكبر الظن عندي الآن — وقد اطلعت على رسالة صديقي الاستاذ محمود محمد شاكر ، وما جلاه فيها من دقائق هذه الصلة — ان استاذنا كان قد حاول ان يجلي بعض هذا الغامض ، فتبينت له اشياء لم ينشرها ، إما التزاماً لحذر العلمي قبل القطع برأي ، وإما مراعاة للاحوال السياسية

وعلى ذلك ظل المتنبي — على علو مقامه في الادب العربي ، ونصوع معانيه ، وسمو حكمته ، وكمال رجولته — تكتنفه في ذهني غمامات من الغموض ، على كثرة شراح ديوانه ومفسريه

ولكن مشاغل الحياة ، وانصراف أساتذتنا — عند طلبنا العلم — عن ربطنا في معرفة أصول تاريخنا الشرقي العربي صرفتني عن دراسة المتنبي . فكنت فيما تلا من عهد الدراسة لا أذكره الأ عندما أسكن الى ساعة من الراحة ، فأخرج شرح اليازجي ، وأقرأ بعض قصائده المشهورة ، صادفاً عما قد تنطوي عليه احياناً من مغلق المعنى ، او مهجور اللفظ ، او معقد التركيب ، مكتفياً بما فيها من قوة ورجولة ، تكاد تحسهما — بعد انقضاء عشرة قرون — تتفجران من معاطف هذا العربي كالينبوع ، وتتطايران من عينيه كالشرر

فلما ذكر المذكرون بانقضاء ألف سنة على مصرع المتنبي في ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٤ (وقد كان مصرعه في ٢٧ رمضان سنة ٣٥٤) قلت : هي فرصة فذة تتيح للمقتطف أن يشارك في إحياء ذكر عظيم من عظماء العرب ، ونابغة من نوابغ اللسان العربي ، كسنته في الاشتراك في إحياء ذكرى العظماء من علماء الفرنجة ، وفلاسفتهم ، وكتابهم ، وزعمائهم . ولكن الفرق فيما يجب على المقتطف في الحالين واضح :

فنحن حين نحتفل بذكر عظيم من عظماء الفرنجة نجتزىء بمجمل من سيرته وآثره ، لأن الغرض إنما هو التعريف بآثاره من الناحية الفنية ، والاشادة بخلقه أو بمثاله من الناحية الأدبية ولكننا — اذ كان المتنبي من عباقرة شعرائنا — لا ينبغي لنا أن نجتزىء بمجمل أقوال الرواة والنقاد في حياته وشعره

فتحدثت في ذلك مع صديقي المحقق الاستاذ محمود محمد شاكر ورغبت اليه أن يكتب كلمة مسهبة بعض الأسهاب عن المتنبي . وأقر أني كنت معتقداً — عند ما ألقيت اليه هذا الاقتراح — أن الكلمة لن تزيد عن عشرين ، أو ثلاثين من صفحات المقتطف ، فوعدني ان يبذل ما لديه ولكن البحث تشعب أمامه ، ومواطن الاستنباط والمقابلة تعددت ، فلم يرض — وقد وجد مجال القول ذا سعة — بالنهج المطروق . فبعد ان كتب عشرات من الصفحات مزقها ونبذها ، وعاد الى الكتابة على نهج آخر . فأصبح المقال عدداً كاملاً من المقتطف ، أو يزيد . وليس هذا العدد الكامل الا موجز سفر في المتنبي ينوي أن يجعله في أربعة مجلدات أو اكثر

ولا أخفي عن القارىء أني مغتبط بهذا كل الاغتباط . ففي هذه الرسالة — على اعجازها بالقياس

الى ما كان يجب ان تكون — دلائل على تبحّر الكاتب في تاريخ هذا العصر من حياة شرقنا العربي ، ومقدرته على تبين الاشارات الخفية في شعر المتنبي الى حوادث ذلك العصر ، وبراعة عجيبة في استنباط حالات الشاعر النفسية من أبيات شعره وربطها بتجاربه الخاصة ، والاحداث التي كانت في الامة العربية بوجه عام . وفي الغالب ان يكون عمل كهذا متعذراً اذا لم يوفق الكاتب الى دليل يهديه سواء السبيل في تيه الحوادث ومجاهل الآراء ، فضلاً عما يقتضيه من سعة نادرة في العلم ، وبراعة فذة في الاستنباط . وهذا الدليل الذي هداه هو رأي جديد في أصل المتنبي ونشأته ، أشبه مايكون بالنظرية العلمية في ميدان العلوم الطبيعية :

فالحقائق في علوم الطبيعة هي خصوم النظريات . والبحث عن الحقائق بالمجهر والمطياف وغيرها من ادوات العلم، عمل لاينقطع ولن ينقطع مابقي الانسان على فطرته في حب الاستطلاع. ولا يخفى أن النظريات توضع لتفسير طائفة معروفة من الحقائق . فاذا انقضت عقود من السنين أو سنوات قلائل، فالغالب أن تجيء هذه الحقائق الجديدة التي يكشف عنها بعد وضع النظرية مخالفة للنظرية في مجملها او لنواح منها، فتعدل النظرية القديمة ، أو تطوى وتوضع نظرية جديدة. ويشترط في النظرية الجديدة أن تكون تفسيراً عامًا متسقاً للحقائق الجديدة والقديمة معاً ، وأن يكون فيها من المرونة مايجعلها تحتمل تفسير الحقائق التي تستجد ، والتمهيد للكشف عن أمور مجهولة

فالاستاذ شاكر وضع هذا الراي اولا فيما قيل عن اصل المتنبي ووالده وذهابه الى الكوفة لزيارة جدته ، وامتناع ذلك عليه ، فاستقامت الحوادث المتناقضة في الروايات المنقولة على أساس هذا الرأي الجديد . ثم لما طبقه على نفسية المتنبي في شعره ، وحوادث حياته الاخرى ، وخاصة حديث نبوته الى ان اتصل بسيف الدولة، تساوقت واتصل الاول منها بالآخر . واستقام كذلك فهمها على منوال يرتضيه العقل ، ويؤيده ما كان من حوادث العصر . ولايبعد أن تكون هذه النظرية تمهيداً للكشف عن أشياء في حياة المتنبي وتاريخ عصره على منوال ماتولده النظريات في العلوم الطبيعية ، كما قدمنا. ولعلّ الاستاذ محمود يحقق كل هذا تحقيقاً مفصلاً في سفره المرتقب إن شاء الله

ولا يسعني في هذه السطور ان أفصّل القواعد التي بنى عليها الاستاذ شاكر رأيه ، فهي

كثيرة متفرقة في جميع الفصول،وهذا البحث الطريف في حياة المتنبي وأدبه ليس الاّ وليد تطبيقها

فقد استطاع ان يكشف من شعر المتنبي عن دقائق حياته ، وينقض الروايات المنقولة الينا عن أصله ونشأته وتنبؤه وحبه ومصرعه ، ويصل بين حياة الرجل واحداث عصره . وبذلك اتسقت حياة المتنبي ، واتصل اولها بآخرها ، وفات الفجوات في تسلسلها ، واستقام فهمها على أساس معقول من الأدب والتاريخ

فالذي يقرأ هذا البحث ويعود الى مطالعة ديوان المتنبي ، متدبّراً ، تكشف امامه معاني شعره ، وصلتها بنفس صاحبها من ناحية ، وبتاريخ عصره من ناحية اخرى

فقد نقض الاستاذ شاكر الرواية المتداولة عن ان والد المتنبي كان سقاء بالكوفة ، ورسم صورة لحداثته في مدارس الاشراف العلويين فيها ، وبين صلة المتنبي بالعلويين من نشأته الى وقت مصرعه ، وتأثير ذلك في حياته وشعره وآرائه السياسية ، ونفى ما اتهم به المتنبي من النبوة مستدلاً على صحة ما يذهب اليه بما استنبطه من شعره ، وما استخرجه من دقائق الحوادث التاريخية المتصلة بمسألة النبوة ، واستطاع ان يصل الى السبب المعقول في تسمية ابي الطيب بالمتنبي

وقد درس حياته وهو في جوار سيف الدولة دراسة وافية من شعره وحوادث عصره ، فكشف عن الصلة بين سيف الدولة والمتنبي ، وأنهما كانا يعملان معاً على تحقيق الامل السياسي لردّ الحكومة الى العرب ، ونزعها من يد الاعاجم الذين كانوا قد استولوا على مقاليدها ، وبيّن أثر هذه الصلة السياسية في شعر ابي الطيب الذي قاله لسيف الدولة

وأثبت في ما أثبته من تاريخ هذه الفترة ان ابا الطيب كان يحب « خولة » اخت سيف الدولة وما كان لهذا الحب من الاثر في سمو شعره ، وروعة بيانه

فؤاد صرّوف



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

« لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، رَبَّنَا لا تؤاخذنا إنْ نسينَا أو أخطأنا، رَبَّنا ولا تحمل علينَا إصراً كما حملتَهُ على الذين من قبلنا، ربنا ولا تُحَمِّلْنَا ما لا طاقة لنَا به، واعفُ عنَّا واغفر لنا وارحمنا »

« ربَّنَا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لَدُنْكَ رحمةً إنَّكَ أنت الوَهَّاب »

وبعدُ، . . . فهذه كلمة عني عن شاعر العربية ولسانها الحكيم

أبي الطيب المتنبي

وأنا أشكر لكل من أعانني — بيده أو قلبه أو عطفه — عونَه. وأخصّ بالشكر الفريق أمين فهد المعلوف، والأستاذ محمد فريد نامق، والأستاذ فؤاد صرّوف

مصر الجديدة : شارع المنصورة ٢٣
أول شوال سنة ١٣٥٤
٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣٥

محمد شاكر

ذكرتُكِ بين ثنايا السطورِ،
وأضمرتُ قلبيَ بين الكَلِمْ
ولستُ أبوحُ بما قد كتمتُ،
ولو حزَّ في النّفس حدُّ الألمْ
تُمزّقني — ما حييتُ — المنى،
فأرقعُ ما مزّقتْ بالظُّلَمْ
وكم كتمَ الليلُ من سِرّنا،
وفي الليل أسرارُ من قد كتمْ
تشابهَ — في كتم ما استترْ —
سوادُ الدجى، وسوادُ القلمْ

محمود محمد شاكر

أنا ابنُ من بَعْضُه يفوقُ أبا الـ
بَاحثِ والنَّجْـلُ بعضُ من نجلَه
وإنما يذكُرُ (الجُدُودَ) لَهُمْ
من نَفَرُوه وأنفدوا حِيَلَهْ
إنّ الكِذابَ الّذي أُكَادُ به
أهوَنُ عِنْدي من الذي نَقَلَهْ

« أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصّمد الجعفيّ
« أحمد بن الحسين بن مرّة بن عبد الجبّار الجعفيّ
« أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصّمد الجعفيّ

هو ابو الطيب الملقّبُ بالمتنبي ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ بمحلة كانت بها تسمى كندة ، وكان ابوه الحسين سقاء يستي الناس على جملٍ له بالكوفة ، وكان يلقّب بعَبْدان السقّا

حدّث عليّ بن المحسّن التوخيّ عن أبيه (المحسّن بن علي التوخي) قال :

« اجتمعت بعد موت المتنبي بسنينٍ مع القاضي ابي الحسين بن ام شيبان [1] الهاشمي وجرى ذكر المتنبي فقال : كنت اعرف اباه بالكوفة شيخاً يسمّى عبْدان يستقي على بعير له، وكان جعفيًّا صحيح النسب »

وحدث التوخي ايضاً عن ابيه قال :

« حدثني ابو الحسن محمد بن [2] يحيي العلوي الزيدي قال : كان المتنبي وهو صبيٌّ ينزل في جواري بالكوفة ، وكان يعرف ابوه بعبدان السقاء — يستي لنا ولاهل المحلة ... »

---

(١) هو علي بن محمد بن صالح بن علي ينتهي نسبه الى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب مات بشارع دار الرقيق ببغداد في يوم الثلاثاء ١٢ شعبان سنة ٤٢٠ ، ويعرف بابن ام شيبان

(٢) هو « محمد بن عمر بن يحيى » ينتهي نسبه الى زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم . كان من اهل الكوفة ثم سكن بغداد وكان المتقدم على الطالبيين في وقته والمتفرد في علو محله مع المال واليسار ، وكثرة الضياع والعقار . ولد سنة ٣١٥ وتوفي ببغداد في ١٠ ربيع الاول سنة ٣٩٠ ثم حمل بعد ذلك لسنة او اقل الى الكوفة فدفن بها

وقال أبو الحسن العلوي أيضاً من حديث التنوخي عنه « وكان عبدان والد المتنبي يذكر أنه جعفي وكانت جدة المتنبي همدانية صحيحة النسب لا أشك فيها ، وكانت جارتنا ، وكانت من صالحات النساء الكوفيات ... »

ثم قال التنوخي (علي بن المحسن) ، قال أبي :

« فاتفق حضوره المتنبي بعد سنين إلى الأهواز منصرفاً من فارس فذكرته بأبي الحسن (يعني محمد بن يحيى العلوي الذي مر آنفاً) فقال : نزيلي وصديقي وجاري بالكوفة ، وأطراه ووصفه .

وسألت المتنبي عن نسبه فما اعترف لي به ، وقال : أنا رجل أخبط القبائل ، وأطوي البوادي وحدي ، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي أنتسب إليها .. وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني »

هذا ما ذهب إليه رواتنا ممن وقع إلينا كلامهم في نسب المتنبي يزيد بعضهم وينقص من بعض ... وقبل أن نبدأ كلامنا عن نسبه ، نذكر طرفاً من أمر (الكوفة) التي ولد بها أبو الطيب وفيها نشأ عسى أن تكون منه فائدة فيما يستقبل من كلامنا

كان تمصير الكوفة وأول أمرها — على ما ذهب إليه أكثر العلماء — في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما بين سنة ١٧ إلى سنة ١٩ من الهجرة ، وذلك أن المسلمين لما فرغوا من وقعة رستم بالقادسية وضمنوا بالعرب ثم انحدروا ، كان مما ارتادهم فيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه — مكان من سواد العراق يقال له (سُوق حَكَمَة) فَمَرِض المسلمون وجهدهم المرض ، فكتب سعد إلى عمر بذلك فكتب إليه

« إن العرب لا يصلحها من البلدان إلا ما أصلح الشاة والبعير ، فليبث بالريف ، ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحراً »

فلما ورد كتاب عمر دلّ (ابن بُقَيْلة — رجل من سواد العراق) سعداً على موضع الكوفة وكان يقال له (سورستان) ، فلما أقر سعد الرأي على اختيار الموضع أسهم بين المسلمين ، فأسهم لنزار وأهل اليمن سهمين ، فمن خرج سَهْمُه أولاً فله الجانب الشرقي (وهو خيرها) فخرج سهمُ أهل اليمن أولاً فصارت خططهم في الجانب الشرقي من الكوفة

ومما وردَ في صفتها وحسنها ما يروى عن مالك بن دينار قال : كان علي رضي الله عنه إذا أشرف على الكوفة قال :

يا حَبَّذا مُقَامُنا بالكُوفَهْ أرضٌ سَوَاءٌ سهلة معروفهْ
تعرفُها جِمَالُنا المَعْلُوفَهْ

ومما قاله محمد بن عمير العطاردي في مجلس عبد الملك بن مروان

«الكوفة سفلت عن الشام ووبائها ، وارتفعت عن البصرة وحرها ، فهي مريئة مريعة اذا أتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور ، وإذا هبت الجنوب جاءتنا ريح السواد[1] وورده وياسمينه وأترنجه . فماؤنا عذب وعيشنا خصب »

فهي كما نرى ارض ذات طبيعة حية ، حببت الى كثير من المسلمين البقاء بها فآثروها على غيرها ، حتى كانت الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، فاتخذها امير المؤمنين علي قاعدة امره ، واجتمع فيها اشياعه وغلبوا عليها ، فمن يومئذ والكوفة معقل من معاقل الشيعة والعلوية والزيدية الى يوم الناس هذا . يقول السيد محسن الامين الحسيني العاملي صاحب كتاب (اعيان الشيعة)[2] « ثم إن الكوفة ضعفت بعد انتقال الخلافة منها إلى بغداد ثم خربت . واليوم فيها كثير من الضرائر ، وجميع أهلها شيعة »

اما امر تخطيطها وعمرانها في القرن الاول والثاني أو في القرن الرابع الذي عاش فيه ابو الطيب ، فلا نكاد نجد بين ايدينا شيئاً مما روي بدأنا عليه ويفيدنا عنه إلا ما روي عن بشر بن عبد الوهاب القرشي من انه ذكر قدر الكوفة فكانت ستة عشر ميلاً وثلثي ميل ، وذكر ان فيها خمسين الف دار للعرب من ربيعة ومضر ، وأربعة وعشرين الف دار لسائر العرب ، (وستة آلاف دار لليمن) ، وذلك في سنة ٣١٤ وما قبلها

وقد روى لنا المتنبي طرفاً آخر من تخطيط الكوفة لعهد صباه إذ يقول وهو بالشام فيما مدح به (علي بن ابراهيم التنوخي)

أمنسيّ السكون وحضرموتاً (ووالدتي) وكندة والسبيعا

يقول الواحدي « هذه اماكن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا ينزلون هذه المحال » .

ولا شك ان (محلة كندة) التي ولد بها صاحبنا ابو الطيب كانت خطة من خطط الكوفة نزلها في الصدر الاول من نزل من بطون كندة فسميت بهم ، وأن سائر الكوفة — او الجانب الشرقي منها على التحقيق — كان مقسماً مخططاً الى احياء كثيرة غير هذه التي ذكرها ابو الطيب في شعره ولكن مما نستطيع له ان بشر بن عبد الوهاب يقول أن دور اهل اليمن (حياً في كل احياء الجانب الشرقي) بالكوفة كانت في سنة ٣١٤ وما قبلها وعدتها (ستة آلاف دار) ، ويقول صاحب (إيضاح المشكل لشعر المتنبي) ابو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الاصفهاني ان (ابن النجار) حدثه ببغداد :

(١) السواد الريف (٢) هو كتاب جليل طبع الجزء الاول منه بدمشق في الاشهر الماضية وسيتم ان شاء الله في اثني عشر جزءاً او يزيد

« أن مولد المتنبي كان بالكوفة في محلة تعرف (بكندة) بها ثلاثة آلاف بيت من بين رَوّام ونسّاج » وذلك سنة ٣٠٣ ، فليت شعري أكان جل أهل اليمن النازلين بالجانب الشرقي من الكوفة — وهو خير جوانبها — ما بين سقاءٍ ونساج . هذا عجيبٌ أن يكون ذلك كذلك ، إذا كان النساجون والسقاؤون وحدهم قد شغلوا من دور أهل اليمن بالكوفة ، ثم محلة كندة وحدها ، ثلاثة آلاف دار ، فكم شغل من بقي من أهل اليمن من أصحاب الصناعات ومن لفَّ لفهم من التجار وأصحاب الأرضين ، ثم ما بقي من حي أهل اليمن لرجالات اليمن وأشرافها وفرسانها وعظمائها وشعرائها وأدبائها وهم كثر .

فهذه المبالغة وجهٌ من وجوه إسقاط قول (ابن النجار) هذا ، وسترى أن المتنبي قد صُبَّ في حياته وبعد موته ضروب من العداوات قد جعلت تاريخ الرجل مزلَّة لا تثبت عليها قدم ولا يهتدي فيها إلا بصيرٌ متثبتٌ . ولو نظرتَ إلى أقوال الأصفهاني صاحب (إيضاح المشكل) من رواه في مقدمة كتابه رأيته ممن كان يتحامل على أبي الطيب ، ويذكره بالسوء في كل قوله ، وما أتى له بمحمدة إلا وأتبعها بمذمةٍ بالغة قارصة ، وهو قد ألف كتابه هذا لأصغر أبناء (عضد الدولة) — الذي مدحه المتنبي ، وكان آخر من مدح — بهاء الدولة خاشاذ بن عضد الدولة ، وكان التحاسد واقعاً بين أبناء عضد الدولة حتى إن المتنبي حين ذكر أخويه (وهما أكبر من بهاء الدولة) في مدح أبيهما قال ودعا لهما

عاشا عيشة القمرين يُحيا بضوئهما ولا يتحاسدان

فكأن المتنبي قد أدرك ذلك منهما ، وألمَّ بطرفٍ من تحاسدهما ، وقد خابت دعوة صاحبنا فإن شرفَ الدولة شيرزيل بن عضد الدولة حاربَ أخاه صمصام الدولة وظفر به بعد حروب وحبسه . فلعلَّ بهاء الدولة هذا كان ممن يحقد على المتنبي إذ لم يمدحه أو يذكره في شعره (مع صغره إذ ذاك) ، فكتب الأصفهاني كتابه تقرباً وزلفى إليه . ومما يؤيد ذلك أن كتابَ الأصفهاني في نقد كلام ابن جني ، وهو صاحبُ المتنبي ومريده ومن الضالعين معه . وسيأتي طرفٌ من غرائب ما ذكره الأصفهاني في ثنايا القول يؤيد رأينا في أن الرجل كان يلحق بالهوى الجائر ، وما كان يؤلف بالتاريخ [1]

(١) هذا طرف من القول ، وبقيت أطراف ترجع الى العداوة بين بني بويه وسيف الدولة ، وما جرت هذه من خصومة بين أهل العصر ، والأدباء خاصة ، وقد استحكمت أخيراً بين بهاء الدولة وسيف الدولة وتورط الأدباء فيه ، فتكلموا وألقوا يرمون بما الهوى التقرب الى ولده من التعصب . وأيضاً فإن بني بويه كانوا يعرفون يقيناً أن المتنبي لم يكن صاحب المدح فهم فقدت به مدحه لطمرة على أنه لم في بعض مما قاله وما كان ذلك ليخفى عليهم . . . وهنالك كثير من القول أغفلناه هنا ، وربما أتى بعضه عرضاً في آخر ما نكتبه عن مدح المتنبي بني بويه إن شاء الله

والآن وقد فرغنا من القول عن محنة كندة التي ولد بها المتنبي ، وما وقع في أمرها من المناقضة ننظر في نسب الرجل ، لنرى كيف تناولوا أيضاً في الإساءة إليه ، وتحقير مولده ، والحط من أصله ونشأته لأغراض خافية قد أحاطت بصاحبنا ، أضرت به في حياته وأفسدت تاريخه بعد وفاته . رأيت قبل في أول ما رويناه من أقوال الرواة أنهم أرادوا أن يثبتوا بما رووا أن الحسين والد المتنبي هو عبدان السقا كان يسقي الماء على بعير له بالكوفة ، وراوي القصة كلها هو علي بن المحسن التنوخي عن أبيه المحسن التنوخي ، ونحن نقدم تفتيشنا في رواية المحسن التنوخي لأسباب نذكر طرفاً منها هنا ثم يأتي بعد أسباب أخرى تثبت ما نقوله إن شاء الله

القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي ولد سنة ٣٢٧ وتقلد القضاء سنة ٣٤٩ ، فكان من أصحاب الوزير أبي محمد المهلبي ، وكان المتنبي حين دخل بغداد في طريقه إلى عضد الدولة بشيراز قد ترفع عن أن يمدح الوزير المهلبي ، فأغرى المهلبي به الشعراء وغيرهم كأبي علي الحاتمي صاحب الرسالة الحاتمية المعروفة بالحاتمية ذكر فيها سرقات المتنبي ، وزعم أنها قد وقعت كما قيدها بينه وبين المتنبي ، فلا عجب أن يكون المحسن التنوخي من أعداء أبي الطيب لصلته القريبة بالوزير فقد يبلغ به أن كان من ندمائه ، ولا عجب أيضاً أن يسند التنوخي روايته (أو كذبه) إلى بعض شيوخه فيفتضح . ذلك أنه زعم كما قدمنا لك أن القاضي ابن أم شيبان حدثه فقال « كنت أعرف أباه بالكوفة شيخاً يقال له عبدان . . الخ » والقاضي ابن أم شيبان وإن لم نعلم تاريخ مولده فإن في ما أثبته البغدادي الخطيب من تاريخ وفاته مقنعاً وغنى

فوالد المتنبي — كما ذهب إليه كثير من المحدثين ، وكما تبين لنا من بعض الوجوه — قد مات والمتنبي صغير ، فإذا تجاوزنا وقلنا إن أباه مات وهو في الثانية والعشرين من سنه أي سنة ٣٢٥ أو بعد ذلك بقليل فعجب أن يكون القاضي بن أم شيبان كان قد رآه إذ يقتضي ذلك أن يكون القاضي قد عمّر وخطم المائة فإنه قد مات سنة ٤٢٠ ، ولو أنه رأى (عبدان السقا) وهو ابن عشر سنين لأنافت سنه على المائة ، ولو كان ذلك كذلك لما فات البغدادي أن يشير إليه فقد يكون هذا القاضي من أهل شيوخ عصره إسناداً ، وعلو الإسناد عند المتقدمين أمر لا ينصرف عن تقييده ، كما أن المعمرين من الرجال مذكورون حتى إنهم ليذكرون الرجل في كتبهم ، وما له من فضل إلا طول عمره . فأنا مطمئن إلى أن هذه الكلمة موضوعة على لسان القاضي الفاضل الذي وصفه البغدادي فقال « كان صدوقاً » .

هذا التنوخي يقول إنه سأل المتنبي عن نسبه فما (اعترف له) به وكان إذ ذاك شاباً في السابعة والعشرين ، وكان المتنبي قد نيّف على(١) الخمسين ، فما أظن أن القاضي كان يجرؤ أن

(١) لقيه التنوخي بالأهواز منصرفاً من فارس من عند عضد الدولة قبيل وفاته سنة ٣٥٤

يسأل المتنبي عن ذلك ، ستَعَدّ منهم بعضها ولتعالي المتنبي وترفّعه حتى على الخلفاء والوزراء ، وأيضاً لما يعلم من صلة القاضي بالوزير المهلبي وتعلقه بخدمته (كما قال عن نفسه) فمن يترفع عن الوزير أبي محمد المهلبي وهو من هو في سياسة عصره ودسائسه ، لا يتبذل مع صاحبنا القاضي التنوخي هذا ولئن كان قد سأل المتنبي حقاً كما يقول فما يكون جواب المتنبي عن ذلك هذا الكلام الاحمق السخيف الذي يتصبح من رأي صاحبه ويتفسد من عقله « انا رجل اطوي البوادي وحدي وأخبط القبائل » فلم يكن المتنبي من يطوي البوادي وحده اذ ذاك بعد ان سار اسمه مسير الشمس ما بين مشرقها ومغربها والمتنبي الذي لم يخف ان يخرج عن مخدومه يوم قُتل وقد اوعدوه ، وأرصدوا له وتحقق عودتك لا يقول « ومتى انتسبت لم آمن ان يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي انتسب اليها » وهل ادلُّ من قوله « وما دمتُ غير منتسب الى إلى احد فأنا اسلم على جميعهم ويخافون لساني » أهذا يقوله من اوعد الملوك وجاهرهم بالمداوة في عصر كانت تذهب فيه الارواح مع كلمات الوشاية والدسيس والمكر السيء ؟ . .
كلا يا ابا علي .

وقد بالغ صاحبنا التنوخي في روايته عن المتنبي حين سأله عن ابي الحسن محمد بن يحيى العلوي بما يدل على انه كان يريد ان يولد كلاماً ، فاطال فيما روى ليوهم السامع بطول قوله ان المتنبي حرّكته الذكرى فأفاض فيما عن ابي الحسن العلوي « ربّاني وصدقني...وجاري بالكوفة . . وأطراه ووصفه » . وفات التنوخي انه قد وضع فيما وضع كلمة افسدت عليه ما اراد وهي قوله « ربّاني » وربّ الرجل ولده هو الذي ولد معه والمتنبي ولد سنة ٣٠٣ وأبو الحسن العلوي كما قدمنا ولد سنة ٣٠٥ والرجل لا يقول لمن يصغره وبينه ما يزيد على عشرة أعوام (ربّاني) فما ظنك بأبي الطيب

وأخرى . . فقد جهل هذا التنوخي أساليب الوضع المتقنة — التي جرى عليها شيوخ الوضاعين وأحكموا أمرها حتى خفيت على الكثير من العلماء والادباء — أنه جمع بين النقائض في الكلام الواحد الذي يراد به إثبات ما لا يكون ، أو تكوين ما لم يثبت ، فمن ذلك أنه روى أن أبا الرجل كان سقاءً يستقي على بعير له ثم حدّث عن الرجل نفسه انه قال « متى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي أنتسبُ اليها » . وهذا أمرّ من الامر ، فإن العرب لذلك العهد كانت قد نسيت الترات القديمة ، وألقت بالضغائن المتوارثة وانصرفت إلى ما جدّ من الاحداث في دولتهم وفرّق شملهم وجعل بأسهم بينهم تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، حتى بعثت بهم الاعاجم فطحنتهم الايام ، فإذا كانت العرب قد نسيت ما تقدم أو ذكرته قليلاً قليلاً فما خوف المتنبي مما لا يخاف منه ؟ وما خوفه وهو آمن في المدن بين

الكوفة وحلب وانطاكية ودمشق والفسطاط ؟ أو كان المتنبي وحده من أهل عصره هو الذي يخشى ذلك ؟ ألم يكن في عصره مثله من يطوي الوادي وحده ؟ كلاً ، وإن رجلاً قد سقطت ما بأنه السواقط إلى السقاية وغيرها من حقيرة المهن لا تنفي عنده طائفة ، وإن يُميت لما يكون لمدركها عنده عزّ . و(ان السقاء هذا) ما عرّض في شعره كله إلى قبيلة مهجاها أو عرّض بها أو لمزها بشيء ، حتى يخشى ظهور كيد يكاد به ، ولئن فعل لقالوا له كما قال الاول

وكن كيف شئتَ ، وقل ما تشا ء ، وأرعدْ يميناً وأبرقْ شمالاً
نجا بك عرضُك منجى الذبا ب حمته مقادره أن يُنالا

وما عرض كعرض سقاء وإن سقاء يخلو به باح من طالب ثأر أو مدرك ترة

وهلا أدرك هذا المترفع المتعالي على الملوك والأمراء — عنيت المتنبي — بنسبه رجلاً آخر غير هذا السقاء — الذي هو ابوه — وقفت عليه بنسبه ! ما كان يضير هذا الرجل — لو انه كان قد سئل عن نسبه كما يوم التنوخي — أن يرفع بنسبه شيئاً إلى رجل من الناس معلوم غير منكور ولا مجهول ؟ ! إن الرواة قد اختلفوا — كما رأيت في صدر مقالنا — في اسم جده (أبي أبيه) ولم يجمعوا على شيء ، واخطأ بعضهم في اسم ابيه فسماه (محمداً) ، واقتصر جل شراح ديوانه من الاوائل ، ثم اكثر النسخ المخطوطة — على اسم أبيه وحسب ولم يزيدوا ، فهذا دليل على أن الكتمان إنما كان كتماناً لنسبة كلها لا كتماناً إلى قبيلة بعينها يخشى من الانتساب اليها أن يلحقه من جرائها أذى في ترة او مكروه في عصبية قديمة أو محدثة ، وأي ثأر يكون للعرب والقبائل عند من كان سقاء بالكوفة !

ثم إن التنوخي يروي هذا الخبر ، ويروي ايضاً انه كان جعفياً صحيح النسب . وما تصح نسبة سقاء إلى جعفي بن سعد العشيرة إلا أن يذكر نسبه متصلاً إلى جعفي ، لان سقاء يدعي الانتساب إلى جعفي لا بدّ له من أن يقيم دعواه بالدليل والبرهان : وهو النسب المتصل المعروف غير المنكر ، فما من ذلك بدّ ، ولو كان ذلك ، لوقع الينا نص واحد يذكر فيه نسب المتنبي إلى رجل من جعفي لا يختلف في أمر نسبته فما بالك من اختلف في جده الادنى والذي بعده ولم يتجاوزوا ذلك إلى متفق عليه من عمود النسب ؟

أو لم يكن الذي حفز التنوخي ان يسأل المتنبي عن نسبه فأجابه عنه ، ليحفزه أن يسأل ابن أم شيبان الهاشمي ، أو أبا الحسن العلوي ، كيف صحت نسبة الرجل إلى جعفي ، وبخاصة بعد أن جحده المتنبي وكتم عنه ما عرفه غيره ؟ ولو كان فعل ، لكان نسب الرجل مشهوراً عندنا كما صارت مهنة أبيه مشهورة منقولة

وبعد ، ألم يكن بين العرب جميعاً من يعرف ان الرجل جعفي القبيلة غير (ابن أم شيبان

الهاشمي) و (أبي الحسن العلوي) و (أبي عليّ التنوخيّ) ؟ أو قد حرصوا ثلاثتهم على أن لا يذيع نسب الرجل الى جعفيّ ؟ ولو كان ذلك ، فما الذي حملهم على هذا الحرص ؟ والتنوخي نفسه لم يكن يعرف سبب حرص المتنبي على كتمان نسبه الاّ في السنة التي مات فيها (سنة ٣٥٤) . أكانوا ثلاثتهم لا يأمنون (أن يأخذ المتنبي بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي ينتسب اليها) ؟ وكذلك شهد الرجل (التنوخي) على نفسه في حديثه بالتخليط أو الوضع

ولا يموتنّك أن المتنبيّ في أول أمره كان بأنطاكية واللاذقية وكان التنوخيون ينزلونهما من قديم ، وقد نشأت بين صاحبنا وبين رجال من تنوخ رجالك ناشئة من المودة ثم نمت وربت واحترمت قدمهم ورثاهم ودفع عنهم ورعى ذووسهم وأقام طويلاً بينهم مكرّماً ، وقد كان بين أصحاب أبي الطيب من التنوخيين وأبناء أعمامهم عداوة ، فلما مات محمد بن اسحق التنوخي ورثاه المتنبي جرى في انطاكية الخبر بأن أبناء عمه قد شمتوا بموته فلما هؤلاء الشامتون الى أبي الطيب يسألونه أن ينفي الشماتة عنهم فكان مما قال في ذلك

(أبناء عمّ) كل ذنب لامرىءٍ إلاّ (السعاية) بينهم مغفورُ
طار الوشاة على صفاء ودادهم وكذا الذبابُ على الطعام يطيرُ

ثم عادوا فسألوه أن يزيد فكان مما قاله على لسانهم

رثى ابنَ أبينا غيرُ ذي رحِمٍ له فباعدنا منه ونحن الاقاربُ
وعرّضَ أنا شامتونَ بموته وإلاّ فزارت عارضيه القواضبُ
(أليس عجيباً أن بين بني أبٍ لنجل يهوديٍّ تدبُّ العقاربُ)

وهذه العداوة التي كانت بين التنوخيين مما يحصرنا عن الثقة بأقوال أحدٍ من تنوخ (كأبي علي التنوخي) من يذكرُ من أمر أبي الطيب شيئاً ، وعلينا أن لا نطمئن إلى قوله حتى نطمئنا الصحة بأنه كان ممن لا يميلون الى هوًى ، ولا يُصغون أفئدتهم الى صغوٍ ، فما ظنك بأبي عليّ التنوخي وهو قد اجتمعت الدلائل — كما رأيتَ — على وهن روايته ، واختلاط حديثه ، وبيان هواه

وليس عجيباً ان يكون التنوخي ممن يحمل لابي الطيب في صدره شحناء لصلته المعروفة بأبناء عمومته ، فتحمله هذه الشحناء على وصف الرجل بكل نقيصة او النيل منه بكل سبيل .

واعلم ان عيّاشا التنوخي (والد المحسّن هذا) كان ممن وُلدَ بأنطاكية وشبّ بها ثم رحل عنها ، فلعله رحل عن انطاكية لحدثٍ وقع بين اهله وبين اقاربهم ، وبقيتْ في صدره وصدر ابنائه حزازاتٌ موروثة وأحقاد لبني عمه هناك ، ولا عجبَ ، فقد كانت هذه الفترةُ من العصر العباسي مرجلاً يغلي بالاحقاد بين الاخوة وبني الاعمام حتى قتل الرجل منهم اباه وعمه وأخاه ، وهتك

عرضه ، واستباح حرماته ، وجماعة من رقيَ درجات الامارة ، أو أدرك سبباً من السلطان كأصحابنا التنوخيين ، (وهم نسلُ ملوك تنوخ الاقدمين)

هذا ، ولو سلمنا للتنوخي رحمه الله صحة روايته عن أبي الحسن العلوي ، وان الذي قاله عن المتنبي هو من لفظ أبي الحسن حقاً ليس بموضوع ولا مبتدع من عند نفسه — مستندا في أقوال العلويين المعاصرين عن أبي الطيب سببٌ للتوقف دون التسليم لهم هكذا ، لا يعادل[1] .

في ديوان أبي الطيب معنى من المعاني ، وإحالهُ سرًّا من الاسرار ، لعله أن يكون يوماً مفتاحاً تفتح له الابواب المغلقة في نسب الرجل ، ومعرفة أصله الذي يصله بسبب غير مجهول ولا موضوع ، فلينا أن نستوفيَ هنا نص الرأي الذي نذهب اليه ونقيّده على مُشكّك .

نشأ صاحبنا بالكوفة ، وهي إذ ذاك دارُ العلويين ، ومعقل الائمة منهم والتابعين من رجالهم وشيعتهم ، فكان حقيقاً بمثله ممن ينال بالشعر ويؤمّل منه أن يمدح من ترجى عنده الفواضل من كبار العلويين وأجوادهم ، وهم أهل بيته القبي في ظلهم نشأ ، ومن ربوعهم نما ، ومن علومهم[2] نهل واغترف ، واستقى واقتبس (على الناس من غيرهم) مما استقى وما اغترف

فعجباً لأبي الطيب ، أيما عجب ، أن لا يكون مدح من العلويين إلا رجلين ما امتدَّ به العمر وقد يئس أبو الطيب في إحدى قصيدتيه ، وبيت الرواية في الاخرى سبب ذلك المدح ...

قال العكبري : وكان محمد بن عبيد الله — العلويُّ المعروف بالمشطّب — هذا الممدوح قد واقع قوماً من اعراب ظاهر الكوفة ، وهو شابٌّ دون العشرين سنة فقتل منهم جماعة ، وجرح في وجهه فكسته الضربة حُسناً . . . . هذا ما سمعته من جماعة من مشيخة بلدنا »

فمدحه المتنبي بقصيدته[3] التي أولها

أهلاً بدارٍ سباكَ أغيدُها   أبعدُ ما بانَ عنكَ خُرَّدُها

فذكر فيها أن ناقته حملته الى (ابن عبيد الله) هذا الممدوح

---

(١) وقبل فلا ننسى — ما كشفنا لك — أن العصر الذي كان أبو الطيب أحد رجاله ، كان من بين العصور العربية عصراً حديث النفس ، شديد الطموح ، اذ نبغ فيه الشاعر وسبت به الاهواء واستحرت الاحقاد بين الرجل وأخيه ، والوالد وبنيه ، والوحيد وعشيرته بني قومه ، وضلل هذا الفتى وحده في عرضه في اثناء كلاما لنا في كل موضع يمكن الاشارة ، ولا نجد كل معرق من القول يجب التحقيق والتمحيص ، ومن يعرز القاريء حين يعوز الاّ بما يخطي اليه مما يجعل عنه غيره ويحاوره سوله

(٢) لعلها ستري بعد ان المتنبي تعلم في كتاتيب العلويين

(٣) الرأي عندنا أن المتنبي قال هذه القصيدة بعد مرجعه الى الكوفة من مقامه بالبادية سنة او اقل وقبل خروجه الى بادية كلب واللاذقية حيث سجن في دعوى النبوة — كما يزعمون ، وقد كانت سنه حين قالها على الارجح عندنا خمس عشرة سنة اي سنة ٣١٨ هـ وعلى ان ابن شهيد في تاريخه لم يؤرخ من بعد شد الدين — وقد وجدنا في ذلك لشقه وما يوجب تنزحم الرجل على بيته وهذي وسيجد القارئ ذلك في كتابنا ، يمر بك ان شاء الله

إلى فتىً يُصدرُ الرماحَ وقد أنهلها في القلوب مُوردُها
لهُ أيادٍ إليّ (سالفة) أعُدُّ منها ولا أعدّدُها

ثم طفق يمدحه إلى أن قال

وكم وكم نعمةٍ مجلّلةٍ ربّيتها كان منك مولدُها
وكم وكم حاجةٍ سمحتَ بها أقربُ مني إليّ موعدُها
ومكرُمات مشت على قدم البـرّ إلى منزلي تردّدُها
أقرّ جلدي بها عليّ فلا أقدرُ حتى المماتِ أجحدُها
فعُدْ بها لا عدمتُها أبداً خيرُ صلات الكريم أعودُها

والمتنبي كما ستعلم بعد كان — أول أمره وهو صبيّ — «يختلف الى كُتّاب فيه أولاد أشراف الكوفة» من العلويين فكان (محمد بن عبيد الله العلوي) هذا كان من لِدّات أبي الطيب أو أسنانه[1] الذين كانوا معه في المكتب، وأحدث بينهما المودّة ثمّ، ولعله كان يُعطف على المتنبي ويتعهدهُ ويكرمه فلذلك قال «لهُ أيادٍ إليّ سالفةٌ». فأحكمت هذه المودة القديمة سبب المدح حين عاد من رحلته في البادية بتسقط اللغة وبتتبع الرزق. وأرجح الظن أن المتنبي حين عاد الى الكوفة، عاد اليه صاحبه العلوي بالاتصال والتعهد، فلما أصيب بالجراحة في حربه مدحه المتنبي لصداقته ومودته، ولما أسدى اليه من معروف، وما اتخذ عنده من صنائع

أما آخر الرجلين العلويين ممن مدح، فهو أبو القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي لم يمدحه المتنبي ابتداءً، كما مدح غيره. وفي ما نرويه لك من خبره عجب

كان الامير ابو محمد الحسن بن عبيد الله طغج وهو بالرملة لم يزل يراسل أبا الطيب وهو بطبرية سنة ٣٣٦، ويعزم عليه في القدوم عليه فلما كثر ذلك منه أجابه ومدحه وأقام عنده مُدَيْدة، فلم يزل أبو محمد (الحسن بن عبيد الله بن طغج) — يسألُ ابا الطيب ان يخصّ ابا القاسم (طاهراً) العلوي بقصيدة من شعره (وأنه قد اشتهى ذلك)!! وأبو الطيب يقول «ما قصدتُ الاّ الامير (ولا امدح سواه)!!» فقال له ابو محمد «عزمت عليكَ ان اسألكَ قصيدة تنظمُها فيّ فجعلها فيه» (تأملْ هذا) ووعد له عنده مئات من الدنانير، فأجاب

قال محمد بن القاسم الصوفيّ «سرتُ انا والمطليّ رسالة طاهر الى ابي الطيب، فركب معنا حتى دخلنا عليه، وعنده جماعةٌ من الاشراف، فلما اقبل ابو الطيب نزل طاهرٌ عن سريره، والتقاه مسلماً عليه، ثم اخذ بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها، وجلس هو بين يديه. فتحدّث معه طويلاً ثم انشده ابو الطيب فخلع عليه للوقت خِلعاً نفيسة»

(١) يقول فلان سِنّ فلان اي مثله في سنه والجمع اسنان

قال علي بن القاسم الكاتب : « كنت حاضراً هذا المجلس ، فما رأيتُ ولا سمعتُ ان شاعراً جلس الممدوح بين يديه مستمعاً لمديحه غير ابي الطيب ، فاني رأيت هذا الامير قد اجلسه في مجلسه ، وجلس بين يديه ، فأنشده

اعيدوا صباحي فهو عند الكواعبِ — وردُّوا رقادي فهو لحظُ الحبائبِ [1]

وفي هذه القصيدة التي يمدح بها رجلاً عربيًّا سامي الصدر يقولُ

« كثيرُ حياة المرء مثل قليلها — يزول ، وباقي عمره مثل ذاهبِ
اليكَ ، فاني لستُ ممن إذا اتقى — عضاضَ الافاعي نامَ فوق العقاربِ
اتاني وعيدُ (الادعياء) وانهم — اعدوا لي السودان في كفر عاقبِ
ولو صدقوا في جدّهم لحذرتهم — فهل فيَّ وحدي قولهم غير كاذبِ
اليَّ لعمري قصد كلِّ عجيبةٍ — كأني عجيبٌ في عيون العجائبِ
بأيِّ بلادٍ لم اجرَّ ذوائبي ؟ ! — وأيُّ مكان لم تطأه ركائبي ؟ ! »

ونصُّ الرجلُ في القصيدة يدلُّ على انه كان قد لقي كيداً في سنته تلك من هؤلاء القوم الادعياء (وهم الذين يمدون الشرف بنسبتهم الى علي رضي الله عنه) . ويبين مما ورد في شعر ابي الطيب انه حين ازمع الرحيل من طبرية سنة ٣٣٦ ارصد له هؤلاء العلويون (الادعياء) قوماً من السودان عبيدهم في طريقه بكفر عاقب [2] ليقتلوه ثم ينظروا ما أمنوا ، واحفظ ذلك ابا الطيب ، فلما دخل الرملة كان — على عادته كما سترى ذلك — ثائراً لا يفتأ يذكر ، ما يختلج في صدره لا يرائي ولا يحابي ولا يتهيَّب ، ومن آثار هذه الحفيظة قوله في هذه القصيدة أيضاً

« إذا (علَويٌّ) لم يكن مِثْلَ طاهرٍ — فما هو إلاَّ حُجَّةٌ للنواصبِ » [3]

ثم أجرى هذا الامر مجرى المثل كعادته فقال

إذا لم تكن نفسُ النسيب كأصله — فماذا الذي تُغْني كِرَامُ المناصبِ !!
وما قربتْ أشباهُ قومٍ أباعدٍ — ولا بَعُدَتْ أشباهُ قومٍ أقاربِ

والبيت الاخير هو حجتهُ في نفي العلوية عنهم وإثبات أنهم أدعياء لا يمتون إلى الشرف بسببٍ

---

(١) لابد لنا هنا من التنبيه الى خطاء بيّن وقع فيه أحد كبار ادبائنا في كتابه عن المتنبي اذ زعم ان المتنبي قال هاتين القصيدتين (في ابن طغج والعلوي) بعد فراق سيف الدولة وذلك إضافة لكافور ، والصحيح انهما قيلتا سنة ٣٣٦ وهو بالرملة ومن ثم في حلب انه رحل الى انطاكية قاصداً الاستاذ الحمداني الذي وصل اسامه بسيف الدولة سنة ٣٣٧ وسترى ذلك في موضعه من مقالنا . هذا على ان اسلوب الرجل في هاتين القصيدتين وغيرهما في الشعر غيره فيما قاله بعد فراقه لسيف الدولة ، وذلك بين لمن تدبر ادنى تدبر

(٢) كفر عاقب قرية على بحيرة طبرية من اعمال الاردن

(٣) النواصب هم الخوارج الذين نصبوا العداوة لامير المؤمنين علي كرم الله وجهه ولمذهبهم ناصبي

ولاصلة . ولو كانوا علويين — لاجرم — لتشابهت الاخلاق في الكرم والسموّ ، ولكانوا كهذا العلويّ الذي يمدحه (طاهر بن الحسين)

ليس هذا فحسب ، فإن أبا الطيب يقول للامير أبي محمد ابن طغج في مديحه

كريمٌ نفضتُ الناسَ لمّا بلغتُهُ كأنهُمُ ما جفَّ من زاد قادمِ
وكاد سروري لا يفي بندامتي على تركهِ في عُمُري المتقادمِ
وفارقتُ شرَّ الارض أهلاً وتربةً بها (علويٌ) جدُّهُ غير هاشمِ

(وشرُّ الارض) هي طبريّة التي كان بها قبل مقدمه إلى الرملة

أو ما ترى بعد أن في مختصر المتنبي مدح العلويين ورجالهم وأشتهم في أول امره وهو ما يكوه ، إلاّ واحداً كان رفيق صباه وأحد اساتذته ، ومن خير المعصبين عليه والمشهودين في محنته وفقره — ثم في طلب الامير منه ان يمدح طاهراً العلويّ يمتنع ويستعصي عليه حتى يكثر عليه الامير ويقول « أنا اشتهي ذلك » فيقول أبو الطيب « ماقصدت الاّ الامير ولا أمدح سواه » فلا يزال به يحتال عليه حتى يستخرج من وعده — ثم في اكرام العلويّ له هذا الاكرام البالغ بنزوله لهُ وإجلاسه في مرتبته وعلى سريره ، ولا يتورّع المتنبيّ إذ ذاك ان يذكر بعض العلويين بالمذمة والتعريض وبعض السنة الكريمة عنهم — ألا ترى ان هناك سراً من الحيطة بينهُ وبين العلويين الذين نشأ بينهم وفي ديارهم ، ودرس في مكتبهم ، بين أولادهم

هذا وسيأتي طرف من ذلك [١] بعد ، فترى ان أبا الطيب حين خرج في اول أمره باللاذقية كان الذي غدر به وسجنه رجلٌ هاشميٌّ علويٌّ هو (ابن عليّ الهاشمي) وكان مكوتكين جعل في عنق صاحبنا ورجليه خشبتين من الصفصاف فقال له

زعمَ المقيم مكوتكين بأنه من آل هاشم بن عبد مناف
فأجبته مذ صرت من ابنائهم صارت قيودهم من الصفصاف

يسخر منه ، ومما أخذه به

أفلا نشككنا — من اجل هذا — في صحة ما يقوله العلويون من أبي الطيب ، وتوقفنا دون الاخذ بأقوالهم في ترجمة الرجل — مكون قد اتينا امراً كبيراً لا يقرّنا احد عليه ؟ لا ادري

رأيت قبل ان الذي قال انّ والد المتنبي هو عبدان السقّا — انما هو أبو علي التنوخيّ وهو من شيوخ العراق واصحاب الوزير المهلبيّ فزد على هذا ايضاً ان المتنبي حين دخل العراق بعد فراق كافور ، أعرض عن المهلبي ، ولم يمدحه ، ولم يبال به فأغرى به الشعراء وغيرهم من الكتاب والادباء . وكان شعراء العراق خاصة يحاولون أن ينال ابو الطيب في العراق ما نال

(١) ستأتيك في غير موضع أيضاً بعد انهم زعموا ان أبا الطيب ادعى أنه علوي حسني ثم ادعى النبوة ثم عاد يدعي أنه علوي وسنرى بطلان ذلك ان شاء الله وتأويله عندنا على الرأي والنظر لا الرواية

في الشام فيذهب بأرزاقهم من المدح ، ويعصف بذكرهم عند الملوك والامراء كما فعل بمن هم أعلى منهم صبغة من شعراء الشام كأبي فراس الحمداني ، والسري والرفاء ، وابي العباس النامي ، وأبي الفرج الببغاء وخلق كثير من الشعراء . وقد هجم على ابي الطيب ووقع في عرضه شعراء العراق حين اعرض الوزير المهلبي به حتى قالوا فيه

أيُّ فضلٍ لشاعرٍ يطلبُ الفضـــلَ من الناسِ بكرةً وعشيّا
عاش حيناً يبيع بالكوفة المـــاء وحيناً يبيع ماء المحيّا

فزعموا انه هو هو الذي كان سقاء لا أباه ، وهاج هذا القول الحسن بن لنكك شاعر البصرة وكان كما كان الخالديان (حاسداً له طاعناً به هاجياً إياه ، زاعماً ان أباه كان يستقي الماء بالكوفة) فقال ابن لنكك شماتة حين رأى وقيعة شعراء بغداد في الرجل

قولوا لاهل زمانٍ لا خلاق لهمْ ضلوا عن الرُّشدِ من جهلٍ به وعموا
اعطيتمُ المتنبيّ فوق منيتـــه فزوّجوه برغمٍ امهاتكمُ
لكن (بغداد) جاد الغيث ساكنها نعالهم في قفا السقاء تزدحم

وقال ايضاً

« متنبيكم ابن سقاء كوفاني ....

ويتضح — بعد ذلك — إباء ابن لنكك عاميه

فذكرُ المتنبي بالسوء وزعمهم بأن أباه كان سقاء من (مصنوعات) العراق وتجارته التي كان المهلبي (وزيراً) لها إذ ذاك على ما نرجح ، فكم اشتهر صاحبنا المهلبي بالاكاذيب في ايام وزارته كما روت التواريخ عنه وعن ايام اصحابه . والا فكيف (يصحّ في الاذهان) ان يقف ابن السقاء هذا المتنبي . كما زعموا في كل المواطن موقف المتعالي المتكبر الذي لا يرى احداً فوقه ولا احداً مثله حتى سيف الدولة ابن حمدان وليّ نعمته ، وصاحبه ، ومكرمه على حين مسمع من الزمن !؟ يا عجباً !! ألمْ يكن في مجلس سيف الدولة من يعرف ذلك يوم غضب عليه ، وترك الشعراء يقعون فيه ، ويتصدّى له ابو فراس وهو ينشد فيحجه ويقطعه عن الانشاد . يقول المتنبي في هذا المجلس

سيعلمُ الجمع ممن ضمّ مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدمُ
أنا الذي نظر الاعمى الى ادبي وأسمعت كلماتي من به صمم

فانظر كيف فضّل نفسه على من ضمّ مجلس سيف الدولة وفيهم سيف الدولة نفسه ، ولم يزد ابو فراس — وهو قريع المتنبي في الشعر وعدوّه لمنزلته عند سيف الدولة — على ان قال له فيما قال « ومن انت يادعي كندة » !! وفي قوله « دعيّ كندة » نظر فما نظنّ الرجل ادّعى لكندة واصحابنا يزعمون انه كان يخفي نسبه ، وكان اولى بأبي فراس ، واوقع في المتنبي

وأوضح له في تيهه وتعاليه على الأمراء والملوك وكبار الشعراء كأبي فراس نفسه — أن يقول له إذ ذاك «من أنت يا ابن سقاء كوفاني» لو أنه كان علم ما علمه (التنوخيّ) وأصحابه وشعراء العراق وشاعر البصرة الحسن بن لنكك) الذين كانوا يمرّون على صفة (بلاط) الوزير المهلبي وزير معز الدولة أحمد بن بويه (الديلمي) عدوّ بني حمدان وفي رأسهم سيف الدولة (التغلبيّ العربيّ)

أتُرى شعراء الشام الذين ذهب رزقهم وذكرهم، ولم يمنعهم من ذمّه لهم في شعره، كانوا لا يتقصّون خبر الرجل وقد استفحل أمرُه بينهم فيعلمون أنه كان (ابن سقاء) فيطيرون بذلك ويتبجحون به، أو يشنّعون به ويتنادرون عليه؟! وهذا ابن السقاء يتحداهم ويتحدى سيف الدولة نفسه، وأبو فراس قريبه وعدوه في المجلس إذ يقول

كم تطلبون لنا عيباً فيُعجزكم ... ويكرهُ الله ما تأتون والكرمُ
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي ... أنا الثريّا، وذان الشيب والهرمُ

أتُراهم يطلبون له عيباً فيعجزهم الطلب ويكون مثالاً في العراق بعد أن الرجل ابن سقاء كان يستقي الدنّ على بعير له بالكوفة!!

اقرأ ديوان الرجل كله، تجده تيّاهاً يتسامى بنفسه على كلّ ممدوح، ويتعالى على كلّ أهل عصره، ولا يأبه بوضع الشعراء من سخريته وهو قد قطع أرزاقهم، وألوى بهم وبذكرهم، وكلامه كلام الواثق الذي لا يدخله الشكّ، ولا يروعه الكذب، ولا يردّه الأمراء، فلو كان في نسب الرجل (إذ ذاك) مطعنٌ لطاعن، أو في أصله تهمة لمتهم لتردّد في قوله تردّد الحيران ولاجتنب الفخر حيث يكثر الحسد والمنهمة والنميق والدسّ عند الأمراء ومن إليهم من رجال الدولة. ولو كان في نسب الرجل شيء، لسكت عن كل موضع من فخره في شعره نادرة يتناقلها الأدباء وعثرةً قد عيّره بها أنداده وأعداؤه من الشعراء. ألم يسمع هؤلاء إلى قوله في فخره

لا بقومي شرُفتُ بل شرُفوا بي ... وبنفسي فخرتُ لا بجدودي
وبهم فخرُ كلِّ من نطق الضا ... دَ وعوذُ الجاني وغوثُ الطريدِ

فهذا من أكبر الفخر فما من قوم يفتخر بهم (كلّ من نطق الضاد) غير أبناء علي رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقول يرثي جدته وقد ماتت بالكوفة، وكان صاحبنا إذ ذاك قريباً من الكوفة حيث نشأ وعُرف

«وإنّي لمن قومٍ كأنّ نفوسَهم ... بها أنَفٌ أن تسكنَ اللحمَ والعظما»

والعجب أن لا يصلنا عن هذا وغيره خبرٌ واحدٌ يطعن فيه الرجل بأنه ابن سقاء وما يكون لابن سقاء أن يقول مثل هذا، ويكون كل ما وصلنا من خبر أبيه إنما وصل في خبر دخوله بغداد في آخر عمره ومن رجال بينهم وبين الوزير المهلبي آصرة مودّة وتقادم، أو شعراء أسدّهم هذا الوزير المهلبي وأغراهم بالرجل، حتى وقفوا في عرضه، وولغوا في شرف نفسه وجودة قريضه وبيانه

فوا أسفا ألاّ أكبّ مقبّلاً
لرأسكِ والصدرَ اللذَا مُلِئا حزمَا
وألاّ ألاقي رُوحَكِ الطيّبَ الذي
كأنَّ ذكيّ المسكِ كانَ له جسمَا
ولو لم تكوني بنتَ أكرمِ والدٍ
لكانَ أباكِ الضخمَ كونُكِ لي أمّا

ها، ولا غيرها ».. ابوه الذي كان سقاء — زعموا — يستقي على بعير له بالكوفة، وكان جعفياً صحيح النسب . وجدته، وكانت همدانية صحيحة النسب (لا يُشكّ فيها)، وكانت من صالحات نساء الكوفيات . ها ولا غيرها . ، اصله وفرعه، وقديمه وحديثه، وعشيرته وأهله، وعصبته وقومه، والعالمون بأمره في اول حداثته لا عمٌّ ولا خالٌ !!

اما امه فقد جهدتُ ان اجد لها خبراً واحداً، او ذكراً في كلامٍ، فما وصلتُ، اما ما زعم بعض الكتاب والادباء من انه اراد امه بقوله وهو في السجن وقد كتب به الى الوالي

بيدي ايها الاميرُ الاريبُ لا لشيءٍ الاّ لاني غريبُ
او (لامٍّ) لها اذا ذكرتني دمُ قلبٍ بدمعِ عينٍ يذوبُ

فليس عندنا شيء وفاته كان يسمي جدّته (امه) وقد جاء ذلك في قصيدته التي رثاها بها فقال

ولو لم تكوني بنت اكرم والدٍ لكان اباكِ الضخمِ كونُكِ لي (امّا)

ومن قرأ قصيدته هذه وتدبرها وقع في قلبه اليقينُ انه لم تعطفه عاطفةٌ الى احد من اهله (ولا نستثني اباه السقاء !!) الاّ ان تكون هذه الجدة الكريمة التي حملته صغيراً وثكلته شاباً بفراقه لها، ثم ماتت به سروراً حين جاءها كتابه وهو متوجه الى العراق (ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك !!) او كما قالوا ... وفي قصيدته هذه اشارة دقيقة بليغة مقدّرة، يشير بها الى ان امه قد ماتتْ وهو صغيرٌ فكفلته جدته العجوز رحمها الله وذلك في قوله

« طلبتُ لها حظاً ففاتت وفاتني (وقد رضيتْ بي لو رضيتُ بها قسما[1])

(١) القسم بالكسر : نصيب ، وقد ... معنى الشراح من اصحابنا ولم يتفطنوا في قوله (لو رضيت) فاعلم ان (لو) في هذا البيت انما تفيد الاسف والحسرة وهذا وجه من وجوه التمني وللبحث موضع آخر من مقالنا هذا نتولى فيه شرحه . فقد اخطأ الشراح

فندر الشطر الاخير يصل تدبر مجد المعنى الذي اوردناه من ان امه ماتت وهو صغير فكان مما (قسم) لجدته ان تحضنه وقد رضيت بذلك وهي حانية وأحبته حبًّا عظيماً يقول في الدلالة عليه

« لك الله من مفجوعة (بحبيبها قتيلة شوق غير ملحقها وصما) »

وفي تسميته جدته (أمًّا) بعض الشيء في الحجة المرجحة لقولنا هذا

شهد التنوخي او ابو الحسن العلوي — او من تشاء — لجدة المتنبي انها كانت من « صلحاء النساء الكوفيات » ولعل هذا امر لا ريب فيه — وان لم يكن قد وقع لنا الخبر بذلك — فانها هي التي تولت تنشئة المتنبي من صغره — ولقد نعم وقد شهد له اكثر اهل عصره حتى أعداؤه — انه كان كما قال علي بن حمزة البصري (راوية المتنبي — كما سماه اهل المغرب)[1]

« طوت من ب الطيب ثلاث خلال محمودة ، وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط » وقال ابن فورجه « لم يكن فيه ما يشينه ويسقطه الا بخله وشرهه على المال »

وقد كان أثر جدته بيّناً في اول شعره كما سنرى ، وقد ذكر المتنبي خلائقه في ابيات له منها قوله :

وترى المروءة والفتوة والابو ة في كل مليحة ضراتها

هن الثلاث المانعاتي لذتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

فلا شك أن أكثر ذلك من أثر جدته ، وزكاة نفسها ، وصلاح قلبها . وقد وصفها المتنبي فجمع ما شاء ودل عليها ، وبلغ ، صادقاً فيما قال

هواي بها ألا أكب مقبلا لرأسك والصدر اللذا ملئا حزما

وألا ألاقي روحك الطيب الذي كأن ذكي المسك كان له جسما

ويبدو لنا ان هذه الصور الحازمة التي بينت للمتنبي أمره ومهدت له طريقه ، كانت مع حزمها وعدلها وصبرها ، رفيقة القلب تكاد تتخلع من نفسها اذا أعطت عواطفها قيادها ومع ذلك فقد كانت تحزم أمرها وتقسو على نفسها حتى يخيل لمن لم يخبرها أنها لا تعطي المادة لشيء الا للعقل والتدبير المحكم ، وفي الذي رووا من خبر وفاتها دليل بيّن على ذلك فانها كانت تشكو الى ولدها وحفيدها شوقها ولوعتها وطول غيبته عنها فلما توجه الى العراق (من الشام) « ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك ! ! » انحدر الى بغداد وكتب اليها كتاباً يسألها موافاته ببغداد فلما أخذت كتابه (قبّلته وحمّت لوقتها وغمها الفرح فقتلها) رحمة الله عليها

وقد ورث المتنبي عنها هذا فقد كان مع ما يبدو من شدته وصولته وجولته ، متماسكاً لا يستمسك فيها عن عاطفته ويلم بقلبه ، وفي رثاء جدته بلاغ لك ان تدبرته ، وسترى ذلك ايضاً في آخر ما نكتبه عن أمره مع سيف الدولة ، وعن أمره مع النساء او مع المرأة التي أحبها فهلكت وأهلكته

(١) كان من أئمة العربية ، مات في رمضان سنة ٣٧٥ بصقلية ، ولما نزل المتنبي ببغداد كان بها علي بن حمزة فنزل المتنبي في داره ، وقرأ عليه شعره ، وقد ترك فيه دولة في المتنبي نوضحه من المقال ان شاء الله

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي ...
وبهم فخر كل من نطق الضا
د وعوذ الجاني ، وغوث الطريد

•••

وإني لمن قوم كأن نفوسهم
بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

ندع الآن امر جدته الى حينه — ان شاء الله — في كتابنا عن المتنبي ، ونبدأ رأياً لم نجد له ما يؤيده من نصوص التاريخ ، ولكن ......

روى الاصفهاني أن المتنبي ، وهو ابن السقاء !! ، « اختلف الى كتّاب فيه اولاد اشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس (العلوية) (١) شعراً ولغةً واعراباً ، فنشأ في خير حاضرة »

وتأويل هذا ، ان العلويين — وهم (الاشراف) — كما يتضح من هذا النص كانت لهم مكاتب خاصة يتلقى فيها اولادهم مبادىء العلوم ، ولاشك ان العلويين كانت — ولا تزال — لهم مدارس خاصة بهم تقوم اصولها في التعليم على اصل اعتقادهم ، وقد مر بي في قراءتي كثير من ذلك لا اذكر موضعه الآن وانما اذكر ان الشريف الرضي كانت له مدرسة سماها (دار العلم).

ونحن وإن لم نك نعلم نظام هذه المدارس العلوية الآن فيتبادر الى الفهم أن هذه الكتاتيب والمدارس كان لا يدخلها الا ابناء العلويين ، ونص الاصفهاني يقول بذلك ، فدخول (احمد ابن عبدان السقاء) — الذي هو المتنبي — بين ابناء العلويين في كتّاب لهم غريب عجيب، فيجب ان نفهم من هذا الشاهد ان بين جدة المتنبي وبين العلويين سبباً موصولاً قوياً هو الذي شرح صدورهم وارحامهم ان يدخلوا بين ابنائهم غلاماً كان ابوه سقاء في بلدهم

هذه واحدة من علاقة ابي الطيب وجدته بالعلويين ، ثم ان ابا الطيب فارق جدته ورحل لغير سبب معلوم الى البادية ثم عاد الى الكوفة شاعراً قوي الأداة لسان فلم يمدح الا « محمد بن عبيد الله المشطب العلوي » — الذي قدمنا ذكره وذكر النسب في مدحه — ولم يمدح احداً من العلويين

(١) صواب هذه العبارة « وكان يتعلم دروس العلوية ، ويحذق العربية شعراً ولغة واعراباً »

قائمة على كثرتهم ، وثرائهم وعلوّ مرتبتهم ، وخلوص عروبتهم [٢] في عصر اختلطت فيه الامور وصارت الشوكة الى الاعاجم

فلما خرج صاحبنا الى الشام ذكروا فيما ذكروا من (امر الفصول التي تمرّ به بعنوان النبوة) انه ادّعى النبوة مرتين اي ادّعى انه علويٌّ نسبة وكان الذي قبض عليه هناك وعذبه وسجنه (ابن علي الهاشمي) العلوي، وكان إذ ذاك باللاذقية سنة نيف وعشرين وثلاثمائة واللاذقية يومئذٍ دارٌ من ديار العلويين يرأس فيها رؤوس من الدعاة العلويين

ولما كان أبو الطيب بطبرية سنة ٣٣٦ وأراد الخروج إلى الرملة أرصد له العلويون قوماً من عبيدهم السودان ليقتلوهُ ، ولكنه فاتهم بحيلته ودهائه ، ودخل الرملة يمدح الامير أبو محمد الحسن بن عبد الله بن طغج فكان مما قال في قصيدته

وفارقت شرّ الارض أهلاً وتربةً بها (علويٌّ) جدّهُ غير هاشم

ثم كان ما رويناه لك من امتناعه عن مدح العلوي (أبي القاسم طاهر بن الحسين) ولم يمدحه إلاّ بعد إلحاح الامير وتدسيه في السؤال منه وكان مما قاله أبو الطيب في هذا المدح

أتاني وعيد (الادعياء) وأنهم أعدُّوا لي السودان في كفر عاقب
ولو صدقوا في جدّهم لحذرتهم فهل فيّ وحدي قولهم غير كاذب؟

ثم انتزع من ذلك أمثالاً في النسبة إلى العلوية المكرمة فقال

« إذا لم تكن نفس النسيب كأصله فماذا الذي تغني كرامُ المناصب
وما قربت أشباهُ قوم أباعدٍ ولا بعدت أشباه قوم أقارب
إذا (علويٌّ) لم يكن مثل طاهر فما هو إلاّ حجةٌ للنواصب »

فما دعته جدته إلى العراق أن تزورها قصدها ، والنصُّ الذي ورد في ذلك هو هذا « فتوجه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة (على حالته تلك) فانحدر إلى بغداد وكانت جدته (قد يئست منه) فكتب اليها كتاباً يسألها المسير اليه . » وهو نص غريب كما ترى وليت شعري وشعرك ما الذي أرادوا بقولهم (لم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك) ، وهو قد أتاها قاصداً دخولها ، وزيارة جدته التي عنه وبعثها ، ويقطع صاحبنا الارض من أقصى الشام إلى أسفل العراق ودخول الكوفة همه ، ثم يحجم عن دخولها لغير سبب مذكور أو معقول ، إذن فلا مناص من القول بأنه قد منع من دخول الكوفة وهذا هو الوجه الآخر لتأويل هذا النص الغريب

فإن صحّ أيضاً ما أسنده التوحي (وذلك ما أوردناه في أول كلامنا) إلى أبي الحسن وابن أم شيبان (العلويين الكوفيين) وأن ذلك من كلامهما كثرت الادلة التي توجه الحدس

(٢) والمتنبي كما تعلم كان من اكثر أهل عصره عجباً بالعربية وتعصباً لها

والظن أنه وجده ميتة ، وذلك أن بين المتنبي والعلويين سبباً مجهولاً حملهم أولاً على إكرامه فحمله بين أمانتهم في كتائبهم بالكوفة ثم حملهم بعد على النقمة المقصودة للفتك به في الشام ، ثم منعه من دخول الكوفة ليرى جدته العجوز التي أدمنت اليه تشكو شوقها وطول غيبته عنها وبرمت في هذا يقيناً وعنى به اهتماماً رثاء المتنبي لجدته فيه لطائف من الاشارة تكتفي بذكر البعض منها هنا ثم نعود اليها بعد قليل . يقول المتنبي :

«هبيني أخذت الثأر فيك من العدى فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمّى »

ثم يقول

« لئن لذّ يوم (الشامتين) بيومها لقد ولدت مني لأنفهم رغما »

فقد أثبت ابو الطيب أن لجدته ثم له أعداء كان همّه كله أو أكثره ان يأخذ منهم (ثأرها) وثأره ، وان هؤلاء الاعداء قد شمتوا بموتها يوم ماتت ، فهذه الجدة الصالحة الصبور قد اتخذت لنفسها اعداء يرضون انفسهم بالشماتة ، وهؤلاء الاعداء — ولا بدّ — كانوا من الكوفة والارجح انهم كانوا من العلويين لما رأيت قبل من الصلة أو العداوة القائمة بينهم وبين ابي الطيب المتنبي

وانا لا أرى بأساً من ترجيح الظن بأن المتنبي كان من ابناء العلويين فان هذا يفسر كل غموض في حياة الرجل ، وفيما روي عن نسبه من المتناقضات ، وحسبي هنا ان أمرّ بك مرًّا على مواضع منها تزى رأيك — وفقك الله — فيما اردنا من القول به فان رأيت حجتنا ساقطة فأسقطها ولا تؤاخذنا بما ظننا ، فان رجحت ما نقول به فان ننصو الناس لا بأنهم أقسط عند الله

ووضع القصة عندنا هو هذا :

تزوج رجلٌ من العلويين — ولا جرم ان يكون من كارم — بنت جدة المتنبي فحملت منه ووضعت أحمد بن الحسين (وهذا الحسين غير عبدان السقاء) ، ولأمر ما أرغم هذا الرجل على طلاق امرأته وفراقها ، وحمله العلويون على ذلك ، ففارقها وطلقها ، ورجعت الى أمها بجنينها أو طفلها ، وجرت حرباً أهلكها فنالها الموت وذهب بها ، وبقي الطفل فكفلته جدّته وتعهدته وقامت بأمره ، ودلته على الطريق بعد ان صرحت له بحقيقة أمره ، وصحيح نسبته ، وكان من حرصها ان حذرت الفتى عواقب التصريح بأمر نسبه وأخذت عليه المواثيق والعهود ، حبها له وحبه لها ، وأنه ان فعلَ كان في ذلك هلاكها وهلاكه فبقي على ذلك متململاً حتى كان من أمره ما كان من ادعائه العلوية بالشام فقبض عليه فاضطرَّ الى الاختلاق والتدليس وحرص على ان يطيع أمر جدته بعد ان علم حرصها وصواب رأيها ، واخلاصها له المشورة ومحضها له النصيحة

وهذا الوضعُ لنسبة المتنبي هو الذي يفسر لك طول تكتم المتنبي على نسبه واخفائه جهده من اصحاب الالسنة المتفقة بين الرجال ، ويفسر ايضاً تخرج قصة (ابيه السقاء) وحرصهم على

حكمها ، ولتقديم لها مطلب القول ، وحسن العبارة كما رأيت في اول كلامنا (ارجع الى ممدنا بكلام التوحي) . ورأينا بالقديم الذي في امر دخوله كتّاب اشراف العلويين ما سكره وتعلمه دروس النبوة ، وبيّن ايضاً عن السبب الذي من أجله سكت المتنبي عن مدح العلويين وعظائهم وأصحاب الجاه والسلطان منهم وهو بالكوفة ، ثم تأبّيه على مدح ابي القاسم العلوي صاحب الامير ابن طغج حين كان بالرملة ، ثم ما كان قبل من ارصاد العلويين له عيونهم لقتله بكفر باق وكفاك هذا فانا ستبني بقية كلامنا عن المتنبي من اول امره على هذا الاس ، وما يقرب منه وحسبك هنا ان نعرفك بعض المعاني في رثاء جدته على هذا الاصل

« ورد على ابي الطيب كتابٌ من جدته لامه تشكو شوقها اليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك — فانحدر الى بغداد ، وكانت جدته قد يئست منه فكتب اليها كتاباً يسألها المسير اليه فقبلت كتابه وحُمّت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقتلها »

وتأويل هذه العبارة كلها — انه حين ورد عليه كتاب جدته ازمع الرحيل من الشام الى الكوفة ليلقى بها جدته فبلغ الخبر شيعة العلويين فذهب بعضهم الى جدته ، وأبان لها سوء رأيها ومنّوها ان يكون لقاء ولدها من همّها ، وأخبروها انهم قد اجمعوا رأيهم على منعه من دخول الكوفة بعد ما كان من امره وهو بالشام من اظهاره العلوية ، ورغبته في تحقيق نسبته الى العلويين فلما بلغهم الخبر بورود صاحبهم (المتنبي) على طرف الكوفة خرجوا اليه وأنذروه ان يكون ذلك من ارادته بعد حصوله في الشام ، وأمروه بالانحدار الى بغداد ، ورجعوا الى جدته فآيسوها من لقائه بتاتاً فلما استقر المتنبي ببغداد وزاد شوقه الى جدته وبكى من خيبته فيها ، وحمله ذلك على الكتابة اليها — بعد ان لم يجد عن ذلك محيصاً في نفسه فكتب اليها كتاباً يسألها المسير اليه ببغداد ، ففرحت الفرح الذي هو فرح اليائس من امر ثم اتته البشرى بالظفر من وجهٍ آخر ، فاشتدّ ذلك عليها واستبدت العواطف المتأججة المتنازعة المتضادة بذلك البنيان المهدّم الضعيف فانقضّ بعضه على بعض ، فماتت رحمة الله عليها وأثابها بما صبرت

فلما ماتت اسكتته ثارت نفس الرجل ثورة اليأس ، وخاف ان يشتغل العلويون بعداوته وهو ببغداد أن يقتلوه من أجل ذلك ، فأضمر ما في نفسه وأشار إلى هذه المعاني من طرفٍ خفيّ ويحسن ان نذكر هنا ان المتنبي خرج آخر مرة من الكوفة مرغماً على ذلك الخروج ، وهذا امرٌ طبيعيٌّ إذا صحّ القول الذي نقول به ، فانظر الآن ماذا يقول الرجل في رثائه جدته

بكيت عليها خيفةً في حياتها ... وذاقَ كلانا ثُكل صاحبه قِدْما

وقد شرح الشراح هذا البيت وأداروا معانيه ولكنه بقي في شرحهم لا معنى له ، كقولهم وكنت ابكي

عليها في حياتها خوف فقدها ، وفرقت الايام بيني وبينها فذاق كلاء ثكل (فقد) صاحبه قبل الموت »
فالمعنى الذي قالوا به « وفرقت الايام » لا معنى له هنا ولا فائدة منه وتفسير البيت هو هذا

« أيأسوها من لقائي ، وقد منعوني عن دخول الكوفة — علمت يقيناً أنها ستحمل ثِقلاً يهدُّها فبكيتُ خيفة عليها من اثر الحزن فيها ، وما يكفي أن لا ألقاها وكيف ابكي لذلك (وقد ذاق كلانا ثكل صاحبه قديماً) بالفراق الذي جبلنا عليه ! ولو كنت باكياً لبكيتُ للفراقِ الذي كان بيننا بمنزلة الموت ، فقدتني هي قد مِتُّ ، وفقدتها قد ماتت (وهذا تأويل قوله . . وذاق كلانا . . . .) اي ثكلني وثكلتها

ثم يقول بعد أبيات

طلبتُ لها حظًّا ففاتتْ وفاتني وقد رضيتْ بي ـ لو رضيت بها ـ قسما [1]
فأصبحت أستسقي الغمام لقبرها وقد كنت أستسقي الوغى والقنا الصمّا

ومعنى البيتين عندنا — كانت العجوز رضي الله عنها قد رضيت الي أن اكتم امري لتبقى العلوية الى ان يشاء الله ، ولكني خالفتها ، وآثرت فراقها لكي أصيب مجداً عن الكوفة ما لم ادرك بها فخرجت اطلب لها (حظًّا) اي فضلاً وخيراً في ردّ شرف انتسابي الى العلويين ، ولكن شاء ربُّك ان تعوقني بها الاحداث فتموت ، ويفوتني ايضاً بعد موتها ذلك الحظ لما أعلم من انها كانت هي السبب في امتناعهم عن الفتك بي ان حاولت امراً ، فواحسرتاه ! لم خالفتها وخرجت اطلب لها هذا الحظّ وقد رضيتْ بي قسماً وحظًّا ونصيباً وجعلتْ ظفرها بي عدلاً لما فاتها من الحظ الذي كنت اطلبه لها ، فياليتني [2] رضيت بها كما رضيت بي وجعلتها عدلاً لما فاتني من هذا الحظ ، وعلى هذا الاصل يكون معنى البيت الثاني واضحاً بيناً فهو يقول : كنت اريد القتال والحرب لاشفي بالدم المهراق غليلها ، وارد عليها حياتها في شرف نسبتنا الى العلوية فالآن وقد ماتت وفاتت لاحيلة لي الا ان اسأل الله ان يروّي قبرها بما يجود عليها من ماء الغمام. ثم قوله

«هبيني اخذت الثأر فيك من العدى فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمّى»
« لئن لذّ يوم الشامتين بيومها لقد ولدت مني لأنفهم رغما »

وقد مضى بعض القول في هذين البيتين ، ولكن بقي ان نقول ان هؤلاء الاعداء والشامتين كانوا من اشراف الكوفة لما رأيت اولاً اذ لا يعقل ان يكون غير ذلك ، لا يعقل مثلاً ان يكون أولئك الاعداء والشامتون من طبقة السعاتين والنسّاجين ومن اليهم ، ولو كان ذلك كذلك لما

(١) تفسير البيت عند الشراح هو هذا . . . . ومعناها لا أطلب لها حظاً من الرزق ففاتتني هي وفاتني هذا الحظ وقد كانت راضية بان تكون قسمتها من الدنيا لو رضيت بها لي (والقسم النصيب) وقد كنت . . . من . . . ان تشفي . . . الاعداء فلما ماتت تركت الحرب . . . عليها . . . ابن . . . . . . اوكما قالوا !!
فانظر هذا التفسير ، واقرأ تفسيرنا (٢) اعلم ان (لو) في بيت المتنبي معناها التمني والاسف والحسرة

حفل المتنبي بذكرهم ولا التعريض بهم وان يجعل همه رغماً لانوفهم . وهو من هو في الكبرياء والتسامي والعلوّ في الترفع والعظمة

وعلى عادته أتى في القصيدة بإشارة عجيبة ، هي من باب التفات القلب الى ما يزخر فيه من الرأي المضمر . . . يقول

ولو لم تكوني بنت أكرم والد
لكان أباك الضخمَ كونك لي أمّا

ولا لقيت روحك الطيب الذي
كأن ذكيَّ المسك كان له جسما

ثم استيقظت في قلبه تلك الثورة العصبية التي اصبحت طابع شعر الرجل كله ، فانتقل من معاني الحنان والرقة الى معاني القسوة والتنمّر فقال

ولو لم تكوني بنت أكرم والد
لكان أباك الضخم كونك لي أمّا

لئن لذّ يوم الشامتين بيومها
لقد ولدت مني لآنافهم رغما

ذكرته روح جدته بالثأر القديم الذي سببه في قوله قبل ذلك « هيبي اخذت لثأر فيك من العدى » فصرخ صرخته هذه فكأني به يقول « امدوك وقوك ، فلا يصيب منهم روحاً طيباً ، ونفساً زكية ! ! ولا تأسني ولا تحزني ، فانت قد ولدتني ، وكفاك شرفاً ان تكوني لي أمّا ، على رغم انوفهم وخاشمهم على حسكة الخسف حتى يبطوا المقدة وهم صاغرون » ومن هذا قوله

واني لمن قوم كأنَّ نفوسهم
بها انف أن تسكن اللحمَ والعظما

كذا انا يا دنيا اذا شئت فاذهبي
ويا نفس زيدي في كرائهها قدما

فلا عبرت بي ساعةٌ لا تعزّني
ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

وقوله :

ما بقومي شرفتُ بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي

وبهم فخر كلّ من نطق الضا
دَ وعوذ الجاني وغوث الطريد

وفخر من نطق الضاد هو افصح رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله ايضاً

وتكتني مستنصر بذبابه (١)
ومرتكبٌ في كل حال به الغشما

وجاعله يومَ اللقاء تحيتي
والا فلست (السيد البطل القرما)

ثم قس على هذا الاصل قوله ايضاً وقد جعل قومٌ يستعظمون ما أتى به في رثاء جدته

يستعظمون أبُيّاتاً نأمت (٢) بها
لا تحسدن على ان ينأم الاسدا

لو ان ثمّ قلوباً يعقلون بها
انساهمُ الذعر مما تحتها الحسدا

(١) يعني سيفه (وذبابه) حده (٢) نئيم زئير الاسد

وتدبر قوله (لا تحسدنّ) ! ! ولو كان غير المتنبي – هذا الموتور صاحب الثأر عند هؤلاء القوم – لقال (لا تعجبنّ) أو ما يقرب من ذلك

ونحن لو شئنا أن ننقل لك هنا وتفسر كل شيء بدلٌ من قريب أو بعيد على ما نذهب إليه ، لكلفنا ذلك أن نشرح لك أكثر ديوان المتني ولكن حسبنا أشباه هذه البيا — لو أنت قرأتَ ديوان الرجل لوقفت على كثيراتٍ من أمثالها وذلك كقوله بعد وفاة جدته ومرجعه إلى الشام

سأطلب (حقّي) بالقنا ومشايخ كأنهمُ من طول ما التثموا مُرْدُ

فقوله (حقّي) لا يقع هذا الموقع من شعر إلاّ من أحد رجلين رجل دعيٍّ طويل الباع واللسان في الدعوى والكذب ، أو رجل صادق لا يكذب على نفسه ولا على الناس ، وليس المتني بأولها ، إذن فقد كان له حقٌّ يطلبه بالحرب وهو الذي سماه (حظًا في رثاء جدته ، وإنما حذف الحق في الرثاء وجعله (حظًا) لما أشرنا إليه من قبل . ومثل هذا قوله لكافور

فارم بي حيث شئتَ مني فإني أسد القلب آدميُّ الرواء

وفؤادي من (الملوك) وإن كا ن لساني يُرَى من الشعراء

فلا عجب بعد في فخر المتني وتعاليه وتعاظمه ، فكلٌّ معدٍّ مرتدٍّ واضح البيّنة والمعنى على هذا الأصل ، وكان عجباً عاجباً عند الناس أن تبلغ الحماقة بان سقاء أن يفخر مثل هذا الفخر ويتعاظم على الملوك مثل هذا التعاظم ، وذهبوا في تأويل ذلك مذاهبهم ولعلّ هذا — إن شاء الله هو المذهب الحق



أذاقني زمني بلوى شرقت بها
لو ذاقها لبكى — ما عاش — وانتحبا
وإن عمرتُ جعلتُ الحربَ والدةً
والسمهريَّ أخاً والمشرفيَّ أبا
بكل أشعث يلقى الموتَ مبتسماً
حتى كأنَّ لهُ في قتله أرَبا
فالموت أعذرُ لي ، والصبرُ أجملُ بي ،
والبرُّ أوسعُ ، والدنيا لمن غلبا

ماتت أمّ (أحمد بن الحسين) أبي الطيب المتنبي — فيما رجّحنا — فرفع الى جدته واختارته وآثرته على حظها من الدنيا ممكنة . وأنفقت كل ذات قلبها وكبدها في تعهده ورعايته ، ثم في تربيته وتنشئته ، ثم في النصيحة له وتطريق وعر الدنيا عند قدميه . ومنحته في ذلك حنان الام الفاقد على ولدها اليتيم المتألم ، وكانت العجوز كما وصفوها « من صلحاء النساء الكوفيات » ، وكما وصفها حبيب ولدها ثم حفيدها « حازمة ، طيبة الروح ، زكية النفس » غير أنثى العقل

وكانت امرأةً موتورةً كما ذهبنا اليه فيما مضى لك ، لا تزال تجد في قلبها الأمر الذي يقول لها « ها أنا ذا . . . فلا يقعدنك جنانك عن الجدّ في تدبير العزم وادارة الرأي على وجوهه في طلب الثأر الذي لك في أعدائك المريبك بشر مراقي ما ترصدها نفس كنفسك في الطلب والإدراك » وأطاعت العجوز أمرها بالانتصاف لنفسها ولحفيدها ، ولا حيلة لها الا تنشئة الصبي على غرار عدو يكمل لها إدراك ما تروم ، وكذلك فعلت . فكان المتنبي في الزمن ثم في الشعراء خاصة شخصيةً عجيبة ، اذا أخذتها من يمين التوت بك الى شمال ، وان دعت تعاليها من وجه راغت من وجوه ، واستبهمَ أمرُهُ على الناس فاستبهام الغرض الذي رمى اليه هذا الانسان . وكان كما قال ابن رشيق « ملأ الدنيا وشغل الناس » . . .

لا ندري كيف تمّ الرأي بينها وبين العلويين أن يختلف — الفتى أحمد — الى كُتّاب فيه أولاد أشراف الكوفة » كما نقل الاصبهاني ، ولعلهم أرادوا بذلك أن يترضّوا العجوز ، ويخففوا عنها ثقل همومها ، ويحملوها على المطاوعة لهم خشية أن تفجأهم بما لا يحبون من اظهار ما أرادوا

كُتّابه وإحسانه. فدخل الفتى الكتاب، وقد قال التنوخي في حديثه الذي أسنده الى أبي الحسن العلوي — يعني المتنبي — «ونشأ وهو محبٌّ للعلم والادب مطلبه» ؛ ولا شك أن جدته الحازمة الصالحة كانت من ورائه تستحثه على طلب العلم وتشعره الى ذلك بما يتم لها — ان شاء الله — ما تؤمل من الفرح بنبوغه وتفوقه على لداته وأسنانه من العلويين، ويستطيع بعدُ أن يدرك لها «حظًّا» ويطالب لنفسه «حقًّا» هُضم، ومُنع من دونه حتى أُلقي في أسوأ مجهلة وبشرّ منزلة، في خمول من النسب، وقلّةٍ من المال وبعدٍ عن مساعي المجد، وقد وجدت العجوز أرضاً صالحة بطبيعتها لما تريد من أمر ابنها فأدبت الفتى بالعلم الذي كان يتلقاه في كتاب أولاد أشراف الكوفة واجتهد في ذلك، وبرع وفاق أصحابه وأحداثه. جدّته بأخلاقٍ صالحةٍ طيّبةٍ، وحاسبته وحرصت على استطلاع خبره كله وأثبتت في قلبه وفكره وخياله علائق المجد باطلٍ، ثم ربّت له الفتوّة وعلوّ النفس وبُعد الهمّة، وعظم المطلب، وأدبته بالصدق والامانة وكتمان السرّ، وعلمته من حيلها ودهائها وحذرها، سعة الحيلة، ورقة الدهاء، وتقديم الحذر، وبعد أن أدرك الفتى من الفكر ما يستسرّ لها ما تريد أن تبوح له به، طفقت تدبر له السرّ بعينها ومن خلفها، وتأخذ نفسها بالحذر والتكتم والاحتراس من ثورة الفتى إذا هي فجأته بما تريد، حتى بلغت ما أرادت. وهذه المعاني كلها دائرة في حياة المتنبي وشعره دوران الدم في عروقه، فإذا أنت قرأت ديوانه من أوله إلى آخره فلن يفوتنّك أن تراها حيناً أو ترى بعضها ماثلاً غير خفيٍّ في كلّ موضعٍ من شعره.

ويؤيد قولنا هذا: أن الغلام — وهو صبيّ بالمكتب — كانت له وفرة من الشعر تسيل على اذنيه، وكانت حسنةً جيدةً فقال له بعض أصحابه من الفتيان (العلويين) يا أحمد «ما أحسن هذه الوفرة» فكان جوابه أعجب جواب من صبيّ في مكتب:

لا تحسن الوفرة حتى ترى ... منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى معتقلٍ صعدةً ... يعلّها من كل وافي السبال (١)

فظُنّ ما شئت بغلامٍ في مثل سنّه لا يزال في أول طلبه للعلم يقول مثل هذا القول ويحسن أن نطيل القول قليلاً في هذين البيتين ففيهما أصولٌ كثيرة من حياة الرجل ونفسيته فيما بعد

فالأصل الاول هو هذا الالتفات الشعريّ الجليل من المعنى المحدود عرضاً قائماً إلى المعنى المترامي بخيال سامعه، فإن أصحابه كانوا يتحدثون من حسن وفرته واسترسالها وبهائها، فتجاوز صاحبنا هذا بخياله من الصورة الحاضرة إلى الصورة التي يريد أن يراها شعثاء غبراء يوم ينشر

(١) «الضفر» الخصلة المضفورة من الشعر كالضفيرة، وقوله «معتقل صعدة» اي حامل رمحه في الحرب «ويعلها» يسقيها من الدم مرة بعد مرة «والوافي السبال» هو الطويل اللحية

مصفّورها يوم القتال بين النار الثائر والدم المهراق وهذا إثباتٌ للاصل الشعري لقائم في صدره

والاصل الثاني ، هو الرُّجولة والفتوّة ، وقد الحقْد ، وعظم المطلب والصرامة عن سفساف الامور الى معاليها ، لا يبأ بلذتر لاعجبي خيراً ، ولا توْق ثمراً ، وانما يجد لذّته فيما يأتيه مما يريد ولو كان فيه فيه شقاؤه وجهده ، وقد شرح صاحبنا هذا المعنى النفسيّ في شعره بعد فقال :

« سبحان خالق نفسي كيف لذّتها فيما النفوس تراه غاية الألم

الدهرُ يعجب من حمْلي نوائبه وصبر نفسي على احداثه الحُطُمِ »

وهذا اصل رجولته وفتوته وقوته النفسية التي ظهرت واستعلنت في كل شعره حتى صار بها مداً أوحد

والاصل الثالث : هو الثورة الثائرة ، فانت تراه من صغره هكذا لا يريد الا القتال والدم في الزام . ان هذين البيتين من صغير كما تلهما يصوران وراءه معنى آخر غير هذه المعاني وهو انه منشأً على طلب الثأر من عدوّ فهو لا يزال ينقلُ الصورة من وضع الى وضع آخر يُرضي ما يدور في نفسه من المعاني المحددة بعقوله وما عدت به من الآراء والاخلاق . وان شئت فتدبّر السرّ العجيب في قوله « يعلّلها » اي يسقيها الدم مرّة بعد مرّة لا يكتفي بواحدة ، وتعجّب من قوة الاصل الشعريّ في هذا الكلام ، ومن طلبات الحقد والثأر على قلب الصغير

والخامس : هو يأنه الحيُّ عن عدوّ والذي يريد ان يحاربه وقد صرّح بذلك في قوله « كلّ وافي السِّبال » ، فانظر من اراد هذا الصغير بهذه الصفة ، أتراه عنى كل كبير السن ذي لحية طويلة ؟ أترى ذلك !! كلا فاني اظن انه اراد قوماً باعيانهم كنى عنهم بهذه الصفة ؟ ومن هؤلاء الذين يريدهم بهذه الصفة ؟ أليس المعقول ان هذا الصغير انما يتجه خياله الى اقرب الناس اليه في بلده ، ثم الى الذين اوحت اليه جدته بأن بينها وبينهم سخيمة من العداوة ؟ ومن يكون هؤلاء من اهل بلده الا مشيخة العلويين[1] الذين انزلوا الهوان به وبجدته فيما ذهبنا اليه من الرأي فيما مضى

والسادس ان هذه الثورة التي تلبست به واخذت عليه مذاهبه في حياته انما هي من اثر جدته اذ باحت له بسرها والقت اليه بمكتون صدرها ، وذلك لان الفتى الصغير لا يكادُ يدرك هذه المعاني كلها ، ويسبغها حتى تظهر هكذا سهلة على لسانه الا ان يكون قد أُخِذَ بها ، وهيء لها ، وأُعطيَ من نفس غيره قوة تخرجه من طبيعة الطفولة ، الى مادة الرجولة والفتوة

ولولا ان صاحبنا ابا الطيب قد « اسقط من شعره[2] الكثير ، وبقي ما تداوله الناس »

(١) وهذان البيتان من الادلة على ما ذهبنا اليه في نسبه مع العلويين في الذي مر بك ولم نذكرها هناك لتفادي الاطالة

(٢) هذا القول يصدق على شعر صباه ولا شك ، ولاشك ايضاً ان بعض شعره في قوته وكهولته قد سقط او استقط ولكنه قليل جداً لا يكاد يضع شيئاً

كما حدثنا ابو القاسم الاصبهاني عن ابي الفتح بن جني لوجدنا فيما اسقطه كثيراً من امثال هذا القول الذي يدلُّ على حسيه الصبي التي كبرت معه وكانت هي (المتنبي) الشاعر الفرد الذي لا يكاد يخلو شعره على اقل الناس بصراً بالشعر

وأبيات اخرى قالها وهو بالمكتب ايضاً

اي محل ارتقي اي عظيم اتقي ... وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق

اى بي حين ارات في ربى محرم[1] ... وحتى متى في شقوة ؟ والى كم ؟ ا ا
والاّ تمتْ تحت السيوف مكرماً ... تمتْ وتقاسي الذل غير مكرّم
فثبْ واثقاً بالله وثبة ماجد ... يرى الموت في الهيجاء جنى النحل في الفم

وهي وان كانت مما قال في صغره إلاّ انها امثل من الابيات الاولى في الدلالة على المعاني التي ذكرناها والاصول التي استنبطناها فتدرجها على ما قدمنا لك تجد الشاعر لنكير في الشاعر الصغير الاّ في موضع واحد قل في شعره عند الكبر وذلك هو تقديم الثقة بالله ، على الثقة بنفسه وحسبه ، وهذا الموضع ولا شك من اثر جدته التي كانت « من صالحات النساء الكوفيات » وهو يؤيد رأينا في ان العجوز كانت تمنحه نفسها وتخصه نصحها وتربيه على ما ارادت ، لم تكتف من ركن في تأديبه وتنبيهه الى المكتب او الى الزمن واحداثه ، وهو المعلم الاكبر والاستاذ البارع

هذا ، وما لشكّ في ان الفتى كان وهو بالمكتب اكثر اصحابه تحصيلاً للعلم واقبالاً عليه وانصرافاً اليه ، وذلك لما ذكروا من قوة ذاكرته التي كادت تكون احدى الخوارق ، ثم لما احدثه به جدته من الادب والرأي ، وما زينت له من طلب المجد ، ثم ما تهيأ في نفس الصغير من اصل طبيعته التي تسرع به الى السمو . وهذا كان الفتى محسَّداً بين اترابه منظوراً اليه بعين . فالحسد الصغير الذي مني به وهو في المكتب ، وما يموج في صدره من حقد وثورة — وبغض لمن اريد له ان يتشاءم ويتضيم — كل ذلك كان هو الاصل فيما تمحى منه المتعجبون من كثرة ذكر هذا الشاعر الحسد والحساد والوشاية والوشاة وما الى ذلك مما يلم به ، وقد الم صاحبنا بهذا الذي اردناه في قوله وهو بانطاكية فيما بعد

امدو وبعضهمُ مني بالسوء يذكرني ... فلا اعابه قبحاً وإحسانا
(وهكذا كنتُ في اهلي وفي وطني) ... ان النفيس غريب حيثما كانا
(محسَّدُ الفضل مكذوبٌ على اثري) ... ألقى الكميَّ ويلقاني اذا حانا

وهو من يوم كان في وطنه الكوفة الى سنة ٣٢١ حين رحل الى الشام كان يلقى الحث من

---

(١) (ربى محرم) كناية عن عفوه لله تعالى سترة ، والمحرم من الحج لايلبس الا ازاراً غير مخيط

الحسد والحسّاد، وما تكذّبوا به من المطاعن، وما افتروا عليه من عيوبهم، فلما استمرّ مروره وبرع وفاق الشعراء، وأكل ارزاقهم الى رزقه — اجلب عليه الحساد والوشاة، فدسّوا له وأذاقوه من بأسهم، فبقي الى آخر عمره يذكر ذلك في شعره، ويتخيله في صغير امره وكبيره.

قلنا ان المتنبي كان أحذق اقرانه وأسرعهم الى التحصيل، وأحفظهم للعلم، وظاهر شعره الذي قاله في أول امره وصباه، انه لم يقصر درسه على «دروس العلوية وحذق العربية شعراً ولغة واعراباً» بل كان كما كان الى يوم وفاته متشبعاً بالكتب يقرؤها ويحققها ويحفظها، من كتب الشعر والادب والدين والفلسفة والكلام وغيرها من علوم عصره وسنأتي على طرف من شعره في سياق الدليل على ذلك. وقد روى بعض الرواة — هو صاحبنا الاصفهاني — ان المتنبي وقع في صغره الى واحد يكنى ابا الفضل «بالكوفة من المتفلسفة فهوّسه وأضله كما ضلّ» هكذا قالوا

ولا شكّ ان ابا الطيب قد لقي هذا الرجل وهو بالمكتب لم يبرحه بعد. والقصيدة التي في ديوانه، والتي قدموا لها بقولهم «وقال وهو بالمكتب يمدح انساناً، وأراد ان يستكشفه عن مذهبه» هي في ذكر هذا الرجل الذي ذكره الرواة، وأولها

«كفى بي ـ اراني ـ ويك لومك ـ ألوما   همٌّ اقام على فؤادٍ أنجما»

ويقول فيها وقد ذكر اسم الرجل

«كصفات اوحدنا (اي الفضل) الذي   بهرت فأنطق واصفيه وأفحما»

ومن قرأ القصيدة كلها ألفاها كلها، فما بيتٌ واحدٌ من الشعر، ولفظها وكلامها ومعانيها عبثٌ كله، وما ندري ما الذي حمل ابا الطيب يحرص على ابقائها في ديوانه، وقد اسقط الكثير من شعر صباه على ما ذكر تلميذه ابن جني؟ وقد أبهم صاحب القصيدة كلها وأتى فيها بكل ساقطة من الفلسفة وما اليها، وبالغ حين مدح الرجل بما ينقل الكلام من معنى المدح إلى معنى الهجاء، حتى أخلّ ذلك بمعناها إخلالاً بيّناً لم يقع مثله في ساقط شعره وسفسافه والذي نعده أنه لقي أبا الفضل هذا، وكان يدّعي الفلسفة، ويتبجّح بذكرها، ويظنّ بنفسه العلم بها، ويعرض نفسه لقراءة درس فيها، وكان في ذلك أضحوكة يعجب منها ويتفكه بها، وكانت صورته في ذلك كله تستقصي الضحك وتستخرجه، فقال له أبو الطيب هذه القصيدة تندّراً به وعبثاً وسخريةً. ولا حاجة بنا إلى تفصيل ذلك بذكر الابيات التي تدلّ على ما أردناه فإن قليلاً من التدبّر — فيما جمع فيها أبو الطيب من السخف والمضحكات والمتناقضات والمبالغات ـ دليل كافٍ وافٍ وبيّنٌ إذن أن المتنبي ما أثبت هذه القصيدة في ديوانه إلا لأنه كان يتذكر بها شخصية كانت تستخرج من قلبه الحزين أقصى الضحك، وغاية الاستغراب

ونحسب للاصفهاني صاحب «إيضاح المشكل» الذي مرّ في اول كلامنا ذكره — أن

يزعم أن ممدوحاً كأبي الفضل هذا النكرة قد موّه أبا الطيب وأصله كأصل ، فمن كان في بديهة المتنبي ، وذكائه وتوقده لا يصح أن يخدعه رجل غير مشهور ولا مذكور كهذا الذي ذكروه وظاهر من الاصبهاني أو من قال له ذلك ، أنه وقع اليه خبر أبي الطيب وتمدحه بأبي الفضل، هذا المدعي على الفلسفة ، فقلب الخبر من معنى الهزل إلى معنى الجد ونسب إلى المتنبي الاخذ عنه ، والاقتداء بسخفه وهذيانه . فلولا جاءوا بشيخ مذكور من شيوخ الفلسفة وادّعوا ذلك فيما ادّعوا على الرجل !!

ونحن لا ننفي عن أبي الطيب التأثر بالفلسفة وغيرها مما يداخلها أو تداخله على مذهب الاوائل ، وكيف يكون ذلك ؟ والدنيا يومئذ موج متلاطم بالجدل والخصام ، والعلماء يومئذ كثيرون ، وأصحاب المذاهب الغريبة متوافرون ، وأصحاب الجدل مغرمون بإقامة الشبهة وردّها بالحجة والبرهان العقلي ، والكتب الغامضة كثيرة لم تمحص بعد ، وهي كتب نشأ منها بعد علم الكلام الذي اختلطت به الفلسفة وصارت أصلاً من أصوله ، والمساجد لذلك العهد كانت عامرة بالصخب الذي لا يجدي ولا ينفع في أصول الدين وعقائده . فلسنا نشك بعد أن هذا الفتى المتوقد — الذي قال عنه كثير ممن رأوه أنه كان واسع العلم والمعرفة — قد اختلط وسمع وبحث ونظر وجادل وأخذ بأطراف مما سمع وقرأ وحفظ ، حتى بان ذلك في شعره الاول بياناً لا خفاء فيه ، وقلّ بعد أن استحكمت قوته وغلب عليه الاصل الشعري الذي استولى على أكثر موهبته وقدرته . ونسوق اليك هنا طرفاً من ذلك فيه غنى إن شاء الله يقول

« وضاقت الارض حتى كان هاربهم اذا رأى (غير شيء) ظنه رجلا »

يريد « لا شيء » فأبدل ، وهذه من ألفاظ المتكلمة ، والخيال خيالهم

« يترشف من فيّ رشفات هن فيه (حلاوة التوحيد) »

وهذا من ألفاظ المتصوفة

كتمت حبّك حتى منك تكرمة ثم استوى فيه إسراري وإعلاني

كأنه زاد حتى فاض من جسدي فصار سقمي به في (جسم كتماني)

والبيت الثاني ، واللفظ الاخير خاصة دليل على تأثره بالمعاني الفلسفية والصوفية وهذه هي التي أخرجت له هذا الخيال السخيف — وقوله

فتىً ألف جزء رأيه في زمانه أقلّ جزيء بعضه الرأي أجمع

فهذه قسمة حسابية !! والجزء والجزيء من ألفاظ المتكلمين والفلاسفة ، وقلما يأتي أحدها في الشعر مستحسناً وقوله

نصيح متى ينطق تجد كل لفظة (أصول البراعات التي تتفرع)

وهذا مدح فلسفي ليس بشعر، وانظر الى جمع البراعة وهي من الغرائب التي تلدها الفلسفة وقوله

لما وجدت دواء دائي عندها   هانت عليَّ (صفات جالينوسا)

شرٌّ (تصور غاية) في آيةٍ   تنفي الظنون (وتفسد التقييسا)

فقوله (صفات جالينوسا) يريد ما يصفه جالينوس للامراض من الدواء، وهو دليل على نظره في كتب الطب، ثم قوله (تصور غاية) من اساليب المتفلسفة، وقوله « تفسد التقييسا » يريد « تفسد القياس » وهو مما يرد في كتب الكلام. ومن تتبع سائر شعره في صباه، وجد فيه آثاراً كثيرة تدل على ما قرأ ابو الطيب، وما سمع من كتب الفقه والحديث والتفسير والجدل والمنطق والفن والنحل والتاريخ وسير الاوائل والانبياء الماضين وغير ذلك مما كان من علوم اهل عصره، وقد احاط بكثير من ذلك واستوعبه ونظر فيه نظر المتفكر المتدبر، ولولا ذلك لما ولع بذكره في شعره، ولما دار على لسانه على غير ارادة منه فيما نظن

وقد كان في هذا القسم من شعره نزعاً الى الاساليب الفلسفية في استخراج المعاني وتوليدها وكان يكثر من التقسيم الفلسفي، والتوجيه المنطقي وغيره من الوان كلام المتفلسفة والمتكلمة والمتصوفة ايضاً حتى فسدت معاني شعره، ولذلك كان اكثر ما تجد من ساقطه ومردوده — مما عابه عليه النقاد، وحاجه به المتعصبون عليه — هو من هذا القسم الذي قاله في صباه الى اطراف سنة ٣٢٨ على وجه التقريب لا التحقيق

***

وهذا العهد من حياة المتنبي لم ترد عنه روايةٌ موثقة مستفيضة، وانما عملنا فيه الاستنباط من قليل شعره الذي قيل في صباه، واستخراج الاصول النفسية منه، ثم تتبعها بعد وتدرجها معه حتى بلغت سبلها في كبير شعره الذي « ملأ الدنيا وشغل الناس »

عندنا ان المتنبي بقي في المكتب الى سنة ٣١٧ تقريباً وكانت سنه اربعة عشر، ولكنه كان بتوقده وذكائه في درجة من أناف على العشرين، وقد ذكر التنوخي انه قال الشعر صبيًّا، وذكر غيره انه كان آيةً في الذكاء والفطنة، وقال غيرهما انه من دهاة عصره — اي كان كذلك فيما بعد — وكان مما ورثه عن جدته هذا الاحساس المرهف الدقيق الذي يهتزُّ في قوته وكبريائه لا في ضعفه وذله. واجتماع الذكاء والحس المرهف هما آلة كلِّ شاعر، وقد ظفر المتنبي من كليهما بنصيب الاسد المهصور، ولذلك كان شعره اروع شعر في العربية وكثير غيرها، وكان محبباً الى اهل عصره متداولاً سائراً بينهم لانه كان يأخذ بها من شعور الناس وآلامهم واحداثهم ويبني مما يأخذ بيوت شعره، وروائع بلاغاته

وهب الله هذا الذكيَّ المرهف الحسِّ جدةً حازمة كانت — فيما ذهبنا اليه — تَوقد في

قلبه نيران الثورة ، وتؤرثها بالحقد على قوم صيّهم ، وتدربه على كرائم الخلق كالصدق والامانة والوفاء وحسن الحذر والتطامح إلى العلياء ، والجراءة المستعرة التي لا تهيّب ، بجهد منها الحذر الذي لا يتهون ، والادّهاء الذي لا يتورّط في موارد التلف . وشرع الفتى يطلب العلم ويستزيد منه ويشتدّ في الطلب مصمماً معتزماً أمراً في نفسه أن يبلغه أو يهلك دونه ، ثم انفتحت لعينيه الدنيا بردائها وصفائها وحكمها وترهاتها ، وجدها وهزلها ، فاضطربت نفسه وخفقت تتلمس الاشياء هنا وثمّ لتستقرّ على ما ترضى به وتأنس اليه

وكانت الكوفة - التي نشأ بها وشبّ وترعرع وتفتّى — منذ المهد ، بلداً من بلاد الإسلام قد رمتها القرامطة بجيوشها مرات وفعلت بأهلها الافاعيل ، وكانت الدولة العربية في شغل عن الكوفة بانقسامها شيعاً يأكل بعضهم بعضاً ، وظهرت شوكة الاعاجم وكانوا أصحاب حيلة ودهاء فأوقعوا بين المسلمين ، وبين عرب البادية حتى صارت الدولة العربية المترامية الاطراف في ثورة دائمة لا تفتر، ولا تنقطع الحروب في ناحية إلاّ اتقدت نيرانها في أخرى . وانقسمت دويلات ، ولم يبق للخليفة إلاّ الاسم الكريم يحمله مرغماً ويحمله مرغماً لا إرادة له . ولا شكّ أن إحساس أبي الطيب قد ألمّ بذلك كله وحسّه وعقده ، وعرف الداء الذي كمن في بدن العربية واستلّ قوّتها وقتل روحها ، فازداد إلى ثورته ثورة وإلى حقده حقداً

وكانت أخلاق الامة قد اتّسعت ومثلت بما تداخلها من أخلاط الامم الذين لا أصل لهم يرجعون اليه ، ولا خلق عندهم يستفرشون به ، وفسدت العامة من أهل المدن فساداً كبيراً ، واضطربت في أيدي الناس حبال الاخلاق ، وصاروا لا يقيسون الناس إلاّ بقياس الظاهر ، ولا يزنونهم إلاّ بميزان المال . فعطلت موازين الرجال التي يوزنون بها من العقل والحكمة والعلم والرجولة وكرم النفس . فكلن نظر الفتى إلى هذا مما أتى الحطب على النار التي في صدره ، فبعثت اليه سفاسف الاخلاق وتعلق بمعاليها ، وربّي في قلبه أن يكون هو الثائر الذي يردّ هؤلاء الاهمال والهمج إلى مردّ ، ويأوي بهم إلى مأوى ، ويقوم عليهم قيام الراعي حتى يخلصوا من الشرّ ، ويستمسكوا بالعروة الوثقى ، ويفيئوا إلى الخلق الكريم الذي لا يبخس الناس حقهم ، ولا يظلمهم ، ولا يدمّيهم ، بل يعدل بينهم بالقسط ويرفعهم عن الدنية ، ويجعلهم قوّة مستحكمة تردّ عدوان العادي وبغي الباغي ، ليصلوا بذلك الى المجد والسلطان

اصطدم هذا الخيال الذي اراد ان يحققه بحقيقة ما هو فيه من الفقر والخفاء ، والبعد عن مساعي المجد ، وامتناع نفسه عن اصطناع الطاعة للاخلاق التي كان يصل بها أهل ذلك العصر إلى ما يريدون من المكر السيء والدسيس وما اليهما من حيل الخبثين وقد روى الرواة ان ابا الطيب قال:

« اذكر وقد وردت في صباي من الكوفة الى بغداد ، فأخذت بجانب منديلي خمسة دراهم

وخرجت امشي في اسواق بغداد ، فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة ، فاستحسنته ، ونويت ان اشتريها بالدراهم التي معي ، فتقدمت اليه وقلت :

— بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ ؟

فقال بغير اكتراث : — اذهب فليس هذا من اكلك . فتماسكت معه وقلت

— يا هذا ، دع ما يغيظ ، واقصد الثمن

فقال — : ثمنها عشرة دراهم

فلشدة ما جبهني به ، ما استطعت ان اخاطبه في المساومة فوقفت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل . واذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهباً الى داره ، فوثب اليه صاحب البطيخ من الدكان ، ودعا له وقال :

— يا مولاي ! هذا بطيخ باكور ، بإجازتك احمله الى البيت ؟

فقال الشيخ : — ويحك ! بكم هذا ؟

قال : — بخمسة دراهم ..

قال : — بل بدرهمين ..

فباعه الخمسة بدرهمين وحملها الى داره ، وعاد الى دكانه مسروراً بما فعل

فقلت له : — يا هذا ! ما رأيت اعجب من جهلك ؟ استمتّ عليّ في هذا البطيخ ، وفعلت فعلتك التي فعلت ، وكنت قد اعطيتك في ثمنه خمسة دراهم ، فبعته بدرهمين محمولاً !!

فقال — اسكت . هذا يملك مائة الف دينار

قال المتنبي : فعلمت ان الناس لا يكرمون احداً اكرامهم من يعتقدون انه يملك مائة الف دينار وانا لا ازال على ما تراهُ حتى أسمع الناس يقولون إن أبا الطيب قد ملك مائة الف دينار »

فهذا وأمثاله من أحداث الحياة منذ العهد اصطدم قلبُ الفتى ، فاستقرّ على ان يجدَ له يريده مخرجاً ، غير العلم والعقل والنصيحة والاخذ باللين والملاطفة ، وازداد بذلك للناس احتقاراً ولاعمالهم بغضاً ، وحقر العظماء الذين لا يعظمون في أعين الناس إلاّ بالمال ، وجعل يدير الرأيَ حتى خلصَ إلى العزم — أن يطلبَ المال لا ليحبسه ويفرح به ، ولكن لينال به ما يريدُ مما ينطوي عليه قلبه من حقد على قوم وما يدور فيه من معاني الاصلاح ، وما يبغي من إيقاظ الهمّة العربيّة للاستيلاء على السلطان المضيّع ، والمجد المفقود

ومع هذا — فكان الذكاء ، والثورة ، والنظر ، والتجربة والاختلاطُ بالناس واختبار أخلاقهم ، وتحقّقه من فساد نفوسهم ، وبطلان مذاهبهم ، ثم اعتماده في نفسه على ثقته بها ، واعتداده بمقدرته ، واستسقاطه لمن يحيط به من رجال الدولة الذين لم يصلوا إلى الحكم او

السلطان أو العصاة إلّا بالسوء والقبيح ، ثم طبيعته الشاعرة المرهفة التي (تلتقط صور الأشياء ثم تنزع منها الأخيلة الشعرية ، والحِكَم البليغة . كلُّ ذلك أسرع بالفتى إلى ضرب من القول الساحر الذي لم ترَ العربية مثله في شعر شاعر . إلّا أن سخريته التي انفرد بها لم تكن عنده في كبره إلّا ضرباً من الحكمة والعبرة التي لا يصل إليها إلّا أفذاذ نفوس ، ثم يدلّون عليها بالإيجاز العجيب فلا يبالغون في تصويرها بل يصيبون لها اللفظ الذي يخرجها مخرج الحكمة ويزيدها روعة في الشعر وسنعرض لتفصيل ذلك بعد — وقد حفظ لنا المتنبي ضرباً من سخريته في صغره تدلّ على ما استحكم في شعره بعد وصار في شاعريته طبيعةً متأصّلة مستحكمة

مرّ المتنبي برجلين قد قتلا جرذاً ، وأبرزاه يعجّبان الناس من كبره فقال

« لقد أصبح الجُرَذُ المستغير — أسير المنايا صريع العطب
رماه الكنانيُّ والعامريُّ — وتلّاه للوجه فعل العرب
كلا الرجلين اتّلى قتله ، — فأيُّكما غلّ حُرَّ السَّلَب
وأيُّكما كان من خلفه ! — فإنّ به عضّةً في الذنب »

قتل الرجلان — الكنانيُّ والعامريُّ — هذا الفأر الكبير ، فأخرجاه ليعجّبا الناس من كبره — وهذا سخف منهما إذ شغلا نفسهما بشيء لا معنى له عند المتنبي الذي يريد في نفسه قتل الملوك — فمن هنا قال « الجرذ المستغير » الذي قد أغار عليهم كما تغير الجيوش ، ثم لما فرغ من صفته كذلك ذكر أن هذا الفأر قد وقع في (أسر المنايا) كما يقع العدو في الأسر حين رماه — الكناني والعامريُّ — بالسهم كما يُرمى العدو ، وذلك يسخر من رجلين يجتمعان عليه على قتل ، ثم لا يكون المقتول إلا فأراً ، ثم لا يكتفي صاحبنا بهذا بل يقول إنهما أخذا يصارعانه كما يصارع العربي خصمه منتصباً عليه بالقوة حتى يكبّه على وجهه مقتولاً ، وذلك قوله « وتلّاه للوجه فعل العرب » ، ثم يقول بعد كلاكما تولّى قتله — وذلك لكبر الفأر وشدته — ولكن من منكما الذي سرق حرّ ثيابه وجيد سلاحه كما يسرق السارق في الحرب من أسلاب القتلى ويخفيها عن أصحابه من المقاتلة . ثم يعود فيقول ، أيكما كنتما تصارعانه بعد أن رميتماه بسهميكما وكان أحدكما من خلفه فمن منكما الذي كان من ورائه ليحتال على صرعه ، وقد عرفت حيلته في صرع هذا الفأر العظيم فإنه عضّه في ذنبه ، وهذه العضة بيّنة ثمّ . وأنت إذا عدت فقرأت الأبيات على ما تكلفنا شرحه رأيت بلاغة الرجل في السخرية ودقته في اختيار اللفظ ، وإيجاز الصورة التي يريد أن يضحك بها . وهذا الضرب من الكلام من أكثر ضروب الكلام دوراناً في شعر المتنبي حتى بلغ من دقته في وضعه ، وتعوّده في معرفته وإتقانه ، أنه كان يقول القول في المدح وهو أبلغ الهجاء ، كما فعل بكثير من ممدوحيه — حتى سيف الدولة — وفي أولهم كافور الأسود الخصيّ

وكانت هذه السخرية هي المنفذ لآلام ابي الطيب ، وما يضيق به صدره من الاحقاد والآراء ، ولعله كان في اصل طبيعته قريب الميل الى المرح والطرب في وقار — ولولا ما كلّف نفسه من المشقة للسيادة والمجد ، لكان من ابرع الناس نكتة طيبة ، واكثرهم نادرة عالية . يدلك على هذا ان ابا الطيب كان قد نادم في حياته كثيراً من الامراء وكانوا يحبونه ، ولا يصلح للمنادمة رجل متزمت بارد الطبع ثقيل الظل ، طويل الصمت جهم الوجه ، كاشر . وما قاله « معاذ اللاذقي » لابي الطيب سنة ٣٢١ « وانك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير » ومعنى هذا ان ابا الطيب كان طريفاً خفيف الروح محبباً الى النفس مع وقار وتؤدة . ومن تدبر سخريته في شعره كله وجد فيها هذا المعنى ، الا انه لم يكن يهزل هزل السخفاء

كان هذا الفتى يمشي في نواحي الكوفة بآلامه واحقاده وفقره ، ويتنقل في حوانيت الوراقين يقرأ ما يقع بين يديه من الكتب ، ويختلف الى مجالس الائمة يستمع العربية والفقه والجدل ، وينظر متعجباً الى الحوادث التي تقع بين ظهراني قومه ، ويتسمع لما ترد به الانباء من اخبار الدولة المترامية الاطراف ، يضحكه ما يقع من الاحداث السخيفة التي ترفع وتضع ما بين عشية وضحاها ، ويكون فيما يرتفع الى الذروة اقوام — من العجب ان يصلوا الى كسب الرزق ، ثم هم يرتفعون فيما يرتفع بهم الى إمرة الامراء ، ومشيخة الكتابة ، وسياسة الدولة ، والقضاء بين الناس . فلا عجب بعد ان يكون هذا الفتى الثائر الذي يشهد آثار الاحداث في امته ، كثير العجب مما يرى وما يسمع ، قليل الحفل بهذه الاصنام التي ترفعها الحوادث وتنصبها ، عظيم العجب بنفسه وما أوتي من فطنة وذكاء وعلم ولسان قوّال لم ينل بها الا الفقر والمسكنة والحرمان

لِمَ الليالي التي اخنت على جدتي برقة الحال ، واعذرني ولا تلم
أرى اناساً ، ومحصولي على غنم وذكر جود ، ومحصولي على الكلم

وقد بقي في الكوفة على ذلك — فيما نرى — الى اطراف سنة ٣١٧ ثم خرج الى البادية القريبة ، بادية الجزيرة المتصلة الى نجد وفيها قبائل من كلب ، فالتقى بهم واخذ يتنقل بينهم ، ليسمع ما بقي من العربية المبرأة على ألسنة هؤلاء القوم التي قلّت بينهم الاعاجم ، ولم يظفر هناك بطائل الا ما مرن عليه من مشقة السفر واكتساب الصديق ، واختبار الخلق ثم عاد الى مدينته بالكوفة يشاركها آلامها وشقاءها واحقادها ، ينال من فضل بعض اصحابه منصفاً — كمحمد بن عبيد الله العلوي الذي مرّ آنفاً — ولعلّ العلويين الذين نكبوا جدته كانوا يفضلون عليها ليتقوا بذلك أحداثها ان حدثتها نفسها بشيء وبقي المتنبي هناك بالكوفة منقطعاً عن مدح احد من العلويين او غيرهم من رجال الكوفة وعظمائها . وقد جاء في حديث المتنبي الذي ذكرناه انه انحدر مرّة من الكوفة الى بغداد وما نشك ان مخرجه هذا الى بغداد كان فيما بين سنة ٣١٩

الى اوائل سنة ٣٢٠ ودخل صاحبنا بغداد يرى العجب العاجب من الاحداث التي كانت تقع بها ، وشغب الجند على الخلفاء ، وظهور الموالي من العجم والديلم والترك على مواليهم من الامراء والخلفاء ، وتصدعهم في شؤون الدولة ، وتصريفهم سياسة الأمة على الشهوات المتنازعة ، والاهواء المتصارعة ، لا يرتدعون ولا يرعوون . فصف كذلك عن مدح احد من هؤلاء الامراء والخلفاء واتقى ان يتكسب بشعره من هؤلاء المحقرين لديه ، ورضي بالفقر واستمسك به ، وبدأت تدفع الدوافع في صدره المملوء احقاداً موثرة ، وثورات لم تروَّ بعد من الدم . فبح صدره بالنار المضطرمة التي لا تهدأ ، تؤرثها افكاره ونظراته التي لا تفتر ولا تكل . ففي سنة ٣٢٠ اعتزم الخروج من الكوفة ، وان امت جدته عليه ذلك ، لما كانت تخشى من تدفعه الى موارد تتلف بما يحمل في صدره — وعقد نيته على احداث حدث لعله ان يصيب من ورائه ما يبتغي وما يؤمل ، ويدرك به في قوم ثاراً ، ويشفي به صدر جدته وصدره . ولعل هذه الابيات التي رويت لك كانت آخر ما قاله بالكوفة مما وصل الينا وما لم يصل من شعره ولعله في خطاب بها جدته — قال

محي قيامي ما لذلكم النصل بريئاً من الجرحى ، سليماً من القتل
ارى من فرندي قطعة من فرنده وجودة ضرب الهام في جودة الصقل
وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي ارتك احمرار الموت في مدرج النمل
امط عنك تشبيهي بما وكانه (فما احد فوقي ولا احد مثلي)
وذرني واياه وطرفي وذابلي نكن واحداً يلقى الورى وانظرن فعلي

وقوله « محي قيامي » يعني ثورته وظهوره وخروجه ، وما نظن احداً كان يحب ذلك منه غير جدته ، مع خوفها عليه وخشيتها ان يصيبه مكروه مما يتربص به من العلويين بها — دعما له — وفي الابيات اثر بين من ثورة الصبا وغروره ، ولكنها تدل دلالة بينة على عزيمة هذا الفتى الابي الذي يريد ان يدرك ثاراً ، ويحدث امراً

ولم يمض الا قليل بعد ذلك حتى خرج الفتى من الكوفة واتخذ طريقه — على ما وقع عندنا من الرأي — من الكوفة الى بغداد ثم عرج لوقته متخذاً طريقه في ديار ربيعة بين النهرين الى نصيبين وراس عين وحران ومنبج ، وظعن يتنقل بين القبائل في جوف البوادي حتى افضى به المسير الى الشام في سنة ٣٢١ فنزل بدمشق واعمالها وما يدانيها (اعني بعلبك ، وطرابلس وحمص) ثم كره الارض التي نزلها ثم صعد سنته الى منبج وحلب واللاذقية وانطاكية ومدح بها من مدح ثم اعتقل بحمص ، لما قالوا به من ادعائه النبوة ثم النبوة ثم العلوية ثم استتيب واشهد عليه بالكذب فيما ادعى ثم تاب واطلق هذا موجز رحلته الاولى بالشام وقصصها غير ميسر بعد لغموضها وعقمها وهذه الرحلة عندنا تفسير آخر سنشرحه بعد

سيصحب النصلَ مني مثلُ مضربه
وينجلي خبري عن صمة الصمم

لقد تصبرتُ حتى لاتَ مصطبرٍ
فالآن اقحمُ حتى لاتَ مقتحَمِ

ميعادُ كلِّ رقيق الشفرتين غداً
ومن عصى من ملوك العرب والعجمِ

فان اجابوا ، فما قصدي بها لهمُ ؛
وان تولَّوا ، فما ارضى لها بهمِ

النبوّة في حياة المتنبي هي ابرز الحوادث التي عُرف بها الرجل ثم تبرّأ منها بعدُ . وقد اختلف الناس في امرها اختلافاً كبيراً ، فحسبنا هنا ان نذكر لك اول ذي بدء رواية الرواة في امر نبوته ، تامة كما رووها ثم نعقبها برأينا الذي ارتضيناه ، وقصدنا به ، وقد جاءت الرواية بها عن التنوخي الذي مرّ ذكره في اول كلامنا عن نسب المتنبي ، وجاءت اخرى عن ابي عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي الذي قال انه لقي المتنبي باللاذقية ورآه بالنبوة ، واخذ بيعته لاهله ايضاً !! كما سترى

روى التنوخيّ (علي بن المحسّن) عن ابيه المحسّن التنوخيّ عن القاضي ابي الحسن بن ام شيبان الهاشمي الكوفيّ قال

١ — « وقد كان المتنبي لما خرج الى كلب واقام فيهم ادّعى انه علويٌّ حسنيٌّ ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعي انه علويٌّ الى ان أُشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين ، وحبس دهراً طويلاً واشرف على القتل ، ثم استتيب ، واشهد عليه بالتوبة واطلق »

٢ — وحدث التنوخي ايضاً عن ابي الحسن قال حدثني ابو علي بن ابي حامد قال :

« سمعت خلقاً كثيراً بحلب يحكون — وابو الطيب المتنبي بها اذ ذاك — انه تنبأ ببادية السماوة ونواحيها الى ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله واسره ، وشرد من كان اجتمع اليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب ، وحبسه في السجن حبساً طويلاً ، فاعتل وكاد ان يتلف حتى سئل في امره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة اشهد عليه فيها ببطلان

ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام ، وانه تائب منه ولا يعاود مثله واطلقه »(١).

ثم هذا حديث معاذ اللاذقي بنصه على طوله

٣ « قدم ابو الطيب اللاذقية في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة ، وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمتي اذنيه ، فاكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن الانس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته ، واقتباساً من ادبه قلت :

والله انك لشابٌ خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير .

فقال : ويحك ! ! اتدري ما تقول ؟ انا نبيٌّ مرسل .

فظننت أنه يهزل ، ثم تذكّرت اني لم أسمع منه كلمة هزل قطُّ منذ عرفته

فقلت له : ما تقول ؟ فقال : — انا نبي مرسَلٌ فقلت : الى من مرسل ؟ فقال : الى هذه الأمة الضالة المضلّة . قلت : تفعل ماذا ؟ قال : أملأ الدنيا عدلاً كما ملئتْ جوراً . قلت : بماذا ؟ قال : بادرار الارزاق والثواب العاجل لمن اطاع وأتى ، وضرب الرقاب لمن عصا وأبى ، فقلت له : ان هذا امرٌ عظيمٌ اخاف عليك منه وعذلته على ذلك ، فقال بديهة :

ابا عبد الإله معاذ إني ... خفيٌّ عنك في الهيجا مقامي
ذكرتَ جسيمَ مطلبي وأنّا ... نخاطر فيه بالمهج الجسام
أمثلي تأخذ النكبات منه ... ويجزع من ملاقاة الحِمام ؟
ولو برز الزمانُ إليَّ شخصاً ... لخضّب شعر مفرقه حسامي
وما بلغتْ مشيئتها الليالي ... ولا سارتْ وفي يدها زمامي
اذا امتلأتْ عيون الخيل مني ... فويلٌ في التيقّظ والمنام

فقلت ذكرت أنك نبي مرسَل الى هذه الأمة ، أفيوحى اليك ؟ قال : أجل ! قلت : فاتلُ عليّ شيئاً مما أُوحي اليك . فأتاني بكلام ما مرّ بمسمعي أحسن منه . فقلت : وكم أُوحي اليك من هذا ؟ فقال : مئة عبرة واربع عشرة عبرة . قلت : وكم العبرة ؟ فأتاني بمقدار اكبر من الآي في كتاب الله تعالى . قلت : في كم مدة أُوحي اليك ؟ قال : جملة واحدة . قلت : اسمع في هذه العبرات ان لك طاعةً في السماء ، فما هي ؟ قال : احبس المدرار ، لقطع ارزاق العصاة والفجار ، قلت أتحبس في السماء مطرها ؟ قال : إي والذي فطرها ! أما هي معجزة ؟ قلت : بلى والله ! قال : فإن حبستُ المطر عن مكان تنظر اليه ، ولا تشك فيه ، هل تؤمن بي ، وتصدقني على ما أُوتيت من ربي ؟ قلت : إي والله . قال : سأفعل ، ولا تسألني عن شيء بعدها ، حتى آتيك بهذه المعجزة ، ولا تظهر شيئاً من هذا الامر حتى يظهر ، وانتظر ما وعدته من غير ان

(١) لهذا الحديث تتمة فيها ذكر قرآن ابي الطيب وغير ذلك سنعرض له فيما بعد

تسأله . ثم قال لي بعد ايام . أتحب أن تنظر المعجزة التي جرى ذكرها ؟ قلت : إي والله فقال لي اذا ارسلت اليك هذا العبد فاركب معه اليّ ولا تتأخر، ولا تخرج معك احداً . قلت نعم

فلما كان بعد ايام تغيّمت السماء في يوم من ايام الشتاء ، واذا عبده قد اقبل فقال : يقول لك مولاي اركب للموعد فبادرت الى الركوب معه ، وقلت اين ركب مولاك ؟ قال : الى الصحراء وشتد وقع المطر فقال : بادر بنا حتى نستتر من هذا المطر مع مولاي ، فانه ينتظرنا بأعلى تلّ لا يصيبه فيه مطر قلت وكيف عمل ؟ قال : اقبل الى السماء أول ما بدأ السحاب الاسود ، وهو يتكلم بما لا افهم ثم اخذ السوط فدار به في موضع ستنظر اليه . . واذا هو على تل بعيد عن البلد فصعد فرسخ ، فأتيت اليه ، فاذا هو على التل لم يصبه من ذلك المطر شيء ، وقد خضت في الماء الى ركبة الفرس ، والمطر في اشدّ ما يكون ونظرت الى نحو مئتي ذراع في مثلها من ذلك التل ما فيه قطرة مطر فسلمت عليه فردّ عليّ السّلام . فقلت ابسط يدك!

اشهد انك رسول الله فبسط يده فبايعته بيعة الاقرار بنبوته ثم قال

> ايُّ محلّ ارتقي ايُّ عظيمٍ اتّقي
> وكلّ ما قد خلق الله وما لم يخلق
> محتقرٌ في همّتي كشعرةٍ في مفرقي

واخذت بيعته لاهلي ، ثم صحّ بعد ذلك ان البيعة عمّت كل مدينة الشام ، وذلك باصغر حيلةٍ تعلّمها من بعض العرب وهي « صدحة المطر » يصرفه بها عن ايّ مكانٍ احبّ بعد ان يحوي بعصاً ويعث في الصدحة التي لهم

قال ابو عبد الله : وقد رأيت كثيراً منهم بالسكون وحضرموت والسكاسك من اليمن يعملون هذا ولا يتعاظمونه ، حتى ان احدهم يصدح عن غنمه وابله وعن القرية فلا يصيبها شيء من المطر، وهو ضربٌ من السّحر وسألت المتنبي بعد ذلك هل دخلت السّكون ؟ قال . نعم ! أما سمعت قولي

> مُحاسِنُ المطر اعطشُها ربوعًا والاّ فاسقها السمّ النقيعا
> أُمنسيّ السكون وحضرموتا ووالدتي وكِندة والسبيعا

فقلت من ثم استفاد ما جوزه على طغام اهل الشام . . . (وانت منهم يا ابا عبد الله اذن)

ثم قال ابو عبد الله هذا : ومما كان يمخرق به في البادية ، انه كان مشاءً قوياً على السير يسير سيراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ، ومواقع المياه ، ومحالّ العرب بها . وكان يسير من حلة الى حلة بالبادية ، وبينهما مسيرة اربعة ايام ، فيأتي ماءً فيغسل وجهه ويديه ورجليه ، ثم يأتي اهل هذه الحلة فيخبرهم ما حدث في تلك الحلة التي فارقها ويوم ان

الارض تطوى له وسئل في تلك الايام عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال انه نبي بنبوتي حيث يقال « لا نبي بعدي » وأنا اسمي في السماء (لا)

ولما اشتهر امره ، وشاع ذكره ، وخرج بأرض (سلمية) من عمل حمص في بني عدي (وظهر منه ما حيث نابته)[1] قبض عليه ابن علي الهاشمي في قرية يقال لها (كوتكين) وأمر النجار ان يجعل في رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف فقال المتنبي :

زعم المقيم بكوتكين بأنه من آل هاشم بن عبد مناف

فأجبته مذ صرت من ابنائهم صارت قيودهم من الصفصاف

انتهى حديث معاذ بن اسماعيل اللاذقي (ابي عبد الله الصديق) الذي كان اول من صدق بنبوة ابي الطيب وآمن به وأخذ بيعته لاهله

ومن ثمّ قد اطلنا بذكر هذا الحديث فلا بأس عليك ان شاء الله – ان نقلنا لك ما رواه ابو العلاء المعري ايضاً قال :

« وحدثني الثقة عنه حديثاً معناه انه لما حصل في بني عديّ وحاول ان يخرج فيهم قالوا – وقد تبينوا دعواه – ها هنا ناقة صعبة ، فان قدرت على ركوبها أقررنا انك مرسل ، وانه مضى الى تلك الناقة وهي رائحة في الابل فتحيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة وتنكرت برهة ، ثم سكن نفارها ومشت مشي المسمحة ، وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليها فعجبوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله عندهم

وحدث ايضاً انه كان في ديوان اللاذقية ، وان بعض الكتّاب انقلبت على يده سكين الاقلام فجرحته جرحاً مفرطاً ، وأن ابا الطيب تفل عليها من ريقه وشد عليها غير منتظر لوقته . وقال للمجروح لا تحلها في يومك ، وعد له أياماً وليالي ، وان ذلك الكاتب قبل منه فبرىء الجرح فصاروا يعتقدون في ابي الطيب اعظم اعتقاد ويقولون : (هو كمحيي الاموات)

وحدث رجل كان ابو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية او في غيرها من السواحل . انه اراد الانتقال من موضع الى موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما كلب ألحّ عليهما في النباح ، ثم انصرف . فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : انك ستجد ذلك الكلب قد مات ، فلما عاد الرجل الفى الامر على ما ذكر . . ولا يمتنع ان يكون اعد له شيئاً من المطعم مسموماً ، وألقاه له وهو يخفي عن صاحبه ما فعل . . . والخبز يقتل سمّ الكلاب »

هذا حديث نبوته ومعجزاته عند اكثر الرواة ، اما قرآنه فقد اجمعوا انه لم يبق

(١) في بعض الكتب هذه الزيادة

الاّ ما رويته لك قال ابو علي بن ابي حامد ... ابدي من ... تعاً
وكان (يعني ابا الطيب) قد تلا على البوادي كلاماً ذكر انه قرآن أنزل عليه ، وكانوا يحكون له سوراً كثيرة ، نسخت منها سورة ضاعت ، وبقي أولها في حفظي وهي
« والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفي أخطار ، امض على سنتك ، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قامع بك زيغ من الحد في دينه (الدين) وضل عن سبيله (السبيل) » قال : وهي طويلة لم يبق منها في حفظي غير هذا
وأنا لا أحب أن اجاوز هذه النصوص إلى ما سواها ، إلاّ وقد نظرت فيها وبصّرت القارئ بالتوائها وضعفها ووهنها ، وبأنه ما استبعدته وقد وقر في نفسه ردّ هذه المقالة التي من بها أبو الطيب ، وبذلك يقوم ردّنا مقام البيّنة على ما أوردناه — أصبنا أو أخطأنا
ثم لنعودّ تارة أخرى إلى ما قدمنا من ذكر التنوخي ثم روايته عن أبي الحسن العلوي وابن أم شيبان الهاشمي ، هي أول كلاما نجد بعض الادلة على وهن رواية التنوخي ، واستسقاطنا إياها ، ولا عن لك عن العودة إلى تذكره عند هذا الحديث عن نبوة المتنبي
يتبين لك فيها من ما بين أبي الطيب وبين العلويين ، وأن صاحبنا كان له عندهم ثأر قديم هو الذي أراد أن يدركه فيهم ، وينال « حقه » منهم ، ورجح عندنا الاستنباط ان يكون أبو الطيب « علويًا » مكتوماً في نسبه وشرفه وجهه ، وانه كان يريد ان يظهر نسبه إلى العلويين ولكن عارضته دون ما أراد أعوان وأحداث ، فإذا صحت هذا الرأي هنا ونظرت في النص الذي وقع الينا من التنوخي عن ابن أم شيبان الهاشمي — وهو علوي كبير — ملكك الشك وعلت عليك فيما روى فإنه لم ينس أن يذكر لنا فيما قال — لو صدق التنوخي في روايته عنه — أن أبا الطيب ادعى العلوية مرتين
أما حديث معاذ بن اسماعيل اللاذقي فقد ستعسر لا يتيسر لنا لأن صاحب هذا اللاذقي مجهول لم نقع له على ذكر ، ولكن مما لا شك فيه أن اللاذقية التي نسب اليها كانت لوقت أبي الطيب موطناً لفئة من العلويين ، وموطناً لكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثاً عظيمة في التاريخ العربي كله ، فلا بأس من ان نحمل هذا ذكراً مذكوراً وان نتبصر في اصل الرواية ، على وهنها وتضاربها وتهافت معانيها التي يفسد بعضها بعضاً كما سترى بعد
فالحديث الاول وهو حديث ابن ام شيبان الهاشمي عجيب لا يفرغ من العجب من اختصاره وتداخله فهو رتّب امر ظهور المتنبي على درجات ثلاث الاولى ادعاؤه العلوية ، والثانية النبوة ، والثالثة العلوية ايضاً فانه ان يدّعي العلوية ، ثم يعود فيدّعي النبوة فهو قول لا بأس به ، ولكن العجب انه بعد هذا عقب على النبوة بلفظ التعقيب (ثم) فقال « ثم عاد يدعي أنه علوي » .

فالذي يدعي النبوة ويتابع بها كما يقول اللاذقي الصدّيق ! ! — لا يقف على هذه الدعوى بالعلوية. فدعاه الرجل النبوة ثم انحطاطه منها إلى العلوية إكذاب لنفسه، وإقرارٌ منه بالمخرقة على الناس ولبست بهم، ولا يكون ادعى النبوة ثم ينحط منها إلا بعد قتال يرغم فيه على التسليم، ولاشك أنه إن كان فعل صاحبنا ذلك، لحُبِس وقته قبل أن يتمكن من القيام بالدعوة إلى نفسه مرة أخرى بين بني كلب مدعي العلوية. ثم لو أنه كان مطلقاً، ورجع عن النبوة إلى ادعاء العلوية، لكان ذلك كافياً في تكذيبه وتحقيره عند من سلّموا له بما ادعى من علويته قبلاً، ومن تبعه بعد. فهذا وجه في إبطال هذا النص

أما حديث أبي علي بن أبي حامد — ولم نعرف الرجل — فهو حديث محكم لا يقع فيه هذا الاعتراض الذي قدمناه إذ اقتصر صاحبه على ذكر النبوة وحدها، وما يأتيه التوهين إلا من قبل غرابته عما جرت عليه الأحكام في شأن من يدعون النبوة، فيقول أبو علي بن لؤلؤ: أمير حمص «استتابه، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام» أما أن يستتيبه ويشهد عليه أنه تاب فهذا لا بأس به وهو الحكم مع المتنبئين، وأما أن يكتب وثيقة عليه ببطلان نبوته فهذا أمر لا معنى له، لأن الوثيقة إنما تكتب فيما يخاف من قبله معاودة الدعوى، فتكون إقراراً مكتوباً مشهوداً عليه بالبطلان من المدعي نفسه كدعوى الملكية في العروض، ودعوى العلوية «مثلاً» في النسب، فتكون الوثيقة حجة عليه إذا عاد يُحَاجّ الناس فيما ادعاه بعد الإقرار بالكذب في الدعوى الأولى. أما النبوة فالأمر فيها على غير ذلك فإن الرجل إذا ادعى النبوة ثم استتيب وأشهد على نفسه بالكذب فيما ادعى، ثم رجع بعد ذلك يدعيها مرة أخرى لم يكن يُنتظر حتى يحاج الناس فيما يدّعي، ويقول لهم إنكم لم تأخذوا عليّ وثيقة مكتوبة مشهوداً عليّ فيها بالكذب، وإنما يكون جزاؤه القتل من غير إنظار ولا استتابة

فهذه الوثيقة التي ذكرها أبو علي — إن صح أمرها — إنما تكون قد أخذت عليه في دعوى العلوية لا دعوى النبوة. فأنت ترى أن نص ابن أم شيبان فيه ذكر العلوية صريح، وإن ذكر النبوة يكاد يكون مقحماً فيه، وترى أن نص أبي علي بن أبي حامد يرجح دعوى علوية لا دعوى النبوة، فإذا قرنت هذا إلى ما قدمناه في ذكر نص نسب المتنبي وما أتينا به من الحجة في ترجيح نسبه إلى العلويين، لم تبعد عن الحكم بأن هذه الروايات إنما يراد بها العلوية لا النبوة

أما ثالث الأحاديث — وهو حديث أبو عبد الله الصديق ! ! معاذ بن إسماعيل اللاذقي — فقصص كله وبطلانه بيّن للتدبر، ولولا أن كثيراً ممن كتب عن المتنبي مرّ به ولم يعرض له، لتركناك تحكم بوضعه من سياقه ومدرجه دون أن نأخذ أنفسنا بنقده. وأنت إذا تدبرت الحوار

الذي زعمه ابو عبد الله هذا بينه وبين ابي الطيب ، لم نشك ساعة في ان الرجل كان يصنع هذا الكلام وضعاً ولا يرويه رواية . والعجب له !! — قد أتهم نفسه في مواضع من كلامه بقلة العقل وعمى البصيرة ، وسرعة التهور في التسليم

فهذا المسمى معاذاً كان ولا شك رجلاً مسلماً مدركاً يملك من العقل مقداراً يكفي — على الاقل — في الانصات له اذا حدَّث ، والاّ لبطل حديثه هذا من غير محاولة منا في ابطاله . . فان كان كذلك او اقل من ذلك قليلاً ، فما نظنه كان يصبر على الرجل حين ادعى النبوة كل هذا الصبر ، ويتمادى في الحوار معه ثم يصف كلام فتى في الساعة عشر انه (ما مرَّ بسمعه احسن منه)، فهذه اما ان تكون كلة جاهل او كلة وضاع يريد ان ينتقص من الرجل، فهو يبني لانتقاصه بامتداحه وتعظيمه . ثم كيف يعقل ان رجلاً مسلماً كان في عصر المتنبي ، ثم في مدينة كاللاذقية ويدل كلامه على بعض العلم ، يصدّق دعوى حبس المطر ويعدُّها معجزة ، فضلاً عن تصديقه النبوة بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم ! وأعجب من ذلك في الوضع الذي انه يدّعي هذا المسمى معاذاً انه اقر بنبوة المتنبي ثم تابعه لما رأى معجزة حبس المطر وانه اخذ البيعة لاهله ايضاً على الايمان به ، فأيُّ رجلٍ مسلمٍ غير جاهلٍ ولا مفتون في ذلك العصر يتهوّر في الكفر بغير معجزة ولا بينة ، ومن عجيب سهو هذا اللاذقي في الوضع انه قال بعد ذلك نوًّا « يريد معجزة حبس المطر » « وذلك بأصغر حيلة تعلمها من بعض العرب » . على انه كان قد اتقن وضعه لزعم انه بقي على بيعة المتنبي والإقرار له بالرسالة الى ان رأى — بعد زمان — او صنع واستيقن ان الذي صنعه المتنبي وزعمه معجزة له ، امرٌ مشهور عند بعض العرب يتعاطونه اذا كرثهم المطر ثم يصف كما وصف انه « صدحة المطر » يصرفونها به عن اي مكان يحبون بعد ان يخطون بعصا ويمشون في الصدحة التي لهم . . . الخ فكفر بنبوة المتنبي لذلك وتاب ورجع الى الاسلام . ثم من ضعف وضع هذا اللاذقي انه زعم انه كان قد رأى كثيراً من اهل السكون وحضرموت يفعلون صدحة المطر ولا يتعاظمونها ، فسأل المتنبي : هل دخلت السكون ، قال . نعم ! وما دام اللاذقي هذا كان قد عرف هذه الصدحة ، فكيف آمن بنبوة صاحبه ولا دليل له على نبوته غيرها ، وهي مشهورة في اليمن معروفة معمول بها كما يقول

وأعجب من هذا انه يدعي ان دعوة المتنبي قد عمت كل مدينة بالشام وبويع له بها ، كيف يكون هذا ؟ والشام اذ ذاك منزل من منازل أئمة الدين والعلم ، وكان اكثر اهلها لا يتخلفون عن صلاة ، ولا يزال بين ظهرانيهم عالمٌ يقرأ في مجلسه ، او واعظ يعظ في حلقته ، او خطيب يخطب من منبره ، ثم يؤمنون بدعوى رجل لا تؤيده معجزة بيانية ، ولا خارقة كونية ، وان زعمنا ان اللاذقي قد آمن بالمتنبي لصدحة المطر ، افتؤمن له كل مدينة بالشام وتتابعه هذه الضلالة

او هذه الاكذوبة التي لا تعقل ليكن اللاذقي رجلاً لا عقل له ، أفيكون اهل الشام كلهم هذا الرجل ؟!

ويقول اللاذقي للمتنبي يخوفه مما يحول به من النبوة «ان هذا امر عظيم اخاف عليك منه» فيجيبه المتنبي بشعر لا ذكر للنبوة فيه ، وانما هو شعر رجل مقاتل يريد الحرب ، لا نبي يريد ان يؤمن الناس به ، ثم ان الذي قاله في الشعر يدل على غير ذلك فانه قال

ذكرت جسيم مطلبي ، واني اخاطر فيه بالمهج الجسام

وليست النبوة مطلباً يطلب ويخاطر فيه بالنفس والنفيس ، انما النبوة امر من الله لمن اوحي اليه ان يصدع بما يؤمر به ، فيكون عليه هداية الناس باللين او بالشدة كما يشاء الله ، فلا يكون ذلك مطلباً للنبي يريد ان يناله ، بل يكون امراً يجب ان يطيعه ويعمل به ، وكذلك الابيات التي انشدها

أي محل أرتقي اي عظيم أتقي

فالقول فيها قريب من هذا . اما البيتان الاخيران ففيهما الدليل على تلفيق الرجل فالبيت الاول هذا «مُبيت القطر» اول قصيدة المتنبي ، والبيت الثاني في آخر القصيدة ، ولا رابط بين البيتين حتى ينشدها المتنبي معاً في الاستدلال على دخول السكون أو حضرموت ، وكان يكفيه البيت الثاني في الاستدلال لما اراد . ثم ان المتنبي فيما نشك لم يدخل اليمن في حياته كلها من يوم ولد إلى يوم مات . أما الذي ذكر في الابيات فهو كما قدمنا لك أسماء خطط لاهل اليمن بالكوفة التي ولد بها أبو الطيب

وأيضاً فإن هذه القصيدة التي منها هذان البيتان في مدح علي بن إبراهيم التنوخي وكان مدحه سنة ٣٢٣ بعد خروجه من السجن أو بعد رجوعه من الكوفة إلى الشام سنة ٣٢٦ على ما حققناه (١) وهذا الذي ذكره اللاذقي في حديثه كان سنة ٣٢١ قبل أن يخص عليه . فهذه كلها أدلة بينة على وضع القصة وتلفيقها ، وانها وضعت على الارجح بعد وفاة المتنبي

ومن اكاذيب هذه الرواية أيضاً دعواه أن المتنبي كان عارفاً بالفلوات ، ومواقع المياه ، ومحال العرب بها ، فذلك لا يتيسر إلا لمن ولد بهذه البلاد ونشأ بها ، والمتنبي دخل البلاد في السنة التي يروي فيها اللاذقي هذا الحديث وحبس في السنة نفسها ، فما كان له ان يعرف مجاهل البادية ومواقع مياهها ومحال اهلها كما زعم في قليل من الوقت فانظر الآن ما تقول في هؤلاء الوضاعين

اما معجزات المتنبي فلا نتكلم فيها لان بطلانها بين وفسادها مكشوف ، ولقد علمت بهذه

(١) الرأي هو هذا الاخير كما سترى بعد في موضعه ، ولا يصح عندنا غيره

الاحاديث التي رويناها لك انهم كانوا يريدون ان يتهموا الرجل بما هو منه براء ، فأولى أن تكون المعجزات التي رواها أبوا العلاء ضرباً من الكيد له وتأييداً لاتهامهم الرجل بدعوى النبوة . فقرآنه هو كما ترى ليس بقرآن ، وانما هو « ضربٌ من الهذيان » ، والعجب أن يبايع له اللاذقي ولا يحفظ من قرآنه شيئاً ثم يصفه فيقول « ما مرّ بسمعي أحسن منه » ثم الاعجب أن تتم بيعته كل مدينة بالشام كما قال ، ولا يبقى من قرآنه إلا هذه الحاقة الصغيرة التي رووها ، يزعم ابو علي بن أبي حامد أنها بقيت في حفظه

ولا ندري لماذا أصيب المتنبي بهذا العجب ! ! في مسألة نسبه ، كانت نسبته الى الجعفي التي كان يخفيها خوفاً لا يعرفها الا التنوخي وابن ام شيبان ، وابو الحسن العلوي ، وقرآنه لايجمعه الا ابو علي بن ابي حامد واللاذقي ثم لا يحفظان معاً منه الا قطعة بينهما مع ان اللاذقي قد ذكر تعدادها مئة عبرة واربع عشرة عبرة ، واتفقا معاً على حفظ هذه القطعة ونسيان ما بقي من هذا العدد

وبعد فلن احداً لا يشك في ان الرجل (أبي الطيب) كان قد سجن لامر ما ، ولكن حرص هؤلاء الذين روينا اقوالهم على ان يجعلوا حبسه من أجل النبوة يجعلنا نرى انهم جعلوا مسألة النبوة غطاء يسترون به حقيقة ما قام من اجله ابو الطيب فقبض عليه . ويبّنّ على مذهبنا في نسب المتنبي ان الرجل حبس من اجل دعوى العلوية التي ذكرها الرجل الطيب ابن ام شيبان واقحم عليها النبوة ليجعل دعواه في علويته كذباً ، فان الذي يدعي النبوة لا يتورع عن ادعاء العلوية ، ثم ان هذا الرأي من ابن ام شيبان — ان صح عنه — يزيدنا يقيناً بان الرجل كان يعرف من امر نسب المتنبي شيئاً ويريد ان يخفيه وأن لايظهر عليه احداً من الناس

ومسألة القبض على المتنبي لها عندنا سياقٌ تاريخيٌّ آخر استنبطناه ، ولكن يحسن بك ان تفيء في مسك مرة اخرى ما قلنا به من نسبة المتنبي الى العلوية ، وما اعدنا فيه من القول في عدة مواضع ليسهل عليك ان تعيننا على تحقيق ترجمة الرجل . هذا ونحن والقارىء في هذا الموضوع سواء ، فمن تبين له وجه او توجه له رأي ، فليكتب لنا به مشكوراً



دعوتك لما براني البلاء
وأوهن رجلي ثقل الحديد
وقد كان مشيهما في النعال
فقد صار مشيهما في القيود
وكنت من الناس في محفل
فها أنا في محفل من قرود
فلا تسمعن من الكاشحين
ولا تعبأن (بمحك اليهود)
وكن فارقاً بين دعوى (اردت)
ودعوى (فعلت) بشأو بعيد

قلنا ان المتنبي في اواخر سنة ٣٢٠ اعتزم الخروج من الكوفة ، وأنه عقد قلبه على احداث حدث لعله ان يصيب من ورائه ما يبتغي وما يؤمل ، ويدرك به ثأراً في قوم ، ليشفي به صدر جدته وصدره ، ثم اخذ عزمه في الرحلة عن الكوفة الى بغداد ومن ثم اخذ طريقه مصعداً الى ديار ربيعة بين النهرين الى الموصل ونصيبين ورأس العين وانحدر منه الى الشام فقبض عليه هناك [وكان مرور المتنبي برأس عين في اوائل سنة ٣٢١ على الارجح وفي تلك السنة حدث حادث كان من جرائه ان قتل ابو الاغر بن سعيد بن حمدان (ابن عم سيف الدولة) ، وذلك ان بني ثعلبة اجتمعوا الى بني اسد القاصدين الى ارض الموصل ومن معهم من طيء فصاروا يداً واحدة على بني مالك ومن معهم من تغلب (وهم قوم بني حمدان) ، وقرب بعضهم من بعض للحرب. فركب ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان (اخو سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان) في اهله ورجاله ومعه ابو الاغر بن سعيد بن حمدان للصلح بينهم ، فتكلم ابو الاغر فطعنه رجل من حزب بني ثعلبة فقتله ، فحمل عليهم ناصر الدولة ومن معه فانهزموا ، وقتل منهم وملكت بيوتهم وأخذوا حريمهم وأموالهم ، ونجوا على ظهور خيلهم . وتبعهم ناصر الدولة الى الحديثة (بقرب الموصل) فلما وصلوا اليها لقيهم يانس غلام مؤنس وقد ولي الموصل وهو مصعد اليها ، فانضم اليه

من نسبة وبنو اسد وعادوا الى ديار ربيعة . وامعنا عند هذا التاريخ الذي بين ايدينا في كتب التاريخ ولكن بعض رواة ديوان المتنبي او شراحه يقولون ان المتنبي مر برأس عين في سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وقد اوقع سيف الدولة بعمرو بن حابس من بني اسد ، وبني ضبة وبني رياح من بني تميم فمدحه بقصيدته التي اولها

ذكر الصبا ومرابع الآرام جلبت حمامي قبل يوم حمامي

وذكر ما كان من امر سيف الدولة مع هؤلاء الذين ذكرناهم من قبائل العرب النازلين في ارض الموصل وما جاورها ، فبين « أن لقاء سيف الدولة لهؤلاء الخارجين من بني اسد وبني ضبة وبني رياح كان على أثر قتلهم ابن عمه (ابا الاغر بن سعيد بن حمدان) ، وان مدح المتنبي سيف الدولة قد احفظ عليه بني اسد وبني ضبة حتى كان من امرهم بعد معه ما كان — على ما نذهب اليه — من اتهام قتلوه بالعراق كما سيأتي بعد

ويقول رواة الديوان أن ابا الطيّب لم ينشد سيف الدولة هذه القصيدة ، ولا نظن ان ذلك يكون دليلاً على انه لم يلقَ سيف الدولة في سنته تلك ، بل الارجح عندنا انه لقيه وحدّثه ، واتصل بينهما الودُّ قليلاً قليلاً ، وفي القصيدة ابيات تدلُّ على ان سيف الدولة (وكان صغيراً في مثل سن المتنبي) اتصل عليه بعض الافضال واكرمه واصطفاه . والعجب ان تكون هذه القصيدة وهي من اول قصائده في حياته(١) تدل على حبٍّ بليغ لسيف الدولة ، يقرب من حبه له بعد ، والذي تدل عليه مدائحه التي استفاضت بعد اتصاله به في سنة ٣٣٧ كقوله مثلاً

وتعذُّر الاحرار صيَّر ظهرها(٢) إلاَّ إليك عليَّ ظهر حرامِ
(أنت الغريبة) في زمانٍ أهلُه ولدت مكارمهم لغير تمامِ
أكثرتَ من بذل النوال ولم تزل علماً على الإفضال والإنعامِ
صغَّرت كلَّ كبيرة ، وكبرت عن لكأنَّه ، وعددتَ سنَّ غلامِ
ورفلت في حلل الثناء ، وإنما عدم الثناء نهاية الاعدامِ
عيب عليك ترى بسيفٍ في الوغى ما يصنعُ الصمصامُ بالصمصامِ ؟
ان كان مثلك كان او هو كائنٌ فبرئت حينئذٍ من الاسلامِ

وهذا غلوٌّ عجيبٌ . وانت اذا رجعت إلى مدائح المتنبي الى ان اتصل بسيف الدولة في سنة ٣٣٧ لم تجد دلالة الحب والتعظيم بادية في مثل هذه المدائح ، وغيرها مما لم نذكره من القصيدة . ولعل المتنبي كان قد رأى من سيف الدولة في ذلك العهد مثلاً من امثلة المروءة والفتوة التي كان

(١) كانت سن المتنبي اذ ذاك ١٨ سنة (٢) يعني ظهر ناقته

يفقدها في رجال عصره ، وأنت ترى أن المتنبي في شعره كما بيّنا لك أول كلامنا — كان يرى الرجولة والفتوّة المثل الأعلى الذي يحلّق به طرفه ، وذلك لما انطوى عليه قلبه من حب المجد وطلب الثأر ، ولما في نفسه من الثورة على زمنه وأهله ، ومن ظلموه وأرادوا له شرًّا وذلًّا ومهانة

وعجيب أيضاً أن لا يمدح المتنبي واحداً من الخلفاء وأبنائهم وهم بالعراق ، ولا أحداً من كبار العراقيين من الامراء ثم يعمد الى مدح بني حمدان وحدهم ، ولم تكن شوكتهم بعد قد بلغت مبلغ غيرهم من الامراء ، فذلك دليل على انه لم يمدحهم للعطاء وحده ، بل مدحهم لأمر آخر لا نكاد نتبيّن إلا أطرافاً منه ، ولعلّ بني حمدان كانوا يعرفون من أمر المتنبي شيئاً ، وكانوا يصونون جدّته في حال كتبها ، فلذلك ذكر المتنبي أبوي سيف الدولة في القصيدة وطلب لقبريهما السقيا ، وقد كان له مندوحة عن ذكرهما ، وذلك قوله

صلّى الإلهُ عليك غير مودَّعٍ ... وسقى ثرى أبويك صوبَ غمامِ

وفي مدحه لبني حمدان أو سيف الدولة وإخوته وأبويه على التحقيق ما يرجّح ذلك

قومٌ تفرّست المنايا فيكمُ ... فرأت لكم في الحربِ صبر كرامِ
تالله ما علمَ امرؤٌ لولاكمُ ... كيف السخاء ، وكيف ضرب الهامِ

وعندنا أن هذه القصيدة قد أثبتت في صدر سيف الدولة محبّة هذا الفتى العربيّ الطموح الثائر الذي لا يستقرّ ، وكأن تواضعهما في السنّ (١) والفتوّة قد جمع بين قلبيهما ، ولولا ما كان في صدر المتنبي من الأماني التي لا تهدأ ولا تفتر ، لبقي معه ، ولولا ما كان فيه سيف الدولة من مثل ذلك ، ومن أمته إلى حرب بني أسد وبني ضبّة ، لعزم على صاحبه في الرفقة في الحلّ والترحال ، ولكن أراد الله شيئاً فكان .

وخرج المتنبي من أرض بني حمدان ، ومن جوار سيف الدولة خاصة إلى غربته بالشام ، وبدأت الحوادثُ تأخذه أخذاً حتى رمت به في سجنه ، ولم يكن المتنبي لذلك العهد مغموراً مجهولاً كما يذهبُ إليه أكثر الكتّاب ، بل كانت قصائده قبل مدحه إلى الشام قد أثبتت عليه عيون الدولة العباسية وجواسيسها ، وأطراف العلويين الذين حسدوه وطلبوه ، ونظرات العلويين الفاطميين أيضاً ، وكانت دعوة الفاطمية قد عمّت في بلدان العربيّة في تكتّمها واستتارها ، مع قوّتها وحصافة القائمين بالدعوة إليها ، وما كان لهم من المذاهب في التدخل في شؤون السياسة تدخلاً حكيماً سريّاً ، يترفقون له ليصلوا إلى ضرب الخلافة العباسية والقضاء عليها ، وإقامة الخلافة العلوية الفاطمية

وكان الذي أمسك العيون على المتنبي فيما نذهب إليه ، أنه قبل أن يلقى سيف الدولة في المرة

(١) ولد المتنبي سنة ٣٠٣ وولد سيف الدولة في تلك السنة

الاولى سنة ٣٢١ وكان في طريقه بأرض العراق قال من الشعر ما وقع إلى هؤلاء ، فاستقدمهم اليه فمن ذلك ما روي من أن أبا سعيد المجيمري عذله على تركه لقاء الملوك وامتداحهم فقال له

أبا سعيدٍ جنّبِ العتابا   فربّ رأيٍ أخطأ الصوابا
فإنهم قد أكثروا الحجّابا   واستوقفوا لردّنا البوّابا
وإنّ حدّ الصارم القرضابا   والذابلات السُّمر والعرابا
ترفعُ فيما بيننا الحجابا

فمثل هذا القول لايذهبُ باطلاً عند أصحاب الامر في الدولة ، ومن يبثون عيونهم على سياسة العصر ودسائسه ، وقد كان عصراً مملوءاً بكل عجيب من الدعوات الخفية ، والثورات السرية التي لا يجهلها مطلعٌ على تاريخ تلك الفترة من العصر العباسي . ويبين من شعر المتنبي الذي وقع في ترتيبنا لديوانه في هذه الفترة أنه حين دخل العراق لقي بعض الكيد على أثر ما عُرف عنه من الثورة القائمة في صدره ، ودليل ذلك قوله

رماني خساسُ الناس من صائبٍ استه   وآخر قطنٌ من يديه الجنادلُ
ومن جاهلٍ بي، وهو يجهلُ جهلَهُ،   ويجهلُ علمي أنّه بي جاهلُ
ويجهل أني — مالك الارض — معسرٌ   وأني — على ظهر السماكين — راجلُ

ولم يكتف صاحبنا بذلك بل خرج الى ذكر نفسه وصفتها ، وعرّض بما يشعر من الخروج استعداداً لما يؤمّلُ من الثأر أولاً وما سمّاهُ (المجد والعلى) ثانياً فقال

تحقّرُ عندي همتي كلَّ مطلبٍ   ويقصرُ في عيني المدى المتطاولُ
وما زلتُ طوداً لا تزولُ مناكبي   الى أن بدت (للضيمِ) فيَّ زلازلُ

. . . .

يُخيّلُ لي أن البلادَ مسامعي   وأني فيها ما تقولُ العواذلُ
ومن يبغِ ما أبغي من المجد والعلى   تساوَ المحايي عنده والمقاتلُ
(ألا ليست الحاجات الاّ نفوسكم   وليس لنا الاّ السيوف وسائل)
(غثاثةُ عيشي أن تغثّ كرامتي   وليس بغثٍّ أن تغثّ المآكلُ)

ولا يفوتنّك ما يحرص عليه من أن تعود الى ما ذهبنا اليه في أمر نفسه ونكبته الاولى وهو صغيرٌ ، لتتمّ سرّ القول في قوله (الى أن بدت للضيم فيّ زلازل) فهو يردّك الى ذكر المشكلة القائمة في نفسه والتي وصفناها لك على ما وفقنا اليه ، إذ أنه بهذا الشطر قد ضمن لك معنى ما نريد من أنه كان مغلوباً على أمره، محكوماً عليه بأمرٍ كله ظلم وضيم فلما بلغ مبلغاً ، زلزله هذا الضيم وقد حاول من صدره مخرجاً على انه كان — كما وصف نفسه — رابط الجأش ثابت النفس

ثورة الجبل على ما يعمل تحته من العوامل البركانية التي تنتهي بخروجها بالانفجار

دَعْ هذا — ولنعد الى شعره في الفترة التي نحن منها من تاريخه ، فكان مما قاله في العراق أيضاً قصيدته التي أولها « ضيفٌ ألمَّ برأسي غير محتشم » وننقل لك طرفاً منها لتتدبره على ما وصفنا يقول

ليس التعلُّل بالآمال من أرَبي ... ولا القناعة بالإقلال من شيمي
ولا أظنُّ بنات الدهر تتركني ... حتى تسدَّ عليها طُرْقَها هممي

. . . . . .

سيصحبُ النصلَ مني مثلُ مضربه ... وينجلي خبري عن صمّة الصمم
لقد تصبرتُ حتى لاتَ مصطبرٍ ... (فالآن أقحم حتى لات مقتحم)
لأتركنَّ وجوه الخيل ساهمةً ... والحرب أقوم من ساق على قدم
بكلِّ منصلتٍ ما زال منتظري ... (حتى أدلتُ له من دولة الخدم)
تنسي البلاد بروق الجوِّ بارقتي ... وتكتفي بالدم الجاري عن الديم
رِدِي حياض الرَّدى يا نفس واتركي ... حياض خوف الرَّدى للشاء والنعم
(إن لم أذرك على الأرماح سائلةً ... فلا دعيت ابن أم المجد والكرم)
(أيملك الملك والأسياف ظامئة ... والطير جائعة — لحم على وضم)[1]
من لو رآني ماء مات من ظمأ ... ولو عرضت له في النوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً ... (ومن عصى من ملوك العرب والعجم)
فإن أجابوا فما قصدي بها لهمُ ... وإن تولَّوا فما أرضى لها بهم

فهذا الذي انتقيناه لك من شعره في القصيدتين ، وما صرح به فيهما عن آماله وآرائه ، ومن رأيه في الدولة العباسية التي ملك زمامها العجم والديلم والترك ممن كانوا من خدم الخلفاء ، وعن رأيه في الخليفة الضعيف الذي لا يملك من أمر نفسه شيئاً ثم يقعد في عرشه ملكاً مملكاً تعطى له المبايعة ، وتصرف اليه الطاعة بالإذعان والتسليم ، وما يتجلى في كلماته من إرادة التأليب والثورة على الدولة عربها وعجمها ، كلّ ذلك ولا شكّ جاء على صاحبنا على صفة اهتمام القائمين بأمر الدولة من الولاة والأئمة من العرب والعجم والترك والديلم ، وأصحابِ الدعوة العلوية والدعوة الفاطمية

(١) (لحم على وضم) جملة يكنى بها عن الضعيف الذي لا ناصر له كالمرأة التي لا حامي لها ، وهذه الكناية فاعل قوله (أيملك الملك) ، والبيت الثاني مثل من قوله « لحم على وضم »

فلما كان اتصاله ببني حمدان في سنة ٣٢١ ومدحه لهم — دون غيرهم من الولاة والامراء أشباهم ، والمنافسين لهم والحاقدين عليهم ، والمريدين الإيقاع بهم لما عرفوا به من الصراحة من الحكم، والدهاء في السياسة ، والعصبية العربية الصريحة ، وبغضهم لحكام الاعاجم التي كانوا هم أصحاب الامر والنهي في الدولة كلها — ازداد اهتمام هؤلاء بالفتى العربي (المتنبي) ورددوا أنظارهم إليه ، وأدركوا أن هذا الثائر الشاعر البليغ سيكون له شأن أي شأن لو ترك غير مراقب ولا مأخوذ عليه السبيل التي يمشي ، والامر الذي يجدّ به ، فأجمعوا على الإيقاع به حتى لا يستفحل أمره ، ويتسع عليهم الخرق من قبله فلا يمكن له الراقع مرقعة

ورحل صاحبنا من (رأس عين) حيث مدح سيف الدولة متخذاً طريقه إلى الشام ماراً بحران ثم منبج ثم أنطاكية واللاذقية وحماة وحمص وسلمية ، وتردد بين هذه المدن حتى قبض عليه . وكانت هذه البلاد نفسها منازل من منازل الدعاة العلويين الذين كانوا أصحاب سياسة ودهاء في دعوتهم إلى قلب الخلافة العباسية ، وإقامة الخلافة العلوية الخالصة ، وكانت الاعاجم في الشرق ، والموالي الذين نشروا راية السلطان في خدمة الخلافة العباسية بدأ مع العلويين على الدولة العباسية ، وكانت هذه البلاد أيضاً مجالاً لدعاة الفاطميين أصحاب الجيوش والسلطان بالمغرب ، وكان هؤلاء الدعاة يبذلون جهد السعي لضم العلويين اليهم واستمالة الولاة على اختلافهم إلى مناصرتهم ليتم لهم دخول الشام دون معارضة بعد فتح مصر — وكانوا يعدّون له العدة — ثم يقفوا وجهاً لوجه حيال الدولة العباسية بالعراق، وكان قد تم لهم أمر عظيم في ما وراء دجلة والفرات ، وبذلك تسقط الدولة العباسية ، وتقوم على انقاضها الدولة العلوية الفاطمية

وكان أبي المتنبي في طريقه يظهر في القبائل والمدن أمر نسبه ، ويذيع بينهم أنه علوي الاصل شريف النسب ، محتالاً لذلك بالدهاء ، مجتهداً في إخفاء القصد قبل أن يعلن أمره إعلاناً صريحاً لئلا يواجهه العلويون ويبرلوا به كيدهم الذي يكيدون له . دار دورته في البلاد التي ذكرناها وأمره الى علو لما عرف من فصاحته وبلاغته ،وحسن سمته ، وجمال هديه ، وتوقد ذكائه ، وما يمتاز به من حسن المعاشرة ، ولطيف المناجمة مع سعة العلم ، ودقة الفهم له ، وكان في القبائل البادية أظهر امراً ، وأشد عضداً ، حتى كان آخر أمره بني عدي وبني كلب ، ففشا ذكره بينهم ، وبايعوه على العون له ، في الدعوة الى رد الحكومة الى العرب دون الاعاجم . وكان ظهوره في بني عدي هو الذي جلب عليه السجن والشقاء

ذلك أن بني عدي [1] هم قوم بني حمدان ، فكان ظهوره هناك ، ولماذا قبل ذلك سيف

(١) هم بنو عدي بن اسامه بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن (تغلب) ، وينتهي ابن عدي هذا نسب بني حمدان

الدولة ومدحه بني حمدان عامة — سبباً في تيقظ ولاة (محمد بن طغج الاخشيد) وكان على دمشق ، ولم يكن ظهر امره بمصر بعد ، وكانت بين بني حمدان والاخشيديين الاتراك المتعصبين للدولة العباسية ، عداوة جانبها المنافسة ، وكان سيف الدولة مخصوصاً بها وحده دون بني حمدان لما ظهر من قوته على صغر سنه ، وطمعه في توسيع سلطان بني حمدان حتى يضم الشام ومن يتبعها الى ولايته وولاية اخوته . فلا بد اذن للاخشيديين من مراقبة هذا الذي مدح بني حمدان ، واحدث حدثاً في القبائل التي كانت لهم موالية ، خشية ان يكون موفداً من قبل سيف الدولة للقضاء على مطامع الاخشيديين في الاستيلاء على الشام ومصر

وايضاً ، فان دعاة الفاطميين الذين كانوا بالشام نظروا الى ذلك ، وخافوا ان يكون موفداً من قبل سيف الدولة وبني حمدان ، وكان بنو حمدان قد استعصوا على الدعوة الفاطمية مع انهم كانوا من شيعة العلويين ، وامتناع بني حمدان على الدعوة الفاطمية كان هو السبب في مناصرتهم للخليفة العباسي وتحققهم بخدمته لما يعرفون من ان دعوة الفاطميين كانت قد ضمت اليها اكثر ولاة الاعاجم الذين كانوا يحكمون بلاد الخلافة ما وراء الفرات وفي العراق نفسه . وكان هذا هو السبب ايضاً في العداوة المتفقة بين بني بويه وبني حمدان فيما بعد وخاصة سيف الدولة ، فان بني بويه كانوا علويين فاطميين

فاجتمعت على المتنبي عيون الفاطميين ، وعيون العلويين ، وعيون الدولة القائمة في الشام فلما ظهر في بني عدي ارسلوا في القبض عليه ، فطاردوه من بلد الى بلد ، وكان يستخفي منهم ، حتى وقع اخيراً في يد (ابن علي الهاشمي العلوي) في قرية يقال لها كوتكين[1] ، فقبض عليه وأمر النجار بأن يجعل في رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف فقال له المتنبي بيتين قد ذكرناهما آنفاً وبقي المتنبي في السجن من اواخر سنة ٣٢١ او اوائل سنة ٣٢٢ الى سنة ٣٢٣ ثم اطلق

وكان المتنبي في اول امره مستخفاً بالسجن ، لما يأمل من بلوغ خبره الى سيف الدولة ، فان بني عدي قوم سيف الدولة — كما يتوهم — لن يتركوه في ايدي هؤلاء الا ان يحملوا خبره الى بني حمدان فيخف بنو حمدان لنيتهم في دخول الشام . ولكن نية بني حمدان تأخرت طويلاً فان سيف الدولة لم يهدد اطراف الشام بعساكره الا بعد ذلك بزمن طويل

ومما يدل على استخفافه بالسجن في اول امره ما رووا من ان ابا دلف بن كنداج — سجانه — اهدى اليه هدية وهو معتقل بحمص ، وكان قد بلغه انه ثلبه عند الوالي الذي اعتقله ، فكتب اليه

أهونْ بطولِ الثواءِ والتلفِ والسجنِ والقيدِ يا أبا دلفِ
(غيرِ اختيارٍ قبلتُ برَّك بي) والجوعُ يرضي الاسودَ بالجيفِ

(١) لعلها كانت قريبة من (سلمية) وهي قرية من أعمال حمص

كن ايها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف
لو كان سكناي فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

وفي هذه الابيات تقف كبرياؤه كما هي لم يأخذ منها عذاب السجن وشقاؤه شيئاً حتى انه ليقول للذي يبره في سجنه (غير اختيار قبلت برك)، ولولا ما انا فيه من العذاب لرددت عليك هديتك غير حافل بك ولا بها. ثم ينزع المثل على عادته (والجوع يرضي الاسود بالجيف) وهي سخرية جديدة مؤلمة

فلما طال عليه الامد في السجن لجأ الى الحيلة في الخروج منه، فكتب الى ابن طغج يستعطفه ويفنّد ما رمي به من ارادة الخروج على السلطان فكان مما كتب

بيدي ايها الامير الاريب لا لشيء الا لأني غريب
او لأم لها اذا ذكرتني دم قلب بدمع عين يذوب
(ان اكن قبل ان رأيتك اخطأ ت فاني على يديك اتوب
عائب عابني لديك ومنه خلقت في ذوي العيوب العيوب)

الا ان سعي الفاطميين والعلويين في ابقائه في السجن، وما اشرنا اليه من خوف والي الشام من الحدث الذي احدثه ان يكون من قبل بني حمدان — لم يجعل اليه سمع الامير حتى في سجنه الى سنة ٣٢٣ وقد رويت له القصيدة التي كانت السبب في اطلاقه وفيها اشارة إلى كل هذا الذي ذكرنا لك ويحسن هنا ان نثبت بعضها لتبيّن ما أرخنا له من التاريخ

يقول المتنبي يصف الامير

ولو لم أخف غير اعدائه عليه لبشرته بالخلود
رمى (حلباً) بنواصي الخيول وسمر يرقن دماً في الصعيد
وبيض مسافرة ما يقمن لا في الرقاب ولا في الغمود
يقدن الفناء غداة اللقاء إلى كل جيش كثير العديد
فولّى بأشياعه (الخرشني) كشاء احس بزأر الاسود
فمن كالامير ابن بنت الامير او من كآبائه في الجدود

والذي نبهنا له هنا انه ذكر في هذه القصيدة (حلباً) و(الخرشني) وقد عنينا بالبحث عن الحادثة التاريخية التي نستطيع بها ان نعيّن السنة التي قيلت فيها، ثم وفقنا الله الى تفسير ذلك بالاستنباط. ففي جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ سار الدمستق (قرقاش) في خمسين الفاً من الروم فنازل ملطية[1] وحصرها مدة طويلة حتى هلك اكثر اهلها بالجوع ثم فتحها وهدم سورها وقصورها

(1) بلدة مذكورة مشهورة في ديار ربيعة على حدود بلاد الروم في ذلك العهد

وضرب خيمتين على احداهما صليب ، وقال : من اراد النصرانية انحاز الى خيمة الصليب ليرد عليه اهله وماله ، ومن اراد الاسلام انحاز الى الخيمة الاخرى وله الامان على نفسه ، ويبلغه مأمنه ، فانحاز اكثر المسلمين الى الخيمة التي عليها الصليب طمعاً في اهليهم واموالهم ، وسيّر مع الباقين بطريقاً يبلغهم مأمنهم، وفتحها بالامان ثم ملكوا (سميساط) وخربوا الاعمال واكثروا القتل وعملوا الافاعيل الشنيعة (وصار اكثر البلاد في ايديهم) ، وسكت المؤرخون . وظاهر أن والي الشام وهو اذ ذاك محمد بن طغج الاخشيد لم يكن ليصبر على ذلك ، فلما امتد الدمستق بجيوشه وقصد حلب، خرج اليه هو او بعض من انفذه لقتاله فرده عن التوغل واقفل الدمستق هارباً ولم يدخلها . وقد جعلنا هذه الحادثة تاريخ القصيدة لانها توافق ما اثبتنا من تاريخ المتنبي ، ثم لما ذكر من امر حلب ، ثم لذكر هذا الخرشني . والخرشني ، هو ملك الروم لانهم ينسبون ملوك الروم الى جبل ببلادهم يقال (خرشنة) ، وتكون هذه القصيدة اذلك مما كتبه ابو الطيب الى محمد ابن طغج الاخشيد التركي في اواخر سنة ٣٢٢ او اوائل سنة ٣٢٣

وأما قول المتنبي في هذه القصيدة يخاطب ابن طغج

وقيل عدوتُ على العالمين بين ولادي وبين القُعُودِ
فمالكَ تقبلُ زورَ الكلامِ وقدرُ الشهادة قدر الشُّهودِ
فلا تسمعنَّ من الكاشحين ولا تعبأنَّ (بمحِك اليهودِ)
وكنْ فارقاً بين دعوى (أردتُ) ودعوى (فعلتُ) بشاوٍ بعيدِ

فقد ذكر في البيت الاول أنه وهو رضيع لم تتم له القوة على الاستمساك في مَهده ، كان قد اتُّهم بالخروج على السلطان ، وهذا لم يحدث ولا شك ، وإنما هو إشارة لما كتبنا عنه في نسبه من النكبة التي حلّت به وبجدته من نفي النسب العلوي الشريف عنه ، ومراقبة العلويين لجدته خوف أن يبدر منها ما لايحبون ، فحمل صاحبنا تلك المراقبة لنفسه — إذ لم يعدوا بها ذلك إلاّ من أجل نسبته هو إلى العلويين . والبيت الثاني استعارةٌ لابن طغج إذ كان من أعداء العلويين في غير علانية ، وكان من أنصار العباسية فهو يقول له : مالي أراك تقبل فيّ قول أعدائك وأعداء موليك العباسيين ، وكان أولى بك أن تزن أقوالهم بما تزنهم به (فقدر الشهادة قدر الشهودِ)، فلا تسمع لهؤلاء الذين يضمرون العداوة(الكاشحين) . ثم وصل كلامهُ عن العلويين بذكر العلويين الفاطميين فقال (ولا تعبأنّ بمحِك[1] اليهود) ، ومحِك اليهودِ كنايةٌ عن أحد دعاة الفاطميين الذين كانوا هناك بالشام . وتأويل ذلك أن العباسيين وكثيراً غيرهم حتى من العلويين أ نفسهم

(١) قد سار الشراح في تفسير الكلمة ، وقلبوها على وجوه كثيرة لا تصح ، وهذا هو الوجه عندنا وهو الصواب إن شاء الله

(كبني حمدان) كانوا لا يعترفون بنسبة الفاطميين ويزعمون أن جدهم كان يهودياً ، وأسلم ليدخل على الاسلام فاسد العقائد نكاية . وآسدهم على ذلك أن الدعوة الفاطمية كانت دعوة سرية لها أصول خاصة ودرجات مرتبة ، من درجة الطلبة إلى درجة داعي الدعاة ، ولكل درجة من الدرجات تعليم خاص ، ومرتبة معروفة مقيدة . فقول المتنبي (عجل اليهود) إشارة إلى ذلك

ولا أنسى هنا أن أعود بالقارىء إلى بيت من أبيات مضت في ذكر التنوخي وهو قول المتنبي يذكر التنوخيين

« أليس عجيباً أن بين بني أب لنجل يهودي تدب العقارب »

وقد تبين لنا بعد البحث في تواريخ العلويين أن بعض الدعاة الفاطميين كان قد دخل اللاذقية (وهي من منازل تنوخ) وأدخل قسماً من التنوخيين في الدعوة الفاطمية وبذلك افترق التنوخيون فرقتين ، فرقة العلويين او الشيعة وفرقة الفاطميين ، وهذه الاخيرة هي التي خرج منها الدروز وهم تنوخيون وفريق الدروز يتهمون من قديم بعبادة (العجل) ، وقد بين ذلك كثير من الباحثين والله اعلم بحقيقة امرهم ، ولعل هذا هو السر في قول ابي الطيب (عجل اليهود) يشير بذلك الى الفاطميين ، وفي قوله (نجل يهودي) يريد داعي الفاطميين الذي قسم التنوخيين ، وضرب الاخوة بعضهم ببعض وأما قوله :

وكن فارقاً بين دعوى (أردت) ودعوى (فعلت) بشأو بعيد

فهو عندنا من الادلة في ان الامر الذي قبض على المتنبي من اجله لم يكن النبوة ، وانما هو الخروج على السلطان ، وانت اذا قست الدعويين « دعوى (اردت) ، ودعوى (فعلت) » على معنى النبوة لم يتم لك تساوق المعاني على ذلك ، وتم لك في معنى الخروج على السلطان هذا التساوق ، إذ ان ارادة الخروج شيء ، والفعل الذي يسمى به الرجل (خارجاً) شيء آخر ...

والظاهر عندنا أن السبب في اطلاق المتنبي من السجن لم يكن هذه القصيدة وحدها ، بل السبب البالغ في هذا الرضى عنه فيما نرجح ان بعض التنوخيين العلويين (غير الفاطميين) كانوا قد سعوا عند ابن طغج لاطلاق المتنبي ، وذلك لصلتهم ببني حمدان واتفاقهم معهم في المذهب (العلوية) ، وأظهروا لابن طغج موالاتهم فرضي منهم بهذا وأكرمهم بإطلاقه [١] ، وبعض العلويين الكوفيين سعوا من ناحية اخرى لدى الوالي ان لا يطلقه فأرضاهم بأن يأخذ عليه وثيقة تثبت بطلان دعواه في النسبة الى الشجرة العلوية الشريفة المكرمة . والذي حدانا على ان

١) ولا بأس أيضاً في ان نذكر ان (ابن عدي) وهو مولى سيف الدولة الذي كان يلي ثغور الشام ، كان لهم شأن في ذلك ، وارضاهم ابن طغج بما يخشى من انتقاضهم عليه لانه لم يمض لهم الرضى في رجل قبض عليه عامله في ارضهم وكان في جوارهم

لعل ذلك من امر التوخيين ان المتنبي بعد خروجه من السجن مدح التوخيين واختص لهم ونزل عندهم ثم رجع الى الكوفة وبقي بها مدة ، فلما عاد في سنة ٣٢٦ رجع اليهم وبقي عندهم ومدحهم ايضاً وأجاد في مدحه لهم اجادة بينة ظاهرة ، وقد كان هذا المقرب ألوفاً كما وصف نفسه وكان يأسره الاحسان ويملك على امره كثيراً ، وقد ظهر هذا الخلق في روعة المثل الذي ضربه يوماً ما فيما بعد وهو قوله « ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا »

***

وقد اكثر الكتاب من الاستشهاد بحادثة حبس المتنبي وما كان منه فيه ، وزعموا انه كان متكبراً احمق الرأي ضعيف الارادة ، فدعته كبرياؤه أوّل أول الى الاستهداف للسجن ، ثم رجع فذلّ وانقاد واستخذى في قصيدته الاخيرة ، وليس هذا لنا برأي ، فان الابيات البائية التي ذكرناها لا تدلّ على ضعف وانما كان كما روينا لك مرهف الحسّ شاعر النفس ، فلما بلغ جدته خبر حبسه كتبت اليه ، وذكرته بما حل وهو بدار غربة ، وعذلته على ما كان منه وشكت اليه ألمها ، وكشفت له عن ذي قلبها ، فرقّ وبكى وكتب الابيات الاربعة على اثر ذلك وطبع عليها قلبه وحنانه ورقته ، لا ضعفه واستخذاؤه ، ويكفي في الدلالة على بطلان رأيهم انه جعل البيت الرابع مهاجمةً لجميع من ادّعى عليه واراد حبسه ، وهجاء بليغاً لهم ، وليس هذا من الحكمة، ان كان ممن يستخذي ويضعف . وذلك حيث يقول .

« عاتب عاتبي لديك ، ومنه حلقت في ذوي العيوب العيوب »

ثم لما كتب قصيدته الاخرى الدالية ذكر ابياتاً يزعمون انها تدلّ على مذهبهم في تقلّب الرجل وهي قوله

أمالك رقي ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما براني البلاء وأوهن رجليّ ثقل الحديد
وقد كان مشيهما في النعال فقد صار مشيهما في القيود

ونحن لا نرى في هذه الابيات شيئاً لانه انما اراد — كما قلنا — ان يترفق لفرصه بالحيلة ، حتى يخلص من السجن ، اذ وجد ان لا جدوى عليه من الصبر على السجن الذي يضيع الامل في تحقيق ما يريد من الانتقام من هؤلاء الذين مثلوا به ما فعلوا . والذي يدل على انه لا يقسو في الصمات هذه القسوة التي ابرزها المتنبي في اباته بعد — إذ وصف من كانوا معه في السجن متهكماً ساخراً على عادته فقال

وكنت من الناس في محفل فها انا في محفل من قرود

ثم يخاطب ابن طغج مخاطبة الند فيسأله على وجه التقريع واللوم فيقول « فمالك تقبل زور الكلام ؟ » ثم ينهاه ناصحاً ومحذراً فيقول « فلا تسمعن من الكاشحين » ثم يأمره على وجه التعليم والتنبيه بقوله « وكن فارقاً » فهذا مذهب تعليمي في الامر، ينطوي على تبصير الامير — الذي يزعمونه يدلّ له — بوجه الصواب من الرأي في التفريق بين النحويين، وتذكير له بانه اخطأ خطأً كبيراً بترك التحقق من اصل الدعوى التي اقيمت عليه وتطبيقها على ما كان منه حقيقةً، ولو كان فعل ذلك لبطل عند الامير ما يدّعون عليه، وهذا كما ترى فيه سوء التجهيل للامير ولا نظنّ ابن طغج كان يخطئه إدراك هذا البيان البين في شعر المتنبي، ومع ذلك فقد أعماه من عموة اللسان وأطلقه اكراماً للتوخيين فيا ذهبنا اليه، وما كان من مدحه له في القصيدة مدحاً لم يظفرْ بمثله من شاعر مثل المتنبي الشاعر البليغ العربي الشريف

فهذا كما ترى سياقٌ تاريخيٌّ لا بأس به — إن رأيت ذلك — في أمر القبض على أبي الطيب ولا ذكر فيه النبوّة، ولا يمكن أن يكون قبضَ عليه لهذا الهراء الذي يزعمون، وسنتم بعد أن الخالع حدثنا عن أبي الحسين الناشئ الشاعر أنه قال: « كنت بالكوفة في سنة ٣٢٥ وأنا أملي شعري في المسجد الجامع بها، والناس يكتبونه عني، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر معهم وهو بعد لم يعرف ولم يلقَّب بالمتنبي . . . . » وهذا دليل على أن القبضَ عليه في سنة ٣٢١ لم يكن للنبوة إذ لو كان ذلك كذلك، لتماله الناس بالكوفة التي نشأ بها، ولأشار إلى ذلك الناشئ، وكلام الناشئ يدلُّ على أن ذلك لقب شهر به الرجل، ولم يكن بسبب هذه النكبة التي أصيب بها في سنة ٣٢١، أو الحدث الذي أحدثه في تلك السنة

وهناك سياقٌ آخر للتدليل على بطلان هذا الافتراء الذي رمي به الرجل، لمستنبطه من الاسلوب الشعريّ أولاً، ومن الحالات النفسية القائمة في شعره ثانياً، ومن الاصول التاريخية في أمر المتنبئين في ذلك العهد أخيراً، ورأينا أن نصبر ذلك ولا نطيل به حتى نظهره في كتابنا — إن شاء الله — عن المتنبي، وبالله التوفيق[١]

أما هذا اللقب الذي نبز به أبو الطيب وعرف به إلى اليوم، فليس مرجعه إلى هذا الخروج الذي كان منه في بني عدي، فقبض عليه، وألقي في السجن من جرائه، بل له عندنا مساقٌ آخر هو أقرب إلى الصدق وأولى بالاعتبار

(١) اعلم انما تركنا أشياء في هذا الحدث من رحلته وحبسه ما قال من شعر في مدح رجال لقيهم في طريقه للبلاد التي رحل، اذ ليس يصبر هنا اغفال ذلك حتى حين، ولكن شيئاً لم يكن يتسع هذا العدد من المقتطف لما نريد وما نؤمل من استيفاء ترجمة الرجل على الوجه الذي نرتضيه ، ونقر عيننا به

كان أبو الطيب من أول أمره متورعاً في حلمه لا يخرج من حدود الوقار، مترمتاً لا يلين للشهوات ولا يلقي لها مقاده، مترفعاً عن سفاسف الاخلاق، متمسكاً بمعاليها، آخذاً نفسه بالجد الذي لا يعتريه، وكان لا يقرب المآثم ولا يدانيها، « فما كذب ولا زنا ولا لاط » ولا أتى أمراً منكراً يؤخذ عليه، أو يزرى به، واستمر على ذلك حياته كلها، وخالف الادباء والشعراء من أهل عصره، فما شرب الخمر ولا حل وروعها، ولولا اضطراره فيما نرى لما حضر مجالسها، وكان منصرفاً إلى العلم قارئاً له ومتعمقاً لدقائقه، طويل النظر والتدبر فيما يمر به من أحداث الزمان كثير الاهتمام بأمر الامة التي هو منها، لا يعوزه فكر ينتقده او حمق يستسقطه، وكان اهل العصر على خلاف له في ذلك وخاصة من انتسب الى الادب، واعتزى الى الشعر، فكان الادباء والشعراء أهل شراب ومعاقرة ولهو وهزل وباطل، لا يفزعون الى الجد الا اعتذاراً ولا يتورعون عن دنية الا مكرهين على الورع. فلا عجب إذا عده أهل صناعته من الادباء والشعراء غريباً بينهم

وكان المتنبي في اول شعره يكثر من ذكر الانبياء ويردد اسماءهم ويشبه نفسه بهم، وينسب اخلاق ممدوحيه الى أخلاقهم فمن ذلك قوله في نفسه

ما مقامي بأرض نخلة الا (كمقام المسيح بين اليهود)

وقوله في القصيدة نفسها

ان أكن معجباً فعجب عجيب (لم يجد فوق نفسه من مزيد)
أنا ترب الندى ورب القوافي وسمام العدى وغيظ الحسود
أنا في أمة — تداركها الله — (غريب كصالح في ثمود)[1]

وقوله

« أنا الذي بيّن الاله به الـ أقدار والمرء حيثما جعله »

فشبه نفسه بالانبياء والرسل الذي ارسلهم الله ليكونوا شهداء على الناس

وقوله في رثاء التنوخي (محمد بن اسحق)

وكأنما (عيسى بن مريم) ذكره وكأن (عازر) شخصه المقبور

وكان ايضاً كثير الانذار للملوك والامراء بعذاب شديد سيأتيهم من قبله كقوله

ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً ومن عصى من ملوك العرب والعجم
فان اجابوا فما قصدي بها لهم وان تولوا فما أرضى لها بهم

(١) يروى ابن جني أن المتنبي قال : لقبت بالمتنبي بهذا البيت

فهذه امثلة مما تأثر في شعره من هذه المعاني ، وأنت إذا تفقدت ديوانه وجدت في معانيه المعاني التي تنبئ بالغيب كقوله في بدر بن عمار

لو كان علمك بالاله مقسماً في الناس ما بعث الإله رسولا
لو كان لفظك فيهم ما أنزل الـــفرقان والتوراة والانجيلا

ولا نطيل بذكر الشواهد في ذلك فهذا امر متعالم مشهور

وعندنا ان ابا الطيب لما عاد من الكوفة سنة ٣٢٦ واتصل سببه ببدر بن عمار ولزمه ، وعلا عنده ، واصاب كرامة لم يصب مثلها من قبل ، تناوشه الشعراء إذ حاقوه على ارزاقهم ، وطفقوا ينتقصون الرجل ويطلبون له العيوب ، واغراهم بذلك ما وجدوا من ترفعه عن مجالس لهوهم ، وانصرافه عن الهزل الذي يكونون فيه ، وظنوا به الكبر ، فاخذوا يذكرون شعره ويتنادرون به ، فلما وقفوا على كثرة دوران اسماء الانبياء في هذا الشعر ، وتشبيهه نفسه بهم ، وما هو فيه من التعفف والتورع . أرادوا له لقباً ينبزونه به ، فلقبوه (المتنبي) يريدون المتشبه بالانبياء ، واخذوا يذكرونه بهذا الاسم . ويتداولونه بينهم ثم استفاضت شهرته به لما اتصل بأبي العشائر سنة ٣٣٦ وصار لا يُذكر الا به

وقد رأيت قبل ان القبض عليه كان سنة ٣٢٢ وان التانيء قال ان ابا الطيب كان يحضر عليه سنة ٣٢٥ بالكوفة « وهو صبي لم يعرف ، ولم يلقب بالمتنبي » فتلقيبه بالمتنبي كان بعد سنة ٣٢٥ ولا شك كما رأيت ، وبذلك ينتفي أن يكون قد حبس من أجل دعوى النبوة . فلما علا امر المتنبي وظهر ، وخشي من خشي من العلويين ومن اليهم احدثوا من هذا النبز (المتنبي) — الذي قصد به التشبه بالانبياء في الخلق ، والوعيد والانذار ، وتشبيه نفسه بهم في شعره — قصة مخترعة عن نبوة زعموا ان الرجل ادعاها ، واعانهم على صوغها ما كان من امر نفسه حين اراد اظهار نسبته الى الشجرة العلوية المكرمة . فكانت هذه القصص التي قصصناها واظهرنا بطلانها



أبنيَّ أبينا ، نحن أهل منازلٍ
أبداً غرابُ البينِ فيها ينعقُ
نبكي على الدنيا وما من معشرٍ
جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
والمرء يأمل ، والحياةُ شهيةٌ ،
والشيبُ أوقرُ ، والشبيبة أنزقُ
ولقد بكيتُ على الشباب ، ولمّتي
مسودّةٌ ، ولماء وجهيَ رونق

خرج ابو الطيب رحمه الله من سجنه وشقائه وعذابه مستمر النفس ، مكتهل العقل بعد تجارب احداث الزمان ، وما ابتلي به من النكبات التي عرفته في سجنه ، وما كيد به من أعدائه ، فانطوى على ما به غير جازع ولا شاكٍ ولا مستسلم ، وابتسم للدنيا وهو مضمر السخط عليها « ولكنه غيظ الاسير على القد[1] » ، وكان يمثل في نفسه بما قال بعد

هوّن على بصرٍ ما شقّ منظره   فإنما يقظاتُ العين كالحلمِ
ولا تشكَّ الى خلق فتشمته   شكوى الجريح الى الغربان والرخمِ
وكن على حذر للناس تستره   ولا يغرّك منهم ثغر مبتسمِ

وإن صحّ ما رأيناه في ترتيب شعره ، وما قلناه من ان التنوخيين كانوا قد سعوا لدى ابن طغج في اطلاقه من سجنه ، فقد خرج ناقما من السجن ولحق بالتنوخيين باللاذقية وأقام عندهم وفي جوارهم ، وكانت صلته وثيقة بأبناء اسحق التنوخي (محمد والحسين) فلما مات محمد رثاه ، وقد قدمنا طرفاً من ذكر ما ورد في رثائه هذا الرجل وبين في شعره الذي رثاه به ما كان يضمر له من الحب ، وما بقي له به من حسن صحبته عنده . وأخلص بعد موت (محمد) الوفاء والمودةَ لاخيه (الحسين بن اسحق) ، ولكن صاحبنا لم يسلم هناك من الاعداء — اعدائه من العلويين والفاطميين والعباسيين فقد نظم بعض شعرائهم قصيدة في هجاء الحسين بن اسحق وعزاها الى ابي الطيب ، فكتب الحسين الى أبي الطيب يعاتبه ، فرد عليه جواب كتابه بأبيات يقول فيها يعاتبه على تصديقه ما بلغه

(١) هو البيت وأوله « وغيظ على الايام كالنار في الحشا » . والقد القيد من الجلد

تطيع الحاسدين وأنت مرءٌ — جعلت فداءه — وهم فدائي
وهاجي نفسه من لا يميّز — كلامي من كلامهم الهراء
وإن من العجائب أن تراني — فتعدل بي أقل من الهباء
وتنكر موتهم وأنا سهيلٌ — طلعت بموت أولاد الزناء

ونحن نرى ان المتنبي اقام قليلاً في جوار الحسين ثم وافاه كتابٌ من جدته، وقد كان بلغها خبر انطلاقه من السجن، تبثه شوقها، وتشكو له بثها وحزنها وتبرم عليه في الرحلة اليها، وتذكر له ما كان من امرها مع العلويين بالكوفة، وانها ارضتهم، واخذت على نفسها العهد ان يقلع ولدها عما تورّط فيه من ارادة اظهار نسبه، وبينت له مغبة ما ينوي من ذلك، ووعظته بما اصابه من قبل في سجنه، واحرجته في الحضور اليها، فلم يجد قلب أبي الطيب بدًّا من الطاعة، وكتم عزمه عن الحسين بن اسحق التنوخي، ولكن عزمه لم يخف على صاحبه، فاراده على المكث، فأبدى ابو الطيب رأيه بالموافقة وأضمر الخلاف والرحلة عن اللاذقية الى الكوفة . . . وقد اشار الى ذلك في مدحه اذ يقول معرضاً بعزيمة البقاء ليصرف التنوخي من ان يفوته

لك الخير، غيري رام من غيرك الغنى، — وغيري بغير (اللاذقية) لاحقُ
هي الغرض الاقصى، ورؤيتك المنى، — ومنزلك الدنيا، وأنت الخلائقُ

واتخذ صاحبنا الليل جملاً — كما قالوا — وانحدر الى الكوفة، وقد امتلأت نفسه بأحقاده وآلامه وآماله. وسار من بادية الى مدينة، ومن مدينة الى بادية، ينظر الى الفتن التي مزقت امته وبددت جدتها، وما داخلها من الاعتلال والتفكك، وما اصاب اخلاقها من السقوط والتسفل، وما عملت الدعوات السرية في نقض مجدها، وتمزيق كلها حتى فشلوا وذهبت ريحهم

وكانت هذه الفترة من حياة الرجل، فترة نظر وبصر وتجربة، وأوان تردد لا يدري ما هو فاعل ولا ما الله فاعل به. فقد رمى بنفسه الى الكوفة على غير مرضاة لجدته لا رغبة منها في دخولها، واخذته الوساوس فيما يراد به هناك بعد الذي كان منه بالشام من ارادته اظهار نسبته العلوية. وكان الثأر يطالبه على ترك النية والعودة إلى الشام، لولا ما يخاف على جدته من سوء فعله. فدخل الكوفة بهمه واحقاده وآلامه سنة ٣٢٣ أو في اواخرها على الارجح، فلما استقر بها رأى ورأت جدته إن ثورته ليست مما يجدي عليه شيئاً ثمّ، فانصرف الى مجالس الكوفة ومساجدها يشغل بطالب العلم نفسه عما يساورها ويهوّسها، وكان لانصرافه هذا واقباله على شيوخ الادب والدين والفلسفة وغيرها من علوم العصر اثراً كبيراً في تهذيب نهجه الشعري، واستمدّ بهدأة العلم قوة اخرى على الثورة والتقلقل بدت في شعره بعد خروجه من الكوفة

رائحة مدويّة كأنما انفجرت في لسانه أحجار البركان في زلازل الارض

وكان المتنبي لسنته تلك (سنة ٣٢٣) عزباً لا يأوي الى سكن من النساء ، ولعلّ جدّته رأت ان تهدىء منه قليلاً بالزواج فزوّجته على غير رغبة منه قريباً من سنة ٣٢٥ قبل خروجه من الكوفة ، وذلك لان المتنبي بعد مرجعه إلى الشام سنة ٣٢٦ ذكر لاول مرّة في شعره (الابوّة) . فما عرفناه من خلق أبي الطيب أنه كان إذا نزل به أمرٌ أو حدثَ في حياته حديد فسرعان ما يتلجلج ذلك في صدره ولا يستقرُّ حتى يشير اليه من شعره ، لكثرةِ من تلد الحوادث في شاعرية هذا الرجل من المعاني والآراء ... قال أبو الطيب في قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد ابن عمران قريباً من سنة ٣٣٢ يذكر المرأة

وترى — المروّةَ والفتوّةَ والابوّ ةَ فيَّ — كلُّ مليحةٍ ضرّاتها
هنّ الثلاث المانعاتي لذّتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

ولعلّ ولده هذا الذي ذكره في قوله (الابوة) هو (محسّدٌ) الذي ورد ذكره في خبر مرويّ وهو بواسط سنة ٣٥٤ وفيه أنه أحضر شعراً أنشده ، وورد ذكره أيضاً في مقتل المتنبي وأنه قتل معه . فلو فرضنا أنه قتل وهو في الثلاثين من عمره أو قبل لكان هذا التاريخ الذي حدّدناه لزواج المتنبي هو أقرب إلى الصواب إن شاء الله

وقد كان قرب المتنبي من جدّته الحازمة في الكوفة ، وتزوّده من العلم هناك ، مما ملأه حكمة جديدة بدأت تستعلن في شعره الذي قاله بعد . هذا على انه — مقامه بالكوفة — لم يمدح أحداً ولم يتعرض بشعره لمعروف ولا لمنكر، على كثرة الاحداث التي كانت في تلك السنوات ، وعلى شدة ما لقي من العنت وهو بين أظهر أعدائه أو أصحاب ثأره ، ولكنه كان متململاً من مقامه ، مضطرباً في عيشه . وكان أثر هذا التململ والاضطراب في نفسه المستحصدة القادرة على الكتمان والاتزان في بعض الاحايين — أن طفق يولّد هذا الشاعر معاني شعره ويختار لها ألفاظها وينتقي عباراتها ، مدقّقاً ممحصاً مفتّشاً عن الكلام الموجز الذي يستطيع أن يعصر فيه ما يجيش في صدره ، ويتسع في نفسه ، حتى استوى على طريقةٍ ممتدة من الاصول الشعرية التي بيناها في أول كلامنا إلى الغاية التي كان يرمي اليها ، ولذلك اختلف نهجه في الشعر الذي قاله بعد خروجه من الكوفة عن نهجه الاول اختلافاً بيّناً، ولكنه لم ينقطع من الاستمداد من الاصل الاول الذي هو الطبيعة القائمة في النفس، والتي لا تتغير في أصلها وإن تغيرت في الصورة والصُّنع ومذهب البلاغة والافصاح

هذا وما من شكّ في أن الرواية عن هذه الفترة من حياة الرجل لم تأتنا بحديث يلم به من امر ابي الطيب كثير ولا قليل . الاّ ما حدثناك به من انه كان يحضر مجلس الناشيء بالمسجد الجامع

بالكوفة سنة ٣٢٥ ليسمع منه شعره ويكتبه مع الكاتبين وكان لم يعرف بعد ولم يلقب بالمتنبي . الا ان صاحبنا في رثاء جدته سنة ٣٣٥ قد أفصح عن النسب في مراقه الكوفة في هذه المرة بعض الافصاح ، وعرّض بأشياء كانت وقعت له هناك فقال[1]

ولو لم تكوني بنت أكرم والدٍ … لكان أباك الضخمَ كونُك لي أمّا
لئن لذّ يوم الشامتين بيومها … لقد ولدتْ مني لأنفهمُ رغمَا
(تغرَّبَ لا مستعظماً غير نفسه … ولا قابلاً الاّ لخالقه حكمَا)
(ولا سالكاً الاَّ فؤاد عجاجةٍ … ولا واجداً الاَّ لمكرمةٍ طعمَا)
(يقولون لي ما أنت في كل بلدة!! … وما تبتغي ? ما أبتغي جلّ أن يُسمّى)
كأن بنيهم عالمون بأنني[2] … جَلوبٌ اليهم من معادنه اليتمَا
وما الجمع بين الماء والنار في يدي … بأصعب من أن أجمع الجدّ والفهمَا
(ولكنني مستنصرٌ بذُبابه … ومرتكبٌ في كل حالٍ به الغشمَا)
(وجاعله يوم اللقاء تحيتي … والاَّ فلست السيد البطل القرْما)
إذا فلّ عزمي عن مدًى خوفُ بعده … فأبعد شيءٍ ممكنٌ لم يجد عزمَا
(وإني لمن قوم كأن نفوسهم … بها أنفٌ أن تسكن اللحم والعظمَا)
(كذا أنا يا دنيا إذا شئتِ فاذهبي … ويا نفس زيدي في كرائهها قُدُمَا)
(فلا عبرت بي ساعةٌ لا تعزّني … ولا صحبتني مهجةٌ تقبل الظلمَا)

قد بينا لك أولاً أن أبا الطيب بقوله لجدته في القصيدة « هبيني أخذت الثأر فيك من العدى » وقوله « لئن لذّ يوم الشامتين بيومها » — إنما أراد (بالعدى) و (الشامتين) العلويين الذين أخفوا عنه نسبه — فيما دعتنا اليه — ونفوه الانتماء للدوحة العلوية المباركة ، فإذا تقرر عندك هذا وارتضيته ، وجدت أن قوله بعد ذلك

(تغرّبَ لا مستعظماً غير نفسه … ولا قابلاً الاّ لخالقه حكمَا)

يدلّ على ان هؤلاء العدى والشامتين بجدّته ، والذين منعوه من دخول الكوفة حين قصدها قبل وفاة جدته سنة ٣٣٥ — كانوا في تلك السنة التي فارق فيها الكوفة (٣٢٥) أو أوائل سنة ٣٢٦ قد أرادوه على خطّة خسف فأبى أبو الطيب ان يركبها ، وشمخ بنفسه ان يذلّ لاحد

(١) قد آثرنا أن ننقل تلك الأبيات جنباً في نظامها لتقرأها متدبراً من نفس الشاعر وشعره ، الذي استنطقنا منه ما أوردناه هنا ، وفي نفسه هذه مما يتخذ دليلا على صحة ما نقول به

(٢) قوله (كأن بنيهم) دليل على أنه يريد قوماً بأعيانهم ، ولولا ذلك لقال (كأن بنيها) يرجع الضمير الى الدنيا يعني الناس جميعاً كما قال بعد (كذا أنا يا دنيا) وهذا أسلوب من أساليب أبي الطيب في الاشارة او التعريض في شعره والتي لا يريد التصريح بها وإنما يجعلها اشارة لمن يريد افهامهم غرضه

من الناس ، او ان يقبل له حكماً يريد ان يجريه عليه وفيه المذلّة والهوان وإهدار الكرامة ، وإسقاط الفتوّة والمروءة ، وآثر ان يخرج عن الكوفة مراغماً لهم ، متحملاً آلام الغربة على الهوان في الوطن

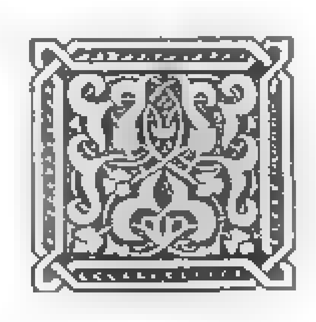
ويبين من الشعر انهم كانوا يستضعفونه ، ويسفهون رأيه في ركوب الفلوات ، وتنقله بين البلدان بقولهم «ما انت في كل بلدة؟» وقولهم «ما تبتغي؟» عما يريد من فراق الكوفة ، تدرّع الارض من بلد الى بلد . فكان جوابه ان ما يبتغيه اجل من ان يسميه لهم ، ثم استدرك على ذلك فزعم انهم انما يسألونه ويلحون عليه في استخراج ذات نفسه ومضمرها لخوفهم منه ، وانهم يعلمون أنه سيأتيهم بالدهر الذي يترك صغارهم ايتاماً ونساءهم ثكالى . وقد ابان في انذاره لهم بعد كما ترى في الابيات ، ورهّبهم مما يكون منه ، وذكّرهم بقومه ومحتدهم وحريتهم وقلة مبالاتهم بالمهالك طبيعة قائمة فيهم حتى ان نفوسهم لتكاد تكره البقاء في ابدانهم لما فيهم من الحرية والشرف

ثم افصح المتنبي عن الذي ارادوه به في قوله

فلا عبرتْ بي ساعةٌ لا تعزّني ولا صحبتني مهجةٌ تقبل الظُلْما

فكأن الذي كان منهم كان وصماً من عزة نفسه ومهانة لها ، وانهم كانوا يريدون ان ينزلوا به ظلماً بيّناً لا يقرّ عليه حرٌّ ، ونعتقد انهم ارادوا أن يرضوه بضيعة من المال تكون عليهم كالجزية له يأخذها منهم كلما حال الحول ، على ان يبقى بالكوفة ، ويرضى بما يريدون منه غير مخالف لهم ولا مظهر لهم عداوة ، وان شاء ان يمدحهم بشعره فعل ، وله عليهم ان يعطوه في مديحه لهم مثل الذي يحظى به من غيرهم اذا مدحه ، وكبر على أبي الطيب ان يرشى بالمال حتى يسكت عنهم ، ويقرّ على ظلمهم له وحيفهم اياه ، وفي الارض سعة ومُراد لمن شاء ان يكون عزيزاً مكرّماً

وخرج صاحبنا من الكوفة قاصداً الشام مرّة اخرى ، ونزل على عليّ بن ابراهيم التنوخي



واحتمالُ الأذى — ورؤيةُ جانيـ
ـهِ غذاءٌ تَضوَى به الأجسامُ

ذلَّ من يغبطُ الذليلَ بعيشٍ
رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمامُ

من يَهُنْ يسهلِ الهوانُ عليه
ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

أقراراً ألذُّ فوق شرارٍ؟!
ومَراماً أبغي وظلمي يُرامُ؟!

كان شعر أبي الطيب في أول أمره كما حدثناك قد اختلط بألفاظ لا تستقر في الشعر، وقعت إليه من ألفاظ المتكلمين والمتفلسفة وأصحاب المنطق وأهل الجدل في الملل والنحل وغير ذلك، وكان أسلوبه يجري على طريقة هؤلاء في التوجيه والتقسيم، ثم في توليد المعاني الشعرية على طريقة أهل العصر في توليد معاني الجدل والاحتجاج لإرادة الفلج في الخصومة لا تقرير الحق في القضاء والحكومة، وأتاه ذلك من قوة حافظته وكثرة دوران هذه العلوم في فكره، واشتغاله بالنظر فيها نظر المحقق المفكر، إلا أن تفكيره لم يكن خاصاً لهذه العلوم، بل كان في عقله الذي يفكر به، فكر الشاعر الذي يتسع بالعلوم ويمد بها وبين طبيعته الشعرية أسباباً من الخيال. ولما عاد إلى الكوفة سنة ٣٢٣ وهي مقر كثير من أئمة اللغة والأدب والشعر، ولزم مجالسهم سنتين أو أشفّ قليلاً، عملت هذه المجالس في تهذيب علمه الذي وقع عليه في الصغر، وعملت طبيعته الشعرية في هذه العلوم عملها، وكان له من الفراغ ما يكفيه للتفكير والاتساع في النظر والترجيح والتعديل بين علمه وبين طبيعته، ثم كان له من توقد ذهنه، واشتمال قوى نفسه الملتهبة باعتقادها وآلامها، ما يحمله على استخراج روائع المعاني التي توافق همه وألمه، وتوليد الآيات البيانية التي تتصل بما في قلبه وفكره، واجتباء العبارة التي تكون في إيجازها بمنزلة الرمز لما يدور في نفسه في المعاني المطولة

والآن وقد رجع صاحبنا إلى الشام في جوار علي بن إبراهيم التنوخي سنة ٣٢٦ كان أول ما قال هذا الشعر الذي أوجزنا لك في صفته، دالاً على مذهبه الجديد، وعلى تدرُّج حالته النفسية تدرجاً متوالياً متقاسماً . . . يقول

أفكر في معاقرة المنايا … وقود الخيل مشرفة الهوادي
(زعيم للقنا الخطي عزمي … بسفك دم الحواضر والبوادي)
(الى كم ذا التخلف والتواني … وكم هذا التمادي في التمادي !)
وشغل النفس عن طلب المعالي … ببيع الشعر في سوق الكساد !)
وما ماضي الشباب بمسترد … ولا يوم يمر بمستعاد
متى لحظت بياض الشيب عيني … فقد وجدته منها في السواد
متى ما ازددت من بعد التناهي … فقد وقع انتقاصي في ازديادي

ثم يقول . . . بعد

(وما الحسب الطريف وإن تقوّى … بمنتصر من الكرم التلاد)
(فلا تغررك ألسنة موالٍ … تقلبهنّ أفئدةُ أعادي)
(وكن كالموت لا يرثي لباكٍ … بكى منه ، ويروى وهو صادي)
فإن الجرح ينفر[1] بعد حين … إذا كان البناء على فساد
وإن الماء يجري من جماد … وإن النار تخرج من زناد

. . . . .

(أشرت أبا الحسين بمدح قوم … نزلت بهم فسرت بغير زاد)
وظنوني مدحتهم قديماً … وأنت بما مدحتهم مرادي
(وإني عنك بعد غدٍ لغادٍ … وقلبي عن فنائك غير غاد)
محبك حيثما اتجهت ركابي … وضيفك حيث كنت من البلاد

كان شعر صاحبنا في هذا الباب من القول — الى ما قبل هذه القصيدة شعراً قريباً لم تستخرجه فكرة عاتية متوزعة لأحداث الزمن ، ولا نظرة عزيزة نافذة في صميم أخلاق الناس ، ولم يكن يريد على الدلالة على ما في نفس الفتى من السمو ، وما في قلبه من كرم منتشر ، وما تبدي طبيعته الفتية من أصول الرجولة المستحكمة في طبعه وغريزته ، وما علا صدره من أسباب الحقد وطلب الثأر ، وما يكشف عن بغيته في إحداث حدث عظيم يجلب فيه على أعدائه بخيله وسيوفه حتى يديل لها من (دولة الخدم) الذين ملكوا على الناس أمرهم ، وصرّفوهم في أهوائهم ، فذلك قوله في صباه . . . .[2]

(١) نفر الجرح بالنون (كمنع) إذا انتفخ وسال منه الدم فقال جرح نفر على البناء ، وفي رواية (يغفر) بالغين يراد بها ثورته والذي اثبته أجود معنى

(٢) نعمد بجمع هذا الشعر هنا ان ننظر منه بما يعيننا عن الاطالة في تفصيل الفروق بينه وبين شعره الذي قاله بعد خروجه من سجنه سنة ٣٢٦

عش عزيزاً أو مت وأنت كريمٌ بين طعن القنا وخفق البنودِ
(فرؤوس الرماح أذهب للغيـــظ ، وأشفى لغلّ صدر الحقودِ
فاطلب العزّ في لظى ، ودع الذل ولو كان في جنان الخلودِ
يقتل العاجز الجبان وقد يعجـــز عن قطع بخنق المولودِ
ويوقّى الفتى المِخشّ وقد خوّ ض في ماء لبّة الصنديدِ

وقوله

ومن يبغ ما أبغي من المجد والعلى تساوَ المحايي عنده والمقاتلُ
ألا ليست الحاجات الاّ نفوسكم وليس لنا الاّ السيوف وسائلُ
فما وردت روح امرىءٍ روحه له ولا صدرت عن باخل وهو باخلُ
غثاثة عيشي ان تغثّ كرامتي وليس بغثّ ان تغثّ المآكل

وقوله

ليس التعلل بالآمال من أربي ولا القناعة بالاقلال من شيمي
ولا اظن بنات الدهر تتركني حتى تسدّ عليها طرقها هممي
لمِ الليالي التي أخنت على جدتي برقة الحال ، واعذرني ولا تلمِ
أرى أناساً ، ومحصولي على غنم ، وذكر جود ، ومحصولي على الكلمِ
وربّ مالٍ فقيراً من مروءته لم يثر منها كما أثرى من العدمِ

الى آخر القصيدة . وقد مضت منها أبياتٌ

فتدبر النهجين في الشعر فضل تدبر تجد ما رسمنا لك واضحاً بيّناً ، وترَ أثر هذه الرحلة الى الكوفة على ما بينا لك آنفاً مستباناً غير خاف . فقد بدأ صاحبنا يفكّر بما اكتسب من تجربة وما أفاد من علم ، ويدسّ ما ألمّ به من الاحداث في شعره مسرعاً للمثل ، وصار ضارباً ببلاغته في مفصل الحكمة ، ونافذاً بألفاظه في مضمر اخلاق الناس حتى يكشف لك عنها الغطاء . فانظر الى قوله اولاً « ارى اناساً ومحصولي على غنم » من قوله بعد

فلا تغررك ألسنة موالٍ تقلّبهن أفئدة أعادي

فان الموضع الذي أخذ منه المعنيين واحد ، ولكنه كان في الاول قليلاً محصوراً غير شامل ، وكان في الآخر منهما حكماً شاملاً متراميا نافذاً الى اصل طبيعة الكذب في هؤلاء الناس ممتدة من ضمائرهم الى ألسنتهم ، والسرُّ كل السر في نسبة تحريك اللسان الذي يظهر المودة والولاء

الى الفؤاد الذي يضمر الغي والعدوان والكذب والنفاق [١]

هذا، وقد بدأ ايضاً يصف في شعره ما وصلت اليه الامة العربية، اذ ملكتها الموالي من الترك والديلم وغيرهم ممن كانوا اول امرهم بمنزلة العبيد، وذلك مما استمده في رحلته الى الكوفة، وما رآه في بلاد العربية ولم يحمل هذا مما يدور في نفسه، وما وقع له من المصائب والمكايد والحسد. يقول وهو يمدح علي بن ابراهيم التنوخي ايضاً حين نزل به سنة ٣٢٦ او كان ذلك في اول سنة ٣٢٧

(وانما الناس بالملوك وما — تفلح عرب ملوكها عجم)
(بكل ارض وطئتها امم — ترعى بعبد كأنها غنم)
يستخشن الخز حين يلمسه — وكان يبرى بظفره القلم
اني وان لمت حاسديّ فما — انكر اني عقوبة لهم
وكيف لا يحسد امرؤ علم — له على كل هامة قدم
يهابه ابسأ الرجال به — وتتقي حد سيفه البهم
(كفاني الذم انني رجل — اكرم مال ملكته الكرم)
يجني الغنى للئام — لو عقلوا — ما ليس يجني عليهم العدم
(هم لاموالهم ولسن لهم — والعار يبقى، والجرح يلتئم)

ثم قوله في سنة ٣٢٧ في مدح المغيث بن علي بن بشر العجلي

اذاقني زمني بلوى شرقت بها — لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا

الابيات . . . . وقوله له ايضاً

فؤاد ما تسليه المدام — (وعمر مثل ما تهب اللئام)
(ودهر ناسه ناس صغار — وان كانت لهم جثث ضخام)
وما انا منهم بالعيش فيهم — ولكن معدن الذهب الرغام
(ارانب، غير انهم ملوك، — مفتحة عيونهم، نيام)
(بأجسام يحر القتل فيها — وما اقرانها الا الطعام)

وأبياتاً اخرى . . . .

وكانت حكمة المتنبي وبلاغته في هذه الفترة آتية من قبل نظره في امر نفسه ودخيلها وحسها، وما يحيط بها وما يؤثر فيها، وكثير من كوامنها وعواطفها، وتمت مكرته على ذلك. وطفق يقلب الامور والاحداث في الدنيا كلها على امتداد حسه واتساع دائرة وهمته، فانفجر بين جنبيه ينبوع الكلام المتدفق، وفيه من قوته ورجولته، ومن بيانه وفصاحته، ومن ثأره وعداوته، ومن تهكمه

(١) - يكون تفسير هذه الاسرار الينا به واستخلاص حقائقه النفسية في كتابنا عن المتنبي ان شاء الله والتوفيق

وسحريته وخرج مديحه ايضاً عن منهجه الاول ، فصار أدق وأملع في اداء المعاني ، وتصوير الفكرة بالالفاظ المتقاربة ، وذهب من مديح معروف مقيد ضيق الى مديح لا يراد به الممدوح خاصة ، وانما يريد به أفكاره هو وبمن يحق له أن يمدحهم ، فوقع في كلامه المناسبة . والمبالغة في شعر أبي الطيب ليست كالمبالغة في شعر غيره من الشعراء ، فهو اذا ذكر الممدوح وبالغ في صفته إنما يعطي الشعر حق نفسه من أفكاره في عظمة الرجال الذين عدهم في زمنه ، وكان يود أن يمدحهم بهذا الشعر ويحفظ لهم فيه صورة حيَّة بالفظ الناطق البليغ

فانت ترى أن نبوغ المتنبي إنما بدأ يتجلى ويتكشف حين أرغمته همام نفسه على استيعاب مايحس به من العواطف المتباعدة والمتقاربة ، فكانت دراسة قلبه - ومعرفة دقائق مايجرُّ فيه من الآلام ، ثم المعاني التي تتولَّد من هذه الآلام — أصلاً من الاصول العظيمة في نبوغه ، ثم في طبع شعره بطابع لا يخفى على ناظر او متأمل ، ثم في هديه الى أن الشعر لا يكون شعراً الا حين يروى من معاني القلب ويستقي منها وهكذا كانت إجادة المتنبي بالغةً أقصى غاياتها في شعره الذي قاله في تصوير معاني الحرب ، وفي رسم صور الحرب ، وفيما كشف به عن ضميره الذي كان لحكومة الوغى بنارها ودمائها وقتلاها ، وقعقعة سلاحها ، وتداوي أصواتها ، والتماع أسنتها وحرابها ويستقر نبوغه أو أكثره على هذا الباب حتى كان اتصاله بسيف الدولة ، فبدأت هناك في قلبه معان أخرى (١) تفاسحت بها نفسه ورحبت فامتدت بلاغته وانبسط نبوغه على الحياة كلها فاخذ منها ثم عطى حكمةً باقية وبياناً خالداً . على أن هذه الحكمة وهذا البيان لم ينقطع مستمدهما من نفسه ، وما رزيه به في حياته ، وما اصابه من أحداثٍ وأهوال ولو تدبرت لوجدت لكل حكمةٍ في شعره اصلاً تاريخياً في قلب هذا الشاعر الذي لم يكن قلبه ينسى شيئاً أو يهمله وكأني به — وهو يقول البيت السائر والمثل الشرود — كانت تتراءى تحت عينيه ، ويدوّي في مسمعيه كل ما مر به مما أثر فيه ، فيقول البيت وفي كل لفظة منه سببٌ ممدود إلى ذكرى يذكرها أو فكرة يتحياها . . . ولنضرب لك مثلاً قريباً نوجزه وعليك بسطه ، من الابيات التي وضعناها على رأس هذه الكلمة يقول . . .

« واحتمال الاذى — ورؤيةُ جانيـــهِ — غذاءٌ تضوَى به الأجسامُ »

فأين نجد الاصل التاريخي في هذا البيت؟ اصل المعنى الذي اراده الشاعر هو في قوله « واحتمال الاذى غذاء تضوى به الاجسام » ، ولو كان غير المتنبي لوقف عند هذا فهو تمام وكفاية ، ولكن المتنبي الذي (لم يكن قلبه ينسى شيئاً او يهمله) ، والذي (كانت تتراءى تحت عينيه ، ويدوّي في مسمعيه كل ما مرّ به مما أثر فيه) ، والذي كان قد احتمل اذى كثيراً من أهل وطنه بالكوفة كما

(١) من معاني المرأة التي احبها ! !

مر بك ، والذي كان رجع الى الكوفة ؛ وحمل نفسه على مباشرة من آذوه وحصروه حقه ، وأقام يتهم مرعى راعم في كل خطرة سنه وخياله . زاد في المنى وعمه ، وانتبت فيه قدمه وعواطفه بقوله «ورؤية حايم» فهذه الحالة المطلوبة المرضية هي توقيع المتنبي على البيت وهناك سر آخر في تسميته (احتمال الأذى) عداء ليس هذا موضع تفصيله[1] ، وعلى هذا مضى يبث شعره وحكمته

وبعد فقد شغلنا هذا عن تحرير القول في رحلته ومدحته الشام . وقد روينا لك في أول هذا الباب أن المتنبي نزل الشام على علي بن ابراهيم التنوخي ، وأنشدناك أبياتاً من قصيدته التي مدحه بها وفيها يقول

(أشرت أبا الحسين بمدح قوم ... نزلتُ بهم فسرتُ بغير زاد)

وقد اختلفوا في قوله (أشرت) أهي من الاشارة عليه بمدحهم فتكون (أشرتَ) أو من الأشر وهو الفرح والطرب فتكون (أشرتُ) بإسناد الفرح الى نفسه . والرواية الأولى عندنا أرجح والظاهر ان المتنبي لما قدم على عليٍّ هذا باللاذقية أشار عليه بأن ينحدر الى (طبرية) ليمدح رجلاً — منهم من العلويين او اشياعهم — فمدحه مرغماً ولم يظفر منه بطائل ، فعاد الى عليٍّ من فوره وأنشده هذه القصيدة ، ثم قصيدة اخرى وصرح فيها بذكر بحيرة طبرية ، وما لقي هناك من الادعياء (وهم الذين يدعون النسب الى علي رضوان الله عليه) ... فيقول لعليّ (والبحيرة التي يذكرها هي بحيرة طبرية المشهورة)

ولاك لم أنزل البحيرة ، والغيـومُ دفِءٌ ، وماؤها شبِم

والموج مثل الفحول مزبدة . . . .

. . .

فهي كماويّة مطوّقـة ... جُرِّدَ عنها غشاؤها الأدمُ

يشينها جريها على بلدٍ ... تشينه (الادعياء) و(القزمُ)

أبا الحسين استمع فمدحكم ... بالفعل — قبل الكلام — منتظم

ووصف البحيرة وصفاً رائعاً لم يدع لها عيباً الا عيبها انها تجري على ارض تطؤها اقدام هؤلاء الادعياء من العلويين والقائم عن ذكرهم في قوله (القزم) . ولو رجعت قليلاً الى ما كنا حدثناك من إرصاد العلويين له بكمين عاقف (وهي بقرب طبرية) في سنة ٣٣٦ بعد ذلك ، وجدت ان الذين قصدهم بقوله « اشرت أبا الحسين بمدح قوم » هم من العلويين ايضاً ، ولعلهم هم الذين

(١) اذا مر بك المعنى على هذا الاحتمال ، لم تجد الشاعر الذي تذكره الناس على الاقوام ، بل تجد شاعراً عظيماً لم يرق الشعر ولا الحكمة منه لسان وبيان . وسنورد في كتابنا هذا كثيراً يبين هذا الاحتمال شعر المتنبي ، وتفسير أكثر شعره على هذا المذهب

انتهزوا الفرصة حين نزل عندهم ليقتلوه فاتهم برحلته الى الرملة في جوار ابي محمد بن طغج

وهذا الكيد الذي لقيه بمجيرة طبرية في سنة ٣٣٦ ، ومن قبله من مدح الذين اشار اليه بمدحهم علي بن ابراهيم ، زلزل نفس الشاعر وهزه هزة رابية قذفت بحممه الشعرية المتراكبة التي رويناها لك اولاً ، ونجد فيه اثر ذلك بيناً كقوله

اني وان لمت حاسديّ فما انكر اني عقوبة لهمُ
وكيف لا يحسد امرؤٌ علم (له على كل هامة قدمُ)

وبيّنٌ ان علي بن ابراهيم لم يكن ليمنع من شاعر ان يمدحه ويقول في مدحه له بمفهوم نفسه بان له « على كل هامة قدم » الا ان يعلم ما دفع الشاعر الى اخراج هذا القول . وقد فعل هذا علي لان ابا الطيب إذ كان هو الذي اشار عليه بمدح عدو من اعدائه، وزيّن له الرحلة اليه وهو يعلم ما في نفس ابي الطيب لقوم هذا الممدوح او هؤلاء الممدوحين . وبقي ابو الطيب قليلاً في جوار علي التنوخي ومدحه ثم قال له في مدحه يودعه ويذكر بيته في الفراق

واني عنك (بعد غد لغاد) وقلبي عن فنائك غير غادي
محبك حيثما اتجهت ركابي وضيفك حيث كنت (من البلاد)

وخرج من اللاذقية قاصداً حلب ولكنه لم يبق بها طويلاً بل قصد قصداً انطاكية حيث نزلها المغيث بن علي بن بشر العجلي فمدحه وذلك حيث يقول له

ما اقمت (بانطاكية) اختلفت اليّ بالخبر الركبان في حلبا
فسرت نحوك لا ألوي على أحد أحثُّ راحلتيّ الفقر والادبا
أذاقني زمني بلوى شرقت بها . . . .

وكان ما لقيه ابو الطيب بطبرية لا يزال يجد منه ، ويتلجلج في قلبه وصدره ، فكان شعره في هذه الفترة شعر الثائر المفكر المتأمل ، وقد كشف عن ذلك في قوله مثلاً

فالموت أعذر لي ، والصبر أجمل بي ، والبر أوسع ، والدنيا لمن غلبا

وفي قوله (والبرُّ أوسع) سرٌّ تنقله بين بلاد كثيرة في فترة وجيزة ، فانه كان يريد أن ينال نيلاً عظيماً بكثرة التجوال ، حتى اذا ما جمع ما يريد استطاع ان يعمل ما قال وما أبدع بقوله « والدنيا لمن غلبا » ... وكانت قصيدته الثانية في مدح المغيث بن بشر أروع من الاولى، وأكثر إفصاحاً عن نفسية الشاعر في تلك الفترة ، فانه كان قد هدأ واستجمَّ من وعثاء السفر ، ووجد الوقت كافياً ، والقول ذا سعة ، فقال كاشفاً عن ضميره ، ومصرّحاً بآرائه في الابيات التي ذكرناها وأولها

فؤادٌ ما تسلّيه المدامُ (وعمرٌ مثل ما تهبُ اللئامُ)

وفي هذه القصيدة (غير الابيات التي مرت آنفاً) إشارات تحيله الى ماقي حسبه كقوله في المنيث

تغذّ له المروءة وهي تؤذي   ومن يعشق يلذّ له الغرام

فقوله (وهي تؤذي) هو توضيح المتنبي على البيت كما ذكرنا ، إذ كان الرجل لا يرى في عصره مروءة الا وقد احتوشتها اللئام بالسوء من القول والفعل ، ويعرض حسبه بذلك إذ كان هو صاحب المروءة التي لقي بها وصاحبها أذى كثيراً من أعدائه وحاسديه والناظرين اليه وكقوله ايضاً

وقبض نواله شرف وعز   (وبعض نوال بعض القوم دام)

فهو يعرق بهذا الشطر الاخير من أرادوا أن ينيلوه بلا صحب وأني ، وآثر الفقر على أن يقبل من نوالهم شيئاً كما مر بك فيما عرضناه في مسألة دخوله الكوفة في الباب السابق

ثم رحل المتنبي عن أنطاكية لتوه فانه لم يكن من اهلها — كما قال —

وليست من مواطنه ولكن   يمر بها كما مرّ الغمام

فالتفت أبو الطيب فلم يجد من يمدحه الا القاضي ابا الفرج احمد بن الحسين المالكي ثم علي ابن منصور الحاجب وعمر بن سليمان الشرابي — وهو يومئذ يتولى الفيداء بين الروم والعرب — وليس في مدحه لهم شيء يذكر مما يدل على أن الرجل كان قد مل فهو يقول ليكتسب ما يقوته ويقوت أهله ثم ضاق بهم ذرعاً ، وضاق ذرعاً بما يكاد به ، فعزم الرحلة إلى حمص ولبنان فمر في طريقه بالعراديس من أرض قنسرين وهي التي بها (حمص) فسمع زئير الاسد فقال

أجارك يا أسد الفراديس مكرم ?   فتسكن نفسي ، أم مهان فسلم)
(ورائي وقدامي عداة كثيرة   أحاذر من لص ، ومنك ، ومنهم
(فهل لك في حلفي على ما أريده   فاني بأسباب المعيشة أعلم)
إذاً لأتاك الرزق من كل وجهة   وأثريت مما تغنمين وأغنم

وفي خطاب ابي الطيب للاسد في هذه الابيات يتجلى كل ضميره ، وما فيه من آثار العداوة وما فيه من المطالب والاماني ، وهي تدل دلالة بينة على ان الرجل كان قد مل من مدحهم ، وأراد ان يجد منفذاً ينفذ منه الى تحقيق آماله وآرائه في إدراك ثأره من عداته ، واصلاح ما أفسد الحكم القائم في البلاد العربية ، وكان يود ان يلقى الرجل الذي يعينه ويستعين به على أغراضه ويكشف له عن ضمير نفسه فكان مدحه هو المقدمة للاتصال والاختبار ان يجد عند احدهم ما يؤمل ، فمدح في طريقه الانطاكي عبد الرحمن بن المبارك ، ولكنه لم يجد لديه شيئاً ، فقصد الى لبنان في جوار الكاتب ابي علي هرون بن عبد العزيز الاوراجي وبقي عنده ومدحه مدحاً عظيماً ولكن الرجل لم يكن عند ظن ابي الطيب ، فأقام عنده يستجم من مشقة السفر في ربى لبنان ، يصطاد ويطرد ويترف من صنوف الجمال الذي أعطاه الله في تلك البلاد

وبهم حشنه على قدمي
يحجر عنه الفارس الدليل
يمارس مرتداً ، بمحيرٍ لي
محريه ، بالطلام مشتمل
إذا صديق نكرت جانبه
لم تعيني في فراقه الحيلُ
في سعة الخافقين مضطرب
وفي بلادٍ من أختها بدلُ

كان لهذا الاضطراب والملل الذي استشعره أبو الطيب في رحلاته في البلاد التي أزعجته رحيلها، اثر كبير في نفسه الموجع المتأمل . وكانت أيام الهدوء والراحة التي اعتادها من عطلة الزمن قد حددت معاني قلبه ، ورمت في فؤاده بالحقد الذي يوقد به ناره ، ولما ملّ الاوراجي ولم يجد منه شيئاً ولا عزماً ، وكان ابو الحسين بدر بن عمار بن اسماعيل الاسدي قد صعد الى طبرية من قبل أبي بكر محمد بن رائق ليتولى حربها اي قيادة جيشها وجبايتها في سنة ٣٢٨ — وكان ابو الحسين فيما نعلم عربياً ماجداً كاسيف ، حلو الشمائل سمحاً ، قريب المذهب من ابي الطيب في نصاب المجم ، لم اربوه بالدولة من التفرقة والتعريق قصده ابو الطيب فرحاً كانما وجد به ما اراد من الفكرة والسطوة والسلطان والقوة ، والرجولة الفذة التي ابدع ابو الطيب في صفها بعد حين الحب بها ونش . وكانت أول قصيدة مدح بها تدل على ما أدرك ابا الطيب من الفرح والنشوة ، وانتظار الفرج على يديه

أحلماً نرى ، أم زماناً جديدا أم الخلق في شخص حيٍّ أعيدا ؟ !
تجلّى لنا فاضأنا به كأنا نجومٌ لقين سعودا

فقد جمع ابو الطيب في هذين البيتين كل عاطفة ينبض بها قلبه ، وما استثارها من الفرح بهذا العربي الذي

تعرف في عينه حقائقه كأنه بالذكاء مكتحلُ
(أشفق عند اتقاد فكرته عليه منها — أخاف يشتعل)

وبقي المتنبي في جوار بدر وفي مجالسه (وفي عربيته) من أواخر سنة ٣٢٨ الى اوائل سنة ٣٣٣ على وجه التقريب لا على التحقيق، وكأنه كان قد أحب الرجل حبًّا عظيماً لما يرى من مروءته وفتوته ورجولته . والظاهر ان بدراً قد وجد في نفسه لابي الطيب مثل ما وجد له ، فكان ذلك الشاعرَ على ان يتفتح ويجيد ويبدع ، فمن مدائحه لبدر تكاد تكون في الطبقة الثانية من جيد شعره، ومنها أبيات في الطبقة الاولى من الشعر العربي كله . وقد بدأ نهجه ايضاً يتغير ويتميز بألوان وآيات . ولا عجب ، فقد مارس الرجل الحياة بشاعريته ، وتلقف من الدنيا عبرها وحكمتها ، وسمع منها وحفظ عنها ، وأعمل فيها ذهنه المتوقد ، وأرسلها إلى قلبه ليفتنها ناره ، ويصوغها في بيانه الذي وصفناه أولاً، ثم زين بها كلامه . ولم يكن طوال هذه السنين يدع استيعاب الكتب والآراء ونقدها ، والتبصر في أعماقها وأطرافها. وأيضاً فانه كان قد بدأ يستحكم في طبيعة الحياة البشرية فقد شارف الثلاثين، وامتلأ شبابه بقوته وفتوته ورجولته، وعبَّ فامه ما آلامه وأحقاده وآماله التي كان يجاهد فيها ويسعى لها ليحققها . وأيضاً فمن الأمل في إدراك الطلب ، وبلوغ الامنية والظفر بها ، وقرب تحقق الفلج على الخصوم ، مما يشمل القلب ويزيد النفس مضاء ونفاذاً . وقد كان له ذلك كله في جوار صاحبه وحبيبه بدر بن عمار الاسدي العربي الذكي الفؤاد، فنفذ أبو الطيب سيفه في الشعر مجيداً ، واستقام على طريقته ، ومضى على عدواته ، ورمى الدنيا فيشتيُّ نسر كاسر يتلو فريسته أن تفرَّ منه ، وزاده علوّاً ما وجد من حماية بدر له في طريقة موطئ أعدائه كما حدثناك ، وأورى زناده ما لقي من عداوة بعض الشعراء له ، وما سعى به الوشاة المفسدون لدى بدر بن عمار ليقلبوا عليه قلبه . ومثل أبي الطيب اذا أريد به الشرُّ انتفض انتفاضة الاسد اذا رامه عدوّ ، وفي انتفاضته تتدفق قوته كلها على لسانه الذريع المبين ، وذلك لقوة أعصابه ، وشدة توترها ، وسرعة تأثرها مع ذلك

وفي جوار بدر بن عمار الاسديّ بدأت عصبية أبي الطيب للعرب والعربية تسفر عن وجهها ، وتجلو عن نفس الشاعر ظلمات قد ضربت عليها حجابها ، وهيأت شاعريته لما يستعمله لدى سيف الدولة العدوي العربيّ هازم الروم ، وقامع الفساد الفاطمية بالشام وبعض العراق . وبذلك كله كانت هذه الفترة من ترتيب الزمن في تكوين الشاعر الاكبر تطريفاً وتمهيداً لتنوع المد الذي استودعه الله في قلب هذا الشاعر وفكره وأدبه وقوته وحقده وثأره والعصر الذي عاش بين أهله مبتلىً بمعاشرتهم . . . او كما قال في آخر عمره يبكي نفسه

وقتٌ يضيع ، وعمرٌ ... ليت مدته في غير أمته من سالف الأمم ! !
أتى الزمانَ بنوه في شبيبته فسرَّهم ... وأتيناه على الهرم ! !

وقوله يعني أهل عصره

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرَّغامُ
ودهرٌ ناسه ناسٌ صغارٌ وإن كانت لهم جثث ضخامُ

أحب ابو الطيب بدرَ بن عمار، واحبه بدرٌ وأكرمه ورفعه اليه وعززه، ونصره على اعدائه من العلويين او اشياعهم مطريه ومحاوريها، ووجد كلاهما في صاحبه ملجأ يأوي اليه، فقد كان ابو الطيب مهضوماً مطارداً. وكان قلبه ممتلئاً من آثار الظلم التي اوقعها جبابرة العصر بالعرب، وكان فكره متنبهاً لدهاء دهاة السياسة الذين كانوا يعملون على قلب الدولة او تمزيق شملها بالشعوبية العصبية البغيضة المنتسبة اليه، وكان يرى بعصره فلا يجد العربيّ الذي يأوي اليه، فان وجده بينه وبينه أهوال. فلما وجد بدراً، ووجد في قلبه وفكره مثل الذي في قلبه وفكره، توقّد الرجل الشاعر توقّد النار المستعرة قد وجدت طعامها من الحطب

وبدأ يصف بدراً العربيَّ الشجاع المحارب، ويصف الحرب، ويصف كل قوة او مثلاً من قوة، ويبدع في ذلك كله مستمداً من قلبه الجريء، وخياله المتسامي الى أشراف السلطان والغلبة، حتى خرجت مدائحه في بدر آية في دقة التصوير، وسمو المعنى، وشرف الغاية. يقول في صفة بدر

(هانَ على قلبه الزمانُ، فما يَبينُ فيه غمٌّ ولا جذلُ)
يكاد من طاعة الحِمام له، يقتل من ما دنا له الأجلُ
يكاد من صحة العزيمة، ما يفعل قبل الفعال ينفعلُ
(تعرف في عينه حقائقه كأنه بالذكاء مكتحلُ)
(أشفق عند اتقاد فكرته عليه منها، أخاف يشتعلُ)
(أمرُّ أعداؤه اذا سلموا بالهرب استكبروا الذي فعلوا)
يُقبِلُهم وجهَ كلِّ سابحةٍ أربعها قبل طرفها تصلُ

. . . . . .

والطعن شزر، والارض واجفةٌ كأنما في فؤادها وَهَلُ
قد صبغت خدّها الدماءُ كما يصبغ خدَّ الخريدة الخجلُ

. . . . . .

(يا بدرُ، يا بحرُ، يا غمامةُ، يا ليثَ الشرى، يا حِمامُ، يا رجلُ
ان البنانَ الذي تقلّبه عندك، في كل موضع مثلُ
(انك من معشر اذا وهبوا ما دون أعمارهم فقد بخلوا)
(قلوبهم، في مضاء ما امتشقوا، قاماتهم، في تمام ما اعتقلوا)

(مثلك يا بدر لا يكون ، ولا تصلح – الا لمثلك – الدول)

ومن تدبر هذا النهج في المديح ، ورجع الى مدائحه الاولى ، ولم يغب عنه ما ذكرناه في اول هذا الباب ، وجد في هذا الشعر عاطفة الشاعر الذي عطفته على بدر ، وعرف ان هذا الشعر ليس مديحاً كالذي تلوكه الالسنة ، وينقده نقاد عصرنا هذا ، بل هو تصوير الرجولة وابرازها في ألفاظها الحية ، وتفصيل مميزاتها عند الشاعر ، ووجد ايضاً صدقاً في ذلك كله ليس لشعر، ولا لشعر ابي الطيب نفسه فيما سبق من مدائحه ، وهذا موضع التدبُّر والتأمُّل ، فتدبّره وتأمله[1] . وتأمل قوله « يا بدر، يا بحر. . . » فقد ناداه باسمه، ثم بصفة صفة من بعض صفاته، مما امتد في الصفات الى كل غاية ، ووجد اسماء لا يفرغ منه، حتى كل المعاني التي في نفسه من صفة بدر في لفظ واحد هو قوله « يا رجل » فقد كانت كل صفات صاحبه هي الرجولة ، تحتها كل كريمة من معاني النفس من مروءة وهمة وشجاعة وسماحة وسماء

وكان المتنبي – في عشرته لابن عمار – قد بدأ يمسح في شعره مجالاً لاحساسه القوي باخلاق القويّ المشبوب ، مستمراً هذه بالعبارة المرسلة من قلبه القوي المشبوب، فكانت قصيدته في وصف الاسد والمقابلة بينه وبين بدر وأسديّته وقوته رائعةً قليلة المثل ، مفردة من بين الشعر العالي ، اجتمعت له فيها الحكمة السهلة ، والبيان المشرق النديّ ، والخيال الخاصع المقدَّر المبدع، والاختيار الصافي للصفات المميزة التي تجعلك تقرأ صفة ما يصف وكأنك تراه ماثلاً بين عينيك . ولا بأس من ان نورد لك بعض ذلك على سبيل المثل هنا ، اذ كانت هذه الطريقة الشعرية قد بدأت عند الرجل ثم استحكمت فيه حتى بلغت أقصى غاياتها من شعره الذي قاله في سيف الدولة بعدُ

قالوا . . خرج بدر بن عمار الى اسد فهرب الاسد منه ، وكان قد خرج قبله الى اسد آخر – كان يقطع طريق السابلة ، ويلحق بهم اذى كثيراً – فهاجه عن بقرة افترسها بعد ان شبع وثقل، فوثب الى كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه ، فبادره بالسوط يضربه حتى مرّغه في التراب .. فقال

أمعفَّرَ الليث الهزبر بسوطه ! لمن ادّخرتَ الصارمَ المصقولاَ ؟
وقعتْ على الأردنّ منه بليّة ، نضِيدت بها هام الرفاق تلولاَ
وردٌ ، اذا ورد البحيرة شارباً ، ورد الفرات زئيرُه والنيلاَ
(متخضّب بدم الفوارس لابس في غيله من لِبدتيه غيلاَ)

---

[1] ليس فيما بقي قدمنا من « المقتطف » سعة حتى نشرح هذا ، فليتأمل القارئ، او بعض مذكائه وفطنته وأدبه ، فان غمض عليه شيء ، فليرسلنا بصوت ، نشق له أن نوفي أبا الطيب حقه في كتاب ان شاء الله ورضي القارئ، كما يريد وبالله التوفيق

(ما قوبلت عيناه إلّا ظُنّتا ... تحت الدجى نار الفريق حلولا)
(في وحدة الرهبان، إلّا أنّه ... لا يعرف التحريم والتحليلا)
(يطأ الثرى مترفقاً، من تيهه، ... فكأنه آسٍ يجسّ عليلا)
(ويردّ عُفرته الى يافوخه ... حتى تصير لرأسه إكليلا)
(وتظنه مما يزمجر، نفسُه ... عنها — لشدة غيظه — مشغولا)
(قَصَرت مخافته الخطى، فكأنما ... ركب الكميُّ جواده مشكولا)
(ألقى فريسته، وبربر دونها، ... وقربت قرباً خاله تطفيلا)
فتشابه الخُلقان — في إقدامه — ... وتخالفا في بذلك المأكولا
(أسد يرى عضويه فيك كليهما: ... متناً أزلّ، وساعداً مفتولا)

. . . .

(ما زال يجمع نفسه في زَوْره ... حتى حسبتُ العرض منه الطولا)
(ويدقّ بالصدر الحجارَ، كأنه ... يبغي الى ما في الحضيض سبيلا)
وكأنه غرّته عينٌ، فادّنى، ... لا يبصر الخطب الجليل جليلا
(أنفُ الكريم من الدنيّة تاركٌ ... في عينه العدد الكثير قليلا)
(والعار مضّاضٌ، وليس بخائفٍ ... من حتفه، من خاف مما قيلا)
(سبق التقاءكه بوثبة هاجم ... لو لم تصادمه لجازك ميلا)
خذلته قوته، وقد كافحته ... فاستنصر التسليم والتجديلا
قبضت منيته يديه وعنقَه ... فكأنما صادفته مغلولا
سمع ابن عمته به، وبحاله، ... فنجا يهرول أمس منك مهولا
(وأمرُّ مما فرّ منه فراره ... وكقتله أن لا يموت قتيلا)
(تلفُ الذي اتخذ الجراءة خُلّةً ... وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا)

فهذا شعر لو ذهبت أبيّنه وأنصبه وأحلّله لما أعانتني (الوريقات) ولا وسعتني، وفيما رسمته في طريق كلامي عن شاعرية الرجل كفايةٌ لو تدبرت. وقد أثبتنا لك كثيراً من القصيدة اللامية السالفة، ثم هذه في وصف الأسد، لأن هاتين القصيدتين هما (نقطة الانقلاب) — كما يقولون — في شاعرية أبي الطيب من النهج الأول الى النهج الثاني الذي لزمه وسار في دربه، وعبّر به. وفي هاتين تجد أبا الطيب فتىً وكهلاً وشيخاً. ولو قستهما الى ما يأتي بعد من شعره لوجدت أن الرجل قد بدأ يستمر مريره بدءاً من هذه السنوات التي أقامها عند بدر بن عمار من سنة ٣٢٨، وفيهما أيضاً الأصول النفسية والشعرية والبيانية التي مددنا لك أطرافاً منها في ثبات القول

ولا بدّ هنا من الاشارة الى موضع يكثر مورده في شعر ابي الطيب ، ذلك ان الرجل لاستحكام أصل الرجولة والمروءة والفتوة في نفسه غير مدّع ولا متمثل — كان اذا رأى ما يخالف الرجولة ويحط منها ، اهتزت نفسه واشمأزت ، وأبدى ازدراءه واحتقاره ، فهو يحب من عدوه أن يتمسك بمروءة الرجولة في اللقاء والهزيمة والنصر كما يحب ذلك من نفسه . . . ففي فرّ الاسد الثاني الذي ذكره من مدح بن عمار بعد هزيمة (ابن عمه)، استدعى ذلك احتقار أبي الطيب له ، فثارت رجولته كلها لهذا الفرار القبيح من أسد هو الاسد ، فضمن شعره هذا المعنى من الازدراء والسخرية به حيث يقول

« فيهم (ابن عمه) به وبعاله فحطا يهرول أمس منك مهولا »
« وأمر مما فرّ منه فراره وكفتله أن لا يموت قتيلا »

فمن ألوان السخرية والتهكم والازدراء لهذا الاسد الجبان ، انه حين وصف فراره جعله (هرولة)، والهرولة حالة بين المشي والعدو، فهو من خوفه واضطرابه ترك المشي وأراد العدو، ولكن منعه الهلع أن يعدو فاضطلت فصار عدوه بفرار بنفسه لا هو من العدو ولا هو من المشي . ثم أبدى في البيت الثاني كل احتقاره له بقوله « وكفتله أن لا يموت قتيلا » فما يحسن بأسدٍ أن يفرّ وانما هما خطتان : إما صبرٌ وظفرٌ وإما إقدامٌ وحتفٌ ، فذلك يثبت الاسد أنه أسدٌ لا خروفاً ولا نعامة!

ولنضرب لك مثلاً آخر في ذلك ففي سنة ٣٤٢ أوقع سيف الدولة بالروم في موقعة (بطن هنزيط) وكان الدمستق وولده يحاربان ، فجرح الدمستق ، وأصيب ولده في مقتل أشفى به على الموت ، وفرّ الدمستق تاركاً ولده في يد الموت، فلم يفت أبا الطيب حين ذكر هذه الموقعة، أن يشير إلى هذه الحادثة ، وأن يدل على ازدرائه واحتقاره لهذا الدمستق الذليل الجبان الذي خاف مهجته وولده الموت، فكان مما قال

لعلك يوماً يا دمستق عائدٌ فكم هاربٍ مما إليه يؤولُ
(نجوتَ باحدى مهجتيك جريحة وخلّفت احدى مهجتيك تسيلُ)
(أتُسلم للخطية ابنك هارباً ؟ ! ويسكن في الدنيا اليك خليلُ) !!
(بوجهك ما أنساكه من مرشّةٍ نصيرك منها رنةٌ وعويلُ)

وهذه الابيات غاية في الدلالة على استحكام الرجولة في طبع ابي الطيب ، وانه كان يؤذيه ويثيره ان لا يجد في الرجال صفة الرجولة — من اقدام وصبر ومروءة وشهامة وما الى ذلك من كريم الصفات، ولو كان اولئك الرجال من اعدائه . وأعد قراءة البيت الثالث فكأنك بأبي الطيب ينشده متعجباً مزدرياً ثم يصفق على صورة هذا الجبان الدمستق

ثم رجعنا الى ما كنا فيه : وجد ابو الطيب في بدر بن عمار (الرَّجلَ)، فاستقرَّ وهدأ حيناً وملأ نفسه من خلال القوة والفتوة والمروءة التي تحقق بها بدر. ولكن وقع في هدوئه واستقراره واقع هزهُ وعضه ، وذلك انه وهو بطبرية التي كان بها العلويون من اعدائه ، والذين ذكرهم فيما قدمناه لك في قوله في صفة البحيرة — بحيرة طبرية

« يشينها جريها على بلدٍ تشينه (الادعياء) و(القزمُ) »

لم يفتأ يجد من عداوتهم له كيداً كثيراً ، حتى سعوا به لدى بدر بن عمار ، واغروا به الشعراء يهيطوه بألسنتهم ، وكان هنالك رجل ممتّعٌ باحدى عينيه (أعور) يدعى ابن كرَوس ، وكان قد اتصل ببدر ، وكان من أشد أعدائه عليه ، ولذلك قصده بالذكر من بينهم . ونحن وان لم نكن نعرف شيئاً عن هذا (الممتع) ابن كروس الا انه يخيل لنا انه كان من صنائع العلويين او الفاطميين، صحب بدراً كالعين عليه ، ثم ليصحبه بحار اليهم ان استطاع الى ذلك سبيلاً — على عادتهم مع الامراء وغيرهم تمهيداً لقلب الخلافة من العباسية الى العلوية او الفاطمية

فلما كان ذلك ، دخل على قرح ابي الطيب ما ردّه الى قلقه واضطرابه وهمومه ، فعاد يذكر أحزانه ، ويقلب الرأي في الفراق اذ لم يجد عند بدر عضداً ينصرهُ نصرة المحب لحبيبه ، فيقول

كأن الحزن مشغوفٌ بقلبي ساعة هجرها يجد الوصالاَ
كذا الدنيا — على من كان قبلي — صروفٌ لم يدمن عليه حالا
(أشدُّ الغمّ عندي في سرور تيقّن عنه صاحبه انتقالاَ)
(ألفتُ ترحُّلي ، وجعلت أرضي قتودي والغريريّ الجلالاَ)
(فما حاولت في أرض مقاماً ولا أزمعت عن أرض زوالاَ)
(على قلق كأن الريح تحتي أوجّهها جنوباً او شمالا)

ثم يقول بعد أبيات يذكر مالقي من أعدائه من الشعراء

فيا ابن الطاعنين بكلّ لدنٍ . . . .
ويا ابن الضاربين بكلّ عضبٍ من العرب — الاسافلَ والقِلالاَ
أرى المتشاعرين غَروا بذمي ، ومن ذا يحمد الداء العضالاَ ؟ !
ومن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجد مراً به الماء الزلالاَ
وقالوا : هل يبلغك الثريّا ؟ فقلت : نعم ، اذا شئتُ استفالاَ

فهو بهذه الابيات يعرض عليه ما يلاقي من الكيد ، ويستعديه بالبيت الاخير على نصرته على أعدائه ولا ندري ما الذي كان يكاد به ابو الطيب ، ولكن نظنّ انهم كانوا يتغامزون به وبشعره وما فيه من الغلوّ والطموح وما يرد في أثنائه من الوعيد للطغاة والملوك والاعداء ، والانذار لهم أن يصيبهم من قبله كلُّ مكروه . والحقيقة ، ان هذه المعاني في شعر ابي الطيب مما يستجيب التنبه لها ، والوقوف عندها ، فليس في العربية كلها شاعرٌ قد كثر ذلك في شعره كما كثر في شعر ابي الطيب ، بل أنت تتصفح دواوين الشعراء جميعاً فلا تكاد تجد فيها هذه المعاني في الانذار والوعيد والتربص ، وخاصة في المديح الذي يراد به عطف الملوك لاستخراج مكنونهم ، وإلانة الايدي لتنبض بنوالها . وهذه المعاني مما يكبر على الشعراء مرادهم إن راموه وتعاطوه في اشعارهم. أما ابو الطيب فقد جعلها عمود شعره غير مبالٍ ولا حافلٍ . فمن هذه الظاهرة في شعره — في اعتماده في كثير منه على الانذار والوعيد — بدأ اعداؤه في جوار بدر يسمونه (المتنبي) ويغيظونه بذلك ، ويزعمون أنه يتشبه بالانبياء اذ كان عمود سوقهم هو الانذار والوعيد أيضاً وهو قد جعل بنيان شعره على هذين ، ولعلّ هذا هو المراد بقوله « أرى المتشاعرين غروا (بذمي) » فهذا ذمه عندهم كما ترى

واشتدّ هذا الكيد على ابي الطيب حتى حمله على فراقِ بدرٍ إذ (نكر جانبه) حين لم يجد عنده كل ما أراد ، ووجده يسمع للوشاة ويصيبهم أذنه . وكان آخر ما لقي ابو الطيب من ذلك حين سار بدرٌ الى الساحل (ساحل طبرية) حين أضيف عمله إلى عمله بطبرية ، وكان ابو الطيب قد تخلّف عن المسير معه ، فاشتهر ذلك الاعور ابن كروّس فكتب إلى بدر يقول له « إن أبا الطيب إنما تخلّف عنك رغبةً بنفسه عن المسير معك » . وبلغ ذلك أبا الطيب فثارت نفسه وعزم الرحيل والفراق ، ولكنه أجل ذلك حتى يعود بدرٌ ليعرف ما عنده ، والظاهر أن بدراً كان قد حل في نفسه شيئاً من آثار هذه السعايات . فلما عاد الى طبرية ولقيه أبو الطيب عقل لما يدور في نفس بدر ، وخاف ان يخذله فاعتمد الرحلة وطي الارض ، ولذلك كانت آخر قصيدة مقصّدة مدح بها بدراً بينة الدلالة على اضطراب نفسه وقلقه وعزمه هذا فهو يقول فيها

« أنكرت طارقة الحوادث مرة ثم اعترفت لها فصارت ديدنا)

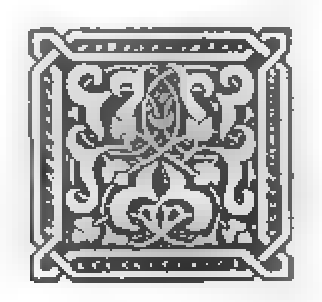
وقطعتُ في الدنيا الفلا ، وركائبي فيها ، ووقتيّ الضحى والموهنا

وظهر فيها ايضاً خوفه ان يسلمه بدر الى أعدائه ، فيرصدوا له ويفتكوا به على غرة ، فصرح لبدر بذلك حيث يقول يذكر امر تخلفه عنه ، ثم تخاوفه ، ثم ينذره

فعل الفؤاد لما أتيتُ الى النوى ولما تركتُ مخافة ان تفطنا

اضحى فراقك لي عليه عقوبة	ليس الذي قاسيت منه هيّنا
فاغفر فدًى لك واحبني من بعدها	لتخصني بعطية منها (أنا)
(وانه المشير عليك فيّ بضلة	فالحر ممتحن بأولاد الزنا)
(وإذا الفتى طرح الكلام معرضاً	في مجلس أخذ الكلامَ اللذْ عنى)
(ومكايد السفهاء واقعة بهم	وعداوة الشعراء بئس المقتنى)
لُعنتْ مقارنة اللئيم، فانها	ضيف يجر من الندامة ضيفنا
(غضبُ الحسود إذا لقيتك راضياً	رزء أخف عليّ من أن يوزنا)

ثم بقي مع بدر وهو يضمر في نفسه فراقه، فكان يتتبع مرضاته في كثير مما لا يرضى به حتى شرب الخمر في منادمته، ليصرف بدراً عما كان في نفسه قليلاً حتى تعرض له الساعة المواتية للفراق. فلما اتت الساعة بادر واحتمل اهله وثقله وخرج الى دمشق وقصد جبلاً من اعمالها يقال له (جبل جرش) كان به أبو الحسين علي بن احمد المري الخراساني، وكانت بينهما مودة وهما نظرية، فلجأ اليه، واحتمى بحماه، وذلك في سنة ٣٣٣ على وجه التقريب لا التحقيق



لا أقتري بلداً إلا على غَرَرٍ
ولا أمرُّ بخلق غير مُضْطَغِنِ
ولا أعاشرُ من أملاكهم ملكاً
إلاّ أحق بضرب الرأس من وثنِ
مدحتُ قوماً . وان عشنا نظمت لهم
قصائداً من إناث الخيل والحُصُنِ
فلا أحاربُ مدفوعاً إلى جُدُرٍ ،
ولا أصالح مغروراً على دَخَنِ

انتصر (ابن كرّوس) الاعور على أبي الطيب ، وأفسد عليه بدر بن عمار ويبدو ان دهاء أبي الطيب وحيلته أعانته على اجتناب الخطر الذي كان له رصداً في طريقه ، والذي كاد يدركه مرة اخرى بعد في سنة ٣٣٦ حين أرصد له العلويون يقتلونه فنجا منهم الى الرملة ، وهذا مما يرجح عندنا ان (ابن كرّوس) كان من شيعة العلويين او من اعوانهم او من دعاة الفاطمية

وكان ابو الطيب — كما قدمنا لك — وهو عند بدر قد بدأ يطلق ثم هاجمه هذا الاعور ابن كرّوس فانطلق الى غايته في نفسه من الحقد والثورة والاقتحام ولكنه كتم ذلك . فما نزل بعلي بن احمد المري كانت قصيدته اعلاناً للحرب مرّة اخرى ، وزلزلة وقعت في قلبه فأخرجت قديمه من الاحقاد والتِرات والآمال والآراء ، واستمر يتقصى ويقذف بركانه بحممه إلى ان كان اتصاله بأبي العشائر في اواخر سنة ٣٣٦ وكان شعره — في هذه الاعراض ثم في هذه الفترة — ثورات متطايرة كالشرر تحت ظلام الليل ، وهي مع ذلك حكيمة تقع في المفصل ولا تخطىء ، إذ كان الرجل قد تحنّك واستحكم واستمرّ في الشعر على طريقته ، مما وجد من اعداءه في جوار بدر ثم ما وجد من الكيد بعد ولم يتصل بعد بدر بأمير يادمه بل كان ينتقل من مكان إلى مكان ثائراً متعصباً موعداً منذراً مرعداً ، يريد ويمضي ، ويؤمل ومنتظر ، ويمل ويسأم ، ويحنق ثم يتفجر

فانظر الآن الى هذا الشعر الذي قاله لعلي بن احمد المري بعد ان تردّ النظر مرةً اخرى إلى ما كتبناه في الفصل الثامن . . . يقول :

(لا افتخارَ الاّ لمن لا يضامُ مُدْرِكٍ أو محاربٍ لا ينامُ)
(ليس عزماً ما مرّض المرءُ فيه ليس همّاً ما عاق عند الظلامُ)

واحتمال الأذى ورؤية جانيـ ـه غذاء تضوى به الأجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام
كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجئ إليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام
(ضاق ذرعاً بأن أضيق به ذر عاً زماني، واستكرمتني الكرام)
(واقفاً تحت أخمصي قدر نفسي واقفاً تحت أخمصي الأنام)
(أقراراً ألذ فوق شرار!! ومراماً أبغي وظلمي يرام!)
(دون أن يشرق الحجاز ونجد والعراقان بالقنا والشام!)

فهذه أبيات قد اجتمعت فيها نفس المتنبي كلها بحكمتها وتجربتها وعلوها وقوتها ورجولتها وثورتها وانتقاضها وزلازلها، وآمالها وأحقادها ووعيدها وإنذارها، وصدقها وعواطفها المتسعّرة التي يأكل بعضها بعضاً، وفيها (توقيع المتنبي) على كل بيت. فلا تحسبن شاعراً يستطيع أن يأتي بمثلها أو يسرق معناها إلا أن يستطيع أن يسرق نفس أبي الطيب وقلبه حقاً من بين جنبيه، أو إلا أن يكون قد مُهّد له في نفسه وفي صدقه وفي آلامه وآماله وغير ذلك ما تيسّر لأبي الطيب

وألقى أبو الطيب هذه (القنابل) الحكيمة في حي حرش، ثم أدركته مكايد الأعور ابن كروس أو تلويحه، فعجّل بالرحيل غير مختار له، فقال يودّع صاحبه المري ويعتذر له، وقد أبان في الأبيات كل الإبانة

(لا تنكرن رحيلي عنك في عجل فإنني لرحيلي غير مختار)
(وربما فارق الإنسان مهجته يوم الوغى غير قالٍ خشية العار)
(وقد مُنيت بحسّاد أحاربهم فاجعل نداك عليهم بعض أنصاري)

ثم انطلق من حي حرش يتقحّم الوادي عجلاً يفور فوران القدر على نارها المتسعّرة، وتصغّرت الدنيا في عينيه، وتدافعت الأفكار الثائرة بين جنبيه، فخرج شعره كشعلة الحريق ولهيبه وزفيره وحرقته، كما سنرى. ومن شدة ما لقي أبو الطيب من كيد هذا الأعور ابن كروس كان — على عادته — يتخيّله كلما التفت في مسيره واقتحامه ظلمات البادية. وقد حفظ لنا أبو الطيب في شعره — على عادته أيضاً — صورة ناطقة من إحساسه وعواطفه وهو يطوي البادية طيّاً عجلاً فقال[1]

(1) لقد أكثرنا من نقل شعر أبي الطيب وكان السياق الآن يقتضي ذلك، ولئلا نقطع القارئ بالرجوع إلى الديوان، ثم سنختصر نقول من ناحية أخرى، على القارئ — كما كتب على أنفسنا — أن يستقصي ويستخرج المعاني على الأصول التي درجنا عليها في كتابنا هذا، والتدبر والتأمل أصل الأصول في العلم والاستنباط . . .

ركبتُ مشمّراً قدمي إليها   وكلَّ عُذافرٍ قلقِ الضُّفور
(أواناً في بيوت البدو رحلي   وآونةً على قتد البعير)
(أعرّض للرماح الصمِّ نحري   وأنصب حُرَّ وجهي للهجير)
(وأسري في ظلام الليل وحدي   كأني منه في قمرٍ منير)

وهذان البيتان فيهما من رجولة أبي الطيب وتفخّمه ومضائه وتقدّمه واستهانته بالشقاء في سبيل آرائه ومآله ما فيهما، فسّرها لنفسك، واعلم أن هذا الرجل شاعرٌ مبينٌ، قلبُه في لسانه، وعواطفه في بيانه

(فقل في حاجةٍ لم أقضِ منها   — على شغفي بها — شروى نقير
(ونفسٍ لا تجيب الى خسيسٍ،   وعينٍ لا تُدار على نظير)
(وكفٍّ لا تنازع — من أتاني   ينازعني — سوى شرفي وخِيري)
(وقلة ناصرٍ — !! جوزيتَ عني   — بشرٍّ منك — يا شرّ الدهور!)
(عدوّي كلُّ شيءٍ فيك حتى   لخلتُ الأُكْمَ موغرةَ الصدور)
(فلو أني حُسدتُ على نفيسٍ   لجُدتُ به لذي الجدّ العثور)
(ولكني حُسدتُ على حياتي،   وما خيرُ الحياة بلا سرور؟)
فيا ابن كروّس، يا نصف أعمى،   وإن تفخر، فيا نصف البصير
(تعادينا لأنّا غير لُكنٍ،   وتبغضنا لأنّا غير عور)
فلو كنتَ امرأً يُهجى هجونا   ولكن ضاق فترٌ عن مسير

وإذا تدبرت الأبيات، فستحسّ أن نفسه الكريمة الأبيّة الأنوفة المستكبرة قد أُريد بها الشر والأذى فانفجرت، وتداعت هزاتها في أعصابه كلها، فأثبتها على لسانه المبين في هذه الأنماط المتقصّفة بأصواتها ومعانيها وألوانها البيانية في التدمّر والالتفات والانفعال، ثم في النعي للدنيا وأرذالها، ثم في السخرية والتهكم والاحتقار لهذا الأعور الذي هاجه عن عشقه في جوار ابن عمار

وأراد الله خيراً بشاعرية هذا اللسان القوّال العربي المبين، إذ رماه ابن كروّس بعداوة واستهجان. فلما طوى البادية على ما وصفنا يقصد قصد أنطاكية، فدخلها في سنة ٣٣٤ وكان بها أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد الخصيبي، وكان ينوب عن أبيه في مجلس القضاء بأنطاكية وكان داهية من دهاة عصره فيما يُرى، فقصده أبو الطيب يمدحه، وجعل أولَ القصيدة يدلّ على ما وصفنا لك من تسخّر الدنيا في عينيه وبين جنبيه، وكانت معاني مدحه من هذا الباب أيضاً وقد تضمنت الأبيات التي سننقلها لك آراءه في الجيل الذي كان يتقلب بين رجاله، وازدراءه للرجال الذين قصدهم فلم يقف عندهم خيراً يبينه على حاجته التي قال فيها فيما مضى من الأبيات

(تعلل في حاجة لم أقض منها) ، ثم وصف رحلته بين أهل البادية ، وما كان يحدره في ارضهم حوت الطالب أن يهتدي اليه فيدركه فيفتك به ، ثم يثور ويتمرغ في أعنة حسه فيهدر ويوعد . . وبذلك تعرف أن نفسه كانت على ثابتها متوثرة مستوفزة ثائرة . ثم يأتيه كتاب جدته فيقصد العراق ، فيمنعه اعداؤه من الكوفيين اهل ارادوا به السوء من دخول الكوفة التي بها جدته ، فيحس ذلك عليه الهم والالم ، فتموت جدته فيهيج ويتدفع ويئن ويبكي ، ثم تدركه رجولته فترد عليه قوة مضاعفة فيبدع ويتفرد بقصيدة من اجزل الشعر وأرصنه ، ومن اكثر شعره جامعة دلالة على ما في نفسه ، وما أصابه في حياته من مولده الى يومه هذا سنة ٣٣٥

يقول أبو الطيب

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن (يخلو من الهم أخلاهم من الفطن)
(وإنما نحن في جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن)
(حولي بكل مكان منهم (خِلَق) تخطي اذا جئت في استفهامها بمن؟)

وهو بيت يهجو بألفاظه مَن اتى يهجو بمعانيه ، ويدل على ما في نفس الرجل من الآلام ، وما لقي من أهل عصره من الكيد والمكر ، وما كانوا عليه من الخسة واللؤم ، والشطر الثاني من البيت التالي صفة صادقة لعصره كما عهدنا في التاريخ ، وقد اشرنا الى صفة هذا العصر فيما مر بك

(لا أقتري بلداً الا على غرر ولا أمر بخلق غير مضطغن)
(ولا أعاشر من أملاكهم ملكاً الا أحق بضرب الرأس من وثن)
اني لأعذرهم مما أعنفهم حتى أعنف نفسي فيهم ، وأني
(فقر الجهول بلا عقل ، الى أدب فقر الحمار بلا رأس ، الى رسن)
(ومدقعين بسبروت صحبتهم عارين من حلل ، كاسين من درن)
خراب بادية ، غرثى بطونهم ، مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن
(يستخبرون فلا أعطيهم خبري وما يطيش لهم سهم من الظنن)
وخلة في جليس أتقيه بها كيما يرى أننا مثلان في الوهن

وهذا البيت مما يدل على دهاء ابي الطيب وسعة حيلته ، ودقته في الحذر اذا أحيط به، وخاف أن يظفر به عدوه

وكلمة في طريق خفت أعربها فيهتدى لي ، فلم أقدر على اللحن

(١) قد استشهدنا بأبيات كثيرة من قصيدته في رثاء جدته فيها معنى في نفسه وعبره ، وذلك لما نرى من انها كانت تمثل نفس أبي الطيب كلها صريحها وغموضها

(قد هوّن الصبرُ عندي كلَّ نازلةٍ ... ولَيَّن العزمُ حدَّ المركبِ الخشنِ)
(كم مَخلَصٍ وعُلىً في خوض مهلكةٍ ... وقتلةٍ قُرنت بالذم في الجبنِ)
(لا يُعجبنَّ مَضيماً حسنُ بزّته ... وهل يروقُ دفيناً جودةُ الكفنِ)
(لله حالٌ أرجّيها ، وتُخلفني ... وأقتضي كونها دهري ويمطلني)

ولا يفوتنا هنا ان أبا الطيب في هذه الفترة قد أشار الى مطلب له بهذا البيت في هذه القصيدة ومن قبل ما أشار إليه في القصيدة التي قبلها بقوله « عقل في حاجة لم أقض منها . . . » ونحن نقف عند هذا البيت لتحمله منك على ذكر حتى يأتي تأويله فيما يستقبل

(مدحتُ قوماً وإن عشنا نظمتُ لهم ... قصائداً من إناث الخيل والحُصُنِ)
تحت العجاج قوافيها مضمّرةٌ ... إذا تُنوشدن لم يدخلن في أذنِ
(فلا أحاربُ مدفوعاً إلى جُدُرٍ ... ولا أصالحُ مغروراً على دخنِ)
(مخيِّم الجمعِ بالبيداء يصهرهُ ... حرُّ الهواجرِ في صُمٍّ من الفتنِ)

ويتبيّن من نفَس أبي الطيب في الشعر أنه قد تطلّق وأمعن في عدوه إلى غايته ماضياً لا يلوي على شيء ، وأن لسانه قد انطلق بمعاني قلبه ، فهو مبينٌ في شعره وإشارته ، غير حافلٍ بما سوف يلقاه من الكيد فيما بعد ولولا أن الرجل كان ركّابَ الطبع — يجمد ثم يفور ، ويقرّ ثم يتقلقل — لما كان من أثر كيد ابن كروّس له ، ما نرى في كلامه من التدفق والتدافع الذي تراه فيما روينا لك من الشعر . ويحسن بك وأنت تقرأ هذا أن تتبع ما رسمنا لك في تتبعك لإشارة الرجل ، وأن يكون منك على ذكر أن الرجل كان حين يفور ويقول ، تتراءى لعينيه ويدوّي في مسمعيه كل ما سمعه أو مرّ به ، فهو يوجز لك ما في نفسه ضميراً في أبياته وكلماته

وقد استمرّ أبو الطيب على حالته التي نصفُ ، حتى اتصل بأبي العشائر فكلُّ شعره في هذه الفترة آراء ونظرات كلها مستنبطٌ من ينابيع نفسه ، وذلك لما قلنا به من أن الأصل في نبوغ المتنبي هو (استيعابه ما يحسُّ به من العواطف ، ودراسة قلبه ومعرفة ما يجري فيه من الآلام ، والمعاني التي تتولّد من هذه الآلام ، ثم اهتداؤه إلى أن الشعر لا يكون شعراً إلا حين يروى من معاني القلب ويستقي منها) . وبينا الرجل كذلك ، إذ جاءه كتاب جدّته تسأله المسير إليها وتشكو شوقها إليه ، وطول غيبته عنها ، فلما قصد الكوفة التي هي بها وشارفها حيل بينه وبين دخولها ، ورؤية جدته المسكينة على ما مضى في تأويل هذه الواقعة — فلما ماتت رحمها الله ثارت نفسه ، وقذف بكل مكنونها من الآلام التي لهبها ، والحوادث التي صاحت فيه عندها ، وكاد يصرّح بما لقي من كيد العلويين له في مسألة نسبه على ما فسرناه ، وما قصد به من الحسد والوشاية . ويكفي أن نشير هنا إلى بيت واحد من قصيدته في رثاء جدته لنعلم أيّ مبلغ الألم من

قلب أبي الطيب حتى مزّقه ، والبيت لايحتاج إلى شرحٍ أو تفصيل ، وفي تدبره او تأمّل لفظه غنى ، إذ كان حسرةً محبوسةً في ألفاظ ، وكمداً مكموماً وراء كلماتٍ . يقول

(عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا ، فلما دهتني لم تزدني بها علما)
منافعها : ما ضرَّ في نفع غيرها ، تغذّى وتروى ، ان تجوع وان تظما

واجتمع على ابي الطيب ما في قلبه من الالم ، وما دهاه من موت جدته فترنّحت نفسه بقوتها حيناً ، واستسلمت لحكمتها وفلسفتها احياناً — وهو فيهما حكيم بليغ — فهو بعد ان ثار ما ثار يقول في رثاء جدته

كذا أنا يا دنيا اذا شئتِ فاذهبي ، ويا نفس زيدي في كرائهها قُدْما
فلا عبرت بي ساعةٌ لا تعزّني ، ولا صحبتني مهجةٌ تقبل الظلما

وانطلق من بغداد — حيث كان حين ماتت جدته — قاصداً انطاكية بالشام ، يقول في القاضي أبي الفضل احمد بن عبدالله بن الحسن الانطاكي

انعم ولَذَّ فللامور أواخرٌ ، أبداً ، إذا كانت لهن اوائلُ
ما دمتَ من أرب الحسان ، فانما ، رَوْق الشباب عليك ظلٌّ زائلُ
للهو آونةٌ تمرّ كأنها ، قُبَلٌ يزوّدها حبيبٌ راحلُ
جمح الزمان ، فلا لذيذٌ خالصٌ ، مما يشوب ، ولا سرور كامل

ومثل هذا الرأي قليل عند ابي الطيب ، بل هو ليس من عادته ، ولا مما يواتيه طبعه على معاطاته والقول به . وانما أتاه من انه كان قد اشتدّ في ثورته الى الغاية حتى بلغ اقصى ما تحتمله نفسه من العنت والمشقة ، ثم اصابته فترة تعقب ذلك لا بد منها ، فاستخرجت حكمته هذا المعنى وهو يحمل من اليأس والتعب والنصب ما ترى في مثل قوله « روق الشباب عليك ظلٌّ زائلُ » وقوله : « جمح الزمان . . . . » فهذا كلام اليائس المستسلم ، اذا قاله من كان مثل أبي الطيب في تدفّعه وتقحمه وثورته ، وهو أشبه بالاستسلام من التعب والشقوة والنصب . هذا على ان الحالة التي كانت متلبسة به ، لم تفارقه كل المفارقة بل كان فيه اعقاب منها ، فلما قصد المعاني التي يقصدها على طبعه وغريزته ، والتي تكون الفاظها كالقتلة في حديدها ، خرجت منه ألطف تعبيراً واقل تحدراً منها في غيرها .. فيقول لهذا القاضي

لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا ، بيتاً ، ولكني الهزبر الباسلُ
ما نال أهل الجاهلية كلهم ، شعري ولا سمعت بسحري بابلُ
(واذا أتتك مذمتي من ناقص ، فهي الشهادة لي بأني كامل)
من لي بفهم أُهيل عصر يدعي ، ـ أن يحسب الهنديَّ ـ فيهم باقلُ

وكذلك ، ولكنه اقوى قليلاً ، ما أتى به بعد في قصيدته لاخي هذا القاضي (ابي سهل سعيد بن عبد الله بن الحسن الانطاكي) إذ يقول في صفة نفسه

إذا قدمتُ على الاهوال شيعني قلبٌ ، اذا شئت ان اسلاكم خانا
(أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني فلا أعاتبه صفحاً وإهوانا)
(وهكذا كنت في أهلي وفي وطني ان النفيس غريبٌ حيثما كانا)
(محسَّد الفضل مكذوب على أثري ألقى الكميَّ ، ويلقاني اذا حانا)
لا أشرئب الى ما لم يفت طمعاً ولا أبيت على ما فات حسرانا
ولا أسرُّ بما غيري الحميد به ولو حملتَ اليَّ الدهر ملآنا

وفي هذه الابيات يلتفت — على عادته — الى الايام التي مضت له بالكوفة ، وما لقي هناك في خبر موت جدته ، فيذكرها ويثبتها في شعره . والالتفات في شعر المتنبي من معنى الى معنى ، هو الذي نستطيع ان نستخرج به اسرار الرجل كلها، اذ كان على ما وصفنا لك يستوعب ما يدور بقلبه من الخواطر والاحساس والآلام ويستخرج منها معاني شعره . فالتفاته هنا بعد رجوعه من الكوفة — دليل على ما كان قد لقي هناك من الكيد ، وهذه الصفات التي وصف بها نفسه هي ايضاً من اثر ما لقي هناك

ولم يلبث صاحبنا ان ثابت اليه قوته ، فنفض عن نفسه أسباب اليأس والخشوع ، وألجأته الى طريقته الشعرية التي عرف بها واطرد ، وهي طريقة طبيعته الثائرة المستوفزة المتأهبة للقتال والنضال . ولكنه حين بدأ يعود الى المذهب الذي جرى عليه — كما رأيت فيما مضى — كان لا يزال متثائباً كالمستيقظ من سبات عميق قد غمره . . فذلك قوله بعد ذلك وهو بأنطاكية ايضاً حين مدح ابا ايوب احمد بن عمران

ومطالبٍ فيها الهلاك أتيتها ثبتَ الجنان كأنني لم آتها
ومقانبٍ بمقانبٍ غادرتها أقوات وحش كنَّ من أقواتها
أقبلتها غرر الجياد ، كأنما أيدي بني عمران في جبهاتها

فذكره الماضي وما كان فيه من المغامرة والتقحم والقتال والكفاح ، أشبه بقصة من يقص عليك حلماً كان رآه في نومه . فهو لا ينظر الى المستقبل كعادته ، ولا ينذر ولا يوعد ، ولا يصف ما سيكون منه بعدُ ، كما رأيت في شعره الذي سبق هذه الفترة التي اصابته . ويؤيد هذا ان حكمته كانت تجري هذا المجرى من كلام الاحلام — وكذلك كان مدحه — فهو يقول في حكمته في هذه القصيدة

في الناس أمثلةٌ تدور حياتها كمماتها ومماتها كحياتها

فانني لو كان في غير حالته تلك لاخذ هذا المعنى ورماه اليك متفجراً مدوّياً، ولوجدت كل كلمة منه ملأى بما في نفسه من الازدراء للناس، والاستهانة بهم، ولاندفع في السخرية والتهكم على عادته حين يتناول أمثال هذه المعاني، كقوله فيما مرَّ بك

حولي بكل مكانٍ منهم (خلقٌ) تخطي إذا جئتَ في استفهامها بمن ؟

وكانت أيامه تلك هي آخرة الفتور الذي حدَّ من طمحه وجماحه، ثم انبرى كأشد ما كان، وقد اجتمعت نفسه وتضامَّ شتاتها، وعادت اليه افكاره كلها فهو ينقل منها في شعره مثلاً تاماً، ولا يصغر الا ما كان لا بدّ له من اضماره وهو منطلقٌ في الحديث عن نفسه ومما يجول في صدره، فلما قدم على عليّ بن احمد بن عامر الانطاكي يمدحه قذف في وجهه بهذه الابيات

أُطاعن خيلاً من فوارسها الدهرُ وحيداً، وما قولي كذا ومعي الصبر ؟

فهذه صورة مما كانت عليه نفسه قبل ما ذكرناه ثم ارتداده بعد الى طبيعته القوية كما سترى. فهو حين ذكر انه يقاتل الدهر، ذكر انه يقاتله وحيداً لا ناصر له ولا عضد فلما جرى ذلك في ضميره، أبت عليه كبرياؤه أن يضعف في القتال لتوحّده وانفراده وقلة ناصره، فاستدرك على هذا المعنى الذي خطر له فلام نفسه ان يخطر لها هذا الخاطر — وهو نذير الضعف والاستسلام والخضوع — فقال: «وما قولي هذا القول المستضعف الذليل، ومعي أقوى ناصر، وأشدُّ عضد وهو هذا الصبر الذي أقاتل به، وهو عندي عتادة الانصار والاشياع» ثم تفجر بعد ذلك

وأشجع مني كل يومٍ سلامتي وما ثبتت الا وفي نفسها أمرُ

تمرَّستُ بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموتُ، أم ذعر الذعرُ ؟

وأقدمتُ إقدام الأتيّ، كأنَّ لي سوى مهجتي، أو كان لي عندها وِترُ

ذر النفسَ تأخذ وسعها قبل بينها، فمفترقٌ جاران دارهما العمرُ

وهذا كله تعقيبٌ على الشطر الاول من البيت الاول، وجدالٌ قائمٌ بين الفترة التي كانت قد أصابته وما علق به من آثارها، وما أسلفت في نفسه من المعاني والآراء، وبين الطبيعة التي تقوم عليها شخصيته وتتميز بها نفسه، وهي طبيعة القوة والتقحُّم، وما تفجر هذه الطبيعة في نفسه من معاني الاقدام، وما تولد له من الآراء والاحكام. فلذلك كانت الابيات التي تليها هي انتصار طبيعته القوية المشبوبة الفتية، وكانت الآراء التي تضمنتها هي الآراء التي كثر ورودها في شعره، احتشدت فيها آراؤه في المجد الذي يصبو اليه، وما يجب ان يأخذ نفسه به لادراكه، واحكامه على أهل عصره، واستسقاطه لهم، وخاصة ملوكهم وأمرائهم الذين قارسهم فلم يجد فيهم خيراً بل وجدهم خذلاناً لمن استنصرهم، وخبثاً وخداعاً لمن استنصحهم، فقال في ذلك في أعقاب الابيات التي رويناها

ولا تحسبنَّ المجد زقّاً وقينةً ... فما المجد الاّ السيفُ والفتكةُ البكرُ
(وتضريبُ أعناق الملوك وأن ترى ... لك الهبوات السود والعسكر المجرُ)
(وتركك في الدنيا دويّاً، كأنما ... تداولُ سمعَ المرء أنملهُ العشرُ)
اذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص ... على هبة، فالفضل فيمن له الشكرُ
(ومن ينفق الساعات في جمع ماله ... مخافة فقر فالذي فعل — الفقر)
(عليَّ لأهل الجور كلُّ طمرَّة ... عليها غلامٌ ملء حيزومه غمرُ)
يدير بأطراف الرماح عليهم ... كؤوس المنايا حيث لا تشتهى الخمرُ
وكم من جبال جبت تشهد أني الـ... ـجبال، وبحر شاهد أني البحرُ

. . . .

(وجنّبني قربَ السلاطين مقتُها ... وما يقتضيني من جماجمها النسرُ)
(واني رأيت الضرَّ أحسنَ منظراً ... وأهون من مرأى صغير به كبرُ)[1]

وأخذ المتنبي بعد ذلك يشتدُّ في نفسه ويقوى على أثر ما أصابه من الفتور، وأخذ يستعرض حياته كلها ويستخرج ما فيها، وآراءه ويختار منها، ويصوغها في شعره، وكل ذلك مما يبنيه على ما مر به من أحداث الزمن، فانه حين رحل عن انطاكية قاصداً دمشق نزل في طريقه على علي بن محمد بن سيار بن مُكرّم التميمي فكان مما ورد في شعره له قوله

وما شكري سوى قتل الأعادي ... فهل من زورة تشفي القلوبا
تطلُّ الطير منها في حديث ... تردُّ به الصراصر والنعيبا

ثم يستذكر ما لقي من الحساد كابن كروّس وغيره ممن آذوه وهو بطبرية وانطاكية وغيرها فيقول حين ذكر الليل

أقلّب فيه أجفاني كأنّي ... أعُدُّ به على الدهر الذنوبَا
(وما ليل بأطول من نهارٍ ... يظلُّ بلحظ حسّادي مشوبا)
(وما موت بأبغض من حياة ... أرى لهمُ معي فيها نصيبَا)
(عرفت نوائب الحدثان حتى ... لو انتسبت لكنت لها نقيبَا)

ثم يزيد على ذلك إذ يذكر آراءه في الحياة وما كان منه في سعيه للمجد وطلبه، وما كان حرج في إدراكه من الثأر والمطالبة (بحقه) المهضوم في انتسابه للعلوية كما مرّ بك، ثم ما مرّ به

(١) فان القارئ ليس في حاجة بعد الى الوقوف به عند كل مفصل للقول، حتى ما تقدم من النهج كتابه له، وحسبه ان يطيل عند كل بيت اطالة المستغرق في التدبر، فسيجد في هذا الشعر، وبذلك يرى حقيقة الرجل ماثلة بنفسه في ألفاظه وأبياته ومن تعرف المتنبي الا ان تعقل ما تركه من الرأي

من الاحداث، ومن لقي من الناس الذين استدعوا احتقاره لهم وازدراءه إياهم ، وهو مع ذلك مضطرٌ لمداناة عشيرتهم ومصادقتهم ، ثم يذكر موت جدته بالكوفة ، وأثر ذلك في نفسه وهي التي يحبها حبَّ الولد والإخلاص والبنوة وذلك إذ يقول

أقلُّ فعالي بلهَ أكثره مجد وذا الجدُّ فيه نلت أو لم أنل جدُّ
(سأطلب حقي بالقنا ومشايخٍ كأنهم من طول ما التثموا مردُ)

. . . .

(أذمُّ إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدمٌ ، وأحزمهم وغدُ)
(وأكرمهم كلبٌ، وأبصرهم عمٍ ، وأسهدهم فهدٌ ، وأشجعهم قردُ)
ومن نكد الدنيا على الحر ، أن يرى عدواً له ، ما من صداقته بدُّ
بقلبي ، وإن لم أروَ منها ، ملالةٌ وبي عن غوانيها وإن وصلت صدُّ

فهذه كما ترى كلمات كلها منتزع مما كان في حياته لذلك العهد ، ومما أصابه من الرزايا ، وما أدركه من الإخفاق في المطلب ، وما أورثه ذلك من الحسرة والمرارة وألم الحرمان . ولما كان ذلك كله مما صار به إلى ما أصابه — على ما ذهبنا اليه أولاً — في طريقه وهو يسعى لادراك ثأره عند العلويين الذين خذلوه وظلموا جدته وأنزلوا بها شراً مريراً ، وكانت جدته قد ماتت قبيل ذلك الوقت بقليل ، وكان أثر موتها لا يزال يحز في نفسه ، التفت قلبه إلى تلك الحبيبة التي فارقته ، وانتقل من هذه المعاني التي تراها في الأبيات السابقة الى ذكرى جدته فقال

خليليَّ دون الناس حزن وعبرةٌ على فقد من أحببت ما لهما فقدُ
تلجُّ دموعي بالجفون كأنما جفوني — لعيني كلِّ باكية — خدُّ

ثم تلفّت صاحبنا بعد هذين البيتين وهو يكتبهما ، وتأمل أحزانه وآلامه ، ورأى أن البكاء والنحيب مما لا يجمل به ، وكيف يبكي وينتحب وهو من هو في الصبر والجلد وتحمل النكبات غير جازع ولا متململ ، وقد لقي بصبره — في سبيل جدته وفي سبيل نفسه — كل نائبة ، وطوى الارض موكلاً يدرعها غير حافل ، ولقي من الحسد ما لقي ، وأصابه من عداوة الناس له ما أصابه ، فاغتابوه وآذوه فاستدرك صاحبنا على بكائه على جدته بقوله بعدُ يصف نفسه وما كان منه وما كان من أعدائه

وإني لتغنيني من الماء نغبةٌ وأصبر عنه مثلما تصبر الرُّبدُ
وأمضي كما يمضي السنان لطيتي وأطوى كما تطوى المجلحة العقدُ
وأكبر نفسي عن جزاء بغيبة وكل اغتياب جهد من لا له جهدُ
وأرحم أقواماً من العيِّ والغبى وأعذر في بغضي لأنهم ضدُّ

وعلى ما وصفنا لك من حالته ، وما يلح في صدره ويعتلج في نفسه ، انحدر الى دمشق ولم يقم بها الا قليلاً ، وقصد طبرية وذلك في سنة ٣٣٦ ، ولعل ان كروس كان قد غادرها إذ ذاك والظاهر ان ابا الطيب اعاد دخلها في جوار بعض اصحابه ، ومن كانوا يكرمونه من اهل الفضل والنبل ، واطمأن قليلاً بها ثم هاجت الطوية عليه مرة اخرى ، وأثنوا عليه عداوتهم ، وأرادوا ان يكيدوا له كيداً يتخلصوا منه ومن امثاله ، ونحسب ان ابا الطيب كانت له في البلاد التي دخلها شيعة تشاركه الرأي وتتعصب لمذهبه في السياسة ، وتزيد في تعصبها لشعره وأدبه ، فكان ذلك سبباً في اثارة الفتن في كثير من البلاد التي دخلها .

وانت ، فلا تظن ان مثل ابي الطيب كان اذا دخل بلداً دخله صامتاً مطبق الشفتين ، لا يفتحهما الا حين ينشد قصيدته في (المديح) في مجلس من يمدحه ، ثم ينصرف الى داره مدوباً في ركن من اركانه ، حتى يأذن له شيطان شعره بقصيدة اخرى وهكذا وهلم جرا . كلا ، فإنا لا نشك في ان ابا الطيب — ذلك الظريف الخاص ، الحاضر البديهة ، الحلو النادرة ، الاديب النفس ، صاحب الرأي في السياسة ، وطالب الحكمة أنى كانت ، والثائر على حكام عصره ، والمزدري لاهل زمانه ، والذي تتبين في شعره مواضع التجربة الطويلة ، والخبرة النافذة ، والتفرس بالاخلاق عاليها وسفسافها ، والذي كان شعره قطعة من احساسه وطبيعته ، وما يمسها مما يدور حولها او يدانيها من احساس الناس وطبائعهم ، والذي كان شعره ينم على تلك الطبيعة الركابية المتفجرة ، والتي لا تهدأ الا ريثما ترتد اليها قوتها القاصمة الناسفة ، والذي لم تكن هذه الظاهرة في شعره دعوى او باطلاً او ظاهراً لا باطن له — اذ لو كان ذلك كذلك لوقع فيها التخالف على تطاول السنين ، ولنقصت وضعفت ضعف الاسباب الحاملة لها — والذي كان ذا لسان وبيان ، وكان جدلاً طلق اللسان أبي النفس ، لا يهاب ان يصارح وان يكشف عن صبره على شدة ما لقي من الكيد والمكر والتربص والرصد ، ثم كان (الرجل) الشاعر الفرد من أهل عصره الذي كشف عن سيئات العصر ، وصور رذائله كلها في كثير من شعره ، والذي كان قريباً من الامراء ، أثيراً عند كثير ممن لقيهم — نقول : إنا لا نشك ولا تشكن انت — في ان ابا الطيب ، قد أثار كثيراً من الجدل في الادب والسياسة ، وتمرس بالناس وتمرسوا به وأخذ وأعطى ، وناقش وجادل ، وذهب مذهباً في تناول الآراء والاصال والاحداث التي وقعت في الدولة العربية ، وبين رأيه فيها في مجالس أصحابه ، وتناقلت الالسنة ما كان يقول ، ووجد حساده من تكشفه وصراحته مطعناً ومقتلاً يطعنون به فيه ، وظفر الوشاة بغذاء قلوبهم ، وزاد ألسنتهم ما كان الرجل يكاشف به من الرأي ، وما يبديه من النظرات والافكار ، فسعوا به الى اعدائه ، والتي كانوا يضمرون له السوء من

أصحاب السلطان ، أو من كانوا يعادون أبا الطيب لأسباب جنيت من السعاة والوشاة ، وإن لم يخف عنهم ان هؤلاء كانوا عن لا يميلون الى بغاثه بينهم ، أو يتربصون ان يظفروا به قبل ان يفوتهم بحذره ودهائه .

فبينما ان أبا الطيب دخل طبرية — على حالته تلك التي وصفت — مراغماً للعلويين ، ثم ان كانوا يكيدون له قبلُ على عهد بدر بن عمار ، والذي كان يتولى كبر ما يأتون به الاعور ابن كروس كاسرٌ بك وكان في هذه الايام التي هيها بطبرية حذراً متوجساً يترقب ، وكان بالرملة إذ ذاك (سنة ٣٣٦) الامير ابو محمد (الحسن بن عبيد الله بن طغج) فلما أتاه الخبر بأن ابا الطيب نازل بطبرية طمع في مديح أبي الطيب ، وودّ لو نزل عليه ، وأقام عنده مكرّماً ، فلم يزل يراسله ان يتحمل اليه وينزل عنده ، فاصر ابو الطيب الرحلة اليه ، وكان الخبر قد بلغ العلويين أن (أبا محمد بن طغج) راسله وعزم عليه في الرحلة اليه ، فانتهزوها نهزةً معترضة أن يفتكوا به ، وتوهموا الطريق التي سيركبها ابو الطيب — ولا بدّ — في رحلته ، فأصدروا له جماعة من عبيدهم السودان بقرية بالقرب من طبرية يقال لها (كفر عاقب) ، وامروهم ان لا يقتلوا الرجل الا جثة دامية . والظاهر ان أبا الطيب كان قد جرى في خاطره انهم فاعلو مثل ذلك ، فخالف الطريق التي درج السابلة على ركوبها ما بين طبرية والرملة ، ففات الرصد ، بامه ما كانوا قد عزموا عليه ، وما كانوا قد أرصدوا له ، فربتْ نفسه ، وزمر زفرته من هذا الكيد الملاحقه بكل طريق ، وثارت في صدره الروعة التي كانت تثور فيه كلما ابتلي ببلاء من العداوة ، او أصيب بعصبية من الكيد والمكر السيء . فلما دخل الرملة ليمدح الامير أبا محمد ابن طغج كان يفور ويغلي ويتقلقل ويتفجر ، فلم يأخذ نفسه بآداب المديح والزيارة المبتدأة ، ورمى في وجه ممدوحه بقنابلهِ قبل أن يلج الى مديحه فقال

فالي وللدنيا ، طِلابي نجومُها ،	ومسعايَ منها في شدوق الأراقمِ
من الحلم أن تستعمل الجهلَ دونه ،	إذا اتسعتْ في الحلم طرْقُ المظالمِ
وأن تردَ الماء الذي شطره دمٌ	فتسقى، إذا لم يسق من لم يزاحمِ
ومن عرف الأيام — معرفتي بها	وبالناس — روّى رمحه غير راحمِ
فليس بمرحومٍ إذا ظفروا به ،	ولا في الردى الجاري عليهم بآثمِ

ثم التفت الى نفسه (يمدحها) فقال

(إذا صلتُ لم أترك مَصالاً لفاتك	وإن قلت لم أترك مقالاً لعالمِ

وقد قدمنا لك في أثناء القول ان أبا الطيب كان إذا نزل به نازلٌ مما يكربه من الغمّ والهمّ اشتدَّ به ذلك وأخذ عليه نفسه، فينصرف فكره كلُّه الى التدبر فيما مضى عليه من الرزايا ، وما

أجلب عليه من العداة وعداواتهم . ولا يزال يحدّق بصره في هذه الحالة ، مستوعباً كل إحساس في حسه وكل ما مرّ به وأصاب منه ، حتى تتحجّر في قلبه ونفسه ينابيع البيان فينزع الحكمة من قلبه ولها أصولٌ تاريخية ضاربةٌ فيه . فإذا تدبرت الابيات السابقة وجدتَ فيها تاريخ قلبه وتاريخ مصائبه كلها على ما سماه في حديثنا . ثم ان أبا الطيب لما كربه أمر العلويين الذين أرصدوا له مكمن مقبرٍ ، ارتد الى الحالة التي وصفنا ، فلم يزل يدور ذلك في فكره بين قلبه ولسانه فلم يقدر أن يمتنع عن ذكره في شعره الذي قاله لابي محمد خاصة ، ثم في شعره الذي قاله بعد لطاهر العلوي كما سترى . فمما قال لابي محمد يذكر هذا الكيد الذي كيد به في طبرية

كريمٌ نفضتُ الناس لما بلغته ... كأنهم ما جفَّ من زاد قادمِ
وكاد سروري لا يفي بندامتي ... على تركه في عمريَ المتقادمِ
(وفارقتُ شرَّ الارض أهلاً وتربةً ... بها علويٌّ جدُّه غير هاشمِ)

والظاهر أنه كانت ، بين الامير ابي طغج وهذا العلويّ الذي كاد هو وشيعته لابي الطيب في مخرجه من طبرية ، عداوة قائمة . وأن هذا الكيد كان لسببين ؛ الاول ، ما كان بين العلويين وبين أبي الطيب كما قدمنا ، والآخر ، هذه العداوة بين رأس العلويين بطبرية وهذا الامير الذي خرج أبو الطيب من طبرية قاصداً له مادحاً إياه . فلذلك قال أبو الطيب فيما يلي ما اشتدناك

ملا الله حسّاد الامير بحلمه ، ... وأجلسه منهم مكان العمائمِ
فإن لهم في سرعة الموت راحة ، ... وإن لهم في العيش حزَّ الغلاصمِ

هذا وقد بقي أبو الطيب في جوار الامير ابي محمد بالرملة مكرماً ، يصحبه الامير في رحلاته ويحضره مجالسه ، ويرافقه في زياراته ، ويتصل عليه كل الاتصال ، حتى أرضى ذلك القلب الذي كان بعض الاعاجيم فيه طبيعة ثابتة قائمة لا تفتر . وكان من اصحاب هذا الامير رجل من شيوخ العلويين بالرملة ، وأبناء شيوخهم ، وكانت له ولاهله اياد كثيرة عند بني طغج ، فلم يعتب الامير ابا محمد ما في مدح ابي الطيب له ، وهو لم يمدح رجلاً جليلاً كصاحبه هذا (أي لابي طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي) ، فرغب الى ابي الطيب ان يمدحه وكان من ابي الطيب ما كان في امتناعه على ما مر بك ، فلما اجاب الامير الى مدحه مرغماً ، حاملاً على نفسه — إذ كان قلبه لا يرضى ابداً عن هؤلاء العلويين الذين آذوه ، والذين لقي من كيدهم بالامس القريب ما لقي ، من إرصادهم لقتله — قال قصيدته يمدحه ولكنه قدم قبل مدحه هذه الابيات وفيها ما فيها من . لمز قوم من العلويين ، لعلهم ان تكون بينهم وبين طاهر قرابة دانية ؟

نحوي دون الذي أمرتُ به ... ولم تدر ان العار شرُّ العواقبِ
(ولا بد من يوم أغرَّ محجَّلٍ ... يطول استماعي بعده للنوادبِ)

يهون على مثلي اذا رام حاجةً وقوعُ العوالي دونها والقواضب
كثير حياة المرء — مثل قليلها يزول — وباقي عيشه مثل ذاهب
إليكِ ، فاني لستُ ممن اذا اتقى عضاض الافاعي نام فوق العقارب
(أتاني وعيد الادعياء وأنهم أعدّوا ليَ السودان في كفر عاقب)
ولو صدقوا في جدّهم لحذرتهم فهل فيَّ وحدي قولهم غير كاذب

ثم التفت الى نفسه (بمدحها) كأمر بك في قصيدة الامير ابن طغج فقال فيما يلي ذلك

إليَّ — لعمري — قصد كل عجيبةٍ كأني عجيب في عيون العجائب
بأي بلاد لم أجرّ ذوائبي ؟! وأي مكان لم تطأه ركائبي ؟!

وقد مضى ذكر هذه القصيدة وأبيات أخرى منها اكتفينا بما مضى منها عن الاعادة . على أن هناك أشياء أخرى ، كان اولى بنا التوسع في تفصيلها ولكنا أرجأناها الى موضعها من كتابنا وبالله التوفيق

ثم عزم ابو الطيب الرحلة من الرملة الى جوار ابي العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن الحسين بن حمدان العدوي ، فخرج من الرملة في سنة ٣٣٦ يريد أنطاكية ، ولم يحدث له حادث الا ما كان من امر اسحق بن كيغلغ في طلبه منه أن يمدحه فهجاه بقصيدته المشهورة التي اولها

هوى النفوس سريرة لا تعلمُ عرضاً نظرت وخلت أني أسلمُ

فلما علم ابن كيغلغ اراد قتل أبي الطيب وكان إذ ذاك بطرابلس — فخرج منها فأتبعه ابن كيغلغ خيلاً ورجلا فانحرف صاحبنا بالهرب الى بعلبك ثم الى دمشق ثم خرج من هناك الى انطاكية ولقي أبا العشائر وكان مما قال لهذا الاعور ابن كيغلغ

أرسلت تسألني المديح سفاهةً صفراءُ أضيق منك ، ماذا أزعمُ ؟
وأرعت من (لأبي العشائر) حاصلاً ان الثناء لمن يزار فينعمُ
ولمن أقمت على الهوان ببابه تدنو فيوجأُ أخدعاك وتنهمُ

ثم طفق يمدح أبا العشائر الى ان قال

والوجه أزهر ، والفؤاد مشيعٌ ، والرمح أسمر ، والحسام مصمّمُ
(أفعال من تلد الكرام كريمةٌ وفعال من تلد الاعاجم أعجمُ)

فكأنَّ أبا الطيب كان قد ملَّ الاعاجم واستنقصهم، وفيهم الامير ابو محمد بن طغج الذي كان قد نزل عنده بالرملة ومدحه ، ونال من عواطفه

أأصبرُ عنك ، لم تبخل بشيءٍ ؟
ولم تقبلْ عليّ كلامَ واشٍ ؟
وما وُجِد اشتياقٌ كاشتياقي
ولا عُرِف انكماشٌ كانكماشي
فسرتُ اليك في طلب المعالي ،
وسار سوايَ في طلب المعاش .

أردنا في الباب السابق أن ندلك على نفس أبي الطيب ، وما تميزت به عن شعراء العربية جميعاً ، وما انطوت عليه من القوة والرجولة ، وما كان يزلزلها من الثورة التي لا تزال تهزّه من قرارة ذاته ، فتنطلق زلازلها من قلبه إلى لسانه ، فينفث لسانه في شعره عدد هزّات الزلزلة وقوتها ، فلذلك نقلنا اليك طائفةً من شعره على التوالي في ترتيبها الزمني حتى هذا العهد الذي بدأ حين اتصل بأبي العشائر ، فدخل مدخلاً غير الاول ، وذهب في الشعر مذهباً نحا ونحوت معاني نفسه من غرضٍ بعينه الى غرض آخر غير مفارقٍ للاول ، بل منه استمدّ ، وعليه بنى .

خرج أبو الطيب من الرملة بماله ونفسه وما وراءه قاصداً أنطاكية التي كانت في يد بني حمدان العرب التغلبيّين ، وكان على امرها — من قبل سيف الدولة — أبو العشائر الحمدانيُّ الشاعر المبدع ، والمحارب الباسل ، والعربي الخالص المحب للعرب والعربية ، الشديد العداوة للروم والترك والديلم الذين توالت غاراتهم على الدولة العربية بالجيوش تارة ، وبالدسائس والمكايد والتفريق تارة أخرى . وكان المتنبي قد عرف بني حمدان من قبل ، وعرف منهم خاصة سيف الدولة[1] الذي كان الآن سنة ٣٣٦ صاحب الشام ، والمستولي على أمرها ، والمنتزعها من يد بني طغج الاخشيديين الاتراك .

دخل أبو الطيب أنطاكية ليلقى العربَ والعربية في مجلس بني حمدان ، وقد رمى دَبْر أذنه وتحت قدمه ، الاعاجمَ وما مدحهم به . وأراد أن ينقل شعره من تكلف المديح الى التطلق والاسترسال في مدح من هم من رأيه ، ومن يجد فيهم مرضاة نفسه وآماله ، ومن كان قبل قد مدح القوم العلوج ليستخرج منهم بعض أموالهم التي غلبوا الأمة العربية عليها ، وليكون على

(١) قد مضى ذلك في سنة ٣٢١ ، وقد تكلمنا هناك عما فيه الكفاية ان شاء الله — انظر من ص ٣٠ الى ٥٠

مقربة من مكرمهم ودسهم ، وعلى علم بما يصرون لأمته من الشر الغاب على قلوبهم وعقولهم، فهو الآن قد وجد قوته وأهله وعشيرته ، فليأتهم بكل غريبة من القول ، وليمجد ذكرهم في شعره ، وليهدأ قليلاً مما كان فيه من الثورة ، ليستطيع أن يحزم رأيه وتدبيره مع هؤلاء القوم — على أن يعيدوا مجد العربية ، (ويديلوا من دولة الخدم) الذين علوا على سياسة الأمة ، ورموا بها في موارد الهلاك والغش ، فهذا سر قوله لأبي العشائر في قصيدة مدحه بها ، والتي نقلنا أبياتاً منها في رأس هذا الباب

سرت اليك في (طلب المعالي) وسار سواي في (طلب المعاش)

فهو إنما قدم على بني حمدان لما ذكرنا لك لا لتكسب بالشعر ، وأكل الخبز من قوافيه ومعانيه

رأيت قبل أن المتنبي كان إذا مدح بدأ بنفسه فذكرها وعدّدها وعظمها ، ثم يبدي آراءه في الدنيا ، ويكشف عن الثورة العائمة في ضميره وقلبه ، ثم يعد ويوعد ويهدّد فلما بدأ اتصاله ببني حمدان ، ترك هذا المنهج ، وادخر قوته كلها لاحراز هذا الامر ، وأسبغ على بني حمدان ما كان يسبغ من قبل على نفسه من ثياب المجد ، فهو يصفهم كما كان يصف نفسه ، ويعلو بهم الى غاية السمو في القوة والسلطان والسماحة والمروءة وعظم المطلب . ولم يلبث يذكر نفسه الا حين يحرجه الوشاة والساعون بالشر بينه وبينهم

فلما اتصل ابو الطيب بأبي العشائر ، ونال منه مكانه ، وأدرك عنده طلباته ، دبت وشاية الوشاة فاطلا كيه تطل أفاعيها مرة اخرى ، ومدت الفتن عناقها من قبل شيعة العلويين والفاطميين والاخشيديين والعباسيين — على ما نذهب اليه — . وشعر ابو الطيب بما هنالك فدل أبا العشائر عليه بلطيف القول غير مصرح فقال

فيا بحر البحور ولا أورّي ويا ملك الملوك . ولا أحاشي
كأنك ناظر في كل قلب فما يخفى عليك محل غاشٍ ؟
أأصبر عنك لم تبخل بشيء؟ ولم تقبل عليّ كلام واشٍ ؟

. . . .

فيا حاشيك بالتكذيب راجٍ ولا راجيك بالتخييب خاشٍ
أرى الناس الظلام .وأنت نور وإني منهم لاليك عاشٍ
(بُليت بهم بلاء الورد يلقى أنوفاً ، هن أولى بالخشاش)

والظاهر ان ابا العشائر كان قد أصمّ أذنيه عن سعاية السعاة والوشاة والحساد ، وما كانوا يريدون من تقليب قلبه عليه كما فعلوا بقلب بدر بن عمار . فلما لم يأذن لهم ابو العشائر اول اول ، زادوا في التشهير بالرجل . واجتلاب الاكاذيب في ذمه ونقيصته ، والتعريض به وبأدبه ،

ويذكرون ما كان في شعره من الثورة والانذار والوعيد وذم الناس، وفخره على من مدحه، وسوء أدبه في مديحه إذ يقدّم مدح نفسه، ثم يزيد فيمدحها بما لم يمدح ممدوحه بمثله او ما يقاربه، ووقع اليهم ما كان ينبز به لدى بدر بن عمار من تسميته بالمتنبي [1]، فزادوا عليه ووضعوا من عند أنفسهم لقصص في تطويل الحكاية، وتعظيم امرها وبدأ العلويون ايضاً يرصدون غفلة منه ليخرجوه الى ان يصرح بنسبته العلوية، فلا يجدون عند ذلك حرجاً من ان يأخذوه كما اخذوه اول مرة، ثم يعموا به في غيابة السجن بضع سنين. فلما نما هذا المبلغ وضاق بهم ابو الطيب لم يجد بدّاً من العودة الى طريقته الاولى حين يخرج، فكان مما قال في ذلك كله قبل ان يلج الى مديح ابي العشائر

(أنا ابن من بعضه يفوق أبا البـــــاحث، والنجل بعض من نَجَلَه)
(وإنما يذكر الجدود لهم ... من نفّروه، وأنفدوا حيلَه)
فخــراً لعَضْبٍ أروح مشتمله ... وسمهــريّ أروح مُعْتَقِلَه
وليفخر الفخر اذ غدوت به ... مرتدياً خـــيره ومنتعلَه
أنا الذي بيّن الإلهُ به الـ ... أقدارَ، والمرء حيثما جعلَه
جوهرة، تفرح الشراف بها، ... وغصة، لا تسيغها السفلَه
(إن الكذاب الذي أكاد به ... أهون عندي من الذي نقلَه)
فلا مبالٍ، ولا مداجٍ، ولا وا ... نٍ، ولا عاجزٍ، ولا تُكَلَه
ودارعٍ سفته خـــرّ لقىً ... في الملتقى والعجاج والعجلَه
وسامعٍ رعته بقافيةٍ ... يحار فيهـا المنقح القولَه
(وربما أشهد الطعام معي ... من لا يساوي الخبز الذي أكلَه)
(ويظهر الجهل بي وأعرفه، ... والدرّ درٌّ برغم من جهلَه)

ومن صدق الرجل في محبته لابي العشائر خاصة وبني حمدان كافة، فعل ما لم يفعله من قبل، فاستدرك على ما ذكر به نفسه من التعظيم والتبجيل فقال

مستحيياً من أبي العشائر أن ... أسحب في غير أرضه حللَه

(١) قد مضى رأينا في هذه التسمية، ولعلها كانت لما كثر في شعره من الانذار والوعيد

وقد اشار ابو الطيب في هذه القصيدة الى انهم زادوا على ما ذكرنا من الكيد انهم كانوا قد أكثروا القول لدى أبي العشائر ، وزعموا انه انما كان يمدحه ليتكسب والنيل من فواضل ماله ، ونكدّ بواعثه بكل نقيصة تفسد عليه قلب أبي العشائر فقال

ما لِيَ لا أمدح الحسين ، ولا أبذل مثل الودّ الذي بذله ؟
أأخفت العين عنده أثراً ! أم بلغ الكَيْذَبانُ ما أمَلَه ؟

ولكن أبا العشائر كان قد عرف فيما نظن سرّ الكيد الذي يكاد به ابو الطيب ، ولعل سيف الدولة ايضاً كان قد بلغه مقدمُ أبي الطيب على أبي العشائر فكتب اليه ان يحرص على الرجل ، ولا يسمع فيه لمنتقص ولا ذامّ ولا متكذِّب ، لما يعلم من سرّ الرجل الذي انطوى عليه في أمر نسبته العلوية كما قدمنا . فلذلك لم يجد الوشاة أذناً صاغيةً ولا سميعة ، فانصرفوا برغمهم ونال أبو الطيب الكرامة والعزة في جوار أبي العشائر ، وهدأ واستقر قراره ، واطمأن نفسه ، منتظراً مقدم سيف الدولة الى انطاكية في مسيره في نواحي البلاد التي استولى عليها بالشام . وفي هذه الفترة من الطمأنينة والسكينة والكرامة لدى أبي العشائر استجمّ الرجل لقوته ، وادّخر لسيف الدولة ذخائر قلبه وكرائم فؤاده



وعندي لك الشُّرَّدُ السائرا
تُ، لا يختصصن من الارض دارا
قوافٍ — إذا سرنَ عن مِقوَلي —
وثبنَ الجبال، وخضنَ البحارا
ولي فيك ما لم يقل قائلٌ،
وما لم يسر قمرٌ حيث سارا
سما بك همّي فوق الهموم،
فلستُ أعُدُّ يساراً يسارا
ومن كنتَ بحراً له، يا عليُّ،
لم يقبل الدُّرَّ الا كبارا

في سنة ٣٣٧ كان سيف الدولة (أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان العدوي التغلبيّ) قد استولى على أكثر الشام، ووقف للروم يردُّ غاراتهم على أطراف بلاده، ويوقع بهم إيقاعاً شديداً. وعلت مقدرته الحربية كلَّ من كان في عصره من القوّاد ورؤوس الفتن التي عملت في انتقاص الدولة العربية وهلاكها. وكان يؤمل له ان يتسع ملكه اتساعاً عظيماً لولا ما كان من الاحداث العظيمة، ثم ما كان في الدولة من دسائس الاعاجم التي فرقت العرب، فلم تدع أمّة من الناس الا دخلت بينهم ففرقتهم شرّ ممزّق؛ وجعلت بعضهم على بعض حرباً وفساداً وأيضاً ما كان من دعوة العلويين لقلب الخلافة التي بالعراق من عباسية سنية الى علوية شيعية، وأيضاً ما كان من الدعوة السرية الخارقة التي كان يقوم بها دعاة الفاطميين. وكانت هذه اشدّ البلايا التي ابتلي بها العالم العربي كله، إذ أدخلت فيه ما ليس من طبيعته، وقذفت به في ظلماء نهارها من ليلها، وكان دعاتها قد تفرقوا في كل مكان من سلطان الدولة العباسية، ليوقعوا بين الامراء، وليحوروا الى دعوتهم فئةً غالبة تعينهم على ما يريدون وما يؤملون من إقامة الخلافة الفاطمية ممتدّة من المغرب الاقصى الى ما وراء خراسان

وكان بنو حمدان من شيعة العلويين، ومن المتحققين بخدمة الدعوة العلوية الا انهم كانوا عرباً يدعون الى العلوية العربية، لما وجدوا من غلبة الاعاجم على الدولة العباسية، ولكنهم حين

رأوا ما دخل بين العرب من فساد الأعاجم ومن الدعوة الفاطمية الجارفة. وكانوا لا يفرّقون هذه الدعوة ولا ينظرون لأصحابها بالنسبة الفاطمية المكرّمة — رجعوا فتحوّزوا الى الدولة العباسية ينصرونها وينصرون الخليفة (القائم) على كرسي الخلافة. هذا، مع اكرامهم للعلويين وتعظيمهم لهم. وقد أبدى بنو حمدان من الدهاء، وسعة الحيلة، وحسن السياسة والتدبير في التوفيق بين عقائدهم العلوية وسياستهم العباسية، ما لا قبل لأحد من أهل ذلك العصر في الإتيان بمثله أو القيام على أقلّ منه. وقد أثبت بنو حمدان بسياستهم تلك أنهم كانوا يريدون إنقاذ العرب والاسلام من الفتن الباغية التي صلت أفاعيها لتهدم في تصديع السلطان العربي، وانتقال الشوكة والعزة الى الحكم العجمي الشعوبي الفاسد الطوية، الساعي بكيده الايقاع بالعرب ودينهم ولسانهم.

وكان سيف الدولة صفحة من بين بني حمدان أكثرهم دهاء وأوسعهم حيلة، وأشدّهم حبًّا للعرب ودينهم، وأكثرهم سعياً في ردّ الحكومة والسلطان الى العرب، وأعظمهم همة في مساعي المجد لنفسه ولقومه، وأكرمهم طبعاً آسراً، وكان من بينهم محبًّا للأدب، قائماً على خدمته وكان بسليقته شاعراً حلو اللسان خفيف الروح ثاقب الفكر. وكان مبغضاً للأعاجم ولسانهم الذي أرادوا أن يعلوا به على فارس وغيرها كما فعل بنو بويه.

والظاهر أن سيف الدولة كان قد عزم في نفسه أن ينال بهمته غاية الغايات في ضم أشتات البلاد العربية تحت سلطانه وفي ظل حكومته، وكان أول ما اتخذ من ذلك أن زاحم عمال الاخشيديين في الشام حتى أزاحهم عن أكثرها وردهم الى الرملة، واستأثر دونهم بأكثر البلاد الشامية، حتى خلع منه الاخشيد، فتزلّف اليه بأن زوّجه ابنة أخيه، ولم يجد ذلك كثيراً ولا قليلاً في إطفاء نار العداوة المستعرة بين الدم العربي والدم الأعجمي الغريب. واستمرّ سيف الدولة في طلب التوسع والمدّ، ولولا ما لقي من حروب الروم، وما أجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم لكان تمّ له ما أراد، فان حروب الروم، قد استهلكت كل قوته، فلم يجد متسعاً لنيته في توطيد حكمه في الشام، حتى اذا استجمع أداته واستوفر قوته، مال على العراق فرد أمر الحكم الى نصابه في يد واحدة لا تضطرب ولا ترتعش. وذلك لما كان يرى من تقسم الأمر في بلاد الخلافة وضياع السلطان بين الموالي، وما جرّ ذلك من المداعي المتوالية في كل مدينة من المدن العظيمة، ومن الفتن المتتابعة في كل ناحية من النواحي. ونحن نظن أن السبب في كثرة غزوات الروم — في عهد سيف الدولة — لبلاد الشام وأطرافها، أن الذين كانوا يحتوون الناس ببغداد من الأعاجم والروم والترك والديلم لينالوا ما يريدون — علموا بأمر سيف الدولة وما اعتزم من الميل عليهم ميلة راوية، فأوعزوا الى ملك الروم أن يقاتله، وأوقعوا في قلبه أن سيف الدولة انما يريد أن يزيل الملك من بين يديه ويغلبه على بلاده، فتمّ لهم بذلك ما أرادوا من صرف سيف

الدولة عن غزوهم وتجريمهم ، واحتلال أرضهم ، وانتزاع السلطان من أيديهم . وكان سيف الدولة على علم بما يبيتون له من المكر ، فكان يحارب الروم ويواقعهم ، ويعدُّ انتصاره وهزيمة الروم انتصاراً للدعوة العربية وهزيمة للأعاجم أصحاب هذا المكر ومن وقع في حبائلهم من العرب الذين هم سلطان في سلطان هؤلاء . ولذلك كان وقع انتصاره في العراق ومصر وقع الصاعقة على رؤوس الفتنة ، والذين تولوا كبر هذا المكر السيء والكيد الخفي .

وأحدثت هذه الوقائع — التي انتصر فيها سيف الدولة على جيوش الروم — عداوة أصحاب السلطان من الأعاجم لدولة بني حمدان فطفقوا يعملون على تفريق شمل من اجتمع الى سيف الدولة وآزره ونصره ممن كان بالموصل والشام وغيرها ، وبذلوا في سبيل ذلك أموالاً ودنانير . ولولا ما كان عليه سيف الدولة من الكرم والسخاء وبسط اليد للعافين والمريدين طبيعة مركبة في أصل خليقته ، لأعيوه ، ولأخرجوا من سلطانه أكثر من دان له ورضي به وبحكمه ولأعانهم على ذلك ما يرون من المظالم التي ارتكبها سيف الدولة مدة حكمه وسلطانه .

هذا . . . وقد كان أبو الطيب — حين دخل أنطاكية قاصداً أبا العشائر في سنة ٣٣٦ عليماً بأمر سيف الدولة ، مدركاً للمكايد السياسية التي أحاطت بالرجل ، خبيراً بحقيقة ما اضطلع سيف الدولة بأعبائه من إنهاض الهمم العربية ، مستيقناً من أن غرض سيف الدولة فيما عمل إنما هو ضرب العصبية الفارسية على الفتن التي أوهنت قوة الدولة العربية وفتت في عضدها ، وأن الرجل كان قد اتخذ لأمره أحكم سياسة وأبرعها وأحسنها وأدقها وأمثلها في الوصول الى الغرض المطلوب .

وكان أبو الطيب نفسه ، يرمي بكل نفسه الى هذا الغرض الذي يسدد اليه سيف الدولة ، فكان اتفاقهما في الغرض سبباً لاتصالهما وتوافقهما وتفاهمهما ، وما كان بينهما من المودة والحب والكرامة .

وأحرى أن أبا الطيب — كما وصفناه لك أولاً — كان يرمي ببصره الى (الرجل) ، الرجل الذي تجتمع في رجولته صفات الخير كلها ، وصفات الكمال بأسرها ، كما كان يراها قلبه ويحلم بها فؤاده وأوهامه .

والرجل في أحلام أبي الطيب هو صورة مثلها له ضميره ، من أحقاده وآلامه وثورته . فهو الرجل العربي الشجاع المستبسل الذي لا يهاب ولا يفتر ، بل يتقحم ولا يزداد على البلاء الا مضاء وعزيمة ، وهو الرجل النافذ ببصره وبصيرته إلى أعقاب الأمور لا يني ولا يغفل ولا ينام ، وهو الرجل المحارب الذي لا ينام ، ولا يصبر على ضيم ، ولا يقر على ظلم ، وهو الرجل الفتى العربي الذي داخل سياسة عصره فعرف أسرارها ، واتخذ لنفسه مدخلاً ومخرجاً فيها ، وأعمل فكره في إبعاد فتنه ، وجاهد في سبيل ذلك بقلبه وفكره ولسانه ويده . وكانت هذه الصورة في دم أبي الطيب تدور فيه دوران الدم ، فإذا وجد (الرجل) حن اليه كأشد ما تجد من حنين الدم إلى الدم ، وأخلص له ، وبذل له ذات نفسه وضمير قلبه ، فتراه لا يمجد نفسه في شعره الذي يمدح به (الرجل) ،

بل يبدل كل كريهة من الصفات لهذا الممدوح مضرباً عن ذكر ثورته، تاركاً وعيده وانذاره وتهديده الا ان يخرج كما حدثناك قبلاً . وقد رأيت فيما مضى ان هذا قد وقع من ابي الطيب حين لقي بدر بن عمار الاسدي ، وهو الفتى العربي (ارجل). وهذه الظاهرة الغريبة في شعر ابي الطيب تدل على انه ما كان يعني بقوله اكتساب المال وادخاره للعيش ومرافق الحياة ، بل كان يريد ان يحقق آماله التي يسعى اليها في رد السلطان لقومه العرب الاعياد . ولهذا نجد الرجل لم يقر سنوات في جوار احد الا في جوار هذين العربيين (بدر بن عمار ، وسيف الدولة) ، وذلك لما كان يرى منهما من الجهاد في سبيل الغرض الذي انطوت عليه جوانحه . وكان سريع الفراق لمن مدح غيرهما ، إما لانه لم يجد عندهم غرضاً إذا كانوا من العرب ، وإما لانه انما مدح بشعره للإجارة والمال الذي هو ملاك كل عمل إذا كانوا من غير العرب . فهذا موضع قوله في شعره لابي العشائر الحمداني

فسرت اليك في (طلب المعالي) وسار سواي في (طلب المعاش)

قالوا : « كان أبو العشائر والي انطاكية من قبل سيف الدولة ، فلما قدم سيف الدولة الى انطاكية ، قدم المتنبي اليه ، وأثنى عنده عليه ، وعرفه منزلته من الشعر والادب ، وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فاشترط المتنبي على سيف الدولة - اول اتصاله به - أنه - إذا انشده مديحه - لا ينشده الا وهو قاعدٌ ، وأنه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه ، ونسب الى الجنون . ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلع الى ما يرد منه ، فلما انشده قصيدته الاولى التي اولها « وفاؤكما كالربع اشجاهُ طاسمه » ، حسن موقعه عنده فقربه ، وأجازه الجوائز السنية ، ومالت نفسه اليه وأحبه ، فسلمه الى الرواض فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة »

ونحن لا نسلم بكل ما ورد في هذا النص ولا نثق به إذ كان مروياً من غير ثقة مأمون معروف ، وانما هو مما يتداوله الادباء على علاته دون نقد او تجريح ، وبحسب ما ان نحدثك عن نقده قليلاً ، فان في النقد بركة وخيراً ليست لشيء من الكلام

فأول ذلك ، ان هذا اللقاء في سنة ٣٣٧ بين سيف الدولة وأبي الطيب لم يكن اول لقاء ، ولم يكن اول تعارف بينهما ، فقد حدثناك قبل انه لقي سيف الدولة وأحبه ، وأحبه سيف الدولة في سنة ٣٢١ حين مدحه المتنبي بعد مخرجه من الكوفة متوجهاً الى الشام ، وكان لقاؤهما رأس عين من ارض الموصل الذي كان يدين لبني حمدان بالطاعة إذ ذاك . ولا شك ان سيف الدولة ، وكان إذ ذاك صغيراً لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ، قد فرح بمدح ابي الطيب له ، وبقي ذلك اثراً في نفسه يجعله يتتبع شعر هذا الفتى العربي ومصيره . فهو كما ترى كان على معرفة به وبأدبه وشعره ومنزلته من الشعر والادب ، هذا فضلاً عما استنبطناه هناك من العلاقة بين بني حمدان وأبي الطيب

وجدته ، وانهم كانوا يصلون عليها ويكرمونها ، وأنهم كانوا على علم بما اصابها من نكبتها في ابنها وحيدها

وأخرى : . ان النص يقول إن أبا العشائر قدّم المتنبي الى سيف الدولة « وعرفه منزلته من الشعر والادب » وهذا عجيب من امر سيف الدولة الاديب الشاعر السياسي المطلع على كل ما كان في البلاد العربية ، المتتبع لكل حدث في السياسة والادب ، عجيبٌ أن لا يكون قد وصل اليه طرف من شعر ابي الطيب يعرف منه منزلته في الشعر والادب ، فيأتي ابو العشائر فيعرفه تلك المنزلة !!

وثالثة . أن النص يقول ان سيف الدولة قد دخل تحت شروط المتنبي حين اشترط عليه انه لا ينشده الا وهو قاعد ، وأنه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه . ونحن لا ندري لماذا يدخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، ولا نعرف لماذا اشترط أبو الطيب هذه الشروط ....
إذا كان قد جاءه على غير معرفة متصلة بينهما ، وكان قد جاءه مستميحاً طالباً رفده ونواله ومواصلته وهلاّ أجل ذلك الى أجله ، فيمدحه وينشده حتى اذا حسن موقعه عنده ، اشترط عليه ما يريد ، فيتقي بذلك سوء الرد ، وينال الاذن له بما يشترط رغمة نكبت حساده ، وتغيظ عداته ، ويكون منه هذا ادل على حسن سياسته ، وسمجيته ، ويكون اشبه بتدبير أبي الطيب كما سنبك في مواضع من كلامنا !!

والرابعة : ان في النص كلة يراد بها الغض من ابي الطيب وتحقيره ونسبته الى الجفاء والفظاظة والجلافة ، إذ زعم واضعها انّ سيف الدولة سلم أبا الطيب « الى الروّاض ليعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة » . فقد كان أبو الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة فارساً محارباً ولا شك ، وكان قد اتصل بكثير من اصحاب السلطان وأصحاب الفروسية والطراد والمثاقفة ، وقد مرّ بك انه كان قد دخل لبنان وشارك في الطراد والصيد ، وكذلك حين كان في جوار بدر ابن عمار وغيره ممن مدح ، ولا نظن ان أبا الطيب كان قد طوى هذه السنين كلها بالشام ، مع ما كان فيه من الصحب بقوته وفروسيته وذكر ذلك في شعره ، ثم لم يأخذ نفسه بتعلم ذلك او المشاركة فيه — مع أنها كانت من الانتشار والذيوع بمكان لا يجهل

فهذه الرواية — كما ترى لا تصلح ان تكون سياقاً للقاء ابي الطيب سيف الدولة . واعلم ان اكثر ما يروى في ترجمة هذا الرجل وغيره من الرجال ، انما كان من الاحاديث التي تتناقلها مجالس الادباء ، ولا يراد بها التحقيق ولا ينظر فيها الى صدق الرواية وسياق التاريخ وما الى ذلك ، بل ان كثيراً مما يروى في تراجم رجالنا كان مما يراد به مضغ الكلام في مجالس الامراء او في مجالس الادباء . — هذا على انها ربما جاءت فيها بمحمل اشياء لولا ورودها في هذه

النصوص لانفردنا من حلقات التاريخ حلقات لا ينتظم امره الا بها ولا يستمر الا عليها . فلمثل هذا كان لا بد لنا من النظر في النصوص وغيرها ، ورد بعضها والاخذ ببعض ، حتى لا تضيع بنا السبل في الرحلة لهؤلاء الاعلام . فلا يجوزنك هذا اذا قرأت ما نكتب ، او اردت انت ان تقرأ او تكتب

والسياق التاريخي عندنا لمقام أبي الطيب سيف الدولة هو ما ترى .

نزل ابو الطيب ضيفاً على أبي العشائر ، يمدحه ويخبره ويزون ما عنده من الهمة ، وما في هذه الهمة من المطالب ، وما في مطالبه من الموافقة لما في ضميره من الآراء والاحكام . وكان يريد بذلك ان يكون على كثب ومقربة من بني حمدان (الذين منهم أبو العشائر) ، ليحقق في نفسه ما عرف عنهم من خبر ، وليرى رأيه في البقاء معهم أو مفارقتهم ضارباً في الارض على ما كان عليه من قبل حتى يأذن الله له ، ويأتيه بالموالي الموافق الذي يستطيع ان يهب له قلبه وحبه ، ورأيه وحكمته وتجربته وخبرته ، وآراءه في السياسة الدولية التي كان جاهداً في معرفة خفاياها ومصيرانها طول حياته . وكان يحصن بارادته هذه سيف الدولة وهو علمُ بني حمدان اذ ذاك ، والمستولي على الأشد من رجال عصره ، والذي عهد فيه ابو الطيب حين رآه في سنة ٣٢١ رجولة متفجرة للوثبة ، وسمع من اخباره ما يكاد يحقق نبوءته في ظفره وغلبه على خصومه وخصوم أبي الطيب نفسه

وبقي أبو الطيب سنة في ظل أبي العشائر ، وكان فتىً من فتيان بني حمدان ، قد جمع أداة الفتوة ولم يستكملها ، وكان اديباً مقتدراً مولعاً بالادب ، مجلاً للادباء عاطفاً عليهم محبباً لهم ، وكان شاعراً تقع له الندرة الجيدة في شعره ، والنادرة البديعة ، غير متعمد ولا جاهد . وأحب ابو الطيب صاحبه ابا العشائر ، واحبه ابو العشائر واكرمه واضفى عليه من كرمه ولينه وحنانه ، وقد حفظ له ابو الطيب هذه اليد التي له عنده ، حتى انه لما غضب عليه بعد — لامر سيأتي ذكره فيما يستقبل من كلامنا — وارسل الى ابي الطيب بعض غلمانه ليوقعوا به وهو بظاهر حلب ورماه احدهم بسهم اخطأه ، وقال له وهو يرميه : خذه ، وانا غلام ابي العشائر — لم يحبط ذلك أبا الطيب على أبي العشائر ، ولم يستدع هذا الجرم على قبح هجاءه ابا العشائر ، بل قال :

ومنتسب عندي الى من احبه ... وللنبل حولي من يديه حفيف
(فهيّج من شوقي — وما من مذلّة ... حننت — ولكن الكريمَ ألوفُ)
وكل وداد لا يدوم على الاذى ... — دوام ودادي للحسين — ضعيف
(فان يكن الفعل الذي ساء واحداً ... فأفعاله اللائي سررنَ ألوفُ)
ونفسي له — نفسي الفداء لنفسه — ... ولكنَّ بعض المالكين عنيف
(فان كان يبغي قتلها — يكُ قاتلاً ... بكفيه — فالقتل الشريف شريفُ)

وهذه الحادثة وما كان من أبي الطيب فيها، وما قال من الأبيات السالفة دليل قاطع على أن الرجل كان إذا أحبَّ وأخلص الحبَّ لم يحوّله شيء عن حبه، وأن هجاءه الذي كان منه لبعض من مدحهم، إنما كان منه لأنه لم يكن يضمر لهم حبًّا ألبتّة، بل كثيراً ما كان يخفي بين جنبيه احتقارهم وازدراءهم، ولولا الضرورة لما مدحهم ولا قصدهم ولا وقف بأبوابهم. وهي أيضاً دليلٌ على ما قطعنا به — في موضع من كلامنا — من أن أبا الطيب كان ودوداً ألوفاً، كريم الخلق، وفيًّا لمن وفى له وأحبه وبادله الودّ. وقد صدق صاحبنا إذ وصف نفسه يوماً فقال

خُلِقتُ أَلوفاً، لو رجعتُ إلى الصبا ... لفارقتُ شيبي مُوجَعَ القلب باكيا

وهذا موضعٌ من أخلاق أبي الطيب وشيمته ينبغي الوقوف عنده وتدبره، إذ كان كثيراً ما يعترض به المعترضون حين يذكرون أخلاقه، حتى أنهم من اضطرابهم في فهم أخلاق الرجل وشيمته رموه هو بالاضطراب والملل في الصداقة والودّ، وليس الأمر على ما ظنوا، بل هو كما ترى في كلامنا هذا. ورحم الله أبا الطيب، فقد حمل من نكد الدنيا في حياته وبعد موته ما لقي من أرزاء

هذا . . . ، وقد لقي أبو الطيب وهو في جوار أبي العشائر — كما حدثناك في الباب السابق — كيداً كثيراً، وتقوّل عليه المتقوّلون ما شاؤوا، وآذوه وكثّروا عليه الوشاية والسعاية، وغمزوا بدينه وثيابه، وكان ما زعموه من تشهيرهم به إذ نبزوه باللقب الذي عرف به بعد وهو (المتنبي). ولم يكن كل ذلك مما يرد أبا الطيب عن غايته التي قصد من أجلها أبا العشائر فبقي صابراً حتى كانت سنة ٣٣٧

في جمادى الأولى من هذه السنة قدم سيف الدولة — من حربه مع الروم وظفره بجيش بَرْزَوَيْه — إلى أنطاكية التي كان بها أبو العشائر وأبو الطيب، فاستقبله أبو العشائر، وأعلمه ما كان من مقدم أبي الطيب عليه، وإكرامه له، ووصف له ما حسُن عنده من خلق أبي الطيب، وما وجد فيه من الفتوّة والمروءة، وما أعجب به من حسن عشرته، وجميل أدبه في المنادمة والمسامرة، وما عابه أبو الطيب من الطبيعة الثائرة الجبّارة، وما انطوى عليه قلبه من محبة العرب وبغض الأعاجم، وما سمعه من آرائه في سياسة الأمة، وما انتابت به من البلاء الأعجمي والفتن الآكلة رطب الحياة العربية ويابسها، وذكر له شعره الذي مدحه به . . فذكر سيف الدولة ذلك الفتى العربي الصبوح الوجه الحسن السمت صاحب الوفرة المسترسلة التي تسيل إلى شحمتي أذنيه، ذكر ذلك الذي أنشده مديحه في سنة ٣٢١ وهو يتدفق بفصاحته وبيانه، ويتصدع بصوته وشدّته وحماسته وحدّة شبابه، ذكر سيف الدولة تلك الشخصية الطاغية بسحرها وجمالها

وحلالها ، والتي لا تدع للنسيان في الذاكرة يداً ماحية أو ممسحة . . وقد كان أبو الطيب كما وصفوه « رجلاً يميل الى السمن . . . قويًّا بدينًا حليقًا شخيصاً ، عادي الخلق ، قوي الأساطين ، وثيق الأركان ، جيد الفصوص ، فيه جفاء وخشونة » ذكرهُ سيف الدولة واستيقظت في قلبه النغمة النائمة في غوره ، وتحمست له أخباره التي كان قد سمعها عنه من سنة ٣٢١ إلى هذه السنة فتقدم الى ابي العشائر ان يستدعيه لساعته ، شاكراً له حسن وفادة الرجل واكرامه له

وكذلك لاقى العربي الثائر الشاعر الفذ ، العربي الفاتح الثاري المجاهد الفذ ، على شوق وحنين ، وحن الدم الى الدم ، وعلقت النفس بالنفس ، وتمازجت القلوب في ساعة من غفلات الدهر — اخرجت كلا الرجلين عن طوره . وكان هذا اللقاء الثاني فاتحة مجد ابي الطيب وخلود ذكر سيف الدولة في شعره وبيانه

وفي هذا اللقاء التاريخي الذي اتقصت فيه القلوب ، ورمت بأسرارها وأشواقها ، ثارت نفس الرجل البليغ ، واحتشدت لها كل حوادثها وما مر بها من الأهوال ، في مجلس امير العرب الفاتح المجاهد الظافر ، وتقادمت المعاني من قلبه الى لسانه ، ووقفت محبوسة في هذه الأبيات التي ضمها الشاعر الى قصيدته بعد في مدح اميره وأمير قومه (١)

سلكتُ صروف الدهر حتى لقيته   على ظهر عزم مؤيدات قوائمُهْ
مهالكَ لم تصحب بها الذئبَ نفسُهُ   ولا حملت فيها الغراب قوادمُهْ
(فأبصرت بدراً لا يرى البدر مثله   وخاطبت بحراً لا يرى العبر عائمُهْ)

ثم قال البيت الذي تنازعته كل عواطف قلبه ، ونوازع فؤاده ، وآراء فكره ، وفصيح بيانه

(غضبتُ له لما رأيت صفاته   بلا واصفٍ والشعر تهذي طماطمُهْ)

وكان ذلك بدء المجد الخالد الذي بقي للعرب في صحبة امير فذ من امرائهم ، رد به العدو عادية الروم عن بلد من بلادهم ، لا يزال معقلاً للعرب والعربية الى يوم الناس هذا . . ألا وهو الشام الذي يضم فلذة أكباد الفاتحين من المهاجرين والانصار ، ومن سبقهم اليها في الجاهلية من امرائها الصباح من بني غسان ، وكان ذلك ايضاً بدء المجد الخالد للسان العربي ، والفكر العربي الصريح في ديوان شاعر فذ من شعراء العربية ، لم يرزق الشعر ولا الحكمة مثله ذا لسان وبيان . ألا وهو أبو الطيب المتنبي واحد الشعراء الذي جاء (فملأ الدنيا وشغل الناس)

ولا بدَّ لنا من الوقوف قليلاً عند هذا الموضع من الكلام ، ودفع شبهة ما نحن فيه من لقاء الاسدين العربيين الفاتحين . زعما لك فيما مضى أن تلك الابيات الاربعة كانت مما ثار في قلب أبي الطيب في هذا المجلس الاول قبل أن يحتفل بيانه لقصيدته الاولى التي أنشدها سيف الدولة في

(١) انشد ابو الطيب هذه القصيدة في مجلس آخر غير هذا المجلس الذي وصفناه لك

تلك السنة وهذا موضع تدبر وصبر، لابد أن ندعه قبل أن نسوق اليك من أخباره طرفاً حتى تمهد لنفسك نهجاً مقارباً يعينك على استخراج أسرار أبي الطيب، واستنباط ما كان يلج في نفسه من المواجد بلى، وهو عندنا قانون من قوانين شعر أبي الطيب ومنه تستطيع أن تعرف خبيات ماني شعره من ضمائره ومبهماته. هذا، وسنكشف لك عنه ما يستقل كشفاً مبيناً إن شاء الله(١)

كان أبو الطيب على ما وصفنا لك من قوة النفس، وحدة الطبيعة، مرهف الحس، سريع التأثر، تتطابق عواطفه كلها في ساعة من ساعات حياته، فلا تلبث أن تستثير كل قوة فيه، وتجتمع كل قواه حين ذلك ماضية من قلبه الى لسانه لتثبت عليه عدد هزات الزلزلة التي وقعت في قلبه ونفسه، ويسرع لسانه إلى بيانه ليبين عنه ما يمضي من الإبانة، فيحتفل بيانه كله في أبيات فيها تكون هي أول القصيدة عند أبي الطيب، ثم يدخرها صاحبنا لأجلها وموضعها، يثبتها في مكان من شعره وكثيراً ما تجيء هذه الابيات في موضع لا تتساوق فيه معاني الكلام على قاعدة مطردة من حق المعنى وتتابعه، فلذلك ترى هذه الابيات التي تعمل في ألفاظها هزات نفسه واقفة بين كلامين، ولا تكون هي صلة بينهما، بل تكون كالفارق الفاصل. وهذا هو ما نسميه في شعر أبي الطيب موضع (الانتقال). ومن مواضع الانتقال هذه تستطيع أن تستشف الحالة النفسية التي كان عليها الرجل. فإذا تبصرت فيها، واستخرجت معانيها، وحللت كلامها وألفاظها، وفسرته على الاصول الشعرية والنفسية القائمة في شعر أبي الطيب ونفسه كما قدمناها لك — استطعت أن تتلمس في ظلام التاريخ الحلقات التي ينبغي لك أن تصل بعضها ببعض، فيسري التيار بينها قضيء لك، فتتكشف المعاني في شعر الرجل، وتتبين المواضع الغامضة المظلمة من حياته. وهذه هي الطريقة التي اتبعناها فيما كتبنا مما مضى بك، وقد تحققنا صدقها، وإسنادها في المشكلات التي وقعنا إلى تفسيرها أو نقدها أو تمييزها

ونحمل ما هنا أن نعود بك الى الابيات التي ذكرناها، ونبين ذلك فيها . . . . ونسألك أن تعذرنا اذا قصرنا، وأن تسددنا إذا أخطأنا، وأن تصبر على ما نستطرد فيه من الكلام بصبر لا يحتمه الملل، فلا حكم للمول ولا متزع

يقول أبو الطيب قبل الابيات التي رويناها لك يصف سيف الدولة

له عسكرا خيل وطير، اذا رمى ... بها عسكراً لم يبق الا جماجمه
أجلتها — من كل طاغ — ثيابه ... وموطئها — من كل باغ — ملاغمه

. . . .

(١) انظر لذلك الباب الثالث عشر من حديثنا عن المرأة التي صنعت لأبي الطيب حكمه، وأبدت بيانه بيانها النسوي البليغ

سحابٌ من العقبان يزحف تحتها سحابٌ إذا استسقت سقتها صوارمهْ

ثم (ينتقل) أبو الطيب من ذكر الحرب ، ووصفه جيوش سيف الدولة ، وما كانت تأتي به من اهوال الحرب ، وما تكون منها في ساحات الوغى فيقول غير متخلص الى غرضه — على ما يريد علماء البلاغة من حسن التخلص فيمون يصف نفسه وما لاقى هو من الاهوال والمهالك

سلكت صروف الدهر حتى لقيته على ظهر عزم مؤيدات قوائمه

الابيات الاربعة التي آخرها

غضبت له لما رأيتُ صفاتهِ بلا واصفٍ ، والشعر تهذي طماطمهْ

ثم (ينتقل) بعد هذا البيت انتقالاً آخر فيقول يذكر نفسه ورحلته

وكنت اذا يممت ارضاً بعيدةً سريت فكنت السرّ والليل كاتمهْ

ثم (ينتقل) ايضاً بعده فيذكر سيف الدولة . فيقول

لقد سل سيفَ الدولة المجدُ معلما ، فلا المجد مخفيه ، ولا الضرب ثالمهْ

فهذه الانتقالات المتتالية وقفنا عند الابيات الاربعة التي قدمناها ، وتبصرنا فيها وفي معانيها وفي دلالات ألفاظها واحدة واحدة ، ورددنا النظر الى مقدم أبي الطيب الى انطاكية في جوار ابي العشائر سنة ٣٣٦ ، ثم مقدم سيف الدولة اليها في سنة ٣٣٧ ، ثم في اللقاء الذي رووا خبره على علاته ، ونقصنا الابيات ومعانيها وتلمسنا الخلجات في ظلام التاريخ والترجمة ، ووصفنا ذلك اللقاء الذي كان في تلك السنة بين ابي الطيب وسيف الدولة ، ونحن نظر بين لا تحصر الى ما قدّمنا من التاريخ في صدر هذا الباب ، وما عرفنا من خلق ابي الطيب وآرائه واغراضه وآماله ، وما وقفنا عليه من خلق سيف الدولة وآرائه واغراضه وآماله ، ثم حكمنا كما رأيت انها كانت اول ما قال ابو الطيب من قصيدته تلك واتمنا الرأي على ذلك ، واعتمدناه وسرنا على بركة الله . فانظر ماذا ترى [1]

ثم نعود الى ما كنا به . . . . لقي ابو الطيب سيف الدولة ، وخرج من مجلس امير العرب ، وهو يقول كما قال اولاً في بعض من مدح بأنطاكية

معدّى ابن ... الرجال ، سميدعاً هو البكر المد الذي ما له جزرُ
وما زلتُ حتى قادني الشوق نحوه يسايرني في كل ركب له ذكرُ
واستكبر الاخبار قبل لقائه فلما التقينا ، صغّر الخبرَ الخبرُ

(١) اعتر منا اذ أردنا ان نقطع عند لفظ لفظ من الابيات ، وسكت لك الرأي كله مقيداً ، تطوينا بذلك وراء من هذا الحديث ، ولكان ذلك قاطعاً لنا عن اتمام هذا العدد من المقتطف . فلا بد لك اذن من النظر ، ثم الصبر ، ولعلك تلم بشوك ما لم نبينه بجمعنا وفقنا الله واياك

واحتملت نفس الشاعر الثائر البعيد هذا اللقاء، ونسي نفسه وما كان يذكرها به من القوة والفتوة، وما كان طول عمره يصمها به من صفات الرجولة والكمال، ووجد آماله في آمال سيف الدولة، وآراءه في آرائه، وعواطفه في عواطفه، فأتى في مدح (مرحلة) كل نفسه وآرائه وأفكاره وعواطفه وألغى ذكر نفسه، ونثر بين يدي سيف الدولة درره الاولى في تاج بني حمدان مشرقة متلألئة تسطع وتتضوأ. وفي هذه القصيدة الاولى التي أولها «وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه» رجعت الى أبي الطيب قوة التصور والتخيل فرسم صورة سيف الدولة كأحسن ما تأتي من بنان مصور صَنَع لبق مبدع، ووصف المجلس الذي كان فيه سيف الدولة كأنك تراه. وذلك أنه دخل عليه وقد جلس في فازة [1] من الديباج عليها صورة ملك الروم، وصور رياض بدوحها وطيرها ووحشها وحيوانها. فكان مما قال في صفة تلك الفازة والاسد المقعي في ذراها

وأحسن من ماء الشبيبة كله ... حيا بارق في (فازة) أنا شائمه
عليها رياض لم تَحُكْها سحابة ... وأغصان دوح لم تُغَنِّ حمائمه
وفوق حواشي كل ثوب موجَّه ... من الدر سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطلحاً به ... يحارب ضدٌّ ضدَّه ويسالمه
إذا ضربته الريح ماج، كأنه ... تجول مذاكيه، وتدأى ضراغمه [2]
وفي صورة الرومي ذي التاج ذلة ... لأبلج، لا تيجان إلا عمائمه
تقبل أفواه الملوك بساطه ... ويكبر عنها كمه وبراجمه [3]
قياماً لمن يشفي من الداء كيُّه ... ومَن بين أذني كل قرم مواسمه
قبائعها تحت المرافق هيبةً ... وأنفذ مما في الجفون عزائمه [4]
له عسكرا خيل وطير إذا رمى ... بها عسكراً لم يبق إلا جماجمه
أجلتها من كل طاغ ثيابه ... وموطئها من كل باغ ملاغمه
(فقد مل ضوء الصبح مما تغيره ... ومل سواد الليل مما تزاحمه)
(ومل القنا مما تدق صدوره ... ومل حديد الهند مما تلاطمه)

. . . .

(١) الفازة مظلة تقوم على عمود في وسطها. وهي أشبه بما يتخذه الناس في يومنا هذا على شواطئ البحار
(٢) يصف الخيل (وهي المذاكي) والأسود وهي تختل صيدها من الظباء النافرة
(٣) البراجم: مفاصل الاصابع
(٤) القبائع جمع قبيعة. ما يكون على قوائم السيوف من الحلي، يعني السيوف المحلاة بالذهب والفضة

لقد سلّ سيفَ الدولة المجدُ معلماً فلا المجدُ مخفيه، ولا الضربُ ثالمه
على عاتق الملك الأغرّ نجاده وفي يد جبّار السموات قائمه
تحاربه الأعداء، وهي عبيده، وتدّخر الأموالَ، وهي غنائمه
ويستكبرون الدهرَ والدهرُ دونه، ويستعظمون الموت، والموت خادمه
وإن الذي سمّى علياً لمنصفٌ وإن الذي سمّاه سيفاً لظالمه
وما كلُّ سيفٍ يقطع الهامَ حدُّه وتقطع لزبات الزمان مكارمه

فاقرأ ثم اقرأ ثم تدبر ثم عُدْ إلى النهج الذي أشرنا إليه في الحديث عن بدر بن عمار، ووصفه الأسد هناك، وقارن بين ما ترى هنا وما ترى ثم تجد الفارق بيناً واضحاً، ولتمس، بشعري الدائع العظيم ممتداً من زمان بدر إلى هذا الزمان غير منقطع، وتدبر هذه الأبيات الأخيرة وما وشّاها به أبو الطيب من ميسمه الذي يتلذّع منه قائله، والذي صار علامةً بيّنةً في كل شعره الذي قاله في سيف الدولة بعد هذا وفي الذي قدّمنا ذكره وما أشرنا إليه كفاية للبصير المتدبر

وبقي سيف الدولة بأنطاكية أشهراً من سنته تلك، وأبو الطيب إلى جواره وفي مجلسه، وبين أصحابه وفي ركابه. واستصفاه سيف الدولة ومنحه بشره وقربه، وامتدّ الحديث بينهما في بعض الخلوات عن شؤون الدولة وما وقع فيها، وما أدركها من الضعف والوهن، وما كان يوقده من أسباب ذلك. ورأى سيف الدولة أن محدّثه رجل داهيةٌ بصيرٌ محنّكٌ قد محّصته الحوادث، وله رأيٌ ومعرفةٌ وأسرارٌ قد استحدثها منذ القفار الأول في سنة ٣٢١، فضلاً عما كان يعرفه - فيما زعمنا - من نكبته الأولى في نسبه من قبل العلويين أصحاب الأمير بالكوفة، فزاده قرباً وكرامةً ومحبةً، لم ينل مثلها شاعرٌ من أمير، وكان ذلك عجباً في أنطاكية وغيرها، لما عرف من صرامة سيف الدولة وتحرزه وتشدّده حتى على الكثير من أهله. فانظر إذا أردت إلى ما كان بين سيف الدولة وأبي فراس الحمداني، فإن القرابة والرحم لم تنفع أبا فراس في القرب من سيف الدولة - مع أنه كان متحققاً بخدمته، داخلاً في طاعته ومرضيته، حامياً لحقيقته، معرّضاً له في حروبه وغزواته بنفسه ودمه، ممجّداً له في شعره، معدّداً ذكر غزواته وحروبه - كلّ هذا لم يقرّب أبا فراس من سيف الدولة قرب أبي الطيب منه، مع تقدّمهما في الشعر والأدب، ومع أن أبا فراس كان أولى بالتقديم والتكريم من أبي الطيب لحسن بلائه في الحرب وقدم عشرته لسيف الدولة، وسبقه في تمجيده وتخليد ذكره وذكر حروبه. فذلك يقول لك أن تقديم سيف الدولة أبا الطيب على سائر شعرائه المستطيلين بظله، والمتحدرين في طاعته وخدمته، لم يكن من أجل الشعر وحده وحسب بل للذي يلاه سيف الدولة من آراء أبي الطيب وأفكاره وعواطفه في الأمور السياسية التي كان يسعى في تحقيقها وإتمامها والقيام عليها بسيفه وخيله ورجله، ورجاله

المشكين من ذوي الدهاء والخبرة والمعرفة والعلم . وقد قدمنا ذكر مطالب سيف الدولة في اول هذا الباب (١)

ثم عزم سيف الدولة الرحيل عن انطاكية الى حلب مقر حكمه ، ولكن ابا الطيب لم يستطع ان يصحبه في رحيله هذا ، فعزم عليه سيف الدولة ان يلحقه بحلب . وعندنا ان الذي عاق ابا الطيب عن صحبة سيف الدولة في هذا الرحيل امرٌ يخصه هو، وليست له فيه ارادة . وقد قلّبنا الرأي في شعر المتنبي في تلك الفترة وما بعدها بقليل ، وتدبرنا كلام الرجل على الاصول التي قدمنا لك منها اطرافاً في كلامنا ، وظفرنا باشياء دلتنا على ان هذا الامر الذي عاقه كان مما يقطع في قلبه ويوجعه في عواطفه . وتبين لنا ان هذا الامر هو مرض زوجته والظاهر انها كانت حاملاً ثم جاءها المخاض فأعضلت وعسرت ولادتها ثم رمت ذا بطنها وماتت ، وكان مرضها ذلك في حملها وما تركت له وراء ظهرها — ولعله مات بعد اشهر قبل ان يتمسك — هو الذي منع ابا الطيب ان يصحب سيف الدولة يوم رحيله من انطاكية

وتأويل ذلك ، ان ابا الطيب كان ولا شك عازماً على رفقة سيف الدولة ولولا ما حدث مما لا حيلة له في رده لفعل . فانه حين أزمع سيف الدولة الرحيل عن انطاكية قال له أبو الطيب

نحن من ضايقَ الزمان له فيك ، وخانته قربك الايامُ

وقال ايضاً في يوم رحيله وقد كثر المطر وكاد يعوقه عن عزمته

رويدك أيها الملك الجليلُ تأنَّ ، وعُدَّهُ مما تنيلُ
وجودك بالمقام ولو قليلاً فما فيما تجود به قليل
لأكبتَ حاسداً وأرى عدواً كأنهما وداعك والرحيلُ

فهو في البيت الاول يذكر ما يبتليه به الدهر من العوائق، وما يضايقه به من الارزاء التي تحول بينه وبين ما يروم من صحبة سيف الدولة والقرب منه ، وقد خصَّ نفسه بذلك اذ يقول « نحن من ضايق الزمان له فيك » . ولا تظنَّ أن قد كان إذ ذاك ما يمنع أبا الطيب من الرِّفعة إلا ما يحرج عن إرادته ، ويمنع بينه وبين عزمه . فلما كاد المطر يعوق سيف الدولة، كان الفرح في كلام أبي الطيب مقروناً بالحسرة لما يعلم من أن ذلك لن يقطع فيما أبرم من عزمه ، فسأله أن يبقى قليلاً بأنطاكية ، وتعلّل له بعلته التي ذكرها . وكان أبو الطيب إذ ذاك متأثراً بالحالة التي عليها امرأته ، فوقع في بيتٍ من قصيدته الاخيرة التي ذكرنا أولها ما يدلّ على ما في نفس الرجل من آثار ما كان فيه من الكرب على عادته التي أسلفنا بيانها في مواضع فقال لسيف الدولة

(١) ستجد بقية الحديث بعد قليل في هذا الباب ، فحسبك منك على ذكر

هو حر الخلود خذت وداً (ولكن ليس للدنيا خليل)

فهذا الحزن الذي على الشطر الاخير، والمتمثل في كلماته، وفي عبارته عن المعنى الذي أراده حين استدرك بقوله «ولكن»، بعد ما كان من فرحه وطربه وتدفق نفسه بالآمال، واستبشاره بلقاء سيف الدولة، والذي كشفت عنه قصيدته الاولى «وهؤكا كاراع أشجاه طاسمه» على ما نعني في كلامنا — يدل على أن الرجل كان قد أدركه ما أحزنه وعمّقه، وردّ عليه فرح نفسه غماً وحسرة وتشاؤماً من الدنيا، وما يكون فيها من بلايا الدهر بالفراق والموت — وهذا بيّن كما ترى

ونفس أبو الطيب — بعد موت امرأته بقليل — من أنطاكية إلى حلب، ثم ماتت والدة سيف الدولة فقال له في رثائه قصيدته المشهورة، وأولها من دموع أبي الطيب التي كان يبكي بها، وقد جاء فيها

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال
رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال
وهان فما أبالي بالرزايا (لأني ما انتفعت بأن أبالي)

. . . .

(يدفّن بعضنا بعضاً وتمشي أواخرنا على هام الأوالي)

وهذا الحديث عن نفسه ومصائبها ورزاياها، وما فيه من الحزن الباسط على نفسه وعواطفه بعد الذي كان من أفراحه، دليل على ما قدمنا من أن الرجل كان قد أصيب وابتلي ببلاء آلمه وحزّ في قلبه، لا يزال يدفعه إلى القول الباكي الحزين. ثم يستمر على ذلك في شعره مدة، فإنه في هذه السنة نفسها (سنة ٣٣٧) قال وهو يمدح سيف الدولة ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان من أسر الخارجي

تلك النساء، وتفني العداة، وتغير الصدب الحاصل
هنيئاً لك النصر معطيكه وأرضاه سعيك في الآجل

يعني سيف الدولة. وكان حق الشعر أن يقف به أبو الطيب عند هذه الدعوة الصالحة بالظفر الذي كان، والعمل الصالح فيما يستقبل. ولكن نفس الرجل كانت مضطربة متأثرة، قد غشيها الحزن، وعمّتها الدنيا (التي ليس لها خليل) عما جلبت عليها من أرزاء ومصائب، فانتقل على عادته غير متخلص ولا حافل (بالمناسبة ومقتضى الحال) فقال في عقب البيتين

(فذي الدار أخون من مومس وأخدع من كفة الحابل)
تفانى الرجال على حبها وما يحصلون على طائل

فأنت ترى ان هذه المعاني التي قيدناها لك ، آخذ بعضها برقاب بعض ، على طراز لايختلف من الحزن والكرب . هذا ، وقد كان سيف الدولة سأل ابا الطيب بعد ذلك ان يسير معه الى الموصل لما ازمع هو المسير الى نصرة اخيه ناصر الدولة ، فاعتذر له ابو الطيب عن المسير معه بقوله

كن حيث شئت فما تحول تنوفة دون اللقاء ، ولا يشط مزار
(إن الذي خلفت خلفي ضائع ما لي على قلقي إليه خيار)
(واذا صحبت فكل ماء مشرب – لولا العيال – وكل أرض دار)
إذن الامير بأن أعود اليهم صلة تسير بذكرها الاخبار

فلو ان امرأته كانت إذ ذاك باقية لم تمت ، لما عز على ابي الطيب ان يفارق عياله في رفقته وصحبته . ويبين من قوله (إن الذي خلفت خلفي ضائع) انه يعني صغيراً من ولده لا يطمئن قلبه اذا فارقه مغيباً ليس له من يعوله او يكلؤه ويرعاه ، وأتم ذلك المعنى بقوله « مالي على قلقي اليه خيار » . وفي الابيات جميعها حنان الابوة ماثل بيّن لا خفاء فيه . . . وحسبك هذا من كلامنا ، فاذا رجعت الى الديوان فتدبر قصائده بعد ذلك ، فيها من مثل هذا كثير . ولا يفوتك ان تذكر ما قدمناه من دقة احساس هذا الرجل ، وسرعة تأثره ، وظهور هذا التأثر في شعره اذا كربه أمر يغمه أو يثيره أو يهيج كبرياءه . وما يكون من جراء ذلك في شعره من الانتقال من معنى الى معنى غير ملائم (بحسب التخلص ومقتضى الحال) ، ولا تنس ان تقرأ هذه الابيات الثلاثة في موضعها من الديوان متدبراً متبصراً ، وهي قوله

أستكبر لموتانا ، على غير رغبة تموت من الدنيا ، ولاموهب جزل
إذا ما تأملت الزمان وصرفه تيقنت ان الموت ضرب من القتل
(وما الدهر أهل أن تؤمل عنده حياة وان يشتاق فيه الى النسل)

اجتمع على أبي الطيب كما ترى في اول صحبته لسيف الدولة أفراح قلبه بلقاء امير العرب الذي أحبه وأمل فيه الخير والبركة والنصر لآرائه وافكاره وسياسته ، وأحزان قلبه لفقد امرأته ثم صغيره الذي حدد له ما يلقيه من احداث الزمن ومصائبه من الآلام . فكان تنازع الفرح والحزن في تلك النفس المرهفة الشاعرة الثائرة سبباً في استخراج كوامنها ومضمراتها ودفائنها . واخذ ابو الطيب يروز ما عنده من العواطف والافكار ، ويتأمل ما تجدد في غابه من المعاني التي ولدتها الافراح والآلام ، ويستوعب ما في ضميره من الاحداث القديمة التي تركت وسماتها ، ويرمي ببصره الى ما يستقبله في ظل سيف الدولة ، وينظر فيما وجد عند الامير من العطف عليه والاكرام له ، وتقديمه على القدماء من اصحابه وشعرائه ورجاله ، وشملته الايام بما يتجدد فيها

مما يحصيه وما لا يحصيه ، وحوته المجالس مجالس العلم والادب والشعر والسياسة ، واصطلحت به الدنيا كلها مهيأة كأنما أُعدّت له ، ليأخذ منها ما شاء ويدع ما شاء . . . فكان هذا كله ترفُّعاً من القدر لصنع هذه الشاعرية الفذة وتربيتها وتغذيتها وتمشيتها على غرار مدرّ ، يكون به ابو الطيب شاعر العرب والعربية الذي (ملأ الدنيا وشغل الناس)

وكان تنازع الفرح والحزن في تلك النفس المرهفة الشاعرة الثائرة حدًّا لها من غلوائها ، وصرفاً لها عن الفكر في الكبرياء ، الى الكبرياء في الفكر ، فاصبح ابو الطيب ينظر في الحياة نظرة التدبر والتمحيص ، يقلّب الرأي ، ويَسبر الفكرة ، ويقيس الاشباه والنظائر ، ويردُّ الامور الى اصولها ومنازعها ، وينتزع جوهر المعاني من بين اعراضها ، لا يأتلي في ذلك جهداً ولا يقصّر . فمن هنا تواردت عليه المعاني ، واتخذت لها بين قلبه وفكره منزلاً ومقرًّا ، فاذا قصد الى الشعر واحتفل له بيانه وروافد هذا البيان من الخواطر والدوافع والعواطف ، ابتدرت هذه المعاني من منازلها بين قلبه وفكره الى منازلها بين ابياته وقصائده . وهذا هو احد الاسرار العظيمة في بيان هذا الشاعر العظيم

وتلألأ عند سيف الدولة في شعر ابي الطيب فقربه وزاده عطاء واقطاعاً ، واسبغ عليه نعمة لم يكن ابو الطيب ينتظر مثلها أو يؤمله ، فوقع ذلك من نفسه موقع الامنية التي نجمت من نفس اليائس الذي ضجر باما نيه وقد استيقنت نفسه انها لن تحقق ، وكان هذا ايضاً — مع الحزن والفرح اللذين يتنازعان في نفسه — عوناً على صنع شاعرية الرجل وصقلها وجلائها ، لتكون المرآة التي تتراءى فيها حقائق الحياة وعلمتها وحكمتها وبيانها وما لها وما عليها

ولم يكن سيف الدولة يجهل ما سيكون من هذا الرجل اول ما لقيه ، بل يقيننا أنه كان قد انكشفت له نفسية أبي الطيب فأخذها من حيث ينبغي أن تؤخذ ، وعرف أن هذا الذي مدحه بأنطاكية سيكون مخلّد ذكره ، وحافظ أخباره وصنائعه في شعره ، وليس مثل سيف الدولة من يغفل عن ذلك أو يتجاوزه بصرهُ . فقد كان سيف الدولة أديباً شاعراً قد اجتمعت له من أداة الأدب والشعر أداة كاملة متقنة ، وكان بصيراً بنقد الشعر ، نافذاً في إدراك أسرار البيان وأيضاً . . فقد كان ما عليه سيف الدولة مما ذكرنا ، من أكبر العوامل في شعر أبي الطيب ، فإنه كان يعرف يقيناً بصر صاحبه سيف الدولة بالادب والشعر ، فحمله ذلك على الإجادة والتصنُّع ، وتقليب المعاني واختيارها ، واصطفاء أثوابها من الالفاظ واجتنائها ، وكان ذلك من أبي الطيب لما في نفسه من الكبرياء والعظمة ، إذ لو لم يفعل ذلك لعلا عليه في نظر سيف الدولة أحدٌ غيره من الشعراء أو لساواه به ، وصاحبنا هذا لا يرضى بأن يسبقه الى سيف الدولة غيره من الشعراء ، فهل يرضى بالمساواة ? . . . كلا ، وكذلك فاق أبو الطيب كل من سبقه أو جاء

قبله من شعراء العربية ، فقد اجتمع له من الدوافع وغيرها ما لم يجتمع لأحد منهم

وهناك أيضاً ، فقد كان من العوامل في هذا النبوغ الفذ الذي استمر في أبي الطيب ، ما أصاب من الاستقرار والاطمئنان في جوار سيف الدولة ، وما تيسّر له من الرزق الذي لم يكلّفه همّاً ولا كرباً ، بعد أن كان لا يصيب لقمة من عيشه الا وفيها نكدها وهمّها وشقاؤها وأوصابها . فقد علمت قبل أن هذا الرجل كان من صغره محبّاً للعلم والادب ، لا يدع استيعاب ما يقع اليه من الكتب في كل فن وعلم ، في جوار سيف الدولة ، تيسّر له من ذلك ما لم يكن يتيسّر ، فقد كان مالكاً ماله الذي أفاده ، يشتري ما يشاء ويستمتع ما رغب فيه ، وما كان سيف الدولة ليمنعه أن يستفيد مما اجتمع عنده من نوادر الكتب والمؤلفات قديمها وحديثها ، فأخذ أبو الطيب يقطع أيامه بالتزوّد من كل علم ، والاستزادة في كل فن ، وقد وهبه الله ذاكرة واعية ، وفهماً نافذاً ، وقدرة على النقد والتمييز ، ونفساً شاعرة تأخذ من ذخائرها ما تشاء ، وتمحّص عنه ما يليق به ، وتجلوه جلوة العروس في ثياب عرسها . وكذلك اتفق لأبي الطيب في هذا العهد كل ما يعينه على النبوغ والسبق

قلنا قبل أن سيف الدولة قد قرّب أبا الطيب وزاده كرامة ومحبّة لم ينل مثلها شاعر من أمير مع ما عرف عن سيف الدولة من تحرّزه وتشدده حتى على الكثيرين من أهله ، وضربنا المثل بأبي فراس الحمداني وهو من هو في قربه من سيف الدولة لقرابته ورحمه ، وتحققه بخدمته ، والذهاب في طاعته ومرضيته ، وتمجيده في شعره ، وتخليد ذكر وقائعه وحروبه ببلاغته وبيانه ، وأشرنا الى أن السياسة كانت أيضاً مما قرّب أبا الطيب وأدناه من مجلس سيف الدولة وسامره وخلوته . ولعلّ هذا الأمر الأخير — مع ما قدمناه ذكره من أحوال سيف الدولة ، وأبي الطيب وما فيه من النبوغ والدهاء — هو الذي جعل لأبي الطيب عند سيف الدولة منزلةً لا تدانيها منزلة أحد من أقاربه أو أهله أو شعرائه الذين كانوا ببابه ، وقد قالوا إنه لم يجتمع بباب أحد من الامراء مثل ما اجتمع بباب سيف الدولة من الشعراء والادباء

وقد تتبعنا ديوان أبي الطيب كله لنظفر بالدليل على أن سيف الدولة كان قد استصفى أبا الطيب واتخذ منه أخاً يمحضه ودّه ويكشف له عن سرّه ، ويحدّثه بآماله في السياسة والحكم فوقفنا على أشياء من ذلك لا بأس من ذكرها والتدليل عليها ، على ما درجنا عليه في كلامنا من استنباط المعاني وردّ بعضها الى بعض — هذا على كثرة ما يتصل بهذا من أحوال أبي الطيب وسيف الدولة ، مما لا نستطيع أن نجمعه لك في فصل واحد ، ولذلك سنكتب ما نكتبه ، وعلى القارىء أن لا ينسى ما مضى من القول فيضعه في موضعه ليزيد ما أمامه قوةً وبياناً ، وأن يستأني لما يستقبل فيجعله عقله ليرتبط الأول بالآخر ، وينكشف له ما يغمض عليه أو يستبهم مما نحن فيه

كان أبو الطيب كما رأيت أولاً رجلاً ثائراً بما في نفسه غير راضٍ عن الحكم القائم في البلاد العربية وقد ذكر ذلك في كثير من شعره الذي مضى بك ، وهدّد الامراء والملوك والسلاطين بما سوف يفعله بهم، وما يأتيهم به من القتل والفتك ، وخص بالذكر والحقد والوعيد الاعاجمَ الذين كانوا قد استولوا على مقاليد السلطان والحكم ، ولم يفتأ يذكر ذلك من أول أمره الى ان اتصل ببدر بن عمار ، وكان — كما قلنا قبل — يؤمل ان يجد في بدر بن عمار (الرجل) الذي يستعين به على آماله وآرائه ، ويحقق بمعونته له ، ما كان يدور في نفسه من المطامع السياسية — من رد الحكومة الى العرب دون الاعاجم ، وكذلك هدأ حين اتصاله ببدر ولم يكثر من ذكر وعيده وانذاره وآرائه ، وفسرنا هدأه هناك . فلما كان اتصاله بسيف الدولة على ما وصفنا في هذا الفصل من توافق الرجلين في المذهب السياسي ، والرأي الذي يريانه لانقاذ العرب من عادية الاعاجم وغيرهم ممن يكيدون بالفتنة لامتهما ، هدأ أبو الطيب هدأته تلك ، وانصرف بيانه الى تمجيد صاحبه كما فعل حين كان في جوار بدر وقد ألممنا بحالة أبي الطيب النفسية وفسرناها ، وبيّنا ان ذلك عادة له اذا لاقى العربي الصارب القائم الذي يؤمل في وجهه النصر والظفر وتحقيق الآمال التي تسمو بهمته الى غزو الامة ، وانقاذها من البلاء الذي حل بها وأوهاها وفرق شملها . وجمعنا الى ذلك ما كان من تقريب سيف الدولة أبا الطيب اليه ، واصطفائه بمودته دون سائر الشعراء ، وجميع اهله وقرابته ، والمتصلين به من اصحاب الفكر والرأي والدهاء . وقد مضى بك ايضاً ان ابا الطيب كان قد ذكر — حين قدم الى انطاكية على ابي العشائر — انه لم يأته مستميحاً ولا طالب رفد وعطاء ، بل أشار الى مراده ومبتغاه الذي من اجله قصد انطاكية فقال

فسرت اليك في (طلب المعالي) وسار سواي في (طلب المعاش)

وتبينا من شعر ابي الطيب في المدة التي قضاها في ظل سيف الدولة من سنة ٣٣٧ الى سنة ٣٤٦ انه كان يقول الشعر في سيف الدولة — ممجداً له وراضياً من ذكره وذكر غزواته وحروبه — وقد تآزرت عوامل نفسه كلها على منحه التجويد والابداع في ذلك وتفسير ذلك عندنا أن هذا الرجل الثائر حين لاقى سيف الدولة القائم ، وجه كل ما كان في قلبه من القوة التي دفعته الى مدح نفسه وذكرها والافصاح عن آرائها وآمالها ، الى مدح هذا الرجل (سيف الدولة) ووصفه ووصف حروبه وغزواته ، فصارت القوة التي كانت بيّنة في شعره الاول الى هذا الشعر ، فكان وحده هو أبدع ما أتى به وما أخرجه من البيان . وكان صورة اخرى من شعره الاول الا انها اقوى وأتم وأمثل في التجويد والتصوير

ثم فارق ابو الطيب سيف الدولة ، وهو لا يزال تاماً على محبته والاخلاص له ، وكان سيف الدولة لا يزال مستقصياً لاخباره في كل بلد ينزله ، متتبعاً لشعره الذي يقوله لكل من مدحه

من بعده ، وكان ايضاً لا يزال يهدي اليه من هداياه مع انه فارقه ومدح غيره بعد إكرامه له اكراماً لم يلق مثله ابو الطيب قبل اتصاله به او بعد فراقه له ، وكان ايضاً يكاتبه ويتلقى منه بعض كتبه — وهذا دليل على ان الصحبة التي كانت بين الرجلين لم تكن صحبة امير لشاعره وحسب بل كانت صداقة لا يقطعها حدث من احداث الزمان ، او سعي بالنميمة من سعي الوشاة والمتقولين هذا . . . وقد رووا ان سيف الدولة انفذ الى ابي الطيب — وهو بالكوفة سنة ٣٥٢ بعد خروجه من مصر — هدية مع أحد أقاربه ، فكتب اليه قصيدة أهداها اليه كما أهدى ، فكان مما ورد في هذه القصيدة ، يخاطب سيف الدولة

أنت طول الحياة للروم غازٍ فمتى (الوعدُ) ان يكون القفولُ
وسوى الروم خلف ظهرك رومٌ فعلى أيّ جانبيك تميلُ
قعد الناس كلهم عن مساعيـــك وقامت بها القنا والنصولُ
ما الذي عنده تدار المنايا كالذي عنده تدار الشمولُ (١)
لست أرضى بأن تكون جواداً وزماني بأن أراك بخيلُ
نغّص البعد عنك قرب العطايا مرتعي مخصب وجسمي هزيلُ

. . . . . .

ما أبالي — اذا اتقتك الليالي — من دهته حبولها والخبولُ

وقد ذكرنا قبل ان سيف الدولة كان قد عزم في نفسه ان ينال بهمته غاية الغايات في ضم أشتات البلاد العربية تحت سلطانه وفي ظل حكومته ، وكان أول ما أتم من ذلك ان زحم الاخشيديين مناكبه حتى أزاحهم عن أكثر البلاد الشامية وردهم الى الرملة ، واراد ان يوطد سياسته وحكمه بالشام حتى اذا أعدّ العدّة ، واستجمع الاداة ، نصر حومته كلها على العراق فنال عليه ميلة راية ، يزيل عنه سلطان الموالي الذين استولوا على سلطة الخلافة . وكان هؤلاء الموالي ، او اكثرهم ممن اشتغل بالدويلات ، من شيعة العلويين الذين اطاعوا داعيه الفاطميين ، وكان سيف الدولة لا يقرّ بحكم الفاطميين ولا يرضى عنهم ، ولذلك نصر الخلافة العباسية مع انه علويّ المذهب . كانت هذه هي سياسة سيف الدولة ، وكانت هذه هي ارادته ، ليجمع شمل العرب ويرد الحكم الى اليد التي لا تضطرب ، والى الفكر الذي لا يخاطله من مكانه كيد الكائدين للعربية من اصحاب الفتن والدسائس .... فجاء ابو الطيب يقول في هذه الابيات

أنت طول الحياة للروم غازٍ فمتى (الوعد) ان يكون القفولُ
وسوى الرُّوم خلف ظهرك رومٌ فعلى اي جانبيك تميل

---

(١) هي الخمر

في البيت الاول يصرح بأن سيف الدولة كان قد وعده ان يفعل من غزو الروم الذين يهددون أطراف الشام ، ويبدأ المدة لغزو غيره ، فإن قوله (الوعد) معرفاً دليل على تخصيص وعد بعينه . ولا يكون كذلك الا ان يكون وعداً وعده سيف الدولة أبا الطيب لتحقيق ما يريدان من ردّ الحكومة الى العرب ، وذلك بأن يغزو سيف الدولة العراق و (يميل عليه) ويزيل عنه سلطان الموالي والاعاجم ، ولذلك سأل أبو الطيب سيف الدولة في البيت الثاني فقال (متى أي جانبيك تميل) وقد حمل القائمين بالحكم ، والمستولين على السلطان في العراق روماً ، لما أشرنا اليه من أن هؤلاء لما وقفوا على عزيمة سيف الدولة في إزالتهم عن العراق ، أوعزوا الى ملك الروم أن يقاتله اذ أوقعوا في قلبه وفكره بمكرهم ودهائهم أن سيف الدولة الذي كان يمدُّ سلطانه على الشام يوماً بعد يوم ، انما يريد بذلك أن يزيل الملك من بين يديه ويغلبه على بلاده وبذلك يتم لهم ما يريدون من صرف سيف الدولة عن حربهم ، وانصرافه الى حرب الروم ، ويكون ذلك استهلاكاً لقوته حتى اذا ما أراد أن يميل عليهم يكون قد فقد صفوة المحاربين معه في قتال الروم ، فلا يصيب إذ ذاك في حربهم وقتالهم ظفراً ولا نصراً وهذا التعبير من أبي الطيب دليلٌ على أنه كان يعرف سرّ هذا الامر كما يعرفه سيف الدولة ، ثم إن أبا الطيب أخذ يهوّن على سيف الدولة أمر غزو العراق ، ويغريه بالإقدام على ما وعده من الفتح ، إذ وصفه ووصف أهل العراق فقال

وما الذي عنده تدار المنايا كالذي عنده تدار الشمولُ

فهو بهذا يغريه بهم إذ كانوا قوماً أهل سكر وعربدة ، لا أهل حرب وقتال كسيف الدولة الذي لم يكن يفرغ من غزوة ويقفل منها حتى يبادر إلى أخرى يصيب منها النصر والغنائم ، أو التجربة في القتال والمران على مكر الحرب وخدعها وهذا الذي كان من (الوعد) بين سيف الدولة وأبي الطيب كان هو السبب في ان أبا الطيب حين دخل العراق في تلك السنة لم يلمّ بأحد من السلاطين والحكام وأولي الامر من الوزراء ، واستكبر عن حيهم فلم يمدح منهم أحداً ، بل راغمهم حتى كان ما كان من أمر الوزير المهلبي وغيره ، وعداوتهم له ، وإغرائهم الشعراء بالوقوع في عرضه وشرفه ونسبه ، وتحريضهم الادباء على منابذته ومعاداته للحط منه والإزراء عليه — كما مرّ بك في أوائل كلامنا

وفي ذي الحجة من سنة ٣٥٣ كتب سيف الدولة إلى أبي الطيب كتاباً (بخطه) يسأله المسير اليه فأجابه أبو الطيب بقصيدة أهداها اليه أولها

فهمتُ الكتابَ، أبرَّ الكتبْ فسمعاً لأمرِ أميرِ العربْ
وطوعاً له ، وابتهاجاً به وإن قصَّر الفعل عما وجبْ

فإذا كان هذا الكتاب - كما وردت الرواية — قاصراً على رغبة سيف الدولة الى أبي الطيب في أن يلحق به ، ويكون في جواره ، فيكون قول أبي الطيب (فهمتُ الكتاب) من أسخف القول وأرذله وأحطه وأسقطه ، ويكون سقوطاً قد أصاب عقل هذا النابغة . أيقول أبو الطيب أنه فهم كتاب سيف الدولة (الذي كتبه له بخطه) يسأله أن يسير الى الشام ؟ وما في هذا الطلب مما يحتاج الى الفهم ؟ وما فيه مما تقتضي الاجابة عنه أن يخبره بأنه قد فهمه ؟ أيكون هذا أو يُعقل ! ! والبيّن أن سيف الدولة كتب الى أبي الطيب — بعد القصيدة التي مرّ ذكرها والتي أغراه فيها بغزو العراق وفتحه — كتاباً يشرح له فيه الامر — غير مصرح بشيء — ، ويذكر الموانع التي تعوقه دون عزمها ، ويبيّن له ما هو فيه من الكرب والضيق وأنه لولا ذلك لما تأخر عن عزيمته ، ولوفى لأبي الطيب بالذي وعده من فتح العراق . ولهذا لم يأتمن سيف الدولة أحداً على هذا الكتاب الذي كتبه الى أبي الطيب ، فكتبه اليه بخطه حيطةً وحذراً أن يشيع ما ورد فيه . وقد أراد سيف الدولة في كتابه هذا ان يزيد أبا الطيب بياناً ولكنه لم يستطع خشية الاحداث التي لا يملك صرفها ، من وقوع هذا الكتاب في يد عدو من اعدائه ، ولذلك طلب من ابي الطيب ان يقدم عليه بالشام فيخلو به ، ويشرح له الامر في غير كناية ولا تعريض ، ولكن ابا الطيب كان قد فهم ما وراء كنايات سيف الدولة وإشاراته الخفية ، فكتب اليه

« فهمتُ الكتابَ ، أبرَّ الكتبْ فسمعاً لأمرِ أميرِ العربْ »

فهذا الذي أصبنا فيه دليل كله على أنه كانت بين سيف الدولة وأبي الطيب اسرارٌ سياسية تخصُّ أغراضهما وآمالهما في اعادة المجد العربي ، وإزالة الحكام الطاغين من الموالي ، وقمع الفتن التي قام بها العلويون والفاطميون في البلاد وهم لا يقدرون مغبّاتها وعواقبها ، ولا يزنون أمرها إذ يتخذها أعداء العرب والاسلام ذرائع لقضاء مآربهم في تمزيق الامة ، وتفريق شملها ، وإضاعة مجدها وسلطانها ، ليقيموا على انقاضها ما تسوّله لهم أحقادهم وضغائنهم من الأوهام والأحلام



بجنبك ، ما يلتي الفؤاد ، وما لقي
والحب ، ما لم يبق مني ، وما بقي
وأحلى الهوى ، ما شك في الوصل ربه
وفي الهجر ، فهو الدهر يرجو ويتقي
سقى الله أيام الصبا ما يسرّها
ويفعل فعل البابليّ المعتّق
إذا ما لبست الدهر مستمتعاً به
تخرّقت ، والملبوس لم يتخرّق

قد رأيت قبل ان الحوافز التي اجتمعت على أبي الطيب من[1] اول امره الى عهد اتصاله بسيف الدولة ، انما كانت ترفد مأس الصدر وتطريباً وتمهيداً للتنوع الفذ الذي صار به صاحبنا شاعر العرب ولسان العربية الذي استحكم في عصره ، وضرب بحكمته على من كان قبله ، ومن أتى بعده . وقد ذكرنا من أداة سوغه واسبابه ما تيسّر لنا جمعه في هذه الكلمة ، إذ كانت الاشياء مرهونة بأوقاتها من المعاني ومنازلها من الكلام

ورأيت ان اتصاله بسيف الدولة نقل قلب الرجل من مرتبة الى أخرى ، نقله من مرتبة الاحساس الشخصي المتوحد ، الى مرتبة الاحساس الشخصيّ المتولج في الاجتماع المزاحم في سياسته ، المؤمل في سيف الدولة ردّ السلطان الى العرب والعربية ، سد العامة والظفر وتحقيق الامانيّ . وكان هذا سبباً في امتصاص قلب (الرجل الشاعر) بالفرح المستولي عليه والغالب على عواطفه ، ثم كان ايضاً ما استبطناه مما سبب في هذا الغالب اسباباً للالم والحزن والانين والبكاء والحسرة ، فصار التنازع في هذا القلب بين الفرحة الغالبة والحسرة المتمكنة سبباً في استخراج مكنونات هذا القلب ، وتوليد المعاني الجديدة من الصراع الهائل الذي كان فيه وبذلك خرج أبو الطيب عن طوره الاول المحدود بحده الى الطور الثاني المتفاسح المترامي الى كل غايات الحياة وأسبابها وما يكون فيها وما يكون منها

---

(١) كان حق هذا الباب ان يسبقه — في ترتيبنا — باب آخر نذكر فيه ما تميز به شعر ابي الطيب ونفصل فيه اسلوبه كله على تدرج لا يتفاوت . ولكن منعنا من ذلك ضيق الوقت

وكان هذا الرجل الشاعر انما يعتمد في توليد معاني شعره على استيعاب ما يمسه من الافراح والآلام ، ما تقادم منها وما جدَّ ، ثم الاستغراق في تأمل هذه المشاعر التي في نفسه وردِّ بعضها الى بعض ، وربط الغائب منها بالشاهد ، وعطف الاول منها على الآخر ، كأنما كانت تتراءى لعينيه حوادث قلبه وحوادث دهره ، وتتردد في سمعه اصوات قلبه موصولة باصوات الناس وكلامهم ما قلَّ منه وما عظم . وهذا الاستغراق في تأمل ما نفسه هو احد الاسرار العظيمة في تصوير شاعريته ، وتسويتها وتنشئتها وتهذيبها وتنميتها الى الغاية التي هي عليها في شعره

وقد بينا قبل ان من أداة هذا الشاعر العظيم ما أودعه الله فيه من احس امرهف ، وما وهبه من العاطفة الملتهبة المتوقدة التي لا يخبو لها ضرام ، وأنه كان ذلك من جدته أو فطرة فطره الله عليها غير موروثة . وكان هذا الرجل في أول أمره مطالباً بثأر قد تشتمل عليه ، وأخذ به من صغره ، حتى شغل فكره وعقله ، وتدفق في شبابه كأنه تدفق الدم ، وصار أصلاً من الاصول التي قامت عليها كل حياته النفسية – على ما ذكرناه أولاً ، وتدرجنا في بيانه إلى عهد اتصاله بسيف الدولة – وكان قد بلغ من العمر أربعاً وثلاثين سنة ، وهي السن التي تستحكم فيها الاصول ، وتستقر المذاهب ، ويقف الرجل عندها لا يملك في تبديل أمره حولاً ولا قوة الا أن يشاء الله ، وخاصة من كان مثل المتنبي قد عركته الايام من صغره وتعاملت عليه ورمت به في تيارها حتى استوى على صورة منها ، واستمر مريره على ما فيه من القوة المستحصدة ، والمنة الدائمة الفورة والنزاع ، لا تستقر ولا تهدأ ولا تطمئن

هذا ، . . وقد استوضحنا ونحن نتتبع شعر الرجل على طريقتنا ومذهبنا ، الفرق الكبير الكائن بين شعره الاول وشعره الذي قاله في حضرة سيف الدولة ، وتدبرنا الاسباب على ما بيناه قبل ، فلم يستو عندنا أن يكون ذلك من أجل ما ذكرناه قبل وحسب ، فعدنا نجدد الرأي لذلك ، ونقرأ ما بين كلمات الرجل من المعاني ، ونستنبط من روائع حكمه وبلاغته ما يهدينا الى السبب الاكبر في هذا التجويد الفذ الذي علا به الرجل على شعراء العربية ، فاستروحنا في شعر الرجل نفحة من نفحات المرأة التي تكون من وراء القلب وتصنع للشاعر المبدع بيانه ، وتتخذ من قلبها النسوي مادة تبثها لفن صاحبها وعبقريته ونبوغه . فأعنتنا الامر على ذلك ورجعنا الى شعر ابي الطيب وما وقفنا عليه من أسرار نفسه ، وتمثلنا المرأة بينهما وهي دائبة تصنع له بيانه وتهيء له نفسه فاستوى الامر على ذلك ، وطلبنا الدليل فدلنا على المرأة التي سكنت قلب أبي الطيب – وهو في ظل سيف الدولة – وجعلته حكيم الشعراء ، وشاعر الحكماء

كان صاحب الحكمة أبو الطيب يصنع حكمته بالتدبر في معرفة نفسه ، واستبطان أسرارها وإدراكها ، فلما جاءته المرأة ، وأرادت كبرياءه على الخضوع لها والتصرف بأمرها ، وقفت نفس

هذه المرأة بأسرارها وأحداثها وبين نظرات أبي الطيب النافذة المتوشحة إلى ما وراء الواقع والحس الملموس ، وبين نفسه بأحداثها وأسرارها وما انطوت عليه وما تحملت به . ولما كانت نفس المرأة المحبوبة هي تمام نفس الرجل المحب وتكملتها، كانت دراسة الحكيم المحب لنفسه المكملة التامة بالمرأة المحبوبة ، إنما هي دراسته للكون كله ، فإن العاشق لا يرى الدنيا بأسرارها إلا حين يعشق ، وهي على ذلك الدنيا المترامية ، بعد أن كانت قبل عشقه محصورة في دائرتها من نفسه الناقصة غير التامة . والحب القوي التامد الذي يتملك حواس المحب ويغلب عليها ، هو بطبيعته امتداد بهذه الحواس إلى غايات بعيدة لم تكن تصل إليها قبل غلبته على القلب والنفس والفكر . فلهذا حين أحب أبو الطيب — الرجل الثائر المتكبر الشاعر الحكيم البيان الفكر واللسان — كان امتداد نفسه وترامها إلى غايات بعينها من الرجولة والثورة والكبرياء والحكمة والفكر ، ولم يستطع أن يكون — بعد أن غلب الحب قلبه وتسامح به — شاعراً غزلاً رقيق البيان . وهذا هو السر عندنا في صفة الغزل عند أبي الطيب ، وقوة مادة الحكمة وما إليها مما هو من طبيعته المتأصلة فيه على ما فصلناه في أثناء كلامنا . وليس يصح عندنا أن لا يكون أبو الطيب عاشقاً صباً متدلهاً ما لم نجد في شعره غزلاً ولا أنيناً وحنيناً وبكاء

والآن ، وبعد هذه المقدمة ، نبين لك المرأة التي أحبها أبو الطيب على ما يتفق لنا [1]، إذ كان ترتيب هذا الموضع من الكلام مما يستدعي النظر في أكثر شعر أبي الطيب وتعليله على المذهب الذي أحدثناه ، فيخرج الأمر من حده ولا تتسع له هذه الورقات

لما ماتت أخت سيف الدولة الصغرى وقف أبو الطيب يعزيه ويرثيها ويسليه ببقاء أخته الكبرى وذلك في يوم الأربعاء النصف من شهر رمضان سنة ٣٤٤ فأنشده قصيدته التي أولها

إن يكن صبرُ ذي الرزيئة فضلاً تكن الأفضلَ الأعزَّ الأجلاَّ

وطفق يمدح سيف الدولة بما فيه مما يصلح لهذا الموضع من الرثاء إلى أن قال

أنت يا فوق أن تعزّى عن الأحباب فوق الذي يعزيك عقلا ؟

أين ذي الرقة التي لك في الحر ب إذا استكره الحديد وصلا ؟

أين خلفتها غداة لقيت الـ روم والهام بالصوارم تفلى

(قاسمتك المنون شخصين جوراً جعل القسم نفسه فيه عدلاً)

(فإذا قست ما أخذن بما غا درن سرّى عن الفؤاد وسلّى)

(وتيقنت أن حظك أوفى وتبينت أن جدك أعلى)

فأبو الطيب يطلب من سيف الدولة أن يقيس أخته الصغرى التي ماتت إلى أخته الكبرى التي بقيت

(١) اعلم أننا كنا نؤمل أن نكتب هذا الباب في خمسين وجهاً من المقتطف أو أكثر ولكن حالت دون ذلك أحوال

له فاذا فعل ذلك كان سلوى له وتسرية الهم عن قلبه . ولا ندري كيف يتفق لشاعر يرثي امرأة ماتت أن يذكر أخرى . وتكون أختها — ويزعم لها هذا العزاء الغريب ؟ ثم يريد فيقول له إنك إذا مثلت تلك التي دللتك عليه، « تيقنت » أن حظك في هذه البكرى أوفى من حظ الموت في أخت الصغرى ، وكيف يتيقن أبو الطيب سيف الدولة من حسن حظه بقاء الكبرى إلا إذا كان هو على يقين من ذلك ؟ وكيف يكون على يقين من ذلك إلا وهو يعرفها معرفة تفضي به الى هذا اليقين ؟

ثم مضى أبو الطيب في القصيدة كلها يمدح سيف الدولة ولم يتعرض لهذه الفتاة أخته الصغرى إلا في موضع آخر إذ يقول

خطبة للحمام ليس لها ردٌّ وإن كانت المسماة ثكلا
واذا لم تجد من الناس كفأً ذات خدر أرادت الموت بعلا

فأستحب أن يكون ذلك عزاء — فإن أبا الطيب قد قدم الكبرى في المنزلة ، فكان أولى أن تموت الكبرى إذ هي ولا شك عند أبي الطيب — أفضل من هذه الصغرى التي لم تجد من الناس كفأً يكون لها زوجاً ، فاختارت الموت بعلاً لها . وهذا التناقض يدلنا على أن الرجل كانت قد اقترنت في نفسه صورة الكبرى بصورة الصغرى فاضطرب قوله ولم يمض على سنن ونهج، وذلك لاضطراب نفسه الذي أظهر ما في قلبه وكشف عنه في تدفقه حين ذكر هذه الكبرى فقال فيها البيتين « فاذا قست . . . . الخ »

فلما ماتت الكبرى هذه التي ذكرها هنا — وهي خولة أخت سيف الدولة — في سنة ٣٥٢ أي بعد ذلك بسنوات ثمان ، وكان أبو الطيب بالكوفة فورد عليه خبرها كتب الى سيف الدولة قصيدة فيها (٤٤) بيتاً ، منها واحد وثلاثون في ذكر خولة هذه ، وستة أبيات في ذكر الدهر ونكده ، ولم يذكر سيف الدولة إلا في سبعة أبيات منها . هذا مع أن القصيدة التي رثى بها الصغرى ، لم يذكر فيها الصغرى مفردة إلا في بيتين هما « خطبة للحمام . . » ، وذكر الكبرى ومعها الصغرى في ثلاثة أبيات هي « فإنك المنون . . » ، وجعل بقية القصيدة وعدتها (٤٢) بيتاً في مدح سيف الدولة إلا قليلاً في الحكمة والحياة

وكان الفرق بين القصيدتين بيناً واضحاً لا خفاء فيه ، وكانت الثانية في رثاء خولة عاطفة قد أحدثها الحزن وغلبها البكاء . يقول أبو الطيب

يا أخت خير أخٍ ، يا بنت خير أبٍ كناية بهما عن أشرف النسبِ
أُجِلُّ قدرك أن تسمي مؤبنةً ومن يصفك فقد سماك للعربِ
(لا يملك الطرب المحزون منطقه ودمعه ، وهما في قبضة الطربِ)

غدرتَ يا موتُ ، كم أفنيت من عددٍ بمن أصبت ! وكم أسكتَّ من لجبِ !
وكم صحبتَ أخاها في منازلةٍ ! وكم سألت فلم يبخل ولم تخبِ !
(طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعتُ فيه بآمالي الى الكذبِ)
(حتى اذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي)
تعثرت به في الافواه ألسنها والبُرْدُ في الطرق والاقلام في الكتبِ
كأن خولة لم تملأ مواكبها ديار بكر ، ولم تخلع ، ولم تهبِ
(ولم تردَّ حياة بعد تولية ولم تغث داعياً بالويل والحربِ)
(أرى العراق طويل الليل مذ نعيتْ فكيف ليل فتى الفتيان في حلبِ ؟)
(يظنُّ أن فؤادي غيرُ ملتهب ! وأن دمع جفوني غيرُ منسكبِ !)
(بلى ، وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادبِ)
(ومن مضت غيرَ موروث خلائقها وإن مضت يدها موروثة النشبِ)
(وهمها في العلى والمجد ناشئة وهم أترابها في اللهو واللعبِ)
(يعلمن حين تحيا حسنَ مبسمها وليس يعلم الاّ الله بالشنبِ)

. . . .

(وان تكن خلقت أنثى، فقد خلقت كريمة، غير أنثى العقل والحسبِ)

. . . .

(فليت طالعة الشمسين غائبة وليت غائبة الشمسين لم تغبِ)
(وليت عين التي آب النهار بها فداء عين التي زالتْ ولم تؤبِ)

. . . .

(ولا ذكرت جميلاً من صنائعها إلاّ بكيت ، ولا ودٌّ بلا سببِ)
(قد كان كل حجابٍ دون رؤيتها ، فما قنعتِ لها يا أرض بالحجبِ !)
ولا رأيت عيون الانس تدركها فهل حسدت عليها أعين الشهبِ ؟)
(وهل سمعتِ سلاماً لي ألمّ بها فقد أطلتُ ، وما سلمتُ من كثبِ)
(وكيف يبلغ موتانا التي دفنتْ وقد يقصّر عن أحيائنا الغيبِ)

. . . .

(قد كان قاسمكَ الشخصين دهرُهما وعاش دُرُّهما المفديُّ بالذهبِ)
(وعاد في طلبِ المتروكِ تاركُهُ إنا لنغفلُ ، والايام في الطلبِ)
ما كان أقصر وقتاً كان بينهما كأنه الوقت بين الوِرْد والقَرَبِ

ولسنا مخطئين فيما نرى من صحة هذه الأبيات من القصيدة ومن العاطفة التي عطفته على هذه التي رثاها، وما يتوهّج في ألفاظها من نيران قلبه، ولسنا مخطئين في أمر الرجل وحنينه وبكائه. ولا بدّ لنا هنا من بعض القول في أبيات منها نشرح به أمر أبي الطيب على وجهه

قد ذكرنا قبل أن الانتقال من معنى الى معنى في شعر أبي الطيب، هو الموضع الذي ينبغي لنا الوقوف عنده وتمييزه والتبصّر في أوائله وأواخره، إذ كان الانتقال في شعره هو الذي يعينك على الكشف عن أسرار قلبه ونفسه وحياته. فإذا شئت الآن فانظر الى انتقاله من قوله في مخاطبة الموت «وكم صحبت أخاها في منازلة!» الى ذكر ما أفزعه وكربه، وهزّ نفسه وحرّكها إذ يقول

«طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ فزعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ»
«حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي»

والرأي عندنا أن هذين البيتين هما أول ما قال أبو الطيب من القصيدة حين سمع خبر موت خولة وهو بالكوفة فصرع قلبه، واضطرب أمره، وانتشرت عليه عواطفه، ففي البيتين أثر هذا الفزع المضطرب، وعليهما وسمٌ من لوعته وحُرقته

وقد علم أبا الطيب بيانه في هذين البيتين يصرّح فيهما بكل ما يضمر لخولة من الحبّ. انظر كيف جعل الخبر يطوي الجزيرة كأنما قصده وحده دون غيره، وقد خصّص ذلك بقوله «حتى جاءني» وفي هذا من علة الحبّ على قلب أبي الطيب ما جعله يرى أن هذا الخبر بموتها -- الذي سمعه وهو بالعراق — وكان قد علمه الناس ولا شك — لم يقطع أرض الجزيرة إلا ليبلغه هو، والحبُّ دائماً يخصّ ويضيق بمثل ذلك، ولا يرى فيه الشركة، ولو تساوى الناس جميعاً في المشاركة فيه أو العلم به. ثم إن أبا الطيب يصف الفزع الذي لحقه الى آماله، إذ كانت آماله كلها في الحياة بعد حبّه لخولة متعلّقة بها وبحياتها، فلما جاءه الخبر بموتها فزعت آماله عنده أملاً أملاً إلى الشكّ في الأمر الواقع وطلب الحيلة في ردّه وتكذيبه عسى أن تجد ما تتماسك به، فلما انحقت الآمال أملاً أملاً وقطّعها الخبر الذي سمعه بالصدق واليقين، سقطت نفس الرجل ولم تتماسك على رجولتها وقوّتها وغرقت في دمعها حتى شرقت به. وهذه حالة في الحبّ القوي العنيف الذي يستولي على القلب، ولا يجعل للحياة معنى إذا فقد من يحب أو ساءه من أمره ما يسوءه. فهذا من أبي الطيب دليل على أن كلامه هذا ليس كلام شاعر يرثي أخت صديقه وأميره، وإنما هو كلام قلب محبّ مفجوع قد تقطعت آماله من الدنيا بموت حبيب تدعّمته المنية فيه

ومثل ذلك في الدلالة على ما أصاب قلب أبي الطيب من الفجيعة التي تخصه بموت خولة قوله

«أرى العراق طويل الليل مذ نعيت فكيف ليل فتى الفتيان في حلب؟»

« يظنُّ أن فؤادي غير ملتهبٍ وأن دمع جفوني غير منسكب »

فليس يطول الليل على شاعر من أجل أخت أميره، وإنما يطول عليه من أجل حبيبته التي فاته بها الموت. ثم زاد أبو الطيب في الدلالة بقوله ان سيف الدولة يظن ان فؤاده غير ملتهب، وأن دمعه غير منسكب، وما لسيف الدولة ولهذا؟ أيحب سيف الدولة ان يلتهب قلبه وينسكب دمعه من أجل أخته، أو يسوءه إذا لم يكن ذلك كذلك؟

هذا ولا نشك نحن — من قبل ما جمعناه عندنا من الدلائل في هذا الأمر المتعلق بحب أبي الطيب وخولة أخت سيف الدولة — في ان سيف الدولة كان على علم بما كان بينهما من المحبة العامية على أمرها، وانه كان قد وعد أبا الطيب عدة لم يف له بها في أن يزوّجه أخته هذه، وكان ذلك سرًّا بينهما اتصل بأبي فراس الحمداني، فكان سببًا في العداوة الباغية بين الرجلين ولولا علم سيف الدولة بذلك لما استباح أبو الطيب لنفسه ان يكتب هذه القصيدة الى سيف الدولة على كثرة الاشارات فيها الى امره وأمر خولة والحب الذي بينهما. في ذلك غير ما ذكرناه مما يدلّ على الحب الذي بينهما دلالة واضحة لا تخفى على مثل سيف الدولة قوله

« ومن مضت غير موروث خلائقها وان مضت يدها موروثة النشب »

الأبيات الثلاثة، فقد ذكر أبو الطيب أخلاق خولة، ثم ذكر ما كانت عليه من علوّ النفس والهمة منذ نشأتها، ثم ذكر أمتثالها، وهذه كافية في الدلالة على معرفته خولة معرفةً صحيحة عن خبرة وعلم. وأيضاً قوله

« ولا ذكرتُ جميلاً من صنائعها إلاّ بكيتُ ولا ودّ بلا سبب »

وهذا دليلٌ على ما كانت تسبغ عليه خولةُ من صنائعها ومواصلها بما يستحق له البكاء حين يذكرها، وما نظنّ ان صنائع خولة عنده كانت تمام مقدار صنائع سيف الدولة. ولكن حب أبي الطيب هو الذي جعل صنائعها من قلبه بهذه المنزلة. ثم تدبر قوله « ولا ودّ بلا سبب »، وفي رواية أخرى « بلا ودّ ولا سبب » وكأن هذه الرواية يراد بها نفي سرّ بينهما، كأن الوشاة يكثرون القول فيه عند سيف الدولة مع علمه بالأمر الذي بينهما، من ان صنائع خولة التي كانت تتخذها عند أبي الطيب لم تكن من أجل هذا الودّ، وإنما كانت من كرم نفسها وطيب عنصرها. ويكون المقصود بهذه الرواية غير سيف الدولة ممن كان يتزيّد في القول ويتكذب عليه بما هو منه براء، ولينفي التهم بذلك عن هذه التي كان يحبّها ويمنحها قلبه

وإذا شئت الزيادة فاقرأ قوله

فليتَ طالعة الشمسين غائبةٌ . . . .

وتدبر البيتين وما فيهما من العاطفة . . . واقرأ

وهل صحت سلاماً لي ألمّ بها . . . . . .

ثم انظر الى هذا الالتفات الى الماضي الذي جعلناه من المذهب في الكشف عن أسرار أبي الطيب إذ ذكر ما كان منه حين رثى أخت سيف الدولة الصغرى — من ذكر خولة هذه وذلك إذ يقول

فأصبحتْ المنونُ شخصين جوراً .

فعاد يقول في هذه

«قد كان قاسمك الشخصين دهرهما وعاش دُرُّهما المفديُّ بالذهب»

«وعاد في طلب المتروك تاركُه إنا لنغفُل والأيام في الطلب»

وتدبر الصلة بين هذا وذاك، والحسرة المتسترة في قوله «إنا لنغفل . . .»، و«ما كان أقصر وقتاً كان بينهما».

ولندع هذا الآن ونتصل بك في مواضع من الديوان على غير ترتيب، لترى أثر هذا الحبّ في شعر أبي الطيب وفي حياته، وما أصابه وهو في ظلّ سيف الدولة من جراء هذا الحبّ. وكان حق هذا الموضع من هذا الباب أن نتتبّع لك حياة أبي الطيب سنةً سنةً، ونكشف لك عن تدرُّج هذا الحبّ في شعره وقصائده حتى ينتهي الى الغاية ولكن . . . وقف المتنبي في مجلس سيف الدولة ينشده قصيدته التي اولها

واحرَّ قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وقد زعموا أن سبب هذه القصيدة كان على ما قالوا . . . « جرى له خطاب مع قوم متشاعرين ونطق الحيف عليه والتحامل » الى غير ذلك. وقد أتى المتنبي في هذه القصيدة بكل عجيبة من القول في الكبرياء والحب لسيف الدولة والوعيد له، كقوله

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدمُ

. . . .

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرمُ

وقوله في حب سيف الدولة

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدمُ

وقوله في إنذاره

لئن تركنَ ضُميراً عن ميامننا ليحدثن لمن ودعتهم ندمُ

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون همُ

قالوا فلما انصرف ابو الطيب من مجلس سيف الدولة وقف له رجالةٌ في طريقه ليغتالوه، فلما رآهم أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم، سل سيفه وجاءهم حتى اخترقهم فلم يقدموا عليه،

ونمى ذلك الى ابي العشائر فأرسل عشرة من خاصته فوقفوا بباب سيف الدولة ، وجاء رسوله الى ابي الطيب ، فسار اليهم حتى قرب منهم ، فضرب احدهم يده الى عنان فرسه ، فسل ابو الطيب سيفه ، فوثب الرجل امامه ، وتقدمت فرسه الخيل ، وعبرت قنطرة كانت بين يديه ، ولحقوه الى الصحراء ، فأصاب احدهم نحر فرسه بسهم فانتزع ابو الطيب السهم ورمى به ، واستقلت الفرس وتباعد بهم ليقطعهم عن مدد كان لهم ، ثم كر عليهم ، بعد ان فني النشاب . . . فلما يئسوا منه قال له احدهم في آخر الليلة نحن عبيد ابي العشائر فقال قصيدته التي مطلعها «ومنتسب عندي الى من أحبه» . ثم عاد ابو الطيب الى المدينة مستخفياً فأقام عند صديق له والمراسلة بينه وبين سيف الدولة ، وسيف الدولة ينكر ان يكون قد فعل به ذلك او امر به

وكان ذلك في سنة ٣٤١ فلما رضي عنه سيف الدولة قال له قصيدة اولها

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل   وظل يسفح بين العذر والعذل
ظللت بين أصيحابي أكفكفه   وظل يسفح بين العذر والعذل
أشكو النوى ولهم من عبرتي عجب   كذاك كنت وما أشكو سوى الكلل

ثم انتقل من هذا المعنى الى معنى غيره فقال

وما صبابة مشتاق على أمل   من اللقاء كمشتاق بلا أمل

وكأنه بهذا الانتقال يلوّح على سيف الدولة الامر ويذكر له أن هذا الحب الذي بينه وبين خولة كان على غير امل وأنه لا يطمع في ان يظفر بادراك امله من الزواج بها ثم يدلل على ذلك بما كان من الحادثة التي كاد يقتل فيها ، والتي تولى امرها ابو العشائر (وهو من قوم خولة) ، ويذكر سيف الدولة ان اهل خولة لن يدعوه ان يكون بينه وبينها صلة كما بلغه الوشاة فانتقل من معنى البيت الى قوله

«متى تزر قوم من تهوى زيارتها   لا يتحفوك بغير البيض والاسل»

وهذه صفة ما لقي ابو الطيب في ذلك اليوم الذي رويناه لك ، فانظر الى هذا الانتقال الذي يدل دلالة واضحة على ما في ضمير الرجل ، وما كان من سبب تلك الحادثة التي كادت تودي بحياته ، ثم انظر الترفق في قوله «لا يتحفوك بغير البيض والاسل» وذلك لما بينه وبين ابي العشائر من المودة والحب ، فهو يجعل أداة القتل (تحفة) ، وقد قال لابي العشائر في هذه الحادثة نفسها ابياتاً تدل على حبه له ، وتقرب اليك بيان هذا المعنى ، وقد مضى ذكرها، ويقول له في آخرها

«فان كان يبغي قتلها ، يك قاتلاً   بكفيه ، فالقتل الشريف شريف»

وفي تلك السنة نفسها (٣٤١) يقول ابو الطيب ما نقلناه في رأس هذا الباب

« سبيلك ، ما يلقى الفؤاد وما لقى وللحب ، ما لم يبق مني وما بقي »

فعلى ما نذهب إليه من شدة تأثير الحوادث في أبي الطيب ونفسه ، واستخراجه معاني شعره من تلك الحوادث ، ونهجه دائماً على ذكر الحوادث القريبة ، نجد في هذه القصائد ما يشير إلى هذه الواقعة وما لقي فيها من الكيد . والظاهر أن هذه الجفوة التي كانت في سنة ٣٤١ امتدت إلى أوائل سنة ٣٤٢ ، وكان من جرائها أن انقطع أبو الطيب مدة عن مدح سيف الدولة فاستبطأه وتنكر له ، وركب سيف الدولة يوماً في رجاله ، وقدم عليه أبو الطيب راكباً مهره ، فلما سلم عليه ازورّ عنه وأعرض فقال أبو الطيب

أرى ذلك القربَ صار ازورارا وصار طويل السلام اختصارا
تركتنيَ اليوم في خجلةٍ أموت مراراً وأحيا مرارا
أسارقك اللحظ مستحيياً وأزجر في الخيل مُهري سِرارا
وأعلمُ أني إذا ما اعتذرتُ إليك ، أراد اعتذاري اعتذارا
كفرت مكارمك الباهرا ت ، إن كان ذلك مني اختيارا!

ثم يذكر له العلة في ذلك الامتناع عن مدحه فيقول

(ولكن حمى الشعرَ — إلا القليـل — همٌّ حمى النوم إلا غرارا)
(وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب نارا)
(فلا تلزمنّي ذنوب الزمان إليّ أساء وإيايَ ضارا)

وهذا الهم الذي يسقم الجسم ويضرم ناراً في القلب ، ولا يملك له الانسان ردًّا ، لا يكون إلا هذا الحب العنيف الذي تنقطع دونه الآمال ، ولا يكون هذا الهم إلا ذلك ، فإن أبا الطيب كان متمتعاً بكل شيء في ظلّ سيف الدولة فقد كان صاحب اقطاع ومال كثير قد أسبغه عليه سيف الدولة

وحسبك هذا من شعره وهو في جوار سيف الدولة ، ثم أنظر إلى أثر هذا الحب في شعره بعد فراق سيف الدولة ، فانه أدلُّ وأبلغ في الكشف عن سرّ قلبه . ولا بأس في أن نسرد لك ذلك على ما وقع في ترتيب ديوانه

فمن آثار هذا الحب في شعر أبي الطيب ، ما وقع في القصيدة الاولى التي أنشدها كافوراً في جمادى الآخرة سنة ٣٤٦ حين قدم عليه بالفسطاط وقد رأيت قبل أننا لم نعرض لعاطفة أبي الطيب في شعره إلى أن اتصل بسيف الدولة ، فاذا أنت عدت إلى شعره في ذلك العهد الأول لم تجد فيه إلا قسوة وشدة وعنفاً ليس لشعر ، وقلما لان الرجل أو رقّ إلا متكلفاً للغزل . وكان قد فارق قبل سيف الدولة رجالاً أحبهم وصحبهم وبادلهم مكنون صدره من الودّ ، ولم يظهر في شيء من شعره بعد فراقهم أثر لهذا الفراق إلا قليلاً قليلاً . ولكنه حين فارق سيف الدولة

ودخل مصر ظهرت في شعره رقة لا عهد له بها . ولا تكون العلة في هذه الرقة التي ظهرت فيه بعد ان جاوز الاربعين ، واستحكم واستمر مريره ، واستوت طبيعته على طريقة من القوة والتشدد والاستمساك — من أجل فراقه سيف الدولة وحسب ، فان ذلك الفراق بين (الرجلين) لا يعمل في تغيير الطبيعة المتأصلة كل هذا العمل . وليس لشيء من العمل في تغيير الطبائع وتبديلها مثل ما للحبّ في القدرة على ذلك . وكان أبو الطيب حين فارق سيف الدولة ، يتلفت قلبه الى تلك التي خلفها من ورائه ، وخلف عندها قلبه وعواطفه ، فأثار ذلك في قلبه ذكرى وآلاماً ، جعلت الدنيا تضيق بها نفسه وتضجر منها، فكان أول ما لقي كافوراً لقيه بالبيت الذي عدّه الأدباء والنقاد من سوء أدب المتنبي ومن جفائه وغلظته ، وليس الامر على ذلك ، فان الرجل لم يكن جافياً ولا غليظاً ولا سيء الادب، ولا ضعيف البيان ، ولكنه كان كما حدثناك مرهف الحسّ ، تغلبه العاطفة على أمره فلا يملك لسانه تصريفاً ، وتصرّف عاطفته هذا البيان كما شاءت والعاطفة لا تعرف أميراً ولا كبيراً ، ولا تفرق بين لقاء الملوك ولقاء الصعاليك ، فلذلك رمى في وجه كافور بهذا:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسبُ المنايا أن يكنّ أمانيا
تمنيتها لما تمنيتَ أن ترى صديقاً فأعيا أو عدواً مداجيا

ثم يمضي ابو الطيب على طريقته حتى يرقّ رقةً ، لو انت قلبت ديوانه كله لم تجد لها شبيهاً ولا مثيلاً ، وذلك قوله في خطاب قلبه ، ذلك القلب الذي حطم به فراق خولة ، وعذ بيان رحوله وقوته

(حببتك قلبي، قبل حبك من نأى، (١) وقد كان غداراً ، فكن أنت وافيا)
(وأعلم أن البين يُشكيك بعده ، فلست فؤادي إن رأيتك شاكيا)
(فإن دموع العين غُدرٌ بربها إذا كنّ إثر الغادرين جواريا)
اذا الجود لم يرزق خلاصاً من الاذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا
وللنفس أخلاق تدل على الفتى أكان سخاءً ما أتى أم تساخيا
(أقِلْ اشتياقاً أيها القلب ، ربما رأيتك تُصفي الود من ليس صافيا !)
(خُلقتُ ألوفاً،لو رجعتُ إلى الصبى لفارقت شيبي موجع القلب باكيا)

فاقرأ الابيات وتدبرها ، وانظر في خطابه قلبه — على غير عادته خطاباً رقيقاً متنهداً ذا زفرات ، وانظر اضطراب امره بين قلبه وفكره ، وبين عاطفته ورجولته ، يقول لقلبه : « لست فؤادي ان رأيتك شاكيا » ثم يعود فيقول « خلقت ألوفاً . . . » فليس في الابيات حبه لسيف الدولة وحسب بل فيه نفحات من لوعة الحب الذي يستولي على القلب . حب المرأة التي

(١) يريد بهذه الكناية (سيف الدولة)

يهجرها الرجل وهو يعلم يقيناً انه لا يهجرها وإنما يهاجر قلبه الذي بين جنبيه ويباعده ويراغمه . هذا وقد ظهر نفس هذا الأثر في كثير من شعر المتنبي ، ظهر في حكمته ظهوراً بيناً وذلك كقوله

ليت الحوادث باعتني الذي أخذت ... مني ، بحلمي الذي أعطت وتجريبي
فما الحداثة من حلم بمانعة ... قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

وهذا القول ليس من مذهب المتنبي في كلامه الاول الى فراقه سيف الدولة ، ومثل ذلك قوله

أودّ من الايام ما لا توده ... وأشكو اليها (بيننا) وهي جنده
(يباعدن حبّاً يجتمعن ووصله ... فكيف بحب يجتمعن وصده !؟)
(أبى خلق الدنيا حبيباً تديمه ... فما طلبي منها حبيباً ترده)

ثم نعت المتنبي الى ما كان من فراقه خولة ومهاجرتها مراغماً نفسه ، متكلفاً الصبر والجلد فقال في عقب ذلك

(وأسرع مفعول فعلت ، تغيّراً ... تكلف شيء في طباعك ضده)

وكان ابو الطيب يظن ان في الفراق ما ينسيه خولة ويمحو من قلبه آثارها ، وقد فارق ، وصح ان ذلك لن يكون ، وان ما كان من اندفاعه ومراغمته عند اول الفراق إنما كان أمراً يخالف طبيعة حبه التي وصفها في شعره قبل وهو عند سيف الدولة بقوله

إلامَ طماعية العاذل ... ولا رأي في الحب للعاقل
(يُراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل)

هذا وإذا أنت أخذت في دراسة شعره في المدح والحكمة في هذه الفترة ، وجدت آثار هذا الحب الذي انقطعت منه آمال اللقاء ، والنظر والابتسامة والتعطف ، وما رمى في قلب ابي الطيب من الكمد والحسرة والاسف والحنين ، فأصبح كلامه وبيانه من تلك العواطف اليائسة التي انطوى عليها قلبه ، واضطرب بها صبره وفكره [1] ، وبذلك تميز شعره في هذا العهد من شعره فيما سبقه وتباين عنه تبايناً عظيماً

ويقول ابو الطيب يذكر فراقه سيف الدولة ومقدمه على كافور

فراقٌ . . . ، ومن فارقتُ غير مذمم ... وأمٌّ . . . ، ومن يممتُ خير ميمم
وما منزل اللذات عندي بمنزل ... إذا لم أُبجّلْ عنده وأُكرَّم
سجيةُ نفس لا تزال مُليحةً ... من الضيم ، مرمياً بها كلُّ مخرم
(رحلتُ . فكم باكٍ بأجفان شادنٍ ... عليّ !! وكم باكٍ بأجفان ضيغم !!) [2]

(١) سيكون بيان ذلك مفصلا في بيت بيت وقصيدة قصيدة في موضعه من كتابنا عن ابي الطيب ، وعدلنا عن ذلك هنا ، لما ترى من تشعب الموضوع وسعته ، وما تقتضي من الوقت

(٢) الشادن ولد الغزال ، يريد به المرأة الغريرة الحسناء ، والضيغم الاسد

(ومن ربّةُ القُرْطِ المليحِ مكانُهُ، بأجزعَ من ربّ الحسام المصمّمِ)
(فلو كان ما بي من حبيبٍ مقنّعٍ، عذرتُ، ولكن من حبيبٍ معمّمِ)
(رمى، واتّقى رمي، ومن دون ما اتقى هوًى كاسرٌ كفي، وقوسي، وأسهمي)

فهو بالبيت الأول قد عين من أراد بهذه القصيدة. فالذي فارقه هو سيف الدولة، والذي قصده ويممه هو كافور وعلى ذلك اتفق الشراح جميعاً، فلما أتى البيت الرابع قال «رحلت» يعني رحلته عن حلب، ثم ذكر بعده ما كان من جراء هذا الفراق وأبان عن الذي كان سببا فيه، وقابل في ذلك بين اثنين رجل وامرأة فذكر باكية تبكي على فراقه صبي غزال، وباكياً يبكي صبي أسد، وجازعة لفراقه زينتها قرطها الذي في أذنها، وجازعاً زينته حسامه، وقد اتفق الشراح أيضاً — ولا شك فيما قصده ابو الطيب — على انه قصد سيف الدولة بقوله «صيم» وقوله «رب الحسام المصمم». والمقابلة بين سيف الدولة وهذه المرأة دليل على صلتها بسيف الدولة وبأبي الطيب، ومعرفة سيف الدولة بهذه الصلة، ولا نشك بعد ما رأيت انه عنى بالباكية الجازعة لفراقه «خولة» اخت سيف الدولة، ثم قال بعد «فلو كان ما بي من حبيب مقنع عذرتُ» وصبرت على ما يصيبني منه لحبي اياه، والاذى من المرأة المحبوبة ينزل من قلب المحب منزلة الرضاء فهو لا يحمل على فراق ولا يبين ولكن الذي حملني على الفراق كون هذا الاذى انما اصابني «من حبيب معمم» هو سيف الدولة. ثم صرح في البيت الاخير مبيناً عن هواه فقال ان سيف الدولة رماه بسهمه (يريد الاذى الذي اصابه منه)، واتقى بدرعه ان يرميه ابو الطيب بسهم مثله، وهذا الاتقاء من سيف الدولة عمل لا محل له، إذ كان يعلم يقيناً ان أبا الطيب لن يرميه جزاءً له كما رماه، لما في قلبه من حب خولة اخته وهواها الذي يحبس يده ويكسر كفه، ويحطم قوسه، ويدق سهامه

هذا... وقد رووا ان ابا الطيب اتصل به وهو بمصر ان قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة بحلب فقال قصيدة يذكر ذلك ولم ينشدها كافوراً، وكان مما جاء في أولها قوله

بِمَ التعلّل... !! لا أهلٌ، ولا وطنُ، ولا نديمٌ، ولا كأسٌ، ولا سكنُ
أريد من زمني ذا أن يبلّغني ما ليس يبلغه من نفسه الزمنُ !!
لا تلقَ دهرك إلاّ غير مكترثٍ ما دام يصحب فيه روحَك البدنُ
فما يديم سرورٌ ما سُررتَ به ولا يردُّ عليك الفائتَ الحزنُ
(مما أضرّ بأهل العشق أنهمُ هَوُوا وما عرفوا الدنيا، وما فطنوا)
(تفنى عيونهم دمعاً وأنفسهم في إثر كل قبيحٍ وجهه حسنُ)
تحمّلوا... حملتكمْ كلُّ ناجيةٍ فكلُّ بينٍ عليّ اليومَ مؤتمنُ

(ما في هوادجكم من مهجتي عوضٌ إن متُّ شوقاً، ولا فيها لها ثمنُ)
يا من نُعيتُ على بُعدٍ بمجلسه كلٌّ بما زعم الناعون مرتهنُ
كم قد قُتلتُ، وكم قد متُّ عندكمُ!! ثم انتفضتُ فزال القبر والكفنُ

وفي هذه الأبيات عندنا قول كثير موجز وعدّ منه أطرافاً نتفادى الإطالة، ففي الأبيات الأولى تأخذ عينك أثر الأحزان التي كانت في قلب الرجل ممثلة مصورةً في شعره. وتدبر عبرته من آلامه بقوله « بم التعلل » .. !! وهذا السكون الذي يعقب استفهامه وتعجبه، فهو بيان في غير لفظ، ثم يعود الى القول فيقول « لا أهلٌ ولا وطنٌ، ولا نديم، ولا كأس ولا سكنٌ » . فقد كان بمصر وليس بها أحد يسكن اليه الا ولده محسّد، وهو مهاجر لا وطن له، وهو بمصر غريب لا صديق له ولا نديم، وقد سئمت نفسه كل شيء حتى الكأس من الخمر لا تنسيه ولا تحرّكه، ثم تم ذلك لوعة قلبه إذ فقد سكنه وحبيبه الذي يسكن اليه ويأوي. ثم مضى يتنقل في المعنى حتى انتقل من تجلده تارةً ومن أحزانه أخرى الى الداء الذي يسلّ قلبه ويسقمه فقال مستقلاً على عادته التي بيّناها قبل

مما أضرَّ بأهل العشق أنهمُ هوُوا، وما عرفوا الدنيا ولا فطنوا

وهو بيان عن نفسه وما يحزّ فيها من آلام (خولة)، وما لقيه بعدها من الاضطراب بين رجولته التي تأبى ان تخضع أو تضعف، وبين عواطفه التي تأبى الا ان تخشع لخولة، وتتعبد لذكرها وهواها وآلام حبها. وكان من جراء هذا الاضطراب أن أنكر (الرجل) قلبه، ونعى عليه وتعنّف به، وذمّ له هذه التي قد تولّه بها، وهي التي أضرت به وأشقته وعذبته، سفهاً وجهلاً منه اذ اراد ما لا يكون، ولا تأتي به الأقدار، ولا ترضى به التقاليد الاجتماعية في هذه الدنيا، كما ذكر في البيت الماضي، فقال في عقب ذلك معانداً ومراغماً له في قلبه

« تفنى عيونهم دمعاً، وأنفسهم في إثر كل قبيحٍ وجهه حسنُ »

رحمك الله يا أبا الطيب. ثم انطلق يعاند قلبه، ويذمّ له خولة، ولا ذنب لها الا ما تكلفه هو بالفراق، وإرادة نسيانها، « وتأبى الطباع على الناقل » أن يكون ذلك. ثم انتقل خطابه بعد لسيف الدولة بقوله

يا من نُعيتُ — على بُعدٍ — بمجلسه كلٌّ بما زعم الناعون مرتهنُ

وورَبّك إني لأخال أبا الطيب قد قال هذا البيت وهو يبكي، فإن في الشطر الأخير عبرات من دمعه لا تزال تجول فيه وتترقرق. فكلّ ذلك آثارٌ بينة على انتقال طبيعة أبي الطيب من تكبرها وعتوّها وترمّتها الى حالة نفسية طارئة قد تمكنت فيه آلامها وأحزانها. فهو يعاني منها ما يعاني، ويضطرب لها ويهتزّ ويتفزع، حتى كان شعره بعد فراق سيف الدولة كثير الشكوى،

مخالطاً بالحزن والحسرة والألم، وقد نبه الى ذلك أبو الطيب نفسه فقال في قصيدة من مدائحه لكافور

لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكب ! فكل بعيد الهم فيها معذب
(ألا ليت شعري ، هل أقول قصيدة فلا أشتكي فيها ولا أتعتب ؟ !)
وبي ما يذود الشعر عني أقله ولكن قلبي ، يا ابنة القوم ، قلب)

وهذا الذي به مما يذود عنه الشعر ويمنعه من أن يقوله ، هو الذي ذكره أولاً فيما تقدم

وسكني حتى الشعر — إلا العايسل — ؛ م حوى النوم إلا غرارا
وما ... انفقت حسمي به ولا أنا أضرمت في القلب نارا

وهو حب (خولة) الذي ملأ قلب الرجل وأخذه وتفرد به دون فكره وإرادته

. . . . فلما ماتت خولة رحمها الله في سنة ٣٥٢ بعد خروجه من مصر ، تغيرت طبيعة أبي الطيب واسودت الدنيا في عينه ، وامتلأ قلبه حزناً ، وتقطعت نفسه عليها حسرات ، فكان شعره بعد من هذه المادة ، وأول ذلك ما كان من شعره في القصيدة التي رثاها بها إذ يقول لسيف الدولة

فلا تنلك الليالي ! ! إن أيديها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب
ولا يعن عدوا أنت قاهره فإنهن يصدن الصقر بالخرب
(وإن سررن بمحبوب فجعن به وقد أتينك في الحالين بالعجب)
(وربما احتسب الانسان غايتها وفاجأته بأمر غير محتسب)
وما قضى أحد منها لبانته ولا انتهى أرب الا الى أرب
تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب، والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومن تفكر في الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

وأعد قراءة الأبيات الثلاثة الأخيرة وتدبر نفس أبي الطيب فيها ، فهو يكاد يتقطع ويسقط من العجز والتعب والفكر في الذي أصابه بموت حبيبته خولة . فاذا أردت أن تعرف تمام حالة أبي الطيب هذه ، وامتداد فكره فيها فاقرأ قصيدته التي قالها حين توفيت عمة عضد الدولة بن بويه في سنة ٣٥٤ والتي يقول فيها

نحن بنو الموتى ، فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه ! !

. . . .

لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيه لم يسبه

وبقي كثير من الاشارات الى هذا الذي في قلبه ، طويناه حتى يأتي أجله ، والله المستعان

يا رجاء العيون في كلّ أرضٍ
لم يكن غير أن أراك رجائي
ولقد أفنتِ المفاوزُ خيلي
قبل أن نلتقي ، وزادي ومائي
فارمِ بي حيث شئتَ مني ، فإني
أسدُ القلب آدميُّ الرُّواء
وفؤادي من الملوك ، وإن كا
ن لساني يُرى من الشعراء

قد ذكر الرُّواة في موضع القول من فراق أبي الطيب حضرة سيف الدولة أسباباً موجبة لهذا الفراق ، كالذي يروون من أنه كان بحضرة سيف الدولة، وفي المجلس أبو الطيب اللغوي،وابن خالويه النحوي ، وجرت مسئلة في اللغة بين ابي الطيب اللغوي وابن خالويه ، فتكلم أبو الطيب المتنبي ، وضعّف قول ابن خالويه ، فأخرج ابن خالويه (من كمه مفتاحاً من حديد) يشير به إلى المتنبي ، فقال له المتنبي : ويحك ! اسكت ، فإنك أعجميٌّ ، وأصلك خوزيٌّ ، فمالك والعربية ! فضرب ابن خالويه وجه المتنبي بذلك المفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه . فغضب المتنبي من ذلك ولاسيما إذ لم ينتصرْ له سيف الدولة ، قولاً ولا فعلاً ، فكان ذلك أحد اسباب مفارقته سيف الدولة . وكالذي يروون من كيد أبي فراس له عند سيف الدولة بمثل قوله له: « إن هذا المتشدق (يعني المتنبي) كثير الإدلال عليك ، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد. ويمكن ان تفرق مئتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه » فأعرض عن أبي الطيب لذلك

فهذه الروايات وغيرها — كما حدثناك قبل[1] — هي من الاحاديث التي تتناقلها مجالس الادباء ، ولا يراد بها التحقيق ، ولا ينظر فيها الى صدق الرواية وسياق التاريخ وما الى ذلك، ولكننا نستفيد منها على علاتها ، ونأخذ منها وندع ،ولا نطيل القول هنا بنقدها وتجريحها ،فلذلك أجله وموضعه ان شاء الله

---

(١) ص ١١١

وارأي عندنا ان فراق أبي الطيب لسيف الدولة مشكلة معقدة يطول تفسيرها وتبيانها على وجه معقول لا يتناقض ولا يختلف . ومختصره ان هذا الفراق كان لاسباب قد اقتضاها حب أبي الطيب خولة أخت سيف الدولة ، وبقي أبو الطيب في جوار صاحبه وحبيته يتذرع ، لام قلبه وفكره تسعة أعوام مجرّمة ، وهو على عدة من سيف الدولة ان يحقق آمال فكره السياسية ، وأماني قلبه وعواطفه ورواح خولة ، ثم أدركه اليأس وظن أن في الفراق راحة له وسياماً ، وهو ما أشار إليه في قوله — على ما فسرناه به [1]

« وأسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شيء في طباعك ضده »

وقد حمله على ذلك ما كان يلقاه من الكيد والسعاية من قبل (قوم) خولة ، كأبي فراس وأبي العشائر وغيرهما ، ومن صلوه من تحريض الادباء عليه كابن خالويه ، واغراء الشعراء بثبطه ومناهضته والنيل منه حتى ضاق بهم فاستعدى عليهم سيف الدولة بمثل قوله

أزلْ حسد الحسّاد عني بكبتهم فأنت الذي صيّرتهم لي حُسَّدا
(إذا شدّ زندي حسن رأيك فيهم ضربت بسيف يقطع الهام مغمدا)
(وما أنا الاّ سمهريٌّ حملته فزيّن معروضاً وراع مسدّدا)
وما الدهر الاّ من رواة قصائدي اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به — من لا يسير — مشمّراً وغنى به — من لا يغني — مغرّدا
(أجزني اذا أُنشدتَ شعراً فانما بشعري أتاك المادحون مردّدا)
(ودع كل صوت غير صوتي ، فانني أنا الطائر المحكيُّ والآخر الصدى)

وقوله أيضاً في ذلك

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول

. . . .

وقد بين في هذه الابيات أيضاً عن وشايات وسعايات كان يكاد بها لدى سيف الدولة من الطعن في نسبه ، والتشهير به في خلقه وضميره

أنا السابق الهادي الى ما أقوله إذ القول قبل القائلين مقول
(وما لكلام الناس فيما يريبني أصول ، ولا للقائليه أصولُ)
أعادى على ما يوجب الحبُّ للفتى وأهدأ والافكار فيَّ تجولُ
سوى وجع الحساد داوِ ، فانه إذا حلّ في قلب فليس يحولُ

(١) انظر ص ١٣٩

ولا تطمعنْ من حاسد في مودة وإن كنت تبديها له وتنيل
وإنا لنلقى الحادثات بأنفس كثير الرزايا عندهن قليل
يهون علينا ان تصاب جسومنا وتسلم أعراضٌ لنا وعقول)

وقد كان يتولى امر هذا الكيد كله ابو فراس الحمداني ، وعندنا ان المنافسة في الشعر لم تكن هي السبب ، وإنما كانت (خولة) السبب الاكبر الذي جاب عليه كيد أبي فراس ، ثم أبي العشائر — مع أنه هو الذي قدمه الى سيف الدولة وقرَّبه اليه على ما يقولون . وقد بلغ من ذلك أن أغرى أبو العشائر غلمانه بقتله ، وقد رأيت قبل أن أبا الطيب على ذلك لم ينقص حبه لأبي العشائر ولا ضعف . وهذا لأنّ الامر لم يكن منافسة في شعر او غيره ، وانما كان غيرة من أبي العشائر على بعض حُرَمه ، وأبو الطيب كما حدثناك في موضع كان يضع (الرجولة) وتوابعها في المنزلة الاولى ، ويحب من عدوه أن يتمسك بمروءتها ، فلذلك لم يحقد على أبي العشائر حين أحدثته الغيرة على حرمه ، بل ازداد تعطفاً عليه وتلطفاً له ، على تنكره وتماديه وعتوّه ، حتى قال له

(ونفسي له — نفسي الفداء لنفسه — ولكن بعض المالكين عنيف)
فان كان يبغي قتلها ، يكُ قاتلاً بكفَّيه ، فالقتل الشريف شريف

وبهذا يصح فراق أبي الطيب لسيف الدولة معنىً يُعقل ويشتد عليه ويتدُّ به ، ثم تتسق حالته النفسية الظاهرة في شعره ، وتتساوق معاني ديوانه متدرجة على أساس من نفسه وآلامها وآمالها وأشواقها ، وما أصابها من الكيد والعدوان، وما منيتْ به من حرقة الحب،ولوعة الحرمان

خرج أبو الطيب من حلب حيث كان سيف الدولة قاصداً دمشق ، وقد احتال لذلك حتى تم له الفراق قبل ان تدركه مكايد أبي فراس وأصحابه وذلك في اواسط سنة ٣٤٦ وكان يحمل بين جنبيه قلباً ممزقاً قد اعتورته السهام او كما قال

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبالِ
فصرت اذا أصابتني سهامٌ تكسرت النصال على النصالِ
وهان . . . فما أبالي بالرزايا لأني ما انتفعت بأن أبالي

فهو قد أصيب في آماله السياسية ، وأصيب في هوى قلبه ، وأصيب في محبة سيف الدولة، وما كان يضمر له من الاخلاص والتوقير والودّ ، فانطوى على ما به ، محزوناً ضجراً ملولاً ، يتبرّم بالدنيا ويضيق بها وبأهلها ذرعاً . فلما وافى دمشق ودخلها ، كان بها رجل يهوديٌّ من قبل كافور، كان أبو الطيب يستثقل ظله على قلبه ، وكان قد لقيه قبل في سنة ٣٣٧ حين نزل على صاحبه أبي

علي (هرون بن عبد العزيز الاوراجي) الكاتب، فسوّلت نفس هذا اليهودي لارادته ورغبته ان يحمل ابا الطيب على ان يمدحه بعد ان مدح أمير الامراء سيف الدولة، وتعذّر ابو الطيب هذا اليهودي وعنيت به نفسه، فكنّها الاعراض عنه وازدرائه والهاون به، فعصب اليهودي (ابن ملك) عصبة يهودية، حتى اذا ما كان من كافور ما كان، من مكاتبته في طلب ابي الطيب ان يقدم عليه، صفها ابن ملك، وكتب الى كافور ان ابا الطيب قال «لا أقصد العبد، وان دخلت مصر فما قصدي الا ابن سيّده». ثم ضاقت دمشق بأبي الطيب، فخرج منها يريد صاحبه الامير ابا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة الذي مدحه في سنة ٣٣٦ كما قدمنا، فاستقبله وانزله منزلاً كريماً وحمل اليه الهدايا النفيسة، وخلع عليه الخلع الفاخرة، وحمله على فرس بموكب نفيس، وقلده سيفاً محلى، جزاء لما كان مدحه به اولاً ووفاء بالصحبة. فكان كافور يقول اذ ذاك لاصحابه «أترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا !!». ولما بلغ ذلك ابا الطيب، وان كافوراً يعد عليه في نفسه، ان يقصد عماله (كابن طغج) ولا يقصده، وأتت ابن طغج كتب كافور في طلب ابي الطيب، وكان ابن طغج فيما نرى رجلاً صبوراً داهية مترصناً حلو اللسان مطاع الرعية، فاحد يراود ابا الطيب، وأبو الطيب يتصبر عليه ويضيق بطلبه، لما تحمل نفسه من الضجر والتبرم، ومد لأي ما ظفر به الامير ابن طغج وحمله على المسير الى كافور. فلما قدم عليه امر له بمنزل ووكل به جماعة، واظهر التهمة له، وطالبه بمدحه فلم يمدحه، فخلع عليه الخلع حتى أخرجه بكرمه، فلم يجد ابو الطيب الذي يقول

«ومن وجد الاحسان قيداً تقيّدا»

بُدّاً من ان يحمل نفسه على مدح هذا الأسود الخصي، علّه يصيب عنده ما فاته عند غيره من الفحول البيض. وعزى نفسه بذلك، ولكنها أبت عليه ان تكون صنيعة لكافور، فرمت في وجه كافور بأبياتها لا أبيات ابي الطيب

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا
تمنيتها لما تمنيت ان ترى صديقاً فأعيا، او عدواً مداجيا

واستقبال كافور بهذين البيتين هجاء دونه كل هجاء فيه اقذاع وفحش وسخرية وتهكم. وبقي ابو الطيب بعد ذلك غير محتال لامره، ولا يزال ينفث في كل شعر ذات صدره من الآلام والآمال، وألقى على شعره ظلاً من الحزن والفجيعة والحسرة واليأس. ولكنه كان مع ذلك يجهد في ان يظفر من كافور بولاية من الولايات يقوم عليها ليجرب نفسه بعد ان أخفق في عقد آماله على غيره. وكان أبو الطيب حين خرج من حلب، خرج ومعه الخالديان (أبو عثمان سعيد بن هاشم واخوه محمد). وكانا يريدانه على أن يصحبها الى العراق، فيمدح الوزير أبا محمد المهلبي،

فأثنى عليهما وحالفهما ، وذلك حيث يقول أبو الطيب يذكر ما كان من أمره وأمرها ، ويعرض بحاجة نفسه لكافور

وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ ... سكوتي بيانٌ عندها وخطابُ
وما أنا بالباغي على الحبِّ رشوةً ، ... ضعيفٌ هوًى يُبغى عليه ثوابُ
(وما شئت إلا أن أدلَّ عواذلي ... على أن رأيي في هواك صوابُ)
(وأعلم قوماً خالفوني ، فشرّقوا ... وغرّبتُ ، أني قد ظفرتُ وخابوا)(١)

. . . .

(إذا نلت منك الودَّ ، فالمال هيّنٌ ، ... وكلُّ الذي فوق التراب ترابُ)
(وما كنت — لولا أنت — إلا مهاجراً ... له كلَّ يومٍ بلدةٌ وصحابُ)

ولم يكن أبو الطيب يؤمّل من كافور ماله أو عطاياه أو هداياه ، فقد كان غنياً بما أعطاه سيف الدولة ، أو ما ادخره من عطائه وإقطاعه الذي كان له بالشام ،(٢) بل كان يريد أن يلي بعض بلاد الصعيد ، أو صيداء كما ذكروا ، وذلك ليحقق ما استطاع آماله السياسية التي تتراءى الى عينيه التي قدمناها قبل . وقد زعموا أن كافوراً قال له حين ذكر حاجته : « أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين ، سمت نفسك إلى النبوة ، فإن أصبت ولايةً وصار لك أتباعٌ فمن يطيقك » . وهذا من كلام الرواة وحسب . . . والذي نراه رأياً أن كافوراً كان يعلم يقيناً أن أبا الطيب لا يضمر له حباً ولا كرامة ، بل كان يزدريه في نفسه ، وحسبه ما لطمه به في أول لقائه كما مرَّ بك ، وحسبه ما كان يذكر في مدحه له من الحنين الى سيف الدولة وندمه على فراقه كقوله

أرى لي بقربي منك عيناً قريرةً ... وإن كان قرباً بالبعاد يشابُ

وأبين تعريضاً وأبلغ إفصاحاً عن حقارة هذا الأسود في عين أبي الطيب ما يقول له في أول مديحه

أغالبُ فيك الشوقَ ، والشوقُ أغلبُ ... وأعجبُ من ذا الهجرِ ، والوصلُ أعجبُ

والضمير في قوله (فيك) يرجع الى سيف الدولة ، ويريد بالهجر مفارقته سيف الدولة ، وبالوصل مقدمه على كافور ، ثم يريد فيقول بعد

أما (تغلط) الأيام فيَّ بأن أرى ... (بغيضاً) تُنائي ، أو (حبيباً) تُقرِّبُ
ولله سيري ، ما أقلَّ تئيَّةً ... عشيةَ شرقيَّ الحدالى وغُرَّبِ
عشيةَ أحفى الناس بي (من جفوته) ... وأهدى (الطريقين) التي أتجنبُ

(١) يعني بالتشريق ذهاب صاحبه الى العراق قاصدين المهلبي ، والتغريب مقدمه هو على مصر ليمدح كافوراً
(٢) يذكرون أن سيف الدولة تقدم الى (ديوان الرسائل) بإخراج الغلال فيما وصل به أبو الطيب المتنبي فخرجت خمسة وثلاثين ألف دينار في مدة (أربع سنين)

فانظر الى هوس ابي الطيب في شعره ، ودقة بيانه بقوله (أما تغلط الايام) وهذا التصريع الذي وضعه بين الاقواس يريد به سيف الدولة وكافوراً . أتظن أن هذا كان مما يخفى على (الاستاذ) كافور ، وكان من علماء عصره وأدبائهم وهل كان يخفى على كافور ما سخر أبو الطيب به في شعره من ذكر سواده والتعرض به ، وجعله من مادة مدحه له ، والاتيان في ذلك بكل غريبة ونادرة ، مما يدل على عكس الاصول البيانية في لسان أبي الطيب وعليه انظر الى قوله وهو يهنئ كافوراً ببناء الدار التي أقامها بإزاء الجامع الاعلى على البركة

رت إذ رأتها الدار في أحسن مبناء من السنى والسناء

وهذا لا بأس به ، ولكن تدبر التهكم العجيب في هذه الابيات ، وذكر المستحيلات التي لا تقع ولا تكون ولا تتوهم إذ جعله (شمساً منيرة) ولكنها سوداء .!!

تفضح الشمس كلما ذرت الشمـ ــس بشمس منيرة (سوداء)

إن في ثوبك الذي المجد فيه لضياء يزري بكل ضياء

وهذا الضياء هو سواده

إنما (الجلد) ملبس ، وابيضاض النفس خير من ابيضاض القباء[1]

كرم في شجاعة ، وذكاء في بهاء ، وقدرة في وفاء

من لبيض الملوك أن تبدل اللو ن (بلون الاستاذ ، والسحناء)

ثم بعده بعد ذلك (رجاء العيون في كل ارض) ، وذلك لانه عجيبة من عجائب الدهر وتدبر كل شعر الرجل في مدح كافور تجد أمثال ذلك يقيناً دالاً على هذه ، وثمة لا تفوت الرجل فانها هي التي كان يطوي تحتها معاني تهكمه بكافور كقوله « يا رجاء العيون » ، وثمة إلى قلب المعاني وتقليبها على وجوهها كقوله مثلاً

وما كنت ممن أدرك الملك بالمنى ولكن بأيام أشبن النواصيا

(عداك تراها في البلاد مساعياً وأنت تراها في السماء مراقيا)

وهذا البيت الاخير تعريض بسقوط همة كافور ، وليس بمدح . وكان حق المعنى ان يكون

(عداك تراها في السماء مراقياً وأنت تراها في البلاد مساعيا)

وذلك أن الاعداء يستعظمون ما كان من تملك البلاد ، ويعدونه أمراً عظيماً كالرقي إلى السماء — وذلك لحسدهم وعداوتهم التي تربو في صدورهم فترمي بالواقع امام اعينهم ويتعاظم في العيون — ولكن كافوراً لبعد همته ، لا يراها أمراً عظيماً بل هي مساع في الارض لا جهد فيها إلا كجهد

(١) تدبر قوله (ملبس) فهو هنا من أقبح [illegible] ، وكذلك قوله بلون الاستاذ والسحناء

المتنبي ... فهذا هو المنى الذي قدّه ابو الطيب ببيانه القويّ، ليرصعه مدحاً وهو ذمٌّ بايعٌ وهجاءٌ ناقد

فكان كافور يجد فهم ذلك وينفذ الى اسراره، ويبصّر به إن لم يكن قد ادركه، فقد كان ابو الطيب وهو بمصر مانق بالرزايا، مقصوداً بالعداوة من اقوام منهم كانوا يمهدون للدعوة الفاطمية، وكانوا على صلة بكافور وثيقة، يبدون له المحبة والاخلاص، وهم يعملون على إهلاكه. وكان كافور يتقي ذلك بدهائه وحيلته وخبرته السياسية فكان يهادي المعز لدين الله الفاطمي صاحب المغرب ويظهر ميله اليه، وهو مع ذلك يدين بالطاعة لبني العباس ويداري ويخدع هؤلاء وهؤلاء. وايضاً ما كان من عداوة الوزير أبي الفضل ابن حنزابة (جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات)، وكان عالماً فاضلاً له درس يلقيه وهو في وزارته، وكان المتنبي لم يمدحه ولا عنا به فلذلك عاداه، وكاد له كيداً بالغاً حتى ان المتنبي ذكره بعد خروجه من مصر فقال

وهذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحكٌ كالبكا
بها (نبطيٌّ) من أهل السواد ... يدرّس أنساب أهل الفلا

والنبطي هو هذا الوزير، وكان عالماً بالانساب قائماً عليها، ألّف كتباً في أسماء الرجال والانساب، وقصدته العلماء لذلك، كالحافظ المحدث ابي الحسن الدارقطني، فقدم عليه من العراق واقام عنده

وأقام ابو الطيب بمصر على كره الى ان ورد ابو شجاع فاتك غلام الاخشيد (محمد ابن طغج) من الفيوم فلقيه المتنبي بالميدان على رغم من كافور. وكان فاتك عند مقدمه قد أهدى إليه هدايا قيمتها الف دينار فانشده قصيدته التي اولها

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ ... فليُسعِد النطقُ إن لم تُسعِد الحالُ

وقال له فيها يذكر ما كان منه

(وما شكرتُ لأن المال فرّحني ... سيّان عندي إكثارٌ وإقلالُ)
لكن رأيتُ قبيحاً أن يُجاد لنا ... وأننا بقضاء الحق بُخّالُ
لطّفتَ رأيك في برّي وتكرمتي ... إن الكريم على العلياء يحتالُ
وقد أطال ثنائي طولُ لابسه ... إن الثناء على التنبال تنبالُ

يشير بالتنبال الى كافور ... ثم يزفر المتنبي زفرته من جوف قلبه

لولا المشقّة ساد الناس كلّهمُ ... الجود يُفقر والإقدام قتّالُ
وإنما يبلغ الانسان طاقتَه ... ما كلّ ماشيةٍ بالرحل شِملالُ
إنا لفي زمنٍ تركُ القبيح به ... من أكثر الناس إحسانٌ وإجمالُ

ذكر الفتى عمره الثاني . . ، وحاجته ما قاته . . ، وفضول العيش أشغالُ

وكذلك كان أبو الطيب قد يئس من مقامه في مصر ، وبرم بالمال وأصحاب المال ، وعزم على الرحلة من مصر ، فأعدّ له العدة ، واعتمد على العرب بحاجته ودعاته قبل أن يدركه كافور الذي أرصد له الرقباء وبثّ عليه العيون . وانتهز هذا الداهية الخبير البصير الفرصة في العيد يوم عرفة من سنة ٣٥٠ هـ — وكان رسم كافور أن يشغل العيد بيوم (هو يوم الوصفة الآن) ، وتعدّ فيه الخلع والحملانات والهدايا وأنواع المبارّ لرابطة جنده ، ورؤساء جيشه ، وصبيحة العيد تفرّق وثاني اليوم يدكر له من قبل ، ومن ردّ واسترداد — فاحتال المتنبي غفلة كافور واشتغاله بالعيد ، ودفن رماحه رمّا ، وسار بأهله ، وحمل ماله ومعاله ، وهو لا يألو سيراً وسرى . وقطع في هذه الليلة مسافة أيام حتى وقع في تيه بني إسرائيل ، الى أن جاره على الحلل والأحياء والمعاور المجاهيل ، والمناهل الاواجن . فلما بلغ كافوراً الخبر بذل في طلبه دنانير ورغائب ، وكتب الى عمّاله في سائر أعماله ولكن . . يقول المتنبي

وربّما شبيت عايل صدري بسمر أو قناة أو حسام

وضاقت خطةٌ فخلصت منها خلاص الخمر من نسج الفدام



فلما أنخنا ، ركزنا الرما
ح بين مكارمنا والعلى
وبتنا نقبّل أسيافنا
ونمسحها من دماء العدى
لتعلم مصر ، ومن بالعراق ،
ومن بالعواصم — أني الفتى
وأني وفيتُ ، وأني أبيتُ ،
وأني عتوت على من عتا
وما كلّ من قال قولاً وفى ،
ولا كلُّ من سيم خسفاً أبى

خرج أبو الطيب من مصر ، وقد اجتواها ، وبُغّضت إليه هذه الحياة الفاسدة التي بها وبغيرها من البلاد العربية ، والتي وصفها في قصيدته حين مرض بالحمى وهو بمصر فقال

(ولما صار ودُّ الناس خِبّاً   جزيت على ابتسام بابتسام)
(وصرت أشك فيمن أصطفيه   لعلمي أنه بعض الأنام)
يحبُّ العاقلون على التصافي ،   وحبُّ الجاهلين على الوسام
(وآنف من أخي لأبي وأمي   إذا ما لم أجده من الكرام)
أرى الأجداد تغلبها كثيراً   على الأولاد أخلاق اللئام

وتنازعت قلب أبي الطيب كل أسباب همه ويأسه ، همُّ الحب ويأسه من القصد ، وهمُّ السياسة ويأسه من إدراك المطامع وتحقيق الآمال ، وانبثت كل ذلك في قصيدته التي قالها يوم خروجه من مصر ، فتدبرها وصلها على ما رسمنا منها مضى يقول

عيدٌ بأية حالٍ عدتَ يا عيدُ   بما مضى أم لأمرٍ فيك تجديدُ
أما (الأحبة) فالبيداء دونهم   (فليت دونك بيداً دونها بيدُ)

. . . .

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي   شيئاً تتيّمه عينٌ ولا جيدُ

يا ساقييَّ ! أخمرٌ في كؤوسكما أم في كؤوسكما همٌّ وتسهيدُ ؟!
أصخرة أنا ؟! مالي لا تحركني هذي المدام ، ولا هذي الاغاريدُ !
إذا أردت كميت اللون صافية وجدتها ، و(حبيب النفس) مفقودُ
ماذا لقيت من الدنيا !! وأعجبه أني بما أنا شاك منه محسودُ
أمسيت أروح مثرٍ خازناً ويداً أنا الغنيُّ .. وأموالي المواعيدُ

ثم يخلص ابو الطيب الى ذمّ مصر وأهلها ، ووصفهم بالكذب والمماطلة ، وما كان من ولاية كافور الاسود الخصيّ عليها ، وما كان يجري من المكر فيها وفي سياستها ثم يهجو كافوراً بأفحش الهجاء ، ثم يذكر همّ نفسه وفراق سيف الدولة وذلك قوله

أولى اللئام كُوَيفيرٌ بمعذرةٍ في كل لؤم ، وبعض العذر تفنيدُ
وذاك ، أن (الفحول البيض) عاجزة عن الجميل ، فكيف (الخصية السود) !!

ولعل بعد تمام العذر لأبي الطيب فيما ذمّ به مصر ، وما ذكر من أخلاقها ، فقد كان الرجل منكوباً في نفسه وآماله ، وقلبه وهواه ، وراءه القوم كيداً ، وأثبت عليه هذا الاسود كافور عداوة ناعبة ، وهو الذي أقدمه على مصر بمطله ، وقد أعذر ابو الطيب بمدحه إياه أيّ كان ، بعد أن كان في جوار امير العرب سيف الدولة . هذا . . . وليس يمنعنا من شهادة الحق — ولو على أنفسنا — ما يأتي به بعض الناس من التعصب الباطل (القومية) ، وقد ذكر ابو الطيب عيوباً لا نزال متأصلة في مصر ، ولا خير في التعصب من ذكرها ، بل الخير كل الخير في معرفتها والتنبه لها والعمل على إصلاحها والحقيقة التي لا نجحد ان ابا الطيب قد نفذ ببصيرته الى ماكان يسلّ مصر ويعنيها من الخلق الفاسد ، وقد كشف عنه في قصائده التي قالها في هجاء كافور ومدح فاتك ورثائه . وليس ابو الطيب وحده هو الذي عرف ذلك وأدركه بل قد عرف ذلك كثيرٌ من أهل عصره ، وإذا أنت قرأت التاريخ الذي بين أيدينا ، وقفت على ذلك وعلمت ان الرجل كان بصيراً نافذاً الى مساوئ الناس يجلوها ويكشف عنها ولا بأس هنا من ان نذكر لك أبياتاً قد قالها القاضي التنوخي الكبير حين قدم هو أيضاً مصر وخرج منها كارهاً يقول

تركنا أرض مصر لكل نذلٍ له باعٌ يقصّر عن ذراعِ
نفوسٌ لا تليق بها المعالي وأخلاقٌ تضيق عن المساعي
أقمت بها ونفسي عن الليالي مقام الأسد في كهف الضباعِ
أقول وقد نأوا بعداً وسحقاً لشرّ الخلق في شر البقاعِ
وكم خامت من كرم مهين برمضتها ، ومن عرض مضاعِ
وأجسام مسمّنة شباع وأحساب مضمّرة جياعِ

ونقصٌ في أكابرها حصيصٌ وجهلٌ في أصاغرها مشاعِ
لقد نامت سريرتكم وكانت صحيفتكم قناعاً للقناعِ
جعلتم ذنبنا أنا سمعنا وما الآذان إلا للسماعِ

وهذا ليس مما يغضب منه، فإن في التاريخ من أمثال ذلك ما لا يدفع، وقد كانت في مصر لذلك العهد، وفي غير مصر، أخلاق فاسدة هي التي عصفت بالمجد العربي وأضاعته بين ذئاب الأعاجم وغيرهم حتى صرنا إلى ما نحن فيه الآن. فهذا النقص التاريخي لا محل له ولا وجه، إلا لقصور في معرفة التاريخ هذا. وليس يمكن أن تكون هناك مسائل أخرى تكشف هذه العيوب وتكشف منها ما نسي في حينها، وتحقق صورتها في خلقها

سار أبو الطيب يطوي الفلوات بماله ورجاله ورمحه وخيله، هارباً من كافور ومما أنعمه من الطلب، وقطع في سيره الفلاة ما بين مصر وطور سيناء خائفاً يترقب، وتراءت له أيامه كلها بأهوالها وعللها، وحسناتها وسيئاتها، واضطربت نفسه وعادت أمواجها، وأدركته رجولته وفتوته، حين لفحته هبات الهجير وقد صبغ لها حُرُّ وجهه، وتنسم من نعمائها التي اعتادها في أول أيامه قبل أن يستقيم إلى مصر الدعة، وركن إلى غفلات الراحة، وكذلك ذهب ما كان به من اليأس والضجر، وعد ذراعيه مستمسك بالحياة، يبني الظفر وتحقيق الأمل ومن هنا قال في قصيدته التي ذكر فيها رحلته بعد وروده إلى الكوفة ، يصف النوق التي حملها على ظهرها

ولكنهنّ (حبالُ الحياة) ، و(كيدُ العداة) ، و(ميْطُ الأذى)
ضربتُ بها التيه ضرب القمار ، إما لهذا وإما لذا
إذا فزعت قدّمتها الجياد ، وبيض السيوف ، وسمر القنا

. . . .

وقلنا لها أين أرض العراق فقالت - ونحن بتربان - ها

ولم يكن أبو الطيب في مخرجه هذا يريد مكاناً بعينه يقصده، بل كان متردداً بين أن يقصد المدينة ويقيم بها، أو يقطع في رحلته الفلاة إلى نجد، أو ينحدر إلى العراق. ولعله كان يتلقف الأخبار وهو في طريقه حتى يرى رأيه في قصده، ويتقي شر الكيد الذي كان يكاد به طول عمره من جراء السياسة، ومن أجل تهجمه على أصحاب الدسائس متهاوناً بهم. والظاهر (1)

(1) قد نحاول أن نهتدي في خلال الزمن إلى وجه من الرأي فلا نقدر الآن [illegible] ومن ذلك تقصي الشقة في تاريخ الملوك خاصة في ذلك العهد، وما كان لهم وما كان منهم، والحكمة التي [illegible] من التاريخ بأحداثه وعبره [illegible] وهذا [illegible] من الحدث التاريخي [illegible] لكونه. هذا على أن في أيدينا أشياء، ولكنها لا تكفي في الدلالة على الوجه الصحيح

من شعر أبي الطيب أنه لما عزم على اعتماد الرحلة إلى الكوفة ودخولها . وقد رأيت قبل في خبر موت جدته أنه حين أراد دخول الكوفة ليراها ، منعه العلويون — فيما دعاه إليه — وحملوه على مفارقة جوارها إلى بغداد ، فكان من جراء ذلك ما أسلفنا — في قصيدته التي رثى بها جدته — من الحدة والتهور والثورة ، والتعريض بما أريد به من الظلم والضيم ، فكان مما قال :

لئن لذّ يوم الشامتين بيومها ... فقد ولدت مني (لأنفهم رغما)
تغرّب لا مستعظماً غير نفسه ... ولا قابلاً إلا لخالقه حكما
ولكنني مستنصرٌ بذبابه ... ومرتكبٌ في كل حال به الغشما
وجاعله يوم اللقاء تحيّتي ... وإلا فلست (السيد البطل القرما)
(إذا فلّ عزمي عن مدى خوف بعده ... فأبعد شيء ممكن لم يجد عزما)
وإني لمن قوم كأن نفوسهم ... بها أنفٌ أن تسكن اللحم والعظما
(كذا أنا يا دنيا ، إذا شئت فاذهبي ... ويا نفس زيدي في كرائهها قدما)
(فلا عبرت بي ساعةٌ لا تعزّني ... ولا صحبتني مهجةٌ تقبل الظلما)

وقد قلنا ثم إنه أراد بالشامتين الذين كان لأنوفهم (رغما) — العلويين ، وإنه قد نذر وأوعد وهدد بريدهم بذلك ، لما أنزلوه به من الكيد له حتى حبست نفسه إلى الشجرة العلوية المباركة . ولم يزل أبو الطيب يسرّ ذلك في نفسه ، وهو في كل مرة يلقى من العلويين كيداً كثيراً ، كما رأيت من إرصادهم لقتله بكفر عاقب

فالآن ، يتمكن أبو الطيب — بعد استمرار غربته ست عشرة سنة (من سنة ٣٣٥ إلى سنة ٣٥١) — من دخول الكوفة ، بعد أن حيل بينه وبينها في موت جدته ، وقد لقي في هذه السنوات من المصائب والأرزاء ما فتّ حيناً في عضده ، وما زاد في قلبه العزم والقوة حيناً آخر . يدخل الكوفة وقد رغمت أنوف من منعوه عن دخولها أولاً ، ومن فارق الكوفة وتغرّب غير قابل لما أرادوه عليه من ظلمهم له . فيقول

فلما أنخنا ركزنا الرما ... ح ، بين (مكارمنا) والعُلى

فانظر إلى قوله (مكارمنا والعلى) ، أتكون (مكارمه والعلى) هذه هي السقاءة وما إليها؟ إذ تكذّب عليه القوم فزعموا أن أباه كان (سقاء بالكوفة على بعير له) والعجب أن يذكر أبو الطيب هذه المكارم والعلى وهو مقيم بالكوفة ، التي كان بها من يعرفه من لداته الذين كان معهم في المكتب وهو صغير ، إلى أن كبر بما زعموا . فقبحاً (لابن السماء) هذا من شيخ لا يستحي من الله ولا من الناس !! هذا ، وفي الأبيات التي تلي هذا البيت نفحة من نفحات الصدق ، وصورة من قوة النزعة ، وكرم النفس ، وعزة غير متميّزة في ألفاظها ، لا يقبل لكذاب ولا دعيّ

فان بجميعها تتراءى في كلامه واضحة بينة مفصحة مستانة ... يقول

وشتا نُمثّل أيامَنا وتُفصحُها من دماء العِدى
لتعلم مصر، ومن بالعراق، ومن بالعواصم، أني الفتى
(وأني وفيتُ، وأني أبيتُ، وأني عتوتُ على من عتا)
(وما كل من قال قولاً وفى ولا كلُّ من سيم خسفاً أبى)
(ومن يكُ قلبٌ كقلبي له يشقُّ إلى العزِّ قلبَ التَّوى)
(ولا بدَّ للقلب من آلةٍ ورأيٍ يصدِّع صمَّ الصفا)
وكل طريق أتاه الفتى على قدر الرجل فيه الخُطى

وفي قوله « وأني وفيت » البيتان اشارات بينة إلى ما مضى في كلامنا عن نفسه وغيره، لا نطيل باعادتها هنا مرة أخرى. وكذلك أزعم أبو الطيب أنوف أعدائه جميعاً، وأراهم أن عزمه لا يزال ماضياً متقحماً لا يرد على بعد الشقة وتطاول الايام، وانه قرب اليه ما كانوا يبعدونه عنه بتهكمهم وسخريتهم به إذ قالوا « ما أنت في كل بلدة ! وما تبتغي؟ » .. وقد صدق إذ قال

إذا من عزمي عن مدى خوف بعده فأبعد شيء، ممكن لم يجد عزما

لم يرد في خبر أبي الطيب ومدحه الكوفة في شهر ربيع الاول من سنة ٣٥١ شيء يمكن ان يتوجه به التاريخ في هذه الفترة الى وجه بينه والذي في رواية الرواة انه توجه بعدها الى مدينة السلام (بغداد) ولكن من قبل رحلته حدثت بالكوفة حادثة حضرها المتنبي، وذلك ان رجلاً خارجياً كان قد ثار بالكوفة، وكان من بني كلاب، واجتمعت اليه فئة من المقاتلة الخوارج فانتهض اليهم أبو الفوارس دلّير بن لشكروز، وانصرف هذا الخارجي قبل وصول دلير إلى الكوفة فمدحه ابو الطيب، وأنشده وهو في الميدان، فحمله على فرس بمركب ذهب. ولسنا نعرف سبباً لمدح ابي الطيب هذا الرجل (دلير)، ولم يرد في كتب التاريخ التي بأيدينا ذكر هذا الحادث، ولا ذكر الخارجي الذي ثار بالكوفة في سنة تلك. وهذا مما يجعلنا نأخذ الحذر في قطع برأي، والظاهر أن هذا الرجل (دلير) علاقة بالمشاكل العلوية التي كانت لذلك العهد بالكوفة، وانه كان ممن يميلون الى الجانب الذي فيه سيف الدولة وأبو الطيب، فان نفس أبي الطيب كما رأيت كانت نفس الرجل المنتصر الظافر الذي خرج من هوج العواصف سالماً غانماً كما مر بك في قوله

فلما أنخنا ركزنا الرما ح بين مكارمنا والعلى

أقام أبو الطيب بالكوفة أشهراً ثم خرج من مدينته تلك الى بغداد ونزل على صاحب له هو علي بن حمزة البصري [1]، وأقام عنده في داره. ويتبين من نزول أبي الطيب على هذا الفتى دون سواه من رجال الدولة في ذلك العهد، أنه قصد بذلك أن يبدي عمله ازدراءه لهم، واستهانته بهم. ولعله كان ممن أراد أيضاً أن يكون على مقربة من سياسة الدولة، ليبصر الرجال الذين كانوا يوقدون نار الفتنة إذ ذاك، وليزور ما عندهم. وهذا يتبين مما قدمناه لك [2] من المراسلة التي كانت بينه وبين سيف الدولة. ويتبين أيضاً أنه كان مشالماً عند أهل السياسة في ذلك العهد من أن أبا الطيب كان مقدمه من أجل ذلك، فقد ذكر الحاتمي (صاحب الرسالة الحاتمية) أن معز الدولة بن بويه الديلمي (ساءه أن يرد على حضرته رجل صدر عن حضرة عدوه أعني سيف الدولة). ثم إن أبا الطيب لم يقف أمره عند ذلك بل قد رغب إليه جماعة من أصحاب الوزير المهلبي أن يمدح الوزير، فأبى عليهم أبو الطيب وحبهم أسوأ الرد. وكان السبب في سوء رده أن أبا الطيب كما علمت لم يكن يرضى أبداً عن هؤلاء الأعاجم الذين مزقوا الدولة العربية وتقاسموها بينهم — ومنهم هنا بنو بويه — وكان المهلبي وزير معز الدولة، وكان مشايعاً لهم في كثير، وعلى أن مشايعة الوزير المهلبي لبني بويه كانت فيما نرى ارتفاقاً للرزق فإن أبا الطيب لم يصانعه، بل أعرض عنه تهاوناً وازدراء. فأحفظ ذلك الوزير المهلبي فأسد عليه الأدباء والشعراء وأغراهم به ليبسطوه ويكيدوا له، ويطلقوا له القول في مجلسه. فكان مما رأيت في من هجائهم إياه وزعمهم أن أباه كان سقاء بالكوفة كما ورد في الشعر الذي قدمناه في أول الأبواب.

ولا يفوتنك هنا أن تعلم أن التنوخي الذي روى قصة نسبه كان بالعراق لذلك العهد، وأيضاً أن ابن أم شيبان الهاشمي، وأبا الحسن العلوي كانا كذلك ببغداد. وقد رأيت في الباب الأول كلاماً عن هؤلاء وما ادعوه من أن أباه كان سقاء، فاجتماع هؤلاء ببغداد، ومقدم أبي الطيب إليها من أجل السياسة، وهو عدو بني بويه، إذ كان من أصحاب سيف الدولة، ورجلاً من الذين أقعدهم لشعره وآرائه السياسية، ثم ما كان من امتناعه عن مدح الخليفة العباسي، ومعز الدولة الديلمي (العلوي الفاطمي) المنصب، وازدرائه لوزير معز الدولة (أبي محمد المهلبي)، ثم ما كان من عداوة الشعراء والأدباء له شعراء المهلبي وغيرهم، نقول: إن هذا كله مما يجعلك تستيقن فساد الروايات التي يرويها الرواة عن أمر المتنبي وحياته، وخاصة ما كان ظاهر التحامل، بيّن الصفينة عفا الله عنهم! لقد رموا الرجل بكل نقيصة، ووضعوا لكل ما كان يتمدح به في شعره قصة تخالف ذلك. رأوا المتنبي يتمدح بالكرم ويمدح عليه فوضعوا القصص في بخله وشراهته على المال، ورأوه يمتدح الرجولة والشجاعة ويصف بهما نفسه، فوضعوا

(١) انظر التعليق في ص ٣٤ (٢) من ص ١٢٥ — ١٢٧

الأكاذيب في حكايات جُبْنه وغروره إلى غير ذلك من الأحاديث التي لا تصلح لتحقيق ولا ترجمة

وبقي أبو الطيب ببغداد مستهيناً بكل كيد وحقد ، وأخذ يقرأ ديوانه على بعض أصحابه بدار علي بن حمزة البصري ، ثم فرغ من أمره ورجع إلى الكوفة في أواخر سنة ٣٥٢ وبقي بها ، ولم يقل شعراً نعلمه ، إلى أن بدأت سنة ٣٥٤ فرحل إلى بغداد وكان الوزير المهلبي قد مات

والظاهر من أمر أبي الطيب أنه حين علم وهو بالكوفة في سنة ٣٥٢ موت خولة أخت سيف الدولة ، تفرقت أحلامه ولم يبق له قلب بعد ما بعوة والتدمر والثورة ، كالذي كان له من قبل ، واستيأس من أمره إلا قليلاً فلما جاءه كتاب سيف الدولة في ذي الحجة من سنة ٣٥٣ يذكر المواثق التي منعته عن فتح العراق ، وبين له ما هو فيه من الكرب والضيق والعسر على إما قدمنا في شرح قوله [1]

«فهمت الكتاب ، أبر الكتب مسمعاً لأمر أمير العرب »

أحيط بأبي الطيب ، وأبلت نفسه قيادها لأحزان قديمة ، فلم يحمل نفسه على الرحلة إلى سيف الدولة لئلا يذكره المكان وأهله ، فكان قلبه والشاكيه ، من خولة ، فأراد أن يمضي ثم يقصد أرض غير الشام التي يتمثل قلبه إليها في حين وأين ومكان

وكان أبو الفضل بن العميد [2] وهو بأرجان يخرج كل عام خرجتين إلى أرجان فلما قدم المتنبي إلى بغداد فراسله ، وعزم عليه في الحضور إليه بأرجان . وقد زعموا أن ابن العميد (كان يسمع بأخبار أبي الطيب — وكيفية اشتهاره في الأقطار ، وترفعه عن مدح الوزراء ، فسمع أنه خرج من مدينة السلام متوجهاً إلى بلاد فارس ، وكان يخاف أن لا يمدحه ، ويعامله معاملة المهلبي — فيتكره من ذكره ، ويعرض عن سماع شعره) والصحيح من هذا أن ابن العميد كان يخاف أن لا يبدأ به المتنبي فراسله وأسرع عليه من مواصلته فمضى أبو الطيب في سيره من بغداد إلى أرجان يصحبه تلميذه علي بن حمزة البصري قال علي هذا : « فما أشرف عليها (أبو الطيب) وجدها (يعني أرجان) ضيقة البقعة والدور والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون لي ، وقصدت رب هذه المدرة ؟! فلم يكون منه !! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً له على راحلته إلى ابن العميد فدخل عليه وقال : مولاي أبو الطيب المتنبي خارج البلد — وكان وقت القيلولة ، وهو مضطجع في دسته فثار من

---

(١) ص ١٣٢ (٢) هو محمد بن الحسين بن محمد الكاتب وزير ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي ، وكان عالماً أديباً ضابطاً فنانياً ، وكان من أئمة الكتاب ، وقد سمي بالجاحظ الثاني ، وكان من دهاة السياسة وتدبير الممالك

مصحفه، واستثنه، ثم أمر حاجبه باستقباله، فركب واستركب من لقيه في الطريق، فدخل من البلد بجمع كثير فتلقوه وخضوا معه وأدخلوه البلد فدخل على ابن الفضل فقام له من الدست قياماً مستوياً، وطرح له كرسي عليه مخدة ديباج، وقال أبو الفضل كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب.» وكان دخول أبي الطيب أرجان ولقاؤه ابن العميد في شهر صفر سنة ٣٥٤

كان ابن العميد من رجال عصره في السياسة وتدبير الملك، ومن شيوخهم في العلم والفلسفة وما إليهما، ومن أصدقاء الأدباء والأدباء، وكان أمة وحده. فلا عجب أن يحتفل به بين أبي الطيب احتفالاً عظيماً في أول اللقاء فيمدحه بقصيدته المشهورة «بادِ هواك صبرت أم لم تصبرا» والتي يقول فيها يصف ابن العميد

من مبلغ الأعراب أني بعدها جالست رسطاليس والإسكندرا

وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضرا

ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا

وأكرمه ابن العميد واحتفل له، فبقي عنده المتنبي شهرين أو أشف قليلاً. وكان المتنبي، وهو في جوار ابن العميد، لا يزال يساوره همٌّ منه ويناله اضطراب نفسه، فيكاد ذلك في شعره، ولكنه كان يتماسك على الصعب، ولا يعطي المعادة إلا مقهوراً وقد وقع ذلك في قصيدته التي مدح بها ابن العميد، وفطن ابن العميد الى هذا الاضطراب. رووا أنه لما انشده

بادٍ هواك ، صبرتَ أم لم تصبرا وبكاكَ إن لم يجرِ دمعك أو جرى

كم غرَّ صبرُك وابتسامك صاحباً لما رآك، وفي الحشا ما لا يُرى!

فقال له ابن العميد يا أبا الطيب، أتقول «بادٍ هواك» ثم تعود بعده «كم غر صبرك»؟! ما أسرع ما نقضت ما ابتدأت به!! فكان جواب أبي الطيب «تلك حال، وهذه حال» وهذا هو ما نقول به فإن أبا الطيب كان يذكر حوله أحياناً فلا يخفي هوى، ولا يرد دمعاً، وتنطلق عواطفه من عقال رجولته، فإذا ما ارتدت اليه قوته وارادته عود ذلك رجولته وأبدى الصبر، واظهر الابتسام والرضى وهذه حالة من أحوال صاحب الطاغي المسيطر ذي السلطان والغلبة وظهورها في شعر أبي الطيب في بيتين متتاليين بنقض معنى أحدهما معنى الآخر كما قال ابن العميد دليل على ان الرجل كان أخيذاً في أسر الهوى لا يملك نفسه، ولا نجد في تناقض معاني البيتين شيئاً وذلك لان هذا التناقض الذي نراه في معاني شعره يكون عنده اتساقاً في معاني عواطفه وحبه، وتعبيراً بياناً صادقاً عن إحساسه وضميره وحاجة نفسه. فهذا قوله: «تلك حال، وهذه حال»

وانظر. فان الرجل حين ودع ابن العميد قال

ومن لي بيوم مثل يوم كرهته ... قربت به عند الوداع من البعد
(وألا يخص الفقد شيئاً، . لاني ... فقدت، فلم أفقد دموعي ولا وجدي)
تمنٍّ يلذ المستهام بذكره ... وان كان لا يغني فتيلاً ولا يجدي
وغيظٌ على الايام، كالنار في الحشا، ... ولكنه غيظ الاسير على القِدِّ

وهذه الاشارة التي في البيت الثاني بقوله (لاني فقدت ..) هي الى صاحبته خولة التي ماتت في سنة ٣٥٢، فلم ينسها بل بقي مضطرباً مغلوباً على امره لا يستطيع الصبر تارةً فتغلبه دموعه، ويتحامل أخرى بصبره فيطوي على وجده ولوعته، . . والنار التي في حشاه



مغاني الشِّعبِ طيباً في المغاني
بمنزلة الربيع من الزمانِ
ولكنّ الفتى العربيّ فيها
غريبُ الوجهِ واليدِ واللسانِ
ملاعبُ جِنّةٍ ، لو سار فيها
سليمانٌ لسار بترجُمانِ
إذا غنّى الحَمامُ الوُرْقُ فيها
أجابته أغانيُّ القِيانِ
ومن بالشِّعب أحوجُ من حَمامٍ
إذا غنّى وناح إلى البيانِ
وقد يتقارب الوصفان جداً
وموصوفاهما متباعدانِ

ورد على أبي الطيب وهو عند ابن العميد كتاب من عضد الدولة بشيراز يستزيره ويطلب منه المسير إليه ، ولم يكن لأبي الطيب رغبة في صحبته ، ثم جنح إلى استدعائه . فكلمه ابن العميد في ذلك فقال له : مالي وللديلم ؟ فقال له : عضد الدولة أفضل مني ، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به . فقال أبو الطيب : إني ممنوع من هؤلاء الملوك ، أقصد الواحد بعد الواحد وأملّكهم شيئاً يبقى بقاء النيّرين ، ويعطوني عرضاً فانياً . ولي ضجرات واختيارات ، فيعوقوني عن مرادي ، فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه . فكاتب ابن العميد عضد الدولة بهذا الحديث ، فورد الجواب بأنه يملك مراده في المقام والظّعن . فسار المتنبي من أرّجان ، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصبّاغ ، فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشده ، فقال المتنبي : الناس يتناشدون ، فأجمعه فأخبره أبو عمر أنه رسم له ذلك من المجلس العالي . ثم دخل البلد فنزل داراً مفروشة ، وأنشد أبا عمر قصيدته التي قالها في الكوفة والتي قال فيها

فلما أنخنا ركزنا الرماح بين مكارمنا والعُلى

وبتنا نقبّل أسيافنا ونمسحها من دماء العدى
لتعلم مصر ، ومن بالعراق ، ومن بالعواصم ، أني الفتى
(وأني وفيتُ ، وأني أبيتُ ، وأني عتوت على من عتا)

ورجع أبو عمر الصباغ إلى عضد الدولة فأخبره بما جرى ، وأنشده هذه الأبيات فقال عضد الدولة : هو ذا .... يتهددنا المتنبي !!

ويتبيّن مما رويناه لك أن أبا الطيب كان لا يزال يحقر الأعاجم وينقصهم لما أصابوا به قومه من البلاء ، وكان استعصاؤه على ابن العميد وجداله معه في الرحلة الى عضد الدولة ، من أجل مذهبه السياسيّ ، ومن أجل ان هؤلاء ، بني بويه ، كانوا اعداء صاحبه سيف الدولة ، ومن أجل أنهم كانوا من شيعة العلويين الفاطميين الذي لا يرضى عنهم ابو الطيب ولا سيف الدولة ، ومن أجل أنه يعلم أن مديحه فيهم سيبقى لهم ذكراً خالداً في شعره ، وهم له أعداء . ولكنّ الرجل — كما علمت قبل — كان مضطراً قد داخله اليأس واستبدّ به ، فسار وهو يقول

وأيًّا شئتِ يا طرقي فكوني أذاةً ، أو نجاةً ، أو هلاكا

فلما دخل شيراز واستقبله أبو عمر الصباغ ، واستنشده كأنه يختبر شعره ، لم يصبر المتنبيّ مرماه بقوله : الناس يتناشدون ، فاسمعه . إذ كان شعره قد سار مسير النيّرين الشمس والقمر ، فلما عرف أن ذلك الطلب أمر من عضد الدولة ، غضب لنفسه ولعربيته ولشعره ، فاختار من قصائده قصيدة فيها ذكر طرف من مراده ، وملحمه على الخصوم من الملوك والأمراء ، وهذا كامور الذي كان عنده قبل أن يرد على عضد الدولة لتكون هذه القصيدة تهديداً ووعيداً وإنذاراً ، ومقابلةً لاساءة عضد الدولة بأساءةٍ مثلها ، ولذلك لما سمع عضد الدولة

« وأني وفيتُ ، وأني أبيتُ ، وأني عتوت على من عتا »

عرف مراد المتنبي فقال : هو ذا . . . يتهددنا المتنبي !!

ويتبيّن أن هذا اللقاء الأول ، وضع بين أبي الطيّب وعضد الدولة أسباب الحذر والاحتراس ، فكان أحدهما يتملق الآخر خوف الشر والعدوان . ولاشكّ أن عضد الدولة كان يعلم من أمر هذا الداعية السياسي أبي الطيّب كثيراً ، وكان يرصد عليه العيون والرقباء . على أي أمر أبي الطيّب كان بيّناً فانه حين حضر مجلس عضد الدولة بعد أيام من مقدمه عليه أنشده قصيدته التي أولها

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

ولكنّ الفتى العربيّ فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنّة، لو سار فيها سليمانٌ لسار بترجمان

فهذا هجاء بيّنٌ لارض فارس وأهلها فقد زعم أن سليمان عليه السلام الذي عُلِّم منطق الجنّ والطير والحشرات والبهائم — لو دخل أرضهم لاحتاج إلى ترجمان، فأخرجهم بذلك من مرتبة من ذكرنا وجعلهم دونهم . وأنه — من حوائج على الله ، وقلّتهم في الارض — لم يعلم الله سليمان لسانهم ، وليس يخفى هذا على عضد الدولة . ولم يكتف ابو الطيب بذلك بل أتبع هذا قوله بعد

إذا غنّى الحمامُ الوُرقُ فيها أجابتْه أغانيُّ القيانِ
(ومن بالشِّعب ،أحوج من حمام — اذا غنى وناح — إلى البيان)

فتم المعنى وأبان مقصده من الابيات الاولى، إذ جعلهم أقل مرتبة من الطير في البيان والافصاح،ولم يكتف ايضاً بهذا بل اراد ان يعلم عضد الدولة ، ان هذه البلاد ليست مكانه الذي يرتاح اليه ، وليست بالأرض التي تعرّض عليه اوبحرص عليها ، وانه غريبٌ عنهم ، وان مدحه لهم ليس شيئاً ، وانه عربيٌ ليس بأعجمي بمثل اليهم او يكون له شأنٌ بينهم، فقال

ولكنّ (الفتى العربي) فيها (غريب الوجه واليد واللسان)

وبكل ما قال أبو الطيب في مدح هذا الديلمي (عضد الدولة) ليس من قلبه ولا من نفسه . وشعره بين الدلالة على ان الرجل كان يقول متكلفاً بعد ان أُحرج بمقدمه عليه . وقد فطن عضد الدولة الى كل هذا — فقد كان اديباً شاعراً جيد القريحة — وقال :

« إن المتنبي كان جيّد شعره بالغرب »(يعني غرب فارس) ويشير بذلك إلى عدوه سيف الدولة خاصة. وبلغت المتنبي مقالة عضد الدولة فقال «الشعر على قدر البقاع » .. وهذا تصريح بليغ، ولاشك أن عضد الدولة أُخبر بقول المتنبي هذا

ولم يكن كل ذلك مما يمنع هذا الملك المدبر عضد الدولة الديلمي — الذي وصل بدهائه وسياسته وحسن تدبيره أن كان أول من خوطب بالملك في الاسلام وأول من خطب له على المنابر بعد الخليفة — من ان يكسو ابا الطيب من صنته ، ويعرفه بنداه وكرمه . فانهم يروون أنه حين أنشده « مغاني الشعب . . . » حمل اليه من انواع الطيب في الاردية والامنان، من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد اليه فرسه الملقب بالمجروح — وكان قد اشترى له بخمسين ألف شاة — وبدرة دراهمها عدلية،ورداء حشوه ديباج روميٌّ مفصل، وعمامة قوّمت بخمسمائة دينار،ونصلاً هندياً مرصع النجاد والجفن بالذهب

هذا ... وقد كان الجمال الطبيعي — الذي يسبغ الله به بلاد فارس — مما اراح نفس أبي الطيب

وأراح همها قليلاً، فكان شعره الذي مدح به عضد الدولة مقاربا ليس فيه اضطراب بين، أو أثر ظاهر من داء قلبه. إلا في أبيات قلائل. ولم يظهر في شعره ذلك، لأن مدة إقامته هناك كانت قليلة، فانه بقي بشيراز على الأرجح من أواخر ربيع الثاني إلى أول شعبان من سنة ٣٥٤ ولكن ظهر هم أبي الطيب واسفاه، وعادت إليه ذكرى خولة وموتها، وذكر آماله ومغامرته وجرأته حين توفيت عمة عضد الدولة فرثاها بقصيدة ليس فيها شيء إلا هذه الأبيات

لا بُدَّ للانسان من ضجعةٍ لا تَقلِبُ المُضجَعَ عن جنبهِ
ينسى بها ما كان من عُجبه وما أذاق الموتُ من كربِهِ
نحن بنو الموتى . . . فما بالنا نعاف ما لا بدَّ من شربهِ !!
تَبخَلُ أيدينا بأرواحنا على زمان هيَ من كَسبهِ !!
فهذه الأرواحُ من جوّه وهذه الأجسامُ من تُربِهِ !!
(لو فكّر العاشقُ في منتهى حُسن الذي يسبيه لم يَسبهِ)
لم يُرَ قرن الشمس في شرقه فشكّت الأنفس في غربهِ
يموت راعي الضأن في جهله ميتةَ جالينوسَ في طبّهِ
وربما زادَ على عمره وزاد في الأمن على سربهِ
وغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربهِ
فلا قضى حاجته طالبٌ فؤاده يخفق من رعبهِ

في هذه أثر بيّن لتفكير أبي الطيب في الموت، بعد الذي لقي من فقد خولة . كما بيناه في مواضع



لا بدَّ للانسان من ضجعة

لا تقلبُ المضجعَ عن جنبه

نحن بنو الموتى فما بالنا

نعافُ ما لا بدَّ من شربه !!

يموتُ راعي الضأن في جهله

ميتةَ جالينوس في طبّه

وربما زاد على عمره

وزاد في الأمن على سربه

وغايةُ المفرط في سلمه

كغاية المفرط في حربه

فلا قضى حاجته طالبٌ

فؤاده يخفق من رعبه

أشرنا قبل إلى أن الرجلين (أبا الطيب وعضُد الدولة) كانا يتخادعان ، وانهما كانا في الباطن عدوّين لا يأمن احدهما صاحبه ولا غدرته ولا سوء المنقلب وبين لك من هذا أن أبا الطيب مع إكرام عضد الدولة له — كما رأيت — لم يستطع القرار بأرض فارس أكثر من ثلاثة أشهر ، ولولا ما أشرنا اليه لاستطاب أبو الطيب المكان الذي وجد فيه غاية الاكرام ، والمال الكثير المدون ، والعطايا السابغة الكريمة وهو مع ذلك دليل على ان أبا الطيب ليس من الطامع والحرص على المال بالمنزلة التي يذكرونه بها ، ويتابعهم عليها كثير من الذين تعبوا أنفسهم بالكتابة عن الرجل والترجمة له من المحدثين . . . . . .

وقصة هذه العداوة بين أبي الطيب وبني بويه الديلميين قصةٌ معقدة طويلةٌ ، ولها في التاريخ الاسلامي والعربي أسباب عدة . ونحن نختصرها هنا ونجعلها في وجهين قريبين :

فالاول منهما ما عرف عن أبي الطيب من بغضه الاعاجم على ما فصلناه في مواضع

والآخر : هو المسألة السياسية المتصلة بالخلافة العباسية ، والدعوة العلوية ، والدعوة الفاطمية .

وهذه هي ما كبرمشا كل التاريخ الاسلامي، وخاصة في هذا العصر الذي كان المتنبيّ أحد رجاله الافذاذ
كان العلويون يريدون اخراج سلطان الخلافة من يد العباسيين الى ايديهم ، وقد تمكنوا بالدعوة التي قام بها الدعاة العلويون ان يحرموا أمرهم ، ويجمعوا اليهم رؤوس الدولة فيكونون من شيعتهم ، وكان من شيعة العلويين ممن نذكرهم هنا — بنو بويه الديلميون ، وبنو حمدان العرب التغلبيون ثم غلبت على بني بويه الدعوة الفاطمية فصاروا من القائمين عليها في المشرق ، واستعصى على هذه الدعوة بنو حمدان . وكانت سياسة بني بويه علوية أعجمية ، وكانت سياسة بني حمدان علوية عربية . فشتمات العصاه بينها ، ثم زاد العداوة وضرّاها وضرّمها ما كان من استجابة بني بويه للدعوة الفاطمية ، واستعصاء بني حمدان عليها ، ومناوأتهم إياها في الشام والموصل . وكان بنو بويه يعلمون أن بني حمدان قد أدركوا خفايا السياسة الديلمية الاعجمية المظاهرة للدعوة الفاطمية ، وانهم يعملون على نقضها . وكان دليل ذلك عندهم مناصرة بني حمدان للخلافة العباسية ، مع انهم من رؤوس شيعة العلويين مذهباً وعملا ، وقد علم بنو بويه ان هذه المناصرة إنما يراد بها إزاحة بني بويه عن مواضعهم من العراق وإبعادهم عن مقر الخلافة

فلما كان ما كان من امر سيف الدولة وظهور سلطانه بالشام ، ووقوفهم على نيته في اتخاذ العُدة واستجلاب المدد ، وتهيئة أمره لفتح العراق — على ما ذكرناه — استحرّت العداوة بين هؤلاء وهؤلاء ، وخاصة سيف الدولة ، وهو رأس بني حمدان ، وأصلبهم عوداً ، وأشدهم مراساً ، وأقدمهم رأياً ، وأحزمهم دهاءً ، وأبعدهم نظراً ، وأمضاهم عزيمةً وحماً . وكان من آثار ذلك ما أشرنا إليه قبل في سبب حروب الروم وسيف الدولة .

وكان أبو الطيب كما علمت من المقربين لدى سيف الدولة ، ولم يكن بنو بويه ليجهلوا امر هذا الرجل ومذهبه في السياسة ، وان هذا المذهب هو مذهب سيف الدولة ، فلذلك حذره عضد الدولة على ما رأيت ، وبقي له (عدواً مداجيا) . وقد كان ابو الطيب — كما ذهبنا اليه — علويا منكوباً في نسبه ، فليس بمستنكر ان يراد به — من قبل العلويين — ما أُريد به من قتل وهو بطبرية سنة ٣٣٦ حين أرصد له العلويون عبيدهم السودان ليقتلوه ، فيكون من ذلك ان يسعى هؤلاء العلويون لدى عضد الدولة في إيذاء الرجل والنيل منه . وأيضا ما كان الدعاة الفاطميون يريدونه به لما يعلمون من أمره أولا ، ولإنكاره نسبهم ، وقوله إنهم من نسل اليهود كما قدمنا [1] في خبر نبوته إذ قال

« فلا تسمعنّ من الكاشحين ولا تعبأنّ (بعجل اليهود) »

يريدُ (بعجل اليهود) احد الدعاة الفاطميين . ولعلّ الذي حمل الفاطميين يكيدون له ، سعاية

---

(١) ص ٦١

الاسود الخصي كافور ، فانه كان قد بذل أموالا في طلب المتنبي حين خرجه من مصر قبل هجائه له، فلا عجب أن يبذل أكثر من ذلك بعد أن بلغه الهجاء المقذع المريع، ومافيه من السخرية والتمثيل به كقوله

(وأسود، مشفره نصفه) يقال له : أنت بدر الدجى

وأبلغ من ذلك تحريضه أهل مصر على قتله والفتك به كقوله

ألا فتىً يورد الهندي هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم،
فانه حجة يؤذي القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم
ما أقدر الله أن يخزي خليقته ولا يصدق قوماً في الذي زعموا

وقد كان كافور — كما قدمنا — على صلة بالفاطميين والباسيين معاً، وبخادعهم ويداجيهم معاً، فليس بعيداً أن يكون هو الذي حمل الفاطميين الذين بالعراق على الارصاد لأبي الطيب ، وأن يكون بذل مالاً كثيراً للانتقام منه

والظاهر أن عضد الدولة كان قد علم بكل ذلك الذي يكاد به أبو الطيب، فحصل أن يرفع يده عن دمه ، فأغرى بعض أتباعه بأن يوقع في نفس أبي الطيب شيئاً من الخوف والرعب، فيحبب أبو الطيب للرحلة عن شيراز ، ويبتعد عن دياره ليلقى حتفه في مكان آخر . ولذلك (استأذنه المتنبي في المسير عن شيراز ليقضي حوائج في نفسه ثم يعود إليه) . وكان هذا من أبي الطيب ضرباً من ضروب دهائه وعادته ، فلما عزم الرحلة ، كان من دهاء عضد الدولة أن زاده كرامة ليوقع في نفسه أنه مصدقه (فأمر أن تخلع عليه الخلع الخاصة ، وتعاد صلاته بالمال الكثير) . ويقيننا أن أبا الطيب حين وجد ذلك — من إكرام عضد الدولة له — وكان قد بلغه طرف من أخبار الكيد الذي يكاد به ، عرف ما يريده عضد الدولة ، وما يراد به، ولذلك أشار في آخر قصيدة مدحه بها — وهو مفارق له في أول شعبان سنة ٣٥٤ — إشارات كثيرة ، منها قوله

ومن يظن (نثر الحب جوداً وينصب تحت ما نثر الشباكا)

وهذا المثل هو مثل لما رآه قبل من أمر عضد الدولة . ثم اضطر إلى يأس أبي الطيب وقد علم أنه قد أحيط به ، وأنه مقتول لا محالة .. إذ يقول

« وأيا شئت يا طرقي ، فكوني أذاة أو نجاة أو هلاكا »

. . . .

« وما أنا غير سهم في هواء ، يعود ، ولم يجد فيه امتساكا »

فلما فصل أبو الطيب من شيراز ووصل إلى دير العاقول — وهي ضيعة بالعراق — اجتمعت عليه

بنو أسدٍ وبنو ضبّة، فقتلوه وقتلوا غلامه وقتلوا ولده محسداً. وقد قدمنالك[1] أن سيف الدولة كان قد أوقع بعمرو بن حابس من بني أسد، وبني ضبّة، وبني رياح من بني تميم، وذلك في سنة ٣٢١، وقد هاجم أبو الطيب في مدحه لسيف الدولة في تلك السنة. وكان ذلك المدح وهذا الهجاء سبباً في أن أحفظ عليه هؤلاء القوم من بني أسد وبني ضبة... قال ابو الطيب لسيف الدولة

مهلا ألا لله ما صنع القنا في «عمرو حابٍ» و«ضبّة» الاغتام

يريد عمرو بن حابس من بني أسد

لما تحكّمت الأسنّة فيهم جارت، وهن يجرن في الاحكام
فتركتهم خلل البيوت كأنما غضبت رؤوسهم على الاجسام
أحجار ناسٍ فوق أرض من دمٍ ونجومُ بيضٍ في سماء قتام
وذراعُ كل كلٍّ أبي فلانٍ كنيةً حالتْ، فصاحبُها أبو الايتام

واعلم أن بني أسدٍ وبني ضبة هؤلاء كانوا من شيعة العلويين، والظاهر أنهم كانوا قد انحازوا الى الاعاجم مخدوعين، وصاروا بعدُ من شيعة بني بويه الفاطميين. وليس يبعدُ أن يكون كافور هو الذي أمدهم بالمال ليقتلوا الرجل، وتوسط له في ذلك أصحابُهُ من أهل العراق العباسيين أو الفاطميين

هذا هو مختصر القول في مقتل أبي الطيب في ٢٧ رمضان من سنة ٣٥٤. أما ما يروونه من السخف في حكاية مقتله بسبب القصيدة[2] التي أولها

ما أنصف القوم ضبّهْ وأمّهُ الطرطبّهْ
وإنما قلت ما قلتُ رحمةً لا محبّهْ

الى آخر الفحش القبيح الذي ورد بها، فلنا في نقده ونقضه وجوه لانطيل القول بها هنا، ولها موضعها إن شاء الله من كتابنا. وأيضاً فقد ورد أن سبب قتله «أنه لما ورد على عضد الدولة ومدحه، وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة بالذهب، ثم دسّ له من يسأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟ فقال أبو الطيب: «إن سيف الدولة كان يعطي طبعاً وعضد الدولة يعطي تطبُّعاً».. فبلغ ذلك اليه، فغضب. فلما انصرف من أرضه، جهّز اليه قوماً من بني ضبّة فقتلوه — بعد أن قاتل قتالاً شديداً ثم انهزم، فقال له غلامه أين قولك

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرُّمح والقرطاس والقلم

(١) ص ٥٤ (٢) هذه القصيدة عندنا باطلة النسبة لأبي الطيب

فقال: قتلتني قتلك الله، ثم قاتل حتى قُتِل . . .» فلهذه الرواية لها تأويل وسياقٌ فيما قدمناه لك

ورحم الله أبا الطيب إذ يقول:

سُبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها ... مُنعنا بها من جيئةٍ وذُهوبِ
تملكها الآتي تملُّكَ سالبٍ ... وفارقها الماضي فراقَ سليبِ

وأنت يا أبا الطيب

فدتك نفوس الحاسدين فإنها ... معذَّبةٌ في حضرةٍ ومغيبِ
وفي تعبٍ من يحسد الشمس ضوءها ... ويجهدُ أن يأتي لها بضريبِ

٣ شوال سنة ١٣٥٤
٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٥

محمود محمد شاكر

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي تطلب جميعها من « ادارة المطبعة العصرية » بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

مليم	
٢٥	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٢٠	« « « « (طبعة ثالثة)
٧٠	« « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥	« المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠	« « عربي انكليزي فقط
١٥	« « انكليزي عربي فقط
٧٠	« سقراط سبيرو عربي انكليزي (مختصر)
٥٠	« « « انكليزي عربي (مختصر)
١٠٠	« « « « « وبالعكس
١٠	التحفة العصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢	المحادثة العصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مختصر)
١٠	الف كلمة المانية (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥	في اوقات الفراغ (الدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠	عشرة ايام في السودان « « «
١٢	مراجعات في الآداب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥	روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٠	روح السياسة « «
١٠	الآراء والمعتقدات « «
١٠	اصول الحقوق الدستورية « «
٨	الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥	حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠	الحركة الاشتراكية (رمزي مكدونلد)
١٥	ملتقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨	اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠	مختارات « « «
٨	نظرية التطور واصل الانسان «
٢٠	اناتول فرانس في مباذله للامير شكيب ارسلان
١٥	الدنيا في امريكا (للاستاذ امير بقطر)
١٠	المرأة الحديثة وكيف نسوسها ([illegible])
١٠	جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥	امرأة بين الماضي والحاضر
٥	مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥	حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني)
١٠	قبض الريح (« « « « « «)
٨	لمحات وزوابع شعر منثور مصور
١٠	رسائل غرام حديثة (سليم عبد الواحد)
١٠	القرطاس الادبي العصري ([illegible])
٥	حكايات الاطفال « اول (مصور بالالوان)
٥	« « ثان « «
٥	« « ثالث « «
٥	تذكرة اصحاب طريقة منتخبة [illegible] داغر
٢٠	جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)
٦	مراقي النجاح (لاريسون سويت مردن)
٥	مريم المجدلية (موريس مترلنك)

مليم	
١٠	التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥	خواطر حمار (للاستاذ الجمل)
٥	الجسم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥	الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥	ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠	علم الاجتماع (جزآن كبيران) « «
١٥	اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها الدكتور فخري
٢٠	المرأة وفلسفة التناسليات « «
٢٠	الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥	الريشة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠	ايزيس « « « «
٥	مكايد الحب في قصور الملوك (اسمعيل داغر)
١٠	القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠	مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢	رواية اهوال الاستبداد « مصورة
١٠	« فاتنة المهدي « او استباحة السودان
٨	« الانتقام الهائل (اسعد خليل داغر)
٥	« طهر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢	« بلزوريت « مصورة (توفيق عبد الله)
١٢	« غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٢٥	« روكامبول « ١٢ جزء (طانيوس عبده)
٢٥	« ام روكامبول « ٥ اجزاء «
٢٠	« بردليان « ٣ اجزاء «
٢٠	« الملكة ازابو « اجزاء «
٢٠	« الاميرة فوستا « جزآن «
٢٠	« عشاق فنيسيا « جزآن «
١٦	« الساحر العظيم « اجزاء «
١٦	« كابيتان « جزآن «
١٦	« الوصية الحمراء « جزآن «
١٦	« بائعة الخبز «
١٢	« السرج « جزآن «
١٠	« فرس الملك «
١٠	« ضحايا الانتقام «
٨	« المرأة المفترسة «
٥	« المتنكرة الحسناء «
٥	« صومعة الاسود «
٥	« سوداء الاخلاص «
١٦	« دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠	« فرنسوا الاول « «
١٠	« الحسون « «
٨	« سوريه « «
٨	« الملاك الطريد « «
١٢	يسوع ابن الانسان (جبران خليل جبران)
٥	النبي (« « «)
٥	آلهة الارض (« « «)

وكلاء المقتطف ومحلات الاشتراك

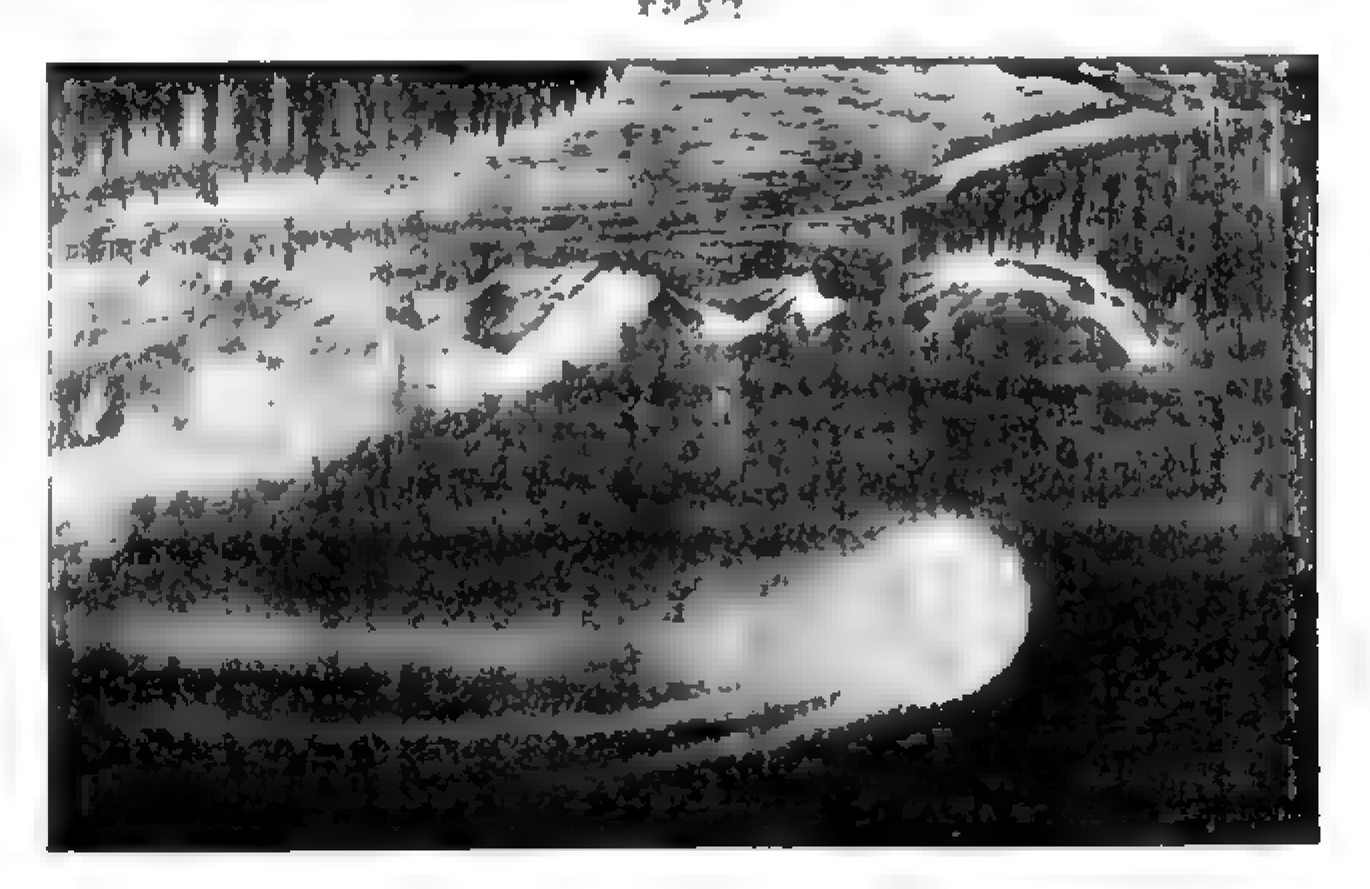
في القاهرة   ادارة المقتطف بشارع القاصد نمرة ١   بباب اللوق
في الاسكندرية والبحيرة والمنوفية مصطفى افندي سلامه   في دمنهور
في القليوبية والمنوفية مصطفى افندي سلامه   في دمنهور
في الغربية والدقهلية والمحافظات مصطفى افندي سلامه   في طنطا
في الفيوم — الشيخ محمود مليجي   بالفيوم
في المنيا — ابو الليل افندي راشد   في المنيا
في اسيوط — تامر افندي صيف   باسيوط
في جرجا — الشيخ عبد الهادي احمد   في طهطا
في بيروت — سوريا — جورج افندي عبود الاشقر   ص.ب. رقم ٩٢٩
في طرابلس الشام   عبد الله الياس حمصي
في دمشق — المهاجرين   الاستاذ عمر افندي العلبي
في شرقي الاردن — عمان   فهمي افندي يوسف
في القدس الشريف ويافا وحيفا   الخواجات بولس سعيد ووديع سعيد
اصحاب مكتبة فلسطين العلمية
في حمص — سوريا —   الخوري عيسى اسعد
في الناصرة فلسطين   فريد عوده رحمه
في حلب — شارع السويقة — السيد عبد الودود الكيالي صاحب المكتبة المصرية
في صيدا   نقولا افندي حريصي داغر — صيدلية الهلال
في حماه   السيد طاهر افندي الصافي

في البرازيل   Snr. Miguel N. Farah
Caixa Postal 1393
Sao Paulo   Brasil

في الارجنتين   Sr. Fuad Ribeiz
Cordoba 499
Buenos Aires,   Rep. Argentina

في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا وكوبا   Mr. N. Arida
c/o Al-Hoda
55 Washington St.
New York. U. S. A.


المقتطف





الجزء الثاني من المجلد الثامن والثمانين

١ فبراير سنة ١٩٣٦ — ٨ ذي القعدة سنة ١٣٥٤

التوسع بالفتح

لا فائدة منه ولا حاجة اليه

قد يستغرب بعض القرّاء ان نجعل فاتحة المقتطف مقالاً اقرب الى السياسة منهُ الى العلم وهو مخالف في الغالب لما درجنا عليه حتى الآن . ولكن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ، التي نشأت عن ارتقاء العلم ، وتطبيقه الصناعي ، تمسُّ العمران الحالي في صميمه ، وتعلق بال الناس في الشرق والغرب ، ولذلك رأينا ان نقدّم لقرائنا عذراً عن جعل مقالنا الافتتاحي في هذا الصدد . فالمشكلة الدولية التي نشأت من النزاع الايطالي الحبشي ، والخلاف بين ايطاليا وجامعة الامم ، قد اثارت موضوعات اقتصادية اجتماعية لا يسعنا ان نتجاهلها ، وان نمضي مطمئنين ، اما في تجاهلنا اياها ، نجاري اتجاه العصر ونفهم روحهُ

في خلال الشهور الستة التي انقضت على استفحال المشكلة الايطالية الحبشية ، لم يشترك في بحثها وزير من الوزراء او كاتب من الكتّاب ، الاَّ واشار في ما قال او كتب الى حاجة ايطاليا الى التوسع . فالايطاليون يقولون ان حاجتهم الى التوسع ، تحملهم على شهر الحرب لاضافة اراضٍ جديدة الى ممتلكاتهم ، على الرغم من العهود المقطوعة في المعاهدات القديمة . والبريطانيون يقولون ان حاجة ايطاليا الى التوسع حاجة طبيعية شرعية ، ولكنها لا تسوّغ انتهاك المعاهدات

والنجوء الى الحرب . ولكن الذي لم يقله احد ، او قاله افراد معدودون امواتهم صرخة في واد ، هو ان التوسع بالفتح لا فائدة منه ولا حاجة اليه ، ولا صلة بينه وبين روح العصر . بل لم تطلع ، الا اخيراً ، على بسط وافٍ لهذه الحاجة الطبيعية الشرعية — الحاجة الى التوسع — وذلك في مقال نشرته مجلة هاربرز الاميركية للكاتب « ناثانيل بفر » وعليه الاعتماد في الصفحات التالية

كان القول بـ « الحاجة الى التوسع » شعار السياسة الدولية في الجيلين الماضيين . باسمه أفقرت الدول الكبيرة جسمها لكي تكون شاكية السلاح وعلى مذبحه سُحقت الدول الضعيفة وأبيدت الاقوام والقبائل البدائية . وفي سبيل تحقيقه قتل الوف الالوف من الشبان في الحروب الكبيرة ، وها هي ذي اوربا الآن وكأنها تسعى الى حتفها بظلفها

ولكن ما هي الحاجة الى التوسع ؟ ما المقصود منها بالضبط ؟ هل تحتاج دولة من الدول الى التوسع حقيقة ؟ وفي اي الاحوال تحتاج اليه ؟ واذا اجتمعت لها هذه الاحوال فالى مَ تحتاج ؟

لنسلّم جدلاً ان بعض البلدان لا تستطيع ان تقيم أود سكانها لكثرتهم . وهذا هو في الناس ما يقصد بعبارة « ازدحام السكان » . ولكن هذه العبارة تكاد تكون لا معنى لها ، في عصر يتجمع فيه الناس في المدن ، ويعتمدون في اتاجهم على الآلات . ولا يمكن للبلاد ، بعد اجتماعها واقتصادها على الآلة ، ان تضيق بسكانها بحصر المعنى . فالعامل الفاصل ، ليس عدد السكان ، بل مصادر الثروة

يقول بعضهم انهُ اذا تحوّلت بلاد الى الصناعة ، عجزت عن تغذية سكّانها . وهذا قول غير رأيان . ولكن نسلم بانه قول صحيح . فماذا تعمل حينئذٍ ؟ الجواب الظاهر عن هذا السؤال هو التوسُّع . . ولكن كيف تتوسَّع ؟ اذا جرّدنا لفظ « التوسع » من ملابساته العسكرية والسياسية والصحفية ، تبيّن لنا ، ان توسُّع امة من الامم لا يمكن ان يتمّ الاَّ باحدى طرق ثلاث . اما ان تغزو بلاداً قليلة السكان فيهاجر اليها من سكان الامة الغازية ، ما يخفف منهم فيها واما ان تفتح بلاداً لم تبلغ شأواً بعيداً من التقدُّم ، فتجعلها سوقاً لمنتجاتها . واما ان تستعمر بلاداً غنيةً بمصادر الثروة الطبيعية والمواد الخام اللازمة للصناعة . وليس للدولة التي تبغي التوسع طريقاً رابعة اليه . فاحداها او جميعها معاً هو كل ما يقصد « بحق التوسع »

***

لننظر الآن في الطريق الاولى ، أي مهاجرة سكان البلاد المزدحمة ، الى بلاد قليلة السكان إن المثل الذي تضربه لنا ايطاليا في هذا الصدد من ابلغ ما يكون . فقد انقضت خمسون سنة ، وايطاليا تبذل طاقتها أو ما هو فوق طاقتها ، لتفوز بامبراطورية استعمارية ، رغبةً في تخفيف ضغط

السكان في ايطاليا ، على ما قيل . فقد اشتركت مع الدول الاخرى ، بعد سنة ١٨٨٠ في السعي الى الفوز بمستعمرات في افريقية وحاربت في الحبشة ، في اواخر القرن الماضي ، وفي طرابلس الغرب في اوائل هذا القرن ، ولما تعثرت في الاتفاق مع فرنسا وانكلترا ، على اقتسام افريقية انتظمت في نظام المحالفات الاوروبية التي افضت الى الحرب الكبرى ، فلما نشبت الحرب ، كان من سخرية الاقدار ، ان افضت ايطاليا من فريق الى فريق ، في سبيل هذا الغرض كذلك

فلما كانت سنة ١٩١٤ ، ونشبت الحرب الكبرى ، كان عدد الايطاليين في مستعمرات ايطاليا الافريقية ، نحو ثمانية آلاف ايطالي . ولو اخذت بقعة صغيرة من احد احياء نيويورك لوجدت فيها حينئذٍ ما يزيد على ثمانية آلاف من الايطاليين . بل ان عدد الايطاليين في ولاية نيويورك وحدها ، كان يبلغ حينئذ اربعمائة الف ايطالي او يزيدون . والآن افرض ، وهذا واثق كل الثقة ، انه اذا تم لايطاليا في اول سنة ١٩٣٦ اخضاع الحبشة بأسرها ، ووافق ذلك الغاء قيود المهاجرة الى اميركا ، فسيبلغ عدد الذين يهاجرون الى اميركا قبل سنة ١٩٣٧ خمسمائة ايطالي ازاء كل ايطالي يبادر لاستعمار الحبشة . او خذ مثلاً آخر . ان الرغبة في انشاء امبراطورية استعمارية ، والفوز بمكان في الشمس او تحتها ، حملا المانيا على تحدي سيادة بريطانيا البحرية في مفتتح القرن العشرين ، وكذلك اصبحت مسألة لنشوب الحرب الكبرى ، مسألة وقت يطول او يقصر ، لا اكثر ولا اقل . فلما كانت سنة ١٩١٤ ونشبت الحرب الكبرى التي كانت شهوة الاستعمار من بواعثها الاولى ، كان في جميع المستعمرات الالمانية في افريقيا — وتبلغ مساحتها ٩٠٠ الف ميل مربع — ٢٢ الف الماني . وفي جميع المستعمرات الالمانية في اماكن اخرى نحو الفي الماني ، مع ان عدد الالمان بين الشارعين ٨٠ و ٩٠ في مدينة نيويورك يزيد على ذلك وعددهم في ولاية نيويورك يزيد على ٦٠٠ الف . ولو فتح باب المهاجرة عداً الى اميركا ، ووافق ذلك استعادة المانيا لجميع مستعمراتها القديمة واضافت اليها بلاداً مساحتها مليون ميل مربع ، لبلغ عدد المهاجرين الى اميركا مائة الماني ازاء كل الماني يذهب الى المستعمرات

ثم هناك مثل ثالث يضرب في هذا الصدد وهو ازدحام السكان في اليابان وحاجتها الى التوسع لكي تخفف الضغط عن بلاد لا يسعها ان تقوم اود سكانها

فقد طردت اليابان من روسيا سنة ١٩٠٥ جنوب منشوريا ووقفت ثمن هذا الربح حياة ثلاثمائة الف من جنودها . وها هي ذي الآن في تلابيب مغامرة اخرى ، قد تجرها الى حرب مع روسيا السوفيتية او اميركا او معهما كليهما ، وغرضها ان تملك الصين او ان تشرف عليها اشراف المالك على ملكه . ويقول اليابانيون انه مضت سنون وسكان اليابان يزيدون من ٦٠٠ الف نسمة الى مليون نسمة كل سنة . ولكن في سنة ١٩٣٠ ، أي بعد انقضاء ربع قرن على ظفر

اليابان بحرب منشوريا ، بلغ عدد اليابانيين الذين استعمروا أو استقرُّوا هناك مائتي الف نسمة ، أي نحو ثلثي الذين قُتلوا في الحرب الروسية اليابانية ، أو نحو ثلث الزيادة السنوية في سكان يابان . وعلى الرغم من القيود الثقيلة التي تقيد مهاجرة اليابانيين الى أميركا ، بلغ عدد اليابانيين في ولاية كاليفورنيا وحدها سنة ١٩٣٠ مائة وخمسين الف ياباني . ومع ذلك يعدُّ من أهم الدواعي على حملة يابان الى منشوريا سنة ١٩٣١ كان السعي الى تخفيف ضغط السكان في اليابان !

حجة الاستعمار ، على أنه وسيلة لتخفيف الضغط عن البلدان المزدحمة بالسكان لا تستقيم لانها لا تصلح الاّ للكتابات في الصحف التي غرضها إلهاب الشهوات الوطنية ، والدعاية لتأليف الجيوش الكبيرة وإعداد الاساطيل القوية . فالاحصاءات تدلُّ على أنه اذا هاجر سكان بلاد ما فانهم في الغالب لا يهاجرون الى مستعمرات بلادهم ، بل الى بلاد مأهولة ، ولو اضطرُّوا الى التخلي عن رعويتهم الاصلية ، وهم يفعلون ذلك لان معظم البلدان التي تتألف منها الامبراطوريات الاستعمارية لا تصلح لسكنى السلالات البيض . فبلدان افريقية وآسيا ، غير المزدحمة بالسكان ، كالصين والهند ، لا توائم سكنى البيض واستقرارهم فيها ، من حيث الاقليم والمناخ . والراجح انهُ يندر بين الايطاليين من يرغب او يستطيع أن يتحمل اقليم شواطئ أفريقية الشرقية . ومن سخرية الاقدار ، ان البيض الذين يرغبون او على الاقل راغبون عن الذهاب الى هذه البلدان للاستقرار فيها ، يرسلون اليها قسراً للموت في غزوها . فالبلدان التي تعتقد انها شديدة الازدحام بالسكان ، تستطيع ان تفوز بكثير من هذه المستعمرات ، من دون ان يخفُّ ضغط السكان فيها

يضاف الى هذا ان معظم البلدان التي تشكو من ازدحام سكانها ، هي في الغالب التي تدعو الى زيادة النسل ، وتغري الوالدين اللذين يكثر ولدهم ، فاذا تمَّ لها ذلك عمدت الى الاعتداء والغزو مسوَّغة عملها بكثرة السكان

•••

اما غزو البلدان لجعلها اسواقاً لمصنوعات البلاد الغازية ، فله في تسويغه اقوال ، هي على ضعفها ، أقوم مما يقال في تسويغ الفتح بحجة التخفيف من ازدحام السكان . وقد كان في الماضي اقوى باعثٍ على التوسع الامبراطوري من « ضغط السكان » واصاب نصيباً اوفر من النجاح . فقد احرزت به بريطانيا ، في القرن التاسع عشر ، سيادتها التجارية ، او هكذا يقال . ولكن هل احرزت بريطانيا سيادتها ، لان الشمس لا تغيب عن ممتلكاتها ، او لانها سبقت سائر البلدان الى ميدان الصناعة الآلية ؟ هذه مسألة ، فيها ما يقال . والغالب ان يسلّم الناس بالشق الاول من هذا القول وان يتغاضوا عن الثاني ، مع ان الثاني في الراجح اقرب الى الصواب

فالعلاقة بين السيادة التجارية والاقتصادية من ناحية ، والتوسع الامبراطوري من ناحية

اخرى ، كانت في الراجح ، علاقة اتفاق ، لا علاقة مستعمِر ومستعمَر . فبريطانيا ، كان لا بدّ لها ان تفوز بقصب السبق في ميادين التجارة والاقتصاد ، في القرن التاسع عشر ، ولو لم يكن لها مستعمرات . فانها كانت تفوق جميع الامم الاخرى ، في وسائل الانتاج الصناعي ، وبراعة الاساليب التجارية ، وتسنّمها الى جمع الثروة ، مما جعل عاصمتها مركز العالم المالي ، والحاكمة فيه بأمرها

فدراسة تاريخ بريطانيا قد يسفر عن القول بأن امتلاك المستعمرات اقصر السبل الى انشاء انتاج صناعي ، ولكنهُ لا يعيد امة غيبها . وصحة هذا القول — اذا صحّ — مقتصرة ، على كل حال ، على القرن التاسع عشر فقط

ولنفرض الآن ، ان امة تسعى الى التوسع بغزو بلاد اخرى ، او بضمها من دون حرب ، لكي تجعلها سوقاً لمصنوعاتها . ولنتخذ بريطانيا مثلاً واضحاً على ذلك . فما نعرف امبراطورية اكثر اتساعاً واشدّ رسوخاً واغنى مستعمرات من الامبراطورية البريطانية . فالهند ثمة مستعمرة بريطانية ، وهي بلاد مساحتها مليون ميل مربع ، وسكانها ٣٥٠ مليون نسمة . فهل ثمة سوق في العالم ، للمصنوعات البريطانية ، او لمصنوعات ايّة امة صناعية مستعمرة ، افضل من هذه السوق ؟ ولكن اليابان آخذة في غزو السوق الهندية ضد انكلترا . ثم ان ثمة جزيرة ملايا من الممتلكات البريطانية . ومع ذلك فاليابانيون أرسخ قدماً في سوقها من الانكليز

ان احدى الثمار التي جنتها بريطانيا من الحرب الكبرى ، كانت انتزاع المستعمرات الالمانية الافريقية من المانيا ، وتحقيق حلمها القديم بانشاء طريق من القاهرة الى الكاب يمرّ في بلدان بريطانية او تحت اشراف بريطانيا . وها هي ذي المستعمرات الالمانية سابقاً قد اصبحت بريطانية فماذا كانت النتيجة ؟ ان تسعاً وتسعين في المائة من الحرير الصناعي الذي تستوردهُ تنجنيقا يأتيها من اليابان . ولقاء كل ذراع من المنسوجات البريطانية التي تستوردها كينيا ، تستورد ست اذرع من المنسوجات اليابانية . ولا يخفى ان اساس عظمة بريطانيا التجارية في القرن التاسع عشر قام على تجارة المنسوجات مع الهند . ولكن في سنة ١٩٣٣ فاقت صادرات اليابان الى الهند من المنسوجات صادرات بريطانيا اليها . فعلى الرغم من سبق بريطانيا الى الهند ، وسيادتها السياسية عليها ، والحواجز الجمركية التي انشئت لصدّ تيّار المنسوجات اليابانية ، نرى اليابان قد فازت في ميدان المنافسة

ولا يصعب العثور على امثلة اخرى ، من هذا القبيل في تاريخ البلدان المستعمرة الاخرى اذا تجشمنا مؤونة البحث . فجاوى وسومطرا من ممتلكات هولندا . ولكن مقدار تجارة اليابان فيهما يفوق مقدار تجارة هولندا فيهما . وقد فازت ايطاليا باخضاع الحبشة . ولكن اليابان في الراجح — او المانيا او الولايات المتحدة — ستفوز باكبر نصيب من تجارتها

واذا شئنا الايجاز قلنا ان امتلاك المستعمرات ، قد لا يكون سبباً للتفوق التجاري فيها للامة المستعمرة . فالتجارة في هذا العصر لا تتبع العَلَم كما كانت تتبعه من خمسين سنة . ولكن الحال تغيَّرت الآن . فالسيادة السياسية في القرن العشرين ، قد تكون من قبيل الترف التعسي ، والدليل على ذلك قول العدد ... ، ولكنها لا تخلق عملاً للعمال المتعطلين ولا تزيل الطوابير الطاويه . حتى الحواجز الجمركية ، والسيطرة على الاعتمادات المالية ، وتدبير العملة المتداولة ، ليست العوامل الفاصلة ، في النجاح التجاري . فالروبية الهندية ، مرتبطة بالجنيه الاسترليني ، ولكنها تستعمل في توجيه ثمن ما يستورد من اليابان

ان العوامل التي تسيطر على ميدان المنافسة في التجارة الدولية كثيرة ومعقدة . وحصة الاسد ، لا بدَّ ان تكون من نصيب المنتج الكفؤ ، اسمر كان ام ابيض ، في اليابان انتج ام في منشستر . والكفاءة في هذا الموضوع تعني ، المقدرة على عرض بضائع تساوي بضائع الغير جودة وتقل عنها ثمناً ، وفي احوال تمكِّن التجار من سهولة التعامل ولما كان مجموع هذه العوامل ، يوافق اليابان عرضها من اسواق الشرق ، راحا وقد طغت على التجارة البريطانية فيها ، حالة ان القوانين والاحكام توضع وتنفذ باسم التاج البريطاني

فالعهد الذي كان فيه التوسع الامبراطوري سلاحاً اقتصادياً قد انقضى ، وقد تكون هناك وسائل اخرى ، للفوز بالاسواق ، والسيطرة عليها ، ولكن الاستعمار ليس احداها حتماً

***

بقي التوسع للفوز بمصادر المواد الخام التي لا مندوحة عنها للبلدان الصناعية . وقد تكون اقامة الحجة ... ، على تأييد هذه النزعة اسهل مما تقدم

فاحتكار الحديد والفحم والنفط والذهب والنحاس والمطاط والقصدير في منطقة ما ، باعث قوي للتوسع القومي ، لان هذه المواد ، وغيرها من المواد الخام لا مندوحة عنها للانتاج الصناعي . فامتلاك مستعمرة ما ، يمنح المالك حق التقدم ، على غيره في استغلال مصادر ثروتها الطبيعية ، فيجني ربحاً من هذا الاستغلال . ولكن هذا الربح هو كل ما يجنى . فامتلاك المستعمرة واستغلال مواردها ، لا يجديان في حل المشكلة الاقتصادية الاساسية التي تعانيها البلاد المستعمِرة . انهما لا يمهدان السبيل الى تعبئة شعب ، لا يستطيع ان يقيم اوده في مسقط رأسه . ان امتلاك المستعمرات يمنح المستعمرة حق التقدم ، لا حق الاحتكار . لانه قلما يتاح لدولة من الدول ان تحتكر صنفاً من المواد الخام وان تتصرف به تصرف المحتكر الطامع ، الا وتيسر عليها بدلاً آخر فرد على مثيلها عنه . فهذه تحتكر المطاط ، وتتصرف به تصرف المحتكر الطامع ، فرد عنها اخرى

باحتكار الشكل وبحرب عن غيرها مثله . وليس ثمة دولة واحدة في العالم ، الا وتحتاج الى مادة او اكثر ، من المواد التي مواردها في بلاد اخرى . فحاجتها الى هذه المواد ، موطن الضعف فيها ، ولا بدّ لها من ان تأخذ وتعطي . وهذا ما وقع مثلاً في تجارة المطاط ، فبريطانيا تكاد تكون مسيطرة على تجارته محتكرة له ، ولكنها اضطرت ان تتفق مع الاميركيين . مقابل هذا ان اميركا لا تنتج في بلادها مطاطاً ما ، ولكن صناعة السيارات فيها اكبر صناعة من نوعها في العالم ، والولايات المتحدة الاميركية اكبر مستهلك للمطاط في العالم . وكون المزارع البريطانيين في الشرق الاقصى ، مسيطرين على انتاج المطاط في مستعمراتهم لا يحول دون نور الاميركيين بما يريدون

فامتلاك موارد المواد الخام اللازمة للصناعة ، ذو شأن كبير ، ولكنهُ لا يكفي . بل انهُ لا يفيد او قلما يفيد ، الا اذا كان مصحوباً في البلاد المتملكة بنظام اقتصادي صناعي دقيق ، وبتعدد المصنوعات في الاسواق العالمية . واذا كانت بلاد ما تملك هذا النظام الاقتصادي ، فان شراء المواد الخام لا يعسر عليها ولو لم يكن لها مستعمرات . وقلما تجد مادة من المواد الخام محصورة في بلاد واحدة ، ولذلك تعرَّر اسعار هذه المواد في السوق العالمية ، وفقاً لسنة العرض والطلب . فالسيطرة على موارد المواد الخام ، لا تجعل دولة صناعية ما مستقلة من هذا القبيل ، الا اذا ملكت كلَّ ما تحتاج اليه في بلادها او في مستعمراتها . وقلَّ بين الدول دولة تملك كلَّ ما تحتاج اليه داخل حدودها الاصلية ، حتى ولا روسيا والولايات المتحدة الاميركية على ما نعلم . اما اذا شاءت ان يكون كلُّ ما تحتاج اليه في مستعمراتها ، فيجب عليها حينئذٍ ان تملك جميع مستعمرات الارض . وهذا متعذر لشدّة المنافسة بين الدول الكبيرة

* * *

فالمستعمرات التي يمكن ان تحوز ها ايطاليا والمانيا لا تفيدهما نفعاً كبيراً . اما اليابان فحالتها خاصة ، لانها في اكتساحها الصين تكتسح قارة ، لا تملك مستعمرة . ومع ذلك لا بدَّ من تقييد هذا القول ببضعة قيود . فالثمن الذي قد تدفعهُ اليابان في محاربة الصين ، او في محاربة بعض الدول الاخرى قبل استئثارها بالصين ، قد يكون أفدح من الثمن الطبيعي التي كان عليها ان تدفعه لو اشترت المواد الخام من الصين ، بالاساليب التجارية السويّة . والواقع ، ان طريق الشراء ، هي في آخر الامر ، اهدى الطرق وارخصها الى المواد الخام التي تطلبها دولة صناعية . فالفتح الاستعماري ، فادح النفقة ، ووسيلة غير امينة لما تثيره من الاحقاد والحزازات وما تؤوله على الدول الفاتحة من الامم والحكومات

الحق والحسن

لعبد الرحمن شكري

في هذه القصيدة تساؤل عن الحسن في الطبيعة والفنون والاحياء، هل هو يلهي المرء عن ازالة نقائص الحياة واختلال نظمها وأوزار النفس من اجل انه يجمل الحياة كما هي مقبولة لذيذة فتفتر همم الناس ورغبتهم في اصلاحها ام انه يعين على استشفاف الجهاد في سبيل صلاح الحياة وانه لولاه لانتفت اسباب الحياة فلا رغبة في اصلاح ولا رضاء بخير ولا نفور من اهوالها. لا مراء ان للحسن هذين الأثرين وصلاح الحياة في ان يأخذ الناس بأسباب الأثر الثاني كي يعين الحسن على استشفاف الجهاد في سبيل اصلاح الحياة وان يخلص الناس من الأثر الاول قدر المستطاع كي لا يكون الحسن كالمخدرات في الحياة فيلهي المرء بالحياة عن الحياة المنشودة في المثل الاعلى [الناظم]

عصيت الحسن من هم ونحس ... يخيم على الورى في الحالكات
وقلت الحق خير منه عندي ... وأولى بالنفوس الساميات
وقلت أيا رواء الزهر بعداً ... ويا سحر العيون الساحرات
ويا مُلَحَ الخمائل لا تكوني ... حبائل قانصات آخذات
ويا شمس اخبِي ضوءها صبحاً ... يغازل حسنه حسن النبات
أليس الناس في خير وشرٍّ ... سلي الايتام والمترملات
سلي أهل الشقاء وما دهاهم ... وهل طابت لهم خُدعُ الحياة

رمى بالنسل للآفات طرًّا — تشاوى للذة لا الواجبات
وقالوا النسل فرض أي فرض — جديرٌ بالنفوس المؤمنات
ديار النحس كالجنات حسناً — لذي العشاق فيها والهواة
ورَيْقٍ في مناقع آسنات — ألذ مع الغرام من الفرات
وحيث ترى نعيم الحس داءً — ترى فقد النفوس الآبيات
وهل ترجوه لاستصلاح أمر — صريع عقار حس الفاتنات
فإن الحس يلهي المرء عما — يحاول من صلاح الحادثات
ولولا سلوة للحس عيشت — حياة في حضيض الهاويات

●●●

فقال الحس هل أنا غير سلوى — تعين على كفاح النائبات
أنا الأمل الذي لولاه كانت — حياة المرء شرٌّ من ممات
أنا الحق الذي تبغي حداه — وتنشد كونه في الكائنات
أنا المثل الأجل إلى مرقّى — خُطَا الراقين من ماضٍ وآت
أنا الحادي الذي يحدو قلوباً — فتطرب طربة المستوفزات
أنا الصبر الذي يودي بنحس — ويُسعد في الهموم المضنيات
أنا الحب الذي لولاه كانت — وجوه الكون أشبه بالرفات

●●●

فلما أنْ تَبَدّى منه سحر — أضاء بنوره وجه الحياة
ولما أن تبدى منه سحر — أعاد النفس في مثل السبات
خشعت وما ملكت قياد نفسي — وقلت الحق حسن لو يؤاتي
وإن لم يدرِ نفس المرء عما — يحاول من صلاح الحادثات

الغاز الحربي الكامل

صفاته وخواصه واستعماله

لضابط حربي كيماوي

— في مجلة سيانتفك اميركان

في جدول المواد السامة التي يعرفها الكيماوي مئات من المركبات ، ولكن ما يصلح منها للاستعمال في الحرب ، يعد على اصابع اليدين . إلاّ انّ السواد من الناس بوجه عام يستنكرون هذا القول ، لان الراسخ في اذهانهم مما تنشره بعض الصحف ، غير العلمية ، ان في محفوظات الوزارات الحربية المختلفة ، وصفات متنوعة ، لغازات وسوائل فتاكة ، يخرجها القواد عند ما يستشعرون دنو الحرب ، ويركبونها في المصانع ليستعملوها في الميدان

ولكن السواد على خطإٍ في اعتقادهم هذا إذ ليس بالامر اليسير ، اضافة مادة كيمائية جديدة الى المواد الصالحة للاستعمال في الحرب . وليست الصعوبة في ذلك ايجاد المواد ، بل اجتماع جميع الصفات والخواص التي تجعلها صالحة للحرب . فالمادة الكيمائية الحربية يجب الاّ تكون سامة فقط ، او مهيجة للاغشية ، إذا كانت منتشرة انتشاراً يسيراً في الهواء . بل يجب ان تتصف بخواص كيمائية وطبيعية معينة ، وان تكون مما يسهل صنعه ونقله وتقل نفقته

فالبحث عن مادة كيمائية تجمع هذه المزايا عمل كبير . والعثور عليها يكاد يكون متعذراً . فالمادة الكيمائية الحربية المثلى لم توجد بعد ، وقد لا توجد مطلقاً

في السنوات الاربع التي انقضت بين اول هجوم استعملت فيه الغازات الحربية سنة ١٩١٥ وسنة ١٩١٩ عندما عادت معامل البحث العلمي الحربي الى حالتها في ابان السلام ، بحث العلماء في ٣٠٠٠ مادة كيمائية بغية التثبت من صلاحها للاستعمال في الحرب او عدمه . فظهر ان ثلاثين مادة منها فقط تصلح لذلك ، وان عشر مواد او خمس عشرة مادة فقط يمكن استعمالها استعمالاً واسع النطاق . وقد كان العلماء الذين اقبلوا على هذه الناحية من البحث ، من اكبر علماء الكيمياء في العالم . وكانت الرغبة في انتصار الامم التي ينتمون اليها تحثهم وتدفعهم الى الابداع

ولم تتوقف مباحثهم عند عقد الهدنة وابرام معاهدات السلام ، بل مضوا فيها ، وعلى الرغم مما اشارت اليه الصحف من استنباط الغاز الحربي الكامل ، ليس ثمة ما يدل على أن هذا القول له ما يؤيده . وقد دل البحث في هذه الاقوال ، ان الغازات التي اشارت اليها الصحف ، كانت مما تناوله البحث قبلاً ، فاهمل ، لانه لا يتصف بالصفات والخواص الاساسية التي يجب ان تتوافر في كل مادة كيمائية حربية

ومن ان نصف للقارىء ما يجب ان تمتاز به المواد الكيمائية الحربية ، لا بدّ من كلمة نقولها في طبيعة الغاز الحربي

فأولاً من الخطإ تسمية هذه الطائفة من المواد « بالغازات السامة » والاكتفاء بذلك فمعظم المواد الكيمائية المستعملة في الحرب ، سوائل او جوامد في حالتها السوية . وهي تبث في الهواء بوسائل مختلفة . بوضع بعضها في قنابل تنفجر فتنتشر الجامد او السائل قطيرات دقيقة في الهواء . وبعض الجوامد منها ، يصعد بالحرارة فينتشر بخاراً لطيفاً ، وبعضها يحمل في الطائرات ثم يلقى منها فيقع فوق الارض في قطيرات او ضباب لطيف . واغلب هذه المواد التي تلقى من الطائرات سوائل ، وانما يمكن ذرّ الجوامد المسحوقة بالطريقة نفسها . اما ما كان طيّاراً منها ، فيوضع في الغالب في انابيب او اسطوانات ، تخرج منها عند فتح صمام خاص فتكون من اغراضها غيوم تحملها الريح . وسواء دعونا هذه المواد جميعاً بالغازات السامة او الغازات الحربية او المواد الكيمائية الحربية ، فهي جميعاً مواد تؤثر بتفاعلها الطبيعي السوي تأثيراً ضاراً في الجسم ، وتحدث ضباباً كثيفاً من الدخان ، او حريقاً يدمر مواد الحرب خاصة

ومن الواضح انه اذا وجب البحث عن مادة كيمائية للاستعمال في الحرب ، وجب ان تكون مفيدة من الناحية العسكرية . بل ويجب ان تؤدي هذه الفائدة العسكرية ، على وجه اوفى مما تؤديه مادة اخرى معروفة أو سلاح آخر متداول . ولذلك تقسم المواد الكيمائية الحربية الى اقسام على أساس فائدتها العسكرية فقد يستعمل بعضها للفتك بالاعداء ، او لمرهقة اعصابهم ، او لحجب الجيش الذي يستعملها عن عدوه ، او لاحداث حرائق ولكن هذا التقسيم ليس فاصلاً لان بعضها قد يستعمل لتحقيق اكثر من غرض واحد من هذه الاغراض . فالمواد التي تستعمل للفتك بالاعداء ، غرضها احداث الوفاة في من تصيبه او شلّه وتحتيم نقله الى المستشفى . والمواد التي تستعمل للمرهقة غرضها اضعاف الجيش بالزامه ان يلبس الكمامات الواقية . والمواد المستعملة للحجب ، غرضها الحيلولة دون تمكّن العدوّ من مراقبة حركات خصمه واحكام القاء القنابل عليه . والقسم الاخير يستعمل لتدمير الذخيرة ومؤونة الحرب بوجه عام

وهناك تقسيم آخر للمواد الكيمائية الحربية اساسه فعلها الفسيولوجي في الجسم . فهيجات

الرئة تؤثر في جهاز التنفس والفوسجين اهمها واشدها فعلاً ومهيجات الجلد تؤثر في الجلد وتنشأ فيه فقاقيع وأهمها غاز الخردل ، بل انها تؤثر في اغشية العين وفي جهاز التنفس كذلك. وهناك الغازات المدرّة للدمع تهيج العين وتضعف البصر وأهمها غاز « الكلورو استوفيون » وهناك مهيجات أغشية الانف فتحدث العطاس الشديد والدوار والضعف الذهني . واهمها غاز « الدايفنيل كلوروآرسين » وأخيراً نجد المواد التي تسمّ الاعصاب وتشلّها وأهمها غاز الايدروسيانيك فهو يؤثر تأثيراً مباشراً في الجهاز العصبي ويليه غاز اول اكسيد الكربون فانه يؤثر في الدم ويحول بينه وبين نقل الاكسجين الى نسج الجسم

الاّ ان البحث لم يسفر حتى الآن عن وسيلة عملية تمكن الجيوش من استعمال الغاز الذي يسمّ الجهاز العصبي ، او يؤثر في الدم ثم ان غاز اول اكسيد الكربون الذي يتولد عند انفجار القنابل الشديدة المفرقع يفتك بكثيرين ولكننا لا نستطيع ان نحسب هؤلاء القتلى صرعى الحرب الكيمائية

ويختلف الغاز الحربي عن القنابل فان القنابل تنطلق في خطوط مستقيمة فاذا اصابت احداً في خط مسيرها قتلته والاّ فانها تضيع سدًى حالة ان الغاز الحربي ينتشر في الهواء ويتغلغل احياناً في المنخفضات فيمتدّ فعله فوق مساحات كبيرة من الارض

والغازات أنواع من حيث استمرار فعلها بعد انطلاقها من اسطواناتها . فالغاز الذي يتبدّد فعله بعد بقائه في الجوّ عشر دقائق عندما تكون سرعة الريح عادية ، يقال انه غاز غير مستمر الفعل Non-persistent والغاز الذي يستمرّ فعله بضع ساعات بعد انطلاقه يعرف باسم الغاز المستمر الفعل Persistent . فغاز الفوسجين مثال على النوع الاول لانه عند انطلاقه يتبخر ويتبدّد مع الرياح . أما غاز الخردل فغاز مستمرّ يبقى فعله بعد انطلاقه ساعات أو اياماً . فهذه الصفة من الصفات التي يحسب لها حساب كبير عند البحث عن مادة كيمائية حربية

يتضح مما تقدم ان البحث عن الغاز الحربي الامثل محدود باعتبارات عسكرية وفسيولوجية وطبيعية وكيمائية . ثم يضاف الى هذه الاعتبارات الاقتصادية ، لانه من العبث استنباط غاز يكلف صنعه نفقة كبيرة ترهق الدولة التي تصنعه وتستعمله . وإذن فلا بدّ من البحث عن غاز وسط ، يجمع كلّ ما يمكن جمعه في الغاز الحربيّ من الصفات اللازمة ، لان الغاز الحربيّ الامثل متعذر فعلاً . ولكن ذلك لا يمنع ان نبيّن الصفات التي يجب ان يتصف بها هذا الغاز ليكون هدفاً يتطلع اليه الكيماوي العسكري

***

ففي المقام الاول يجب ان يكون هذا الغاز فعّالاً اذا وجدت مقادير قليلة منه منتشرة في مقادير

كبيرة من الهواء . والمقادير القليلة هنا تعني وجود اجزاء يسيرة من الغاز الحربي في ملايين الاجزاء من الهواء . لانه اذا كان الغاز غير فعّال عندما توجد منه هذه « المقادير الصغيرة » في الهواء فهو لا يصلح من الوجهة العسكرية . اذ لا يخفى ان عدد الاسطوانات المحتوية على الغاز التي يمكن نقلها الى صفوف الجيش الامامية ، محدود ، فالارطال القليلة التي تطلق منها يجب ان تكون فعّالة في تحقيق الغرض العسكري منها وهو الفتك بالعدو أو عرقلة اعماله

ويرى الدكتور رودلف هانسليان الثقة الالماني في موضوع الحرب الكيمائية ان الفوسجين يحدث تهيجاً شديداً في اعصاب التنفس والعيون اذا وجد منهُ ٤ اجزاء من مائة جرم من الاوقية (٤ .ر من الاوقية) في الف قدم مكعبة من الهواء ، اي اذا وجد منهُ جزء في مائة جزء من الهواء (١ / ـــ) . بل اذا وجد منهُ في الهوء مقادير اقل من المقادير المتقدمة ، واستنشقهُ الانسان بضع دقائق متوالية ، فقد يفضي استنشاقهُ الى تسمّم مميت

اما الغاز المدرّ للدمع فيفعل فعلهُ اذا كانت مقاديرهُ في الهواء اقلّ مما تقدم ويقول الدكتور هانسليان ان وجود ثلاثة اجزاء من عشرة آلاف جزء من الاوقية (٣ ر) في الف قدم مكعّبة من الهواء كاف لتهيج اغشية العين واستدرار دموعها ، ومن هذه الغازات مركب يدعى (رومبر لسيانيد) يؤثر في العين تأثيراً اليماً جداً بعد التعرّض لهُ ثلاث دقائق ولو كان المقدار المنتشر منهُ في الهواء ٨ ر من الاوقية في ١٠٠٠ قدم مكعبة من الهواء . ولتقريب هذا المعنى الى القارىء ، نقول تصوّر انك اخذت اوقية (Ounce) من هذا الغاز وقسمتها الى عشرة آلاف جزء ثم اخذت ثمانية اجزاء منها ووضعتها في صندوق من الهواء طولهُ عشر اقدام وعلوهُ عشر اقدام وعمقهُ عشر اقدام (اي غرفة متوسطة) ووقفت فيه ثلاث دقائق فقد عندئذٍ تشعر في عينيك بألم لا يطاق وهذا النوع من الغاز لا يميت ، ولكن انتشارهُ يضطرّ الجندي الى لبس كمامته الواقية في الحال ، ولبسها يعرقل عملهُ ويضعف كفاءته العسكرية فاذا كانت الخطة العسكرية تقتضي عرقلة اعمال العدو وتأخيرها فعلية واحدة من هذا الغاز تكفي . وقد ادركت بعض الامم قيمة هذا الفعل من الناحية العسكرية ، وهي تضع الخطط الآن لبثّ قليل من هذا الغاز في كل قنبلة متفجرة تطلق

وغاز الخردل كذلك فتّاك شديد الفتك . فالجرعة القاتلة منهُ تختلف من ٦ ر الى ٢ ر من الاوقية في الف قدم مكعبة من الهواء، وذلك يتوقف على مدة تعرض المرء لاستنشاقه ولكن وجود جزء من الغاز في اربعة عشر مليون جزء من الهواء يكفي لتهيج اغشية العين ويمكن استرواحه اذا وجد جزء منهُ في عشرة ملايين جزء من الهواء . ومع ذلك احترق جلد بعض الذين جلسوا على أرض لصقت بها آثار من هذا الغاز من دون ان تشمّ رائحته ، اي ان مقدارهُ

كان اقل من جزء في عشرة ملايين جزء من الهواء الملاصق للارض

ولا بدَّ من الاشارة في هذا المقام الى ان مقدار تركيز الغاز في الهواء عامل واحد في قياس فعل الغاز ، وان العامل الثاني هو مدى التعرض لهُ

***

والصفة الثانية التي يجب ان يتصف بها الغاز الحربيّ الامثل ، صعوبة الوقاية منهُ اي انهُ يجب ان يخترق الوسائل التي يستعملها العدوّ للوقاية منهُ او اضعاف فعلها على الاقل . ولا يخفى ان جميع الدول قد صنعت وسائل متقنة للوقاية من الغازات الحربية . فاذا كان الغاز الحربيُّ عاجزاً عن التغلب عليها فقد كلَّ قيمته الاَّ اذا اطلق على العدوّ على غرّةٍ منهُ اي عندما يكون الجنود غير لابسين الكمامات الواقية . وهذا غير كثير الاحتمال لان الجنود يمرَّنون تمريناً دقيقاً على استعمال الكمامات بسرعة . نعم ان استعمال الكمامات يعرقل اعمال الجنديّ المكمَّم ، ولكن ذلك ليس كل ما يبغى من استعمال الغازات الحربية

فالغاز الحربيُّ الامثل لا يكتفي بأن يحمل جنود الاعداء على التكمُّم ، بل يجب ان يؤثر في اجزاء الجسم المختلفة اي يجب ان يهيج الانسجة في الرئتين والعينين والانف والجلد لان تغطية الجسم كلهِ من الرأس الى اخمص القدم ليس بالامر السهل . وغاز الخردل يتصف من هذه الناحية بهذه الصفات . فالوقاية منهُ تقتضي ان يرتدي الجندي رداءً مصنوعاً من قماش لا يخترقهُ الغاز ، وهذا الرداء اذا غطى الجسم تغطية تامة أرهق لابسهُ الجندي وجعل القتال وهو مرتديه متعذراً اكثر من بضع دقائق .

واذا كان الغاز الامثل لا يؤثر في جميع اجزاء الجسم فيجب ان يكون مما يخترق الكمامات ولكي يتصف بهذه الصفة يجب ان يكون غازاً لا يتفاعل مع غيره من المواد ولا تمنعهُ المواد التي توضع في الكمامات للوقاية من الغاز ، ولا تمنعهُ كذلك الجزء من الكمامات المعروف بالمصفاة والغرض منها منع الدقائق الجامدة والسائلة من الوصول الى جهاز التنفس

فالكلور وهو من اشدّ الغازات فتكاً ، لا يصلح من هذا القبيل لانهُ شديد التفاعل مع غيره من المواد ، فالوقاية منهُ من اسهل ما يكون . ان قطعة من لباس مغموسة بالصودا اذا وضعت على الانف تمنعهُ من الوصول الى الرئتين . ويقابل هذا غاز يعرف باسم الكلوروبكرين ، وهو من الغازات التي يصعب جداً الوقاية منها

والصفة الثالثة التي يجب ان يتصف بها الغاز الحربيّ هي سهولة صنعه . فقد نتصور الكيماوي يصنع غازاً متصفاً بجميع الصفات الكيمائية والفسيولوجية في المعمل ، ولكن اذا كان صنعهُ صعباً

او يقتضي صنعه كمية كبيرة فلا فائدة منه . فقد قلنا ان قليلاً من النار الحربي الكامل يجب ان يكون كافياً للفتك بجندي من جنود العدو او شله عن العمل ، ولكن الخطط العسكرية ، قد تقتضي احياناً استعمال طن منه لتأكد من وصول هذا القليل الى العدو

فقد وصف اصحاب الخيال من الكتاب صنع طائرات مجهزة بقنابل من النار في مكنتها ان تطير فوق مدن كبيرة فتبيد الحياة فيها بما تلقيه عليها من الجو . وهذا غلوّ لا مكان له من الحقيقة . نعم ان طائرة تستطيع ان تحمل من النار الفتاك ما يكفي لابادة سكان مدينة آهلة ، ولكن هذا لا يتحقق إلاّ اذا وصل كل جزيء من جزيئات هذا النار الى سكان تلك المدينة فالأصل في نفس الغاز وصوله الى من أطلق عليهم وهذا قد يقتضي اطلاق مقادير كبيرة منه قبل الفوز بما يرام

واذن كائناً فعل الغاز ما كان ، فلا بدّ من تجهيز مقادير كبيرة منه . وكون العالم يستطيع ان يجهز بضع أوقيات منه في معمل البحث لا يعني أن المهندس الكيماوي يستطيع ان يصنع منه الوفاً من الاطنان . فالانتقال من الانتاج العلمي الى الانتاج العملي التجاري ، عمل قلما يكون سهلاً . ويقال ان الانكليز عرفوا غاز الخردل قبل الالمان وأدركوا فائدته الحربية ولكنهم عجزوا عن صنعه صنعاً تجارياً ، فسبقهم الالمان الى ذلك واستعملوه اولاً

ثم ان النار الحربي الكامل يجب ان يكون رخيصاً وهذا الشرط ينطبق بوجه عام على جميع الذخائر الحربية . فاذا كانت المتفجرات او المواد الكيمائية غالية الثمن وجب البحث عن غيرها مما هو ارخص منها ليحل محلها ، فالمال عصب الحرب ، او هو احد اعصابه الرئيسية وقد تسخو الحكومات عند اشتداد الازمة حيث كانت تحرص ، ولكن الانفاق له حدود ، لا تستطيع اية حكومة ان تتعداها . فاذا كان لدى حكومتين مادتان حربيتان قريبة احداها من الاخرى في الفعل ، وكانت اقلهما فعلاً ارخصهما ثمناً ، فالغالب ان الحكومة تؤثر الرخيصة على الغالية . فمادة الحربي الكامل لا يكون كبير القيمة إذا كان غالياً . لانّ قتل العدو مسألة قروش وملاليم !

***

والصفة الرابعة التي يجب ان يتصف بها النار الحربي الكامل هي ان يكون صنعه ممكناً من مواد خام تكثر في البلاد التي يصنع فيها ، فلا تحتاج في صنعه الى استيراد مواد من الخارج قد ينقطع ورودها في اثناء الحرب . بل يجب ان تكون هذه المواد الخام ، مما لا يكثر الطلب عليه في صناعة الذخيرة الحربية بوجه عام ، لئلاّ تفضي كثرة الطلب الى غلائها فغلاء النار الحربي

الذي يصنع منها . فانكلترا مثلاً صعب عليها بعض الشيء في خلال الحرب الحصول على عنصر البروم لصناعة غاز اصفر المدموع لذلك اسقط وجعلها مركباً آخر يدخل اليود في تركيبه وهو المركب المعروف باسم « ايثل ايودواسيتات » . ولكن بعد الحرب استنبطت وسائل جديدة لاستخراج عنصر البروم من ماء البحر

ويجب ان يكون نقله سهلاً فمشكلة النقل في اثناء الحرب مشكلة كبيرة وكل ما يتعورها ويجعل النقل صعباً يضيف الى متاعب القوّاد بل يجب كذلك ان يكون نقله غير محفوف بالخطر . فمثلاً مادة يصعب حصرها في انابيب او اسطوانات او تأكل الاسطوانات التي توضع فيها بتفاعلها الكيماوي معها ، غير مرغوب فيها بوجه عام . فمادة « لرونسزلسيانيد» تأكل الصلب والحديد وتفسد عملها الفسيولوجي ، ولذلك يتعذر وضعها في القنابل او الاسطوانات العادية كغاز الخردل ، بل يجب ان توضع في اسطوانات من زجاج او اسطوانات معدنية مطلية من الداخل بالمينا وهذه امور تضيف الى نفقة صنع الغاز ، وتزيد ثقل الادوات التي تحتويه

ويجب ان يكون مستقر التركيب اذ لا فائدة من غاز تصنعهُ وتضعهُ في اسطوانات ثم اذا انقضت عليه ايام او اسابيع تحلل الى مواد لا تضر احداً اذا اطلقت عليه . ولا يخفى ان كل جيش من الجيوش ، يحتاج الى الغاز الحربي عند بدء الحرب ، اي ان عدتهُ من المواد الحربية الكيمائية ، يجب ان تكون مجهّزة قبل بدء الحرب فاذا كانت من المواد غير المستقرة التركيب ، كان لا فائدة منها على الاطلاق ، وكان كل مال ينفق على صنعها واعدادها مالاً مضاعاً . وافضل مثل على ذلك « سيانيد الايدروجين » فهو يتصف بصفات تجعلهُ غازاً حربياً مثالاً ولكنه غير مستقر التركيب وغاز الخردل يفوقهُ في هذه الناحية ، فان كانت هذه السطور تُرى اسطوانات ملئت بغاز الخردل سنة ١٩١٩ وفحصت من عهد قريب فاذا الغاز الذي فيها لم يطرأ على تركيبه تغير ما

واخيراً يجب ان يكون الغاز الحربي الكامل مما يصعب تبينهُ اي يجب ان يكون لا لون لهُ ولا رائحة ولا طعم . ولا اعرف الا غازاً واحداً متصفاً بهذه الصفات وهو غاز اول اكسيد الكربون . ولكن هذا الغاز لا يتصف بجميع الصفات الاخرى . وغاز الخردل يفوقهُ من هذه الناحية كذلك كما يفوق معظم الغازات الحربية من نواحٍ اخرى فغاز الخردل في حالته الطبيعية لا لون لهُ ، ومع انه قوي الرائحة ، الا انه بعد استنشاقه دقيقة من الزمان يشلّ عصب الشمّ

***

وعلى ذلك يرى القارئ ان بلوغ الكمال في الغاز الحربي متعذر تعذره في سائر اعمال الحياة ونواحيها ، ولكن غاز الخردل هو اقرب الغازات التي امتحنت الى الكمال على ما يعلم

البترول والحضارة

بين الطبيعة والاستنباط

لحبيب اسكندر
ناظر القسم الثانوي بجامعة القاهرة الاميركية

البترول كلمة لاتينية مركبة من كلمتين معناهما زيت الصخر وسمي كذلك لانه سائل كالزيت ينبع من بين بعض الصخور . وهو وان كان معروفاً قبل مطلع التاريخ عند قدماء المصريين والصينيين واليابانيين وهنود امريكا الاصليين الا ان استخدامه في غايات صناعية راجع الى العصور الحديثة . فصناعة تكرير البترول ظهرت في عالم الوجود اولاً في باكو سنة ١٨٢٥ أي منذ ١١٠ سنين . وصناعة البترول في الولايات المتحدة التي تقدر رؤوس اموالها بنحو ٩٠٠٠ مليون ريال (اي نحو ٢٠٠٠ مليون جنيه) بدأت سنة ١٨٥٩ اي منذ ٧٧ سنة لا غير . ثم ان زيت النفط المصري اكتشف سنة ١٨٨٦ ولم يبدأ العمل في استخراجه الا بعد عام سنة ١٩١٣

ومع حداثة هذه المادة في العالم الصناعي فقد تبوأت مقاماً سامياً قد لا يباريها فيه الا الحديد وأصبحت من الحاجات الضرورية التي لا غنى للانسانية عنها والتي تزداد الحاجة اليها يوماً بعد يوم وذلك لاستخدام مستحضراتها في جميع الاجهزة الحديثة ولولاها لشلت حركة السيارات والطائرات ووقف دولاب كثير من الآلات والقاطرات والسفن التجارية والحربية وبصرف النظر عن استخدامها في الوجوه السابقة المدونة فقد وجد فيها الكيماويون أرضاً خصبة للبحوث العلمية ولتركيب مواد كثيرة نافعة كالكحولات ومشتقاتها والكاوتشوك الصناعي وغيرها من المواد التي تختلف في طبائعها عن البترول والتي نستحضرها من مصادر أخرى

(اكتشاف مناطق البترول واستخراجه من الارض) . ليس من السهل الاستدلال على مناطق البترول لان دور تكوينه غير مفهوم وفيه مجال واسع لتضارب الآراء ثم لانه سائل لا يستقر في مكان تكوينه كالفحم بل يميل إلى الهجرة . فيوجد أحياناً فوق طبقات جيولوجية حديثة وأحياناً فوق طبقات قديمة جداً . كذلك يوجد احياناً في تلال تكسوها الغابات كما في بنسلفانيا بامريكا . وأحياناً في صحارى قاحلة كما في ساحات كليفورنيا ومصر

ويصحب البترول غالباً ماء ملح وغازات قابلة للالتهاب تحت ضغط شديد وهما من أهم العوامل التي تساعد على صعود الزيت إلى سطح الارض . وقد توجد احدى هذه المواد الثلاث من دون الاخرى فقد يخرج ماء ملح فقط أو غاز فقط عند ما يتوقعون خروج الزيت

لذلك يعاني رواد البترول مشقة عظيمة في سبيل كشف مناطق الزيت وحفر الآبار وتحطيم صخورها وازالتها بالآلات الجبارة ويتكلفون نفقات طائلة . وبعد ذلك لا يعثرون على شيء من الزيت . فالعمل فيه أشبه شيء بالمقامرة . ففي مصر مثلاً حصلت جهات مختلفة من الحكومة على ١٥٠ رخصة للبحث عن البترول في مناطق مختلفة وكان نصيبها من النجاح قليلاً بدليل ترك أصحاب الرخص في أغلب الحالات جهات امتيازهم وقد قدرت الاموال التي صرفت في البحث عن زيت البترول بغير جدوى قبل الحرب ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات . وقيمة هذا المبلغ في ذلك الوقت ثلاثة أو أربعة أمثال قيمتها في الوقت الحاضر

وعندما يراد حفر آبار البترول يقام اولاً برج من الخشب متسع القاعدة يسمى Derrick وفي نظري ان أحسن ترجمة لها المشنقة لانها سميت باسم جلاد في اوائل القرن السابع عشر كان يسمى (Derrick) يبلغ ارتفاع البرج ٧ قدماً ومساحة قاعدته ٢٠ قدماً مربعة ومساحة قمته ٤ أقدام مربعة ثم يركبون على قمته بكرة او بكرة يمر عليها حبل مربوط بثاقب من الفولاذ يختلف شكلها باختلاف نوع الصخر ثم يتصل طرفه الثاني بمحرك بخاري لرفع الثاقب وخفضها في ماسورة حديدية مثبتة في الارض . ثم ترفع الثاقب وتخفض مرات متتابعة لتثقيب الصخور كما يشاهد في بعض المهارات وبعد ذلك تزال الصخور المفتتة بمضخات خاصة . وتختلف أعماق الحفر في ساحات البترول المختلفة . ففي مصر يتفاوت العمق بين ٢٨٠ الى ٢٠ قدم وهم الآن يستخرجون هذا المعدن النفيس في امريكا من اعماق تفوق ٤٠٠٠ قدم ويقال ان هناك بئراً في ساحات Athens من اعمال California يخرج زيتاً من عمق ٧٣٠٠ قدماً (١ ٢/٣ ميل) وهي مسافة لا يستهان بها إذا كانت تحت الارض وناهيك ما يكلف حفرها الناس من مال وتعب . وقد يزدهر العمل في بعض الساحات فيحفر فيها عدد كبير من الآبار وتظهر هذه الابراج بشكل غريب يستوقف النظر

• • •

وتكثر ساحات البترول في امريكا وفي روسيا حول سواحل بحر قزوين وفي غاليسيا ورومانيا والمجر وبلاد العجم والعراق وفي مصر حول سواحل البحر الاحمر في ساحات جمسة والغردقة . وقد حفرت في ساحة جمسة ٢٢ بئراً نجح منها ست ونضب منها ثلاث . واما ساحات الغردقة فهي ساحات جيدة واوسع نطاقاً واكثر انتاجاً فقد حفرت فيها ٤٦ بئراً حتى شهر اكتوبر سنة ١٩٣٦ ويبلغ مقدار ما تنتجه ساحات مصر ٦٥٠ طناً في اليوم ويقدر البترول المستخرج من

منطقة الغردقة بنحو ١¾ مليون من الاطنان في ١٣ عاماً وفي منطقة جمسه ١٨٢٠٠٠ طن وعظم مقدار من البترول استخرج في سنة واحدة هو ١٨٠٠٠٠ طن والتزام استخراج الزيت في هاتين الساحتين معقود للشركة المصرية الانجليزية لمناطق البترول وهي الشركة الوحيدة التي بحثت في مصر وتمكنها الاستفادة من استغلال المساحات المؤجرة لها ولا تزال التجارب قائمة بقرب سواحل البحر الاحمر ومناطق سيناء . ولم تتمخض نتائجها بعد . ويقرر الخبيرون أن السواحل المصرية تحتوي كثير من آبار البترول الغزيرة وقد بلغت المساحة المخصصة لاعمال البحث عن البترول في سنة ١٩٢٢ نحو ٦٦ كيلو متر مربعاً والمساحة المؤجرة لاستخراجه ١٤ كيلو متراً مربعاً

(انفجار ينابيع البترول) أشرنا في كلامنا السابق الى ان الطبقات الارضية او صخور البترول مشبعة بغازات مضغوطة وقد يحدث عند حفر بعض الصخور ان ينفجر ينبوع الزيت بقوة ضغط هائل ويندفع منه الزيت بقوة عظيمة فقد حدث مرة في سنة ١٨٨٣ ان انفجر ينبوع بترول في ساحات باكو وفار منه الزيت والرمل بقوة هائلة وزئير عجيب سمع على بعد بضعة اميال من مكان البئر . واقتلع من جراء هذا الانفجار سقف البرج وتصدعت جوانبه وكان ارتفاع النافورة الزيتية ٣٠٠ قدم ثم طغى الزيت على الارض المجاورة فحولها بركاً وغطى الرمل المقذوف جميع الابنية والحوانيت المجاورة وقد قدّر متوسط ما اخرجه هذا البركان الزيتي الثائر بمليونيْ جالون من الزيت يومياً وبدأ الانفجار في أول سبتمبر وفي منتصف نوفمبر كان لا يزال متدفقاً بمعدل ٢٤٠ الف جالون في اليوم . ويقال ان هذه البركات ملكاً لشركة أرمنية صغيرة لم يكن هنا ملك حول البئر لعمل صهاريج لحفظ الزيت ولذلك طغى الزيت على الاملاك المجاورة ولم يستفد أصحاب البئر شيئاً

ولقد حدث شيء من هذا في مصر عند انفجار ينبوع بئر من ابار جمسا سنة ١٩١٤ فخرج منها في اليوم الاول ٤٠٠ طن فاندفعت الى البحر الاحمر وطفت على ما جاوره من التلال وأودت قوتها بحياة عامل ولم يفلح أي سعي في التغلب على تيارها الخارق

(البترول الخام) سائل يشمئز منه الناظر يطفو فوق سطح الماء لا يصلح للاستعمال في المصابيح للزوجته وتلوثه بمواد غريبة ويستعمل أحياناً وقوداً في القاطرات والسفن وهو يختلف كثيراً من حيث خواصه الطبيعية والكيماوية . فبينما نجد بعض الزيوت ثقيلاً أسود اللون لزجاً إذا بعضها سائل خفيف ذو لون أصفر باهت ويحتوي على نسب مختلفة من البنزين والكيروسين والمواد الثقيلة وليس هذا الاختلاف قاصراً على الزيوت في بلاد مختلفة بل كثيراً ما يلاحظ في الزيوت المستخرجة من جهات متقاربة من بلد واحد بل وفي آبار تستمد زيتها من منبع واحد . وقد يختلف نوع الزيت الذي يستخرج من بئر واحدة باختلاف العمق . اما زيت جمسا فصنفه جيد ونعله

النوعي خفيف وهو يحتوي على ٣٠ ٪ من البنزين ويعدل أجود أنواع البترول في العالم . ومن آبار الغردقة ما تنتج الآن زيوتاً تختلف بعض الشيء عما كانت تنتجه من بضع سنين

ومن الوجهة الكيمائية يعد البترول مزيجاً من مركبات كيمائية عديدة كلها مركبة من عنصري الايدروجين والكربون واسمها في الكيمياء ايدروكربونات منها السائل ومنها الغاز ومنها الصلب ومنها المشبع وغير المشبع . ويخالط هذه المركبات مقادير قليلة من مركبات الكبريت والازوت والاكسجين ويلوثه ماء وملح ومواد أرضية

تقسم أنواع البترول الى ثلاثة أنواع رئيسية وهي

(١) بترول قاعدته البرفين — وهو البترول الذي يحتوي على قليل من الاسفلت وكثير من مركبات الكربون والايدروجين التامة لسلسلة البارفين والتي قانونها الكيماوي $C_nH_{2n}+2$ والتي تكوّن المواد المعروفة بشمع البرافين والزيوت التي من هذا النوع أثمن أنواع البترول من وجوه كثيرة

(٢) بترول قاعدته Napthene وهو الذي يترك بقية ثقيلة من الاسفلت — القار وتكثر في هذه الزيوت الايدروجينات المكربنة التامة لسلسلة Napthene التي قانونها الكيماوي C_nH_n

(٣) بترول قاعدته خليط من القاعدتين السابقتين

(تقطير البترول وتكريره) قلنا ان البترول الخام عند استخراجه من آباره لا يصلح للاستعمال وهو في حالته الطبيعية بل لا بد من تعريضه لسلسلة من عمليات التقطير والتكرير لكي يمكن تجزئته الى المواد البترولية المعروفة مثل . البنزين والكيروسين وغيرها

وتشيد مصانع التكرير غالباً بالقرب من السواحل بعيداً عن ساحات الآبار ويصل الزيت الخام مصحوبات في انابيب ممتدة من فوهات الآبار الى خزانات فرعية فخزانات اساسية ثم الى الخزان العام القريب من مصنع التكرير ويبلغ مجموع اطوال هذه الانابيب في بعض الجهات مئات الاميال . وفي ساحات مصر يبلغ طول الانابيب الممتدة ١٥٠ كيلو متراً وفي الولايات المتحدة يبلغ مجموعها في جميع الساحات نحو ١٠٠٫٠٠٠ ميل يمر فيها بالمتوسط ١٠٠٫٠٠٠ برميل يومياً

ويكرر البترول غالباً بالتقطير الجزيئي في اسطوانات كبيرة من الحديد سعة الواحدة منها تتفاوت بين ٥٠٫٠٠٠ الى ٦٠٫٠٠٠ غالون ثم يمر البخار الخارج في انابيب التكثيف المعرضة للماء البارد . وتستقبل السوائل التي تتحصل عند درجات الحرارة المختلفة في مستودعات منفصلة ثم تنقى اولاً بالحامض الكبريتيك ثم بالصودا الكاوية والماء

وهاك اسماء الاجزاء الرئيسية لتقطير البترول في درجات الحرارة المختلفة

(١) بين درجتي ٤٠ م و ٧٠ م يخرج منه سائل شديد التطاير يسمى اثير البترول يستخدم

مخدراً في العمليات الجراحية وذلك بتبريد السطح المراد اجراء العملية الجراحية فيه

(٢) بين درجتي ٧٠ م و ٩٠ م يخرج الغازولين

« « ٨٠ م و ١٢٠ م يخرج البنزين

والغازولين والبنزين سائلان عديما اللون يستخدمان وقوداً لمحركات السيارات والطائرات ثم يستعملان في تنظيف الملابس واذابة كثير من المواد التي لاتذوب في الماء كالصمغ والزيوت والكاوتشوك

(٣) بين درجتي ١٢٠ م و ١٥٠ م يخرج سائل يسمى زيت النفط او زيت التنظيف الذي يستعمل في التنظيف ثم يقوم مقام زيت التربنتينا في عمل الورنيش

(٤) بين درجتي ١٥٠ م و ٣٠٠ م يخرج زيت الكيروسين وهو زيت الاحراق المعروف بالكاز وفائدته معروفة للخاص والعام

(٥) والاجزاء التي تخرج فوق درجة ٣٠٠م يحصل منها زيوت الوقود وزيوت التشحيم والفازلين (الذي يستعمل في حفظ الحديد من الصدإ وعمل المراهم الطبية) وشمع البرافين الذي يصنع منه بعض انواع الشمع العادي

(٦) ويبقى بعد ذلك مادة خشبية كالقار تستخدم في رش الطرق وعمل الاسفلت

اما مصنع التقطير في السويس فيكتفي فقط بتحضير البنزين والكيروسين واما ما يبقى بعد ذلك فيباع باسم المازوت او زيت الوقود ويبلغ مجموع ما تكرره الشركة في السويس ١٠٠٠ طن في اليوم نصفها ٥٠٠ طن من المازوت وربعها ٢٥٠ طناً من الكيروسين والربع الآخر ٢٥٠ طن من البنزين وفي الولايات المتحدة نحو ٣٦٧ مصنعاً لتكرير البترول تقطر يومياً نحو مليون برميل من البترول

كان الكيروسين فيما مضى أهم مستخرجات البترول الكثيرة الطلب وكانت الجهود تبذل للاكثار منه. اما اليوم فقد اصبح البنزين او الغازولين مطلوباً اكثر منه لازدياد عدد السيارات لذلك دعت الحاجة الى الاكثار من إنتاجه وابتكار طرق لتحويل المواد البترولية الثقيلة الى بنزين. ولقد توصل الكيماويون الى هذه الغاية وتمكنوا بعملية تسمى «تجزئة الزيت» Cracking of oil من تحويل المواد البترولية الثقيلة الى مواد اخف. وتتلخص عملية التجزئة هذه في رفع درجة الحرارة للمادة التي تحت التكرير الى درجة اعلى من المطلوب عادة مع زيادة الضغط على السائل فينتج من ذلك حل جزيئات المواد الثقيلة الى غيرها اخف منها. وقد افادت هذه العملية صناعة البترول فوائد اقتصادية عظيمة فهم الآن يحصلون على غازولين يعادل ٣٣ ٪ من الزيت ويؤملون بعد عشر سنوات او نحو ذلك أن تزيد هذه النسبة حتى تصل الى ٧٥ ٪ بفضل ما يدخلونه على عملية التجزئة من ضروب التحسين والاتقان

« البترول والبحوث العلمية الحديثة » ان ما يجعل البترول مقاماً كيمائياً عليّاً هو أنه مزيج من عدد عظيم من الايدروكربونات منها الغازات الذائبة والسوائل الخفيفة والثقيلة والاجسام الصلبة — ومتخلفات التقطير التي أشرنا اليها ما هي الا خامات مركب كل منها من مواد كثيرة تمتزج بعضها ببعض . فهو أشبه شيء بقطران الفحم الحجري من حيث كثرة ما فيه من المواد ويؤمل العلماء أن اليوم الذي يصير فيه البترول كالقطران مصدراً لصناعات كيمائية بات قريباً لاهتمام الحكومات والافراد بتشجيع تجاربه العلمية . فقد تبرع روكفلر الاميركي » وشركة « النفط » مستعملون ريال لترقية الابحاث العلمية الصرفة المختصة بالبترول في اميركا ولقد عقدت واقيمت مؤتمرات خاصة لدرس هذا الموضوع من جميع الوجوه العلمية والجيولوجية والكيمائية — وتمكنوا من صناعة كثير من انواع الكحول من البترول ومن الكحولات يستطيع الكيماوي تحضير عدد كبير من الحوامض والمركبات المختلفة ثم من متخلفات البترول توصلوا الى عمل مواد مرنة كالمطاط تستعمل بدل الكاوتشوك الطبيعي ولقد أتيح لهم تحويل معظم البترول الى ايدروكربونات غير مشبعة واضافة عناصر أخرى كالكلور والاكسجين اليها والحصول على كثير من المواد النافعة بعضها معروف وبعضها لم يعرف من قبل

وبالاختصار يتوقع العلماء مستقبلاً باهراً للبترول في ترقية الصناعات الكيمائية ونشر وسائل المدنية وازالة أثمان كثير من كماليات المعيشة وزيادة رفاهية الانسان . ولكي تدرك ما يرجى هذه الابحاث العلمية نترجم لكم ما قاله في هذا الصدد المستر Morris رئيس الجمعية الكيمائية الاميركية في أكتوبر سنة ١٩٢٦ في عبارة شعرية لا تخلو من التسلية قال :—

« هل لي أن أطمع في عفو القارىء اذا سبح فكري في بحر الخيال وأنا أتأمل في مستقبل البترول كمصدر للكمالات الحيوية

« ليتصوَّر القارىء نفسه في عصر يوم قبل الغسق جوه صافي الاديم فقر رأيه على أن يخرج للنزهة في سيارة يجوب الخلوات فيفحص مستودع سيارته فاذا به غير مملوء ولم يبق به الا القليل من السائل الذي يستمد منه الوقود ولكنه سيكفي حتماً فصل الضغط ونوع الوقود الذي يكفي الجالون الواحد منه للسير لاميال طويلة ثم يرجع ببصره كرَّة الى الزيت الذي تشحم به أجزاء العربة فيجده وافياً بالمرام على أنه لم يلتفت الى تغييره منذ أشهر ثم ينظر نظرة أخرى الى طلاء السيارة ولمعان أدهانها فلا حدث فيها فهي مرنة ومتماسكة الى الحد المطلوب والاصل في كل ما ذكر البترول ثم ينظر الى اطارات العجلات وكيف ان مطاطها لا تظهر عليها آثار البلى والقدم بالرغم من انها قطعت مسافات طويلة . الا ان أصلها البترول . ثم يتكىء بيده على مقاعد العربة وقد صنعت من الجلد الصناعي فاذا هو مرن ناعم أملس قابل للّيّ والطيّ مقاوم للحرارة

والشمس وكثرة الاستعمال والاصل فيه البترول . ثم يدير وجهه يمنة ويسرة وأمامه والى الوراء وينظر خلال مقاعد العربة الشفافة وموانع الهواء التي عملت بشكل مرايات الزجاج وبرزت عليه في أنها لا تنشعق ولا تتكسر . والاصل فيها البترول . ثم ينظر في اللوحة المرصعة عليها آلات التسجيل وكيف ان مرآها اشبه شيء بمصقول الابنوس . والاصل فيها البترول

«وهبه قد رأى شحماً على اجزاء سيارته فكشطه بيده فعلق بها وأراد ان يزيل اللوثة عنها فلا خير له من ذلك الصابون السحيب الذي يحضر من البترول

«وبعد يمتطي سيارته ويلقي عصا التسيار الى واد كشرح الوادي مجرى القناة وهم مجدون في توسيعه وفي حاجة الى متفرقعات ينقلون بها ماتي الصخور . فلا يسعهم الا مستخرجات البترول

«ثم اذ هو في طريقه يرى مصنعاً قائماً به معدات تحضير النوشادر الضرورية لتسميد الارض واستغلال قوام خصبها والايدروجين اللازم لتلك الصناعة الحيوية . الاصل فيه البترول

«واذا طالت به النزهة واحس وعثاء السير وشعر بالحاجة الى مرطب يقف عند مخزن ادوية او عطار فيطلب شراباً منعشاً فيه طعم الفاكهة ونكهة الازهار فيعطى شراباً مزاجه بترول وحيناً يسترسل في المنعشات فيطلب ملوحاً به قشدة يجدها لذيذة حلوة ناعمة ملمسه اصلها البترول

«ثم يفكر قليلاً كما يفكر الكيماوي فيما كشف او ركب حديثاً من العقاقير التي يحسن ان يلجأ اليها كل من كان مستعملا لازمة تعهد جسمه او عقله او من كان متعباً من ارق بات ليله مسهداً واصبح في أشد الحاجة الى منوّم او من تملكه داء السكر -- وقانا الله شره — فاحتاج الى دواء يصد به هجمة ذلك الداء . او رام مطهراً خفيفاً يناسب المطالب المنزلية — او احب ان يزيل بقعة دهنية من نسيج دقيق رقيق لا يحتمل شديد الدلك . والتنظيف او رغب في ملين داخلي . او فالاحوال طلب معونة من وجوهها الكثيرة التي يلجأ بها في عصرنا الراقي المتمدن الى مخزن الادوية .

«فهو مهما توجه او دار واقع لا محالة على ما الاصل فيه البترول

«حتى اذا ما قضى لبانته عاد فوثب في سيارته الحية فوطئت قدماه ما قد غطى به ارضها من مادة متينة تقاوم وطء الاقدام مهما اشتد . رأى البترول محض تلك المتانة

«وبعد كل ذلك يرى الوقت قد حان الى تناول لفافة من التبغ (الدخان) يستطيب طعمها لأن تبغها قد احتوى القدر المناسب من الرطوبة بفضل ما اودع فيه من مادة تمتص ما يحتاج اليه التبغ من الماء بالقدر المعلوم واصل تلك المادة البترول . ثم قد يمر بمستشفى فيدور بخلده ما هنالك من مخدرات يستعين بها الاطباء في عملياتهم فلا تترك في المرضى الآثار الوبيلة التي يتركها الكلوروفورم او الاثير . الاصل فيها البترول

«وقد يمضي اليوم كله على ما قدمنا وانت محاصرك من جميع جهاتك كما رأيت صاحبنا البترول»

﴿ اصل البترول ﴾ يهتم الكيماوي كثيراً بالبحث عن اصل المواد ونشوئها وكيفية تكوينها في الطبيعة وفي هذا البحث فوائد جمة من الوجهتين العلمية والصناعية لانه ينير الطريق امام المشتغلين بالعلوم ويساعد على كشف مصادر جديدة وطرق ناجعة في الحياة العملية فالفحم الحجري الذي يستخرج منه كل عام نحو ١٥٠٠ مليون طن أصله نباتات كانت تعيش في الازمنة الجيولوجية القديمة ثم سقطت وتراكمت عليها طبقات ارضية وتعرضت لضغط وحرارة عظيمين مدة آلاف من السنين فحصل فيها فعل كيماوي انتهى بها الى المادة المعروفة بالفحم الحجري وجميع العلماء تقريباً متفقون على هذا الرأي

أما البترول الذي يستخرج منه سنوياً نحو ٧٢ مليون طن فلا اجماع على اصله ونشوئه فقد اختلفت في تعليل تكوينه الآراء . فمن العلماء من يقول إن اصل البترول مواد معدنية ومن قائل أن اصله مواد عضوية

فيقول بعض انصار المذهب الاول ان اصل زيت البترول وجود مركبات الكربون والفلزات — كربورات الفلزات — مثل كربور الحديد والمنتشر في بعض الارض على درجة عالية من الحرارة ثم حدث ان طرأت على القشرة الارضية في بعض الجهات تغييرات سببها تقلصها فتسرب الماء الى هذه المركبات الساخنة وتفاعلت معها تفاعلاً كيماوياً وتمت كربورات الايدروجين التي تكاثفت واختلط بعضها ببعضها منتجة البترول ومن انصار هذا المذهب مندليف العالم الروسي واضع الترتيب الدوري للعناصر . وحجته في ذلك وجود الزيت في بعض طبقات أرضية تامة تصور يتعذر علينا فرض تجمع مواد عضوية فيها لكي تتكون زيت البترول

وهنالك رأي آخر لعالم كيماوي مشهور وهو المسيو Sabatier صاحب طريقة تصلب الزيوت بالايدروجين الذي نال من اجلها جائزة نوبل المشهورة . يفرض هذا العالم وجود فلزات قوية كالصوديوم والبوتاسيوم ثم كربورات هذه الفلزات في باطن الارض ولما تسرب الماء الى هذه الفلزات وكربوراتها تفاعلت معه وانتجت الاولى ايدروجين والثانية استلين فاختلط أحدهما بالآخر وبمساعدة بعض فلزات اخرى مثل النيكل والكوبلت والحديد الموجودة طبعاً في باطن الارض اتحد الايدروجين والاستلين اتحاداً كيماوياً وكوّنا البترول الذي هو مخلوط من الايدروجينات المكربنة

هذا وانصار المذهب العضوي يقولون ان اصل البترول من مواد حيوانية ونباتية تجمعت في الازمنة الجيولوجية الغابرة ثم تعفنت وتحللت وحصل منها ما حصل للنبات عند تكوين الفحم الحجري وحدث بعد ذلك أن ارتفعت درجة الحرارة فخرج من هذه المواد البترول والغازات المختلطة به والذي يعزز رأيهم هذا تمكنهم اخيراً من عمل سائل كالبترول الخام من فعل الحرارة

في الفحم الحجري . ومن احدث الآراء في منشأ البترول الرأي الآتي :

عند درس من اشعة الراديوم الكيماوي وجدوا ان الاشعة الفا تحول غاز الفحم (الميثان) الى مخلوط من المركبات يشبه البترول الخام فهذا حدا ببعض العلماء الى الظن ان اصل البترول مواد عضوية تحولت اولاً الى غاز الفحم ثم تحول هذا المركب الى البترول بفعل الاشعة الفا المنطلقة من مواد مشعة في الصخور والذي يعزز هذا الرأي وجود الهليوم في كثير من صخور

(البترول كمصدر من مصادر القوة) ان مكانة البترول في الوقت الحاضر تكاد تنحصر في توليد القوة والطاقة عند استخدامه كوقود سائل فان ٣٢ ٪ من القوة التي يسخرها عالم المتمدن مشتق من البترول و ١٧ ٪ منها مشتق من الفحم الحجري واكثر ما تستخدم المواد البترولية في تسيير حركة النقل بالسيارات والسفن والطائرات. واقل واحدة منها تستنفد مقادير هائلة منه خذ السيارات مثلاً التي تسير بالبنزين . فقد دل الاحصاء الحديث ان عدد السيارات في العالم في اول يناير سنة ١٩٢٦ يعادل ٢٤٥٨٩٧٤٩ منها ١٩٩٥٤٣٤٧ في الولايات المتحدة فقط أي ٨٠ ٪ من سيارات العالم ويليها بريطانيا العظمى ٨١٥٩٥٧ ثم فرنسا ٧٣٥٠٠٠ ثم كندا ٧١٥٩٩٢ ثم المانيا ٣٢٣٠٠٠

ونسبة الاشخاص للسيارة الواحدة في الممالك الكثيرة السيارات كالآتي —

الولايات المتحدة	٦	فرنسا	٥٣
كندا	١٣	بريطانيا	٥٥
نيوزيلاند	١٤	المانيا	١٥٠
استراليا	٢٠	مصر	٨٥٠

وهذه النسبة ستنقص طبعاً بمر الايام اي ان عدد السيارات سيزيد بتقدم الحضارة ويقول الثقة ان عدد السيارات في سنة ١٩٥٠ سيصير ٤٥ مليوناً اي بزيادة ٥ لكل ٥ سنوات وهذا يتطلب ١٣٣ر١٩ مليون جالون من الجازولين

ويقدر ما استنفد من الجازولين (البنزين) سنة ١٩٢٥ (٩١٦٥ مليون جالون)

والسؤال الطبيعي الذي يدور في خلد كثير من الناس والذي يهم الكثير من الدول هو : هل يوجد في الارض مقادير من الوقود تكفي حاجات العالم المتزايدة ؟ . . يتفق كثير من العلماء على أن مقادير الفحم الموجودة تكفي العالم عديدة من السنين . اما موقفهم آراء البترول فيختلف عن موقفهم آراء رصيد الفحم اختلافاً عظيماً . من السهل على العلماء الطبيعيين تعيين مناطق الفحم وتحديدها وتقدير سمكها ومعرفة مقدار ما فيها كما انه لا خوف على الفحم اذا تركت مكانه لحاجة المستقبل بخلاف ذلك البترول فكما ذكرنا انه من الصعب العثور عليه وتحديد مناطقه ومعرفة

مقداره . ثم اذا عثرنا عليه في منطقة ما لا يمكن تركه لحاجة المستقبل لانه معرض لنزاع الى الهجرة فربما يهرب ولا نعثر عليه ويتكهن البعض أن موارد البترول ستنضب بعد مدة تختلف من عشر سنوات الى ٧٥ سنة وهذا لا شك أجل قصير لمادة من اهم المواد اللازمة للحضارة . لذلك يتحتم بذل المجهود من الآن للاستعاضة عنه بمصادر اخرى صناعية والا شلت يوماً ما حركة النقل من جراء قلة البنزين وزيوت الوقود اللازمة لمحركات السيارات والسفن والطيارات

هذه اكبر مشكلة اقتصادية يواجهها العلماء الكيماويون محاولين حلها فترى بعضهم يبحث عن ممكن اختراع وقود سائل من خامات نباتية لتحل محل البترول . واول ما اتجهت انظار هؤلاء الى الكحول والزيوت النباتية . وقد تمت بعد البحث والتحري أن الكحول يصلح للاستعمال بعد خلطه ببعض السوائل كالبترول او البنزين مثلاً الا انهم لم يصلوا الى طريقة اقتصاديه تجاري الزيوت البترولية والامل قوي في الوصول الى حل مرضٍ . وان مصر تستفيد فائدة الاغتباط اذا نجحت هذه الطريقة لان خامات الكحول متوافرة في بلادنا الزراعية بمقادير وافرة في قصب السكر وغيره

هناك مصدر آخر لاستحضار البترول يمكن ان يلجأ اليه عند الحاجة هو الطفال الزيتية وهو نوع من الطبقات الارضية ، بتقطيرها كما يقطر الفحم نحصل على سائل هو نوع من البترول

هذا وقد ولى بعض الكيمائيين وجوههم شطر الفحم الحجري لتحويل هذا الوقود الصلب المتوافر الى وقود سائل يسد مسد البترول . وليست هذه اول مرة اتجهت فيها انظار الكيماويين الى تحويل الوقود من حالة الى حالة . فقد حولوا فعلاً الفحم الى وقود غازي وهو غاز الفحم المستعمل في كثير من المدن للاضاءة والتسخين . والآن تتطلب الحضارة منهم تحويل الفحم الحجري الى سائل يقوم مقام البترول وزيوت الوقود المعرضة للنفاد

وقد اهتدى الكيماويون في اوربا واميركا الى اربعة طرق مختلفة لتحويل الفحم الى بترول وسنتكلم على اثنتين منها لضيق الوقت

وقد قدر الخبيرون من اهل العلم أن طبقات الطفال الزيتية تعادل ٣٩٤ مليون طن في الولايات المتحدة واذا استخرج ما فيها انتجت ١٣٠ مليون برميلاً من زيت الطفال على معدل جالون لكل طن الا انها تتكلف كثيراً

***

(طريقة برجيوس Bergius Process) وجد برجيوس الالماني ان نسبة الكربون (ك) الى الايدروجين (يد) في الفحم = ١٨ : ١ ونسبة ك : يد في الزيت البترولي = ٨ : ١ فلتحويل الفحم الى زيت يجب زيادة الايدروجين

وتتلخص هذه العملية في ان يسحق الفحم سحقاً ناعماً جداً ويوضع في زيت ما ثم يعالج بعد ذلك بغاز الايدروجين المضغوط في درجة ٤٥٠ م من الحرارة فيتحول جل الفحم الى زيت . بهذه الطريقة يمكن برجيوس من تحويل جميع انواع الفحم الى زيت وأقام لذلك مصنعاً في المانيا والزيت المحضر بهذه الطريقة يحتوي على :-

٣٠ ./. من الجازولين لتسيير السيارات

٣٠ ./. من المازوت لتحريك ماكينات ديزل

ويقول برجيوس ان ما ينتجه هذان المصنعان سيكون مليون برميل سنوياً من منتجات البترول المختلفة و ٣٠ ./. من الزيوت الثقيلة المستعملة في التشحيم وتشحيم الآلات والتي يمكن بعملية التحريق التي ذكرناها من تحويل معظمها الى جازولين

وهذه العملية لم تثبت بعد على اسس تجارية رابحة ولكنها تتقدم بخطى واسعة نحو هذه الغاية ويقال ان هذا العالم الالماني ظل سنين طويلة يبحث ويجرب حتى توصل الى هذه الطريقة تشد ازره شركة كبيرة بلغ ما انفقته على ابحاثه وامتحاناته ١٥ مليون من الجنيهات ولا تستغرب ذلك على الامة الالمانية فقد سبق وساعدت احدى الشركات الالمانية Bayer الكيماوي بمبلغ مليوني جنيه حتى اكتشف طريقة عمل النيلة الصناعية وأخيراً تكللت اعمالها بالنجاح واحتكرت هذه الصناعة وجنت منها الملايين العديدة من الجنيهات

***

طريقة فيشر (Fischer's Process) — هذه طريقة أخرى المانية اخترعها عالم الماني يدعى Franz Fischer وهي تختلف في طبيعتها عن السابقة وان اتحدت معها في الغاية ألا وهي تحويل الفحم الى بترول — وتتلخص هذه الطريقة في تحويل الفحم الحجري اولاً الى غاز مائي بتسخينه وامرار بخار الماء عليه ثم تحويل الغاز المائي الى بترول بامراره على اكاسيد بعض الفلزات كالكوبالت والحديد والكروم التي تعمل عمل العوامل الوسيطة فتساعد على تحويل الغاز الى بترول من غير ان يصيبها تغير كيماوي

هذه الطريقة كسابقتها بها يمكن تحويل الفحم الى زيوت وقود الا انها تتكلف كثيراً

هذا ولا ينكر أحد اهمية تحويل الفحم الى زيت بطريقة اقتصادية ناجحة من الوجهتين الاقتصادية والسياسية . فقد قيل حقاً ان البترول هو النقطة الحساسة في السياسة الدولية في الوقت الحاضر ومستقبل السلام معقود على حل هذه العقدة . واذا كانت الحال كذلك كان تحويل الفحم الى زيت باطرق الكيمائية أفيد للعالم من مؤتمرات السلام ومؤتمرات نزع السلاح والمعاهدات الدولية التي تنتهي في آخر الامر الى احاديث خرافية او قصاصات ورق

بورجيه وكبلنغ

في بورجيه

—

فلسفة كبلنغ

في بورجيه

مات منذ بضعة أيام الكاتب الفرنسي پول بورجيه فانطفأت بموته شخصية تكاد تنفرد بطابعها بين رجال الادب الفرنسي المعاصر . فقد كان بورجيه بين الكتاب الاحياء أحد أولئك النفر القلائل الذين بحكم حياتهم الادبية المديدة قد عاصروا الجيل الحاضر والجيل الذي قبله . ذلك أن بورجيه الذي ولد عام ١٨٥٢ قد أخرج للناس اول كتاب له وهو في الحادية والعشرين من عمره أي منذ ثلاثة وستين عاماً . فتاريخ الادب قد ذكر اسمه بين كتاب القرن التاسع عشر الذي قضى فيه ما يقرب من خمسين عاماً من حياته قبل أن يذكره المؤرخون الحديثون في عداد الكتّاب المعاصرين . وكما كان بورجيه بحكم شيخوخته الادبية ليس أديباً معاصراً فقط ، كذلك كان بحكم تفكيره مفكراً لا يعيش في العصر الذي يعيش فيه . لقد ظل بورجيه حتى موته يحيي بأفكاره في شبه غرفة يستمد لها الوحي والالهام من كتب القرون الغابرة . ظل حتى موته يؤمن بالملكية المطلقة وسلطة رجال الدين ويدعو إلى العودة اليهما في شعب جرت مبادىء الديموقراطية في دمه وروحه .. . من هاتين الناحيتين يختلف بورجيه عن ذلك العدد الزاخر من الكتّاب المعاصرين الذين ترعرعوا في ظلال العصر الجديد فمنهم من احتفظ في آدابه بفكرة (الفن للفن) وبقي بعيداً عن محيط الحياة الصاخب . ومنهم — وهم الغالبية — من أبت شدة احساسه وقوة شخصيته أن يعيش الى النهاية على هامش الحياة . فنزل الى معتركها . ولما زلزلت آدابه صرخات الصرعى وأوجاع المتألمين في مجتمع يعج بالمتناقضات تردد الصدى في فمه الخالد واذا القلم بين يديه كالمعول يهدم به الطالح ويبني الصالح

على ان بورجيه كان يفوق والكتاب المعاصرين — من كان في طليعتهم — من حيث اقامة فنه القصصي على أساس علمي محض. فقصصه جميعاً تدور حول تحليل العواطف الانسانية المتصارعة وعوارضها الاولى وخصوصاً الغريزة الجنسية وهو في فنه دقيق الملاحظة، عظيم القدرة على التعمق في خفايا النفس مما قلّ ان نجد له نظيراً . ولعلّ هذا هو السبب في أن القارىء الذي لم يرزق صفة الاناة والصبر على قراءة القصص التحليلية لا يلبث ان يشعر بالملل والسأم . لأن إنتاج بورجيه القصصي رغم غزارته ما هو الا وصف وتحليل حالات متنوعة من النفس البشرية

بدت ظاهرة التحليل النفسي الغالبة على فن بورجيه في أول أعماله الادبية حين بدأ حياته الكتابية بنشر مجموعة شعرية سماها (على شاطىء البحر) Au Bord de la mer (١٨٧٣) ثم اتبعها بأخرى عنوانها (الحياة القلقة) [illegible] (١٨٧٤) ففي كلتا هاتين المجموعتين وما تبعهما حاول بورجيه أن يظهر ما وراء ذلك الطلاء الاجتماعي الذي يستر طبيعتنا الاولى من نزعات جياشة ورغبات لا تخمد فأصاب في محاولته نصيباً وافراً من التوفيق . على أن الشعر وما فيه من تكلف وتقييد لم يكن يتفق وأديباً من نوع بورجيه ، يسعى لتمزيق الحجب التي كست بها المدنية الشخصية الانسانية ، يحاول أن ينفذ الى ما وراء الصدور ، يكتشف النيات والاحساسات الغامضة الملتوية ثم يعمد الى تحليلها والوقوف على بعث وجودها . إن هذه الموهبة هي أكثر صلة بطبيعة (الناقد) ومهمة (القصصي) لذا سار بول بورجيه في هذين الاتجاهين وبلغ فيهما شأواً عظيماً

فيما يتعلق بالناحية النقدية من فنه فقد بدأها بورجيه بكتابة دراسات عن كتّاب القرن التاسع عشر وهو القرن الذي عاش فيه النصف الثاني بأكمله . وكان من بين هؤلاء الكتّاب الذين تأثر بهم بودلير وستندال وتين . ولا تزال هذه الدراسات صحيحة ومرجعاً في تحليل من كتب عنهم . أما فيما يتعلق بفن بورجيه القصصي فقد بدأه بعد زيارته لانكلترا عام ١٨٨٤ بقصة (الذي لا يُصلَح) L'Irréparable (١٨٨٤) وهي اولى قصصه القصيرة التي كتب منها العدد الوافر . أما قصصه الطويلة فقد بدأها بقصة (بمرقاس) [illegible] (١٨٨٥) وتلتها (جريمة حب) Un Crime d'amour (١٨٨٦) ثم (أندريه كورنليس) [illegible] (١٨٨٧) ثم (أوهام) Mensonges (١٨٨٧)

لم يكن بورجيه الى ذلك الوقت قد بلغ بعد الشهرة التي اعدها له القدر حتى ظهرت قصته (التابع) Le Disciple (١٨٨٩) ثم تلتها (المرحلة) L'Étape (١٩٠٢) ثم (طلاق) Un divorce (١٩٠٤) وعندئذ ذاع اسمه ذيوعاً كبيراً وكثر تحدث الاندية الادبية والنقّاد به . ولقد كان الباعث على ذلك أمران : الاول عمق التحليل الذي اثبت بنوع بورجيه كعالم نفسي إلى جانب براعته

كقصصٍ من والثاني أن في هذه القصص الثلاث اوضح بورجيه آراءه الاجتماعية والسياسية بصراحة لا لبس فيها ولا مواربة بعد أن كانت تجول في صدره — من دون ان تجلى تماماً — مدى عشرين عاماً

ومما لا شك فيه أن الآراء الاجتماعية والسياسية التي يؤمن بها مفكر من المفكرين أو كاتب من الكتاب إنما هي قبل كل شيء أمر وحي حسيته الخاصة التي تولد معه وتجري مع دمه . فمن الناس من يولد وفي طبيعته ميل غريزي الى الاستبداد ونزوع الى الظلم والسيطرة على الضعفاء بينما يولد آخرون واسعي الصدر محبين للمساواة ، تسود أحكامهم عاطفة العدل . أما أثر البيئات وضروب الثقافة فيقع في المرتبة الثانية من قوة التأثير ولا يمكن أن يطغى طغياناً كاملاً على الطبيعة الانسانية وإذا كان هذا الاثر من قوة ظاهرة فانه هو حين يكون موافقاً لطبيعة الشخص وميوله الغريزية فعندئذ يسوقها الى الامام ويعينها على المضي في طريقها حتى النهاية

كانت نزعة بول بورجيه الرجعية تبدو منذ اوائل أعماله إذ كان فنه قاصراً على وصف الطبقة الارستقراطية والاعتزاز بها والدفاع عنها وقد يكون السبب الذي منعه من ان يدعو لافكاره جهاراً في أدبه هو فهمه لطبيعة شعبه الفرنسي الذي يقدس مبادىء الحرية والمساواة على أن هناك سبباً آخر كان يحول بينه وبين تسخير فنه لبث فكرته السياسية ذلك انه كان هناك ما يشبه التقليد بين الكتّاب الفرنسيين خلال القرن التاسع عشر وهو أن يكونوا في فنهم بعيدين عن التأثر بالمشكلات الاجتماعية والسياسية فكان لكل منهم رأيه الخاص من دون أن يكون لذلك الرأي أثر ظاهر في أدبه الذي بقي فنّاً خالصاً . على أنه في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حدثت في فرنسا حوادث سياسية خطيرة كفضيحة بنما ومأساة دريفوس زعزعت ثقة عدد من الكتاب الثقة في النظام الجمهوري وجعلت مبادىء الثورة الفرنسية الكبرى التي هي أساس هذا النظام موضعاً للمناقشة والتفنيد . على أن الغالبية العظمى من الكتّاب بقيت مؤمنة بقيمة النظام الجمهوري وفائدته مرددة أن ما حدث ما هو إلاّ طوارىء عارضة وان إصلاحها يسير ولا يمكن مطلقاً أن تكون سبباً في قلب نظام قام على تضحيات مئات الألوف من الفرنسيين . وبعد كان الكتّاب الساخطون على النظام الجمهوري في إثر الفضائح السياسية فريقين متناقضين كل منهما يطلب نظاماً اجتماعياً يختلف كل الاختلاف عن النظام الذي يطلبه الفريق الآخر ويرى فيه الصلاح والقضاء على الفوضى القائمة . فالفريق الأول كان يرى في النظام الاشتراكي خير ضمان من عبث العابثين وكان زعماء هذا الفريق أناتول فرانس وجان جوريس ورومان رولان . اما الفريق الثاني فكان يطلب رجعية تعود بفرنسا إلى ما قبل الثورة الكبرى أي إلى حكم الملوك المطلقين

ورجال الدين . ومن أعلام هذا الفريق بول بورجيه وموريس بارس وشارل موراس . ومنذ ذلك الوقت حمل كل من الفريقين فيه ميدأ أو الدعوة لعقيدته يخرج أديبهم من أن يكون فناً للفن إلى معالجة مشكلات المجتمع ومحاولة إصلاحه بالطريقة التي يراها كل فريق منهما

ولقد كان هذا الذي حدث بمثابة تحول هامه في طابع الآداب الفرنسية فيما بعد . فقد ساعدت نكبة الحرب الكبرى وما سببته من أزمات اقتصادية لا نهاية لها وبؤس جاثم على صدور ملايين البشر على ازدياد أنصار الفريق الأول - فريق فرانس وجوريس ورولان — ازدياداً عظيماً نلمسه الآن في أعمال أعاظم الكتّاب الفرنسيين من شيوخ وشبان . بينما وقف الفريق الثاني وعلى رأسه بورجيه عند نقطة ابتدائه . لم ينله أقل تقدم . بل ازداد ضعفاً بابتعاد الحوادث التي سيشهدها الرجعية وعلى ضوء الحقائق الملموسة

في كل من القصص الثلاث (التلميذ) و (المرحلة) و (طلاق) نرى بورجيه يتمسك بأمرين يدعو لهما ويعدد ما يراه فيهما من فضائل . الأمر الأول نظام الحكم الملكي القديم . والأمر الثاني التقاليد الدينية قبل أن يدخلها الاصلاح والتطور . فبينما نراه في قصة (التلميذ) يوغل في امتداح الصفات الارستقراطية ويعتبر التصويت العام خطراً قومياً . نراه أيضاً في قصة (المرحلة) يحاول أن يثبت أن هناك حدوداً لا يجب أن تتعداها الطبقات الفقيرة وأن (المرحلة) التي تفصل بين هذه الطبقات والطبقات الارستقراطية لا يمكن أن تعبرها الطبقة الأولى دفعة واحدة

وقد جعل بورجيه بطل قصة (المرحلة) — ويدعى الدكتور فيران — أحد أساتذة الجامعة المشهورين في فهم الفلسفة الكاثوليكية . وهو حين يصفه لنا يقول (إنه ليس تقليدياً في الدين فحسب بل في السياسة أيضاً . وهو لا يتكلم عن الثورة إلا ليذكر العقائد الجديدة الفاسدة في ثورة ٨٩) فإذا سمعنا الأستاذ فيران نفسه يتكلم رأيناه يعلن أن (جميع القوانين التي نعيش في ظلها منذ مائة عام هي قوانين الغرور والكبرياء) ثم حين يقف فيران في صف أعداء دريفوس — وهم كما نعرف قليلون بالقياس إلى أنصاره — لا يتردد بول بورجيه في أن ينسب ذلك إلى (عبقريته الوضاءة الرزينة) ويدعم ذلك بتأييد آرائه فيقول (إن فرنسا تمزق نفسها في نظام برلماني عظيم التطرف . نظام يقوده أفراد انتُخبوا بواسطة التصويت العام . وبعبارة أخرى تقوده أغلبية من المشعوذين أرسلتهم أغلبية من الجهلاء)

وفي قصة (طلاق) نرى بورجيه يقف مكرساً على الدعوة للكنيسة الكاثوليكية . وفيها يعتبر أن الطلاق مهما كان سببه جالب للكوارث والنكبات

***

من ذلك نرى أن فن بورجيه تقليدي محض . ينكر كل تطور في السياسة والدين تبعته

الافكار الديمقراطية الحديثة . والحق أن طغيان هذه النزعة الرجعية الجامدة على فنه منذ ظهور قصة (التلميذ) قد أصابته بإساءة ليست يسيرة . وخصوصاً الى ناحية القصصية منه

لقد كان بورجيه أديباً ومفكراً . ونحن الآن نودّعه لم نفقد فيه ذلك المفكر الممتاز الذي كانت تُمتدح فيه وتُعلي بقراءته الآن لأنه يمثل روح عصر الحاضر كما كانت الحال مع معاصره أناتول فرنس مثلاً ذلك أن الأفكار التي كانت تسيطر على أدب بول بورجيه لا تمت الى النهضة الاجتماعية الحديثة بصلة . وهي بذلك لم تكن غريبة في فرنسا فحسب بل في العالم المتمدن أجمع والانسانية التي تسير كل يوم الى الامام خطوة جديدة ليست في حاجة الى الافكار التي تعود بها الى الوراء قروناً . ان الذي فقدناه حقاً بموت بورجيه هو بورجيه الاديب . بورجيه الناقد وبورجيه القصصي الذي كان بدقة وصفه وعمق تحليله من أعظم كتّاب فرنسا في تاريخها الحديث

مصر — علي أدهم

فلسفة كبلنج

وبعد وفاة بورجيه فقدت الآداب الفرنسية بوجه عام والادب الانكليزي بوجه خاص ردیرد كبلنج ففقدت به الامبراطورية البريطانية شاعرها البليغ والادب القصصي قصّاصاً بارعاً وملفّق خرافات طالما ادخلت النشوة على نفوس الصغار الذين قرأوها . واذا كان التحوّل الذي يصيب الحضارة من شأنه أن يقضي على اعلاء النزعة الامبراطورية في أدب كبلنج فان روائعه في تلفيق هذه الخرافات ستخلد ما زال في الدنيا صغار يقرأون اللغة الانكليزية

كان كبلنج ملكاً من ملوك الكلام المنظوم والمنثور ينشئ القصص الطويلة (أشهر قصصه قصة كيم «Kim») والاقاصيص وينظم القصائد . فيقرؤه الوف الالوف من الناس الذين يقرأون الانكليزية في مشارق الارض ومغاربها . يقرأونه مختارين مسرورين دهشين ، لا لبلاغة خاصة في اقواله تجري مجرى الاساليب المدرسية القديمة في الادب الانكليزي ، بل لأنه يقول لهم ما يودّون سماعه ، ويصف لهم طبائع الناس واحوال الزمان والمكان وصفاً ينطبق على الحقيقة او على ما يحسبه سواد من الناس حقيقة . فانه كان يقول لهم في مستهل حياته الادبية ، ان البيض ارباب الشعوب الصفر والسود فعليهم ان يتسلطوا عليها ويعتنوا بها كما يتسلط الله على عباده ويعتني بهم ، وان الكون لا ينتظم بالحرية والاباحة ، بل بالقانون والنظام والطاعة . واي ملك لا يرضيه هذا القول ، واي متسلط لا يودّ نشر هذه المبادئ

فقد قال في قصيدة عنوانها « حمل الرجل الابيض » — احملوا حمل الرجل الابيض

وانصرموا حروب السلام الطاحنة اشبعوا فم الجوع وضعوا حداً للامراض . فاذا اقتربتم من مصحتكم اعمدوا سيف القناعة والجهل لئلاّ يقضي على ما اشتهوه

« احملوا حمل الرجل الابيض . ولا ترضوا بما هو دون ذلك . ولا تملّوا عملكم وتحاولوا ستره بستار الحرية . إذ بكل ما تروّمونه أو تهمسون به او تملونه او تهملون عمله ، ستصمكم هذه الشعوب الصامتة ، انتم وربكم في ميزان الحكم »

وقد سددت سهام النقد اللاذع الى هذه القصيدة ، فقال احدهم فيها أنها قصيدة رياء وعارضها بقصيدة اجراها على لسان السود مخاطباً البيض ، وحمل آبها التدمر والتبرم بمنح البلدان التي يقطنها السود وادخلتها السموم والخمور وغيرها من ملابسات المدنية الحديثة التي تهبط بالنفوس الى الدرك الاسفل ، على نحو ما مثلت هذه الاوزار في شريط « الاشباح البيض » .

ولا ريب عندنا في انه لو نظم كبلنج او غير كبلنج مثل هذه القصيدة الآن ، لاهملت كل الاهمال . فالحال قد تغيرت ، واصبحت الصورة السائدة لعلاقة البلدان الحاكمة بالبلدان المحكومة ، علاقة تعاون بين الاخ الاكبر والاخ الاصغر ، لا علاقة السيد بالمسود واذا كانت هذه الصورة لم تصح كل الانصاح بعد ، فلانّ نفراً من الحكام ، لا يزال متأثراً بتلك الصورة الباهرة الالوان ، التي رسمها كبلنج وتغنى بها

***

كان كبلنج يخاطب الشعوب المتكلمة باللغة الانكليزية بوجه خص ، والشعوب البيض بوجه عام نثراً ونظماً ، غير متوخ غريب الالفاظ ومهجور التراكيب ، حتى ولا اساليب الكتابة الكلاسيكية بل كان يعمد الى اللغة المحكية المتعارفة . فكان اذا ادخل في قصة من قصصه كنّاساً انطقه بما ينطق الكنّاسون واذا ادخل فيها بحريّاً انطقه بما ينطق البحّارة . بل ان طائفة من اشهر قصائده كتبها بلغة الجنود في الثكنات وهي التي اسمها Barrack Room Ballads ، وقد أبدع كل الابداع في وصف حياتهم بها . وكانت كثرة الحوار في قصصه واقاصيصه ، وبراعته فيه ، بما يقتضي هذا الضرب من الكتابة ، يسبغ على القصة او الاقصوصة ظلال الحقيقة . وكذلك يشعر القارىء وهو يقرأ كتابات كبلنج كانه يرى هؤلاء الناس ويسمع كلامهم الذي يتكلمون به عادة ولا يقرأ في حوارهم كلة يستغرب صدورها منهم وهذه الصفة تجعل ترجمة كتاباته متعذرة اوصعبة كل الصعوبة على الاقل . وكان يتصف بذاكرة قال بعض اخدانه فيها انها « ذاكرة مصوّرة » اي ان المشاهد كانت ترتسم في ذهنه بحذافيرها ، فاذا وصف مدينة في اميركا ، او قرية في بلاد الهند ، او غابة من الغابات الملتفة في المناطق الاستوائية ، او سفينة في عرض البحر ، حسبته مصوّراً يصوّر لك ما يريد وصفه بألوانه الطبيعية وينفخ فيه نسمة الحياة

كان ينظر الى العالم نظرة الرجل العملي فيقبله كما هو بما فيه من مساوئ وحسنات وحقائق واوهام تتقاذف الانسان في تيارها المصطخب وتسلمه في غالب الاحيان . ومن العبث في رأيه ان يحاول الانسان تغيير المجرى الذي تجري فيه صروف الاقدار . فهو من هذه الناحية شبيه بهاردي ولكنه على طرف نقيض منه في ان كبلنغ يأخذ الارض كلها مسرحاً لابطال رواياته وبطلاتها ومصدراً لاشعة فكره وخياله في حين ان هاردي يقنع بان يدرس منطقة ضيقة من مناطق الريف الانكليزي فيصف دقائقها ويخلص منها إلى النتيجة نفسها وكبلنغ يرى انه اذا كان في امكان انسان من الناس ان يريد الثورة الانسانية برأي او مذهب او استنباط وحاول ان يعمل ذلك في غير الزمن المعدّ له ذهب عمله ادراج الرياح . فلذلك رسم في كتابه « دبتس وكردتس » Debits and Credits صورة كاهن من كهنة العصور الوسطى حطّم مكرسكوبه لانه جاء قبل أوانه . ونص في كتابه « ربوردز آند فارز » Rewards and Fairies حكاية بحّار في عصر الملكة اليصابات تخلّى عن فكر خطر له وهو انشاء سفن مدرعة بالحديد لان زمن المدرعات لم يكن قد جاء بعد . ولكن الانسان يجب ألاّ يتبرم لذلك ينطق احد ابطاله بقوله : « حتى ! اما لي أذهب ؟ كأني حتى امام هذا او امام ذاك كأني لا استطيع ان اطالب بحقوقي . حقوقي ! عتق الله العظيم انا رجل ! » . وقوله على لسان احد ابطاله من رجال العمل في الهند : « شكراً للرب ، لكن المصير ما كان . فاني كافحت مع رجال »

هذه السمة التي يتسم بها ابطال كبلنغ ، هذه الشخصية الانوفة المترفعة المتمهّرة في حصنها ، هي اساس الارستقراطية التي يمدّها ام الناصر في « لمة الحياة »

وقد وقف قصيدته المشهورة « اذا » ! على وصف الصفات التي يجب ان يتصف بها الرجل الرجل ، واليك بعضاً مما جاء فيها : « اذا كنت قادراً ان تحتفظ برباطة جأشك حين يضطرب كل من حولك . اذا كنت تثق بنفسك حين يرتاب فيك الناس . اذا كنت قادراً ان تحلم وألاّ تكون عبداً للاحلام . وان تفكر من غير ان تجعل الافكار غايتك . اذا كنت تستطيع ان تواجه الفوز والاخفاق وتعامل ذينك الدجالين على السواء . اذا كنت تستطيع ان تجمع كل ما كسبته وتغامر به مستعداً ان تخسره وتبدأ من جديد من غير ان تنبس بكلمة واحدة عن خسارتك . اذا كنت قادراً ان تماشي الجماهير من غير ان تتخلى عن فضيلتك . وان تمشي مع الملوك من غير ان تفقد اتصالك بالجمهور . اذا كنت تستطيع ان تملأ كل دقيقة لا تتغير ستين ثانية من الدأب فالملوك والارباب والحظ والنصر خدم لك طائعون والارض لك وكل ما فيها . وما هو اكثر من ذلك . كنت رجلاً يا ابني »

فالارستقراطي في رأيه مهما يكن حسبه او عقيدته رجل كامل . فهذن الفلاح

ارستقراطي صميم وهو يبسم بسمته التي تنم على معرفة وازدراء حين يرى الملاك يتغيرون من رومان ونورمن وسكسون والارض ثابتة لا تحول. هذا وغيره من ابطال كبلنغ ارستقراطيون في رأيه لانهم لا يعنون بأشخاصهم قدر عنايتهم بالمبادىء التي تمثلها اشخاصهم ، لانهم اسياد كرام يقبلون على لعبة الحياة وملء افواههم الابتسام، لا يطلبون عون احد فيها ولا ينتظرون جزاء احمر حين تكلل اعمالهم بالفوز. بل في النادر ما تقع على بطل من ابطال كبلنغ يتحدث او يباهي بما فعل . «فالانسان يجب ان يتألم اولاً ثم يجب ان يتعلم عمله ثم يجب ان يتعوّد تلك الكرامة التي تعلمها المعرفة » : هكذا يقول كبلنغ

وكبلنغ ليس رجلاً يتعلق بأهداب المذهب المحدود والعقيدة الخاصة . فهو القائل اذا حلّ الانسان في محراب الليل اصبحت كل العقائد في نظره سواء . انه لا يحل مذهباً الا بقدر ما يحقق ذلك المذهب في صدور معتنقيه من الفضائل التي يجلها ويعليها . وهو يقول «ان الايمان الذي يحمل الانسان على التعلق به ولو خسر معه هو الايمان الجدير بالاعتناق »

ورأيه في المسيحية ليس مما يعلي شأنها لانه يزعم انها لم تزل من عقول المسيحيين «الخوف من النهاية» وان العالم الغربي يتمسك بالخوف من الموت اكثر من تمسكه بالرجاء من الحياة ! ولكنه يعطف على عقيدة كل انسان اذ يرى ان لا بدّ في هذه الحياة من رادع او وازع لذلك تراه يكتب في وصف هيكل من هياكل رما « كن عطوفاً حين يصلي الوثني لبوذا في كاماكورا»

وهذا يعود بنا الى ما قدمنا عليه الكلام في مفتتح هذا المقال من علاقة كبلنغ بالامبراطورية البريطانية . لاننا حين نذكر دين كبلنغ نذكر دين الامبراطورية البريطانية اذ يتعذر فصل كبلنغ الشاعر والمؤلف عن الامبراطورية البريطانية . وقد قال فيه روبرت غريفس « ان كبلنغ هو الناحية الادبية من الامبراطورية » . فكأن رسالته في الحياة كانت ربط اجزائها برابط متين من الاخاء كذلك لا نستطيع الآن نقول ان مشهد الامبراطورية بجره بلدانها المترامية الاطراف في كل انحاء المعمور واساطيلها الصحفة البحرية والتجارية تربط هذه الاجزاء روابط المصلحة والثقافة . إلاّ ان رأيه في الامبراطورية ونظره اليها ليس نظر رجل سياسي كلّ همه ان يرى بقعة حمراء جديدة في خريطة العالم . ولكن بريطانيا في نظره الآمة يجلها ويعتبرها كرجل متفنن لانها تحتم على اتباعها ان يتصفوا بصفات العمل والصبر وانكار الذات والامانة والكرامة التي يطلبها هو في الرجل الارستقراطي ويصفها على اعظم ابطاله في رواياته واشعاره

***

لذلك يدعو الى تأييد الامبراطورية ليس لان بناءها عمل عظيم بل لانهـا اداة فعّالة في حشد قوى الانسان لمغالبة الكون وترسيخ قدمه في فضائه

عجينة تحقيق الشخصية

النيجاقل او المولاج

لعوض جندي

تشرفت يوم الجمعة ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٣٥ بزيارة الطبيب النطاسي «محمد عمارة» الاستاذ المساعد للطب الشرعي في كلية الطب الملكية المصرية ، وغيرها من معاهدنا الطبية ، وذلك في داره العامرة تجاه مستشفى الدكتور بابابوا في الدقي بالجيزة . واتفق ان كان بيدي حينئذ جزء من مجلة «الميكانيكا العامة الامريكية» ، التي اعتدت قراءتها . وما لمحها في يدي ، حتى قال « لعل هذه المجلة تحوي شيئاً ذا علاقة بالطب الشرعي ، اذ اذكر اني قرأت فيها ذات مرة خبراً خطيراً وهو : — « يعتقد بعض الباحثين في المانيا أن شبكيتي عيني القتيل ترتسم عليهما صورة قاتله »

فدفعت المجلة اليه ليفحصها فما لبث أن اطلع على فهرسها حتى ألفاه يحوي بحثاً قيماً خاصاً بتحقيق الشخصية مما يعنى به حضرته فقرأه . وما فرغ منه حتى سألني . ألا تعرف النيجاقل ؟؟ فقلت أجل . وقد قرأت عنها في شهر ابريل من سنة ١٩٣٠ وذلك في مجلة العلم العام الامريكية ثم كتبت عنها وقتئذ بدقة ، نشرتها مصورة ، احدى المجلات الطبية

والنيجاقل Negacolle هو العجينة الغروية التي تستعمل لالتقاط آثار المجرمين وتحقيق شخصية المجهولين من الموتى والقتلى . وسألته ما رأيك يا استاذ في تلك العجينة الحديثة ؟؟ فقال :

« كنت في فينا منذ بضع سنين فسمعت خبرها ، وقرأت تفصيلات منافعها ، فلم يسعني الا ان كتبت الى مخترعها فبعث الي بمقادير منها استعملتها في تحقيق الشخصية ، فنجحت . وها نذا استعملها في كلية الطب » ثم فتح خزانة كتبه وتناول منها صندوقاً من الورق المقوى فأخرج منه نموذجاً من النيجاقل وأرانيه فاذا به كتلة أشبه بشمع عسل النحل الاصفر واخذ يشرح لي طريقة استعمالها . ثم عرض علي تمثال كف بشرية متختمة ، مصنوعة من النيجاقل ، فرأيتها وفق الاصل البشري تماماً ، فشكرت له رائع بيانه ، وجم أدبه وحسن استقباله لزائريه واصغائه

للاحطاطهم ، ووعدته بالكتابة في هذا الموضوع في المقتطف ، حامل قبس العلم والمعرفة في الاقطار الشرقية لقراء العربية منذ ستين سنة . فاقول :

تقنع اللصوص بوجوه مستعارة ، ستراً لقسماتهم ، واخفاء لشخصياتهم ، فيفرون من شراك العدالة ، ويهربون من غيابات السجون ، وعلى النقيض من ذلك ، غدت الوجوه المستعارة ، المتباينة الانواع ، وسيلة من وسائل تحقيق شخصيات الجناة ، وذريعة من ذرائع اداناتهم . ومما يذكر في هذا الصدد الوقائع الآتي بيانها —

سطا لص من عهد قريب على دار في ولاية ميسوري من اعمال ولايات امريكا المتحدة ، باذلاً جهد استطاعته في اجتناب ترك أية بصمة من اصابع يديه في اي مكان او على اي اثاث ، لئلا تنم عليه عنوقعه في قبضة العدالة يداه نسي بصمات قدميه لم يكترث لها ، فكان ذلك السيان ، الذي لم يكن في الحسبان ، سبب اثبات جرمه ، وزجه في السجن ذلك ان الخبر بي الى المحققين فعمدوا الى مكان السرقة ، باحثين عن اي أثر من آثارها ، فلم يهتدوا الى شيء ذي بال في تلك الدار غير انهم عثروا ، في فنائها بالتربة اللينة على بصمة كعب ونعل حذاء السارق فاستدلوا بهما عليه وانزلوا به العقاب الواجب

ولو وجد المحققون دليلاً كهذا منذ بضع سنين ، لما كانوا يستفيدون منه الفائدة التي يستفيدونها الآن ، اذ كان مستحيلاً عليهم الاحتفاظ به ، اما في هذا الحين فقد تغيرت الحال باختراع العجينة التي تلتقط بصمات الأصابع والاقدام بل كل أثر من الآثار حتى الشعر ، وصفاً لأصله

وحدث في تلك السرقة أن التقطت بصمة نعل الحذاء وكعبه ثم حفظت في ادارة التحقيق وسرعان ما ضاع ذلك الأثر من الارض واستمر التحقيق والبحث والقبض على الاشخاص المشتبه فيهم فكانوا ينكرون تهمة السرقة المعزوة اليهم . ولم يرَ المحققون محيصاً عن فحص احذيتهم حتى عثروا على نعل لأحدهم تبين انها مطابقة من كل الوجوه للبصمة التي التقطتها العجينة من الطين فووجه المتهم بتلك البينة فلم يسعه الا الاعتراف بالسرقة

وعثر الشرطة في غابة بضواحي فينا على جثة شاب قتيل ، زرقاء اللون ، منتفخة الاوداج ، انتفاخاً يعادل ضعفي حجمها الطبيعي ، وشرحوا الجثة فظهر لهم ان القتيل مات موتاً اسود (مخنوقاً) . وشاهدوا بصمات اصابع القتلة ، جلية على حلق القتيل فنقلوا الجثة الى معرض الجثث المجهولة حتى يتعرفها اعضاء أسرته وعندئذ عمد الشرطة الى التلفون حيث خاطبوا احد المختصين بتحقيق الجنايات ، فوافاهم رجل طويل القامة ، عريض المنكبين ، ملتحٍ ، اذ دخل ذلك المعرض وعاين الجثة ثم شرع في عمله بكل هدوء وسكينة فأخرج من كيس كان معه ، حقناً محتوياً على مادة كأنها لحم نيء مفروم فسخنها ثم بردها حتى صارت لينة فالصقها بحذق على وجه

الميت وعنقه ، وجاء بصحفة واسعة الفوهة فملأها من تلك المادة ورشها على رأس القتيل وعنقه وقضى في عمله هذا نصف ساعة ثم أمر بدفن الجثة في عصر ذلك اليوم نفسه

وفي صباح اليوم التالي وصل الى مقر الشرطة تمثال نصفي للقتيل ، آية في الاتقان فلم يمض اسبوع واحد حتى تمكن اهل القتيل من تحقيق شخصيته عند رؤية ذلك التمثال النصفي . وبعد بضعة ايام أتيح لضباط الشرطة القبض على الجاني ، متوسلين الى ذلك ببصمات اصابعه التي تم عليه . فكانت تلك التجربة الناجحة ، الاولى من نوعها ، في حسر اللثام عن الاجرام وتحقيق شخصيات القاتل والمقتول بتلك العجينة التي اخترعها الدكتور الفونس بولر Dr. Alphonse Poller استاذ علم التشريح في فينا . ثم جعل شرطة العاصمة النمسوية يستخدمون تلك الطريقة بدلاً من طريقة « برتيون » لتحقيق الشخصية ببصمات الاصابع

وقد سماها بيجاقل وهي صالحة لصنع تماثيل الاحياء والاموات . وهي مادة لا يزال مخترعها محتفظاً بسر تركيبها ويتاح لصقها بعد تطريتها بالتسخين على اجسام الاحياء والموتى بسهولة ولذلك اصبح معرض صور المجرمين في مدينة فينا متحفاً حقيقياً مملوءاً بتماثيل دقيقة الصنع الكثير من المجرمين والاشرار . وقد تسنى ايقاع عدة مجرمين في حبائل الشرطة بتلك النماذج والبيجاقل تفضل من كل الوجوه ، الطين الحرقي والجبس وغيرهما من المواد المستعملة لصنع النماذج لان تلك المعادن تتطلب عملاً طويلاً متعباً قد ينجم عنه سد مسام جسم الشخص المزمع صوغ نموذج لوجهه فيختنق ، بينما يستطيع بالبيجاقل صنع نموذج طبق الاصل في نصف ساعة . ولا يخفى ان تمثال الميت قد يدل على شبه تقريبي له . ومن المستحيل ان يوضع فيه الشعر والقذال (مؤخر العنق) كما يجب اما البيجاقل فليونته الشديدة تسهل صوغ شبه متقن للشخص المراد تشبيهه حتى شعره ، واحدة فواحدة ، وكل خط من اسارير وجهه او كفه حتى اصغرها . واذا صنعت كل منها بالمداد نشأت منها بصمات مضبوطة . وقد صنعت من البيجاقل نماذج للعصافير فتبين فيها تخريج كل ريشة من ريشها . فاذا شاء المرء عمل شبه من البيجاقل لرأس انسان حي ، اجلسه على كرسي تجاه مرآة ثم جاء بالبيجاقل الذي يكون قد طبخها قبل ذلك بردها حتى تصبح فاترة . فيتناوله بمعلقة ويأخذ في فرك الرأس بها . مواصلاً ذلك ، حتى يتكون من السائل الكثيف ، الذي يشبه العسل الاسود ، على رأس الشخص المدلوك به ، طبقة ثخانتها نصف عقدة (بوصة) على ان يبدأ الصانع عمله من تحت الذقن ويتدرج منها الى ما فوقها فلا ينقضي ربع ساعة حتى يجف ذلك المثال ويتصلب فينتزع حينئذ برمته عن الجسم الاصلي مرة واحدة . وهذا ما يسمى بالصورة السلبية التي تملأ فيما بعد بالمادة الراتينجية ذات اللون المرغوب . اما القذال فيؤخذ شبهه مطابقاً لاصله على النمط السابق ، بينما يؤخذ نموذج الآذان كل واحدة على حدتها . ثم تصب فيما

بعد في قالب واحد مؤلف من شقين . وقد بلغ من شدة مرونة البيجاقل انه يستطاع مط نموذج الاذن الذي يصاغ منها بالايدي ، كما يمط الفار الصغير . اما أُمّ الرأس ، فيستعمل لرش البيجاقل عليها محقنة واسعة الفم كما سبق القول . ويعده من شأنها ألاّ تبيح الشعر ولا تؤثر فيه الاّ تأثيراً ضعيفاً لا يعدو اسباغه قليلاً عند رفع النموذج الصلب عنه

ويصاغ النموذج الكامل للكف بدسها في وعاء مملوء بالبيجاقل المحلولة ثم ابقائها فيه حتى تتجمد البيجاقل حولها فاذا سحبت اليد من الوعاء ممانة ، تركت فيه قالباً معداً لصوغ يد مثلها . اما اذا اريد صوغ نموذج لظهر اليد ، فتوضع البيجاقل فوق ظهر اليد وهي مبسوطة على مائدة حتى تتجمد فتنزع مرة واحدة . ومما يجدر ذكره ان القاتل الغسوي المشار اليه لما قبض عليه تمكن الدكتور بوتر Potter من صوغ مثالين رائعين لراحتي كفيه وظهريهما

واذا اريد صوغ صورة إيجابية، يملأ القالب أمابجبس ، واما بمادة جديدة تسمى (هوميديث) وهي المادة الراتينجية السابق ذكرها وهذه من مستحدثات الدكتور بوتر ايضاً . وهي ذات الوان شتى ويتسنى استعمال نماذج البيجاقل مرة ثانية او إسالتها لتصنع منها امثلة جديدة . وقد ثبت من استعمال البيجاقل انها نافعة لاغراض كثيرة عدا صنع امثلة الوجوه او بصماتها

ومما يروى في هذا الصدد ان جماعة من اللصوص سطت على متجر من متاجر مدينة فينا . وبينما كان رجالها يحاولون فتح خزانة حديدية باغتهم مباغت فولوا أدبارهم فلم يسع الشرطة وقتئذ الاّ الاستعانة بالدكتور بوتر لصنع مثال من البيجاقل لباب الخزانة ظهرت فيه صورة طبق الاصل لبصمات اصابع اولئك اللصوص فلم تمض ايام قليلة حتى وقعوا في شرك الشرطة

واليك حادثاً آخر وهو : — وقعت عدة سرقات في مدينة من اعمال ولاية ايلينوى وكان اللصوص في كل سرقة منها يستعينون عتلة ، على فتح نوافذ البيوت ، فعاين المحققون مواضع الفتح ونقلوا صور الآثار التي تركتها العتلة في اماكن عديدة . وفتشت مساكن المتهمين فوجدت عند أحدهم عتلة تحتوي على علامات كالثابتة في البيجاقل فثبتت التهمة عليه ثبوتاً حاسماً فاعترف بجرمه من فوره

وسرقت طائفة من السيارات في مدينة اخرى في احدى الولايات الوسطى الغربية ، وعمد سارقوها الى طمس معالم الارقام الرسمية المثبتة عليها وذلك ببردها بالمبارد وأبدلوها بارقام مزورة فتمكنت الشرطة من استعادة معظمها ولكنهم لم يستطيعوا ادراك ، هل كان السارقون عصابة واحدة أو عصابات . فصنعت قوالب للارقام من البيجاقل فثبت ان مجموعة الآلات التي استعملت في صنع الارقام على السيارات جميعها واحدة فقط

وسرقت دارٌ من دور الريف وترك السارق ، عند هربه ، آثار قدميه في الوحل ، فالتقطت آثار حذائه بالبيجاقل ثم عرضت القوالب على الجيران . فلما اطلع عليها احدهم حتى تذكر انه كان عنده

اخير يتمل حذاءه ذا نعل وكعب من الصمغ المرن ، يشبهان القوالب كل الشبه، فقبض عليه ولكنه اصرّ على انكار التهمة حتى فتش بيته فوجد فيه حذاء يشبه القالب علماً . ومما تقدم يتضح جليًا كيف يستخدم المحقق العلمي لحل الجنايات قوالب النيجاقل° والاوجه المستعارة المصنوعة منه للحصول على البينات التي تحل معضلات الجنايات وتساعد على تحقيق شخصيات مقترفيها

وان طريقة عجينة النيجاقل من اضبط الوسائل التي أتمرها العلم لالتقاط صور الاشياء الحية وغير الحية وفق أصولها، من أدق الاشياء ، مثل باطن انبوب البندقية الى اكبرها ، مثل بصمة اطار عجلة سيارة مبروزة في التراب وذلك بمثابة قوالب لا تتلاشى تصنع توًّا بنفقات زهيدة

ويتيسر بالنيجاقل صنع وجوه مستعارة لوجوه الاحياء والاموات على السواء. وتكون الوجوه المستعارة التي تصنع بتلك الطريقة مضبوطة بحيث تحتوي على الاسارير الاصلية والعلامات الدنية الدقيقة ومن الميسور اذا مست الحاجة، عمل عشرات من التماثيل نقلاً عن القالب الاصلي واستعمال الوجوه المستعارة في اعمال الشرطة في حل معضلات الجرائم ، أقل منها في الاستدلال على شخصيات المجهولين ومثال ذلك انه إذا اصيب امرؤ بطارىء من الطوارىء فتوفي على الاثر ثم التقطت صورة وجهه بالنيجاقل° قبيل دفنه ، فان هذه الصورة العجيبة تبقى ردحاً من الزمن بعد دفن الجثة ، كوسيلة من الوسائل المتبدة التي تدل على شخصية المصاب المتوفى عند اللزوم . اذ تكون تمثالاً حقيقيًا يفوق الصور الفوتغرافية وكذلك اذا اصيبت يد أو ساق فقطعت صورتها على النيجاقل° واحتفظ بها فانها تظل دليلاً قاطعاً عند التقاضي، يوضح للمحققين مبلغ الاصابة عند وقوعها لصاحبها. والنيجاقل لا تضر الجلد ولا الشعر فضلاً عن سهولة نزعها عند برودتها لانها لا تلتصق بشيء منهما لانكماشها عند برودتها وبقليل من القرن يتيسر حفر فتحتي العينين وتلوينهما ، اما الشعر فيلوّنهما الصبغين وكذلك صبغ البشرة والشفتين لكي تحصل الصورة طبق الاصل البشري تماماً ولذلك كان صنع القوالب الخاصة بالاشياء غير الحية اسهل كثيراً من صنع قوالب وجوه الاحياء . ويستعمل لتلك الغاية مادة لتجميد التراب قبل صنع قوالب بصمات لاطر عجلات السيارات وما شاكلها من الادوات التي تبرز فيه او في الوحل

وللنيجاقل الآن منافع جمة في غير دوائر الجنايات وتحقيق الشخصية اذ تستعمل بنجاح في طب الاسنان والجراحة والجيولوجيا وعلوم النبات والآثار والزراعة، وفي صنع النماذج التي تلزم متاحف الآثار ، لان كثيراً من الناس يؤثرون احراز وجوه مستعارة ملائمة للاصول على غيرها من الصور التي تمثل ملامح الوجوه فقط . لان نموذج الوجه او الرأس الذي يصنع بعجينة النيجاقل° تتبين فيه الصفات القابلة للتلاشي مثل نسيج الجلد وقسمات الوجه وتدل على الطول والعرض والثخانة وهذه كلها اشياء يتعذر على الرسام والحفار رسمها ونقشها[1]

---

(١) عرضت على الاستاذ عبارة نشرها المصري في المقتطف وشجعني على موالاة الكتابة في هذا الموضوع

فلسفة التاريخ

ومكانتها في فهم الانسانية

حنا خباز

إن درس الطبيعة، على جلالة قدره، وارتباطه بمصالح البشر الاقتصادية والاجتماعية، هو درس ناقص ادا لم يكمله درس التاريخ. ذلك ان درس الطبيعة دون درس التاريخ ليس الاّ شذرات مبعثرة لا رابط بين اجزائها ولا غاية تنتهي اليها

والانسان بحسب افلاطون عالم مصغّر « Microcosm » او كون صغير، فدرس الانسان يوضح معنى الكون، وأما درس الكون فلا يوضح معنى الانسان. لذا كانت فلسفة التاريخ اكمل الدروس البشرية وأوفرها لذةً، وأشدها تأثيراً في تنوير العقل، وارتياحه الى الحقيقة الجلية التي تهواها النفوس. وهي — اي الحقيقة — غاية النفس، تجوع اليها جوع العين الى النور، والاذن الى الصوت، والقلب الى الحب. فمن لم يطلع على فلسفة التاريخ كانت ثقافته ناقصة مهما يحرز من العلوم والاختبارات

والانسان والطبيعة قرينان، بل هو ابن الطبيعة ولبابها، ورسم جوهرها، وتاجها فدرس الانسان درساً كاملاً، هو كناية عن درس الكون بأجمعه. لذا كان قول الحكيم سقراط « إعرف نفسك » من جوامع الحكم. فالقضايا المختصة بالمجموع الانساني، كالاعمال والجهود والسياسات والعادات والشرائع والفنون والفلسفات، هي أشياء حقيقية كالاجرام السموية والمظاهر الجوية والالفة الكيمية والاشعاع والجاذبية ونحو ذلك من الموضوعات الطبيعية

إن الميل لاستخراج اسمى الصور بواسطة ادناها هو هو في الانسان كما في الطبيعة والمنهج القويم في درس هذا الكون هو الابتداء بالانسان. والتدرج منه الى الطبيعة. لان الاعلى يشتمل على الادنى ويفسره. واذا صحّ ان تاريخ الانسان هو استمرار الخليقة لزم عن ذلك ان القوة المبدعة لا تزال عاملة، وأن تلك القوة، وعلاقاتها بصور الخليقة الراقية، يمكن درسها في تاريخ الانسان بأوفر سهولة وأتم وضوح من درسها في ميدان الطبيعة. فالقوة المتصرفة في الطبيعة

هي العمل ، والعاملة في الانسان هي الارادة . من هنا تتكشف لنا الفكرة المركزية في فلسفة شوبنهور « الكون ارادة وتصوُّر » يعني ان القوة التي هي الكون بأجمعه تتجلى في كل الاوساط الآلية وغير الآلية على واحد مختلف الاسم والصفة ، ففي المواد الآلية وغير الآلية تبدو لنا « جاذبية ملاصقة » ، و « ألفة كيمية » وفي الاحياء استمساك بالبقاء ، وفي الانسان ارادة وتصوُّر . فهي عروس واحدة تغير اثوابها في هذه الحالات الاربع

وتتجلى لنا هذه الفكرة في فلسفة سبنسر المركبة ، التي قضى اربعة وثلاثين عاماً في تأليفها . بدأ بها بالطبيعة والنواميس الحاكمة فيها . ثم تدرَّج منها الى الحياة — بيولوجي — وأبان ان تلك النواميس هي نفسها عاملة في الاحياء عملها في الجوامد ، مع تنوُّع الصبغة . ثم ارتقى من ذلك الى علوم النفس — سيكولوجيا — فأوضح عمل الناموس ذاته هنا كما هو هنالك . وانتهى بالاجتماع — سسيولوجيا — فكان الناموس — او القوة — خيطاً ذهبيًّا يحوك شبكة متسلسلة ذات مراتب متفاوتة هي المادة والآلية والحياة والنفس والاجتماع

وفي فلسفة سبنسر نفسها قاعدة عامة هي : تطبيق الحي على الوسط الذي يعيش فيه . وذلك التطبيق أو الملاءمة هو العامل في توليد الانواع . وبعبارة اوضح اقول ان اول حوافز الانسان لدرس الطبيعة كان جعل المحيط ملائماً لشؤون الاحياء . اعني ان الانسان مرغم طبعاً بدرس الطبيعة واستكناه نواميسها ليتمكن بذلك من تحصيل قوته الذي يأكله والمنزل الذي يسكنه . وكان على الانسان ان يدرس أحوال النهر الذي يجري في جوار مأواه ليتقي اضرار الفيضان ، وان يدرس طبيعة الشمس التي ترسل اشعتها على جسمه الآلي من علٍ ، وان يدرس القمر والنجوم ليهتدي في سراه . ولم تكن ثمة مندوحة عن فحص الانسان في هذه الموضوعات . فماذا نحن ؟ : ومن أين نحن ؟ : وما هي ماهيته هو كانسان ؟ . ولماذا كان في وسط هذا المشهد قصير الاجل ؟ . وماذا سبقه ؟ . وماذا سيليه ؟

فكانت الاجوبة والتفاسير التي جمعها الانسان هنا وهناك ، الكتلات التي ألفت النظم العلمية والفلسفية والدينية وتبين الانسان في ختام البحث المستفيض انه هو — الانسان — اهم موضوعات البحث العقلية واوسعها مجالاً . وانه وهو في الرحم جنيناً كان عالماً واسع النطاق ولا ذرَّة فيه دون تاريخ، ولا جزيئة بلا وصف واسم . بعد ذلك ولد الانسان في اسرة ، في مدينة او قرية ، في دولة او جمهورية ، في حقبة من الدهر ، فتحتَّم عليه ان يدرس اسرته ووطنه وعصره ، وما ارتبط بذلك من موضوعات البحث كالاجناس البشرية واللغات المتنوِّعة من فردية المقاطع ومتعدِّدة المقاطع . فقد بلغت امته مرتبة معينة في المشهد الانساني ، فما هي نسبتها الى اخواتها الامم الأخرى وما مقامها في المجموع ، اقتصاديًّا وعلميًّا وخلقيًّا وعسكريًّا واجتماعيًّا ، وما هو ماضي تلك الامة ، وكيف توصلت الى موقفها الحالي ، وماذا يتوقع منها في المستقبل ؟

وكما ان الفرد الواحد من الاحياء لايموت لمجرّد موت او انحلال — الخلية الواحدة في نسيجه الخلوي، هكذا الحس البشري لا يموت بموت الفرد الواحد من الناس كائنة ما كانت منزلته ومقامه

ان فلسفة التاريخ تصوّر لنا الوحدة والنظام فماذا نعني هذه الوحدة ؟ وما معنى هذا النظام ؟

الجواب عن الاول، ان تلك الوحدة تعني وحدة الاصل والعلة، وحدة الطبيعة، وحدة الروح او النفس، تتجلّى تلك الوحدة في جميع الافراد، وفي جميع العقول فترى العقول كافة تخضع لحكم الناموس الواحد في الطبيعة وفي الرياضة وتبادل التفاهم مبني على تلك الوحدة ولولاها انعدم الاجتماع وانعدمت العلوم والاشتراع على ان تلك الوحدة لا تتناول الصفات الثانوية او العرضيّات كاللون والاقليم وهي تميل الى كونها وحدة في اقتسام المنافع، وتحصيل الالزام، والاشتراك في ناموس المنافع الاجتماعية او التماسك الاجتماعي فالمرء صغير بذاته قوي بقومه، وذلك الناموس — ناموس المتانة الاجتماعية — يجعل خير الفرد خير الجماعة. ولا اعرف اسماً اجدر بتلك الوحدة من كلمة « انسانية ». فهو اسم يشتمل على المعنى الجنسي والاخلاقي في الفرد وفي المجموع لانه يعرب عن الحقيقة الذاتيّة، والعمل المباشر الذي به تتصف الافراد في مجموعها

يتبع ذلك ما ندعوه وحدة « الغاية » التي تجعل تقدم الانسان اجتماعيًّا عبارة عن تحقيق النفس والترابط في الحالات الاجتماعية والصفات التي ابدعها الانسان في اوضاعه النفسية والاخلاقية والعقليّة والدينية، تلك الصفات التي بها هو « انسان ». واذا درسنا عادات الانسان ونظمه ولغاته ودياناته وفنونه وآدابه ومسارحه ودرجات مدنيته بدا لنا درساً ظاهريًّا بعيد الآفاق. ورأينا ان تلك الاشياء تعرب عن تباينات شتى في شتى الامم وشتى العصور والاماكن، مع ذلك هي تعرب عن وحدة عقلية ناشئة عن ارتباطها بالعقل الذي هو مصدرها واذا تعقبناها ألفيناها تنمي الى وحدة في طبيعة العلة الفاعلة، التي ابرزتها. وانها مطاوعة لشرائع كائن، ومتأثرة بنواميس خارجية، وبحكم ذلك الكائن وهذه العوامل جرى الانسان في كل عصر وفي كل مصر على نظم العائلة وتأليف العشيرة، وعلى ضم العشائر بعضها الى بعض لتكوين الامة، ومجموع الامم تؤلف الانسانية او النوع الانساني على الوحدة في كل الدنيا

فهل نشأ الشرائع والنظم الاجتماعية في كل امة بحكم الصدفة والعرض، كلا، انما نشوء تلك النظم المتماثلة يسفر عن وحدة الاصل الفاعل في كل هذه الاوساط. ومع ان تنوعها يعلن تباين احوالها، فاتفاقها يبدي وحدة اصلها كذلك الصناعة والفن، وهي جهود اختيارية، نشأت عن عمل النفس متأثرة بالوسط الجغرافي. قس على ذلك التجارة والمال والاحوال الاقتصادية، فانها كلها راجعة الى نواميس الاصل الواحد وتأثيراته

ومن هذا القبيل آداب اللغة فهي واحدة في اصلها، متنوّعة الصبغة والاعراض الثانوية

فتؤلّف هنا اقاصيص حماساً . وهناك اشعاراً عاميه ، وهناك حزريات وروايات ومُلَحاً ونكاتٍ ومعلقات وقصصاً رائعة فتانة، على انها في كل تلك الصيَغ تعبّر عن حال القوم الروحية والدينية اعني انها يعرب عن حال الامة الداخلية فهي مقياس تمدنهم وضابط مصيرهم . وكما ان الماء لا يرتفع عن مستوى مصدره، كذلك الامة لا يمكنها ان ترتفع عن مستوى ديانتها والافراد الاشبهون كالخلايا الفسيولوجية، متعاونة ، متبادلة المنافع ، منصهرة في تراث السلف ، مورثة جهودها للخلف ، لحياة الانسانية واحدة ، وخبراتها ملك مشترك للعموم . واذا كانت الوحدة عسيرة فالتشعب أعسر . لان العواصف ، وتنازع القوى الطبيعية ، لا شيء اذا هي قيست بثورة العواطف الانسانية ومنازعات الارادة وتضارب المصالح والاهواء . ومتى كانت الذات مركزاً فلا مندحة عن التصادم بين الافراد والجماعات . وان حروب الامم الهمجية عمل سخيف ، الاثر صغير ، بالقياس الى حروب الامم التي بلغت منزلة عالية من الثقافة والعلوم ، وبلغت ارقى ذرى المدنية والاختراعات العصرية

في وسط هذه الفوضى نلمح آثار النظام . واذا لم يكن هنالك من ناموس ونظام في التاريخ فليس في حياة الانسان الا الصدفة العمياء . واذا انعدم الناموس في الانسان افيمكن تصوّر وجوده في الطبيعة ؟ واذا تصوّرنا وجود الناموس في طبقات الكون الدنيا دون العليا فأي كمال أو رسوخ يمكن ان يكون في الكون ؟ فان العقل المضطرب لا يمكن استقراره في طبيعة متكاملة النظام ، وافتراض نواميس طبيعية لا تختلف في عقل غير مرتبط بنظام هو امر غير معقول كافتراض حروف هجائية معينة في آداب لغة غير منظمة ولا مفهومة

لذا كان من رغبات المفكرين ان ينشدوا الناموس والنظام في التاريخ كما تجلّى لهم في الطبيعة واستجلاء ذلك الناموس هو فلسفة التاريخ . على ان بحثهم هنا هو ابطأ ، واملهم بالفوز هنا اقل منه هناك . لانه لا يسع الانسان ان يتصوّر كوناً تسوده المشيئة الالهية والعقل فيه فوضى . وبدون ذلك الرابط تكون التواريخ حوادث مبعثرة من دون ناموس ولا مصير ولذا وجب الايمان بالناموس في التاريخ كما في الطبيعة حوله . وهذه الفكرة تؤدي بنا الى علوم الكلام فتجعل مجرى الكون خاضعاً لمشيئة الله . فالحرية تسود السماء والضرورة والقدر الاعمى الارض . هذه هي قاعدة لاهوت اوغسطينوس وأكويناس وفلسفة سبينوزا ولبنتز

ولكن فكرة النظام ، وهي ضرورية في كلا الوسطين ، الطبيعة والتاريخ ، نراها مع ذلك جلية في هذه ، غامضة في ذاك . ففي الطبيعة قوّة ثابتة لا تختلف ولا تكلّ . اما في التاريخ فالقوة الفاعلة هي ارادة متقلبة متعارضة . فالنواميس التي تسود التاريخ هي عقلية لا طبيعية ، اقناعية لا ارغامية . وهي في التاريخ نوعان ، حادثة ودائمة . وما يبدو لنا من التذبذب في حياة الدول ليس الا ايماناً تحوّل الى حقيقة في بعض الارادات والعقول . وذلك يوضح لنا ان النظام في التاريخ عقلي

لا مادي . وعليه فحركة النظام في التاريخ هي تقدّم . وهي كناية عن جهد العقل لتحقيق ذاتيته ، وامتلاكه الحرية من صولة المادة ، وبالتالي تحرّره من القيود الطبيعية والسياسية والاجتماعية ، تلك القيود التي تؤخر ارتقاءه او تعارضه

ان تصورنا النظام في التاريخ يقتضي تصوُّر علته ، وعلته هي العقل او الذهن او الفكر ، تلك القوة المنبثة في الطبيعة ، واللابسة ثوب الشخصية في الانسان

الانسان معطية النظام ، فيعيش في النظام وبه يلوذ . وليست العقلية المذخورة في الطبيعة هي العامل الوحيد في الانسان بل ان هنالك عاملاً آخر فيه هو الهيئة الاجتماعية ولا يكون الانسان انساناً دون هيئة ونظام وكلما تقادم عهد الجنس ازداد خلود السلف في الخلف . ولا يعيش الجنس بمعزل عن اصله ومصدره . فبأي منهج ، وبأي عامل ، بلغ تصور النظام حياة الانسان ، اولاً في العشائر البدوية ، ثم في القوميات ، وأخيراً في صورة دولية — عامة — ؟ وكيف تغلب التقدم الجنسي على ما في صدر الانسان من النصانية ؟

الجواب : — إن في تيّار الهيئة الاجتماعية ميلاً الى خلق النظام ، واستبدال الغيرية من النصانية . لان انتظام الهيئة ، وحرية حركاتها لتبلغ ارقى درجاتها يستلزم الاملات من قيود الاستئثار الفردي فتتمكن الهيئة من توزيع المنافع على الافراد . وجهود الهيئة انما هي محاولات لادراك افضل حالات النظام الضامن الانصاف في ذلك التوزيع . فالاجتماع خلق الغيرية . والغيرية آخر ملجأ يلوذ به الانسان لضمان كيانه وسعادته

وفي نفس الانسان غريزة حب البقاء . وحب البقاء يستلزم العدول عن العوامل الوحشية في النفس لانها تتحوّل مع ارتقاء الانسان الى عوامل اعراض وفناء . فالانسان لكي يبقى ، مضطرٌ ان يعدل عن الحروب لان الانسانية تحتمل الحروب وشن الغارات في اطوار طفولتها وصبوتها . اما في حال ارتقائها ورشادها ، وبلوغها ارقى ذرى العلوم والاختراع فيتعذّر عليها احتمال الحروب . فترى امامها احد مسلكين لا ثالث لهما اما السلم او الفناء . والسيادة العظمى في الهيئة الراقية للمثل الاعلى Ideal والتصورات المتصلة بتلك النزعة العالية هي افضل العوامل في تدرّج الانسان في معارج الارتقاء

فالنزاهة ، واحترام المصلحة العامة والتضحية بالمصلحة الفردية في سبيل المصلحة العامة ، تلك الكمالات الروحية ، هي غاية مسير الطبيعة في الانسان ، وفيها تحقيق احلام المفكرين والشعراء من عهد افلاطون حتى الساعة . وانكار ذلك علينا هو خلل ادّى الى حصوله التقمص الملابس الانسانية والعقلية الفردية في عهد طفولتها ، وستمرّ العصور وعشرات القرون ، قبلما يتمكن الانسان من بلوغ المنزلة السامية التي تسعى الانسانية الى بلوغها . تلك الغاية السامية هي اثر الله في الطبيعة واثره تعالى في الانسان ، وفي الاجتماع

النباتات المصرية

القديمة : الفواكه

للدكتور حسن كمال

(حدائق الفاكهة) كانت المعابد المصرية القديمة الملحقة بالمعابر وكذا قصور العظماء تحوي في أغلب الاحيان تكاعيب العنب (الكرم) . اما الفلاحون فكثيراً ما زرعوا الكرم بالقرب من منازلهم وفي حقولهم ليستريحوا في ظله من عناء العمل وقت الظهيرة . ومما يشير الى شدة عناية القوم بالفواكه ما ورد في خطاب ناظر زراعة سجل به محصول حديقة الفاكهة التابعة لمعبد رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق . م .) من ان اشجاره المالكية انتجت ١٠٠٠٠ قفة من فاكهة الرمان و ١٠٠٠ قفة من العنب . وجاء في موضع آخر انه تمكن من استخراج ما مقداره ٣٢٥ لتراً من النبيذ و ٢٥٠٠ لتراً من عصير الرمان و ٢٥٠٠ لتراً من شراب يقال له موت (قرطاس انسطاسي ٤ — ٦ و ٧) وجاء بقرطاس هريس (١٩ ب ١٣ — ٢) ذكر لمقدار ١٥٥ قطعة من الرمان للمائدة و ١٢٤٠ شوال من الرمان لاغراض اخرى و ٣١٠ آنية من الزيتون . وجاء بقرطاس هريس ايضاً (١٥ ب ٣) ذكر لتعداد ١٣٥٢ مكيالاً كبيراً من الزيتون يظن انها جمعت لاستخراج الزيت . هذه المقادير العظيمة دليل كاف على عناية القوم بانماء اشجار الفاكهة

وتلاحظ على الآثار التي يرجع تاريخها الى ما قبل حكم رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق . م) رسوم لسلال مملوءة عنباً (مقبرة تحتي — دمر ٢٢ ٢٥) وورد بمقبرة سفارة اسرة خامسة (٢٥٦٠ — ٢٤٢٠ ق . م) ذكر لاشجار الجميز والنبق والدوم والتين وغير ذلك

ويستنتج من رسوم الحدائق المصرية القديمة انها مقسمة الى عدة اقسام تفصلها عن بعضها ممرات مظللة بالاشجار وتروى بواسطة قناة صغيرة متصلة بالنيل . وللحدائق صروح جميلة المنظر وبالقرب من المدخل تشاهد عادة حجرات البواب والمستخدمين والسلاملك تلي ذلك تكاعيب العنب (الكرم) ثم عدة حجرات او اكشاك للاستراحة . وحول التكاعيب تزرع عادة صفوف من النخيل

والدوم وكثيراً ما يزرع هذان الاخيران حول الحديقة من داخل السور ايضاً . وتوجد حياض المياه في وسط الحديقة او في حواليها وكثيراً ما يتمكن الباحث من تمييز شجر الرمان والتين من بين اشجار الفاكهة بالشكل الواضح لكلٍّ منهما . اما تكاعيب العنب (الكرم) فكانت مقامة على اعمدة خشبية منتظمة التركيب بشكل شوارع او مماشي غاية في الاناقة وسلامة الذوق

***

﴿ العنب ﴾ ويقال له باللاتينية (Vitis Vinifera) وبالانكليزية (Vine) كان يزرع في مصر منذ اقدم العصور التاريخية فاستعمل القوم رسم تكعيبة العنب حرفاً في الخط الهيروغليفي العتيق قال ديودورس الصقلي (ج ١ — ٢ ٨) ان اوزوريس هو الذي عمّم زراعة العنب بالارض وعلّم الناس صناعة النبيذ لذلك اعتبره القوم اله الكروم وقربوا له بعض العنب قال فلوطرخس (رواية ازوريس وازيس ٩) ان المصريين اعتبروا النبيذ ممثلاً لدم الاعداء الذين قهرتهم آلهتهم وهذا هو السبب الذي حمل اليونانيين في اواخر التاريخ المصري القديم على تشبيه (اوزوريس) بمعبودهم (باخوس) وجعل القوم ايضاً يرسمون (اوزوريس) جالساً تحت تكعيبة العنب[1] . ونعلم ايضاً بمرى عادة تقديم العنب لاوزوريس[2] . ووصف الاستاذ بايه (Bénédite) تمثالاً لازوريس عثر عليه ماثلاً لابساً قلنسوة طويلة مدببة على رأسه مائلة نوعاً الى الوراء ومطوقاً صدره بكوفية وحاملاً سلة على ظهره شبيهة بالمستعملة في جني العنب وواضعاً احد اصابعه في فمه وممسكاً بيده الاخرى على مقدار كبير من العنب يعلوه ظل ممسكي راعياً رأسه ويعلو رأسه قرص الشمس وفسر ذلك الاستاذ (بايه) بان هذا التمثال يمثل ازوريس إله الموتى في مملكته الزراعية ومنسوباً اليه فيها زراعة العنب

وجاء في مجلة المعهد المصري العلمي (١٨٨٤ سلسلة ٢ رقم ٥ ص ٣٣ رقم ١٨) ان الزبيب (المعروف في بلاد الشام بالمرتّق) الذي عثر عليه في احدى المقابر المصرية القديمة هو من النوع الاسود الكبير الحجم واستدلّ من تباين احجام بذور هذه الفاكهة على انها من انواع متعددة على الارجح . وعثر على كثير من اوراق العنب بالمقابر المصرية طبقتها الداخلية تعلوها شعور بيضاء دقيقة (مجلة المعهد المصري ١٨٨٥ سلسلة ٢ ص ٢٦٩) مما يميزها من انواع العنب التي تزرع الآن

والمعروف ان العنب من الفصيلة الكرمية (Vitaceae) التي تشمل الآن اربعين نوعاً اقدمها النوع المصري القديم المعروف باسم (Vitis Vinifera) واليه ينتمي نوع العنب المعروف باسم (Vitis Sylvestris) المنتشر على سواحل البحر الابيض المتوسط والواصل حتى بلاد القوقاز شرقاً والمانيا شمالاً والمعتبر الآن اصل العنب الحديث

(١) Budge, By Nile & Tigris I p 536 pl. (٢) Bibl. Egypt. t XVI p 3..

وورد عن اليونان انهم صنعوا النبيذ بكثرة في عهد (هوميروس) فاستدلَّ بذلك على كثرة زراعة العنب هناك وقتئذٍ ولا بدَّ ان تكون زراعة العنب وصلت ايطاليا من عهد بعيد ايضاً والغريب ان العنب المصري القديم هو المزروع أيضاً ببلاد امريكا بولاية كاليفورنيا وذلك بكثرة ويقال للعنب بالمصرية القديمة (بارورت)

* * *

٣ — (الرمان) ويقال له باللاتينية Punica Granatum وبالانكليزية (Pomegranate) اقدم رسم لشجرة الرمان على الآثار المصرية هو الوارد بمقبرة في تل العمارنة من عهد اخناطون (١٣٧٥ — ١٣٥٨ ق . م .) (بتري تل العمارنة ل ٣٢) . واورد الدكتور أونجر Unger رسوماً لهذا النبات مأخوذة من مقابر طيبة قال بلينوس (١٣ — ٣٤) ان رمان طاموس يمتاز عن رمان مصر بان اوراق احدها حمر واوراق ثانيها بيض . ويستدل على كثرة زراعة الرمان بمصر من العبارة الواردة بقرطاس انسطاسي (٤—٦—٧) ومضمونها ان ما جمع من الرمان من احدى الحدائق وقتئذٍ بلغ عشرة آلاف قفة . وقد عثر الاثريون على كثير من فاكهة الرمان من تلك العصور . وبدور تحف اوربا تحوي ثمار هذا النبات (طورينا رقم ٣٦٠٨ وبرلين رقم ٤٤٩ ولندن رقم ٥٣٦٧ وليدن رقم ٢ — ٣ و٦ الخ)

واكل القوم الرمان كفاكهة وصنعوا منه شراباً سمّوه (شيدو) (لوريه نبات مصر القديمة ص ٧٨) وذكروه دائماً مع النبيذ . قال المرحوم كمال باشا ان محصول بستان رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق . م .) كان يشتمل على عنب ورمان وثلاثة انواع من الشراب هي النبيذ العذب (اي عصير العنب) والنبيذ المعتاد وشراب الرمان

ووردت وصفة طبية لمستحلب مصنوع من جذور الرمان واخرى من قشر الرمان قصد طرد الديدان المعوية . فقد جاء بقرطاس ايبرس (ل ١٦ س ١٥ و١٨) ان قشر ثمرة الرمان اذا مزج بالماء وعُصر وروّق وشُرب دفعة واحدة طرد الديدان المعوية . ولا يزال هذا العلاج مستعملاً في الطب الحديث مع بعض التعديل

واول من ذكر الرمان عند اليونان هو ديوسقوريديس (١ — ١٥٣) وفي عام ١٨٠٧ ادخل بوكانان (Buchanan) استعمال قشر الرمان في الطب الاوربي

والمعروف عن هذا النبات انه قديم جداً . وقد ورد ذكره بالتوراة . واسمه عند الرومان (Malum punicum) مما يشير الى انهم عرفوه من قرطاجنة (Carthage) كما رواه بلينوس ومن هنا نشأت الفكرة بان الموطن الاصلي لهذا النبات شمال افريقيا

قال المرحوم كمال باشا (لآلىء درية ص ٣٠ و ٣١) ان الرمان ليس مصري الأصل وان اسمه بالمصرية القديمة هو (إنهمان وإرمان) — وان الاسم الاخير يرجع لفظ رمن والغالب انه من بلاد فارس . قال لوريه : والهيكسوس هم الذين أدخلوه مصر حينما أدخلوا اليها الخيل من آسيا وذلك في العصر (١٧٠٠ - ١٥٠٠ ق م) لان اقدم رسم للرمان هو الوارد في عهد إخناطون (١٣٧٥ — ١٣٥٨ ق . م .)

* * *

٣ — (الجميز والتين) اما الجميز فيقال له باللاتينية Ficus Sycamorus وبالانكليزية (Sycamore) وكان مقدساً عند قدماء المصريين (هرم اوناس ص ٥٥٥ وتتي ٣١٦) وخصوصاً في القسمين الخامس والسابع من الوجه البحري . وحيث كانت شجرة الجميز من اقدم الاشجار المصرية واشهرها جُعل اسمها (نهي) علماً على مصر فسميت مصر (نهي) ايضاً وكثيراً ما رسم القوم شجرة الجميز والمعبودات (نوت) و (حاتحور) و (نايت) خارجة منها . وورد عن الكاتب (آني) انه لما توفي كان يستظل في الآخرة تحت شجرة الجميز (Rec. de Mon. I p 70) وزعم القوم ان ازوريس دفن في تابوت من خشب الجميز (Rec de trav III 53)

من ذلك يتضح ان الجميز مصري الاصل . ووجد من ثمره مقدار جاف في المقابر وسلال مملوءة بثمره وورقه في توابيت الموتى وكان يصنع من خشبه التوابيت والاثاث والتماثيل . وكثيراً ما تشاهد اشجاره مرسومة على جدر المقابر . وفي بني حسن — اسرة ١٢ (٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق م .) رسوم يستدل منها على كيفية جني ثماره . حيث تشاهد شجرة جميز كبيرة خالية من الاوراق بين افرعها ثلاثة من القردة تجني ثمرها وتلقي به على الارض فيلتقطه رجل في سلال معه . وتأكل بعض بيدها الاخرى

وكثيراً ما ورد الجميز في وصفات الادراج البردية الطبية بخصوص مرض المعدة والامعاء وجميع متاحف اوربا تحوي قمصاً من الجميز اصطف من العهد الفرعوني . محفوظة جيداً

* * *

(واما التين) فيقال له باللاتينية (Ficus Carica) وبالانكليزية (Figs) وورد مرسوماً على موائد الموتى منذ الفراعين واستعمله القوم في الطب (لوريه نبات مصر القديمة ص ٤٧)وصنعوا منه نبيذاً (ماريت — مصطبة ص ١٨٠)

والتين والجميز من فصيلة واحدة اسمها باللاتينية Ficus ووجد شوينفورت بالمقابر المصرية التين المعتاد

وللتين عدة اسماء بالمصرية القديمة منها (تون) وهو أصل لفظ تين على الارجح — كمال باشا (لآلىء درية ص ٣٠٠)

***

﴿ ٤ البلح ﴾ ويقال له بالانكليزية (date) وجدت منه قدماً انواع عديدة بوادي النيل (تيوفراستوس تاريخ النبات ٤٢٢ — ٨ و ٩ و بلينوس تاريخ طبيعي ١٣ — ٩) وورد رسم النخيل في عدة مقابر مصرية قديمة (روز ألليني ج ٢ ل ٦٩) والنخيل المصري القديم يعرف في اللاتينية باسم (Phoenix dactylifera) وبالانكليزية (date palm) وعثر (دي مورجان) على نوى البلح بمصر من العهد الحجري [1] ومثيره (شوينفورت) و (بتري) على الآثار [2] قال استرابون (١٧ — ٨١٨) ان اجود انواع البلح هو المزروع بالاقصر

وصنع المصريون اعمدة معبدي ساحورا [3] وادفو بهيئة النخيل . وزيّن القوم حدائقهم بهذا النبات البديع (قرطاس هاريس ل ٢٧ س ٢) كما وجد مرسوماً على صحيفة قبر (Stela) بدار تحف القاهرة [4] وأكل المصريون البلح غضّاً (قرطاس هاريس ٢١ — ب) ومجففاً (هاريس ٤٤ — ١ — ٩) ومسكّراً في عسل النحل ومحوّةً (هاريس ٢٧ — ١ — ٥) وصنعوا كما صنع اهل العراق منه نبيذاً هو اصل مشروب العرقي . قال المرحوم كمال باشا (بغية الطالبين ص ٣٤٣) ان المصريين صنعوا منه ايضاً عسلاً سموه (اي — ت . مر)

***

ووصف القوم البلح في قراطيسهم الطبيّة كمليّن (ايبرس ٧ — ٧) وكمدرّ للبول (ايبرس ٤٨ — ٢٢) واخذ ذلك عنهم بلينوس حيث اشار باستعمال هذه الفاكهة في امراض المثانة والمعدة والامعاء (تاريخ طبيعي ٢٣ — ٥١) وصنع القوم من الياف النخيل الحبال . واسطول الملك ساحورا (٢٥٥٠ ق . م .) كان يستعمل حبالاً لسفنه طول الواحد منها ثلاثمائة ذراع (قرطاس تورينو ١٠١ ـ ١ ـ ١ و ٩) مصنوعة من الياف النخيل « دابة في المتانة » على حد تعبيرهم . (قرطاس تورينو ١ ـ ٤) . واستعمل ايضاً لغسيل (ديميخن ٤) حيث ورد فيه العبارة الآتية « تغسل درن رأسه وتنظف رجليه بليف النخل » واتخذوا منه مماسح لنظافة الاشياء الصلبة . اما اسم الليف بالمصرية القديمة فهو (شو)

---

(١) Recherches .vol II pl 69 (٢) مجلة المعهد العلمي للمصري سلسلة ٢ سنة ١٨٨٢ — ٣ ل ٧٤ وسنة ١٨٨٤ ص ٢٠٨ (٣) بور خارت — مقبرة ساحورا ج ٢ ص ٥١٦ (٤) ماسبرو تاريخ الشعوب الشرقية ج ٢ ص ٥١٦

واما جريد النخل (rami palmarum) فاستعملوه في صناعة المصي والاقفاص والكراسي الخفيفة واسمه بالمصرية القديمة (باعيت)

واما الخوص فصنعوا منه الحصر والسلال ونعال الموتى . لانهم اعتقدوا ان الميت لا بدَّ وان يكون منتعلا في دياره مدنَّست باطن رجليه فلا ينبغي ان يطأ بها الدار الآخرة الا اذا لبس نعالاً او ضُمخ جلدها . ومن ثم كان وجود النعال مع الموتى كثيراً في المقابر (كتاب مشابهة الطالبين ص ٣٦٠)

ويقال للبلح بالمصرية القديمة (بنر) وللنخيل (إم)

وانتشر النخيل من قديم الزمان في المناطق الممتدة من الهند شرقاً الى جزائر الخالدات غرباً لكنه لم يصل الى جنوب اوربا الا اخيراً ولما كان ثمارها لا تنضج تلك الجهات انحصرت فائدتها عند هؤلاء القوم في استعمال جريدها في (عيد السعف) المسيحي . بعد ذلك نقلها الاسبانيون الى امريكا حيث زرع الآن في جنوب الولايات المتحدة والمكسيك

---

٥ — (الدوم) ويقال له بالاتينية (Hyphene thebaica) وبالانكليزية (Dom-palm.tree) وجد ثمره بكثرة في المقابر المصرية القديمة مثل كاهون بالفيوم لان القوم كانوا يقدمونه قرباناً لموتاهم ويأكلونه هشاً وحشفاً ومحموناً قال اسراوس وكانوا يصنعون من ورقه حصراً . ويوجد بمتحف (فلورنسا) زوج صنادل مسجل تحت رقم ٢٧٠٣ مصنوع من خوص الدوم . وكانوا يتخذون من جذوعه عمداً طويلة يحملون بها معابدهم ورسموه كثيراً على آثارهم بجوار النخيل لانه من الاشجار التي كانوا يزرعون بها بساتينهم قال (ماريت) وكان الدوم مقدساً عندهم ويعلو علواً بليغاً بدليل العبارة الواردة بقرطاس ساليير (رقم ١ لوحة ٨ س ٤) وتعريبها «انها الدومة الشاهقة البالغة ستين ذراعاً المحملة بالنقل ذي النوى التي تحوي داخلها الماء » . وورد ذكر الدوم بقرطاس ايبرس اثنين وثلاثين مرة ضمن ادوية متنوعة التركيب

اما اسمه بالمصرية القديمة فهو (ما ما)

***

٦ —(التوت) ويقال له بالاتينية (morus) وبالانكليزية (mulberry). قال (شوينفورت) ان التوت الابيض أصلي في مصر اما الاسود فكان نادراً لعدم غرسه فيها . ومع ندورته فان (فلندرس بتري) وجد بعضاً منه في مقابر هوارة . قال (لوريه) والظاهر ان هذين النوعين اصليان في مصر وان المصريين يسمون الابيض بالمصري والاسود بالشامي(كتاب باشا لي لوريه ص ٩٧)

٧ — ﴿ السدر ﴾ (نبق) ويقال له باللاتينية (zizyphus spina christi) وبالانكليزية (jujube) . ويقال لثمره النبق وجد هذا الاخير في المقابر المصرية القديمة بكثرة ونقل منها الى متاحف اوروبا . ووجد (ماسبرو) في الجبلين مصاصاً من النبق وارسلها الى الاستاذ « شويتفورت » لفحصها « مجلة المعهد المصري ١٨٨٥ سلسلة ٦ ص ٢٦٠ » . وعثر « فلندرس بتري » على حبق بمقبرة كاهون كان معداً قرباناً للموتى . وصنع القوم منه خبزاً ودخل النبق ضمن ست عشرة وصفة طبية بقرطاس « ابرس » واتخذ القوم من خشبه مقابض للمراوح . وكانت ببلاد النوبة بلدة تسمى « بي نبس » أي مدينة النبق فلعله كان كثيراً فيها

ويقال للنبق بالمصرية القديمة « نبس »

---

٨ — ﴿ البطيخ ﴾ اسمه باللاتينية (Citrullus Vulgaris) ورد مرسوماً بكثرة على الآثار وملوناً بالاخضر كذلك الشمام ورد على الآثار ملوناً بالاصفر وكان قدماء المصريين يزرعونه بكثرة واورد الاستاذ (اونجر) « نباتات مصرية قديمة شكل ٣٠ و٣١ و٣٢ » رسوماً لهذا النبات ووجد في تابوت الكاهن « نسي » ورق البطيخ كاسياً للمومياء « مجلة المعهد العلمي المصري ١٨٨٢ سلسلة ٢ ج ٣ ص ٧٣ » وعثر على بزوره في مقبرة مصرية قديمة . ومنه ايضاً في متحف برلين واسمه بالمصرية القديمة « بدوكا » وهو اصل لفظ « بطيخ »

وهذا النبات من الفصيلة القرعية المعروفة باسم (Cucumis melo) وبالانكليزية (melon, او Musk melon) اما البطيخ ففرع من هذه الفصيلة ويعرف بالانكليزية باسم (water melon) او قاوون الماء وبالفرنسية (pasteque) وباسم جاليوس « القثاء الفسيح » والغالب ان افريقيا هي موطن البطيخ الاصلي لانه معروف في مصر من اقدم الازمنة . وكان معروفاً قبل الميلاد ببلاد آسيا وجنوب اوروبا

***

٩ — ﴿ فواكه دخيلة ﴾ ادخل المصريون في مصر كثيراً من اشجار الفاكهة من الاقطار المجاورة وزرعوها فيه بنجاح (رستد نصوص مصرية قديمة ـ ٢ ـ ٤٥٠) . ولا تزال جذور شجر المر موجودة بحديقة معبد الدير البحري بالاقصر . وهذه الاشجار استحضرت من بلاد الصومال في مواقع كثيرة . وفي المدة بين الاسرة ١٨ (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م .) الى الاسرة ٢٦ (٦٦٣ — ٥٢٥ ق . م .) دخلت مصر الاشجار الآتية « لورية — نبات مصر القديمة ٨٢ و٨٣ و٨٤ و١٠١ » — الكمثرى . التفاح اللوز المشمش الخوخ الجوز البندق الليمون المواح

وعلى ذلك فكل هذه الفواكه الاخيرة اجنبية الاصل

احوال المعلمين

واحكام المعلمين والمتعلمين

لأحمد فؤاد الأهواني

هو عنوان لكتاب في التربية مخطوط، وجدته في مكتبة باريس الأهلية. ومنه أدركت من العنوان أنه كتاب قديم، فقد كان القدماء يغرمون بسجع العنوان. والنسخة المخطوطة قديمة، وتاريخ خطها يرجع الى سنة ٧٠٦ للهجرة، ويقع المخطوط في سبع وتسعين ورقة من الحجم المتوسط وفي كل صفحة حوالى الثلاثة عشر سطراً، ويدل الخط على ان يكون مصرياً.

والعنوان السالف هو الذي ذكر في فهرس المخطوطات لمكتبة باريس الأهلية، وفي النبذة القصيرة التي كتبت في الفهرس ذكر اسم المؤلف على هذا النحو «ابو الحسن علي بن محمد القابسي». أما الاسم الصحيح للكتاب وهو المكتوب على ظاهر النسخة فهو «المفصلة لأحوال المعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين». أما اسم المؤلف الذي ورد بالنسخة فهو «ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعروف بالقابسي الفقيه القيرواني» وذكره ابن خلكان في الجزء الاول من وفيات الأعيان فقال هو «ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي المعروف بابن القابسي» ويترجم له صاحب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» فقال «ابو الحسن القابسي علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني الفقيه شيخ المالكية أخذ عن ابن مسرور الدباغ وفي الرحلة عن حمزة الكناني وطائفة، وصنف تصانيف فائقة في الاصول والفروع، وكان مع تقدمه في العلوم حافظاً صالحاً تقياً ورعاً حافظاً للحديث وعلله منقطع القرين وكان ضريراً وفياً».

***

والقابسي نسبة الى قابس، والقابسي بفتح القاف، وبعد الالف باء موحدة مكسورة ثم سين مهملة مدينة بافريقية بالقرب من المهدية ولما فتحها الامير تميم بن المعز قال بن محمد خطيب سوسة قصيدة طويلة أولها:

ضحك الزمان وقد كان يدعى عابسا ... لما فتحت بحمد عزمك قابسا
أنكحتها عذراء ما أصدقتها ... إلا قنا وبواتراً وفوارسا
لله يومك ما جنيت ثمارها ... إلا وكان أبوك قبلك غارسا
من كان بالسمر العوالي خاطباً ... أضحت له بيض الحصون عرائسا

وكانت ولادته في يوم الاثنين لست مضين من رجب سنة أربع وعشرين وثلثمائة ، وعاش طويلاً حتى طعن في السن وسئم الحياة ، حتى انه كان كثيراً ما ينشد قول زهير بن ابي سلمى المزني

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

قال ابن خلكان « كان إماماً في علم الحديث ومتونه وأسانيده وجميع ما يتعلق به ، وكان للناس فيه اعتقاد كثير ، وصنف في الحديث كتاب الملخص جمع فيه ما اتصل إسناده من حديث مالك بن أنس رضي الله عنه في كتاب الموطأ رواية أبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المصري وهو على صغر حجمه جيد في بابه . . وتوفي ليلة الاربعاء وقت العصر بالقيروان ، وبات عند قبره من الناس خلق كثير ، وضربت الاخبية ، وأتى الشعراء بالمراثي ، رحمه الله تعالى »
وكانت وفاته في عام ٤٠٣ من الهجرة

●●●

فالقابسي من علماء العصر الخامس للهجرة ، وكتابه هذا يعد من أقدم الكتب العربية في التربية . ولتأليف هذا الكتاب قصة . ذلك أن أبا الحسن كان محدثاً فقيهاً لا شأن له بالتربية ، فما الذي حدا به أن يضع مصنفاً في التعليم ؟ الحقيقة أن مركز القابسي كعالم في الدين والفقه وحجة في الاسلام كان باعثاً للناس أن يتقدموا اليه يسألونه في أمور الدين ، وكان يفتي ويقضي بكتاب الله وسنة الرسول ، ومن هذه الأسئلة ما تقدم به أحد الناس ، فوجدها كلها أو أغلبها تتصل بناحية واحدة من التربية والتعليم ، فجمعها في كتاب واحد ، ووضع له ذلك العنوان السالف . ولذلك يجري الكتاب على هيئة أسئلة يجيب عنها ابو الحسن

وإذا كان العرب قد كتبوا في التربية ، فإننا قلما نجد كتاباً خاصاً مفصلاً يعالج هذا الموضوع ، بل أغلب ما كتب فصول متناثرة خلال المؤلفات ، كالفصل الذي وضعه ابن خلدون في مقدمته وكما ذكر الغزالي في الاحياء . وقد تعرض المؤلف هنا لمسائل تعد مما يشغل أذهان المفكرين في هذا العصر ، وقضى فيها بآراء طريفة ، فقد تكلم عن التعليم الالزامي ، وتعليم المرأة ، وأجر المعلم ، وعقاب التلميذ ، والفصول المدرسية ، ومناهج التعليم وغير ذلك من

المشاكل المعقدة التي لا تزال يدور حولها البحث حتى الآن ، وسأعرض رأيه في مسألتين تعليم البنت ، وعقاب وتأديب التلاميذ

***

٥ . « وأما تعليم الأنثى القرآن والعلم فهو حسن ومن مصالحها، فأما أن تعلم الترسل والشعر وما أشبهه فهو مخوف عليها . وإنما تعلم ما يرجى لها صلاحه ، ويؤمن عليها من فتنته ، وسلامتها من تعلم الخط أنجا لها . ولما أذن النبي صلى الله عليه وسلم للنساء في شهود العيد أمرهن أن يخرجن العواتق ذات الخدور ، أو العواتق وذوات الخدور ، وأمر الحائض أن تعتزل ، مصلى الناس وقال يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، فعلى مثل هذا تنتل في تعليمهن الخير الذي يؤمن عليهن فيه وما يخيف عليهن منه ، فصرفه عنهن أفضل لهن . وأوجب على متولي أمرهن فافهم ما بينت لك ، واستهدي الله يهدك ، وكفى به هادياً ونصيراً

واعلم أن الله جل وعز قد أخذ على المؤمنات مما عليهن كما أخذ على المؤمنين مما عليهم وذلك في قوله جل وعز وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً الآية . وقوله والمؤمنون والمؤمنات الآية ، وجمعهما في حسن الجزاء في غير آية من كتابه . وفي قوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات الآية . وأمر أزواج نبيه عليه السلام أن يعين ما سمعن منه صلى الله عليه وسلم فقال واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة . فكيف لا يعلمن الخير وما يعين عليه ، ويصرف عنهن القائم عليهن ما يحذر عليهن منه ؟ إذ هو الراعي فيهن ، والمسؤول عنهن ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم

***

أما ما ذكره في بيان سياسة معلم الصبيان وقيامه عليهم وعدله فيهم ورفقه بهم ، فهو من رأيي حسن « . . . . ومن حسن رعايته لهم أن يكون بهم رفيقاً ، فإنه قد جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فيه فارفق به . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الرفق في الأمر كله وإنما يرحم الله من عباده الرحماء . قال أبو الحسن فقولك هل يستحب للمعلم التشديد على الصبيان أو ترى أن يرفق بهم ولا يكون عبوساً ، لأن الأطفال كما علمت تدخل في هذه الوصية المتقدمة ولكن إذا أحسن المعلم القيام وعنى بالرعية ، ووضع الأمور مواضعها ، لأنه هو المأخوذ بأدبهم والناظر في زجرهم عما لا يصلح لهم ، والقائم بإكراههم على مثل منافعهم ، فهو يسوسهم في كل

ذلك مما ينفعهم ، ولا يخرجهم ذلك من حسن رفقه بهم ، ولا من رحمته إياهم ، فإنما هو لهم عوض من آبائهم . فكونه عبوساً أبداً من الفظاظة الممقوتة ، وليستأنس الصبيان بها فيجترئوا عليه ولكنه إذا استعمل عند استيجابهم الأدب ، صارت دلالة على وقوع الأدب بهم عن ما نسبوا إليها فيكون فيها إذا استعملت أدباً لهم في بعض الأحايين دون الضرب ، وفي بعض الأحايين يوقع الضرب معها بقدر الاستيهال الواجب في ذلك الجرم . ولكن لا ينبغي له ألا ينبسط بهم تبسط الاستئناس في غير تفقدهم موحش في كل الأحايين ، ولا يضاحك أحداً منهم على حال ، ولا يتبسم في وجهه ، وإن أرضاه ووجده على ما يجب . ولكنه لا يعبس عليه فيوحشه إذا كان محسناً . وإذا استأهل الضرب فاعلم أن الضرب من واحدة إلى ثلاث فليستعمل اجتهاده لئلا يزيد في رتبة فوق استيهالها . وهذا هو أدبه إذا فرط فتثاقل عن الإقبال على المعلم ، فتبطأ في حفظه ، وكثر الخطأ في حزبه ، أو في كتاب لوحه ، من نقص حروفه ، وسوء تهجيه ، وقبح شكله ، وغلطه في نقطه ، فنبه مرة بعد مرة ، فأكثر التغافل ، ولم يغن فيه العذل والتقريع بالكلام الذي فيه التواعد ، من غير شتم ، ولا سب لعرض ، كقول من لا يعرف لأطفال المؤمنين حقاً فيقول يا مسخ يا قرد ، فلا يفعل هذا ولا ما كان مثله في القبح ، فإن قلت له واحدة فليستغفر الله منها ، ولينته عن معاودتها . وإنما تجري الألفاظ القبيحة من سفه لتمكن الغضب من نفسه ، وليس هذا مكان الغضب ، وقد نهى الرسول عليه السلام أن يقضي القاضي وهو غضبان . وأمر عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه بضرب إنسان ، فلما أقيم للضرب قال : اتركوه . فقيل له في ذلك فقال : وجدت في نفسي عليه غضباً فكرهت أن أضربه وأنا غضبان .

**

قال أبو الحسن : كذا ينبغي لمعلم الصبيان أن يراعي منهم حتى يخلص أدبهم لمنافعهم ، وليس لمعلمهم في ذلك شفاء من غضبه ، ولا شيء يريح قلبه من غيظه ، فإن ذلك إن أصابه فإنما ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه وهذا ليس من العدل ، فإن اكتسب الصبي جرماً من أذى ولعب وهروب من الكتاب وإدمان البطالة ، فينبغي للمعلم أن يستشير أباه ، أو وصيه إن كان يتيماً ، ويعلمه بجرمه ، إذا كان يستأهل من الأدب فوق الثلاث ، فتكون الزيادة على ما يوجبه التقصير في التعليم عن إذن من القائم بأمر هذا الصبي . ثم يزاد على الثلاث ما بينه وبين العشر إذا كان الصبي يطيق ذلك . وصفة الضرب هو ما يؤلم ولا يتعدى الألم إلى التأثير المشنع أو الوهن المضر . وربما كان من صبيان المعلم من يناهز الاحتلام ، ويكون سيء الرعة ، غليظ الخلق ، لا يربعه وقوع عشر ضربات عليه ، ويرى للزيادة عليه مكاناً وفيه محتمل مأمون ، فلا بأس إن شاء الله من الزيادة على العشر ضربات ، والله يعلم المفسد من المصلح

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الدمياطي

— ٧ —

شجر الجُمَّيْز

ويقال له (الجُمَّيْزَى) بالالف المقصورة ويسميه العامة (تين فرعون) ولعلَّ في هذه التسمية اشارة الى قدمه

تشبه شجرته شجرة التين والتوت يسيل منه لبن كثير تصل شجرته الى حجم عظيم وترتفع من ٨ امتار الى ٢٥ وتنتشر فروعها الى ١٢٠ قدماً وجذعها قصير عادة ويبلغ طول محيط الجذع الى ١٥ متراً وورق الشجرة متبادل مستديم يسقط القديم منها حين يأتي الفصل بالاوراق الجديدة ورقته ثخينة شبه ادبية اهليلجيه كاملة الحافة تقريباً تكاد تكون ملساء برَّاقة من وجهها العلوي ذات عنق يتصل قاعدتها ثلاثة عروق يتراوح طول الورقة بين ٥ — ١٢ سنتيمتراً والجميز يثمر في السنة من ثلاث الى اربع مرات وثماره لا تنبت في اطراف الفروع بل توجد في عناقيد على اغصان عديمة الاوراق ناشئة من الجذع نفسه او من فروعه المتغلظة والثمرة الواحدة عبارة عن تخت النورة تشبه التين البري طولها ½ ٢ سنتيمتراً وعليها بعض شعيرات صغيرة ملساء وبذورها اصغر من بذور التين ولا تصلح الثمرة بنفسها بل لا بدَّ ان تشرط (تُعَشَّ) من قمتها بمخلب من صفيح او حديد وذلك ليسمح للهواء بتجفيف سطحها الداخلي الذي يكون عفناً عادة بعصارة ناشئة عن وجود يرقات حشرة صغيرة جداً تسمى (سايكوفاجا كراسيبيس) (Sycophaga crassipes) تتطرق الى ثمار الجميز فتتوالد فيها

اسمه العلمي (Ficus Sycomorus, L.) (فيقوس سيقوموروس) وبالنوبية (Morerar) (موراسية) وبالانجليزية (The Sycomore—Figtree) وبالفرنسية (Sycomore)

ويعتبر بعض النباتيين موطنه الاصلي بلاد النوبة ونقل قديماً الى الحبشة ومصر وفلسطين والشام ولا يزال شائعاً في شمال افريقية والسودان وبعض النباتيين يقول ان موطنه اليمن

ويزرع بكثرة على حافات الطرق في مصر للظل وقرب المياه الجارية في اعلى انحاء السودان ويعمر طويلاً ولا يخفى القارئ قدم شجرة الجميز المطرية التي تستند اليها اسطورة استظلال السيدة مريم العذراء بها مع طفلها عيسى عليهما السلام

وخشب الجميز مشهور بعدم تأثره بالفساد في الطبقات الارضية وشدة الاحتمال للرطوبة والمقاومة الزمنية ولذلك كان قدماء المصريين يتخذون توابيت الموتى منه ولا يزال المصريون يصنعون منه (الخنازير) المعروفة التي توضع في قيعان السواقي والآبار ويبنى عليها ويصنعون منه السواقي والتوابيت (دواليب الري) ويدخل في صناعة السفن . وقد استعمله العرب في اقامة العمارات قيل إن افريز جامع ابن طولون من خشب الجميز وكان قديماً يتخذ منه قواعد ترتكز عليها المدافع وتصنع منه بالسودان ادوات منزلية واوان كالقصاع وغيرها

شجر الكاد الهندي

ويقال له بالسنسكريتية (خديرا) (Khadira) صنف من السنط معروف في الهند . شجرته دائمة الاخضرار ترتفع من ٦ امتار الى ١٢ . أوراقها من نوع الريشية المركبة المضاعفة في كل ورقة ١٠ ازواج من الوريقات الريشية وفي كل واحدة من هذه من ٤٠ زوجاً الى ٥٠ من وريقات رعية غير ريشية في صورة خطوط . والشجرة شوك منبسط معقوف . وأزهارها مجتمعة في سنابل اسطوانية في الواحدة منها زهرة الى ثلاث

اسمه العلمي (آقاسيا قاتيشو) (Acacia Catechu, W.) وصيغته السنطية او المشتهية (ميموزاسية) (Mimosaceae) وبالانجليزية (Mesbeanol Acacia, Catechu Tree) وبالفرنسية (Acacie du Cachou) دائم في غابات الهند وبورما وجزائر الهند الشرقية والغربية وشرق إفريقية مشهور بصلابة خشبه وشدة مقاومته ولذا يتخذ في مواطنه المذكورة دعامات (خوازيق) في الارض ويدخل خاصة في صناعة الطواحين ويحصل من قلبه على الخلاصة المعروفة في التجارة بالكاد الهندي (Catechu) التي كان يظن بعضهم خطأ عند دخولها اوربا لأول مرة أنها طين ياباني (Terra Japonica) والحقيقة انها مادة نباتية كما ذكر . وطريقة حصولهم عليها في الهند هي ان يقطع ذلك القلب الى قطع صغيرة ثم توضع في قدر من الفخار غير المطلي ضيق الفوهة ويصب عليها ماء حتى يغمرها ثم تغلى حتى يتبخر ثلثها الى نصفه وعندئذ ينقل الغلي بلا تصفية الى وعاء آخر من الفخار عريض القاع ويغلى ثانية حتى يتبقى ثلثه ويترك يوماً حتى يبرد ثم يوضع معرضاً لحرارة الشمس حتى يتبخر ماؤه مع تحريكه مراراً كل يوم ومتى نقص حجمه كثيراً فصار ثخيناً متماسكاً نشر على حصير او قماش سبق ان ذر عليه رماد من حريق روث الماشية ثم يقطع الى قطع مكعبة الشكل بواسطة خيط ثم تنشر القطع في الشمس وتقلب من وجهيها حتى يكمل

جماعها وتصير صالحة للتجارة والكاد المجهز بهذه الطريقة اسود اللون وهو المفضل استعماله في الطب كقابض من الباطن مضاداً للدوسنطاريا والاسهال والمرض المعوي والزحير ولسيلان المخاطي ومقوياً لثاة المضغ ولقروح الفم والحلق ومزيلاً لنتن الفم ويدخل في عقاقير متنوعه

ويحصل من القلف على كاد آخر (Cutch) افتح لوناً يستعمل في الدباغة جاء في بعض المراجع ان ثمن الطن منه اذا كان جيداً يبلغ ٢٥ جنيهاً تقريباً وان الطن الواحد منه يحصل عليه من اربعة اطنان من قلف الشجر

الكَاكَمُوت(١)

ضرب من السنط معروف في السودان بهذا الاسم ينمو في الارض الرطبة عادةً وشجرته صغيرة الحجم و متوسطته تشبه شجرة الكاد الهندي وقلف جذعها قاتم ذو شقوق اوراقها من نوع الريشية المركبة المضاعفة في كل ورقة من ١٠ — ٣٠ زوجاً من الوريقات الريشية وفي كل واحدة من هذه من ٣٠ — ٥٠ زوجاً من وريقات غير ريشية وشوكها عريض القواعد مائل التقوس . اما أزهارها فمحتشدة في سنابل صفر فاقعة . وثمارها عبارة عن قرون قشرية الملمس تكون صفراء عند النضج طول الواحد منها من ٧ سنتيمترات الى ١٠

اسمه العلمي (Acacia Suma, Kurz) (آقاسيا سوما) وخصيته كالسابق . وهو ذائع في اكثر مديريات السودان وفي الهند مشهور بصلابة خشبه القاتم اللون ويستعمل في الابنية وفي صنع المحاريث والآلات الزراعية وغيرها

السَّمُر

نوع من السنط يسمى بهذا الاسم في السودان ويسمونه في صحراء ليبيا (السَّيال) و (الطَّلْح) شجرته صغيرة يكاد يكون اعلاها منبسطاً . اوراقها من النوع الريشي المركب المضاعف في كل ورقة من زوجين الى خمسة من الوريقات الريشية وفي كل واحدة من هذه من ٨ ازواج الى ١٢ من وريقات غير ريشية مستطيلة ضيقة واشواكها قصار مستقيمة او متقوسة قليلاً ورؤوسها الزهرية كرية الشكل يضرب لونها الى البياض . وثمارها قرون ملتوية

اسمه العلمي (Acacia tortilis, Hayne) (أقاسيا طورطيليس) وخصيته كالسابق

وهو ذائع في مصر وشمال السودان وبلاد النوبة والحبشة وشمال صحراء ليبيا الى تونس وخشبه جيد متوسط الصلابة والثقل يستعمله اهالي منطقة السودان بالبحر الاحمر لصنع ضلوع الزوارق وبكرات رفع الاثقال وفي الحصول على الكتل الخشبية

---

(١) هذه الشجر والانواع السنطية التي يليه اعتمدنا في اسمائها ووصفها على ما جاء عنها في كتاب (بروس ومامي) عن نباتات السودان وكتاب (موشلر) عن نباتات مصر

الكُوك

نوع من السنط معروف بهذا الاسم في السودان شجرته كبيرة الحجم جداً ذات قلف ابيض يضرب الى السمرة اوراقها من النوع الريشي المركب المضاعف في كل منها من ٧ ازواج الى ١٤ من الوريقات الريشية في كل واحدة منها من ٢٠ زوجاً الى ٣٠ من وريقات غير ريشية وشوكها ابيض مستقيم طول الواحدة منه ٣½ سنتيمتراً تقريباً ورؤوسها الزهرية كرية الشكل بيض اللون عرض الواحدة منها سنتيمتران تقريباً وثمرتها خضراء لحمية مبسطة ومتقوسة قليلاً قد يبلغ طولها ١٥ سنتيمتراً وعرضها سنتيمتران

اسمه العلمي (Acacia Verugera Schwfth.) (أقاقيا وروجيرا) وفصيلته كالسابق وهو دائع في كسلا بالسودان وخشبه ابيض لا يتحمل ويحصل منه على صمغ

السَّيَال

نوع من السنط معروف بهذا الاسم في السودان ويسمونه في مصر (السَّمُر) شجرته كبيرة اوراقها من النوع الريشي المركب المضاعف في كل ورقة من ٤ ازواج الى ١٠ من الوريقات الريشية في كل واحدة منها من ٧ ازواج الى ١٥ من الوريقات غير الريشية الصغيرة جداً وشوكها عبارة عن اذينات مستقيمة رفيعة ورؤوسها الزهرية كرية الشكل بيض اللون صائرة الى الخضرة وثمارها قرون ملتوية التواء حلزونياً تسميها عرب السودان (القَلَف) ولعل هذه التسمية من انها تصلح علفاً للماشية هناك

اسمه العلمي (Acacia spirocarpa Hochst.) (أقاقيا سبيروكربا) وفصيلته كالسابق وهو دائع في مصر وفي اكثر بلاد السودان والنوبة والحبشة وشمال اليمن (الاحقاف) واهل السودان يحصلون من قلف الجذع الداخلي على الياف متينة يستعملونها في بعض حاجاتهم

الحَرَاز

نوع من السنط معروف شجره كبير لون قلف فروعه يضرب الى البياض واوراقه من النوع الريشي المركب المضاعف في كل ورقة من ٤ ازواج الى ٦ من الوريقات الريشية وفي كل واحدة من هذه من ٧ الى ١٧ زوجاً من الوريقات غير الريشية المستطيلة واشواكه قصار مستقيمة وازهاره بيض ذكية الرائحة مجتمعة في سنابل في آباط الاوراق وهذه السنابل توجد فرادى او ازواجاً وثمرته عبارة عن قرن مستطيل منبسط ملتوٍ يتراوح طوله بين ٤ سنتيمترات و ١٥ وعرضه بين ١ و ٢ تسميه عرب السودان (حَرُومَة) او (خَرُّمة) وهو شبيه بثمرة الخروب الا انه مر الطعم

اسمه العلمي (Acacia Albida. Del.) (أقاقيا البيدا) وفصيلته كالسابق وبالفرنسية (Arbre Blanc)

يزرع احياناً في مصر وهو ذائع في اكثر بلاد السودان وبلاد النوبة والحبشة ويستعمل ايضاً وخشبه ابيض يستعمل في بناء الزوارق اما ثماره فهي جيد العلف للماشية

السَّلَم

نوع من السنط شجيرته ذات قلف احمر رقيق اوراقها من النوع الريشي المركب المضاعف في كل ورقة من زوج الى زوجين من الوريقات الريشية وفي كل واحدة منها من ٨ ازواج الى ١٠ من الوريقات غير الريشية المستطيلة واشواكها دقاق مستقيمة او متقوسة . اما رؤوسها الزهرية فكرية الشكل صفر تضرب الى اللون البني وثمارها عبارة عن قرون صغيرة مستطيلة الواحد منها في صورة المنجل طوله ٤ الى ٨ سنتيمترات وبه اشباه فواصل تفصل الحبة عن الاخرى

اسمه العلمي (Acacia Ehrenbergiana, Hayne.) (آقاسيا إهرنبرجيانا) وفصيلته كالسابق وهو ذائع في مصر وفي شمال السودان في البقاع الجدباء منه عادةً وفي بلاد النوبة والحبشة وشمال اليمن (الاحقاف) ويحصل منه على نوع من الصمغ

الطَّلح

سنط منه نوعان اولهما احمر يقال له (السَّيَال) في مصر شجيرته صغيرة الحجم او متوسطته ذات قلف احمر اللون يضرب الى السمرة اوراقها من النوع الريشي المركب المضاعف في كل ورقة منه ١١ زوجاً الى ١٢ من الوريقات الريشية وفي كل واحدة من هذه من ١٨ زوجاً الى ٢٢ من الوريقات غير الريشية . وشوكها ابيض مستقيم طول واحدته ٣ سنتيمترات تقريباً ورؤوسها الزهرية كرية صفر قطر الواحدة منها ½ ٢ سنتيمتراً وثمرها قرون متقوسة طول الواحد منها ٧ سنتيمترات تقريباً

اسمه العلمي (Acacia Seyal, Del) (آقاسيا سيال) وفصيلته كالسابق وبالانجليزية (Shittah tree of Scripture) وبالفرنسية (Arbre a'gomme)

وهو ذائع في مصر وبلاد النوبة والسودان والحبشة والسنغال وشمال اليمن (الاحقاف) وخشبه ابيض ولكنه قليل التحمل وعرضة لفتك الحشرات ويحصل من الشجر على نوع جيد من الصمغ العربي اقل رتبة من صمغ الهشاب واهل السودان يستعملون لقلفه في الدباغة ويحصلون من قلف الجذع الداخلي على الياف يستعملونها في بعض حاجاتهم ونساؤه يتبخرن بدخان الخشب المحترق وثانيهما ابيض يقال له (الصُّفار) بالسودان شجرته كثيرة الشبه بالسابق الا ان قلفها ابيض وقواعد شوكها منتفخة

اسمه العلمي (A. Seyal, Del. var Fistula, Schwft) (آقاسيا سيال — فستولا) وهو ذائع في جهات السودان الرطبة وينتفع به كالطلح الاحمر

أبدع طرق الشام

وأروعها - بين انطاكية واللاذقية

وصفي زكريا

طوّح بي السفر مرة ثانية في اواخر ربيع العام الماضي الى انطاكية عاصمة شمالي الشام وعروس مدنها في العصور الاولى المتوسطة . وقد كنت وصفت بالتفصيل في كتابي « جولة اثرية في بعض البلاد الشامية »[1] تاريخ هذه المدينة الحبيبة في تلك العصور وما بعدها ، واطريت عودها النضر وجاها الحاضر ، وتغنيت بنضرة سهولها وخضرة حروجها وعبق رياضها ووفرة مياه عاصيها وكثرة اثمارها ... الخ ، لهذا لم اجد فيها هذه المرة ما يستحق الاضافة سوى ذكر بعض قطع الفسيفساء المصورة التي عثرت عليها اخيراً بعثة اثرية موفدة من جامعة برنستون الاميركية في بساتين قرية الحربية . وفي هذه القطع طرف نادرة من الصور الملونة بالاصباغ الزاهية ، وجلها يمثل وقائع الاساطير اليونانية كالنساء المحاربات « الأمازون » وآلهة البحر والخمر والحب وغيرها . وتكاد الصور تتحرك وتنطق أمام انظار المتفرج المشدوه بحسنها ودقة صنعها . وسيكون مستقر هذه القطع الفريدة المثال في متحف انطاكية الذي لا يزال العمل في بنائه قائماً

وحدثني صحبي المولعون بالاسفار ومشاهدة المناظر والآثار ان افضل الطريق التي جئت فيها من دمشق ماراً بحمص وحماة وحلب الطريق الحديثة الذاهبة من انطاكية الى اللاذقية — وطولها ١١٥ كيلو متراً — ، وقد كنت سمعت انها ابدع طرق الشام وأروعها بكثرة مشاهدها الطبيعية ومشارفها المرتفعة وحراجها الملتفة وشعوبها المتباينة ، فسلكتها للمرة الاولى وسرحت بصري برؤية مناظرها واستقصاء كوائنها الطبيعية وشؤونها الاجتماعية والعمرانية والاثرية ، فحققت الخبر بالخبر ، وها انا ذا واصف ما رأيت وما استقصيت على النحو الذي درجت عليه في وصف امثال هذه الطريق في كتابي المذكور آنفاً

---

(١) في هذا الكتاب وصف طوبوغرافي تاريخي اثري عمراني للمدن والبلدان الممتدة من شمالي الاسكندرونة الى ابواب دمشق ، وهو يحتوي على ٤٢٦ صفحة و ٢٥ رسماً

لم تكن طريق أنطاكية — اللاذقية في السنين الخوالي، مسلوكة الا ممن كان قادراً على اقتحام عادية قطاعها او جفوة سكانها او وعورة حراجها ومنعرجاتها. ومن الغريب ان احداً من اسلافنا مؤرخي العرب القدماء وجغرافييهم لم يذكر هذه الطريق، حتى ولا ياقوت ولا القلقشندي ولا ابو الفداء ولا شيخ الربوة المعدودون اكثر من كتب في جغرافية بلاد الشام في العصور المتوسطة. وقد كنت احكم بان احداً من اولئك الاسلاف لم يمر بهذه الطريق او لم يسمع باسم الجبال والبلاد والشعوب التي فيها، لولا ان ادركني الادريسي في آخر البحث. فقد وجدته في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» يذكر في جملة البلدان الممتدة في ساحل الشام الشمالي اسم حصن المربادة وانه يبعد عن اللاذقية ١٨ ميلاً وعن السويدية ١٥ ميلاً، فاضطررت الى ان اعدل عن حكمي، ولاسيما بعد ان رأيت العالم التركي كاتب جلبي ينقل عبارة الادريسي هذه في جغرافيته المسماة «جهان نما» المطبوعة في الاستانة سنة ١١٤٥ هـ، والمستشرق الفرنسي دوسّو ايضاً في كتابه المسمى «الجغرافية التاريخية لبلاد الشام»[1] ويحكم هذا المستشرق بالاستناد على الابعاد الواردة في عبارة الادريسي بان حصن المربادة ينبغي ان يكون في موضع قرية الاوردو الكائنة في سفح الجبل الاقرع، وسنأتي على ذكرها.

وانتهى حكمي بعد الى التأكد من ان اولئك الاسلاف لم يهتم بالتجوال او البحث في اي بقعة من بقاع الشام ناهيك عن غيره من اقطار المعمور التي كانت معروفة في عهدهم وانه اذا لم نعثر على بعض ما دونوه في كتبهم التي وصلت الينا لا يبعد ان يكون بين ملايين الكتب التي خلفوها وضاعت قبل ان نراها ما قد يحتوي على صفاتها. فقد كانوا رحمهم الله مشغوفين بالسياحة والسفر، ومولعين بتدوين كل مشاهدة وخبر، على نقيض أخلافهم ابناء الجيل الحاضر. فقد اتى على معظمنا الكسل وحب السكوت والاتضاع، فقل من يسوح او يسافر، على الرغم من كثرة الوسائل وسهولتها في عهدنا ومن نشط وسافر منا قلما يحفل بالبحث والكتابة عن الاماكن التي يزورها كما كان يفعل اولئك الاسلاف من قبل، وكما يفعل الآن الغربيون الذين يعنون كثيراً بتدوين ما يرونه ويسمعونه لاسيما اذا كان فيه ابحاث قيمة واخبار طريفة.

وقد وجدت ناشري كتاب «دليل الشرق» الفرنسي المطبوع سنة ١٨٨٢[2] عند ذكرهما هذه الطريق واطرائهما روعتها وعظمة مشاهدها يقولان انها غير مأمونة ويوصيان السياح الاغرار اذا عوّلوا على اجتيازها ان يعدوا لها ما يكفي من السلاح والرجال. وكان السياح يقطعون فيها على الرواحل ٢٢ — ٢٦ ساعة. قبل ان فرقاً من جيش ابراهيم باشا المصري اجتازها كما

(١) Topographie historique de Syrie antique et médiéval par Dussaud

(٢) Itinéraire de l'Orient, par Chauvet et Isambert, Paris, 1882

كانت مجتازها من قبل جيوش الصليبيين في غدوها ورواحها من اللاذقية الى انطاكية ولعلها كانت في تلك الازمان احسن حالاً مما عليه قبل تعبيدها الاخير. ولم تعبَّد هذه الطريق وتجعل صالحة لسير السيارات الا بعد سنوات اربع بعد ان كسرت صخورها ووسعت مساعدها وذللت صعابها وبدل خوفها بالامن وقد انتهت الآن اعمال التعبيد على احسن حال في قسمها العائد الى حكومة انطاكية بينما هي لا تزال قائمة في قسمها العائد الى حكومة اللاذقية يشتغل فيه مئات من الجنود الشاميين المتطوعين في جيش الاحتلال الفرنسي، ذلك لان قيادة هذا الجيش تعنى بفتح هذه الطريق وأمثالها لمكانها الحربية

وصف الطريق — يخرج السائح من غربي انطاكية ويجتاز سهلة بهجة خضراء على يمينها وادي العاصي وعلى يسارها اصعاد جبل القصير المشرفة على انطاكية. وكلما سار ينحرف نحو الجنوب ويرتفع بالتدرج نحو تلك الاصعاد ويجتاز عدة جسور شيدت فوق اودية صغيرة تهبط نحو العاصي وفي الكيلومتر السادس يلمح على يسار الطريق اطلال قناة الامبراطور طريانوس التي كانت تأخذ الماء من دفنة الى انطاكية ثم يدخل بين كروم التوت والبساتين الملتفة الاشجار المختلفة الثمار التي تحمل في كل صباح الى انطاكية وحلب وأخصها الاكيدنيا[1] والرمان وقد انتشرت فيها دور واكواخ كثيرة. وهنا يلمح السائح على يمينه كسور أعمدة أثرية وبقايا من الرصيف القديم الممتد من دفنة الى انطاكية وهكذا الى ان يصل في الكيلو متر ٩،٥ الى قرية الحربية — واسمه القديم دفنة — وهو لا يزال كما كان قبلاً لاهل انطاكية منبع ماء الشرب ومتجمع رواد القصف والنزهة، ويزيد عما قبل أنه الآن مصدر نور الكهرباء ايضاً

والحربية في يومنا قرية اهلها عرب نصيرية دورها منتشرة بين الكروم والبساتين التي وصفناها ومكان النزهة المشهود يدعى « بيت الماء » يعلو عن سطح البحر ٣١٠ متراً ويقع غربي الطريق في اعلى واد سحيق يهبط اليه في شعب ذي التواء خلال دقيقتين او ثلاث وهو مؤلف من مدارج عريضة تتوالى من رأس المنحدر، فيه ظل ظليل وجو بليل وماء رائق عذب نمير والماء ينابيع عديدة تتفجر من شقوق الصخور الصم تتساقط من فوق الى تحت بين الحشائش النابتة والاعشاب المتعرشة والاشجار الدلب الوارفة فتحدث عدة شلالات خرارة ذات اربعة وازباد رغوية، يدير اكبرها اربعة طواحين او ثلاث مبني بعضها فوق بعض في اسفل المنتزه. وعند الينبوع الاعلى خزان يدفع الى انطاكية بماء الشرب ونور الكهرباء، وقد بني بالاسمنت منذ بضع سنوات وثمة آكام تحيط بالوادي السحيق المذكور الذي لا يرى قعره وهو يمتد نحو الغرب ويأخذ مياه تلك الشلالات الغزيرة الى نهر العاصي

(١) هو زعرور الصخر Neflier du Zapon للفرنسويين ويلاكدنيا او المشمش الهندي وفي مصر مشمش

هذا والشلالات وسقطاتها والرغوات المتجمعة والقطرات المتناثرة فوقها مناظر حلاً بنور الخرخرة والزمجرة الداويتين منها اصداء مطربة تأخذ بمجامع القلوب وقد أحدثوا هنا مقهى ووضع اصحابه كراسي وموائد بين الينابيع وتحت الاشجار والمظلات التي تحت جوها عشاق الصهباء وراغبو التمتع بمحاسن الطبيعة من نساء ورجال بلاد الشام الشمالية وغيرها اخص بالذكر الحلبيين المحرومين من انفس النواعير والماء الدافق وقد اتخذ كل جمع منهم ناحية وبسط موائد الطعام او الشراب او احتضن آلات العزف والطرب او اشرع نارجيلته في الماء ينعم ويبعث دخانها الى الهواء او اضطجع واستغرق يمتع نفسه ببهجة هذا المكان ونداوته ، يكاد لا يرى فيها بعضهم بعضاً ولا يسمعه فيها بين الوتيرة ورفع العقيرة لاختلاف اماكن الجلوس في ارتفاعها وانخفاضها ولشدة ارتفاع الشلالات وأرباعها

وقد حملت هذه المشاهد الخلابة والمياه الحرارة القليلة المثال فيها بعض اليونانيين والرومانيين في عهد ازدهار انطاكية على تجميل « دفنه » وما حولها بالهياكل والملاعب والقصور والفنادق والحمامات ودور الملذات حتى غدت ابهج وأنفس مكان في العالم القديم كله للمرح والحبور وارتشاف كؤوس السرور فما من معبود وثني كأدونيس وموس وديانا وجوبيتر الا واقيمت له فيها الهياكل وما من قيصر او عظيم يوناني او روماني الا وشاد لاسمه فيها شيئاً من تلك المباني واقام عند قدومه اليها اعظم الاستقبالات وعقد بمكوثه افخم الاعياد واحفل الحفلات . حتى ان ادوكيا زوجة تيودوسيوس الثاني وكليوبطرة ملكة مصر عشيقة انطونيو وجوليا ابنة اوغسطوس وغيرهن من القيصرات والاميرات حللن وقضين فيها اياماً في رغد العيش وهناء الطيش

اما الآن وبعد ان اخنت عوادي الزمان على انطاكية وضواحيها ومنها مصايف دفنه ومقاصفها لم يبق من عظمة هذا المكان السالفة سوى روائعه الطبيعية « ماء وظل وأزهار واشجار » وسوى بضعة كسور أعمدة وبقايا اسس جدران مبعثرة بين الحدائق التي عثر في ارضها على قطع الفسيفساء المذكورة آنفاً ، وناهيك بمثال هذه القطع وجمال صنعها الذي اشرت اليهما في فاتحة مقالي دليلاً على شأن دفنة ورقيها الزائدين . ولولا انتشار السيارات في السنين الاخيرة وتسهيلها السفر والاتصال لظلت دفنة مهجورةً منسيةً لا يعلم بأمرها الا بعض الانطاكيين وقليل من سياح الافرنج الذين قرأوا عنها وجاؤوا يتلمسوا عهدها الدائر ومجدها العاثر

وقد شيد احد اثرياء قرية الحربية منذ عهد قريب فوق شلالات الماء وفي بقعة مشرفة على اروع المناظر فندقاً عصرياً مستوفياً شروط الراحة لمن يشاء ان يقضي زمناً في هذا المكان البهج السهل المنال

وجعلت الحربية قاعدة ناحية تتبعها تسع عشرة قرية جميع سكانها عرب نصيرية منها الجردانية

والموسوية والدرعونية والدرويشية والقور ودير الماشطة وعين الجاموس وعين السمك وغيرها وهؤلاء النصيرية يؤلفون أكثرية السكان في وادي العاصي الممتدة بين انطاكية والسويدية على البحر المتوسط ، وتمتاز ضياعهم بوجود القباب البيض التي تعلو الاماكن المرتفعة وتحت كل قبة مزار لاحد مشائخهم او أعزتهم يحجون اليه في اوقات معينة . ونصيرية هذه الانحاء على ما يظن نزحوا في احقاب متوالية من مواطنهم الاصلية في جبال اللاذقية فاختلط هنا بعضهم ببعض ولم يعد لهم عصبيات خاصة وانتماء الى قبائل معروفة كما هي الحال في مواطنهم المذكورة . ومهنة هؤلاء الفلاحة والبستنة وتربية الماشية ودود الحرير الذي دالت دولته ، وقل من امتلك منهم ارضاً واسعة بل جلهم اجراء وشركاء لدى « الآغوات » و « البكوات » الترك الانطاكيين

والنصيرية ذوو عقائد وعادات وازياء خاصة يضيق نطاق بحثنا عن الخوض فيها يقطنون في انحاء كيليكية « من بلاد الترك » والاسكندرونة وانطاكية وفي جبال اللاذقية واطراف حماة وحمص وسهولها الشرقية وفي بعض قرى الجولان جنوبي دمشق وقد عطفت عليهم الدولة الفرنسية بعد دخولها وأسمتهم « علويين » ومنحت لبعض ابنائهم مناصب ووظائف في حكومتي الاسكندرونة واللاذقية وملحقاتهما ، وجذبت كثيراً من شبابهم في جيشها الشرقي المرابط في بلاد الشام . لكن سوادهم الاعظم ما برح على حالة من الجهل المطلق والفقر المدقع والاستعباد لاغنى اكبرائهم ذوي الزعامة الارضية ومشائخهم ذوي السيادة الروحية الذين دأبهم استثمار عمل اتباعهم بضروب الخدمات والاتاوات ما منهم من يعرف حسن القيادة والارشاد والهداية او يفكر بذلك

***

رجع الى الطريق ! تصعد السيارة بعد قرية الحربية نحو مرتفعات جبل القصير ، تاركة على يسارها وادي دفنة ، ولا تزال تلهث وتصعد عقبات حتى تبلغ ناحية جبلية تدعى « ناحية القصير الفوقاني » تمييزاً لها عن ناحيتين في شرقيها اسماهما القصير الوسطاني والقصير التحتاني ، والاولى التي نجتازها تختلف عن جارتيها بانها تركمانية وتينك عربيتان ، وبانها اكثر منهما علواً وانقى وابرد هواء ، صخورها كلسية بيض او دكن يتخللها في بعض الاماكن احجار من النوع المعروف بسباط اسلندة (١) ومقذوفات بركانية . وهي في جملتها ذات نجود خالية من الحراج ، قليلة الخصب ، قليلة القرى ، يكثر فيها نبات البلان وحيوان الصيد ولا سيما الارنب والحجل ، وغالب سكانها تركمان سنية لا يزالون على الفطرة ، جلهم لا يعرف العربية التي لا تعود تسمعها بعد مغادرة الحربية حتى تصل الى سواحل اللاذقية

(١) Spath d'Islande ضرب من الاحجار الكلسية المتبلورة

وفي هذه الناحية الجبلية في الكيلو متر ١٣ شعب [1] في الجبل يتجه نحو الشرق الى حصن القصير احد معاقل انطاكيه في عهد الصليبيين . وفي الكيلو متر ١٩ شرقي الطريق ايضاً قرية اسمها طرمدو اهلها نصيرية فيها شيخ يحترف شفاء المرضى وازالة عقر النساء والتأليف بين المحبين وثمة قرية اخرى اسمها جندالية اهلها اسماعيلية المذهب من عبّاد آغا خان الزعيم الهندي المعروف في عالم الاندية وميادين سباق الخيل في فرنسا وانكلترة بيذخه وترفه ، وهم يعيشون عيشة اشتراكية تحت قيادة شيخ لهم . وفي الكيلومتر ٢٣ على بعد كيلومترين عن يسار الطريق وتحته قرية كبيرة اسمها شيخ كوي « قرية الشيخ » تعد من امهات قرى جبل القصير ، واقعة في منخفض واسع احاطت به صخور حمر او دكن ، اهلها تركمان سنيه ، عددهم نحو ١٥٠٠ ، اكتنفت بيوتها حول مسجد له مئذنة وبعضها مسقوف بالآجر الاحمر ، وينسب اسم هذه القرية الى الشيخ احمد القصيري الخلوتي الكردي الاصل الذي يعدونه من الاولياء ويزعمون انه جاء من بلاد العراق الى هذه الانحاء في القرن العاشر الهجري او قبله جاء محمولاً على بساط الريح ، وضريح هذا الشيخ مقصود بالزيارة ولأعقابه في هذه الديار ثروة ووجاهة طائلتان احتفظوا بالمشيخة . وقد جعلت قرية الشيخ قاعدة ناحية قصير الفوقاني التي من قراها او قصير وصوبلر وشرجيق وغيرها

***

وبعد مسير قليل في نجود جرد تتدرج بالارتفاع تصل السيارة في الكيلو متر ٢٦٫٥ الى علو ٨٠٠ متر وهو المنتهى في جبل القصير فيشاهد السائح هنا منظراً رائعاً يشرف في الشمال على سهل العمق وبحيرة انطاكيه والجبل الاحمر وجبل الكرد ، وفي الشرق على الجبل الاعلى وما في جبل القصير نفسه من الاودية والهضاب المتموجة [2] الهكر.

ثم تبدأ الطريق بالانحدار، فتمر في الكيلومتر ٣٤ بهضبة منبسطة ذات تربة حمراء، جوها بارد قارس حتى في الصيف ، فيها رامة [3] صغيرة تجف في الصيف تدعى الرامة الحمراء . وفي الكيلومتر ٣٨ على يسار الطريق وعلى بعد خمسين متراً كهوف ومدافن اثرية . وفي الكيلومتر ٤١ تنتهي نجود القصير فتشرع الطريق بالمرور بين منحدري جبل القصير والجبل الاقرع وتبدأ اشجار الصنوبر ذات المنظر النضر والاريج العطر بالظهور رويداً رويداً « لها تتمة »

---

(١) الشعب بكسر الشين وسكون العين الطريق في الجبل

(٢) عنيت بالمتموجة تلك التي يتوالى فيها الارتفاع والانخفاض كامواج البحر ، وذلك مقابل كلمة Onduré الفرنسية (٣) الرامة مستنقع تجتمع فيه المياه ثم تجف

الاذاعة اللاسلكية

والثقافة العامة

مشروع المعارف الجديد

القضاء على العزلة

لا يختلف اثنان في ان جانباً كبيراً مما يصيب المجتمع الانساني ، من التحوّل ، مردّه الى ارتقاء اساليب المواصلات والمخاطبات . فلما استنبط التلغراف والتلفون ومُدَّ السلك البحري بين اوربا واميركا ، صارت الحوادث العالمية ذات شأن في نظر الفلاح الاميركي ، المنعزل عن العالم . ولقد قال لورد برَيس ، مؤرخ « الدولة الرومانية المقدسة » و« الديمقراطية الاميركية » انه لولا التقدم السريع في المخاطبات الكهربائية لما انحصرت مراحل الحرب الكبرى [illegible] ، وهذا لعمري فيه تأييد لقول الفيلسوف الاميركي جون ديوي « يصح القول بان الاجتماع البشري يقوم على المخاطبات والمواصلات » . ويؤخذ من جداول مصلحة الاحصاء الاميركية انه كان في الولايات المتحدة في اول ابريل سنة ١٩٣٠ اثنا عشر مليوناً ونصف مليون من اجهزة الالتقاط اللاسلكي . فما معنى هذا العدد الضخم ؟ ألقِ نظرة على خريطة البلاد . هنا وهناك مئات والوف من الحقول والاودية فيها بيوت منعزلة عن العالم لا يصلها به سلك تلغراف ولا تلفون . ولكن رئيس الجمهورية في نظر سكانها ، ليس الآن تجريداً لسلطة الامة كما كان ، بل اصبح رجلاً يسمعون صوته بجهاز اللاسلكي اللاقط والاميرال برد الرائد القطبي ، يجلس في خيمة على الجليد يكتنفه دامس الظلام القطبي ، ويصغي الى موسيقى تحملها الامواج من نيويورك

ان الاذاعة اللاسلكية ، قد قضت على عهد الوحدة والعزلة ، سواء اكان في الحقل النائي او في عرض البحر او على متاهات الجليد القطبي

عادي تتكلم في لندن فيصغي اليه العالم . وروايات الاوبرا تذاع من سزبرج بالنمسا فتسمع في مباني الولايات الزراعية في اميركا . وموسيقى الجاز تذاع من اميركا فيرقصون على توقيعها في اوربا . لقد تكمشت الكرة الارضية فاصبح الالمان والكنديون والارجنتينيون والروسيون واليابانيون بفضل اللاسلكي جيراناً ، واصبح الناس من مختلف الملل والنحل وكأنهم امة واحدة

وقد حدثنا مزارع كبير مثقف من مزارعي القطر المصري ، ان ما تم في مصر بفضل الاذاعة اللاسلكية لا يختلف عما تم في الاقطار الاخرى . ففي سهول القطر المصري مئات من القرى ، معزولة عن العالم ، لبعدها عن اقرب مركز اليها عشرات الكيلو مترات ، فاصبحت الآن متصلة بالعاصمة ، بجهاز لاسلكي اشتراه عمدة القرية ، فيجتمع حوله الفلاحون يصغون الى ما يذاع من محطة الاذاعة في القاهرة من آيات الذكر الحكيم والاغاني والقطع الموسيقية والاحاديث على اختلافها

هذا الاسلوب الجديد من اساليب المخاطبات لا بدّ أن يكون فعّالاً في اذاعة العامة باذاعة حقائق العلوم المختلفة ، وبوجه خاص ما كان عمليًّا منها ، مما يفيد الفلاح والصانع والوالدة ، أو مما يحفز عقل الطالب ويشوقه إلى طلب التوسع في العلوم . وقد أحسنت وزارة المعارف العمومية كل الاحسان ، بارشاد وزيرها الهمام سعادة نجيب الهلالي بك ، اذ وجّهت عنايتها الى هذه الناحية من فائدة الاذاعة اللاسلكية ، فوضعت برنامجاً عامًّا لاذاعة محاضرات في الثقافة العامة ، توجّه خاصة إلى الطلاّب والطالبات ، يستمعون اليها في ساعات فراغهم ، فيكون خلوها من القيود التي تقيد بها الدروس المفروضة عليهم في المعاهد ، واتصافها بصفة التشويق التي يجب أن تتصف بها كل إذاعة لاسلكية ، مما يغريهم بالسماع . ورب كلمة واحدة أو عبارة واحدة تقع في ذهن الطالب فتكون كالبذرة الحية ، تقع في أرض خصبة ، فتنتش وتنمو وتؤتي ثمرها

وقد خيّل الينا ونحن نصغي إلى سعادة وزير المعارف ، وهو يلقي خطبة الافتتاح لهذا البرنامج الميمون (١٧ يناير ١٩٣٦) أن أرواح جميع المخترعين الذين أفضت مخترعاتهم إلى اتقان الاذاعة اللاسلكية ، على ما نشهدها في هذا العصر ، كانت تطلّ عليه من سماء الخلود ، مغتبطة أشدّ الاغتباط ، أن الجهود التي بذلوها في البحث والكشف والاستنباط تستعمل في هذا السبيل المفيد

ولا ريب في ان وزارة المعارف قد أعدّت في برنامجها ما يتيح لطلاّبها وطالباتها فرصة الاستماع لكبار المدرسين والمربّين في موضوعات تتصل بنواحي حياتهم المختلفة . فالميزة التي تمتاز بها الاذاعة اللاسلكية على سائر وسائل التعليم والتربية ، انها تتيح لسامعين كانوا أن يصغوا إلى الافذاذ وهم نوادر في كل مسألة أن يلقوا العلم عليهم ، لا يتاح في الغالب إلا لافراد قلائل منهم

فالتنوع قبل استنباط اساليب الاذاعة اللاسلكية وإتقانها كان محصوراً ، فأصبح ملكاً مشاعاً للامة الواحدة بل للانسانية قاطبة . فقد كان المولع بالموسيقى ، يقضي حياته وهو تائق الى

سماع احد كبار الموسيقيين، ولا يجوز الا بتلميذ له او تلميذ تلميذ، فاصبحنا الآن ولا يكثر علينا ان نرى احد هؤلاء بيننا لسهولة المواصلات، بل ليسهل علينا ان نسمع معظمهم كلَّ ليلة يوقعون او يعزفون او يغنون وليس بيننا وبينهم الا هذه الصلة اللطيفة، صلة الامواج اللاسلكية. وقد شهد كاتب هذه السطور من اسابيع اسرة مجتمعة تنصرف عن تناول الطعام لتلقي في سكون واستغراق منصتة الى قطعة موسيقية، يعزف فيها العبقري «يهودي منوهين» عازف «الكمان» المشهور، في احدى مدن اوربا وما يصح على الموسيقى يصح على سائر مطالب الثقافة العامة

كلمة الوزير

«اولادي الاعزاء من طلاب وطالبات — باسم الله الكريم افتتح موسم الاذاعة اللاسلكية المدرسية محيياً معاهد العلم نظارها ومدرسيها وطلابها راجياً ان يتحقق لكم يا اولادي ما نؤمله من الخير في هذا المشروع الذي قصدنا منه توسيع ثقافتكم وتوجيهكم الى حسن الانتفاع بوقت فراغكم وامدادكم بالمعلومات والاخبار الطريفة التي تيسر امامكم سبيل الحياة وتصلكم بالعمل الانساني في صورته الكاملة. ومن دواعي عظيم الغبطة ان يحدثكم في كل اسبوع فريق من اساتذتكم عما حدث به قرائح المفكرين قديماً وحديثاً في تكوين الحياة الفكرية العامة

«لقد اصبحت الاذاعة اللاسلكية مدرسة كبرى للعقل والروح، مدرسة فسيحة المدى ليست في مكان وهي في كل مكان، حرة من جميع جهاتها لا يحدها حد ولا يطوف بها سور، مدرسة تنجلي منها على الناشئين روح الفضائل القومية وخلاصة الآراء العلمية فتنشر عليهم شعاعاً من ضيائها ولمحة من جمالها

«ثم اصبحت الاذاعة ركناً من اركان كل نهضة تعليمية فهي معززة ومكملة للدروس المعتادة تلك الدروس التي تتقيد بقيود المناهج وتلتزم الحد الادنى للمعرفة اما هي فانها لا تعرف حدوداً ولا تخضع لقيود فالمقصود الاول من الاذاعة هو تحرير الدروس من حدود المناهج وفتح السدود القائمة بين المدرسة والحياة فهي نوافذ تطلون منها على العالم وما فيه من علم ومعرفة وآداب وترون كيف يتجلى لكم في العمل وتحكم الروابط المشدودة بين المدرسة ومجرى الحياة العامة. وهي كذلك نوافذ يطل عليكم منها مئات الاساتذة الذين لا يتاح لكم بغير هذه الوسيلة الفريدة ان تتزودوا من مناهلهم

«ولا شك أن تنويع الوسائل في التعليم واختلاف المدرسين الذين يحاضرونكم سيشعركم بسرور عظيم لدى تلقي المعلومات التي يبثون بها اليكم على متن الاثير

«على ان في هذه الاذاعة المدرسية معنى سامياً فانكم تشعرون الآن — وفي كل وقت

مجتمعون معه اسبوعياً مثل هذه الاذاعة ... ان جميع طلبة القطر قد اجتمعت قلوبهم واتجهت نفوسهم نحو غاية واحدة ... فانتم تتلاقون جميعاً تلاقياً قلبياً . وتولون وجهكم شطر القبلة العلمية . وكان موجات الاثير اذ تتحرك تطيف بقلوب فتيان مصر وفتياتها تمثل معنى التعاون العلمي والثقافي بأجلى صوره .

« وبديهي ان حياتكم المدرسية وما بها من نشاط علمي يشرف عليه حضرات اساتذتكم الى جانب ما تقوم به هذه الاذاعة من تهذيب وتثقيف سيكون خير هاد للجيل المصري الناشئ الى اقوم سبل الحياة . فاتخذوا من هذا وذاك مرشداً لما ينبغي ان تتجه اليه مداركم ومطالعاتكم فان ميدان العلم فسيح ولا بد للنجاح فيه من الاعتماد على الجهد الشخصي في البحث والاطلاع

« اولادي الاعزاء . انتم ذخيرة الوطن لمستقبله وموضع عنايته في حاضره والصلة القوية بينه وبين ماضيه . وان قلبي ليجيش بأطيب الاماني نحو ناشئة البلاد التي ندخرها لاعزاز الوطن بما تتحلى به من خلق نبيل وعقل راجح ورجولة كاملة »

الثقافة وفن الاذاعة

عندما يذكر الراديو على انه وسيلة فعالة من وسائل التثقيف العام تطير قلوب المعلمين والمربين والمثقفين وترقص فرحاً . ذلك انهم يتصورون ان اصواتهم التي كانت تنحصر قبلاً في دائرة ضيقة مؤلفة من بضعة طلاب او بضع عشرات في غرف التدريس او بضع مئات في ردهة المحاضرات، وقد اتسع نطاقها حتى تبلغ الالوف وعشرات الالوف بل ومئات الالوف من الناس قابعين في بيوتهم مستعدين لقبول الحكم التي تتناثر من افواه المتكلمين محمولة على متن الاثير

ولكن المستر جون ارسكين يرى ان هذه الصورة الاخاذة التي يتصورها المثقفون لا تزال بعيدة التحقيق . لان الاذاعة بالراديو لا بد ان تكون مرانة قبل ان تصبح فرصة سانحة للتثقيف ورفع المستوى الفكري والثقافي في نفوس السامعين . فاتساع نطاق السامعين واختلاف العناصر التي يتألفون منها والتفاوت بين مراتبهم الفكرية والفنية اشبه شيء بالتحدي الموجه الى القائمين على تدبير شؤون الاذاعة اللاسلكية والى المثقفين الذين يرون فيها الوسيلة المرجوة لتحقيق حلمهم الذهبي

الاذاعة بالراديو فن ، والمذيع اما ان يكون على جانب وافر من حذق هذا الفن او هو لا بد مخفق في مهمته . فالاذاعة بالراديو تتطلب من المذيع ميزات خاصة في الصوت وتركيباً خاصاً في العبارة . اما فيما عدا ذلك فهو فن خاضع لقواعد الجمال العامة التي تخضع لها الفنون جميعاً

واننا لنستطيع اذا شئنا ان نجعل علم الجمال (استتيك) علماً معقداً خالياً من نسمة الحياة

ولكن الذي يهمنا من امره في هذا الصدد هو امران : الاول كيف نقنع الجمهور بأن يقبل على الفنان وهو الخطيب او المحدث اللاسلكي في هذه الحالة. والثاني . ان نقنع هذا الجمهور بأن لا يوصد دون الخطيب اذنه اللاسلكية

أما البواعث على اقباله فقد تكون كثيرة متعددة ولكن احتفاظنا باتباعه وباقباله لا يمكن ان يحقق الا اذا احس ان ما يصغي اليه له قيمة في نظره

والترفيه في كذلك أما البواعث التي تحمل طوائف الشبان والشابات على الاقبال على المدارس فخليط من البواعث الاجتماعية والاقتصادية والرياضية ولكن هذه البواعث لا تدفع احداً الى الاقبال على سماع محاضرة او حديث او رحلة تذاع بالراديو . فالاصغاء الى ما يذاع لا يتيح للسامع ان يتعرف بأناس يتوق الى معرفتهم . والراجح انه لا يساعده في اعداده لعمل معين كالدراسة في المدارس الفنية والصناعية فالسامع لا يدير آلته اللاسلكية الا اذا كان الموضوع المذاع يهمه ، والمتكلم يجيد التكلم فيه ، فهماً لمناصره والقاء لعباراته . فاذا كان الموضوع لا يهم السامع ، او اذا كان المتكلم، لا يعرف كيف يملك ألباب سامعيه فليس في العالم قوة يستطيع ان يخرج فيه السامع من حضرة المتكلم مثل ما في الاذاعة بالراديو اذ ما عليهم حينئذٍ الا ان يقفلوا دونه هذه الآلة السحرية ، بدورة يسيرة في مفتاحها

هذه الاحوال والقواعد ، تجعل العلماء في ميدان الاذاعة اللاسلكية ، للاصلاح حتماً ولن يبقى الا الاذاعة التي تعد وتذيع برامج ، للهو والتسلية والتثقيف ، تحمل السامع على الظن بأنها تلهيه او تسليه او تنفعه ، اي تحمله على الظن بأنه يجني من السماع شيئاً له قيمة معنوية في حياته

وليس في امكاننا ان نقول ان كل هذا يمكن تحقيقه ، بنقلنا الاصوات من حجر التدريس الى بوق المذيع ولا في امكاننا ان نقول ان السمّاع يقبلون على سماع ما يذاع ، كما يقبل الطلاب على حجر الدراسة مرغمين على دفق ، لان سمّاع الراديو لا يقبلون الا اذا همهم الامر او لذّ لهم اننا لا نستطيع ان نرغمهم . ثم انه ليس في امكاننا ان نقول ان سمّاع الراديو يقبلون على السماع كما يقبل الطلاب على الاصغاء لمحاضرات رغبة في انهاء سني الدراسة والحصول على اللقب او الرتبة العلمية التي تميزهم في مجتمعهم أو تفتح لهم ابواب العمل في معاهد ومنشآت معينة

ان المدرسين بوجه عام قد تعوّدوا الفوز بجماهير من الشبان والشابات يصغون لمحاضراتهم ، اما بفرض الحضور عليهم قانوناً ، او بتزيين الفائدة الاقتصادية التي يجنونها من الحضور والحصول على رتبة اكاديمية معينة . ولكننا لا نستطيع ان نعمد الى هذه الاساليب في حمل الجماهير على الاقبال على سماع ما يذاع بالراديو . فاذا كان في ما نذيعه، فائدة تحيي او تسلية تسري عن النفس وتشيع في جوانبها معاني السرور والغبطة ، فالتثقيف بالراديو بالغ ولا ريب النجاح المقدر له . واذا لم يكن في

مديه ، هذه الفائدة او تلك التسلية ، فالسامع لا بدّ موصد دونها اذنه اللاسلكية وعند ذلك تصبح الدقائق اوالساعات التي تعين لاذاعة الثقافة العامة دقائق وساعات ، من الصمت الرهيب يخيم على طول البلاد وعرضها ، ولو كان الجو حافلاً بالحكم والدرر

اذا تقرر هذا حق لنا ان نلتفت الى موضوع آخر وعنوانه الفائدة العظمى التي تجنى من خدمة الراديو الثقافية يجتنيها أولئك القاطنون في مناطق لا يتاح لهم فيها من أسباب الثقافة ما يتاح لابناء المدن الكبيرة المشهورة بانها مراكز للعلم . فلا سبيل لهم الى سماع عشرات المحاضرات في مختلف الموضوعات ولا الى حضور المدارس والمعاهد لتلقي العلم على أربابه ولا الى زيارة المتاحف والمعارض في ساعات الفراغ واذن يجب أن نقيم لمطالب هؤلاء القوم وزناً عند التفكير في اعداد برامج للاذاعة اللاسلكية غرضه التثقيف العام

ولكن ما هي مطالبهم ؟ هذا أمرٌ يتعذر عليك الحكم فيه وأنت جالس في مكتب مدير الاذاعة أو في حضرة رئيس التحرير مع انك في كليهما تستطيع أن تقول قولاً عاماً في الموضوع وليس ثمت سبيل الى معرفتها — على ما ثبت بالاختبار في اميركا — الاّ باعداد الاسئلة بحكمة ودراية توجه اليهم على الراديو وحثهم على موافاة الادارة اجابة بمطالبهم . عند ذلك تؤخذ ردودهم وتفرز وتبوّب ومنها يستطيع أولو الامر أن يتبينوا الطريق القويم الذي عليهم أن يسلكوه فاذا هم لم يفعلوا ذلك ، خسروا هؤلاء السامعين

والامر الثاني الذي يجب أن نشير اليه ، هو ان التثقيف بالراديو قد لا يتفق — وهو في الغالب لا يتفق — مع النظريات التعليمية العامة التي يجري عليها المعلمون في معاهد العلم . فنحن في معاهد العلم نقسم المعرفة ونبوّبها علوماً وفروعاً ، ونجعل موضوع الدرس في الفرق المختلفة في ساعة معينة هذا المذهب في تاريخ دولة من الدول او تلك النظرية في أصل حيوان من الحيوانات وهلمّ جرّا . ولكن الحياة فلا تقسم المعرفة هذا التقسيم وقد يسألنا في أحد الايام رجل سؤالاً يتناول بضعة علوم أو بضعة فروع مختصة من علم واحد . ففي غرف التدريس قد نجيب عما يخصنا من السؤال ونحيل السائل على سائر المختصين في فروعه المختلفة ولكننا لا نستطيع ان نفعل ذلك بالراديو بل يجب علينا أن نجيب اجابة عامة شاملة تنطوي على روح السؤال نفسه

خذ مثلاً على ذلك : قد يقابل طالب في جامعة أو في كلية أستاذ الاقتصاد ويقول له يا أستاذ ، أن موضوع القاعدة الذهبية فقد يحيرني . لماذا خرجت عنها أميركا وعندها أكثر من نصف ذهب العالم؟ وما صلة المحكمة العليا بقرار اقتصادي ؟ ولماذا عدنا نحن متصل بنقد أمة أخرى وما الفائدة التي نجنيها من ذلك ؟ وغير ذلك من وجوه مسألة تندى فيها الصحف وتعيد كل يوم في أنبائها البرقية وتعليقاتها . وقد يكون الاستاذ مستعجلاً لا فراغ عنده ليلقي

محاضرة في الموضوع فيقول فطالب أصر حتى قصف السنة المقبل فصل الاقتصاد سوف يتوفر على دراسة هذا الموضوع . ولكن اذا كان هذا الاستاذ يلقي أحاديث اقتصادية بالراديو ، وكان جمهور سامعيه يبغي أن يفهم هذا الموضوع لما له من الصلة الحيوية بأعماله ـ بسعر أقطانه وثمن طعامه ولباسه ـ اذا كان الجمهور يبغي ذلك فلا مندحة للاستاذ من تلبية الطلب ، وفي أول فرصة ، لانه اذا اجتمع الفصل في المرة التالية ، ولم يعمل لم يجد في المرة التي تليها الا نفسه والآلة وأمواج الاثير . وعلى ذلك ان يكون التثقيف بالراديو منافساً للتثقيف في المعاهد . ولكن مما لا ريب فيه انه يقتضي هنا أن نبتدع أساليب جديدة لتعليم المتقدمين في السن وتثقيفهم ، تختلف عن أساليب الفصول في المدارس

واذن فالتثقيف بالراديو يجب أن يكون نوعاً ، من الاجابة الموجزة السهلة المشوّقة عن الاسئلة التي تهم الجمهور أو التي يوجهها الجمهور إلى المتكلمين ولا بد في هذا الصدد من أن نعيد أن الاجابة يجب ان تكون موجزة . ويجب أن تكون سهلة ويجب أن تكون مشوّقة

هذه الصفات الثلاث التي يجب أن تتصف بها احاديث الراديو المتجهة الى التثقيف العام ، هي الصعيد العام الذي تلتقي فيه أذهان كثرة السامعين ويجب أن تراعى كل المراعاة

فالايجاز يحول دون تطرق السآمة والضجر الى النفس بمنعهما فيها التطويل والتبسط والاستطراد . والسهولة في إيراد المعاني تكفل فهم ما يقال عند أكبر عدد من المستمعين والتشويق يجمع بين الاثنين فيقيها من الملل ويستحثها على المثابرة إذا عرض لها في خلال القسم الاول من الحديث ما لم يفهم على حقه

فذكر الاشياء العلمية مثلاً له اسلوبان ، الاسلوب الكلاسيكي يبدأ فيه بذكر تاريخ الموضوع وتطور نظرياته . والاسلوب المشوّق ، يبدأ فيه بذكر بعض نواح تسترعي الانتباه لما فيها من غرائب أو امور غير مألوفة . والمحدث اللاسلكي البارع يستطيع أن ينفذ من ذلك إلى تقرير ما يريد تقريره بعد ان يفوز باصغاء سامعيه وعنايتهم . ومن أبدع الاساليب في هذه الناحية ، سرد سير موجزة للاعلام على ان تكون السير اشبه بالقصص تروى وفيها ما فيها من عناصر الرواية وتضمين الحوادث اهم ما يقال عن آثار الرجل وفضله ومنها كذلك طريقة السؤال والجواب ولها اصول وقواعد

وانا لا ندري لماذا لا تعنى ادارة الاذاعة عندنا بناحية السير خاصة . وفي كل يوم نرى في الصحف ذكر علماء ورواد وقواد وسياسيين في حياة كل منهم ما يستوقف النظر من كفاح مع الفقر وغلبة على الصعاب وتمسك بالمبادىء وحنكة في الملمات وعزم وحزم وحكمة في الازمات . اي حائل يحول دون ذلك ؟ ولعلّ المشرفين على برنامج الاذاعة المدرسية في وزارة المعارف يوجهون عناية خاصة الى هذه الناحية من الموضوع

الالعاب الاولمبية

لسنة ١٩٣٦

في جبال باڤاريا وبرلين

ان من المعلوم ان الالعاب الاولمبية تجري كل اربع سنوات في عاصمة من العواصم والغاية من تلك الالعاب قسمان قسم رياضي محض نظراً الى تجلي المهارة الجسمانية ومنافسة ليوث الرياضة للحصول على البطولة العالمية ، وقسم معنوي نظراً الى ائتلاف الامم لحفلة كل اربع سنوات في مظاهرة فنية لا يشوبها كيد ولا لؤم . وستقع الالعاب الاولمبية المقبلة في المانية لجانب منها من ٦ الى ١٦ فبراير سنة ١٩٣٦ والآخر عادي من ٢ الى ١٦ اغسطس من السنة عينها . وتجري الالعاب الشتوية في قرية من قرى جبال بافارية تدعى «جارميش بارتنكرشه Garmisch-Partenkirchen» وفي هذه الالعاب الاخيرة الانزلاق والقفز والرقص الى غيرها مما يتعلق بالرياضة على الثلج والجمد . واما الالعاب العادية وفيها العدو والقفز والمصارعة والمبارزة والملاكمة والملاحة وكرة القدم وغيرها فستجري في ضيعة مجاورة لبرلين

وعناية الحكومة الالمانية بهذه الالعاب المقبلة شديدة جداً . فقد أمر الزعيم هتلر ان يقام في سبيلها على مقربة من برلين ميدان واسع يصلح ان يكون فيما بعد مسرحاً للرياضة الالمانية ، وان تبنى عنده قرية تامة الوضع ينزل بها المشتركون في الالعاب اذ فيها دور ومستشفيات وحمامات وحدائق واما الالعاب الشتوية فقد اعدت الحكومة الالمانية فيها ميدانين احدهما للانزلاق والقفز والآخر للرقص وما اليه وهذا الاخير صناعي غير طبيعي . وسينزل المشتركون في هذه الالعاب القرية المذكورة وهي «جارميش» ولا تدخر لجنة الالعاب وسعاً في الاستعداد الى ذلك

ومما يعنى به القائمون بشؤون تلك الالعاب ان تكون الميادين آية في الفن والاتقان وفي نيتهم ان يخرجوا شيئاً لا يجد احد مثله الا عند اليونان الاقدمين اصحاب الاولمب . وقد اشار الزعيم هتلر الى تلك النية في احدى خطبه الاخيرة ، وقال انه لا يقعد عن مراقبة العمل

ومما يذكر ان اللجنة المتقدم ذكرها تخرج مجلة شهرية في عدة لغات اوربية تقف الجمهور على

سير المدة وتبحث في شؤون الرياضة على وجه عام والالعاب الاولمبية على وجه خاص . وقد نشرت هذه اللجنة كتاباً ضخماً مزيناً بالصور الطريفة يتناول الموضوع نفسه

ومن المستظرف ان وزارة الدعاية الالمانية انشأت متحفاً لتلك الالعاب نقالاً يجول في ربوع المانيا وهو متحف مضموم في ست سيارات ضخمة وفيه آثار الالعاب الاولمبية جميعها مع رسوم الميادين التي اقيمت لاجلها في اثينة وباريس ولندن ولوس انجلس وغيرها وصور الابطال الفائزين. من ملحقات هذا المتحف الغريب آلة للصور المتحركة تبرز للناظرين مجرى مُعدّات الحكومة الالمانية للالعاب الآتية

ولنمهل هنا لحظة لنتحدث قليلاً عن الرياضة في المانية لهذا الزمان ورجوعنا في حديثنا الى الخطبة التي القاها مدير الالعاب الرياضية شهر مارس ١٩٣٥ في برلين في حفل من الصحافيين الاجانب

ترى الحكومة الهتلرية أن الرياضة في ايامنا هذه تقوم مقام الفروسية التي كانت شائعة في القرون الوسطى ، وكما ان الفرسان الجرمانيين في ذلك العهد ضربوا بسهم وافر في نواحي الفروسية فكذلك ينبغي للجرمانيين الحاليين ان يدلوا على مهارة شديدة وميل الى القوة لا يعرف الونى . فالقوة جمال الرجل والضعف مدعاة لفساده وسقوط همته وذله . اضف الى هذا أن الرياضة تورث حب الحرية وهل بعد الحرية مأرب للانسان . كل هذا علاوة على ما يترتب على الرياضة من تهذيب النفس بين اعتمادها عليها وسعي لها وتضافر الجماعة والمرح البريء واللهو الصالح

تلك آراء اخذ بها الالمان من بعد الحرب توّاً وقد بلغ بهم الأمر ان بزّوا سواهم في بعض ضروب الرياضة وتفننوا فيها تفنناً عجيباً ولعلّ اعجب ما اتوا به الرقص الايقاعي المشهور عنهم، ذلك الرقص الذي شاع حتى ابه ولج المدارس في امريكا واوربة

هذا وكان الالمان أشربوا حب الرياضة ومن الشواهد على ذلك أن الالماني اذا غادر المدينة صيفاً للترويح عن النفس لا يلتمس الراحة بل لا ينفك يسير على قدميه طول نهاره او يتسلق الجبال أو ينصرف الى الملاحة . وما اسعده لو استطاع ان ينطلق شتاء الى الجبال المثلجة فيقفز هنالك ويتزلق ما شاء الله ان يفعل ومما يلاحظه المقيم بالمانية ان الامهات لا يصاحبن أولادهن في غدواتهن وروحاتهن بل يبعثنهم الى رياض الاطفال يمارسون الالعاب الرياضية على اختلاف انواعها

تلك الاستعدادات المعنوية والادبية تنظم الحكومة الالمانية الالعاب الاولمبية، فعسى أن تفلح وأن تبلغ المدى لاننا نعد تلك الالعاب مدعاة للتفاهم بين الامم وسبيلاً لتآلفها ولو لحظة من الزمان . فقد والله سئمت الانفس الروح السائدة الآن في أندية العالم ، روح البطش والنضال وكم تود النفس الصافية ان تمد بصرك سليم محمود العواقب ينشف عن اجلال الناس بعضهم لبعض وميل كلهم الى التآلف وحسن التفاهم

موقعة نافارين البحرية

٢٩ ربيع اول سنة ١٢٤٣هـ ٢٠ اكتوبر ١٨٢٧م

للدكتور علي مظهر

— ٢ —

بدء المعركة

اقلعت الاساطيل المصرية والعثمانية في اوائل اغسطس سنة ١٨٢٧ بقيادة امير البحر محرم بك فاما الاسطول المصري فكان مكوناً من ثماني عشرة سفينة حربية والعثماني من ست عشرة سفينة واربع سفن تونسية وجزائرية وست حراقات واربعين مركباً لنقل الجنود وعددهم ٤٩٠٠ جندي. وكان امير البحر التركي هو جنكل اوغلي طاهر باشا وقد عزل خسرو باشا من البحرية لخلاف وقع بينه وبين ابرهيم باشا. وتعين عزت باشا مكانه وكان ذلك خلال الحركات العسكرية البرية والبحرية التي انتهت باسترداد بلاد موره. ووصلت السفن العثمانية الى ميناء نافارين في ١٨ شوال سنة ١٢٤٢ هـ وكانت مؤلفة من ٣٧ سفينة على رواية سرهنك باشا (جـ ٢ ص ٢٤٠) والاسطول المصري كان ١٦ سفينة بقيادة امير البحر محرم بك بعدئذ واصبحت السفن التركية والمصرية والتونسية والجزائرية ٥٢ سفينة كلها بميناء نافارين بقيادة ابرهيم باشا وكان عدد مدافعها ١٥٨٨ مدفعاً وكان عدد سفن الدول المتحالفة الاخرى ٢٦ سفينة كبيرة تحمل ١٢٦٦ مدفعاً

على انه يجدر بنا ان نشير الى بحث لسمو الامير العلامة الجليل عمر طوسون عن عهد محمد علي ذكر فيه ان سفن مصر الحربية التي اشتركت في حرب موره كانت اربعاً وثلاثين قطعة غير سفن النقل التي بلغت اربعاً واربعين وذكر انه لم يعد منها غير ثمان وثلاثين قطعة منها احدى وعشرون سفينة نقل وسبع عشرة سفينة حربية ما بين فرقاطة وقرويت وابريق

وهذه المعلومات منقولة من كتاب وضعه سموه يسمى (صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي) ولعل سموه يعجل بنشره خدمة للتاريخ

وتولى ابرهيم باشا القيادة العامة لكل القوات البرية والبحرية واستعد لمهاجمة جزيرة (هيدرا) بحراً وشمال (موره) براً واتخذت اساطيل الدول المتحدة مكانها بين جزيرتي (هيدرا) و (زميا) وعجس قائد الاساطيل المتحدة امير البحر كودرنجتون عن اخبار السفن العثمانية والمصرية لمنعهما من الوصول الى سواحل اليونان وانزال الامدادات الى البر. ولكن تلك السفن المشار اليها كانت قد وصلت الى ثغر (نافارين) من دون ان تشعر بها سفن الاساطيل المتحدة . فتم له ما ارادت من دخول الى الميناء وانزال الرجال والمؤن والذخائر . ويجدر بنا ان نشير الى ما كان يبدو من تباين كبير وفرق واضح بين السفن المصرية والسفن العثمانية فكانت الاولى احسن نظاماً وترتيباً واجود اسلحة . وكانت تبدو السفن المصرية في حالة جيدة جداً بشهادة من رآها ومنهم الكابتن هيلوز احد ضباط الاسطول الانكليزي عند ما كان يستطلع اخبار اساطيل اعدائه (عبد الرحمن بك الرافعي في عصر محمد علي ص ٢١٦)

وكان وصول الاسطول الانكليزي امام نافارين يوم ١٢ سبتمبر والفرنسي يوم ٢١ منه والروسي في اوائل اكتوبر

وارسل كودرنجتون الى ابرهيم باشا رسولاً يوم ١٩ سبتمبر ١٨٢٧ يبلغه ما تم عليه رأي احلفاء في لندن من وقف القتال في البر والبحر. وقال له ان اساطيلهم جاءت لمنع وصول السفن الحربية والامدادات البرية الى اليونان وجزرها . وقابل امير البحر (ريني) الفرنسي عند حضوره لمياه اليونان ابرهيم باشا وكرر على مسامعه مطالب الحلفاء ثم رجع فقابله هو ومعه كودرنجتون من قبيل الارهاب والتهديد ليعود باسطوله ورجاله الى الاسكندرية . وقابل البطل ابرهيم باشا التهديد بما عهدعنه من رباطة جأش وثبات . وقال لهما في جوابه انه سيرسل الى والده بمصر والى الباب العالي (حكومة تركيا باستنبول حينئذ) لاخذ رأيهما وتلقي التعليمات منهما. وانه يتعهد ببقاء الاسطول في نافارين الى وصول تلك الاوامر والتعليمات

ويؤثر عن ابرهيم باشا قوله لامير البحر الفرنسي وهو يحادثه (انكم تطلبون مني وقف كل حركات القتال بينما تتركون الارْوام يعملون ما شاءوا . وهذا ليس من الانصاف في شيء). وقد كان ما قاله هو الواقع . ولو انه سار الى جزيرة (هيدرا) لكان القضاء المبرم والاخير في ذلك على آخر معقل لثوار اليونان . ولكن الحلفاء كانت تأبى ذلك . فبينما كانت المدنة الوقتية معقودة بين ابراهيم باشا والاساطيل المتحدة كان اليونانيون يقومون بحركات عدائية في خليج كورنثوس وارمعوا مهاجمة (باتراس) شمالي مورة بمساعدة الحلفاء الذين تطوعوا لخدمتهم باساطيلهم وقوادهم مع ان الجيش المصري كان يحتل تلك المناطق . ولم تفد بلاغات ابراهيم باشا التي ارسلها الى قائد الاساطيل المتحدة عن ذلك . فرأى ابراهيم باشا ان يمد (باتراس) . وسار اليها بحراً في بعض

السفن الحربية فثارت ثائرة الحلفاء وعدوا ذلك منافياً للهدنة مع ان ابراهيم باشا تعهد بعدم مهاجمة جزيرة (هيدرا) فقط ولم يكن هناك ما يمنعه من انجاد الجنود المصرية المعسكرة في (مورة) وان يدفع عنها اذى قوم يريدون بها شراً بمعاونة حلفائهم المتطوعين لخدمتهم ولأ مالتهم استقلالهم. وارسل كودرنجتون سفنه فتعقبت السفن المصرية ولحقت بها تجاه رأس (باپاس) شمالي مورة وهددتها بالحرب اذا لم ترجع فاضطرت الى العودة الى نافارين

واوصى محمد علي ابنه ابراهيم بعدم التحرش بأساطيل الحلفاء لانه كان متأكداً من قواتها. واوصاه في خطاب اليه بعدم الاصطدام مع الدول خوفاً على الاسطول المصري واخبره بانه سيرسل اليه تعليماته النهائية اذا جاءه الرد من الباب العالي. ورأى ابراهيم باشا ان ينفذ وصية ابيه اليه. والتزم في نافارين خطة الدفاع سيما وقد كان يعلم ما كانت عليه الاساطيل المتحدة من القوة لما اتصفت به من نظام وما كان لسفنها من قوة سلاح ومدافع شديدة الفتك بعيدة المرمى وما كان لامرائها وضباطها من مرانة على ركوب البحر وكفاءة وعلم. ولم يقتنع الحلفاء بخطة الدفاع بل رأت انجلترا القضاء على الاسطول المصري والعثماني واوعزت بذلك الى الحلفاء لان انجلترا كانت تخشى زيادة قوة الاسطول المصري يوماً عن يوم وهي كانت تبغي دوام السيادة على البحر الابيض المتوسط. فتنتهز الفرصة السانحة لاضعاف مصر في ملكها في اسطولها الناشيء ولتحول دون قوة مصر الحربية والبرية ايضاً

وزحف ابراهيم باشا بقوة من جنده داخل مورة لانجاد الحاميات المصرية التي شاغبها الثوار. ولكنه اوصى امير البحر محرم بك قائد الاسطول المصري وامير البحر طاهر باشا قائد الاسطول التركي العثماني بعدم التحرش بأساطيل الدول وان يلتزما المودة والمجاملة. ولكن قواد الاساطيل المتحدة المتحالفة ارسلوا اليه انذاراً بعد مبارحته نافارين لانه في زعمهم نقض الهدنة وأنه وحده يتحمل عواقب ذلك العمل الخطيرة وحمل رسولهم الانذار الى نافارين قبل يوم الموقعة بيومين. ولما لم يجد الرسول ابراهيم باشا عاد برسالة التهديد الى كودرنجتون فاجتمع قواد الاساطيل. واتفقوا على ادخال اساطيلهم الى ميناء نافارين بقصد التهديد والتظاهر

***

وكانت سفن مصر والسفن العثمانية داخل الميناء في ثلاثة صفوف متوازية تقريباً كل صف في شكل نصف دائرة يمتد طرفاها من نافارين الجديدة الواقعة على يمين البوغاز الى جزيرة اسفاكتريا التي تحجب عن الميناء امواج البحر. وكانت السفن الكبيرة والفرقاطات في الصف الاول ويليها سفن الكورفيت ثم سفن الابريق وغيرها بعدها في الصف الثالث

وكانت نافارين استحكامات لتحمي مدخل الميناء كما وضعت بطاريات من المدافع في طرف

جزيرة اسفاختريا مع مساعدة سفن خفيفة من الحراقات وهي المراكب التي تشعل فيها النيران فتندفع وسط سفن الاعداء لتحرقها نارها .

وفي يوم ١٧ اكتوبرسنة ١٨٢٧ ارسل امير البحر ريني الفرنسي يدعو فيه الضباط الفرنسيين الذين استخدمهم محمد علي لتنظيم بحريته لكي ينسحبوا من الاسطول المصري حتى لا يحاربوا فرنسيين مثلهم فلبوا الدعوة واستأذنوا قائد الاسطول المصري محرم بك فأذن لهم . وتركوا الاسطول الذي كانوا فيه يوم ١٨ اكتوبر اعني يوم التهديد من قواد السفن المتحالفة . وفي ذلك عبرة لمن يريد ان يعتبر وان لا يعتمد في المهمات الا على اهل البلاد مع الانتفاع بمعارف الاجانب واستخدامهم الى حد معقول محدود

وجمع امير البحر الانجليزي قباطين الحلفاء صباح يوم التهديد على ظهر سفينته (آسيا) ليصدر اليهم التعليمات فيما يجب عمله اذا بدأ القتال . ويظهر انهم كانوا يريدون تنفيذ خطة الغدر بالاساطيل المصرية والعثمانية في ذلك اليوم لولا الريح التي لم تساعدهم يومها على دخول البوغاز وتنفيذ مؤامرتهم فانتظروا الى ثاني يوم فان سفن الاساطيل المتحالفة المتحدة استعدت في الساعة العاشرة للتأهب وبدأت سفينة (آسيا) الفائقة لامير البحر الانجليزي عند الظهر تتجه على مقربة من الخليج تحيط بها بقية الاسطول الانجليزي وفي اثره الاسطول الفرنسي والروسي

وفي منتصف الساعة الثانية بعد الظهر اصدر قائدهم الاكبر امره بالتأهب للقتال وعند تمام الثانية بعد الظهر اقتحمت البوغاز . فارسل محرم بك رسولاً الى سفينة امير البحر الانجليزي يطلب منه ان يمنع سفن الدول المتحدة المتحالفة على الشرس الرسو في نافارين فرد كودرنجتون على الرسول رداً جافاً . وقال بأنه لم يأت ليتلقى الاوامر بل ليمليها وظهرت عندئذ ما ينتويه من شرٍّ وعدوان واضحاً جلياً

واصطفت سفن الحلفاء على شكل نصف دائرة تقريباً امام الاسطول المصري والعثماني . واقتربت معظم السفن حتى اصبحت امام السفن المصرية والعثمانية وجهاً لوجه . وصار بعضها على مرمى المدفع منها . وهذا مما يظهر نية الحلفاء واضحة وقد برح الخفاء

ووقفت البارجة الانجليزية دارتموث على رأس الصف لتعطيل عمل الحراقات المصرية الراسية في مدخل الميناء . وطلب قبطانها الى احدى هذه الحراقات ان يغادرها بحارتها وجنودها او ان تنسحب من مواقعها . وذهب رسول الانجليز في قارب مسلح الى السفينة المصرية متحدياً للقتال . ويقول بعض مؤرخي الحلفاء يومئذٍ ان رصاصة اطلقت من السفينة المصرية فأصابت جندياً من الحلفاء فكان القتال . وسواء صحَّ ذلك ام لم يصح فان اساطيل الدول المتحدة جاءت تتحدى وجاءت لتنفيذ خطة معينة وهي القضاء على الاساطيل المصرية والعثمانية غيلةً وغدراً .

ولاسيما اذا عرفنا ان سفن الحلفاء على قلتها كانت ارجح . فقد كان لديهم عشر بوارج كبيرة مقابل ثلاث عند المصريين والاتراك وكانت سفن الحلفاء المتحدين اشد بأساً واقوى سلاحاً واكثر استعداداً وارقى قيادة من سفن اعدائهم لحداثة عهد المصريين وقلة مرانهم في ركوب البحار . ولو انهم ابدوا من ضروب البسالة والاقدام والقيام بواجبهم ما يشكرون عليه ولم يسلموا بأية سفينة من سفنهم ولكنهم كانوا داخل الميناء في مكان ضيق لا يسهل عليهم فيه الحركة

وبدأ اطلاق النيران من اساطيل الدول المتحدة على الاساطيل المصرية والعثمانية ، في منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر. واستمر القتال الى الخامسة تقريباً وتجاوبت النيران والاساطيل الضرب وعلا الدخان . وكان المنظر وحشياً من اشتعال النيران في المراكب وغرق هذه السفن في المياه وفتك الانسان بأخيه الانسان . واستمر القتال الى الخامسة مساء تقريباً . وكانت النهاية عن عدد غرق كثير من السفن المصرية والعثمانية ونسف بعضها وجنح ما بقي منها الى الشاطىء ولم يسلموا بحارتها للاعداء فأحرقوها وبلغ عدد قتلى المصريين والعثمانيين ثلاثة آلاف وخسر الحلفاء ١٤٠ قتيلاً و ٣٠٠ جريح (عبد الرحمن بك الرافعي في عصر محمد علي ص ٢٢٤)

كل ذلك يحدث من دون سابقة اعلان حرب من جانب الحلفاء فكانت نية الغدر مبيتة وحدث يوم ٢٩ ربيع اول سنة ١٢٤٣ هـ (يوافق ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٧ م)

ودليل الغدر ان ابرهيم باشا وهو القائد العام للحملة على موره البرية والبحرية لم يشاهد موقعة نافارين ولو انه توقع ذلك لما ترك الميدان بل لشهدها كما كانت عادته في وقائعه اذ كان يشترك فيها . وكان ابرهيم مع جيشه الذاهب في داخلية بلاد موره لنجدة الحاميات المصرية التي يشن الثوار عليها الغارات . ولما بلغته نتائج الموقعة البحرية وما حل باسطوله ورجاله عاد الى نافارين . وشهد آثارها وكان حزنه شديداً . ثم انه امر باعداد بعض السفن الناجية وعوم بعض السفن الغارقة وارسلها الى الاسكندرية . ولزم جانب الدفاع واخلى مدن موره وامتنع بمعظم جنوده في ثغري (كورون) و(مودون) حتى يأتيه امر ابيه (عبد الرحمن بك في عصر محمد علي ص ٢٢٥)

واتصل قناصل الدول المتحدة بمحمد علي في مصر . وافهموه ان يسحب جيوشه وقوته من موره وكتبوا معه اتفاقاً محرراً غاية ذي الحجة سنة ١٢٤٣ هـ (يوافق ٣ اغسطس سنة ١٨٢٨م) فارسل صورته الى ابنه ابرهيم باشا . فلما قرأها اغتاظ منها جداً لأنها اضاعت عليه ثمرة جهاده واتعابه سدى . وقد حددت الدول تجريد قوات لاخلاء بلاد اليونان من القوات العثمانية والمصرية وتكفلت انجلترا بالاعمال البحرية وتعهدت فرنسا بارسال جيش قوامه ٢٤٠٠٠ مقاتل (سرهنك باشا في حقائق الاخبار جـ ٢ ص ٢٤٠) على ان عبد الرحمن بك الرافعي في كتابه القيم في عصر محمد علي يشير الى ان فرنسا ارسلت الى بلاد اليونان جيشاً مؤلفاً من ١٨٠٠٠ جندي

بقيادة الجنرال ميزون لاجلاء المصريين والترك عنها (ص ٢٢٥) ونقل سرهنك باشا شروط الاتفاق عن مجموعة المعاهدات في كتابه حقائق الاخبار (ج٢ ص ٢٤٠). ونحن ننقلها عنه وهي: —

١ — يتعهد والي مصر باعادة جميع الاسرى من يونان وغيرهم

٢ — يتعهد امير البحر الانجليزي باعادة جميع الاسرى المصريين وخلافهم مع السفن التي اخذت في الحرب

٣ — تخلي الجيوش المصرية شبه جزيرة موره في أسرع وقت وينقلها والي مصر بسفنه الى الاسكندرية

٤ — ان تكون السفن المصرية في حالة ذهابها وإيابها مخفورة بسفن فرنسا وانكلترة

٥ — لا يجبر اليونان المقيمون بمصر على تركها ما داموا غير مكرهين على الاقامة فيها وكذلك من يريد العودة مع المصريين باختياره لا يمنع من ذلك

٦ — يجوز لابراهيم باشا ان يترك في موره عدداً من العساكر لا يزيد عن ١٢٠٠ نفر للمحافظة على متون وقرون ونافارين وبتراس وكستيل اما باقي النقط الاخرى فلا بدّ من الجلاء عنها بدون امهال

ويقول الرافعي بك عن الشرط الاول على (تحرير من بيع من اليونانيين في مصر ما يأتي: — ويذكر المستر باركر قنصل انكلترا في مصر وقتئذ ان عدد هؤلاء الاسرى ٥٥٠٠ وزعوا على بيوت الكبراء في الاسكندرية والقاهرة. ولما ابرم هذا الاتفاق لم يقبل منهم العتق سوى اربعمائة واما الباقون ففضلوا البقاء في مصر (عصر محمد علي ص ٢٢٦). ونحن نعرف ان كثيراً منهم امتزجوا في الدم المصري بالتزاوج. ومن ذريتهم بعض الرجال والسيدات المعروفين بمصر اليوم ونجد ذكر البعض منهم سيدات ورجالاً في الاوراق التي حفظت اسماءهم كالوصيات وغيرها

واصدر ابرهيم باشا أوامره باخلاء المدن اليونانية والسير الى الثغور. وأقلعت بالجند السفن إلى مصر في اكتوبر سنة ١٨٢٨. وعاد الجيش وقد فقد ثلاثين الفاً من الجنود والبحارة من قوة الحملة التي بلغت اثنين وأربعين الفاً. وبلغت نفقات الحملة ٧٧٥ الف جنيه وفقد معظم الاسطول المصري فكانت الخسارة فادحة، ولم تنل مصر من حربها هذه فائدة مادية ما سوى ضم جزيرة كريت اليها. فقد عهد السلطان محمود إلى محمد علي بولاية تلك الجزيرة مكافأة له على خدماته في حرب موره وهذا مع ما أبداه الجيش المصري من البسالة والاقدام في تلك الحروب فكانت مرانة طيبة له في خوض المعارك غدا ما اصبح لمصر من منزلة سياسية ممتازة لها شبه استقلال فعلي عن تركيا

اما بلاد اليونان فقد استقلت بذلك استقلالاً تامًّا وحافظت عليه الى اليوم

(لها تتمة)

تحول المشهد الاوربي

واتجاهات سياسة الدول الاوربية [1]

بريطانيا وفرنسا وروسيا وايطاليا

في يوم ١١ سبتمبر من السنة الماضية التي السر صموئيل هور خطبة في جنيف كانت في رأي فريق كبير من الناس اعظم خطبة القيت فيها . فقد حدّد في فقراتها الاركان التي تقوم عليها سياسة عصبة الامم . ومع ان جنيف تعوّدت الخطب الطنانة ، ولكنها أصغت الى هذه الخطبة واستعادت فكان ذلك باعثاً على دهشة المتشائمين . واصبحت الجامعة بعدها قوة تستطيع ان تدفع التاريخ في وجهة معيّنة . وكذلك تحوّل ما كان في السابق من العبارات المثالية ، عملاً فعّالاً فهل يستمر الى الغد ؟

ان الردّ على هذا السؤال يتوقف على تفاعل القوى التي تبين خطط الامم الكبرى . وخطط الامم الكبرى ، صُوَر مركّبة ، تلتقي فيها المثل العليا التي ينشدها الشعب ، وخطط السياسة الداخلية ، واحوالها الاقتصادية . فاذا شئنا ان نفهم شيئاً عن القوى التي تحدّد الاتجاه الحالي للسياسة العالمية ، وبواعثها ومقتضياتها ، وجب علينا ان نحلّل تحليلاً دقيقاً الحالة الداخلية ، في الامم او طوائف الامم التي تشترك في هذا الاتجاه . فالمسألة ليست مسألة نزاع بسيط ، بين الاثرة والايثار ، او بين المكر والاخلاص ، او بين النزوع الى السلطة وحب السلام ، فهي ليست شيئاً من هذه الاشياء وحده ، ولكنها جميع هذه الاشياء معاً

بريطانيا

اعترف السر صموئيل هور في خطبته بجنيف ، بالاخطاء التي ارتكبتها حكومة بريطانيا او الشعب البريطاني في الماضي اسوةً بسائر الحكومات والشعوب . ولا يعرف احد الاخطاء الخاصة التي ارادها الوزير البريطاني الاّ الوزير نفسه . ولكن من المؤكد ان خطة بريطانيا بوجه عام انقلبت انقلاباً تامًّا في اوائل يونيو سنة ١٩٣٥ . ففي ذلك الشهر تغيّرت الوزارة البريطانية ، فخلف المستر بلدوين المستر مكدونلد في رآسة الوزراء ، والسر صموئيل هور السرجون سيمون في وزارة الخارجية ، وفيليب كنليف لستر لورد لندندري في وزارة الطيران . فظنّ بعض الناس

---

(١) هذه مقال لغوستاف ستولبر Stolper مؤسس ومحرر « دويتش فولكسفرت » وعضو الريخستاغ سابقاً ومؤلف كتب اقتصادية مختلفة في شؤون اوربا ، نشرته مجلة الشؤون الخارجية الاميركية في عدد يناير ١٩٣٦ ، وقد نقلناه هنا على انه عرض لاحوال اوربا غير مقيدين بآرائه

ان التغير لا يعدو كونه تغيراً في الرجال وحجتهم ان المستر بولدون كان ، وهو زعيم المحافظين ، زعيم الحكومة لما كان مكدونلد رئيسها وان هور نفسه كان عضواً في الوزارة القومية منذ انشائها. ولكن هذا التغير كان في الواقع تغيراً في اتجاه سياسة بريطانيا

وما انقضت ثلاثة اسابيع على اعادة تأليف الوزارة القومية ، حتى اذيعت نتائج « استفتاء السلام » الذي بدأته العصبة الانكليزية لجامعة الامم برآسة فيكونت روبرت سسل في شهر يناير السابق وكانت الاسئلة التي وجّهت الى الشعب البريطاني ، تدور حول موقف بريطانيا من جامعة الامم ونزع السلاح والعقوبات. هل يجب على بريطانيا ان تبقى عضواً في الجامعة ؟ وهل يوافق صاحب الردّ على نص عام شامل في التسليح بالاتفاق الدولي ؟ وهل يوافق على الغاء تام للطائرات الحربية البحرية بالاتفاق الدولي ؟ وهل يجب ان تبقى صناعة الاسلحة صناعة يقوم بها افراد وشركات او يجب ان تصبح ملكاً للدولة ؟ واذا هاجمت دولة ما دولة اخرى فهل يجب على الدول الاخرى ارغامها على التراجع بوسائل اقتصادية غير عسكرية او بوسائل عسكرية اذا اقتضى الامر ذلك ؟

وقد كان عدد الذين اشتركوا في الردّ على هذه الاسئلة ١١٫٦٢٨٫٠٠٠ من الانكليز كان منهم عشرة ملايين في جانب العقوبات الاقتصادية و ٦٫٨٠٠٫٠٠٠ في جانب العقوبات الاقتصادية والحربية اذا اقتضى الامر

عجز العالم خارج انكلترا عن ادراك قيمة هذا الاستفتاء ، عجزه عن ادراك خطر التغيير الوزاري . بل اننا اليوم لا نستطيع ان نعلم اي الحادثين كان اعظم خطراً . ولكن القدر جاء بالتغيير الوزاري موافقاً لنتيجة الاستفتاء . فقد ظهر في السنوات الاخيرة ازوراء مكدونلد عن الجامعة وصحبه عطفهُ على موسوليني . ولكن بولدون لم يكن مسيَّراً في سياسته بمثل هذا الشعور الشخصي . ثم ان السر جون سيمون كان رجلاً دقيقاً بارعاً التحليل ، ولكنهُ كان لا يستجيب لنداء العاطفة . وعلى كلٍّ كان ضعف ايمانهِ بالجامعة مما لا يتفق والنزعة السلمية في الشعب البريطاني ، على ما اكدتها نتائج « استفتاء السلام »

ولكن العامل الفاصل كان الرأي العام البريطاني نفسهُ . ثم ان هذا الرأي العام ، النزّاع الى السلام في بريطانيا ، كان متأثراً بدعاية قوية نظّمها دعاة السلام البريطانيون . ولكن دعاة السلام في بريطانيا ، ليسوا من الموسوسين ، بل من رجال السياسة الذين يقدرون حقائق السياسة حق قدرها . فالنزعة السلمية البريطانية نزعة واقعية ، تمتدُّ اصولها الى النواحي الدينية والانسانية في الخلق البريطاني . فهي ليست ، على ما يرى بعضهم ، ستاراً « للامبريالستية البريطانية » . ان عشرة الملايين من الانكليز ، الذين وافقوا على وجوب تأييد بريطانيا للجامعة

وتعزيز السلامة الاجماعية وتعيد نظام العقوبات ، يعنون ما يقولون . فانهم مصممون على تحمّل نتائج الامبراطورية البريطانية ، كما يطلبونها من كل دولة تنتهك عهد الجامعة اليوم او غداً . بل انهم مستعدون للتخلي عن الهند والمستعمرات البريطانية لتدخل في نظام الانتداب الذي وضعتهُ جامعة الامم

وليس يهمنا ان نعلم هل هؤلاء الملايين العشرة يمثلون اكثرية الشعب البريطاني ، او لا ، لانهم على كل حال يمثلون اكثرية العناصر الفعّالة في توجيه سياسة بريطانيا ، وهذا كلُّ ما يهمنا في هذا الصدد . وقد اثبت الانتخاب البريطاني ، الذي تمَّ في ١٤ نوفمبر الماضي ان النزاع السياسي بين الاحزاب البريطانية ، يدور في الغالب على الفوز بأكثرية مليون او اكثر قليلاً من الناخبين . فالاكثرية التي نالتها حكومة المستر بولدون لا تزيد على مليون ونصف مليون من الناخبين ، على مجموع الذين اقترعوا في جانب خصومها . فمليون من الناخبين يميل الى هذه الناحية او الى تلك ، يعني في بريطانيا ، تغيير الحكومة او انقلاب النظام القائم فاذا اعتبرت هذا وعلمت ان « استفتاء السلام » أسفر عن اجماع عشرة ملايين من الناخبين الانكليز على تأييد جامعة الامم تأييداً فعَّالاً ادركت ، لماذا اصغت الحكومة البريطانية الى صوت الشعب الصريح

فهل يسع الحكومة ان تتجاهل كلَّ هذا وقد تمت الانتخابات وفازت بالاكثرية المطلوبة؟ هل يسعها ان تخدع الناخبين ؟ كلّ من يعرف شيئاً عن تاريخ انكلترا الحديث ، يعتقد ان هذا غير مستطاع . فانكلترا هي الدولة الكبيرة الوحيدة ، التي فيها رأي عام مستقلٌ عن الاحزاب السياسية والصحافة ، ويؤثر تأثيراً قويّاً متواصلاً في سياسة الحكومة . فكل حكومة تسير سيراً مناقضاً لاتجاه الرأي العام البريطاني ، لا تلبث حتى تضطر الى حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة ، كانت اكثريتها ما كانت . والحكم الفاصل في الانتخابات الجديدة هو هذه الملايين التي تعين اتجاه التاريخ البريطاني

وكان القدر اراد ، ان تجيء هذه المحنة تبتلي دعاة السلام الانكليز في الحين الذي جاءت فيه ، فحملت دعاة النزعة الامبريالستية على التعاون مع دعاة السلام او الانضمام اليهم . قلنا ان احد عشر مليوناً من الانكليز اعربوا في يونيو الماضي عن رأيهم في وجوب وضع خطة لتعزيز جامعة الامم وتأييد هذه الخطة من ناحية انكلترا . ولكن هؤلاء ليسوا الامة البريطانية كلها . بل هناك ملايين من الانكليز ينظرون الى جامعة الامم بكثير من الريبة . ملايين اجمعت ، على اختلاف النوازع والبواعث ، على الاعجاب بموسوليني . ولكن موسوليني نفسهُ فرَّق شملهم ، لا لانهُ هدَّد مصادر النيل الازرق وخط المواصلات الى الهند واستراليا ، لان هذا كلهُ كان مضمّناً في سياسته الحبشية ، ومع ذلك لم يرَ مكدونلد ولاسيمون باعثاً يدعوهما الى ذكر الحبشة

عند اجتماعها به في ستريزا في ابريل الماضي . ولكن بعض ملاحظات موسوليني ، التي ذاعت عن طريق الدوائر الدبلوماسية في هيئة لندن الاجتماعية ، وبعض المقالات الموحى بها في صحف ايطاليا ، اثارت قلقاً واضطراباً في صدور المعجبين بموسوليني من الانكليز ، ومن هذه الاقوال قولهم « ان البحر المتوسط بحرنا » وان الاسطول البريطاني اصبح لا يقام له وزن ، وهذا شيء لا تسلّم به الكرامة البريطانية ولو كان صحيحاً . وفي هذا الصدد اخطأ موسوليني التقدير ، لانهُ وحّد الصفوف في انكلترا بعد اختلاف وتنافر

والخلاصة ان انكلترا الآن تجري على خطة تعزيز الجامعة وتأييدها لاسباب ثلاثة . فاولاً . لان الامة الانكليزية تنزع الى السلم ومنع الحرب . وثانياً . لانها تخشى ان يعقب انحلال الجامعة فوضى عامّة في اوربا . وثالثاً لان عمل الجامعة اذا اصاب النجاح يعني حماية مصالح بريطانيا عندما تهدَّد حماية اجتماعية . ثم ان هذه العوامل الثلاثة ، ليس احدها مفصولاً فصلاً واضحاً عن الآخر . فالنزعة الثالثة الى السلام ، والمصلحة الامبراطورية ، وخطط الاحزاب الانكليزية ، تندمج بعضها في بعض ولكن تيار الرأي العام ، الناشيء عنها ، متجه في اتجاه واحد لا شك فيه

فرنسا

ولا يمكن ان يقال كل هذا عن فرنسا . فالمسيو لافال التي خطبته المطيبة في جنيف ، غداة خطبة هور فظهر فيها ، وهذا كان قصده ، يظهر المتفق مع هور على كل شيء . ولكن النزعة السلمية في فرنسا ، وحالة فرنسا المادية ، تختلفان عما هما في انكلترا من كل وجه . كانت وزارة لافال ضعيفة منذ تأليفها ، بقدر ما كانت وزارة بلدوين قوية . وإذا كانت بريطانيا شاعرة الآن بقوتها ، فان فرنسا شاعرة ضعفها . وهذا الشعور بالضعف ، هو في اغلب سبب الانقسام الذي يسم حياة فرنسا العامة لانتيجة لهُ

ففرنسا ، لم تبلغ من الناحية الذهنية ، الى المقام العظيم الذي احرزته سنة ١٩١٩ بل انها في السنوات ، التي بدت فيها قوتها في الذروة ، لم تفقد ما يعبر عنه علماء النفس « بشعور النقص » بالقياس الى المانيا المغلوبة . وهذا جعل سياستها الخارجية متقلبة . ومن هنا نشأ عنادها ، وعجزها عن اتباع خطة المسالمة ، والتسليم بأشياء في حينها ، وهي صفات القوي يحس بقوته

فرنسا هي التي ابدعت فكرة السلامة الاجتماعية ، وجعلتها هدف سياستها الخارجية . ولكنها عند ما ابدعت هذه الفكرة ، كانت دائماً تفكر في سلامتها من المانيا ، وسلامتها من المانيا يعني المحافظة على النظام الاوربي الذي وضع سنة ١٩١٩ اي ابقاء المانيا مكبوتة . فشعور

فرنسا بالصف كان بالقياس الى ما رأته في هذا النظام الاوربي من الصدوع ، وقد بلغ ذعرها غايته في سنة ١٩٣٣ عندما تقلد هتلر ازمة السلطان على المانيا

هذا الاحساس ، يؤثر في نزعات سياسة فرنسا الخارجية وأساليبها . ثم ان فرنسا امة نزاعة الى السلام ولكن هذه النزعة تشطر الامة بدلاً من ان توحد صفوفها . فدعاة السلام في فرنسا ، ليسوا من المحافظين (بالمعنى الفلسفي لا السياسي الحزبي) بل من المتطرفين . والدعاية السلمية في فرنسا ، تسير في الغالب جنباً الى جنب مع الدعاية الشيوعية . ولذلك ينظر اليها المحافظون لنظرهم الى قرحة تضعف القوة الوطنية واذن فهي في نظرهم عمل غير وطني

ولذلك يغلب الظن ان الهوة بين اليمين واليسار في فرنسا ، ليست مما يسهل ردمهُ . ويقول بعض الكتاب الاجانب في فرنسا ، ان حالة فرنسا الآن تتسم بما كانت تتسم به حالة المانيا سنة ١٩٣٢ اي قبيل عهد هتلر . فالبلاد مقسومة معسكرين متقابلين ، والبلاد شاكية السلاح ، ولا يعلم احد ما يكون مدى سلطة الحكومة ، اذا شرع الناس في استعمال سلاحهم

ثم ان كلاً من هذين المعسكرين ينظر الى الآخر بعين الريبة ، ولكلٍّ منهما آراء في جميع المسائل الحيوية تختلف اختلافاً بيّناً عن آراء الفريق الآخر . فالانتعاش الاقتصادي في بريطانيا ، قد ازال من السياسة البريطانية ، ما كانت تتصف به من المنافسة الحربية العنيفة ، قبل منتصف سنة ١٩٣١ ، حالة ان سوء الحالة الاقتصادية في فرنسا قد زاد هذه المرارة وغذاها . وما يخشى الآن هو ان يفضي ذلك الى انفجار . ثم ان الانتعاش الاقتصادي في بريطانيا مكّن الحكومة من موازنة الميزانية وخفض بعض الضرائب ، واعادة ما كان قد اقتطع من نفقات الاعانة الاجتماعية . اما حكومة فرنسا فتمد الآن الى القيود المالية ، وهذا مما يجعل الحالة في فرنسا شبيهة بحالة المانيا في عهد بروننج سنة ١٩٣٢ من النواحي السياسية والاقتصادية معاً ، وسياسة القيود معنيٌّ عنها بالحية في فرنسا ، كما قضي عليها في المانيا

ان مشكلة المسيو لافال عسيرة على الحل . (استقالت وزارتهُ ونحن نعد هذه السطور ولكن المشكلة التي واجهها هو يواجهها خلفاؤهُ الى ان تصلح الحال اذا كان اصلاحها ممكناً) ولكنهُ مضطر الى سلوك الخطة التي يسلكها . فهو ليس حراً . ان الانقسام في صفوف الامة ، ممثل كذلك في صفوف وزارته . وسياسة الاتفاق بالمساومة التي يسعى الى فرضها في جنيف في النزاع الايطالي الحبشي ، هي السياسة التي يحتم عليها اتباعها في سياسة الامور الداخلية بين الاحزاب المتنافرة ففي ناحية ترى المحافظين الفرنسيين وممثليهم يقيمون وزناً كبيراً لصداقتهم الجديدة مع ايطاليا ، وفي ناحية اخرى ترى ممثلي اليسار يهددون بإسقاط الوزارة اذا رفض لافال ان يؤيد بريطانيا في جنيف . ولا ريب في ان هريو وبونيه ومانديل يستقيلون في نفس اليوم الذي يظهر

لم يبق ان لافال منحاز ضد انكلترا . ولكن ليس بين ساسة فرنسا رجل يرغب في ذلك الآن لان كل وزارة تخلف وزارة من الوسط ، لا بد ان تكون متأثرة بقوة الشيوعيين ويرجح بعضهم ان الانتخابات الفرنسية القادمة سوف تسفر عن نقص ممثلي الراديكاليين الاشتراكيين والاشتراكيين وزيادة في ممثلي الشيوعيين . وعندئذٍ ، على الاكثر ، لا بد من الفصل في ازمة فرنسا الداخلية اذا لم تضطر فرنسا الى ذلك ، عند اخراج الفرنك عن قاعدة الذهب فيفضي ذلك الى تغير مشهد الحياة العامة في فرنسا . ولكن لافال لا يستطيع ان يعمل ذلك الآن ولا يبعد ان يكون تعيين وزارة من احزاب الميسرة ، واخراج الفرنك عن قاعدة الذهب ايذاناً بنشوب حرب اهلية

هذا هو الشبح المخيف ، الذي يحمل على رغبة فرنسا ان يسيروا دفة سياستها الخارجية في طلبه العاتم

وليست الحالة الداخلية وحدها باعث لافال على التردد بل هناك مخاوف حربية كذلك . ان الكابوس الذي يعلق بوهم كثيرين من الفرنسيين ، هو كابوس حلف عسكري بين المانيا وايطاليا قد يندفع اليه موسوليني يأساً وقنوطاً . وماذا تفيد جميع الاساطيل البريطانية ضد هجوم على فرنسا من الجيوش الالمانية والايطالية مشتركةً . اعندئذٍ يتحتم على فرنسا ان تواجه هذا الهجوم وحدها . فمحالفتها مع روسيا ، لا تجدي كثيراً ، ودول الاتفاق الصغير ، لا بد ان تكون مشغولة بمشكلاتها الخاصة . ولو كانت انكلترا قوية في البر ، كما هي قوية في البحر لما ترددت الامة الفرنسية في الاختيار دقيقة واحدة . ولكن بعد ان أصبحت المانيا شاكية السلاح ، اصبحت فرنسا تشعر بوجوب البحث عن عون حربي . فوجدت ذلك في موسوليني ، واقتنعت به ، حتى شجر الخلاف الحبشي ، فوقعت فرنسا محيرة بين لندن وروما

على مفترق الطرق

فاوربا الآن واقفة على مفترق الطرق وتطور الاحوال يقتضي اتخاذ قرار ينطوي على اي طريق تختار ان معظم الدول الاوربية ، ليس من فريق الدول الكبيرة . بل من الدول الصغيرة والمتوسطة فالبلدان السكندينافية وهولندا وسويسرا ، والدول التي قامت على انقاض امبراطورية النمسا والمجر ، ودول البلقان ودول بحر البلطيق ، اخذت تحس ، بعد قيام موسوليني وهتلر ، بضعفها . وجميعها ترى في جامعة الامم ملاذها الوحيد والاخير . وجميعها ما (عدا دولة او دولتين) مغتبطة ان تتم زعامة بريطانيا في سعيها الى تحويل الجامعة إلى أداة لحفظ السلام ولحماية اعضائها من الاعتداء عليها . وليس بينها من تهمه الحبشة ، او توازن القوى في البحر المتوسط او البحر الأحمر . ولكنهن جميعاً ينظرن الى تدخل الجامعة في مشكلة الحبشة ، على

انهُ تمثيل ، لما يمكن ان يطلب منها في نطاق اوسع جداً في اوربا غداً . والهم يرجون انهُ اذا نجح هذا التمثيل فلن يجرؤ احد بعدئذٍ ان يرفع الستار عن الرواية نفسها، ويعتقدون انهُ اذا نجحت الجامعة أنشأت بذلك سابقة يسهل عملها في المستقبل ، اسهل واسرع واشد صلاً . وهذا يفسر السرعة التي ست بها حسبون دولة دعوة جنيف مما كان باعثاً على الدهشة ، حتى في جنيف نفسها

روسيا

ان الخوف من المانيا ، وهي دولة كبيرة خارج نطاق الجامعة وماضية في التسلح على قدم وساق ، هو العامل المسيطر على موقف روسيا . فالدعوة الى السلام . لبواعث اساسية ، بعيدة عن الدهن البولشفي ، بعدهُ عن الدهن المتشبع بنزعة موسوليني القومية المكتسحة. ثم ان الجامعة في نظر روسيا ، أداة اكثر منها عقيدة . فالعوامل التي توجّه سياسة روسيا الخارجية ليست الرغبة في اقامة النظام الاوربي ، على اسس تجعلهُ احسن مما هو ، لان ذلك في رأيها لا يتمُّ الاَّ بانتصار الشيوعية . ولا هي الرغبة في تحريم الحرب كاداة للسياسة الدولية ، لان حرب الطبقات في رأيها هي صفة لا يمكن ان تفصل عن النظام الرأسمالي

بل هناك ثلاثة اعتبارات رئيسية ، دفعت روسيا الى وقوفها موقف المؤيد للجامعة وخطة فرض العقوبات عند افضت ايام « رابالو » عند ما اتفقت روسيا والمانيا بحكم انهما الدولتان المنبوذتان من مجامع الدول الغربية . وروسيا الآن تحسُّ ان المانيا تهدّدها في الغرب . واليابان تهدّدها في الشرق . وهذا ما يحملها على هذا الشعور . ففي جميع الخطب والتصريحات التي القاها الهر هتلر معرباً عن تمسكه باهداب السلام ، لم يهمل الاعراب عن بغضه وعدائه لروسيا . وهذا العداء هو العنصر الحيوي في الاشتراكية الوطنية الذي تحاك حولهُ جميع خططها الخارجية . وقد زاد في رأي الروس ، خطر المانيا على روسيا منذ تفاهمت المانيا وبولونيا. فالسوفيت يحتاجون الى حماية حدودهم الغربية ، وهم يسعون الى الفوز بهذه الحماية في جنيف لان المحالفة العسكرية مع فرنسا والاتفاق الصغير ، لا يمكن ان تصبح فعّالة الاَّ عن طريق جنيف . ثم ان روسيا لم حقَّ العلم ان المحالفة الروسية الفرنسية ، غير مرغوب فيها بوجه الاجمال في فرنسا المنقسمة الى فريقين فريق نزعتهُ شيوعية وفريق معادٍ له نزعة فاشستية . واذن فالحاجة عظيمة الى الجامعة لتكون صلة الاتصال ، حيث تتفق حاجة فرنسا الى ضمان سلامتها مع حاجة روسيا الى حماية حدودها الغربية

الاَّ ان هناك عاملين آخرين ، كلاًّ منهما يكفي ليحمل روسيا على انتهاج هذا النهج في جنيف فالفاشستية ستصاب في الحبشة بضربتها القاضية في رأي الروس. واذا تحطمت قوة موسوليني على صخرة

الجامعة ، فالسائد ان مصير قوة هتلر لا يختلف كثيراً عن مصير قوة موسوليني . وهذا الباعث هو احد البواعث التي تحرك احزاب الميسرة في فرنسا وانكلترا ولكنهُ ليس الباعث السائد على توجيه سياستهما واخيراً ان سياسة روسيا الخارجية متجهة خاصة الى خطتين الشرق الاسيوي والشرق الاوربي . كلاهما مضطرب حافل بالخطر بل أن المشكلة الحبشية تكاد تكون صغيرة من الصغائر ازاء اعتداء اليابان على البر الاسيوي وليس بين دول اوربا الا دولة واحدة غير روسيا يهمها تطوُّر الحوادث في الشرق الاقصى وهي انكلترا فضغط النزعة الامبراطورية الفاشستية في اوربا وتطوُّر حوادث الشرق الاقصى ، يجعلان مصالح انكلترا وروسيا متفقة في الشرق والغرب معاً وهذا اتجاه لا يمكن ان نبالغ في تقدير تأثيره في المستقبل

ايطاليا

واخيراً ايطاليا . سياستها هي اللغز الوحيد ، في رواية معقدة ولكنها مفهومة الفصول والمغزى قد يجوز المؤرخون في المستقبل بالكشف عما بطنهُ موسوليني حقيقة في حملته الحبشية ، ولكن التفسيرات الرسمية ليست الا امتهاناً للذكاء الانساني

الا ان ضغط الحوادث الذي حمل الدكتاتورية الايطالية على ان تعمل ما عملت ، كتاب مفتوح فقد انقضت سنوات وموسوليني ينادي بأن سنة ١٩٣٥ ستشهد تأسيس الامبراطورية الرومانية الجديدة . وقد وُجّهت جميع الاستعدادات العسكرية في ايطاليا ، توجيهاً خاصاً على هذا الاساس. بل ان قسم الدعاية اعدَّ الرأي العام الايطالي ، لهذه السنة الفاصلة في تاريخ ايطاليا الحديث . فمن يحاول ان يبحث عن البواعث الاقتصادية وراء كل هذا يخطىء ، كما يخطىء كل من يحاول ان يفسّر النزعة القومية تفسيراً اقتصاديًّا . والحبشة من الوجهة الاقتصادية ، لا تجدي ايطاليا فائدة ما (انظر مقالنا الافتتاحي) ولا يزال الرأي في مصادر ثروة الحبشة الطبيعية، وهل تصلح للاستغلال ، رأياً منقسماً . واذا فرضنا ان ايطاليا اكتسحت الحبشة فهي تحتاج حينئذٍ الى الاموال الاجنبية لاستغلال مصادر ثروتها الطبيعية ، وما يجنى من فائدة هذا الاستغلال لا يكفي لتوفية نفقات الحرب ولو اكتفى موسوليني بالتغلغل في الحبشة تغلغلاً اقتصاديًّا سلميًّا ، لفاز في الغالب بمساعدة بريطانيا المالية . ولكنهُ لم يبحث عن منافذ اقتصادية بل عن انتصارات عسكرية . انهُ لم يطلب المال من القوة . وهذا أُلب الامر عينه

ولا تستطيع الشعوب الانكلوسكسونية ان تفهم هذا الا اذا فهمت القوى الداخلية التي تتفاعل في عالم فاشستي . ان الفاشستية نشأت أولاً على انها حركة شباب . فشباب ايطاليا خرج من من خنادق الحرب خائب الامل مرير النفس ، فوجد حكومة ليس في يدها شيء تقدمهُ لهُ

فقلب هذا النظام ووضع ممثليه في مناصب الحكم . وقد انقضت الآن ثلاث عشرة سنة ، ونشأ جيل جديد من الشبان . هذا الجيل تمرّن منذ كان في السادسة من العمر ، عن طريق الفرق الفاشستية الخاصة ، على خدمة الحزب ، فنشأت فيه هذه المراتبة مطاس . والحزب الذي يمرّن اعضاءه على خدمته يجب ان يكافئهم مكافأة طيبة اي انهُ عليه تبعة نحوهم . ولكن الحزب عاجز عن ذلك ، فليس في الدولة مناصب لجميع افراد هذا النشء الجديد ، لان القابضين على زمام الحكم من الفوج الاول لا يزالون شباناً او كهولا اقرب الى الشباب . والنشء الجديد لم يتمرّن من الناحية الذهنية على عمل خاص ، وهذا خطر كبير يدركهُ موسوليني حق الادراك لانهُ استغلّ ازمة من هذا القبيل للقبض على مقاليد الحكم . واذن فيجب عليه ان يفتح لهؤلاء الشبان باب المغامرة ، ويتيح لهم مناصب يشغلونها ، كانت النفقة ما كانت

والظاهر انه قدر ان النفقة تكون اقل كثيراً مما هي . وقد كان خطأه الكبير في حكمه على ما يكون موقف بريطانيا . فانهُ لم يحسب حساباً لبريطانيا تقاومهُ مقاومة صادقة ، وليس خطأهُ هذا ناشئاً عن عدم فهمه لمصالح بريطانيا ، بل لانهُ ظنّ ان بريطانيا اضعف مما هي حقيقةً . فبحكم نزعته الدكتاتورية الفاشستية حسب ان الديمقراطية البريطانية ضعيفة . واعتماداً على اتساع نطاق الدعاية السلمية في بريطانيا خيّل اليه ان بريطانيا لن تحارب بحال من الاحوال . وقد عزّز هذا الرأي في نفسه موقف مكدونلد وسيمون . فهما على الرغم من استعداده العسكري لم يوجها اليه تحذيراً قويًّا الا في الصيف (١٩٣٥) فايطاليا وقفت الآن في المأزق ، والدكتاتوريات من اضعف الحكومات لانهُ لا يسعها ان تتراجع ولا ان تسرف بحطام ، بل يجب عليها ان تحاول السير الى الامام على الطريق التي اختارتها

هنا موطن الخطر في اوربا ، كائنة ما كانت النتائج التي يسفر عنها تطبيق العقوبات الذي شرع فيه في ١٨ نوفمبر الماضي ، او الحملة العسكرية الايطالية في الحبشة . فوقف ايطاليا لا يرجى ، الا اذا اتفق موسوليني مع الجامعة ، اي مع انكلترا اما كيف يمكن الوصول الى هذا الاتفاق ، ومتى ، فعند علام الغيوب الآن ولكني على كل حال ارجّح انهُ لا يمكن الوصول الى هذا الاتفاق باشتراك بريطانيا وفرنسا وايطاليا في اقتسام اسلاب الحبشة . فانكلترا تعلم انها بذلك تهدم الجامعة ، وليس عند موسوليني عوض منها

ليس من غرض هذا المقال تصوير ما قد ينجم عن حملة ايطاليا ولكني ارى ان اعظم النتائج لا يظهر في افريقيا او البحر المتوسط بل في اوربا الوسطى . فالنمسا الآن ، كما كانت من ٢٥٠ سنة ، مفتاح الخالة الاوربية ، لان خط توسع المانيا ، يتقاطع هناك مع الخط الواصل بين فرنسا والاتفاق الصغير ، وليس النظام الذي حاولت ايطاليا ان تنشئهُ في حوض الدانوب

روسيا والمدنية الحديثة

بقلم ابراهيم ابراهيم يوسف

يرحب بعض المفكرين بتحليل تهافت أقطاب الأدب والاجتماع والاقتصاد وغيرهم على دراسة روسيا الحديثة بمجرد الشغف بكل جديد . ولكن هذه المظاهر ليست سوى ذرة من شتات الدوافع التي حدت بهؤلاء وهؤلاء للوقوف على كنه تطور التفكير الروسي الحديث لمعرفة مداه وأثره في المجتمع البشري لكي يتخذوا عدتهم ازاءه ، إذ أن عبء التبعة التي يحملها أقطاب الثقافة اليوم أمام الجيل الحاضر والاجيال المقبلة أصبحت أعظم مما فرض على سابقيهم من علماء وأدباء

وليس من خلاف بين حملة ثقافة هذا العصر ، مهما تفاوتت أمزجتهم الفكرية ، في ان المدنية كانت وما زالت خاضعة لسنة الارتقاء ، كما يخضع لها الانسان سواء بسواء . ذلك لأن المدنية من صنع الانسان بالذات والواقع ان المدنية دائماً ابداً في فوران يتجلى في الصراع بين الناس والطبيعة ، وفي الكفاح بين فئة منهم والبقية . ولاشك في ان هذا الصراع يقوى جذوة ويشتد كلما ازدادت الثقافة التحررية انتشاراً وازداد العمل بها حتى يشمل اكبر عدد ممكن من الناس . كذلك ينتهي هذا الكفاح حالما يتحقق وجود مجتمع تزول فيه الفوارق الموضوعة بين الناس ، ولا يكون فيه بقاء لمستغِل او مستغَل ، وفيه تتوطد المساواة بين الانسان واخيه الانسان

وقد سار الانسان بالمدنية اشواطاً حتى بلغ بها عهداً اصطلحوا على تسميته بالمدنية الغربية . غير أننا حينما نتبين أعماق الاشياء نجد اننا نعيش في حقبة من تاريخ البشرية نشهد فيها صراعاً ظاهراً بين مدنيتين . المدنية الغربية العتيقة والمدنية الروسية الحديثة . ولسنا في حاجة الى ذكر ان المدنية الغربية تعبر عن شعور الملأ (السادة) وحدهم ، كما تكشف عن نظرتهم الى مختلف الامور خلال حياتهم الخاصة وهم في الواقع واضعو أسس هذه المدنية وان كان غيرهم ساهم في البناء والاس على العكس في « مدنية الناس » ، المدنية التي تسعى الى تحقيقها روسيا اليوم . ومهمة هذه المدنية القدرة على التعبير عن شعور واحساس الناس كافة ، وعلى اثبات نظرتهم الجديدة الى الحياة ولهذا تتولى اولاً الكفاح الثقافي لتهذيب الناس اطلاقاً دون تفرقة ، حتى اذا ما تهيأت في كل مكان احوال تلائم حياة الانسان المتحرر الفكر ، تم تشييد مدنية شاملة يساهم في أسسها وبنائها كل شخص بقسطه . ولا تعني هذه المدنية الجديدة ، حتى ولا من الناحية الفنية المحضة ، تصوير وتسجيل كفاح يدور بين الناس كما كان يفعل . كلا ! بل غايتها من الوجهة الفنية التعبير عن تاريخ الانسان العامل (لا الخامل) ، وعن تاريخ الصراع بين الناس والطبيعة ، وعن تاريخ كفاحهم ضد الاستبداد (راجع كتاب صور وذكريات لمؤلفه كارل رادك

(Karl Radek Portraits & Pamphlets) اما غايتها من الوجهة العامة فضمان حياة مجتمع تسوده الحرية الحقة والديموقراطية الصحيحة والسلام العام، توصلاً الى إسعاد الجميع من دون أي تفرقة ومن ذلك نرى ان المدنيات التي تعاقبت على البشرية وانتهت بالمدنية الغربية لم تكن سوى «مدنية الفرد» اما تلك التي يتمخض عنها الجيل الحاضر فهي «مدنية الجماعة». ولقد تنبأ بكل ذلك «كارل ماركس» في كتابه «رأس المال»، اذ قال «لقد كانت الافكار السائدة في كل زمن هي افكار الطبقة السائدة وحدها. وبدلاً من المجتمع الرأسمالي القديم وما فيه من طبقات ونزاع بين الطبقات سيحل اتحاد يكون فيه اتجاه الحر لكل فرد اساس اتجاه الحر للجميع»

ولما كانت اظهر طابع للمدنية الفردية هي الانانية التي قضت بدلال المجموع للفرد، فانهُ يحسن بنا ان نذكر رأي العلامة فرويد في الاجرام والانانية حيث يقول في (Dostoevski and Parricide by Sigmund Freud) «يجب ان يتوافر شرطان اساسيان للاجرام: اولها الانانية المطلقة، وثانيهما نزعة الاهلاك والابادة. وكلاهما مرتبط احدهما بالآخر. ويرجع السبب في نشأة الاجرام الى انعدام التقدير العاطفي الصادق لاشياء انسانية صرفة». وعندما نطبق هذا الرأي على المدنية الغربية ذات الطابع الاناني يظهر لنا جلياً انها مدنية متسمة بالاجرام في صميمها ونحوها

(الفارق بين الثقافتين الاوربية والروسية) لهذا ادرك جهابذة هذا العصر انهُ لا سبيل الى اصلاح المجتمع البشري بالوسائل والادوات المادية والمعنوية التي تقدمها لنا المدنية الفردية. بل لابدَّ من انتهاج سبل اخرى لمدنية على النقيض من هذه — تلك هي المدنية الجمعية وفي العمل الجمعي للمدنية الجمعية يتسع المجال لظهور الشخصية، بل ولظهور أكبر عدد ممكن من الشخصيات وتعتبر العمل الجمعي اول شرط اساسي للحياة ويذهب «إنجلز» الى حد آخر من المنطق في كتابه Dialects of Nature by Engels مؤكداً أنهُ «لنا ان نقول، ونكون في قولنا صادقين، بأن العمل هو الذي خلق الانسان» وهنا يسأل كثيرون. ولكن ما هو العمل؟ ولا يشفي الغليل سوى ايضاح كارل ماركس في كتابه رأس المال اذ يقول بأن «العمل هو في الاعتبار الاول تآزر بين الانسان والطبيعة، وفيه يبدأ الانسان بتنظيم وتذليل التنازع المادي القائم بينهُ وبين الطبيعة وفق مبتغاه وهو حين تدب الحركة في يديه ورجليه ورأسه، وهي قوى بدنه الطبيعية يواجه الطبيعة كقوة من قواها فيعمل لتشكيل نتاج الطبيعة وفق حاجاته. ثم هو في عمله هذا الذي يتناول عالمه الخارجي بالتغيير، انما يعمل في الوقت ذاته على تغيير طبيعة نفسه». غير ان الانسان ليس لهُ ان يصارع الطبيعة بمفرده بل عليه ان يصارعها ضمن مجتمع خاص التشكيل وبواسطته (راجع كارل ماركس Critique of Political Economie وما كان هذا العمل

التعصبي لينتج ثماره دانية حتى تعم الثقافة بين الناس ، اذ ان الثقافة أولى أسس مدنية الجماعة . وهي في ذلك على نقيض من المدنية الغربية التي يقول فيها احد اعلامها « برتران رسل » Bertrand Russell في احدى محاضراته بأنها « قائمة على أسس اخرى غير العلوم » وهي بذلك انها اسست على الغزو والفتح الذي قامت به اوربا الغربية في قسم كبير من العالم . ويريد « هولدين » ايضاح ذلك في (J. B. S. Haldane : The Scientific Point of View) اذ يقول بأن « المدنية الاوربية قائمة على عدم التجانس ، اذ ان اساسها المادي علمي ، اما اساسها الثقافي فيرجع الى عهد ما قبل العلوم . وحالة العالم اليوم تدل دلالة واضحة على ان محاولة قوية ستظهر في القريب العاجل لايجاد هذا التجانس » . ويتنبأ « هولدين » بأن مصير النظام الخاص لثقافتنا سيكون مثل مصير الحضارات البائدة » ثم نجده يؤكد لنا في بحثه The [illegible] of Western Civilisation بأن مستقبل المدنية لا يتوقف الى حد كبير على الاكتشافات والاختراعات العلمية فقط ، بل يتوقف كذلك على الآراء العلمية والنظرة العلمية التي تشمل مناحي الحياة » (الازمة في المدنية الاوربية) وبمجرد عثور هؤلاء العلماء وأمثالهم من حملة المدنية على مواطن الضعف فيها في الأسس يدل دلالة لا شك فيها على أن المدنية الغربية في أزمة لا سبيل الى علاجها . « ولعل الأزمات التي تنتاب المدنية في كافة مظاهرها هي أشبه شيء بالطبقات التي تتصدع أثر زلزال عنيف ، فيتيسر لعلماء الجيولوجيا دراسة تاريخ التطورات الارضية بشكل أدق وأتم من أي وقت آخر » وكذلك الحال في هذا العصر ، إذ يتكشف للمفكرين منا في كل يوم وجه من وجوه فساد المدنية الغربية . وها نحن نجد أن الازمات قد احتزمت العالم الغربي من جميع نواحيه . فقد تفشت الازمة السياسية في مواطن المدنية الغربية ، وذلك لان قانون ابتلاع القوي للضعيف ما زال دستوراً معمولاً به . وما زالت الحرب هي السلاح الاول والاخير لحل المشاكل . ونرى خلال ذلك الملايين من النساء والاطفال والعجزة مهددين بالجوع والفقر وعدم الانتاج، بينما تهدر أرواح عائليهم في ميدان القتال . وهم في ذلك مستسلمين لنظام ثبت للمفكرين فساده . والى جانب هذا نجد الأزمة الاقتصادية قد تفاقمت شرورها واشتد هولها ، ولا تزال تتوغل وتقسو كلما تقدم الزمن . ولا وزر على أحد في ذلك ، بل الذنب يقع على سوء النظام الاقتصادي الذي تمخضت مدنيتنا الغربية به ، فأتاحت لعدد من الافراد أن تتكدس لديهم الاموال في حين أن الملايين تفتقر اليها . فكان عدم التجانس هذا سبباً في الارتباك الذي حل بالعالم ، فحصل أن تعدم الحنطة بالنيران بدلاً من أن تملأ بها البطون الجائعة . كما حصل أن تبتلع الأمواج اكداس البن عوضاً عن أن تنشط به الأعصاب المتراخية . ويكفي ذلك الفساد الذي انتجته الأزمة الاقتصادية واخطاره المطلقة ، وذلك الذي انتجته الأزمة السياسية واشده

الادلال لخلق أزمة اجتماعية تحرف المجتمع الى الحضيض وقد ظهرت دلائلها في تفكك الاسرة وتخاذلها وتخاذل الاسرة وتقوض أركانها مدير تخاذل المجتمع وتقوض أركانه وما كان ذلك ليكون لو لم يكن النظام الاجتماعي الذي أيدته مدنيتنا الغربية فاسداً من اساسه . وليس أدل على فساد هذا النظام من تطرق الازمة إلى الثقافة . واروع وصمة يوصم بها هذا العصر الذهبي للمدنية الغربية هي أن الثقافة الحقيقية لا أثر لها يذكر في المجتمع إلا لدى فئات قلائل . وحتى هؤلاء كثيراً ما تغلب عليهم الانانية فاذا هم أعداء الثقافة ذاتها ، إذا ما خرجت عن دائرتهم فاقتصارها عليهم ومعاداتهم لها اذا ما امتدت إلى غيرهم الدليل على أزمة ثقافية بلغت طور الانتحار. ذلك الطور الذي دفع بأغلبية المثقفين الى الماديات واضرابهم البتة عن الروحانيات (تكثر المراجع عن هذا الفصل لاعلام الثقافة منهم Spengler, Goldie, Joad, Barnes وغيرهم لانعدام الخلق في المدنية الغربية) وبحق اقول بأن هؤلاء الاعلام الذين أبانوا عن مفاسد المدنية الغربية انما كانوا في عملهم شبه ثائرين على ناحية من نواحي الاستسلام لنظام تؤيده الانانية والاثرة في جميع اشكالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . على ان الواقفين يرون ان التطورات التي لازمت المجتمع منذ عشرات السنين كان يتخللها نزعات ترمي الى مثل عليا لا تعيرها مدنيتنا الفردية . ويقول كارل ماركس في كتابه رأس المال « ان النظام الرأسمالي نفسه يعمل في غير وعي على تربية الطريق للاشتراكية ، وذلك بوضع المئات والالوف من العمال في مصنع واحد يعملون فيه بطريقة محكمة » وليس غريباً أن يلقى ماركس في رأيه هذا تأييداً من « أسفالد اشبنجلر » فقد ذكر الاخير في كتاب «سقوط الغرب» ما نصه : « نحن جميعاً اشتراكيون علمنا بذلك أو جهلناه ، رضينا به أو لم نرض » وحتى مقاومة الاشتراكية تعمل طابع الاشتراكية . والرجل الفردي يعمل الحياة كما هي ، ولكن الاشتراكي يريد تنظيم الحياة وتعديلها شكلاً ومعنى لتجلى ما هي من غير وجه . والفردي يساير . اما الاشتراكي فيأمر ويود الاشتراكي لو ان جميع العالم يتسم بطابعه وتفكيره » . ويذهب كارل راديك الى ان التطلع في مدنيتنا الغربية نحو العمل الجمعي أيضاً صدوراً من كل هذا ، اذ يقول : « ان العلامة الاوربي حين يعمل في مختبره المنعزل عن العالم او يدرس منفرداً في مكتبه لا يفكر كثيراً في الحقيقة الثابتة وهي انه يعمل ويدرس بوسائل وادوات قدمها له من سبقه ، بل هو يسير في بحثه وتفكيره وفق أسس أقرها له المجتمع حقة . وان الافكار التي تزيد الثروة العلمية هي نتاج خلق جمعي تعاونت فيه الاجيال السابقة واكثر الناس نسياناً لهذه الحقائق هم اولئك الكتاب الذين يزعمون انهم يكتبون بمحض وحيهم ويبدون اكتافهم استهتاراً حينما يسمعون بفكرة « الثقافة الجمعية » ولكن لا سبيل الى الرقي والتقدم نحو مستوى علمي أرفع بغير ثقافة جمعية »

﴿ مدنية المستقبل ﴾ ان جاز لنا ان نستخلص كلة جامعة لكل ما تقدم بحثه فلعلها لا تكون سوى « ان المدنية الغربية لم تعد تلائم روح العصر الذي نعيش فيه » . ولا عجب ان أحس الناس بذلك وعبروا عنه بالعمل لا بالقول . فما هي الثقة بالمدنية الغربية تتزعزع من النفوس وتتلاشى شيئاً فشيئاً الايمان بحيويتها ومقدرتها على خدمة الانسانية ويعتمد المفكرون في صدق رأي أشبنجلر القائل بانهُ « لا القوانين التي يعدها لنا المشرعون ، ولا الاحكام التي تصدرها المحاكم ، ولا القرارات التي تسجلها الحكومات ، ولا البلاغات التي تنشرها الوزارات ، ولا النشرات التي تذيعها الهيئات عامة أو مؤخرة ولو ساعة واحدة سقوط مدنيتنا ، ان المدنيات تنهار من الداخل » ولست أعرف معبراً عن مشكلة الانسانية اصدق من ذلك الفلاح الروسي المجهول حينما قال لمكسيم جوركي Maxim Gorky بعد ان استمع له مشيداً بذكر مزايا الآلات ومساعدتها اياهُ على الاخذ بها في الزراعة وغيرها « نحن نعلم كيف نسبح في الجو كالطيور ونغوص في البحر كالاسماك ، ولكننا لم نعرف بعد كيف نمشي على الارض ». ولعلَّ اصحّ ما في هذه الحلة الصدق الذي اوحى به عمق التفكير السليم وهذا الصدق ولا شيءَ سواه هو سرّ « المدنية التجميعية ». ولن يكون الناس صادقين حتى يكونوا انسانيين مؤمنين بكل ما في معنى الانسانية من نبل . واول هذه المعاني التفاني في خدمة المجموع . ولهذا تعتمد المدنية التجمعية على جهود الناس مجتمعة لا جهود الافراد متفرقة . وفي ذلك يقول ماركس في كتابه رأس المال « ان العمل الموحد هو اول شرط لتحرير العمال . وهو اي العمل الموحد يلاشي استغلال الفرد للفرد كما يلاشي استغلال الشعب للشعب الآخر . وكلما قامت المنازعات بين طبقات الشعب الواحد كان في ذلك استدامته بين الشعوب المختلفة » وبديهي ان لا يتم هذا العمل التجمعي الموحد حتى يتناول التنظيم المحكم كل مناحي الحياة . ولهذا كان من أهم الخطوات « تنظيم العلوم وتنسيقها حتى تتجه جميعاً نحو غرض واحد هو خدمة المجتمع لينتفع بها الى اقصى حد مستطاع ». ولقد عد ذلك ثورة في العلوم حدثت عقب الثورات الصناعية والزراعية والاجتماعية ويرى امثال العلامة « هوليس » ان المدنية التجمعية لاشك سالكة طريقها. فهو يقول في بحثه « وجهة النظر العلمية » انهُ لمن الخبل في الرأي ان يظن بان الاسباب التي ادت الى ثورة في الصناعة والزراعة والحرب والطب لا تأتي بنفس النتيجة حالما تتطرق الى العائلة او الامة او الجنس البشري اطلاقاً »

ويحضرني في ختام هذا البحث كلة الفيلسوف « هيجل » Hegel وهي « انا عرفنا من التاريخ أن الانسان لم يتعلم ولم يتعظ بالتاريخ » ولو أن « هيجل » كان اليوم حيًّا لرأى أن الناس قد تعلموا من التاريخ واتعظوا به . وها قد جاء دور علمهم فوضعوا أسس مدنية مستقلة ليس فيها أخطاء المدنيات السابقة

حديقة المقتطف

الطوفان

لونجفلو

عربها أمين الريحاني

حلم افلاطون

لفولتير

عربها اسماعيل مظهر

موعد

للشاعر الفرنسي سولي برودوم

عربها خليل هنداوي



عن فولتير

حلم أفلاطون

كان افلاطون، على غرار غيره من الناس الذين اتوا من بعده، من كبار الحالمين، حتى لقد حلم ذات يوم ان النوع البشري كان شقاً واحداً، ولما اقترف من آثام، عوقب بان شطر شقين: شق الذكر، وشق الانثى

كذلك حاول أن يبرهن أن العوالم الكاملة لن تكون اكثر من خمسة، بدليل انه لا يوجد الا خمسة اشكال هندسية منتظمة. ولا شك في أن جمهوريته التي صورها، ليست الا حلماً من تلك الاحلام التي كانت تساوره. ناهيك بانه حلم أن اليقظة تنشأ من النوم، وان النوم ينشأ عن اليقظة، وان الشخص الذي ينظر في الشمس حال كسوفها، ولا ينظر بعد ذلك في جرة ماء، يفقد قوة إبصاره. ذلك بان الاحلام كانت رائجة السوق في تلك الايام

***

واليك قصة حلم من أحلامه الرائعة، لا تخلو من لذة وفائدة

فقد رأى فيما يرى النائم ان «ديمورجوس»، المهندس الابدي الاعظم، بعد أن ملأ فراغ الكون بعدد عظيم من الكرات لا عد يحصيه، حاول ان يمتحن معرفة العباقرة الذين شهدوا أعماله. فأعطى كلاً منهم قطعة من الصلصال ليجعل منها شكلاً يتصوره، شأن فيدياس أو زيوكسيس اذ كان يعطي احدهما تلميذاً من تلاميذه حجراً ليبدع منه تمثالاً، أو لوحاً يخلق فيه صورة. هذا اذا جاز لنا ان نقيس الاعمال العلوية، على الأعمال السفلية

فخرج من نصيب أحدهم ويدعى «ديموجورجون» مقدار من الطين اللازم والثرى المتطاير، هو الآن كرة الارض، فبعد أن جعلها افرغها في الصورة التي تلابسها الآن، ظن انه أخرج قطعة من الفن لا تبارى. ومضى مزهواً حتى لقد

زُيّن له أنهُ هرم « الحسد » وقهره ، وتخيل انهُ سوف ينال اسمى التشاريف ، ويخص بأعظم المكارم، حتى من الباقرة أقرانه : غير ان دهشته كانت عظيمة لمـّا قوبل بعد ان ظهر بينهم لاول مرة بعد اتمام عمله العظيم ، بهزة كتف او غمزة احتقار او همس غير مستبان المعنى

***

وكان من زملائه زميل هجاء درب الفنان فجابهه قائلاً :

« لا شك في انك انجزت اعمالاً عظيمةً باهرة منها انك قسمت عالمك الذي جبلت قسمين ? ومن أجل أن تحول اتصال أحدهما بالآخر متعذراً ، فصلت بينهما بمقادير مروّعة من المياه جعلت نصف الكرة بمعزل عن نصفها الآخر ومنها ان أهل كرتك لا شك يتحصرون برداً في زمهرير قطبيك ، ويشوون شيّاً في رمضاء خطك الاستوائي ومن سعة نظرك وسمو فكرك ، انك صنعت صحاري شاسعة الارجاء قد يموت كل من يحاول اجتيازها جوعاً وعطشاً . ولا انتقاد لي على اجمارك رضمك وديوكك ودجاجاتك . ولكني لن أغفر لك فكرتك في جبل الحيات والعناكب . ولا اعتراض لي على أسماكك وحرشوفك ، فانها من الاشياء التي بلغت منتهى الجودة ولكني لم ادرك السبب الذي حملك على ان تذر من فوق الارض ، ذلك العدد المعظم من النباتات السامة ما لم تكن قد رميت الى تسميم أهلها جملة او اقساطاً . وأنشأت فوق ذلك ، اذا لم اكن مخطئاً ، اكثر من ثلاثين جنساً من القردة والسعادين ، وعدداً اعظم من اجناس الكلاب ، واقتصرت على أربع سلالات بشرية أو خمس ، ولا أنكر أنك أضفيت على هذه السلالات شرف الاختصاص بصفة « العقل » ولكني أرى انك أضفيت عليهم من تلك الصفة قدراً جعلها سخرية وهزءاً ، لان الفارق بين ما أضفيت عليهم منها ، وبين الحرق والجنون . لايكاد يُرَى . ويخيل اليّ فوق ذلك انك لم تهتم بشأن هذا المخلوق الثاني الرجلين ، فقد تركته ضعيف السلاح قليل العدة في الدفاع والهجوم . بل جعلته عرضة للكثير من الارتباكات الفرية والادواء العصبية . في حين انك لم تزوده الاّ بعدد قليل من صنوف الدواء . أضف

الى هذا انك كوّنته مزوّداً بعدد عظيم من الشهوات الجامحة ، ولم تمنّ فيه إلاّ قدراً ضئيلاً جداً من الحكمة والتبصر فعجز عن كبحها وقمعها واعتقد انك لم ترم الى إبقاء عدد عظيم من افراد هذا المخلوق دفعة واحدة ، وفي وقت واحد ، من فوق الارض ففي حين انك لم تمدد الاخطار الماحقة التي عرضته لها ، نظمت حالات الدنيا بحيث ترميه كل يوم ، وعلى مدار السنين ، بكوارث عظمى ، كداء الجدري الذي يحمل إلى القبور عُشْرَ عدد هذا الحيوان كل عام ، بيد أن الادواء الاخرى تقصب معين الحياة من تسعة الاعشار الاخرى

ويلوح لي أنك لم تكتف بذلك . فنظمت الأمور بحيث فرضت على نصف العدد الذي يبقى منه بعد ذلك ، أن يقضوا أعمارهم بين جدران المحاكم ، ان لم يشغل كل منهم نفسه بجزّ رقبة أخيه »

« والآن نقرّ نحن رب أنهم مدينون لك ديناً لا يعدله الشكران الأبدي ولا يسعنا إلاّ أن نعترف بانك اتممت عملاً معدوم النظير ، فاقد المثال » . . .

***

فعلت وجه « ديمو جورجون » حمرة الخجل عند سماع هذا المديح ، غير انه على الرغم من علمه بانه في عمله مقصاً من الناحيتين الادبية والطبيعية ، مضى يؤكد ان فيه من الخير اكثر مما فيه من الشر — ثم قال :

« إن من الهين ان يجد الانسان خطأ في عمل غيره ايها الاخوان ولكن . . أترون انه من السهل الهين خلق حيوان مختص بالعقل وحرية الاختيار ، لا يسيء استعمال حريته احياناً ؟ اتظنون انه من السائغ خلق تسعة آلاف او عشرة آلاف صنف من النباتات المختلفة ، من غير ان يكون بعضها سامّاً او فيه صفات رديئة ؟ أم يخيل اليكم ان من المستطاع ان يخيل عبقري كرة أصلها من ماء ورمل وطين ، من غير ان يكون فيها بحار وصحاري » ؟

« أما أنت ايها الزميل المشترى ، بعملي ، فاظن انك فرغت من خلق المشترى فلننظر اذن في الغرض الذي من اجله منحت تلك المناطق العظيمة التي تطوقه ،

وبلاليه الطويلة المملة ، واقماره الصغيرة التي خيل اليك انها كافية لان تطرد حالك ظلامه . لننظر في عوالمك التي جبلت ، لنرى هل استطعت ان تجعل اهلها آمنين من الامراض ، محصنين من النقائص »

ومضى البقري يفحص عن حالات المشتري . ولم يكد يصل حتى تعالت الضحكات موجهة الى عمل من كان يهزأ به من قبل . ولم يفلت البقري الذي جبل زحل عن ان يناله مثل ما نال صاحبيه ، بل انه قد خص بنصيب غير قليل من السخرية ، وقدر كبير من الامتهان . وكان نصيب اخوانه خالقي المريخ وعطارد والزهرة على الاخص مقذعاً مؤلماً

***

في هذا الشأن كتبت مجلدات ضخام ، ونشرت رسائل شتيتة . وراج سوق القول والكلام ، فكم من كلمات جامعة أثرت ، وكم من اقوال حكيمة قيلت . وكثر التراشق بسهام القول واتخذت السخرية سلاحاً للانتصار في معركة الكلام . ومضت المعركة القلمية مستعرة اللظى مشبوبة النيران زماناً بين الاحزاب المختلفة ، ولم يصمت المتنابذون الا بعد ان تدخل « ديمرجوس » الابدي في الامر ، فأدمضوا صامتين يستمعون الى كلماته الآتية : « ان في اعمالكم لأوجهاً من الخير والشر معاً ، لانكم ان كنتم قد خصصتم بقدر كبير من قوة الفهم ، فانكم لم تخصوا بالقدرة على صوغ الكمال . وان ما صنعتم من نظام لن يُعَمِّر أكثر من مائة مليون من السنين ، ستكونون في خلالها قد حزتم قدراً اكبر من المعرفة ، وقسطاً اعظم من الفهم ، فتبررون اعمالاً اتقن وأبقى . وانا وحدي القادر على خلق اشياء كاملة خالدة »

***

هذه هي الحكمة التي كان يلقيها أفلاطون تلاميذه فلما فرغ من كلامه صاح أحدهم قائلاً :

« هنا أخذتك اليقظة ، وفارقك الحلم اللذيذ »

[عليا اسماعيل مظهر]

موعد

للشاعر الفرنسي « سولي برودوم »

يعد « سولي برودوم » من الشاعر الفرنسي رأس المدرسة البرناسية التي تؤمن بالفن للفن وتنبذ الخيال المتطرف ، ولكن « سولي برودوم » شاعر لم تقو فيه على نبل عاطفته ، ولم تقدر عقله على مدل فنه . فهو مزيج من تلك العاطفة الهادئة ودقة في الخيال والعقل ، حسبه لا يستطيع أن يؤلف بين الفلسفة والشعر ، هادئة لا يطغى عليه اضطراب العاطفة ولا ثورة الإحساس . ومقطوعة « موعد » مأخوذة من ديوانه « الحنان الضائع » تمثل فنه ومذهب هذه المدرسة في تفهم الجمال ومن واتته عيبه
(خ . ه)

في هذا الموطن النائي حيث نثوي الآن وحدنا ،

ما أحلى الخمول عن الناس مهما كانوا هادئين منا !

إذا أردنا أن نلتهم الساعة الهاربة ونتذوق لذاتها ،

فلا نعدو وراء سعادة ذات صخب وجلب ،

لنتاجّ بخفوت ، ولنحذر من أن تمر من أيدينا بكلمة أو نفس أو بحركة ،

ولنمسك بها أن تضيع لحظة واحدة لأنها سعادة عابرة .

إذا أردنا أن نتذوق شهدها ونصون عهدها

فليلق أحدنا الثاني دون أن نهمس شيئاً .

ولننشد هذه الراحة الرتيبة التي ينعم بها ساكنو هذه اللحود الدائرة ،

دون العيون الناظرة ، الذين همدت أجسادهم صامتة بعيدة عن أرواحها الطائرة .

يصل بيننا رابطة أسمى من روابط الأرض .

ولنهجع بعدئذٍ مثل هؤلاء الهاجعين ، جنباً إلى جنب ، وقلباً إلى قلب .

لانا لا يضرم جوانحنا حب غض ملتهب نخمد ناره وشيكاً ،
وعلينا عينان لا يفترقان الى فشل نريدها ائتلافاً

لا تقسمي لي بأني أحبك !
ولا تمصي عليَّ كيف نشأ هذا الحب ودرج ؟
لنذق سعادته ولنرشف هناءته بغير عهود ولا اقسام .
ولنهمل — فيما نرويه علينا دموعنا الصامتة — ذلك الحنان الذي يحصل من الشقاء المُرّ .

في هذه السكينة الدائمة تمي الرغبات الدفينة ،
والنفس تشرد حائلة بالحب كما تحلم بالموت .
وكأنما دنت نهاية الوجود ،
وكأن الوجود يسقط سقوطاً حميماً عميقاً ثم يبتلعه الظلام
وأثقاله المصنية تخف بالفرار المطلق من كل شيء ،
والذاكرة الطامحة تمرح وتمحي كذوب الثلج ،
والحياة المتنبهة المكتشفة يخيل الينا انها تمي وتبيد كل شيء حولنا ،
ولا يبقى قائماً الا الحب . . . الحب وحده .

لنطلب الحب بسلام ،
فالليل لا يزال مدلهماً ونور المصباح ضئيل يحتضر ،
ألا تظنين اننا دخلنا القبر ؟
لنهوِ في اعماق البحار القاتمة ،
ولنتمان من ظلماتها المتراكمة

نحن الآن معاً تحت التراب ،
ألسنا تحته من زمن قديم ؟
فلنسمع في الاعالي التراب الذي يهتز تحت وطء الاقدام
ولننظر في الآفاق تلك الاسراب السود ، وقد جذب الشمال بأزمتها ،
تلك ليالي الماضي تمر لا يحصيها حساب .
ولننظر في الاجواء ، تلك الزهور البيض ذاهبة بصفاوة ايامنا الغابرة من غير اياب .

ولكن — في خارج هذا المحيط الذي تحمل شدته وقسوته —
ما احلى هذه اليقظة التي ينوب بها قلبانا !
أنا لا ادري ما هو الحادث الذي اعمى عيونا ،
ولا ادرك عمر امتدادنا في هذه السماوات ،
فان حوادث الحياة الماضية قد ذهبت بذاكرتي الى الابد ،
ولكني اذكر — والذكرى مبددة — اني كنت احبك .

ألا أيُّ منهم حياً لنا هذا المصحع ؟
وأي قران صم يدي الى يدك ضمّاً ازليّاً ؟

ولكن ما هنا يا عيوبي ؟
فلنرقد على اكفاننا الرقيقة ،
لنرقد الخلود السعيد وحدنا

[عنها خليل مطلوي]

الأطعمة التي نأكلها

ولماذا نأكلها

في الاقوال المأثورة في اللغات الاعجمية قول مشهور مؤداه «قل لي ماذا تأكل وأنا اقول لك من أنت». وقد عمد احد الكتاب الطبيين والمحدثين الى هذا القول وعدّله وفقاً لاتجاهات البحث العلمي الحديث في الغذاء فقال «قل لي ماذا تأكل وأنا اقول لك ما عمرك»

على ان هذا الكاتب يذهب الى ان عمر الانسان يمكن تقسيمه الى فترات كل فترة لها غذاء خاص. فالفترة الاولى عندما يكون الانسان وليداً يقتصر الغذاء على لبن الحليب والثانية على الخبز واللبن. والثالثة على اللبن والبيض والاسماك. وهكذا كلما تقدم الانسان في السن زادت المواد الغذائية التي يتناولها من لحوم وخضراوات وحلويات على اختلاف اصنافها ثم اذا درج الى الشيخوخة عاد في غذائه الى بساطة الغذاء الذي يتناوله الطفل فيعتمد على البيض المسلوق سلقاً خفيفاً والخبز المحمص واللبن

لمحة تاريخية

والواقع ان ما نعرفه عن الاغذية المختلفة وفوائدها قد تطور تطوراً عظيماً بتأثير التجارب المختلفة التي قام بها الباحثون في كيمياء الاطعمة وتأثيرها الغذائي

فالطبيب اليوناني ابقراط الملقب بابي الطب كما لقب هيرودوتس بابي التاريخ — عاش ما بين السنة ٤٦ و٣٧٠ قبل التاريخ الميلادي وكان يعتقد ان هناك ضروباً مختلفة من الاغذية ولكن المادة الغذائية فيها جميعاً انما هي واحدة وظلّ هذا الاعتقاد سائداً حتى مطلع القرن التاسع عشر. ففي سنة ١٨١٣ كان العالم الفسيولوجي الفرنسي ريشران لا يزال متمسكاً بهذا الرأي. وبعده بعشرين سنة اي سنة ١٨٣٣ اي من نحو مائة سنة فقط نشر العالم بومون كتابه عن «الهضم» وأشار فيه الى القيمة الغذائية في الاطعمة المختلفة باسم واحد مبهم يمكن ترجمته بلفظ «الغذاء»

وبعده بسنة واحدة فقط قام العالم الانكليزي الطبيب وليم بروت وقال ان في الاطعمة المختلفة ثلاث مواد اساسية مغذية وان تناولها جميعاً ضروري لا مندوحة عنه للتغذية التامة. واطلق على هذه المواد ثلاثة اسماء لاتينية معناها الزلاليات كزلال البيض والدهنيات مثل الزيوت والادهان المختلفة والسكريات او النشويات

وجاء بعده العالم الكيماوي الالماني جوستوس فون ليبغ فبين ان الادهان والمواد النشوية او السكرية تستعمل في الجسم لتوليد الحرارة والطاقة حالة ان المواد الزلالية او البروتينية كما تعرف في بعض الاحيان يستعملها الجسم لبناء النسج المختلفة

مواد التغذية الاساسية

فلما ارتقى علم الكيمياء بوّبت الاطعمة المختلفة وفقاً لما تحتوي عليه من هذه المواد الغذائية الثلاث. ولكن البحث والتجربة اثبتا انه في الامكان ان تصنع غذاء من مواد دهنية وزلالية ونشوية يجهز الجسم بما يحتاج اليه من الطاقة اي الحرارة والمواد اللازمة لبناء النسج ومع ذلك يبقى هذا الغذاء غير وافٍ اي يظل ناقصاً شيئاً او اشياء اساسية لم يعرف اولاً ما هو او ما هي

فاستنبطت لذلك طريقة جديدة للبحث في الطعام وما يجب ان يتوافر فيه لكي يكون غذاء كافياً للجسم. وهذه الطريقة هي طريقة تجربة التجارب بالحيوانات وفي مقدمة هذه الحيوانات الجرذان والفئران والارانب والارانب الهندية او ما يعرف بخنازير الهند

هذه الطريقة الجديدة من البحث افضت الى مكتشفات ثلاثة على جانب كبير من الخطر

كان علماء الكيمياء وعلماء التغذية قبل استعمال هذه الطريقة يعتقدون ان المواد الزلالية او البروتينية لها قيمة غذائية واحدة لا تختلف باختلاف مصدر المادة الزلالية وسواء أكان مصدرها من النبات أم من الحيوان

الحاجة الى احماض معينة

ولكن البحث اثبت ان بعض المواد الزلالية يفوق البعض الآخر في قيمته الغذائية ثم ظهر ان المواد الزلالية التي تتوافر فيها القيمة الغذائية تحتوي على مركبات تعرف باسم الاحماض الامينية Amino-Acids وان هذه الاحماض هي الضالة في بناء نسج الجسم وان المواد الزلالية التي لا قيمة كبيرة لها من ناحية التغذية لا تحتوي على هذه الاحماض او هي تحتوي على مقدار صغير منها

فالتطبيق العملي الاول لهذا الاكتشاف هو ان بروتينات الحيوان اعلى قيمة غذائية من بروتينات النبات وان الام الحكيمة ترتب غذاء صغارها على وجه يمكنهم من الحصول على هذه الاحماض الامينية اللازمة لبناء العضل مثلاً وغيره من نسج الجسم. وهذا مستطاع باضافة الخضروات واللبن والبيض واللحم الى الاطعمة التي تولد الحرارة كالخبز والزبدة

الحاجة الى املاح معينة

وكان الاكتشاف الثاني الذي نشأ من تجربة تجارب التغذية بالحيوانات ، خاصاً بما يحتاج اليه الجسم من الاملاح المعدنية

كان العلماء يعلمون بوجه عام ان الجسم النامي ، حتى وجسم المتقدم في السن يحتاج الى املاح معدنية ، يبني عظاماً قوية ودماً كامل التركيب وغيرها من نسج الجسم المختلفة ويحفظها في حالة سليمة . ولكنهم كانوا يحسبون ان الانسان لا يحتاج الى توجيه العناية الى هذه الناحية بوجه خاص ، وان الطبيعة تجهزنا بهذه الاملاح في الاطعمة العادية التي نأكلها اذا كانت تحتوي هذه الاطعمة على العناصر والمواد الاساسية وهي النشويات والادهان والزلاليات

ولكن تجربة التجارب بالحيوانات اثبتت ان بعض الاطعمة التي نعتمد عليها اعتماداً يومياً في غذائنا تعوزها املاح معدنية اي املاح غير عضوية

وهذا النوع من البحث افضى كذلك الى زيادة ما نعرفه عن حاجة الجسم الى مقادير يسيرة جداً من العناصر مثل الكلسيوم (الجير) والفصفور والمغنيزيوم والصوديوم والحديد والكلور بل مما بعث على الدهشة والاستغراب ان يكون الجسم في حاجة الى مقادير يسيرة جداً من عناصر اخرى مثل النحاس واليود والمنغنيس والزنك ليبقى في حالة صحية

ومما ظهر مثلاً ان حاجة الجسم الى النحاس انما هي لكي يستعمل النحاس في تمثيل الحديد الذي يتناوله ليبني منه كريات الدم الاحمر

ولا يبعد ان يثبت بعد موالاة البحث ان لكل عنصر من هذه العناصر وظيفة خاصة في بناء جزء من اجزاء الجسم ولو كانت المقادير التي نحتاج اليها من كل منها يسيرة جداً

اللبن غذاء كامل

ولا يصلح ان نمر بموضوع العناصر والاملاح من دون ان نقول ان اللبن مع احتوائه على المادة الزلالية (البروتينية) والدهنية يحتوي كذلك على مزيج عجيب من العناصر والاملاح المعدنية وهذه تجعله افضل غذاء واحد تمدنا به الطبيعة . فمنه يأخذ الجسم معظم ما يحتاج اليه من الكلسيوم (الجير) مثلاً . والنباتات المورقة تجهزنا بما نحتاج اليه من الحديد . فشرب اللبن وأكل الخضروات المورقة كافيان في الحالات العادية لتجهيز الجسم بما يحتاج اليه من هذا القبيل

صحة الاطفال

رعب الاطفال في اثناء الليل

من المشكلات الكبيرة التي يقف غالباً الوالدون امامها حائرين قلقين من دون ان يعرفوا لها سبباً هو عدم انقطاع الطفل احياناً عن البكاء والعويل في اثناء الليل . لكن ذلك يعد ثانوياً اذا قوبل بعوارض الذعر الشديد الذي يفاجيء الاطفال ليلاً في اثناء النوم ويقض مضجعهم ويحرم جفونهم لذة الكرى ويكون سبباً لصراخهم وعويلهم . وعوارض الذعر هذه يبتديء ظهورها من نهاية الفطام حتى السنة السابعة او الثامنة فيأخذ الولد عادة ضدها يقاوم بقدر طاقته ، واذا اعترته في هذه السن تخيلات او احلام تستفز جهازه العصبي الصغير وتثير احساسه بالخوف الشديد فلا تؤثر فيه حينئذٍ ذلك التأثير

فاذا جنَّ الليل ومضت ساعتان الى ثلاث ساعات على نوم الولد ينهض من فراشه مضطرباً وجلاً فيجلس او يجثو فيه على ركبتيه او يقف في خارج سريره ويمد ذراعيه كما لو كان يستجير او يطلب المساعدة من احدهم ثم يصرخ صراخ المصدور المتضايق محاولاً ان يدفع شيئاً امامه فقد يخيل اليه ويعتقد ان ما يراه هو حيوان ضار او هرّة او كلب اوذئب او رجل او امرأة أو لص . ومن الاولاد من يلتفت ذات اليمين وذات اليسار في فراشه باكياً متنحباً ثم يقف ويحدق في نقطة معينة في فضاء الغرفة وهو ممتقع شاحب اللون والعرق ينصب احياناً من جبينه وفي هذه الحالة لا يعرف الذين حوله من الخوف والرعب ولا شيء يسمع من عبارات اللين والملاطفة لتسكينه او تسكين روعه وقد لوحظ ان الولد في مبدء الامر لا ينبس ببنت شفة بل يصرخ صراخاً مبهماً لا يلبث ان تعقبه كلمات متقطعة ذات صلة بالوهم الذي استولى على ذهنه في اثناء النوم وقد تدوم هذه الحالة من بضع دقائق الى نصف ساعة حتى اذا ابصرت عرفته وانهضه والده من فراشه ثاب اليه هدوءه وسكونه

ومما هو جدير بالملاحظة عدم استيقاظ الولد تماماً من سباته لانه يكون كالمثل او كفاقد شعوره ولذا نراه يعود حينئذٍ الى فراشه وسنة الكرى مستولية عليه وفي اغلب الحالات يستمر في نومه هذا حتى الصباح . لكن يحدث في حالات أخرى ان تعود اليه عوارض الخوف بعد ساعة او ساعتين من الليلة نفسها لكنها تكون في هذه المرة اخف وطأة من المرة الاولى ومع ذلك فالولد غالباً لا يفيق ولا يذكر شيئاً مما حدث في اثناء الليل . وقد تتكرر هذه الحالة

ليالي كثيرة متتابعة في الساعة نفسها تقريباً من كل ليلة او كل ليلتين او ثلاث ليالٍ في ثمانية ايام الى خمسة عشر يوماً والذي لا بدّ من ذكره هنا هو ان عوارض الخوف هذه لا تظهر في أثناء النوم نهاراً

اسباب الحالة

يحدث الخوف احياناً عند الاطفال الضعاف وفي احيان اخرى عند ذوي المزاج العصبي او المتولدين من اصل عصبي وذوي الاستعداد لداء الصرع كذلك عند المصابين بخلل في الهضم ناشيء عن سوء التغذية مثلاً والمغص والاسهال المتناوبين والاهمال في اتباع قواعد الصحة والنظافة او التسمم الغذائي والافراط في شرب السوائل المقوية او المهيجة او من فعل بعض الادوية لكن هذا لا يمنع ان نجد في بعض الاحيان عند فحص الولد شيئاً يسبب ذلك في ماضيه الشخصي والوراثي

والعامل الاكبر الذي يظهر انه السبب المباشر في حدوث عوارض الخوف ليلاً عند الاطفال هو الاضطرابات الهضمية وتمدد المعدة الناتج عن الافراط في تناول الطعام ولا سيما الافراط في شرب الماء . فيكفي في هذه الحالة تدبير اوقات الطعام وتنظيم مقاديره للولد لازالة اسباب خوفه واعادة سكونه ونومه اليه

ويجب الا ننسى في هذه الحالة كسبب مهم ايضاً لخوف الولد التهاب اللوزتين واورامهما ووجود الطفيليات المعوية كالديدان الدبوسية والخيطية حتى والدودة الوحيدة . فبزوال هذه الاسباب يعود الى الولد هدؤه وراحته

علاج الحالة

جميع الاعتبارات المتقدمة يجب أن تكون نصب عيوننا متى اردنا ان نبحث عن السبب الذي يقلق الولد ويخيفه . ومن الضروري قبل كل شيء ملاحظة حالة الجهاز الهضمي وتنظيم قانون شديد لمواعيد وجبات أكل الولد ومنعه من جميع المشروبات الكحولية كشراب الاثمار والجعة وغيرها كذلك المشروبات المهيجة كالشاي والقهوة. ثم يقتضي تخفيض مقدار الماء المعطى له في أثناء الطعام لان الافراط في شرب الماء من العوامل المساعدة جداً على رعب الاولاد ليلاً وما يقال عن الماء يقال عن اللبن الحليب وكثير من الاباء والامهات يسيئون الى اولادهم باعطائهم كؤوساً كبيرة من الحليب عند العشاء او قبل أن يذهبوا ليلاً الى فراشهم فيثقلوا على معدتهم ويلحقوا بهم ضرراً بالغاً من دون أن يشعروا

ولا يفوتنا ايضاً ذكر مقدار الاطعمة الحامضة التي يأكلها الولد خصوصاً في العشاء فان كثيرين من الاولاد يتركون وشأنهم فيفرطون ويأكلون فوق الشبع فيمضي تحت جميع الاسباب المساعدة على تهيج جهازهم العصبي . كما انه يستحسن تنويم الولد باكراً وتحاشي كل ما من شأنه تكدير خاطره او تهيج اعصابه قبل نومه ومنعه خصوصاً من مطالعة الكتب والروايات التي تحتوي على مناظر ورسوم مخيفة وكذلك حضور السينما والسهر الطويل وسماع الوقائع

***

أما غرفة الولد فيجب ان تكون تهويتها جيدة بحيث لا تزيد درجة حرارتها على ٢٠ بمقياس سنتغراد وقبيل النوم قليلاً يعطى الولد مغاطاً من منقوع اوراق شجر البرتقال او الزيزفون وعند الحاجة يضع نقط من حشيشة الهر أو بالاحرى قرصاً واحداً من حشيشة هر وحشيشة الدينار معاً وذلك قبل الطعام بساعة واحدة . وقرصاً آخر ساعة بعده . واذا لم تكف هذه الوسائط فيمكن اعطاء البروموور وعلى كل حال يجب الوقوف على رأي الطبيب من اول الامر والعمل بارشاداته الدكتور عبده ورق

تغيير أخلاق الناس

بالحقن او بوصفة كيماوية

مركز الشهوات والعواطف في الجسم

ملخص المقالة التالية لطبيب انكليزي قال .

اداع طبيب مشهور ان مركز الشهوات في الجسم هو ما يسمى « دابنسيفالون » وسأبسطه لك قليلاً هنا

فلما يولد الانسان بثلاثة اشهر يكون الجهاز العصبي انبوبة من النسيج العصبي مسدودة من الطرفين . وكلما نما الجنين ينبت من احد طرفي الانبوبة ثلاثة رؤوس مدببة يتألف منها الدماغ فيما بعد بأجزائه الثلاثة المقدم والمتوسط والمؤخر ويتألف من بقية الانبوبة الحبل الشوكي

ولكل من هذه الاجزاء وظيفة فأهم وظائف مؤخر الدماغ التحكم في القلب والمعدة والرئتين ووظيفة الاوسط التحكم في حاستي البصر والسمع

واما مقدم الدماغ وهو اهم اجزائه ففي زاويته الاماميتين برعومان فارعان يتفرعان كشجرة

حتى يموقا في حجمهما سائر الدماغ تحتهما ووظيفتهما التفكير والتحكم في العضلات . وفي مؤخرها الدايبسيفالون المذكور آنفاً وهو مركز الشهوات والعواطف كما تقدم القول

عرف ذلك السر ولتر تمحدون براون الذي استعفى أخيراً من منصب استاذ الطبيعيات في جامعة كمبردج عند تمس في محاضرة اخيرة في جامعة لندن قصة بنت عمرها عشر سنوات كانت ذات مزاج غريب منذ ولادتها ووجه غرابته انها لم تكن تظهر في اعمالها شيئاً من السرور او الخوف او الانفعال اي انها كانت فاقدة هذه العواطف . ثم مرضت واشتد بها الخطر فلما عرفت انها مائتة قالت بلا خوف ولا مبالاة « شيء لا بد منه »

وشرحت جثتها بعد موتها فوجد دمل في « الدايبسيفالون » وهذا الدمل او الخراج هو سبب فقدها للعواطف المذكورة . ووجد مثل هذا المرض في هذا الموضع من الدماغ من اشخاص كانوا عرضة للعصب احياناً وللخوف اخرى وللاندفاع الى البكاء في آونة غيرها

فاذا عرفنا كيف يتحكم هذا العضو الصغير في العواطف فقد يساعدنا ذلك على تكييف المزاج الانساني والحيلولة دون الجنون وضعف القوى العصبية

والظاهر انهم اهتدوا الى شيء مثل هذا في الغدة النخمية المتصلة بالعضو المذكور فهذه الغدة صغيرة جداً لا يزيد ثقلها على نصف قمحة ولكن مباحث الباحثين فيها تدل على انها مفتاح مجموعة مهمة من الغدد الموزعة في الجسم معروفة باسم الاندوكرين او الغدد الصم

وهذه الغدة عملان في تلك الغدد الواحد التهييج والثاني التخفيف ففي البغضاء او الاعتداء تهيج الغدد الكلوية (الادرينالية) التي فوق الكليتين

وفي الخوف تهيج الغدة الدرقية التي مركزها في العنق وفي الحب تهيج وتتفاعل الغدد الصم جميعها

ولطالما حصر العلماء امكان تغير الامزجة والاخلاق بتغير عمل هذه الغدد وقوتها وتحدثوا عن مجيء الزمان الذي يمكن فيه تغير اخلاق انسان ما بحقنة بالمادة الكيماوية الفعالة التي في هذه الغدد فيصبح في الامكان تغير الاخلاق بوصفة طبية

***

ونحن نعلم ان هناك عقاقير تزيل الخوف والهم فعلها في العضو المذكور ولكن لها لسوء الحظ تأثيراً آخر ضاراً وليس ببعيد ان نتمكن يوماً من تحضير حبوب نصفها لشديدي الخوف والهم . او من عمل عملية جراحية لهم اذا لم تنجح الحبوب ولعل ازالة الخوف والتغلب على الهم يكونان مؤديين بارتقاء الانسان الى درجة السوبرمان اذا كان ذلك مما قدر له

كلمة في ذات الرئة

بقلم طبيب في الدايلي اكسبرس

وقف الملك امام قبر الجندي المجهول يوم عيد الهدنة سنة ١٩٢٨ وبقي بعد تلك الوقفة ثلاثة اشهر بين الحياة والموت. ووقف الاميرال اللورد جليكو على قبر الجندي المجهول يوم عيد الهدنة سنة ١٩٣٥ فمات بعد تلك الوقفة بعشرة ايام وكانت وفاته بذات الرئة (النومونيا)

فلماذا ادى الوقوف دقائق معدودات في يوم بارد على قبر الجندي المجهول الى الخطر في الحالة الاولى والى الموت في الثانية. وقد عرف عن الملك انه وقف ساعات للصيد في ايام لا يقل بردها عن يوم عيد الهدنة وبملابس اخف مما لبس في عيد الهدنة ولم يصب بأذى. وكم وقفة وقفها اللورد جليكو على ظهر بوارجه والبحر عجاج متلاطم الامواج والريح صرصر عاتية فلم ينله اقل ضرر

يذهب بعض الاطباء ان ثوران العواطف في امرىء يجعله اكثر استهدافاً للمرض من اي سبب آخر واحد وأضعف مما يكون عادة لمقاومة جراثيم المرض وهذا هو فعل العواطف حيناً لا الحزن وحده. فالرجل ذو الهمّ والغلام المذعور اكثر قبولاً للمرض مما يكونان عادة اي عند خلوهما من الهم او الخوف

ومن رأي بعض الاطباء والمعاصرين ان الناس يصابون بالزكام عند خروجهم من السينما لا لانهم يخرجون من ردهة دافئة الى هواء بارد — فالناس يخرجون من الحار الى البارد كل يوم ولكن لان عواطفهم تكون ثائرة من اعمال عصابة لصوص على شاشة السينما او ما يرون من الجرائم ترتكب امام اعينهم ومن المخاطر والاهوال فتضعف مقاومتهم الطبيعية

ومن حقائق الفسيولوجيا الحديثة أن العواطف توقع الخلل والاضطراب في وظائف الجسم وعملها. ونحن نعلم ان الغضب يملأ الدم بالادرينالين المفرز من غدده

السبب ظاهر. ذلك انه اذا كانت عواطفك ثائرة فان رد الفعل الطبيعي في جسمك يسرع عمله فيزيد احتراق الاكسجين فيه فترتفع حرارتك ويسرع تنفسك ويزداد خفقان قلبك وضغط دمك. فيمتقع لونك لتخفيف ضغط الدم ويحمر وجهك محاولة تخفيض الحرارة ويبطل افراز الغدد التي في فمك فيجف لسانك وتتسع حدقتا عينيك وترتطب كفاك

وحالما يهمد ثوران العواطف يرخي الجسم ليستعيد ما استنفد من الطاقة ويملىء عمل جميع الوظائف بعد إسراعها. وفي هذه الحالة من بطء رد الفعل يبيت الجسم اكثر استهدافاً للعدوى

مما يكون عادة وقد تكون فيه جراثيم كامنة لم تستطع ايذاءه قبل الثوران فتقوى على الايذاء بعده ويصاب الجسم بمرض ما وخطر الامراض في هذه الاحوال على بعض الاشخاص ذات الرئة التي ترفع التنفس من ٧٢ الى ١٥٠ او ٢٠٠ في الدقيقة والحرارة الى ١٠٤ او ١٠٥ باستمرار او فوقها قليلاً ويصاب المريض بالهذيان ويخف نبضه ويسرع

ويقدر في بريطانيا ان كل ١ في ١١ يموت بذات الرئة وهي تصيب الشيوخ والكهول والصغار على السواء ذكوراً واناثاً

ومعظم فتك هذا المرض في الخريف والشتاء ولكنه يصيب الناس كذلك في الربيع والصيف والذين قلوبهم ضعيفة معرضون لها اذا أصيبوا بها صعب شفاؤهم منها ويقول الاطباء انها تتعب القلب في ارهاقها اكثر مما يتعبه التجديف في سباق القوارب والتجديف اكثر الالعاب الرياضية الحديثة ارهاقاً للجسم وقد وصف لعلاجها وسائل كثيرة وقسمت جراثيمها اربعة اقسام واعد مصل لكل منها ولكن المصل لم يفد الا في الاضعف

ومن سنتين اكتشف الدكتور آمري — وهو انكليزي يعمل في معهد روكفلر باميركا — اكتشافاً عظيماً فقد وجد ان لجراثيم غشاء يقيها مؤلفاً من مادة سكرية وهذا الغشاء يمنعها مناعة من كل دواء ما عدا الادوية القوية التي لا يحتمل الجسم حقنها وعليه جرب لازالة ذلك الغشاء الواقي لجراثيم بحقن الجسم بمواد مضادة للسلولوس قاعدة السكر فاستحضر مركباً من التربة الثابتة المعروفة باسم (بيت بوج peat-bog) فوجدها فعالة في علاج المرض

وهناك علاج أحدث من هذا اكتشفه طبيبان من لندن وهما مارلز وواش من المدرسة الطبية التابعة لمستشفى سنت ماري وقوام هذا العلاج حقن من محلول الزيت ومن الصابون . وقد أفاد كثيراً

ولا بد ان يجيء يوم تخلو فيه بعض اجزاء العالم من ذات الرئة كما خلت من الطاعون والكوليرا . ولا تزال ذات الرئة اليوم خطراً على الحياة بل من أعظم اخطارها . وقد عرف عنها انها ليست من الامراض التي تصيب طبقة معينة من الناس لانها تصيب الغني والفقير على السواء فقد راح ضحيتها ادجار ولس (الكاتب الروائي والقصصي المشهور) والرئيس هاردنغ (الرئيس الاميركي الذي سبق قلدوج) ويموت بها اصحاب الملايين الاميركيين كثيراً والفقراء في منازلهم الحقيرة

ولكن يقال عن ذات الرئة انها على كونها خطراً كبيراً على الحياة ليست بالخطر الذي يخشى منه فهي مرض يشفى ويمكن الوقاية منه . فالرجل الذي يعيش عيشة منظمة اقل استهدافاً لها من الذين فقدوا النظام في اكلهم وشربهم ونومهم ورياضتهم . وفي جميع الامراض تعد قوة المقاومة للعدوى ٩٠ في المئة من المعركة

باب الأخبار العلمية

هل يستطيع العلم ان ينقذ الحضارة ؟

رأي للعلامة الدكتور كارل

الدكتور كارل اشهر من ان يعرف . فهو احد نائلي جائزة نوبل الطبية . ومن الاعمدة التي قام عليها البحث الطبي في معهد روكفلر . وصاحب التجربة المشهورة التي حفظ فيها قطعة من نسيج قلب الفرخ (الكتكوت) سبع عشرة سنة او نحو ذلك حية في زجاجة . والآراء الآتية مقتطفة من كتابه الجديد «تجديد الانسان»

يقلب الانسان طرفه في نواحي الحضارة الحديثة فيرى رجالاً في مكنتهم ان يصنعوا آلات عجيبة في دقة تركيبها واحكام عملها . وآخرين يضمون القلب البشري ثم يخيطون الجرح او يعيدون الى الكفيف بصره او يمدون الطفل المقرقم فينمو او يجدون علاجاً لمائة داء وداء فيسأل : أليس في وسع هؤلاء ومن كان على غرارهم ان يبتكروا علاجاً أو انواعاً من العلاج لادواء الحضارة ؟

اما الدكتور كارل فيرى ان ذلك في وسعهم لو لم تعترض سبيلهم عقبتان

فالعقبة الاولى انهُ يتعذر على اي انسان ان يتوفر في خلال سني حياته على جميع فروع المعرفة الانسانية توفراً يمكنه من حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تعانيها الحضارة . وهو لذلك يقترح ان ينشأ معهد خاص وينتظم فيه اذكى الشبان الذين في الخامسة والعشرين من العمر الآن واكثرهم ألمعية ويتركوا خمساً وعشرين سنة يتوفرون في خلالها على دراسة كل ما يستطيع العلم ان يقوله في الانسان . وعليهم ان يعيشوا عيشة زهد وتقشف كنساك العصور القديمة فلا « جولف » ولا « بردج » ولا « سينما » ولا « راديو » ولا حفلات اجتماعية وما اليها . .

فاذا بلغوا الخمسين من العمر كان في امكانهم ان يرسموا للعالم الطرق التي عليه أن يسلكها ليجتنب الحروب والازمات المالية والتعطيل عن العمل وما الى ذلك من الشرور الاجتماعية

خطأ قديم

اما العقبة الثانية فهي ان معارفنا العلمية في الزمن الحاضر غير وافية . فنحن نعلم شيئاً

كثيراً عن الشموس والمجرات والذرات وشيئاً غير قليل عن العظام والعضلات والفيتامينات . ففي وسعنا ان نقي انفسنا من ادواء وامراض مختلفة وان نصنع آلات ومحركات قوية للنقل والاتصال والرفع والخفض . ولكننا عاجزون عن الملاءمة بين نفوسنا والعالم الميكانيكي الذي خلقناه ولذلك يتعذر علينا ان نعيش في سلام وفي رغد عيش . والباعث على ذلك خطأ قديم

ولعل القارىء يذكر غاليليو . ذلك العالم الايطالي العظيم الذي نبغ في القرن السابع عشر فكان اول عالم طبيعي عرف في العصر الحديث . ان آثاره في الرياضة والطبيعة والفلك لا تحصى ومعظمها في المقام الاول في تاريخ العلم

ومما صنعه غليليو انه فرق بين خواص الاجسام الاولية كالابعاد والوزن وهي مما يسهل قياسه والخواص الثانوية كاللون والرائحة وهي مما لا يقاس . فغليليو فرق بين الكم والنوع وعني بالاول فافرغه في قالب رياضي فارتقى العلم المبني عليه وكانت انتصاراته الباهرة

إلا ان اتباع غاليليو ارتكبوا خطأ فاحشاً حين حصروا همهم في « الكم » واهملوا « النوع » فحماستهم في سبيل الوزن والقياس حوّلت الانسان الى عوالم الطبيعة والرياضة والكيمياء

هذا الخطأ يجب اصلاحه قبل ان يتمكن العالم من انقاذ الحضارة لان في الانسان شيئاً اكثر من الطبيعة والكيمياء ونواميسها

يقول الدكتور كارل « ان الصفات التي لا تقاس في الانسان اهم من الصفات التي تقاس » وهو يقول كذلك « ان وجود الفكر في الانسان في نفس المقام كحرمة التوازن الكيماوي الطبيعي في مصل الدم »

المادة والروح

ثم هناك خطأ آخر نشأ عن مباحث الفيلسوف الفرنسي ديكارت مع ان ديكارت نفسه لا يحمل تبعته . فالاشياء المادية عند كتابه فصلت عن الاشياء الروحية . فأصبحت مظاهر العقل عند هذا الفريق مما لا يمكن تفسيره . وغدا بناء الجسم وطريقة قيامه بوظائفه المختلفة في نظرهم اشد ثبوتاً من الفكر والشهوة والحزن والجمال . وفي التعليق على هذه يقول الدكتور كارل عبارته المأثورة : —

« هذا الخطأ حوّل الحضارة الى الطريق التي افضت الى انتصار العلم وانحطاط الانسان »

فتقدم العالم الذي يريده الدكتور كارل يجب ان يتوفروا على دراسة الانسان من ناحيتيه الكمية والنوعية معاً . وعليهم في المقام الاول ان يدرسوا العقل الانساني وهو المجهول العظيم الذي شرع علماء النفس في العهد الاخير يرودونه بأساليبهم المختلفة

ويرى الدكتور كارل ان تقدم العلم في كل ما له صلة بالغذاء والرياضة البدنية والصحة وشفاء الامراض والوقاية منها — كل هذا قد تمّ على حساب النمو العقلي . وهذا في رأيه هو التفسير المعقول لما نراه في حضارتنا . فنحن

لا ترى أننا مع ما بلغناه من ارتقاء في جميع هذه النواحي لا نزال عاجزين عن فض وجوه الخلاف من دون الالتجاء الى الحرب ، وعن توزيع الطعام وغيره من الحاجات المادية الاولية توزيعاً عادلاً على الناس ، وعن منع جنوح الاطفال والجرائم على اختلافها

الدين والتصوف

ولا يريد الدكتور كارل ان يحصر درس العقل في اساليب التفكير وامتحانات الذكاء بل يريده ان يمتد حتى يشمل كل ماله صلة بالدين والتصوف وعلم الخفاء والظاهرات الروحانية . وهو يعتقد ان الظاهرات الروحانية ظاهرات صحيحة على ندرتها وانها جديرة بدراسة العلماء ولكن يجب ان لا تترك لهواة هذا البحث ولو كانوا من اكبر العلماء فالخروج من ميدان الاختصاص محفوف بالمزالق ولو كان الخارج من طبقة بيوتي وكروكس ولودج

وعنده ان اجدر الناس بامتحان هذه الظاهرات ودراستها هم العلماء الذين حذقوا الطب السريري (الاكلينيكي) وتعمقوا في معرفة الجسم الانساني واعماله الفسيولوجية والعصبية وغيرها من الظاهرات الخلقية والنفسية التي لها أساس فسيولوجي او تشريحي او ما كان من هذا القبيل

وعلماء ان يمدهؤلاء الى اساليب الفسيولوجيا والطبيعة للبحث في التخاطب عن بعد (التلباثي) وما اليها من الظاهرات النفسانية

غذاء العقل

وكما يعرض له الدكتور كارل في كتابه موضوع الغذاء فهو يقول ان معرفتنا في ميدان الغذاء لا تزال محدودة قاصرة . فنحن لا نعلم الا يسيراً ما هو تأثير المركبات الكيمائية التي يحتوي عليها غذاؤنا في اعمال الجسم العصبية والفسيولوجية . وذلك لان التجارب في هذه الناحية لم تجرب مدة كافية في الناس لتعرف نتائجها على وجه وافٍ

ولا يبعد في رأيه ان تسفر هذه التجارب متى تمت عن حقائق جديدة من شأنها ان تعلمنا ان غذاء الحكام والمعلمين يجب ان يختلف عن غذاء العمال والموظفين العاديين في المعامل والمكاتب . فالسلالة البشرية في رأيه لا يمكن ان ترتقي اذا اكتفينا بتغذية الاطفال والمراهقين باللبن والقشدة والفيتامين

وقد يكون من الخير في رأيه ان نبحث عن مركبات ومواد جديدة لا يكون الغرض منها زيادة حجم الجسم ووزنه بل اذكاء القوة العقلية ونشاطها

مقام النساء

والراجح ان زعيمات الحركة النسائية لن يرضين بالمقام الذي يبينهُ الدكتور كارل لهنَّ . فهو يقول بوجوب عودتهنَّ الى البيت ولكن قوله هذا يختلف بزعته عن نزعة الحاكمين بأمرهم الذين يقولون بما يماثله . فهو يبحث في الموضوع

كذلك يرى ان المرأة والرجل غير متماثلين وغير متساويين

فالمرأة اهم من الرجل في حفظ النوع ومقامها أعلى من مقامه في ترقية الحضارة فيجب ان تقتنع بهذا المقام العظيم بدلاً من ان تسعى الى تقليد الرجل ومنافسته وهذا اصلح للجنس ولها

« والواقع — يقول الدكتور كارل — ان بين المرأة والرجل فروقاً اساسية . فكل خلية من خلايا جسمها مطبوعة بطابع جنسها . وعلى ذلك يجب ان تمارس في تعليم الفريقين وتهذيبهم وسائل واساليب تتفق مع خصائصهما الطبيعية . فبين الجنسين فروق لا معدى عنها ومن الواجب ان يعمل لهذه الفروق اكبر حساب في بناء الحضارة الجديدة »

●

العسل وتضميد الجروح

كان العسل يستعمل في القرون الوسطى في تضميد الجروح بل ان استعماله هذا كان شائعاً في عهد الامبراطورية الرومانية وقد اشار المؤرخ الكبير بلينيوس الى انهم كانوا يستعملون في عهده مرهماً مركباً من العسل ونوع من دهن السمك لمعالجة الجروح . ولا يبعد ان دهن السمك هذا كان « زيت السمك » الذي يشرب الآن متى لما يحتوي عليه من الفيتامين المانع للكساح

وقد جاء في رسالة الطب الاسبوعية ان اطباء مستشفى الصليب الاحمر في مدينة همبرج عنوا في الستة الاشهر الاخيرة بتجربة التجارب الخاصة في هذا الوجه من فائدة العسل فثبت لهم ان له تأثيراً بليغاً في تنظيف الجروح حتى الجروح الملوثة . ولكن ثبت لهم كذلك انه مع تنظيفه الجرح لا يؤثر تأثيراً يذكر في تعجيل اندمالها . ولما كان زيت السمك يساعد على تعجيل الاندمال فقد مزج هذا الزيت بالعسل فكان لهم مرهم ينظف الجروح ويعجل في شفائها

وعلى ذلك نكون من هذه الناحية قد عدنا بعد طواف طويل الى ما كان يعلمه الناس بالاختبار والتجربة العملية في عهد بلينيوس اي في اوائل العهد المسيحي

ولكن كيف يعمل العسل هذا الفعل العجيب ؟ هل يحدث تخمراً يقتل الجراثيم ؟ واي عنصر من العناصر الداخلة في تركيبه يعمل هذا العمل ؟ هل هو سكره او املاحه المعدنية او خاصة النباتية أو ما فيه من الكحول او مواد التخمير ؟ هذا ما لم يبت فيه مجربون الالمان بعد . ولكن لا بد ان تتجه اليه عنايتهم فيجربون التجارب المحكمة لمعرفة تأثير كل من هذه المواد على حدة في حالات مختلفة

●

الميكروبات في اعالي الهواء

اعلن الدكتور ووكر احد علماء جامعة جونز هبكنز الاميركية ان الهواء على ارتفاع يختلف من ٢٠ الف قدم فوق سطح البحر الى ٢٨ الف قدم خال من الجراثيم

وليس الدكتور ووكر اول من عني بهذا

البحث . فقد سبقه اليه طائفة من البحاث كالاستاذ روكر احد علماء معهد ماستشوستس التكنولوجي والمستر ماير احد علماء وزارة الزراعة الاميركية والكولونل لندبرغ . ولكن اعلى ما وصل اليه هؤلاء الباحثون في بحثهم ٢٠٦٠٠ قدم فوق سطح البحر الآن الدكتور روكر حلق في تجربته الاخيرة بطائرة من قاذفات القنابل في الجيش الاميركي الى علو ٢٨ الف قدم وجلس هو في حجرة الجندي الذي يطلق المدفع الرشاش وفي جدار هذه الحجرة شق كان العالم يمد منه يده الى الخارج وهو حامل بها لوحاً مطلياً بغشاء من مادة تصلح لنمو الجراثيم وقد عمل ذلك اثني عشر لوحاً دلت التجارب ان لوحين منها فقط يحتويان على مكروبات . وهو يعتقد ان مصدر هذه المكروبات يداه وملابسه . ولذلك يرى ان التجربة ليست حاسمة ولا بد من تجربتها ثانية

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد ان حرارة الهواء خارج الطائرة كانت تحت درجة الجمد قليلاً وكانت الطائرة طائرة بسرعة ١٥٠ ميلاً في الساعة وكان العالم يبقي كل لوح من الالواح معرضاً مدى ست دقيقة . وقد تورمت اصابعه من البرد

•

مدينة ترتفع وتنخفض

مدينة بتسبرج من اشهر مدن اميركا الصناعية وهي مشهورة بوجه خاص بكل ما يتعلق بصناعة الحديد والفحم . إلا أنها ترتفع وتنخفض كل يوم من ١٣ بوصة (أكثر من قدم قليلاً) إلى ٢٣ بوصة (أقل من قدمين قليلاً) كل يوم بفعل جذب القمر

يعلم القراء أن دوران الكرة الارضية على محورها كل اربع وعشرين ساعة يعرض كل بقعة على سطحها لجذب القمر وهذا التأثير يظهر أعظمه في غلاف الكرة المائي فيرتفع وينخفض وهذا هو المد والجزر . والمد والجزر اظهر ما يكونان في مصاب الانهر الضيقة الطويلة وعلى بعض الشواطئ

وقد سبق لنا مكتبنا في «المقتطف» قبلاً ان بعض العلماء المعنيين بدرس جذب القمر لسطح الارض اثبتوا ان تأثيره في جذب قشرة الارض اليابسة يقرب شواطئ اوربا إلى شواطئ اميركا بضع اقدام

والآن اطلعنا على بحث للعالم الاميركي الدكتور بول موت خلاصته ان قياس جذب القمر لقشرة الارض مدة طويلة اثبت له ان الارض التي تقوم عليها مدينة بتسبرج الاميركية ترتفع وتنخفض كل يوم من نحو قدم الى نحو قدمين

•

سرعة الطيران في الطبقة الطحرورية

قد لا تصدق ايها القارئ، اذا قلنا لك انك ستسمع قريباً عن طائرات لركاب تطير بسرعة ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ميل في الساعة فتستطيع ان تدور حول الارض في نحو يومين ونصف يوم

ولكن هذا القول يحتمل كل الاحتمال. واحتماله مبني على ما هو معروف في دوائر الطيران العالية. فالعلم يقتضي والتجربة قد أيدت ما يقوله العلم، ان الطيران على علو ٣٠ الف قدم او ٣٥ الف قدم فوق سطح الارض يزيد سرعة الطائرة زيادة كبيرة لاسباب متعددة أهمها لطافة الهواء وقلة مقاومته وعدم هبوب رياح عكسية تعيق تقدم الطائرة وتزيد ما تنفقه من الوقود. وقد أثبت ولي بوست — الذي قتل من عهد قريب هو وول روجرز — ذلك اذ حلق بالطائرة «ونى ماي» الى علو ٣٥ الف قدم وطار من شاطىء اميركا الغربي الى شيكاغو بسرعة ٣٥٠ ميلاً في الساعة. فقطع المسافة بين سان فرنسسكو وشيكاغو في ٧ ساعات على ما نذكر والرحلة لا تقطع عادة في اقل من ١٠ ساعة

ولكن الطائرة التي تطير على هذا الارتفاع يجب ان تكون منصنعة بصفات خاصة في بناء محركها وحجرة الركاب، تقتضيها طبيعة الجو وهذه الشؤون هي موضوع عناية المهندسين الآن وقد لا يطول الانتظار قبل الفوز بهذا الطراز من الطائرات

■

ملاريا القردة والشلل العام

يعلم قراء «المقتطف» ان الطبيب النمسوي المشهور فاجنر يورج اكتشف من سنوات طريقة لمعالجة الشلل العام الناشىء من الاصابة بالزهري وهي معالجة الداء بداء آخر على حد ما قال المتنبي: اذا استشفيت من داء بداء والداء الذي استعمله الدكتور فاجنريورج لمعالجة هذا الضرب من الشلل كان داء الملاريا وقد منح جراء على هذا الاكتشاف جائزة نوبل الطبية

فالمصاب بهذا الضرب من الشلل يحقن بطفيليات الملاريا فيصاب بقشعريرتها وحمّاها والظاهر ان حمّاها العالية تشوي جراثيم الداء الباء المتأصل في جسم المصاب فيشفى المصاب من دائه الاصلي ثم يعالج للشفاء من الملاريا بالاساليب المعروفة اي الكينا وما اليها

ولكن الملاريا ليست بأعراضها المختلفة مما تحمد عقباه دائماً ثم انه من اشق الامور على مركز طبي حفظ البعوض الملوَّث بالملاريا لاستعماله في نقل الملاريا الى مصاب بهذا الشلل عندما تقتضي الحاجة ذلك. ويوجه خاص اذا كان هذا المركز الطبي في بلاد ليس فيها ملاريا او بعيدة عن بلاد فيها ملاريا

وقد قرأنا الآن ان الدكتور فان رويين من اطباء جامعة ادنبره والدكتور بل في بيمارستان مدلوثيان وبيلر قد وصفا في المجلة الطبية البريطانية استعمالها ملاريا القردة في معالجة الشلل العام الناشىء من الزهري

وهذا النوع من العلاج يمتاز على العلاج بالملاريا البشرية من نواح مختلفة اهمها امكان حفظ القردة في حالة عدوى مدة ستة اشهر وقصر مدة الاصابة وخفة الاعراض وسهولة علاجها بالكينا

البنزين من الفحم

ان عمل تحويل الفحم الى بترول وبنزين ليس عملاً صعباً او متعذراً من حيث المبدأ . فجميع اصناف الوقود مركبة من كربون وايدروجين ولكن نسبة الايدروجين في البترول اعلى منها في الفحم ثم ان الفحم يحتوي على مقدار من الاكسجين اكبر من مقدار الاكسجين الذي في البترول فاضف الى الفحم مقداراً جديداً مناسباً من الايدروجين واضعف مقدار الاكسجين الذي فيه ولك بترول ينسكب في حوض

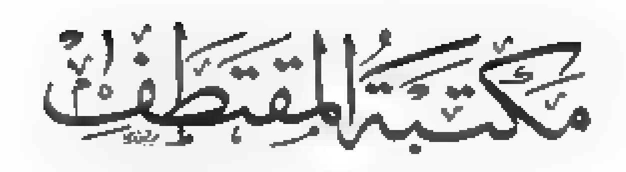
ولكن التطبيق صعب . والواقع ان العلامة برجيوس الالماني الذي ابتدع الطريقة العملية لذلك قضى سنين من البحث والدأب قبل أن يتوصل إليها سنة ١٩١٤ فلما كانت سنة ١٩٢٨ كان برجيوس يصنع ٣٠٠ الف برميل من البنزين كل سنة ومما لا يرتاب فيه الباحثون انه لا تنقضي سنة ١٩٣٦ حتى تكون بريطانيا والمانيا تصنعان نحو ٤٠٠ مليون غالون من البنزين بمعالجة الفحم والفحم الاخضر وقطران الفحم الحجري بالاساليب الكيماوية . وانه لا تنقضي سنة ١٩٤٠ حتى تكون المانيا قد اصبحت في غنى تام عن مصادر البنزين الأجنبية

ان الطبيعة سلخت ملايين من السنين في صنع البترول ولكن الالمان والانكليز يختصرون الصور الجيولوجية في بضع دقائق الا ان هذا النجاح يقتضي منهم ثمناً فادحاً من المال والطاقة . فهم يحتاجون الى درجات عالية جداً من الحرارة ودرجات عالية من الضغط كذلك ليحملوا الفحم على الاتحاد بقليل من الايدروجين والاكسجين حتى يتحول الى بنزين وانفقت معامل الصناعات الكيماوية الامبراطورية حتى الآن مليون جنيه للتغلب على بعض الصعاب الفنية الصناعية مع انهم كانوا يعرفون اساليب برجيوس الالماني . اما ما انفقه برجيوس قبل تحقيق مذهبه اولاً فلا سبيل الى معرفته الآن

وقد انشأت الصناعات الكيماوية الامبراطورية مصانع في بلنهام — افتتحت من نحو بضعة أشهر — لصنع البنزين من الفحم (البتومين) وكان القصد اولاً صنع ١٠٠ الف طن في السنة من البنزين ثم زيد هذا المقدار الى ١٥٠ الف طن ولا ريب في ان نجاح هذه الصناعة سيكون له تأثير طيب في انعاش صناعة تعدين الفحم التي صعبت سد الاسواق في وجهها وفعل الازمة العالمية

ان مراتب العمل هي كما يلي : المرتبة الاولى تنظيف الفحم بازالة الرماد ثم طحنه ممزوجاً ببترول فيصبح معجوناً اسود يدفع في حوض تحت ضغط ٢٥٠ جوّاً حيث يتحد بالايدروجين ولا بد في هذا من حرارة عالية جداً ويتحول المعجون الى سائل عند درجة ٤٥٠ سنتغراد من الحرارة

هذا السائل هو نوع من الزيت يوسخ الغبار . ثم يلي ذلك تكريره الى ثلاثة اصناف من الزيت احدها ثقيل والثاني متوسط والثالث مرن . فيزال البنزين ويعاد علاج الزيت الثقيل فيتحول الى زيت متوسط ومرن . فيزال المرن . ثم يجمع مقدارا الزيت المتوسط والخاني كما تقدم حتى « يغلب الغرة تماماً »



لبنان في عهد الامراء الشهابيين

وهو الجزء الثاني والثالث من كتاب «الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان» للامير حيدر احمد الشهابي
في طبعه ونشره وتحقيقه ووضع حواشيه ووضع مقدمته وفهارسه الدكتور اسد رستم استاذ التاريخ الشرقي في جامعة
بيروت الاميركية وفؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

كان الدكتور فان دبك الكبير في اوائل عمره يقيم في عبيه وهي قرية لآل تلحوق بين الشحار من سوق الغرب فركب يوماً فرسهُ وسار الى قرية اخرى فلقيه صديق وقال له «الى اين يا حكيم» قال الى القرية الفلانية لكي افتح فيها مدرستين قال «الا تكفي مدرسة واحدة فلماذا مدرستان» ولعل السائل كان من المشايخ آل تلحوق وكان بينه وبينهم مساجلات لطيفة. فاجاب الدكتور فان دبك بقوله اني في الحقيقة ذاهب لانشاء مدرسة واحدة فمتى علم الآباء اليسوعيون بذلك اسرعوا وانشأوا مدرسة اخرى. فلتعرف. فقد كان التنافس كبيراً بين الآباء اليسوعيين والمرسلين الاميركيين هؤلاء من الكنيسة الانجيلية وأولئك من الكنيسة الكاثوليكية فاذا انشأ الاميركان مدرسة اسرع الآباء اليسوعيون وانشأوا مدرسة اخرى. اما الآن فيقوم استاذان كبيران احدهما من الجامعة الاميركية والآخر من جامعة الآباء اليسوعيين ويتفقان ويتعاونان على اصدار هذا الاثر النفيس ولو سمعنا ذلك في الماضي لما صدقناه اي لو سمعنا ان الدكتور كرنيليوس فان دبك الانجيلي والاب لويس شيخو الكاثوليكي اتفقا على تأليف كتاب في الجدل الكتابي مثلاً لقلنا ان القائل قد اضاع رشده أيتفق فان دبك وشيخو هذا مستحيل

اما الآن فقد جمع الزمان الفاضلان بين المتناظرين وآما بين الصديقين أحدهما من الجامعة الاميركية والآخر من جامعة الآباء اليسوعيين فنشرا كتاباً واحداً وطبعاه في مطبعة واحدة هي المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين وهي والمطبعة الاميركية في نظري خير المطابع العربية بلا منازع فعسى يأتي يوم تكون فيه الاديان والمذاهب واحدة في نظر العقلاء فقد كان اهل لبنان لا ينظرون قبلاً الى الدين او المذهب بل الى ما يسمونه الغرض او الميل السياسي فيقولون مثلاً فلان قيسي او يمني من اي دين او مذهب كان وقد كان امراء لبنان ومقدموه ومشايخه وعامته اما مسلمون او مسلمون شيعيون او دروز او مسيحيون لا فرق بينهم الا في الغرض او المذهب السياسي فلما دخل في امورهم رجال الدين ومعظمهم من مرسلي الاجانب اختلفت الحال ولا محل للبحث هنا في اسباب تنصر الامراء الشهابيين المسلمين والامراء اللمعيين الدروز وليتهم لم يفعلوا ولو كان ذلك لما كانت الحرب الاهلية ولما دخل الاجنبي الى لبنان وسورية وفلسطين

ولبحثر اهل لبنان من القسانس منهم اهل وطن واحد فلو دخل فيهم الطاعون مثلاً كان عرضة للاصابة به جميع الناس على السواء

ثم ان في اول الكتاب مقدمة جاء فيها نبذة عن المؤلف وترجمة حياته وفيها تمحيص دقيق لما ورد عنه في المؤلفات العربية وقد انصف الناشران في ما ذكراه عنه فيما اضاف ولا سيما في ما جاء في كتاب الساق على الساق ولا يخفى ان الامير حيدر كان مسيحيًّا مارونيًّا وكان متمسكاً بدينه . وهناك مسألة لم ينتبه لها أحد وهي ان الامير حيدر كان كريماً أي حنبلان كما بينت في غير هذه الكلمة في جزء ماضٍ من المقتطف فتنصره لم يجعله يكتبها سريانية بل بقي كريماً فيه دم الشهابيين كما يستدل من عبارة قالها في اول الكتاب وهي حقيقة لا ريب فيها قال في الصفحة الاولى ما يأتي : ذكر ما حدث إلى الفرنساوية من الانشقاق والنفاق والخصام وخروجهم إلى الديار المصرية وما تم لهم تلك الامصار نوع الاختصار والحمد لله لمن الخيار الذي اراح منهم هذه الديار . انتهى فكيف يقول ذلك ماروني فلت يقولهُ اذ كان شهابيًّا ويقولها غير الشهابي

مصر الجديدة امين المعلوف

من بعيد

للدكتور طه حسين — ٢١١ ص . من القطع الصغير

«هذه فصول متفرقة لا يكاد يجمع بينها الا انها كتبت من بعيد كنت من بعيد في المكان وكنت من بعيد في الزمان ايضاً» — بتلك الجملة يستهل المؤلف مقدمته شارحاً عنوان كتابه ناسطاً السبب الذي من اجله اعاد طبع مقالات كان قد نشرها من قبل في الصحف السيارة

ومهما يكن من امر فان مراجعة تلك الفصول لمتعة القارىء بل للقارىء الذي يجب ان يستفيد من طريق البحث فما لا شك فيه ان الدكتور طه حسين عرف كيف ينشىء اسلوباً يملك عليك عملك ويغذيه في آن ، أسلوباً اذا مشى انطلق وعدا ولو عدا أكره القلم على الجريان اسلوباً خفيف المواقع تضطرد فيه المترادفات والاعتراضات في رشاقة ، اسلوباً بليغ لا يكلفك عناء على اختيار الالفاظ فيه اذاً هذي فصول تعم وصف رحلات ونقد علم وخواطر سانح ودراسات في الادب وآراء في الفلسفة . وليست هذي الفصول عميقة ولا ممسحة الا ان الاسلوب الواحد يجمع بينها وروح المؤلف المطردة تؤلف بين اجزائها

ولنشر الى فصلين منها اما الأول ففصل « الادب والادباء » وما نظنه الا دخل في تاريخ الادب العربي الحديث اذ يتناول فيه الدكتور طه حسين قصة الخصومة القائمة بين انصار القديم وانصار الجديد تلك الخصومة التي قنا لها وقعدنا لنشر سنين خلت واما الفصل الثاني فعنوانه « بين العلم والدين » وهو بحث لم يكد احد يجرؤ على القدوم عليه والفصل فيه . فثل هذين الفصلين يدلان على مكانة الدكتور طه حسين في التفكير ايام نهضتنا هذه ويسجلان اسمه تسجيلاً

تطور الاساليب النثرية في الادب العربي

الجزء الاول — تأليف انيس المقدسي استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية — ٤٤٨ صفحة من قطع المقتطف — طبع مطابع مركيس في بيروت

الاستاذ انيس المقدسي علم من اعلام الرأي في الادب العربي ، اخرج منذ ثلاثة اعوام كتابه « أمراء الشعر العربي في العصر العباسي » فكان كتاباً قيماً ، وها هو يخرج في هذه السنة كتابه النفيس « تطور الاساليب النثرية في الادب العربي » فاذا الكتاب الجديد كتاب قيّم

وهو يتناول في هذا الكتاب النثر العربي وخصائصه الفنية منذ نزوع الاسلام الى النهضة الاخيرة ويتخلله دراسات تحليلية لنخبة من امراء الاقلام وعرض كثير من نصوصهم الانشائية وقد تعمد المؤلف عدم التعرض لنثر الجاهلي إلاّ ما توصل الى تحقيقه عرضاً في اثناء البحث وما ذلك إلاّ لان المواد النثرية التي بين يديه من العصر الجاهلي لا تسوّغ له تناول ذلك بطريقة علمية على انه يستدل على قدم النثر المطلق مما ورد في القرآن الكريم من اشارات الى التقدم التجاري الذي بلغته قريش في الجاهلية ، وهذا التقدم لا بد له من استعمال الكتابة وقد ورد في القرآن ما يشير اليها مما لا يدع مجالاً للشك في استعمالها كما ان روايات المؤرخين تزكي ذلك فعند ظهور الدعوة الاسلامية وفي قريش كتّاب وفتية كتّاب

ولقد تناول المؤلف البحث في النثر عند ظهور الاسلام موجّهاً نظره شطر الرسائل النبوية التي بعث بها النبي الى الزعماء يدعوهم فيها الى الاسلام ، وذكر المزايا التي يلاحظها فيها من ايجاز وبساطة ومن اوضاع خاصة قلما يعثر عليها في غير هذه الرسائل ومن تتابع العبارات في كثير منها بعطف او بغير عطف من دون تكلف التعادل بينها او صحة التقسيم

ثم التفت المؤلف الى ناحية الاسلوب القرآني فتكلم عن ظواهر بلاغته مقتصراً على اربعة انواع منها هي : الاحتباك ودقة الاشارة ، وحسن الايقاع ، وروعة الانتقال ، وجمال التخيل ثم ختمه بالرد على المستشرق (بولدكه) الذي يرى في قصص القرآن وجوه ضعف منها النقص في التسلسل اي ان القصة لا تروى في طريقة حرفية منظمة بل يعتريها التقطيع والتشويش حتى يصعب فهمها على من لم يطلع عليها في مصدر آخر ومنها تكرير بعض الالفاظ او العبارات وكثرة الانتقال في سياق الكلام من صيغة الى صيغة او حال الى حال زاعماً ان كل عالم اوربي يقرأ الكتاب بروح الانصاف يرى رأيه . فيقول الاستاذ المقدسي : —

« ومن الانصاف هنا ان نقول ان بولدكه لم يصب كبد الحقيقة فيما ذهب اليه من نقد الاسلوب القرآني . اذ لا يجوز مقابلة هذا الاسلوب بأسلوب القصة في التوراة لاختلاف الغرض فيهما ففي التوراة عدا اسفار الانبياء والامثال والاناشيد الروحية حوادث تاريخية منظمة تجري فيها

الاخبار مجراها الواضح العادي اما القرآن فجملات روحية خطابية لا يقصد بها تسلسل الخبر، ولكن تستخدم فيها القصة تذكيراً او تهويلاً. ولذلك ترد مراراً بحسب ما يقتضيه الكلام وكثيراً ما تروى على سبيل الاشارة والتلميح — والنسق الخطابي يقتضي التكرير كما هو معروف. وأما الالتفات فهو ضرب من ضروب البلاغة، يصعب ادراك كنهه على غير ابناء اللغة الواقفين على اسرارها

ثم انتقل الى الكلام عن الحديث ومعانيه في تاريخ النثر حتى ينتهي من بحثه الى مزاياه العامة وهي تتفق مع ما في الرسائل النبوية من مزايا

ثم يجيء دور الامثال القديمة ولغتها وبعد ان يعرض لها يرى أنها من قبيل الكلام المحفوظ الشديد الايجاز يكثر فيها الحذف وتتصف عموماً بمتانة السبك وجودة التقسيم مع الميل إلى النسق الانشائي العالي من تقديم المعمول على المقيدات والمسند على المسند إليه. ومع أنها ليست إلا فقرات قصيرة يصعب الحكم بها على النسق الانشائي في ذلك العهد فانها تعرف بها ما بلغته العربية منذ العهد النبوي أو ما قبله من التطور في بناء الجمل وتركيب الألفاظ، ويمكن استخدامها للحكم على ما نقل لنا من آثار ذلك العهد البعيد

ثم يعقد فصلاً ضافياً على المزايا الانشائية العامة في عصر الفتوح الذي يتصف طابعه الانشائي الخاص بطابع « البساطة المحكمة » وينتهي من ذلك بعد دراسة نصوص مختلفة من نثر ذلك العصر إلى أن النثر المرسل منذ انبثاق الاسلام الى عهد عبد الحميد الكاتب لم يطرأ عليه تغير يذكر فاقوال النبي والصحابة وخطب الامويين ورسائلهم جميعها مرتبطة بمزايا لغوية متشابهة ومطبوعة بطابع انشائي عام، من ايجاز وبعد اشارة وبساطة في التركيب وعدم تبسط في المعاني. أما السجع أو الازدواج فكان محصوراً في بعض مجالس الوعاظ والقصاصين

ثم يعطينا أمثلة مختلفة مختارة من الخطب السياسية والادارية ومن الرسائل والعهود والوصايا ومن العظات الأخلاقية ثم يبتدىء في الكلام عن الاسلوب المتوازن أو المزدوج غير المسجع وهو السائد في النثر الادبي منذ عهد عبد الحميد حتى عهد ابن العميد أي من اوائل القرن الهجري الثاني إلى القرن الرابع ويتناول البحث فيه النثر في أواخر العهد الاموي وصدر العهد العباسي ثم يتناول بالدراسات المطولة عبد الحميد الكاتب ورسائله واسلوبه والجاحظ ونظرياته وأسلوبه ثم ينتقل الى عرض امثلة من الاسلوب المتوازن بعد عهد الجاحظ ومنها يظهر أن السجع على تعاظم شأنه وسيادته في القرن الرابع الهجري لم يقض على الازدواج غير المسجع بل تجاريا معاً في حلقات الأدب حتى إلى ما بعد ذلك القرن كما ترى في يتيمة الثعالبي

ثم يعقد المؤلف الفصل الاخير على الاسلوب المسجع دارساً فيه بتوسع خصائصه ومواطنه ثم الرسائل الديوانية مع استعراض لرجالات الانشاء الديواني كابن العميد والصابي والقاضي

الفاصل وإن الخطيب محللاً أدب كل منهم منتهياً إلى حكم خاص فيه ستقصاه واتزان حتى يصل إلى الرسائل الادبية فتحدث بعرض الرسائل المشهورة والنظر فيها وفي أغراضها معقباً على ذلك بما بلغته هذه الرسائل في هذه نهضتنا الاخيرة ثم يختم هذا الفصل بالكلام عن المقامات وبطليها الهمذاني والحريري محللاً مزايا كل منهما تحليلاً دقيقاً حسن كامل الصيرفي

اربعة كتب عن الحبشة

والحرب بينها وبين ايطاليا

كان نشوب الحرب بين ايطاليا والحبشة حافزاً لغير واحد من الكتاب المصريين الى تأليف كتب للتعريف بالبلاد الحبشية وتاريخها وعلاقتها قديماً وحديثاً بمصر والاسلام والعرب والكنيسة القبطية ثم تدخل ايطاليا في الحبشة خمسين سنة خلت واسباب الحرب الحاضرة وعمل الدول منها . وكتب التاريخ العربية القديمة مليئة بالكلام عن الحبشة ولكنه كلام ممزق مختلط بغيره من اخبار الامم المختلفة فالرجوع اليه واستقصاؤه في مظانه ليس من الامور الهينة على خلاف ما في الكتب الافرنجية الموضوعة عن الحبشة من ترتيب واحكام وفهارس تسهل على الكاتب الوصول الى المباحث التي يرغب فيها خاصةً كانت او عامة . والكاتب العربي في المسألة الحبشية لا بدّ له من الرجوع الى المصدرين الغربي والعربي . وفي الاثنين ما يقتضي جهداً ووقتاً وبين يدينا اربعة كتب عن الحبشة ادركنا من تقليب صفحاتها عناية كتابها بالبحث والسرعة في التحرير اذ اراد كلٌ منهم ان يسبق زميله تلبية لطلب جماعة الناشرين ورغبة القراء والمطالعين

المسألة الحبشية من التاريخ القديم إلى عام ١٩٣٥

١٨٠ صفحة كبيرة . ثمنه ١٠ قروش . يطلب من المؤلف

ألّفه الاستاذ عبد الله حسين المحامي أمام محاكم الاستئناف والمحرر بالاهرام وصاحب الجريدة القضائية والادارة والبوليس القضائي

احل المؤلف الكلام عن سكان الحبشة وأرضها وطقسها واللغات الحبشية والمرأة الحبشية وعائلات الحبشة وملوكها والامبراطور هيلاسلاسي والجندية الحبشية والقضاء والنقود والاسلام والنصرانية في الحبشة وتجارة الرقيق وعلاقات مصر بالحبشة في أيام سعيد باشا . وهذه الفصول مختصرة وجيزة ومنها ما لا يتجاوز الصفحتين ثم بسط الكلام في المعاهدات الدولية بشأن الحبشة وتأثير الحرب العظمى في الحبشة وانضمام الحبشة إلى الجامعة والاتفاق الايطالي الانكليزي سنة ١٩٠٥ والمعاهدة الايطالية الحبشية سنة ١٩٢٨ والاتفاق الحبشي الفرنسي سنة ١٩٣٥ . واسباب الحرب الحاضرة ومقدمتها وموقف الدول وجهة الامم من المتحاربين فهو جدير بالراغبين في دراسة الموضوع من الوجهتين الحربية والسياسية بعد الالمام بتاريخ البلاد وجغرافيتها وعاداتها

بين الاسد الافريقي والنمر الايطالي

في ١٤٠ صفحة كبيرة — ثمنه عشرة قروش — ويطلب من مكتبة المعارف بمصر

عني بوضعه وتأليفه الاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي ، وصاحب المؤلفات الكثيرة في المسائل الشرقية وتولت طبعه ونشره مطبعة المعارف طبعاً أنيقاً على ورق صقيل

وقد رجع المؤلف في بحثه الى عشرين مؤلفاً سرد اسماءها في آخر الكتاب ، ليعود اليها من اراد زيادة البحث والاستقصاء ويمتاز كتاب الاستاذ لطفي جمعه بتناسق الفصول والشدة بالبحث والتحليل والقصد في الكلام . ففيه مقدمة وتسعة عشر فصلاً يدرك القارىء منها علاقة الحبشة بمصر والاسلام قديماً وحديثاً ، وطموح مصر الى فتوح افريقيا ، وعلاقة مصر بالحبشة وايطاليا ، وعصبة الامم والمشكلة الحبشية ، ومن موقعة فرع الى موقعة عدوة ، والنظام الفاشي وغيرها

الحبشة او اثيوبيا في منقلب من تاريخها

٢٤ صفحة متوسطة . ثمنه ١٠ قروش ويباع في مكتبات القاهرة

تأليف الاستاذ الشيخ بولس مسعد ، المعروف بمباحثه المتعددة في شؤون تركيا وسوريا ولبنان . وقد تولت طبعه المطبعة العصرية مزيناً بعدد كبير من الصور

قال المؤلف في المقدمة : « الحبشة أمة شرقية جديرة بأن تقدر امرها ونشر بما تعيدنا سيرها وتنظر الى ما تهيء لها الاقدار في هذا المنقلب الخطير من تاريخها الذي نرجو ان يكون فاتحة عصر جديد حافل بمجالي الخير والاقبال » . وقد مهد للكلام عن الحرب الحاضرة بفصول عن جغرافية الحبشة وزراعتها وحاصلاتها ومواصلاتها وسكانها وطوائفها وعاداتها وأدبها وعلاقتها بمصر خاصة والدول عامة وما اسفر عنه تنافس انجلترا وفرنسا وايطاليا فيها من النتائج ويختلف عن عما سبق بوفرة مباحثه الجغرافية والتاريخية وزيادتها عليه على النظر في الحرب الحاضرة ومقدماتها

الاسلام في الحبشة

١١٠ صفحات كبيرة ثمنه خمسة قروش ويطلب من المؤلف بالمطرية والمكتبات في القاهرة

الفه الاستاذ يوسف احمد ، المفتش السابق في مصلحة الآثار العربية وعنوان الكتاب يدل على الغرض الذي قصده المؤلف وهو التعريف بحالة الاسلام في الحبشة منذ هاجر اليها المسلمون في صدر الاسلام هرباً من اذى المشركين وما لاقوه من حفاوة النجاشي بهم ثم يتناول الاسلام في الحبشة من بعد الهجرة . وانتشار الاسلام في الحبشة واول دولة اسلامية في الحبشة والاسلام والحبشة في القرن الثامن . ووصف السلطنة الاسلامية . والمذاهب الاسلامية في الحبشة ونشاط المسلمين الطبيعي في الحبشة الخ الخ . وهذا البحث الخاص ، لم يعن كاتب عربي بجمعه وترتيبه قبل الاستاذ يوسف احمد ، فيسر للقارىء العربي الاطلاع في ساعات على ما لا يمكنه مراجعته في الكتب القديمة في سنة

توفيق حبيب

العراق في دوري الاحتلال والانتداب

يعد الاستاذ عبد الرزاق الحسني بحق من انشط الكتاب العراقيين ومن اغزرهم مادة ومن اكثرهم توفيقاً في اختيار الموضوعات التي يعالجها فقد تم له في خلال السنوات الاخيرة اخراج سلسلة كتب نفيسة ناصعة آخرها كتاب « العراق في دوري الاحتلال والانتداب » فقد جمع فيه اخبار النهضة العراقية وتطورها من ابتداء الحرب العظمى في سنة ١٩١٤ حتى يومنا هذا

ويتألف هذا السفر الثمين من جزءين بين يدينا الجزء الاول منه وقد طبع طبعاً متقناً في مطبعة العرفان بصيدا على ورق جيد وعدد صفحاته ٣٢٠ صفحة بالقطع المتوسط

وهذا الجزء مقسم الى ستة اقسام فالاول خاص بالحرب التركية الانكليزية في العراق. والثاني عن الثورات الموصلية. والثالث عن الثورة العراقية الكبرى. والرابع عن الحكومة المؤقتة. والخامس عن مشاكل العراق الخارجية وصلاته بايران وتركيا ونجد والحجاز والسادس عن مشاكل العراق الداخلية ، وقد كتب كله بأسلوب جزل طلي ، جذاب ويزيد في خطورة شأن هذا الكتاب ما ضمه بين دفتيه من وثائق تاريخية ثمينة عني المؤلف الفاضل بجمعها واثباتها في مواضعها ، وكذلك في الكتاب ثلاث خرائط مع عدد كبير من الرسوم للزعماء الوطنيين ورجال السياسة الذين ورد ذكرهم وللحوادث نفسها

ولقد كتب الاستاذ امين سعيد مقدمة هذا الكتاب فوصف جهود المؤلف الناصعة وأطراها ومما قاله « ان قراء العربية سيقابلون على اختلاف نزعاتهم كتاب الاستاذ الحسني الجديد بالاعجاب والتقدير شأنهم في كل ما يكتبه وينشره لتعزيز النهضة القومية وخدمة العلم والادب ، فهو مما لا يستغني عنه باحث ولا كاتب ، ولا مؤرخ ، ولا سياسي ، بل ولا عربي فصيح في اشد الحاجة الى دراسة تاريخ نهضتنا القومية والاحاطة به وتتبعه في ادواره ومراحله ، والوقوف على دقائقه وتفاصيله فاذا كان هنالك ما يفيدنا ، اخذنا به وسرنا عليه ، واذا كان هنالك ما يضر اهملناه او نبذناه وسلكنا سبيلاً آخر ، يهدينا الى الصراط المستقيم صراط خدمة العرب وانهاضهم ونشر ما انطوى من آثارهم ومفاخرهم ، واحياء دولتهم واعلاء كلمتهم الخ »

ونعد كتاب « العراق في دوري الاحتلال والانتداب » درة من الدرر الغوالي وفتح جديد في تاريخ العرب السياسي ، فنهنىء مؤلفه الفاضل بما ادركه من نجاح راجين له ان يوفق في اصدار جزئه الثاني كما وعد ونتمنى لجزئيه السابق واللاحق «ومقدماً» الرواج والانتشار

ويطلب الجزءان من المكتبة العصرية ببغداد ومن المكاتب الشهيرة في العراق وثمنه ٢٥ قرشاً صاغاً

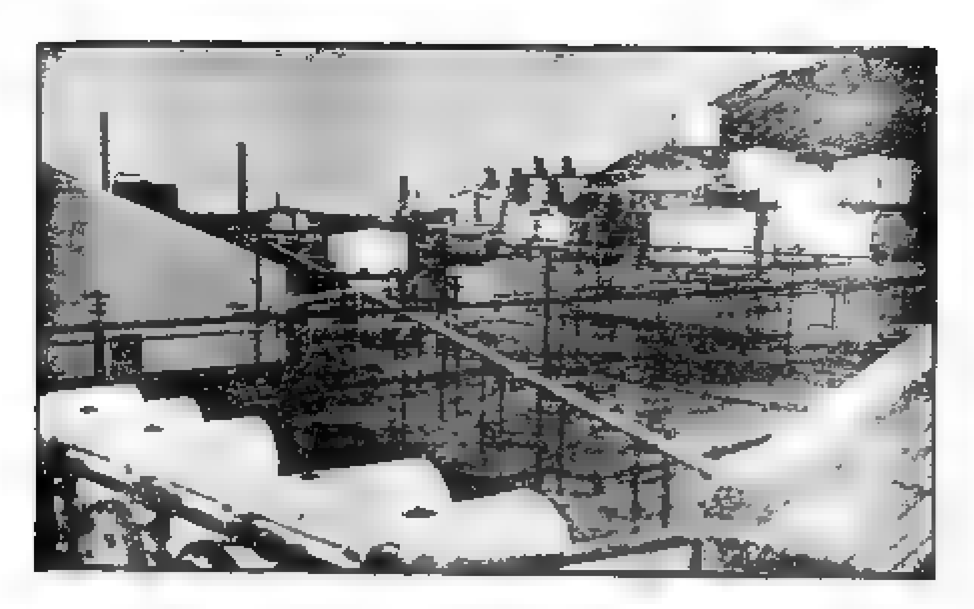
***



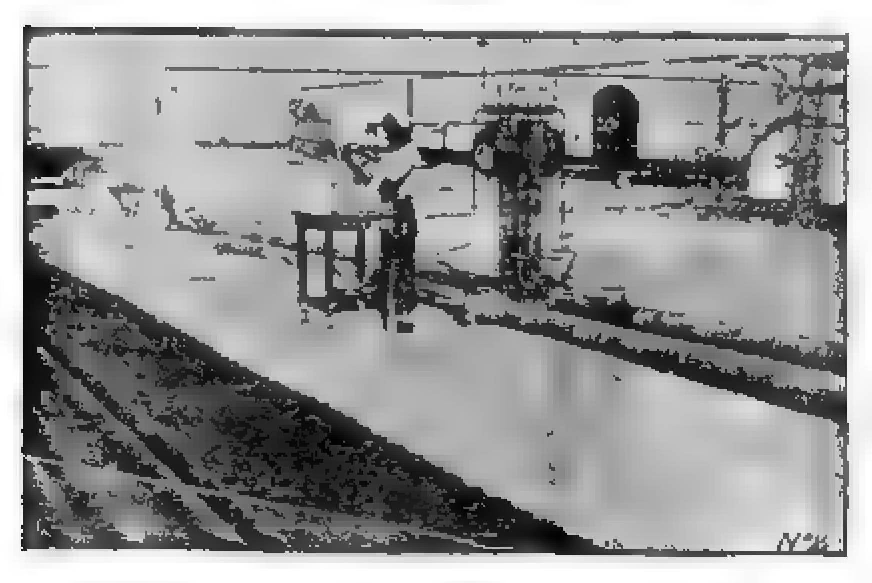
صورة بئر من النفط وقد انطلق النفط منها بقوة عظيمة



صورة المحطة المنسوبة بميناء الغردقة وفيها تظهر الصهاريج الخازنة والمصفات
التي تشحن ناقلات البترول



منظر عام لاجهزة فصل المياه عن البترول في الغردقة ومنها يرسل
الغاز الكبريتي العالي الضغط



شاب مصري في الغردقة يقيس الكثافة النوعية للغاز الذي يستخرج البترول معهُ
ويستعمل بعد ذلك وقوداً



ردیرد كبلنج

Rudyard Kipling



بول بورجيه

Paul Bourget

آخر صورتين لهما قبيل وفاتهما من مجموعة جريدة الاهرام الغراء

« الدار المشتركة » التي اعدت للاجتماعات الصغيرة التي يعقدها نزلاء الاو
احتلفة في الالعاب الاولمبية

المكان الخاص الذي اعد لمباريات الانزلاق على الثلج



الملعب الفخم الذي أُعدَّ للالعاب الاولمبية القادمة في برلين

صورة تقريبية لمعركة نافارين البحرية
السفن المصرية والعثمانية يرمز اليها هنا بخطوط
وسفن الحلفاء يرمز اليها بنقط

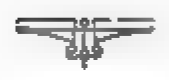


تحول المشهد الأوربي

واتجاهات سياسة الدول الاوربية

روسيا والمدنية الحديثة

لابرهيم ابرهيم يوسف





المستر جون نتل

John Knittel

مؤلف رواية « الدكتور ابراهيم » وهي قصة مصرية ننشرها فصلاً فصلاً تباعاً في عدد المقتطف القادم (اول مارس ١٩٣٦)

الطريقان

وو منغ فو

هذه القصيدة هي للشاعر الصيني وو منغ فو Wu Ming Fu وقد وصلت الى الغرب في حلة انكليزية ، واستمرت في السياحة عائدة الى الشرق فوصلت الى الفريكة بلبنان ، فألبسناها حلة عربية لا أظن معرفة صاحب أي الروح عصرها ، ومن محاسنها الحكمة والذوق السليم في نزعة من التصوف . على ان كل قصيدة هي معرضة في التنقل للتغيير ، وبودي لو ان أحد المستشرقين يعيد هذه القصيدة من العربية الى لغة وضعها الاول ، ويقابلها بالاصل الصيني ، ليظهر ما قد يكون أصابها من حيف او شر في التجوال

امين الريحاني

ما الفضاء ، وما الزمان ؟

هما الطريقان ، للروح المتجسدة في الانسان ،

تسير فيهما ما جدّ الجديدان.

ولا يخامرنّ قلبك أنا واصلون في السير الى المنتهى من الزمان والفضاء .

إنما نحن سائرون ، والسير الغاية ،

وليومنا ومكاننا منه حيّز الاستواء .

فمهما تقدم من الزمان ، فلا مزيد في الآجل ولا نقصان .

إنّ الساعة التي نحن فيها لتحدّ الانتصاف ،

وان شطري الابدية وراءنا وامامنا على الدوام .

ومهما أمنا في رحب الفضاء ، فليس يُرجى انتهاء .

إن المكان الذي فيه الحياة ، هو النقطة المركزية من الكائنات

فيمّمت السكنى اذن في هذه الساعة وهذا المكان .

ليهدأ البال منك ، وليتحقق الحنان .

فأينما أقمنا عمود البيت ، هناك وسط الفضاء ، وهناك قلب الزمان

كذلك كان ، وكذلك يكون ، في هذه الحياة ، وفي كل آتيةٍ بعدها

هي سنة الاكوان ، وفيها تتمثل الحكمة والحنان ، رأفةً بالانسان ،

فتشربه الروعة الخفيّة ، وتقيه هول اللانهاية والابديّة .

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثامن والثمانين


المقتطف



عبده الحمولي

راجع مقال خليل مطران في « الموسيقى العربية وعبده الحمولي »
وهو فصل مقتبس من كتاب الموسيقى الشرقية والغناء العربي الذي
صنعه قسطندي رزق

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن والثمانين

١ مارس سنة ١٩٣٦ — ٧ ذي الحجة سنة ١٣٥٤

العلم يجاري الطبيعة

في توليد عناصر مشعة

تباري الراديوم

الراديوم اشهر عنصر في طائفة من المواد الكيمائية تعرف بالعناصر المشعة ، وصفتها التي تتميز بها عن سائر العناصر ، هي اطلاقها انواعاً من الاشعة ، اطلاقاً دائماً ناجماً عن انحلال ذرّاتها . وقد ثبت بالتجربة والامتحان ، أن بعض الاشعاعات التي تنطلق منها ، وبوجه خاص ما يعرف بأشعة غمّا ، لهُ تأثير مفيد في معالجة السرطان

الاَّ ان هذه العناصر المشعة نادرة في الطبيعة ، ولذلك نجدها غالية الثمن ، حتى ان الغرام الواحد من عنصر الراديوم ، يزيد ثمنهُ الآن على عشرة آلاف جنيه ، وقد كان قبل عقدين من السنين يبلغ ثلاثين الفاً او نحو ذلك . ولذلك يصحُّ القول ، بان الكشف الحديث ، عن تحويل بعض العناصر غير المشعّة ، الى مواد مشعّة ، تقدُّم عظيم الشأن في علم الطبيعة ، وقد يكون ، بل لا يبعد ان يكون ، فتحة جليلة اخرى ، من فتحات العلم النظري لعلوم الطب العملية

هذا الكشف الجديد ، الذي اثبت ان الانسان يستطيع ان يحوّل بعض العناصر غير المشعة الى عناصر مشعة بأساليب صناعية ، نتيجة النشاط العجيب ، الذي بدأ في علم الطبيعة التجريبيّ ،

ودار حول نواة الذرّة ، في العالم ، في السنوات الخمس الاخيرة . فقد اذيعت الانباء الاولى عن هذا الكشف في ١٥ يناير سنة ١٩٣٤ في رسالة للسيدة ايرين كوري جوليو (كريمة مدام كوري مكتشفة الراديوم) وزوجها الاستاذ جوليو ، وقد نالا جائزة نوبل الكيميائية عن سنة ١٩٣٥ جزاء لهما على هذا الكشف العظيم

ومنذ ما اذاع هذان العالمان نتائج مباحثهما الاولى في هذا الموضوع ، أكبّت عليه طائفة كبيرة من البحّاث في مختلف البلدان ، فتوسعت فيه ، وايدت تجاربها الحقائق التي كشفها الباحثان المتقدمان . وفي مقدمة الذين تناولوا هذا البحث ، واضافوا اليه ، اللورد ردرفورد واعوانه في جامعة كمبردج ، والاستاذ اريكو فرمي في جامعة روما ، والاستاذ ارنست لورنس في جامعة كاليفورنيا الاميركية وغيرهم . ولكي يسهل على القارىء قدر قيمة هذه المكتشفات الحديثة حق قدرها ، لا بدَّ لنا من تلخيص ما كان يعرف عن تركيب الذرة في القرن السنة الاخيرة ونحوها

فالذرة كانت في بدء هذه الحقبة ، وفي خلالها ، تحسب مؤلفةً من جزء مركزي كثيف ثقيل الوزن يعرف بالنواة ، تحيط به ، وحدة او اكثر من الكهربائية السالبة تعرف باسم الكهارب (الالكترونات) فالنواة تحمل شحنة كهربائية موجبة او اكثر تعدّل بها فعل الشحنات السالبة التي تحيط بها ، وكذلك تصبح الذرة متعادلة الكهربائية او محايدة

وكانت العناصر المختلفة ، تختلف بحسب هذا الرأي ، في عدد الكهارب التي حول نوى الذرّات . واطلق على عدد الكهارب حول النواة اسم «العدد الذري» واسندت خواص العنصر الكيميائية الى عدد الكهارب ، ورتبت العناصر من اخفها الايدروجين ، الى اثقلها الاورانيوم ، وفقاً لتسلسل الارقام من واحد الى اثنين وتسعين (١ — ٩٢) وكان رقم كل عنصر يدل على عدد الكهارب التي حول النواة في ذرته . فالذرّة الثقيلة هي التي نجدها في العناصر المثقلة كالاورانيوم (٩٢) ولكنها عناصر نادرة على كل حال . حالة ان العناصر التي كان لها اكبر شأن في بحث الذرّة وتركيب نواتها كانت من العناصر الخفيفة الوزن ، لسبب سنبيّنهُ

والى القارىء جدولاً بالعناصر الستة عشر الاولى وامام كلّ منها رقم يدل على عدد الكهارب التي تحيط بنواتها اي على عددها الذري

ايدروجين	١	فلور	٩
هليوم	٢	نيون	١٠
ليثيوم	٣	صوديوم	١١
بريليوم	٤	مغنزيوم	١٢
بورون	٥	الومنيوم	١٣
كربون	٦	سليكون	١٤
نتروجين	٧	فصفور	١٥
اكسجين	٨	كبريت	١٦

يتضح للقارىء الملم الماماً بسيطاً بتركيب الاشياء التي تحيط به ، ان هذه العناصر كثيرة الوجود ، في الهواء الذي نتنفس والماء الذي نشرب والخشب الذي نصنع منهُ كراسينا ومكاتبنا والورق الذي نكتب عليهِ ونطبع صحفنا وكتبنا والحجر الذي نبني منهُ بيوتنا

وهكذا تبيَّن للعلماء ان بين الكهارب التي حول نواة الذرة ، وخواص العنصر الكيمائية ، صلة وثيقة . الاَّ ان ذرَّات العنصر الواحد قد تختلف وزناً او كتلة . فكيف يفسَّر ذلك ؟

ان كتل الذرَّات في عنصر واحد قلَّما تختلف اختلافاً كبيراً ، بل ان اختلافها على كل حال لا يؤثر تأثيراً عظيماً ، في تصرّفها الكيمائي . ولذلك لا يهمُّ الكيماوي ، من الوجهة العملية ان يميّز بين الذرات المختلفة وزناً في عنصر واحد ، لان الاختلاف غير كبير ، ولانهُ لا يؤثر كثيراً في الخواص الكيمائية

الاَّ ان الاختلاف في الكتلة ، في ذرَّات عنصر واحد ، يعني اختلافاً في بناء النواة . ولذلك يمكن ان نحسب النظائر المختلفة موادَّ مختلفة لا مادَّة واحدة (النظائر ترجمة لفظ Isotopes وبه يراد طائفة من ذرَّات عنصر ما تختلف كتلةً عن طائفة اخرى من ذرَّات العنصر نفسه) ولعلَّ أشهر مثال على ان اختلاف الكتلة يؤثر تأثيراً ظاهراً في تصرف الذرَّة وخواصها الكيمائية عنصر الايدروجين . فمعظم ذرَّات الايدروجين كتلتها ١ ولكن هناك ذرَّات ايدروجين كتلتها ٢ وهي نادرة أي ان ذرَّة من نظير الايدروجين النادر تزن ضعفي ذرَّة من الايدروجين المألوف . ولما تناول العلماء دراسة هذا النظير ، تبيَّن لهم ان لهُ خواصَّ كيمائية تختلف عن خواص الايدروجين المألوف لذلك اطلقوا عليهِ اسماً خاصًّا به فدعاهُ علماء اميركا « دوتيريوم »

Deuterium ودعاه علماء انكلترا «دبلوجين» Diplogen . وقد كان مكتشف هذا النظير الاستاذ هارولد يوري ، احد علماء جامعة كولومبيا الاميركي ، فنال جائزة نوبل الكيميائية عن سنة ١٩٣٤ وكان لاكتشافه ، مقام خطير ، في المباحث الكيميائية ، وفي المباحث الطبيعية كذلك الخاصة بطبيعة نواة الذرّة

كان معظم التقدم في طبيعة الذرّات ، محصوراً حتى مطلع سنة ١٩٣١ في دراسة الكهارب حول النواة ، بل ان البحث في هذه الكهارب ، حال دون اي تقدُّم يذكر في فهم طبيعة النواة وتركيبها . ولما كانت المسائل المتعلقة ببناء الذرة معقدة كلَّ التعقيد ، فقد كان من حسن الطالع ، إمكان قسمتها الى قسمين ، احدهما يدور حول طبيعة الكهارب ، والآخر حول طبيعة النواة . ومع ان العلماء جمعوا حقائق كثيرة عن طبيعة النواة ، في خلال السنين التي تلت الكشف عن الراديوم ، الاَّ اننا نستطيع ان نقول ، ان البحث الحديث في دراستها ، بدأ حقيقة سنة ١٩٢٨. في تلك السنة وحواليها ، حاولت جماعتان من علماء اميركا تطبيق قواعد المكانيكيات الموجية على ذرّات العناصر المشعّة لتفسير انحلالها وانطلاق دقائق الفا منها وهذه دقائق كالبعلم العاري نوى ذرّات الهليوم وكانت الجماعة الاولى مؤلفة من الاستاذ غرني والاستاذ كوندون Condon — وعنهُ ننقل هذا المعاني وقد نشره في مجلة السينتفك اميركا عدد يناير سنة ١٩٣٦ — في جامعة برنستن . وكان على رأس الجماعة الثانية الاستاذ جامو G. Gamow الذي قام ببحثهِ مستقلاً عن الجماعة الاولى . فقد اثبت هؤلاء الباحثون ، انهُ اسهل على الدقائق الصغيرة ، ان تخترق نوى الذرّات مما كان يظن

وكان للنجاح الذي اصابته هذه المباحث النظرية في تفسير بعض ظاهرات الاشعاع الطبيعي فائدة كبيرة ، لانها بيَّنت ان إحداث تغير في تركيب النوى باطلاق دقائق مكهربة عالية الضغط الكهربائي عليها ، ايسر مما كان يظن . فقد كان الرأي حتى ظهور هذه المباحث ، ان الدقائق التي تطلق على نوى الذرات ، يجب ان تطلق عليها بطاقة عدة ملايين من الفولطات ، فاثبتت هذه المباحث ، ان اطلاقها بطاقة أقلَّ من ذلك كثيراً ، كافٍ لاحداث التغير المنتظر في بناء النوى

وشرع العلماء بعد ذلك في برنامج واسع النطاق ، آيته اطلاق دقائق مكهربة بكهربائية عالية الضغط على نوى العناصر وقد طلت هذه الطريقة ، الوسيلة المقدّمة على غيرها في دراسة النواة ، وعمادها

استحداث تيار من الايونات ، من الايدروجين او الدوتيريوم مثلاً . والايونات هي ذرات وقد فقدت كهرباً أو اكثر من كهاربها التي تحيط بالنواة . فتصبح الذرة بعد انفصال كهرب او اكثر عنها ، وهي مكهربة كهربائية موجبة . فاذا أُطلقت هذه الايونات في مجال كهربائي عالي الضغط ، جذبتها القوى الكهربائية السالبة جذباً عنيفاً ، فتكتسب سرعة عظيمة اي تكتسب زخماً Momentum وطاقة Energy وكذلك يتحول تيار الايونات الى تيار من الدقائق المكهربة العظيمة الطاقة ، فتوجه الى لوح ، من المادة التي يُرام دراستها

فماذا يحدث حينئذ؟

من المعروف عند علماء الطبيعة ، ان قطر النواة ، لا يزيد على $\frac{1}{10000}$ جزء من قطر الذرة . ولما كانت الذرات التي تتألف منها مادة اللوح الذي توجه اليه الايونات صغيرة جداً ، فمن العبث ان يحاول الباحث ان يوجه تيار ايوناته الى ذرة بعينها ، دع عنك نواة بعينها . وعليه فمن الواضح ان طائفة كبيرة من مقذوفات هذا التيار تصطدم بمادة اللوح ، وتخترقها من دون ان تقترب قرباً كبيراً من احدى نوى الذرات . هذه المقذوفات تختلط عند اختراقها لمادة اللوح ، بكهارب الذرات — وكهربائيتها سالبة كما تعلم — فتعطل كهربائية الكهارب كهربائية المقذوفات الموجبة ، فتفقد المقذوفات زخمها وطاقتها وتستقر . وكذلك تستقر معظم هذه المقذوفات من دون ان تمس احدى نوى الذرات في اللوح الذي وجهت اليه او تقترب منها

على انه من حظ بعض الايونات ، او هذه المقذوفات المكهربة ان يكون توجيهها الى النوى اسدّ وأحكم ، فتقترب منها ، ولكنها في اقترابها تجد قوة تصدها عن النواة ، وهي قوة التدافع بين دقيقتين مكهربتين كهربة واحدة . فالايون كما بيّنا موجب الكهربائية وكذلك نواة الذرة ، فالميل عند اقتراب الاول الى الثانية ، هو ميل الى التدافع . فيحرّف مسار المقذوفة حول النواة . فبعد ان تكون المقذوفة سائرة بزخم عظيم في خط مستقيم تنحرف وتسير في خط منحنٍ . الا ان هذا الانحراف يقل كثيراً ، بازدياد طاقة المقذوفات وسرعتها اي انه كلما زادت الطاقة الكهربائية التي تصدم المقذوفات ، يقل انحرافها بفعل الدفع الكهربائي. ثم ان الانحراف الناشئ عن الدفع الكهربائي ، اقل في العناصر التي ارقامها الذرية صغيرة منهُ في العناصر التي ارقامها الذرية كبيرة . وهذه الحقيقة تفسر لنا ، ما نجد له عند القراءة عن هذه

الباحث ، وهو أن البحث يكاد يكون محصوراً ، او هو حقيقة محصور في الليثيوم والبريليوم والبورون والالومنيوم وغيرها من العناصر التي ارقامها الذرية صغيرة (راجع الجدول في هذا المقال)

بعد التغلب على جميع هذه العوائق ، تصل بضع مقذوفات من ملايين المقذوفات الى النواة وتصدمها. اما ما يكون من أثر هذا الاصطدام فهو موضوع البحث . والمقدر ، ان مقذوفة واحدة من عشر ملايين مقذوفة ، او مائة مليون مقذوفة ، تصيب نواة واحدة ، اي ان احتمال اصابة الهدف تختلف من (١ . ١٠،٠٠٠،٠٠٠) الى (١ . ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠)

وتختلف الاساليب المستعملة في توليد الطاقة الكهربائية العالية لاطلاق المقذوفات باختلاف المعاهد . في بعضها تستعمل تيارات كهربائية عالية الضغط من رتبة مليون فولط او اكثر ، فتمكن العلماء من الحصول على مقذوفات سريعة عظيمة الطاقة يستطيعون توجيهها الى نوى الذرات ، على نحو ما كان اللورد رذرفورد يوجه دقائق الفا المنطلقة من الراديوم من نحو عشرين سنة اي ان رذرفورد كان يعتمد على مقذوفات تنطلق من تلقاء نفسها من العناصر المشعة وأن علماء اليوم يصنعون قذائفهم غير معتمدين على الطبيعة

ومن هذه الاساليب اسلوب بارع ابتدعهُ الاستاذ لورنس احد علماء جامعة كاليفورنيا فانهُ اخذ تيارات من نوى الايدروجين الثقيل، واطلقها في حقل كهربائي ، بطاقة عشرة آلاف فولط فقط ، ولكنهُ استنبط طريقة طريفة لاسراعها accelerate في هذا الحقل ، حتى اذا بلغت منتهى الاسراع الممكن كانت طاقتها من رتبة مليوني فولط مع ان الطاقة الاساسية التي دفعتها كان ضغطها عشرة آلاف فولط فقط فاذا صارت طاقتها مليوني فولط وجهت الى لوح من الالومنيوم او الصوديوم او اي مادة يراد البحث فيها

هذا هو ملخص الطريقة بوجه عام فما هي النتائج ؟

اسفرت التجارب في خلال السنوات الاربع الاخيرة ، عن تحويل العناصر باحداث تغير في تركيب نواها ، في طائفة من معامل البحث العلمي في اوربا واميركا . ويصحب هذا التحوُّل في معظم الاحيان ، انطلاق مقادير كبيرة من الطاقة بتحوُّل المادة الى طاقة الحركة . وهذا التحوُّل من المادة الى الطاقة هو ما تنبأ به ايнштين سنة ١٩٠٥ ولكن ليس ثمة امل ما الآن ، في استعمال هذا الفعل الطبيعي مصدراً لتوليد الطاقة من المادة . مع ان كل مقذوفة تصدم النواة ، تولد طاقة

عظيمة ، بالقياس الى طاقة حركتها ، ولكن اذا قيست هذه الطاقة المولَّدة بمجموع الطاقة التي تنفق في اطلاق جميع المقذوفات التي لا تصيب نواة على الاطلاق ، وجدنا اننا من الخاسرين . يضاف الى هذا اننا الآن لا نستطيع ان نلجم الطاقة الناشئة عن اصطدام المقذوفة بالنواة ، لنستعملها في ما يفيد

الاَّ ان بعض التحوُّل في نوى الذرَّات يتمُّ بطوله اي ان الذرَّات التي تصطدم بالمقذوفات تظل تشعُّ الطاقة اشعاعاً بطيئاً اي انها تتصرف كأنها ذرَّة عنصر مشعّ كالراديوم مثلاً . واول مثال اكتشف من هذا القبيل اكتشفتهُ مدام ايرين كوري جوليو ، كريمة مدام كوري ، وزوجها الاستاذ جوليو فانهما اطلقا المقذوفات على عدَّة عناصر ، منها عنصر الالومنيوم . وكانت مقذوفاتهما نوى عنصر الهليوم منطلقةً بطاقة عظيمة ، فأصبح الالومنيوم بذلك عنصراً مشعًّا . ثم ان التجارب السابقة كانت قد اثبتت ان اطلاق مقذوفات من هذا القبيل على الالومنيوم تفضي الى اشعاعات مختلفة تنطلق من الالومنيوم . ولكن الظاهرة الجديدة التي اكتشفها جوليو وزوجتهُ كانت ان الاشعاع استمرَّ بضع دقائق بعد وقف اطلاق المقذوفات . فتبيّن لدى البحث ان الالومنيوم كان يطلق كهارب موجبة (بوزيترونات) والبوزيترونات تشبه الكهارب المألوفة ، الاَّ ان شحنتها الكهربائية موجبة بدلاً من ان تكون سالبة

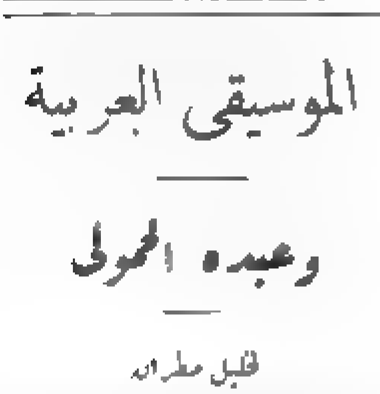
فلما فحص الهليوم المشع بأساليب البحث الكيمائي والطبيعي المعروفة ظهر ان ما حدث للالومنيوم كان كما يلي : انهُ عند اطلاق نواة الهليوم على الالومنيوم ، تصيب احدى نوى الهليوم المنطلقة نواة الالومنيوم فتندمج الواحدة في الاخرى ، وينطلق منها على اثر الاندماج نوترون . والنترونات كما لا يخفى على قراء المقتطف هي دقائق ليس لها شحنة كهربائية وكتلتها مثل كتلة نواة الايدروجين اي (١) وقد اكتشفها الاستاذ شدوك الانكليزي سنة ١٩٣٢ . اذاً عند ما تصطدم نواة الهليوم بنواة الالومنيوم تضاف شحنة نواة الهليوم الى شحنة نواة الالومنيوم فيصبح عدد الشحنات على نواة الالومنيوم ١٥ اي يتحوَّل الالومنيوم الى فصفور . وعدد الشحنات الموجبة على النواة في ذرَّة الفصفور ١٥ كما ترى في الجدول ثم عند بحث هذه الذرَّة الجديدة من الفصفور يثبت انهُ فصفور لا عهد للعلم بهِ من قبل واذن فهي ذرَّة غير مستقرَّة لذلك تميل الى الانحلال في بضع دقائق بعد تكوينها ، فتطلق بوزيتروناً والبوزيترون شحنة موجبة واحدة من

الكهربائية فتبقى نواة الذرة الجديدة وشحنتها ١٤ وهي شحنة نواة السلكون . هذه النواة مستقرة وعندها يقف كل تحول . فالالومنيوم تحول بإطلاق هذه المقذوفات عليه الى مصفور غير مستقر فالى سلكون

هذا مثال من امثلة عديدة تناولها البحث بعد ما اكتشف الاستاذ جوليو وزوجته هذه الظاهرة وقد استعمل بعض الباحثين نوى الايدروجين المألوف والايدروجين الثقيل (الدوتيريوم) ومن العناصر التي اطلقت عليها نوى الدوتيريوم عنصر الصوديوم . وزعيم هذه التجربة الاستاذ لورنس الاميركي بجامعة كاليفورنيا

فماذا يحدث في هذه الحالة ؟ تجتذب نواة ذرة الصوديوم نواة الدوتيريوم التي تصيبها ، فتندمج الاثنتان ، ويطلق بروتون اي نواة ذرة الايدروجين المألوف . اي ان دقيقة وزنها نصف وزن نواة الدوتيريوم تنطلق على اثر الاندماج ويبقى النصف الآخر في نواة الصوديوم . فيزيد وزن نواة الصوديوم واحداً عما كان ولكن شحنتهُ الكهربائية تبقى على ما هي اي انهُ يبقى صوديوماً . هذه النوى من الصوديوم التي يحدث لها ما تقدم مشعّة وتبقى تشع مدة اطول من مدة اشعاع الالومنيوم الذي اطلقت عليه نوى الهليوم . ويمتاز الصوديوم المشعّ على الالومنيوم المشعّ في انهُ يطلق اشعة غمّا وهي عظيمة الطاقة من قبيل الاشعة السينية . ولا يخفى ان لاشعة غمّا عملاً في معالجة بعض النواحي السرطانية ، ولذلك اتجهت الانظار في جامعة الاستاذ لورنس الى امكان استعمال هذه الاشعة المنطلقة من الصوديوم المشع في علاج السرطان بدلاً من الراديوم او جنباً الى جنب معهُ

ويعلم القراء ان الراديوم يفقد نصف فعله بعد انقضاء ١٦٠٠ سنة عليه ولكن الصوديوم المشع الذي اصبح مشعًّا بعمل الانسان ، يفقد نصف فعله في ١٥ ساعة وثلاثة ارباعه في ٣٠ ساعة وسبعة اثمانه في ٤٥ ساعة وهكذا لذلك لما رحل الاستاذ لورنس من كاليفورنيا الى شرق الولايات المتحدة الاميركية ، ليحاضر . في هذا الصنف من المواد المشعة ، تمكن زملاؤهُ في كاليفورنيا من اعداد صوديوم مشعّ وارساله إليه بالطيارة فعرضه على جمهور العلماء الذي استمعوا له



الموسيقى العربية

وعبده الحمولي

خليل مطران

(١)

مات عبده فمات من وزال آخر شعاع من عصر توارت شمسه في ظلمة الأبد . فقد كان اسماعيل شمساً في سماء مصر ، وكان كل ذي شأن من معاصريه ككوكب يستمد منه نوره . فما أفلت حتى هبت تلك الانوار تلو بعضها بعضاً الى ان تم الزوال بوفاة صداح تلك النهضة الشماء وغريد ذلك الملك العظيم

وكثيراً ما كان عبده يبكي لحناً من ألحان ذلك العهد فيمثله لنا من خلال مدامعه الحزينة ونغماته الشجية كأنه زينة متألقة بألوف المصابيح حفلة الجماهير الفرحين الطروبين . وكانت مصر في ذلك العرس تضحك للانوار لمستقبلها الباسم . وكان الامير مير الزمان يومه وغده . وكان الوفود من عرب وعجم تجمع اصوات دولة تشاد . وانما كانوا مقدمته اهل رفيع العماد . وكان « عبده » منه على اريكته منبر السعادة الخالدة في ذلك الاستقلال الزائل . فاذا فرغ من انشاد [illegible] وأنشأنا دولة اليوم ورجال هذا الزمن ولم يثبت لدينا من حقيقة ذلك الحلم الرائع إلا ذلك المغني المتعجب على حال رحلت . ومصر زالت ودولة دالت

ولقد كان في مصر قبل انقضاء هذه الاشهر الاخيرة مغنيان هما « عبده » و « عثمان » فاليوم لا ولا مغنيه في الفرح . ولا معزي في الترح الا ما كان من قبيل رجع الصدى الذي يتردد حيناً بعد هتاف الهاتف

كان عبده مبتكراً يخلق الغناء خلقاً من عناصر ما يوحي به اليه فيجيء به المهرة ويطرب السامعين من يشاء التطريب بالنغمة والاعجاب بجودة منشئها . وربما كسر القيد ونقض القاعدة

وبدَّع في المألوف ... مصدر وحلق ... وقد بكم العود ، وعيّ القانون ، وأنصت الناي ... مطلقاً صوته يمرح في سماء التطريب ... من ونة النسر الى انحدار السيل ... الى حفيف الورق ... الى تغريد القمري الى نوح الحمامة ... من اين تحدث كل هذا والصوت على ... حيوي ... وبين مرتفع مشبع صقيل ... واسباب تجمع وصولاً وتفرق فروعاً ، وتثنى وتمرد وتداني وتباعد وتتواصل وتتفاصل منصبة بعضها الى بعض متسلسلة على مقتضى سلامة الذوق والمهارة ... منتهية الى القرار

وكان « عثمان » مؤلفاً مبدعاً في ترتيب الالحان ... بصيراً بأخذ النغمات من مواضعها وجمعها على نسق مستحسن ... كلفاً بصناعته جداً في اتقانها ارادة ان يستبقي عنهُ طلاوة الصوت بحسن الاسلوب ولطف السبك ... وهذا كان لا يغني منفرداً . ولا يطلق صوته إلاّ على اجنحة الآلات. فاذا لحن اغنية واسمعها الناس لأول مرة خرجت متقنة صحيحة الوضع رائعة للسمع . ولكن يدوّن عليها ... لفكر ويُنشئ ... في السهر على تخريج اجزائها وتوجيه ضروبها والملاءمة بين ... ومعانيها على ان هذا لا ينفي ان « عثمان » كان ضريب « عبده » وانهُ أثبت ... الاستكمال مكاناً يجانب الابتكار وان للاجتهاد منزلة قد تعادل منزلة الاختراع بل ان المجتهد قد يكون ذا فضل على المخترع بما يهيئهُ له من مواد الابتداع . ومن الحق ان يقال ان « عثمان » كان في اخريات عهده السبب في وضع معظم الالحان فيأخذها « عبده » عنهُ ويكسوها من الحلل والحليّ ما تشاء بديهته الخاصة به فيما هي سوقة حسان اذا هي ملكات ... وبينا هي اشخاص ترمقها عيون المعجبين ، اذا هي ارواح تمسها قلوب المحبين

وعلى هذا كان « عثمان » يجدد للناس روح « عبده » و « عبده » يسمع الناس نغم « عثمان » فهما العاملان المتكافئان ... احدهما للآخر على ما بينهما من تحاسد وتباغض وتباعد

هذه صفة « عبده » مغنياً وتلك منزلته التي لم يدانه فيها من ارباب الموسيقى الاّ « عثمان »

أما اخلاقه فكانت اخلاق كرام الناس وبها شرّف قدر مهنته التي كانت في عهده تعد من المهن الوضيعة ... فقد كان انيس المحضر ، كارهاً للغيبة ... في مجالس اطرابه المتأدبين ، محدثاً ذكيًّا لا تفوته شاردة ولا واردة من طرف الكلام جواداً اجود الامراء متلطفاً وديعاً كأنهُ ابداً في حضرتهم وفيًّا لاصدقائه لا يبخل عليهم بما فيه ... مع علم ورضى ... محاملاً لذوي قرباه محسناً اليهم لا يبعض منهم إلاّ من ركب الدنايا واحلّ ما يسيء شرف احرفه

ولو كتب الله لهُ فسحة في الاجل لعاش عيشة مقيدة منظام ولكنهُ كان مطلق هوى النفس كما هو شأن النوابغ ولا شك في ان نعم الله الكثيرة قد حسنت عليه رحمهُ الله رحمةً واسعة

(٢)

اما وقد اشرنا بما يقتضيه المقام من الايجاز الى منزلتي « عبده » و « عثمان » فيجمل بنا

تعصباً ساقدة هذا المذهب ان نتكلم على فن الغناء العربي كما هو الآن ونبحث فيما اذا كان ينبغي ان يبقى كما استحدثنا عنه هذان القصيدان او ان يعدل وكيف يجب ان يصبح ثم تأثير في النفوس واصلح لأن يشربها ما هو في حاجة اليه من الخلائق الشريفة والفضائل

فالموسيقى فيما نشعر من تعريفها انما هي تأليف اصوات تحدث طرباً في قلوب السامعين . والطرب قد يكون سروراً وقد يكون شجواً ومعناه في الحقيقة الانفعال الذي تولده الانغام في النفس ايًّا كان

ومن اوصاف الموسيقى انها في بناء الاصوات كمثل المهرة في تشييد الابنية وتأليف اجزائها والمناسبة بين درجاتها وسموشها وتعظيمها وتعليتها بسبيه الافرنج عموسيقى البناء على ان اساسها التناسب كما هو اساس كل فن جميل وهذا التناسب في الموسيقى يعرف اصطلاحاً بالايقاع، والايقاع قديم قدم الموسيقى غير ان المتقدمين من العرب حصروه في ضمة ضيقة لا يعدون . فكان في حقيقته معصياً الى الملل بخلاف الافرنج فانهم استخدموه وسيلة للتنقل من نغمة الى نغمة ولاعطاء كل نغمة جميع الرنات التي يتم بها طربها الناجم عنها بذاتها او باجتماعها مع سائر الانغام التي يتألف منها الصوت

ولا عرو ان يكون مشوّنا على مثل هذا الجهل الذي ابقى الموسيقى العربية على حالها الفطرية فان شعراءنا — الا بعضهم — وكذا اما عدا القليل منهم — لا يزالون الى الآن ارقاء احناس ، وعبيد مراعاة النظير ، وخدمة السجع ، وذابحي المعاني الجليلة وماسخي الحقائق ، ومسخي الصور الجميلة في الصيغة ، ومبعدي وجدانات النفس وانفعالات الحس ليقتدوا بأمة هم تركوا عاداتها واخلاقها ، وهجروا خيامها وصحاريها وانكروا ملبسها ومأكلها ومشربها ، ولم يحتفظوا بشيء من خلالها ومزاياها ولم يستبقوا منها الا النسبة اليها فلا هم يحسنون تقليد ادبها ولا هم يتزعون من لغتها لغة حية فصيحة ذات اساليب ومصطلحات واسعة تمكنهم من التعبير عما يجول في صدورهم ويخامر هواجسهم مما ينطبق على الواقع ويكون صدى حقيقيًّا لما يشعرون به

كتب اعرابي في صدر منظومة له « قفا نبكِ » فلم يسهل واحد منهم منظومة بعد ذلك الا وهو واقف باكٍ . ونظم آخر ابياتاً كثيرة بروي واحد سميت قصيدة فتبعه في ذلك كل ناطق بالضاد من صحراء الجاهلية الاولى الضربة في العجمة الى ساحة المعرض العام بباريس في أعمّ زمان لاسباب الحضارة وكل كتب القصيدة على ذلك النمط وذكر احد ظرفائهم ان الارجوزة حمار الشعر فلم يروا بعد ذلك ارجوزة الا ولها اربع قوائم تمشي عليها وهكذا هم يتقيدون بسلاسل التقليد . وكتاب اللغات الاجنبية يذهبون كل مذهب في اختراع التراكيب وابتداع الاساليب التي يظهر معها كل حي ويتجسم كل روحاني ، وتتمثل كل صورة ، ويصور كل شعور

فهم ابناء عصرهم ونحن ابناء العصور الخالية وهم يحبون ما ينظرونه ويحسونه ونحن نحب ما نقلناه حتى في التصور والحس

ومعلوم ان الموسيقى شبيهة بالادب مطوّعة على غراره فكيف كان الادب تكون الموسيقى وهي الآن منحطة في الشرق لانه منحط واحتطاطهما على قدر فكلاهما يجب تهذيبه وتنقيحه واخراجه الى ما تقضي به الحاجة الماسة والا فأي مصلح للامة يكون اقوى في البيان؟ وأي بيان يكون اشد وقعاً في النفس من الذي توصله اليها النغمة وتمزجه بها مزجاً؟

على ان الاصلاح الذي نتمناه ميسور اذ يمكننا ان نبدأ بتطبيق الموسيقى العربية على الموسيقى التركية مضيقاً تدريجيّاً الى ان يألفها الذوق، وتوضع لها قواعد، وترسم علامات، ويبقى الدور الواحد نغمة واحدة والفاظ واحدة في المنتديات وفي البيوت وفي الاسواق فاذا وصلت الى هذه الدرجة اسعف بحكم السير الطبيعي الى ما هو اعلى واعلى وهكذا فعل الاتراك اذ اخذوا عن الاروام الذين غناؤهم اقرب الى الغناء الشرقي فأصبحوا الآن ينشدون في ملاعبهم اجمل الروايات الموسيقية الاجنبية بالفاظ تركية وقد لا يمضي زمن حتى ينشىء بعضهم رواية موسيقية متقنة فيلحنون بها الغاية

وكان المرحوم «عبده» قد شرع في نقل شيء من الموسيقى التركية. ومنها أخذ الآهات الطويلة التي يتصعد فيها جمهور المغنين وهي احسن ما في غنائنا الآن غير انه لم يتسنَّ له معين على احداث الرموز التي هي اساس علم الموسيقى والتي بغيرها لا تكون الانغام الا فوضى. واذكر اني شكوت اليه يوماً هذا القصور وقلت له. ان الرموز الموسيقية موضوعة منذ نيف وخمسة آلاف سنة واولها اول ما رسمت في الهند وفي الصين. فمن المخجل ان تكون مصر سيدة الموسيقى في الشرق الآن ولا تستطيع اثبات لحن من الحانها على صحيفة يعلم منها احفادنا القادمون او سامعونا الآتون اي فن كان فنا في التلحين وما كان «عبده» وكيف كان اسلوبه؟ وهل كان جديراً بالمحل الذي احل فيه من اكرام الناس؟ فاجابني انه كان يود ذلك وانه سعى ما سعي للوصول اليه فلم يظفر بطائل وانه لم يجد واحداً في القطر يستطيع ان يعرفه معنى لحن من الالحان الاجنبية تركية كانت او غير تركية وان كل ما حصله من معنى الاتراك وادخله في المعنى العربي كان سماعيا اجتهاديًّا رائده فيه موافقة الذوق المألوف، ومراعاة الاصطلاح المعروف

لا جرم ان عملاً كهذا ليس مما يقوم به فرد اوعى صدره ما اوعى من المعارف الموسيقية المختلفة وبلغت ثروته ما بلغت من السعة. وانما هو عمل شركة او جمعية تستخدم اساتذة من الاجانب لتخريج جمهور من ذوي الفطرة الموسيقية والاصوات الحسنة على مبادىء هذا الفن وتعليمهم حقيقة مقصده وشرف غرضه، وتدريبهم على التأليف فيه كل بما يوحي اليه علمه وعقله

وترشده اليه ملكته كما يعمل ذلك الذين يدربون على الانشاء ، وتتم مثل هذا التدريس بين من ان اطيل الكلام عليها فحسبي الاشارة

اما اذا جئت الموسيقى على ما هي عليه الآن فانها بلا ريب تعد ما ويكنها عقلنا بعد ما حلاق الرعاة القوص وان كنا في ازياء المدنيين المحصريين لان هذه الاصوات الآمية ، وهذه الأنات المترصية ، وهذه النفثات الصدرية لا تصدر عن بأس وحزم ولا تدل على شرف وعلم

(٣)

بقي ان نصف كيف ينبغي ان تكون الموسيقى العربية لنحسن تصورها التي روعهم من الموسيقى الافرنجية دوي الطبل وصفقة النحاس وطنطنة الآلات الحديدية ، وحوار المعارف المعدنية ، الى ما عاش ذلك مما يختلط على ذهن سامعه ويسوء وقعه في نفسه لعدم ادراك معناه وان الموسيقى في اصطلاح الغربيين فن كالكتابة او الرسم سوى انها تمثل لنا بصوت ما يمثله لنا الانشاء بالالفاظ التي تستثير في مخيلتنا تصور مقصوداتها وما يمثله الرسم بالصور التي تنطبق على مرئياتها

وبديهي ان كلاً من هذه الفنون لا يرينا مما يعانيه إلا ما وجدنا ويدع لنا الجانب الآخر نتممه بما نتخيله او نلمه او نشعر به ، فالكاتب اذا حدث عن عاصفة مثلاً وصف لنا شمساً محمرة كالجمرة في كبد السماء يحيط بها قتام يتناها الى ان تنطفئ فيشمل الظلام ويكون مهيباً ونثير سحائب سود كثيفة ترسل في الجو رعوداً مائلة الدوي ثم صادعة ، وبروقاً ملطفة اللمعان ثم ساطعة ، واطلق ريحاً هوجاء عاصفة تمر على البلد الموصوف فتهدم واهية مبانيه وتذري رماده وتحت اشجاره العاتية وتصفع وجوه رحاحه بالبرد وتجري بطرقه سيولاً فاذا ابلغ السهول منتهاه وصف لنا في خلال هذه الروائع كلها طفلاً يتيماً هائماً على وجهه وقد لجأت الى مساكنها جزعاً وقد اطمأنت الاطفال بين ايدي آبائها وامهاتها في مآمنها وانما يقف ذلك الطفل الصغير في ذلك الموقف الرهيب ليحرك في قلبنا وتر حنان ورفق خلال خفقان الهلع وثورة الدهشة فمن قرأ هذا الوصف رأى تكلح الشمس وافولها وانتشار السحائب السود ولمع الوميض المتتالي وتقلع الاشجار . وتقوض الجدران على التوالي وسمع زئير الرعد العاصف وهدير السيل الجارف . وركض الزمهرير العاصف وركوع البناء الواقف ورأى في اثناء هذا الحادث الجلل دهشة ذلك اليتيم الخائف وسمع خفقان قلبه الصغير الواجف كأن ما قيل حاضر بين يديه وكأنه على كثب ينظره بعينيه ويسمعه باذنيه مع انه في الحقيقة لم ير ولم يسمع من ذلك شيئاً فالكاتب رسم له بما ينشئه عنده هذه التصورات الشتى ويجمعها على الشكل الذي احبه فتم له ما اراد على قدر مهارته وللالفاظ في بلاغ قصده رنة لا تنكر . وللتراكيب امتزاج بالنفس لا يجحد . وللاصوات الحروف لعب بالسماع والقلب لا ريب فيه . ولكن كل هذا ليس الا من المتممات فاذا قدرنا بعد

فهذا ان رساماً تولى تصوير هذا المشهد غاية ما يستطيعه تمثيل قدّة كالطلاب في الشمس الحمراء في جهة الافق . وتكديس طبقات من الغيوم القاتمة في صدر السماء . وتحدر حموم كنسيج المنوال من المطر الغزير . واقامة أمواج من الزبد في الطرق السائلة بالوحل وامامه تلاطم من الحجارة اشباه ابواب البيوت والقطعات، وامالة حائط وصرع شجرة وتقصف اخرى ، وتكسر زجاج ، ووقفة طفل بالي الاطمار في موقف الحيرة والجزع مبيض العارضين وقد سالت منهما دمعتان . ولكن الرسام يرتب هذه الاجزاء ويحكم وضع كل معنى مقصود في اللون الذي يتوخاه حتى انك لتسمع الرعد وانت تنظر البرق وتحس المطر وانت ترى آثاره وتشعر بخفقان قلب الطفل وانت ترى الانفعال البادي على وجهه والدمعتين المتسلسلتين من مقلتيه

وصفوة القول ان الكتابة من شأنه التصور والحس رمزاً . وان الرسم من شأنه هما نظراً . فكان والحالة هذه لا بد من من شيء طرفين يعين ليده التصور والحس معاً . وهذا ما يبث عليه الموسيقى منذ وضع مئات من السنين في اوربا على اعتبار انها من جنس مثلها قابل لتأدية المعاني التي يؤديانها . وقد وصلت الآن في تلك البلاد الى هذه الغاية . واصبحت عاملاً من اكبر عوامل تقدمها العجيب

فلنصف الآن كيف تتخيل تمثيل الموسيقى للمشهد الذي ذكرناه آنفاً وان لم يكن لي فيه رأي في هذا الفن . هنا اسأل الصديق الذي يقرأ هذه السطور ان يتخيل انه اجاب دعوتي وصحبني الى دار غناء لأريه بسمع أذنيه ما نظره في الرسم بعينيه . فنحن الآن اذن جالسان في تلك الدار على كرسيين متجاورين . وهذه امامنا مجالس الضاربين والعازفين

انظر ايها الصديق أن عدد هؤلاء نحو المئة امام كل منهم دفتر فيه رموز الاصوات التي ينبغي ان يحدثها في الاوقات المعينة له . وهذا كل ما عليه . وعلى الاستاذ الذي وقف امامهم ان ينتبه لعامة الترتيب ويمنع الشذوذ . اجمع حواسك الآن واصغِ بكليتك فقد أشار الاستاذ بان يبدأوا

ماذا تمثل لك هذه السحابة من النغمات التي تخرج من الاوتار مضطربة مرتبكة متدفقة من القرار ? أليس هذا أول تهدّ الريح المنذرة بالهجوم ? أو ليس فيها ما يشعر ببرد الزمهرير ? أتسمع كيف تترقى صاعدة متدافعة كأنها علت فوق الارض دافعة في الجو كلما جرت شوطاً زادت قوة واتساعاً الى ان تتخيلها بلغت السحاب ? هذا تنبيه يسمو بالفكر على مثل بساط الروح لي ليوصله الى الافق الاعلى ويشهده حادثاً جليلاً فقد دنت الغيوم من الشمس فغرة قناها . ونصبت اصوات المعازف المتحسبة الى بعض الاوتار وعلت الصيحة الى منتهاها . حتى اذاعتان السحب الضاري حجباً من الشمس وادمتها بانيابه فكث الصنوج هذه الصكة الفجائية المنكرة التي ختمت بها حكاية الحال . فكأن الشمس قد انشقت كالقطعة الحمية من النحاس الرنان . وكأنها انشطرت شطرين

وتوارت بالحجاب . وبعد هذا تأمل كيف تراجعت أصوات تلك الصيحة هابطة تدريجاً الى أن انقطع عود . . . وأسمعت رنات الأوتار تحدثر كرش المطر في اول انهماره

الى هذا المقام انتهت الانذارات

انظر كيف . . . جمهور النغمات يخرج من عامة الآلات متموجاً تموجاً ثقيلاً كأول تحرك البحر . . . انسكاب الوبل الشديد وتدفق الميازيب وعصفات الريح المتوالية . . . مثل . . . وسنى مثل . . . الأسد الجائع الذي . . . يأكل فريسته ؟ أتسمع قرع الحجارة تحت السيول ؟ أتسمع تقصف الاشجار المنكسرة ؟ أتسمع وقع الصخور وتهدم الجدران يشمل كل ذلك دوي الرعد الذي يحدثه الصل . . . الصدى الى عدة رعود صغيرة متتالية يحدثها . . . تحت الغرام . . . أليس لكل صوت من أصوات هذه العاصفة . . . في آلة او في جمع صوتي آتيين على ترتيب معلوم ؟ ألم ترتسم البرق خلال عصف الرعد ورسم الشجرة . . . خلال . . . وهي تتكسر على . . . ؟ أو لم . . . نواصي السيول وأعرافها البيض خلال . . . وتهدّرها وصمرد . . . وتحدّرها ؟ هذا منتهى ما يكون هول العاصفة

اسمع الآن كيف أحدث هذه العناصر . . . تتناوب مراوحاً بين بعضها والبعض . . . ذلك من جهة ان . . . في النفوس شعور باستمرار العاصفة وقد تراخت قليلاً بعد الشدة كما هو شأن العواصف ومن جهة اخرى التمهيد لاسماع الناس أنة ذلك اليتيم في حيرته وخوفه . هذه أنة اليتيم تخفق من أوتار ذلك العود . . . العام كالامير بين الآلات كأنه سرير داود بين اسرة الملوك في زمانه . . . أتشعر بما فيها من لذة وحنان ؟ ألست مدركاً من . . . انها زفير طفل حزين ؟ أما في هذه الآونة عثرات اشبه بعثرات قدم الطفل المتحير في حمتها وعدم انتظامها ؟ وبكل هنا . . . نغمة . . . وعاد الاخدار بالطول . فيستأنف جميع ما . . . من الصيحات والحنين غير انه . . . كأنه مسموع عن بعد ومن وراء حجاب كثيف . ولمَ هذا ؟ لأن ما يستأنف ليس أصوات العاصفة بالذات بل صداها في سمع ذلك اليتيم المروع الضعيف

هذا بيان واحد من الف من الامور التي تصلح لها الموسيقى ويكون موقعها من النفوس بها كموقعها من النفوس بالرسم والكتابة . ومن المعاني ما يكون تأثيره بالموسيقى أشد وامتن ، على ان لكل من هذه الفنون مزيته التي لا تجحد في تنشيط العزم وازالة الملل . . . عن المرء بسمعه وبصره لا بأحدها

فالى هذه الغاية الشريفة من أصلاح فن الموسيقى ينبغي ان تتجه الرغبات العامة في مصر فان « عبده » كان خير مفتتح لرسميه وعهده عهد صبابة ورجاء . اما نحن فان اردنا النهضة من الحطة التي نحن فيها فينبغي لنا ممن يبعث عزائمنا الخائرة ويرفع أبصارنا الى السماء

المقامة الكبكجية

تصنيف

مستنفر الحريري والهمذاني

أمين الريحاني

حدثتني النفسُ قالت :

كنت في مكتبة المدينة ، اتنقل في الكتب الثمينة ، فمررت على سفرٍ من الاسفار ، مقشعرِ الدثار هو « ينبوع الادب ، في الضحك والطرب » . وقد كنت في غمّ وا كتئاب ، فاستبشرت بذلك الكتاب ، ورحت امنّي النفس بالكنز المكنون ، في الفكاهة والمجون ، وانا اقول لها : كفاكِ الكدح في اوراق المصقول ، من مؤلفات كبار العقول . هذا كتاب في الضحك فابشري ، ولا تستغربيه ولا تستنكري ، فالضحك من نِعم الحياة ، لسائر المخلوقات ، حتى القطّ والمكروبات

ثم ربّت خصري ، وشحذت باصري ، ودخلت الكتاب ، من اول الابواب ، فقرأت منهُ بضع صفحات ، في الاصول والغايات ، وكنت كمن يفتش ابا الضحّاكة في جنازة . فخرجت مسرعاً الى العراء استنشق نقي الهواء

بعد ذلك استثمرت الامل ، وعدت الى العمل ، فدخلت الكتاب العريض المعاني ، من الباب الوسطاني ، وشرعت اقرأ فيه ، قرزمَ الشريف بل قرزمَ الفقيه ، فنفذت من خلال عباره الى حواشي اسراره ، وتعثرت هناك بمدَرِه وحجاره ، بل سقطت بين فصليه ، كمن أُغمي عليه ، فبادرتْ اليَّ الشفيقات ، بالمراوح والمنعشات ، فأخذتني من شر النكات

ثم شعرت بنشاط مجدد، وعزم مسدد، فهجمت هجمات متوالية، على روح العلم البالية، بل طعنت أحمر تحت أساسها، بنكاية حبرها وقرطاسها، فهدرت وهي تهبط عليّ، فصحت: إليّ إليّ، إن في هذه الأرواح جناً علعلون، ويضحكون ويقهقهون.

وهنالك بين أردانهم رأيت سراجاً ضئيل النور، وسمعت صوتاً كصوت الناعور، فإذا شخص من أقزام الجن، شمخ وبق، بدا صغيراً وعدا في لحظة كبيراً خطيراً، وجهه كاسكيسار[1] المتموج، والأحدب، فمه كالفروج، متنه صغير الحد، وهامته ماض بحد، وفي رأسه الضحكين عينان مستطيلتان، هما النوران. وفي أسفلهما تتراحم وتتشعب الحواشي، كالشعر في لحية النجاشي. ومن وسطه تمر الأقلام، كأنها السهام. يداه مخروطتان، وساقاه مجدولتان طويلتان، تحتهما رجلان مستديرتان، كأنهما دولابان. فكان يدرج في مشيه كالدولاب، وكلما تكلم سقط من فيه الكتاب تلو الكتاب.

وقف هذا المخلوق العجيب في نور السراج الكئيب، ثم صاح بي، وهو يدرج من صوبي: كفاك فضولاً وافتراء، يا أمة الصوف والفراء!

فتشجعت وقلت: أحسنت أحسنت، ومن أنت؟

فقال، وهو يمسح كريه السبال: أنا كَنْكَجُ رب الكتابة والكتاب، وحامي الكتب والمكاتب، أحبها للطالب والسالك، وأحفظها من المهالك، ومن غوائل الأشاك، ولكني رأيتك للعلم طالبة، وبالتفقه راغبة، فجئت أحييك ببلوغ الأدب، في علم الضحك والطرب، فعلمي، وُقيت شر الشيبون، أن الذين لا يضحكون، في ما يكتبون، هم زمنى البواسير والأدران. فلا عجب إذا كان أطباء، بالضحك أعداء. فإن حياة الإنسان، لأشجان كلها وأحزان. فهل يضحك المكروب والمحزون، وهل في التطريب، يطرب المظلوم والمغبون؟ أوَلم يقل الفيلسوف شوبنهور، مشرّح السرائر، إن الضحك دليل على ضعف العقل والتفكير؟ أوَلم يقل العالم بترهات الأنام، الأستاذ أبو كلام، كلما تغلغلت في أسرار الحياة، صمت عن الضحك والمضحكات؟ ولم يقل أحد الاختصاصيين، بالجنون والمجانين .

(١) كتاب ضخم كبير في تراجم الصالحين والأعاظم يقرأ في الكتاتيب

قالت العُثّة، وبين كان كُشاجِمُ يحفظ خطبته، ويبرز بالادلة حجته، احسست بشيء يقضّ عليَّ عيشي ويمزّق ثوبي، فتسللت من حضرة ذلك الفحل، وانا اقول ما اثقل العلماء، وما ابلد الحكماء، وتلك الذين لا يرون في الحياة، غير الدود والحيّات. فقد لمست في العلوم، ما يكشف الهموم، فهو بالسمع اخفّ، كاللحن الجميل، على قلب العليل

فعجبت، وما أطلت، فلا يضحكُ من لا يضحكون، وهم في حرث الضحك ينفقون؟ أوَلا ترى النكتة في التعب، الكثير الانفاق؟

فسمعت تلك الوديعة، وقالت متواضعة. مثل هذا التفكير هو دون عقلي الصغير. ولكني مضيت في الامر، امشي في الكتب الصحاح والرسائل. فلقيت الكتاب، الذي يضحك حتى الموت في الغاب، ويطرب حتى التراب والعرب في عنوانه، انهُ لا يبقى شيء من بيانه، وهذيانه، هو «فصل الخطاب، في علم الاكتئاب» واني اشهد بكشاجم القديم، انهُ كتاب كريم، يبعثك في بحر من الحبور، ويرفعك الى سماء الطرب والسرور، فينسيك كل هم، ويجدد فيك حتى الشعرة والدم

ولقد طربت بآيه، في اول صفحة من صفحاته، وفيها ان الاكتئاب، هو رأس الاسباب، في بلاء الشيوخ والشباب. وفي غيرها الحديث الشريف، والقول الطريف. فقد رُوي عمن كان مثال الورع والوداعة «روّحوا القلوب ساعةً بعد ساعة» وقال ابن اسحق لمن ترزّحوا، ونوّر الوقار رزّحوا «لقد طرب الصالحون وفرحوا» وفي الصفحة الاخيرة، هذه الدرّة الصغيرة: «الوجه العبوس، معنى ابيضّ مفنوس»

بعد هذا الخطاب، عادت العُثّة الى الكتاب، تقضم في صفحاته، وتتلمظ بطيباته، وهي تحسب الحياة كل الحياة، ساعةً من اللذات. وبين هي في ذلك النعيم، ظهر كُشاجِمُ القديم، فصاح بها قائلاً: يا عنقربي، وتحرى من طل عرسي! ألا يا من رعى الاقلام، وركّب الالفاظ والكلام، سأسحقكِ سحق الكراويه، يا امة الطاعون الفاويه!

ثم تناول تعريفي لابن المثنّاه، كتاب الهم والكآبه، ووضع فيه قصّة صغيرة ودوّنت، فطارت العُثّة وهوت، فنظر اليها وهي امامه، ثم درج عليها وفي فمه ابتسامه، وتوارى وهو يقول: من عاش قليلاً، كمن عاش طويلاً. وفي بواكر اللذات، تُحمد النهايات

القريكة — لبنان

الحركات الاستقلالية

في مصر القديمة

للدكتور حسن كمال

لا يخفى ان تاريخ مصر القديم يضم حوادث اربعة آلاف سنة أي منذ ابتداء ظهور الحضارة على سواحل البحر الابيض المتوسط لما كان العالم عائشاً في ظلمات الجهل والوحشية . ولعلَّ أهم ما يستوقف نظر الباحث في هذا الموضوع ما انتاب البلاد من غزو الاجانب واختلاطهم بالمصريين وتأثير ذلك في الاذهان والاخلاق الوطنية

وكان القطر في مبدىء مدنيته منقسماً الى عدة امارات صغيرة مستقلة احدثت ثم تدريجاً حتى تكوّن منها مملكتان عظيمتان احداهما بالوجه القبلي والاخرى بالوجه البحري . وامتازت المملكة الاخيرة بسرعة تقدمها في الحضارة . وبعد عام ٤٢٤١ قبل الميلاد لقبت مصر « بأرض القطرين » نسبة الى جزئيها البحري والقبلي . وحوالي عام ٣٤٠٠ ق . م انضم هذان الوجهان تحت سلطة الملك مينا فكان هذا الملك اول من حكم ارض مصر بجملتها واول ملوك الاسرة الاولى المصرية . واعتبر المؤرخون عهد مينا هذا حداً فاصلاً في تاريخ مصر . ثم قسموه الى قسمين . القسم الاول ويرجع تاريخه الى ما قبل الأسر والقسم الثاني ويعرف بحكم الاسر . وقد اثبتت لنا المباحث والحفائر الاثرية ان زمن حكم الاسر جاء نتيجة مباشرة لرقيّ وتقدم تدريجي في حضارة الزمن السابق

والفضل في رقي الحكم المصري مدة حكم الاسر الاولى التي تقدر بحوالي اربعة قرون يرجع الى ضمّ سائر جهاته تحت حكم الملك مينا وسلالته الذين اتخذوا مقرّهم في بادىء الامر مدينة طينة بالقرب من العرابة المدفونة . ثم انتقلوا بعد ذلك الى منف وفي هذه المدينة ارتقت حضارة البلاد وزاد عمرانها وقوي نفوذها فسمّى الاثريون هذا العهد « بالمملكة القديمة » . وفي هذا العهد تجلّت حكومة البلاد وادارتها الداخلية بأجلى مظاهر الكمال . واخذ النفوذ المصري يمتد الى ما وراء حدود المملكة

ولما تولت الاسرة السادسة الحكم سنة ٢٦٢٥ ق . م ساءت الفطر حتى عام ٢٤٧٥ ق . م وفي عهدها اخذ يدب في نفوس حكام الاقسام شعور الاستقلال والكبرياء وكانوا قد احتفظوا بمراكزهم الادارية لأسرهم ومنذ زمن الاسرة الخامسة بهذه الطريقة مهد هؤلاء الحكام الطريق لتجزئة القطر المصري الى امارات مستقلة صغيرة وشق عود السلطة المركزية بالبلاد.

هكذا تمكن حكام الاقاليم المصرية من اسقاط بيتهم فرعون المالك في اواخر حكم الاسرة السادسة حوالي سنة ٢٤٠٠ ق م .. ومن دواعي الاسف اننا لم نهتد الى كيفية تطور تلك الامور وعامة ما وصل الينا عن ذلك العصر قائمة باسماء ملكية اعتبر (مانيتو) اصحابها ملوك الاسرتين السابعة والثامنة المنفيتين وقال انهم حكموا مدة لا تزيد عن ثلاثين سنة اما الاشخاص المسؤولون عن هذا الانقلاب العظيم فلم نهتد اليهم للآن لكننا نعلم انهم كانوا معادين لملوك المملكة القديمة لأنهم نهبوا معابد وخربوا الهياكل والمعابد والنقوش والرسوم البديعة بنظام وتدبير . وحطموا تماثيل الجرانيتية الجميلة والصوانية وألقوا بعضها في الآبار لذلك لا يبعد ان كان ذلك العصر عهد فوضى وخراب تحرم فيه ملوكه وامراؤه عن تشييد معابد او آثار هم نستدل منها على حوادث زمنهم

لكن المعروف ان مثل هذا الانقلاب الفجائي لا يحصل عادة الا من غزو اجنبي عن طريق البلاد عادةً . وبهذا الغزو سبّب تقهقر حكام منف العظيمة الى (اهناس) الحميرة قال الاستاذ (بتري) ولعلّ الملك (خيان) الذي جاء ذكره انه حكم القطر عمراً مثل الهكسوس كان احد الملوك الاجانب الذين غزوا القطر واقاموا سلطانه بعد حكم الاسرة السادسة وقد نسب بعض الاثريين هذا الملك الى عهد الهكسوس لكن (بتري) عارض في ذلك واعتبره اسيويًا غزا مصر عن طريق تل بسطة (قرب الزقازيق) وحكم في الوقت نفسه شمال جزيرة العرب والعراق ومصر بدليل تمثال الاسد الذي وجد بالعراق واسم ذلك الملك منقوش عليه زد على ذلك ان القاب هذا الملك مثل « امير الخيان » و « ضام الاقاليم » تشير ايضاً بطريق غير مباشر الى بدويته واتساع ملكه

ووصلت الينا رواية لا يبعد انها من تلك الازمنة جاء فيها ان ساحراً يدعى (ايبور) انذر فرعون مصر بحصول اضطرابات وقحط في المملكة يصير فيها الغني فقيراً والفقير غنيًا ثم يعود البلاد قوم اجانب فينقلب النظام رأساً على عقب وبعد ما سرد الساحر كثيراً من هذه الاخبار المحزنة قال انه سيأتي بعد ذلك رسول « يطفئ نار ذلك اللهيب فيمدحه الخلق ويعتبرونه راعيهم لسلامة قلبه ويبقى هذا الرسول يوم شمت الضأن من قومه فيلتف الناس حوله ويقصدونه بكل قوامهم ينتحبهم من ملابسهم ومصابهم . . فيدفع الشرور بذراعيه بقوة »

والظاهر أن طرد الاجانب من مصر وتقدير ورد النظام الى القطر وارجاع السكينة والطمأنينة اليه انما يرجع الى امارة إخناس الواقعة جنوبي الفيوم وهي مركز عبادة حوريس منذ مبدأ عهد الاسر واول من ارتقى عرش مصر من هؤلاء الاهناسيين هو (إختوس) واليه ينسب حب الانتقام والجبروت والغلظة اكثر مما تنسب الى سواه وجاء في موش اسيوط ان حالة القطر المصري كانت وقتئذ سيئة وان ملوك اهناس قاوموا ذلك السوء وحاولوا ازالته فكان ذكل موظف يدير عمله كالمعتاد بلا مشاجرة ولا مطاحنة ... وبطل قتل الطفل جوار امه وسفك دم الرجل قرب زوجه ووقف عمل السوء . وضرب الرجل ليته » وجاء عقرة اخرى « اذا جن الليل مدحي كل من نام في الطريق لانه اصبح آمناً كالذي يعطى داره ذلك لان ورع الآلهة من جنودي كان حامياً له في وحدته »

هذه هي اقدم رواية لغزو الاجانب لمصر واستحلالها ثم تغوصها عليهم وطردها اياهم واسترداد استقلالها سالماً بالتالي

بعد ذلك اخذت شمس طيبة تبزغ تدريجاً لاول مرة في افق التاريخ فأخذ حكامها ينافسون ملوك اهناس ودار بين الطرفين نزاع انتهى بفوز طيبة وانتقال مقاليد الحكم الى حكام الصعيد وتولت بعد ذلك الاسرة الثانية عشرة الحكم وسادت الامارات الصغيرة السلم والدعة فتقدم القطر كثيراً ولبست البلاد ثوب التمدين والتقدم لمدة تنيف على مائتي سنة تقريباً اي من سنة ٢٠٠٠ الى سنة ١٧٨٨ ق . م ويعرف هذا العصر عند الاثريين « بعصر الآداب » لانه امتاز فيه اعظم شأوها فالشعر والنثر بلغا اقصى درجاتهما من حيث المتانة والجودة كما ان الحفر والعمارة تقدما بدرجة مدهشة

وفي سنة ١٧٨٨ ق . م . سقطت الاسرة الثانية عشرة واشتعلت في البلاد نار ثورة داخلية انتهت بانقسامها وتفرق كلمتها وتطاحن امرائها على العرش . بعد ذلك استولى على البلاد قوم من مملكة اسيوية شاسعة سماهم (مانيتو) هيكسوس حكموا القطر المصري مدة قرن تقريباً واتخذوا في اثنائه مدينة (أواريس) أو (هوارة) الواقعة شرقي الدلتا مركزاً لهم وذلك حوالي ١٨٠٠ قبل الميلاد . اما (هوارة) فأصلها بالمصرية القديمة ... حا أوار — ومنها اشتقت أواريس و هوارة (راجع تاريخ الشرق الادنى للاستاذ المرحوم هول Hall ص ٢١٧)

وليس من الصعب معرفة موطن امبراطورية الهيكسوس وأصلهم وأخلاقهم اذ الغالب ان رواية (مانيتو) ان هؤلاء القوم فينيقيون صحيحة . والثابت ان اهالي بلاد العرب كثيراً ما هاجروا الى سوريا . ولذلك لا يبعد ان هذين القطرين اتحدا بعد مجهودات حربية تحت ادارة حاكم قوي وكونا مملكة واحدة . ويرى الاستاذ (كنج King) ان اصل الهيكسوس من بلاد

العرب هاجروا الى الشمال اثر عوامل داخلية ومن هناك غزوا مصر وقد حدثت بعد ذلك هجرات شمالية مماثلة لهذه بدأت من تلك الاصقاع وانتهت بغزو (نابل) وتأسيس المملكة الارامية وانتشار الاسلام ومما يعزز ذلك تعيين المصريين الهيكسوس بلقب (عامو) — وبني اصحاب العصاة الملتوية — وهو اللقب الذي اطلقوه غالباً على عرب الصحراء (راجع تاريخ بابل للاستاذ كنج ص ١١٩)

واتضح لنا من الآثار ان السوريين الذين أتوا الى القطر المصري ايام الاسرة الثانية عشرة كانوا متمدنين راقين كما ان حروب الفراعنة في سوريا بعد طرد الهيكسوس من مصر اثبتت وجود حضارة عظيمة هناك . والظاهر ان انهيار صرح امبراطورية الهيكسوس العظيمة ترك بعض تأثيراته في أهالي فلسطين وسوريا استمرت عدة اجيال بعد بسط النفوذ المصري عليها

من ذلك يتضح ان امبراطورية الهيكسوس سامية الاصل وقد عثر على خنفس لفرعون من عهد الهيكسوس عليه اسم (يعقوب حر) — اي (يعقوب آل) اشارة الى احتمال تبوّء احد رؤساء بني اسرائيل الملك في تلك العصور الغامضة وهذا الامر يتفق مع احتمال دخول بني اسرائيل مصر وقتئذٍ واذا صحّ هذا الاستنتاج كان عرابيو مصر عرباً تابعين لامبراطورية الهيكسوس ولا يبعد ان يكون وجود هؤلاء العرب بمصر سبباً في تلقيب تلك الامبراطورية « بدولة الرعاة » ولا يبعد ايضاً ان تكون نظرية (يوسيفوس) القائلة بأن بني اسرائيل قوم من الهيكسوس فيها شيء من الحقيقة وان لم تكن هناك ادلة على صحة ذلك

اما كلمة « هيكسوس » فاصلها بالفرعونية (حكاو خاسوت) واللفظ الاخير لا يبعد انهُ كان يُلفظ في عهد المملكة الحديثة (١٥٥٠ — ٧١٢ ق . م .) (شاسو) وعلى ذلك فيكون اسم الهيكسوس بالمصرية القديمة في العهد المذكور (حكاو شاسو) ومعناه حكام البلاد الاجنبية وهي صفة اطلقها المصريون على الاجانب من عهد الاسرة السادسة (٢٤٢٠ — ٢٢٧٠ ق . م .) حتى العهد اليوناني (٣٣٢ ق . م .) وعلى ذلك فلفظ هيكسوس هو في الاصل (حكاو شاسو)

ويستدل من رواية (مانيتو) والنصوص القديمة ان الهيكسوس فرضوا الجزية على انحاء القطر المصري كله وقد عثرنا على بعض آثار الهيكسوس جهة جبلين باقليم الشلال الاول ولذلك لا يبعد ان دخول الهيكسوس الى مصر كان تدريجياً أشبه شيء بهجرة غير مصحوبة بحروب او مناوشات . لكن (مانيتو) اخبرنا انهم لما دخلوا مصر استولوا على منف (جوار سقارة) وانهم اتخذوا هوارة — اواريس — جوار بور سعيد — قاعدة لحكمهم بمصر لقربها لآسيا . وكان ملك الهيكسوس وقتئذٍ يدعى (خيشرر) وقد ولّى وزيره المدعو (إنحو) حاكماً على مصر يدير امورها وينظم معابدها والغالب ان حكم الهيكسوس لم تزد مدته على مائة وخمسين سنة في

مصر (١٧٠٠ — ١٥٥٠ ق . م .) وبديهي ان معظم ملوك مصر المعاصرين لهيكسوس كانوا بمثابة ولاة تحت حكمهم

وقد اثار حكم الهيكسوس في المصريين شعور البغض لهم حتى طردوهم وتخلصوا منهم والمعروف عن هؤلاء القوم انهم ادخلوا الخيل الى القطر المصري لاول مرة ودربوا المصريين على الحروب انفسهم ، وعليه فالمصريون مدينون لهم بكثير من ارشاداتهم النفيسة وتعاليمهم القيمة مهما عظم مقدار الخسارة والتلف والضيق الذي حل بالبلاد في عصرهم

***

اما كيفية طرد الهيكسوس فتتلخص في ان مصر كانت مقسمة وقت حكمهم الى عدة اقسام تحت ادارة « ملوك مصر » على ما رواه مانيتو وان كل ملك من هؤلاء كان منفرداً ومستقلاً بادارة اقليمه تحت اشراف الهيكسوس ولا يخفى ان مثل هذه الحالة اضعفت عود المصريين كثيراً امام عدوهم الاجنبي لكن ملوك طيبة وبعض حكام اقسام مصر اتحدوا بعد ذلك وجمعوا كلمتهم وشنوا حرباً على العدو وربما كان ابرز هؤلاء الملوك هو المدعو (سكننرع الثالث) (١٦٠٠ ق . م) وقد عثر المرحوم كمال باشا على مومياء ضمن كنوز الدير البحري الكبرى وهي الآن محفوظة بالمتحف الفرعونية بالقاهرة وقد وجدت بهذه المومياء جروح شنيعة بمنتهى الرأس أثر نصال ورماح قبل الوفاة يرجح انه حصل وقت حرب المصريين مع الهيكسوس ولو امكن عمل قائمة شرف عالية لمن ضحوا بانفسهم في سبيل بلادهم لأن هذا الملك في اولها لانه ناضل بنفسه بين جنوده بل وتقدمهم حتى تمكن العدو من اصابته في رأسه وهشم جمجمته في خمسة مواضع (راجع كتاب المومیات الملكية للاستاذ اليوت سميث ١ — ٣) وتعدد الاصابة دليل على شدة عناد هذا القائد وقوة ايمانه بواجبه نحو وطنه

ولما توفي هذا الملك تبوأ كرسي الملك بعده ابنه (كاموس) الذي امضى ينفذ خطط سلفه لانقاذ وطنه من براثن العدو وبهذه الطريقة وضع لنا اسلافنا انموذجاً نهتدي به يتلخص في اتمام العمل الوطني الشريف كل بحسب قدرته . لانه مالم يدرك كله لا يترك جله بهذه الطريقة حاز دور (كاموس) بطل الكفاح ومثال القائد من حيث النشاط والامانة والاخلاص . واتى باعمال جليلة تكشف اعمال (جان دارك) و (جورج واشنطون) وغيرهما لكنها للاسف مجهولة بين من يجب عليهم الالمام بها . كان من حظ (كاموس) ان تمكن من كسر شوكة الهيكسوس لاول مرة وشل نفوذهم بالوجه القبلي . فاثبت بذلك لأهل وطنه امكان قهر العدو والتغلب عليه بل وطرده من الوطن . حصل ذلك شمال مدينة الاشمونين بمصر الوسطى وكان الهيكسوس وقتئذ تحت قيادة القائد (تتي) (راجع مجلة الماديات المصرية جـ ٥ ص ٣٩)

واهم مرجع تاريخي لاعمال هذا الملك العظيم هو النص الوارد على لوحة كارنارفون رقم ١ التي اكتشفت بعنية (لوكصر) عام ١٩٠٨ ميلادية والتي يرجع تاريخها الى حوالي عام ٥ بعد حكم (كاموس) المذكور فقد جاء بهذا اللوح ان الملك (كاموس) خاطب مجلس اعيان مملكته في السنة الثالثة من حكمه قائلاً ضمن خطبة طويلة : —

« انظروا الى العدو فقد وصل الى الاشمونين ومنع كل انسان من الراحة لانه استخدم وأذلهم اذلالاً لقد احتدت على حسبي مناصلته حتى اهز بطنه لان امنيتي هي تحرير مصر وسحق الاسيويين » وورد بعد ذلك على لسان جلالته « لقد ركبت السفن النيلية يتقدمني فيها جيشي المتأجج حمية . وارسلت حواجبي لاتمكن من سحق العدو . . . وأمضيت اليوم في مدينة (نفروسي) — وهي مدينة قديمة تقع شمال الاشمونين بضعة اميال . اما اصل (تتي) ابن (أبو بيس) ولم اتركه يفلت مني . هكذا رددت العدو الذي استولى على مصر . وأمضيت الليلة في سفينتي وقلبي جذل . فلما طلع الفجر انقضضت عليه كالنسر . فما وافت ساعة تعطير الفم (اي ميعاد الافطار) حتى كان النصر مكتوباً لي هدمت جدرانه وفتكتُ برجاله واضطرتُ زوجته الى الهرب نحو ساحل النهر . وكانت جيوشي كالاسود . . . ها قد اخذ اقليم (نفروسي) يسقط في ايدينا . . . . . »

***

الى هنا انتهت عبارة لوحة كارنارفون فلم نتمكن من معرفة مدى تقدم قوات (كاموس) وهل هي تابعت سيرها حتى (منف) او ارجأت الاستيلاء على هذه المدينة الى وقت آخر وعلى كل حال فكاموس هو اول فرعون نفذ ارادته بالقوة وفتكٍ . ولا تزال جثة هذا الملك العظيم محفوظة بمقبرة الفراعنة بالقاهرة ومعها مصاغه وأسلحته الحربية

ولحكمة ارادها الله توفي (كاموس) قبل اتمام عمله الذي تهيأ له اعظم تهيؤ وبذر بذوره بين اضلاع ابنه (احمس) اول ملوك الاسرة الثامنة عشرة على قول مانيتو تولى احمس العرش عام ١٥٨٠ ق . م . تقريباً وكان حكمه اولاً محصوراً في الوجه القبلي بقسم طيبة . وبعد ما اثبت لاهالي اسوان عزمه على مراعاة حسن الجوار كاجداده ولى وجهه نحو الهيكسوس . ولم تصل الينا نصوص احمس الاول عن ذلك الكفاح . وكل ما اهتدينا اليه في هذا الصدد هو تلك النقوش الواردة على جدر قبر ضابط مصري من جهة الكاب كان موالياً لملوك طيبة واشترك معهم في مهاجمة الهيكسوس . وهذا الضابط يقال له (احمس) ووالدته تدعى (اباانا) ووالده (باه) هذا كان موظفاً في حكومة (سكننرع (الثالث) السابقة الذكر

والك ترجمة ما قاله احمس بن اباما عن سيرته ايام الملك احمس الاول —

« قضيت ايام شبابي في مدينة الكاب وكان ابي ضابطاً في جيش جلالة ملك القطرين البحري والقبلي سكننرع المرحوم . وكان يسمى (باba) وهو ابن (رويبت) ولما توفي وضعت مكانه في سفينة تسمى (الثور) وذلك ايام الملك احمس الاول وكنت اذ ذاك شاباً لم اتزوج فلما تزوجت وصارت لي اسرة نقلت الى الاسطول الشمالي لما شوهد فيَّ من الشجاعة والاقدام » من هذا يتضح انه نقل من اسطول الكاب وارسل شمالاً لمحاربة الهكسوس . وبعد ان صار ضابطاً بحرياً اتعلم ضابطاً بريًّا في حرس الملك الخاص وقد اشار الى ذلك بقوله « وكنت اتبع الملك في سيره حينما اقله عجلته ولما حاصر الملك مدينة (اواريس) اظهرت له بسالة وانا احارب على قدميَّ امام جلالته في السفينة المسماة (صوء ممف) . ثم حارب جلالة الملك في مياه ترعة (بدكو) جهة (اواريس) وقد حاربت وقتلت بيدي فأحضرت يداً مقطوعة من رجال العدو برهاناً على شجاعتي واقدامي . فبلغ ذلك الخبر رسول الملك فأنعم عليَّ جلالة الملك بعد ذلك بنيشان الشجاعة الذهبي ولما قامت الحرب مرة ثانية في هذا المكان دخلت النزاع وحاربت بيدي وأحضرت يداً أخرى (من أسير) فأنعم عليَّ جلالة الملك مرة ثانية بالنيشان الذهبي لشجاعتي في ذلك الوقت العصيب قامت ثورة عظيمة في اقسام مصر جنوب الكاب تطلبت ذهاب الملك أحمس الاول شخصياً مع (أحمس) ابن (ابانا) لقمعها وقد اخبرنا عن ذلك احمس ابن أبانا بقوله « حضر الملك وحارب قسم مصر جنوب هذه المدينة (الكاب) واسرت حينئذ رجلاً حياً نزلت به إلى البحر قابضاً عليه كأني سائر في طريق المدينة وعبرت به النيل فبلغ ذلك رسول الملك فأنعم عليَّ جلالته بمكافأة ذهبية مضاعفة ولما حدثت الثورة رجع الملك مصحوباً بأحمس بن أبانا الى اواريس قال أحمس المذكور ترجمةً « سقطت أواريس في قبضة جلالة الملك . وهناك اسرت رجلاً وثلاث نسوة فكان المجموع أربعة وهبهم لي جلالة الملك عبيداً » وكان ذلك عام ١٥٨٢ ق م وهو أقدم عيد استقلال معروف في تاريخ الامم

***

قال أحمس ابن أبانا بعد ما ذكر سقوط أواريس « ثم حاصر جلالة ملك مصر مدينة شاروهن (شرحان) - جنوب فلسطين — لمدة ثلاث سنوات واستولى عليها » ويعتبر هذا أول حصار طويل معروف من نوعه في التاريخ هكذا تمم الملك أحمس الأول عدوه بعد خروجه من مصر حتى قدمه في فينيقيا حيث لم تقم له قائمة بعد

وقد كان حكم الهيكسوس وطردهم من مصر عظة كبيرة للمصريين افهمتهم لاول وهلة معنى الاستعمار وسياسة البطش . فأنشأوا جيشاً عظيماً منظماً استعملوا فيه العجلات الحربية مستعينين على جرّها بالخيل التي حملها الهيكسوس الى القطر المصري وقت غزوتهم له . فتحولت مصر بذلك الى امبراطورية حربية . شأن كل امة تتحد كلمتها . ويلمّ شعثها وتتولى تحرير نفسها بيديها

***

ويجدر بنا في هذا المقام ان نذكر فضل السيدة المصرية في هذه الحركة العظيمة الوطنية ومقدار كفاحها وعظم تأثيرها النسائي في حكام مصر وقتئذٍ اذ لا يبعد مطلقاً ان تكون القوى المعنوية بين المصريين وقتئذٍ راجعة الى تشجيع الجنس النسائي ومثل هذا المجهود المزدوج كثيراً ما يشاهد في مواقف الدول الاستقلالية مهما تباينت عناصرها لكن في مصر وقت طرد الهيكسوس كانت الزعامة النسوية في قبضة الملكة (آحوتب) زوجة (سكنرع الثالث) الذي مات شهيد الوطن في حومة الوغى كما ألمعنا سابقاً وقد رزق منها (كاموس) و (احمس الاول) و (نفرتاري) فلما توفي الزوج قام الابن الاكبر بدوره . ولا يبعد مطلقاً ان يكون ذلك تحت تأثير والدته حثاً في القصاص من اهل دم الوالد ثم أتى دور (احمس الاول) الذي تزوج بأخته (نفرتاري) الشهيرة والتي كان لها شأن كبير في الحركة الوطنية حتى عبدها قومها على حد سواء مع زوجها . وقد عثر على تابوتها بالدير البحري

ولا بدّ ان الملكة (آحوتب) عُمّرت فوق المائة سنة . وكان في امكانها ان تتولى الحكم بنفسها . لكنها تركته لاولادها يكافحوا في سبيل بلادهم كفاح الابطال وهي من ورائهم تشد ازرهم وتراقب احوال مملكتهم الداخلية . فيالها من والدة حكيمة رشيدة

لقد شهدت الملكة (آحوتب) كل حركة الاستقلال من اولها الى آخرها ورأت بعينيها انتقال مصر من الحضيض الى العلياء ومن الذلّ والعبودية الى السؤدد والجبروت وهكذا كتب لها المولى ان تفتح عينيها اولاً على بلدها وهو في حالة الهوان وأن تغمضهما آخراً ووطنها حرٌّ باسطٌ سلطانه على ممالك آسيا والسودان بفضل مجهودها ومجهود زوجها وأولادها . فأنعم بهذه العائلة وأكرم بشهامة رجالها ونسائها

ولما توفيت هذه الملكة حفظت جثتها بكل احترام ووضعت في تابوت ذهبي خاص ومعها حليّها والهدايا التي قدمت لها في حياتها من زوجها واولادها . وكان هذا المصاغ معتبراً اخر ما عثر عليه من الآثار الى عهد قريب ويتكوّن من أساور وخواتم ومروحة ذهبية ومرآة من البرنز ذات اليد الابنوسية وغير ذلك

بين الحقيقة والخيال

لراجي الراعي

— أنتَ من أنت وما أنت أيها الخيال

— وأنتِ من أنت وما أنت أيتها الحقيقة

— أنا الحقيقة وكفى

— وأنا الخيال وكفى

— أنا المعلوم المحدَّد الملموس ولي أتباعي

— وأنا المجهول الذي لا حدَّ له ولا تطاله يد ولي أتباعي

— أنا كلمة الله في خليقته

— وأنا خلقته في رأسه قبل ان أخرجها منهُ فأراها النور

— أنا الجوع والشبع والظمأ والماء والرداء

— ليس في ذلك ما يدعو الى الفخر والمباهاة

— أنا جسد المرأة ووصالها

— وأنا جمالها وسرّها وفتنتها وقلبها وسحرها وروحها . أنا ما تراهُ فيها ولا يؤخذ منها

— أنا الأبجدية والأرقام

— هي قيودك أيتها المبتدئة ، أما أنا فلا حدَّ لي ولا قيدَ يقيدني

— أنا الراقد وسريره

— وأنا الحلم ووقتهُ

— أنا الحياة والموت

— وأنا وراءها النعيم والجحيم

— أنا الكأس وخمرتها

— وأنا السكرة والرعدة

— أنا المنطق والجبر والهندسة واللاهوت

— وأنا الشعر

— أنا سقراط وأفلاطون واقليدس

— وأنا هوميرس وفرجيل ودانتي وملتن

— أنا اليقين

— وأنا الشك

— أنا العقل الجليل

— وأنا الجنون الجميل

— أنا الحجر الذي تراه نادراً في البناء

— ولكن البنّاء اخذه من مقالعي فبناؤه لم يقم في الارض الا بعد ان تجيئه

— أنا الحكمة والعدل والعصبية والبطولة والشرف والإباء والكرامة والمجد

— هي كلمات انتزعتها من قلبي وقت تنادي اباطيك . . . هي كلمات طنّانة رنّانة قذفت بها ارحامي فجاءت على صورتي ومثالي خيالاً لا حدّ لهُ ولا تعريف

— أنا الكنيسة والصلاة

— وأنا لهيب العقيدة

— أنا المصور وجناحه وفنه وصيّاده

— وأنا لونه وتغريده

— أنا قلم الكاتب ومداده

— وأنا وحيه والهامه

— أنا صحف التاريخ

— وأنا نصفه الآخر

— أنا القناعة

— وأنا الطموح

— أنا الصخرة الراسخة التي لا تتزعزع

— وأنا الموجة الهائجة التي لا تستريح

— أنا الحقيقة

— وأنا الخيال

— أنا الانسانية

— وأنا الروحانية

— أنا قراميل

— وأنا أشباحه

— أنا العود ووتره

— وأنا أنته . . .

— وظلّ الخيال والحقيقة يتقران على هذا الوزلة كاملة .

— وطلع الفجر وهما يتجادلان ويستشيطان غضباً ويتنازعان السيادة وأنا اتفرج عليهما واسمع لحديثهما العالي

— وأشرقت الشمس فاقبلت عليها أسألها أن تقول كلمها فاعرف مَنْ من الاثنين أؤثره على الآخر : الحقيقة أو الخيال..

— فأطرقت الشمس رأسها قليلاً ثم التفتت اليّ وقالت :

— أنظر الى وجهي وأشتقّ : أنا النار والنور، وهكذا أنت فارك خيالك ونورك حقيقتك فكن للشمس المشرقة فيك ولا تعجب لشطريك اللذين يتنازعان السيادة في رأسك فكل منهما عظيمٌ في دائرته وقويٌّ بنفسه

تركة التاريخ

في نفوس الشعوب الضعيفة

لعبد الرحمن شكري

تختلف الأخلاق باختلاف الأمم الى حدّ كبير وليس معنى هذا ان امة تخلو افرادها من صفة حميدة او ذميمة فكل الصفات حميدها او ذميمها في كل نفس وفي كل امة ولكن تختلف مقادير تمكن الصفات من النفوس. والحكم على اخلاق نفس او امة انما يكون بحسب ما فيها من الصفة سواء كانت حميدة او ذميمة فاذا كانت الصفة ضعيفة لم تكن مما توسم او توصم به واذا كانت شديدة كانت من خصائصها والتاريخ هو مجموع العوامل التي أثرت في نفوس الافراد والامم من عوامل جغرافية واجتماعية وغيرها وهو يدلنا على ما تتصف به النفوس وما يغلب عليها من الخصال وما لا يغلب عليها وعند دراسة التاريخ لا بدّ من دراسة مؤثرات الجغرافية البشرية اذ لكل بيئة خصال واخلاق مرجعها الى طبيعتها فترى البدو على خصال غير خصال الحضر وترى سكان الجبال موسومين بخصال يرجع اثرها الى طبيعة ارضهم ومناخهم ومواصلاتهم فالشجاعة والكرم والجد والصدق والثبات واضدادها يمكن ردها الى البيئات التي نشأت فيها كما ينبت النبات ويمكن تغير البيئات تنشأ فيه. ويستطاع معرفة مدى أثر البيئة في حياة القوم الاجتماعية ثم ان حياة القوم الاجتماعية هي مجموعة مؤثرات منها ما يزيد او ينقص من أثر المؤثرات الجغرافية وقد ينتقل قوم من مكان الى مكان مغاير للاول فتختلف صفاتهم نتيجة مرور الازمان او قد تختلف نفسها وضوحاً وشدة وثباتاً او ضعفاً واضمحلالاً وقد تغلب على نفوس القوم صفات من مكانهم الجديد وهي قد كانت أقل وضوحاً في مكانهم القديم وقد يكتسبون في مكانهم الجديد انواعاً اخرى من الصفات والقوانين والشرائع وأنظمة الحكم لها آثار في الحياة الاجتماعية بعيدة المدى طويلة السريان على التاريخ فتنمي في النفوس صفات القوة او صفات الضعف وهي وليدة المؤثرات الجغرافية الى حدّ كبير اذ تختلف النظم والشرائع والقوانين كاختلاف البيئات الجغرافية ويمكن اختلاط تلك البيئات واتصال شعوبها يؤديان الى انتقال القوانين والنظم من مكان الى مكان على مرور الازمان الا أن انتقالها أسرع من انتقال الاخلاق والصفات من النفوس. فالنظم والقوانين تنتقل بالهجرة او الغزو او المصاهرة أو

التعلم او المحاكاة . وقد تترك المؤثرات الاجتماعية أثرها حتى بعد زوالها فتبقى الآثار أجيالاً في بعض الاحيان وقد يزول بعضها ويبقى البعض أو قد تبقى كلها معدَّلة محوَّرة

واذا نظرت الى شعب درج في عصور التاريخ المختلفة على العزة والمنعة والقدرة وجدت فيه صفات تختلف عن صفات الشعب الذي درج في عصور التاريخ على ضد تلك الحالات وقد تتبدل عزة الشعب الاول وتزول فتبقى فيه صفات العزة عهداً طويلاً وقد تتبدل حالة الشعب الثاني وتزول ذلته كما تزول شرائعه القديمة فتبقى فيه صفات نشأت من العصور القديمة فتظهر في نفوس أفراده صفات وضيعة حتى ولو ظهر الشعب بمظهر العزة والنهوض لان الحكم يكون بالصفات المتأصلة في النفوس ومظاهرها في حياة الناس ويكون الحكم على مثل هذا الشعب لا محالة برد هذه الصفات الى مسبباتها القديمة ولا مناص من ذلك ولا يمكنه ان يخفيها عن احد او ان يرغم احداً على القول بذهابها الا اذا استطاع ان يتخلص منها ووطن عزيمته على ذلك واتخذ العدة للنجاة منها اما اذا تظاهر بالعزة والظهور بمظهرها والتنصل من وصف ما ظهر منهُ مما يحسب انهُ قد خفي فلا يزيده الا تمادياً في صفاته القديمة واغتراراً بها وهو يحسب ان انكارها خلاص منها كما يحسب الكاذب ان انكار كذبه يجعلهُ صادقاً في حين تكون صفاته القديمة كالطابع او الختم لا مفرَّ لهُ منهُ وكل ما يمكن ان يقال فيه انهُ شعب تبدلت احواله فظن انهُ قد تخلص من آثارها او هو يبالغ فيه من الفخر ويحسب ان في مغالطة النفس تخلصاً منها لعجزه عن الاخذ باسباب التخلص وحسبانه هذا قد يكون اما من الجهل بشؤون الحياة والانام والتاريخ وأما لانهُ يشعر بصفات وضيعة يمقتها في الظاهر ولكنهُ يفتخر بها لانها صارت نفسه ومن الذي لا يفتخر بنفسه ولا يطليها بطلاء العزة ولا يتخذ من صفات الذلة قوةً وعضداً وهي قوة وعضد كما سنوضح الا انها قوة تمنع الضعيف من الفناء ولكنها لا تنهض به. خصال الذلة انما نشأت كي تقي الذليل من شرّ سطوات القوي ولكنها لم تنشأ كي تنهض به الى مرتبة الثاني وهذه الخصال هي الحسد والمكر والكذب والخداع والتهاون على الدسّ والغيبة والنميمة والرياء والبذاءة والقسوة والتملق والغش وسنوضح لماذا نشأت هذه الصفات في الاذلاء كي تقيهم سطوات المقتدر واذا اجتمع في وسط من الاوساط اثر هذه الصفات التاريخي وأثرها الناشيء من ضرورتها بسبب ازدحام السكان وما يكون بسبب ازدحام السكان من التقاتل على الرزق كانت هذه الخصال في أشد حالاتها وأرذل درجاتها وأحط مظاهرها وظواهرها وقد نشأت هذه الخصال من سنة الاستعاضة في الطبيعة وهي سنة عامة في الطبيعة التي تعوض على المرء صفة بدل التي فقدها فاذا فقد القدرة عوضته هذه الصفات كي يدرأ بها القدرة ويحمي نفسه وانما مثلها مثل الجراثيم التي تنشأ في الجسم كي تحارب الجراثيم الاخرى الساطية عليه التي تريد ان تقتله والطبيعة تعوض الحيوان عما يفقده فالاعمى يعوض عن بصره خيالاً واحساساً لما حوله وكذلك النفوس المتضعة تعوض على مرور الزمن من

المكر والكذب والحسد والنفاق والدناءة ما نصول به اذا صالت وما ندرأ به القدرة وهذه صفات مشاهدة في الشعوب الضعيفة التي تنال أثر العصور القديمة وقد ينقضي أجل العلة التي سببت هذه الخصال فلا يزول أثرها لان هذه الصفات تكون قد أصبحت طباعاً موروثة جيلاً بعد جيل. وقد تكون مقصورة الصلة بالضرورة التي دعت اليها في أوساط الاذلاء عندما كانت هذه الصفات قائمة مقام القدرة

القدرة فهي مشاهدة مصحوبة بضد هذه الصفات لان المقتدر في غنى عنها فلا حاجة الى الكذب كي يخفي به عيوبه وكي يحط به من قدر مناسبيه في الحياة. اما المقتدر في قدرته حماية تسهل عليه الاعتراف بالخطأ اذا أخطأ وفيها انفة تأبى الأ ان تأنف الاحاطة بالاحادة وتأبى الا ان تناضل العدو بالقوة لا بالكذب والمكر والدس والغيبة والنميمة والحسد واللؤم وغيرها من الصفات التي يلجأ اليها العاجز بحكم نفسه او بحكم ماضيه وماضي قومه او حاضره. فهذا لا حيلة له الا ان يناضل بأمثال هذه الصفات وهذا أمر بديهي ولاشك ان هذه الصفات هي درع العاجز وسلاحه في معترك الحياة وتكون عوضاً له من القدرة وسنة الاستماتة هذه في الطبيعة ليست مشاهدة في حياة الانسان فحسب بل في حياة الحيوان والنبات ايضاً وقد تنقضي العلة التي سببتها فتبقى صفاتها وهذا هو ما يصادف الباحث اذ يرى عند غير الذليل كذباً وحسداً ومكراً وخداعاً ونميمة وغيبة وقسوة وغشاً مبرأها عند المرء وعند المقتدر او عند من يظهر بمظاهر العزة والقدرة فيصل عن سبب نشأتها وعن حقيقة استحكامها في نفوس الاذلاء وظهورها فيهم أكثر من ظهورها في نفوس الاعزة المقتدرين وتستفيض كتب القصص والتاريخ التي تدل على استفحال هذه الصفات في نفوس الارقاء ايام كان الرق شائعاً فالكذب والغيبة والنميمة والدسائس صفات مرأتها بوادر كثيرة في حياة الارقاء وقد شوهدت غلبتها في الامم الذليلة بحكم ماضيها او حاضرها وفي الاوساط التي تمتزج الذلة بسبب التقاتل على الحياة الناشيء من كثرة السكان وازدحامهم وشوهدت اضداد هذه الصفات في اضداد هذه البيئات واذا انتقل انسان من بيئة ماضيها اعتراه الذلة الى بيئة أعز أحس ان آحاد البيئة الاعز أسرع الى تصديق غيرهم من آحاد البيئة الاذل لان الرجل في الثانية تعود أن يكذب وأن يسمع الكذب فهو لا يسرع الى تصديق محدثه إلا لهوى في النفس او اذا ادعى التصديق وهو مكذب. ومن أجل ذلك يدعي الرجل في البيئة الاذل أنه أذكى من الرجل في البيئة الاخرى لانه يفطن الى خداع المخادع وسوء الظن بالقول والعمل حتى ولو كانا صالحين. بينما قد ينخدع الرجل في البيئة الاعز لانه لا يفرض الكذب في الناس قدر افتراض الاول وهذا هو السبب الذي جعل آحاد البيئة التي تذيع فيها صفات الذلة يدعون الذكاء النادر لانفسهم وقد يدعون القدرة والعزة لان الكذب والحسد والنميمة والغيبة والمكر تقوم مقام القدرة في حياة العاجز بحسب سنة الاستماتة في الطبيعة التي وصفناها وقديماً قال مؤلف الخرافة القديمة عن آلهة الخرافات (عبثاً تحاول الآلهة ان تتغلب على قوة الجهل

والفناء) تخص المجهول والفناء قوة وكأنه قد نقل الى سنة الاستماحة الطبيعية التي وصفتها

وما يصدق في حياة الانسان يصدق في حياة الحيوان أيضاً لان الحاجة واحدة فالثعلب اضعف من الاسد وهو لذلك أكثر مكراً ودهاء وكذباً ودماءة الفاظ انما نشأت في أول الامر لتحمي الضعيف من سطوات القوي وتشمل الدماءة الالفاظ الجميلة والدعوات المفرغة وهي لغو وكلها اشياء قد تحجب القسر وتزهد في ان يباشرها وهو لا يزهد في ان يباشر القدرة بالقدرة ويعرف ذلك الاذلاء فيحتمون بها ولا تزال الدماءة أقرب إلى ألسنة الاذلاء والارقاء وذوي العاهات والمرأة اذا فقدت حياءها كانت أبرع في الشتائم من الرجل وأسرع اليها منه ثم تدرّج الناس إلى استخدام الدماءة في غير ذلة خصوصاً في الاوساط التي يشتد فيها التناحر على المعاش او على الظهور في الحياة ولكنها في اولها ناشئة من سنة الاستماحة الطبيعية واجتماع هذه الصفات كلها واستفحالها في شعب قد يحرمه السمو لتمكين اضدادها من صفات القوة في نفسه اضراراً بصفات الذلة لما قد يظهر فيها من الذكاء الرخيص كما اوضحنا ولانها استعيض بها عن القدرة فظن انها قدرة وقوة وعلى قدر تمادي المجتمع في صفات الذلة هذه يكون بعده عن مراقي الرقي والنهوض فيها قاهر النهوض لان صفاته هي صفات التخاذل والاثرة والغش التي تحبط الاعمال العامة وتمنع من الثقة المتبادلة بين آحاده ولا يفطن القوم الى ان صفات الذلة هذه وان كانت قد حالت بينهم وبين الفناء لا تصلح للنهوض فهي أداة بقاء لا أداة ارتقاء وهي إذا التبست عليه واختلطت باضدادها كانت كما يختلط الامر على الانسان فلا يميز بين الوقاحة الناشئة من فقدان الحياء وبين الشجاعة المصحوبة بالحياء والاولى من صفات الاذلاء بالرغم من مظاهرها وهي اشد ما تكون في الرقيق اذا تحكم وفي المرأة اذا بذلت فاذا تدبرنا كل هذه الامور علمنا ان زكاة التاريخ في النفوس كثيراً ما تكون زكاة مثقلة بالديون

اذا نظرنا في تاريخ مصر القديمة ونقوشها التي تصف اخلاقها رأينا النقوش في اواخر الامبراطورية الحديثة تصف صفات الضعف التي ذكرناها وتنديد بها وتلوم عليها واذا راجعنا تاريخ الدولة البيزنطية الاغريقية الرومانية رأينا فرقاً كبيراً بين الروم في اول نشأتهم عندما كانت صفات القوة النفسية ظاهرة موصوفة مأثورة عنهم مذكورة في كتب تاريخهم وبين الرومان والاغريق في أواخر عهدهم عندما صاروا الى صفات الضعف النفسي من مكر وكذب وكيد وتحاسد وتخاذل وتنابذ وغيبة ونميمة وغش ونسي ان هذه الصفات صارت أوضح أثراً في حياتهم وتاريخهم وقد كانت ولا شك موجودة من قديم الزمن شأنها في كل زمن ومكان ولكنها نمت وكان نموها كي تكون كدرع يقي بها الضعيف القوي شأن نموها دائماً في النظم الفاسدة والاوساط المختلة على ان نمو هذه الصفات وتكاثرها كان له اثر كبير في زوال هذه الامم وفنائها فهذه الصفات المنحطة هي أداة بقاء الى حدٍّ ما ولكنها اذا تكاثرت اضعفت جسم الامة وأدت الى زوالها

كوندياك وديدرو

وأثرهما في فن التربية[1]

لحسن كامل

(ملاسفة القرن الثامن عشر) تقدم فن التربية في القرن الثامن عشر تقدماً كبيراً ويرجع أغلب الفضل في ذلك الى مجهودات فلاسفة هذا القرن. ويلاحظ الباحث ان التربية لم تبق بعد القرن السابع عشر موضع اهتمام رجال التعليم فحسب بل اصبحت الشغل الشاغل لكبار المفكرين الذين أخذوا في دراسة مسائلها الدقيقة. وتوسع بعضهم في هذه الدراسة حتى وصل الى حد العمق ويكفي ان نعرف أنهم ناقشوا كل ما عرض له روسو من مسائل التربية لكي يتبين لنا أنهم لم يتركوا ناحية من نواحيها الهامة الا ودرسوها دراسة وافية وسنرى أن هذه الدراسات — على الرغم مما فيها من اخطاء — قد اظهرت للناس حقائق كانوا يجهلونها حتى ذلك العهد

كوندياك

(كوندياك (١٧١٥ — ١٧٨٠)) كان كوندياك عالماً حسابياً ماهراً نافس لوك الانكليزي في ميدان الفلسفة. ولكنهُ لم يصل الى ما وصل اليه هذا الاخير من المنزلة في عالم التربية. ومع ذلك فان لهُ كتاباً قيماً عنوانه دراسات Cours d'études يحتوي على ثلاثة عشر مجلداً جمع بين دفتيه دروسه في تربية تلميذه فردينامد حفيد لويس الخامس عشر

(تغلب روحه الفلسفية) من الخير أن تسود روح الفلسفة نظريات فن التربية. ولو كان كوندياك قد اقتصر على تطبيق الرأي القائل بان فن التربية هو مجموعة قواعد مستنتجة من علم النفس لتجنب ما وجه اليه من نقد مرّ. ولكنهُ راح يحشر في التربية مبادىء فلسفية بحتة لا تتفق — على الرغم من صحتها النظرية — مع فن تربية الاطفال فيقول مثلاً «ان طريقتي في التربية

(١) الحديث الاول من فصل في «فلاسفة القرن الثامن عشر وأثرهم في تطور فن التربية» لحسن كامل مدرس اللغة الفرنسية بمدرسة الفنون التوفيقية الاميرية. والحديث الثاني يشتمل على بحث في هلفيتيوس وكنت

لا تشبه في شيء أساليب التعليم المتبعة . ولكنها تتلخص في ضرورة أن يمر الطفل بما مر به العلماء ورجال الفن » وبمعنى آخر يجب أن يلاقي الطفل ما لاقاه التقدم الانساني من بعثه وتخبط وان يعمل ما عملته الشعوب من قبل !

ولا ريب في أن ثمة قسطاً من الصحة في خطأ كوندياك فالعلوم والفنون بدأت بملاحظات خاصة . ثم ارتفعت بعد ذلك الى مستوى المبادىء العامة . ولسنا نمارى في ضرورة انتهاج هذه الخطة بنفسها في التربية . فمن الخير أن نبدأ بأن نقدم للطفل وقائع خاصة ثم نقوده — خطوة خطوة من ملاحظة الى أخرى — الى القانون الذي يهيمن على هذه الوقائع ويلخصها. ولكن هناك بون شاسع بين طريقة الاستنباط التجريبية هذه وبين مبالغات كوندياك فليس من المعقول بتاتاً أن ننفي تماماً طريقة العرض التركيبية (la méthode synthétique d'exposition) تلك الطريقة التي تتلخص في ضرورة الاستفادة من تجارب القرون الغابرة لتعليم الحقائق الثابتة مرة واحدة ومن الخرق أن نحاول إرغام الطفل على أن يبدأ بمجرده عمل القرون مرة ثانية

وأعجب من هذا أن هواجس كوندياك الفلسفية حملته يتوهم إمكان اعداد الطفل للتحليل النفساني منذ بدء دراسته فهو يقول : « يجب أن يعرف الطفل منذ البدء ما له من مواهب وأن نشعره بالحاجة الى إستخدامها » أي ان أول ما يجب أن يفكر فيه الطفل هو التحليل النفسي ومعنى هذا أن كوندياك لا يريد أن نعمل على ان يكون الطفل يقظاً بل يريد أن نبدأ بإفهامه ما هي اليقظة !

والخطأ في هذا ظاهر اذ كيف نفكر في أن نجعل من الطفل عالماً نفسانياً صغيراً وأن تكون دراسة علم النفس الخطوة الاولى في التربية أن هذا العلم « هو اكثر العلوم دقة وأصلحها لختام مختلف الدراسات وتتويجها » ؟

(ضرورة التباحث مع الطفل) كان روسو قد انتقد فكرة لوك في وجوب « أن نتباحث مع الطفل وان نعمل على أن يستخدم عقله » فاراد كوندياك أن يرفع من شأن هذه الفكرة ويعيد ثقة الناس بصحتها فقال : « اني اعتقد أن ملكة استخدام العقل تنمو بنمو الحواس وعلى ذلك فكما أننا نستطيع أن نستخدم حواسنا منذ الطفولة فاننا نستطيع استخدام عقولنا ايضاً منذ هذه السن »

وأساس خطأ كوندياك في هذه الفكرة أنه لا يعترف للملكات الفكرية بطابع خاص بل يقول بان مصدرها جميعاً الحواس . وعلى ذلك فهو لا يفرق بين الاحساس المجرد وبين عملية استخدام العقل . وليس هناك بين المفكرين من وافق كوندياك على قوله « ان موهبة الطفل في الفهم لا تقل عن موهبة الرجل الكامل » وكل ما هنالك ان للطفل منطقاً غريزياً يساعده على إمكان البدء في استعمال عقله ولكن هذا الاستعمال العقلي لا يمكن أن يطبق الا على ما ألفه الطفل من

الاشياء المحسوسة الملموسة ومن الخطأ ان نحاول توجيهه الى استخدام عقله في تمييز الاشياء العامة المجردة أو الحكم عليها

(دروس مدنية) ونحن نلخص هنا التعاليم الاولى التي يعطيها كومنيك لتلميذه تحت عنوان «دروس مدنية» وعناصرها هي ١ طبيعة الافكار : ٢ عمليات النفس ٣ . العادات ٤ : التمييز بين الروح والجسد ٥ معرفة الاله

يعجب كل رجال التربية كيف فكر كومنيك في وضع هذه النظريات الفلسفية العالية في متناول طفل في السابعة من عمره لما يدرس بعد قواعد النحو والصرف في لغته ! ومن أكد لك كومنيك صحة رأيه وليس من شك في ان خير ما يعرض على الطفل في هذه السن هو بعض الخرافات الناعمة وبعض الاقاصيص التاريخية اذا امكن ويدعي كومنيك انه بعد ان علم تلميذه كيف يدرس الطفولة وفكر في خواصها وجد انها قد تكون أسهل ما يمكن ان يدرسه الطفل من الموضوعات واكثرها اثارة لحب الاستطلاع عنده ! !

(من التفكير) فاذا نضج عقل الطفل بفضل ما درسه من تحليل قضايا وآراء عامة في التقدم البشري أصبح في نظر كومنيك صالحاً لان يدخل مدرسة عادية يسير فيها بحسب نظام الدراسة العادي. وهنا نجد لكومنيك بعض الآراء المعقولة . فقد كتب يقول مثلاً «ان دراسة قواعد النحو والصرف مجهدة اكثر منها نافعة اذا لقنت للطفل بعد نعومة أظفاره» . ولعل من أغرب الغرائب أن يكون هذا هو رأي كومنيك في قواعد النحو والصرف وهو الذي يعتقد ان دراسة نظريات علم النفس في متناول الاطفال ! . .

ويريد كومنيك ان يبدأ تلميذه قراءة الشعر (الفرنسي طبعاً) وبعض المؤلفين المسرحيين وخاصة راسين ويعوب في ذلك «ان على الطفل ان يجيد معرفة اللغة اولاً ولا بأس من أن يدرس القواعد مجردة بعد ذلك» وقد كتب كومنيك نفسه مؤلفاً في قواعد النحو والصرف عنوانه «من الكلام» ونصح تلميذه بقراءة ثلاثة من كتبه الاخرى وهي «من الكتابة او البلاغة» و «من استخدام العقل او المنطق» وأخيراً «من التفكير» وقد اصبحت هذه المؤلفات قديمة على الرغم من ان فيها فصولاً ممتعة للغاية وقد عني كومنيك في كتابه بتنسيق الافكار اكثر من عنايته بتنسيق الاسلوب

(اجزاء اخرى من كتاب «دراسات») . يظهر ان غرض كومنيك الوحيد هو ان يجعل من تلميذه رجلاً مفكراً . وعلى ذلك فهو لا يريد ان يبدأ تلميذه دراسة اللغة اللاتينية الا بعد ان يتكون ذكاؤه بحيث لا يجد في هذه الدراسة الا صعوبة واحدة هي صعوبة حفظ الكلمات . وكومنيك لا يستسيغ كثيراً اللغات القديمة ولا يرى ان لمعرفتها شأناً جوهرياً .

وهو يريد استبعاد اللغة اليونانية تماماً ولكنه يعلق شأناً عظيماً على الدراسات التاريخية ويقول في هذا الصدد عن تلميذه حفيد لويس الخامس عشر « بعد ان عرف الامير كيف يفكر اصبح غرضه الاساسي الالمام بالتاريخ »

(التفكير الشخصي) عرف كوندياك مكانة التفكير الشخصي ومقامهُ موضع كفاءة الحكم على الامور فوق قوة الذاكرة . وقد يكون فيما سنذكره من كلام كوندياك ما يرفع من قيمته كثيراً بعد ما وجهناهُ اليه من نقد كثير

يقول كوندياك : قد يكون التربية التي يقصد بها تثقيف الذاكرة نتائج باهرة ولكن هذه النتائج لا تدوم الا مدة الطفولة . وكل من لم يحفظ الا عن ظهر قلب جاهل . ومن لم يتعلم كيف يفكر لا يعد متعلماً او هو نصف متعلم وهذا اقبح بكثير » . ويقول ايضاً « لا تكون المعلومات نافعة الا اذا كانت ثمرة من ثمرات التفكير . ونحن نعرف الاشياء التي نستطيع ان نذكرها عند الحاجة معرفة اتمَّ من تلك التي لا نستطيع ان نذكرها اذا اردنا وعلى ذلك فلا يكفي أن نزوّد العقل بالمعلومات بل يجب ان نتركه يبحث وينقب بنفسه ليعلّم نفسه بنفسه . وان مسئلة ارشاد العقل هي اهم المسائل . فاذا كان ارشادنا له منظماً تكوّنت عنده آراء صحيحة وتمكن من فهم نتائجها وعلاقة بعضها ببعض »

ويخرج كوندياك من كل ذلك بأن تربية الرجل نفسهُ بنفسه افضل كثيراً من تربية الغير له

(نقده للاسراف في التعبد) وقد كتب كوندياك صفحات رائعة صب فيها نصائحه لتلميذه الامير محذراً اياه من الاسراف في التعبد . ونحن نكتفي بأن نذكر منها هذه الكلمات : « مولاي حذار من الاسراف في التعبد فان من شأن التدين الاعمى ان يصرفك عما يجب عليك القيام به من الفروض الدينية . واياك ان تصلي دائماً لمجرد ان الصلاة واجبة . واعلم ان القساوسة سيستدعون ترددك على الكنائس لتنتهي بأن تعمل بعملهم ويحلّوا محلك

ديدرو

(ديدرو (١٧١٣—١٧٨٤)) مؤلفات ديدرو حيالية الملحة في بعض الاحيان وقد يدهش من لم يقرأ له الا هذا النوع من المؤلفات ان يرى اسمه بين اسماء المربين . ولكن هذه الدهشة لا تلبث ان تزول اذا ذكرنا ان ديدرو كان كثير التنقل في ابحاثه يحب ان يجدد مواضيعها فبينما نجد له دراسات دسمة مجهدة نجد له ايضاً دراسات اخرى سهلة مسلية

(مؤلفاته في التربية) وعلى اي حال فليس هناك محل للريب . فقد اهتمّ ديدرو بمسائل التربية فعلاً ووضع كتابين فيها اولهما في عام ١٧٦٣ وعنوانه « نقد كتاب هلفيتيوس عن

الانسان » وثانيهما في عام ١٧٦٦ وعنوانه « برنامج الجامعة » وهو الكتاب الذي وضعه تلبية لطلب كاترين الثانية وضمنه برنامجاً كاملاً للتعليم

(صديقة كترين) لم يكن لديدرو الشخصية الطبيعية التي تسمح له بأن يكون مربياً كاملاً ولكن رجاحة عقله ومواهبه الاخرى الطبيعي منها والمكتسب حملته على ثقة كاترين الثانية تلك الثقة التي ظهرت في تكليفه وضع برنامج لتنظيم تعليم الشعب الروسي

وديدرو الى جانب ذلك مفكر عالم متمكن في شتى العلوم . وقد عرف بشغفه لتنظيم الآداب وظهر هذا الشغف في اشتراكه في اعمال « الموسوعة » الفرنسية كما انه كان شديد التعلق بشكسبير وبالنظم الحديث ولكنه كان في الوقت نفسه شديد الميل الى الآداب القديمة النموذجية حتى لقد قيل ان قراءة اغاني هوميروس كانت في نظره كترتيل الصلوات في نظر القساوسة

(ضرورة التعليم) ويمتاز ديدرو عن معظم معاصريه وعن روسو نفسه بعقيدته الراسخة في اثر التعليم من الوجهة الخلقية فهو يقول : « ان التعليم يرقق الاخلاق ويساعد الانسان على فهم واجبه فهماً صحيحاً . وهو يقضي على الرذائل او يخففها » ويستنتج ديدرو من ذلك ان التعليم ضروري للجميع لا فرق في ذلك بين الكبير والصغير . ونادى ديدرو بضرورة فتح ابواب المدارس لجميع الاطفال على ان يتلقوا فيها القراءة والكتابة والحساب وتعاليم الدين المتعلقة بالاخلاق والسياسة بل انه طالب بأن يكون التعليم اجبارياً ومجانياً بحيث « يجد الطفل في مدرسته خبزاً لتغذيته بجانب ما يجده من كتب لتعليمه

(فكرة التعليم العام) وكان رأي ديدرو ان يعهد للدولة في ادارة شؤون التعليم ويقول ان هذه هي الوسيلة الوحيدة التي يصبح بها نظام التعليم مستنداً الى اساس قوي متين . وكان مثله الاعلى ان يترأس الجامعة رجل من رجال الدولة يعهد اليه في شؤون التعليم العام بأسرها على ان يهيمن بنفسه على الامتحانات ويعين نظار المدارس ويفصل الطلبة والاساتذة والمدرسين

(نقد معاهد العلم الفرنسية) وكانت المدارس الثانوية تسمى اذ ذاك كليات الفنون وقد وجه ديدرو اكبر قسط من اهتمامه الى نقد الطرق المتبعة فيها . واليك شيئاً من هذا النقد « لا يزال رجال التعليم يدرسون في كلية الفنون ما يسمونه الآداب الجميلة وليست هذه الآداب الا لغتين ميتتين لا ينتفع بدراستهما الا عدد قليل من الافراد والاغرب من هذا أنهما تدرسان ستة أو سبعة أعوام من دون أن يصل الطالب إلى اتقان إحداهما . ويدرسون أيضاً البلاغة وهي فن الكلام قبل تدريس فن التفكير أي أنهم يحاولون تعليم التلاميذ طرق تنسيق العبارة قبل أن يفكروا في تزويدهم بالآراء الصحيحة . ولا يزالون يدرسون المنطق ويرغمون الطلبة على أن يحشوا رؤوسهم بدقائق من أرسطو ونظريته في الاستنتاج التي لا فائدة منها بتاتاً . ولا يزالون يدرسون

الاخلاق ولا أعرف بالضبط ما يقولونهُ للطلبة عنها . ولكني أعرف أنهم لا يقولون كلمة واحدة عن ملكات العقل والعقل وصفاتهما ويدرسون أيضاً ما يسمونهُ علم ما وراء الطبيعة فيثيرون بذلك في رؤوس الطلبة مسائل تحوطها الاشواك ولا تؤدي دراستها إلا إلى التشكك والتعصب ويدرسون علم الطبيعة فيبذرون جهودهم في مناقشات عن المادة يدرسون كل ذلك ولكنهم لا يقولون كلمة عن التاريخ الطبيعي ولا عن الكيمياء ولا يذكرون إلا بضع كلمات عن علم وظائف الاعضاء وتجارب الاجيال السابقة والجغرافيا

***

(الاصلاحات التي يقترحها ديدرو) وبعد أن وجه ديدرو كل هذه الانتقادات الى التعليم في أيامه أخذ يشرح ما يقترحه هو من اصلاحات لعلماء بعضها معقولاً والبعض الآخر خاطئاً

كان لديدرو رأي — أخذه عنهُ فيما بعد اوجست كونت والمدرسة الواقعية — وهو أنهُ يجب أن نربط العلوم ونرتبها بحيث يكون كل علم قائماً على أساس ما سبقه من العلوم ويسهل في الوقت نفسه دراسة العلم الذي يليه على أن يكون رائدنا في هذا الترتيب فائدة كل علم بالقياس الى الآخر ولقد وزع ديدرو الدراسات المدرسية على أساس هذه الفكرة وهو يقول أن ترتيب العلوم من وجهة التربية يختلف عن ترتيبها المنطقي وذلك لان الاتصال الطبيعي لعلم من العلوم بالعلوم الاخرى يعين له مكاناً خاصاً يختلف عن المكان الذي يجب ان يشغله للفائدة التعليمية التي تعود من وجوده في هذا المكان

ولكن ديدرو ينسى أنهُ في توزيع الدراسات لا يجب الأخذ بمبدأ الفائدة التعليمية فحسب بل المهم أن نرتب العلوم بحيث تتفق وتقدم سن الطفل ونمو استعداده العقلي

(تفضيل ديدرو للعلوم) وعلى الرغم من أن شغف ديدرو بالعلوم لم يكن أكثر من شغفه بالآداب الا أنهُ لم يعط للتربية الأدبية ما أعطاه للتربية العلمية من الشأن . وقد أخذ بهذا المبدأ بعده كوندورسيه وأوجست كونت . وديدرو يفضل العلوم الى حد أنه يخصص الخمسة الاعوام الاولى للدراسة في كلية الفنون لتعلم الرياضيات والميكانيكا وعلم الفلك والطبيعة والكيمياء . ويترك ثلاثة الاعوام الثانية لدراسة النحو والصرف واللغات القديمة

ويقول أحد علماء التربية أن خطأ ديدرو في هذا الرأي لا يقتصر على أنه غض كثيراً من قدر الآداب وانتقص من قيمتها بل انهُ وزع الدراسات العلمية نفسها توزيعاً خاطئاً فوضع الرياضيات قبل الطبيعة واعتبر دراسة الجبر اسهل من تعلم القراءة . وانه من الخطأ ان نجهد انتباه الطفل بارغامه على دراسة مسائل عديدة مبهمة مجردة تاركين بذلك حواسه من دون عمل وأن نرجىء الى ما بعد ذلك دراسة التاريخ الطبيعي والطبيعة العملية وهي الدراسات التي توافق

الاطفال ماعرف ديدرو حسه فهو يقول عنها أنها تمرين مستمر لحواس النظر واللمس والذوق كما أنها تمرين نافع للذاكرة

ولا يكفي لاعتبار خطأ ديدرو أن نعرف أنه يتكلم عن طلبة كلية الفنون وهم طلبة في سن الثانية عشرة بيد أنه لا ريب في أن عقل الطالب في هذه السن ليس من النضوج بحيث يستطيع أن ينصرف تماماً ستة أعوام أو سبعة لدراسة اصطلاحات العلوم الرياضية الباردة

(رأيه في ماهية الآداب) وموقف ديدرو من الآداب القديمة مدهش حقاً فبينا نراه يرجيء دراسة هذه الآداب إلى سن التاسعة عشرة او العشرين ولا يخصص لها في هذه السن إلا عاماً واحداً نجده يتكلم عن القدماء وخاصة عن هوميروس في حماسة شديدة غريبة فيقول مثلاً « ان هوميروس استاذ عظيم أدين له بكل ما لي من قيمة ان كان لي قيمة . وان دراسة اللغتين اللاتينية واليونانية هي السبيل الى اكتساب سلامة الذوق »

فكيف نفسر هذا التناقض الغريب في موقف ديدرو ? هناك من المؤلفين من يقول بأن ديدرو كان يعتقد ان الآداب الحية لا تصلح الا لتكوين الخطباء والشعراء وانها لا تصلح لانماء ملكات الفكر وبما كانت هذه الدراسات نوعاً من الزخرف فهي لا توافق الا اقلية صغيرة من الطلاب ولا يمكن لهذا السبب أن تسبق دراسات الغرض منها التربية العامة للناس جميعاً ويقول آخرون ان ديدرو كان يجهل ان هاتين اللغتين اداة عجيبة للتمرين العقلي وانهما احسن الوسائل واكثرها سهولة لاكتساب صفات الدقة والوضوح وصحة الحكم وهي صفات لازمة لكل اعمال الحياة

***

(رأي مارمونتيل) ويظهر ان ديدرو كان يعتقد أن دراسة اللغات هي مجرد استذكار مجموعة من الكلمات وأنها لذلك لا تصلح الا لتمرين الذاكرة وتقويتها ولكن مارمونتيل وهو أحد معاصري ديدرو الذين لم يصلوا الى مرتبته في النبوغ وجه الى رأيه هذا نقداً مراً وكان اصوب منه في الحكم على فائدة دراسة اللغات عند الصغر فقد قال

ان عملية انتقاء الكلمات واستبدالها ، تلك العملية التي نقوم بها اثناء النقل من لغة الى أخرى ليست تمريناً مفيداً للذاكرة فحسب وإنما هي عملية تقتضي تحليل الافكار وان دراسة اللغات هي دراسة لفن تمييز الفروق الصغيرة بين الافكار وتجزئة هذه الافكار لفهم دقائقها والعلاقة بينها وان حفظ كلمات جديدة من لغة اجنبية ليصحبه دائماً اكتساب آراء جديدة ولذلك فاني اعتقد أن تلاميذ السنين الاولى الذين يدرسون اللغتين اليونانية واللاتينية يتعلمون في نفس الوقت مبادئهم في الفلسفة أعظم ثروة واكثر اتساعاً وفائدة مما يتصور الانسان

سياحة الى باطن النجوم

لفخري معلوف

دائرة العلوم الطبيعية بجامعة بيروت الاميركية

قد يعجب القارىء الكريم ، اذا لم يكن ملمًّا بعلم الفلك ، من نص هذا الموضوع . وكأني به يقول : ما عسى هذا الكاتب ان يحدثنا عن داخل النجوم ، أتراه يطلق لخياله العنان ، فيطلع علينا بقصة شعرية تصف لنا ما في بواطن الاجرام من اهوال ، طمعاً في ان يجعل من الخلود محلّ ملك او داني او المعرّي . والاّ فكيف له ان يزعم الحصافة العلمية في مثل هذا البحث وهو يتناول بقعة من الكون هي اقصى ما يكون عن عالم الحس والادراك المباشر

مهلاً ايها القارىء العزيز ، فقد تقتنع قبل ان تأتي على آخر المقال ، بان هذا الموضوع ليس بغريب عن عالم البحوث العلمية في محاولة اصحابها استجلاء غوامض الكون . وسترى فيه عمل الخيال في فرض ما يمكن ان يكون عليه باطن النجوم ، ثم ترى عمل الفكر الاستنتاجي في تتبع ما يجب ان ينتج حتماً عنها لو صحت النظريات ومتابعة هذا الاستنتاج الى ان يتصل بعالم الحس والادراك المباشر ، وكذلك ترى النظرية التي كانت من قبل مختفية تحت حجب لا تخترق ، ماثلة امام محكمة الاختبار ، المحكمة التي لا تعترف العلم سواها

•••

﴿ كيف ندرس النجوم ﴾ كلنا يعلم ان نور الشمس عندما ينكسر في منشور زجاجي ، ينحلّ الى ألوان قوس قزح وسبب ذلك هو ان النور الابيض مزيج من ألوان مختلفة واختلاف الالوان معناه اختلاف موجات النور التي تحدث تلك الالوان . ولما كانت زاوية الانكسار تتوقف على طول موجة النور المنكسر ، فالالوان المختلفة تنكسر على زوايا مختلفة فيجمع أطولها ، وهو الاحمر ، على جانب وأقصرها ، وهو البنفسجي على الجانب الآخر ، وتتدرج بقية الالوان بينهما . وقد اصطلح العلماء على تسمية مجموعة هذه الالوان بالطيف

على ان لو فحصنا طيف الشمس فحصاً دقيقاً لوجدناه غير مستمر كما يبدو لاول وهلة ، وانما تقطعهُ خطوط سود دلالة على ان هنالك موجات ذوات أطوال معينة لم تتخلص من جو الشمس اذ امتصتها بعض المواد التي هناك . فكل خط أسود معناه موجة مفقودة وكل موجة مفقودة دلالة على مادة معينة موجودة في غلاف الشمس ولما كان من الامور اليسيرة في المختبر معرفة الموجات التي يمتصها كل عنصر تمكن العلماء من تعيين العناصر التي يتألف منها جو الشمس بواسطة الخطوط السود في طيفها وكذلك تمكنوا من تعيين المواد الموجودة في اجرام النجوم بدرس اطيافها

لا يكفي ان تبوح هذه الاطياف بسر المواد التي تتألف منها اجواء النجوم ولكنها تفشي لنا اسراراً اخرى لا تقل عنها شأناً من ذلك انها تخبرنا عن شدة الحرارة في سطوح هذه الاجرام . واليك كيفية ذلك اذا احمينا قطعة من الحديد على النار ارتفعت حرارتها حتى تصل الى درجة الاشعاع اذ ذاك نرى نوراً احمر منبعثاً من الحديدة فاذا مضينا في احمائها رأينا ذلك النور يميل الى الابيض فالى الازرق . هذه التجربة البسيطة تريناً ان هناك علاقة بين حرارة الاجسام وبين لون النور المنبثق منها ، وبذلك يتمكن مراقب القبة الزرقاء بالعين المجرّدة من التمييز بين النجوم من حيث الحرارة ، فكلما مالت النجمة الى الاحمرار كانت اقرب الى البرودة وكلما مالت الى الزرقة دلّ ذلك على شدة حرارتها . على انا لو اردنا ان نجري هذه التجربة بدقة لحللنا النور المنبثق من الحديدة الى طيفهِ ولوجدناه يقتصر في بادئ الامر على الاحمر فقط ثم كلما ارتفعت الحرارة اتسع الطيف وظهرت فيهِ الموجات القصيرة بالتتابع فدرس الطيف اذن يمكننا من تحديد درجة الحرارة في الجسم المشع

نرى اذن ايها القارئ الكريم كيف ان هذه الاشعاعات الضئيلة التي يحملها لنا الاثير من الاجرام القصية تحمل رسالات بينة لقوم يعقلون ولقد اصبح تحليل الاطياف ودرسها (Spectroscopy) علماً قائماً بذاته

اطلت الشرح قليلاً في هذه المسألة على الرغم من كونها لا تتصل اتصالاً وثيقاً بموضوع البحث وما ذلك الاّ على امل ان أبرز ثقة العلماء بالابحاث الفلكية فلا يحسبها كما يعمل الكثيرون مجرّد تخيلات وافتراضات . بل نرى كيف انها تقوم على اختبارات حسية لا تدع مجالاً مبيحاً للريب على ان الرجوع بكل المسائل الى جذورها كما فعلت بهذه يجعل من مقالتنا كتاباً ضخماً . ولذلك سأقتصر في اغلب الاحيان على ذكر النتائج رأساً

لا أخالك تعجب بعد الآن اذا اخبرتك ان عالم الفلك يمكنه ان يعين حرارة اي نجم تراه بدقة يعجز عنها الطبيب في تعيين حرارة عليله . ولو اتسع امامي المجال لأقنعتك ايضاً انهُ بواسطة

نظرية نيوتن في الجاذبية تمكن العلماء من تعيين اثقال عدد كبير من النجوم بدقة يقصر عنها ميزان العطار . ثم انه بمعرفة مقدار الطاقة المنبثقة من النجم مع معرفة الحرارة على سطحه يمكن تعيين حجم ذلك النجم . وبمعرفة الحجم والثقل لجرم واحد يتعين معدل كثافة المادة في ذلك الجرم

﴿ ماذا نعرف عن النجوم ﴾ يعتقد العلماء ان النجوم تتألف من ذات العناصر التي تتألف منها الشمس . على ان النظام الدوري الذي هو اساس اختلاف العناصر المعروفة على الارض ، لا يثبت في ظروف الضغط والحرارة في باطن النجوم ، بل ان الذرة تتفكك الى اجزائها فتستقل كل واحدة منها بحركتها . وهذا يعرف بفعل التأيُّن (Ionization) وقد كان من نتيجة ذلك ان العناصر الثقيلة لا تظهر في النجوم الحارة ولكنها تبدأ بالظهور المتتابع كلما مال النجم الى البرودة . فلو اقتطعنا قطعة من اي نجم كان وتركناها تبرد حتى تصل الى حرارة الارض لكان لنا منها مواد لا تختلف عن عناصر الارض في شيء

ولقد ادَّى درس خصائص النجوم من مثل اثقالها وحرارتها وكثافاتها الى نتائج لا تخلو من غرابة كما انها تبعث على التفكير في ما عسى ان تكون اسبابها . من ذلك ان هذه الخصائص لا تتصل بالنجوم الاَّ في آماد معيَّنة ولتبيان وجه الغرابة في ذلك لا بدَّ لنا من مثال يقربها من مدركاتنا المألوفة . لو سألنا عن مدى احجام الحجارة لم رأيت تساؤلنا معنى . وذلك لان الحجارة ذات احجام لا حدود لها نعرفهُ تنتهي اليها في الكبر او الصغر فيمكننا ان نجد حجراً او على الاقل نتخيَّله ، من اي حجم كان . اما لو كان غير ذلك اي لو ان الحجارة لا تكون الاَّ بحجم لا يصغر الشذرة ولا يكبر الرابية لكان هنالك مجال للسؤال عن سبب هذا الانحصار ولكنا نبحث عنهُ في النواميس الطبيعية . على ان هذا الخط ان فاتنا في الحجارة فهو لم يفتنا في امر النجوم فانها ذوات آماد معيَّنة لا تتعدَّاها من حيث الثقل والحجم وشدَّة الحرارة وشدَّة اللمعان

ثم ان العلماء اكتشفوا علاقات بين هذه الخصائص مما يدل على النواميس الصريحة التي تقيد النجمة في تطوُّرها ونحن ما نزال نحتاج الى استجلاء تلك النواميس . واليك مثلاً على ما نعني بهذه العلاقات . اننا نعلم ان هنالك نجوماً عديدة حرارة سطحها حوالي ٥٠٠٠ درجة مئوية (سنتغراد) ونعلم ايضاً ان هنالك نجوماً عديدة قطرها عشرة اضعاف قطر الشمس ولكننا لا نعرف نجمة واحدة لها هاتان الخاصتان معاً . مثل هذه الموافقات لا يمكن ان تنسب الى الصدف وانما هي من المعالم التي تهدينا الى حقيقة النجوم وطريقة تكوينها

ثم ان هنالك احداثاً غريبة نعرفها في عالم النجوم . من ذلك نجوم ذات لمعان متغيّر يتضاءل نورها ثم يتزايد وهي تسير في تغيُّرها على نمط واحد وفي مدَّة ثابتة لا تتغيَّر مما يدعو العالم المفكر

الى السؤال عن سبب قلق هذه النجوم واذا توفّق الى الجواب عاد يسأل عن سبب ثبات النجوم الاخرى وعدم تغيّرها . وهناك نجوم اخرى تكون الواحدة منها في بادئ امرها ضئيلة غاية في الضآلة تكاد لاتدرك بأعظم المراقب واذا بها تتحوّل فجأة الى نجمة من اشد نجوم السماء لمعاناً فكأن انفجاراً هائلاً حدث فيها وتبعه انهمار غير عادي من الطاقة الحراريّة . هذا ايضاً من الاحداث المشكلة التي تنتظر حلاً في نظريّات العلماء عن تكوّن باطن النجوم

عساك تدرك الآن ايها القارئ العزيز ، بعد اتمام النظر في ما مضى ان بحثنا في تكوّن بواطن النجوم ليس من نوع التخيّلات الشعريّة التي لا تمحّص ولا تؤيد ، من ان نظريّة يمكنها ان تعلل لنا سبب اختيار النجوم للأبعاد المحدودة التي تختص بها من حيث الثقل والحجم وشدّة الحرارة وشدّة اللمعان ، وتظهر لنا علاقات هذه الخصائص بعضها ببعض منطبقة على ما نعرفه عنها بالمشاهدة ، وتطلعنا على اسباب الاحداث التي تعرض للنجمة في بعض اطوارها — اقول ان مثل هذه النظريّة لا يمكن ان تكون خلواً من بعض انوار الحقيقة

***

(نظرية ان النجوم كتل غازية) يقدّر العلماء وزن الشعاع الذي يترك سطح الشمس (والشمس احدى النجوم العاديّة) في الثانية الواحدة بأربعة ملايين من الاطنان، هذا المقدار الهائل من الطاقة يحدث من سطح الشمس وينطلق في الفضاء موجات كهرطيسية بسرعة ثلاثمائة الف كيلومتر في الثانية . على ان هذه الاشعاعات لا تكوّن على وجه الشمس كما يبدو لاوّل وهلة ولكنها تولّد اوّلاً في الاعماق السحيقة ولا بدّ لها قبل تحرّرها النهائي من صرف بضع مئات من السنين في عراك مستمر مع جزيئات المادة التي تكوّن جسم النجمة . فبينا تراها منطلقة في اتجاه معيّن اذا بها تصطدم بذرّة من ذرّات المادة تمتصها وتسيرها ثم تحدث ما يجعلها تنفلت ثانية من قيد هذه الذرة لتسير الى مغامرة ثانية . مثل هذا التصادم قد يحدث لها الف مرة في $\frac{1}{(10)}$ من الثانية ويستمر مدة لا تقل عن بضع مئات من السنين ولا ينتهي الا بأن تصل هذه الموجة صدفة الى سطح الشمس فتنطلق بسلام الى اللانهاية ما لم تقع في قبضة جرم آخر كالارض مثلاً وهذا نادر جداً

واذا ذكرنا ان موجات النور وما شاكلها من الامواج الكهرطيسية ، تحدث ضغطاً في جهة اتجاهها وان هذا الضغط ، وان يكن زهيداً بالقياس الى مقادير الشعاع الضئيلة التي تصطدم الى قياسه بها عند سطح الارض فانه متى بلغ تلك المقادير الهائلة في النجوم كما ذكرنا يصبح ذا

شأن لا يستهان به، بل انه بحسب نظرية أدينغتن Eddington من العوامل الرئيسية في تكوُّن النجوم على ما هي عليه

في مقدمة الذين بحثوا امر تكوُّن النجوم الفلكي الشهير لاين (Lane) الذي نشر بحثه سنة ١٨٧٠ فقد عالج لاين النجمة على انها كتلة غازية ولكن في زمانه لم يكن يعرف نجوم لها كثافة تتلاءم مع الكثافات التي تعرفها الغازات. فمعدل كثافة الشمس مثلاً ١،٤ غرام للسنتمتر المكعب اي اكثر من كثافة الماء بأربعين في المائة ولذلك نظر العلماء الى ابحاث لاين على انها ذات شأن نظري ولكنها لا تنطبق على الواقع. غير انه بعد زمن لاين اكتشفت نجوم ذات كثافات غازية بل ان منها ما تبلغ به اللطافة الى حد هو اقرب الى الفراغ المطلق من اي فراغ يمكن احداثه على سطح الارض. مثل هذه الاكتشافات شجعت الباحثين الحديثين على درس الكتل الغازية ثقة منهم ان مثل هذا الدرس ان لم ينطبق على جميع النجوم فهو ولا شك منطبق على بعضها

لنساير أدنغتن في تفكيره. فهو يفرض كتلة غازية كروية الشكل ويأخذ طبقة كروية من هذه الكتلة على بعد معين من مركزها. في النجوم العادية ذوات الاحجام الثابتة تظل هذه الطبقة على حالها دون تقلص او تمدد مما يدل على ان القوى المختلفة التي تعمل عليها انما هي في توازن. ما هي تلك القوى؟ هنالك اولاً قوة الجذب المركزية التي لو تركت لتعمل وحدها لاحدثت تقلص الكتلة وبددت كيانها. وهنالك قوة الدفع الناتجة من مجرى الاشعة وهي اشبه شيء بريح عاصفة في قلب النجمة. وهي لو تركت لتعمل وحدها لنثرت النجمة في الفضاء اللانهائي ولبددت كيانها كذلك. وهناك اخيراً قوة الضغط الغازية في داخل النجمة وهذه ايضاً لو تركت لتعمل وحدها لادت بالنجمة الى الانتشار اللانهائي. اذن فالنجمة الغازية ليست غير توازن بين هذه القوى

وضع ادنغتن المعادلات التي تمثل توازن هذه القوى وتابع نتائجها الرياضية فادت به الى ناموس يربط شدة لمعان النجمة بكتلتها او بمقدار المادة المتجمعة فيها. وقد عزز الاختبار نتيجة هذه المعادلات فان النجوم المطلقة وجدت مؤيدة لهذه العلاقة بين الكتلة وشدة اللمعان

وقد احب ادنغتن ان يختبر مقدار شذوذ النجوم ذوات الكثافات الطبيعية عن هذا الناموس الغازي (العلاقة بين الكتلة وشدة اللمعان) فكانت النتيجة المدهشة، وذلك ان كل النجوم العادية كانت كثافاتها ما كانت لاتحيد عن ذلك الناموس. ما معنى هذا ان يعني؟ أيمكن ان تكون النجوم ذوات الكثافات المعدنية غازية في تصرفاتها؟ هذا ما سنتناوله في مقال تال ان شاء الله

خيري

الشاعر والفنان

لحليم متري

أدركه الموت منذ أسابيع في لبنان رحمة الله عليه

لم يستطع أن يغالب الموت وأن يظفر من الحياة بالشفاء، بل استعطاه الموت حيناً، يوم اعتزم الرحيل الى لبنان، فترك مصر ممتلئاً بأحد حظه من الصحة والنشاط. فاذا استقر هناك عاد اليه هذا الشبح المخيف متقدماً نحوه رويداً رويداً، متحيناً فرصة كهذه الفرص التي ينتهزها الماكرون. فاذا ألحت عليه العلة وضعف الامل في الشفاء، فقد جثم الموت على فريسته وعاد كأنه لم يشعر أحداً بسوء ولم يختطف من المصريين شاعر الفرنسية الموهوب وفنان الموسيقى البارع الذي عرفته فرنسا وعرفته قبل أن يذيع اسمه في وادي النيل

وددت أن أدعوه كما أحب وكما كان يعرض اسمه على أصحابه من الادباء والفنانين فرصاً.

كان رحمه الله قوي النفس والشعور ذكي القلب في عينيه هذا البريق الذي يدل على عبقرية الفنان، اذا تأملته تصورت شاباً زاخراً بالحياة مليئاً بالقوة وإذا ما جلست اليه لمحت وجهاً يفيض احساساً بالوجود واستقصاء لمكنوناته وانك لتحكم عليه للنظرة الاولى بأنه شاعر او فنان وانه لابد وان يمت للادب بصلة يتحدث اليك في رفق ولين. تحس حديثه عذباً حلواً فيه هذه الجوانب التي تحبب للسامع الاسترسال والتعمق والرقة والتي كانت تتيح للشاعر ألواناً متباينة من الآراء والخواطر

نشأ الشاعر خيري في جو ارستوقراطي من هذه الاجواء المشبعة بالتقاليد فظل طيلة حياته محافظاً شديد الحرص على التقاليد الاجتماعية على أنه في نزعاته العامة كان يكره هذا النوع من المحافظة وكان يمج هذا الضرب من الارستوقراطية كانت هذه المحافظة تنتسب اليه ويشاء هو ألا ينتسب لها كان اذن ديموقراطياً بل حراً الى أقصى حدود الحرية لم تحن الارستوقراطية

على حياته فتفسدها . وانما كانت الارستوقراطية عوناً للشاعر على هذه العزلة التي يجنح اليها بعض الشعراء والأدباء .

نشأ خيري إذن في هذا الجو فأرسله ذووه في حداثته الى المدارس الفرنسية فشب وهو مولع باللغة الفرنسية والأدب الفرنسي . وكان يصل الى هذه المجالس الأدبية التي كانت تعقد في دار أبيه . وهناك تعرّف بالشاعر المصري المجيد « اسمعيل صبري » الذي كان يتبادل واباه أحاديث الأدب والشعر ثم تشوّق الى معرفة أديب الفرنسية المصري وشاعرها الامير « حيدر فاضل » وكثيراً ما دعاه الامير الى قصره ، فتوطدت بينهما هذه المعرفة التي قامت على الأدب . وهكذا بدأ شاعرنا — خيري — في شبابه الأول يدرس شؤون الأدب ويستوعب حياة الشعراء والأعلام وشتى المجتمعات الأدبية التي تضم طوائف مختلفة من الناس ليشهدوا كل ما يُطرقُ فيها من موضوعات الأدب والفن . حتى اذا قدّر له أن يسافر الى باريس قبل الحرب تعرّف بجمهرة الأدباء والشعراء والصحفيين وعاش هناك فترة طويلة نشر في أثنائها كثيراً من فتات يراعته وانتاج عبقريته شعراً فرنسيًّا عليه هذه المسحة الشرقية الوضاءة بل هذا الطابع المصري القوي . وكان يختلف الى صالونات الأدب والشعر في باريس بهمّ بمقارعة أنداده من الشعراء والكتّاب حتى تبينوا هذا الأسلوب « الكلاسيكي » في شعره . وكانت له جماعة كبيرة في يوم من الأيام تتحدث عنهُ وتشيد بأدبه وكانوا يعنون ببحث خواص شعره وتحديد أسلوبه . فمنهم من كان ينقده ومنهم من كان يعجب به . ثم عاد الى مصر بعد ان أصدرت له بعض دور النشر طائفة من دواوينه فتلقتها الأوساط الأدبية بالنقد والتقريظ . على أن « خيري » كان من هؤلاء الشعراء الذين تحصل شاعريتهم أفق مداركهم فتراهم يصيبون من المعاني الرفيعة ما يقصر عنها جهد الشعراء المفكرين . كان لا يتعمل الشعر ولا يصنعهُ ولكنهُ فيضٌ من الشعر الفرنسي يُفاض عليه في أسلوب جذاب وفكر موهوب . ولقد كانت تتلمع الصور الرائعة في حسه ، فيخرجها في المعنى العالي واللفظ المختار فما كانت له اللغة الفرنسية بالشيء الشامس . ولقد ظفر الشعر من « خيري » بهذه المناحي النفسية العميقة التي يحملها عقل الشاعر وحسه معاً والتي يعرض فيها الشاعر اعلاء من التفكير العميق في أبلغ صورة للعاطفة المتقدة . لم يفهم الشاعر من شعره الا هذا التوافق المعنوي في امتزاج عقله بعاطفته . لم يكبر العقل ولم يكبر العاطفة وانما كان العقل في شعره قويًّا فذًّا مُمضًى . وكانت العاطفة في شعره قوية جياشة فلم تستدق كما استدق العقل على القاريء وانما استقلت العاطفة بالوضوح

ولقد كان هذا وحده حديث النقاد اذ لم يتفهموا معنى هذا الغموض . ولم يتعرفوا وجوهه وأنما هو بعض ما استوى للشاعر من قوة في الاخراج وابتداع في المعاني . وكثيراً ما تقدم اليه أقطاب من أدباء الفرنسيه يسألونهُ فيمَ هذا النوع من الابهام فكان يُرسل فيهم من بلاغته

ووفرة محصوله من دعاهم الى الاعتراف بهذا الانتاج الشعري المتنوع وما يضمره من بلاغة رفيعة. ولقد تمددت بلاغة « خيري » بتقصي ما أوثر في شعره من نسج متلاحم ولفظ منتقى . وجماع القول في هذه الناحية أن شعره يتميز بالتجويد اللفظي يحمله العقل أخيلة رائعة عميقة المعنى وهذه الشاعرية المصرية الصميمة حملت ضروباً من شدة الفطنة وصفاء الذهن ورهافة الحس ودقة الذوق

ولقد غلبت على شعره هذه الناحية الحزينة الصامتة التي يجلوها الظلام ويكسبها الصباح . ولعلك تستطيع ان تلمس هذا الحزن اذا قرأت قطعاً أو ابياتاً من قطع في ديوانه ولا ادل لك على روعة هذه القطعة التي يقف فيها عند القبور فيطيل الوقوف والتي اسماها « صفصافتي » حيث يستجمع من طبيعة هذه الشجرة درساً بليغاً في فلسفة الأبدية وجلال الفناء . . . وفيها يقول « أما انت أيتها الصفصافة الساكنة الكئيبة المترفة البعيدة عن مباهج الحياة المزوية في ركن الوحدة فلا يطرق اذنيك سوى تنهدات وأنات اولئك الاحياء الباقين وزفراتهم المؤلمة المتساقطة من اعماق نفوسهم المتحسرة وهذا النشيد المبيت الذي سيودي بك يحيي بحزن اغصانك المتحنية الباكية فكأنها بهذا التدلي الأبدي تنقل الآلام المنبثة من قلوب الاحياء المعطرة . يا صفصافة دموعنا يا صديقة متوسدي الثرى قد يكون اغصانك على اجداث الموتى فوق زهور الراحلين ذات الاكمام الثلجية حناناً منك ورأفة فتميلين لتبكي على تلك الارض الغامرة . شأنيت السلوى وتبغي عليها حنانك ورحمتك » او قطعته الخالدة النبيلة « الاحتفالات النصابية » او قصيدته المتفردة « الأرواح العائدة » التي يقول فيها « أيتها الروح الحائرة . يا روح الأم المتحير عطفاً السعيد بهذا العطف . ليسهر في بكائه على ابنه العزيز بسمو بالحب الاموي القوي الذي لن ينتهي الى حد أنك الروح المحب الذي يغذيه أبداً . ذلك العطف الذي تتساقط اوراقه في قلب تقي لا يعتريه ندم ولا وخز ضمير أجل ان الارواح تمشي في جوف الليل الهادىء ولكن في نهارنا الذي يملأه النسيان الجنوني الكثير الصخب تتطاير في أغلب الاحيان أعز ذكرى لها تطاير الرماد تذروه الرياح . فتمحو آثارها متعلقة في طيات القدر المحتوم » ولعل هذا الأثر النفسي في شعر « خيري » يرجع الى فقده أمه فكانت صدمة القدر لشعوره باعثاً للألم المضني . ثم ان خيالاً روحياً كان فيما مضى يتوج الكائنات قد ذهب الى حيث لا يعود وأحس الشاعر نكراً من الدهر . وتقلباً من الزمن . . . كان عصر الصبا صاحياً عليه الندى غضاً وبرزاً فلما جاء الهجير جف الندى وغاض الصباح » . أليست الطبيعة خيالاً . . . . بل أليس الوجود فناء . تمثل الشاعر امه لذة روحية طواها الدهر واصبح صبية منها الذكرى يودعها اشعاره وخلجات نفسه . وكان يكثر من حديث الحزن والالم . بل كان يتخيل احزان الناس واحزانه ويجد لذة وصبراً في هذا . ولقد يقف عند الشعراء البائسين الذين لم يصيبوا حظاً

من لذة أو متعة فيقرأ فيهم صفحة من كتاب الحياة الزاخر بالألم والحافل بالرهبة. بل يقرأ فيهم أثر هذا الألم. بل انه يقرأ في حياتهم هذا المعنى العظيم ألا وهو ان الخلد يشيد هيكله على القبر ويرفع ناره من رفات المخلوق .. ولعلي أرى « خيري » يتحدث بلسان « شلي » القائل « علمتنا الاحزان نظم القصيد فأهدينا للناس في نغمات الشعر ما لقيناه على ضربات الألم والشقاء »

حل خيري في مصر الى ان وضعت الحرب أوزارها فتركها الى باريس حيث الجمال والأدب والموسيقى وهنالك قابل الشاعر بعض أصحابه من الادباء وهناك بدأ شيئاً جديداً من هذه الحياة العقلية الممتعة واستأنف نشاطه الادبي فكان لا يعجز عن وضع شعره وكان يؤم الصالونات الادبية التي حرم منها الادب طوال الحرب حيث تعالج فيها قضايا الادب والفلسفة والفن حيناً وشؤون السياسة احياناً. وقد عرفه صالون « فالنتين دوسان بوا » وصالون « الرنسيس دي بواي » وغيرها. وقد كانت هذه الصالونات معقداً لرواد الادب والعلم واصحاب الفنون يتقابلون فيه وجوه الرأي ويتباحثون فيما بينهم هذه الابحاث الطويلة المتشعبة عن حياتهم العقلية والاجتماعية وكان الادب في عرف طائفة منهم عرضاً يتكيف ويتكوّن طوعاً لعقلية الكاتب ومدى ثقافته وشعوره بالحياة . وكان الفن ايضاً عند طائفة منهم عرضاً يتكيف ويتكوّن طبيعة ما وهب الفنان من ذوق واحساس والهام. ولقد كان الجدل ينشأ عن هذه النظرات التي يراها الادباء وعن هذه المناحي من الاستنتاجات والعوامل الفكرية المتباينة التي تتناول حظاً غير قليل من تفكيرهم ووقتهم . ثم يذيع هؤلاء الادباء او المفكرون نتائج ابحاثهم في الصحف والمجلات وتنتشر هذه البحوث الصافية هنا وهناك وتزداد الحياة العقلية نشاطاً وانتاجاً واستمرت الحال على هذا النحو الى ان ظهر في باريس عقب الحرب هيئات أدبية ناشئة يتزعمها طائفة من كتّاب الشباب وبعض زعماء الرأي الادبي كما كان يتزعم الشعر ايضاً بعض قادته من الذين اعترفوا بهم ونادتهم الشباب وفي طليعة هؤلاء القادة الكاتب الشاعر العظيم « بول فاليري »

كان ادب هذا الشباب وضعاً جديداً في الحياة الاجتماعية من حيث هي. وقد قام هذا الوضع على ما تخلف عن الحرب من عصف بالاخلاق والتقاليد. فهم الادب والحياة على انهما شر محض وان الفساد الاجتماعي اخص ما يمتاز به الخلق . وفهم الادب والحياة على انهما عناء يراد به السخرية ليس هنالك مثل اعلى كما يقولون لان النقص الخلقي والنفسي يشرفان على كل شيء وسيخرج الناس من هذه الحياة كما دخلوها لا سبيل لهم في اصلاح ولا سبيل لهم في تدبير لانهم قد لا يستطيعون اصلاحاً او تدبيراً وانما هي الحياة التي تملك الاصلاح والتدبير معاً . فليطمئن الناس اذن الى هذا الفساد الشامل وليتقبلوا الحياة على هذا النحو وليتدبروا شؤونهم على هذا الوجه فقد آن للمجتمع ان يعلم الحقيقة الواقعة في ان اخلاق الجيل السابق وآدابه وسياسته لم

تنتج الاّ حرباً وبيلة ولم تؤد الاّ الى شر كبير فما شأننا إذن بالتقاليد والاخلاق ؟

وما شأننا إذن بهذه النظريات الخلقية لتي تمثلها في المُثُل نتحوها ونسير عليها فلندع هذا .

ولكن لنا هذه النزعة الملحة في الاستمتاع بالحياة . فقد وجب على الانسان المفكر أن يسخر من الظروف لان الظروف تسخر منهُ وقد وجب على الانسان المفكر ان يتخذ المادة عنواناً لحياته الاجتماعية بل يتخذها سبيلاً لحياته بوجه عام كان هذا معنى شعر أدب الشباب وبعض ما استولى على نفوسهم من شعور ومنشأ هذا النوع من المنطق في تفهم الاجتماع كان شديداً غاية الشدة وكان مسرفاً الاسراف كله كان ثورة فكرية عامة تناولت الأدب وتخطته الى شؤون الحياة بوجه عام . لم تكن هذه النزعة في فرنسا فقط انما كانت تجتاح العالم الفكري في أوربا على الاطلاق . ولقد كان الأدب التمثيلي سباقاً من هذه الالسن التي تنطق بهذه النزعة الجديدة . فوضع المؤلفون قصصاً غثيثة ان كان قد حوى هذه المناحي الجديدة في الرأي ومظاهر التفكير وتطور الاجتماع بما لم تألفه النفس وقد لا يقره العقل على انه حوى خيالاً ميتاً وانتاً لا سبيل الى انكاره ولا سبيل الى جحده فقد صوّر المؤلفون الحياة صوراً غاية في النكر والسخرية . بل كانوا يصوّرون الحياة صوراً ثائرة على الدين والخلق ترمي الى الالحاد والاباحية وان قامت على التحليل النفسي كقصص « لينورمان » المؤلف الشاب . ولقد اعتمد الادب المسرحي فيما اعتمد ايضاً على طائفة من الاسرار الخطيرة التي كانت من العوامل الهامة في اثارة الحرب واستمرارها والتي استدل بها بعض الأدباء على اخلاق العظماء ممن كانوا يسيطرون على الحياة الاجتماعية والسياسية للامم والشعوب وكان المسرح يصور للناس ما كان يسود هذه الاخلاق من دسائس ومساوىء اجتماعية منكرة وما كان يجهله الناس من عظائهم من مهازل

كانت الحياة استنتاجاً لهذا النمط الجديد من التفكير وكانت الحياة وسيلة صالحة لتطور الحياة العقلية ان خيراً وان شراً وكانت الحياة مثاراً لبحث النقاد وتهكمهم وكانت الآراء الادبية الحديثة موضوعاً يشغل الناس في حياتهم العامة كما كانت الحرب تشغلهم ايضاً وقد كانت هذه الحرب التي اساءت الناس في اعقابهم واموالهم شراً لا خير فيه فانها لم تترك قديماً صالحاً ولم تؤد الى جديد ممتع وانما كانت سبباً مباشراً لطفرة في التفكير العقلي والاجتماعي ولثورة ما كان احوج الناس بعدمها . واخيراً أحدثت الحياة في ادب الشباب على أنها أسلوب لا بدَّ منهُ في سبيل اللذة والمتعة والاستخفاف بالخلق

ظهر هذا كله في أدب الشباب الذين كتبوا في اعقاب الحرب الكبرى والذين احتالوا الى نشر آرائهم بصور سريعة خاطفة لم يكن للناس بها عهد مما أدى الى ثورة فكرية في الأدب والحياة والاجتماع ، ومما أحدث هذا النضال القوي بين أدباء الجيل القديم وأدباء الشباب . أما الذين

هيمنوا على الحياة الأدبية قبل الحرب طائفة من أعلام الأدب والشعر وأصحاب الاجتماع ممن يقيمون للحياة وللأدب وللاجتماع والفن أوزاناً من الرأي مستقرة ثابتة يعدون الحرب على أنها ظاهرة طارئة عاجلة لا تؤدي بهم الى تغير اتجاههم في حياتهم العقلية أو حياتهم العامة. وكانوا لهذا يسخرون من هذا التفكير الحديث الذي يصدر عن أدباء الشباب وكانوا يعنون بهذا الأدب في صالوناتهم الأدبية وعلى صفحات الكتب الخاصة والجرائد غير ان الشعر تمثل أسباباً جديدة وأخيلة جديدة ووسائل مستحدثة كان يعرفها شاعرنا حيناً وينكرها أحياناً فقد كان يقر الشعر الدرامي القوي الذي يصور الحياة الواقعية أو هذا الشعر الخيالي الداخلي. كان يقر الشعر الطبيعي. وكان ينكر على «بول فاليري» بعض قصائده التي تصدر عن عقله والتي لا أثر لنفسه فيها الا قليلاً. كان صحيحاً ينكر «المادية» التي تطبع الشعر والتي تجعل هذا الفن الأصلي جسماً من غير روح. كان أن يتخذ صور الحياة الطبيعية مقياساً لأدبه ووحدة في الحياة. ولقد وفق «خيري» الى نقد هذا الأدب الحديث فنشر طائفة من الأبحاث النقدية في أمهات الصحف الفرنسية يصوّر فيها الأدب كما هو لا كما أرادته هذه الطائفة من أدباء الشباب والأدب الشعري بوجه خاص. فكان هذا باعثاً له على التقدير. وكانت هذه المقالات باعثاً أيضاً لطائفة من الكتاب والأدباء على تبيان الأدب الرفيع الرائع ومن وراء النزاع قائماً بين أصحاب القديم وأصحاب الجديد حتى أحدثت الحياة آثارها وانتهى الشباب وأدب الشباب من هذه النزعات التي لم تكن تخلو من إسراف والتي لم تكن تخلو من شذوذ والتي لم يكن لها بد من استقرار وهدوء. على ان شاعرنا لم يكن ليسعد حظ بعض كتاب الشباب وشعرائهم من الانتاج القوي الحي الذي انتهى به أدبهم أخيراً. فقد فتن بهذا الأدب إعجاباً لا حد له ولقد أغرى الشباب كثيراً بل أتيح له أن يقصد الى طوائف كثيرة منهم يحضر اجتماعاتهم وندواتهم ويأتيهم الى هذه الأبحاث الصائبة المتحمسة وكانوا يجدون فيه هذا الروح الوثاب الذي تعاوده لبحث والاطلاع والذي سبيله التدقيق والتحقيق

وقد قام الشاعر بجمع «ديوانه» فأكلت نشره بعض المكتبات في باريس واحدث ظهوره أثراً بعيداً في نفوس الشعراء والنقاد لما تناول شعره كثيراً من الأبحاث المصرية الأثرية الخالدة وهو كمصري يستشعر الروح المصرية النبيلة كان مسوقاً بهذا الالهام الأبدي الى استيحاء الصور والأخيلة التي عبرت أجلى بيان عن عظمة المصريين والتي صورتهم كأمثل شعب عرف الحضارة الأولى.

والآن اذ أتصور «خيري» الناثر أرى رجلاً آخر يختلف اختلافاً بيناً عن «خيري» الشاعر. فهو في نثره يجنح الى المنطق والحكمة يتزود بهما في استنتاجاته ومقاييسه. لا ترى في

أسلوبه النثري الا هذا الحديث المرتب والا هذا التحليل المقرون بالتفكير والانسجام . قرأت له آخر موضوعاته النثرية عن الشاعر الموسيقار الخالد « ريشارد فاجنر » فتصورته كائناً عن العقل محض الفعل . حازم النفس لا يخلو تفكيره واستنتاجه من هذه الرشاقة التي تتميز بها نفسية الشاعر . وقد يكون « خيري » في نثره مقلاً لم تكن الابحاث العامة لتصرفه عن موضوع من الموضوعات الا في جهد وعسر والا في الحاح وضيق لانهُ اعتاد إخراج انتاجه بالشعر او بما يشبه الشعر بل اعتاد ان يتحدث عن هذه الخواطر النفسية التي يعالجها الباحث او الفنان فيسرها الى اصحابه ولا يعنى بتدوينها الا اذا التمس القلم عوناً له على ذلك . والا اذا رغب في إثبات ما يرتاح اليه عقله ونفسه على انهُ كان يتروى البحث ولا يتعجل الحديث . يكثر من التفكير ولا ينحو نحو السرعة بل هو الكاتب الحلي الذي يظفر باعجاب نفسه قبل ان يظفر باعجاب الناس وانه كان يكتب لرغبة نفسه قبل ان يكتب شيئاً للناس والناس ما برحوا يقصدون بالاعجاب لا من يعقل ما يقصد بل من يبلغ غاية الاحسان فيما يحسنه الكثيرون !! ولقد كان يعرض شاعرنا الى شيء من تحليل النفس وتفسير القوى العقلية في طبيعة من يتحدث عنهُ . فيتناول الحديث اطرافاً بعيدة من عمق البحث وقوة الاستنتاج . وكان يرجع ظروف الحياة والمقابلات التي تعرض للانسان والحوادث وتعليلات وجودها الى نشأة الانسان الاجتماعية والى هذه العلاقة المحتمة بين تفكير الشخص ومناهجه العملي في حياته بوجه عام . وهذا ما كان له ابلغ التأثير في أسلوب « خيري » النثري . ولعلَّ هذا ما يدعو الى قيمة ما كان يذيعهُ خيري من آثار أدبية

***

الفنان

أحبُّ ان ألمس هذا المعنى العميق الذي يعرض لهُ الشاعر العالمي « شلي » عن الادب لارجعهُ خالصاً الى الفن . فقد قال : « ان الادب تسجيل أقوى ما ينتجهُ العقل في أسعد لحظات النفس »

والواقع اذا كان الادب تسجيل العقل فالفن وحده تسجيل العاطفة والروح . وكل ما في مكنة الفنان نفسه أن ينتج بدعة فنية . حتى لكأنما قد تناولت يد خفية عظيمة كف الفنان فدفعتها بريشتها او منقاشها أو اية أداة أخرى الى ابتكار فن أو معنى جديد . فلن يكون الفن خالصاً اذا لم يُعنَ بالابتكار والانشاء لا بالتقليد أو الاحتذاء . والفن في طبيعته سرٌّ من أعمق أسرار الحياة بل هو سر في الطبيعة نفسها وان كان ملموساً قراني في ثناياها . لانهُ فكرة عن الجمال أو الحقيقة . بل فكرة الطبيعة عن نفسها !! فالعالم محيط به ألوان كثيرة من الجمال ولكن الفنان وحده هو الذي يؤتى البصر الصافي لاكتناه المعاني والصور . وهو صاحب الذوق الرفيع في فصل

الشيء من بين أنواعه المماثلة له . وانتزاع المظهر الواحد من بين مظاهر الجمال المنوعة التي تقف عندها مأخوذين حائرين . وعلى قدر تغلغل هذا الفنان في أعماق الفكرة التي يجتليها يكون مبلغ المقدرة من الافتتان وحد الاعجاب . وهذا ما كان يهمه « حيري » من الفن . فقد عاش « حيري » للفن . ما كان الفن عنده فرح الحياة الصادق بل مطلبها الاكبر . بل كان الفن عنده ايماناً يؤمن به . وكان من أصحاب النظرية القائلة « الفن للحياة » وكان شديد الكلفة بتوجيه الفن واطلاقه في الحياة . لانه غذاء الشعور والمثل الأعلى للعاطفة الحية . لم يصرفه شعره عن هذه الحياة الفنية التي كان يحياها بل التي كان يغني فيها حواسه وعواطفه . بل حببت اليه هذه الحياة « الموسيقى » . على أنها أبلغ المعاني الصامتة في إثارة المشاعر الانسانية . وطفق « حيري » يدرس الموسيقى درساً مفصلاً ويدرس أنغامها ومقطعاتها وأصولها . ثم أخذ في درس أعلام الموسيقيين والمؤلفين الملحنين . يتتبعهم في مناحي إنتاجهم الى ان ظفر بخلاصة وافرة ومحصول كبير في هذا الفن

فكان ملمًّا بما يقال عن الموسيقى وبما يتحدث به الفنانون عنها . وكان يُكثر من زيارة المسارح الصاخبة بالحياة الموسيقية في باريس بل كان يؤم هذه المهرجانات التي تقام تحية لكبار الموسيقيين حيث تُوقّعُ فيها اعاظم الموسيقية . كان (حيري) من هذه الفئة المعروفة لاعلام الفنانين في الموسيقى أشاد به غير واحد منهم بل تحدث عنهُ الموسيقار الكبير « استرافنسكي » في بعض أحاديثه الفنية التي كان يلقيها في صالون (سان بوان) بباريس . قال عنهُ انهُ (الشاعر المصري الذي يعرف حقاً معنى الموسيقى . والذي يفهم الموسيقى على انها اعمق الصور اتصالاً بالنفس الانسانية) . كان حيري بارعاً البراعة كلها في التوقيع على (البيانو) وقد كان يجتمع الكثيرون من أصدقائه ليستمعوا اليه بل لينصتوا الى هذه الأنامل التي تجمع من (بتهوفن) الرفيع ملقياً اليهم بعض « سيمفونياته » الخالدة . كان اذا وصل للتاسعة منها بدأ هذا الجلال لفي مظهراً متمثلاً روعة التوقيع مرتفعاً بالنفوس الى سماء العبقرية والخلود . ولقد اقبل « حيري » على من « فاجنر » إقبالاً لاحدَّ لهُ . لانهُ التمس في « فاجنر » هذه المذاهب الموسيقية المتعددة التي تتحدث الى العقل والقلب معاً والتي تجعل من الموسيقى فلسفة واضحة تحيط بألوان من العاطفة والتفكير تتحدث عن الحياة والاشخاص وتتحدث الى اصحاب التفكير في قوة التفكير والى اصحاب المنطق في دقة المنطق . بل تتحدث الى هؤلاء جميعاً حديثاً ملؤه الروعة والافتتان . هذا الحديث الذي لم يصل الى مثله شاعر موسيقار « كفاجنر » بل لم يتسنَّ لفنان ان يذهب في الفن الموسيقي هذه المذاهب العقلية المحكمة التي تملي على العقل الانساني والعاطفة الانسانية جماع التفكير وبواعث الاهتمام والاعجاب

قضى « خيري » سنوات طويلة يدرس فن « فاجنر » الموسيقي حتى استطاع ان يجيء عن « فاجنر » دراسة مستفيضة ألمّ فيها بما يجب ان نفهم عن حياة هذا الرجل العظيم . ولن ينسى من حضر سماع محاضرته في « معهد الموسيقى الملكي » في مصر منذ عامين كيف عالج « خيري » « فاجنر » وكيف تناوله كشاعر من هؤلاء الشعراء الذين لازمهم البؤس وتنكرت لهم الحياة وتناوله كفنان من هؤلاء الفنانين الذين سحر فنهم سمار العقول وسماء الاحلام . حتى انه لم يستطع امامهم البقاء يوم ان سقطت « ريبري » وكان مصدراً لها النجاح . ولكن « فاجنر » تقدم الطريق ولم يتعثر وقدّر له النجاح بعد ان اصطلحت عليه هموم الحياة واوصلته هذه السليقة الدفاعة الى عالم الطبيعة بل استطاع بالطبيعة نفسها ان يصل الى عالم الفراغ فينير فيه المواهب الروحية التي تفيض بها أوبراته ولقد احتوت هذه الاوبرات مناظر الاطياف والارواح وتمثلت في شخوصها معاني البلاغة الشعرية النبيلة التي تم احاديثها التخيلية الرائعة ولقد اكسبت موهبة « فاجنر » الفنية اعماله مسحة الخيال الذي تمثل فيه عبقريته الناشئة وعمل ما يجري على تمثيل هذه العبقرية هذه الموسيقى التي تتمشى بانسجام مع الحديث والحركات والمناظر

***

أخذ « خيري » في محاضرته الممتعة عن « فاجنر » يتحدث عن هذا واكثر من هذا بل اخذ يتحدث عن الموسيقى من حيث هي كلامها « فاجنر » ومضى « خيري » في هذا الحديث الحامي حتى اخذ على المستمعين شعورهم وظفر منهم بالاعجاب فاذا اختتم محاضراته تلك بدأت فرقة للموسيقى من برلين اعدتها الحكومة الالمانية بوساطة نشأت باشا وزير مصر المفوض في ان تعزف قطعاً من روائع فنه يحملها الاثير الى مصر والى حيث يجلس المستمعون في المعهد . ولقد سجلت الحكومة الالمانية الى الشاعر « خيري » اعجابها بهذا المجهود الذي صرفه في سبيل عظيم من شعرائها وفنانيها وعدّته من بواعث الاعتراف بالتعاون الفني والمبادلة بين الامم

اما عن الموسيقى المصرية فقد كان « خيري » يرثي لها أبلغ الرثاء لانها لا تستند الى معنى من المعاني أو حقيقة من حقائق الفن . هي في رأيه تقليد للغرب في موسيقاه الحديثة بصبغة شرقية . ولقد رأى ان يتحدث في هذا الى أصحاب هذا الفن بل الى وزارة المعارف نفسها . ليحفزهم للبحث عن ايجاد « من واقعي » للموسيقى المصرية وكانت له انتقادات فيه خاصة « بالمقام » وغير « المقام » من شؤون هذا البحث . أحب إذن ان تلغى هذه الانغام التي لا تصلح لجونا الاجتماعي او تقتضيه نزعاتنا الحديثة في فهم روحنا المصري الاجتماعي ولقد كانت همم الثورة الفكرية تزداد في نفسه وتقوى كلما جمعته المجالس بأهل الفن من هواة الموسيقى المثقفين

زخرت حياة « خيري » على وجه عام بهذا المزاج الرقيق الذي شغف بالفن من حيث هو. ولعلّ خيري كان له رأي خاص بهذه الفنون التي يباهلها بعض المصريين الناشئين من تصوير ونحت وموسيقى وتمثيل فقد كان منهم أصحابها اعجاباً كبيراً يعرف من وقته وماله في هذا السبيل من يعرفه الخاصة من أصدقائه وكان جريئاً في استنهاض أصحاب السلطة في أن تهيء لبعض الفنانين المصريين جواً من الحياة المثلية لائقاً بهم. وأن تنظر وزارة المعارف هذه الفنون والفنانين نظرة ملؤها العون والجهد حتى يأخذ جيلنا المصري الناشيء حاجته من أسباب الثقافة الفنية

ولقد كان يجر خدمته الفنية لأصدقائه من الفنانين أن يحمل بنفسه لوحات ناجي الفنية المصغرة ليطوف بها على الصحف والمجلات لتنشرها فيرى الجمهور المصري انتاج فنانيه من الهواة ولقد أعجب من ناجي اعجاباً لا حدّ له. متيناً فيه الهام الفن المصري القديم الزاخرة به التماثيل والصور الأثرية في ثمنه المصرية الفتانة. على ان أساس هذا الاعجاب ان « خيري » قد ألهمهُ هذا الروح نفسه الخيال المرسل الذي جاد بقصائده الخالدة عن الحياة المصرية القديمة فاحتوت غير قليل من الالهام الذي تجده في شعره والذي كان نوعاً يتميز به فنه من جمال وسبك ولعل هذا نفسه ما دعا الى الاعتراف بعبقريته بل الذي دعا جماعة « عرائس أورمان » الى ان تقيم في باريس حفلاً عظيماً لشاعر شرقي جليل هو « خيري »

***

ولقد كان « خيري » يعاني في سنيه الاخيرة عسراً ماديًّا لم يعهده من قبل فكان هذا بعض ما أودى بمزاج الشاعر. فكان لا يخرج للناس الا بعض القصائد القصيرة والا هذه القصيدة التي كان رفعها تحية لجلالة الملك في عيد ميلاده

***

ذهب خيري الان في هذه الحفرة التي احتفرتها له الابدية. ونحن انما نودع روحاً يرف الآن على أصدقائه العديدين بعد ان كان يجتمع بهم ويتحدث اليهم. بل نودع شاعراً مصريًّا أخلص للادب والفن الاخلاص كله وكان من هؤلاء الشعراء الذين غادروا الحياة ولم يتمتعوا بها وكأن وجودهم خاطر لم يمر على أهل الجيل وان كان يعد آيه وبدعة. ولقد شاءت الحياة ان يكون للادب في كل العصور ضحايا وللشعر مكدودون. ولعلي لا أتجاوز الواقع اذا كانت نهاية خيري ابلغ صورة لهذا الوضع في الوجود الفاني

موقعة نافارين البحرية

٢٩ ربيع اول سنة ١٢٤٣ هـ = ٢٠ اكتوبر ١٨٢٧م

للدكتور علي مظهر

يجمل بنا ان لا نغفل ذكر محرم بك امير البحر للاسطول المصري وقائد الاسطول في تلك الاثناء. يعرفون انه من «قوله» أصلاً بلد محمد علي وكثير من الاسر المصرية اليوم. واتخذ مصر وطناً ثانياً له. فاستخدمه محمد علي في كثير من مهام الحكومة

وزوّجه بابنته نفيسه هانم لحسن سيرته وحميد خصاله. ولكن الوفاة عاجلتها فماتت بعد زمن قصير. وكان محمد علي قد عينه محافظاً على الاسكندرية فأحسن ادارتها وعهد اليه رآسة ادارة البحرية الاولى. وجعله قائداً للاسطول في حرب اليونان من سنة ١٢٣٦ الى ١٢٤٣. ولما عاد ابرهيم باشا الى مصر بقي في منصبه محافظاً للاسكندرية الى يوم وفاته في ١٢ محرم سنة ١٢٦٤ هـ. فأسف عليه الناس وكان محبًا لفعل الخير واعتق الكثير من جواريه ومماليكه واغدق عليهم الاحسانات الجزيلة وشيد لهم المنازل العديدة لسكناهم (سرهنك باشا جـ ٢ ص ٢٤١). ولعله هو وأمثاله هم من الذين حببوا للاروام سكنى مصر بعد تخييرهم في الرجوع الى بلادهم كما نصّ على ذلك اتفاق الحرب اليونانية الذي ذكرناه آنفاً

ونرى أن نذكر ما كتبه المرحوم الشيخ بيرم التونسي في كتابه صفوة الاعتبار اذ يقول:

انه في أيام جورج الرابع ملك انكلترا وقع الغدر في أسطول الدولة العثمانية من أسطول انكلترا المترأس على أساطيل دول في تظاهرهم على طلب تسليم الدولة العثمانية لليونان بالاستقلال. فمن غير اعلان الحرب لها تخللت الاساطيل من بين اسطولها المركب من سفنها وسفن مصر وطرابلس وتونس والجزائر وهم على اطمئنان السلم والأمن وأطلقت عليهم النيران دفعة واحدة بحيث لم يبق منهم باقية غدر وشناعة لا تمحى وسبة لا تزول على خصوص الانجليز لانهم هم الذين يدعم امرة

جميع الاساطيل الدولية وعقدت تحت الندوة الانكليزية (مجلس الحرب) محاكمة الواقعة فماجوا وماجوا وحاموا تجاه كرنه رئيس الاساطيل . وحكم عليه مجلس حربي منعقد مع دفاع وزير البحر عنه بكل ما امكن من الاعتذار وتلفيق دعوى بأن احدى السفن التركية اطلقت النار عليهم فلم يجد كل ذلك شيئاً وعندما تحقق الرئيس الحكم عليه بالقتل أسرّ الى وزير البحر بأن التذكرة التي تسلمها في الامر باحراق الاسطول العثماني قد نسي ان يحرقها معه مثل ما امر . وحينئذ تحوّل المجلس الى جلسة سرية ثم اطلق الرئيس

ويذكر بعض المؤرخين الاوربيين من التعليمات التي اعطيت للسير كودرنجتون كانت تحظر عليه اي عمل عدائي مع العثمانيين ونحن لا نرى صدق تلك الرواية فان نية تدمير الاساطيل المصرية والعثمانية كانت متوافرة ولا عبرة بما جهر به المنصفون من أهل اوربا من فظاعة هذا الامر ومخالفته للقوانين المتعارف بها خيانة وغدر ولا عبرة كذلك بما نشره بعض الكتاب والمؤرخين من اوربا من ان التعليمات التي اعطيت للسير كودرنجتون كانت تحظر عليه اي عمل عدائي فانه من غير المعقول أن يأتي ذلك القائد البحري ما يخالف اوامر حكومته بل كان هناك اتفاق سابق بين الحكومات الثلاث فرنسا والروسيا وانجلترا على تلك المذبحة كما وصفها امبراطور النمسا في ذلك الحين وما قاله جورج الرابع ملك انجلترا نفسه عنها بانها حادثة مشؤومة ومن ذر الرماد في العيون تلك الرواية التمثيلية التي قام بها الاحرار في انجلترا وتشهيرهم ضد امير البحر كودرنجتون وانهم اعتبروا عمله وحشياً لا شرف فيه ولا فخار فاضطرت الحكومة الانكليزية أن تعلن عدم موافقتها على عمل كودرنجتون ولكنها لم تعلن عدم موافقتها على هذا العمل الفظيع الوحشي الا بعد حدوثه وهي رواية غريبة لا يصدقها الا ساذج العقول . وقد ذكر مصطفى باشا كامل رحمه الله في كتابه المسألة الشرقية وأشار الى تلك المذبحة فيما نقله مسيو (الفريد لمبر) في مؤلفه عن استقلال اليونان من المستندات الرسمية التي لا تزال محفوظة في وزارة البحرية الفرنسية فيها تبين ان حكومات فرنسا وروسيا وانجلترا كانت متفقة من قبل على كل ما اتاه قواد اساطيلها . وقد قال امير البحر كودرنجتون لما علم بعدم موافقة حكومته على مذبحة نافارين — « ان الوزراء يصفعونني للاحتفاظ بمناصبهم »

ويقدر المؤرخون عدد الذين ماتوا من بحارة مصر في هذه المذبحة الشهيرة المعروفة بموقعة نافارين البحرية بستة آلاف بحري استشهدوا في اثناء مفاجأة اساطيل الدول المتحدة لاسطول مصر واسطول تركيا وسط الضباب بدون سابق انذار بينما كانت الهدنة معقودة بين الطرفين

وفي عدد جريدة الاخبار الصادر بالقاهرة في مساء الخميس ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ — ٢٠ اكتوبر ١٩٢٧ وهي التي كان يرأس تحريرها امين بك الرافعي رحمه الله مقالة افتتاحية بعنوان : (معركة

نافارين البحرية بعد مرور مئة عام) وفي هذه المقالة كلام طويل على تلك المعركة ونحن ننقل عنها باختصار ما اشارت اليه عن كنوز نافارين وهل تستخرج البوارج الغرقة مما ننقله عن جريدة الطان الفرنسية في احد اعدادها التي اصدرتها في تلك الذكرى المئوية واحتفال حكومة اثينا بها الماضي قالت الطان: « واشتغل في ذلك (استخراج البوارج الغارقة) بلا ابطاء المهندس الشاب م. ا. كريتوي الفرنسي من جهة واقدام لاستخراج المدرعات التركية والمصرية من اعماق خليج بيلوس الغرقة منذ مئة عام عندما رمتها بها اساطيل فرنسا وانكلترا وروسيا معاً من قنابلها المدوية ومما يعجب له ان قد اتفق ان الشركة صاحبة الامتياز القائمة بهذا الاستخراج هي رؤوس اموالها ووسائلها انكليزية وفرنسية وروسية ويونانية. والبحث عن كنوز نافارين كالبحث عن كنوز الارمادا مسألة طال عليها الزمن وتقادم بها العهد. فلطالما تألفت شركات وجدّت مختلف عقول من عظام يساهمون فيها بما تعرض على مخيلاتهم من غنائم جسام تخرجها لهم من اغوار اللجج ولكن طرأت طوارئ وحالت امور دون تحقيق هذه الاماني. أترى تنطوي هذه المياه في اجوافها كنوزاً من الاموال ام هي منها جوفاء خالية؟ ذلك على بعد شهور أو بعد سنين. فان العمل شاق عسير ويستغرق الزمن الكثير. ولكن آن ان ينكشف المطوي ويعلم. ثم قال بعد كلام لانرى له محلاً لذكره هنا:

«اذ يجوز لنا الفرض ان الاتراك والمصريين اذ يوجفوا وحاق بهم ما كانوا يستبعدون لم يجدوا من الوقت ما يمكنهم من نقل ما بين ايديهم من كنوز مما غنموه او مما هم من سفن اخرى؟ (ايظن الكاتب ان بلاد اليونان الفقيرة ولاسيما في ذلك الوقت كانت توجد كنوز. ؟ هذا والله غريب في التفكير أو نقص في المعرفة) فان سفينة قائد الاسطول التركي طاهر باشا هوت كما هوت معها في بطون الماء ثلاث عشرة دراعة وخمس سفن وسفن القتال وعشرون اخرى من سفائن الاسطول ولم يبق في آخر المعركة من الخمس والستين سفينة التي يتألف منها الاسطول التركي سوى خمس عشرة سفينة صغيرة وبارجة واحدة. وتعادل كفة الخسائر في الاسطول المصري مع مثلها في الاسطول التركي

***

ألعلّ البارجة الناجية قد حملت في مطاويها كنوز الحرب الى مصر؟ ذلك ممكن ولكنه يكاد يكون غير معقول. ذلك انا نشك في أن النفوس في هول هذه الساعات تملك من رباطة الجأش ومن الوسائل ما يمكنها من حمل ما تشتهي الانفس حمله من هذه النفائس والكنوز

والذي نريد ان نعرفه هل كانت سفن المصريين والاتراك تحمل هذه الكنوز حقاً. اما

المستر برس كروس ستاسيفنج ورأيه في مقال له نشرته مجلة (كنتمبورري ريفيو) هو انه لم يكن منها من ذلك شيء . اما الرواية الشائعة المأثورة فترى على النقيض من ذلك ان كنوز ابراهيم في اعماق حوض نفارين تبلغ المليار مما يعدل ثروتنا الحاضرة (بمعدل مليار فرنك فرنسي)

ولقد كثر استشهاد المستشهدين في اقامة حجتهم على صحة تلك الكنوز بمذكرات احد ضباط السفينة سيرين المدعو راؤول دي رامون ونشرتها (الاسبانا) في ١٦ اغسطس سنة ١٩٠٣ فقد كان هذا الضابط من المقاتلين في هذه المعركة . وبعث بعد ذلك بست وعشرين سنة الى الاستانة (استنبول) في مهمة وكانت في صحبته امرأته وهي من بنات اليونان كان قد انقذها من مذابح الاتراك . ولقد قامت بينها وبين عقيلة هانم ارملة امير البحر محرم بك المصري صلاة ود فجاء احمد بن عقيلة هانم احد جنود حرس السلطان الخاص ذات مساء الى الضابط الفرنسي واطلعه على صحة اسانيد كتب احدها قبل معركة نافارين بثلاثة ايام وفيه ذكر ما ملك يومئذ من اموال امراء البحر في الاسطول التركي وقد اصاب محرم عشرين كيساً وعشرة آلاف من القوقات الذهبية (ما يقرب من خمسة آلاف جنيه) فاصبح بذلك ما تملك يمينه خمسين كيساً وثلاثين الفاً من الذهب

وفي مستند آخر يرجع الى سليمان بك (باشا فيما بعد وهو الكولونيل سيف الفرنسي الاصل) بيان حرره ابراهيم باشا عن خسارته في نافارين اساسه ١٢٠ مليون فرنك (من عملة ذلك الزمن) . وكان في السفن الاخرى المغرقة في كل منها عدة ذلك المال

وجعل احمد يبسط امام راؤل دي رامون تصميماً للمعركة ويشير الى الموضع الذي كانت فيه سفينة ابراهيم باشا الاميرالية (هنا مكان الشرف ومعه مليون فرنك ذهب) ثم انصرف لوجهه من حيث اتى ولم يره من بعدها احد) اهـ

***

والمعقول ان تلك الشركة او الشركات التي تبحث عن كنوز نافارين انما تبحث عن كنوزها الخشبية . فقد كان من تلك السفن سفن مبنية من خشب البلوط وغيره مما يستحيل الى نوع صلب شديد جداً . وهو مرغوب فيه لصنع الاثاث الفاخر وفي اعمال اخرى تستلزم ذلك النوع من الخشب الذي لبث اكثر من قرن من الزمان . . . في الماء الملح . ويقال ان مقدار ذلك الخشب الثمين العتيق لا يقل عن عشرين الف متر مكعب ويقال ان احد الصناع الانجليز عرض على الشركة ابتياع كل ما تستخرجه من ذلك الخشب . اما بقايا المدافع التي تزن من الطن الى اربعة آلاف طن وغير ذلك من اشياء فلسنا ندري عنها شيئاً ولا عن قيمتها ولكن يسأل عن ذلك الخبراء في المعادن والكيمياء

بهاء الدين الآملي

صاحب كتاب الخلاصة

لقدري حافظ طوقان

على الرغم مما كانت عليه الدول العربية والاسلامية في مختلف الاقطار من الضعف ، وعلى الرغم مما اصابها من الانحلال ومما حلَّ بها من المصائب وما احاطها من المتاعب التي تحول دون تقدم العلوم ودون ازدهار الفنون ، اقول على الرغم من كل ذلك فقد ظهر في بعض الحواضر من وجَّه بعضاً من عنايته الى العلوم وتشجيع المشتغلين بها . ومن هؤلاء الذين ظهروا في القرن السادس عشر للميلاد وبرزوا في العلوم الرياضية بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الآملي

وقد اختلف المؤرخون في البلدة التي وُلد فيها فبعضهم يقول انهُ وُلد في بعلبك وآخرون في آمل الواقعة في شمال ايران ومن المؤلفين من قال انهُ ولد في بلدة آمل الخراسانية الواقعة على الضفة اليسرى لنهر جيحون

اما القول بانهُ وُلد في بعلبك فبعيد عن الصواب بل وهو خطأ محض ، وارجح ان قولهم هذا يرجع الى الخلط بين جبل عامل في سوريا وبين آمل ، وقد يكون هذا الخلط هو الذي جعلهم يقولون بولادته في بعلبك ، وقد يكون ايضاً هو الذي جعل بعض العلماء يسمونه « بهاء الدين العاملي » . ونجد في بعض الكتب ان الآملي ينتسب الى قبيلة همْدان اليمنية وان نسبه ينتهي بالحارث وهذا ما جعل البعض يلقبه بالحارث الهمْداني ، ولكن الروايات تكاد تؤيد القول بانهُ وُلد في آمل الايرانية الكائنة على طريق مازندران وكانت ولادته في منتصف القرن السادس عشر للميلاد ثم احضره والده الى العجم حيث اخذ العلم عن كبار علماء زمانه وقد آثر حياة الفاقة والفقر على حياة الغنى والترف يدلنا على ذلك المناصب التي عرضها عليه اولو الامر ولعلَّ اكثر ما امتاز به الآملي رغبته الشديدة في السياحة وزيارة الاقطار المختلفة ، وقد بقي في سياحته

ثلاثين سنة زار خلالها مصر والجزيرة العربية وسوريا والحجاز حيث ادّى فريضة الحج ، وبعد ذلك عاد الى اصفهان ، ويقال انهُ عند ما علم الشاه عباس حاكم الدولة الصفوية بعودة الآملي الى اصفهان ذهب بنفسه اليها واحاطه بالاكرام والتجلة وعرض عليهِ منصب رآسة العلماء ، ومع انهُ لم يقبل هذا المنصب فقد بقي صاحب المقام الاول عند الشاه الى انْ وافاه اجله في اصفهان في القرن السابع عشر للميلاد ودفن في طوس بجوار الامام رضا

***

اشتهر صاحب الترجمة بما ترك من الآثار في التفسير والآداب وفيها ما يعتبر قيماً. اما آثاره في الرياضيات والفلك فقد بقيت زمناً طويلاً مرجعاً لكثيرين من علماء الشرق كما انها كانت منبعاً يستقي منهُ طلاب المدارس والجامعات . فمن اشهر مؤلفاته رسالة الهلالية ، وكتاب تشريح الافلاك والرسالة الاسطرلابية وكتاب خلاصة الحساب . وقد اشتهر هذا الكتاب الاخير كثيراً وانتشر انتشاراً واسعاً في الاقطار بين العلماء والطلاب ، ولا يزال مستعملاً الى الآن في مدارس بعض المدن الايرانية ، ولقد تمكنا من الحصول على نسخة من هذا الكتاب احدها نسخة مخطوطة عثرنا عليها في المكتبة الخالدية في القدس ويقول عنهُ كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون : « خلاصة في الحساب لبهاء الدين محمد بن حسين وهو من علماء الدولة الصفوية وهو على مقدمة وعشرة ابواب . . . » ونجد في الخلاصة ان المؤلف استعمل الارقام الهندية التي نستعملها نحن اليوم الا انهُ استعمل للصفر الشكل الذي نستعمله للرقم خمسة ، وللخمسة شكلاً يخالف الشكل الذي نرسمه الآن وهذا الكتاب مقدمة تبدأ هكذا : « نحمدك يا من لا يحيط بجميع نعمه عدد ولا ينتهي تضاعف قسمه الى احد . . . » اما ابوابه عشرة يبحث الباب الاول منها في حساب الصحاح وهو على ستة فصول : الفصل الاول في الجمع والثاني في التضعيف والثالث في التفريق (اي الطرح) والرابع في الضرب والخامس في القسمة والسادس في استخراج الجذر ويبحث الباب الثاني في الكسور وهو يحتوي على مقدمات ثلاث وفصول ستة فالمقدمات تتناول الكسور واصولاتها الاولية ومعنى مخرج الكسر وكيفية ايجاد مخارج عدة كسور (اي كيفية ايجاد المضاعف المشترك الاصغر لمقامات عدة كسور) وتتناول ايضاً التجنيس والرفع ، والمعنى المقصود من التجنيس : « جعل الصحيح كسوراً من جنس كسر معين والعمل فيه اذا كان مع الصحيح كسر ان تضرب الصحيح في مخرج الكسر وتزيد عليهِ صورة الكسر . . . » ومن الرفع « جعل الكسور صحيحاً فاذا كان معنا كسر عدده اكثر من مخرجه قسمناه على مخرجه فالخارج صحيح والباقي كسر من ذلك المخرج . . »

ويأتي عند شرح كل من هذه البحوث بأمثلة تزيد من غموض الموضوع وتزيد في وضوحه اما الفصول الستة فتبحث في جمع الكسور ، وتضعيفها ، وتنصيفها ، وتفريقها وضربها وقسمتها واستخراج جذورها ثم تحويل الكسر من مخرج الى مخرج . .

***

ويجد القارىء في الباب الثالث والرابع والخامس بحوثاً في استخراج المجهولات وقد استعمل المؤلف ثلاث طرق احداها طريقة الاربعة المتناسبة وهذه الطريقة يعرفها كل من له المام بالرياضيات الابتدائية ، والطريقة الثانية تعرف بحساب الخطأين هي غير مستعملة في الكتب الحديثة مع انها كانت شائعة الاستعمال عند العرب في القرون الوسطى والطريقة الثالثة وهي التي في الباب الخامس « في استخراج المجهولات بالعمل بالعكس وقد يسمى بالتحليل ، والتعاكس وهو العمل بعكس ما اعطاه السائل فان ضعف فنصف وان زاد فانقص ، او ضرب فاقسم ، او جذر فربع او عكس فاعكس مبتدأ من آخر السؤال ليخرج الجواب . »

ويحتوي الباب السادس على مقدمة وثلاثة فصول ، فالمقدمة تبحث في المساحة وفي بعض تعاريف اولية عن السطوح والاجسام ، والفصل الاول في مساحة السطوح المستقيمة الاضلاع كالمثلث والمربع والمستطيل والمعين والاشكال الرباعية والمسدس والمثمن والاشكال المستقيمة الاضلاع الاخرى . ويتناول الفصل الثاني والثالث طرقاً لايجاد مساحة الدائرة والسطوح المنحنية الاخرى كالاسطوانة والمخروط التام والمخروط الناقص والكرة . .

***

ويحتوي الباب السابع على ثلاثة فصول تبحث « فيما يتبع المساحات من وزن الارض لاجراء القنوات ومعرفة ارتفاع المرتفعات وعروض الانهار واعماق الآبار .. » وهذه الاعمال والطرق براعين يقول عنها انه اوضحها وبيّنها في كتابه الكبير المسمى « بحر الحساب » وان بعضاً منها مبتكر وطريف لم يُسبق اليه اورده في تعليقاته على فارسية الاسطرلاب ويستعمل بهاء الدين طرقاً اخرى غير التي ذكرها لاستخراج المجهولات وهنا يصل على موضوع الجبر والمقابلة وهذا ما نجده في الباب الثامن المكون من فصلين احدهما في معنى المجهول (اي س) والمال (اي $س^2$) والكعب (اي $س^3$) ومال مال (اي $س^4$) ومال كعب (اي $س^5$)وكعب كعب (اي $س^6$) . وهكذا . . وجزء الشيء (اي $\frac{1}{س}$ وجزء المال (اي $\frac{1}{س^2}$) وجزء الكعب (اي $\frac{1}{س^3}$) . . . . الخ وفي كيفية ضرب هذه بعضها في بعض وقسمتها بعضها على بعض

والفصل الثاني في المسائل الجبرية الست وهي عبارة عن اوضاع مختلفة للمعادلات وكيفية ايجاد المجهول منها اي حلها ، ولولا الخوف من الاطالة لاتينا على امثلة من ذلك . ويجدر بنا ان لا نترك هذا الباب من دون الاشارة الى تعريف الآملي لكلمتي جبر ومقابلة في تفسيرها بين الكلمتين يقول انه عند حل مسألة من المسائل بطريقة الجبر والمقابلة تفرض المجهول شيئاً (اي س باصطلاح الجبري الحديث) « وتستعمل ما يتضمنه السؤال سالكاً على ذلك المنوال لينتهي الى المعادلة والطرف ذو الاستثناء يكمل ويزاد مثل ذلك على الآخر وهو الجبر والاجناس المتجانسة المتساوية في الطرفين تسقط منها وهو المقابلة . ثم المعادلة »

ويقول العلامة سمث في كتابه تاريخ الرياضيات في الصفحة ٣٨٨ من الجزء الثاني من هذا التفسير انه اوضح تفسير لكلمتي جبر ومقابلة

***

قد لا يكون في بحوث الابواب والفصول التي مرت شيء مبتكر او جديد فقد سبقه اليها كثيرون من علماء العرب والمسلمين فهو لم يكن في ذلك الا آخذاً او ناقلاً على الرغم من وجود بعض طرق لم يُسبق اليها

ومن الحق ان نذكر انه قدم هذه البحوث والموضوعات في طرق واضحة جلية تسهل فهمها (فهم البحوث والموضوعات) وتناولها . وهذه هي ميزة بهاء الدين على غيره فقد استطاع ان يضع بحوث الحساب والمساحة والجبر التي يرى فيها اكثر الناس غموضاً وصعوبة في قالب سهل جذاب وفي اسلوب سلس بدّد شيئاً من غموض الموضوع وازال شيئاً من صعوبته

ونأتي الآن الى الباب التاسع فنجد فيه كما يقول المؤلف : « قواعد شريفة وفوائد لطيفة لا بدّ للمحاسب منها ولا غناء له عنها » وقد اقتصر في هذا الباب على اثني عشرة قاعدة وفائدة يدعي انها كلها من مبتكراته وانه لم يسبقه احد اليها ، ولكن على ما ارجح ان في ادعائه هذا بعض المبالغة اذ ان اكثرية هذه القواعد كانت معروفة عند الذين سبقوه وهو لم يكن في وضعها كلها مبتكراً فقد تكون الطرق التي اتى بها مغايرة لطرق من تقدمه من العلماء العرب والمسلمين ولكنه في بعضها مبتكر وقد استعمل لها طرقاً طريفة فيها بعض الابداع وفيها شيء من المهارة والمقدرة تدل على عمق في التفكير . وبعد ذكر هذه القواعد وكيفية تطبيقها يأتي الى « مسائل متفرقة بطرق مختلفة » فيضعها في باب خاص هو الباب العاشر ويقول ان القصد من هذا الباب « شحذ ذهن الطالب وتمرينه على استخراج المطالب » ونراه يستعمل في حلول بعض هذه المسائل طرقاً جبرية وفي البعض الآخر طرقاً حسابية يجد فيها الطالب ما يشحذ ذهنه ويقوى فيه ملكة التفكير

والآن عن اسم « الخاتمة » يستهلها المؤلف هكذا « قد وقع للحكماء الراسخين في هذا الفن مسائل صرفوا في حلها افكارهم ووجهوا الى استخراجها انظارهم وتوصلوا الى كشف نقابها بكل حيلة وتوسلوا الى رفع حجابها بكل وسيلة فما استطاعوا اليها سبيلاً وما وجدوا عليها مرشداً او دليلا فهي باقية على عدم الانحلال من قديم الزمن مستصعبة على سائر الاذهان الى هذا الآن . . . »

ولقد اورد من هذه المسائل التي اعجزت علماء الرياضة وانهكت قوى الحاسبين سبعاً اتى بها على سبيل المثال . . ثم يخرج من بعد ذكرها الى مدح رسالته هذه وقد سماها « بالجوهرة العزيزة » ويقول عنها . « من نفائس عرائس قوانين الحساب مما لم يجتمع الى الآن في رسالة ولا في كتاب . . » ويقول عنها ايضاً على القاريء ان يعرف قيمتها ويعطيها حقها من الانصاف والتقدير وان يحول بينها وبين من لا يعرف مزاياها « وان لا يزفها الا الى حريص لان كثيراً من معانيها حري بالصيانة والكتمان حقيق بالاستتارة عن اكثر هذا الزمان ، فاحفظ وصيتي اليك فالله حفيظ عليك . . » وليس في مدح بهاء الدين رسالته اي عجب فلقد كانت العادة عند مؤلفي زمنه والذين سبقوه ان يمتدحوا رسائلهم ومؤلفاتهم وان يسرفوا في ذلك ونظرة الى كتب الاقدمين في اللغة والادب والتاريخ وبقية العلوم تؤيد رأينا وتحققهُ

ولكتاب الخلاصة شروح عديدة عرفنا منها شرحاً لشخص اسمه رمضان ، ولم يكن هذا الشرح معتبراً عند العلماء اذ لم يكن له ميزة او صفة خاصة وقد ظهر في زمن السلطان محمد حسن بن السلطان ابرهيم . وهناك ايضاً شرح لعبد الرحيم بن ابي بكر المرعشلي احد علماء الدولة العثمانية ، ويمتاز شرحه على غيره بالامثلة المتعددة التي توضح كثيراً من المبادىء الصعبة والقوانين الغويصة وفي هذا الشرح يتجلى للقاريء سعة اطلاع الشارح ووقوفه على العلوم الرياضية وهذا هو الذي ميزه على غيره (من الشروح) وهذا هو الذي جعله سهلاً لكثيرين من العلماء . وقد طبع كتاب الخلاصة في كلكت في سنة (١٨١٢) وفي برلين سنة ١٨٤٣ ، وقد ترجمه الى الافرنسية الاستاذ مار Marre في سنة ١٨٦٤

ويظهر ان بهاء الدين بدأ في تأليف كتابه المسمى (بحر الحساب) ولكنهُ لم يتمه فقد مات قبل الفراغ منهُ ، وفيه تفصيل لبراهين من النظريات الهندسية وقوانين المساحات والحجوم وبعض المبادىء الحسابية ، وأدخل فيه ايضاً طرقاً جديدة لحل مسائل مختلفة صعبة تشحذ الذهن وتمرنهُ على حل الاعمال المعقدة الملتوية

نابلس — فلسطين

اليزيدية [1]

عقائدهم و تقاليدهم

لقيصر صادر
عضو جمعية الآداب السورية

اليزيدية طائفة تنتمي كثرتها الى الجنس الكردي وقد امتزجت بالشعوب السامية في سوريا والعراق وبالشعب الأرمني في آسيا الصغرى. وتشتق تسمية هذه الطائفة على ما اجمع عليه علماء التاريخ من كلمة «إزد» الفارسية الاصل ومعناها خليق بالعبادة وهي تطلق على الملائكة التي تتوسط بين الله والبشر وفي اعتقاد اليزيد انهم من اتباع تلك الملائكة

ولهم ديانة خاصة تكوّنت عناصرها من مزيج سائر ديانات الشرق الأدنى وباني هذه الديانة هو شيخ متصوّف يدعى الشيخ عادي عاش في جبال الموصل بين القرنين الخامس والسادس للهجرة بيد ان منشأه وسيرته الحقيقية وتاريخ ديانته يحيط بها الغموض وتغشيها الاوهام والخرافات لفقد مراجع تاريخية جديرة بالاعتبار ولتشدد اليزيد في صون اسرار ديانتهم وما يتعلق بها

على ان اتباع هذه الديانة كانوا منتشرين فيما مضى من اقاصي بلاد العجم والعراق حتى البلاد السورية وكانوا يقطنون على الاخص في سامرة وشرقاط [2] وفي ضواحي حلب والشام وفي قرى أورفه وحران وسعرد ونصيبين وبيره جيك وعينتاب حتى وفي نواحي فران وان كان لهم الوف من القرى. اما اليوم فقد تضاءل عددهم كثيراً بسبب الاضطهادات الدينية والمظالم المريعة التي حلّت بهم على عهد الحكومة العثمانية فلم يبق منهم غير ما يقرب من خمسين الفاً وكانوا يحصرون في

(١) عني الدكتور قسطنطين زريق استاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية بنشر كتاب عنوانه «اليزيدية قديماً وحديثاً» ضمنه سيرة احد امراء اليزيد المعاصرين رواها صاحب السيرة نفسه وقد صدّرها الدكتور زريق بمقدمة شائقة محافظاً على ايراد نصوص السيرة نفسها واصلها الاصلي بلغة كاتبه فصرنا نقتبس منه مقالنا هذا. فنوجه نظر من يحب التوسع في موضوع بحثنا الى هذا الكتاب الذي يطلب من المطبعة الاميركية في بيروت

(٢) قرب آبار النفط العراقية

سهول قضاء الشيخان وجبل سنجار حول لواء الموصل اذا ما استثنينا هرآ ما زال يقطن في بلاد العجم وفي ابلاد الارمنية الواقعة على حدود تركيا وروسيا وفي حيان كليس وعينتاب وديار بكر وماردين التركية

اما مركز رئاستهم فهو في قرية باعذري من قضاء الشيخان الواقع في الشمال الشرقي من الموصل حيث مزار نبيهم الشيخ عادي وقاعدة اميرهم الميرميران

﴿ احوالهم العامة ﴾ يتكلم اليزيد الكردية بلهجات مختلفة والتركية في آسيا الصغرى والعربية في سوريا والعراق ويقدسون لغتهم الجنسية معتقدين ان الله قد كلّم آدم واوحى بوصاياه لموسى بالكردية

وهم رجال أشداء ، طوال القامة ، اقوياء البنية ، سود العيون ، حمر الوجوه بلحى مسترسلة يتحلون بمزايا حسنة منها صدق القول ونزاهة الاخلاق والجد في العمل وحب الحرية والاستقلال ويمتازون بالعفة وطهارة العيش ويمقتون الزنى اشد المقت ويجلّون كارمهم اجلالاً بالغاً ، يشتغلون بزراعة الارض وتربية المواشي وكثير منهم ما زال في طور البداوة يؤلفون قبائل رحّالة تدعى « الكوجر » ونظامهم الاجتماعي ما برح في الدور القبلي . فكل قبيلة منهم تقسم الى بطون وافخاذ يرأسها شيوخ يديرون امرها ويقسمون مجموعهم الى طبقات معينة تفصل بينها حدود واضحة فمنهم العوام ومنهم الروحانيون الذين ينتظمون في فرق مختلفة وهم شديدو التحفظ على تقسيمهم الاجتماعي والديني لاعتباره العامل الذي يضمن سلامة جنسيتهم ونظام مذهبهم فلا يُسمح مثلاً لاحد افراد طبقة ما ان يتزوج من غيرها ولا ان يرتقي الى ما هو أعلى منها والويل لمن فعل فالحجارة يُرجم وبالسوط يجلد وشر ميتة يموت

يترأس جماعة اليزيد شيخان احدهما زمني من نسل آل يزيد يلقب الميرميران بمعنى امير الامراء يقطن في قرية باعذرى كما تقدم بنا القول ويدير أمور طائفته المدنية ويمثلها امام العالم الخارجي . والآخر روحاني يمثل السلطة الروحية العليا وهو المرجع الاعظم لكل ما يتعلق بالدين والعقائد اليزيدية يساعده في مهمته هذه جماعة من الروحانيين ينتظمون في خمس فرق مختلفة لكل منهم لباس خاص واعمال دينية معينة

الشيخ أعلاهم رتبة وهو مكلف إرشاد الاسياد
والپير كاهن يختص بامور الصوم والافطار
والفقير يعلم أولاد الفقراء طقوس الديانة ويخدم قبر الشيخ عادي
والقوال يدق بالدفوف والشبابات ويتلو مدائح الله والملائكة
والكوجك يلمس الاموات ويكفنهم ويفسر الرؤى والاحلام

﴿عقائدهم الدينية﴾ الشائع عن الديانة اليزيدية انها عبادة الشيطان بيد ان من يقف على عقائدها الصحيحة يجد نفسه امام ديانة حية وسكنها لا تخلو من بعض معتقدات طريفة وقد تسربت اليها من عناصر وثنية قديمة وارامية زردشتية ويهودية ونسطورية وصوفية وصابئية وشامانية

وهي تقوم على الايمان بوجود اله خالق كبير يعاونه في ادارة الكون سبعة ملائكة انبثقوا من نوره وسمُّوا عزرائيل ودردائيل وميخائيل واسرافيل وعزرائيل وشمخائيل ونورائيل وقد ابدع كل من هؤلاء جزءاً من هذه الدنيا حتى صارت كاملة فاختار الله عندئذ الملك الاعظم عزرائيل لمهمة خطيرة ما علم ان تمرّد فيها على اوامره سبحانه وتعالى فعوقب على خطيئته وندم وبكى دموعاً اطفأت نار جهنم فغفر له الله خطيئته واعاده الى مركزه الرفيع وولاه امر الخليقة وادارة الكون . واليزيد يعظمون هذا الملك الذي يلقبونه ايضاً بالملك طاووس ويضرعون اليه باعتباره مدبّر الكون وراعي شؤونه ويلتمسون منه كل حاجاتهم عن يد نبيهم الشيخ عادي فيكون اذاً ثالوثهم المقدس مكوناً من الله والملك طاووس والشيخ عادي وهم يدعون ان اصول دينهم التالية موحاة اليهم من الملائكة والاولياء ولكنهم في الواقع يمارسون الصوم وتقديم الضحايا في بعض اعياد سيأتي الكلام عليها اقتباساً من الاسلام ويأخذون العماد والتصبغة والعشاء الرباني وتحليل شرب الخمر عن النساطرة وتحريم بعض الاطعمة عن اليهود والسجود عن الوثنيين وتفسير الرؤى والرقص في الصلاة عن الشامانية ويؤمنون بالحلول والتقمص اخذاً عن الصابئية وهم اعتقاد قويم بوجود اخ لكل يزيدي في الآخرة على مثال الملاك الحارس ، يتحتم عليه مرضاته وتكريمه ، ويبالغون في كتمان العقيدة على مثال الصوفية ويعتبرون الصلاة باسمر خير ما يكون ولا يحددون لها الفرائض مدعين ان كتبهم في قلوبهم وان الملك طاووس يرشد احبّاءه من دون كتاب ويهديهم غيباً وتكون تعاليمه في كل حين مواجهة للظروف وملائمة لتطور الايام . على ان لهم كتابين مقدسين « الجلوه » و « مصحف رش » ومعنى هذا الاخير بالكردية الكتاب الاسود . وهذان الكتابان يتضمنان اصول ديانتهم المتقدمة الذكر وصلواتهم واناشيدهم وتهاليلهم واعيادهم وطقوسهم واساطيرهم المقدسة نقتطف منها بعض الشيء قدر ما يسمح لنا المجال

***

﴿اساطيرهم المقدسة﴾ عندهم اسطورة التكوين ان الله صنع مركباً وسار عليه في جوانب البحار وخلق من ذاته درة وحكم عليها اربعين الف سنة ثم غضب عليها ورماها فتكونت الجبال من غضبه ومن دخانها صارت السموات وصعد الله الى السموات وجمدها وركزها بغير أعمدة

اما اسطورة بدء الخليقة فهي على مثال ما ورد في التوراة عن جبل آدم من تراب الارض ولكنها تختلف عنها من حيث ان صانع الانسان الاول كان الملك طاووس فانه بعد ما جبل آدم من تراب

وماء ونار وهواء مع في ادميه فانتصب على رجليه وأسكنه الخلمدة او مينسنه وخلق له من تحت ابطه لشمال حواء وجعلها معهُ ولكن الله تعالى امر باخراجهما من الفردوس فطمهما الملك طاؤوس الاشمال البشرية كلها واطعمهما من شجرة الحنطه ومج في بطنهما والقاها على الارض وكانا بلا مخرج فتصايقا فارسل لها طيراً اسمه العلاّج نقرها وها بام فتح لها مخرجاً واستراحا فلما استيقظا من عيونهما تارعا على نسبة النسل وقررا ان يلقي كل منهما شهوته في جرة ويختمها بعد انقضاء تسعة اشهر فتح آدم جرته فطلع بها ولدان ذكر وأنثى سماها شيث وحورية فارضعهما مدة سنتين من ثديه وتناسلت منهما الامة اليزيدية . اما جرة حواء فعند مصونها. وبعد هذا عرف آدم امرأته حواء فولدت جنينين ذكراً وأنثى سماها قابين وهليونه تناسلت منهما سائر طوائف هذا العالم

ويروون ايضاً قصة الطوفان على شبه ما وردت في اسفارنا المقدسة ويعتقدون ان سفينة نوح استقرت بعد الطوفان على جبل سنجار

***

﴿ اعيادهم وطقوسهم ﴾ كان اليزيد يقدسون يوم الاربعاء ويعطلون فيه عن العمل الاّ انهم حوّلوا ذلك مذ حين الى يوم الجمعة مجاراةً للاسلام ولهم ما عدا ذلك اعياد دينية وشعبية تفوق روعتها ومباهجها القبلي الخاص بهجة اعياد سائر الشعوب المتحضرة في طليعة هذه الاعياد رأس السنة ويسمى بالكردي «سرصالي» . يصادف هذا العيد عندهم يوم اول نيسان (ابريل) بالحساب الشرقي. في منتصف ليلة هذا العيد ترتدي النساء الحر ما لديها من الالبسة وتتزين باحلى وترقص مع الرجال على انغام التراتيل الكردية إعتقاداً منهن أن الملائكة ستأتي في تلك الساعة وتسوم الناس هذه العبادة

ثم تلو كل ايام نيسان اعياد حافلة يحرم فيها الزواج احلالاً للانبياء الذين تزوجوا في شهر الورود ويمنع حلاقة الشاه صنعاً بالحلة الخضراء والازهار الجميلة التي تزدان بها الارض ويطوف الشبان والصبايا في البراري والحقول ويجمعون الورود طاقات جميلة يكللون بها ابواب البيوت ويتحتم على كل بيت ان يضحي في اول اربعاء من هذا الشهر بقراً وغنماً او دجاجاً بحسب طاقته وان يضعها في قدور مطبوخة على قبور موتاه صدقة عن نفسها . ثم تحتفل الطائفة اليزيدية احتفالاً شائقاً بعيد «بيرامدة» اي عيد ولادة ملكهم يزيد الواقع في ١ كانون الاول (دسمبر) فيمرحون به ويشربون الخمر ويولمون ولائم فاخرة تدوم حتى الصباح

وفي اليوم العاشر من شهر ايلول (سبتمبر) يحج جميع اليزيد الى قبر الشيخ عادي في قرية باعدري ليحيوا عيد الجماعية وهذا العيد هو عبارة عن سلسلة احتفالات تجري حول تخت الملك يزيد . فتتوافد كل القبائل في نصب هذا التخت ويخلع امير الشيخان عباءة مزركشة على اغا العشيرة

الذي ترسو المزايدة عليه فينصب التخت المذكور بين اطلاق الرصاص والاهازيج ونقر الدفوف والتشبيب. ويدعون نوراً مقدساً ويطلخونه فكل من يتوصل الى الفوز بلمسة منه ينال مرامه ولا يبادرون قبر ميتهم ما لم يقدموا له احسن الهدايا التي في وسعهم ان يجودوا بها ولهم اعياد أخرى ثانوية منها عيد القربان تذكار تقدمة ابراهيم أبنه اسحق قربانا ففي هذا العيد يتسلقون جبلاً عالياً متسابقين الى مكان معين يحشون منه الاحطاب ويحملونها هدية الى مطابخ الامير ويتحتم على كل يزيدي ان يذبح ذبيحة في هذا اليوم ويعيدون في اول خميس من شهر شباط (فبراير) عيد الخضر الياس ويحتفلون قبل عيد رمضان بيومين بتذكار خلاص احد اوليائهم من السجن ويخصصون اليوم العاشر من شهر كانون الاول (دسمبر) لعيد الاموات. فيزورون فيه موتاهم ويكرمون ذكراهم ويمتثلون لامر الله بالصوم والصدقة والخير فيصومون اربعين يوماً في السنة منها في شهر كانون الثاني (يناير) ومنها في شهر تموز (يوليو) ولا يتأخرون عن تقديم الصدقات لفقراء الملك طاووس

***

يعتقد اليزيد ان كلاً من الملائكة السبعة صنع له سنجقاً على الارض حفظها سليمان الحكيم لديه ثم صارت بعد موته الى يد ملوك اليزيد وهذه السناجق مصنوعة على اشكال نحاسية وحديدية تعلوها صورة طاووس وهي محفوظة عند امير الشيخان مع طلاسم أخرى موروثة عن بعض معابد قديمة كتماثيل حيات وعقارب وغيرها من تعاويذ يزعمون ان الملك طاووس ينتحل اشكالها ليخرج حية من الجنة ويهبط على الارض وهم يحملون السناجق والطلاسم المذكورة ويطوف بها كهنتهم في بعض مواسم السنة على قراهم كافة بطقوس واحتفالات هي غاية في الغرابة ويجري التطواف المذكور ثلاث مرات في السنة على المنوال الآتي فيستقبلها المؤمنون بحماسة فائقة ويقدمون لها التبرعات التي يعود اكثرها للامير

يعمّد القوالون السناجق المذكورة عند اخراجها من مخابئها بماء السماق ويأخذون مع كل منها حملاً مجبولاً على اشكال القمع من تراب الشيخ عادي لتوزيعها على اهالي القرى التي يأتونها على سبيل البركة

وعندما يقتربون من قرية يزيدية يوفدون امامهم منادياً يحض الناس على استقبال صورة الملائكة فيخرج جميع السكان بحلل بيض نظيفة وأرجل حافية مسحبين مهللين مقدمين البخور والعطور والنساء يمشين امام السناجق مزغردات فرحاً. وما يكاد الموكب يحط رحاله في الساحة العامة من القرية المقصودة حتى يأخذ اكابر القرية بالمزايدة لحصول على شرف ادخال السنجق تحت سقف بيوتهم. وينصب له صاحب اليد الطولى منصة عالية في صدر مسكنه يسند عليها الطاووس بكل تبجيل واحترام ويشعل حوله السرج ويجلس القوالون عن يمينه

وشماله ويشرعون في ضرب الدفوف ونفخ المزمار فيتدفق الناس من كل حدب وصوب للتبرك والزيارة ويدورون حلقات حول الطاؤوس سبع دورات بخضوع وخشوع وضمّ ايديهم على صدورهم رمزاً الى تكفيرهم عن خطاياهم ثم يسجدون ويقبلون الطاؤوس ويقدمون له الهدايا والنذور التي نووا بها في قلوبهم من مال وما كول فيقرأ القوّالون صلاةً على رؤوسهم تغفر بها خطاياهم كافة وفي الليل يغسلون الطاؤوس بماء السماق ويدهنونه بالزيت ثم يملأون جرةً معدنية خاصة بماء المذكور ويعطون منها لكل مؤمن لغسل باطنه وظاهره

***

﴿ بعض تقاليدهم وعاداتهم ﴾ نخصّ بالذكر من تقاليدهم وعاداتهم الكثيرة اهمها واشدها بروزاً كانوا فيما مضى يحرّمون تعلم القراءة والكتابة على العوام ويحصرونه في أسرة واحدة تقطن في قرية بعشيقة غير انهم بدأوا يتساهلون في ذلك مؤخراً واخذ اولاد امرائهم يفدون الى كليات بيروت

اما فيما يتعلق بسائر تقاليدهم فما زالوا يتمسكون بها تمسكاً قويًّا ومنها ان الروحانيين لا يمرّون موسى على وجوههم تيمناً باقيال الخير والعوام لا يرتدون الثياب الزرق ولا ذات الطوق المفتوح ولا يقضون الحاجة في المستراح ولا يصفقون علناً ولا يلبسون السروال قعوداً ولا يتدثرون وقوفاً فهذه كلها محرمة كما حُرّم عليهم التلفظ باسم الشيطان وبكل لفظ يشبهه اكراماً لذلك الطاؤوس ومما يخص المأكولات فقد نهوا عن اكل لحوم الخنزير والديك والغزال والسمك وعن الخس والملفوف (الكرنب) والقرع والباميا من انواع الخضروات وعن الشرب من كوز وهم يتجنبون اكل فضلة غريب وعندهم لكل من هذه المحرّمات اسباب يطول بنا شرحها

***

﴿ أعراسهم وحفلات زواجهم ﴾ بقي علينا وصف حفلات اعراسهم وطريقة زواجهم ونظامه يشترط ان يكون في كل عرس طبل يقرع ومزمار يدوي شهادة على حدوث الزواج الذي يتم باحضار رغيف خبز من بيت الامراء او شيخ القرية وقسمته بين العروسين كناموس للخطبة وعقد النكاح وفي اواخر العرس يعلن وقوع النكاح بطلقات نارية وبشهادة أخرى مقتة نمسك عن ذكرها فيرفضّ المدعوون وتنتهي الحفلة ويتحتم على كل شاب ان يتزوج من طبقته مراعاةً للتقاليد الا الامير فله ان يختار عروسه من اية طبقة احب وشاء. والزواج يكون مسموحاً به من سن الاثنتي عشرة حتى الثمانين ويسوغ لليزيدي الزواج بالواحدة تلو الاخرى حتى السادسة ولكنهُ يحرّم عليه ان يجمع بين اثنتين بغير رضى الاولى. واذا رزق اولاداً من اولى نسائه لا يسمح

له أن يتزوج مع وجودها من امرأة اخرى اما الفتاة فلا ترث ابيها وتباع كسلعة واذا امتنعت عن الزواج المختار لها وجب عليها ان تفي لأبيها حقه فضة او شيئاً من خدمتها وتعب ايديها واذا اختطف احد امرأة غيره يترتب عليه ان يعوض له عنها بامرأته او بأمه او باخته او ارضائه بمال واذا تغيب رجل عن زوجته حولاً كاملاً تحرم عليه ولا يُعطى غيرها ويحرّم ايضاً على اليزيدي ان يتزوج من امرأة اخيه او من امرأة عمه او من امرأة خاله او من اختين من ام واب

والموت عندهم ليس بالمرحلة الاخيرة من هذه الدنيا بل هو على اعتقادهم سبات يعودون بعده الى هذه الحياة مراراً فاذا كان الرجل شريراً تقمصت روحه في جسم حيوان تكفيراً عن سيئاته واذا كان صالحاً عاد الى مرتبة ارقى من مراتب طائفتهم حتى يبلغ درجة الكمال. عند حدوث وفاة احدهم يضعون في كمه حفنةً من تراب الشيخ عادي ويمسحونه به قبل دفنه ويقرّبون اطعمة عن روحه وتسهر الكواكب على قبره فيتراءى لها في الليل ما حلّ بروحه

***

ويجدر بنا ان نختم مقالتنا بوصايا الملك طاؤوس المنزلة بكتاب «جلوه» المقدّس التي تتجلى فيها عظمته وسطوته وجبروته. يقول الملك طاؤوس: —

«المال مالي والسر بياني. أنا أضر وأنا أثري أنا أسعد وأنا أشقي

«لا أحب من يدعوني باطلاً ومن ينكرني أمام الناس أنكره في السماء. أنا أحب من يحبني من اعماق نفسه

«ومن يكرمني ارضى عنهُ وأتجاوز عن سيئاته واقبل منهُ سجية تكرمه عوضاً عن الصوم والصلوات

«أنا أعاقب في عوالم الآخرة من يخالف شرائعي على الارض. ومن لا يشك فيَّ ويدعوني دائماً أحضر عنده في ساعة الضيق والحاجة أهدي غياً احبائي وأتباعي. اياكم أن تذكروا صفاتي أمام الاجانب فتخطئون

«لانكم لا تعلمون ما يفعلون. من لا يجحد منكم ولا يزني ولا يسكر ولا يسل مثل الهراطقة أساعهُ يوم القيامة وارجو من الرب ان يغفر لهُ ويدخله الجنة»

***

واليزيدية على اعتقاد يقين بأنهم سيجدون يوم القيامة الشيخ عادي واقفاً بانتظارهم على باب الجنة فيحملهم جميعاً في طبق على رأسه ويعبر بهم بوابة الفردوس آمنين مطمئنين بلا حساب ولا ديثونة ولا عقاب

مفردات النبات
بين اللغة والاستعمال

محمود مصطفى الدمياطي

— ٨ —

البَلَسان

محركة ويقال له (البَشام) هو شجر البلسم المكي المشهور بتضوّع رائحته البلسمية وهو من الاشجار التي تقوم عليها ثروة بلاد العرب

شجرته صغيرة غير شائكة ترتفع ١٠ قدماً أوراقها ريشية مركبة الواحدة منها تتركب من ثلاث وريقات الى خمس عديمة الاعناق كاملة الحافة او متموّجة قليلاً وهذه الاوراق منثورة الوضع على الاغصان بلا نظام او مجتمعة في طوائف وأزهارها صغيرة مجتمعة في طوائف كذلك

اسمهُ العلمي (Commiphora Opobalsamum, Engler) (قوميفورا اوپوبالساموم) او (Balsamodendron Opobalsamum, Kunth) (بالساموديندرون اوپوبالساموم) او (Balsamodendron Gileadense, Kunth) (بالساموديندرون جيليادنس) او (Amyris Opobalsamum) (اميريس اوپوبالساموم) وفصيلته البخورية (Burseraceae) (بورسيراسية) وبالانجليزية (Balm of Gilead Tree; Mekka or Gilead-Balsam Tree) وبالفرنسية (Balsamier, ou Baumier de la Mecque) موطنهُ بلاد العرب والحبشة وهو دائم فيها الآن معروف في مكة كثيراً وفي بعض جهات الهند والسودان وبلاد النوبة. وقيل إنهُ كان يغرس في مدينة عين شمس بمصر الى العصر الذي وفد فيه على مصر عبد اللطيف البغدادي صاحب كتاب الافادة والاعتبار وأن آخر شجرة منهُ زالت في اوائل القرن السابع عشر

والمنتفع به منهُ سائل راتنجي عطري شبيه بالصمغ يحصل عليه بالشق فيرتشح من الشجرة ويسمى (البلسم المكّي) (Mekka Balsam) او (دهن البلسان) وهو البلسم الحقيقي او سلطان

اللاسم واعلاها ثمناً فقد كان يباع على عهد الرومان ضعف وزنه من الفضة ويدخل في بعض الادوية والمعروف ، المتواتر عند العرب أن بلقيس ملكة سبأ ادخلت هذا الشجر الى بيت المقدس في قصتها المعروفة مع سيدنا سليمان عليه السلام وقيل إن كلمة بلسم مشتقة من (تمل — شيمن) العبرية ومعناها (الزيت الملكي)

أما ثمر هذا الشجر فيعرف في العطارة (حب البلسان) (Carpobalsamum) (قاربوبالساموم) ويقال إن تعاطيه مدهش شديد للارياح المعدية وهاضم للطعام . وخشبه يسمى (قسيلوبالساموم) (Xylobalsamum) يتطيب به العرب والهنود وغيرها ولا يزالان يتجر بهما في بلاد الهند

نبات الكَرْكَديه

او (القَرْقَدِيب) معروف في مصر والسودان ويقال له ايضاً (القَرْقَدِي)و(القرْقَص) شجيرة تزرع سنوياً او تكون معمرة بريًّا فيبلغ ارتفاعها سبع اقدام . وفروعها واوراقها وأثمارها حمراء قانية جميلة . ورقها كاملة الحافة او قليلة الفصوص وثمرتها عبارة عن حق بيضي الشكل مثنه بسن

اسمه العلمي (Hibiscus Sabdariffa, L.) (هيبسقوس سابداريفًا) وفصيلته الخبازية (Malvaceae) (ملفاسية)

وبالانجليزية (Jamaica or Red Sorrel, Roselle Hemp; Indian Hibiscus)

وبالفرنسية (Ketmie acide; Oseille de Guinée) وموطنه الاول جزائر الهند الغربية والآن يزرع في معظم البلدان الحارة وينبت بريًّا في السودان الجنوبي

يتميز بكؤوس ازهاره اللحمية الكبيرة التي تبقى بعد سقوط تويجات الأزهار وتغلظ وتصير عصارية وهي حول الثمار الحقية . وهذه الكؤوس مزة يصنع منها نوع من المربى الفالوذجي الجيد . وتستعمله العامة كالشاي . ويصنع من الثمار الفجة شراب لذيذ منعش او تدخل في انواع المخللات . وفي بعض الاحيان تستعمل الاوراق الصغيرة الفجة المزة كنوع من الخضر تطهى ،

وثم في إفريقية الاستوائية صنف من هذا الكركديه اسمه العلمي (H. S. var. altissima) (هيبسقوس سابداريفا التسيما) يحصل من قلف سوقه على ألياف ناعمة الملمس متينة تشبه ألياف ذلك النوع من الملوخية الذي يزرع في الهند المحصول منه على (الجوت) (Jute) الذي يصنع منه هناك نوع من الحبال والاكياس والغرائر الكثيرة الاستعمال في مصر في الاقطان وغيرها

الفِتْنة

نوع من السنط وتسمى بالشام (الفَرْط) و (العنبر)

وهي شجيرة شائكة تكون صغيرة الى متر ونصف طولاً وكبيرة الى ثلاثة امتار فأكثر اوراقها ريشية مركبة مضاعفة في الورقة من ٤ ازواج الى ٨ من الوريقات الريشية وفي كل من هذه الوريقات من ١٢ زوجاً الى ٢٠ من وريقات غير ريشية شوكها مستقيم . وازهارها مكتظة في رؤوس كروية صفراء ذكية الرائحة وثمارها قرون ممتلئة تطول من ٥ سنتيمترات الى ٧

اسمها العلمي (Acacia Farnesiana, Willd.) (آقاسيا فارنسيانا) وفصيلتها السنطية او المستحية (Mimosaceae) (ميموزاسية)

وبالانكليزية (Sponge Tree; Dresser de la small acacia, Sweet scented acacia)

وبالفرنسية (Acacie odorant, Cassie jaune, Cassie) مواطنها حراج الفيليبين وجنوب الولايات المتحدة وبجيريا والشاطئ الغربي والمكسيك وشمال افريقية وجنوب اوربة ومصر والسودان والشام وغيرها وتزرع بالريفيرا والشام لزيتها العطري الذي يحصل عليه بتقطير الأزهار ويدخل في الروائح العطرية وتزرع للزينة وعلى السياج لجمال ازهارها وطيب رائحتها

الكِتِر

نوع من السنط معروف في السودان بهذا الاسم شجرته ذات اوراق من النوع الريشي المركب الثنائي الازدواج في كل وريقة ريشية زوج واحد من الوريقات غير الريشية البيضية الاهليلجية او المستديرة . وشوكها قصير متقوس وازهارها بيض مجتمعة في سنابل إبطية كالخصل وثمرتها قرن منبسط طوله ٥ سنتيمترات

اسمهُ العلمي (Acacia Mellifera, Benth) (آقاسيا مليّفرا) وفصيلته السنطية او المستحية

وهو دائم في السودان وادخل الى مصر في القرن الماضي . وفي السودان يحصل من قلف شجره الداخلي على الياف تنسج منها اكياس لملئها بالصمغ ويقال ان النحل ترغب زهره كغذاء

السَّوْط

نوع من السنط معروف بهذا الاسم بالسودان ويقال لهُ (الصُّوْد) ايضاً

شجيرته تشبه الخروط المقلوب اوراقها من النوع الريشي المركب المضاعف في كل ورقة من ٣ ازواج الى ١٢ من الوريقات الريشية في كل واحدة منها من ٦ ازواج الى ١٥ من الوريقات غير الريشية الاهليلجية الصغيرة وشوكها صغير متقوس قليلاً طول الواحدة منهُ سنتيمتر

تقريباً . وأزهارها مجتمعة في رؤوس كرية توجد في آباط الاوراق . وثمرتها قرن يقرب لونه الى الصفرة رفيع الطرفين طوله من ٥ سنتيمترات الى ٧

اسمهُ العلمي (Acacia Nubica, Benth) (آقاسيا نوبيكا) وفصيلته السنطية او المشتجية

وهو دائع في اكثر بلاد السودان ويستعمل قلف شجره في الدباغة ويخصص من قلف الجذع الداخلي على أبياف جيدة يستعملونها هناك في بعض حاجاتهم

نبات الشَّنْشَم الاسود

المعروف (بحَبّ السودان) و (حبة بيس) و (حشات اليمن)

نبات سنوي معتدل الساق يرتفع من ٣٠ سنتيمتراً الى ٦٠ يكسوه وبر قصير خشن ذو عدد اوراقه صغيرة من النوع الريشي المركب في الواحدة منها اربعة ازواج من الوريقات البيضية الشكل. ثمراته قرون مرعشة طول الواحد منها ٢½ سنتيمترات الى ٥ وعرضه نصف سنتيمتر تقريباً

اسمهُ العلمي (Cassia Absus, L) (قاسيا آبسوس) وهو من جنس السَّنَى وفي رأي الاستاذ أليينوس (Alpinus) ان كلمة Absus مأخوذة من اسم نهر في فلسطين . وفصيلته السنائية (Caesalpiniaceae) (سيزالبيناسية) وبالانكليزية (Four-Leaved Cassia) وبالفرنسية (Absuscassie)

وحب السودان معروف في الهند والسودان وبذوره تستعمل منها بعد سحقها كالاثمد للعين ويشتفى به في الارماد المزمنة وفي السودان يداوى بها الشَّعْفَة (Ringworm) وتسمى البذور بالفارسية (جشميزك) او (تشميزج) ومعربها (جَشْمِيزَجْ)

نبات القهوة السوداء

ضرب من السَّنى يسمونه في بلاد شمال الهند (كسكندا) (Kalkasunda)

عشب سنوي شبه شجيري يرتفع الى خمسة اقدام . اوراقه من النوع الريشي المركب في الواحدة منها اربعة ازواج او خمسة من الوريقات الضيقة الحادة القمة وأزهاره صفراء وثمراته قرون في صورة الخطوط

اسمهُ العلمي (Cassia occidentalis, L) (قاسيا اقسيدنتالس) وفصيلته السنائية ايضاً وبالانكليزية (occidental cassia) معروف في الهند الصينيه والصين وجنوب الهند وبورما وجزائر الانتيل وسيشل والسودان ينمو بريًّا فيها . والمستعمل منهُ في الطب الاوراق والجذور والبذور فالاوراق المسحوقة تدمل بها الجروح الحديثة والجذور تدر البول والبذور تداوى بها الشَّعْفَة ويستعمل منقوع الاوراق مضاداً للحميات الصفراوية كما تستعمل البذور المحمسة المطحونة عوضاً عن قهوة البن العادية وهذا سبب التسمية بنبات القهوة

أبدع طرق الشام
وأروعها : بين انطاكية واللاذقية

لوصفي زكريا

—٢—

في الكيلو متر ٤٧٫٥ على يمين الطريق مكان اسمه «بابلا» ويسمونه بالتركية المرتفع، يعلو نحو ٧٤٠ متراً عن سطح البحر، وهو جميل المنظر جيد الهواء، فيه عين ثرة يتدفق منها ماء عذب بارد، وأشجار دلب عظيمة باسقة وبناء كبير مستطيل اتخذوه مقهى يرتاده أبناء السبيل الذين يجذبهم حسن المكان فيستريحون فيه برهة. وهنا يشخص السائح فينظر الجبل الاقرع واسمه القديم Casius الشامخ بذروته المخروطية الشبيهة بفوهة البراكين الى نحو ١٧٥٩ متراً، وتحته جبل آخر شرقيه اقل علواً منه يدعونه هناطوران داغ ويسمونه الجبل الواطئ وكان اسمه القديم Anti-Casius

يقف هذا الطود الاشم في ساحل الشام الشمالي كالمنار المرفوع يشاهده ركاب السفن في البحر والقوافل في البر من مئات الاميال، وهو كما يظهر من اسمه اقرع اي عار من الحراج اذكن اللون يغشاه الضباب في أغلب الاحيان. وقد كرّمه الفينيقيون واتخذه اليونان والرومان رمزاً لعبادة المشتري، وصعد اليه القيصر ادريانوس وانتظر هزيع الليل الاخير ليشاهد اقبال النهار في الشرق وادبار الليل في الغرب في آن واحد، وقدم القيصر يوليانوس فيه قرابين للشمس المشرقة، ولا يزال النصيرية فيما قيل يقدسون هذا المنحى

لم يتح لي الصعود الى ذروته. لكني علمت ان الواصل اليها يسرّح بصره في مشاهد غاية في الروعة والامتداد فكأن خارطة شمالي الشام المفصلة تنكشف امامه بألوانها وخطوطها ومرتفعاتها ومنخفضاتها ومراكز مدنها وقراها. وفي الغرب البحر المتوسط ترغي وتزبد امواجه عند حضيض هذا الجبل ويرنو بزرقته وسعته الممتدتين إلى الافق المبهم في البعد وتظهر فيه البواخر صغيرة كالزوارق. وثمة جزيرة قبرص ترى بجلاء كسلحفاة سابحة مدت رقبتها الطويلة تحاول لثم الساحل الشامي، وفي الشمال عن بعد في انحاء كيليكية من بلاد الترك سلسلة جبال طوروس المكللة بالثلوج

في الشتاء والربيع ، وعن كثب داخل حدود الشام الحالية سلسلة جبال آمانوس « اللكام » ثم سهل العمق الافيح وبحيرة انطاكية الزرقاء ووادي العاصي النضر وسواحل الاسكندرونة والسويدية الممرعة وجبل سمعان الذي فيه دير القديس سمعان العمودي . وفي الشرق الجبال الوصيفة الممتدة من وادي العاصي إلى غربي حلب وجنوبها كجبل القصير والجبل الاعلى وجبل باريشا وجبل الزاوية وجبل الكرد الشمالي [1] وجبل سمعان الشرقي [2] وجبل الاحص ، وفي الجنوب جبال البابر والبسيط والاكراد الداخلة في حدود اللاذقية والمنتهية بمراح النياه التي سيأتي ذكرها ثم سواحل اللاذقية وجبال الصهيونية وقمم لبنان الشمالي المكللة بالثلوج في معظم ايام السنة

وبعد منتزه بايلا تنحدر الطريق نحو بقعة منخفضة عاطلة بالجبال في وسطها في الكيلومتر ٥٢ قرية كبيرة اسمها (اوردو) ومعناه بالتركية الجيش والمعسكر ، لان أهل هذه القرية وعددهم ٧٥٠ تركمان من اصول ومناشيء مختلفة ، وما خلا عدد ضئيل من النصارى ، وهي حسنة الدور بعضها مسقوف بالآجر الاحمر ، جددت بعد الخراب الذي اصابها عقب الاحتلال الفرنسي تهمة اشتراك اهلها بالثورات التي حصلت ضد ذلك الاحتلال في سنتي ١٣٣٩ و ١٣٤٠ هـ وعلو الاوردو عن سطح البحر ٤٨٠ متراً وفيها مسجد واحد ومدرسة للحكومة ومخفر لحدود الترك ومركز للدرك والبريد والهاتف . وقد تقدم في فاتحة مقالنا ان الادريسي ذكر في كتابه « نزهة المشتاق » وجود حصن في هذه الانحاء اسمه حصن المرمدة وان المستشرق الفرنسي دوسسو على أن قرية الاوردو مبنية في مكان هذا الحصن لاقتراب الابعاد التي ذكرها الادريسي عليها . هذا وقد جعلت الاوردو قاعدة ناحية تتبعها قرى كرجي وملاكيور وسوروقة وشاقشاق وصوغور وطمطم وقشلاق وغيرها الشبيهة اسماؤها بقرى الاناضول

وفي غربي ناحية الاوردو التركمانية ناحية اخرى ارمنية قاعدتها كَسَب ، تصل اليها السيارة في درب [3] طوله ١٢ كيلو متراً . وكسب قرية كبيرة جميلة عدد سكانها ٢٥٠٠ ذات بيوت متقنة بعضها مسقوف بالآجر الاحمر تشبه من بعد قرى جبل لبنان ، لانها مبنية في السفح الجنوبي لجبل الاقرع على علو ١٠٥٠ متراً عن سطح البحر وفي فقة راحبة بالحراج الملتفة ، ولذلك يقصدها فريق من نصارى اللاذقية للاصطياف وفيها عدة مدارس ودير عظيم للآباء

(١) في شمال الشام جبلان ينسبان الى الكرد او الاكراد احدهما [illegible] ويؤلف [illegible] قاعدته [illegible] عفرين [illegible] واهله اكراد [illegible] لا يعرفون العربية [illegible] ويؤلف [illegible] واهله اكراد [illegible] منذ عدة قرون وتأثروا باللغة العربية ولم يبق لهم من الكردية الا الاسم

(٢) في شمالي الشام جبلان ينسبان الى القديس سمعان العمودي احدهما غربي حلب على بعد [illegible] كيلومتراً وثانيهما غربي انطاكية وقرب السويدية والبحر على بعد ٢٠ كيلو متراً وفي كليهما دير قديم خرب باسم القديس المذكور ولعل الثاني هو الاصح لانه [illegible] وقد ذكر ياقوت في معجمه [illegible] وأحسن بقوله [illegible] الى حصن اللكام وصحيحه ان يقول الى المدق الاقرع (٣) [illegible] طريق [illegible] السيارات بالمحول [illegible] واستعملها مقابل كلمة Plate العربية كما [illegible] مقابل كلمة Chaussée

الفرنسيسكانيين الذين يهتمون بكنيسة هؤلاء الارمن . وقد جعلت كسب قاعدة ناحية تتبعها قرى الارمن المجاورة وهي ايكيز اولوق وقره طوران وكوركنه ومرسلك

وارمن الجبل الاقرع كارمن جبل موسى المشرف على انطاكية عريقون في قدمهم وسكناهم في هذه الانحاء ، وربما كان ذلك منذ القرن الاول الميلادي على عهد جدهم ملوكهم ديكران الذي حكم انطاكية زمناً يسيراً ثم ازاله الرومانيون وبني قومه في الاماكن التي اقطعها لهم . وهم هنا قد رحلوا محتفظين بلغتهم وتقاليدهم الخاصة . ولكنهم في المذهب منقسمون الى نحل شتى : غريغوريين وبروتستانت وكاثوليك

وهؤلاء الارمن كابناء جلدتهم في كيليكيا كانوا في زمن غارات الفرنجيين والصليبيين والتتر على البلاد الشامية الاسلامية يرشدونهم الى المسالك والعورات التي كانوا مطلعين عليها بحكم المجاورة والاتصال ويقدمون لهم ارباب الصناعات الحربية التي كانوا بارعين بها كبناة القلاع والحصون وعارفي قواعد حصارها والدفاع عنها والنقابين والنفاطين ورماة المنجنيق وغيرهم من مستعملي آلات الهدم والحرق . ولما زحف الجيش الفرنسي في بلاد الشام جمع من متطوعتهم عدداً وفيراً خدموه اكبر خدمة في اطفاء ثورة الحلبيين في سنتي ١٣٣٩ و ١٣٤٠ وثورة الدمشقيين في سنة ١٣٤٤ هـ

بعد مغادرة قرية الاردو تبدأ بداعة هذه الطريق وروعتها — الثاني جمالها فتوافق مقالتنا بالظهور في احلى مباهجها . اذ ان الطريق بعد الاردو تجتاز جسراً طوله ثلاثون متراً فوق نهر القرشية احد روافد النهر الكبير الشمالي ، ثم تتغلغل وتتسع بين حراج الصنوبر الملتفة التي تنبه نضرتها ورشاقة سوقها وشذا اريجها ولا تزال في انحدار متوالٍ تتموج تارة وتستقيم اخرى بين تلك الحراج حتى تصل في الكيلومتر ٥ر٦١ الى الحد الفاصل بين حكومتي انطاكية واللاذقية حيث العلو ٤١٠ امتار ثم تعود الى الصعود تدريجياً في ناحية انابر الركابية ذات الجبال والحراج والمنحدرات والثنايا[1] الرهيبة المتوالية ، منها في الكيلومتر ٦٢ ثنية تفضي الى قرية دور آغاج القريبة منها . واخرى في الكيلومتر ٦٤ تفضي الى قزيل داغ « الجبل الاحمر » علوها ٨٠٠ متر وفيها منظر جميل يشرف على الجبل الاقرع واعطافه — الشرقية . وهكذا الى ان تصل في الكيلومتر ٦٦ الى ثنية « عين الحرامية » التي ينكشف فيها البحر المتوسط وحيث العلو ٦٢٩ متراً

هنا في عين الحرامية صفحة لا تمل ، ورؤية لا تجتوى هما بيت القصيد في هذه الطريق التي قلنا انها أبدع طرق الشام واروعها . وفي الغرب البحر المتوسط يمعن في التبسط والابتعاد حتى يلامس السماء الصافية ، ويشتد هذا البحر في زرقته البديعة او يحيلها خضبة صبغة بحسب ساعات النهار ، وثمة شطوط — وهنالك وفيها نحو عشرة كيلومترات — تظهر شقراء ملطخة بقطع بيضاء رعا

(١) الثنية كل عقبة مسلوكة محصورة في مكان وجمعها ثنايا وتقابلها في التركية « بل »

ان تزبد الامواج المتكسرة عند اقدامها وعلى مقربة من تلك الشطوط جبل متواضع في علوه وضخامته اسمه صيرنلاين داغ اي جبل الصبغ يرصف نحو البحر واحدث فيه رأساً يعرف الآن برأس بسيط ويدعى ... Cap pos على جنبه خليج صغير لايواء السفن يدعوه الملاحون خور البسيط

وينبت وبين تلك الشطوط حراج وسيعة ملتفة كانها جنة سندسية تنبسط فوق الهضاب والسفوح وتعششت على الاودية والمشارف وحجبت المضائق والمعاطف واختفت تحت ظلالها مزارع وضياع ذات دور منتثرة ، منها دير عظيم للفرنسيسكانيين ، وفي ساعة الغروب تنعكس اشعة الشمس على قشور الصنوبر الحمراء الملساء فتظهرها كالنار الملتهبة

وفي الشمال الجبل الاقرع واعضاده المترامية على اقدامه ، تظهر في جملتها وغناء المنظر ، وكثافة اللون متجهمة الشعاب ، كثيرة المخارم والفجاج ، اكتست حتى منتصف علوها بالبلان والعرعر واشباهها من الاجم الشائكة ، ثم رفعت قمتها من علو ١٢ الى ١٧٥٩ متراً جرداء يكسوها الصخر الخالد وتحيط بها ذكريات التمجيد والتكريم . وفي الشرق جبال النابر لمشاة الحراج الشيباء المدراء[1] ذات السطر السندسي النضر والاريج الراتينجي العطر الذين يأخذان بمجامع القلوب

اما الين « عين الحرامية » التي تبدل حولها العدم امناً ووحشتها انساً فهي في اسفل الطريق اسمدة ذات ماء عذب بارد ، تحمل لها حوضان تظللها اشجار الصنوبر الباسقة . وبداوة هذا المكان وفتنته وفوحان اريجه الراتينجي وعمرته تجعله صالحاً لبناء فندق للاصطياف او مصح للمصدورين الذين يجدون فيه كل اسباب الهناء والشفاء

وثمة شعب طوله نحو كيلو مترين ونصف او اقل ينحدر تحت عرعره ، حبلة بين الحراج الشيباء المدراء الى حصتاة اي ساحة عارية بين اشجار وارفة [2] تحسبها قطعة فرت من مجاهل افريقية الاستوائية وغاباتها الرهيبة التي كنا نقرأ عنها ثم نشاهدها في دور السينما . هذه الساحة التي ليس لها اسم ولا يعرفها الا القليل انفسحت بين تلك الحراج الملتفة ونمت حولها اشجار عظيمة دهرية من البلوط والزان والدلب وغيرها ، ثم رفعت بين هذه الاشجار دوالي العنب البري وعرائش الملي والمشق وغيرها من النباتات المتسلقة والمتهدلة ، وامتدت من شجرة الى اخرى واحاطت بسوقها واشتبكت حتى صارت كنفس السرادق او الصواوين الخشبية . وهناك عين جارية تتدفق تحت دلبة عظيمة تزيد في طراوة هذه الساحة وروقها يجري ماؤها كالشلال وينحدر نحو واد لا يقترب منه لالتفاف نباتات السرخس والسعاب والعليق وغيرها ، ناهيك بالمراطين التي لا تعد ولا تحصى وتحاول اشعة الشمس ان تخترق هذه الاشجار والاجم الملتفة والعرائش المشتبكة فلا تجد الى ذلك سبيلاً لا جرم ، ان عين الحرامية

---

(١) الشيباء هي الحرج ذات الشجر الملتف والمدراء التي لم تمسها يد حاطب بعد

(٢) الحرجة الطريق بين الاشجار ويقابلها في الفرنسية allée (٣) يقابلها في الفرنسية كلمة clairière

ومشاهدها وبديعها وحراجها وشذا أريجها وساحتها الطبيعية التي هي من أجمل أماكن النزهة والعزلة وأحدها في شمالي الشام يجدر بحكومة اللاذقية أن تعنى بها وبما فيها من الحراج — المجاورة لها من مروض الخطابس وغيث الخريين ربما تقوم ببناء مصيف او مصح صالحين لارتياد محبي التمتع بنشق هذه النفائس الصحيحة وراغبي الاستشفاء من الامراض الصدرية

وعلى ذكر هذه الحراج أقول انها من أجمل ما رأيت في بلاد الشام سعةً وكثافةً وحسناً تبلغ مساحتها فيما قيل نحو عشرة آلاف هكتار والجنس السائد فيها هو الصنوبر المعروف بالحلبي يليه البلوط والقطلب والسنديان والرمريق والبطم والزعرور البري والاجاص بري، وفي الاودية الرطبة الدلب ، وثمة بعض الادغال والاعشاب النافعة اخصها السماق ونبات الميرز الطبي

على اني لحظت في كثير من الاسف ان صنوبر هذه الحراج قد تفشت في كثير من اشجاره عثالة حشرة يغلب على ظني انها البومبكس الاحتفالية Bombyx processionea التي تعد من افتك اعداء حراج الصنوبر فهي هنا تنسج على اغصانه شباكاً شبيهة بالكرات فتسلب بهجته وصوحت نضرته ، وتعرض هذا الكثير المصاب بالجفاف والانقصاف . ولا ادري ان كانت « دائرة الزراعة والحراج » في حكومة اللاذقية على علم بهذا الداء الفتاك وعلى عزم الاهتمام بمكافحته قبل تفاقم شروره وانقراض آخر رمق من هذه الثروة الطبيعية التي لا تعوض ، ثروة انقرض امثالها من معظم جبال الشام بحكم قصر التفكير وسوء التدبير

هذا وكما تمتاز هذه المنطقة الجبلية بحراجها الجميلة تمتاز ايضاً بوجود انواع من الحجر الاحمر المعروف بالسماقي وكذا انواع من الاحجار ذات الالواح والطبقات كالاردواز والپورفير والشيست والكلس . وقيل ان استخراج الحديد في جهات البسيط ممكن واقليم هذه المنطقة رغم قلة ارتفاعه عن سطح البحر يعد صالحاً للاصطياف لدوام الرياح البحرية الندية

اما التركمان القاطنون في هذه المنطقة وفي ناحيتي الاردو والبصير الفوقاني وقد تكرر ذكرهم مراراً ومثلهم القاطنون في شرقي الشام ووسطه وجنوبه ففرقهم من الترك كفرق الاعراب من العرب ، هؤلاء بدو واولئك حضر اذ لا يزال من التركمان في بلاد الاناضول وقلب آسية قبائل عظيمة ذات نجعة وارتياد لمراعي الماشية التي يعيشون بها دون سواها . على ان الذين في بلاد الشام قد تحضروا وصاروا — قرويين وفلاحين ، لكنهم ما برحوا محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وهي تركية سقيمة دخلها كثير من الكلمات العربية العامية وقد اختلفت الروايات في تاريخ مجيء هؤلاء الى بلاد الشام وسببه . واقرب الاقوال الى الصحة ان اول من جاء بهم هو السلطان سليم العثماني حينما اقدم على فتح الشام سنة ٩٢٢ هـ ثم سار على غراره اخلافه من الوزراء الذين تداولوا الولاية في هذه الديار ، وظلوا يجرون هذا السيل من حين الى آخر ، يأتي دافقاً ولا يلبث قرناً او اقل حتى يتضاءل بحكم اختلاف الاقليم وتوالي الاحن ،

ودام هذا الحرف حتى اوائل القرن الثالث عشر الهجري، فصد الشاميون منك على ما يظهر تكثير سواد ابناء جلدتهم بين عرب الشام وتريد نفوذ دولتهم بهؤلاء القوم الذين حفظوا العرب والعجم وتركمان الاعمال الشمالية « بين انطاكية واللاذقية » وان عوا على فطرتهم وجهل ما عدا منهم لعرب عهدهم بلاد الترك واعتصامهم بجبال وحراج لا ترام ، لكن الذين تدبّروا منهم انحاء حماة وحمص وتلكلخ وصدور « شرقي طرابلس » والجولان « جنوبي دمشق » ذابوا في البيئة الشامية او كادوا ، لا يميزهم الغريب عن ابناء البلاد الاصلية الا ما خدع في هيئاتهم واصغى الى احاديثهم فيما بينهم ، بحيث محتفظين بعاداتهم وسحنهم التورانية ولغتهم الموصوفة آنفاً

وقيل ان منشأ تركمان شمالي اللاذقية من انحاء كلج وارزنجان في شرقي الاناضول الشمالي ، ومنشأ تركمان وسط الشام وغربه وجنوبه من قبيلة أفشار التركمانية الضاربة في قلب الاناضول بين سيواس وقونية ، وان تركمان اللاذقية — متوزعون في ضياع وضيعات اكثرها في ناحية الباير ونصفها في ناحية السبط واقلها في ناحية البهلولية . واشهر ضياعهم في الاولى كلية وهي قاعدة الناحية ثم شحرورات وشرين ودرويشان وعمام وكبرا وعيسى بدر وقره جاجر وقزل شاغ وقوجلق وقروحة وصبيين وروبك وفي الثانية سرايا وهي قاعدة الناحية وبيت عوان وعافي حسن وعيسى بكلي وطورجعة وبوراوعلان وكسامحت وزعرين ومرانب وفي الثالثة صبيّب وبرج اسلام وهما كبيرتان ومجموعهم في هذه النواحي الثلاث نحو خمسة عشر الفاً ، يغلب عليهم الجهل والعمل والبؤس ثم الاخلاد إلى زعمائهم المسمين بالاغوات ذوي السيطرة الاقطاعية الخالدة منذ العصور المتوسطة

هذا ومن عين الحرامية يتمكن المولع بالسياحة ان يصل بعد ساعة ونصف الى قرية الفاقي حسن التركمانية ، وفي قربها في قرية باعجار الارمنية دير كبير للآباء الفرنسيسكانيين ، وهؤلاء كرملائهم الذين في قرية كسب المذكورة آنفاً همهم ان يكثلكوا الارمن . ويمكنه أيضاً ان يصل بعدها خلال ساعة الى شاطيء البحر ويشاهد فيها رأس البسيط والاطلال الأثرية التي حوله وحوض البسيط الذي قضي فيه اسطول ابراهيم باشا المصري فصل الشتاء عام ١٢٤٨ هـ

رجع إلى الطريق — بعد عين الحرامية تظل الطريق في صعود إلى ان تصل في الكيلو متر ٦٧ الى علو ٨٥٠ متراً وهو منتهى العلو عن سطح البحر ، وهنا منظر ممتد الهيبة جميل للغاية يشبه ما في عين الحرامية ثم تشرع الطريق بالانحدار السريع فتمر في الكيلو متر ٦٩ بثنية تكشف حراج الباير الشرقية الممتدة حتى الطريق الممتدة بين اللاذقية وجسر الشغر . وثمة جبل منفرد ومغشى بالحراج يشبه سرج الخيل ، علوه عن سطح البحر ٣٦٢ متراً وفيه عين ثرة ذات ماء عذب بارد تدعى قسطل معاف وفي الكيلو متر ٧٠٫٥ منظر جميل للغاية يمتد نحو الشرق والجنوب والغرب ويشرف على حراج الباير ووادي النهر الكبير وجبال النصيرية وسواحل اللاذقية وفي

الكيلو متر ٧٤ قرية زيروف التركانية وواديها حيث العلو ١٩٠ متراً ، وفي الكيلو متر ٨٢ نهر قرب قرية بوران حيث العلو ٧٠ متراً ، وفي الكيلو متر ٨٥ على يمين الطريق قرية قرحاليه وثمة سفوح ذات صخور بيضاء وكثبان رملية نبتت فيها اشجار الصنوبر ، وفي الكيلومتر ٨٩ جسر حديث مبني بالاسمنت على نهر الصديق حيث العلو ١٧ متراً وحيث منتهى الحزون ومبدأ السهول . وعلى يسار الجسر خط يذهب الى قرية زعرين عمرية سنجق قاعدة ناحية البسيط . وفي الكيلومتر ٩٠ يجتاز الطريق شجراً ذا رنة كلسية على عتبة مشهد جميل نحو البحر . ثم من هنا تظل الطريق سائرة بين سفوح ناحية الهولية في الشرق والساحل البحري في الغرب وفي هذا الساحل قريباً برج اسلام وبرج صبيب التركانيتان الكبيرتان وفي قربهما على البحر فرضة تدعى ميناء الفاسري فيها مرفأ أثري اسمه القدم ... وفي الكيلومتر ٩٧ مفرق الطريق ملاحقه امامها الى قرى لشطلية وبرج صابب في الغرب وحوبره في الشرق . ومن ثمّ تسير الطريق على خط مستقيم في سهل ابيح كثير الدرب والشجر وتجتاز على سواقي اودية مياهها جافة في معظم ايام السنة منها نهر العرب الذي يفصل بين حدود القرى المتكلمة بالعربية عن المتكلمة بالتركية ، ووادي جهم ونهر الشيط

ومن هنا يزداد اشجار الزيتون وتظهر اكثر نمواً واتساعاً ، ومثلها ايضاً حقول القطن المنتشرة في هذه الانحاء، وزرع القطن فيها عدياً دون ري وفي الكيلو متر ١٠٨ مفرق الشعب الذاهب الى مينة البيضاء والى رأس الشمرا الذي ظهرت قبل خمسة اعوام بين رسومه لطامسة عاديات هامة منها قطعة عاج من لصناعة الافريطشية واوان مصرية من الرخام الابيض وحناجر ومدى من البرونز ودمى مصرية من البرونز ، وظهر ايضاً في تل مركوم مستودع اسلحة استخرجوا منهُ رماحاً وفؤوساً وسيوفاً والواحاً من الآجر المشوي فيها كتابات بعضها بالحروف البابلية وبعضها بحروف مجهولة يحاول علماء الآثار حلها ولما ينتهون ، وهي تعود للقرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد وبعد الكيلو متر ١٠٨ تظهر مدينة اللاذقية عن بعد بأبنيتها البيضاء وسقوفها الحمراء وفي الكيلومتر ١١١ تمر الطريق بين كروم الزيتون وبساتين البرتقال واسيجة الصبر التين الشوكي » المحيطة بقرية دمسرخو التصيرية وهنا خط يذهب غرباً نحو رأس ابن هاني الذي حوله شبه جزيرة فيها اطلال دارسة كأسس وجدران ومدافن واساطين اعمدة ومدرج وهيكل وغير ذلك مما يعود على ما يقوله الاثريون الى بلدة كان اسمها ديوسبوليس Diospolis وفي الكيلومتر ١١٣ تمر الطريق بين آثار مدافن قديمة ، وعلى يسارها تل فاروس الذي كان فيه في العصور المتوسطة دير عظيم اسمه دير الفاروس ، وفي الكيلومتر ١١٥ مدينة اللاذقية الجميلة التي لها ولما يجدها من البلدان والبقاع الساحلية والجبلية تاريخ واسع وحديث ماتع ربما عقدت لها مقالات خاصة في فرصة اخرى

النور والاضاءة

بحث علمي عمليّ

للدكتور الياس صليبي

— ١ —

جاء في دائرة معارف البريطانية ان النور هو التأثير الحسّي الذي نشعر به عن طريق العين ولكن ما هو النور وكيف يحدث وهل هو ذرات او امواج ؟ كل ذلك أمور تضاربت فيها الآراء وقد شرحها المقتطف في مقالة نفيسة ظهرت من بضع سنوات ننقل بعض ما جاء فيها

كان العلماء فريقين في نظرهم الى النور الفريق الاوّل وزعيمهم نيوتن يقولون انهُ ذرات صغيرة تنطلق بسرعة فائقة من جسم منير فتؤثر في شبكية العين وعصبها تأثيراً يجعلها تبصرهُ والفريق الثاني وزعيمهم هوجنس يرون انهُ تموّجات أثيرية يرسلها الجسم المنير في الاثير فتسير سيراً تموجيًّا حتى اذا بلغت العين أثّرت في شبكيتها تأثيراً يؤدي الى رؤيته وجاء بعد هذين الفريقين العالم الطبيعي الشهير كلارك مكسويل وقال ان امواج النور من نوع الامواج الكهربائية المغناطيسية وهي في ذلك تشبه تموّجات اشعة إكس والاشعة اللاسلكية وجاء أخيراً الاستاذ كمطن وقال ان النور أمواج او ذرات من القوّة تسير سيراً موجيًّا وان الكهرب الاول المنطلق من جسم منير بسرعة عظيمة اذا أصاب لوحاً من البلاتين مثلاً تحوّلت قوّة حركته الى فوتون اي الى ذرة من اشعة اكس وهذه تنطلق بسرعة النور فاذا أصابت كهرباً في لوح خشب او شيء آخر أخذ الكهرب قوّتها وانطلق بسرعة الكهرب الاول الذي اوجد الفوتون عينه وقد تمكّن العلماء بهذه النظرية من تعليل بعض المظاهر الطبيعية التي لم يكونوا يستطيعون تعليلها بواسطة النظريات السابقة . انتهى ما جاء في المقتطف

والنور نوعان طبيعي وصناعي

والشمس مصدر النور الطبيعي اي النهاري ونورها أبيض وهو يفضل كثيراً كلّ الانوار الاخرى واذا اردنا ان نكوّن بالصناعة نوراً أبيض مشابهاً لنور الشمس يجب ان نحمي جسماً جامداً الى

درجة التوهج فقطعة الحديد المعرّضة لنار الكير تخرج اولاً اشعة حمراً يشتدّ احمرارها بعد قليل وتخرج في الوقت عينه أشعة برتقالية ثم تخرج بعد ذلك على التوالي أشعة صفر ثم خضر ثم زرق ثم بنفسجية وحينئذٍ تلوح مجموع هذه الاشعة للعين كنور ابيض شديد اللمعان. فشعاع النور الابيض المتوهّج اذاً ليس بسيطاً كما يخيَّل الى الناظر اليهِ ولكنهُ مركب من عدد من الاشعة المختلفة الالوان والانعطاف كما ظهر من العملية التركيبية التي تقدَّم وصفها وكما يظهر من العملية التحليلية التالية

اذا اجتاز شعاع من النور منشوراً زجاجيًّا موضوعاً في فتحة تؤدي الى غرفة مظلمة ثم سقط على حاجز في هذه الغرفة تحلَّل هذا الشعاع الى الاشعة الاصلية التي يتركب منها وظهر على الحاجز كشريط مستطيل مختلف الالوان الجزء الاقرب منهُ وهو الاحمر اقل هذه الاشعة انعطافاً والجزء الابعد وهو البنفسجي أكثرها انعطافاً. ومجموع الاشعة الصادرة من جسم نيّر يقال لها طيفه واول من حلَّل نور الشمس وهو نيوتن وجد انهُ يتركب من الاشعة التالية وهي الاحمر فالبرتقالي فالاصفر فالاخضر فالازرق فالنيلي فالبنفسجي كما نراها في قوس قزح

ويحتوي شعاع الشمس علاوة على ما تقدَّم على أشعة غير منظورة في طرفي طيفه اي تحت الاحمر وفوق البنفسجي

وتشتد حرارة أشعة الطيف كلما دنونا من الاحمر وتزداد بعد ما نتجاوزه اي ان اشد الاشعة حرارة هي أشعة ما تحت الاحمر ويسهل اثبات ذلك بقياس حرارة حساس مدهون بالهباب

ولا ترتفع الحرارة في الطرف الآخر من الطيف حيث اشعة ما فوق البنفسجي لقلة تأثيرها الكيماوي. والعمل الكيماوي لاشعة الطيف على عكس حرارتها يزداد كلما دنونا من البنفسجي

فحرارة الضوء تصدر عن اقل اشعته انعطافاً وخصوصاً عن الاحمر وما تحته اما فعله الكيماوي فيصدر بالاخص عن الاشعة البنفسجية وما فوقها. بقي الاشعة المضيئة وهذه تشمل اشعة الطيف المنظورة كلها واشدها ضياء الاشعة الصفر والخضر

ويختلف طول امواج الاشعة باختلاف انواعها واقصر موجة من امواج اشعة الضوء لا يتجاوز طولها جزءاً من عشرة آلاف من المليمتر ويبلغ طول موجة ما فوق البنفسجي جزئين من عشرة آلاف من المليمتر اما امواج الاشعة التي نراها العين فيختلف طولها من اربعة اجزاء من عشرة آلاف من المليمتر في البنفسجي الى ما يقرب من سبعة اجزاء من عشرة آلاف في الاحمر ويبلغ طول موجة ما تحت الأحمر جزءاً من الف من المليمتر

ويختلف ايضاً عدد اهتزازات امواج الاشعة التي يصدرها النور فاشعة الحرارة او ما تحت الاحمر تبلغ اهتزازات تموجاتها من ١٧١ الى ٣٤٢ ترليوناً في الثانية والاشعة النيّرة التي نراها

العين تبلغ اهتزازاتها من ٣٤٢ الى ٦٨٤ ربليوناً في الثانية والاشعة الكيمائية او أشعة ما فوق البنفسجي الغير المنظورة يبلغ عدد اهتزازاتها اكثر من ٦٨٤ تريليوناً في الثانية وهذا النوع الاخير أشد الاشعة ضرراً بالبصر وهو السبب في الرمد الكهربائي ورمد الكسوف وفقد البصر الناتج عن رؤية الاشياء الشديدة التألق كالصواعق

وقد نشر شنر وسنوكوبرن ما نسبته أشعة الضوء المختلفة من الضرر بالعين تبعاً لطول تموجاتها

فالاشعة التي يبلغ طول تموجاتها من ٠٫٠٠٠٧٦ من المليمتر الى ٠٫٠٠٠٤ من المليمتر تبلغ الشبكية وتبصرها العين

والاشعة التي يبلغ طول تموجاتها من ٠٫٠٠٠٤ من المليمتر الى ٠٫٠٠٠٣٥ من المليمتر تسبب تألق العدسية ولا تصل الى الشبكية الا اذا خلت العين من العدسية لعلة ما (كما يحدث بعد عملية المائية البيضاء) وفي هذه الحالة اي عند وصول تلك الاشعة الى الشبكية تصاب هذه الطبقة بأضرار مختلفة ويرى بعضهم ان تناقص بصر الذين عملت لهم عملية المائية البيضاء مسبب عن هذا الامر

والاشعة التي يبلغ طول تموجاتها من ٠٫٠٠٠٣٥ من المليمتر الى ٠٫٠٠٠٣ من المليمتر تمتصها كلها العدسية

واذا كانت تموجات الاشعة أقصر من ٠٫٠٠٠٣ من المليمتر فانها لا تخترق القرنية وتحدث في العين عللاً خارجية

وانبعاث النور من الاجسام المضيئة ناتج عن ارتفاع حرارتها فتى بلغت هذه الحرارة ٥٢٥ درجة بالمقياس المئوي بدأت الاشعة الحمر بالظهور ثم تتلوها الاشعة الاخرى حتى البنفسجية بحسب ترتيبها وكلما ازدادت الحرارة ازداد انبعاث الاشعة البنفسجية وما فوقها فيستنتج مما تقدم ان ضوء الشمس يحتوي على مقدار عظيم من الاشعة الكيمائية لأن حرارتها شديدة جداً غير ان الجانب الاكبر من هذه الاشعة تمتصه طبقات الهواء المحيطة بالارض ولا سيما الطبقات السفلى الكثيفة والدليل على ذلك ان الشمس حين الغروب عندما لا تصل أشعتها الينا الا بعد مرورها في طبقات الهواء الافقية الكثيفة تفقد جانباً كبيراً من خواصها الكيمائية فلا تؤثر الا قليلا في لوح التصوير الشمسي وتصبح حينئذٍ ذات لون ارجواني ناتج عن امتصاص الاشعة الزرق والبنفسجية وما فوقها

فالاجسام النيّرة هي أولاً اجسام ذات حرارة مرتفعة ومما يؤسف له ان الجزء الاكبر من الطاقة يضيع سدى في توليد تموجات الحرارة وان الجزء الذي يولد النور لا يربي على واحد في المائة من مجموع الطاقة لذلك يبذل المشتغلون بالاضاءة جهدهم في البحث عن وسيلة

تمكنهم من زيادة احماء الاجسام ليزداد النور الخارج منها لكنَّ هناك امراً حرجاً وهو انصهار هذه الاجسام فكلُّ معدن ينصهر بحرارة متخصصة كالرصاص لا يصلح للاضاءة وعلى القصد من ذلك التنجستن الذي ينصهر على ٣١٠٠ درجة من الحرارة فانه اصلح ما يكون لهذا الغرض (١)

***

(النور وتأثيرهُ في الاجسام والعين) لأشعة النور المنظورة وغير المنظورة تأثير مباشر في اجسامنا وفي المحيط الذي نعيش فيه فالطقس والضغط الجوّي والرطوبة تتأثر بأشعة الشمس كثيراً او قليلاً والتعرّض لهذه الاشعة يؤثر ايضاً في نمو الجراثيم المختلفة وضعفها ويساعد على نمو النباتات التي نقتدي بها وعلى توالدها

ولكن لم يعرف الاَّ حديثاً ما لاشعة الضوء من الشأن العظيم في تركيب الفيتامينات وهي المواد الغذائية التي لا غنى لنا عنها فقد ظهر من ابحاث كثيرة لا محل لذكرها هنا ان عدداً كبيراً من المواد التي لا تأثير لها في علاج الكساح تصبح ذات قيمة علاجية حقيقية اذا عرّضت في ظروف معيّنة لاشعة ما فوق البنفسجي الصادرة من نور الشمس او من مصباح الزئبق وهذه الاشعة تقتل المكروبات كما يتضح من تنقيتها الماء وتكثر في الجبال حيث الهواء نقي خالٍ من الغبار ولذلك انشأوا فيها ملاجيء للمسلولين ومستشفياتهم ويزعم الاطباء ان تلك الاشعة هي العامل الاكبر في تحسين حالة المرضى الذين يقصدون هذه الاماكن لانها تقوّي فيهم عوامل التمثيل [illegible] فيزداد التأكسد وتزداد الوظائف الحيوية نشاطاً وسرعة

وتدل العين على ما تحتاج اليهِ من النور فكل نقص او عيب فيهِ يؤثر في الشبكية وفي البصر وتختلف مقدرة العيون على احتمال الضوء باختلاف مقدار المادة الملوّنة التي فيها فمن كان ذا لون اسمر يتحمل اكثر من ذي اللون الاشقر ومن الاحسب[٢] [illegible] لان كثرة المادة الملوّنة السوداء في عيني الاسمر تمتص من الضوء الذي يدخلهما ما يزيد عن الحاجة وللعادة ايضاً بعض التأثير فالرجل الذي يقدم من البلاد الشمالية الى بلاد استوائية حارّة تزعجهُ شدّة الضوء لا سيما في الايام الاولى والاحسر (القصير النظر) لا يتحمّل الضوء بعدما يتحمله طويل البصر لان الؤبؤ في عين الاحسر اوسع عادة منهُ في عين غيره فيجتازه مقدار اكثر من الضوء ثم لان الحسر الشديد يصحبه غالباً ضمور المشيميَّة وزوال ما فيها من المادة الملوّنة التي لا غنى عن فائدتها في امتصاص الزائد من الضوء

وتتكيف العين وفقاً لتغيرات الضوء ولا تتألم من هذه التغيرات الاَّ اذا توالت بسرعة

(١) حتى ان علماء شركة الصناعة الكهربائية تمكنوا في بعض انواع المصابيح الحديثة من خفض ٩٩ جزءٍ في المئة من القوة التي تصرف في تكوين النور (٢) الاحسب . ذو بياض مشرب بحمرة

كثيرة فاذا انتقلت العين من محل مضاء إلى محل مظلم أمكنها بعد بضع دقائق أن تبصر قليلاً من غير مجهود بسبب اتساع الؤبؤ إلى أن يبلغ قطر دائرته ثمانية مليمترات ونصف المليمتر بالاكثر وتحتمل العين كذلك بسهولة نور الظهر في أشهر الصيف ما لم تسقط هذه الأشعة عليها رأساً او تنعكس اليها من اشياء لمّاعة ويتقلص الؤبؤ حينئذ إلى دائرة قطرها مليمتر واحد وتسعة اعشار المليمتر

●●●

(خواص البصر) حسبوا بالتدقيق مقدار الضوء اللازم لتبلغ خواص البصر منتهى قوتها وأولى هذه الخواص حدّة البصر التي نميز بها تفاصيل ما نبصره وهي تزداد سريعاً بازدياد اضاءة الشيء المنظور حتى تبلغ الاضاءة خمسين لوكساً (١) ثم تصبح الزيادة بعد ذلك غير محسوسة او معدومة تماماً مهما بلغت قوة الانارة فيخيّل الينا حينئذ ان الاضاءة التي تبلغ خمسين او ستين لوكساً هي غاية ما نحتاج اليه على ان الحقيقة ليست كذلك في الخاصة الثانية من خواص البصر وهي سرعة الرؤية تزداد سريعاً بازدياد النور الى ان تبلغ الانارة ما فوق المائة لوكس

والخاصة الثالثة من خواص البصر هي سرعة تكييف العين لرؤية أشياء مختلفة الحجم والأبعاد وهذه الخاصة تزداد أيضاً بسرعة الى ان تبلغ الاضاءة سبعين لوكساً ثم تتزايد ببطء الى ما فوق الثمانين لوكساً

●●●

(عيار الضوء) لا بدّ للمشتغلين بفن الاضاءة من معرفة نفقة المصابيح المختلفة والمدّة التي تبقى فيها صالحة للعمل وقوة ضوئها ومن السهل قياس النفقة بعيارات الوزن والحجم المتريّة كالغرام والمتر او بالعيارات الكهربائية كالفولط والأمبير والواط. امّا مدّة العمل للمصابيح المختلفة كمصباح البترول او شبكة اور والمصباح الكهربائي المتوهج فلا يمكن تعيينها الا بالتقريب لانّ مصباح البترول يبقى صالحاً للعمل زمناً غير محدود وشبكة اور تطول مدّة عملها او تنقص تبعاً لنوعها والطوارىء التي تنتابها والمصباح الكهربائي المتوهج يضيء من الف ساعة الى ماتين والف ولكن قوته تتناقص في اثناء ذلك

أمّا قوة الضوء فلا بدّ لها من عيار خاص وقد اختار أعضاء المؤتمر الدولي الذي انعقد في ٣ مايو سنة ١٨٨٤ عياراً للضوء سطحاً من البلاتين مساحته سنتيمتر مربّع شديد الحرارة

(١) اللوكس هو مقدار الضوء الساقط عمودياً من مصباح قوته شمعة على سطح يبعد عنه متراً ويطلق عليه تروك اسم « الشمعة متر »

والتوهج حتى انتقاله من النسوية الى الجودة وسمّوه «عيار فيول» ولكن يحول دون استخدام هذا العيار بعض الصعوبات ولهذا استعاضوا عنه بعيارات ثانوية كمصباح كارسل والشموع المختلفة وفي سنة ١٩٢٤ ضبط ايف «عيار فيول» بأن جعل اسوَّماً من البلاتين داشق مستطيل المراقبة يتوهج بتيار كهربائي

اما مصباح كارسل الذي يتخذ عياراً فيجب ان يصلاه زيت الزيتون النقي وان يكون قطر فمه ٢٣ مليمتر ونصف المليمتر وارتفاعه ٤٠ مليمتراً وان يبلغ ما يحترق فيه من الزيت ٤٢ غراماً في الساعة

***

وتختلف الشموع المستعملة كعيارات للضوء باختلاف البلدان فالشمعة الانكليزية تصنع من شحم الحوت ويبلغ ارتفاعها ٤٥ مليمتراً ويحترق من مادتها ٨ر٥٦ من الغرام في الساعة والشمعة الالمانية تصنع من البارافين وقطرها ٢٠ مليمتراً وارتفاع لهيبها ٥٠ مليمتراً اما الشمعة الفرنسية العشرية فتصنع من الستيارين المستخرج من شحم الحيوانات ويجعل ارتفاع لهيبها بحيث يحترق من مادتها سبعة غرامات في الساعة وتبلغ قوة ضوئها جزءاً من عشرين من عيار فيول

وتقاس قوة المصباح عادة على موازاة سطح يقطع لهيبه افقيًّا وعلى بعد متر واحد ولكن اذا قسنا قوة المصباح من جميع الجهات الافقية اي على مدار اللهيب ظهر لنا ان هذه القوة ليست واحدة فيها كلها على انه يسهل علينا حينئذٍ ان نحسب متوسط القوة الافقية وهذا المتوسط لا يدلنا ايضاً على متوسط قوة المصباح الحقيقية لان نور هذا المصباح ينتشر في جهات اخرى غير الجهة الافقية فيجب حسابها جميعها لاستخراج قوة المصباح الكروية الحقيقية التي تختلف طبعاً عن القوتين السابقتين وهاك جدولاً يبين نسبة عيارات قوة الضوء بعضها الى بعض

—	عيار فيول	مصباح كارسل	الشمعة النجمية	الشمعة الانكليزية	الشمعة الالمانية	الشمعة العشرية
عيار فيول	١ر٠٠٠	٣ر٠٨٠	١٦ر١٠٠	١٨ر٥٠٠	١٦ر٤٠٠	٢٠ر٠٠٠
مصباح كارسل	٠ر٤٨١	١ر٠٠٠	٧ر٧٥٠	٨ر٩٤٠	٧ر٨٩٠	٩ر٦٢٠
الشمعة النجمية	٠ر٠٦٢	٠ر١٣٠	١ر٠٠٠	١ر١٥٠	١ر٠٢٠	١ر٢٤٠
الشمعة الانكليزية	١ر٠٥٤	٠ر١١٢	٠ر٨٧	١ر٠٠٠	٠ر٨٨٦	١ر ٨٠
الشمعة الالمانية	٠ر٠٦١	٠ر١٢٧	٠ر٩٨٤	١ر١٣٠	١ر٠٠٠	١ر٢٢٠
الشمعة العشرية	٠ر٠٥٠	٠ر١٤٠	٠ر٨٠٥	٠ر٩٢٥	٠ر٨٠٣	١ر٠٠٠

أركان السلام

هل يمكن ان توطَّد ؟

جون ميرد كينز — انكليزي

اندره موروى — فرنسي

مسز روزفلت — اميركية

الاسقف انج — انكليزي

اوغو دانتزيو — ايطالي

هفلوك اليس — انكليزي

ارنست دمنر — فرنسي اميركي

اوزفالد شبنغلر — الماني

السنيور ده مدرياغا — اسباني

مهاتما غاندي — هندي

لن يو تانغ — صيني

« السلام رغبة ، والحرب حقيقة »

شبنغلر

« العالم وطن الاوطان »

ده مدرياغا

« المسيحية هي السبيل »

انج ودمنر

« سلّحوا الجامعة »

كينز

« يعوزنا الاخلاص »

غاندي

« اوربا لا تتعلم الاّ اذا منيت بنكبة اعظم هولاً من نكبة الحرب الكبرى »

لن يو تانغ

استفتاء عالمي لمجلة لسنر الانكليزية —

— ١ —

اوزوالد شبنغلر الفيلسوف الالماني

لا يسع الباحث ان يردَّ على هذا السؤال "هل يمكن ان تتوطد اركان السلام العالمي" — الاَّ اذا كان ملمًّا بتاريخ العالم. ولكن الالمام بتاريخ العالم، يعني معرفة احوال الانسان، كيف كانت وكيف ينتظر ان تكون. فثمة فرق كبير، بين رأيك في المستقبل وكيف يمكن ان يكون، ورأيك في المستقبل وكيف تشتهيه ان يكون

السلام رغبة والحرب حقيقة واقعة. ولكن التاريخ البشري لم يحقق رغبات الانسان ومثله العليا. فالحياة، بين الناس والحيوان، معركة. اما بين الناس فمعركة بين الافراد والطبقات والشعوب والدول، وذلك متوقف على طبيعة الحرب ومن هي تجارية او اجتماعية او سياسية. هي معركة في سبيل القوة، او الربح، او العدل. فاذا خابت الوسائل المختلفة التي يسلكها الانسان الى احد هذه الاغراض، لجأ الى القوة

ومن دلائل التشؤم ان الشعوب البيض هي الشعوب التي تتحدث بالسلام الآن لا الشعوب الملوّنة. فاذا اقتصر هذا الحديث على افراد المفكرين والمثاليين، فليس في ذلك ضرر ما. لان هذا كان شأنهم في جميع العصور السابقة. ولكن متى نزعت الامم الى السلام، كان ذلك دليلاً على الضعف والانحطاط. فالشعوب القوية التي لم تتغلب عليها التمويه والسفسطة، لا تميل هذا الميل ولا تنزع هذا المنزع. فمشروع في السلام، تسليم للمستقبل، لان النزعة السلمية النهائية، تعني الاستقرار النهائي، وهو حالة مناقضة لمعنى الحياة عينه

ولا بدَّ من الحروب ما زال هناك ارتقاء انساني، لان النزعة السلمية معناها التسليم بادارة شؤون العالم، للذين لا ينزعون الى السلام. ولا بدَّ ان يبقى السلام مثالاً اعلى، والحرب حقيقة واقعة. فاذا عزمت الشعوب البيض ان لا تتولى بعد الآن زعامة الحضارة، فالشعوب الملوّنة تفعل ذلك، فيصبح زعماؤها حكام العالم

— ٢ —

دي مدريغا مندوب اسبانيا في جامعة الامم

السلام العالمي الدائم، كالسلام القومي الدائم، لا هو متعذرٌ اصلاً ولا ممكن اصلاً، اذا اريد به فترات طويلة من الزمن ليس للسيف فيها شأن كبير في تقرير شؤون الناس والامم

ان بعض الامم الكبيرة ، تمتعت بسلام قومي خلال فترات طويلة من تاريخها . فالولايات المتحدة الاميركية تمتعت بهذا السلام من ايام لنكن وليس ثمة اي حائل لا يمكن تخطيه ، يحول دون التطوّر الدولي ، نحو حالة من العلاقات بين طائفة من دول العالم ، تشبه حالة العلاقات بين الولايات في جمهورية الولايات المتحدة الاميركية . والشروط اللازمة لتحقيق ذلك ، تنطوي عليها اسباط السؤال نفسه .

فالسلام ، هو اتفاق بين ارادات متعدّدة وادن فارادة الدول الستين او نحوها من دول العالم اليوم يجب ان تتفق لكي نفوز بالسلام . ولا يكفي ان تسلّم جميعها ، بقانون دولي واحد ، مع ان هذا التسليم ، امنية تتحدى اليها الركائب .

ان اتفاق الارادات يقتضي شيئاً اكثر من الاتفاق في اساليب السلوك ، انهُ يقتضي اتفاقاً في الاغراض . ولكن كلُّ امة من الامم تحمل اغراضها القومية ، هي الاغراض العليا التي تأتمُّ بها .

فالسلام لابدَّ ان يبقى متعذراً ، الى ان تتخلّى الامم عن هذه الاغراض الخاصة في سبيل الغرض الوحيد الجدير بتضافر الارادات القومية في سبيله — وهو تنظيم العالم تنظيماً معقولاً يجعله مثوى جديراً بالانسان .

ان الوطنية القومية مهّدت السبيل للسلام القومي ، في الامم . وليس هناك من سبيل الى السلام العالمي ، الاّ بتعزيز الوطنية العالمية . ولكن الوطنية العالمية ، لا تدرك بإضعاف الوطنية القومية واخمادها ، بل بتطويرها والتسامي بها .

العالم هو وطن الاوطان . ومتى ادركنا هذا اصبح السلام العالمي مستطاعاً .

— ٣ —

جون مينرد كينز الاقتصادي البريطاني الكبير

ان توطيد اركان السلام العالمي يقتضي امرين : الاول ان تتضافر جميع الامم التي ترغب رغبة اكيدة في المحافظة عليه . والثاني يجب ان يظهر تضافرها في مظهر قويّ يجعل خطر عداوتها خطراً حقيقيًّا لا يتعرض له الاّ احمق او مغامر .

اما الاركان التي نهضت عليها جمعية الامم حتى الآن ، فكانت تقوم على فرض خاطئ وهو ان جميع الامم ترغب في السلام والعدل على السواء . لذلك كان مرماها منذ نشأتها ان تضم في نطاقها جميع الامم ، لا الامم الراغبة رغبة حقيقية فيهما فقط . وقد كانت الامم حتى عهد قريب تتظاهر برغبتها في السلام . ولكن هناك امم الآن لا تكتم رغبتها في الحرب . وهذا يحث على تطور جمعية الامم تطوراً

قد يجعلها في النهاية مشتملة على الامم الراغبة في السلام دون غيرها . وهذا التطور مما يرحّب به ، وسوف يكون مصدراً للقوة لا باعثاً على الضعف

من العبث ان نبحث في نزع السلاح الآن . بل على الضد من ذلك يجب على جامعة الامم ان تكون اقوى مما هي من الناحيتين العسكرية والاقتصادية ، بل يجب ان تكون اقوى من الدول المعتدية او التي يحتمل ان تعتدي على غيرها ، اذا كان ذلك مستطاعاً الا ان هذا ، لسوء الحظ ، حلم بعيد التحقيق لان جامعة تشتمل على الامم الراغبة في السلام تبقى ضعيفة لا حول لها ولا طول ، اذا لم تضم الولايات المتحدة الاميركية

وقد قيل لنا ان هذا محال لان الولايات المتحدة الاميركية تخشى ان تشتبك في شؤون الدول الاخرى وان تربط مصيرها بمصير سائر العالم من مصير الحضارة

— ٤ —

مهاتما غاندي الزعيم الهندي العظيم

اذا انكرنا إمكان السلام الدائم ، فكأننا ننكر شعلة الالوهة في طبيعة الانسان . وقد اخفقت الوسائل والاساليب التي استعملت لتحقيق هذا السلام ، لان الذين سعوا اليه كان يعوزهم الاخلاص ، من دون ان يدركوا ذلك . فالسلام لا يمكن ان يحقق بتوافر بعض الاحوال اللازمة لتحقيقه فقط لانه كالتفاعل الكيمائي لا يتم الا اذا كانت جميع الاحوال اللازمة له متوافرة . فاذا تخلى زعماء الامم الذين يسيطرون على آلات التدمير ، عن هذه الآلات وهم يدركون نتائج عملهم ، تحقق السلام العالمي الدائم . وهذا مستحيل ما لم تتخلَّ الدول الكبرى عن مشروعاتها الامبريالستية . وهذا بدوره مستحيل ، ما لم تحجم الامم الكبرى عن الاعتقاد في المنافسة التي تقتل الروح ، بل عليها ان تستأصل الرغبة في زيادة حاجات الانسان، وما ينجم عن ذلك من زيادة مقتنياته الدنيوية

واني اعتقد ان اصل الشر، هو حاجتنا الى ايمان حيّ بالله . ومن مآسي الحياة ان الامم التي تدعي انها تؤمن برسالة السيّد المسيح وتدعوه رسول السلام، لا تعرب عن شيء من ذلك الايمان في اعمالها

لقد تعلمت من حداثتي ، ثم حققت ذلك بالتجربة والاختبار ، بأن اخسّ الناس يستطيع ان يتعود الفضائل الاساسية الرئيسية . وهذه القوة ، التي لا شكَّ فيها ، هي ما يميّز الانسان عن سائر مخلوقات الله . ولو ان دولة واحدة

من الدول الكبرى ، اقدمت على عمل الابتكار العظيم ، لأتيح بعضنا ان يرى السلام مستتباً على الارض

— ٥ —

اندره موروى الكاتب الفرنسي المشهور

ليس ثمة شيء مستقرٌ او كامل في حياة الانسان وشؤونه . فالمحاكم والسجون والعقوبات ، لم تستأصل شأفة الجرائم ، ولكنها جعلتها اقلّ مما كانت فصار في وسع المرء ان يعيش في سلام الى حدٍ ما . الا ان الحرب الحديثة ، والاسلحة الفتاكة التي تستعمل فيها ، سوف تصبح خطراً عظيماً على الحضارة ، حتى ليجب على جميع الناس ان يبذلوا كلّ ما في وسعهم لتأييد القانون الدولي ، اذا شاءوا ان لا يقضى على النوع الانساني بالانقراض

ولو ان جامعة الامم ، فازت بتأييد كل التأييد من جميع الامم المتحضرة ، لكان في وسعها ان تصبح اداة هذا العدل الدولي . ولكن الجامعة لم يتح لها امل النجاح في فترة ما من حياتها . فتخلّف الولايات المتحدة الاميركية عن الاشتراك فيها ، حرمها من تأييد احدى القوات الكبرى في العالم . وانكلترا بعد ان اهملتها مدى خمس عشرة سنة ، عمدت الى تأييدها وتعزيزها بنشاط عظيم ، في وقت ترى فيه فرنسا انهُ من المتعذر عليها ، ان تتحمس لها حماسة انكلترا الآن

لقد ادركنا بعد التجربة ، ان عهد الجامعة كان تنقصه الدقة . فاين نجد العلاج ؟ لا بدَّ من اصلاح الجامعة اصلاحاً يمكّن الولايات المتحدة الاميركية من الاشتراك فيها واذا تعذر ذلك وجب انشاء اتحاد اوربي

واني لأخشى ، ان يكون الانسان ، ما زال في حاجة الى عصر شديدة ، قبل ان يبلغ مستوى الحكمة التي تفرض على الامم قبول النظام الذي تفرضهُ المحاكم العدل على الافراد

— ٦ —

الاسقف انج مفكر ديني وفلسفي انكليزي

لو اننا تذكرنا ما كان هربرت سبنسر يقوله بأنهُ لا توجد كيمياء سياسية تمكننا من استخراج السلوك الذهبي من الغرائز الرصاصية (اشارة الى تعذّر تحويل الرصاص الى ذهب في علم الكيمياء) لوفرنا على انفسنا شيئاً كثيراً من خيبة الآمال من سنة ١٩١٨ الى الآن . ان انقاذ الافراد والامم يتم بحسن النية ، لا بأي وسيلة سياسية

ان الادلة التي يبسطها السر نورمن انجل وغيره ضد الحرب ، لا يمكن ان تدحض . فالحرب بين امتين متحضرتين خطأ وجريمة . والحرب الكبرى ، كانت حرباً اهلية ، بين امم تشترك في ثقافة واحدة ، وليس بينها فوارق لا يمكن تسويتها . فكانت نكبة على جميع الامم التي خاضت غمارها . فعود الى حرب من قبلها ، قد يرجع اوربا في عصر من الظلمة كالعصر الذي اعترض ارتقاء الحضارة بين سنة ٥٠٠ م وسنة ١١٠٠ م

واسباب هذا الداء — لاننا لا نستطيع ان نطلق عليه اسماً آخر — هي كما يلي :

١ — النزعة الفطرية في الانسان الى الخصام والكفاح . فقد انقضت على الانسان الوف من السنين وهو لاحم Carnivorous يسير على قدمين ، فليس بالسهل القضاء على القرد والنمر فيه

٢ — الخوف — والخوف في كثير من الاحيان له ما يسوّغه

٣ — بقاء الرغبة القديمة في التوسع الجغرافي

اما بواعث الامل فهي كما يلي :

١ — اتساع نطاق المعرفة باحوال البلدان الاخرى وثقافتها . فليس ثمة انكليزي ، زار فرنسا او المانيا او ايطاليا او اميركا ، يرغب في ان يؤذي سكان هذه البلدان ، ونرجو ان لا يجد زوار انكلترا شيئاً يستحق ان يؤذى

٢ — جرت العادة في الغالب على ان يثير الحرب ، من يخشى ان يخسر شيئاً ولكن اذا نشبت حرب اخرى ، فلا ريب في ان من يملك شيئاً سوف يخسره غالباً كان ام مغلوباً

٣ — الحرب بين الامم خطأ في فهمنا لتسلسل الحوادث . ويا ليتني استطيع ان اقنع نفسي بأن الحرب بين الامم لا تليها حرب طاحنة بين الطبقات

ولا ريب في ان الديانة المسيحية تمثل علاجاً لكل هذا ، إلاّ انه انقضت الفا سنة على معرفتنا الديانة المسيحية ولكننا لم نجرّب علاجها

— ٧ —

اوغو دامبرو رئيس الجمعية الايطالية في اميركا

يصبح السلام العالمي في حيّز المستطاع ، متى ادركت الانسانية امها في رغبتها في نشر السلام والخير الاجتماعي العام ، حاولت ان تمنع النزاع المسلح بين الامم بمعالجته من غير الناحية التي يجب ان تعالجه منها

ان خطط دعاة السلام ، ترمي في الغالب الى السيطرة على القوى العسكرية ، اعتماداً منهم ان الشعوب الشاكية السلاح ، لا بدَّ لها من استعمال سلاحها عاجلاً أو آجلاً ضد جارها

ثم ان العلاقات السياسية الدولية ، قامت حتى الآن على قاعدة تعزيز قوة الامم ، راغبة في السلام ، لكي تروع الامم التي تحسُّ ضرورة استعمال السلاح للعوز عما لا تعوز به بالاساليب السلمية . اي ان هذه القاعدة تقرّر مبدأ خطيراً وهو ان هناك امماً تشعر بحاجة ماسة الى الخروج على السلام حالة انهُ لم يبذل ايُّ سعي لازالة تلك الحاجة

ان الحروب العسكرية ، قد صدر عليها الحكم الادبيُّ الدولي ولكن الحروب الاقتصادية — والتاريخ يعلمنا انها الباعث الرئيسي على العنف الدولي — هي مما تتحالف الامم في سبيه وتتناهد . فاذا كان السلم الاقتصادي هو هدف دعاة السلام النظريين لم يكن من الضروري ان تتفق الامم على تحديد القوى الحربية ، لكل دولة من الدول ، لانك في الجماعة المستقرة المتمتعة برغد العيش لا تحتاج الى تعيين عدد المسدسات التي يحق لكل فرد ان يحملها

— ٨ —

مذهب اليس الفيلسوف والاجتماعي الانكليزي

اني لا اشك مطلقاً في ان السلام العالمي الدائم مستطاع ، وانه يتحقق متى وجدت الشيئة التي ترغب فيه . فليس ثمة حرب بين الحيوانات القريبة من الانسان ، وليس هناك دليل على وجود الحرب في تاريخ الانسان البدائي

وقد تكون الحرب ، ناحية من نواحي التقدم الانساني ، كانت في الماضي مفيدة ، في تعزيز روح النظام الاجتماعي ، والتعاون ، ولكنها اليوم ، في رأي معظم الشعوب ، اصبحت ولا ضرورة لها ، بل أصبحت وهي مبعث ضرر عظيم

حتى الدولة المنتصرة في الحرب ، قلما تعوز بضمان السلامة ، التي في سبيلها خاضت معمعة الكفاح

ان تضافر الامم الكبرى ، على السعي لتوطيد السلام ، سواءٌ تمّ ذلك السعي بواسطة جمعية الامم أو بأية واسطة اخرى ، يكفي لاحلال التحكيم محل الحرب

واذن فالواجب يقضي علينا ، ان نوضح للناس ، بوسائل التعليم المختلفة ، ما تجلبهُ الحرب على الحضارة من الضرر ، وان نبذل ما في وسعنا بصفة كوننا ابناء البلدان الدمقراطية من الضغط على حكوماتنا لالغاء الحرب

— ٩ —

الاب ارنست دمنه زولب قسيس اميركي

أمن المعقول ان نتكلم عن السلام الدائم وهل يمكن ان توطد اركانهُ في هذه الايام القلقة المضطربة ؟ لا ريب عندي في ذلك . فليس يعمد الى التشاؤم عند مراجعة المشكلات الدولية ، الاَّ من كان الاعصاب في طبيعتهِ عاملاً على العمل والادلة التي يستندون اليها — اي تعذر تحويل الناس الى ملائكة ، والصعوبة في التوفيق بين البلدان والسكان ، وبواعث الطمع والنعرة التي لا يمكن استئصالها ، وطغيان الحكومات الدكتاتورية ، ولين الحكومات الدمقراطية — كانت ولا تزال حججهم في قديم الزمن وحديثهِ

فليستندوا اليها ما شاؤوا اذ ليس ثمة ريب ، في ان جميع الامم ، كانت تعتقد من خمس عشرة سنة ، في امكان توطيد السلام وليس ثمة ريب ، في ان ملايين من الرجال والنساء — زهرة الناس في معظم البلدان — لا يزالون على هذا الاعتقاد

وكل باحث في تاريخ الفكر ، يعلم ، ان المعتقدات التي تسود طوائف كبيرة من الناس ، لا بدَّ من ان تتحقق في النهاية وكلُّ ما علينا ، هو ان نزيد عدد هؤلاء المؤمنين بامكان السلام ، كما زاد عدد المؤمنين بالعلم ، والله

لم يأتِ عصر على العالم ، كان فيه الاعتقاد في عدم ضرورة الحرب ، اقوى مما هو الآن . وما نحتاج اليه ، انما هو الحكمة ، وضبط النفس ، والقدرة على الفهم ، التي يجب ان تصحب هذا الايمان
فاذا يحول دون هذه السجايا ؟

لماذا لا تشمّر المسيحية كما يجب ان تكون ، او كما هي حقيقة ؟ واذا تشمرنا بها ، فما يحول دون نجاحها في هذا الصدد ، كما نجحت في ما لا يقلُّ عن هذه المشكلة عسراً وتعقيداً ؟

— ١٠ —

المسز فرنكلن روزفلت قرينة الرئيس روزفلت

ان السلام العالمي الدائم مستطاع ولكنه لا يصبح محتملاً ، الا اذا ادركت امم العالم ، ان حفظ الذات يقتضي التنظيم في سبيل السلام لا في سبيل الحرب

لا يسعنا ان نتوقع عقد معاهدات راسخة على الدهر فلا بدَّ من ان نجد اساساً ، تمكن ممثلي الامم من الاجتماع والبحث في هدوء وسكون ، وجوه التحوُّل الطارئة على العالم ، والحاجات الجديدة الناشئة عنها

من الواضح ان الشعوب تتغير والاحوال الاقتصادية تختلف فاذا ادركنا ان الخير المطلق ، مفضل على الخير الوقتي الذي قد تجنيه دولة من الدول او فرد من الافراد ، امكننا ان نلتقي ونبحث في المشكلات الناشئة ، ونسويها تسوية معقولة

— ١١ —

لن يوتانغ مؤلف وفيلسوف صيني

ان السلام الدائم متعذر الآن في اوربا للاسباب التالية : —

١ — اننا نبيع ونشتري دوليين ونفكر ونشعر وطنيين

٢ — اننا مخلوقات نصفها عقل ونصفها شعور وسير الشؤون الانسانية خاضع للشهوات الحيوانية من خوف وحسد ورغبة في الثأر اكثر من خضوعه لاحكام العقل . وما زال ستالين وهتلر وموسوليني يحكمون اوربا فالراجح ان الحرب لا تزول

٣ — ان جميع المؤتمرات الدولية هي مخفقة لان المندوبين يمثلون مصالح بلدانهم الخاصة ، وليس ثمة سياسي عالمي ، يمثل مصالح اوربا المشتركة

٤ — الفاشستية تعيش على امل الحرب ، ولا بدَّ من ان تفي بما تعد

ولا يصبح السلام الدائم ممكناً الا : —

١ — متى قرأ جميع الاوربيين لاوتسو واخذوا عنه شيئاً من الحكمة والاستهتار Cynicism (ولا ينقذ العالم الا المستهزئون)

٢ — متى ساد الفساد والارتباك الادبي ، واصبح الضباط يحسبون الفرار فضيلة عليا . فاوربا لا تتعلم الا اذا منيت بنكبة اعظم جداً من نكبة الحرب الكبرى

٣ — متى اصبح للمفكرين نصيب اوفر من التأثير في سياسة الامم وانشئت رابطة تضم الاوربيين المستنيرين الذين يضمرون اعتدال ذوق الوطني

ابر باشا(١)

تأليف القاضي ا

للقاضي ـ على تاريخ المصري انا عمد محثا في لاثل
مأرمة كتب سناب عوردون فكتا حكتاد دان وهـ تاريخ
ا والسياسي المحنك ابراه

المسة على ن ابراهيم باشا على القيادة الحربية
تصاراته م يكن إلا سيفاً في يد أبيه باشا وسكي
ث مطالعة هذه وقد ارتسمت في عة لشخصية
شخصية ق الناس في فنون
الحر ١ وحده، وحنكة في رة في التنظيم و قد
كان ابـ صاحب رأي قوم الحوادث تحته وسد
في غر لكنه كان اذا اختلف رأ رأي ابوالد
و له و

يست هذه الصور ابراهيم ثابت أخيال الرو هة
بت في معظم ما ألف وما كتب تاريخ الشرق الادنى من كتب
ومذكرات رسمية ورسائل أدبية ما النصف الآخر
الوزارات الاوروبية او في مخطوطة

والقاضي كرابيس ع على معظم ابو مدة جلالة
بعد ع له جلالته الاطلاع على معظم حيه الملكي
الخاص مخطوطة في سجلات الوزارات الاوروبية حمل المؤلف
ديباجة مقام جلالة الملك فؤاد

من الكتّاب الى ان ابراهيم رأي في تاريخ ابراهيم باشا وقد ذهب
ولكن يتبين انت في الفصل الاول
من هذا الكتاب اثباتاً قاطعاً ان ابرا الاثبات يستنبط من فهم د
لاحوال ذلك العصر من ناحية وقائم على وثائـ الشك من ناحية اخرى ن

(١) (Routledge London) de by .be

هذه الوثائق من سجلات مصر عابدين التي لم تنشر بعد. فظهور بعضها من الخدمات الكبيرة التي اداها المؤلف لفهم حقبة من التاريخ هي من اكثر حقب القرن التاسع عشر غموضاً وإبهاماً

ليس في وسعنا ان نتتبع شخصية ابراهيم وقد احدث تفتح عن ابراهيم المصرية منذ ان قدم مصر وتولى فيها عمل الدفتردار وهو عمل اداري كبير الشأن الى ان تولى قيادة الحملة المصرية في الجزيرة واخضاع الوهابيين وكيف تجلت حنكته السياسية ومقدرته الادارية في معاملة خصومه واتباعهم

ولكن الحقبة الثانية من حياته كانت ذات شأن كبير في تاريخ الشرق الادنى واوربا معاً ففي خلالها حدثت حرب الاستقلال اليونانية ومعركة نافارين البحرية وقد وقف المؤلف نحو ربع كتابه عليها فقد عهد الى ابراهيم من قبل السلطان عن طريق والده محمد علي في اخضاع الثوار في اليونان ومن كاد يشرف على تحقيق هذه المهمة حتى تألبت دول اوربا لبواعث سياسية ودبلوماسية مختلفة وتدخلت في الامر مؤيدة حق اليونان في الاستقلال. هذا التدخل افضى الى معركة نافارين بين اساطيل الدول الاوربية والاسطول المصري

ولعل الخدمة الكبرى التي اداها كرابيتس لفهم عصر ابراهيم باشا قائمة على توضيحه مقدمات معركة نافارين وحوادثها وبواعثها

فقد قرأ الوثائق الرسمية قراءة صبر وفهم وخرج منها برأي جديد يوضح الموضوع ويضعه في نصابه الطبيعي

***

أثبت الفاضل كرابيتس ان محمد علي باشا وابراهيم باشا كانا يدركان قيمة الاسطول وفائدة السيطرة على مسالك البحار. وفي فصل آخر من فصول الكتاب نقل المؤلف قطعة من رسالة كتبها ابراهيم باشا وهو في الاناضول تبين ادراكه هذا وتوضحه فانه طلب فيها ان تضم كيليكية والاناضول الى مصر لان مصر تحتاج الى خشب حراجها في بناء الاسطول

فرجل يدرك هذا الادراك قيمة القوة البحرية لا يعقل انه يعرض اسطوله للدمار سرفاً، في معركة مع الاساطيل المتحدة لدول اوربا البحرية. ثم ان الوثائق التي اعتمد عليها المؤلف وهي لممثلي دول اوربا في مصر تثبت ان محمد علي كان مستعداً ان يحسر بعض سفنه اذا تظاهرت الدول الاوربية بقواتها البحرية أمام الاسكندرية لكي يثبت للسلطان انه مستعد لنجدته بأسطوله في المورة لولا الدول الاوربية التي حالت دون ذلك

يضاف إلى هذه انه لما دارت معركة نافارين كان ابراهيم باشا على البر في المورة يحاول ان يرد العصاة ومن يؤيدهم من متطوعة الافرنج. وتاريخ ابراهيم العسكري بجيشه وتعصبه لا يحمل

احداً على الظن بأنهُ يثير معركة تعرض اسطوله للتدمير ثم لا يحضرها أو يديرها بنفسه

هذه الحقائق وغيرها تبين ان محمد علي وابراهيم ما كانا يقدمان على مناجزة العدو في نافارين مهاجمين واذن فلا بدَّ من البحث عن سبب آخر لتفسير ما وقع

يرى القاضي كرابتس ان السبب المعقول هو سوء تفاهم وقع بين ابراهيم باشا واميرال الاساطيل المتحدة . فالهدنة التي تمَّ الاتفاق عليها حسبها ابراهيم باشا شاملة لحركة الامداد التي تأتيه من الاسكندرية فقط كما حسب ان ما طلبه من الاميرال وهو الحد من عمل اللورد كوكراين لانكليزي في مساعدة الثوار اليونان كان من شروطه التي تم الاتفاق عليها . فلما هبط اللورد كوكراين على باتراس ارسل ابراهيم باشا بعض سفنه لمقاومته فحسب ذلك منهُ انتهاكاً لكلمته وخرقاً لاتفاق الهدنة فكانت نافارين

بعد معركة نافارين حاول الفرنسيون اغراء ابراهيم باشا بمعاونتهم في اخضاع الجزائر وكان حينئذٍ منصرفاً الى تنظيم الشؤون الادارية والزراعية فدارت مفاوضات في هذا الصدد لم تلبث ان خبطت لان سوريا كانت كانها تنادي

اما قصة غزوات ابرهيم باشا من جنوب سوريا الى ان وصل الى ابواب استانبول فأخّاذة عا يتحلى فيها من صلابة المشيئة ومهارة في الفنون الحربية وادراك القواعد الاساسية التي تقوم عليها سياسة الميدان . وقد قال ملحق التيمس الخاص بالكتب في هذه الناحية من كتاب القاضي كرابتس ان ما بسطهُ فيها من الناحية العسكرية جدير بعناية المؤرخ الحربي . ولكن الظفر الحربي تلاه التألب والتفرق والدس من الناحية السياسية بين دول اوربا وليس في هذا الحديث ما يشرّفها او يشرّف معظم رجالها الذين خاضوا هذا الميدان . ليست هذه العبارة من كلام القاضي كرابتس وانما هي ما توصل اليه كاتب هذه السطور من قراءة فصول الكتاب الخاصة بهذه الوقائع وهي حافلة بالوثائق والمكاتبات الرسمية

***

هذه بعض ما امتاز به كتاب « ابراهيم باشا » ولو ان الدفاع عن بعض نواحٍ من حياة ابراهيم باشا كان ارفق تناولاً مما ظن بعض الكتّاب ان القاضي كرابتس يحاول ان « يبيّض » ابراهيم . ومما سرنا انهُ اشار غير مرة في اسانيده الى كتاب « الامبراطورية المصرية » الذي وضعهُ الدكتور محمد صبري بالثناء الجدير به . ولو كان القاضي يعرف العربية لكان في الغالب رأى ما يستند اليه في كتب الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعي في اجزائه المختلفة وفي كتاب المرحوم سليمان بك ابو عز الدين وقد وضعه على « ابراهيم باشا في سوريا » على ما نذكر

البرنس سايونجي

صلة بين الاجداد والحداثة

لو كان رجال السياسة في اليابان قد تعوّدوا كتابة المذكرات اليومية ، لكان سياسيهم الاكبر ، البرنس كيموكي سايونجي ، اخرج للناس مجموعة فريدة في بابها ، بما تحتويه من الوان الحياة ونواحي الاختبار الانساني . انه جمع في حياة رجل واحد عصر الاقطاع في اليابان وعصر التمدن الحديث

تقلد منصب رئيس الوزارة ثلاثاً ، ووقّع مع كلنصو وولسن ولويد جورج معاهدة فرساي . نعم ان طائفة كبيرة من رجال السياسة المعاصرين اشتركوا في توقيع معاهدة فرساي ، ولكن سايونجي كان يستطيع ، وهو جالس معهم في ردهة المرايا في قصر فرساي ، ان يطوي بخياله نصف قرن من الزمان ، الى العهد الذي لبس فيه اللباس العسكري الملوّن الخاص بمقامه العالي ، وتقدم فرقة من جنود الاشراف ، لاخضاع القبائل اليابانية الثائرة على امبراطوره

كان فتح المعاقل واخضاع القبائل في سبيل امبراطوره ، مقدمة لحياة حافلة بألوان الخدمة العامة ، وضروب الثقافة العالية . كان ذلك العصر في اليابان عصر الشباب اذ كانت المناصب العالية في الحكومة والجيش والحياة الاقتصادية حافلة بهم وكان سايونجي متحلياً بجميع الصفات التي تدفع بالشاب الطموح الى طريق النجاح . كان مقرّباً من الدوائر التي تحيط بالامبراطور واليها يرجع الفضل في استعادة سلطته من الضياع . وكان ذكيّاً متوقد الذكاء . وكان شريفاً تجري في عروقه أنقى الدماء . وكان ديمقراطي الطبع ، محبباً بمقدرته على مؤاخاة رجال القبائل ، ورجال السياسة على السواء وكان يعرف ادب اليابان والصين الكلاسيكي ، كما يعرف الانكليز المتثقفون شكسبير . في امكانه نظم مقطع من الشعر ، او رواية أبيات توافق المقام وكان يؤيد جمعية الشعراء ، اذ كان الشعراء في اليابان المتطلعة الى التمدن الحديث ، لا يشغلون من المقام الاجتماعي المرتبة الاولى ، في المآدب التي كان سايونجي يقيمها ، كان الشعراء يفلتون من القيود الاجتماعية ويروي الاميرال سايتو ، رئيس الوزارة اليابانية السابق وأحد صرعى الفتنة الاخيرة ، ان الادباء عبثوا من الخمر في احدى هذه المآدب كالحيتان

على ان سايونجي لم يشتهر اسمهُ في الغرب ، الا في السنوات الاخيرة ، إذ أصبح سياسي اليابان الاكبر . ولقب « السياسي الاكبر » لا يسند فقط الى سياسي بلغ من العمر عتيّاً . بل

ان الامبراطور ، يمنح بعض الساسة والقواد عند التقاعد من خدمة مصالح الدولة لقب السياسي الاكبر . ولكن في سنة ١٩٠٢ صدرت بمقتضى ارادة امبراطورية يؤمر فيها ارجل معين في تقديم النصح للامبراطورية . وقد وردت الانباء الاخيرة بأن الامبراطور بعث بمستشيره في الحوادث الاخيرة مع ان العسكريين حاولوا اغتياله لانه من احرار النزعة

وقد عين سايونجي في المنصب لدى عودته من مؤتمر الصلح سنة ١٩٢٠ كان اعضاء الكدر الذين أخلصوا النصح للامبراطور ، قد مضوا في سبيل كل حي . وكانت الحكومة البرلمانية قد انشئت ، وسلطة رئيس الوزراء قد عظمت واتسع نطاقها . ولو لم يكن سايونجي ، سياسياً برلمانياً يعرف اساليب النظم البرلمانية ، ومرن العقل حر المبادىء ، لكان الاحتكاك والتصادم بين رئيس الوزراء ومستشار الامبراطور الاكبر امراً لا بد منه . وكان الساسة الكبار من قبله عاماً ما يتوسطون بين الوزارة والجيش ، او يقولون في المآزق الكلمة الفاصلة فيما يتعلق بسياسة الحكومة ، ولكن سايونجي عنده رأي لما أقدم عليه خلفه الجديد ، ان هذه الاعمال من شأن الحكومة لا من شأن المستشار الامبراطوري

لذلك اصبح المنصب الجديد في ايامه ، عبارة عن كون « السياسي الكبير » مستشار الامبراطور الاعلى فيما يتعلق بتأليف الوزارات . وهذا عمل لا بد منه لان على عاتق الامبراطور تقع تبعة تعيين رئيس الوزراء ، وهو بحكم منصبه ، لا يستطيع أن يكون محيطاً بالدقائق والتفاصيل متصلاً بجميع نواحي الرأي العام والشعور القومي ، بل قد لا تكون له الخبرة الوافية التي تمكنه من اختيار أصلح رجل للحال

فسايونجي ، هو عينا الامبراطور واذناه وارادته ، اذ تتطلب الحالة في اليابان تعيين وزارة جديدة . جميع زعماء الامة العاملين يهرعون الى داره فالوزراء الذين يساورهم القلق على المستقبل يسرعون الى داره المطمئنة الساكنة ، ليستشيروه . ويتبعهم زعماء المعارضة . فاذا ذهب متنسكاً الى لندن ، أو ابنتي الى وشنطن ، أقبلا عليه قبل السفر ، يستطلعان منه التعليمات الاخيرة

انه مجلس ساكناً كالجبل لا تهزه الرياح ان شيخوخته قد حررته من نوازع الشهرة والثروة وشهوة السلطان ، فيصغي اليهم جميعاً

يصغي اليهم ، ولكن يقال انه قلما يقول شيئاً . انه يحتفظ بمشورته لسيده الامبراطوري والامبراطور مترفع فوق كل النزاعات

وقد وقع على عاتق سايونجي منذ تقلد منصب المستشار الاكبر للامبراطورية أن يشير على امبراطوره بتعيين اربعة عشر رئيساً مختلفاً للوزارة . من هؤلاء كان ثمانية زعماء حزبيين وستة من رجال السياسة غير المنتمين لحزب ما . وكان سايونجي في الغالب يميل الى تعيين زعيم حزبي اذا كان

الجو رائقاً والميدان خلوٌ من الشخصيات الكبيرة. والراجح انه كان يحاول أن يضع في ذلك تقليداً شبيهاً بالتقليد الانكليزي، وهو الانتقال من وزارة الى وزارة، انتقالاً سهلاً طبيعياً يكاد يكون من تلقاء ذاته انتقالاً من زعيم أكثرية أمس الى زعيم أكثرية اليوم

ان الحياة النيابية لا تزال في اليابان غير نامية كل النضج والرسوخ، وقد يكون ثمة ميل الى تحويل الحكومة من شكلها النيابي الى ما يعرف بحكومات «القوة» أي الدكتاتورية العسكرية. ولكن سايونجي قد أصبح لحاماً للحكم البرلماني، حتى يقيم الحجة بأنه صالح للبقاء انه يؤمن به.

وسايونجي الآن في السادسة والثمانين من عمره، أنفق العشرين السنة الاولى في بلاط كيوتو، فاذا هو في شبابها يتقلد الرمح ويمتطي الجواد، ويحارب في سبيل الامبراطور، ثم قضى عشر سنوات في فرنسا يتمتع عشر سنوات من اللهو والمرح كموظف شاب ثم عشرين سنة في أعلى المناصب الادارية والسياسية في البلاد، وها هو اليوم وقد مضى عليه ١٥ سنة، في حياة هادئة صامتة يعمل في سبيل امبراطوره وبلاده الحكمة التي استقطرها من عمر الحياة

ولد سنة ١٨٤٩ وكان أصغر أبناء بيت «طوكودايجي» وهو من أنبل أسر الاشراف في البلاط الامبراطوري واتفق أن بيت سايونجي النبيل، وهو من مقام بيت «طوكودايجي» كان في حاجة الى وريث حينئذ، فاتخذ الفتى كيموكي، موضوع كلامنا، وريثاً بمقتضى العرف الياباني والشريعة اليابانية. ويرتد تاريخ الاسرة، التي أصبح الفتى وريثها وزعيمها بعدئذ الى أواخر القرن الثامن الميلادي

ورث من أسلافه مرح الطبع وحب الجمال، وترعرع في وسط يتغذى بمعاني الناحيتين من حيث الأدب ورقة الشعر الياباني فكان من صميم أبنائه، كان يستطيع أن ينظم قصيدة، أو يسرق خطاه عند الفجر ووردة على وجهه، من مخدع غانية من غواني البلاط

عين نديماً للامبراطور وهو في السادسة. وهو تعيين اسمي ولكن هذا التعيين كان صلته بدوائر البلاط الداخلية، اذ كانت الحياة الجديدة تدب في عروق اليابان، وقد أخذ زاجرها الناشئ عن المشاغبة وحب الجمال والطبيعة يتبدل به نشاط عجيب فيه كل حوافز الحياة العصرية فتاريخه انما هو جامع لأدوار تاريخ اليابان الحديثة!

وبعد ما حارب في سبيل الامبراطور في حداثته وأبى قطع له معاش سنوي قيمته قيمة ١٥٠ كيس من ارز ولما حاولوا أن يقيموه حاكماً على احدى مقاطعات الريف، رفض، وفي سنة ١٨٧١ سافر الى فرنسا على أثر حرب السبعين، وفي طريقه عرج على وشنطن عاصمة الولايات المتحدة، وقابل الرئيس غرانت. ويؤخذ من رسالة بعث بها الى احد اصدقائه انه دهش «لديكولته» النساء في البيت الابيض وحرية الاختلاط بين الجنسين وها هو ذا قد

عاش حتى هذا العصر وسمع بأدبه بواح بعض الكتاب على الفتاة المصرية

عاش في باريس مدينة «حبيبه» واشترك مع احد اصدقائه يوبيل جوتييه في وضع درامة مثلت في «الاود ين» ، ولكنه رفض ان يأخذ حصته من الربح المالي الذي عادت به عليهما . وسأله ذات يوم صديق لنابون — وكان « كولاس العالم السياسي المشهور — قال . « لقد طال مكثك في باريس فبتّ من الضروري ان ترجع الى بلادك وتقوم بنصيبك من الحياة العامة » فرد الفرنسي الشاب « ان من يرغب في ان يكون سياسيًا في بلادي ، لا يستطيع ان يصرح بما يضمر ، عليه ان يكون مرائيًا ، ويكذب احيانًا » فرد عليه الفرنسي . « حيث تكم اذا كان رجال السياسة عندكم لا يكذبون إلاَّ أحيانًا »

ولما عاد سايونجي الى اليابان ، في الثالثة والثلاثين من عمره كان عمّنا الخطيب الراديكالي الفرنسي مثله بين الرجال وكان كلمنصو طالب الطب ، الراديكالي كذلك صديقه فلما كانت مسألة الساعة في اليابان مسألة منح الدستور او عدم منحه ، انشأ سايونجي جريدة جعل اسمها (الآراء الحرة) وجعل عنوان افتتاحيته الاولى (الحرية الادبية والحرية السياسية)

ولكن رجال الحكومة الجديدة كانوا يرغبون في خدمات سايونجي كواحد منهم لا كناقد لاعمالهم فاقنعوا الامبراطور بان يصدر امره إلى سايونجي ليمتنع عن العمل بالصحافة فامتثل للامر وتخلى عن صحيفته ، وقبل المنصب الذي عرض عليه ، وما زال يتقلب في المناصب ، إلى ان بلغ منصب الوزارة فقد شغل منصب وزير المعارف مرتين ، واشرف على فلسفة التعليم في الوزارة ، ثوب الحرية ، فأدى لبلاده خدمات جلى . ومن جملة المناصب التي شغلها منصب سفير لبلاده في فينّا وبرلين ومنصب رئيس للوزارة ثلاث مرات

وقبل ان يعين « سياسيًا أكبر » مكن اليابان من تأليف أول وزارة حزبية فيها سعيًا وراء إقامة الحياة النيابية على أساس حزبي وكان رئيس الحزب الذي تقلد الحكم خارجًا عن دوائر النبلاء والبيروقراطية فكان في عمله جرأة عظيمة مثل جرأة الزعيم الاكبر المغفور له سعد زغلول باشا إذ عين نجيب افندي الغرابلي وزيرًا وكان آخر ما قام به لامته من الخدمات ، ان عين بعد حوادث الاغتيال التي وقعت سنة ١٩٢٣ الاخيرة ، وزارة قومية ، لكي تسير بالامة في العاصفة الثائرة الى بر الامان وليس ثمة أي تناقض بين العملين . فهو يرمي الى تنشئة الحياة النيابية الحزبية تنشئة قوية ، ولكنه يعمد الى الائتلاف في الايام العصيبة فقط

هذا الرجل العجيب يعيش في الحاضر ، لانه ادنى الامبراطور وعيناه وارادته . ولكنه ، لا ريب ، يرتد في بعض اللحظات ، الى ايام الحداثة ، ايام الرمح والجواد والعلم المرفوع . انه يضم في حياته يابان القديمة ويابان الحديثة !

سعدي

الشاعر الفارسي

كان للصلة الادبية التي توثقت عراها بين العربية والفارسية في ظل الحرية والتسامح الادبي شأن كبير في ما ادركتاه من سعة ونماء في المادة والشكل والغاية فالكتابة عن السعدي الشاعر الفارسي الشيرازي تبعث في النفس نواحي من الذكرى والتأمل وتثير الحنين الى عصر النور في حياة الادب العربي والفارسي جميعاً ، بل ان في هذه الكتابة شيئاً من السلوى للذين يحيون ابداً ساخرين هازئين بمظاهر العيش الناعم المترف ، بل لعل في حياة السعدي ما تستقر به انفاس تتصعد من صدور محترقة لكثير من الادباء تنبيء عن شكاية القلوب من هذا العيش المشرد الذي يحالونه رماداً تخبو تحت ذراته جذوة ذكائهم ويطفئه بمصباح نبوغهم . فقد عاش السعدي كما عاشوا ، ولكنه ظفر من هذا العيش بالشهرة التي لم يتمتع بها غيره من بسبب من شعراء الشرق وكتابه النابهين

وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً في تاريخ ميلاد السعدي وتاريخ وفاته ويكاد اكثرهم يرى انه ولد بشيراز سنة ١١٧٥ وتوفي سنة ١٢٩١ م

وكانت شيراز في ذلك العهد من منارة الدنيا التي تهش لشعراء والادباء وكانت رياضها وعيونها وانهارها مصدر الهامهم ووحي خيالهم وقد استهوت بجمالها من استهوت شاعرنا السعدي ففاض عليها من آيات ثنائه واعجابه ما امتلأت به صفحات ديوانه (الكليات) ومؤلفاته الاخرى . من ذلك يقول ما ترجمته

ما اجمل بياض الصبح الذي اراه مشرقاً على سر الله شيراز ستري مرة اخرى تلك الجنة ، جنة الارض التي تجود بالأثمار المباركة لا بالقحط والظلم

وربي لا تأنف العظمات هذا الوطن الذي استقر عليه عرش سليمان العظيم

***

نشأ السعدي يتيماً يتجرع مرارة اليتم ويحس آلامه وقد لازمه هذا الاحساس بعد ان استكمل شبابه وألح عليه فقال قصيدته الرائعة التي يسترحم فيها القلوب

ويستعطفها على ايتامى الذين لم يستثمروا حلاوة العيش في ظل الأبوة الرحيمة
استهل هذه القصيدة بما ترجمتهُ :

ارحم اليتيم الذي مات ابوه، أنفض التراب عن ملابسه، فانك تعلم انه لا حياة للشجرة بعد ان تتقطع اصولها

ثم قال من يخفف عن اليتيم احزانه اذا فاضت دموعه، من يسري عنهُ اذا اجتاحت نفسه، آه ! اجتهد ألا يبكي لان عرش الرحمن يهتز لتنهدات اليتيم الحزينة المؤثرة . واختتمها بقوله :

أنا اشارك اليتيم في احزانه لأني قد ذقت في طفولتي بأس اليتيم

مات ابوه وهو طفل فعاش في كنف السلطان سعد بن زنكي سلطان فارس ايام طفولته وشطراً كبيراً من ايام شبابه

ولم ينقل الينا من ترجم السعدي من المؤرخين كيف كان يعيش في ظل هذا السلطان وما كان نصيبه من رغد الحياة وبؤسها . وكل ما وصل الينا انهُ عاش في رعايته زمناً ثم فارقهُ ليستكمل حياته العلمية على شيوخ بغداد الذين كان لهم اكبر أثر في ثقافته وأدبه

والمفهوم مما ذكره المؤرخون ان دراسات السعدي كانت في حياة سعد بن زنكي وان هذا السلطان لم يمت حتى بلغ السعدي ثماني وثلاثين سنة وهو عمر طويل مكن له أن يشبع نهمه من علوم الدين وقواعده واصوله ومن مصطلحات الفنون وادواتها واساليبها ومكن له ايضاً أن يملأ قلبه معرفة بأحوال الصوفية ومذاهبهم ودراساتهم الروحية العالية فقد اتصل في بغداد بكثير من شيوخ العلم ثم انقطع أخيراً إلى شيخين جليلين من اعيان العلماء هما الامام شهاب الدين السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ وكان واحد دهره في الحديث والتفسير والتصوف، والامام ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ شيخ الوعاظ والعلماء والمصنفين . وقد وقع البستاني هنا في خطإ تاريخي واضح لأنهُ عدَّ من شيوخ السعدي الذين تلقى عليهم علم الباطن الشيخ عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة الكيلانية المشهورة في العراق والممالك الشرقية الاسلامية- وذلك غير صحيح لأن الكيلاني توفي سنة ٥٦١ هـ اي قبل ميلاد السعدي بعشرين سنة تقريباً

في وسع الباحث في حياة السعدي ان يدع جانباً حديث المؤرخين عنه بعد عهد المدرسة ويترك للسعدي نفسه التحدث عن هذه الحياة المليئة بالعبر والحوادث الجسام. فهو يصوّر لك اصدق تصوير في كتبه ثورة نفسه على النظام الحضري وعلى حياة الاستقرار التي تعرّت سكان المدن بالركون الى النعمة والإخلاد الى العيش ارامه الهين ويريك كيف جاب اقطار الارض ورحل في ثياب الدراويش ثلاثين عاماً الى ممالك الاسلام جميعها وكيف كان يتحرّق شوقاً لشمس جانب لقوافل الميمّمة شطر بيت الله الحرام وقد حج اليه اربع عشرة مرة يردّد الناشيد ويتغنى باغاني الشوق ويرتل قصائد العشق الصوفي في الذات الربانية والحضرة المحمدية الكريمة ويتوحد ويتشوّق على النحو الذي تراه في قصيدته التي يقول فيها

تعذّر صمت الواجدين فصاحوا	ومن صاح وجداً ما عليه جناحُ
اسرّ واحديث العشق ما امكن التقى	وإن غلب الشوق الشديد فباحوا
سرى طيف من يجلو بطلعته الدجى	وسائر ليل المقبلين صباحُ
اصبح اشتياقاً كلما ذكر الحمى	وغاية وجد المستهام صياحُ

ويريك ايضاً كيف اسره الصليبيون والقوا به في سجن نابلس يعمل في بناء الحصون ويقصف عرقه من حمل الصخور وكيف افتداه من هذا الأسر تاجر حلبي وزوّجه ابنته فكانت هذه الزوجة على جانبها وزوجها علة احزانه ومثار آلامه وكيف رحل الى الهند ووقف هناك يعرض في صنم الوثنيين في أحد المعابد فرآه الحارس فقتله السعدي خشية ان يخبر عنه قومه فيقتلوه

ثم كيف حنّ بعد هذه الغربة الطويلة الى شيراز فعاد اليها وقد قارب الستين وكيف كانت هذه الرحلات عماد عبقريته وملهمها ومصدر خصبها ونمائها. وهنا يريك كتابه العظيم وديوان اشعاره الجامع «الكليات» كيف بدأ بهذه العودة عهد الاثمار — كيف بدأ الروض المزهر ينفح بالعطر والنخل المخصب يجود بالحكمة والعقل المؤمن يفيض بالعبرة والقلم البليغ يرسل السحر الحلال. كيف بدأ بهذه العودة يدوّن آثاره الادبية واشعاره واقاصيصه فأنشأ كتبه الاربعة الكلستان والبستان ويندنامه ودواوين اشعاره

وتدبنا قصيدته الطيبة التي وصف بها نكبة بغداد وبكى بها مجد العرب وبيت الخلافة به قد رحل مرة اخرى الى هذه المدينة وما جاورها كواسط وعبادان حين سقطت في ايدي التتار وشاهد طلولها وخرائبها بعد ان شاهدها جنة الدنيا وتاج المدائن . ويبدو لنا ان هذه الرحلة لم تكن طويلة وان هموم الشاعر واحزانه على هذا الملك الساقط لم تحجب اليه البقاء فيها فهو يستهل هذه القصيدة بقوله .

حبست بجفني المدامع لا تجري فلما طغى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغداد بعد خرابها تمنيت لو كانت تمر على قبري
لأن هلاك النفس عند اولي النهى احب له من عيش منقبض الصدر

ثم يقول :

أيا ناصحي بالصبر دعني وزفرتي اموضع صبر والكبود على الجمر
وقفت (بعبادان) ارقب دجلة كمثل دم قان يسيل الى البحر
وفائض دمعي في مصيبة (واسط) يزيد على مد البحيرة والجزر
فأين بنو العباس مفتخر الورى ذوو الخلق المرضي والغرر الزهر
غدا سمراً بين الانام حديثهم وذا سمر يدمي المدامع كالسمر
جرت عبراتي فوق خدي كآبة فأنشأت هذا في قضية ما يجري
سطرت ولولا غض عيني من البكا ترقرق دمعي حسرة محا سطري
أحدث أخباراً تضيق بها صدري وأحمل اوقاراً ينوء بها ظهري
ألا ان عصري فيه عيش مكدر فليت عشيّ الموت بادر في عصري

وهو في هذه القصيدة يجلي مواجع قلبه واحساساته الأليمة على مصير الخلافة والاسلام ويجزع من المنحدر السحيق الذي يهوى اليه تاريخ الجماعة الاسلامية بحضارتها وعلومها وعزتها وبمجدها السامي العظيم وتكاد هذه القصيدة تكون هي الوحيدة في الشعر العربي التي صوَّرت تصويراً رائعاً هذه النازلة الكبرى التي نزلت بالمسلمين وذهبت بعظمة سلطانهم ومجد خلافتهم

وأدب السعدي يمتع بمميزات الادب الفارسي جميعها من العناية بالتشبيهات والاستعارات والجمال اللفظي والخيال المليء بأبدع صور الحنان الطبيعي والغزل الصوفي وتأثر إلى حدٍّ ما بالثقافة الاسلامية ولكنه يمتاز عن أدب نظرائه من الشعراء المعاصرين بأنه استطاع على الرغم من ولوعه روح التصوف والآداب الدينية وعيش الدراويش ان يقسم شعره ونثره بين الحياتين : الروحية والمادية ويمنح كلًّا منهما من ذلك نصيبه الكامل فقد وفق أتم توفيق الى أن يرضي الفقراء والأغنياء جميعاً وهو هو الذي جعل أدبهُ أسير وأشهر من أدب غيره من شعراء فارس جميعهم

وكتابات السعدي تدل على انهُ قد تأثر إلى أبعد حد بأستاذه ابن الجوزي فهو يجري في الكلستان والبستان مجرى هذا الشيخ في كتبه الاخبارية كأخبار الاذكياء والحمقى ونوادر الملوك وغيرها وكذلك نحوهُ في كتبه الوعظية متابعة بيّنة . وذلك يدلنا على ان حظ السعدي من علوم الجدل لم يكن وافراً وأن دراسته كانت تهذيبية عملية تتصل اتصالاً وثيقاً بالحياة ومشكلاتها وتنحو في معالجتها بأسلوب الارشاد والقصص الذي تسلكه الشرائع كثيراً في الدعوة الى الاصلاح

ولم يترك السعدي غرضاً من اغراض الشعر لم يقل فيه . فقد مدح ورثى ووصف وأشتاق وتغزّل ولكن حظ الهجاء من شعره رغم نادرته ومفاكهته وقسوة لسانه كان قليلاً . اما غزله وهو اظهر هذه الاغراض في شعره فانه وان لم يبلغ في نظر النقاد ما بلغت غزليات حافظ التي تعتبر في القمة من غزل الآداب العالمية وعلى الرغم من ان معانيه عامة لا ابتكار فيها الا نادراً على الرغم من ذلك كله فقد تمتع بحظ وافر من الروحانية التي تجعله محبوباً مستطاباً الى النفس وهو يسوق هذه المعاني مساقاً وجدانيًّا يستهوي ويعجب . أفلا تراه ينفث السحر في قوله .

قد ادعتم روائح المسك طيباً وبهرتم محاسن الورد نشرا
فنسيم النسيم حيث حللتم حل بالواردين روح وبشرى
مقل علمت ببابل هارو ت على ان تعلم الناس سحرا
جمرات الخدود أحرقن قلبي وتبقين في الجوانح جمرا
برزوا والربا تطل تنادي ما لهذا النسيم يحمل عطرا

ابداً لا افيق من سكر عيني ان سقتني من المراشف خمرا

وفي قوله من قصيدته الثانية التي تشبه كلَّ الشبه في روحها ونسجها تائية ابن الفارض المشهورة :

ألم ترني في روضة الحب كلما دنت مطرت سحب العيون وملت
أما كان قتل المسلمين محرماً لدى الله سر الحي كيف استحلت
وما هي السعدي اذكى تحية تلمهم ريح الصبا حيث حلت

وفي قوله من قصيدة اخرى :

حدائق روضات النعيم وطيبها تضيق على من يجور حبيبها
فيا ليت شعري اي ارض ترحلوا وبيني وبين الحي بيد أجوبها
ذكرت ليالي الوصل واشتاق مهجتي فيا حبذا تلك الليالي وطيبها

موضوع السعدي طويل لكنني سأكتفي بهذه اللمحة واختم القول فيه بذكر ابيات من قصيدته العاشرة التي يتحدث فيها حديث السكارى بخمر العشق الرباني :

يا صاحبي يوم الوصال منادماً كن لي ليالي بعدهن سميرا
هل بت يا نفس الربيع بجنة أم جئت من بعد الفراق بشيرا
عجبي مالي لست شارب مسكر وأظل من سكر الهوى مخمورا
صرفاً عن عقلي ورد فراقكم شعراً وصير سعدي مسحورا
طما بقلبي لا يزال يسيغه رشف الزلال ولو شربت بحورا
قطع المهامه واحتمال مشقة أرضى الأحبة لا أظن كثيرا
حسن المرارة في كؤوس ملامة حلو اذا كان الحبيب مديرا

وهو في هذا الهوى الالهي يذهب مذهب التصوف في الاغراق بتوسيعهم الى الذات الالهية يعشقونها وحدها ويقطعون من قلوبهم كل امل بلذائذ هذا الحس وآثاره كما رووا ذلك عن السيدة رابعة العدوية . ويظهر هذا في شعر السعدي في قوله

يا من به السعدي غاب عن الورى ارفق بمن اضحى اليك فقيرا
صلني ودع ثم النعيم لاهله لا اشتهي الا اليك مصيرا
فلئن ان تيعني عني بالنكا ارتد يوماً أتيتك بصيرا

مصر بهية فرج



باب المراسلة والمناظرة

ترجمة فرامين مصر

نقل سماحة حايم نحوم افندي الحاخام الاكبر في القاهرة

وقعت بيدي للمطالعة مجموعة الفرامين الامبراطورية (السلطانية) العثمانية الموجهة الى ولاة مصر وخديويها من سنة ١٠٠٦ هـ الى سنة ١٣٢٢ هـ (١٥٩٧ — ١٩٠٤ م) وهي تحوي الترجمة — دون النصوص — من التركية الى الفرنسية (Recueil des Firmans Imperiaux Ottomans , Le Caire, 1934) نقل سماحة حايم نحوم افندي الحاخام الاكبر في القاهرة والعضو في مجلس الشيوخ لمملكة مصر والعضو في مجمع اللغة العربية الملكي بمصر . فانهُ قام بهذا العبء الثقيل والعمل الشاق المستلزم رسوخاً في اللغتين وعلماً غزيراً ومعلومات واسعة فأدى الخدمة التي ندب لها وهي خدمة قلما يتمكن الذي يبذل مضمارها من الاجادة فيها مثله . ولكن اذ لا كمال لأعمال المرء فليس بغريب ان نعثر في هذا السفر القيّم على ما يستوجب الملاحظة في ترجمة نصوص الاصل وتفسير كلها العربية وشروحها فيها ألحق به وقد نظرت فيه غير متأن كل صفحاته فصادفت بعض الهفوات لذلك جئت استأذن المترجم الجليل بايراد ما بدا لي مع اضافة زيادات اعتقدتها تروقه وغيره

الصفحة	العدد	
٢٢	٨٣	قال : « حماص شربتي » وضبطها hammas cherbeti وصحيحها حمّاص (بالصاد المنقوطة) كما وردت في المعاجم العربية والتركية . والحماض هو ما يسمى بالفرنسية oseille وبالتركية « قوزى قولاغى » (أذن الحَمَل) وراجع عنهُ وعن معمول شرابه معجم لاروس الجديد المصوّر وتذكرة داود وغيرهما
٣٤	١١٦	هل لحضرته ان يعيد النظر في قراءة « السيد عمر عصار السماق » فان الذي يبين لي انهُ مغلوط فيها

الصفحة	العدد	
٦٥	٢٠٥	قال : « عمر زيد صلاحه Omar Zeid Salaha » فحسب « زيد صلاحه » علماً من اعلام الرجال او شهرةً او لقباً . وكرر ذلك في الصفحة ٦٨ العدد ٢١٧ في كلامه على الشيخ محمد ووجه الغلط ظاهر لا يحتاج الى بيان وايضاح
٦٨	٢١٤	قال في كلامه على «شمعتين» (شمع عسل) deux cierges de miel blanc ، وقوله : « de miel » غير صحيح من وجهين اولهما كلمة cierge خاصة بالشمعة التي مادتها شمع العسل لا سواه وهي مشتقة من كلمة cire وهو هذا الشمع لا غيره . وثاني الوجهين اضافة miel الى cierge وهي ترجمة حرفية لا تقبلها اللغة الفرنسية . ولو قال cierge de cire لهان الامر نوعاً وان لا يصح ذلك
٣٤٥	...	آربه لق . حصتها مال يعطى مسانهة لرؤساء الانكشارية او للعلماء مع انها كانت تعطى لغير هؤلاء نقداً او بتخصيص ايراد (وراجع معلمة الاسلام (Encyclopédie de l'Islam) (١ : ٤٦٥) ولي شواهد على ما قلته يطول سردها
٣٤٦	...	باليمز . قال : « ومثاها الحربي الذي يأكل العسل وهو مدفع ... » ولو عرفنا بأصل الكلمة لأحسن فقد افادنا تاريخ بغداد بالفرنسية لمؤلفه هوار (Huart) (الص ١٢١ ح) فضلاً عن ملحق المعاجم التركية لباربيه دومينار (Barbier de Meynard) أنها « palla e mezzo » وهي تعني « قنبرة ونصف » اما ش . سامي في معجمه التركي فانه صوّر الكلمة هكذا . « باليه مزى » وقال انها اسم الموجد الايطالي لهذا المدفع وجاء بعده ديران كلكيان في معجمه التركي الفرنسي فكتبها كسابقه وقرأها بحروف افرنجية « [illegible] » وقال انها من الايطالية « balliamezza » ولعل الصحيح ما قاله دومينار
٣٤٦	...	بيت المال . قال : « خزينة الدولة قديماً . وفي التنظيمات الحديثة الصندوق الذي تحفظ فيه اموال الورثة المجهولين والغائبين » . قلت : وهو نقل على ما يبين لي من معجم ش . سامي . ومعناه الاول بقي جارياً بعد التنظيمات . ومن الادلة على ذلك ما ورد في المادة الثانية والثالثة من قانون الاراضي الصادر في سنة ١٢٧٤ هـ (٨ / ١٨٥٧ م) وفي الارادة السنية المؤرخة في ٢٢

الصفحة العدد

محرم سنة ١٣٠٠ الموافق ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٢٩٨ (١٨٨٢م) الصادرة بشأن مرور الزمان في الدعاوي التي تحدث بين خزينة الدولة والاهلين . (راجع ذيل المجلد الثالث من الدستور الص ١٠١ السطر ٢) . وكذلك هو قديم بمعناه الثاني فانا نجد ذلك في « قانونامه آل عثمان » التي امر بجمعها السلطان سليمان القانوني المتوفى في سنة ٩٧٤ هـ — ١٥٦٦م) . وقد طبعت في الاستانة في سنة ١٣٢٩ وهذا تعريب ما فيها (الص ٢١) «يجب اعلام الناس الذين يأخذون (يلزمون يضمنون) مقاطعة « بيت المال » و « مال الغائب » و« مال المفقود » انه حين وقوع « بيت المال » يسجل ذلك في دفتر القاضي » والعربية هي التي تهدي قارىء الى اسم المقصود

٣٤٩ ٢١٤ كرك حسب احداثه في سنة ١١٢١ هـ (١٧٠٩ م) وتكلم عن النسبة المثوبة التي كانت تستوفى وقد لخص ذلك — على ما بان لي — عن تاريخ احمد راسم (١ : ٤٦٧ الفائدة ١٣٧) . قلت ان احداث الكرك لم يكن في تلك السنة بل هو قديم وابدأ بما هو ابعد من هذا التاريخ حتى انتهي الى اقصى ما وصلت اليه فلقد وجدت للكرك ذكراً في الكتاب التركي المسماة «قايمولا سيوس» لعارف اسكندر وعلي رشاد المطبوع في الاستانة سنة ١٣٣٠ (١٩١١ م) في « قايمولا سيون » تاريخه سنة ١٠٨٤ هـ « ١٦٧٣ م » (الص ١٢٣ المادة ٨ والص ١٢٨ المادة ٤٥) وهناك كلام على النسبة المثوبة التي تستوفى وفيه في « قايتولا سيون » آخر تاريخه سنة ١٠٠٥هـ « ١٥٩٧ م » (الص ٩٣ المادة ١٦) كلام ايضاً على الكرك . وذكره المفيد جداً هو الذي جاء في هذا الكتاب عينه (الص ٤٩ وما بعدها) في المعاهدة المعقودة بين حكومة مصر في زمن سلطنه ابابيك وبين قنصل فرنسة في الاسكندرية التي ايدها السلطان سليمان القانوني بتاريخ ٦ محرم سنة ٩٣٥ (٢١ ايلول ١٥٢٨) فالكرك ذكر قد تقدم سنة ١١٢١ بنحو قرنين

٣٥٣ ... متصرف قال : معناه الحرفي proprietaire قلت وهذه الكلمة تعني المالك بينما التصرف شيء والملك شيء آخر كما هو معلوم ويقابل المتصرف possesseur (وراجع شرح قانون الاراضي للمحامي نجيب شيحا (بالعربية) المطبوع في القاهرة في سنة ١٩٠٦ وترجمة قانون الأراضي

الصفحة العدد

وغيره إلى الإنكليزية بقلم ستانلي فيشر Stanley Fisher المطبوع في اوكسفورد سنة ١٩١٩

٣٥٣ ٢١٤ محراب . قال « موضع في الجامع في جنوبه الشرقي يقف قبالته الامام في الصلاة » قلت والصحيح في تعيين موضعه هو ان يكون في صدر المسجد قبالة الكعبة بحيث اذا استقبله الرجل كان اتجاهه اليها لذلك يكون هذا الصدر في الجهة الشرقية من المسجد او الغربية أو الشمالية او الجنوبية بحسب الموقع الجغرافي الذي يكون فيه مع الميل الى اليمين او اليسار حسب ذلك الموقع الجغرافي . وهكذا نجد محراب مسجد في جنوب الهند متجهاً نحو الشمال الغربي وعكس ذلك في بلاد الانكليز فإنه يتجه الى الجنوب الشرقي وقس عليه البواقي وما قاله حضرته ينطبق على البلاد الواقعة في الشمال الغربي لمكة من ذلك مصر

٣٥٣ ... متسلم قال substitut de mutésarrif اي وكيل المتصرف او نائبه او القائم مقامه والصحيح هو وكيل الوالي او نائبه الذي يعينه الوالي نفسه او الذي تنصبه الحكومة وهو ايضاً الحاكم الاداري لمدينة من بعض المدن المربوطة بإيالة وكل ذلك قبل التنظيمات

٣٥٤ ... اورطه حصها بـ régiment (وهو آلاي كما يسمى عند الأتراك) الانكليزية والصحيح انها لا تخص « آلاياً » من الجنود ولا صنفاً من جنودهم انما تطلق على كل صنف من العساكر القديمة (وراجع عثمانلي تشكيلات وقيافت عسكرية سي لمحمود شوكت باشا) (١ لص ١) ومعجم ش . سامي وديران كلكيان)

٣٥٥ ... قال « علوفة من اليونانية » قلت ولا مشاحة انها عربية

٣٥٦ ... سالبانه قال . « الولاية المفروض عليها ضريبة سنوية » قلت « سالبانه » هي الضريبة نفسها اما الولاية بل الايالة المكلفة دفع هذه الضريبة . فيقال لها : « سالبانه لي » اي ذات سالبانه (وراجع تاريخ احمد راسم ١ : ٤٣١ والمعاجم)

وبالاخير ارجو من سماحة المترجم الجهبذ العفو ان صدرت مني جرأة في غير محلها او وقعت في سهو فان الكمال لله وحده بغداد يعقوب سركيس



الافكار تقتل

مبارزة عدتها قوى النفس والمشيئة

المبارزة قديمة ولكن أغرب ضروبها وأعجبها مبارزة تجري في ولاية كاليفورنيا الاميركية ولا عدة لها الا قوة المشيئة وقدرة الخصم على مغالبة خصمه بالسيطرة على ارادته

وقد يستغرب القارىء هذا القول فيظن انه وهو وارد من كاليفورنيا مما يتصل في دور الصور المتحركة لاخراج الافلام المضحكة ولكننا نؤكد له انه منقول عن مجلة علمية مشهورة تدعى « رسالة الاباء العلمية »

فالنزاع في هذا الضرب من المبارزة يدور بين العقول فلا تطلق المسدسات ولا تلمع السيوف . وما على المتبارزين الا ان يواجه احدهما الآخر فيدور المركزين فوتهما النفسية والعقلية الى ان يخور اضعفهما فيقع مغمى الى الارض وقد يقع مشلولاً او قد يقع ميتاً — نعم ميتاً ايها القارىء الكريم وقاك الله

أفلا تصدق ايها القارىء ان الافكار تقتل ؟

فقد زار عاصمة وشنطن من عهد قريب الزعيم ديفي وهو من الهنود الحمر ورئيس فئة ش في كاليفورنيا وحدث بما وقع له في مثل هذه المبارزات ومثل لسامعيه يديه ورأسه كيف تطلق قوى النفس على قوى النفس كأنها نفثة دمشي تطلق على دفق خصمه في حلقة الملاكمة

وكان بين سامعي الزعيم ديفي الدكتور جون هرنغتن وهو من اكبر علماء الاتنولوجيا الاميركية (اي طبائع الاجناس وتقاليدهم) فكان كلما تحدث الزعيم ومثل يكفي السامع رأسه تأميناً على مايقول . والهنود الحمر قلما يسمحون لغيرهم في حضور مثل هذه المعارك النفسية ولكن الدكتور هرنغتن قضى سنين بين رجال هذه الفئة ونسائها رغبة منه في دراسة تقاليدهم الآخذة في الزوال وقد حضر بعض هذه المبارزات وسمع روايات عن مبارزات اخرى هي جزء من تاريخ الهنود الحمر

وقد توصل الدكتور هرنغتن بعد دراسة هذه الناحية من حياة الهنود الحمر الى القول بانهم يفوقون المتصوفين الشرقيين في الحذق في مجال قوة النفس . اما رأيه في بيض اميركا من هذا القبيل فهو انهم اطفال اذا قيسوا بالهنود الحمر من حيث القوى العقلية والنفسية

فالهنود الحمر يعلقون شأناً عظيماً على اعمال قواهم النفسية ويدعون انهم يفوقون دراويش

العدد في فهمهم لاسرار التوم المغناطيسي حتى لقد بلغت بهم الدعوى انهم يستطيعون ان يقتلوا خصماً لهم على بعد مائة ميل

ويقول الدكتور هرمش ان هذه المباريات النفسية تعم في اعيادهم العامة معي انه يكون مصارعة الثيران في اعياد اسبانيا العامة ويكان اسرى يتطلعون الى هذه الاعياد ويتوقون الى مشاهدة هذا الضرب من المبارزة

الطب وجهاز كهربائي جديد

منذ ما ذاعت النظرية الجديدة في بناء المادة الكهربائي ، والعلماء يبحثون عن طريقة تمكنهم من صنع مقذوفات قوية تفوق طاقتها طاقة الدقائق المنطلقة من الراديوم لكي يسددوها الى الذرات المختلفة بغية تهشيمها ومعرفة كيف تتركب في صميمها وممَّ تتركب

وكان الاستاذ لورنس احد علماء جامعة كاليفورنيا اول من صنع جهازاً من هذا القبيل يسرع بواسطته انطلاق الدقائق المعروفة بالدترونات حتى اصبحت تفوق في طاقتها طاقة مقذوفات الراديوم

وكان يعاونهُ شاب يدعى لفنستون ذهب الى كاليفورنيا للتخصص على يديه في هذا النوع من البحث فلما عاد الى جامعته الاصلية وهي جامعة كورنل صنع جهازاً اكبر من جهاز استاذه واقوى واستطاع ان يقذف به دقائق من المادة بطاقة مليوني فولط

ولا بد ان يكون لهذا الجهاز تأثير كبير في ترقية المباحث التي تدور حول تركيب الذرة

ولكن ما نريد ان نوجه اليه النظر ان علماء جامعة كورنل لا ينوون ان يحصروا استعمال هذا الجهاز في تهشيم الذرة بل سوف يجربونهُ او غيرهم سوف يجربون فعل مقذوفاته في السرطان للمقابلة بينها وبين مقذوفات الراديوم من هذا القبيل

بل ان الناحية البيولوجية من هذا البحث لن تنحصر في السرطان بل سوف تمتد الى معرفة تأثير هذه المقذوفات القوية في النباتات بوجه عام والاحياء الدنيا نباتاً او حيواناً كانت بوجه خاص. فمن المكتشفات الحديثة في علم الحياة ان الاشعة السينية اي اشعة اكس تؤثر في تلك الاجزاء من الخلية التي تستقر فيها عوامل الوراثة وهو مكتشف خطير كل الخطورة لان التحوُّلات الفجائية التي يقوم عليها تطور الاحياء كانت حتى هذا الاكتشاف من فعل الطبيعة لا نزيدها ولا ننقصها بردٍ او حرٍّ او رطوبة او ضغط. فلما وجهت الاشعة السينية الى نوع خاص من الذباب ظهرت فيه تحولات فجائية كثيرة — من تأثير هذه الاشعة .واذن فعامل التطور خاضع لقوة في متناول الانسان. فاذا استطاع الانسان ان يسيطر عليها ويوجهها كان في امكانه ان يوجه التطور الى حد ما كما يشاء

وغرض علماء البيولوجيا من توجيه مقذوفات الجهاز الكهربائي الجديد الى الاحياء معرفة تأثيرها في الاجزاء الخاصة بالوراثة وهل في مكنتها ان تحدث تحولات فجائية فيها

امواج العقل الكهربائية

اسفرت دراسة النبضات الكهربائية التي يولدها عقل الدماغ عن حقائق جديدة منها ان فعل العقل كفعل القلب مستمر ولكن فعل العقل يختلف عن فعل القلب في ان سرعته وقوته تختلفان في حالتي اليقظة والنوم وباختلاف الاعمال العقلية نفسها

وثبت كذلك « ان داء الصرع » ليس الا نوعاً من عاصفة كهربائية تعصف بالدماغ فتؤثر في احد مراكزه التي تقبض العضلات قبضاً عنيفاً فتحدث الصرع

واهم الدوائر العلمية التي اشتغل علماؤها بهذا البحث هي جامعة هارفرد وجامعة براون الاميركية ومعامل البحث العلمي التي تعرف بمعامل لوميس وجامعة برنستون

والامل معقود على ان يفضي هذا النوع من البحث الى كشف كثير من الاسرار التي تحيط بالاعمال العقلية والعصبية

التخدير بسم الكوبرا

المورفين سيف ذو حدين . فهو نعمة من ناحية لانه يخفف وطأة الألم بالتخدير وهو لعنة من ناحية اخرى لانه يستعبد من يستعمله لذلك عني مجلس البحث القومي في اميركا بالبحث عن طريقة تمكن الانسان من جني فائدة المورفين دون لعنته او من وجود مادة اخرى تحل محله تفيد ولا تضر

اما في الناحية الاولى فيرى الدكتور سمول Small ان هنالك شعاعاً ضئيلاً من الرجاء في تحويل المورفين الى المادة المرغوب فيها بازالة جزيء من جزيئاته . وقد حاول ذلك وكانت النتيجة ان المورفين الذي تولد عنده كان مفعوله المخدر اقوى من مفعول المورفين العادي عشرة أضعاف . ولكنه لسوء الحظ لم يفقد خاصته الاخرى وهي انشاء عادة في من يستعمله تقسره على طلبه . ولكن البحث في هذه الناحية فسيح الميدان ولا يعلم ما قد تسفر عنه التجربة في الغد

اما في الناحية الأخرى اي في ناحية البحث عن مادة غير المورفين تحل محله فقد اذاع الدكتور دافيد ماخت مدير احد معاهد البحث الصيدلي في اميركا امام الجمعية الفلسفية الاميركية ان سم الكوبرا يؤثر في قشرة الدماغ (لكورتكس) فيخدرها فاذا اعطيت مصاباً بالسرطان جرعة او حقنة من هذا السم ضعف احساسه بالالم . ففعل السم مشابه من هذه الناحية لفعل المورفين ولكنه يختلف عنه في انه لا يولد في من يستعمله عادة الادمان

وهذا يذكرنا بما كان يفعله الاقدمون . فقد كانوا يستعملون سم الحيات في معالجة الجذام والسرطان ولعل خطأهم كان في حسبانهم فقد الشعور بالالم شفاء . وقد استعمل سم الحية ذات الاجراس في معالجة الصرع

والظاهر ان بحث الدكتور ماخت قائم على مباحث أجريت في فرنسا واساسها استعمال سم الكوبرا في تخفيف ألم المصابين بأورام خبيثة

الالماس الصناعي

في سنة ١٨٩٦ صنع الكيماوي الفرنسي هنري مواسان دقائق مكرسكوبيه من الالماس باستعمال الحرارة العالية والضغط الشديد على الكربون ولكن الماساته كانت صغيرة جداً لا تصلح للامتحان . فسلم علماء الكيمياء على ما قرأناه في كتبها ايام الدراسة ان صنع الالماس مستطاع ولكن نفقته اعظم من قيمة الالماس الذي يصنع

***

وقد قرأنا الآن ان عالماً اميركياً يدعى هرني وهو استاذ في قسم الكيمياء بجامعة كانساس صنع الماساً بطريقة مواسان كل ماسة منها حجم كعب الدبوس الصغير وهو تقدم كبير الشأن

يأخذ هرني بوتقة ويملؤها برادة الحديد وبعض كربون السكر ويضعها في فرن كهربائي ترتفع حرارته حتى تبلغ ٣٠٠٠ درجة مئوية (سنتغراد) فينصهر الحديد ويصبح كتلة مائعة بيضاء شدة حرارتها ثم يأخذ البوتقة وداخلها هذه الكتلة المصهورة ويغطسها في ماء بارد فيتقلص الحديد وفي تقلصه يولد ضغطاً يعدل عشرة اطنان على البوصة المربعة الواحدة

هذا الحديد الذي أحمي وبرد يضم في مكان ما او في غير مكان واحد من داخله بعض بلورات الكربون . فهل هي الماس ؟ وكيف السبيل الى ازالة الحديد من دون الاضرار بالالماس اذا كان هناك الماس داخلها

يأخذ العالم هرني قليلاً من الحامض النتريك والحامض الايدروكلوريك ويمزجهما فيتولد من مزجهما ما يعرف باسم « ماء الملوك » وهو السائل الذي يذيب الذهب ويذيب الكتلة الحديدية وتبقى البلورات الكربونية وهي الماس حقيقي بحسب شهادة الدكتور ست في المجلة الفلسفية الاميركية

***

ويرى الدكتور هرني ان الصعاب التي تحول دون صنع الالماس بسيطة الآن صعاباً فنية فالمبدأ والاسلوب قد امتحنا وثبتا على الامتحان في خلال الاربعين السنة الاخيرة

■

اعادة الذاكرة بالتنويم

وصيف ممتطٍ بالجد . . . رجل زلت قدمه فيصطدم قذاله بالارض . . فيفقد ذاكرته . . . فيبقى ثلاث سنوات كذلك فيعالج بالتنويم فتعود ذاكرته الى سابق عهدها

هذه هي الخطوات الرئيسية في قصة عجيبة رويت امام المجمع الاميركي لتقدم العلوم في اجتماعه الاخير

وقد استوقفت هذه القصة عناية العلماء لانها تصف اصابة جسمانية غير مألوفة من هذا القبيل امكن علاجها علاجاً عقلياً او حسياً

والغريب في فقد الذاكرة في هذه الحادثة ان الرجل ظل يتذكر ما حدث له قبل وقوعه ولكنه عجز عن تذكر اي شيء بعده

بنوك الدم

لا تعجب ايها القارىء من هذا العنوان . فقد عودنا ارتقاء المباحث العلمية ان لا يدهشنا ما يحسب من الخوارق عادة او على الاقل من الامور غير المألوفة ولا يخفى ان الانسان يحتاج في بعض العمليات او بعدها الى دم من رجل قوي البنية صحيح الجسم يصلح دمه للامتزاج بدم العليل من دون ان يقع الالتباد في كرياته الحمر

وقد اطلعنا الآن على خلاصة بحث للدكتور شنر رئيس قسم الفسيولوجيا في جامعة الينوي والدكتور دايمس مدير المدرسة الطبية فيها ان المباحث الحديثة التي قاما وأعوانهما بها في هذه الجامعة اسفرت عن اساليب تمكنهما من اخذ الدم من اي انسان كان وحفظه سليماً نقياً صالحاً لان يُحقن به من يحتاج اليه ويصلح لهُ عند ما يشاء الطبيب المعالج

فالمرأة الحامل في آخر شهور الحمل مثلاً تكون قد خزنت في دمها مقداراً كبيراً من عناصر الغذاء اللازمة لها فتستطيع في هذه الفترة ان تطلب ان يؤخذ من دمها مقدار معين ويحفظ في « بنك الدم » حتى اذا جاء وقت الولادة وأحست بالضعف امكن طبيبها حينئذٍ ان يأخذ ذلك الدم المحفوظ ويحقنها به فيقويها

وقد اسفرت تجارب الدكتور دايمس مدير المدرسة الطبية عن طريقة لاستخراج الدم من الذين قتلوا في حوادث صدام او عوارض فيحفظ دمهم ويستعمل عند الحاجة اليه فيحقن به من يصلح لهُ

«النترينو» او المحايد الصغير

الذرة في علم الطبيعة هي اصغر جزء تتمثل فيه « شخصية » العنصر اي صفاته وخواصه . والذرة في علم الطبيعة الحديث مؤلفة من جزءين النواة والجو الكهربائي حولها اي المنطقة التي توجد فيها الكهارب. والنواة كانت الى قبل سنوات مركبة في رأي العلماء من كهارب (الكترونات) وبروتونات ثم اكتشفت طائفة من العلماء وعلى رأسها الاستاذ شدوك الانكليزي ان في النواة دقيقة اخرى اطلقوا عليها اسم (النوترون) وأثبت شدوك وجودها بالبرهان التجريبي . وقد ترجمنا النترون بلفظة « المحايد » لان هذا معناه

ثم اخذ علماء الطبيعة النظرية يكتبون ويقولون بوجوب وجود دقيقة اخرى دعوها «النوترينو» اي النوترون الصغير اي المحايد الصغير

ووجود هذه الدقيقة ضروري لتفسير بعض الظاهرات في نظائر العناصر . فاذا وجد لبعض العناصر نظائر مجهولة يقتضي وجود هذه الدقيقة النظرية وجودها فهذا برهان عملي غير مباشر على وجود « النوترينو » وقد جاء بهذا البرهان الآن الاستاذ باينبردج احد علماء جامعة كمبردج

زيت الزيتون وتزييت السيارات

صرح الاستاذ باسنيه احد علماء المعهد الزراعي بالجزائر ان زيت الزيتون يصلح لتزييت السيارات في البلدان الاستوائية ولكن يجب ان تستخرج الحوامض منهُ بعد عصره من الزيتون لكي لا تأكل المعدن الذي تصنع منهُ الاجزاء المزيتة

استعمال طاقة الشمس

الطاقة التي تطلقها الشمس في الفضاء بل ما يقع على سطح الارض منها عظيم جداً لا تقاس به الطاقة التي تولدها المصانع والمعامل في جميع انحاء العالم. ومصادر الطاقة اللازمة للصناعة والنقل سواء في ذلك الفحم او البترول مشكلة تهم جميع الناس على السواء لانه اذا نفد الفحم والبترول لا نعرف سبيلاً عملياً الى توليد الطاقة الا من مساقط المياه. وهذه وحدها لا تكفي علاوة على انها لا تصلح الا للمنشآت المثبتة على سطح الارض الا اذا امكن اختراع بطاريات خازنة قوية خفيفة لتستعمل في الطائرات في الجو والسفن في البحار

لذلك عني علماء كثيرون باستخراج الطاقة او توليدها من مد البحار وجزرها ومن الفرق بين حرارة مياه البحار عند السطح وفي الاعماق ومن حرارة الشمس الساقطة على سطح الارض حرة مباحة لمن يشاء او بالحري لمن يعرف كيف يخزنها ويستعملها

وقد قرأنا الآن ان الدكتور أبت سكرتير المعهد السمثصوني الاميركي اخترع جهازاً لالتقاط طاقة الشمس تبلغ كفاءته ١٥ في المائة اي ان هذا الجهاز يستطيع ان يخزن ١٥ في المائة من طاقة الشمس الواقعة عليه

وهو مؤلف من مرايا مقعرة تقعيراً خاصاً مصنوعة من خليط خاص من معدن الالومنيوم فتبقى لامعة ولا تتكدر

هذه المرايا تجمع الاشعة الواقعة عليها على سائل اسود غير شفاف فيمتص الحرارة فترتفع حرارته الى ٣٥٠ فارنهيت (اي نحو ١٧٦ درجة مئوية) ومن حرارته تستمد الطاقة لتحريك مولد الكهربائية

وليست هذه الطريقة بالجديدة في تاريخ البحث عن اسلوب لخزن حرارة الشمس واستعمالها فقد سبقت تجارب كثيرة في كاليفورنيا واريزونا ومصر وروسيا ولكن الجهاز الذي صنعه الدكتور ابت اكثرها اتقاناً واشدها صلاً

ولا يخفى ان جهازاً يعتمد في توليد الطاقة على شروق الشمس ومرورها وظهورها او احتجابها وراء الغيوم لا يستطيع ان يولدها توليداً مستمراً ولكن الدكتور أبت اثبت انه يمكن استعمال هذا الجهاز في ساعات شروق الشمس وظهورها فتخزن الطاقة المولدة في بطاريات خازنة كبيرة او تستعمل في رفع الماء الى خزانات كبيرة ثم يستعمل سقوطها من الخزانات لتوليد الطاقة الكهربائية

*

عملية الطلق في الولادة

ثبت من بحث الهرمونين المتصلين بالحياة الجنسية في النساء ان احدهما يفعل فعل الكباس في البتدفية عندما تحين الولادة فيؤثر في الجهاز العصبي وهذا يؤثر بدوره في العضلات فتبدأ عملية الطلق وهي العملية التي تنتاب المرأة في خلالها الآلام المرة وبانقباض العضلات وارتخائها يندفع الجنين الى الخارج في الولادات السوية

هرمونات النبات

قد يجيء يوم في المستقبل القريب تستطيع فيه ان تذهب الى الصيدلي فتشتري منه عقاراً تذيبه في الماء الذي تروي به نباتك او ترجه بابرة فتحول جذوعه وجذوره فينمو النبات نمواً عجيباً لا عهد لك به من قبل

هذه هي النتيجة التي اعلنها باحثان اميركيان بعدما قاما بمباحث عظيمة الشأن في ما سمياه «هرمونات النبات» فنالا جائزة الف ريال من المجمع الاميركي لتقدم العلوم في اجتماعه الاخير في ديسمبر الماضي

والهرمونات كلمة تطلق على المفرزات الداخلية التي تفرزها الغدد الصم في جسم الحيوان. ففي جسم الانسان مثلاً طائفة من الغدد التي لا قنوات لها ولذلك دعيت بالغدد الصم. ولكن لها مفرزات تفرزها رأساً الى الدم الذي يجري في الانابيب الشعرية داخلها

وهذه الهرمونات فعالة شديدة الفعل حتى اذا افرز منها مقادير يسيرة جداً. ومن اشهرها مفرزات الغدد الدرقية والكظرية والنخامية والبنكرياس (الحلوة) وغيرها

وقد وجد هذان الباحثان الاميركيان الدكتور هتشكوك والدكتور زيرمان ان هناك مواد تؤثر في نمو النبات تأثيراً عظيماً ولو استعملت منها مقادير صغيرة جداً. ولكن هذه المواد لا تصنع جميعها في غدد في جسم النبات بل في معمل الكيماوي فاذا اضيفت الى الماء الذي يروى به النبات او الى التربة التي يستمد منها غذاءه او مزجت بدهن او زيت واستعملت كما يستعمل المرهم اثرت فيه تأثيراً عظيماً

فاطلاق اسم «هرمونات» عليها ليس الا على سبيل الاستعارة من ميدان الفسيولوجية الحيوانية او على سبيل تسمية الكل باسم البعض

وقد وجد من هذه المواد خمس عشرة مادة تفعل هذا الفعل جرب بها هتشكوك وزيرمان التجارب في معاهد نباتية مختلفة بأميركا

ومن هذه المواد ما يجعل الجذور تنمو على الجذوع او حتى على الاوراق احياناً واجزاء الازهار

وقد تستغرب ايها القارئ اذا قلنا لك — نقلاً عن رسالة العلم الاسبوعية — ان المادة الاولى التي استعملت في هذا السبيل هي غاز اكسيد الكربون الاول فنشأ عن استعماله نمو جذور في اماكن من جسم النبات لا عهد لها بالجذور مطلقاً ثم مضى الباحثان في تجاربهما فكشفا مواد اخرى منها ما يصنع بالتركيب الصناعي كالحامض الخليك المستخرج من النفثالين ومنها ما يستخرج من الجذور او الازهار والثمار التي قاربت النضج اي ان هناك مواد تفعل هذا الفعل طبيعية وصناعية او عضوية وغير عضوية

•

نمل عجيب

عثر الدكتور فيلر احد اساتذة جامعة هارفرد الاميركية على عمارة من النمل العجيب في جزيرة ترينداد. ووجه العجب في هذه العمارة انها مؤلفة من ٣٣٣ نملة كل منها نصفها ذكر والنصف الآخر انثى



تآليف المستشرقين

بقلم الدكتور بشر فارس

يوسف شخت — في الفقه الاسلامي — ١٤٠ ص حجم ٢٢ × ١٥

Joseph Schacht — G. Bergsträsser's Grundzüge des islamischen Rechts — Verlag von Walter de Gruyter & Co. Berlin 1935

من مخلفات المستشرق الكبير ج. برجشترسر مجموعة محاضرات في الفقه الاسلامي وقد رتبها تلميذه الاستاذ شخت مدرس اللغات السامية في الجامعة المصرية ودوّنها تدويناً صالحاً.

وهذه المحاضرات تعرض مسائل الفقه الاسلامي في وضوح واختصار ولها مقدمة طريفة تبحث في حقيقة شأن هذا الفقه وتدل على تأثيره الشديد في نواحي حياة المسلمين في البلدان الاسلامية على نحو تأثير القانون الروماني في مدنية الرومان. وفي المقدمة تمييز بين الفقه الاسلامي وقانون الكنيسة ثم بينه وبين الشريعة الموسوية. وخلاصة هذا التمييز ان الاسلام يختلف عن المسيحية بانه لم يكن قط « كنيسة » بالمعنى المتواضع عليه اي هيئة دينية خلفها قوة منظمة ، ثم انه يختلف عن اليهودية بانه ليس قانوناً خاصاً بجماعة من الناس بل جاء على قانون الدولة الماسكة.

ويتلو هذه المقدمة بحث في تاريخ التشريع الاسلامي وعرض مسألة المذاهب عرضاً مقبولاً. وفي الخاتمة مناقشة تدور حول قيمة الفقه الاسلامي وحاضره. ثم للكتاب جدول للاصطلاحات الفقهية باللغة العربية منقولة الى حروف لاتينية ثم جدول للاصطلاحات الفنية باللغة الالمانية.

هذا وقد اثبت مقدم الكتاب وناشره طائفة من المصادر اللاحقة بالفقه الاسلامي (ص٦و٧)، ولكنه حين اشار الى قانون عرب البادية لم يذكر الاثنين من المراجع فما فاته « خمسة اعوام في شرقي الاردن » لبولس سلمان (حريصا ١٩٢٩) و« تاريخ سيناء القديم والحديث » لنعوم شقير (مصر ١٩١٦) و Jaussen [illegible] باريس ١٩٢٠ و "Etude Sociologique [illegible] famille musulmane contemporaine en Syrie" لكاظم الداغستاني (باريس ١٩٣٢)

الفن الاسلامي في مصر

للدكتور زكي محمد حسن — ١٣٣ ص و٣٧ لوحة — [illegible] ٢٧

ان الدكتور زكي محمد حسن من نخبة الشبان المصريين الذين شخصوا الى اوربة يطلبون العلم الرفيع فعادوا منها باحثين ثم شغلوا في مصر مناصب عالية كانت الثلمة من الغربية قابضة

عليها. وقد صرف الدكتور زكي حسن عنايته الى تاريخ الاسلام ولاسيما فنه فكان موضوع رسالته، في جامعة باريس (١٩٣٣) «الطولونيون. بحث في مصر الاسلامية في خاتمة القرن التاسع» (٣٦١ ص و٦٠ لوحة، ٢٦ × ٢٠) Les Tulunides - Etude de l'Egypte musulmane à la fin du IXe Siècle (Editions Geuthner Paris) وقد بسط في هذه الرسالة الوقائع التاريخية لهذا العهد ثم فحص عن احوال الدولة من ادارة ونظام وعن نواحي الحياة المختلفة من دين وادب وخلق وتجارة وصناعة وفن. وقد وقعت الرسالة موقعاً لطيفاً في اندية الاستشراق في اوربة (راجع مثلاً [illegible])

ومما يشرح له الصدر ان الدكتور زكي محمد حسن اصبح الامين الفني لدار الآثار العربية عندنا واخذ يدرس تاريخ الفن الاسلامي في الجامعة المصرية. واليوم اخرج هذا العالم الشاب كتاباً جميل الطبع حسن الشكل في الفن الاسلامي في مصر من الفتح الاسلامي الاول فيها واذ كان هذا الفن قد ضاعت معالمه او كادت فقد تناول البحث الفن الطولوني خاصة

والكتاب ينقسم قسمين لطيفين فيه مقدمة تاريخية ثم عرض للفن الاسلامي في سامرا ثم بسط مناحي الفن الطولوني من عمارة دينية وحربية ومدنية وزخرفة المباني ومنسوجات وحفر على الخشب وخزف وتصوير. ويلي البحث جدولان احدهما للمراجع والآخر لاسماء الاعلام الجارية في الكتاب. واما زينة الكتاب فعدد وفير من اللوحات المأخوذة بالفوتوغرافية تبرز للعين خصائص فن سامرا والعهد الطولوني

والذي يستخلص من هذا الكتاب النفيس أن «الفن الطولوني يكاد يكون قد اخذ كل اصوله عن الفن العراقي الذي نشأ في سامرا عاصمة الخلافة العباسية» (ص ٢١) واذا دقق فيها وكان هذا الفن الاخير يرجع كثيراً او قليلاً الى الفن الفارسي والتركي (ص ١١٩) غير ان الفن الاسلامي في مصر ما لبث على ايدي الطولونيين أن ينحو نحواً آخر استقل به عن مأخذه الاول (ص ١١٩)

ومن محاسن الكتاب ان المؤلف يسرد جميع آراء العلماء عند عرض مسألة دقيقة، ويساعده على ذلك معرفته الانجليزية والفرنسية والالمانية. غير ان القارىء ربما بدا له ان المؤلف يفرط في التواري خلف اولئك العلماء أو التشبث بأهداب هذا او ذاك الامر مثلاً ركونه الى «مؤرخي الفن الاسلامي» لتعيد رأي واحد من العلماء، من دون تعليل (ص ١١). ومن المراجع التي لم يستند اليها كتاب عنوانه Musulman Painting by E. Blochet London 1929 (راجع مقتطف مارس ١٩٣٥) هذا وهل لنا ان نسأل المؤلف لم لم يرتب المصادر العربية على حروف المعجم كما صنع عند اثبات المصادر الافرنجية؟

بقي أن اسلوب المؤلف يعوزه ما نقول له التشويق. والحق ان للكتب العلمية ان تكون

بعيدة عن مطارح الاشارة الرشيقة الطريفة الا أن هنالك تراكيب لا تجب حملها على الاسس العربية منها « وقد لعب دوراً كبيراً في الحوادث » (ص ١١) و « مكائد » (ص ١٣) و « من الصعوبة بمكان بذكر » (ص ٣٥) و « تأثير على الفن الطولوني » ص ٦٨). ثم ان المؤلف يكثر من استعمال التعبير الواحد ومن ذلك استعماله « ومهما يكن من شيء » مما لا يصدم السمع لتواتره

***

اوجين متفوح — في نص عربي قديم — ٤ ص — ٢٥ × ١٧

E. Mittwoch — Eine arabische Bauinschrift aus dem Jahre 136 H
in "Orientalia" 1933, S. 235 — 38

ان الاستاذ اوجين متفوح من المتحرين في اللغات السامية وقد تخرج عليه في جامعة برلين طائفة من طلاب العربية والسريانية والحبشية فيهم نفر من المصريين اذكر منهم الصديق العالم الشاب السيّد مراد كامل . وقد اتفق لي ان سمعت على الاستاذ متفوح مرتين ايام كنت اقيم ببرلين فوقعت طريقته في التعليم من نفسي أعظم موقع

وللاستاذ متفوح تآليف صحيحة نشرها في السنين الماضية ، ثم له هذا البحث الصغير ومداره نص عربي قديم يرجع الى سنة ١٣٦ للهجرة وقد عثر السيد محمد صلاح الدين التجار (من القاهرة) على هذا النص في صنعاء منقوشاً في حجر ووصل الاستاذ متفوح انه حل مشكلات هذا النص ورد عباراته الى ما يشابهها في القرآن وتاريخ الطبري وغيرهما

***

ميشال فغالي — قصص وأساطير وعادات شعبية لبنانية —
١٩٦ ص بالفرنسية و ٨٠ ص بالعربية — ٢٥ × ١٨

Michel Feghali — Contes, Légendes, Coutumes populaires du Liban
et de Syrie — Editions Adrien — Maisonneuve, Paris 1935

ان المسيو ميشال فغالي ممن يصرف همه الى البحث في لغته العامية بحثاً علمياً دقيقاً . ومن آثاره الماضية « لهجة كفر عبيدة » (١٩١٩) و « نحو اللهجات العربية في لبنان » (١٩٢٨) و « نصوص لبنانية بالعربية الشرقية » (١٩٣٣) والغرض البعيد من هذه المؤلفات تدريب طلاب العربية في فرنسة على فهم اللغة العامية اللبنانية

والحق ان المشتغلين بلهجاتنا العامية عدلوا الى لهجات المغرب ومصر والعراق وغيرها مهملين لبنان الا شيئاً فانبرى المسيو ميشال فغالي وهو من ابنائه والكتاب يعرض نواحي الكتابة

اللهجة اللبنانية العامية ففيه آثار الحياة الدينية والاجتماعية والعقلية والزراعية والتجارية وطائفة من الحكايات والاقاصيص . وكل هذه النصوص ادرجها المؤلف بالعربية ثم نقلها الى حروف لاتينية وترجمها الى الفرنسية وعلق عليها ارادة شرح الغوامض والدقائق الخاصة بلبنان

هذا واني وان كنت ممن لا يميل الى قراءة اللغة العامية لأعترف بأن نصوص هذا المصنف تكشف عن عادات اهل لبنان وتدل على ذهنيتهم وأنها تمت بشوه الادب الشعبي ولا سيما الروايات والاغاني

***

هنري پيرس — كتاب الامامة والسياسة

ودخول الشعراء على عمر بن عبد العزيز عن ابن قتيبة — ١٧ ص — ٢٥ × ١٦

H. Pérès — Le Kitab al-Imâma wa's Siyâsa. Extrait de la Revue Tunisienne 3e et 4e Trimestre 1934, p. 318—335

مما لا يخفى على المشتغلين بالمشرقيات ان « كتاب الامامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة ليس له . وقد اقام الادلة على هذا مستشرقان توفاها الله دوزي Dozy ودخويه De Goeje وانت تجد ادلة دوزي مدونة لقراء العربية على يد الاستاذ احمد زكي العدوي في كلامه على مؤلفات ابن قتيبة في الجزء الرابع من كتاب عيون الاخبار المطبوع في مصر سنة ١٩٢٥ الى ١٩٣٠ . وأما أدلة دخويه فتجدها في مجلة ايطالية Rivista degli Studi orientali ، السنة الاولى، المجلد الاول، الجزء الثالث . كل هذا يعرفه صاحب هذه الرسالة وانما أراد أن يزيد في تلك الأدلة فسلك في سبيل هذا سبيلاً قويماً ذلك انهُ عارض قصة دخول الشعراء على عمر بن عبد العزيز من كتاب الامامة والسياسة بالقصة نفسها من كتاب الشعر والشعراء للمؤلف نفسه فنقل الروايتين الى اللغة الفرنسية نقلاً حسناً واستخلص من ذلك (ص ٣٢٩) :

(١) ان اسلوب كتاب الامامة والسياسة انما هو اسلوب الأساطير في حين اسلوب الشعر والشعراء اسلوب الاخبار (وهنا لا نسلم التسليم كله بأن صاحب « كتاب الامامة والسياسة » عمد في تلك القصة الى اسلوب الاساطير (٢) ان الرواة مختلفون — (٣) ان حجاب الخليفة مختلفون — (٤) ان الشعراء المأذون لهم في الدخول على الخليفة مختلفون

ثم ختم المؤلف رسالته اللطيفة (ص ٣٣٥) بقوله ان صاحب كتاب الامامة والسياسة اول من ساق خبر دخول جرير وغيره من الشعراء على الخليفة عمر بن عبد العزيز على النحو الذي ساقهُ وان تاريخ ذلك الكتاب يصعد الى مختتم القرن الثالث او مستهل القرن الرابع

ب . ف

محمد

تأليف توفيق الحكيم

ان الموضوع الذي اختاره المؤلف موضوع طريف جداً ولطرافته فيه آية من ناحيتين : الأولى ان حياة محمد لم تكتب في قصة تمثيلية قبل الآن ، فالاقدام على ذلك شيء جديد . والثانية ان حياته هي اعرف احيط بها من جميع نواحيها ودونت كل دقائقها واكثر وقائعها وعيدت جميع الاحاديث التي تتعلق بها على وجه التقريب . فلم يترك المتقدمون من كتاب السير مدة واحدة يمكن ان يشعر المؤرخ حيالها بأنه في حاجة الى تفكير او مباراة لاستخلاص حوادث جديدة تخفى على الناس فيها . واذن يكون امام رجل الفن الذي يريد ان يضع قصة يدور موضوعها حياة النبي احد أمرين : فإما ان يعرض الحوادث مستخلصة من كتب السير كما وصلتنا مرتبة في قالب قصصي كما فعل الاستاذ الحكيم ، وإما ان يبحث عن ناحية من نواحي الصورة جديدة في حياته بحيث تكون قد طويت في تضاعيف الحوادث والاحاديث التي وصلت عنه فيجلوها في ثوب جديد وصورة جديدة . اما الاستاذ الحكيم فلم ينهج المذهب الثاني وإنما انتحى المذهب الاول ، فعرض الحوادث كما وقعت ونقل الاقوال كما قيلت بلسان اهل العربية الفصيح ، ولم يزد من عنده على الاحاديث من شيء الا وظهر كالرقعة الدخيلة في الثوب القديم ، فأنقص ذلك بعض الشيء من قوة الاسلوب في بعض مواضع القصة . وكل ما هو جديد في ما كتب الاستاذ الحكيم ، انما هو الصور التي صورها للاشخاص في بعض الحوادث فجعل هذا يقطب جبينه وذاك يجلس القرفصاء وغيرهما يشير بيده . على ان هذا ايضاً يمكن استخلاص الكثير منه من كتب السير التي احاطت بوقائع ذلك العصر احاطة شاملة

على هذا نجد أن ما في هذه القصة من فن انما هو في الحوادث كما وقعت . وكل ما فيها من بلاغة انما هي بلاغة الاقوال كما قيلت . وليس ثمة شيء في هذه القصة من جديد الا فكرة ان يسوق الكاتب بعض حوادث كتب السير مساق قصة تمثيلية وهي فكرة جديدة .

كذلك يلاحظ الناقد أن الاستاذ المؤلف لم يسق الحوادث التاريخية مرتبة كما وقعت تماماً . وهذا امر ان جاز في وضع قصة خيالية عن اشخاص غير تاريخيين ، فانه لا يجوز اطلاقاً ولا هو مما يسمح به الفن في رجال عرفهم التاريخ ادق معرفة واحاط باشخاصهم كل احاطة ودونت حوادث حياتهم أدق تدوين

على اننا اذا تجوزنا وقلنا ان للمؤلف ان يقدم في رواية بعض الحوادث وان يؤخر في رواية البعض ، فاننا لم نعرف ما هي الحاجة الفنية التي حملته على ذلك ، ولم نتبين وجه الحكمة التي ساقته

اليه فمن هنا لم يظهر بعض الحوادث مسبوكة في قالب اشد روعة مما حدثت بترتيبها التاريخي ولم يرد من سبكها لاصيل شيئاً بل ان القارئ ليشعر بان الحكمة كانت في جانب سوق الحوادث مرتبة كما وقعت تماماً ، ما دام الكاتب لم يضف شيئاً جديداً ، وانما اكتفى بان يتخذ من الحوادث التاريخية مادة قصصية

ويظهر على ان الكاتب استسلم الى الحوادث ، انك تشعر في بعض المواضع بانقطاع فني في سلسلة الحوادث ، نظير ما يحدث في الحياة العادية تماماً . فقد تنتقل من المواقع الحامية وصليل السيوف ومصارع الابطال فجأة الى حديث عائشة وصفوان اي الى حديث الافك ، وبعد ان ننسى منه نخرج الى حديث آخر لا علاقة له بسابقه ولا بسابق سابقه ولا بلاحقه . وامثال ذلك في سياق القصة كثير

•

وعندي انه كان من المستطاع ان يقع المؤلف على مادة تمكنه من ان يجلو بطولة النبي العربي في صورة جديدة ، لو انه رجع الى كتب الاحاديث واطلع على تفسيرها واحاط بدقائق العلاقات التي تصل حوادث السيرة بالاحاديث . غير ان هذه المهمة على ما ارى شاقة تحتاج الى كثير من الوقت والتعب ولكنها خطة من الواجب ان ينتحيها كل كاتب يقدر ما للنبي العربي العظيم من قدسية واحترام غير انا نعود مع الاسف الشديد ان نزعة الآداب الحديثة تفصل آثاراً فنية خلصت قدر المستطاع من موازنات الحكيم وثقافة الفنان

كذلك اجد ان في الرواية نقصاً من ناحية الفن المسرحي بجانب ما فيها من نقص في الفن القصصي . فكيف يمكن اخراج فصل واحد مؤلف من ستة وثلاثين منظراً متعاقبة على مسرح واحد؟ انما عرفنا ذلك عند المشتغلين بالتخريج ولعلهم يستطيعون ان يذللوا امثال هذه العقبات بادماج بعض المناظر في بعض . على اني ارى ان ذلك متعذر في مثل هذه القصة

اسماعيل مظهر

مجلة الشباب الاسبوعية

ليس الاستاذ محمود عزمي في حاجة الى التعريف ، وهو صحافي يعد من طليعة الصحافيين الشرقيين نزعة وعلماً ونشاطاً . ولكن انتقاله من ميدان الصحافة اليومية الى ميدان الصحافة الاسبوعية كسب عظيم ، لهذا الضرب من الصحف في الشرق . فقد كنا في حاجة الى مجلة اسبوعية ، تنقل الينا طرفاً من السياسة والتاريخ والادب والفن والعلم في كل اسبوع ، وهذا على ما يظهر ما عرض « الشباب » . فالمقالات السياسية والاقتصادية فيها ، لا تناظر الصحف اليومية

في سرد الاخبار ، ولكنها تتدبر حوادث الاسبوع وتعلق عليها ، تعليقاً قد لا يتسع مجاله للصحف اليومية وهذا في الواقع هو عمل الصحيفة الاسبوعية التي من هذا الطراز فقد مرأ صحف لندن اليومية ، ولكنك مع ذلك ، اذا كنت من المتفقين تحتاج الى مطالعة اسكتاتور والنيوستسمن الاسبوعيتين فمطالعة المقطم او الاهرام او البلاغ او الجهاد لا تغني عن مطالعة الشباب والمجلات العلمية والفنية مثلاً من ناحية صلتها بحادث يقع في مصر او في بلد حر من بلدان العالم او باكتشاف يكشف فتفسره وتبين معانيه، والتبسيط الذي ترغب فيه العامة وترضاه الخاصة فمجلة الشباب من اي النواحي اتيتها ، اداة فعالة من ادوات الثقافة العامة العربية ، نحن نحتاج اليها هذه البلاد ، في نشئة شبابها وشاباتها عسى ان نجد من تأييدهم واقبالهم ما يفسح لها تحقيق هذا الفرض

الموسيقى

مجلة الموسيقى لسان حال المعهد الملكي للموسيقى العربية يرئس تحريرها الدكتور محمود احمد الحفني ، وهي مبوبة تبويباً منسقاً . حاوية موضوعات شيقة في الصور الموسيقية المنوعة واتصالها بالادب والفن وقد عرضت لفناء واثره في تاريخ الادب والادب الموسيقي ومبادىء الموسيقى النظرية . والتربية الموسيقية . والموشحات . ويشترك في تحرير موادها المختلفة طائفة من اعلام المتفننين والمفكرين امثال الاساتذة الاجلاء محمد زكي علي وحسن نبيه المصري ومصطفى علي وعلي الجارم وابراهيم رمزي

واحتوت ايضاً دروساً عملية في النوتة الموسيقية بأقلام مفتش الموسيقى بوزارة المعارف وهذه الدروس وان كانت بداية الالمام فهي للمبتدئين طرق التقدم في هذا الفن لسهولتها وروعتها

والدراسات الموسيقية من بواعث تقدم الفن في النهضة الادبية الحديثة ومن ترقى الموسيقى بناتاً في عصور الركود الذهني فالموسيقى لغة الحرية ولسان الفن

واساس الجمال في الموسيقى مبلغ الاثر الذي تتركه في الاحساس النفسي لأن الفنون لا تتصل الا بالروح وفن الموسيقى يقوم على قوة التركيب في موضوع الالحان والايقاع وقوة المعنى . وينتهي الاثر الموسيقي الى ان يثير في النفس عوامل التفكير والشعور والانسجام

***

فالمجلة بامكانياتها الموضوعية والفنية وحاجة الهواة والطلبة اليها لا تنكر. ونرجو لها التقدم المطرد بقيادة الاستاذ « الحفني » الذي تثقف ارفع ثقافة موسيقية في برلين

مكتبة القراءة والثقافة للجيب

تصنيف الدكتور فريد رفاعي

من الكتب ما لا تكاد تتصفحهُ حتى تخاله يقول لك «ها أنذا» ومنها ما لا يمكن ان تلتفت اليه الاَّ اذا قيل لك «ها هو ذا». والكتب في هذا تشبه الناس ومن الناس ملايين يجيئون ويذهبون ولا يؤبه لهم جاءوا او راحوا. ولكن ناساً قليلين جداً هم الذين يفرضون شخصياتهم على الحياة فرضاً. اولئك هم السادة من الزعماء والقادة المفكرين. ومتى ظهر كتاب او رجل من هذا الصنف حريٌّ بعلماء الاجتماع أن يتصدوا لاستقصاء بعض الظواهر المقترنة في اثناء تلك المظاهر فليس ظهور هذا الكتاب او ذاك الرجل إلاَّ نذير تطور اجتماعي وفكري

ومنذ اعوام ظهر الرجل ثم ظهر الكتاب. اما الرجل فكان الدكتور احمد فريد رفاعي. وأما الكتاب فكان عصر المأمون..

فتسابق الناس والصحف وتنافسوا في الترحيب به وعدَّه بعضهم وقتئذٍ كتاب العام ومع ذلك فقد ظهر انهم كانوا مقصرين لانهُ ليس كتاب عام وانما كان كتاب الجيل

ولكن الدكتور فريد لا تشبع نهمته ولا يكفيه ان يتقدم الى موضعه من الخلود بشهادة عصر واحد ولو كان هو عصر المأمون اعظم عصور العربية حضارةً وثقافةً وتفكيراً وكأنهُ يقول للمعجبين به اذا أدهشكم حشد عصر واحد في كتاب معروف اريكم كيف احشد العصور كلها في كتاب اصغر حجماً وأخف حملاً

وهكذا شرع مؤلف عصر المأمون في حشد عصور الادب العربي جميعاً ولكن في أي صورة؟ في صورة مكتبة صغيرة توضع في الجيب

اي والله لقد عمد الدكتور احمد فريد رفاعي الى الأدب العربي كله في جميع عصوره وبحثهُ وغربلهُ ثم عربهُ ونخلهُ ثم قدمهُ للناس خالصاً سائغاً في صور تستهوي الاعين وتصبي الافئدة وقد دعاها مكتبة القراءة والثقافة للجيب

ولكن لماذا أنشأ الدكتور هذه المكتبة؟ قال في المقدمة.

ان اللغة العربية على ما فيها من نفائس وثروات وروائع وامهات وفنون وعيون وغرر ودرر وطرف ومُلح وكنوز وافادات ومواعظ وثقافات ما زالت الساعة مترجحة فيها مندسة في ثناياها وتشتد الحاجة الى تناولها بحثاً وتجديداً وبناءً وتبسيطاً وتشذيباً وتهذيباً لم تطرق بعد ابوابها ولم تتوجه كثيرها من الهمات توجيهاً يتفق والزمن والبيئة. فآثار شيوخ الأدب وائمة الثقافة من السلف الصالح منسية في كتب وفيما بين الفريقين يتعدد ابواب القراءات وأصدار شتى الطبقات واصناف القارئين بمختلف الثقافات فانا لم نجد بعد اوقات الحياة التي حفظنا شتى واجباتها ومتاعب أعمالها

ولا سيس مع كل زمن زدته وكم تساءل المفكرون عن حكمة الاحجام دون امتاع الشاب بما دلت تجاريب الغرب على اهامه للصحة من احيائهم تراث كتابهم النابهين وادبائهم النابهين وشعرائهم الساحرين في طبعات بحجم الجيب يدرسها الطالب يصيب منها علماً جديداً ويقوّم بها لساناً جديداً وذهناً رشيداً ولماذا لا نمي بث روح القراءة في الجميع ولماذا لا نحاول رفع مستوى القراءة وقد انحطت الى ما هو تافه وخيص من قصص الغرام واخبار الاجرام ومغامرات الولسيات والاسفاف بالمدآءات وسياسة قتل الوقت سدًى في غير نفع ولا افادة والوقت علم الله من ذهب » هكذا كتب المؤلف الدكتور في المقدمة عن السبب في اقدامه على تأليف هذا الكتاب واظن انهُ لا يوجد اديب عربي واحد يطلع على هذا البرنامج الا ويرفع صوته قائلاً أحسنت أحسنت يا دكتور

بالامس كان كتاب عصر المأمون فتحاً جديداً من جديد هو من التأليف في الادب واليوم ها هي مكتبة الجيب فتح جديد لفن جديد ايضاً هو فن القراءة وقد كنا نتحدث عن نهضة الرجل على نوعه في فن واحد فكيف نقدر على نهضته وقد تم في فنين. الحق ان الدكتور فريد رفاعي قد اثبت في هذا المؤلف الحديث انهُ احد جهابذة الاصلاح في عصره كما اثبت من قبل انهُ أحد ائمة الادب المصريين

***

البدائع — للدكتور زكي مبارك

قطع — ٤٢٢ ص — ٢٤ × ١٦ — (المكتبة العمومية التجارية) ١٩٣٥

ان الدكتور زكي مبارك ممن يعتد هين الفصحى على ايديهم في هذا الزمن سواء نثر او نظم انحمك بالانشاء تصيبه في بطون الكتب التي كاد الناس ينصرفون عنها عفا الله عنهم الا ان الدكتور مباركاً عرف كيف يحصف وفق قلمه فرد عبارته سهلة واضحة بعيدة عن مطارح الاعراب قريبة من نواحي الاسلوب الحديث هذا وكان ملازمة الدكتور مبارك لطائفة من كتب الادب العربي ارهفت صفحتين من صفحات قلمه ارهافاً عجيباً صفحة الهزل ثم صفحة القذع وكان الثانية العلة وام الرجل فالمع صفاته صراحته ، وما أعرف شيئاً يرهق القلم واللسان مثل الصراحة

وبعد فهذه الطبعة الثانية لكتاب البدائع وهو مجموعة مقالات فيها من كل شيء طرف ادب وسياسة وتاريخ وتأثر والطريف ان المؤلف اثبت فصلاً لعهود مختلفة عبث بها تعرفاً زكي مبارك الازهري ثم السياسي ثم الطالب ثم الصحافي ثم الدكتور ثم الاستاذ وهذه المقالات على بساطة موضوعاتها في الغالب (فقد كانت تمد الصحف السيارة مثل « الافكار » قديماً و« البلاغ » حديثاً) تلذ القارئ من حيث انها تنطوي على سيرة كاتب ذي شأن وتاريخ جيل من المصريين

بشر فارس

رحلتي الى الحجاز

بقلم محيي الدين رضا — صفحاته ١٦٠ — ثمنه ٥ قروش

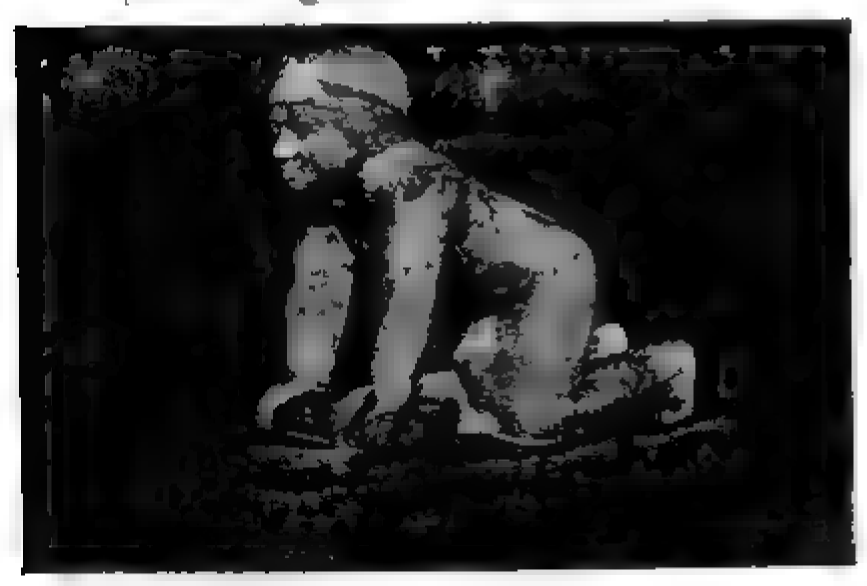
كتب الرحلات لذيذة بطبيعتها ومشوقة لان اصحابها يكتبونها عادة اثر حافز نفسي قوي يدفعهم الى كتابتها وهذه الرحلة تضمنت المباحث التي كتبها السيد محيي الدين رضا على اثر حجته وقد رمى فيها الى اظهار فوائد الحج الصحية والدينية. فالحج ركن لا يتم إسلام المرء الا بادائه اذا كان قادراً. وقد حقق في ما كتبه ان ابا بكر رضي الله عنه حج في شهر مارس من عام ٦٣١ م اي السنة العاشرة الهجرية وان الرسول عليه السلام حج في مارس من عام ٦٣٢ م اي الحادية عشرة الهجرية ودعا المسلمين الى التأسي بالخليفة الاول والنبي الكريم بان يحجوا فلبى دعوته كثيرون وكان من الذّ ما سمعه في خلال حجته قول بعض الحجاج له في منى انهم حضروا تلبية لدعوته

وقد توسع في تحبيب الحج الى الناس و اظهار فوائده الصحية من استنشاق هواء البحار وهواء الصحاري وكلاهما منعش وجالب للقوة والعافية ، وقد ناله منهما قسط وافر . وسطر على القرطاس ما اتيح له مشاهدته في الحجاز فوصف داخل الكعبة المشرفة وغار حراء ومسجد الرسول عليه السلام ومزارات المدينة ومنى وعرفات وطرق المواصلات والقصر الملكي ومقابلات الملك واساليب المقابلات ووقع الاعتداء على جلالة الملك ونجاة الملك منه على اثر الاعتداء ومسبة الحجاج . وتحدث مع رئيس كشافة العراق عن طريق الحج البري بين العراق والحجاز ومع السيد عبود شلاش صاحب شركة السيارات التي أعدت تلك الرحلة ونقل كل ذلك الى القراء . ودفع عن الوهابيين تهمة عدم حبهم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فنقل اقوال عالم نجد الكبير الشيخ ابن بليهد وملك الوهابيين وامير المدينة كما نقل تلك الكلمة الجريئة التي قالها امير المدينة للمستر فلبي يتهمه بان اسلامه عن دخل ويقول له ارجع الى دينك بعد ما قضيت مآربك من تمسحك بالاسلام وجواب المستر فلبي وتعريبه بعد ذلك تأدية الفروض الدينية ولا سيما الصلاة في اوقاتها ووصف كذلك رجال الدولة السعودية وما اشتهر به كل منهم واشار الى المصريين اشارات كانت على حدتها اعمل من وخز الابر ونوّه بفضل مصر الخيري في الحجاز ولا سيما تبرع الوزارة النسيمية لاهل المدينة والاثر الطيب الذي خلفته الدعوة التي قام بها الاستاذ محمد توفيق دياب للتبرع للحجاز وما جمعه بنك مصر لهذا الغرض الشريف وآراء اهل المدينة في ذلك واقوالهم الصريحة التي كان لها صدى استحسان في مصر

كل ذلك كتب فيه السيد محيي الدين مفصلاً ومحللاً فجاء كتابه من أمتع الرحلات الاسلامية وأعمها وحلاه بصور للملك والامراء ورجال الدولة السعودية، جزاه الله عن الاسلام خير الجزاء



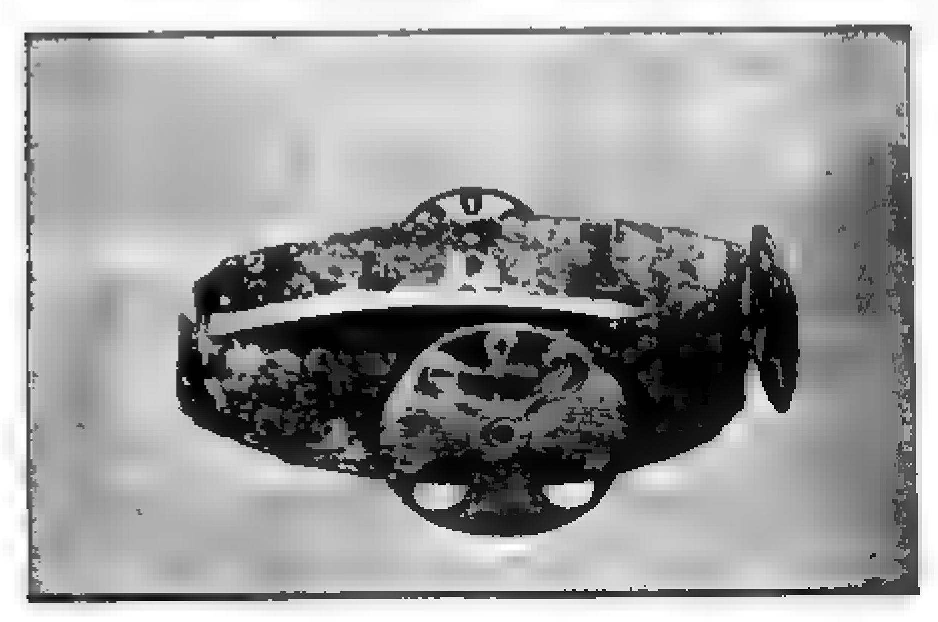
(كأس من برونز وزجاج وجدت في ايبا ويرجع الى ١٤٠٠ ق م)



(تمثال امرأة تسحق القمح من كلس وجد في الجيزة سنة ٢٥٠٠ ق م)

[بتكرم [illegible]
[illegible]]

(رسم في قطعة خزف يمثل صبية تخدم قرداً ويرجع الى ١٢٠٠ ق م)



(تاج من نحاس مرصع بورد من خشب وجد في غزة ويرجع الى ٣٦٠٠ ق . م)



صبری



أركان السلام

هل يمكن أن توطد

—

ابراهيم باشا

—

البرنس صابونجي



حديقة المقتطف

سعدي

الشاعر الفارسي

لبيبة فرج



فهرس الجزء الثالث من المجلد الثامن والثمانين

صفحة


المقتطف



صورة تل على قمته وقف صد الرميم جنوب وادي حلفا مأخوذة عن رند وشيبه

(مصر والسودان في التاريخ)



المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن والثمانين

١ ابريل سنة ١٩٣٦ — ٩ محرم سنة ١٣٥٥

آلات تتذكر وتنسى

دراسة الحياة العقلية بتجارب آلية

منذ بضع سنوات كتب الفيلسوف البريطاني برود Broad عبارة ظن انه يستطيع ان ينسف بها دعوى اصحاب الفلسفة الآلية فقال: «لو قال رجل عن اخيه او عن زوجته هو ذا آلة بارعة لحسبناه اما رجلاً احمق او عالماً فسيولوجيًّا»! ولو ان الاستاذ برود حاول ان يصوغ حكمه هذا الآن، في عبارة اخرى، لأضاف الكيماوي الحيوي والسيكولوجي الى طبقة الحمقى والفسيولوجيين

اي اننا نجد الآن طائفة كبيرة من علماء الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية والسيكولوجيا، يؤمنون بالمذهب الآلي في تفسير الحياة والعقل

فالكيماوي الحيوي يسلِّم بداهةً بان النظام الآلي قاعدة اساسية في الطبيعة. قد تكون هذه القاعدة من اوهام العقل وسكبها على كل حادث وهم مفيد لا يستغني عنه الكيماوي. فالاملاح والاحماض والقلويات تتفاعل كأنَّ هذا الوهم حقيقة. افلا يجوز ان تسري هذه القاعدة على الاملاح والاحماض والقلويات الحية في اجسام النبات والحيوان؟ إن اعمال الاجسام الحية تشمل اعمالاً من قبيل التنفس والهضم والتأثر والنمو واخلاف النسل وهي اعمال استطاع العلماء ان يبنوا آلات تقوم بها مقلدة اعمال الجسم الحي. الا ان الاعمال البيولوجية تشمل كذلك اعمالاً اخرى كالتفكير وهي مما لا يمكن في الظاهر ان يسلك في نظام واحد مع التنفس والهضم فهل الظاهرات العقلية خاضعة لهذه القاعدة او خارجة عنها؟

في الردّ على هذا السؤال نسوق للقارىء كلمة للعالم الاحيائي الانكليزي جوزف نيدهم Needham الاستاذ في جامعة كمبردج قال «كنت ارتاب قبلاً في ان البحوث الكيميائية الحيوية والكيميائية الطبية، تستطيع ان تسفر عن رأي ما، في ظاهرة ليست من ظاهرات الطبيعة والكيمياء . . . لأني ارى الآن غير ذلك. ولأضرب على ذلك مثلاً غريباً عما قد يستطيعهُ بعض العلماء في المستقبل، من القطع بان نقصاً في سفاتيد الفصفور وزيادة في عمل التأكسد في ناحية معينة من قشرة الدماغ، تصحبان دائماً المقدرة في الشعر!»

غير ان جماعة علماء النفس اقل اجماعاً على هذا القول من جماعة الكيماويين الحيويين، في اساليب دراستهم للظاهرات العقلية، وفي تفسيرهم اياها. ولكن الصفة الغالبة عليهم صفة آلية — بحسب قول الكاتب العلمي جورج غراي في مقال له في مجلة هاربرز الاميركية وهي معتمد هذا البحث — فمدرسة التحليل النفساني تسلم بوجود نظام آليّ ذاتي، تحركهُ رغبات وبواعث كامنة في العقل الباطن، وتحفزهُ الى التفكير الواعي. فهم لا ينكرون حقيقة العقل، ولكن العناصر التعقلية فيه، خاضعة في رأيهم لقوات غير تعقلية فليس في تفكير الانسان من اثر حرية الارادة، إلاّ النزر اليسير

اما مدرسة السلوكيين فتصدف كلية عن دراسة الافكار والاحلام والرغبات والعقلين الواعي والباطن — وهي عينا المادة التي يعتمد عليها اصحاب التحليل النفساني — لان مثلهم الأعلى هو دراسة الظاهرات التي يمكن مشاهدتها، والافكار والاحلام والرغبات ليست مما يشاهَد. فهمّهم ان يعرفوا كيف يسلك الانسان، وكيف يستجيب عمليًّا لحوافز مختلفة في احوال مختلفة اي انهم يحصرون بحثهم ودراستهم في سلوكه. ومن هنا أُطلق عليهم اسم «السلوكيين». فهم يقولون، انك عندما تضغط زرًّا في مصعد كهربائي، يقف المصعد عند الدور الذي يعيّنه الزرّ، لا يسعنا ان نقول ان المصعد يفكر في الموضوع، وانما هو يقف، لان الجهاز مركب تركيباً خاصاً بحيث اذا ضغطت الزرّ الثالث وقف المصعد عند الدور الثالث. وكذلك الانسان، يقول السلوكيون. فالاصوات المختلفة التي يسمعها، والروائح التي يشمها، والالوان والمشاهد التي يراها، هي بمثابة الازرار في المصعد الكهربائي، واستجابتهُ لها ليست الاَّ استجابة آلية مثل استجابة المصعد لضغط الزرّ

الاَّ ان هناك فرقاً بين الاستجابتين. فاستجابة المصعد لضغط الزرّ لا تتغيَّر. اضغط على الزرّ الرابع يقف دائماً عند الدور الرابع، الاَّ اذا كان هناك خلل في جهازه. فليس للمصعد اختيار في الاستجابة. على ان الاختيار ميدان واسع امام الانسان لوّح براية حمراء امام انسان، فاما ان يقف متريثاً عالماً ان الراية الحمراء اشارة خطر داهم، واما ان يهرول ليعانق صاحبها، لانهُ

شيوعيٌ وحده الراية دلالة على الرابطة الوثيقة بينهما ، وإما ان يهجم على حاملها لانهُ رأسماليٌ محافظ ويرى في الشيوعية خطراً على الحضارة

فهل يستطيع السلوكيون ان يبنوا آلة ، لا يكتفون باستجابتها للون «الاحمر» على عمومهِ ، بل في وسعهم ان يختار اي ان تفرق بين معاني اللون الاحمر المختلفة ؟

يقول السلوكيون ان ذلك في وسعهم . فاذا سألتهم أتستطيعون حقيقةً ان تصنعوا آلة ذات عمل «آلي» ، تنفعل بالخوف من الخطر ، وتشعر بالولاء للرفيق الشيوعي ، او بشهوة ابادتهِ ، الى آخر ما قد تعنيه الراية الحمراء في نفس انسانٍ عاقل ، ودّوا عليك بان الآلة ما تشاء ، وانما نحن صنعوها جهازاً يسلك وفقاً لنواميس الفعل العكسي المحوَّل ؟

***

ما هو الفعل العكسي المحوَّل ؟

عرف مبدؤهُ من ايام افلاطون ، ولكن تطبيقهُ في علم النفس الحديث ، يرتدُّ الى مباحث العلاّمة الروسي ايفان بافلوف — المتوفى حديثاً وقد تجاوز الثمانين من العمر

نشأ بافلوف فسيولوجيًّا ، فعني في اواخر القرن الماضي ، بدراسة ما يحدث في جسم الكلب عند ما يقدَّم لهُ الطعام . فوجد ان رؤية قطعة من اللحم ، تسبب افراز العصارات المعدية . واستنبط بافلوف حينئذٍ وسائل بارعة ، بقياس سرعة هذا الافراز ومقادير العصارات التي تفرز . ثم خطرت لهُ طريقة اسهل تناولاً من الاتصال بداخل المعدة لدراسة المفرزات ، وذلك بدراسة اللعاب الذي يسيل في فم الكلب عند ما يرى اللحم

[illegible] من الزمن وليس يتسع المجال لبسطها هنا وانما قاعدتها تقديم الطعام الى الكلب فيسيل اللعاب في فيهِ ، ثم يقدَّم الطعام الى الكلب مقروناً بقرع جرس فيسيل اللعاب لرؤية الطعام . ويعاد تقديم الطعام مقروناً بقرع الجرس مراراً ، ثم يتوقف المجرِّب عن تقديم الطعام ويكتفي بقرع الجرس ، فيسيل لعاب الكلب لقرع الجرس كأنهُ رأى الطعام . فاذا قرع الجرس مراراً بعد ذلك سال اللعاب . الاّ ان كان الكلب يفطن بعد قليل ، الى ان الغرض من سيل اللعاب هضم الطعام ، وقرع الجرس وحدهُ لا يقدّم للكلب طعاماً ، فيكفُّ عن إفراز اللعاب عند قرع الجرس . فاذا أُعيد تقديم الطعام مقروناً بقرع الجرس بعد ذلك مراراً ، رسخت في جهاز الكلب العصبي ، عادة افراز اللعاب عند ما يسمع قرع الجرس

هذه هي القاعدة في التجربة

فتقديم الطعام الى الكلب الجائع ، « حافز اصيل » وسيل اللعاب في الفم « فعلٌ عكسيٌ »

اصيل » يثيره هذا الخاطر فان قرع الجرس عند تقديم الطعام خاطر محوَّل او emotion) وسيل اللعاب عند قرع الجرس وحده فعل عكسي محوَّل Conditioned reflex) والخواطر المحولة، اما مثيرة وما قامعة ، والدماغ هو المركز الذي تنتقل اليه جميع هذه الخواطر المثيرة والقامعة التي تطرق حسنا

يقول احد الكتّاب انه يجيد الكتابة عندما يكون مرتدياً صدرة عليها رسوم مرتّبة وليس هذا القول من شذوذ تطبع على المتطرف في رأي السلوكيين ، وانما حدث هذا الرجل ان اقترن لبس صدرة هذا وصفها ، في جهازه العصبي ، بالاحوال المؤاتية لاجادة الكتابة . ومن هذا القبيل ما يحدث لكاتب هذه السطور فانه عند ما يشرع في كتابة مقال ، فقلما يستطيع ان يمضي فيه ، اذا اضطر الى شطب كلمة في عنوانه او في سطوره الاولى . ويروي احد الروائيين ان رجلاً تعلم الرقص في حجرة كان في احد جوانبها صندوق قديم وكان بعد ذلك لا يجيد الرقص الا في بهو فيه صندوق شبيه بذلك الصندوق القديم ولا ريب في ان كثيراً مما يتصف به الناس من الشذوذ يمكن تفسيره هذا التفسير السلوكي الآلي

على ان السلوكيين يمادون في رأيهم ، ويقولون ان تأليف سمفونية بتهوفن التاسعة ، واكتشاف النظرية وادمر هسبارسون ، انما هي اعمال من قبيل سيل اللعاب في فم الكلب نوعاً ، وان اختلفت عنها كمّاً وقدراً واذا كانت الاعمال العكسية آلية ، بحسب نظر السلوكيين فليس ما يمنع ان تكون اعمال الانسان المعقدة واعمالاته المعقدة ، آلية في اساسها كذلك

يقول الدكتور هل : كل شيء يتوقف على انتظام المادة . فطريقة انتظامها في جسم ما ، تحدد عملها او سلوكها فاذا انتظمت في شكل معين ، كانت عصاً ما تطير ، واذا انتظمت في شكل آخر كانت طائرة تحلّق فقد كان الناس في العهود الماضية يعزون مقدرة الطيران لخواص بعض الاجسام الحية ولو أن فلسفة نشأت على هذا الاساس وجعلت احدى قواعدها ، ان القدرة على الطيران مرتبطة بالحياة ، لكان موقف اصحابها الآن ، شبيهاً بموقف الحيويين Vitalists الذي ينكرون التفكير على جسم الا اذا كان حيّاً . فلو ناردوده فنشي شك في ان المقدرة على الطيران مرتبطة بالجسم الحي ، وكذلك الاخوان رايط وغيرهم والنتيجة اننا نملك الآن طائرات تطير من دون ان يكون فيها انسان يديرها ويسيّرها وبعضنا الآن يرتاب في ان التفكير مرتبط بالجسم الحي وتأييداً لقولنا نستطيع ان نعرض لمن يشك في قولنا ، آلات « تبدو فيها مبادىء الفعل العكسي المحوّل »

كان الدكتور كلارك هَلْ Hull استاذ علم النفس في جامعة ييل الاميركية يجتمع بطائفة من متقدمي طلاب ذلك العلم في المساء ، ويناقشهم في موضوعات سيكولوجية متشعبة وكان

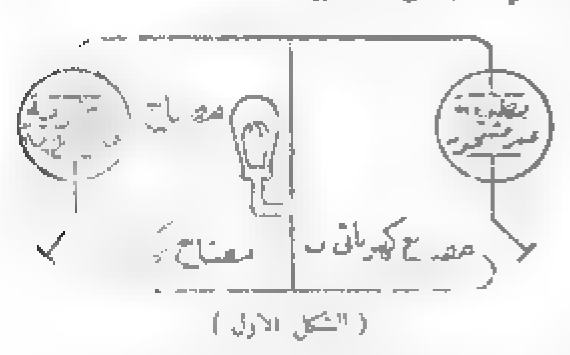
قد اختص العقل المكي المحول ببحث مسهب . وفي ذات ليلة ، اذ اشرف البحث على الختام اتجه الاستاذ هل الى الطلاب وقال ، اذا كانت النظرية الآلية صحيحة ، يجب ان نكون في الوسع صنع مثال آلي يبيّنها . في مثل هذه الليلة من الاسبوع القادم ، انتظر من كل منكم مثالاً آلياً ، تبدو فيه مظاهر العقل المكي المحوّل

وكان في كلامه هذا يحاول ان يحملهم على التفكير في الموضوع تفكيراً حسياً ، ولم يكن يتوقع منهم امثلة آلية ، تتجلى فيها هذه الظاهرة النفسية الفسيولوجية

فلما اجتمع الفصل في الاسبوع التالي عرض ثلاثة من الطلاب ثلاثة امثلة آلية تلبية لطلب الاستاذ ، كان مثالان منها غير وافيين بالغرض . ولكن المثال الثالث كان بارعاً البراعة كلها وكان صاحبه كيماوياً فسيولوجياً ، قد حضر فصل علم النفس اجابة لحث زوجته

كان هذا المهندس يدعى « برنشتين Bernstein » وكانت طائفة من الباحثين قد صاغت الفكرة غامضة ، او حاولت محاولات خائبة في هذا الصدد ، ونشرت بدعها في المجلات السيكولوجية ولكن بارنشتين لم يكن سيكولوجياً ، والراجح انهُ لم يطلع على شيء مما كتب في هذا الصدد . ولما كانت آلته ، الاولى في سلسلة من الآلات التي نشأت عن اقتراح عارض للاستاذ هل فيصح ان تحسب علماً على طريق البحث السيكولوجي الذي من هذا القبيل

انظر الى الشكل الاول . فالمفتاحان الكهربائيان يقابلان الحافزين والمصباح يقابل الاستجابة . المفتاح (ا) هو الحافز الاصيل ويقابل عرض الطعام على الكلب . اطبقه يضيء المصباح اي يسيل اللعاب في فم الكلب اي ان الحافز الاصيل يثير الاستجابة . فالمفتاح متصل بالمصباح



(الشكل الاول)

بواسطة بطرية مشحونة . ولكن اذا اطبقت المفتاح (ب) لم يثر المصباح ، لان البطرية بينهُ وبين المصباح ، مفرغة من الكهربائية فلا صلة بين المفتاح (ب) والمصباح . فكأنك تقرع جرساً على مقربة من كلب ، فلا يثيره القرع الى افراز اللعاب

ولكن اقفل المفتاحين (ا) و (ب) في وقت واحد (اي اقرن تقديم الطعام الى الكلب بقرع الجرس) يثر المصباح . افعل ذلك مراراً . ثم اقفل المفتاح (ب) يثر المصباح . افعله مراراً يثر المصباح في كل مرة . وهذا يقابل قرع الجرس وحده امام الكلب ، بعد قرعه مع تقديم الطعام ، فيفرز الكلب لعاباً مع انهُ لا يرى طعاماً . ولكن اذا مضيت في اقفال المفتاح (ب) مرات عديدة بعد

ذلك ، فضلاً عن ذلك ان المصباح بعد قليل يتوقف عن الاضاءة استجابة للخاطر . وهذا يقابل توقف فم الكلب عن افراز اللعاب بعد قرع الجرس مراراً من دون تقدم الطعام . فالفعل المنعكس المحوَّل ، في حالي الكلب والمثال الآلي، يصاب بما يدعوه بافلوف « تلاشٍ تجريبي » . ولكن اذا عدتَ فاقفلت المفتاحين معاً مراراً كثيرة، ثم اهملت المفتاح ( ) واقفلت المفتاح (ب)، وجدت ان استجابة المصباح للمفتاح تبقى استجابة متصلة ، فكأن الاستجابة للخاطر قد اصبحت عادة راسخة وهذا يقابل رسوخ عادة افراز اللعاب في فم الكلب استجابة لقرع الجرس

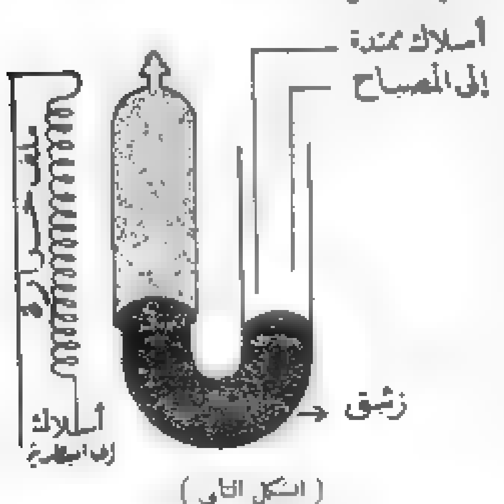
فكيف يفسَّر عملُ هذه الآلة ؟

عند ما تقفل المفتاح الكهربائي (ا) يصبح النصف الايسر من الجهاز دورة كهربائية مقفلة فيسري تيار البطارية المشحونة فيها فينير المصباح بجري التيار في سلكه

كذلك عند ما تقفل المفتاح الكهربائي (ب) يصبح النصف الايمن من الجهاز دورة كهربائية مقفلة ولكن البطارية في هذا الجانب غير مشحونة بالكهربائية ، وعلى ذلك فلا يجري تيار كهربائي في سلك المصباح فلا ينير

فاذا اقفل المفتاحان (ا) و(ب) في وقت واحد سرى التيار الكهربائي من البطارية المشحونة الى اسلاك المصباح فينير ، والى البطارية غير المشحونة بالكهربائية كذلك فتشحن . وبعد ذلك اذا اقفل المفتاح الكهربائي (ب) وحدهُ ، سرى تيار من البطارية اليمنى — وقد شحنت قبلاً — الى المصباح فينيرهُ ولكن هذه البطارية لا تلبث ان تفرغ ، وهذا يفسر عدم اضاءة المصباح ، بعد اقفال المفتاح (ب) مراراً متوالية اذ يحدث ما دعاهُ بافلوف « التلاشي التجريبي » . فاذا تُركت البطارية اليمنى فترةً وشأنها حدث فيها تفاعل كيميائي ، يولّد تياراً ضعيفاً، حتى اذا حدث واقفلتَ المفتاح (ب) انار المصباح نوراً ضئيلاً وهذا مثال آليٌّ للتذكر

او انظر الى الشكل الثاني . هذا الرسم يمثل الجهاز الذي اقيم في الجانب الايمن من المثال المتقدم بدلاً من البطارية الفارغة والمفتاح (ب) . فانت ترى الى يمين الرسم سلكين ممتدين الى المصباح ولكنهما غير متصلين . فاذا اقفلت المفتاح (ب) ، لم يسر تيار الى المصباح لان الدورة لا تتصل . ولكن اذا اقفل المفتاحان معاً ، سرى التيار من الجانب الايسر من الجهاز، الى ملف الحرارة وهو مرسوم هنا الى جانب انبوب فيه نقط سود



(الشكل الثاني)

تمثل مادة الطولوين الآنفة. وهي في الواقع ملتفة حول الانبوب. فاذا سرى التيار من الجانب الايسر من الجهاز في هذا الملف ارتفعت حرارته فتحمى مادة الطولوين في الانبوب فتتمدد فتضغط على الزئبق فيرتفع سطحه في الجانب المقابل من الانبوب فيتصل السلكان احدهما بالآخر بواسطة الزئبق المرتفع فينير المصباح. ويبقى في امكان المفتاح (ب) ان ينير المصباح، ما زال الطولوين حامياً وسطح الزئبق مرتفعاً. ثم اذا برد الطولوين وارتد سطح الزئبق الى مستواه العادي انفصلت الدورة الكهربائية واصبح من المتعذر على المفتاح (ب) ان ينير المصباح اذا ضغطت عليه

هذان الجهازان مع اختلافهما هما اساس شكل الاجهزة الاخرى التي صنعت من هذا القبيل

وفي السنة ١٩٣٤ نشر الدكتور هَلْ رسالة في المجلات السيكولوجية المختصة، بين فيها كيف تتعلم الحيوانات بالتجربة، وهي ما يدعى بالانكليزية طريقة التجربة والخطإ فاطلع عليها طالب في جامعة ولاية اوهايو، يدعى الـ Edison فسعى الى صنع جهاز يمثل الطريقة التي تنطوي عليها الرسالة تمثيلاً ميكانيكياً فانه اخذ ثلاث مغناطيسات كهربية electromagnets ووضعها في شكل دائري، وعلق فوقها قضيباً من الحديد يبعد بعداً متساوياً عنها جميعاً وكانت قوة المغناطيسات مختلفة، فقوة الواحدة كانت ١٠٠ وحدة والثانية ٧٠ وحدة والثالثة ٣٠ وحدة وكانت قوة كل منها مرتبطة ارتباطاً دقيقاً بعدد لفات السلك الكهربائي الذي حولها ووضع الطالب « لمس » سلسلة من المفاتيح الكهربائية تمكنه من زيادة قوة المغناطيسات او نقصها

ولنفرض الآن انك تريد ان تعلم القضيب الحديدي، ان ينجذب الى اضعف هذه المغناطيسات الذي قوته ٣٠ وحدة فقط، فماذا تفعل؟ من الطبيعي ان القضيب ينجذب الى المغناطيس الاقوى (الذي قوته ١٠٠ وحدة) ولكن انجذابه الى هذا المغناطيس ليس مرغوباً لذلك تنظم سلسلة المفاتيح الكهربائية تنظيماً خاصاً حتى اذا اقترب القضيب من المغناطيس الاقوى تنقص قوة هذا المغناطيس ثلاثين وحدة، فيتجاذب المغناطيسان الاول والثاني، هذا القضيب الى ان يتغلب الثاني فيجذب القضيب اليه، ولكن ما يكاد يتصل القضيب بالمغناطيس الثاني حتى تنقص قوته المغناطيسية ثلاثين وحدة فينجذب القضيب الى المغناطيس الثالث

وعندما يتصل القضيب بالمغناطيس الثالث، يقف عنده، لان هذا هو الغرض الذي وضع له، فيجري المغناطيس زيادة قوته المغناطيسية. ولا يخفى أن قوة المغناطيسين الاولين نقصت وقوة المغناطيس الثالث زادت ولكن المغناطيس الاول لا يزال أقوى المغناطيسات الثلاثة

فاذا أعدت التجربة، وجدت تنقل القضيب من المغناطيس الاول الى الثاني إلى الثالث، اسرع مما كان في التجربة الاولى، فكأنه بدأ يتعلم الطريق وفي خلال التجربة الاولى يزيد ما ينتقص من قوة المغناطيسين الاولين ويزيد قوة المغناطيس الثالث. وبعد ما تجرب التجربة

خمس مرات ، يصبح المغناطيس الثالث أقوى المغناطيسات الثلاثة وعندها يسير العصيب توّاً اليها فكأنهُ أتقن معرفة الطريق التي تعلمها بالتجربة

وهناك جهاز آخر مصنوع من عيون كهربائية (او بطريات كهربائية) تتأثر باللونين الاحمر والاخضر وادوات كهربائية اخرى . وقد وضع المستنبط هذا الجهاز في صندوق يشبه رأس الانسان ووضعهُ على عجلات تسير على قضبان ، فيستمدُّ الجهاز طاقتهُ من طريق هذه القضبان

فاقرع الجرس فيتجاهل الجهاز قرعك او امسك الجزر والاسبانخ امامهُ فلا يستجيب . ولكن حرّك هذا الجهاز على القضبان عبر الغرفة عشر مرّات ثم اقرع الجرس ، فترى الجهاز وقد سار على القضبان من تلقاء نفسهِ . او امسك بالاسبانخ امام عيونهِ الكهربائية وفي الوقت نفسهِ شُدَّ اذني الرأس . فبعد ان تفعل ذلك عشر مرّات ، يهزُّ الجهاز رأسهُ من تلقاء نفسهِ عند مجرَّد رؤية الاسبانخ . واذا لوّحت بالجزر امامهُ ، وربّتَّ على قفا الرأس في الوقت نفسهِ عشر مرّات هزّ الجهاز رأسهُ عند رؤية الجزر من دون ان تربّت على قفا الرأس . والجهاز يعمل العمل نفسهُ اذا ابدلت الاسبانخ بلوحة خضراء والجزر بلوحة برتقالية ، لان اللون هو العامل الفعّال في هذه التجربة

***

قد يعترض القارئ بان جميع هذه الاجهزة على ما فيها من براعة وابداع لا تخرج عن كونها اجهزة آلية ، كهربائية او ميكانيكية ، تتحرك بأزرار تضغط ، وبطريات تملأ وتفرغ ، ومغناطيسات تزيد قوتها وتنقص . وان هذا ليس تفكيراً او شعوراً بالمعنى الذي يتجليان فيه في الاجسام الحية وعلى رأسها الانسان

فيردُّ عليك الدكتور هل قائلاً : اننا لسنا بواهمين ولا خادعين . فهذه الاجهزة وسائل لامتحان منطق نظريتنا لا غير ، وان كانت لا تمتحن صحة النظرية إطلاقاً مع ان تنوير المصباح في الجهازين اللذين وصفناهما ، ليس شبيهاً كل الشبه بافراز اللعاب في فم الكلب . ولكن الصلة بين الحافز والاستجابة في الكلب من قبيل الحافز والاستجابة في الجهاز الكهربائي

فيردُّ الحيويون بلسان هولدين بحسبنا ان نزن الانسان ونحلل نسجه واعمال جسمه ولكن ذلك لا يمكننا من ادراك كنه الصفات التي يتصف بها سلوكه الشعوري او الواعي فاعتراضه عليها من قبيل اعتراض القارئ ، اي ان سلوك هذه الآلات ليس شعوريًّا . فيردُّ الآليون ، بان عليهم ان يبينوا ان نفس الشعور او الوعي ، ليس الاّ سلسلة معقدة من الاعمال العكسية المحوّلة

الشموع والشموس

لأمين الريحاني

صوتان يتصاعدان من اعماق النفس المحسّة ، صوتٌ يسأل دائماً : وما الفائدة لك وللناس من كل ما تعلم ؟ وصوتٌ مؤنّب يقول : وما عسى كلهُ اذا قيس بما تجهل من العلوم ؟ انه كنور الشمعة بالقياس الى نور الشمس

صوتان ، صوت يرغبني في العلم ، وصوت يسرّيني منهُ ولطالما اُصختُ الى الصوت الثاني ، فاصحبتُ شمعتي شموعاً ، تنير الدروب من مسالك الفكر والخيال ، فانظر اليها بين قرير وانا اقول ، زدني اللهمّ نورا

وبعد ذلك ، بعد سكرة من سكرات النور ، اسمع الصوت الاول ، صوت التساؤل والريبة ، فاصامُ واصلّي

— اهدني ، اللهمّ ، السبيل القويم الى مطالع الشموس والاقمار احمل النور فلق الدائمة ، وسبق العصور ، وعمق العقيدة . ان أظلم الشرق فامحُ اسم الشرق من قلبي ، وان أظلم الغرب فارح اسم الغرب من دماغي . زدنا ، اللهمّ ، من اقطار هوت كواكبها ، وأفلت شموسها . لا تحرمني ، ربي ، قبد طلعت مصابيحها كبريق البرق في الادغال ، او كوميض الفسفور ليلاً في البحار نوراً ، اللهمّ ، وان في الصحاري المقفرة نوراً وان في اقاليم السود والسمر من الشعوب نور وان في اقطاب الجليد المهلكة نوراً وان كان في النور هلاكي

ولا اكاد انتهي من صلاتي حتى اسمع الصوت الاول يعود ويردد القول سائلاً وما الفائدة لك وللناس من كل ما تعلم ؟ ما الفائدة من النور الذي يزداد في ازدياده مناطق اللانهاية المظلمة ؟ أفلا يُحصّل عليه نور الشمعة القريبة منك ، وهو يريك طلك وقد تعاظم ، ويريك الظلمة وقد مدت شعاعةً ، ضيّقةً ، محدودة ؟ اجل ، انك في نور الشمعة كبير الظل ، عظيم القدر انك سيد المخلوقات حسباً . وانت لذلك قريب من الرب المفروض عليك ، ربّ أمك وابيك ، ربّ اجدادك ، ربّ الرسل والانبياء ، وقد رُوي انهُ قال باللغة العبرية : انا الرب الهك ، لا الـه لك غيري وباللغة العربية : وانا ربكم فاتقون

صوت يرشدني في العلم، ويرتّل لي السكينة والساعة، والورع والطاعة، ثم يقول: هو ذا حراء الأكبر . . . كتب . وهل أكتفي بنور شمعة من العلم والايمان؟

شمعة من الايمان، وتمعن بالانسان، وتحتقر الزمان، وتسخر للأكوان! وبعد ذلك ماذا؟ من أجلي أنا أنشئت الكائنات؟ ألم ينير الكوكب البشري، هذه الارض، خلق الله الكواكب، النجوم، والشموس والاقمار؟ ان ذلك لجميل، وان الله في كرمه لعظيم

وانا مع ذلك اشد النور، واجترئه فابدلّل عليه تعالى. الملك، ربي، كريم جدًا، وزدني من كرمك الذي لا حدّ له. أبرز لي الشمس لعصوي، شمس قلبك ليراها قلبي. فقد مللت النظر الى شمس الانسان، والى قمره ونجومه. أبرز لي شمس روحك، يراها روحي. فقد كلّ البصر من الانوار التي تكسر اشعتها بين سحب الشك واليقين، وقد سئمت النظر والتعثر في كتب الايمان والكفر، وليس في حروفها وكلماتها من شمس الحادثة قبلك، نوراً من لدنك ينيرها. فقد أصبحت كتاب إعلان عمواً، يارب قد مددت ذلك الكتاب المسجل فيه إيماني الاول وكفري الاول فهل هناك ما هو اقرب منه اليك؟ أرني الشمس لأبحث عنه. أدني في الاقل من نور شمسك الخاصة، شمس قلبك، بيت قصيدك

أفلا يجوز أن نخاطب الله بمثل هذا الخطاب، وهو الذي خلق من أجلي الشمس والقمر؟ جمعهما من أجلي؟! اذا كان هذا الوهم ينبوع ايماني الاول، أفيستغرب ما كان من كفري بعد ذلك؟

. . . ما الفرق ياترى بين ذلك الكفر الاول وذاك الايمان؟ ما الفرق بين شمعتين بغير نور الواحدة منهما غير المنطقة الاولى الصغيرة من مناطق الظلمة؟

شمعة بيضاء مدهنة العنق، أنارتها لأول مرة أمي، ووضعتها بين يدي، وشمعة صفراء أشعلها من اجلي بهلو من جاهلة الفكر في الغرب، فرميت تلك المدهنة العنق ومشيت حيناً من الدهر في نور هذه الصفراء، بل في نور الصفراء الأصفر، وقد دهشت حواشي الظلمات أمامي، فاراني فيها النفس كأنها منعكسة في مرآة مكسّرة، فراني من الخذل والعجب ما عرا آدونيس يوم رأى وجهه لأول مرة منعكساً في الماء. هي نفسي، وقد تجسمت وتجلت امامي، فكيف لا اهلل لها عاتقاً لها، ومكبراً اياها

وقد تهللت ، وقد اكبرت . ثم سمعت الصوت الاول ، صوت الريبة والتساؤل يقول : وماذا يفيدك الاعجاب بالشمس ؟ وماذا ينفع خيالك الجبلي ؟ هل تطيعك هذه النفس اذا ما أمرت ؟ وهل هي تستطيع ان تصل بما انت آمرها ؟

أبي لي شمسك الخاصة ، يارب الشموس ، لأبحث عن همي لي أضعتها مساء امس هذه الصراعة حبية ، وان فيها خيراً ونعمة . فهل يمكنك ان تقول للنفس الغريرة : اشعلي لي كوكباً من كواكب الحقيقة لأبحث عن الهمي الذي اضعته الليلة البارحة ؟

اقول لا ، واقول نعم . ومما لا شك فيه اني ابتغي النور في الحالين . على اني في حاجة الى النور الاسمى ، الى النور الاسمى ، الى النور الخالد الازلي . وان كنت قد اطفأت شمعتي البيضاء والصفراء ، وغسلت يدي مما تساقط عليهما من دونهما ، فذلك لاني اصبحت ولا ارضى بالنور الذي يريني الكون في صورة مدنية ، كأنه خلق من اجل نفسه ، كما اني لا ارضى بالنور الذي يريني في صورة دينية محدودة كأنه خلق من اجلي

ولكن صوت التساؤل والريبة يقول : املك حرية من الكون الذي تصف ، فاكتف . اما النور الاسمى ، فانه يريك الكون الاكبر وفي الكون الاكبر تصغر ، ثم تصغر ، فتضيع ، وقد تضمحل . فهل هذا هو النور الذي تنشد ؟ هل هذا هو العلم الذي تطلب الزيادة منه ؟

اجيب نعم . هو النور الذي يهديني الى ذرى الفكر ، فأرى منها ما لا اراه وانا في الاغوار احمل شمعة مدهنة الشق ، او شمعة عسلية . اجيب نعم هو العلم الذي يرمي الى ذرى الفكر واليقين ، فاتمتع بما لا احمه وبما في صحة من السعادات عبادات الدين وعبادات الآخرة ، عبادات النفس والجسد ، وعبادات الاولياء والقديسين

اني في تلك الذرى حرية من الفكر الخالد الازلي ، وعند الفكر الازلي الخالد تنتهي السعادات كلها . اني في تلك الذرى زهرة من ازهار الحب الدائم العميم . وفي الحب العميم الدائم تتلاشى العصبيات الدينية والقومية كلها . اني في تلك الذرى بذرة من بذور الخير الانساني الاكبر ، وفي الخير الانساني الاكبر تضمحل الضغائن ، وتزول الخصومات ، في مشارق الارض ومغاربها ، وبين الامم جمعاء

مصر والسودان

في التاريخ

للدكتور حسن كمال

أصل المصريين والسودانيين

كثرت المكاتبات والمخاطبات هذه الايام عن السودان وصلته بمصر وضرورته لها وحقها فيه . فاخذت مصر تنادي بوجوب احتفاظها بالسودان لانه مشرف على مياه النيل ولان موقعه الجغرافي والحربي مهم ولان خيراته كثيرة ولان الصلة الدموية بين اهالي القطرين عظيمة متينة

والغريب ان معظم الباحثين في هذا الموضوع يثبتون بيانهم بحوادث تاريخية او تجارية او زراعية مما يرجع تاريخه الى القرن التاسع عشر بعد الميلاد وخصوصاً سنة ١٨٨٢ ايام ثورة المهدي لما كان المرحوم عبد القادر باشا حلمي حاكماً على السودان لكن علاقة المصريين بتلك البلاد المترامية الاطراف ترجع الى اقدم العصور التاريخية المعروفة اي الى ابعد من سنة ٣٤٠٠ ق م مع ان الحوادث الاستعمارية الاخيرة هي اقرب الى الذهن . واكثر تداولاً في المناقشات الا ان ذلك لا يمنعنا من ان نسرد تاريخ علاقتنا بهذا القطر الشقيق تلك العلاقة التي امتدت الى اكثر من خمسين قرناً من وقتنا هذا

ان علاقتنا بالسودان لم تكن لاجل الحصول على القمح وجمع الارقاء كما يدعي بعضهم بل كانت من اجل صلة الرحم والوحدة التجارية والسياسية قال ديودورس الصقلي : ان الاثيوبيين يقولون ان مصر مستعمرة من مستعمراتنا وان طين بلادها عرين من بلادنا ساقه النيل اليها وان بين عاداتنا وعادات المصريين مشابه ظاهرة جلية فضلاً عن المطابقة بين القوانين الرابطة لنا ولهم وعن تشابه الزي في ملابس ملوك البلدين خصوصاً وان كليهما يتخذ الصل زينة فوق التيجان . قال ناميل هذه الرواية المؤيدة لمجيء المصريين من اثيوبيا كافية

عفردها لاثبات ان اصل المصريين القدماء هم من بلاد العرب الجنوبية . لان في الرواية اشارة الى ان اولئك الفاتحين بعد ما هاجروا من وطنهم نزلوا على شاطىء البحر الاحمر في اثيوبيا في الاراضي المصرية واقاموا فيها زمناً قبل زحفهم على وادي النيل فلما دخلوه واظهروا فيه مبادىء الحضارة انتحل الاثيوبيون وجهاً لدعواهم قائلين انها مأخوذة عنهم وهذا بخلاف الواقع

فلما حلّ قدماء المصريين بالقطر المصري اسسوا فيه المدنية والحضارة فارتقى بذلك درجة رفيعة بين الامم وسادها حتى صار مضرباً للامثال . ولم ينس المصريون في وقت من الاوقات بلاد السودان التي كانت طريق مجيئهم الى مصر من بلاد العرب الجنوبية والتي اصبحت معمورة باقوام من نسلهم الاصلي المتحدين بهم في القوانين والعادات واللغة والدين

وقد اثبت المرحوم كمال باشا ان اصل اللغة المصرية القديمة والعربية واحد وان الاختلاف الظاهر بين هاتين اللغتين ليس الا نتيجة استقلال بعض كلمات في بلاد العرب وبقائها في وادي النيل والعكس بالعكس . زد على ذلك ما يعتري الالفاظ من القلب والابدال وما يعتريها من التحريف بعامل الاحتكاك على مر الدهور

فاذا كان هذا شأن السكان الاقدمين للقطرين المصري والسوداني فلا غرابة اذا وجدنا على اقدم الآثار المعروفة ما يشير الى التكامل بين هذين القطرين — ذلك التكامل الذي كان يأخذ احياناً شكل منازعات وحروب ثم لا يلبث ان يرجع الحال الى اصله فيتحد القطران في المعيشة والمعاملة وتسودهما السكينة ويبدو كلاهما الخطر المهدد للآخر

تاريخ السودان القديم - المرحلة الاولى — الضم

اثبتت لنا الحفائر الفنية الحديثة التي قام بها علماء الآثار بالسودان ان بلاد النوبة كانت مأهولة قبل عام ٣٤٠٠ ق . م . نفس العصر الذي ينتمي اليه سكان مصر القديمة وعلى ذلك فان مدنية اهالي هذين القطرين واخلاقهم لا بد وان تكون واحدة وهذا يتمشى تماماً مع ما أشرنا اليه سابقاً. وحوالي ٣٤٠٠ ق . م . اتحدت مملكة الوجه القبلي بمملكة الوجه البحري وتكونت منهما مملكة واحدة تحت ادارة مينا . ومنذ ذلك العصر اخذت المدنية والحضارة في القطر المصري تتقدم تقدماً سريعاً جداً حتى بلغت ذروتها في عهد الاهرام حين حافظت مدنية السودان على مستواها الاصلي الوضيع كما يستدل على ذلك من مقابر السودانيين وقتئذ وفيها يتجسم الفقر بأجلى مظاهره . ومن ثم بدأت السيادة على وادي النيل تتجمع تدريجاً في ايدي المصريين واصبح السودان تابعاً لمصر يأتمر بأوامرها وينتهي بنواهيها وصار السودان يدفع الجزية السنوية لمصر في شكل ابنوس وعاج وجلد الفهد والصمغ والرقيق الخ

واقدم رواية تاريخية وردت عن اخضاع المصريين للسودان مدونة في حجر (بالرمو)

فقد جاء فيه ان الملك (سنفرو) غزا بلاد النوبة حوالي ٢٩٠٠ ق . م واسر سبعة آلاف اسير عدا الاغنام والعجول

وفي عهد الاسرة السادسة (٢٦٠٠ ق . م) اشترك السودانيون (النوبيون) في خدمة الجيش المصري وبدأ امراء جزيرة الفيل يوفدون وفوداً تجارية الى صميم السودان وفي اواخر الألف الثالثة قبل الميلاد عرى اهالي النوبة السفلى تغير عظيم في ذلك الوقت زحفت اهالي السودان الاعلى واحتلت الاقليم الواقع بين الشلالين الاول والثاني وطبعت ذلك الاقليم بطابعها المعاشي والاخلاقي وانشأت فيه مدنية نوبية خاصة بلغت ذروتها في عهد الامبراطورية الوسطى (٢١٠٠ — ١٧٠٠ ق . م) فبدأ النزاع يكثر والمشاحنة تتعاظم بين القطر المصري واهالي ذلك الاقليم فأخذ الفراعنة منذ العائلة الحادية عشرة (٢١٠٠ — ٢٠٠٠ ق . م) يحاولون اخضاع النوبة وفتح الطريق الى السودان ولكن ذلك لم يتم الا في عهد الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٨٨ ق . م) لما جعلت سمنة (جنوب وادي حلفا) حد مصر الجنوبي وفي ذلك العهد كان السودان في قبضة المصريين وكان الجيش المصري حافظاً للنظام بتشييد القلاع والحصون على جزر النيل وضفافه وبدأ المصريون يستخرجون الذهب بكثرة . وتسهيلاً للمواصلات بين القطرين الشقيقين شق المصريون طريقاً للسفن بين صخور الشلال الاول ايام الاسرة السادسة (٢٦٠٠ ق . م) تحت اشراف المهندس المصري (اونا) ثم اعيد ذلك ايام الاسرة الثانية عشرة وبذلك تجنب المصريون مشقة الانتقال من سفن الى اخرى في جهة الشلال في تلك الصخور السحيقة . والعجيب ان هذه القناة التي حفرها اجدادنا من آلاف السنين زالت آثارها واهمل امرها اهمالاً تاماً حتى قال الاستاذ بريستد « لم يفكر احد من المصريين للآن في عمل مثل هذا الطريق المائي الذي كان يبلغ عرضه ايام الفراعنة اربعاً وثلاثين قدماً وعمقه اربعاً وعشرين قدماً تسير فيه السفن المصرية مهما كبر حجمها واصبح المصريون الحاليون يكتفون بشريط حديدي لنقل بضائع القطر من احد طرفي الشلال الى الآخر »

وجرت العادة ان القوات المصرية حيثما وجدت كانت تشيد معابد كبيرة ومراكز يبعث منها النفوذ المصري الى سكان تلك الجهة — وهذه يشبه سياسة اوربا مثلاً من حيث تشييد المدارس والكليات في انحاء القطر. واقتضت الارادة الفرعونية ان يكون قائد الحامية ورؤساؤها وكهنة المعبد وخدمته وكتابه وعماله كلهم مصريين وهؤلاء كانوا يبثون بين الاهالي السودانيين عاداتهم واخلاقهم وكان اهل السودان ينظرون الى المصري نظرة ممتازة لانهم كانوا يرونه متفوقاً عليهم في النظام والادارة ولكنه وسائل الدفاع والتفاني في تنفيذ اوامر فرعون واطاعة ارادته

اما القلاع التي شادها المصريون فكانت ثماني تعمل لصيانة الطريق الموصل الى وادي

علا في شرق السودان حيث يستخرج الذهب وايضاً في جهة وادي حلفا المعروفة قديماً باسم (بوهن) نصابه حدود مصر الجنوبية ولما تبوأ الملك سنوسرت الثالث ويعرف له ايضاً سيزوستريس (احد ملوك الاسرة الثانية عشرة) الحكم شاد قلعة جهة (سمنة) الواقعة على بعد اربعين ميلا جنوب وادي حلفا وجعلا ذلك الموضع حد مصر الجنوبي ونصب هناك لوحاً اثرياً حظر فيه مرور السودانيين شمالاً براً وبحراً واستثنى من ذلك التجار ورسل الحكومة القائمين بأعمال رسمية وكان ذلك في السنة الثامنة من حكمه وفي السنة السادسة عشرة من حكم هذا الملك نصب خلاله لوحين كبيرين حجريين احدهما في جهة (سمنة) والآخر في جهة جزيرة الملك ونصب فيهما معاملته لاهالي السودان وطرق حربهم

ولم تعرف للآن منطقة السودان التي كانت تحت سيطرة ملوك الاسرة الثانية عشرة بالضبط وكان الاستاذ ماسبرو يظن ان النفوذ المصري كان ممتداً الى جنوب نهر عطبرة وعنده ان فرعون مصر كان يملك على جزيرة مروة من قديم الزمن . ولا يبعد ان يكون (سنوسرت الثالث) قد اتبع سياسة آبائه واجداده في تلك الجهات وكان الذهب ينقل من سنار بقوافل الى جزيرة مروة ومنها في الصحراء الى سنة حيث يوضع في السفن وينقل الى القطر المصري في النيل

وكانت قلاع مصر جهة (سنة) تستلم من قبائل السودانيين جزيتهم التي كانوا يدفعونها سنوياً لبيت المال ثم ترسلها الى القطر المصري تحت اشراف رؤساء وضباط مصريين اما التجارة بين القطرين وقتئذ فكانت مزدهرة كان المصنوعات المصرية كانت تتدفق على الاقطار السودانية بكثرة

ولما غزا الهيكسوس مصر اضمحلت ادارة القطر المصري في السودان وضعفت سلطته عليه وامتنع هذا عن دفع الجزية لمصر . ولا تزال معلوماتنا عن تلك العصور قليلة جداً

وفي عهد الاسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م .) امتدت السلطة المصرية الى قلب السودان ووصلت حدود مصر الى النهر الازرق ويتلخص ذلك في انه لما طرد احمس الاول الهيكسوس من مصر الى آسيا وجه همه الى السودان . فقاتل قبائله التي كانت تعطل التجارة وتسلب الامن وأجبرها على دفع الجزية . ولما تبوأ امنحوتب الاول (١٥٥٠ ق م) عرش مصر غزا السودان ووصلت جيوشه الى جنوب الخرطوم . وكانت تعرف قديماً بأرض المواشي . كما ورد ذلك على لوحة حجرية يقال انها وجدت في جهة مروة ومن ثم اقتنع المصريون بما للسودان من المقام والشأن من حيث تجارته وذهبه . فلم يستحسنوا ان تكون تجارته بأيدي حكام القبائل العديدين . وعليه اصدر جلالة الملك امنحوتب الاول امره بتعيين حاكم عام لذلك القطر ولقبه بحاكم الاراضي الجنوبية . وقلد ابنه تحوتمس الاول ذلك المنصب ثم لقبه بأمير (كوش) — وكوش هو الاقليم الواقع جنوب وادي حلفا . وقد اطلق عليه اليونانيون والرومانيون اسم (اثيوبيا) خطأ . وورد لفظ (كوش) بالكتاب المقدس . اما مسكن هذا الامير فكان في

النوبة الا انه كان يأتي احياناً الى مصر تاركاً نائبه يقوم مقامه اثناء غيابه

ثم قسمت الاراضي الواقعة بين الشلال الاول والنيل الازرق الى عدة مديريات . لكل منها حاكم معين من قبل الملك ومسؤول امام امير كوش عن حوادث اقليمه وهكذا ادخل المصريون نظام وطنهم الاداري والسياسي في السودان بعد ما اعتبروه اقليماً من ممتلكاتهم الاصلية

ولما تبوأ تحوتمس الاول عرش مصر سنة ١٥٤٠ ق م غزا بعض اقاليم السودان وانتصر عليهم انتصاراً مبيناً وقد عثر على نقوش هيروغليفية جهة الشلال الثالث تتلخص في ان تحوتمس الاول اجتاز الصحارى و خرق الجبال حتى وصل الى بلاد وطئها بقدميه لم تطأها اقدام اسلافه ولم يرها اعينهم

ولم يهتد حتى الآن الى حل شك تحوتمس الثالث (١٥٠١ — ١٤٤٨ ق م) الغارة على بلاد السودان ام لا لكن الثابت ان الحصون والقلاع والمعابد التي شيدت في عهد ذلك الملك فاقت كثيراً في العدد والضخامة ما شيده غيره من الفراعنة واذا كان النفوذ المصري ممتداً حقيقة في السودان الى الجهات التي ذكرها تحوتمس الثالث على احد صروح طيبة فلا يبعد ان يكون ذلك النفوذ قد بلغ اقصى حدوده ايامه . فقد ذكر نحو مائة واربعين واثنين اسماً لاماكن بالسودان كانت كلها تحت السيطرة المصرية وتدل الآثار على ان بلاد الصومال ، كانت تدفع جزية كبيرة الى تحوتمس الثالث في السنة العاشرة من حكمه لما انفرد بحكم مصر . ويظهر ان اهالي السودان اقتنعوا وقتئذ بأنه خير لهم ان يرسلوا جزيتهم طائعين غير مترددين الى فراعنة مصر بدلاً من المراوغة والمماطلة ، التي تثير غضب الفراعنة فيرسلوا جيوشهم على السودانيين عقاباً لهم على هذا التقصير . فكانت العلاقات بين القطرين الشقيقين وقتئذ على غاية ما يرام كما تشهد بذلك من النقوش والرسوم المأثورة على جدران معبد صغير لتحوتمس الثالث في جهة (سمنه) ويشاهد في هذه الرسوم المعبود (دد أون) احد معبودات السودان القديمة محتضناً تحوتمس الثالث ورافعاً ذراعيه فوق تاجه الملكي . والغرب منهما كاهن يخاطب المعبود (دد أون) قائلاً « بعد تبوأ ابنك تحوتمس الثالث عرشك وورث مملكتك وحصل هبة ملك الملوك في هذه الارض . فان يتغير حكمه ابداً فساعد روحه واجعل هوله في قلوب قبائل السودان واقليم (منتيو) الواقع جنوب الخرطوم الحديثة ». ولا يخفى ان هذه النقوش والرسوم الدينية ذات تأثير معنوي عظيم في نفوس السودانيين ، لانهم لما عرفوا ان معبودهم (دد اون) سمح لملك مصر ان يحكم بلادهم على هذا النحو ، لم يجدوا امامهم وسيلة يتذرعون بها للانفصال عن القطر المصري فعبدوا حذو معبودهم ، نحو فرعون مصر ويعتبر هذا العمل من الحركات السياسية الفذة في تاريخ الامم وفي عهد امنحوتب (امنوفيس) الثاني (١٤٤٨ — ١٤٢٠ ق م) وصلت سلطة فرعون مصر الى النيل الازرق ، وشاد امنحوتب المذكور معبداً له بالجهة المعروفة

الآن باسم وادي (سبع التحا) حيث وجد تمثالان له في تلك الجهة. وكانت عاصمة السودان وقتئذ مدينة (سنة) بالقرب من الشلال الرابع

وتغلغل النفوذ المصري في السودان وقتئذ حتى تمصر السودان تماماً، فأصبح الخط الهيروغليفي الخط الرسمي واللغة المصرية القديمة لغة البلاد الحكومية. وشيدت معابد بالسودان لا تقل عظمة ولا روعة عن معابد طيبة إلا يسيراً. وعبد القوم في هذه المعابد معبودات المصريين ومعبود السودان (دد أون) السابق الذكر كما عبدوا أيضاً ملوك مصر مثل سنوسرت (سيزوستريس) الثالث وغيره

ويرجع السبب في نجاح السياسة المصرية في السودان في تلك العصور الى ذكاء الحكام الذين كانوا يعينون بمرسوم ملكي ويلقبون (امراء كوش) وكفاءتهم. وجرت العادة أنه اذا شقت بعض القبائل عصا الطاعة على فرعون مصر، يرسل هذا على جناح السرعة قوة حربية كبيرة تخضع الثائرين ثم ترجع الى مصر (بسلام) على حد قولهم. لذلك كان مركز حاكم السودان يتطلب حنكة وخبرة سياسية ليهدىء روع السودانيين عند ذلك الاضطراب وليحفظ نفوذهم من النفوذ المصري ضمن حدود ضيقة. ومن اوائل حكام السودان الذين كانوا يعينون بمرسوم ملكي الامير (سن) ابن تحوتمس الثالث ثم الامير (نحي) ثم الامير (اوسرست) و (مري-مس) و (هوي) وغيرهم. الى هنا انتهت المرحلة الاولى التي تتلخص في ضم السودان الى مصر كجزء منها لا يتجزأ يأتمر باوامرها ويتبعي مواهبها. ثم تبدأ المرحلة الثانية

المرحلة الثانية : الاستثمار

تبدأ هذه المرحلة — وهي مرحلة الاستثمار — في اوائل حكم الاسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠—١٢٠٠ ق. م) لما بدأ سيتي الاول يوجه همته الى استخراج الذهب من المناجم الواقعة في الصحراء الشرقية فحصّن القلاع واصلح الطرق الموصلة الى تلك المناجم. أما الطريق القديم الواصل الى هذه المناجم والذي كان يمتد من (ردسية) جنوب ادفو الى البحر الاحمر فكان غير صالح للسير فيه لعدم وجود مياه وآبار. ويبلغ طول هذا الطريق مائة وسبعين ميلاً لذلك اصلحه (سيتي الاول) وحفر الآبار اللازمة واول بئر حفرت كانت على مسافة وثلاثين ميلاً من النيل. وكانت غزيرة المياه فشاد (سيتي) جوارها معبداً وتحولت هذه البقعة تدريجاً بواسطة العمال الى مدينة صغيرة. ويستدل من نقوش قرية الردسية ان (سيتي الاول) فتح هذا الطريق القديم الى مناجم الذهب وحفر مناجم اخرى بجانب القديمة منها ونظم سير القوافل بين البحر الاحمر والنيل

قال رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق. م)[1] على لوحة حجر قُبَّان انهُ حارب

(١) Prisse d'avennes, Monuments plate XXI

سودانيين وحمل عليهم كالثور القوي فسحقهم ... كالثور الهائج محرقاً مدينة (...) التي كانت تسمى وقتئذ (كارى) . وقد فكّر في استخراج الذهب من جهة (اكيتا) فشجع بحثاً علمياً الا انه وجد صعوبات جمة في نقل ذلك المعدن النفيس الى طيبة لان الطريق كان طويلاً شحيح المياه حتى ان ... عمال تلك المناجم ... نصف بسبب العطش زد على ذلك الخسارة التي كانت تلحق الحيوانات وغيرها . ثم انهم كانوا يستعملون القرب الجلدية لحفظ المياه الا ان مقدارها لم يكن كافياً لارواء ظمأ جميع العمال في ذهابهم الى المناجم ومكوثهم بها ورجوعهم الى وادي النيل . لذلك جمع رمسيس الثاني كبار دولته ومنهم امير كوش او حاكم السودان ليبحثوا عن طريق لجلب الذهب من مناجم (اكيتا) . فقرّ الرأي على البحث عن المياه في تلك الجهة فتمكن من العثور على بئر غزيرة المياه في طريق اكيتا لا يزيد عمقها على عشرين قدماً

وطريق (اكيتا) يبدأ من الدكة ومن ثمّ الى وادي علاكي . ويلاحظ ان هذه المناجم بدأ العمل فيها ايام الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٩ ق . م .) ثم اهملت حتى الاسرة السابعة عشرة (١٦٠ — ١٥٥٥ ق . م) واعيد العمل فيها ايام البطالسة والدولة العربية وذلك حتى القرن الثاني عشر بعد الميلاد . ويجد السائح الآن في جهة وادي علاكي ادوات الحجر التي كان يستعملها العمال هناك لاستخراج الذهب وكان كثيراً في تلك الجهات

ولما تولى رمسيس الثالث الحكم (١١٩٨ — ١١٧٦ ق . م) جعل همّه تشجيع التجارة مع السودان فأعدّ القوافل التي كانت ترسل الى السودان لجلب المرّ والبلسم والحجارة الكريمة وغيرها وبنى سفناً مخصوصة لشحن تلك الخيرات عن طريق البحر الاحمر . ولم يعرف بالضبط المكان الذي كانت ترسو فيه السفن على شاطئه الصومال . لكننا نعلم ان ميناء بالقرب من القصير هو الذي كانت تلك السفن ترسو فيه آتية من الصومال مشحونة ... القصير ايضاً معدن النحاس الذي كان يستخرج من جهة وادي المغرة وسربوت الخادم بشبه جزيرة طورسيناء وذلك في سفن خاصة ايضاً . كل هذه الواردات كانت تنقل من القصير الى قفط على ظهور الحيوانات مخترقة في سيرها وادي الحمامات وتشحن البضائع من قفط في سفن نيلية الى منف ومدن اخرى كبيرة والى بعض البلاد الجنوبية

وقد احدث هذا الطريق التجاري الجديد تأثيراً كبيراً في علاقة السودان بالقطر المصري فبعد ما كان اهالي القطرين يتعاملون بعضهم مع بعض شخصياً اصبحت السفن واسطة التعامل بين القطرين لذلك اضطرّ المصريون ان يشيدوا القلاع والحصون بالسودان محافظة على مودهم وتجارتهم فيه

ولا جدال في ان مشروع رمسيس الثالث المذكور عاد بفوائد تجارية عظيمة فالسرقة في البحر الاحمر وطريق وادي الحمامات كادت تكون معدومة . زد على ذلك ان البضائع كانت

تنقل في زمن أقصر من المعتاد سابقاً وبقيمة اقل وتصل وهي في حالة أحسن ثم ان موت الجمال والحيوانات وبهائم القوى كل ذلك أصبح في حبر كان. لكن يلاحظ ان هذا المشروع أضر بالنفوذ المصري في السودان كثيراً وخصوصاً ان رمسيس الثالث كان يعتقد ان التجارة اكثر فائدة من الحرب. فقد قال ما معناه

« كان رجال جيشي من مشاة وفرسان يسكنون المدن في عهدي نائمين على ظهورهم بلا حرب في السودان وفي آسيا فكانت اسلحة الحرب موضوعة في حقائبها بالمدن وكان الرجال يأكلون اللحوم الكثيرة ويشربون المشروبات الوافية ويعيشون مع زوجاتهم في راحة وسرور فلا يخافون تقلبات الزمن لان الفرح كان شاملاً قلوبهم وماثلاً منهم الدرجة القصوى (قرطاس هريس رقم ١ لوحة ٧٨ س ١٠ و ١١ و ١٢)

ولا بد ان مالية الدولة المصرية كانت ايام رمسيس الثاني والثالث عظيمة جداً وان مقدار الذهب الذي دخل القطر المصري كبيراً جداً. فقد وصف ديودورس الصقلي مقبرة يغلب انها لرمسيس الثاني او الثالث قال انه شاهد فيها لوحة حجرية وقد رسم عليها الملك يقدم للمعبودات المقادير العظيمة من الذهب والفضة التي كانت تستخرج من المناجم سنوياً وتقدر بمائتين مليوناً من الجنيهات الذهبية الحالية. وهذا الذهب كما لا يخفى كان وارداً من بلاد الحبشة واقليم النيل الازرق ومناجم وادي علاكي

ومنذ ذلك فعندنا المصريين هم أول قوم عرف فضل التجارة والتعامل بين الامم وهم اول من مهد لذلك بابتكار الطرق التجارية السهلة والمعاملات الدبلوماسية والوسائل الحربية وهم اول من عرف فضل الذهب وبذلوا غاية جهدهم في استخراجه مهما بعدت مناجمه عنهم بصورة مطابقة لطرق استعمار اوربا لافريقيا في العهد الحاضر

ومنذ حكم الاسرة العشرينية (١٢٠٠ – ١٠٩٠ ق . م) بدأ النفوذ المصري يضمحل وظهرت على حكام اقاليم السودان اعراض القوة والرغبة في الاستقلال والانفصال من القطر المصري وهكذا ندخل في المرحلة الثالثة من تاريخ السودان القديم

المرحلة الثالثة . تفوق السودان

في القرن العاشر ق . م بدأت دلائل الافلاس تظهر على خزينة (آمون رع) بطيبة مصر على كهنة ذلك المعبود ان يقوموا بالاحتفالات والشعائر المتبعة واضطروا الى ان يبحثوا عن المال. ويرجع هذا الافلاس الى عدم شهر الحروب في آسيا والسودان. وقد كانت تعود بالغنائم الكثيرة على المعابد المصرية — والى عدم دفع تلك البلاد الجزية للخزانة المصرية فاضطر رمسيس التاسع (حوالي ١٠٠٠ ق . م) ان يزيد في الضرائب

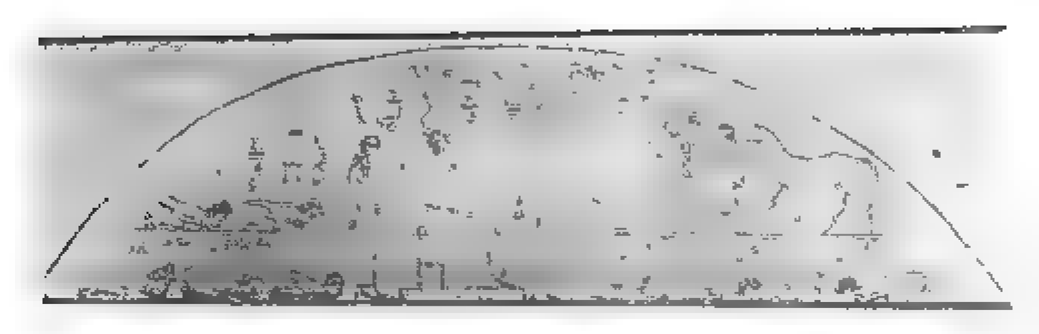
على المصريين لجمع امد للازم ىعد ذلك اعلن الوجه البحري استقلاله عن الوجه القبلي واحدث الحال في الوجه ىعلي تعير من سيء الى أسوأ حتى سنة ٩٦٠ ق م لما تولى الملك شيشنق الاول عرش مصر ، وشيشنق هذا هو من ملوك الاسرة الثانية والعشرين ، وهو المذكور في التوراة باسم شيشاق وهو ابن الرئيس ىلوبي (يىاوا) توصل الى الملك عن طريق والدته المصرية العريقة النسب وتوفي شيشنق وولي الملك بعده ابنه اوسوركون الاول ، وهذا ارسل ابنه (أوبت) حاكماً على السودان ، وجعل مركزه مدينة طيبة ، فبدأ هذا الحاكم في عمل التصليحات والترميمات ، لكنه وجد نفسه عاجزاً عن منع سرقة المقابر الملكية ، فصمم على جمع جثث الملوك السابقين في مكان واحد امين بالدير البحري ، حيث بقيت الجثث محفوظة سبعة وعشرين قرناً ، الى ان اكتشفها المرحومان احمد كمال باشا واميل بروكش وذلك في يوم الاربعاء ٦ يولية سنة ١٨٧٩ ميلادية

وجرت العادة ان الكهنة كانت تذهب الى المقابر الملكية تقيم الصلوات وتقدم القرابين صباحاً ومساء ، فلما نقلت الجثث الملكية الى المقبرة المذكورة اصبح معظم كهنة طيبة عاطلين فانصبّ للهموم عجز هؤلاء الكهنة عن المحافظة على مراكزهم وكراماتهم . وبدأ الاهالي يعلنون عبادة (امون رع) ويتكلمون على (اوزوريس) فبدأ نجم هذا الاخير بالبلاد يعلو شأناً ويرتفع مقاماً وذلك بمساعدة (اوبت)

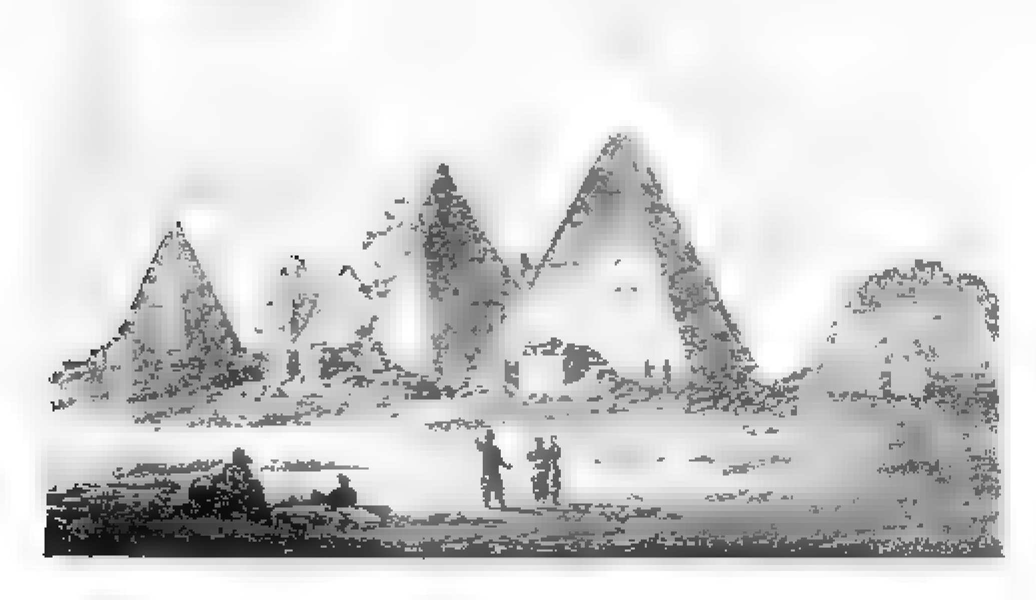
ثم ايقن كهنة (امون رع) ان ايام مجدهم انقرضت وان لا مناص لهم من الهجرة الى محل أوفق لهم من طيبة . فلما رأوا الوجه البحري مقفلاً في وجوههم عمدوا الى الجنوب فوجدوه مفتوحاً امامهم ورأوا ايضاً معبودهم (امون رع) يعبد هناك ورأوا مصريين كثيرين عائشين بالسودان وعلى الاخص بين الشلال الاول ونبتة عاصمة السودان القريبة من الشلال الرابع ومدينة نبتة كانت مركزاً عظيماً لعبادة (امون رع) وهي واقعة في اقليم دنقلة الذي اشتهر من قديم الزمان بخصب تربته وبكونه محطة للقوافل التي كانت تسير بين مصر والسودان

هناك دبّر فريق كهنة (امون رع) في طيبة الهجرة الى نبتة فجمعوا موميات اجدادهم ودفنوها في محل مخصوص كما فعل (اوبت) بالموميات الملكية . بعد ذلك بدأوا يهجرون طيبة متجهين نحو نبتة ومؤملين أن يلاقوا هناك المساعدة اللازمة والاكرام اللائق بهم

ولما وصل كهنة أمون بلاد النوبة بدأوا يرقبون سير الحوادث في القطر المصري ، ويشتغلون في نبتة بطيّ الخفاء . ويتحينون الفرص لحمل ملك السودان على غزو مصر ووضع حدّ لذلك النزاع القائم بين حكام اقاليمها العديدين وكان كهنة (امون رع) على الدوام اليد المحركة لادارة شؤون القطر المصري بالسودان من سنة ١٦٠٠ - سنة ١٠٥٠ ق . م ايام الفراعنة العظام . فلما هاجر هؤلاء الكهنة الى السودان تذرّعوا بنفوذهم الديني ليؤثروا في



قمة حجر أثري للملك بعنخي السوداني وقد رسم عليه الملك وهو يتقبل خضوع تسعة أمراء
مصريين ولوبيين في حضرة المعبود (امون) والمعبود (موت)
وقد عثر على هذا الحجر ضابط سوداني مجهول الاسم



اهرام جبل برقل (مته) في السودان كما كانت سنة ١٨٢١ م

(مصر والسودان في التاريخ)

الذين كانوا مثال الشجاعة والشرف وحب الوطن. وفي سنة ٥٩٠ ق. م حاول بسماتيك الثاني أن يغزو أعالي السودان. وفي عام ٥٢٥ حاول قمبيز أن يخضع السودان أيضاً لكنه لم ينجح. ومن ذلك الوقت دخل تاريخ السودان في طور الاضمحلال واكتنفه الغموض ونقلت عاصمته من نبته بجوار الشلال الرابع إلى (مروة) شمال الشلال السادس والخرطوم وذلك حوالي عام ٣٠٠ ق. م. وبدأت الحضارة المصرية في السودان تضمحل وتدرّج الخط الهيرغليفي إلى الخط المروي الذي بدأ استعماله كخط البلاد الرسمي في مبدإ العهد المسيحي

وفي عهد اليونان (البطالسة) والرومان كان حد مصر الجنوبي بجوار (قرته) مركز الدر وذلك عند مدينة قديمة اسمها (أوندوينا) أو (أوندوبيا) بالقرب من معبد المحرقه و (أوندوبيا) هذه كانت تعرف قديماً باسم ... وهي الجزيرة المقدسة. لكن حدث بعض الأحيان أن ذلك الحد نقل جنوباً إلى ابريم. وابريم هذه كانت تعرف قديماً عند الرومان باسم ... وهي مركز حربي عظيم. ويذكرون حضراتكم أن السلطان سليم الأول وضع حراساً من أهل البوسنة هناك. وذلك في القرن السادس عشر. وأن المماليك الذين هربوا عام ١٨١٢ التجأوا إليها. لكن إبرهيم باشا هجم على القلاع هناك فأبادها وذلك في نفس السنة

وفي عام ٣٥٠ ب. م غزا السودان ملوك الحبشة، وكانت عاصمتهم وقتئذٍ (اكسوم) وأنهوا بذلك مملكة مروة ودخلت المسيحية جزيرة مروة في القرن الرابع بعد الميلاد ثم انتشرت في النوبة حيث شيدت الكنائس وفي سنة ٦٤٠ وقعت مصر وأعالي نهر النيل في قبضة العرب ووصل عمرو بن العاص إلى دنقلة وفرض عليها الجزية وفي عام ١١٧٣ م استولى (شمس الدولة) أخو (صلاح الدين) على قصر ابريم وفي ذلك الوقت اكتسح الإسلام المسيحية وفي عام ١٨٢١ غزا اسماعيل باشا السودان منتدباً عن والده المغفور له محمد علي باشا وتذكرون حضراتكم أن اسماعيل باشا قتل غدراً عام ١٨٢٢ في جهة (شندي) بالسودان

الخاتمة · نتائج عامة

والآن وقد شرحت تاريخ السودان القديم وعلاقته بالقطر المصري منذ الزمن السابق للتاريخ إلى أوائل القرن التاسع عشر يجدر بنا أن نستنتج مما قيل بعض الحقائق والمعلومات لأن التاريخ يعيد نفسه ولأن ما يجري الآن بخصوص السودان ما هو إلا تكرار لما حدث منذ آلاف السنين

معلوم أن المصريين والسودانيين من أصل واحد استوطنوا وادي النيل بعد ما هاجروا من بلاد العرب إلى الصومال. ومعلوم أن خصال هؤلاء القوم وطبائعهم واحدة لأن ذلك أمر موروث يمتاز به عنصرهم عن سائر العناصر فهم بطبيعتهم جنس مسالم قليل الجشع والطمع. كثير الاحترام للعقائد الدينية أليف. سريع العفو عزيز النفس يجد السخاء والطاع شهم

بين الأمم على توالي الاجيال . ومعلوم أيضا أن وادي النيل من حيث موقعه الجغرافي شبه شيء بواحة كبيرة في وسط صحاري واسعة تحيط به فهو محدود شمالاً بالبحر الابيض المتوسط وشرقاً وغرباً وجنوباً بصحاري

ولهذه العزلة تأثير كبير على مدنية وادي النيل وحضارته . لان المدنية في نظر بعض الفلاسفة نتيجة المعيشة في الاودية حيث تكثر الزراعة والفلاحة وحيث يحتاج الانسان الى تفكير لابتكار طرق الزراعة وتنظيم الري وتشييد المساكن وهذه الشروط لتوافرها أشد توافر في وادي النيل أنتجت نتاجاً حسناً واظهرت للعالم من حضارة وازدهار ما أدهش العقول وحير الالباب

وقد أثبت المرحوم احمد كمال باشا في معجمه الضخم إن أصل اللغة المصرية القديمة واللغة العربية واحد . وأن الاختلاف الظاهر فيما بين اللغتين ليس إلا نتيجة لاسقاط لبعض كلمات في بلاد العرب وبقائها في وادي النيل والعكس بالعكس ، زد على ذلك ما يعتري الكلمات من قلب وابدال ، وما يصيبها من تغير بعامل الاجيال على مر العصور

وهكذا اظهر لنا التاريخ ان مصر والسودان امتان مكملتان ومتممتان الواحدة للاخرى ، فما ينقص من احدهما تكمله الاخرى ، وما تعجز عنه واحدة تقوم به الثانية ، ولولا ذلك التضامن لما ظهرت مدنية ولا حضارة بوادي النيل ، فعلاقة السودان بمصر اشبه شيء بعلاقة بلاد (ويلس) أو (الغال) بانكلترا فكما ان حاكم السودان كان ولي عهد المملكة المصرية كذلك ولي عهد انكلترا لا يزال يلقب بأمير بلاد (ويلس)

ولا أدل على تمصير السودان من اسمه المصري القديم . فان المصريين سموه قديماً (نوب) وحرّفه القوم حديثاً [illegible] (نوبة) [illegible] المصرية يعني [illegible] ، فبلاد النوبة تعني بلاد الذهب أو بلاد الكنوز كما يسميها أهاليها الحاضرون

ووردت على لوحة حجرية وجدت بالكرنك من عهد تحوتمس الثالث (١٥٠١ – ١٤٤٧ ق م) مدحة نثرية وشعرية مقالة على لسان (امون) معبود طيبة في حق تحوتمس المذكور تعتبر اجمل انموذج للآداب المصرية جاء في ذيلها ما تعريبه : —

« ها أنا قد جئت وأبحت لك ان تضرب متوحشي النوبة وليكن الجميع حتى اقوام (شات) تحت تصرف يدك مستعدين لمددك فقد اريتهم جلالتك كما ينظر الاخ الى اخويه فيحنوان عليه ويجمع اياديهم اليك يشدوا عضدك » ان تشبيه القطرين المصري والسوداني بشقيقين يحنو كل منهما على الآخر ويتآزران في شد عضد فرعون مصر عبارة لا تقبل الشك ولا الجدل هو دليل قاطع على ان القطرين الشقيقين كانا من اقدم العصور كما هما الآن قطرين مكملين ومتممين الواحد للآخر

من اليواقيت الثمينة

الى ادوات المطبخ

الالومنيوم : عهده الماضي ومستقبله

قصة عنصر الالومنيوم من أغرب القصص في تاريخ الكيمياء الصناعية. فهو عنصر مبذولٌ في الارض، يبلغ جزءا من ثلاثة عشر جزءا من مادتها. انه أكثر من الحديد والنحاس، بل لا يفوقه الا الاكسجين والسلكون من هذا القبيل. وهو عنصر نجده في الياقوت الاحمر والازرق وغيرهما من الحجارة الكريمة كما نجده في الصلصال الذي تطؤه قدمك. ثم هو في حالته المعدنية متصف بصفات قلما تجتمع في فلزّ — خفة في الوزن، ومقاومة للتأكل، وقدرة على ايصال الكهربائية والحرارة، علاوة على سهولة تناوله في الصناعة وجمال مظهره وبريق سطحه وبراءته من ان يكون ذا خواص سامّة.

هذا العنصر العجيب بخواصه، الكثير في مادة الارض، كان ينتظر ان يعرف الناس السبيل اليه من اقدم العصور، كما عرفوا السبيل الى الحديد والنحاس. ولكنهُ لم يكشف الاّ في اوائل القرن الماضي، ولم تستنبط طريقة عملية تجارية لتحضيره رخيصاً الاّ في ٢٣ فبراير سنة ١٨٨٦ — اي من خمسين سنة.

كان الرومان يدعون بعض الاملاح باسم « الومن » Alumen والمرجّح الآن عند مؤرخي الكيمياء ان هذه الاملاح كانت مزيجاً من كبريتات (سلفات) الحديد والالومنيوم، وكانت توجد في المناطق البركانية على البحر المتوسط، فتستعمل في الطب والصباغة. فلما كان القرن الثامن عشر تبين لبعض الباحثين انهُ في الاستطاع استخراج املاح من هذا القبيل من بعض انواع الصلصال بمعالجته بالحامض الكبريتيك. فدعيت المادة الاساسية في الصلصال التي نشأ منها هذا الملح ألومين Alumine في فرنسا فتحوّل اللفظ الى الومنا Alumina في انكلترا. اما الالمان فأطلقوا على اللفظ تونرد Thonerde الى يومنا هذا. ومع ان السر همفري دافي اخفق في استفراد العنصر الاّ انهُ اقترح تسميتهُ باسم الومنوم Aluminum وهو الاسم الشائع في اميركا الاّ انهُ يعرف رسميًّا في علم الكيمياء باسم الومنيوم Aluminium اي بزيادة حرف (i) على مقطعه الاخير

المرجح الآن ان العالم الدنماركي اورستد كان اول من استفرد الالومنيوم وذلك في سنة ١٨٢٥ وتلاه وهلر الكيماوي الالماني ، وتقول دائرة المعارف البريطانية ، انه من المؤكد ان وهلر استفرد الالومنيوم سنة ١٨٢٧ في مسحوق رمادي ثم في حبيبات معدنية ومن علماء اوربا اصحاب الاثر العظيم في دراسة الالومنيوم الكيماوي الفرنسي كلير دفيل . ومن غرائب الاقدار في الناس ، انه لما طارت شهرة وهلر في ارجاء اقطار المعمورة ، بعد تحضيره اول مركب عضوي ، بالتركيب الكيماوي الصناعي ، هرع اليه طلاب الكيمياء من مختلف البلدان ، وكان بينهم طالب اميركي يدعى جوت Jewett فلما عاد جوت الى اميركا استاذاً للكيمياء في كلية اوبرلين كان لا ينفك عن التحدث الى تلاميذه في خواص عنصر جديد كشف في اوربا مبيناً الثروة الطائلة التي تنهال على من يستنبط اسلوباً عملياً رخيص النفقة لاستخراج هذا العنصر من املاحه . واذ كان يقول هذا القول في احد الايام غمز احد الطلاب رفيقه وقال : « سيكون تحضير الالومنيوم مبتغي في الحياة » كان هذا الطالب تشارلز مارتن هول . وفي ٢٣ فبراير سنة ١٨٨٦ — اي من خمسين سنة — هرول الفتى هول وهو في الثانية والعشرين من العمر الى استاذه ، بحبة من فلز الالومنيوم المحضر بطريقة كهربائية رخيصة كان قد استنبطها فكان ذلك العمل مسهل حصر الالومنيوم في الصناعة ، وجنى هول من عمله ثروة كبيرة [1] وهب منها في وصيته مليوني جنيه للمعاهد الاميركية في الشرق الادنى وكذلك ربط سلك العلم بين وهلر الالماني وطلاب العلم في الشرق الادنى عن طريق جوت وهول الاميركيين !

كان مقدار ما يستخرج من فلز الالومنيوم قبل سنة ١٨٨٩ — وهي السنة التي بدأ فيها هول تحضيره بطريقته الكهربائية — لا يزيد على ٢٢٥ الف رطل فاصبح ما يستخرج منه في السنة نحو ٦٠٠ مليون رطل وكان سعره في الثلث الاول من القرن التاسع عشر — بعد ما استحضره وهلر ، يبلغ ٣٢ جنيهاً للرطل الواحد ، فهبط بعيد منتصف القرن الى اكثر من خمسة جنيهات قليلاً للرطل وهو الآن اربعة قروش للرطل

ويقال ان نوليون الثالث قدم الطعام لمشاهير المدعوين الى مأدبة ادبها ، في اطباق من الالومنيوم ، اما المدعوون الآخرون فقدم لهم الطعام في اطباق من الذهب ، بل يروون عن سائح اميركي في باريس ذهب الى صائغ يريد ان يبتاع نظارات للاوبرا فعرض عليه الصائغ نظارتين ،

---

(١) سجل هول اكتشافه في ٩ يوليو سنة ١٨٨٦ ولكن هروت Heroult الفرنسي كان قد استنبط طريقة كطريقة هول وسجلها في دار سجلات المخترعات بباريس في ٢٣ مايو سنة ١٨٨٦

احداها مصنوعة من البلاتين والثانية من الالومنيوم وكان ثمنها واحداً . فختار الاميركي النظارة المصنوعة من الالومنيوم

اقتصرت فائدة الالومنيوم الصناعية في المدة التي انقضت من اكتشاف الطريقة الكهربائية لتحضيره وسنة ١٩٢٠ في صنع ثلاثة من اخلاطه فقط ولكن العلماء صنعوا منهُ في المدة الواقعة بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٣٥ عشرات من الاخلاط تتصف بخواص نحية ، في متانتها وتحمل الضغط ، ومقاومة التأكل ، والعزل من الحرارة والبرد وغيرها

يتألف الالومنيوم الآن بخلطه بعناصر مختلفة كالنحاس او المغنيزيوم او المنغنيس او السلكون او النيكل واحياناً يستعمل القصدير او التيتانيوم او الكروم ويكفي ان تضيف مقداراً يسيراً جداً من احد هذه العناصر الى الالومنيوم لكي تتغير بعض خواصه ، فميدان الابداع في استنباط اخلاط الالومنيوم المتصفة بخواص جديدة ، ميدان واسع جداً

***

من المشكلات التي تهمُّ المشتغلين بالطيارات ، مشكلة التأكل وتأكل الفلزات يفضي كلَّ سنة الى تدمير ما قيمتهُ مئات الالوف من الجنيهات . الا ان الالومنيوم اصلح من جميع الفلزات التي عرفت حتى الآن من هذا القبيل . فعلى سطحه تتكون طبقة رقيقة من اكسيد الالومنيوم تمنع امتداد فعل التأكسد الى ما تحتها وقد كشف الباحثون عن طريقة كهربائية لتكوين هذه الطبقة بالصناعة فتزيد مناعة المعدن على مقاومة انياب الدهر

ولا ريب في ان صناعة النقل سوف تكون في مقدمة الصناعات التي ستستفيد من التقدم في استعمال اخلاط الالومنيوم فهذه الاخلاط تستعمل الآن في صناعة قطارات السكك الحديد ، ومركبات الترام والسيارات ، وسيارات النقل والطائرات والبوتات والسفن ان صانعي هذه المركبات جميعاً يطلبون فيها ثلاثة اغراض رئيسية هي السرعة وامانة النقل والراحة والاقتصاد واخلاط الالومنيوم المشهورة بمتانتها وخفة وزنها تحقق هذه الاغراض جميعاً فقد صنعت شركة « يونيون باسفيك » الاميركية قطاراً انسيابياً [illegible] اجتاز القارة الاميركية من الشاطئ الى الشاطئ في ٥٦ ساعة و ٥٥ دقيقة فأحرز قصب السبق في سرعة اجتيازها وكان ما انفقهُ من الوقود في هذه الرحلة اقلُّ جداً مما تنفقهُ القطارات عادة

ثم ان الطائرات تصنع في الغالب من اخلاط الالومنيوم اجنحة ومحركاً ومقدماً . ولا بدَّ ان يساير التقدم في ابتكار اخلاط جديدة من الالومنيوم ، التقدم في ارتقاء فن الطيران ، وليس ببعيد ان تبتدع اخلاط جديدة قبل بضع سنوات ، تمكن المهندسين من صنع طائرات تستطيع

ان تطير في الطبقة المطرورية بسرعة الف ميل في الساعة فتقطع المسافة بين نيويورك ولندن في نحو ثلاث ساعات

ولا يخفى ان استعمال الالومنيوم واخلاطه في بناء السفن يوفر عليها جانباً كبيراً من الوزن الذي يمكن استعماله في زيادة حمولتها من الركاب والامتعة والمتاجر . ونضرب للقارىء مثلين فقط على ذلك . فمعروف ان دكات تعرك دائماً بالطين او بالصنفرا . والقدم المكعبة من الطين وزنها في المتوسط عشرة ارطال ، ومن الصنفرا ١٨ رطلاً . اما القدم المكعبة من رقائق الالومنيوم التي تصنع لفرك ملاح الطين والصنفرا له فلا يزيد على ثلاث اوقيات للقدم المكعبة

والمثل الآخر ، هو ان الدهان المصنوع من الالومنيوم اخف جداً من الدهن الذي يدخل الرصاص فيه او غيره من العناصر . فقد دهن احد بطون ذات بدهان مصنوع من الالومنيوم فكان وزن ما استعمل من دهان الالومنيوم اخف من اي دهان آخر بمقدار ١٠٠ الف رطل

اما في السيارات فقد قال احد المهندسين « السيارة والالومنيوم صنوان » وقد كان من الطبيعي ان يهتم صانعو السيارات بما يتصف به الالومنيوم من المتانة مع خفة الوزن لاستعماله في صناعتها صنعوا في ١٩٠٢ اجساماً للسيارات من الالومنيوم ، وكذلك اجزاء مختلفة من المحركات . ولكن المنافسة في اسعار المواد اللازمة لصناعة السيارات حالت دون التوسع في استعماله الا ان الاقبال عليه في العهد الاخير قد زاد زيادة مطردة مع ان استعماله محصور في الغالب في اذرع المحرك ورؤوس الاسطوانات . وقد يسفر البحث عن الحاجة الى سيارة خفيفة توفيراً لجانب من النفقة في تسييرها . ويظن ان الحاجة الى الاقتصاد قد تجعل استعمال محركات ديزل في السيارات امراً محتوماً . ولما كانت هذه المحركات اكبر حجماً من المحركات المستعملة الآن ، فالراجح ان يعمد الى صنعها من الالومنيوم واخلاطه توفيراً لجانب من الوزن

ويرى بعض المهندسين المعماريين ان الاتجاه في اميركا واوربا الى تشييد الصروح الشامخة يقتضي استعمال جوائز وعوارض من اخلاط الالومنيوم في طبقات الصروح العليا ثم ان الالومنيوم استعمل اولاً في صناعة ادوات المطبخ الا ان ارتقاء صناعة حفظ الاطعمة قد وجّه نظر اصحابها الى صنع علبها من هذا الفلز العجيب لرونقه ولنقائه من التفاعل مع الاطعمة المحفوظة وتوليد سموم فيها

ومن عجيب ما يستعمل فيه الالومنيوم في الجراحة صنع اضلاع ورداعص Knee-cap محل محل ضلع مكسورة او داعصة مهشمة ، وفي الطباعة لصنع الحبر ، وفي الموسيقى لصنع الكمان

رياضيات المصريين

القدماء وأثرها في تقدم العلم والعمران

للاستاذ لويس كاربنسكي[1]

بعد ان سبق لي ان القيت عدة محاضرات في اميركا في تاريخ الرياضيات عند قدماء المصريين وبنوع خاص يزيد في سروري ان تتاح لي الفرصة للبحث في هذا الموضوع امام جمهور مثقف كهذا الجمهور الكريم في مدينة القاهرة — مركز الثقافة المصرية الحديثة . واود في هذه المحاضرة ان اوجّه النظر الى شيئين جديرين بالاعتناء : اولهما ان جهود الانسان الفكرية وعبر الفكرية تتجه كلها الى غاية واحدة هي المساهمة في خدمة المدنية ورفع مستواها . وثانيهما ان الاشتغال بالعلوم الرياضية والعمل في تقدمها كانا (ولا يزالان) مشاعاً لم ينحصرا في امة من الامم او شعب من الشعوب

يميل علماء التاريخ الى نفي وجود اية علاقة او اتصال بين جهود المصريين والبابليين في الرياضيات من جهة وبين نتاج اليونان العجيب في الهندسة وبحوث ارخميدس في الميكانيكا والايدروستاتيكا وبحوث ابولونيوس في المخروطات من جهة اخرى ، ولما نحن اولاء نرى اثراً من هذا في مجلة (ايسيس Isis) التي تبحث في تاريخ العلم فلقد طالعت علينا مقال يفهم منه ان معرفة المصريين للهندسة بسيطة حداً لم ترتفع عن الهندسة التي ينتحلها الاطفال او المتوحشون وان هذه المعرفة لم يتصل بها علماء اليونان ولم تتصل بهم . والذي اراه انه لا يضير هؤلاء ولا ينقص من قدر مجهوداتهم الفكرية اذا اخذوا عن غيرهم او اعتمدوا على ما تركه المصريون والبابليون من المآثر في ميدان العلوم ، واننا نرى لهم اعترافات صريحة واضحة بالاخذ والاعتماد في كتاباتهم ومؤلفاتهم ، اضف الى ذلك ان هذا الاخذ وذاك الاعتماد هما عاملان طبيعيان ولازمان لسير العمران وتقدم المدنية ورفع مستوى التفكير البشري

لقد دلت التحريات الحديثة والمكتشفات الجديدة على ان اقدم الآثار الرياضية التي نعرفها

---

(١) ألقى الاستاذ لويس كاربنسكي استاذ الرياضيات في جامعة متشيغن المحاضرة التالية في نادي العلم في الجامعة الاميركية بالقاهرة في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٣٣ وقد حضرنا نوفمبر بعضهم فتفضل بتوجيهها الى من عربها ضمن اسابيع فتكرم بنقله الى الكاتب الرياضي احمد قدري حافظ طوقان

قد وصلت الينا من بابل ومصر وانما انتقلت الى اليونان فحددوها وزادوا عليها ، ومن هنا نشأ الاتصال بين جهود علماء بابل ومصر واليونان في الرياضيات وارجو ان لا يبادر الى الذهن ان هذه الآثار وما القته من ضوء جديد على معلومات في هذه البحوث هي التي دفعتني الى القول بوجود اتصال او ارتباط بين رياضيات الامم ، وان اليونان اعتمدوا في بحوثهم على آثار من سبقهم فقد اثبت منذ عشرين سنة (اي في سنة ١٩١٥) ما دلت عليه هذه التحريات الحديثة التي سبق ذكرها فاشرت في ترجمتي لكتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة عن الصحة اللاتينية لروبرت شيستر الى ان المصريين عرفوا النظرية المعروفة باسم نظرية فيثاغورس والى انهم استعملوا هذه النظرية في انشاء المثلثات القائمة الزاوية . وقد قال بهذا ايضاً كانتور (العالم الشهير في تاريخ الرياضيات) بعد اشرت الى كل هذا بينما الاستاذ اريك بيت [illegible] يقول في كتابه عن مخطوطة (احمس) المسوحة على ورق البردي ان ليس في هذه (المخطوطة) ما يدل على ان المصريين عرفوا نظرية فيثاغورس وعلى كل حال فهناك شيئان يدلان على صحة ما ذهبنا اليه من معرفتهم هذه النظرية الاول وجود مثلثات قائمة الزاوية بالمعنى الهندسي الدقيق في اشكال الاهرامات الثاني وجود المسألة الآتية في مخطوطة قديمة (ممسوحة على ورق البردي من كاهون [illegible])

اقسم مربعاً مساحته ١٠٠ إلى مربعاً (وحدة قياس كان يستعملها المصريون القدماء) بحيث يكون ضلع احدهما يساوي ¾ ضلع الآخر

وقد كان الحل المتبع على هذه الكيفية . $٦^٢ + ٨^٢ = ١٠^٢$

والعلاقة $٣^٢ + ٤^٢ = ٥^٢$

اي العلاقة التي تبين خواص المثلث القائم الزاوية الذي اضلاعه ٣ ، ٤ ، ٥ وعلى هذا الاساس لا اعتقد ان احداً من المؤرخين يستطيع ان ينكر او ينفي معرفة المصريين لنظرية فيثاغورس وليس المهم هنا معرفتهم لها ، بل سبقهم اليونان في معرفتها بزمن طويل ولدينا الآن من الآثار ما يدل على ان البابليين عرفوا هذه النظرية في زمن يرجع عهده الى [illegible] سنة قبل الميلاد وهم لم يعرفوها فقط بل استعملوها في حساب اطوال الاوتار في الدائرة وقد ثبت ايضاً انهم تطرقوا الى المبادىء الاولية في علم المثلثات . ومن الغريب ان نجد في مقال بمجلة اسس الذي نوهنا به ان المصريين لم يعرفوا شيئاً عن المثلث المختلف الاضلاع . وهذا خلاف الواقع ، فقد دلت الحقائق التي لا سبيل الى دحضها على انهم عرفوا المثلثات واشباه المنحرف وانه كان لديهم معرفة بالاهرامات الناقصة وبقانون حجومها وبنصف الكرة وكيفية ايجاد مساحة سطحها (١)

---

(١) استعمل المصريون القاعدة التالية لايجاد مساحة الدائرة وقد وردت في مخطوطة احمس : لايجاد مساحة الدائرة اضرب مربع المركب المبتدأ على نصف القطر في العدد ([illegible]) ٢ وهذه القاعدة تقرب من القاعدة التي نستعملها اليوم والفرق هو في قيمة ط ، فقد حسب (احمس) ط هذه ٣,١٦ بينما هي ٣,١٤١٦ (المترجم)

ومسائل اخرى دقيقة تتعلق بالمستطيلات وخواصها وها هي ذي اهراماتهم وهذه كلها ومسلاتها وآثارهم الرياضية [illegible] دلائل على صحة ما قلت وذكرناه

لذلك لا يصح ان ننظر الى جهود المصريين في الرياضيات كجهود امة ابتدائية غير متحضرة ليس فيها ما يدل على تقدم فكري او ارتقاء عقلي على حين يقوم امامنا شواهد كثيرة [illegible] وتوضح [illegible] اهراماتهم ومبانيهم وما فيها من هندسة بديعة . وهذه مهارتهم في صنع [illegible] وفي [illegible] لا تعدلها [illegible] في صنعة النحت و[illegible] ذلك في صناعة [illegible] وهذه [illegible] في تقدم [illegible] الاوزان والمقاييس [illegible] كل هذه تؤيد القول بأن المصريين قد ضربوا بسهم وافر في الحضارة وقطعوا شوطاً بعيداً في التقدم والرقي ، وهناك آثار اخرى غير هذه في مصر وبابل تدل على ارتقاء الفكر [illegible] عند سكان هذه البلاد وان في هذا كله ما يدحض الرأي القائل بأن ليس في مآثرهم ما يدل على تقدم او ارتقاء فضلاً عن ان الاعتبارات النفسية التي تسري على الامم الابتدائية لا تسري على مصر القديمة من حيث التفكير وتقدم اسباب العمران . لقد وصل المصريون حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد الى درجة عالية في الرياضيات من الناحية التطبيقية وكان الفضل في وصولهم الى هذه الدرجة يرجع الى كهنتهم الذين كانوا يجدون في دراسة الرياضيات والبحث في موضوعاتها لذة ومتعة . ويزعم بعضهم ان اهتمام المصريين بالرياضيات لم يقتصر الا على الناحية العملية وانهم لم يهتموا اهتماماً علمياً في النظري منها وقد اشار هيرودوتس الى ذلك فقال ان الحاجة هي التي دعت المصريين الى استنباط طرق لمعرفة مساحات الاراضي (١) التي كان يغمرها النيل بفيضانه السنوي وان ذلك قادهم الى الاعتناء بالنواحي العملية التي تتعلق بالهندسة ولكن من دراسة بعض الآثار المصرية التي وصلت الينا عن طريق المخطوطات الرياضية تبين خطأ هذا الزعم ، وهي توضح بجلاء ان الاهتمام لم يقتصر على الناحية العملية فحسب بل تعداها الى النظري منها فقد دلت هذه الآثار على ان المصريين استعملوا معادلات الدرجة الاولى ذات المجهول الواحد (٢) . وقد استعملوا في حلها طرقاً ذات خطوات متسلسلة صحيحة ونجد في هذه الآثار مسائل هندسية تؤدي الى معادلات [illegible] من الدرجة الثانية كما نجد فيها نوعاً من الاعمال الرياضية تدل على انهم كانوا يعرفون المتواليات العددية والهندسية وكيفية ايجاد مجموع عدة حدود من كل منها وايجاد الوسط العددي بين كميتين معلومتين وفيها ايضاً قوانين لايجاد مساحات وحجوم بعض الاجسام الهندسية وعلى العموم فان هذه البحوث

---

(١) [illegible] المصريون في علم الهندسة العملي [illegible] خطوط [illegible] ويمكن [illegible] سطوح [illegible] كل [illegible] الارتفاع والانحدار [illegible] في كتابه تاريخ الرياضيات في صفحة ٤٣ من جزئه الاول ان مقدار الخطأ في [illegible] الهرم الاكبر نحو ٦٣ و [illegible] من البوصة وان الخطأ في [illegible] الزوايا لا يزيد على ١٢ ثانية او [illegible] من الزاوية القائمة — (٢) كان المصريون يرمزون الى المجهول في المعادلة برمز يدل على كلمة كوم Heap [المترجم]

تدل على عدم مثير للدهش والاعجاب بالرياضيات عند المصريين وعلى ارتقاء تفكيرهم الرياضي ومقدرتهم على التحليل . ومما لا شك فيه ان المصريين قطعوا شوطاً بعيداً في الرياضيات واستطاعوا بعد ان ارتقت وتقدمت ان يستعملوها في النواحي العملية فبلغوا في فن البناء والعمارة درجة لم يبلغها غيرهم ونظرة إلى اهراماتهم ومبانيهم وقبورهم ومسلاتهم تؤيد رأينا وتشهد على صدق ما قلناه . وقد استعملوا الحساب في حلول مسائل حيوية تتعلق بمعيشتهم الدهنية كاطعام الطيور وعمل الجعة والخبز ومكاييل صنع الحلي وامور اخرى تهمهم اقتصادياً . وقد تحاشى علماء اليونان هذه الناحية ... ناحية استعمال الرياضيات في الشؤون العمليه الى هذه الدرجة — لانهم كانوا يرون في الرياضيات قدسية تحول دون استعمالها في امور دنيوية مادية

واشتهر المصريون بطرقهم الشوقة في تقريب الرياضيات من اذهان الاطفال وذلك بربطها باشياء محسوسة وبألعاب مختلفة من شأنها ان تحبب الاطفال اليها (في الرياضيات) وتزيد في شوقهم ورغبتهم وقد اثنى افلاطون على هذه الطرق وامتدح تلك الاساليب واثرها في تسهيل تعليم العلوم العقلية للاطفال ، وانا في هذا الوقت اوصي بها وباستعمالها وأهيب بالمعلمين ان يحذو حذو المصريين في هذه الناحية فيستعملوا هذه الطرق ويطبقوها في تدريس الحساب الابتدائي حتى يجعلوا منه درساً شيقاً فيه لذة

اسمحوا لي ان اقول شيئاً بخصوص الرياضيات وأثرها في تقدم العلم والحضارة . ان العلوم الرياضية هي نتاج أناس مفكرين وهي ثمرة من ثمار الاعمال الذهنية لا الاعمال الجسدية وقد نشأت ونمت حيما حاول الانسان أن يتفهم العدد والشكل ، الزمن والمكان ويقف على العلاقات الموجودة بين هذه كلها ولم يتقدم علم الرياضة العملي بل ولم يستطع الانسان ان يستفيد منه الا على اساس العلم النظري . لقد عرف الاقدمون (واعني اليونان) شيئاً عن قطوع المخروطات على انواعها من شكل اهليلجي الى قطع مكافيء الى قطع زائد ودرسوا بعض خواصها وبحثوا في خصائصها . ولم يكن الدافع لهذا الدرس والبحث سوى رغبتهم في معرفة منحنيات اخرى (غير الدائرة) التي تتكون من تقاطع المخروط لدائرة بمستو وكانت هذه القطوع او المنحنيات موضع اهتمام علماء اليونان امثال منا كيموس Menaechmus واريستوس Aristaeus واقليدس وارخميدس وابولونيوس . ولهذا الاخير فضل كبير على تقدمها واتمام بحوثها . ثم اتى كبلر Kepler واخذ فكرة الشكل الاهليلجي وخواصه واثبت ان مدار الارض اهليلجي الشكل وان الشمس في احد بؤرتي هذا الشكل . فقد اخذ كبلر فكرة الشكل الاهليلجي وتعرف عليه بواسطة علماء العرب الرياضيين الذين اخذوا ما تركه من سبقهم من الامم في العلوم والفنون ونشروا ما آثر اليونان . لقد أخذوا مخلفات الهند من جبر وحساب ومثلثات وأضافوه الى ما صنعه علماء اليونان من هندسة وميكانيكيات وفلك . فالى العرب يرجع الفضل في بعث مآثر اليونان وتعريف اوربا عليها . وعلى كل حال فان المقصد من دراسة الرياضيات سواء أكان المشتغلون

فيها علماء مصر أو بابل أو اليونان أو الهند أو العرب أو اوربا — أقول ان المقصد نبيل فيه سمو اذ لم تكن فكرة التسامح والاستغلال المادي هي العامل الرئيسي والاول من دراستها والتعمق فيها

وقد دلت البحوث الاخيرة التي قام بها صديقي الدكتور اوتو نوجيبور Dr. Otto Neugebauer استاذ في تاريخ الرياضيات على ان هناك اكتشافات وموضوعات جديدة لم تكن منسوبة الى البابليين ولم نعرف انها من نتاجهم ثم ثبت انها لهم وانها من مآثرهم ان هذه المكتشفات وتلك الموضوعات ما يجعلنا نشير بضرورة اعادة دراسة تاريخ تقدم الرياضيات عند اليونان. لقد عرف البابليون شيئاً من معادلات الدرجة الثانية وطرق حلها والذي اراه ان هذا قد يدل على ان هناك جهة اخرى مهمة تتعلق بالحضارة البابلية من حيث مآثرها في العلوم الرياضية غفل عنها الباحثون ومنهم علماء الغرب. ولعلَّ اقدم اثر رياضي وصل الينا هو من بابل عن طريق لوحات خزفية[1] محفوظة في متحف برلين يستدل منها على ان البابليين عرفوا المعادلة التكعيبية الآتية: س³ + س² = ٢٥٢ ويقول الدكتور نوكيبور انه في هذه الالواح ما يفهم منه ان قوانين ايجاد مجموع مربعات الاعداد ومكعباتها كانت معروفة لدى علماء بابل الامر الذي نسب الى ام انت من قدمهم هذا عدا ما نسبوه لفيثاغورس واستعمالها في علم المثلثات التي تتعلق بحساب اطوال الاوتار في الدائرة ويقول «بطليموس» — احد مشاهير الجغرافيين والرياضيين القدماء — اشار الى تقدم الفلك عند البابليين فاني على ذكر عالمين من علمائهم اشتهرا ببحوثهما فيه. والآن ارغب في اعطاء فكرة عن بعض المسائل التي استعملها البابليون وقد ادت حلولها الى معادلات من الدرجة الثانية من هذه المسائل:

ما طول كل ضلع من اضلاع مستطيل اذا كان مجموع مساحته والفرق بين ضلعيه يساوي ١٨٣، ومجموع الضلعين يساوي ٢٧ ؟؟ والوضع الجبري لهذه المسألة هو

$$\text{س ص} + \text{س} - \text{ص} = ١٨٣$$

$$\text{س} + \text{ص} = ٢٧$$

من هاتين المعادلتين ينتج ان : ٢٩ س — س² = ٢١٠

او : س² + ٢١٠ = ٢٩ س

اي ان س = ١٤ ، ١٥

، ص = ١٣ ، ١٢ وقد ذكر علماء بابل هذه الحلول

ونجد ايضاً في تلك الالواح مسائل اخرى تتطلب ايجاد ابعاد المستطيل اذا عرفت بعض علاقات بين اضلاعه. وفي بعض هذه المسائل يطلب ايجاد اطوال اضلاع مستطيلات اذا علم مجموع ½ احد الاضلاع و ⅓ الآخر وعلم ايضاً اشياء اخرى تتعلق بهذه الاضلاع

(١) عثر على هذه الالواح في خرائب بابل وكانت تصنع من الخزف وتطبخ في النار. اما حجمها فقد لا تزيد عن حجم راحة اليد « المترجم »

ان هذه الاعمال الرياضية بالاضافة الى الاعمال التي وضعها قدماء المصريين فيما يتعلق بتقسيم مربع الى مربعين بحيث تكون النسبة بين ضلعيهما تساوي كمية معلومة ، ثم المسائل والاعمال التي في هندسة اقليدس — كل هذه تكون سلسلة متصلة الحلقات في تقدم الرياضيات

وعلى ذكر هندسة اقليدس نقول ان من اعمالاً تنص على انه يمكن ايجاد طول كل ضلع من اضلاع مستطيل اذا عرفت مساحته ومجموع ضلعيه ووضع هذه المسألة جبرياً على الصورة الآتية :

$$\text{س ص} = \text{ب}^2$$

$$\text{س} + \text{ص} = \text{حـ}$$

وكذلك يمكننا معرفة اطوال اضلاع مستطيل اذا عرفت مساحته وفرق ضلعيه

$$\text{س ص} = \text{ب}^2$$

$$\text{س} - \text{ص} = \text{حـ}$$

وهنا قد يتبادر الى الذهن السؤال الآتي : لماذا لم يستعمل اقليدس الاعمال الرياضية التي استعملها البابليون ؟ والجواب عن هذا ان علماء اليونان لم يستسيغوا جمع المساحات الى الاطوال على الرغم من مخالفة هيرو وديوفنطس هذه القاعدة فقد استعملا طريقة جمع المساحات الى الاطوال ، فنجد ان هيرو قد جمع مساحة الدائرة الى محيطها ومن هنا يظهر الاتصال بين حضارة بابل وحضارة اليونان واضحاً جلياً

وعلى كل حال فقد يكون من المفيد ان نشير الى ان بحوث الجبر نشأت عن اصل هندسي وهذا يتجلى لنا في الاعمال الرياضية التي وضعها العلماء في بابل ومصر واليونان ، وهذه كلها تمهد لنا الطرق التي تمكننا من عرض الموضوعات الرياضية والانتفاع من هذا العرض في مدارسنا الثانوية

ان الرياضيات الحديثة تبدأ بهندسة ديكارت التحليلية التي ظهرت عام ١٦٣٧ وقد تنمو فروع الرياضيات بسرعة فنشأ علم التكامل والتفاضل وما فيه من تطبيقات على مئات من المسائل العملية التي كان لها اثر كبير في رفع مستوى المدنية . ويرجع الاساس في هذا كله الى المبادىء والاعمال الرياضية التي وضعها علماء اليونان والى الطرق المبتكرة التي اتبعها علماء الهند وقد اخذ العرب هذه المبادىء وتلك الاعمال والطرق ودرسوها واصلحوا بعضها ثم زادوا عليها زيادات هامة تدل على نضج في افكارهم وخصب في عقولهم وبعد ذلك اصبح التراث العربي حافزاً لعلماء ايطاليا وفرنسا واسبانيا ثم لبقية بلاد اوربا الى دراسة الرياضيات والاهتمام بها واخيراً اتى فيتا Viete ووضع مبدأ استعمال الرموز في الجبر وقد وجد فيه ديكارت ما ساعده على التقدم ببحوثه في الهندسة خطوات واسعة فاصلة مهدت السبيل الى تقدم العلوم الرياضية وارتقائها تقدماً وارتقاء نشأ عنهما علم الطبيعة الحديث وقامت عليهما مدنيتنا الحالية

بين الوحي والجنون

شخصية مسز كران المزدوجة

لجاك شهداوس

« تلك هي آثار الوحي من غير شك بل ذلك هو الالهام بعينه والا فكيف يتمكن شخص عادي لم تتعد درجة تحصيله المدرسة الابتدائية من اخراج قطع فنية خالدة »

« تلك هي دلائل الجنون او قل ذلك هو الهذيان بعينه ، بل كيف يمكن ان يستقي من قاعة الحاضرين شخص يتكلم « لا يفهم ويتحلق وهو غائب الحس والشعور »

ولكن لا مهلاً ورويداً فكلا الرأيين متطرف وفي كلاهما مغالاة وبين هذين الطرفين — بين الوحي والجنون — سنلتمس الحل الملائم لشخصية مسز كران العجيبة

•••

قد تتنازع العواطف احياناً في شخص ما وتثور مرتدة حانقة بعضها على بعض فاذا تعذَّر على ذلك الشخص التوفيق بين تلك العواطف الحائثة التي هي احس ،كان لا بدَّ له من ان يصاب باضطرابات داخلية عصابية شديدة تفقده توازنه العقلي ، وعندها لا بدَّ من احد امرين : إمَّا أن تكبت تلك العواطف الجامحة وتظل قوة خفية فعالة في تسيير دفة حياته الباطنية وإمَّا ان تصبح كل طائفة من هذه العواطف المتخاصمة محوراً تدور حوله شخصية جديدة منفصلة نوعاً ما عن الشخصية الاساسية . وهذا ما يُسميه علماء السيكولوجيا «الشخصية المزدوجة» — مدار بحثنا الآن . .

لو وجّهنا أشعة الفكر الثاقب الى شاشة العقل الواعي وتفحصنا ما يحدث هناك بين الآونة والاخرى لرأينا أنَّ مجرى العقل الطبيعي يشبه التغير الدائم في الصور السينماتوغرافية ، كما ان التغير الفجائي الناتج عن قطع الفلم واستبداله بآخر يشبه تماماً ما يحدث في مجرى الشخصية المزدوجة من انتقال سريع بين الشخصيتين ، الاساسية والحديثة . فاذا فحصنا ما يجري في العقل الواعي عندما يستغرق الفرد في التفكير في عمل حسابي مثلاً ، رأينا ان العقل الواعي عندها يتألف من

مجموعة الطرق العقلية المختلفة التي تؤدي الى حل تلك المسألة . ولكن تلك الصورة تمر بعد برهة وجيزة اذ ينسحب النشاط الحسابي من ميدان العقل الواعي ليصبح مجالاً للتفكير مثلاً في الحفلة التي ستقام في اليوم المقبل — ولذا نرى أن العمل الحسابي والحفلة على الرغم مما هما عليه من التفاوت وعدم القرابة قد تمثلت ببساطة تكسب العقل الواعي من عبور تلك الخطوة السحيقة بين الاثنين كيما يتسم العقل بمرونة الطبيعي الدائم التغير والمتماسك الاجزاء

ولكن هذا الوصف قد لا ينطبق دائماً على مجرى العقل الطبيعي كما أنه لا يصدق أبداً على ذوي الشخصيات المزدوجة حيث نجد المستر هيد مثلاً والدكتور جيكل Jekyll يتنازعان السيادة والسيطرة على مقدرات الشخصية . ولكن يجب أن لا ننسى مع ذلك أن هذه الانقسامات مهما ظهرت غريبة ومعقدة لأول وهلة فهي ليست سوى نوع مجسم لما يحدث في شخصية كل فرد عادي . لنفرض مثلاً انك تعزف على البيانو قطعة موسيقية فان كنت بارعاً في عزف يمكنك وانت تعزف أن تلاحق سلسلة من الافكار المستقلة . . . في هذه الحالة لا نرى في نفس مجرى افكار متتابع بل مجريين مستقلين الواحد عن الآخر ، وهذا بلا ريب نوع من الشخصية المزدوجة يختلف عن ذلك بكونه انقساماً موقتاً وجزئياً تحت ادارة الشخص ومشيئته

من مدة وجيزة ظهرت على مسرح الوجود شخصية غريبة الأطوار عجيبة المزج أقل ما يقال فيها انها من (فلتات) الطبيعة . تلك هي مسز كران Mrs Curran[1] صاحبة القصة المعروفة وتلكا Telka و Sorry Tale وغيرها من القطع الادبية الخالدة والتي قالت عن أحد مؤلفاتها مجلة الصن النيويوركية The New York Sun « هي قصة وام الحق لو نسبت الى جورج اليوت لما صحت قط في انتسابها لها » كما أن مجلة التيمز النيويوركية The New York Times قد كتبت عن القصة المذكورة ما يلي : « لو دققت في هذه القصة مليا وتفحصتها جيداً لا بد لك عند الفراغ منها من الاقرار بأن كاتبها استاذ متضلع من فنه » ثم إسمع ما يقوله عن الرواية المذكورة المستر ريدي Reedy محرر الميرور Mirror والنقادة المفكر — « في الحقيقة ان هذه القصة هي أعظم قطعة أدبية قرأتها — ومن دون تردد أقر بأنها من عجائب العالم الادبي » . ومن الغريب ان تحصيل مسز كران لم يتعد المدرسة الابتدائية وليس لها اي اختبار بالكتابة كما ان مطالعاتها ضيقة النطاق جداً . فهي لم تفكر قط في ان تكون مؤلفة او كاتبة ولكن مطمحها الوحيد كان اجادة الغناء فلقد كان صوتها رخيماً فاعتنت كل الاعتناء بتهذيبه وتدريبه الى ان انشقت شخصيتها الثانية التي

(١) لقد اعتمد واضع هذا المقال على ابحاث برنارد هارت Bernard Hart وتشارلز كوري Charles Cory في هذه الناحية ومن أراد زيادة الاطلاع على حياة مسز كران فليراجع Readings in General Psychology-Robinson & Robinson او Psychological Review العدد السادس والعشرين لسنة ١٩١٩

دعتها «باتشنس وورث» [illegible] وقد كان ولا يزال لظهور هذه الشخصية الغريبة سرّ مجهول لا يعرف كنهه احد حتى ولا مسز كران نفسها ولكنه من الخطأ الفادح أن نستنتج أن مسز كران ليست سوى امرأة حمقاء بلهاء مع ان على الضد من ذلك على جانب كبير من الذكاء والفطنة . على انك لو قابلتها وحادثتها لما وجدت نفسك في حضرة ذلك الفيلسوف المفكر والعبقري الفنان الذي كتب « القصة الحزينة » وغيرها من الآثار الادبية الخالدة

***

تطوّرت مسز كران قبل اسكتانه تطوراً لا يدل ابداً على ما يتحصل فيها من فن أدبي رائع وقد تبتدىء بالكتابة وتسير فيها بسرعة فائقة جداً حتى انها كتبت مرة وهي في أضعف مواقعها القصصية ما ينيف عن خمسة آلاف كلمة في سهرة واحدة ثم ان في قالبها الادبي صفة فنية خاصة فهي تعكس حياة الامم الغابرة وخلائقهم بدقة ولباقة تدهش القارىء فيخيل اليه أن المؤلف واسع الاطلاع متضلع من التاريخ القديم مع ان درجة تحصيلها كانت سابقاً لم تتعدَّ المدرسة الابتدائية. فملحمتها الكبرى تلك [illegible] Te [illegible] التي لم تطبع لحد الآن ترتكز على وصف الحياة الانكليزية القديمة في اوائل القرن الثامن عشر ولكنها كتبت بلغة لا نستطيع تمييزها عن لغة ذلك العصر مع انه قد بطل استعمالها اليوم فلا يمكننا امام هذه الحقيقة إلا أن ندهش لكيفية كتابة ملحمة شعرية في القرن العشرين بلغة مهجورة كهذه ، ومن كاتب معاصر كما أننا لا بد لنا بعد درسنا هذه الشخصية الغريبة من ان نقف مكتوفي الايدي امام مقدرتها الخارقة فهي مثلاً تستطيع عند ما يطلب منها أن تستعيد اي مقطع من قصصها بعد كتابته بزمن طويل او أنها بعد ان تنتهي من قصة ما تبتدىء رأساً في كتابة قصة أخرى قد تتقدمها الوف السنين وملايين الأميال

وهكذا نجد في [illegible] الشخصية الجديدة تفوقاً على الشخصية الاساسية وهذا ينفي ان الاعتقاد السائد عند البعض في ان العقل الباطن [illegible] يملك الافكار الوضيعة والمنحطة يجب ان يعدل وأن يفسر على اساس الانقسام العقلي فان لم يكن الانقسام متساوياً وكان الشطر الاكبر بجانب الشخصية الجديدة كما حدث لمسز كران أفضى ذلك الى خلق شخصية ثانية تمتاز كثيراً عن الشخصية الاساسية لا بل قد تصل الى درجة العبقرية والعكس بالعكس

اننا نعرف بعبقرية [illegible] ونبوغها ونرى أن هذه الحادثة توضح جلياً ما يقدر ان يصل اليه العقل اذا ما تحرر من قيود الحياة الاجتماعية كما اننا لا ننكر أن هذا الانقسام في شخصية مسز كران قد كان بركة وخيراً إذ انه خلق منها شخصية جديدة مستقلة كل الاستقلال

عن الشخصية الاساسية ولذا فقد اصبحت تلك الشخصية الثانية في عزلة تامة عما يحدث في محيطها او بكلمة اخرى — قد ادّى انسام الشخصية الى التخصص ، فقد استند الى «سر كران» كل ما يؤول الى تحقيق رغبات الجسم ومقتضيات الحياة الاجتماعية بينما تفرغت W P بكليتها بعد ان تحررت من عقال الحس للاعمال العقلية فقط فهي تعيش في طي سنة وهندر و تتعدى من عالم التصور والخيال لا تصل اليها صوصاء الحياة ولا تؤثر فيها مصائب الدهر — او قل هي جدول هادىء يترقرق من اعالي ذروة جبل العبقرية سائراً في مجرى معين فتتوحد قوة حتى اذا ما وصل الى اسفل ادار بقوته الجبارة محرك العقل وهذا بدوره يحوّل تلك القوى المكامنة الى آراء صائبة وأفكار عبقرية حلية وقطع ادبية خالدة .

ويسكن على العقل الواعي ان يقسم انتباهه بين عالم الخيال وعالم الحس او بين الشخصية القديمة والشخصية الحديثة ، وانه من الصعب جداً في بعض الاحايين فصل عالم الحس عن عالم الخيال ولذا نجد ان اللحظات التفكيرية التي ترتفع فيها W .P الى سماء الخلود قصيرة المدى اذا ما قيست بشخصيتها الاصلية مصحوبة بقوى هائلة تمنع جنود الحس من اقتحام معالم الخيال . وعلى اجنحة ذلك الخيال الخصب تستطيع W .P ان تنتقل بافكارها فوق قيود الزمان والمكان .

ولا بدّ للقارىء اللبيب عند الانتهاء من قراءة هذه الكلمة الوجيزة من ان يتساءل : كيف تستطيع امرأة كهذه ان تقدم على كتابة آثار ادبية كتلك ؟ أكان ذلك الهاماً ، أم ان ذلك ضرب من الجنون ؟؟

إن علماء السيكولوجيا لم يتمكنوا حتى الآن من حلّ هذه المعضلة بحسب الطرق العلمية الحديثة ولذا علينا ان نؤجل الحكم الى ان تدرس تلك الشخصية العجيبة على ضوء التمحيص والاختبار العلميين . وانه والحق يقال ليصعب جداً على المتعمق في العلوم الطبيعية بعد ان طبع هذه النزعة العلمية القائلة بأن لكل نتيجة سبباً والتي تدين بدين التجارب المبنية على اسس علمية ثابتة ، أقول انهُ لمن الصعب عليه ان يعتقد ان للالهام دخلاً في المسألة — كما انهُ ليستبعد كثيراً من ان يكون ذلك ضرباً من الجنون عند ما يرى بان الشخصيتين متزنتان لاخلل فيهما ولا اعوجاج

واما من أين اتت هذه المعلومات الشائقة وكيف تجمعت ولماذا اختارت تلك الطريق دون الطرق الاخرى للظهور ، كل هذه اسئلة جديرة بالنظر وهي مما لا يستطيع علماء اليوم الاجابة عنها فنحن بانتظار حلّ علمي لهذه الشخصية العجيبة نحن بانتظاره

« حلقة السيكولوجيا — الجامعة الاميركية — بيروت »

نفسية دكتاتور

من أحاديث إميل لودفيج مع

السنيور موسوليني

قال لودفيج « والجوع؟ أحدث الجوع؟ » فطرف موسوليني وعيناه سوداوان نفسه وأطبق فكيه القويين كأنه يستعيد ذكريات حداثته، وكأنه مستعيد إياها بعينها ثانية وقال بصوت عميق: « الجوع معلم عظيم، يكاد يساوي السجن. كانت أمي تجني نحو خمسين من عملها معلمة في إحدى المدارس، وكان أبي يجني ما يقدر عليه بعمله حداداً. وكنا نعيش في غرفتين، وكنا في النادر نأكل اللحم. وكانت ثمة آمال ومنازعات ومناقشات عنيفة. فلما زج والدي في غياهب السجون لنزعته الاشتراكية بعد حين، وأحببت أن أخرج إلى العالم لأدرس الحياة وأتمرس بها ضربت على كتفي، وتركت والدي في السجن لأني كنت عاجزاً عن إخراجه منه وذهبت إلى سويسرا لا أملك فلساً لأعمل فيها كعامل بسيط وكانت آلام والدي لا تبرح عني — ذلك أني تصرفت في المدرسة تصرفاً لا يرضيها، وثارت ثورتي لزعزعة، فلم يبق أمامي الآن أن أصير اشتراكياً متطرفاً من الطراز الشيوعي وكنت أحمل معي مدالية عليها صورة ماركس [illegible] »

قال لودفيج — وماذا تقول اليوم إذا وقع بصرك على تلك الصورة

— أقول إن صاحبها كان ذا بصر نفاذ حاد فيه شرارة من النبوة. وكنت في ذلك الوقت في سويسرا أعمل في معمل شوكولاتة أو صبياً لبناء أحمل به الطوب إلى الدور الثاني من البناء ١٢٠ مرة في اليوم. ومع ذلك كنت أحس إحساساً مبهماً أن كل هذا إنما هو دور مرانة يعدني للمستقبل

قال لودفيج — حتى في السجن

— ولوجه خاص في السجن. هناك يتعلم الإنسان الأناة والصبر على متن السفينة وفي السجن لا بد للمسافر والمسجون من الصبر. وقد سجنت إحدى عشرة مرة في أربعة بلدان. سجنت في برن (عاصمة سويسرا) ولوزان وجنيف (وهما من مدن سويسرا) وتريست (مدينة في النمسا حتى نهاية الحرب الكبرى) وفي بعضها سجنت غير مرة واحدة وكنت في كل مرة أتمتع بقسط من الراحة ولو كنت حراً لما استطعت ذلك لأن كسب العيش كان يضطرني إلى الكدح. ولذلك فأنا لست أحمل ضغينة ضد هذه المدن

قال لدفج : وبعد ذلك انتقلنا الى البحث في الصحافة فسألته هل تعلمت كثيراً من ممارسة الصحافة ؟

قال موسوليني : « تعلمت كثيراً » قالها وفي عينيه بريق ، وفي صوته حرارة وحياة كأنه يتذكر أيام هناء وغبطة — ان الصحيفة في نظري كانت السلاح والعلم وقد دعوتها مرة ولدي الأحب . فقال لدفج : وإذا كنت تحسب الصحافة مدرسة طيبة فلماذا تلجمها ؟

قال موسوليني : ان الاحوال اليوم غير ما كانت عليه قبل الحرب . ان الصحف اليوم تخدم المصالح ، دون الافكار . او على الاقل أكثرها يفعل ذلك . فاذا كانت كذلك فكيف يمكن ان تكون ميدان مرانة في أدب النفس الذي ينشئونها

قال لدفج — واذا كنت أنت وقراؤك أصبتم فائدة كبيرة من كتابة صحيفتك ومطالعتها، أفلا تظن ان المراقبة تقضي على المستوى الدقيق من الفائدة التي تجنى من النقد النزيه

قال موسوليني : هذا وهم . وبحث على مكتبه فأخذ جريدة وقال هذه جريدة تنقدت بالامس نقداً لاذعاً أحد القوانين التي استصدرتها ، من قال ان النقد ممنوع ؟ ثم ان حرية الصحافة ستار يستتر به اصحاب الصناعة والمتمولون والنوك الذين يدعمون الصحف . فلا تكتب ما يريدونه هم

وعدنا الى التحدث عن نابليون . فقلت على الرغم من حديثنا السابق لم أفهم بعد ، هل تعتبر نابليون مثالاً يحتذى ، أو تحذيراً يوجه الى الناس . فظل مستغرقاً في كرسيه ، وغشت وجهه كدرة وتكلم بصوت خافت فقال اني احسبه تحذيراً يوجه الى الناس . اني لم اتخذ نابليون قط مثالاً احتذيه . ان عملي يختلف كل الاختلاف عن عمله . هو ختم ثورة ، وأنا بدأت ثورة

قال لدفج — ومع ذلك اتى عليه ان الاساتذة يقولون ان انكلترا سبب سقوطه

فقال موسوليني — هذا من لغو الكلام . سبب سقوطه النقص في خلقه . وهو سبب سقوطهم جميعاً . التاج . تأسيس أسرة ملكية . لما بدأت الامبراطورية النابليونية بدأ الانحلال

لدفج — هل في التاريخ رجل اغتصب السيادة وكان محبوباً ؟

موسوليني — بلى . يوليوس قيصر هو ذلك الرجل . ان اغتيال قيصر كان نكبة على الانسانية فهو الرجل الفرد في التاريخ الذي جمع في نفسه إرادة الجندي وعبقرية الحكيم . كان في قرارة نفسه فيلسوفاً ذا نظر شامل . لا ريب في انه كان طموحاً تستهويه الشهرة ، ولكن طموحه لم يفتح هوة بينه وبين الانسانية

لدفج — اذن من المحتمل أن يكون الدكتاتور محبوباً . فأجابه موسوليني قد يكون ذلك اذا كانت الجماهير ترهبه في الوقت عينه . الجمهور يحب الاقوياء . الجمهور امرأة . . . !

لدفج — كيف نفرق بين الثورة التي لها مسوّغ والثورة التي لا مسوغ لها

موسوليني — كل رجل يجب أن يدرك المرمى الادبي للحركة القائم بها ويفرق بين الاثنين

لدفج — ولو نجحت في حركتك الثورية في شوارع ميلان سنة ١٩١٣ أتذكر ما كنت فعلت

موسوليني — حسناً ؟ الجمهورية ! لدفج — فكيف توفق بين أفكارك القديمة — النزعة الى الجمهورية — ونزعتك الوطنية الآن ؟ موسوليني — ألا يستطيع الجمهوري أن يكون شديد التمسك ، أو أشد وطنية ؟ ان لنا على ذلك أمثلة كثيرة

لدفج — في الثورة الالمانية كان موظفو الحكومة من النظام القديم أقوى شكيمة وأرجح رأياً من رجال النظام الجديد ، خصومهم . ومع ذلك كيف يبدأ الانسان في انشاء الحكومة أيبدؤها كما يشرع في بناء منزل . او كأنه يبني بيتاً في حرجة فيقطع الاشجار أولاً ليفسح المجال لبناء البيت ؟

موسوليني — تشبيه طريف — وهنا بدت الفكاهة في عينيه وعضلات وجهه — معظم المتطرفين بالثورات يبدأون بحكومة ثورية ونظام ثوري مائة في المائة . ثم تفتر حماستهم ويضعف نشاطهم فيتقهقرون رويداً رويداً في بعض المسائل الى ان تختلط آراؤهم ومذاهبهم فيها بآراء رجال العهد القديم ومذاهبهم فقال لدفج — وهذا ما تمَّ في المانيا الجمهورية

موسوليني — أما نحن فكنا الامر . بدأت بحكومة لها برنامج نصف ثوري . واعضاء نصفهم من رجالي ونصفهم من رجال العهد القديم . ولماذا فعلت ذلك ؟ لان التاريخ علمني ان شجاعة معظم الثوار تنفد في المعركة الاولى . لذلك بدأت بحكومة ائتلافية وبعد ستة أشهر تخليت فيها عن ممثلي الحزب الكاثوليكي . اما في الميدان الاخرى فتري الحكومات الجديدة ، التي تتسلم مقاليد الحكم ، تبدأ صارمة ثم تلين . اما نحن فاشتدت صرامتنا مع مضي الزمن علينا ، فلم نطلب من الاساتذة ان يقسموا باعترافهم بالفاشيستية الا من عهد قريب . اما الروسيون فكان في إمكانهم ان يتبعوا خطة اخرى . وجدوا الميدان خالياً فنظفوه من كل ما فيه — او انهم قطعوا اشجار الحرجة قبلما بدأوا في بناء البيت على فوقه

لدفج — هل اتيت الى هذا القصر وفي نيتك ان تجلس وراء هذا المكتب عشر سنوات او اكثر ؟ فقال موسوليني — اتيت إلى هنا لأبقى ما استطعت الى البقاء سبيلاً

وقال موسوليني في ذات يوم « الحرية ! وما زلت تعود الى موضوع الحرية أعيد عليك أن الفرد لا تعوزه الحرية في دولتنا . فهو أشد حرية من رجل منعزل لان الدولة تحميه

لدفج — كنت في سنة ١٩١٩ كثير الاحتفاظ بمآثر الحضارة الغربية — وجعلت في المقدمة حرية الفرد ، وهي الروح التي لا تعيش بالخبز وحده

موسوليني — لقد حاولنا أن نحقق من هذا كل ما نستطيع تحقيقه

لدفج — وثمة طريقة تمكنك من اقناع العالم بمحاولتك هذه ، اذا كنت انت ، وقد حكمت أربع سنوات في وجه كل معارضة وشدة توجه اليك ، تمد الآن ، وقد مضت ثماني سنوات أخرى ، الى اطلاق حرية الصحافة والرأي فأجاب موسوليني — أستطيع أن أفعل ذلك ولكنهُ لا يجدي نفعاً ، انهُ لا يعكس الحال . ان النزاع اليوم يجب ان يوجه الى العوامل المادية في حياتنا

الاسمدة الكيمائية

الصناعية

لابراهيم حلمي مطر
استاذ بالكيمياء الصناعية من جامعة مانشستر

لما كانت بلادنا زراعية فان معالجة موضوع الاسمدة اللازمة لها يجب ان يكون في رأس القائمة الخاصة بالمواد الصناعية الوطنية ولكي لا يتشعب الموضوع نرى ان نقسمهُ قسمين رئيسيين :—

١ — القسم الاول : للكلام من الوجهة النظرية

٢ — القسم الثاني : لمعالجة الموضوع من الوجهة الصناعية

البحث النظري

بينما كان الاستاذ رودرفورد Rutherford استاذ علم النبات بجامعة ادنبره يجري تجاربه على تنفس الحيوانات سنة ١٧٧٢ اكتشف غازاً لا يسمح للحيوانات ان تعيش فيهِ ولذلك سماه بالغاز السام (Mephitic Air) — ولو كان يدري ما سوف يكون من وراء هذا الاكتشاف والاستفادة منهُ في صناعة الاسمدة التي نأكل منتجاتها لما وجد أفضل من تسميته بالهواء المغذي او بالبلسم

ثم جاء لافوازييه شيخ الكيماويين الفرنسيين فسماه بالازوت — غير ان الانكليز قد اختاروا لهُ اسم النتروجين لوجوده في مادة النيتر Nitre التي تكثر في بلاد الشيلي في المنطقة المحصورة ما بين جبال الانديز والساحل الغربي ويعرفها الكيماويون باسم نترات الصودا

ويحسن بنا الآن ان نقول كلمة في ذرة النتروجين على ضوء النظريات الحديثة في تركيب الذرة . —

من الامور التي يعرفها المبتدئون في دراسة الكيمياء ان الوزن الذري للنتروجين atomic weight هو ١٤ والعدد الذري atomic number هو ٧ فاذا اتبعنا آراء الاستاذين لويس ولانجمور الحديثة في بناء الذرة واردنا تصور ذرة النتروجين لجاز لنا ان نتصورها بعد تكبيرها التكبير الكافي كبندقة موضوعة داخل غلاف كروي حجم بطيخة كبيرة جداً (يافاوي مثلاً) — هذه

النبذة هي نواة الذرة وتحتوي بحسب نظرية لويس ولانجمور في حالة النتروجين على اربعة عشر بروتوناً كهربائيتها موجبة وهو وزنها الذري . كما انها تحتوي في داخل هذه النبذة على سبعة الكترونات حيث ان عددها الذري سبعة . هذه الالكترونات عبارة عن وحدات كهربائية سالبة وعلى ذلك فالباقي وعدده سبع وحدات سالبة يتوزع على غلافين كرويين خارج النبذة احدها عليه وحدتان سالبتان والخمسة الباقية موزعة على غلاف الطبقة الخارجي . ويقول لويس ولانجمور انهُ ما دام في الغلاف الخارجي خمسة الكترونات فالذرة تكون اما خماسية التكافؤ بفقدان هذه الخمسة او ثلاثيته بأخذ ثلاثة الكترونات من الخارج ليصير عدد الالكترونات على الغلاف الخارجي ثمانية . ولذلك تعرف بالنظرية الثمانية بتشديد الياء Octet Theory . ومن جهة اعتبارات اخرى لا مجال لشرحها وجد ان علاقة ذرتين من النتروجين إحداهما بالاخرى أشد من علاقة ذرة النتروجين بذرة مادة اخرى . ولذا فان النتروجين معدود من المواد الخاملة Inert التي لا تميل الى الاتحاد بغيرها من العناصر بسهولة . واذا تمَّ هذا الاتحاد بعنصر آخر مثل الكلور فان المركب الناتج يكون مركباً غير ثابت ويتفكك لأقل لمسة او هزة بسيطة . ولم تكن الحادثة المحزنة التي حصلت للاستاذ ديولنج عند تحضيره أحد مركبات النتروجين والكلور (ثالث كلورور النتروجين) NCl_3 ففقد بها هذا العلامة عينه وأصيب من اصابعه الأ نتيجة انفجار هذا المركب عندما اهتز الاناء الذي كان يحضره فيه فانفصلت ذرة النتروجين واتحدت بأخواتها كما انفصلت ذرة الكلور ايضاً لتتحد ببعض اخواتها فتولدت طاقة عظيمة احدثت الانفجار . ولهذه الاسباب ما كان الكيماويون منفردين ان يتمكنوا من صناعة مركبات كثيرة من النتروجين من دون الاستعانة بمؤثرات خارجية طبيعية كاستعمال الحرارة الشديدة المتولدة من تيار كهربائي شديد الجهد في شكل قوس او استعمال ضغط كبير على الغازات عند تفاعلها بعضها مع بعض

لهذا كان من المحتم لحل معضلة مركبات النتروجين ان يتآزر الكيماوي والمهندس وهذا هو ما حصل مثلاً في بلاد السويد كما سيجيء الكلام

الوجهة الصناعية

تتركب معظم النباتات على وجه الاجمال من اربعة عناصر مهمة وهي الكربون والاوكسجين والايدروجين والنتروجين مع مقادير يسيرة من عناصر اخرى . وتختلف نسبة هذه العناصر بعضها الى بعض باختلاف نوع النبات . ومن المعلوم ان النبات يمتص بعض هذه العناصر من الهواء . فمثلاً يمتص النبات عنصر الكربون من غاز ثاني اكسيد الكربون الذي في الجو بواسطة مسام صغيرة في أوراقه وتلك المسام هي فتحات كالجهاز التنفسي للانسان والحيوان . كما ان النبات يمتص بعض

العناصر الاخرى من الارض بواسطة انابيب شعرية متصلة بجذوره . وبتوالي امتصاص النبات لعنصر معلوم من الارض يفقد هذا العنصر . ولذلك كان من الضروري ان نعوض الارض ما يمتصهُ منها النبات وهذا التعويض انما يأتي باضافة الاسمدة الكيمائية المحتوية على العناصر اللازمة لغذاء النبات . واهم تلك العناصر هو النتروجين . ولذا تقاس جودة الاسمدة بمقدار ما تحتويه من هذا العنصر بشكل صالح لامتصاص النبات — ويمكن تقسيم الاسمدة الكيماوية النتروجينية الى ثلاثة أقسام

اولاً — الاسمدة النترانية وهي التي يستفاد في صناعتها بآزوت الهواء واتحاده بالاكسجين بواسطة القوس الكهربائي

ثانياً — الاسمدة النشادرية وهذه ايضاً تستفيد من ازوت الهواء باتحاده بالايدروجين بالطريقة التي سنشرحها فيما بعد

ثالثاً — الاسمدة السياناميدية وهذه ايضاً تستفيد من ازوت الهواء بمروره على كاربور الكلسيوم بشروط خاصة

فلنشرح كل طريقة من الطرق الثلاث المذكورة ونقابلها بعضها ببعض ونختار أحسنها بالنسبة لاحوالنا في هذه البلاد

***

في سنة ١٨٩٨ وقف السير وليم كروكس خطيباً في مجمع تقدم العلوم البريطاني المنعقد حينذاك في برستول والقى من كلمات الرعب والذعر على سامعيه الشيء الكثير وقال إن العالم مهدَّد بمجاعة لن تبقي ولن تذر وسبب تلك المجاعة لا محالة هو نفاد الاسمدة الطبيعية . ثم ختم خطابه التاريخي قائلاً انهُ ليس هناك من مخرج الاَّ على يد الكيماويين وناشد المختصين ان لا يقصروا لحظة واحدة في اجراء تجارب لاستنباط طريقة لعمل سماد كيمائي رخيص ليقوم مقام سماد الشيلي عند ما ينفد . وقد قدَّر لهذا النفاد سنين لا تزيد على المئة وهي ليست بالكثيرة في عمر الامم

الاسمدة النترانية

واننا اذ نتعرض الآن للكلام على هذه الطريقة لابدَّ ان نحيي ذكرى رسولنا اعجاباً بالسير هنري كافندش Cavendish واضع أساسها الحقيقي . فقد وجد في سنة ١٧٨١ وهو يجري تجاربه المشهورة على تركيب الماء من عنصريه المعلومين بواسطة القرعة بالشرار الكهربائي ، انهُ يحصل دائماً على مقدار قليل من الحامض النتريك . ولقد اكتشف السير هنري بعد ذلك انهُ اذا خلط الهواء بمقدار قليل من الاكسجين ثم استمرَّ على قرعة الشرار واضاف الى الناتج محلول الصودا فانهُ يحصل

على نترات الصودا المعروفة وهي المادة التي يتكوّن منها سماد الشيلي وكل هذه المباحث النفيسة مدونة في مجموعة الجمعية الملكية الفلسفية Royal Philosophical Society اعداد ٧٥ (سنة ١٧٨٥). بعد ذلك بذلت محاولات كثيرة للانتفاع بهذا الاكتشاف العلمي الخطير حتى أتى كبير علماء الانكليز وأقصد به اللورد رالي في سنة ١٨٩٧ ونشر تلك المقالة التاريخية في مجموعة الجمعية الكيماوية تحت عنوان «ملاحظات على اكسدة النتروجين "Observations on the Oxidation of Nitrogen"

ولقد كانت هذه التجارب في مبدأ أمرها خاصة بفصل غاز الارجون الذي اكتشفهُ اللورد رالي مع السير وليم رمزي بعد ذلك كان لا بد لرجال الصناعة من الاستفادة بهذا الاكتشاف. ولما كان منبت الاكتشاف المذكور على يد عالم انكليزي وفي بلاد الانكليز فقد كان من الطبيعيّ ان ننتظر ان تكون اول محاولة جدية لصناعة الاسمدة النترانية من رجلين انكليزيين وهما المستر مكدوجال والمستر هولر وذلك في سنة ١٨٩٩ ولكنهما اخفقا من الوجهة التجارية وان كان يكفيهما من الفخر انهما اول من خطا نحو استعمال هذا الاكتشاف والاستفادة به

بعد ذلك تحدثت الدوائر العلمية والصناعية وتبودلت الآراء في أسباب اخفاق المشروع الانكليزي الاول — وكان من حسن الحظ أن تآزر على اعادة الكرة لانجاح هذا المشروع عالمان سويديان أحدهما مهندس وهو الدكتور صمويل أيد (Samuel Eyde) والآخر كيماوي طبيعي وهو الاستاذ كرستيان بركلاند (Christian Birkeland) الاستاذ بجامعة كرستيانا. تآزر اذن علم الكيمياء مع علم الهندسة فكان النجاح حليف المشروع وأسس هذان العالمان اول شركة جدية لعمل أسمدة نترانية ترجع في النتروجين المستعمل بها الى الجو وذلك في بلدة Notodden عند بحيرة تسمو Tinnjo في بلاد السويد ولقد كان اكبر مساهم في تلك الشركة من الفرنسيين وما لبث الالمان ممثلين في شركتهم الكيماوية الشهيرة "Badische Anilin und Soda Fabrik" ان قاموا ببناء مصانع أخرى في بلاد النروج حيث مساقط المياه وتوليد الكهرباء الرخيصة وقد نظموا العمل تنظيماً دقيقاً جداً فشطروا المصنع الى شطرين أولها خاص بتوليد الطاقة الكهربائية وذلك برأس مال قدرهُ تسعمائة الف جنيه والآخر للاستفادة بتلك الطاقة من الوجهة الكيماوية وذلك برأس مال قدره مليون جنيه . ونحن مطمئنون الى ان خطة هامة كهذه لم تمت بالانتباه المسئولين عن الاستفادة بكهربة الخزان . اما الطريقة العملية في صناعة الاسمدة فتتلخص في المعادلات الكيماوية البسيطة التي يعرفها كل مبتدىء في الكيمياء وهي : —

اولاً — أزوت + اكسجين ←← اكسيد ازوتيك

ثانياً — اكسيد ازوتيك + اكسجين ←← فوق اكسيد ازوتيك

ثالثاً — فوق اكسيد ازوتيك + ماء ←← حامض ازوتيك + اكسيد أزوتيك

والمعادلة الاولى هي معادلة عكسية وناتج الاكسيد الازوتيك يتكوّن مقدار قليل منهُ عند درجة مخصصة من الحرارة ويزداد هذا المقدار بازدياد درجة الحرارة التي تجري عليها العملية وذلك الى حدٍّ ما لانهُ لو ارتفعت الحرارة ارتفاعاً زائداً لتفكك غاز الاكسيد الازوتيك (dissociates). وبعد تجارب عديدة وجد ان درجة (٣٠٠٠) سنتغراد هي الدرجة الملائمة على شرط ان يبرَّد الغاز الناتج الى ٨٠ درجة بسرعة — وأهم الطرق المعروفة في عالم الصناعة وأوسعها هي طريقة بركلاند وأيد وتتلخص في استعمال قطبين من النحاس Copper electrodes لتوليد القوس الكهربائي ذي الحرارة المرتفعة مستمداً قوته الكهربائية من آلات مولدة للكهرباء تدار بواسطة قوة انحدار المياه والمعمة المطبقة من ديناموا يديره تربين . أما اختيار نوع التربين المناسب وتصميمه فيختلف باختلاف الاحوال الخاصة . وهذا من اختصاص المهندس الكهربائي فلا نتعرض بهُ الآن

ولا بدَّ من عمل الترتيب اللازم لكي تجري مياه في داخل هذين القطبين وذلك لاجل التبريد . اما قطر اللهب المتولد فيبلغ احياناً نحو ثلاثة أمتار ويسمع بهُ صفير شديد عند توليده

وأما داخل الفرن الكهربائي فيلبط بآجرّ خاص لمقاومة الحرارة الشديدة ومنهُ يدخل الهواء ليخترق اللهب الكهربائي . ويكون دخول الهواء بواسطة مراوح طاردة تدفعه من أسفل الفرن إلى أعلاه . وفي حائط الفرن قناة أو فتحة لخروج غاز الاكسيد الازوتيك وحرارتهُ ٨٠٠—١٠٠٠ درجة مئوية ومن ثمَّ يمكن الانتفاع بحرارته هذه في المراجل البخارية Steam Boilers وبعد ذلك يمر في انابيب من الالومنيوم تبردها مياه جارية حولها ثم إلى اسطوانات حديدية رأسية مبطنة بآجرّ خاص لمقاومة الاحماض حيث يتأكسد هذا الاكسيد الازوتيك فيتحوّل الى ثاني الاوكسيد ثمَّ يخرج إلى ابراج الامتصاص Absorption Towers وهي عبارة عن ابراج قائمة من الحجارة تبلغ من الارتفاع نحو عشرين متراً في المتوسط وقطرها نحو ستة أمتار وتحتوي على حصى وفخار مكسور ينسكب من فوقه ومن خلاله الماء بحيث في المسكانه غازات ثاني اوكسيد النتروجين بطريقة عكسية وبالاتحاد به نحصل على الحامض النتريك وهو المادة الثمينة في صناعة الاسمدة . وبالطبع ان الحامض الذي نحصل عليه اولاً هو حامض خفيف ولأجل تركيزه نجعله يقابل غازات ثاني اكسيد الازوت ثانياً من أبراج امتصاص اخرى لكي نفوز بحامض اشدّ تركيزاً درجة بعد اخرى ويتم ذلك بالاكثار من عدد الابراج وفقاً لدرجة التركيز المطلوبة . وأما رفع هذا الحامض إلى أعلى البرج لحمله ينسكب ثانياً فيتم بواسطة طلمبات من الالومنيوم لا يؤثر فيها هذا الحامض . وبعد الحصول على حامض قوة تركيزه نحو الستين في المائة يجمع في أحواض من الجرانيت ويعادَل بالجير (كربونات الكلسيوم) ثم بعد التبخير نحصل على املاح نترات الجير وبعد بعد طحنها توضع في براميل من الحديد

لتصديرها إلى البلدان الزراعية التي تشتري منها كل عام بالآلاف المؤلفة من الجنيهات . ومن تلك البلدان مصر بل هي من اهم العملاء

ولقد أدخل المهندسون كثيراً من التحسينات على تلك الافران الكهربائية يطول بنا المجال اذا شرحناها بالتفصيل وانما لا يمكن ان نمر سراعاً بذلك من دون ان ننوه بالمجهود العظيم الذي بذله الدكتور شينهر Schoenherr والهر هسبرجر Hessberger من رجال شركة Badische حيث قد استغنوا عن استعمال المغنطيس الكهربائي المثبت بين قطبي الفرن وعوضاً عن قرص اللهب فانهم يولدون قوساً كهربائياً في داخل اسطوانة من الحديد حيث يمر الهواء وحيث تكون الاسطوانة احد القطبين

وحمولة الفرن الكهربائي الواحد تختلف من الف الى ثلاثة آلاف كيلو وات

الاسمدة النشادرية

لننتقل الآن الى النوع الثاني من الاسمدة التي تشمل نتروجين الجو في تركيبها بشكل نشادر والنشادر كما هو معلوم عبارة عن ذرة من النتروجين متحدة مع ثلاث ذرات من الايدروجين ولكن كيف السبيل الى هذا الاتحاد في المصنع بأقل ما يمكن من النفقة حتى يمكننا ان ننتج سماداً رخيصاً ؟ — هذا هو السؤال الذي شغل افكار رجال الكيمياء الصناعية وقتاً طويلاً . وقد كان الفضل فيه للمرحوم الاستاذ فرتز هابر فتوصل هذا العلامة بمثابرة منقطعة النظير وتعضيد من شركة الباديشه الى حل هذه المعضلة حلاً فنياً مرضياً نال عليه اعجاب العالم اجمع. ان دقائق تلك الصناعة (اي صناعة النشادر) هي سر من الاسرار التجارية . وكل ما يمكن ان نقوله الآن هو ان خليطاً مكوناً من مقدار من الازوت وثلاثة امثاله من الايدروجين يمر ان تحت ضغط مائة وخمسين جواً في أنبوب يحتوي على المادة المنشطة catalyst مضبوطة حرارتها على درجة خمسمائة سنتغراد بواسطة ملف كهربائي Resistance coil ويخرج النشادر الذي يتكون مع الغازات في ماسورة مغمورة بالهواء السائل حيث يتكاثف النشادر ويتحول الى سائل

اما المادة المنشطة او المساعدة للعملية والتي تمر عليها الغازات وقت التفاعل فقد وجدت بعد اختبارات كثيرة انها معدن الاوسميوم Osmium ولكن غلاء هذا العنصر حمل الباحثين على الاستعاضة عنه بمعدن الحديد مضاف اليه ١٠/٠ اوكسيد البوتاسيوم و ١ اوكسيد الالومنيوم . اما النتروجين اللازم في هذه العملية فيحصل عليه بتحويل الهواء الى سائل (وهذه العملية صارت من أسهل العمليات الآن) ثم فصل النتروجين من الاوكسجين معتمدين على ان لكل منهما درجة تبخر خاصة . وعلى ذلك فمصنع النشادر هذا يلزم ان يكون بجواره مصنع آخر لاسالة الهواء وليلاحظ ان تكون النشادر بحسب المعادلة ازوت حجم + ايدروجين ثلاثة احجام = نشادر حجمين

ومن هذه المعادلة نرى ان حجم الغاز الناتج نصف حجم الغازات المستعملة ولذلك اذا طبقنا قاعدة لاشتليه فان النسبة تتم مع استعمال الضغط وقد تجارب عديدة جداً للحصول على أوفق ضغط لاتمام هذه العملية وجد الاستاذ هابر انه تسعمائة ضغط جوي ثم بعد ذلك تمر الغازات التي لم تتحد مرة ثانية وثالثة على المادة المساعدة لكي نحصل على اكبر قدر من المركب الجديد ان الايدروجين المستعمل يمكن الحصول عليه بسهولة من الغاز المائي الذي يتولد من مرور بخار الماء على فحم الكوك المتوهج ثم يمر (اي الغاز المائي) على اكسيد الحديد المحفوظ على درجة ٥٠٠ سنتجراد فنحصل على الايدروجين بعد ذلك

ماء + كربون = هيدروجين + اول اكسيد الكربون
(غاز مائـــي)

وبعد ذلك يتفاعل اول اكسيد الكربون مع بخار الماء (خصوصاً في وجود اكسيد الحديد الذي يكون فقط كنشط لعملية .... — فيتحلل الماء الى ايدروجين ويتأكسد اول اكسيد الكربون الى ثاني اكسيد)

وليلاحظ ان المعادلة الاولى تعطي ٥٠ ٪ ايدروجين و ٤٠ ٪ اول اكسيد الكربون. اما في ايطاليا فانهم يحصلون على الايدروجين الخاص بصناعة النشادر من الحل الكهربائي للماء electrolysis غير ان هذه الطريقة كبيرة النفقة حيث يلزم مائة وارعون كيلووات ساعة K. Watt. Hour من الكهرباء لكل الف قدم مكعبة من الايدروجين — ويوجد بجوار شلالات نياغرا بامريكا شركة تعمل لصودا الكاوية واستخراج الكلور من الماء المالح ومن المعلوم ان حل هذا الماء ينتج ايدروجيناً كمحلول ثانوي By-product وقد استفادت به شركة Mathieson Alkali لتحويله الى نشادر بالاستفادة من ازوت الهواء وقد كان هذه الاستفادة اثر كبير في تخفيض نفقات هذه الشركة ونجاحها نجاحاً كبيراً أثر في رفع قيمة اسهمها

بعد صنع مركب النشادر بهذه الطريقة يمكن امتصاصه بالحامض الكبريتيك لتحويله الى سلفات النشادر أو حسب الطريقة الحديثة تعالجه بواسطة سلفات الكلسيوم وهو الجبس المعتاد وثاني اوكسيد الكربون للحصول على سلفات النشادر وكربونات الكلسيوم وهذا يوفر علينا كثيراً من نفقات الحامض الكبريتيك. كما انه يمكن تحويل النشادر الى الحامض النتريك بأكسدته بواسطة بدفعه فوق شبكة من البلاتين المرفوع لدرجة حرارة تقرب من ٨٠٠ درجة

ومن الحامض النتريك يمكن عمل سماد النترات باضافة محلول الصودا او الجير للحصول على نترات الصودا او نترات الجير وقد سبق الكلام عليه في الطريقة السابقة

الاسمدة السياناميدية

الطريقة الثالثة للاستفادة بازوت الجو هي طريقة عمل سياناميد الجير Ca C N2 وذلك بجعل الازوت الجوي يتحد بكاربور الكلسيوم Ca Carbide عندما تكون درجة الحرارة الف مئوية

كاربور الكلسيوم + ازوت = سياناميد الجير

ومن الوجهة النظرية ان مقدار النسبة المئوية من الازوت في سياناميد الجير يلزم ان تكون ٣٥ ٪ ولكننا نجد انها لا تزيد عن العشرين في المائة عملياً ويسمونه في التجارة باسم نتروليم ...... وفائدة هذا النتروليم هو تحلله في الارض بفعل ماء الري والرطوبة الى كربونات الجير والنشادر . وهذا التحلل يجري ببطء في جوف الارض

ويمكن تقسيم صناعة السياناميد الى قسمين او خطوتين . فالخطوة الاولى هي صناعة كاربور الجير والثانية تحويل هذا الكاربور الى سياناميد وتتم الخطوة الاولى بخلط الجير والفحم الانتراسيت او فحم الكوك معاً في الفرن الكهربائي وقد ذكر النص اننا لا يمكننا انشاء هذه الصناعة بمصر لان الفحم بعيد عنا ولكني ارى اننا لو انجزنا مشروع توليد الكهرباء من الخزان لامداد الافران الكهربائية بالحرارة اللازمة فان عدم وجود الفحم بمصر لا يكون له تأثير كبير . وعندنا شاهد على ذلك المصانع السويدية . فانها لا تستورد الفحم اللازم لصناعة الكاربور من الخارج فحسب ولكنها تستورد أيضاً الجير اللازم ونحن والحمد لله عندنا الجير متيسر جداً وبذلك فاني ارى أن هذه الطريقة يحقق نجاحها بمصر أيضاً . ولا بد من الاشارة هنا إلى ضرورة اختيار أنقى أنواع الجير ووجوب تحليلها تحليلاً كيماوياً قبل استعمالها للتأكد من خلوها من مادة المغنسيوم والالومنا أما الفحم الذي يستعمل فيجب أن لا يكون رماده أكثر من ٥ ٪ من وزنه

ويلزم لكل طن من الكاربور ١٫٧٥ طن حجر جير و٠٫٧٥ طن فحم . وأما الطاقة اللازمة لصنع كل طن من الكاربور فتقرب من نصف كيلووات سنة على فرض أن سنة الادارة هي ٨٤٠٠ ساعة . وأما نفقات المصنع اللازم لكاربور الكلسيوم فيمكن تقديرها بنحو ٢٫٥ — ٣٫٥ جنيه لكل طن في السنة — وأما نفقات المباني فيمكن تقديرها بخمسة وثلاثين إلى خمسين في المائة من مجموع النفقات

لننتقل الآن الى الخطوة الثانية وهي تحويل الكاربور إلى سياناميد وهذه تتلخص في الاستفادة بآزوت الهواء ووضعه فوق الكاربور الموضوع في فرن درجة حرارته غير عالية لجعل التفاعل يأخذ مجراه فقط . وباقي الحرارة يتولد من التفاعل الكيماوي نفسه لان المعادلة التي بها يتولد السياناميد من الكاربور معادلة Exothermal أي تولد الحرارة معها وليلاحظ انه باضافة مواد غريبة الى الفحم مثل الفلورسبار يمكن أن يأخذ التفاعل مجراه على درجات حرارة منخفضة وهذا يوفر في نفقات الوقود

أيها نختار في مصر

إلى هنا قد تكلمنا عن الطرق الثلاث الرئيسية التي يمكن بواسطتها أن نستفيد من أزوت الهواء الجوي مثبته في صناعة الاسمدة والشيء الوحيد الذي بقي بيانه هو أن نبدي رأياً في أي الطرق يكون انجح من غيرها في بلادنا المصرية وخصوصاً بعد عمل مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان

فمن كل ما تقدم يظهر لنا جلياً ان طريقة السيانميد والنشادر تفضل كثيراً على الطريقة التي ذكرناها اولاً اي طريقة القوس الكهربائي واذا كان لنا ان نفضل إحدى الطريقتين الاوليين فاني شخصياً افضل طريقة النشادر وذلك لما تم في هذه الطريقة من التحسين على يد الاستاذ هابر — وحتى في بلاد النرويج حيث استعملت طريقة القوس الكهربائي لمدة ٢٠ سنة قد بدأوا يحصلون عليها طريقة النشادر . وكل المصانع الحديثة هناك وفي المانيا تستعمل هذه الطريقة ايضاً . ولقد باعت السويد من مدة سنين قلائل روسيا بعض مصانع السيانميد واستبدلت بها مصانع للنشادر . كما أن هذه الطريقة تستعمل الآن بنجاح باهر في اليابان وايطاليا ولنا في الدولتين الاخيرتين قدوة حسنة فاولاهما شرقية والاخرى بلاد زراعية لاتختلف عنا كثيراً فنأمل أن يكون لنا منهما مثالٌ نحتذيه بعد اتمام مشروع الخزان أو مشروع القطارة الذي اوقف العمل فيه بعد الاسف لاسباب لا ندريها وانا انتهز هذه الفرصة فنبدي رجاءنا للحكومة أن لا تضن على هذا المشروع بالمال متى سمحت الاحوال الاقتصادية بذلك نفعنا بالفوائد التي تنشأ من وراء انجازه والتي ربما فاقت في نظري كمهندس قبل ان أكون كيماوياً مشروع الخزان خصوصاً واذا اعتبرنا ان الماء الذي يكون في مشروع القطارة بجوار المصانع هو ماء مالح ، و بكلمة أخرى يحتوي على أملاح كلورور الصوديوم

وكلنا يعلم ما لهذا الملح من الشأن في الصناعات الكيمائية المختلفة . وليس خبر تأليف الشركة الانجليزية لاستغلال البحر الميت في فلسطين الملآن بالاملاح عنا ببعيد — هذا كله فضلاً عن ان القوة المأخوذة من مشروع القطارة (والتي تقدر بحساب سعادة حسين بك سري وكيل الاشغال بمائة ألف حصان) هي قوة مستمرة طوال مدة السنة . وفضلاً عن انه يوجد بجوار مشروع القطارة مناجم غنية بالجبس (اي سلفات الكلسيوم) وقد أثبتت المباحث الحديثة امكان الاستفادة بهذه المادة عند تحويل الازوت الجوي الى نشادر ومن ثمّ الى سلفات النشادر من دون نفقات اضافية لشراء الحامض الكبريتيك . لذلك أختم هذه الكلمة آملاً ان ارى حيناً في القريب العاجل أحد مشروعي الكهرباء وقد تحقق حتى تجد البلاد حاجتها من هذه الاسمدة ويتوفر عليها ما تتكبده كل عام من باهظ النفقات

ماذا تريد

الياس قنصل

ماذا تريدُ من الحياةِ وكلّها   لم تبح ـــ متى اردتَ ـــ وصالَها
ارسلتَ دمعك بالشكاةِ فحجّبتْ   عن ناظريك رواءها وجمالَها
انت الذي ترجو من الاحداثِ ان   ترمي مسدّدة اليك نبالَها
فاذا اشاحتْ عن وجهك بوجهها   ورأتْ حقيقتُها ، دعوتَ حبالَها
تعرى الخمائلُ في الخريف من البها   وتشلّ امواج الشتا اوصالَها
وتصدّ عنها اعينٌ ونواظر   كانت تمجّد في الربيع ظلالَها
لكنها تسمو عن الشكوى ، ولا   تقضي الليالي وهي تندب حالَها
هدّمْ حدوداً حول نفسك أُحكمتْ   وابتتْ علائقها وحلّ عقالَها
ان الوجودَ لها اذا نثرتْ على   ارجائهِ يد السخا آمالَها
اي المنى تنساك وهي حبيبها   من نبع نفسك تستقي اوشالَها
فدع التجهّم خالقَ اليأسِ الذي   يبري الخطوب ممدداً اشكالَها
واجعلْ حياتك بالتبسّم جنةً   ترعى ملائكةُ الرجاء جلالَها

عاصمة الارجنتين

عصور الركود

وعصور التغير في حياة الامم

لعبد الرحمن شكري

تظل الامم راكدة في عصور من عصور حياتها ولها في عهد ركودها فضائل ونقائص، ثم يجيء عصر التغير وقد يكون تغيراً يسبق نهضة ولكنه عصر اضطراب على اي حال، ويكون مصحوباً بتفكك القيود الفكرية والخلقية والادبية لدخول مقاييس فكرية وخلقية جديدة ناشئة من اعتناق آراء جديدة ، وتكون الامة في تلك الحالة اشبه بالماء الذي أثار إعصارٌ ما في قاعه من اوشاب فيبدو الماء عكراً

وكذلك الامة تبدو حياتها الخلقية والادبية معكرة في عصر التغير، واخوف ما يخاف هذا الاعتكار على امة اذا لم يكن قد دخلها اثناء عصر ركودها وقبل عصر التغير ، عناصر جديدة مقوية لم تأخذ منها طباعُ وهن نفوس العناصر القديمة ،كل مأخذ فيخشى في هذه الحالة ان تصير نهضتها نهضة مضمحلة محدودة وقد تكون فيها مظاهر جليلة فلا يمنع ذلك من اندثارها، كما حدث لنهضة الاسرة السادسة والعشرين في تاريخ مصر القديم وكما حدث لنهضة (بيوهلوم) في اواخر عهد الحضارة الاغريقية ومثل نهضة الدولة البيزنطية في اواخر العهد الروماني الاغريقي

اما اذا كانت الامة قد دخلتها عناصر جديدة قوية فان ما يصيبها من الاعتكار بالاضطراب لايخاف منه كل الخوف، بل يكون مصيره الاستقرار ومثل ذلك الامم الاوربية في عصر نهضة احياء العلوم فان ما دخل غرب اوربا من الآراء الجديدة اوجد اعتلاجاً واضطراباً كبيراً في حياتها الفكرية والخلقية والفنية ولكن امم غرب اوربا كانت قد اعيد تكوينها بسبب العناصر التوتونية التي دخلتها ولم تكن تلك العناصر قد اوهنتها طباع الوهن الفكري والخلقي التي انتابت

الدولة الرومانية في اواخر ايامها ومن اجل ذلك امكنها ان تصمد لذلك الاضطراب الخلقي والفكري حتى استقر

ولكن هب ان هذا الاضطراب قد حدث قبل دخول التوتون او هب انه جاء متأخراً بعد ان ضعفت العناصر التوتونية وتشعبت بطبائع الوهن الخلقي والنفسي الذي انتاب الرومان في آخر حياتهم، فبعد كان يكون اثر الاضطراب الخلقي ؟ انه كان يكون عاملاً على الفناء لا مدبراً بالرقي . انه كان يكون اشبه بالتبيد يعطى للشيخ الهرم وهو يحتضر كي يقويه ويطيل حياته فلا يزيده الا آلاماً واحتضاراً لان الامة اذا تغلبت عليها العصور وهي مختلة النظم تمكنت منها عوامل الضعف النفسي وانهكتها حتى تكره النظر الى نفسها في مرآة العقل وتصير مثل الرجل من العامة الذي يفضل ان ينتظر القضاء على ان يتعاطى الدواء

***

ولعل القارىء قد وجد بين العامة من يسيء الظن بالطب والاطباء ومن يرى الصحة والشفاء في تجاهل الداء فاذا اضفت الى هذا الضعف النفسي الذي يكون من تركة التاريخ والذي شرحناه في مقال سابق ، اقول اذا اضفت اليه ما يحدث من الاضطراب الخلقي الناشيء من عصر تيسّر تغشى فيه آراء حديثة وحياة جديدة وتتفكك فيه الروادع الخلقية القديمة كانت الفوضى الخلقية اعظم . فاذا اضفت الى هذين العاملين عاملاً ثالثاً وهو تقليل الضغط وازدياد الحرية وما يأتي مع الحرية الجديدة عادة من شطط في الخلق والفكر كان الاضطراب الخلقي اهول فاذا اضفت الى هذه العوامل الثلاثة عاملاً رابعاً وهو ازدحام السكان والتقاتل على المعاش نفسه وما ينشأ عن استحار القتال من استباحة الرذائل والشرور كانت الفوضى الخلقية اتم وأحط لاجتماع هذه الاسباب الاربعة

ولا تستطاع مداواة تلك الفوضى الخلقية الا بعد تقصي الداء والنظر في اعراضه ورغبة المريض في الطب اما اذا اختبأ المريض تحت لحافه وقال انه معافى فانه لا يستطيع ان يصرف المحسوسات بانكارها

وقد تكون مداواة هذه الحالة غير مستطاعة لتمكن صفات الاثرة والتخاذل والتمادي وغيرها من مخلفات التاريخ في النفوس الضعيفة ، ولان هذه العيوب النفسية تظهر بمظهر القوة كما اوضحنا في مقالة تركة التاريخ . وانها كما ذكرنا قوة ولكنها سنة الاستماتة في الطبيعة تلك السنة التي تجعل من كيد الاضعف ومكره واحتياله وكذبه قوة كما قوت الثعلب بهذه الصفات

وكثيراً ما يكون تعدم النهضة الفكرية والفنية في هذه الاوساط اشبه بتقدم المرء في حارات

بقاهرة بقديمة المسدودة التي لا منفذ لها. ولعل أكبر عوامل الخيبة هو عدم المبالاة تلك الحال وقد تنعدم المبالاة في الامور الفكرية والفنية كما تنعدم المبالاة عند مشاهدي حوادث الإجرام من قتل أو سرقة او قذف او وشاية في امثال هذه الاوساط التي يهرب الناس فيها من المبالاة او يبتون الجاني حتى يصير هو المبجل المعظم المهيب المقصود بالمدح المنعوت بالفضائل فتنقلب الاوضاع وتعم الفوضى الخلقية ويصبح اعمال عمال الاحتيال والخداع والرياء وتتغلب هذه الصفات على النفوس وتأخذ منها كل مأخذ حتى تصير كالجدار الذي يسد الحارة التي لا منفذ لها فتعوق تقدم كل نهضة فكرية او فنية

ويلتجيء الناس في هذه الاوساط الى الرياء اما لضرورة كسب الرزق ومجاراة البيئة واما لاخفاء عجزهم عن اصلاح تلك المأساة الخلقية ولظنهم ان اخفاءها يقلل من اثرها في حياة الافراد والامم. والتهرب من مواجهة الحقائق انما هو تهرب من وسائل العلاج وهو كهروب السجين الذي ملّ السجن ممن يريد اطلاق سراحه. وهؤلاء المتهربون حيناً يكيدون لاخصهم ويجنون على ذريتهم لان هذا الاضطراب الخلقي وهذا الانقلاب في الاوضاع سواء أكان قائماً في عصر الركود او ناشئاً بسبب عصر تغير، او انهُ كان في عصر ركود ثم زاده عصر التغير حدة، او انهُ زاد حدةً على حدةٍ بسبب اجتماع العوامل الازمة التي ذكرناها — اذا ترك ولم يعالج كان داء عضالاً اقل آثاره انهُ يجعل حياة الناس أشبه بالحارة المسدودة تعوق تقدم النهضة الفكرية والفنية الاَّ الى مسافة محدودة واعظم شروره انهُ يكون كالجراثيم التي تسلل خفية في جسم المريض الذي اريد اخفاؤه صيانة لهُ

ومن الحكمة ان لا تترك عوامل الاعتلال يستر بها لظهورها بمظهر القوة حتى تصير الحال الى ما وصفنا في حياة الناس قديماً وحديثاً

وقد يختلط الاضطراب الخلقي وانقلاب مقاييسه اذا كان من علامات عصور التأخر واذا كان في عصر تغير ولكن التاريخ يميز بينهما فترى في اواخر عهد الدولة الرومانية مثل هذا الانقلاب في المقاييس وترى انقلاباً في المقاييس في عهد نهضة إحياء العلوم ولكن شتان بين الظاهرتين وشتان بين العهد الروماني الاخير وبين عصر النهضة فقد كان في العهد الاول مجاعة فكرية وخلقية وصحة سطحية في مظاهر الفنون والفكر

اما في عصر نهضة إحياء العلوم فكان الاضطراب الخلقي ناشئاً من تفكك عرى روادع الكنيسة وذهاب ما سنته من التقشف فكان شبيهاً برد الفعل عندما انتشرت دراسة الآداب الاغريقية القديمة وأطلعت لاهل غرب اوربا مظاهر الجمال الفكري والنفسي في المعقولات

والفنون وكل حرية يصحبها شيء من الشطط وهذا الشطط كان فيضاً للفكر والنفس والقوة الحيوية طغى على شاطىء نهر الحياة

وكان الرومان في اواخر عهدهم قد تبدلت أوضاع نفوسهم لاسباب منها فساد النظم الاجتماعية وما كان له من أثر في النفوس وكان الاضطراب الخلقي وانقلاب اوضاعه دليلاً على نضوب حيويتهم اما في عصر النهضة، فان امم غرب اوربا كانت قد دخلتها قبل ذلك عناصر جديدة نشطة لم تصادف من الحوادث الاجتماعية ما يقتل حيويتها واستفادت هذه العناصر من حضارة الرومان ثم جاء عصر النهضة وجاءت معه حرية يصحبها شطط فكان هذا الشطط أشد ظاهرة مما كان عليه الرومان في اواخر عهدهم

على ان الآثام التي كانت في عهد نهضة الاحياء كان اكثرها محصوراً في طبقة خاصة من المترفين والامراء ولا احسب ان آثام الاشراف في قلاعهم في العصور الوسطى كانت اهون من آثام عهد الاحياء

***

وقد كان عصر نهضة الاحياء عصر ايمان بالحياة ومطالب الحياة من فكر وبحث وكشف وفنون واصلاح فاذا وجدت في امة اضطراباً خلقياً واردت أن تعرف الى اي مدى يرجع هذا الاضطراب الى تغير يسبق نهوضاً والى اي مدى هو من علامات عصر التأخر فانظر هل يجد الى جانب الاضطراب الخلقي ايماناً بمطالب الحياة من فكر وبحث وأدب وكشف وفنون وهل اهتمام القوم بهذه المطالب اهتمام إجلال متين وشعور عظيم ام انه اشتغال بها واهتمام بها مصحوب بالصفة السطحية في الفكر والشعور ووراء هذا الاهتمام الظاهر السطحي عدم مبالاة بالحق في كل مظهر من مظاهره النفسية والادبية والفكرية والفنية ووراءه ايضاً الصفات التي تعوق تقدم النهضة فيها مما قد ذكرنا في مقالة «زكاة التاريخ» وهي صفات توجد في كل عصر وانما العبرة بغلبتها. وبقدر تمكنها من النفوس تكون العوائق التي تعوق الحياة الفكرية والنفسية في العلوم والفنون حتى لقد تصير تلك الحياة اشبه بالحارة المسدودة التي لا منفذ لها تتماسكها الى مدى معين ولكن لا تنفذ منها ولا بد ان ترجع القهقرى فيها وتكون تلك الصفات اذا اخذت على النفوس كل مأخذ اشبه بذلك الجدار الذي يسد الطريق وقد يغر المرء ما يجده من مظاهر الحركة والجلبة في تلك الحارة التي لا منفذ لها كما يغره مظاهر الاشتغال بالامور الفكرية والفنية في الاوساط التي تشتد فيها الصفات التي شرحت في مقالة «زكاة التاريخ»

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الدمياطي

— ٩ —

الخَوْخ

معروف شجره وثمره . قال ابو حنيفة الدينوري الخوخ لغة شامية وقال ابن دريد عرب الشام يسمون الخوخ (دُرَّاقِن) وقد تشدد الراء وهو المشهور على الالسنة وهو معرَّب سرياني او رومي او فارسي نقله الجواليقي في معرَّبه وأورده جونسون في معجمه ويقال لهُ بالفارسية (شَفْتَالُو) أو (شفتالود) أو (شفتالوج)

شجرتهُ متوسطة الحجم متساقطة الورق احراؤها الخضراوية حمراء اللون داكنة ملساء ورقتها كالحذاء مستطيلة صغيرة منشارية الحافة . أزهارها حمراء وردية عديمة الاعناق تنشق قبل الأوراق او معها من براعم حرشفية على فروع السنة الماضية اما ثمرتها وهي الخوخة المعروفة فمن الثمار الزيتونية (ذات نواة فيها بذرة) وذات زغب او ملساء ولها غلاف ثخين غض عصاري شديد الحلاوة وهو ما يؤكل منها والنواة توجد غائرة في الغلاف وعلى سطحها شقوق غير منتظمة وبداخلها البذرة ذات فلقتين كبيرتين فالواحدة منها وجه منبسط والآخر محدَّب

اسمهُ العلمي (Prunus persica, Benth. & Hook. fil.) (برونوس برسيقـ) او (Amygdalus persica, L.) (اميغدالوس برسيقا) او (Persica vulgaris, Mill.) (برسيقا ولغاريس) وفصيلته الوردية (Rosaceae) (روزاسية) وبالانجليزية (The Peach tree) وبالفرنسية (Pêcher)

موطنهُ بلاد الصين وكان يزرع بها في القرن العاشر قبل المسيح عليه السلام ثم انتقل منها الى جنوب اوربا في اوائل القرن الاول من الميلاد ويزرع الآن عادة في الهند وافغانستان وغرب آسيا واوربا ومصر. وينمو بريًّا في جبال هملايا وأهميته الانتفاع بثماره في الغذاء وأهل

الهند يستعملون الفلف من شجره طارداً للديدان كما يستعملون خشب الشجر الذي تقادم عليه الزمن ولم يعد يحمل شيئاً من الثمر في المباني وغيرها

المنجو

معروف في العامية المصرية وهو مأخوذ عن الافرنجية أما في الفارسية فيسمى (نغزك) أو (أنبه) وهذا الأخير معرَّبهُ (أنبج)

الشجرة منهُ كبيرة دائمة الاخضرار ملساء ترتفع الى ٦٠ قدماً أو ٧٠ في شمال الهند جذعها مستقيم قد يبلغ طول محيطه ١٥ قدماً . أوراقها خضراء داكنة في ملمس الجلد طول الواحدة منها ٦ بوصات الى ١٢ كثيرة في أطراف الفروع مستطيلة الشكل كالحداء كاملة الحافة او متموّجتها عاماً عنقها منتفخ القاعدة . نورتها من النوع العنقودي كبيرة قائمة مزغّبة قليلاً . زهراتها صفراء ضاربة قوية الرائحة . في النورة الواحدة زهرات تذكير واخرى خنثى . أما الثمرة فيتراوح طولها بين ٢ و٦ بوصات صفراء عند النضج عادة ذات نواة ليفية منبسطة على نوع ما

اسمهُ العلمي Mangifera indica, Lin (مانجيفيرا إنديكا) وفصيلته البُطمية او البلادرية Anacardiaceae) (أنكاردياسيه) وبالانكليزية (The Mango-tree) وبالفرنسية Manguier.

أصل موطنه جزيرة سيلان وانتقل منها الى الهند والآن ينمو بريًّا في غابات بورما وجبال هيمالايا ويسمى النوع البرّي منه (Mangifera sylvatica, Roxb) (مانجيفيرا سيلفاتيكا) وبالانكليزية (Wild Mango) وقد انتشر في بلاد أخرى كثيرة كجزائر ملايا والارخبيل الهندي وجاوى والبرازيل وأفريقية الاستوائية ومصر والسودان

وثمر المنجو غذاء مهم لعدد كبير من اهالي الهند وأنواعه الجيدة هي المطعمة وتكون طرية عصارية لذيذة الطعم عطرية الرائحة تؤكل طازجة او تربّب عند نضجها والفجة منها تخلل او تجفف للصناعة او تقطع شرائح وتجفف وتحفظ . وفي جاوى يحصل منها على نشا والهنود يغلون البذور ويأكلونها في أيام القحط ويداوون بها بعض امراض الرحم وقلف الشجر وورقهُ قابضان يتطبّب بها ويحصل منها على صبغة صفراء تستعمل نادراً . وقد يحصل على صمغ قرمزي اللون من جروح قلف الشجر . ويستعمل الخشب وقوداً لاحراق الموتى وفي نجارة الابواب والشبابيك وبعض القوارب ويتأثر بدبيبات الاوراق

التَّنْضُب

معروف بهذا الاسم في مصر والسودان للأعراب ويقال لهُ في مصر ايضاً (الحَنْفَق) وفي بلدان أخرى (الشدَّاد)

يكون شجيرة او شجرة صغيرة شائكة يندر ان ترتفع الى ٢ قدماً جذعها قائم يتراوح طول محيطه بين ٤ اقدام و ٥ وفي النادر بين ٧ و ٨ وهي عديمة الاغصان عديمة الاوراق على وجه عام فلا تشاهد اوراقها الا على الاغصان الصغيرة فقط بسبب سقوط الاوراق الكبيرة باكراً وهذه الاوراق صغيرة فلا أعناق للواحدة منها في صورة إبرة طولها ٤ ½ سنتيمتر واحياناً تكون مدببة الشكل طولها ١٢ ½ مليمتراً . واذينات اوراقها عبارة عن شوك صفراء و ازهارها حمراء تضرب الى السمرة او قرمزية مجتمعة في نورة مشطية وثمرها كروية الشكل او بيضية في حجم الكريزة الصغيرة حمراء عند النضج تسميها عرب السودان (التنضب)

اسمه العلمي Capparis decidua, Pax (قباريس دسيدوا)

أو (Capparis aphylla, Roth = Sodada decidua, Forsk) (قبارس ابيلا = سودادا دسيدوا) وفصيلته الكبرية Capparidaceae (كپاريداسية)

وهو ينمو في الهند وبلاد العرب ومصر والنوبة والسودان وغيرها وخشبه مرّ الطعم يستعمل في الهند والسند في تجارة السقوف وفي صنع الزوارق ومعاصر الزيت والآلات الزراعية وكوقود لاحراق الآجر (الطوب) في الافران وتؤكل البراعم الزهرية نيئة وتصبر في الخل وتطبخ الثمار النيئة كما يصنع من الثمار الناضجة والفجة نوع من المخلل باضافة ملح وتعلب للتصدير

اما في السودان فعلاوة على اكل اهله الثمار فانهم يستعملون النبات في علاج بعض امراض الجلد والمفاصل

الكَبَر

او (اللَّصَف) محركة لغة في (الأَصَف) الواحدة لَصَفة معروف جداً في مصر والسودان ويسميه أهل العراق (الكَبَر) . أما ثمره فالعرب تسميه (الشَّفَلَّح) وفارسيته (الشفلج) وذلك اذا انشق وتفتح كالبرعومة ويعرف في مصر أيضاً (بشوك الحمار) و (ورد الجبل)

يكون شجيرة قصيرة متفرعة شائكة تفترش او تتسلق أجزاؤها الصغيرة مغطاة بشعر أملس تضرب الى البياض او الخضرة لا يلبث حتى يسقط . اذينات اوراقها صغيرة شائكة معوجة او مستقيمة . أوراقها بيضية الشكل عريضة او شبه مستديرة لحمية على نوع ما مغطاة بغشاء شمعي أبيض ملساء ذات أعناق . أزهارها بيضاء كبيرة جميلة المنظر عرض الواحدة منها ٢ ½ سنتيمتراً الى ٧ ½ توجد فرادى في آباط الاوراق او تكون سنابل جانبية غير مكتظة وفي كل زهرة ٤ سبلات (أوراق الكأس) اثنتان الخارجيتان منها اكبر حجماً من الداخليتين و ٤ بتلات

(أوراق التويج) كبيرة بيضاء وأسدية (وحدات عضو التذكير) عديدة خيوطها طويلة واثيراتها أرجوانية اللون ثمرها بيضية الشكل مستطيلة طولها ١/٢ ٢ سنتيمتر او اكثر ولها عنق متين ينثني الى أسفل عند النضج وتنفتح الى ثلاثة مصاريع او اربعة حمراء اللون قانية من الداخل

اسمهُ العلمي (Capparis spinosa, L.) (قباريس اسبينوزا)

أو (Capparis ovata or Capparis aegyptiaca, Lam.) (قباريس اوفواتا او قباريس اجيبتاكا) وفصيلتهُ الكبرية او القبَّارية (Capparidaceae) (قباريداسية) وبالانكليزية (Common Caper-tree, The Caper-Bush) وبالفرنسية (Caprier commun)

وقد جاء في بعض المراجع ان اسم (Capparis) (قباريس) المشتق من (كَبَـر) (Kapar) اسم النبات العربيّ كما وان اليونانيين اشتقوا منهُ أيضاً اسم (Kapparis) وهو يكثر في جنوب اوربا وشمال إفريقية وغرب آسيا وجنوبها وشمال استراليا والهند والسودان ومصر ينمو على الصخور والطلول خاصة ويزرع في الحدائق لجمال أزهاره وأغصانه الخضراء الطويلة كما يزرع لبراعمه الزهرية (caper buds) في جزيرة صقلية وفي البساتين بضواحي مدينة طولون بجنوب فرنسا بين شجر التين والزيتون ويربى في ضواحي باريس على الجدران المنخفضة فاذا جاء الشتاء رقِّدت أغصانه وغطيت بالتراب لوقايتها من الصقيع

والكبر مرغوب فيه في انحاء أوربا لحصول على الكبر الاوربي (Capers of Europe) المعروف في التجارة كما وان المعز والاغنام تحب أكل أوراقه وثماره الناضجة . وفي ايطاليا تُخلَّل الثمار الفجَّة الصغيرة والبراعم الزهرية من الكبر وتحفظ في الخل فان كليهما يكون عادةً لذاعاً كاوياً قبل ذلك . وفي جزائر بحر الروم وبالقرب من مدينة طولون تجنى البراعم الزهرية مباشرةً قبل بدء تفتحها وانتعاشها في كل يوم مدى ستة شهور ذلك لان هذا النبات يستمر يأخذ في الإزهار فلا ينتفع ببراعمه في صنع تلك المخللات وطريقة ذلك هي ان توضع البراعم في براميل بمجرد جنيها ويضاف اليها ملح وخل بحيث يغمرها وكلما زيدت البراعم في البراميل زيد مقدار الخل وعند انتهاء فصل جني الكبر يفرغ ما في البراميل ثم تفرز البراعم حسب حجمها ولونها وأحسنها ما كان صغير الحجم شديد الخضرة ثم توضع البراعم بعد ذلك في براميل صغيرة او زجاجات مع خل طازج للاتجار فيها وبذلك تبقى صالحة للاستعمال في الاكل خمس سنين او ست والعنصر الكيماوي الموجود فيها يسمى (rutin) (روتين)

ويوجد نوع آخر من الكبر اسمه العلمي (Capparis galeata, Fres.) (قباريس جالياتا) وهو كثير الشبه بالسابق ينمو في وسط إفريقية وبلاد العرب وغرب الهند والسودان ومصر ومنافعه كالسابق

مقتل فيلبس

لاسماعيل مظهر

— ١ —

« مشهد حجرة الملكة أوليمبياس زوج الملك فيلبس المقدوني، تحدثه لمحة . حجرة مطلة على حديقة القصر والوقت ليلاً و يسمع همس نسمة من خلال الأشجار الملتفة والسكون سائد كل الأرجاء ، اللهم الا حفيف الأشجار ، اذ هبت عليها نسمات من ناحية البحر »

الملكة أوليمباس ، وابنها الاسكندر في خريف سنة ٣٣٦ ق . م .

أوليمباس — أأنت شجاع يا بنيّ ؟
الاسكندر — إلاّ عليك يا أماه

. . . كيف أراك اليوم صامتة واجمة ، وفي عينيك دمعة حائرة .
ليت شعري أتلك دمعة الحزن ، أم دمعة الألم ، أم دمعة القسوة والانتقام ؟ أدمعة الشهوة الى السماء هي ، أم دمعة الفرح بنبإ عن أبي وغزوات جيشه في في ميدان الشرق ؟

. . . لماذا انت صامتة كتمثال فينوس ؟ إنما هو صمت ينم على تعابير لم أعهدها من قبل . ان ما يمرح به دمعك من معاني النحس ، يذهب بكل الانوار المنبعثة من قلبك

. . . تكلمي يا أماه بوحي شجونك لابنك . . . ولي عهد مقدونيا ووارث فيلبس العظيم . . . ابنك الملك غير المتوّج اليوم ، والذي سيكون يوماً من الايام سيد هذه البلاد . . . وسيد إفريقية السوداء . . . . وممالك فارس . . . . . وآسيا جميعاً

أولمبياس — ... يعبث بآمالك ويبدد أحلامك . ما أخشى أن تعتز أراءه فتنت وتحرمك شجاعتك

الاسكندر — أي ما يا أماه ذلك النبأ العظيم ؟ أظهر المذنب في شرقي الأفق ينذر بخراب هذه الديار ، أم مات القائد «برمنيون» ساعد أبي الأيمن ؟ أم أن «هفستيون» زميلي ، أم قضي على «بطليموس بن لاجوس» ، أقرب شباب مقدونيا من قلبي وأرحم من عيني ؟

.. . إن صمتك أليم يا أماه ! أن هدوءك وحيرتك وغضبك .. وظهور جماع ما فيك من صفات فذة في الصورة التي تلابس ملامحك في هذه اللحظة ، يكاد يذهب عقلي !

. . . تكلمي ! . قولي أخيراً — هل قتل «برديقاس» في المعركة الاخيرة ؟ بل خبريني أقتل أبي ؟

أولمبياس — أبوك ! . أتذكر أباك وتخشى عليه الموت ؟ بل اخشَ الموت أن يكون من نصيبك ؟ واخشَ الطرد والحرمان . واخشَ ان تصبح أفاقاً ، تطوي الاقطار مرتزقاً . إنما نسبتك إن كنت من سلالة الملوك ، وإنما عيبك إن كنت من سلالة الصعاليك والدهماء

. انك يا بني ما تزال صغير السن ، قليل الخبرة بالحياة ولكن .

الاسكندر — ولكن مهلاً يا أماه . ولكن قولي أحرمني أبي من وراثة عرشه ؟ أم تخبريني أني ابن «زفس — أمون» ؟ وأني سوف أملك مشرق الشمس ومغربها !

أولمبياس — (مقاطعة) أم أنهيك من قبل ان تكتم هذا السر وان تغفل أبوة فيلبس ، حتى يحين الوقت الذي تعلن فيه ابوة الآلهة ؟

. . . . يا لك من أحمق

الاسكندر — لئن كان أبي قد حرمني .. . فلا تنسيّ ان «بطليموس» قريب ، وأن سحره رهيب شديد

أولمبياس — ان فيلبس اذا لم يكن قد حرمك من وراثة عرشه ، فانه يكاد يفعل

الاسكندر — اوهام تغذيك بها اوهامك ، وأضاليل ينقلها اليك ذلك العبد الافريقي !

أولمبياس — اتذكر الاوهام والاضاليل ايها الفتى ، وأبوك يتهمني بالخيانة ، توطئة لطردي من قصره الملكي ، ليتزوج من كليوبطرا

الاسكندر — كليوبطرا ! ابنة أخ أطالوس ! . . . ولكن اي جديد في هذا ! لقد

تزوج أبي من نساء كثيرات قبل اليوم فهل يبيع وارث عرشه من اجل امرأة جديدة يتزوجها ؟

اولمپياس — أغاب عنك ان أباك رجل متردد كثير الشك ، قليل الثبات على عقيدة ؟ هو لا يبيع الاسكندر من اجل امرأة ، وانما يبيعه من أجل ولد جديد يرزقه من زوجة جديدة تفصل امك جمالاً وشباباً وفتنة ! نعم . انه يضحي بك من أجل ولد يرزقه من كليوبطرا الفاتنة . . . . . ولد من صلبه ، لا ولد يهبهُ له « زفس — آمون » . وانت تعرف فوق ذلك ، ومن حوادث وقعت بين جدران هذا القصر الملكي أن أطالوس . . .

الاسكندر — لئيم غادر

اولمپياس — وشيء آخر فوق انهُ لئيم ، وفوق انه غادر

الاسكندر — وانه رغب في ان يكون عظيماً في هذه الديار ، وان يقصي عن ابي خلصاءه : فرمنيون وبرذقاس و

اولمپياس — لقد قربت ان تفهم الحقيقة . . . . زد الى هذا شيئاً آخر

الاسكندر — أيطمع في ان يكون قائد مقدونيا الاعظم ؟

اولمپياس — وشيء فوق هذا . . . .

الاسكندر — أيتطلع ان يرسله أبي على رأس الجيش المعد لغزو بلاد فارس . . . وقد يساعده الحظ ، فينشيء قيصرية شرقية تنابذ مقدونيا ؟ . .

اولمپياس — وشيء آخر فوق هذا !

الاسكندر — شيء آخر ... لم يبق إذن الا عرش مقدونيا نفسه

اولمپياس — ذلك هو مطمعه . . ، تلك هي أمنيته . . . ذاك هو أمله ومناه . حياتك عقبة في سبيله ، وأصدقاؤك هفسطيون وبطليوس وسليوقوس وأنطيوخس اعداؤه . وهو اشد عداوة لصديقك النبيل بوزانياس ، زهرة شباب مقدونيا وأنبل نبلائها ، منه الى الاولين

هذا هو النبأ الذي استودعك سرّه . فكن شجاعاً يا بنيّ ، وتلقّ الحوادث قوي القلب ثابت الجنان

الاسكندر — كما عهدتني يا أماه . . . . ولكن هدوء نفسك ، وسكون جأشك ، يحملاني أشك في صحة هذا السر الذي تفضين به إليّ ولولا دموعك ، اذن لكنت الى الشك فيه اقرب مني الى اليقين به

وأخذ يمشي في القاعة ذهاباً وجيئة ، ويده اليمنى على مقبض خنجره ، وقد تدلت جدائل شعره الأسود على عنقه كمعي الحبل

... — اذن عرشي وتراث آبائي في خطر . ذلك القائد اطلوس يتطلع إلى عرش أبي كلا ان مقدونيا لن يحكمها الا الاسكندر وحده . أما أطالوس فلن يصل الى عرشه على امرأة يقدمها لابي ذبيحة لاغراضه وضحية لمراميه ... ترى الأم بالخيانة إرضاء لشهوات مستمرة ، وتلتقي الآن بين انياب المطامع الدنيوية ، وانت غارق في بحر من الأوهام التي يحيك شكها من حولك رجال انت لهم آمن ، وبهم واثق ثقة العقل والصدق

وكانت أمه أولمبياس ترمقه معجبة بتؤدته ورصانته التي لم تكن الا ظاهرة تخفي وراءها النار المتأججة في صدره ، والثورة الخبيئة التي تكمن في أعصابه

الاسكندر — الى الملتقى يا أماه

اولمبياس — في حراسة زفس ... وبإرادة الاله المريخ

الاسكندر — سيكون لي ملك الدنيا

في حديقة القصر الملكي — الاسكندر وفوزنياس

الاسكندر — لقد طاش سهمك يا فوزنياس لم أعهد فيك من قبل ان تخور عزيمتك فيرتعش القوس في يدك ويضل السهم مرماه

فوزنياس — هذا شذوذ لا يقاس عليه . ألم يخبرنا ارسطوطاليس أن القياس يكون مع الكثرة لا مع الشذوذ ؟

الاسكندر — صه ... دعنا الآن من ذكر ارسطوطاليس انما نحن في موقف لا يجب ان ننبه فيه العقل والمنطق انما نريد ان نوقظ الارادة ونحرك الشهوات

صوب يا فوزنياس مرة أخرى صوب نحو القلب وارم السهم بيد ثابتة . كن شجاعاً ولا تخش أن يصيب سهمك قلب انك انما هي ثيابه المعلقة على جذع الشجرة

فوزنياس — رباه يا مولاي خبرني ؟ ما الذي حملك على أن تأتي بثياب جلالة الملك وتجعلها من فوق الشجرة هدفاً لسهامنا هذا الصباح ؟ إني لأرى ان في ذلك جرأة على حرمة جلالته ليس من حقك ان تنتهكها، وان تدعو شاباً مثلي الى مشاركتك في هذا الانتهاك الوبيل

ليت شعري ما يكون مصيرنا لو ان جلالة الملك يعلم بسّتنا هذا ؟ اني اشك في أنه يغفر لنا هذه الزلة ؟ أما مصيري فاني — وأما مصيرك . . . . .

الاسكندر — فالحرمان والطرد

فوزياس — يا للآلهة . . . . الحرمان . . . الطرد ! أيحرم وريث عرش مقدونيا من وراثة عرش أبيه العظيم تلقاء عبث ، هو من عبث الشباب أهون ضروب العبث ؟

الاسكندر — ارم السهم أيها النبيل . . صوّب بتؤدة ، فإن السهم يجب أن يخترق القلب ، يجب أن يخترق الصميم ، وان يسيل الدم كفارة عن ذنوب الحياة

قف هنا — قدم رجلك اليسرى قليلاً ، وأحن ركبة رجلك اليمنى وثبتها في الارض ، واقبض على القوس بيدك اليسرى واستوثق ، وشد الوتر بقوة وصلابة بيدك اليمنى ، وصوّب . . . .

***

. . . . . . ولم يكد الاسكندر يتم كلامه حتى خرج السهم من قوس فوزياس يئز أزيزاً ، وأهوى نحو الصدر فاخترق الثياب وغاب في جذع الشجرة إلى دون النصاب

والتفت فوزياس إلى الاسكندر ليرى أثر ذلك في نفسه فألفاه مطرقاً غارقاً في تيه من الافكار ، وقد اعتمد على القوس الذي بيده خشية أن يسقط ، والقى جعبة السهام ناحية

***

فوزياس — ما انتابك يامولاي ؟ أتشكو ألماً — أبك من سوء

الاسكندر — كلا أيها السيد — كلا أيها الصديق النبيل . . إنما شعرت بأن السهم اخترق قلبي على ثياب أبي . . . . عجل يافوزياس واتبعني

في ردهة القصر الكبرى

فوزياس — ما هذه الاحجية يامولاي ؟ ما الذي يحملك على أن تجعل ثياب الملك غرضاً لسهامي وحدي ؟ أنك لم تصوّب اليها مرة واحدة ثم أمرتني بأن أصوّب نحوها فأخطأت مرة وأصبت أخرى . . . . ثم امرت بأن أحضر الثياب وأتبعك . . . . إلى هنا . الى ردهة القصر الكبرى

بحق زيوس يامولاي لا تستسلم للتعب ، ولا تجعل عقلك نهباً للشهوات....

أيمثل هذا الاحتقار ترمى ثياب الملك فيلبس . . . . ثم يركلها ويثب العرش مقدمه . ان في ذلك لدلالة على ان عواصف الغدر تتجمع في جو مقدونيا

الاسكندر — عواصف هوج يا فورياس . بل ثورات وأعاصير . كيف لا وعرش مقدونيا يرجف تحت قدمي أطالوس

فورياس — أطالوس . . . . وأين سهامي ، وأين خنجري وساعدي . يا له من لئيم أطالوس الماكر الذي يتطلع إلى عرش مقدونيا

لا يا مولاي . لا تذهب مع الحدس إلى هذه النهاية . إن أطالوس أضعف من أن يتطلع إلى العرش . إن قلبه سيهد فرقاً ، وينقد يرقاً ، إن هو فكر في هذا الامر . ناهيك بأن يقدم على العمل له

لا يامولاي . لو أنك ذكرت ترميسيون أو برديقاس ، إذن لسكنا إلى تصديق لتساؤلك . فان ترميسيون فيه طمع ، وبرديقاس فيه عنف . والانسان في هذه الدنيا إما طمعه وإما عنفه . وأطالوس ليس فيه إلا النفاق وهو من صفات الحمقى والجهلاء

الاسكندر — بل الحمق والسفه ، إن استتانا بالمرأة تختلب لب رجل واهي الارادة متقلب الاهواء مزعزع النفس مجزأ الروح ، زودا أطالوس بسلاح مرهف رهيب . ولئن كان في جعبتك سهاماً ، وفي يدك خنجراً ، فان في يد أطالوس كليوبطرا ابنة أخيه

فورياس — كدت أدرك الحقيقة يا مولاي . إذن لقد صدق حدسك . إني أعلمك أن تكون من العاملين . . . كليوبطرا تحمل اوليماس ، وولدها يحمل الاسكندر بعد ان تمزق الاسكندر خناجر أطالوس وشيعته . لا وحق زفس . فان دمي ثمن إما لعرش فيلبس ، وإما لعرش الاسكندر

الاسكندر — سرعان ما نسيت يا فورياس . ما أضعف ذاكرتك

فورياس — لم أنس من شيء يا مولاي . لم أنس ان سيف أطالوس محدود ماض ، وان يده قوية باطشة عند ارادة الشر ، وان أعوانه اشد منه بطشاً وأبعد منه صبراً في انتظار الفريسة . لم انس يا مولاي ان حقد أطالوس وطمعه وجشعه وتطلعه الى عرش أبيك ، كلها عوامل تورى في صدره نيران الحقد والتعصب ، فتجعل سلاحه اشد فتكاً ، وأرهف مراً

الاسكندر — كلا . لقد نسيت ان « نقطانيبو » آخر ملوك الفراعنة الذي طرده الفرس من بلاده وأكبر السحرة في تلك البلاد العجيبة المحوطة بالاسرار ، هو الذي وهبني بسحره

لأمي أولمبياس ، وكانت قد شكت اليه ان آلهة الاغريق الذين يحكمون شطر هذا العالم الدموي ، قد صدوها في صحراء النقم الجديدة . فوعدها بأن يزورها « زفس — آمون » متمسخاً في صورة ثعبان فيحبو لها ويحيي في الوقت نفسه ملك الارض . فلما حملت بي شق على أبي ان يكون مني قد حملت بي بغياً ، فتجلى له « زفس — آمون » بالصورة التي تجلى بها لامي ، وقص عليه قصتها وقصتي

فلست يا فورياس كما تعلم سليل ملوك الارض ، وانما انا سليل آلهة السماء سليل اولئك الذين يرلون جبل أولمبوس الأعلى ويشرعون بسلطانهم الأبدي على تقدير ما يقع في هذا العالم من أحداث . فلا خناجر أطالوس وشيعته ولا حقد كليوبطرا وفتنتها ، ولا تردد فيلبس بمجرد عنهم شيئاً . فان أبي الأبدي يرعاني بعين لا تنام ، والقدر يهيء لي سبيل السيادة على هذه الدنيا وسوف اضرب فيها حتى ابلغ مجمع البحرين ، او مطلع الشمس

« اذهب يا سليل سلالة معدونيا وفخر شبابها ، ولتكن يدك قوية ثابتة ، وسلاحك ثأراً مرهفاً ، واغمد خنجرك ، اما في صدر اطالوس ، واما في صدر فيلبس . وايهما احدث فذلك حلال

أنا هنا معطابيو وروح « زفس — آمون » آمرك بأن تنفذ وعليك ان تصدع بالامر

فورياس — (راكعاً امام الاسكندر) سمعاً وطاعة يا ابن السماء

الاسكندر — هيء نفسك للساعة الرهيبة واشحذ خنجرك . وخذ من عرب سيفك ، ورود من عناية الخلد التي تنتظرك تحت لوائي على ضفاف النيل ، ومن فوق هضاب آسيا ، شجاعة تسدد خطواتك وتثبت فؤادك

وكما بي آمرك بأن تمثل بصرامة تجهز لها أوامر ملوك ، سأحميك سبيل النجاة من شيعة أطالوس ، ومن سيف برد فاس ، وخنجر ومنيون ، وتراتيم قواد جيش أبي

سأملي عليك الخطابة التي استمدها من أبي الأبدي معي ، فسك ، وانتظر الامر الاخير

فورياس — إني في غير حاجة لان أتبنا يا مولاي فلست في ساعة اشجع مني في اخرى ولا اخلاصي لك مأنت في آونة منه في غيرها . فاعا لك الامر وعلي الطاعة

الاسكندر — إنما تنبري للمجد والرفعة وخلود الذكر في سبيل معدونيا

فورياس — لبيك . لبيك . يا سليل آلهة اولمبوس [لها تتمة]

النور والاضاءة

٢ — عيار الضوء

للدكتور الياس صليبي

﴿ عيار الضوء الكروي او اللومن Lumen ﴾ ظهر مما تقدم ان متوسط قوة الضوء الصادر من مصباح الى الجهات المختلفة لا ينطبق على ما يصدره هذا المصباح الى كل جهة على حدة لانه لا يحدث ان يشع المصباح مقداراً واحداً من الضوء الى جميع الجهات وهذا الاختلاف يحول بيننا وبين معرفة مجموع الاشعاع مع ما لمعرفته من الشأن في الاضاءة. ولكن لنفرض اننا صنعنا مصباحاً قوته شمعة واحدة ويشع قدراً واحداً من الضوء الى جميع الجهات ووضعناه في مركز كرة محورها متر واحد فكل نقطة من هذه الكرة يصلها نور قوته شمعة واذا فتحنا في سطح هذه الكرة نافذة مساحتها متر مربع صدر منها قدر من مجموع الاشعاع الضوئي يمكننا ان نعتبره عيار الاشعاع الكروي ويعرف باللومن وقد نتساءل حينئذٍ كم هو مجموع الاشعاع الضوئي الصادر من هذا المصباح والجواب أنه ١٢٫٥٦ من اللومن لان مساحة سطح الكرة التي محورها متر واحد هو ١٢ متراً مربعاً و ٠٫٥٦ من المتر المربع

***

﴿ عيار الاضاءة او اللوكس Lux ﴾ لا يظهر لعيارات قوة الضوء ولا عيار الضوء الكروي فائدة عملية قاطعة لان الغاية من المصباح ليست أن يضيء نوره كل النواحي وانما الغاية ان يضيء لنا مساحة معينة على مكتبنا مثلا او على شيء ننظر اليه وبعبارة ثانية على جزء صغير من سطح الكرة التي يسقط عليها نوره هذا من حيث عيارات قوة الضوء. اما من حيث عيار الضوء الكروي فلا يحدث ابداً أن يكون السطح المنار جزءاً من كرة يسقط على المتر المربع منه ١٠ أو ١٠٠ «لومن» بل هو غالباً سطح مستو تثيره اشعة منحرفة او هو شيء مختلف النواحي لا يمكن ان تنار كل اجزائه بنفس القوة فليس للومن اذاً فائدة عملية في هذه الاحوال لان ما يهمنا

معرفته هو كما تقدم قدر النور التام الذي يضيء سطحاً معيناً ولذلك كان لا بدّ لنا من استنباط عيار يفي بهذا الغرض وهذا العيار هو اللوكس

لنضع سطحاً مستوياً على مسافة متر من مصباح قوته شمعة عشرية فالنور الذي يصل إلى هذا السطح لا تكون قوته شمعة كاملة الا في نقطة واحدة وهي التي تسقط عليها اشعة المصباح سقوطاً عمودياً فقدر الضوء الذي ينير هذه النقطة هو اللوكس

ولا يمكننا بغير جهاز خاص ان ندرك ما يمثله اللوكس الا بصعوبة ذلك لأن تأثيره في العين يختلف باختلاف لون السطح المنار ولمعانه فمثلاً اذا أنرت سطحين احدهما كمد والآخر لامع بمصباح واحد ظهر الاول أقلّ اضاءة لامتصاصه جانباً من النور الذي يسقط عليه

على ان اللوكس هو عيار الاضاءة العملي وله مقياس خاص يعرف باللوكسيمتر سنصفه فيما يلي وهذا المقياس يدل على عدد اللوكسات التي تضيء شيئاً معيناً وريثما كيف تتغير الاضاءة وفقاً لقوة المصباح والمسافة التي بينهُ وبين الشيء المنار . فاننا اذا نظرنا الى شكل ١ وجدنا مصباحاً قوتهُ شمعة (م) ينير بقوة لوكس سطحاً في نقطة (ا) مساحتهُ متر مربع وبعده عن المصباح متر واحد ولكن اذا ابعدنا هذا السطح الى مترين يصبح في نقطة (ب) وتصير قوة انارته ربع ما كانت في نقطة (ا) لان مجموع الاشعة التي كانت تسقط كلها عليه في نقطة (ا) تنتشر في نقطة (ب) على مسطح مساحته ٤ امتار مربعة واذا ابعدنا السطح الى ٣ أمتار اي الى نقطة (ج) وجدنا ان الاشعة المذكورة تنتشر هناك على ٩ امتار مربعة وان قوة انارة السطح تصبح تسع ما كانت في نقطة (ا) وهكذا نصل الى قاعدة طبيعية يجب ان نحسب لها حساباً كلما اردنا ان نضيء مكاناً وهي ان قوة الاضاءة تنقص كمربع المسافة

***

﴿ مقياس الضوء او الفوتومتر photometer ﴾ تُقاس قوة الضوء لمعرفة ما تبلغهُ من عدد الشموع بمقياس خاص يعرف بالفوتومتر صنعت منهُ انواع عديدة بعضها دقيق جداً كفوتومتر بونسن. وكان المشتغلون بفن الاضاءة يكتفون أولاً بتعيين قوة النور المنبعث أفقياً من نقطة واحدة من المصباح ثم صاروا يحسبون متوسط القوة المنبثة أفقياً من نقط عديدة منهُ ثم بدأوا زيادة في التدقيق يبيّنون المتوسط العمودي ايضاً وهم الآن يقيسون قوة المصباح بتعيين قوة اشعاعه في نقط محصورة عمودياً وافقياً وذلك بان يرسموا على ورقة نصف دائرة منها أشعة يبعد كلٌّ منها عن الآخر ١٠ او ١٥ درجة ويقيدوا على كلٍّ من هذه الاشعة القوة التي اظهرها قياس الضوء في اتجاهه ثم يُمَدّ بين جميع النقط خطٌّ منحنٍ هو رسم لقوة الضوء في سطح مخصوص

وبواسطة هذه الخطوط يبيّن صانعو المصابيح قوّتها ويدرسون التحسينات التي تدخلها عليها الاجهزة التي تغيّر اتجاه النور كما كساته وناشراته reflecteurs et diffuseurs

***

(مقياس الاضاءة او اللوكسمتر Luxmètre) اخترع بلوندل عدة مقاييس الضوء المذكور آنفاً مقياساً يعرف به مجموع الاشعاع الضوئي الصادر من المصباح يسمّى «لومنمتر» ومقياساً آخر لمعرفة عدد اللوكسات التي تسقط على سطح منار يعرف باللوكسمتر وكل هذه المقاييس دقيقة جداً وقد صنعت شركة المصابيح الفرنسية لوكسمتراً سهل الاستعمال يمكن حمله بسهولة واليك وصفه كما تراهُ في شكل ٢

علبة صغيرة طولها اكثر من عرضها تقفل من الاعلى بلوح من زجاج تغطيه طبقتان من الورق الاولى كثيفة وفيها صف من الثقوب المستديرة والثانية شفافة . وفي داخل العلبة مصباح متوهّج تشعله بطارية من بطاريات الجيب ويوضع هذا المصباح في الطرف الايمن فينير الثقوب المجاورة لهُ بشدّة وينير الثقوب التي الى اليسار بضعف تدريجي فاذا وضعنا هذا المقياس على مكتب ينيره مصباح معلق في السقف مثلاً اصطدم مقدار الضوء الذي يسقط من هذا المصباح على ثقوب المقياس بمقدار الضوء الذي يصدر عن المصباح الموضوع في داخل العلبة فينتج عن ذلك ان الثقوب التي الى اليسار اي التي يصلها أقل قدر من الضوء تبدو مظلمة فيما تبقى الثقوب التي الى اليمين مضاءة ونشاهد حينئذٍ درجات من الاضاءة تمتدّ من المظلم الى المنار مارّة بين هذين الطرفين بجميع درجات الاضاءة ولكن أحد الثقوب يصله مقدار واحد من الضوء من الاعلى والاسفل اي من المصباحين فهذا الثقب يختلط بشفوف لوح الزجاج ويدل على عدد اللوكسات التي تسقط من المصباح المعلق على المكتب

اما لوكسمتر بلوندل الذي ذكرناه آنفاً فقد اخرجتهُ شركة هلوفن وهو دقيق جداً وخفيف يسهل نقله ويبيّن بالضبط قوّة الاضاءة في كل نقطة داخل الابنية او في الخلاء ومقدار النور الساقط على شيء معين سواء أكان النور ابيض او ملوناً وسواء أكان ضعيفاً لا تزيد قوّته على جزء من مائة من الشمعة الواحدة او باهراً لا تنقص قوتهُ عن عشرة آلاف شمعة ولا عيب فيه سوى ارتفاع ثمنه وتحسن الاستعانة باللوكسمتر في المدرسة لمعرفة مقدار الاضاءة في الحجرات المختلفة وفي كل ناحية من هذه الحجرات بالتدقيق لتخصيص كل حجرة للغرض الذي يتفق مع مقدار انارتها ثم لتعليق الالواح الخشبية ووضع مكاتب التلامذة في أشدّ الاماكن انارة داخل هذه الحجيرات

هيلفيتيوس وكنت

وأثرهما في فن التربية

لحسن كامل

(هيلفيتيوس (١٧١٥—١٧٧١)) . وضع هيلفيتيوس كتاباً ضخماً عنوانه « الانسان وتربيته وملكاته الفكرية » . وقد قضى خمسة عشر عاماً في كتابته ولم يظهر هذا الكتاب الا بعد موته في عام ١٧٧٢ . والحقيقة ان المؤلف لم يتناول بالبحث مسائل التربية الا في الفصلين الاول والاخير من هذا الكتاب . اما باقي الكتاب فهو دراسة لمبادىء فلسفية كالمساواة الفكرية بين الناس وتأثير القوانين في سعادة الشعوب وما الى ذلك من الشؤون الفلسفية

(أثر التربية) يقول هيلفيتيوس « ان أثر التربية كبير في تكوين الافراد بل هي سبب كل ما يوجد من فروق بين عقول بعضهم وعقول البعض الآخر وان عقل الطفل كصفحة فارغة بل شيء غير محدود ليس له استعداد خاص وان التأثيرات المحسوسة هي التي تكوّن الذكاء، وعلى ذلك فاهم الاشياء هو ما نكتسبه بواسطة الحواس التي هي في الواقع اهم ما في الانسان ». ويقول ايضاً « ان التأثيرات المحسوسة هي جوهر الطبيعة الانسانية » . ولما كانت هذه التأثيرات تختلف باختلاف الظروف فان هيلفيتيوس يستنتج ان تكوين العقول والاخلاق متوقف على الصدفة ويعتقد انهُ من المستطاع ان نكون رجالاً نابغين او على الاقل ذوي مواهب خارقة . وانهُ لتحقيق هذا الغرض يكفي ان نلاحظ بدقة الوسائل التي تستخدمها الصدفة لاخراج رجال العظماء . فاذا عرفنا هذه الوسائل لم يبقَ علينا الا ان نستخدمها لنصل إلى النتيجة نفسها . ويؤكد هيلفيتيوس ان غرابة هذا الرأي لا تتعارض تماماً مع صحته . ويضيف الى ذلك قوله « ان النوع ثمرة من ثمرات الصدفة » ويروي كثيرة من الرجال المعروفين كثيري العدد ليس الا ثمرة من تحف الصدفة »

(ديدرو ينقد هذه الآراء) وقد نقد ديدرو آراء هيلفيتيوس فاعاد الى طبيعة الانسان وميوله التي تولد معهُ مالها من تأثير في تكوين الخلق فالواقع انهُ على الرغم من كل ما يقال عن اثر التربية فهي لا تستطيع ان تخلق الميل خلقاً او تحل محل الطبيعة وغاية الامر — كما يقول احد علماء

التربية — هي ان التربية الحسنة ترفع مستوى التفكير بينما تهبط به التربية السيئة فيختنق ويضمحل

ومهما يكن من أمر فان هلفتيوس لم يجد من يؤيد رأيه الذي يعتوره الخطأ من كل ناحية. ذلك الرأي القائل بان ارضاء الاحساس الجثماني هو اساس كل تربية فكرية او خلقية

« كَنْت » (١٧٢٤ — ١٨٠٤) — كان لكنت اكبر الأثر في اتساع نطاق الفلسفة وإن من حسن طالع التربية ان هذا المفكر الكبير خصص جانباً من وقته لبحث مسائلها وقد ساعدته احوال كثيرة على الاهتمام بالتربية فقد كان شديد الاعجاب بروسو فقرأ كتابه «أميل» بعناية تامة وشغف كبير ثم إن تربيته الدينية في كنيسة ورعة اوحت اليه بآراء خاصة عن هذا النوع من التربية كما انه اكتسب خبرة كبيرة من اضطلاعه بتربية ابناء بعض الاسر واخيراً فقد كانت دراساته العميقة للطبيعة الانسانية والفلسفة الخلقية العالية عاملاً من عوامل تهيئته لبحث مسائل التربية

وقد كان كَنْت استاذاً في جامعة كونجسبرج وكان يدرّس مسائل التربية ظاهراً فكتب فيها بحوثاً جمعها أحد زملائه في كتاب عنوانه «رسالة في علم التربية» وهو الكتاب الذي سنتحدث عنه

« فكرته السامية في التربية » يرى كَنْت أن أهم الفنون وأكثرها صعوبة هو فن تربية الرجال وإن هذا الفن هو السبيل الوحيد لاصلاح الانسانية فيقول «من الخير أن نعتقد ان الطبيعة تساعد على ان يسير الانسان في سبيل التقدم والتحسن اللذين يليقان به. ولأجل ان نعرف مبلغ اثر التربية في الطبيعة الانسانية يجب ان نكل امر تربية الرجال إلى إنسان خارق في ذكائه وطيبته» ويقول ايضاً «لأجل ان تحقق التربية غرضها الاسمى يجب ان تتحرر من قيود الاساليب والتقاليد التي تحيط بها كما ينبغي ان يكون الغرض من تربية الاطفال ان نساعدهم على النجاح لا في المجتمع الانساني الحالي ولكن في مجتمع انساني مستقبل اكثر تمدناً من المجتمع الحالي»

« تفاؤل عظيم » يقترب كَنْت من روسو في اعتقاده بطهر الانسان الفطري وان ميوله الطبيعية طيبة كاملة فهو يقول «إن مصلح الاخلاق يمثل طوع امر الطبيعة كالطبيب سواء بسواء» ويقول ايضاً «يجب ان يقتصر عمل من يتعرض لاصلاح الاخلاق على ابعاد المؤثرات الخارجية السيئة واني لواثق ان من اسهل الامور على الطبيعة ان تجد لنفسها الطريق السوي»

ولهذا السبب كان كَنْت لا يقلل من شأن الخدمات التي اداها روسو لعلم التربية بتوجيهه نظر المربين الى ضرورة الثقة بالطبيعة الانسانية التي «طالما اغتابها المتدينون» ولكن هذا لا يعني ان هذا الفيلسوف الالماني الكبير اكتفى بتكرار ما قاله روسو قبله بل انه صحح كثيراً من اخطائه فكتب يقول : «لا يكون الانسان عند ولادته طيباً ولا خبيثاً» وكتب ايضاً «ليس الانسان كائناً كريم الخلق بطبعه وهو لا يصبح كذلك الا اذا ارتفع عقله الى مستوى فكرة احترام الواجب والقانون» وهذا يعني ان الطفل كان في حالته التكوينية يتوقف فساده او صلاحه

على نوع التربية التي يتلقاها لا الى ميول الطفل الاصلية فلا يمكن تحديدها فاذا ظهرت عنده رذيلة من الرذائل فذلك لا يرجع الى ميل خاص في طبيعته ويشكل الى خطأ وقع في توجيه هذه الطبيعة او عن الاصح الى ما لم يخضع طبيعة الطفل لما كان يجب ان تخضع له من قواعد خاصة

﴿ احترام حرية الطفل ﴾ وقد كان من نتائج تفاؤل كنت التفاؤل انه اوحى اليه — كما اوحى الى روسو قبله — بفكرة التربية السلبية التي تقوم على احترام حرية الطفل . فكنت يقول يجب ان تكون التربية الاولى سلبية بمعنى انه ينبغي علينا ان نتحد في تربية الاعصاب الوسائل الطبيعية وان نقتصر على ان نتجنب ما يهدم منها من آثار . ومن الخير الا نكثر من استخدام الوسائل المختلفة في تربية الطفل بل الاصلح ان نتركه يتعلم من تلقاء نفسه . فكثيراً ما تكون المؤثرات السيئة الباطلة هي مصدر ضعف الانسان ولا يكون للجهل دخل في هذا الضعف

وكان كنت شديد الاحترام لحرية الطفل يتألم اذا سمع ان أماً من الامهات تريد كبت ابنها ويقول انه ليس من المصلحة أن نبالغ في مقاومة ارادة الطفل وانه ليس ثمة ما يصير الطفل اكثر من استثارته وتحقيره . ولكن الفيلسوف الالماني بالغ في دفاعه عن الحرية الانسانية واستقلال الارادة فهو يخشى تسلط العادات الى حد انه ينصح بالا تكون للاعصاب عادة خاصة من العادات وفي هذا — كما يقول احد علماء التربية — « الغاء للتربية بأسرها لانها تقوم على اكتساب مجموعة من العادات الطيبة »

﴿ الحكايات الخرافية ﴾ وبين كنت وروسو شبه كبير ايضاً فيما يتعلق بالتربية الفكرية أو تربية المواهب التي يسميها كنت « التثقيف الجثماني للنفس » وهو ما يقابل عنده التثقيف الخلقي او تربية الارادة فهو يحرم على الاطفال قراءة القصص والحكايات الخرافية وذلك لانه يعتقد ان خيالهم واسع ليس في حاجة الى النمو عن طريق الخرافات واكثر المربين لا يرون رأي كنت فهم يعتقدون ان الخرافات الخيالية النافعة توسع الخيال وتوجهه التوجيه الخلقي الصحيح كما انها تكسبه جمالاً عاطفياً من طرف خاص بها . وقد كان روسو ينتقد انتقاداً شديداً خرافات لافونتين ولكنه كان يعتقد مع ذلك ان للتعليم الرمزي فائدة خلقية كبيرة

﴿تثقيف المواهب﴾ — وكنت يتميز عن غيره من المربين باهتمامه بتثقيف المواهب اكثر من اهتمامه بالعمل على الاكثار من المعلومات . وقد درس القوى الفكرية المختلفة ونشر آراءه فيها مجموعة قيمة من النظريات النفسانية التي تساعد المربين على القيام بمهمتهم الدقيقة

﴿ تثقيف ملكة الفهم عند الطفل ﴾ ويعتقد كنت أن الطريقة السلبية هي اصلح الطرق ويعني بذلك أننا في تعليمنا للطفل يجب ان نطالبه بأن يجد بنفسه الامثلة التي تنطبق على قاعدة عامة او على العكس ينبغي أن نطالبه بأن يجد من تلقاء نفسه القاعدة التي تنطبق على

أمثلة خاصة وهو يعتقد انا اذا اردنا انماء ملكات الطفل الفكرية فان أحسن الوسائل هي ان نترك الطفل يعمل بنفسه لان العمل اقصر الطرق المؤدية الى فهم الامور ولان من الثابت ان الاشياء التي نتعلمها من تلقاء انفسنا هي اهم الاشياء لنا

﴿ العقوبات والمكافآت ﴾ — يقسم كَنْت العقوبات الى عقوبات جثمانية وعقوبات معنوية . ويقصد بالنوع الثاني من العقوبات الذي يتلخص في اذلال التلميذ ومعاملته ببرود « بنفور بدلك منه لأن يستخجل ويُحتقَر » ورأيه ان تطبق العقوبات الجثمانية بحذر لئلا ينتج عنها عند الطفل استعداد للذلة والاستكانة ثم هو يقسم العقوبات تقسيماً آخر فهو يميز بين العقوبات الطبيعية والعقوبات المفتعلة ويفضل الاولى على الثانية « لانها النتيجة الطبيعية لخطإ الطفل فسوء الهضم مثلاً هو عقاب طبيعي للاسراف في الاكل وان من ميزات العقوبة الطبيعية انها تدوم مدى الحياة » وهذا هو الواقع في كثير من الاحيان ولكَنْت تقسيم ثالث فهو يفرق بين العقوبات السلبية والعقوبات الايجابية . وينصح باستخدام الاولى اذا كان خطأ الطفل بسيطاً اما اذا كان جسيماً يدل على ميل شرير عند الطفل فالعقوبات الايجابية في رأيه اصلح

وينصح كَنْت المدرس بألا يظهر في اي حالة من الحالات بأنه يكن ضغينة لتلميذه ويقول في ذلك « إن العقوبات التي يوقعها المدرس والشرر يتطاير من عينيه تخطئ الهدف ولا تحقق الغرض منها »

﴿ التربية الدينية ﴾ — يرى كَنْت انه ينبغي ان نهيئ الطفل منذ نعومة اظفاره لفهم الآراء الدينية الصحيحة وذلك خيفة ان يتأثر بما يبثه الجهلة فيه من الخرافات السخيفة ويقول في هذا الصدد ان من سخف التفكير ومنه ان نفهم ضرورة التربية الدينية . ولعل خير وسيلة لتقريب فكرة وجود الله لفهم الطفل هي ان نوجد له اوجه شبه بينهُ وبين رب العائلة »

ويريد كَنْت ان نبدأ بافهام الطفل واجبهُ ثم نفهمهُ بعد ذلك ان خالقاً اي انهُ يريد اولاً ان نزرع في نفس الطفل مبادئ الاخلاق ثم نفسر له بعد ذلك مبادئ الدين . ويعتقد ان الدين يصبح خرافة لا اكثر ولا اقل ان لم يستند الى مبادئ الاخلاق

﴿ تعليم الدين الخلقي ﴾ — ويقول كَنْت في ما يتعلق بتعليم الاخلاق الكريمة من الشأن « ينقص مدارسنا شيء كان من شأنه ان يساعد على بذر بذور الاخلاق الكريمة في نفوس الاطفال ألا وهو تعاليم الدين الخلقية » وكان كَنْت قد بدأ فعلاً في وضع كتاب عنوانهُ « تعاليم الدين الخلقية » ولكنهُ لم يتمهُ . وهو يعتقد انهُ يجب تخصيص ساعة من الدراسة اليومية لافهام التلاميذ « حقوق الانسان اي ظل قوة الله على الارض »

ويرى ان من طبيعة التعاليم الدينية المشبعة بالاخلاق . « انها تحل الخوف من الضمير محل الخوف من الله والناس والاعتزاز بالنفس محل السير وراء آراء الآخرين . والقيمة الحقيقية للاعمال محل القيمة الظاهرة للالفاظ . والتقوى الهادئة الضاحكة محل التعبد المظلم الحزين »



السلّ

بحث جامع حديث

الدكتور فيليب الشرباني

في كل مجتمع وخصوصاً اذا كان مجتمع سيدات لا بدّ من ذكر الاقارب والاصدقاء والسؤال عن الصحة ومن تزوّج ومن وُلد له مولود ومن فارق هذه الحياة . واذا قيل ان فلاناً مريض وقد مضت عليه مدة الآن وهو طريح الفراش يشكو هزالاً وسُعالاً قال كلٌّ من الحاضرين في نفسه . « مسكينٌ هذا الانسان انه لن يعيش كثيراً فهو مُصاب بمرض السلّ » هذا القول خطأ وهو يضطرنا الى ان نبيّن ان نسبة السلّ الى كل مرض صدري يصحبهُ سُعال اعتقادٌ فاسد . اذ ليس كل من يشكو السُعال مصاباً بسُلّ وليس كل من يشكو السلّ مصاباً بالسعال

السلّ وميكروبهُ

ان السلّ مرضٌ قائم بذاته اي انهُ يختلف كثيراً عن باقي الامراض الصدرية والتي يمكنها ان تسبب سعالاً ايضاً . ومع ان هذا المرض قديم في تاريخ البشر وقد وصفهُ لنا الطبيب اليوناني ابوقراط شهير الا ان دروسه التحليلية لم يبدأ قبل القرن السابع عشر ومعرفتنا العلمية عنهُ لم تبدأ الا في القرن التاسع عشر سنة ١٨٨٢ عندما اكتشف الاستاذ الالماني روبرت كوخ في برلين ميكروب هذا المرض فوضع لنا الحجر الاساسي لهذا العلم الحديد . ثم بواسطة بحوثه النفيسة في صدد السلّ فتح لنا باب هذا الصرح الجديد على مصراعيهِ للدرس والتنقيب . فمعرفتنا الحقيقية عن مرض السلّ لم تبدأ الا بعد خمسين عاماً تقريباً اي انهُ منذ وقت قصير . ولذلك نرى العلماء لا يزالون في حاجة الى موالاة البحث لتوسيع نطاق معرفتهم بوقاية الاصحاء وشفاء المصابين

ينشأ السلّ عن جرثومة شكلها كاسطوانة تظهر على شريحة (المجهر) ثابتة لا تتحرّك وشكل محدود قليلاً . امّا وحدها واما مزدوجة واما ثلاثية واما مجتمعة معاً متكثرة

واذا فحصت على شريحة المجهر (الميكروسكوب) وُجد انها لا تبلغ طولاً اكثر من ٢ — ٤ من الالف من اجزاء المليمتر وعرضاً لا اكثر من عشرين الى خمسة اعشار من جزء من الالف من اجزاء

المليمتر ومعنى ذلك انها صغيرة جداً هذه الجرثومة او هذه الانبوبة او هذا الميكروب الذي سمي في الافرنجية «باشيلس كوح» او Bacille de Koch في الفرنسية او Koch's Bacillus في الانكليزية وفي الالمانية نسبة الى مكتشفها الطبيب المشهور روبرت كوح. فكهذه دون اي غذاء كان او دونه واسطة للتكاثر ان تعيش في الظلام او ما جفّ من البصاق مدة تسعة او عشرة اشهر ولكنها تموت بعد ثلاثة ايام بمجرّد تعريضها لحرارة الشمس . وتموت في الماء المغلي او الحار بعد دقيقة واحدة في حرارة درجتها ٨٥ سنتغراد وبعد دقيقتين في حرارة ٧٨ وبعد ثلاث دقائق في حرارة ٧٣ وبعد خمس دقائق في حرارة ٧٠ وبعد ١٥ دقيقة في حرارة ٦٥ سنتغراد . وتموت ايضاً بعد ساعتين اذا وضعت في محلول السليماني قوّته ٥ ... وفي ٢٤ ساعة في محلول حامض الفنيك بقوة ٥ في المائة ايضاً . وربما تراءى لغير الاطباء او الصيدليين او المساعدين لهؤلاء ان هذه التفاصيل لا شأن كبير لها ولكن اذا وقفنا مكتوفي الايدي امام امتعة اشخاص تلوَّثوا بهذا الميكروب او اصبحنا حائرين في تعقيم اللبن الذي نتعاطاه نحن او نعطيه غذاء لاطفالنا تبيّن لنا الامر بعكس ذلك فندرك اذ ذاك ما هذه التفاصيل من الشأن الخطير

أين يكون الميكروب

أين نجد ميكروب السل او باشيلس كوح ? يوجد هذا الميكروب بالطبع في رئات المصابين به من الناس وفي اجزاء اخرى من اجسادهم كالجلد والعظام ولذلك تحتم علينا عزل من اصيبوا به في محلات منفردة وبعيدة عن المساكن كالمصحّات او المستشفيات وقد تسألون هل رئات البشر وجلودهم وعظامهم هي وحدها مأوى هذا الميكروب او سكنه ? فنجيب كلا ! بل هو منتشر انتشاراً عظيماً في مختلف الكائنات الحية عنه في الكلاب والقطاط والخنازير والدجاج والاسماك والسلاحف والثعابين وفي البقر ايضاً يشكو الانسان المرض فيذهب الى الطبيب فيشخص له الداء ويصف الدواء ويأخذ المريض الاحتياطات اللازمة للعلاج ولمنع تسرّب العدوى الى الآخرين حواليه ... الكلاب او القطاط مثلاً فكيف يمكنها ان تشكو مرضاً باطنياً كهذا يحلّ بها الا بعد ان يكون قد استفحل الامر واصبحت الاعراض واضحة وبعد ان يكون الكلب او القط قد عاش في البيت نفسه مع صاحبه او صاحبته مدة طويلة وربما نام فوق السرير ليلاً واكثر من لحس الايادي او الخدود او الفم لكن كثيراً ما ادى به المرض الى الهزال قبل ان ينتبه اهل البيت لحالته ولضرورة ابعاده عنهم بعد ان تكون العدوى قد انتقلت منهُ الى سكان البيت واسوق هذا الى المعرضين بهذه الحيوانات الذين لا يفكرون بالخطر المحدق بهم فلا يحتاطون له اما الخطر من الخنازير ومن الدجاج ومن الاسماك التي نأكلها فواضح يجب اذاً تعقيمها جيداً قبل اكلها وهذا ما يحدث عادة في اثناء تحضير الطعام . اما وجود الميكروب في البقر

وفي سياق موضوع يجب البحث فيه على حدة لانهُ على جانب عظيم من خطر الشأن شرب اللبن وأكل ما يشتقّ منهُ كالزبدة والجبنة وغيرها فماذا ترى يحلّ بنا وباولادنا اطفالاً وكباراً اذا كان هذا الغذاء ملوثاً بجراثيم مرض الدرن ؟ هنا ايضاً يمكننا تطبيق ما سردناهُ عن التعقيم وهنا ايضاً يجب ان نقف دقيقة لنفكر في .. يجب على مصلحة الصحة فيما يخص التفتيش على البقر وعلى اللحوم وعلى اللبن الذي يُباع للناس في البلاد

قلتُ مختصراً ان هذا المرض ينتاب رئات البشر وجلودهم وعظامهم أمّا الآن فاريد ان أزيدكم انهُ يمكن هذا الميكروب التسرُّب الى كل جزء من الجسد فيهاجم الغدد ويحدث فيها درناً (ولذلك سُمّي مرض الدرن) واغشية المخ والعيون والآذان والحنجرة (المعروف بسلّ الحنجرة) والمجاري البولية والاعضاء التناسلية والكبد والطحال والامعاء والغدّة الدرقية وغدة ما فوق الكلى كما انهُ يصيب القلب نفسه حتى وغدة البنكرياس وحينئذٍ يسبّب مرض البول السكري عضالاً

انتشار الميكروب

ربما تقولون لي ان كل هذا الشرح حسن ولكنك لم تحدثنا للآن عن طريقة انتشار هذا الميكروب من المريض الى السليم فاقول : اولاً : يحمل المريض بزرة ميكروب السلّ ويقذف بهِ في بصاقهِ الى الخارج اذ يسعل لأنّ السعال كما تعلمون يُحدث قذفاً باجزاء صغيرة من البصاق لا نراها التي تحمل ضمنها «باشيلوس كوخ» اي «ميكروب السل» فيستنشقها السليم الذي على مقربة من المريض فتزرع المرض في جسمهِ ايضاً . كذلك يجب ان تكون دائماً بعيدين عن المصاب بالسُل الرئوي مسافة متر على الاقل اذا ما أردنا التحدث اليهِ اما مرض سل الجلد او العظام فنجد الميكروب في اكثر الاحيان ضمن القروح التي يشكو المصاب منها فتتسرَّب العدوى منهم الى الصحيح عن طريق اللمس أو الاحتكاك

ثانياً — يمكن للعدوى ان تنتقل الى السليم باستعماله اثاثاً او ادوات للطعام تلوّثت بالجراثيم ولم تُعقم او باستنشاقهِ غباراً خفيفاً يحمل الميكروب ويتطاير في الهواء . وكثيراً ما رأيتُ المكانس تعمل في رابعة النهار في الشوارع وعلى الأرصفة فترسل الغبار الى انوف الجالسين في القهوات فتنشر العدوى كذلك على ايدي كنّاسي شوارع القاهرة . البصاق في الشوارع وعلى الارصفة كثيرٌ في الشرق . وقد ألفنا رؤية الناس تبصق يميناً وشمالاً وهو يُعدّ في اوربا او في الولايات المتحدة غير مألوف بل يحسب محرّماً ولكن يُنظر اليهِ هنا كأنهُ امر طبيعي وما ذلك الا لكثرة وجود ذرّيات غبار في الهواء في البلاد الحارّة اكثر منها في الباردة فتقلق حلق الفرد وانفه فيضطر الى اخراجها بسعالهِ او عطاسهِ وبدلاً من استعمالهِ منديلهُ ربما استعمل اصابعهُ او بصق في الشارع او على الرصيف ! اذهبوا الى محطة القاهرة ولاحظوا قيام القطار وكيف تبكي الوالدة على فراق ولدها

والحية على عراق الجسد وكيف ان الواحدة تأخذ منديلها و لحامير تحيط به وتمرّه وتتوّج به وتنثر كل الميكروبات التي حملتها به من حلقها وفمها على رؤوس المحيطين بها واثوابهم وهي لا تدري ما تفعل . لله من جهل لنشر حق في القرن العشرين !

ثالثاً — ذكرت آنفاً ان النوع المعروف «باشيلس كوخ» ينتقل ابن بواسطة اللبن فنجد هذا النوع من المرض خصوصاً في أمعاء الاطفال وفي غطاء هذه الامعاء الذي نسمّيه «البريطون»

درجات المرض

يسأل المرضى : هل يمكن شفاء المصاب اذا بلغ الدرجة الثانية او الثالثة ? فسئلت أنا مرة عن فهمه للدرجة الاولى او الثانية او الثالثة من داء السل فيجيب ان الدرجة الثالثة هي عندما يبصق المريض دماً ! وهذه الدرجة هي اكثر الدرجات خطراً ! وهذا غلط فادح فان درجات السل لا تتوقف على اعراض بصق الدم أو عدمه بل تقاس بتطورات الانسجة من طريّة الى ناشفة . وارجو ان يتم القارىء نظره في هذا القول : درجات السل تقاس بتطورات أنساج الرئة من طرية الى «ناشفة» ففي اوّل الدرجة الاولى تكون الانساج طريّة ونسمّيها في الفرنسية Infiltration اي درجة تسرّب المرض . اما الدرجة الثانية فهي دور امتداد المرض الى الانساج المجاورة ونسمّيها في الفرنسية granulation وفي هذه الدرجة تكون الانساج طريّة ايضاً اما الدرجة الثالثة فهي درجة النشف أي ان الانساج المصابة تصبح صلبة ناشفة حجريّة ونسمّيها في الفرنسية Etat de Cachexie اي فيها حجر Cachexia اي درجة التكلّس فتوقف حركة الميكروب الذي ينخرها وتمنعه من افراز سمومه في الدورة الدموية والدورة الدموية التي توصلها الى كلّ اطراف الجسد . ان كلامي هذا يظهر لكم بأن الدرجة الثالثة اي درجة النشف هي الأفضل والأسلم لكونها توقف حركة الميكروب . فليسوا كلامي هذا مرّتين الشائع تروا ان الناس تفهم الدرجات على ضدّ ما هي تماماً

اعود الى مسألة بصق الدم بكثرة وهذا ما تخشاه العامة كثيراً فأقول : لينظر كلّ قارىء الى جرح اصابه في اي محلّ في جسمه أو الى عمليّة في البطن عُملت له فيرى خطاً ابيض عند التئام الجرح . هذا الخط يمثل نوعاً من الانساج الصلبة التي لا يجري فيها الدم . وكما التئم الجرح في الجلد يلتئم ايضاً الجرح في الرئة . اذا حدث حدث في الرئة من جراء دخول ميكروب خبيث لها واوجد فيها التهاباً وبذر سمومه فيها واوجد جروحاً وقروحاً في انساجها ثم انهزم هذا الميكروب فاندملت هذه الانساج نحو الشفاء واقتربت حواف الجروح الواحدة من الاخرى والتصقت بعضها ببعض فحصل ذلك الالتحام بينه فيقدّر للرئة ايضاً الشفاء على هذه الطريقة نفسها .

لنفرض ان لدينا كرة من المطاط (اي الكاوتشو) في جنب من جوانبها لحام وضحنا هذه

الكرة ضغطاً شديداً فأننا نعرض هذه الكرة للتمزق في هذه الحالة وعندما يحدث ايضاً عندما يبصق الانسان دماً من رئته او عند تمزق لحام رئة من جراء التعب من الركض او السباحة او غير ذلك من الاسباب المجهدة، فتمزق بعض الشرايين بجوار التجويف وان خروج الدم منها الى انابيب الهواء ثم الى الفم لا يعتبر كاشارة او كعلامة او كبرهان على شدة المرض فلا تعد اذا سمعت ان فلاناً قد بصق دماً انه في آخر درجة من درجات المرض وانه مشرف على الهلاك لان ذلك خطأ في الغالب ان بصق الدم يحدث عادة في الدرجة الثانية او الثالثة من تطور المرض اي انه ليس دائماً في الدرجة الخطرة جداً كما تفهمها العوام

وربما لا يسر كلامي هذا جميع القراء لان الناس عموماً تحت تأثير المعتقدات في ذاكرتها بطريقة واضحة فلا بد من ان يقوم احدهم ويعترض مستفهماً في اي دور اذاً من ادوار المرض وأي متى يمكننا ان نعتبر المرض ثقيلاً على من اصيب به ومسبباً للخطر على حياته؟ فأقول:

المرض وقوة الدفاع

ان الميكروبات تهجم علينا من كل ناحية تأكلنا ونستنشقها ونعيش بينها وهي تعيش بيننا منتظرة الاعتصاص علينا لتبيدنا. فما الذي يمنعنا من ذلك؟ قوة دفاعنا! مقدرتنا الطبيعية على ايقاف ضررها وهذا ما نسميه المناعة. ما نقوله عن باقي الميكروبات نطبقه ايضاً على ميكروب السل او باشيلس كوخ. فالمناعة في مرض التدرن لها شأن كبير كذلك وما كان هذا الميكروب على ما يظهر قد [illegible] في شمال الكرة الارضية الباردة نرى سكان البلاد الشمالية اكثر قوة على احتماله ومقاومته ففي وسع سكان شمالي اوربا الاصليين ان يحملوا هذا الميكروب ضمن رئاتهم كل حياتهم وان يصلوا الى الشيخوخة اما سكان البلاد الحارة والذين لم يتكاثر بينهم هذا المرض مدة عشرات آلاف السنين كما حدث بين سكان الشمال فيبيدهم هذا الميكروب في وقت قصير نرى السكان في جنوب اميركا من الهنود بجوار مضيق «ماجلان» (اي في طرف اميركا الجنوبية) اذا ما اصيبوا بالسل توفي الافراد المصابون بعد ستة اسابيع من ظهور اعراض المرض كما اننا نرى ايضاً في جزيرة العرب ان المتوطنين الاصليين في داخلية البلاد يموتون بسرعة من مرض السل اكثر من المتوطنين الاصليين في شواطيء الجزيرة والذين هم قد اختلطوا مدى القرون السابقة بالسفر والاتجار مع من جاورهم ومكث عندهم من الاجانب الاوربيين

فالمناعة اذاً في السل كما هي الحال في باقي الامراض تقينا شر الميكروبات التي تعطل عملنا وتتغذى من لحمنا ودمنا وتساعد المناعة على الدفاع عنا حسن صحتنا عموماً لذلك تحتم على كل فرد منا اتباع القوانين الصحية وعدم اضعاف قوة الدفاع باجهاد الجسد وتحميله اكثر من طاقته

سؤال: هل يمكننا ايجاد مناعة في اجسادنا ضد مرض السل «عملياً» كما نعمل في مرض الجدري

والدفتيريا والحمى التيفوئيدية والكوليرا الخ. اما متى تلقح وأين يحقن المصل الواقي ? هذا باب موضوع خاض فيه العلماء. قام الاستاذ «كلمت» الذي توفي اخيراً رحمه الله وأوجد لقاحاً دعاه . . . . يعطى للاطفال عن طريق الفم قبل اليوم العاشر من حياتهم او للاولاد بعد سن سنة واحدة حقناً تحت الجلد واعتمدها اللقاح المستخرج من الميكروب البقري بعد مئتين وثلاث واربعين تجربة. والغرض منه هو ايجاد رد فعل في جسم الطفل او الصغير من الاولاد بواسطة ميكروب ضعيف لا يتغلب على قوة الجسم فيوجد في الطفل استعداداً لمحاربة الميكروب الشديد في المستقبل لو دخل رئته فيرفض المرض من التوطن في جسمه. هذا رأي المرحوم كلمت ولكنهُ ليس رأي جميع الباحثين

فقد وجدت الاستاذ «كلاينشميت» الاختصاصي في الامراض الصدرية في الاطفال في كرون في المانيا يعتمد هذا الاعتقاد ووجدت كذلك الاساتذة برنارد ودليل في باريس يجارون كلميت ايضاً. بينما وجدت آخرين في باريس ينتقدونهُ ومنهم الاختصاصي الشهير اوجان ميجر Eugene Mager وينفون إمكان ايجاد مناعة ضد مرض السل بل يقولون ان ادخال اي ميكروب ضعيف من ميكروبات السل في جسم الانسان لمقابلة الميكروب القوي يجعل الجسم عرضة للانكسار امام الميكروب القوي بدلاً من الانتصار عليه. انقسم الاختصاصيون بين هذين المعتقدين وتجرى التجارب والاحصاءات قائمة في فرنسا والمانيا وايطاليا وسويسرا وغيرها من البلدان الاوربية جرياً ولتربص لنا في المستقبل هل تلقيح الاطفال بميكروب السل الضعيف يفيد الاولاد ام يضرهم في كبرهم

بعد هذه البيانات يستطيع القارىء ان يستنتج الجواب عن السؤال الذي ذكرته آنفاً اي في اي دور من ادوار المرض واي متى يمكننا ان نعتبر المرض ثقيلاً على من اصيب به وخطراً على حياته ? اذاً اجاوب فأقول يتوقف ذلك على قوة الهجوم وقوة الدفاع. يمكن ان يكون المريض معرضاً للخطر حتى في الدرجة الاولى او الثانية اي في درجة امتداد المرض في الرئة اذا كان هجوم الميكروبات في الجسم قوياً ومناعة المريض ضعيفة، فلا يمكننا اذاً ان نقيس الخطر المحيق بالمريض بقياس الدرجات الثلاث

المرض والعمر

هل تختلف الاصابات قوة وتأثيراً باختلاف الاعمار ? فأقول

انقسم الاصابات بالقياس الى قوتها ثلاثة اقسام. الاولى الاصابات الحادة. الثانية الاصابات الخفية الحية. الثالثة الاصابات الخفية الساكنة. اعني «بالحادة» الاصابات الشديدة التي تظهر فيها كل اعراض المرض «وبالخفية الحية» الاصابات التي لا تظهر فيها اعراض

المرض كثيراً اذ تبقى الميكروبات نائمة فيها و «الخفية الساكنة» الاصابات التي لا تظهر فيها اعراض وتصبح الميكروبات ساكنة فيها، وعلى ذلك نجد اعظم عدد من الاصابات «الحادة» بين سني الثامنة عشر والثلاثين من العمر، واعظم عدد من الاصابات «الخفية الحية» بين سني الثامنة عشر والثلاثين من العمر، واعظم عدد من الاصابات «الخفية الساكنة» في السبعين من العمر أي ان كل ما تقدم الانسان في السن قلت مقدرة الاصابة على اهلاكه ويجد الانسان نفسه اكثر تعرضاً للخطر من هذا الداء بين الثامنة عشر والثلاثين سنة من العمر

ما هي الحالات غير الصحية التي تعرضنا بنوع خاص للانكسار امام ميكروب مرض السل؟
الجواب: الخسارة المستمرة في الوزن وفقر الدم والاصابة المتوالية بالزكام. يجب ان لا يسكت كل من يصاب بهذه الاعراض بل يجب عليه مداواة نفسه الى ان يصبح الوزن كافياً ويزول فقر الدم والاستعداد للزكام. وثمة حالات بها حمى مع سعال وزكام تدعى عادة نزلة شعبية بسيطة أو grippe وهي في حقيقة الأمر بداية هذا المرض المشؤوم

ما هي اعراض المرض؟ الخسارة في الوزن مع حمى وسعال وعرق عند الصباح وعدم قابلية للاكل. امام هذه الاعراض يجب ان نعرض للكشف عن انفسنا كشفاً عمومياً كاملاً واذا كان المريض كبيراً فحلل بصاقه ايضاً وربما اخذنا صورة رئتيه بالاشعة. اما في الاطفال الذين لا يبصقون فنأخذ مفرزات معدهم ونحللها، لان الطفل الذي لا يبصق يبلع البصاق والميكروب المتأتي من الرئتين معه

منع العدوى

قام طبيب في بلاد فرنسا اسمه Grancher وقال بدلاً من ان نعالج المرض في سكان فلنمنع امتداد العدوى الى الاطفال وبهذه الطريقة نقلل عدد المسلولين في البلاد. وأول ما صنعه كان بأنه جمع والدين مسلولين فقبلا الافتراق عن طفليهما فاخذ الصغيرين الى فلاحين في قرية قريبة وهناك نشأا قويين سالمين الى سن العشرين في حين ان طفلين غيرهما بقيا مع الوالدين مريضين وهما تحت ثقل اعراض المرض واعتلت صحتهما كل الاعتلال. تشجع هذا الطبيب وابتدأ يدعو لنتائج عمله في البلاد كلها فصار له اتباع عديدون من الاطباء نسجوا على منواله والآن نجد في كل مستشفى في فرنسا وفي كل معهد طبي قسماً مخصصاً «لعمل جرانشه» تديره ممرضة تزور البيوت التي تأتي منها مرضى السل الى المستشفى وتفتش اثر كل مصاب وتخرجه من وسطه كي لا ينتشر العدوى الى السالمين وتأخذ الاطفال من الوالدات المصابات وترسلهم الى القرى لينموا في الهواء الطلق بين الفلاحين. وبهذه الطريقة لا تتسرب العدوى ولا يتكاثر عدد المصابين. المال ضروري بالطبع لهذا المشروع وهم يجمعونه في كل حملاتهم

وبواسطة طوابع مخصوصة والحكومة تساعد ايضاً . فأي من يا ترى يصح لنا الحال في القطر المصري يوم تعمال كهذه . اين صدانا المتفقات ? واذا قلت إنه يموت في القطر المصري نحو الـ ١٥ الف نسمة كل سنة بمرض السل كما هو مدون تعداد الوفيات ادركتم أن اعمالاً كهذه ضرورية جداً

هل السل وراثي ? اجيب فأقول : اعتادت الناس ان تخاف وخصوصاً في ازواج من شخص توفي في عائلته او عائلتها احد بهذا المرض ظنّ انهُ اذا ظهر المرض في احد الافراد كانت العائلة كلها معرضة اليها . هذه علة عظيم وفادح . السلّ « عدوى » وليس وراثة ! هذه هي القاعدة ! وان كان لكل قاعدة حالة شاذة فالوراثة هنا هي الشذوذ . فاذا حملت امرأة مريضة بالسل بحالة « حادّة » كما ذكرتُ آنفاً وكانت الاعراض فيها شديدة وكان الميكروب يجول في دمها فقد يصل الميكروب الى الجنين وهو حمل عن طريق الدورة الدموية في المشيمة . اما في غير هذه الحالة ينتقل السلُ دائماً من المريض الى السليم فقط عن طريق العدوى

ما هو تأثير المناخ في ميكروب السل وهو ضمن جسم الانسان ? لا تأثير للمناخ فيه بتاتاً . اذاً لو سكن المريض بالسل السهول أو سكن الجبال في البلاد الباردة او في البلاد الحارة تطوّر الميكروب نفس التطوّر في كل مكان واذا وجد تحسين في تقلباته فيعود هذا الفضل الى العوامل التي تؤثر فيه عن طريق دفاع الجسم عن نفسه بواسطة حسن الصحة العمومية او المناعة الطبيعية وليس عن طريق تأثير المناخ في الميكروب رأساً !

ويعد الآن احصائيون لا اعتبار عندهم لفائدة المصحّات على الجبال العالية ويجاهرون بأن العلاج المنتظم في بلاد معتدلة المناخ لا تعلو عن سطح البحر يأتي بنفس الفائدة التي تحصل عليها في مصحات سويسرا او لبنان مثلاً وعملاً بهذا الرأي وجدت احصائيين المانياً في برلين يعالجون [illegible] دلاً [illegible] ارسالها الى الجبال العالية ووجدتُ النتيجة حسنة . لا الجبال تصلح لجميع المرضى ولا السهول . فبعض المرضى يشكو من ضعف القلب او من ضعف الاعصاب فتتعذر عليهم سكنى الجبال والمصحات العالية . وبالعالية اعني المصحّات التي يفوق ارتفاعها ... متر عن سطح البحر والمصحّات المعتدلة التي تعلو من ٦٠٠ الى ٩٠٠ متر عن سطح البحر وما دون الـ ٦٠٠ متر فهي المواقع التي يمكن لاصحاب الاعصاب المضطربة او المصابين بالقلب السكنى فيها

أما رأيي الخصوصي في علاج المصابين بشدة بهذا المرض فهو ارسالهم الى مصحّات توافق عمومها الجوّ الذي يمكن للمريض احتماله فتتحسّن صحتهُ العمومية ويعالج ايضاً علمياً فتزداد قوة الدفاع فيه اذ انهُ يربح من الجهتين . اما المصابون باصابات خفيفة فيمكن علاجهم بكل راحة في بيوتهم اينما كانوا من دون أن يتحملوا تعب الاسفار والنفقات الباهظة ويمكن شفاؤهم هكذا ايضاً

الباخرة كوين ماري

تأهب لدخول الحلبة البحرية

بقلم عوض جندي

جاء في احدث الانباء من اوربا أن الباخرة (كوين ماري) سيدة بواخر العالم الجديدة، سترحل رحلتها الاولى الى اميركا يوم ٢٥ مارس ١٩٣٦ فرأينا أن نصفها كما وصفنا من قبل نديدتها «نورمندي» الفرنسية اكبر البواخر العصرية فنقول: —

تُعدُّ هذه الايام أياماً عصيبة في مصنع السفانة لجون برون، بمدينة كليدبنك (وهي مدينة اسكتلندية على نهر كليد تبعد خمسة أميال ونصف ميل عن مدينة جلاسجو، مشهورة بالسفانة) حيث يوجد جيش لجب من الصناع البريطانيين القائمين باعداد الزخارف الختامية للباخرة كوين ماري لتي ترجو انكلترا ان تسترد بها سؤددها في صرعة الملاحة التي اغتصبتها منها الباخرة الفرنسية نورمندي (وقد وصفناها في جزء ابريل من مقتطف سنة ١٩٣٤) ولمصنع جون برون المشار اليه آنفاً تقاليد عظيمة في السفانة، يصبو دائماً الى التمسك بها وتحقيقها اذ انه في سنة ١٩٠٧ ارسل الى البحر من تلك الجهة عينها، الباخرة لوزيتانيا، ثم ألحقها باختها موريتانيا، بعد بضعة اشهر. وقد كانت الاخيرة من بدائع السفانة، من يوم انزالها في البحر، الى يوم تحطيمها وبيع أثاثها في اواخر السنة الماضية

ومنذ انخرطت كوين ماري في سلك الملاحة، في التاريخ المتقدم ذكره، كانت خير خلف لزميلتها. ومما يذكر في هذا الصدد، أن شركة كونارد لين صاحبتها، وكذا مدينة كليدبنك حيث مصنعها، كانتا دائماً حائزتين لقصب السبق في خلال خمسين سنة من تاريخ السفانة وطالما افتخر البريطانيون بكونهم لايسامَون في السفانة. ولذلك لم يدخروا وسعاً في اتقان باخرتهم كوين ماري، وجعلها لاتُجارى، محافظة على تلك السمعة الطيبة، حتى صارت باخرة أنيقة مدهشة كالساعة في ضبط آلاتها، واستعدادها، متوخين ايضاً جعل كل أداة من أدواتها، انكليزية، حتى الآلات البخارية. وقد

كان ميسوراً لموريتانيا ان تشتغل سنين اخرى . محافظة على سرعتها الفائقة لولا اعتزالها الملاحة وتعطيلها كما أسلفنا القول

وكوين ماري مجهزة بتربينات[1] من طراز برسونز Parsons single reduction geared turbines تزوَّد بالبخار من مراجل شديدة الضغط ، ذات انابيب مائية water tube boilers ويقل طول الباخرة كوين ماري عن منافستها ، الباخرة نورمندي الفرنسية ، ١١ قدماً . ولكن الخبيرين يتوقعون أن تربينات برسونز السالفة الذكر ، ستولد قوة دافعة تتراوح بين ٢٥٠٠٠٠ حصان و ٤٠٠٠٠ حصان ، اكثر مما تولدها في نورمندي تربيناتها الكهربائية التي تقدر بمائة وستين الف حصان . والرفاسات الاربعة التي تدفع (كوين ماري) اكبر ما سبك من نوعها وركّب في اية باخرة حتى اليوم وهي مصنوعة من البرونز المنغنيزي وثقل الرفاس الواحد منها حسون طناً تقريباً ، وذلك قبل صقله ، فاذا صقل وتمّ تركيبهُ ، صار ثقله ٣٥ طناً . ثم ان جؤجؤ الباخرة نورمندي يكاد يكون صلبي الشكل ، وظهرها مُغطًى اتقاء للامواج عند هيج البحر ، وكوثلها منحدر ، وهذا مما يظهرها مستديرة الشكل ، غريبة

الا أن الشكل الخارجي لكوين ماري وهو الشكل المساير للتيار Streamlined او المشيق يضارع شكل موريتانيا وغيرها من سفن تلك الشركة البريطانية المشهورة . واعظم الفروق بين كوين ماري ومناظرتها نورمندي ، هو شكل المداخن ، اذ هي في نورمندي قصيرة ، قوية ، عليطة اما في كوين ماري فشاهقة . وتشغل الآلات الكبرى في كوين ماري حيزاً رحباً بحيث يمكن ان يسع باخرة من البواخر السريعة ولتربينات كون ماري ٢٥٧٠٠٠ ريشة تمّ اختيارها وتركيبها بالايدي وكذلك مراكز التروس مركبة تركيباً محكماً بحيث لا يزيد بعد بعضها عن بعض اكثر من $\frac{1}{1000}$ من البوصة . ويتولد البخار فيها من ٢٧ مرجلاً مقلاً في خمس غرف وتحتوي تلك المراجل على ١٦٠٠٠٠ انبوب مستقل . وتدير الرفاسات الاربعة ، اربع مجموعات من التربينات . ومدن كوين ماري مرسوم رسماً يجعله يلج لجّاً شديداً يسهل لها ادراك السرعة التي تمنيها ومهندسو كليد بنك موقنون انهُ قبل دخول كوين ماري مضمار السباق ، تكون نورمندي مناظرتها ، قد استطاعت

(١) اي تقليل الدورات التي تدورها في الدقيقة من غير تدخل تروس وسطى بين الدافع والآلة المدفوعة ومثال ذلك الآلة البخارية التي تتصل بالدسر اتصالاً مباشراً بالسير . اما مراجل الانابيب المائية فهي مسماة على طريقة حمل المياه في الانابيب بدلاً من حملها حولها . ومزايا ذلك تتشكل في المراجل كون انابيب قسم منه اي المعدنية صغيرة الاقطار ويحاط كل منها بسطح مسخن من جميع جوانبه يتولد فيها البخار توليداً عاجلاً جداً ، ويكون دورتها ايجابية اذ تتحكم فيها مجموعة الانابيب

قطع ٣٢ من الاميال في الساعة ولذلك قد اتخذوا الوسائل الفعالة التي تمكن كوين ماري من الفوز على نورمندي لجعلوا الآلات المحركة لكوين ماري تستطيع تسييرها بسرعة ٣٢ ميلاً، سيراً عادياً بغير تعجيل. ومن المعروف ان الباخرة الضخمة اذا ما عُجِّل سيرها، قطعت ميلين او ثلاثة أميال زيادة على سرعتها المألوفة. والدليل على ذلك ان موريتانيا، وكانت سرعتها المعتادة ٢٧ ميلاً ونصف ميل في الساعة، تسنى لها زيادة سرعتها، الى ٣٢ ميلاً في اربع ساعات، وذلك في احدى رحلاتها في بحار الهند الغربية، قبل اعتزالها الملاحة بأيام. ويتوقع المطلعون بأن المناظرة بين كوين ماري ونورمندي ستكون منقطعة النظير في تاريخ الملاحة بأسره. لاننا اذا اعتبرنا القوة بيت القصيد، فاقت كوين ماري ندها لان لديها من القوة المدخرة مقدار عظيم تنتفع به عندما تمس حاجتها اليه، وتستغني عنه حينما تشاء. ورفاصاتها اكبر رأساً من رفاصات نورمندي. وسيكون التنافس بين الفرنسيين والبريطانيين لا مثيل له في قطع المحيط الاطلنطي البالغ عرضه ٣٠٠٠ ميل وسيخصص كل فريق منهما مبلغاً طائلاً من المال ليفوز على زميله في ذلك النضال.

ولا يخفى على القراء ان قوة الاحصنة التي يقتضيها دفع الباخرة الضخمة في المياه يختلف باختلاف مكعب سرعتها فان ضوعفت السرعة، وجبت مضاعفة قوة الاحصنة غير مرة. وعلى هذا الاساس تحتاج كوين ماري الى ٢٣٪ زيادة في قوتها لكي تسير بسرعة ٣٠ ميلاً بدلاً من ٢٨ ميلاً في الساعة. لان زيادة السرعة ٧٪ يتطلب زيادة ٢٣٪ في القوة. ولقد وضعت كوين ماري على نمط يجعلها صالحة للملاحة مرة كل اسبوع بحيث تتناوب العمل مع اختها المنتظرة، وهو العمل الذي تؤديه الآن ثلاث بواخر كبرى. وهذه هي مزية السرعة المفيدة. وكانت موريتانيا تقطع المسافة في ١١٥ ساعة فاذا تسنى لكوين ماري قطع المحيط قطعاً منتظماً في ١٠٠ ساعة، اصبحت منافسة ماجعة جديرة بالاحترام لان الجمهور يقبل على اسرع البواخر توفيراً للوقت فان احتدمت المباراة في سبيل ادراك النصر وعقد لواؤه لكوين ماري فستحمل فدتقرر سرعتها ثلاثين ميلاً اراحة لركابها ومع ذلك فيجب الآ تنسى ان التسابق البحري بين الشركات يتطلب باهظ النفقات وان ارباب البواخر رجال تجاريون فان ربحوا، زادوا السرعة والاَّ فلا

وستكون سرعة كوين ماري وأختها المزمع انشاؤها قريباً، متساوية في جميع فصول السنة، مهما تقلبت الاحوال الجوية

وتشحن كوين ماري بركابها وتفرغ منهم في ١٢ ساعة من مغادرتها لحوضها. وطولها ١٠١٨ قدماً وعرضها ١١٨ قدماً وارتفاعها من قاعدتها إلى ذروتها ١٣٥ قدماً وجؤجؤها ودبرها منحدران ولها ثلاث مداخن مدرجة تساعد اطلاق الغازات. ومدتها مزدوج التركيب ويحتوي على الوقود والمياه. وهو مقسم إلى ١٦٠ قسماً تحت الحواجز ، الاقسام ذات الابواب التي لا تخترقها

المياه ، وان احترقت قسماً منها لا تستطيع النور تما يليه » وهذه من أسباب متانة تركيبها الفائق وعامل من أقوى عوامل سلامتها من الاخطار وفي كل مخدع من مخادع كوين ماري الخاصة بالركاب ، حمام ومرشة (دش) وحوض للغسل وتليفون ومدفأة وتوماتيكية لتنظيم درجة الحرارة ومروحة كهربائية . وفي مخادع الدرجة الاولى أنابيب للمياه الساخنة والباردة والعذبة والملحة . وتقوم بتوزيع المياه فيها أربعة أجهزة خاصة وفي كوين ماري أروقة عامة وغرف للاستراحة وشرفات رحبة وملاعب وحياض للسباحة ورداه للاستقبال، وحمامات تركية وساحات للالعاب الرياضية ، وملعب للتنيس ومراقص وفيها مسرح للسينما وحوانيت لبيع حاجات الركاب وفروع للبنوك ومكتب للسياحة ومطبعة وتليفون تلفي وعدة مستشفيات ومحطاً للسيارات. وفيها أيضاً ٢١ مصعدة لنقل الركاب وأمتعتهم بين طبقاتها الاثني عشرة . وحمولتها ٧٣٠٠٠ طن على حين ان حمولة نورمندي ٧٩٠٠٠ الفاً

وكل زورق من زوارقها الخاصة بالنجاة من الغرق ، مجهز بمحركات ديزل سريعة ، سهلة المنال والانزال إلى البحر ، بحيث يتاح لرجل واحد ادلاء الزورق مشحوناً بالركاب في بضع ثوان

وفيها أجهزة كهربائية لرفع المراسي والانتقال تقدر قوة سحبها بأربعمائة طن بحيث يتسنى لها جر تلك الباخرة الضخمة إلى مرفئها بسلام في نصف الزمن الذي يلزم لأية باخرة من البواخر الكبرى ولدى ضباطها البحريين في سلوقيتها Bridge عدة مخترعات باهرة تساعدهم على الاضطلاع بأعمالهم العظيمة وتسهل لهم الاستطلاع قدام الباخرة وخلفها وفوقها وتحتها ويمنة ويسرة. ويستدلون على شكل قعر البحر وتكوينه بمسبار كهربائي يسبر الاغوار بالصدى سبراً أوتوماتيكيًّا. وجهاز التنبيه فيها ذو صوت يتردد صداه في مسافة تتفاوت بين عشرة أميال وخمسين ميلاً ، ونغماته لا تخدش آذان سامعيه بل تشجيهم كأنها ألحان موسيقية . ولسكانها (دفتها) الهائل ثقله ١٤٠ طناً بابان متصلان بطريق بضع عدة رجال يدورون حوله . وقد بلغت نفقات صنع كوين ماري مليوني جنيه . وعدد الصناع الذين اشتركوا في وضعها وصنعها ٢٥٠٠٠ عامل . واستنفد صنعها ٣٥٠٠٠ طن من الفولاذ وأديمها مفروش بطنافس تبلغ مساحتها عشرة أميال مربعة ومسبارها الكهربائي يسبر أعماق المحيطات ويوضح ذلك بقلم جرافيت برسم رسماً أفقياً على خريطة تظهر نهاراً . أما في الليل فيقوم المسبار بالسبر مرة كل ثلاث ثوان ويدل على ذلك نور كهربائي أحمر يسطع على ميناء مقدراً العمق بالاقدام في كل حالة . ويتولد التيار الكهربائي الذي يدير المسار من المولد الكهربائي في الباخرة نفسها «عن مجلة الميكانيكا العامة»

الاستاذ برستد

James Henry Breasted

١٨٦٥ – ١٩٣٥

لفؤاد عيتاني

اذا عدّ المؤرخون الاعلام في هذا العصر ، الذين قاموا بخدمات جلّى للعلم والتاريخ ودرسوا الشرق وآثاره ومدنياته دراسات وافية جامعة وأناروا بمكتشفاتهم ومباحثهم ومؤلفاتهم مجاهل الاعصار الماضية والقرون الغابرة كان في طليعتهم المؤرخ الاميركي « جيمز هنري برستد » James Henry Breasted الذي ذاعت شهرته في اندية العلم وجامعات العالم في الشرق والغرب — فقد كان العالم الثقة والمرجع المستند في المباحث الاثرية ولا سيما ما كان له صلة بمصر والشرق الادنى

ولد برستد في مدينة (روكفورد) في مقاطعة الينوي بأميركا في التاسع والعشرين من شهر اغسطس ١٨٦٥ . وبعد ان تخرّج من جامعة North-Western في السنة ١٨٨٨ درس في مدرسة اللاهوت العليا في مدينة شيكاغو ومن ثمّ والى دراسته في جامعة (ييل) حيث نال منها عام ١٨٩٢ رتبة استاذ علوم وبعد سنتين حاز درجة دكتور في الفلسفة من جامعة (برلين) وكان من صغره يميل للشرق وتاريخه وآثاره ولم تأت سنة ١٨٩٤ حتى عُيّن مساعداً في تدريس علم الآثار المصرية في جامعة (شيكاغو) وظلّ يرتقي سلم الرقي والنجاح الى ان وصل في السنة ١٩٠٥ الى رتبة استاذ في الآثار المصرية والتاريخ الشرقي في جامعة شيكاغو وبقي في هذا المنصب الرفيع الى عام ١٩٢٥ . ثم عين مديراً لدار الآثار الشرقية فيها . وبعد ذلك ترأس بعثة اثرية وتولى ادارتها في مصر والسودان سنة ١٩٠٥ — ١٩٠٧ . وعين في سنة ١٩١٥ رئيساً لقسم اللغات الشرقية وفي ١٩١٩ مديراً للمعهد الشرقي في جامعة شيكاغو

وكانت المجامع الملكية في المانيا قد عهدت اليه في السنة ١٩٠ ان يقوم برحلة علمية الى متاحف اوربا فبحث فيها عن الكتابات المصرية واستنساخها وجمعها لتأليف معجم مصري يبحث

في الكتابات والنقوش والآثار المصرية التي يعثر عليها في المتاحف المذكورة

وفي عام ١٩١٩ اشرف على تأسيس وتنظيم المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو على قواعد العلم الحديث وذلك بالاموال التي وهبها هذا العمل المجيد المثري الاميركي المشهور (جون روكفلر) الابن . وكان هذا المعهدُ الاولَ من نوعه وغايته البحث عن بقايا الانسان القديم وتطور حياته ودراسة تاريخ المدنية والحضارات الاولى وأول عمل بدأ به (برستد) انهُ قام بادارة هذا المعهد بهمة ونشاط فجاء الى الشرق في عام ١٩١٩ — ١٩٢ على رأس بعثة أثرية تفرَّعت الى خمس بعثات ، وامتدت اعمالها من البحر الاسود الى مصر العليا وكان هذه البعثات الاثرية مراكز في آسيا الصغرى (للبعثة المشتغلة بالتنقيب عن آثار الحثيين) — وفي فلسطين (لحفريات ارمجدون) — وفي الاقصر (للآثار المصرية وفك الرموز الهيروغليفية) وكان (برستد) في الوقت ذاته المحرر المسؤول لنشرات المعهد الشرقي وبنتيجة اعماله وجهوده عهد اليه المستر (روكفلر) الابن في عام ١٩٢٥ في مفاوضة الحكومة المصرية لمنحها عشرة ملايين دولار تخصص لتأسيس متحف شرقي ومعهد اثري في القاهرة للبحث في الآثار المصرية والتنقيب . غير ان الحكومة المصرية لم تسلم بجميع قواعد المشروع فلم يسع روكفلر إلاَّ أن يوقف إعطاء هذا المبلغ الجسيم

وفي السنة ١٩٢٧ وجَّه (برستد) نظر المستر روكفلر إلى حاجة فلسطين الى متحف أثري يضم شتات ما يكتشف من الآثار المهمة في فلسطين فخوَّلهُ هذا أن يفاوض حكومة الفلسطينية لمنحها مليوني دولار لانشاء متحف أثري في القدس فأجابت الحكومة الفلسطينية طلبه وقبلت هذه المنحة بطيبة خاطر وانشاء المتحف المذكور دلالة واضحة على ما يبذله أغنياء الغرب في مساعدة العلم وتقدير رجاله وانعاماتهم الكثيرة في خدمة الانسانية والمدنية

وكان (برستد) قد عُيِّنَ في السنة ١٩١٩ رئيساً للجمعية الاميركية الشرقية وفي عام ١٩٢٧ رئيساً لجمعية التاريخ الاميركية . ولكنه ترك التعليم منذ ١٩٢٥ للتفرغ لاعمال البعثات الاثرية في الشرق الادنى . ومن أعماله الباهرة الحفريات التي أجريت بمعرفته لاكتشاف آثار مدينة (أرمجدون) في فلسطين وقام بالقاء سلسلة محاضرات تاريخية أثرية ، معتمداً على ما اكتشفهُ من الآثار الثمينة والكنوز الدفينة ، وظلَّ يشرف على أعمال الحفريات ويقوم بأعمال البحث والتنقيب الى أن وافاه الاجل المحتوم في اليوم الثاني من دسمبر (كانون الاول) ١٩٣٥

ومن مؤلفاته المشهورة — (آثار مصر القديمة) ١٩٠٥ - ١٩٠٧ - و (تاريخ مصر) ١٩٠٦ — و (تاريخ قدماء المصريين وتطور أفكارهم وآرائهم الدينية) ١٩١٢ — (العصور القديمة) ١٩١٥ وقد ترجمه إلى اللغة العربية الاستاذ داود قربان من اساتذة الجامعة الاميركية في بيروت

و (تاريخ أوربا في العصور القديمة والوسطى) بمساعدة روبنسون و (أصول المدنية) و (فجر الضمير) وغير ذلك من المؤلفات النفيسة

***

كان برستد من علماء الآثار الذين يذهبون الى ان مصر مهد الحضارة ومنشأ التمدن والعمران في العالم القديم يعتمد في ذلك على ما اكتشف من الآثار المهمة الرائعة في مصر في الاعوام الاخيرة فهو يرى ان الطبيعة والعوامل الجغرافية اكبر شأن في تسهيل السبل للانسان في العصر الحجري المتأخر لسكنى وادي النيل . وذلك ان مصر قبل عشرة آلاف سنة تقريباً كانت آهلة بالحيوانات والنباتات المختلفة . ولما كان الانسان في اول امره صياداً فهو يفتش عن المراعي الخصبة التي تكثر فيها الحيوانات . ثم ان اقليم مصر معتدل الحرارة يساعد على السكنى والانسان في مصر آمن على حياته فهو في حرز منيع يعيش في بقعة خصبة غزيرة المياه ، كثيرة الحيوانات تحيط بها الصحاري من جهة ومن جهة ثانية البحر الابيض المتوسط

ويرى (برستد) « ان الصيادين من سكان افريقيا الشمالية في العصر الحجري قد اجتذبتهم حيوانات الصيد الموجودة بكثرة على ضفاف النيل الخصبة فكانت سبباً في استيطانهم مصر » . وقد وجد (برستد) صور قواربهم التي كانت تمخر النيل مرسومة على الصخور في صحراء بلاد النوبة وراء (ابو سمبل) ويرى « ان وجود الحيوانات بكثرة في وادي النيل من الاسباب المهمة التي ساعدت الانسان في العصر الحجري على سكنى مصر وعلى بزوغ الحضارة المصرية الرائعة فيها . وبينما كانت مصر تتمتع بجوها المعتدل الملائم لحياة المدنية والتوطن غمرت اوربا موجة من البرد والصقيع فأخرت سيرها في التقدم والتحضر . ثم كان سكان مصر في العصر الحجري قد دجنوا اكثر الحيوانات المعروفة الآن وعرفوا الحبوب التي استعملها الانسان منذ القدم فزرعوها . وهذا مما سهل للصيادين في وادي النيل التوطن والاقامة حيث هم » وهكذا يثبت لنا (برستد) « ان المصريين هم من اقدم الشعوب التي تحضرت اذ هيأوا لانفسهم سبل المعيشة الدائمة بتدجينهم الحيوانات وسيطرتهم على قوى الطبيعة واستخراجهم المعادن واستعمالها واتخاذهم لاول مرة الكتابة الصورية . كل هذا جعلهم في طليعة الامم بعد ان تسلموا قيادتها بجدهم ومهارتهم في الطرق التي سلكوها الى الحضارة والمدنية فيما كان بقية العالم يرسفون في بربرية العصر الحجري »

وهو القائل ايضاً — « ان ظهور المدنية على ضفاف النيل لا يعتمد على ضخامة الابنية المصرية وفخامتها بل لانها ظهرت آنئذ لاول مرة في التاريخ »

« ان من يعرف قصة الصيادين الذين عاشوا في وادي النيل في زمن ما قبل التاريخ وانتقالهم

الى حياة اجتماعية منتظمة فصاروا امراء وحكاماً ومهندسين وصناعاً وبنائين وانهم الذين بنوا تلك البنايات العظيمة وصنعوا الآثار المدهشة في وادي النيل — في زمن كانت فيه اوروبا جميعها تعيش في همجية العصر الحجري حيث لم يكن ثمة من يعلم الاقوام مدنية القدماء — إن من يعلم هذا يعرف كيف ظهرت المدنية في العالم لاول مرة في التاريخ وكيف « نشأت الحضارة في زاوية الجنوب الشرقي من البحر المتوسط . . . »

ويقول في مكان آخر —

« وكما ان المدنية الاوربية انتقلت من اوروبا عبر المحيط الاطلنطي الى متوحشي العالم الغربي (اميركا) كذلك اجتازت الحضارة الشرقية البحر المتوسط الى برابرة اوربا » ويرى (برستد) « ان الملاحة المصرية في البحر الاحمر قديماً كانت ذات اثر مهم في وسائل السفر في المحيط الهندي وفي جزائر الهند الشرقية كما انها اثرت في صناعة بناء السفن في البحر المتوسط »[١]

ولا بد لنا في هذا الصدد من ذكر عبارة (الهلال الخصيب) التي وضعها (برستد) للدلالة على البلاد التي تمتد في شكل نصف دائرة غير منتظمة من الخليج الفارسي وتصعد شمالاً الى بلاد بابل وآشور وتنعطف الى جنوب الاناضول وشمال سوريا ثم تتجه الى الشاطئ السوري وتنحدر الى فلسطين جنوباً وخليج العقبة والهلال الخصيب هو المنطقة الغنية التي كانت موضع نزاع بين الساميين سكان الوادي وغير الساميين من سكان الجبال فكان الهلال الخصيب النزاعين اللتين تصدان هجرات الساميين المتعددة عن التقدم والنفوذ وتقف سداً ماماً امام الموجات السامية المتدفقة في الالف الثالثة قبل السيد المسيح تدفق العرب الساميون بالهجرة من صحارى الجزيرة العربية آتين الى ضفاف الفرات والدجلة وقد بيّن لنا برستد في كتابه (التاريخ القديم)[٢] العوامل التي اثرت في ديانة البدو الساميين الذين زحفوا من الجزيرة العربية الى البلاد المجاورة فقال : —

« الصحراء موطن البدوي . ووحدتها الشاملة وعزلتها المتصلة قد حملت نفس البدوي على الوقار فيتراءى له ان ارجاء الجزيرة العربية مسكونة باشباح مفزعة ومخلوقات غير مرئية موجودة في كل صخرة وشجرة . بل في كل جبل وينبوع ماء فالبدوي يعتقد أن هذه المخلوقات غير المرئية هي آلهته التي يعبدها وانهُ يتقرب اليها اذا تلى صلوات وادعية ساحرة . . . وللبدوي شعور بالعدالة والحق وان عليه واجبات نحو اهله وعشيرته تفرضها عليه الآلهة ولقد صارت فيما بعد هذه الاحساسات والشعور مُثُلاً عُلْيا جعلت الساميين معلمي الديانات للعالم المتمدن »

حلب

(١) Journal of Egyptian Archaeology vol IV
(٢) Ancient Times A History of the Early World

حديقة المقتطف

أغنية القطيع

من رعويات سبنويل

الرجاء بالله

للشاعر الفرنسي الفرد دي موسه

ڤينوس والنمر

لغرلا الرد



من الشعر الإنجليزي الحديث

أغنية القطيع

من رمزيات سيتويل

من خلال حظائرنا التي شيدها الجبروت ، رحنا نرقب أحزان هذا العام في صمت ورباطة جأش

لقد عرفنا الدم المهراق، ورأينا شؤبوبه وكيف ينبثق في غير ما تنهدة أو حشرجة

ورأينا ذرارينا وكيف تخطف ويرجى ثمنها للخنجر المصلت في يد التاجر

في عيوننا الصاحية ترقد كل خطايا الأندية وتتوارى أسرار الفزع أو الندم

وإذ يترقرق في أسماعنا غناء الزعيم يخطر في مرح ورشاقة عناوين نغامه . فإن أجمل رأيناه في أذنه كموجة متدافعة من الجنون حتى يجد به الثأر وإذ ذاك تتطلع إلى زعيم جديد لنسير تحت إمرته

صاح خروف متشكك في آخر القطيع « ولماذا تروعنا هذه المحررة المتحدة فننكص على أعقابنا ؟! »

ولكن أسراب القطيع راحت تثغو في غضب وكأنها تقول « ألا تذكر كيف دعينا بأقدام خالية من القذر وزججنا بأدمغة فارغة ؟! » إن مثل الصبي يقتضينا الفرار ما استطعنا إليه سبيلاً »

« إننا نمضي بذلك حراساً لن تجود بمثلها البطون »

فإذا ما أتاح قطيع دمه فإن المصير سيتذكر لنا هذا القول المأثور ؟ »

. . . . . لحظة ثم هوى الراعي علينا بعصاه صارخاً مؤنباً « إلى الوراء إلى حظائركم أيها الحمقى »

[نقلها علي محمود طه]

ما سرّحت روحي فيها الاّ عراها ما عراها من خشية ومن رجاء
ومهما قيل عنها ، فان عقلي يضطرب اذ يراها ولا يفهمها
فما هو هذا الوجود وماذا حتمنا نصنع فيه ، اذا كان لا يعمر ارواحنا سلام الاّ اذا حجبنا عنا السماء !
ولكنا اذا مررنا في سبلنا شاخصين الى الارض هائمين كالعطاش ، جاحدين كل شيء ، فهل تكون السعادة رفيقة لنا ؟
لا ! وهل معنى ذلك الاّ ان يسلخ الانسان من انسانيته ويعمل على اذلال نفسه؟
انها الصدف ألقت بي في الوجود
وما انا الاّ ابن امرأة — سواء اكنت شقيًّا او سعيداً
وليس باستطاعتي ان أفر من البشرية

***

ما أصنع اذاً ؟
والمذهب الوثني يقول لي :
تلذذ في حياتك ومت ، فالآلهة لا تنعم الاّ بالرقاد
والمذهب المسيحي يقول لي :
تأمل ! فالسماء ترقب دائماً ، وأنت لا تقدر ان تموت
وقفت حائراً متردداً بين هذين المذهبين
وشئت ان اخترق سبيلي طريقاً بعيني وأنوم
فاجابني صوت عميق « لا تفتش عبثاً ! »
فليس امام السماء الاّ الكفر والايمان
فكّرت ، فوجدت النفوس الحائرة تتهادى بين المذهبين
ووجدت المتحررين جاحدين ، لو تسرب اليهم الشك يوماً واحداً لصرف عن اعينهم الكرى
لأرضَ اذاً بتدبير القدر !
ومادامت المادة تبعث في قلبي رغبة ممتزجة بالرهبة
فيما انا أحيي خاشعاً ، اريد ان اؤمن وان يكون لي رجاء

ماذا أحول غداً وماذا يراد مني ؟

***

ها انا بين يدي الله لاتبعث الآلام المتمثمة ما يمثهُ ذكره من رهبة وحشية
ها انا وحيداً شريداً ، شقيًّا ضيفاً
ترقبني عين ناظر لايبادرني ولا يغفل عني

***

ان تحت قدمي هوة عميقة ، اذا هويتُ فيها ، فان التكفير عن ساعة واحدة يستوجب العذاب السرمدي
ان حاكمي هو جلاد يخدع ضحيته ،
وكل الاشياء —عندي— لصبت لتكون اشراكاً ،ولا يتبدلمها إلاّ اسماؤها
فالحب هو خطيئة والسعادة جريمة
وخليقة سبعة ايام ما وجدت الاّ فتنة والاغواء .
وتعني اصبحت لاأعمل شيئاً من الطبيعة الانسانية ،
فلا عصية عندي ولا ضمير
أرتقب الثواب وأجتنب الأعقاب
دليلي الخوف وحده وغايتي الموت

***

يقال لي : ان هنالك النعيم السرمدي يرتقب أصحابهُ المصطفين لهُ .
فاين هؤلاء الذين سيمنحهم القدر هذا النعيم ؟
أإذا كان وعدكم مكذوباً فهل تردون عليَّ حياتي ؟
وإذا كان عهدكم صادقاً فهل تفتحون لي أبواب السماء ؟
أواه ! ان هذا البلد الطيب الذي أنبأ به أنبياؤكم وأولياؤكم لن يكون — إذا صحَّ وجوده — الاّ قفراً يباباً . .
لانكم تريدون لهذا البلد ابراراً اطهاراً ، لايكادون يلجون النعيم الاّ مد العذاب الاليم
اني إنسان ! لا أتخطى عن إنسانيتي ، ولا أتوغل في تجاربي .
أين المفر ؟

اذا لم تتقبل نفسي على وعود الكهان فهل أمل على المتمردين أمانهم ؟

***

واذا كان قلبي السائم من حلم بنابيعه ، يعرج إلى الحقيقة ليروي غلته ، فاني لأجد في اللذات الباطلة التي ألوذ بها ، أجد مرارة مصبية تكاد تديفني حتى
وفي الايام التي يكفر فيها العقل ، ويشي كل شيء بيفقد نفسه من الشك
وفي الايام التي تملك يدي فيها كل شيء في الحياة
أراني لا ازال آمل . .
أعطني القدرة والعافية والغنى ، والحب ذاته
وقل لعشتروت الشقراء تبرز إلى لعاني من الجزائر الزرقاء
وهب اني اصبحت ادرك اسرار الارض وعناصر الخصب فيها
واتصرف بالمادة الحية كما أشاء ،
وأخلق لنفسي جمالاً ليس له مثيل .
وجلست بجنب بيتهوفن ولوقريطيوس وأبيقور وهم ينتشون بالرحل السعيد .
ومن حولي عشاق الطبيعة القديمة يرتلون أغاني الآلهة
سأقول لهؤلاء جميعاً :
مهما أوتينا القدرة ، فاني اراني أتألم .
انهم متأخرين والوجود على عترم
ان وجهاً واسعاً غير الارض ،
وباعثاً عميقاً يجذب عيوننا — على الرغم منا — الى السماء

***

ماذا يبقى لي اذاً ؟
عقلي الثائر يجرب عبثاً أن يؤمن ، وقلبي أن يشك .
المسيحي يذعرني، ومايقوله الجاحد ـ على الرغم من حواسي ـ لا أستطيع أن أتقبله.
يراني رجال الدين زنديقاً ويجدني المتمردون متصلا
فالى اي مطاف أتجه؟ واي صوت أنيس يعزي هذا الفؤاد الذي جرحه الشك
قيل : هنالك فلسفة تشرح لنا كل شيء ، وتقودنا الى سبل الحياة

غير معتمدة على وحي منزل ، هي دين التجرد والإيمان
اني أسلم بذلك !
فأين اصحاب المذاهب الذين يدركون الحقيقة بغير إيمان ؟
وأين هؤلاء السفسطائيون المخدوعون الذين لايؤمنون إلاَّ بأنفسهم ؟
ما هي مذاهبهم وما هي تعاليمهم ؟
أوجد لي أحدهم مذهباً يضم عنصرين متضادين خالدين تدورُ بينهما المعركة سجالاً (١)
وأوجد آخر في اقصى السماء الهاً لا يبصر ولا يسمع — لا يحتاج الى معابد ومساجد .
رأيت افلاطون (٢) يحلم وارسطو (٣) يفكر
بحثتُ وحللتُ وواصلت مسيري .
وجدت الهاً حائراً يمشي في ظلال الحائرين .
واليوم يحدثونا عن آله « جمهوري »
فيثاغوراس (٤) وليبنتز (٥) يُحولان وجودي
وديكارت (٦) يقذف بي وسط الزوابع
ومونتاني (٧) يبحث فلا يصل الى معرفة نفسه
وباسكال ينهزم مرتعشاً من رؤاه .
وبيرون (٨) يتركني اعمى ، وزينون (٩) يبادرني فاقد الحس .
وفولتير همه ان يحطم كل ما يجده منتصباً
وسبينوزا (١٠) الذي أتعبهُ معالجة المحال في بحثه عن الله اعتقد انهُ وجد الله في كل مكان

(١) يشير الى المذهب القائل بوجود الهين مسيطرين على الوجود ، اله الشر واله الخير (هرمز واهرمان) (٢) يشير الى المثل الاعلى عند افلاطون (٣) يشير الى عمل ارسطو بالمذهب الواقعي (٤) يشير الى انتقال النفس من الجسد (٥) يشير الى مذهب الجوهر الفرد الذي هو اصل الاشياء (٦) يشير الى مذهب الزوابع القائل به مذهب الحديث (٧) يشير الى كلمة «ماذا اعرف ؟» (٨) فيلسوف يوناني جعل من الشك مذهباً (٩) فيلسوف المدرسة الرواقية (١٠) فيلسوف هولاندي واضع مذهب القول ان الله هو في جميع الكائنات

ولوك [١] السفسطائي يقول : ان الانسان آلة .
وفي النهاية رأينا فيلسوفاً [٢] يهوي من الصباب، مهدماً لا يبقي من العبارة القشيبة .
يعلن ان السماء خاوية ، وان ليس — هناك — الأ العدم

***

هذه هي انقاض العلم الانساني !
وهذه هي الكلمة الاخيرة التي خبت لنا بعد عمل خمسين قرناً
آه ايها المساكين الذين شرحتم كل شيء بأساليبكم الخدعة !
ان العروج الى السماء يجعلكم مفتقرين الى اجنحة .
انتم تملكون ارغبة ، ولكن ينقصكم الايمان
اني ارثي لكم لأن كبركم هو ابن الروح المكلومة
انتم تحسون بالمرارة التي يطفح بها قلبي وتدركون الفكرة الالحية التي تترك الانسان يرتعش امام اللانهاية .
والآن لنصلّ جميعاً . . .
اني منصرف الى مصاحفكم التي تضم رفاتكم وترابكم ، أضرع حولها وأصلي لكم
فتعالوا ايها المعلمون الوثنيون ويا رجال العلم ، ونصارى العهد البائد ومفكري اليوم وآمنوا معي بأن الصلاة هي صراخ الرجاء
لنرفعها الى الله لكي يحيينا عنها .
انهُ عادل صالح يغفر ذنوبكم .
قد تألمتم كثيراً ، وشقيتم كثيراً ، فكل شيء يمحى !
والسماء اذا كانت خاوية فلن نسوء بدعائنا احداً
واذا كان ثمة من يسمع ومن يرى فليأخذنا رحمته
ولينشر علينا بساط مغفرته .

[نقلها خليل هنداوي]

---

(١) فيلسوف انكليزي دمر سفسطةً حيثاً في المادة (٢) تشير الى الفيلسوف الالماني كانت

أسطورة جديدة

ڤينوس والنملة

(صغر العين البشرية عن رؤية الكون بأكمله ،
فصغر عن رؤية ما فيه من تناسق وجمال)

دخلت ڤينوس الغابة الإلهية المقدّسة عند الفجر لتستحمّ . فضفرت غدائرها حول رأسها شبه اكليل وغطست جسمها الورديّ العجيب في حوضٍ بلوريّ يملؤه عطراً من ورود الجنان

ولما فرغت من غسلها خرجت من الحوض واستلقت على بُسُط الأعشاب السندسية وغرقت في سباتٍ عميق

ومرّ بها إلهٌ صغير يحمل الى سيده الجبّار جوبيتر قهوة الصباح فبهرته ودلّهته، وصرفته عن عمله

فقضى برهةً يتأمّل ذلك الهيكل القدسي الفخم غير آبهٍ لما ينتظره من شديد العقاب

في أثناء ذلك كانت نملة صغيرة تدبّ على الوجه الإلهيّ الصبيح فتصعد الأنف ، ثم تهبط منه ، وتدخل الأذن ، فتتيه في تعاريجها ، ثم تخرج منها ساخطة معصبة ، لأن الآلهة تخلق مثل هذه الخليقة الشوهاء التي لا تناسق فيها ولا جمال !

[نقولا [illegible]]



خواطر حول أزمة الدين

هل بين مبادىء الدائنين الفرنسية والالمانية تناقض ؟

الدين والدول ولوكارنو



أدرك بريان هذا الخطر، وموضع الضعف في هذا المنطق الفرنسي، لأنه كان أقوى خيالاً وأبعد بصيرة من معظم مواطنيه، فحاول أن يصلح من أخطاء فرساي، بالتقريب بين فرنسا وألمانيا في معاهدات لوكارنو. ومع ذلك لم يفز بريان بكل ما يتمنى. إن ذكريات الجوع في ألمانيا، وتبديد الثروة، واحتلال الرور، وفداحة التعويضات، وإحاطة ألمانيا بحلفاء فرنسا، والتردد في التسليم لألمانيا بكل ما كان العقل يقضي بالتسليم به، وعدم الاعتراف لها اعترافاً رسمياً بمساواتها للدول الكبرى في التسليح، كل هذه العوامل هدمت روح الثقة والتعاون بين الأمتين على ضفتي الرين، التي حاول بريان أن يخلقها

فخاب كل مسعى، للتقريب بين الثقافتين — ثقافة ألمانيا وثقافة فرنسا — وحمل أصحاب كل منهما على النظر إلى الأخرى نظرة احترام وصداقة. خاب كل مسعى من هذا القبيل، لعزم الظافر وإصراره على الاحتفاظ بالتفوق والسيطرة اللتين فاز بهما سنة ١٩١٨، للمرة الأولى في خلال قرن من الزمان

وقد وجد الآن، من يتحدى، الذين يحاولون الاحتفاظ بهذه السيطرة — أي أن روح الثأر تتحدى الحالة التي أنشأتها معاهدات الصلح بين فرنسا وألمانيا. ففي ألمانيا جيل جديد، لم يعرف مرارة الخذلان ولا يسلم بما صنعه. فهو يتحدى بصوت عال، يصحبه نفخ الأبواق وقرع الطبول العسكرية، حق ثقافة أخرى أو حضارة غريبة، في السيطرة على السلالة التوتونية

***

إن محب السلام قد يتألم لظهور النزعة الألمانية الجديدة بهذا المظهر المتحدي، وقد يدافع عن حرمة المعاهدات، ويأسف للأسلوب الذي يجري عليه الريخ الثالث في تحقيق أغراضه. ولكن لا سبيل إلى الفرار من مواجهة الحقائق. فبرعاية هذا الرجل الزعيم، نشأت أمة ألمانية جديدة، فيها أخطاء ألمانيا القديمة أو على الأقل مظاهر أخطائها، وفيها أخطاء جديدة، وروح هذه الأمة خفوقة حلفاً جديداً تتحدى النظام الراهن

فأوروبا تواجه الآن، ما كان أقوى العوامل شأناً في نشوب حروبها — تريد مفاخرة أمة من الأمم ثقافتها مفاخرة يدعوها قومية. فليس ثمة فرنسي لا يؤمن بتفوق الثقافة الفرنسية على ثقافة الشعوب التوتونية. وإذا كان إيمانه لا يتخذ شكلاً من التحدي الحربي فلأنه يشعر أن هذا التفوق معترف به. وليس ثمة نازي ألماني، لا يشترك مع الفيلسوف الألماني فيخت في القول بأن الشعوب الألمانية، هم كهنة الثقافة، وحملة المصابيح إلى سائر الأمم

كانت ألمانيا قبل الحرب تسعى إلى السيطرة العالمية. وكانت تطلب السيطرة لنشر الثقافة الألمانية أو التوتونية في أرجاء العالم، وإنما كان يحدوها شيء من المرارة، لأن مقام الثقافة الألمانية لم

يكن معترفاً به، فارادت الحصول على هذا الاعتراف بحد السيف وهذا هو الباعث على ظهور الالمان بمظهر المتغطرس قبل سنة ١٩١٤ وقد دعوا هذا النوع من « الكفاح الثقافي » Kulturkampf

ثم جاء الخذلان في الحرب ولو انه كان خذلاناً حربيًّا سلم به الالمان. ولكن الطريقة التي أساء بها المنتصرون استعمال هذا الخذلان الحربي، احفظ قلوب الالمان، وجعل المانيا اليوم كما كانت سنة ١٩١٤، ومليءُ روحها اليوم أشد مرارة من روحها سنة ١٩١٤ فالمانيا الثورة في نظر الفرنسيين، ليست الا نسخة من المانيا سنة ١٩١٤، ان المانيا اليوم، بما ذاقته من ضروب الذل والحرمان ومرارة الاستبداد الدولي كالاسد الثائر يحاول ان يحطم قضبان القفص الذي يحويه

ولو ان فرنسا عرفت، كيف تحتفظ باحترام عدوتها المغلوبة، لامكن تفادي معظم ما وقع ومعظم ما ينتظر أن يقع، ولا بد ان المانيا كانت حينئذ تتخذ من فرنسا الموقف الذي اتخذته فرنسا من انكلترا في المائة السنة الاخيرة أو تزيد — وهو موقف احترام واعجاب متبادل وفي علاقة بريطانيا بفرنسا عبرة من عبر التاريخ، لا ندري كيف يهملها رجال السياسة ففي خلال الف سنة قبل القرن التاسع عشر او حتى منتصفه، كانت فرنسا وبريطانيا أشد الامم عداوة. فلم ينقض قرن واحد لم تنشب بينهما حرب، او لم تخوضا حرباً في الصين المتقابلين، وظن أن هذه العداوة سوف تكون دائمة بينهما، ولكن مضت الآن ١٢٣ سنة على معركة وترلو، والسلام مخيم على العلاقات بين الامتين فلا يخطر ببال انكليزي من ناحية، ولا ببال فرنسي من ناحية اخرى ان حرباً بين الامتين ممكنة أو محتملة، لانهما قد تعلمتا ان تعيشا معاً، فكل منهما تحترم الاخرى واوضاعها وتقدر ثقافتها من دون ان تمر في خاطرها ظل من الرغبة في السيطرة عليها وإخضاعها ذلك ان بريطانيا لم تسيء استعمال النصر الذي نالته في وترلو على نابليون، فلم تترك لفرنسا عذراً تتوسل به إلى تغيير الحالة التي نشأت عن الانكسار في تلك المعركة ثم ان رجالها حكموا العقول في الروابط الجغرافية والاقتصادية التي تقتضي منهما التعاون بدلاً من التنابذ

* * *

في اللغات الافرنجية مثل يقول « لا تبك على اللبن المدلوق » وليس غرضنا هنا ابداء الاسف فقط على ما وقع حتى الآن، وانما غرضنا ان نبين لمن يريد، منشأ الحالة كما هي اليوم من ناحيتها الروحية. ومن أشق الامور على الكاتب، تعيين اللوم، أو توزيعه، ولكن لا ريب في ان بريطانيا وأمريكا تحملان نصيباً من التبعة في خلق هذه الحالة لانهما لم تريا الخطر، الناشىء من ترك فرنسا والمانيا وجهاً لوجه وكل منهما متمسكة بكبريائها الثقافية. كان لا بدَّ من ان تتولى امة من الامم الزعامة في الدفاع عن مبدأ جديد في الشؤون الدولية — هذا المبدأ هو ان ثروة

العالم الروحية تتبدد اذا بلغ النزاع بين نوعين من الحضارة او اسلوبين من الثقافة ، درجة الغليان والحرب. واما القيم — اي القوة الروحية — فتنمو وتزداد بالتعاون الحر ، القائم على الاحترام والتقدير

وهذا المبدأ كان يجب ان يكون مبدأ جمعية الامم في جنيف . ولكنه لم يكن مبدأها إلاّ في عالم الوهم والنظر. فجنيف في نظر فريق من الامم الاوربية ليست إلاّ سبيلاً للاحتفاظ بالسيطرة التي منحتها إياها معاهدات السلام . وفي نظر فريق آخر هي السبيل الى التحرر من قيود هذه المعاهدات . فأخفقت جنيف في تحقيق كلتا النظريتين . وأصبح منبر جمعية الامم ككل المنابر الديمقراطية مجالاً للمساومة على المبادىء ، وميداناً للانتصارات الكلامية السخيفة . واضحى التقدم في معالجة شؤون العالم تقدماً سلحفائياً ، فقدت الخطب كل قيمة وكل اثر طيب

فبدلاً من ان تصبح دار جمعية الامم ، ملتقى لممثلي الحضارات والثقافات المختلفة يجتمعون فيها على صعيد واحد من الرغبة في بث روح التعاون والتسامح ، أصبحت ميداناً للمنافسة بين العناصر المختلفة ، فاتسعت الهوة التي تفصل بين الحضارات والثقافات والعقليات التي تقدسها الامم المختلفة ، وتسير بهديها ، ناسبة من الدول كانت متجهة الى جني الفائدة الخاصة اكثر من اتجاهها الى التفاهم ، والى الاحتفاظ بالماضي بدلاً من السير في سبل جديدة الى الأمام

قد يشذ عن ذلك بريان وشترزمن وهريو ومكدونلد ، ولكن الروح العامة هي الروح التي تقدم ذكرها . وهذه الروح وجدت الآن من يتصدى لها ويتحداها في شخص هتلر وجنوده والمانيا الجديدة التي خلقها

في النزاع المحتدم بين الثقافتين — الذي المعنا اليه في مقالنا هذا — يظهر احياناً رجال من اقطاب الفرنسيين يشعرون ببصيرتهم الى سر النزاع ويحاولون ازالته . فبريان قال بعد اجتماعات لوكارنو التي اقتربت فيها المانيا من فرنسا اقتراب تفاهم حقيقي — « لقد تكلمنا لغة اوربية وهي لغة جديدة يجب ان نتعلمها » وكذلك قال للمستشار الالماني — « أنت الماني وأنا فرنسي وعلى ذلك فلا بد من اختلافنا . ولكني استطيع ان اكون فرنسياً واوربياً محباً لصالح اوربا في آن واحد . وأنت تستطيع ان تكون المانياً واوربياً محباً لصالح اوربا في آن واحد . ولا يصعب على اوربيين يحبان صالح اوربا ان يتفقا »

ومن طبع على غرار بريان المسيو هريو فقد قال في خطبة في سبتمبر سنة ١٩٣٢ : « لا بد ان يكون في حيز المستطاع وضع عهد لضمان السلامة تشترك فيه كل الامم الاوربية ويضمن لالمانيا الطمأنينة الدائمة »

***

وبعدُ فقول هريو هذا هو اصدق ما قدمه الفرنسيون لالمانيا ، من ناحية السياسة العملية .

ولكنه لا يكفي المانيا فألمانيا لا تطلب الطمأنينة فقط ، لأن الطمأنينة قد تكون جدوى أمة مستقرة على نظام وعقيدة . ولكن الطمأنينة لا مكان لها في فلسفة ديناميكية كالفلسفة الألمانية . وقد أشار الى ذلك المسيو ده جوفنل في كتابه « السلام الفرنسي » اذ قال : كل خطة سياسية بين فرنسا والمانيا لا تنظر بعين العناية الى الفرق الكبير بين « المنطق الفرنسي » و « الدينامية الالمانية » لا بدّ أن تمنى بالخيبة عاجلاً أو آجلاً

وفي هذا التفريق سر النزاع . ففرنسا لم تفهم قط « الدينامية الالمانية » ، لأنها كانت دائماً تخافها وتخشاها ، مع أنه ليس من المعقول ، أن يظن أحد أن أحداث المانيا في سنة ١٩١٨ ونشوء الجمهورية الالمانية ، يمكن أن يتخذ دليلاً على تخلي المانيا عن فلسفتها الراسخة في تاريخها

قال أديب المانيا العظيم جوته : « في البدء كانت « الكلمة » . اني لا أستطيع أن أعطي قدر الكلمة أو معناها . في البدء كان الذكاء . هل أبدع الذكاء كل شيء ؟ من يعرف أن يعرف في البدء كانت القوة ؟ كلا بل أقول بثقة ، في البدء كان العمل » . فهتلر يقدس « العمل » . أما في فرنسا فيتابع زعماء الأحزاب وأقطاب السياسة وجميعهم يقدسون الذكاء والمنطق في سياستهم . وهذا هو الفرق الأساسي بين عقلية الشعبين ، الفرق الذي يخشى أن يرمي أحدهما بالآخر ، وقد يدفعهما ثانية الى الالتجاء الى الحجة الأخيرة — حجة القوة والسلاح

***

ولعلّ الخطر أعظم مما نتصوره في هذا العصر عصر الجمهور — سواء كان هذا الجمهور جنود النازي في المانيا ومن ورائهم الشعب الالماني تسيّره وزارة الدكتور جوبلز، أو الرأي العام الفرنسي الذي تسيطر عليه الصحف الفرنسية وتشوّهه . وليس ثمة ما يثبت الآن أن الديمقراطيات أقل استعداداً للحرب من « الملكيات » و « الارستقراطيات »

بل ان « الملكية » في المانيا القيصرية كانت صمام ضد التهور العصبي الذي يندفع اليه الشعب ، فكان زعماؤها أكثر وقوفاً على حقائق الحال مما يمكن أن يتاح لجمهور يحصى بالملايين ، وكانوا أشد اهتماماً بأعمالهم وحرصاً على مناصبهم ، لذلك كانوا أقل اندفاعاً الى المغامرات الخطرة ، من الجماهير التي قد تشب عن الطوق ، ويصبح من المتعذر كبح جماحها

ولكن المانيا دولة مندفعة الآن ، لا جمهورية هي ولا ملكية ، وقد أحدث الشعب الالماني انقلاباً تاماً بعد ما وضعت الحرب أوزارها . فالعناصر المتحدة المعتدلة التي تقلدت زمام الأمور في يد جمهورية فيمار ، قد فقدت ما لها من السلطان وتخلّت عن الزعامة لأتباع « فلسفة نيتشه » وهو مبدأ الفلسفة الديناميكية الالمانية ، وليس للحركة التي تدعمها قوة النازي « فرملة » يمكن

مشتهاها تحصيف السير ودرء الخطر عند الاضطرار . فقد اكتسحت كل الفواصل بين الولايات الالمانية وأنشأتها على المثال الالماني الاعلى . وحدة متماسكة

وهذا كله أهمس لاتحاد الحركي بين المانيا والنمسا الذي قاومته فرنسا حتى حطمته في المهد

***

نعرض حتى الآن الى مسألة السلم والحرب بين فرنسا والمانيا من ناحية النزاع بين السلالتين والاختلاف بين روحي ثقافتهما ولا ريب في ان الفرنسي ، اذ يلقي بنظره الى ضفة الرين الاخرى ويرى هذه القومية الجامحة اجتياحاً ، يشعر اذا داخلته اريب في مافقد سرعة المستقبل . ولكن الفرنسي غضبان يعترف بأنه أحمق في محاولته السيطرة على الروح الالمانية ، سواء بالقوة حاول ذلك او بالدبلوماسية . وكل ما عمله هو ومن يحمل معه تبعة هذا العمل ، تقوية الروح الالمانية المطالبة بالمساواة

ولكن ثمة سبب آخر للحرب ، شديد الخطر وهو لاتصاله بتفاقم الازمة الاقتصادية قريب من الوتر الحساس في الشعوب المهتاجة المحتاجة أشد القرب ، فقد خلقت دول جديدة في أوربا بمقتضى معاهدات الصلح ، يبلغ طول حدودها نحو خمسة آلاف ميل . ولو ان هذه الحدود كانت حدوداً جغرافية أو عنصرية فقط ، لكان الامر هيناً ولكن ما كادت هذه الحدود ترسم على الورق حتى اصبحت حدوداً اقتصادية فأضيف الى النزاع العنصري النزاع الاقتصادي ، فشرعت في الحال كل دولة جديدة تحاول ان تكفي ذاتها بذاتها من الوجهة الاقتصادية ، فرفعت الحواجز لتمنع بضائع جاراتها من ان تعبر اليها ، فمنعت كذلك الافكار والاذهان من التبادل والتفاهم . فصح المثل القائل « زاد الطين بلة »

وهذا العمل ، في نظر المانيا — البلاد الصناعية التي تعيش من مصنوعاتها — كان باعثاً على خرابها الاقتصادي وخاصة بعد نزع مستعمراتها منها وقد اشار الى ذلك كاتب الماني كبير فقال « لو عزز روح الاشتراك والتعاون من الناحية الاقتصادية لقضي على بذرة البغض قبل ان تنبت ، وقتل فكرة الحرب في مهدها » فلما حاولت المانيا ان تفك قليلاً من هذا القيد ، بانشاء الاتحاد الجمركي مع النمسا ، تصدت لها فرنسا ومنعتها

***

فماذا تستطيعه فرنسا في هذه الحال ؟ لا بدَّ لها من ان تنظر الى عاملين خطيرين : فثمة اولاً احزاب اليسار من متطرفين واشتراكيين وهي الاحزاب التي تؤيد الحكومة الحالية وتمثل في الغالب الرأي السائد لاكثرية الشعب الفرنسي . ولكن احزاب اليسار لم تستطع حتى

الآن أن تحقق خططها السياسية في فرنسا. نعم إن بين زعمائها رجالاً واسعي الثقافة كرام المبادىء أحرار الفكر يستطيعون أن يخطوا خطواً بعيداً في «نزع السلاح الأدبي» و«التعاون الدولي» ولكنهم في الغالب لا يستطيعون أن يتحرروا في شؤون السياسة الخارجية من القواعد التقليدية. حتى بريان نفسه على عظمته في هذا الميدان، لم يتحرر في عهده كل التحرر منهما. أما هريو فأبدى فهماً عميقاً للحال وجرأة عظيمة في مؤتمر لوزان الذي سحقت فيه التعويضات، لكن حكومة المستر هوفر خذلته. لأنها بعد ما أشارت بما تم في لوزان، لم ترض أن تخفض ديون الحرب، بعد الغاء التعويضات. ولهذا تنتظر النتائج التي تسفر عنها الانتخابات الفرنسية العامة في مايو القادم بفارغ صبر

***

على أن للمسألة ناحية أخرى ينبغي أن نأخذ على فرنسا تشدُّدها في المحافظة على المعاهدات القائمة، وامتناعها من ملاينة انكلترا لالمانيا، وعملها جانباً كبيراً من تبعة الخيبة في انصاف المانيا والتعاون معها بعدم انصافها، منذ شيئين

منها أولاً أن الانكليزيَّ — حتى السنة الاخيرة — والاميركيَّ، لا يدركان معنى تنظيم السلامة أو ضمانها كما يفهمها الفرنسي. فانكلترا جزيرة أو جزر يحيط بها الاسطول واميركا بلاد شاسعة واقعة بين محيطين ولو كانت المكسيك بلاداً يسكنها مائة مليون ياباني، لفهم الاميركي معنى ضمان السلامة على نحو ما يفهمهُ الفرنسي والسياسة ترجع في الغالب الى الحقائق الجغرافية والتاريخية فعبارتا «ضمان السلامة» و«تنظيم السلام» كما تردان في حديث الفرنسيين ليستا بالعبارتين الجوفاوين

ثم اننا ننسى كل ما طلبت به فرنسا من اقتراح البروتوكول المشهور سنة ١٩٢٤ الى الاتفاق على خروج الجنود المحتلة للمنطقة الثالثة من بلاد الرين خمس سنوات قبل ميعاد المضروب في المعاهدات، الى قبولها الموراتوريوم الخاص بديون الحرب سنة ١٩٣١ بعد اعتراض شكلي، الى تسليمها في مؤتمر لوزان سنة ١٩٣٢ بالغاء التعويضات الالمانية، عدا مبلغاً صغيراً لا يزيد على ١٥٠ مليوناً من الجنيهات

فهذه كلها اعمال تُطرى، ولكنَّ فهم الفرنسي لمعنى «ضمان السلامة» كان يحول دون التسليم بجميع هذه الامور تسليماً مصحوباً بالسخاء والعطف، بل كان تسليمهُ في الغالب ينتزع انتزاعاً منه حتى أفضى تبرم الالمان بذلك الى نشاط الحركة الوطنية الاشتراكية واستفحالها فاصبح الخطر الذي يتصوره الفرنسي شبحاً ماثلاً امامهُ

الرين والرور ولوكارنو

بلاد الرين

بلاد الرين اسمٌ يطلق على جانب من المانيا ليس بحد ذاته وحدة سياسية او تاريخية ، وهو يشمل قسماً من ولاية هسي ناسو الروسية ، واجزاء من دولة هسي الحرة ، واحدى امارات بافاريا ودولة بادن الحرة وهي بلاد واقعة على جانبي نهر الرين مساحتها ٢٥٥٤٧ ميلا مربعا وسكانها نحو سبعة ملايين وربع مليون وهذا عدا مقاطعة السار التي تبلغ مساحتها ١٠٩٠ ميلا مربعة وسكانها ٧٧ الفاً وقد اعيدت الى المانيا بعد الاستفتاء الذي عقد فيها باشراف جامعة الامم في اوائل سنة ١٩٣٥

ضمت بلاد الرين القديمة ، وهي خليط من امارات زمنية وكنسية ، الى فرنسا سنة ١٨٠١ في معاهدة لونفيل ... واعيد معظمها الى بروسيا في مؤتمر فينا في ١٠ فبراير سنة ١٨١٥. الا ان سياسة فرنسة ، اتجهت بعد ختام الحرب الكبرى، الى فصل الجانب الواقع على ضفة نهر الرين اليسرى من بلاد الرين عدا ما فيه مقاطعة الالزاس عن المانيا، ولو تمَّ هذا الفصل لخسرت المانيا ٨ في المائة من مساحة بلادها ، و١١ في المائة من عدد سكانها و ١٢ في المائة من مصادر الفحم فيها و ٨ في المائة من مصادر الحديد فيها ، وذلك رغبةً في ضمان سلامة فرنسا . وبعد مساومة طالت ، اتفق على ابقاء بلاد الرين الواقعة على ضفة نهر الرين اليسرى ، تابعة لالمانيا ، على ان يحتلها جنود الحلفاء في ثلاث مناطق فتخلى المنطقة الشمالية بعد انقضاء خمس سنوات على احتلالها وتخلى الوسطى بعد انقضاء عشر سنوات على احتلالها ، وتخلى المنطقة الجنوبية بعد انقضاء خمس عشرة سنة على احتلالها ، اذا نفذت المانيا شروط الصلح المفروضة عليها . وتم الاتفاق كذلك على تجريد بلاد الرين الواقعة على ضفة نهر الرين اليسرى ومنطقة عرضها ٥٠ كيلو متراً مما يلي منها الى الضفة اليمنى ، من السلاح ، وكان الغرض من هذا الاحتلال والتجريد من السلاح ، ضمان تنفيذ مواد معاهدة فرساي وضمان سلامة فرنسا من الاعتداء العسكري عليها

فانشئت بعد ذلك لجنة دولية مؤلفة من ممثلي فرنسا وانكلترا والبلجيك والولايات المتحدة الاميركية ، ومنحت الحق ان تصدر مراسيم لحماية قوات الحلفاء ، ولكن لم يصرح لها بالتدخل في ادارة البلاد الالمانية

وكانت فرنسا قد سلّمت باخلاء بلاد الرين ، وبوجه خاص ما كان منها على ضفة نهر الرين اليسرى ، بناءً على ان يعقد لها محالفة او ميثاق يضمن سلامتها مع انكلترا والولايات المتحدة

الاميركية فلما رفضت الولايات المتحدة الاميركية الاشتراك في هذا الميثاق اضطرت انكلترا الى تحمل تبعته وحدها

وكان الفرنسيون كانوا يتوقعون كل هذا فسعوا الى تشجيع المطالبين بانفصال بلاد الرين عن الجمهورية الالمانية، وانشاء حكومة مستقلة استقلالاً ذاتياً فيها فأيد عسكريون فرنسيون رجلاً يدعى الدكتور هارتن في سعيه الى انشاء جمهورية في بلاد الرين. ولكن هذه الحركة ماتت بالاخفاق في مهدها لان قائد الجيوش الاميركية في منطقة الرين رفض ان يشترك في تأييدها (٢٢ مايو ١٩١٩) ولكن لما القت الحكومة الالمانية القبض على الدكتور هارتن في منطقة غير داخلة في البلاد المحتلة (٢٤ يوليو ١٩٢٠) طلب المندوب السامي الفرنسي تسليمه الى ادارة المنطقة المحتلة واطلاق سراحه

احتلال الرور

الرور نهر الماني يصب في الناحية اليمنى من نهر الرين، ويمرّ قبل وصوله الى الرين في منطقة صناعية غنية بالمناجم. هذه هي المنطقة التي اشتهرت بعد الحرب الكبرى باحتلال الفرنسيين لها، في سنة ١٩٢٣ لما كان المسيو بوانكاره رئيساً للوزارة

كان احتلال الحلفاء للبلاد الالمانية الواقعة الى يسار ضفة الرين اليسرى، يشتمل على الطرف الغربي من جسر الرين عند مدينة كولون، فكان هذا الاحتلال كان يمس منطقة الرور نفسها. ولكن الفرنسيين لم يكونوا راضين عن هذه الحالة من الناحية العسكرية لان هذه المقاطعة كانت قلب الصناعة الالمانية في الحديد والصلب. ففي شهر مارس سنة ١٩٢١ مدّ الفرنسيون نطاق احتلالهم على مدن دويسبرج وروهرورت ودوسلدورف في منطقة تبلغ مساحتها ٥٠٠ ميل مربع وعدد سكانها نحو ٧٠٠ الف نسمة، عقوبةً لالمانيا لانها رفضت مقترحات باريس الخاصة بالتعويضات ثم وسع نطاق هذا الاحتلال في سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ حتى شمل منطقة الرور كلها تقريباً

كانت مصانع الحديد والصلب في اللورين قبل الحرب ملكاً لرجال الصناعة في الرور او مندمجة في مصانعهم. فركاز الحديد في اللورين — وهو غير جيد — كان يستعمل جانب كبير منه في مصانع الرور. يقابل هذا ان فحم الكوك المستخرج من مناجم الرور كان يستعمل جانب منه في صهر ركاز الحديد في مصانع اللورين. وعلاوة على هذا كانت مصنوعات اللورين الحديدية تباع في الغالب في جنوب المانيا الغربي

فلما وضعت الحرب اوزارها واعيدت مقاطعتا الالزاس واللورين الى فرنسا، وانفصلت دوقية لوكسمبرج عن الاتحاد الجمركي الالماني، خسرت المانيا نحو ٨٠ في المائة من مصادر

الحديد التي كانت لها. واصبحت فرنسا في الوقت نفسه في مقدمة دول اوربا في انتاج ركاز الحديد. يضاف الى هذا انها سيطرت على مصانع الحديد في اللورين وقد كانت مجهّزة باحدث الآلات ومعها وضمّت اليها ضماً مؤقتاً مناجم السار رغبة منها في التغلب على القصور بفحم الكوك اللازم لمصانعها ولكن لما كان فحم السار غير صالح لذلك، نصّ في معاهدات الصلح، على وجوب تسليم فرنسا وحلفائها مقادير معينة من الفحم والكوك باسعار معيّنة

الا ان الحالة الاقتصادية في الرور لم تكن على ما يرام من ناحية فرنسا. فحكومة المانيا امدّت اصحاب المناجم والمصانع هناك باعانات مالية مكّنتهم من انشاء مصانع جديدة على احدث طراز، تستطيع ان تعتمد في عملها على ركاز الحديد المستورد من السويد او اسبانيا. ويقابل هذا ان ركاز الحديد في اللورين، وهو غير جيد، كان يجب ان يصهر وينقى اما في اللورين واما في الرور. والصهر في اللورين كان متوقفاً على ايراد منتظم من كوك الرور وتصدير ما يصنع من هذا الحديد كان متوقفاً على الاسواق الالمانية. وفي صدد هذه الاسواق نصّت المعاهدة، على ان صادرات اللورين تبقى معفاة من الضرائب الجمركية مدة خمس سنوات فقط في حدود ما كانت تصدره اللورين الى المانيا قبل الحرب. واذن يتبيّن للقارئ ان المسيطرين على فحم الرور كانوا كذلك مسيطرين على حديد اللورين وصناعته فيها

فلما عقد مؤتمر سبا سنة ١٩٢٠ كانت المانيا قد تأخرت عن توريد جانب مما يطلب منها من فحم الرور، فبعث اليها الحلفاء بانذار نهائي مهددين باحتلال الرور اذا لم تفِ به. فسلّمت الحكومة الالمانية بما ليس منه بدّ ومن ثمة اخذ الفرنسيون يتخذون التهديد باحتلال الرور سلاحاً في النزاع القائم حول مشكلة التعويضات فلما رفضت الحكومة الالمانية مقترحات مؤتمر باريس (٢٩ يناير ١٩٢١) احتل الفرنسيون دوسلدورف وروهرورت ودويسبرج وظلوا محتلّيها حتى بعد ما قبلت المانيا بلاغ لندن النهائي في ٥ مايو ١٩٢١

وفي ٢٦ دسمبر سنة ١٩٢٢ اعلنت لجنة التعويضات بوحي او ضغط من قبل فرنسا ان المانيا قد قصّرت في توريد ٢٠ الف متر مكعب من قدد الخشب و١٣٠ الف عمود تلغراف وثمنها كلها لا يزيد على بضعة ملايين من الماركات وبعدها بايام اعلن تقصير آخر من ناحية المانيا. فقرّرت لجنة التعويضات — على الرغم من معارضة انكلترا — ان هذا التقصير كان مقصوداً، وفي ملحق معاهدة فرساي ما يخوّل الحلفاء في مثل هذه الحالة، ان يتخذوا الاجراءات التي تقتضيها الحالة. فقرّرت حكومتا فرنسا وبلجيكا ان تبعثا بلجنة من المهندسين الى الرور للسيطرة على اعمال نقابة الفحم وضمان توريد المقادير المتفق عليها من الفحم. وصحب هذه اللجنة قوة عسكرية، من دون ان يكون الغرض احتلالاً عسكريًا

فلما دخلت جنود فرنسا وبلجيكا الرور في ١١ يناير سنة ١٩٢٣ كانت نقابة الفحم قد نقلت مركزها واوراقها الى همبرج واحتجت الحكومة الالمانية احتجاجاً رسمياً في ١٢ يناير سنة ١٩٢٣ وتوقف توريد الفحم والكوك الى فرنسا وبلجيكا ، ووقف دفع التعويضات ، وامر موظفو الحكومة ورجال السكك الحديدية في الرور ان يمتنعوا عن اطاعة الاوامر الصادرة من الدول المحتلة ، فحاول الفرنسيون ان يديروا البلاد في وجه مقاطعة عنيفة، فخسروا هم في ذلك وخسر الالمان في تعزيز هذه المقاطعة . بل ان النزاع في الرور لمقاومة فرنسا فيه ضعضع حالة المانيا المالية في سنة ١٩٢٣ وافضى الى انهيار المارك

ودفنت جميع المقترحات التي اقترحتها المانيا وانكلترا حلاً للمشكلة ، ادراج الرياح ، حتى تألفت وزارة جديدة في المانيا برآسة شترزمن فألغيت المقاومة السلبية في الرور في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٤ ولكن الحكومة الفرنسية ظلت راغبة ان تفاوض بل مضت في تأييدها للحركة الانفصالية على ضفة نهر الرين اليسرى

ولكن في نوفمبر بدأت مفاوضات اقتصادية مالية بين البيوتات الصناعية الكبيرة في المانيا وفرنسا ، افضت الى شيء من الاتفاق فتمهد بذلك السبيل ، الى الاتفاق بفضل ما بذلته الحكومتان الاميركية والانكليزية من السعي في فرنسا . فأنشئت لجنة التعويضات لجنة خاصة برآسة الجنرال دوز الاميركي لتقدير مال التعويض الذي تدفعه المانيا للحلفاء، وطريقة تأديته ، فلما عرض مشروع دوز وتم الاتفاق عليه مبدئياً بدأت الجنود الفرنسية والبلجيكية تخلي منطقة الرور فتم اخلاؤها في ٢٥ اغسطس سنة ١٩٢٥ وقبل مشروع دوز رسمياً في ٣٠ اغسطس من السنة نفسها

ميثاق لوكارنو

كل هذا مهد السبيل لعقد ميثاق لوكارنو

وميثاق لوكارنو هو في الواقع سلسلة من الاتفاقات للتحكيم والمحافظة على السلام تعهدت فيها المانيا وبلجيكا [illegible] السلام في [illegible]
وتعهدت فيها المانيا كذلك بان تعمد الى التحكيم في فض اي خلاف ينشأ بينها وبين فرنسا او بلجيكا او بولونيا او تشكوسلوفاكيا

هذا بوجه عام ، ولكن المعاهدات التي عقدت في لوكارنو ووقعت في ١٦ اكتوبر سنة ١٩٢٥ تشتمل على (اولاً) معاهدة ضمان متبادل بين المانيا وفرنسا وبلجيكا وبريطانيا وايطاليا (ثانياً) — معاهدتي تحكيم بين المانيا وفرنسا ، والمانيا وبلجيكا ، ومعاهدتي تحكيم آخريين بين المانيا وبولونيا والمانيا وتشكوسلوفاكيا

و (ثالثاً) مذكرة مشتركة من الحلفاء ابلغت الى المانيا وفيها تفسير للمادة السادسة عشرة من عهد جامعة الامم

و (رابعاً) معاهدتي ضمان بين فرنسا من ناحية وكلٍّ من بولونيا وتشكوسلوفاكيا من الناحية الاخرى

***

وقد اشترك في امضاء هذه الاتفاقات بالحروف الاولى من اسمائهم ، كل من المستر اوستن تشمبرلن عن بريطانيا ، والدكتور لوثر والهر شترزمان عن المانيا ، والمسيو اميل فاندرفلد عن بلجيكا ، والمسيو ارستيد بريان عن فرنسا ، والسينيور موسوليني عن ايطاليا ، والكونت سكرزنسكي عن بولونيا ، والدكتور بنش عن تشكوسلوفاكيا . والى القارئ طرفاً من نصوص معاهدة الضمان المتبادل وهي المعاهدة التي عرضتها المانيا ، باحتلالها منطقة الرين ، متذرعة بعقد ميثاق الدفاع بين روسيا وفرنسا :

تنص المادة الثالثة من معاهدة لوكارنو على ان المانيا وبلجيكا والمانيا وفرنسا تتعهد بأن تسوي بالاساليب السلمية وبالوسائل المنصوص عليها في هذه المعاهدة جميع المسائل كائنة ما كانت التي تنشأ بينها والتي تتعذر تسويتها بالاساليب الدبلوماسية العادية

فكل مسألة يختلف فيها من حيث حقوق الدول المتعاقدة يجب ان تعرض ليصدر فيها حكم قضائي والدول المتعاقدة تتعرض للرضوخ بهذا الحكم

وجميع المسائل الاخرى يجب ان تعرض للجنة مسالمة او مصالحة . فاذا لم يقبل الفريقان مقترحات هذه اللجنة تعرض المسألة على مجلس جامعة الامم فينظر فيها وفقاً للمادة الخامسة عشرة من عهد الجامعة

وتنص المادة الرابعة على انهُ اذا ادعت احدى الدول المتعاقدة ان المادة الثانية من هذه المعاهدة او ان المادة ٤٢ او المادة ٤٣ من معاهدة فرساي قد انتهكت او في سبيل الانتهاك فعندئذ يعرض الامر على مجلس جامعة الامم

ومتى اقر مجلس الجامعة ان هذا الانتهاك واقع يبلغ قراره الى الدول الموقعة معاهدة لوكارنو المتعهدة كل على حدة بأن تساعد الدولة او الدول التي وُجّه هذا الانتهاك اليها

وتنص المادة الخامسة على انهُ اذا رفضت إحدى الدول المتعاقدة ان تعرض موضوع خلاف للتسوية السلمية او ان تذعن لقرار التحكيم او للحكم القضائي وتنتهك المادة الثانية من معاهدة لوكارنو او المادة ٤٢ او المادة ٤٣ من معاهدة فرساي فعندئذٍ تطبَّق نصوص المادة الرابعة التي تقدم نصها

باب المراسلة والمناظرة

الاصطلاحات

التي اقرها مجمع اللغة العربية في دورته الثانية

للدكتور امين باشا المعلوف

لما صدر الجزء الاول من مجلة مجمع اللغة الملكي نشرت نقداً له في مقتطف مارس سنة ١٩٣٥ ولم ابغ بذلك مجرد النقد بل خدمة اللغة العربية . وكان في ما ذكرتهُ الالفاظ الآتية

علم الحياة وقلت الصواب علم الاحياء وذلك نقلاً عن معجم الحيوان في تعريف هذه الكلمة وهو ما يأتي : البيولوجية او علم الاحياء واصلها ونشوءها وانمائها ووظائفها وانتشارها وما يصحبها من ظواهر النمو والانسال والكلمة منحوتة من لفظين يونانيين معناهما حياة وعلم اي علم الحياة على ان استاذنا الدكتور صروف لم يقل الا علم الاحياء لانهُ اراد بهذا الاسم علم الاحياء لا علم الحياة . انتهى . على اني رأيت بعد ذلك في المقتطف انهُ قال ايضاً علم الحياة

ثم ذكرت الفاظاً اخذتها على المجمع الموقر او على احدى لجانه منها العالم الحيوي فقلت الاحيائي ومنها الاحراج فقلت الاراز . وكثر الغلط في مقالتي هذه وظنَّ البعض ان احد اعضاء المجمع باح لي بسرّ الجلسات . واقول الآن ان العبارة الاولى اي علم الاحياء هي لي لا لغيري لاني مؤلف كتاب معجم الحيوان وان كثيراً من الالفاظ التي نقدتها واردة في معجم مخطوط كتبتهُ في بغداد لسبع سنوات مضت او اكثر والكتابة قديمة فمن شاء فليشرف الى منزلي في رقم ١٢ من شارع الجامع في مصر الجديدة فأطلعهُ عليه وانا في المنزل في كل يوم من الساعة ١٢ الظهر وما بعده الى ما شاء الله ما عدا يوم الاحد

قلت ان اللجنة اصلحت معظم الالفاظ التي كتبتها واقتبست غيرها وكان يجب ذكر هذا الاقتباس ولكنهُ امر يستوجب شجاعة ادبية كبيرة وهي بالاسف ليست عند كثيرين من الناس . والآن ابتدأ بالنقد مع ذكر صفحات الجزء الثاني من مجلة المجمع وان نقدي مكتوبٌ باخلاص عظيم فارجو من اللجنة اعادة النظر فيه فان كنت مصيباً فاني اكون قد قمت بعمل للغة وان كنت مخطئاً فلست اول من اخطأ

ص ١٣٢ و١٤٢ المركبات الزلالية فقلت فيها الآحية وهي صحيحة ولا ارى غباراً عليها وقد جاء في حاشية اللجنة هو الآح ويسمى زلال البيض وقد استعمل لفظ الزلال على التشبيه بالماء لصفائه

فقد فقاد لا نقول الآن وقد قاسها اللجنة وقاسها كثيرون من الكتاب وقاسها معهد الطب العربي في دمشق

ص ١٤٤ الفريولوجي اقول الصواب فسيولوجي فالكلمة يونانية الاصل فيجب ان يعرب هذا الحرف بالسين لا بالزاي كما عربوا فيلسوف وموسيقى وما اشبه

ص ١٣٢ حي مجهري وسيأتي ذكر المجهر

ص ١٣٣ المئبر وهي لا بأس بها واحسن منها الخِنْش والكُش ذكرهما ابن سيده في المخصص في باب النخل وهما شائعتان في العراق فالكلمة الانكليزية معناها مجموع اعضاء التذكير لا اعضاء التذكير وحدها كما ان مجموع اعضاء التأنيث اسمه الورم بالعربية والكلمتان بالانكليزية والعربية هما خِنْش او كُش Androecium وورم [illegible] لذلك يجب وضع الكلمة الثانية مكان المئبر كما سمته اللجنة Pistil فالورم عن مستدرك التاج قال «الورم الطلع ينشق ليلقح ثم يشد محوصة نقله الجوهري فالخش والورم كلتاهما تعوز اللجنة وارجو اصحابها ان يرتبوا الآتي ذكره

ص ١٣٤ التمثل وهذه قلت فيها يجب ان يكون التمثّل والتمثيل وهي ترجمة لكلمة assimilation فهذه الكلمة وامثالها التي على هذه الصورة هي مصدر للازم والمتعدي فيجب ان تترجم بالتمثّل والتمثيل فلنبحث في المعجمات الاخرى بعد ما تقوله هي لتحاري بث تمثيل الاسمدة في النباتات او تغربة النباتات بالاسمدة وفي القاموس العصري لالياس انطون الياس تمثيل الطعام هضم مشاكلة مشابهة تشبه . تمثيل وفي معجم خير الله تمثيل وفي معجم شرف تمثيل الغذاء اي تحويله الى انسجة حية وفي معجم زكي اسعد لعاتط تمثيل تمثيل بالامتصاص فهذه وكثير غيرها تصوغ المصدر من المتعدي وانا لا انكر جوازه من اللازم لذلك قلت يجب ان يكون من اللازم والمتعدي معاً

ص ١٣٥ الاحياء الدب وكانت الدقيقة في الجزء الاول والاحيائي وكانت الحيوي في الجزء الاول كذلك العالم الاحيائي وكانت العالم الحيوي

ص ١٣٦ علم الاحياء وكان علم الحياة وقد تقدم ذكره

ص ١٣٧ قالت اللجنة الاسماك والزواحف والطيور واقول الصواب الزحافات وهذا مأخوذ عن الاب انستاس احد اعضاء مجمع اللغة الملكي في نقده معجم الحيوان المقتطف ٨٢ : ١١٨ اي يناير سنة ١٩٣٣ قال ما يأتي «ذكرت هارحة وهوارح مأخوذاً عن الدكتور بوست وهذا لا يجوز لغوياً لان الهارحة اسم فاعل واسم الفاعل والفاعلة تدل على ذي معنى معروف هذا رجيل قاتل يدل على احد امرين اما انه قتل في الماضي او انه يقتل عن قريب وكذلك قولك الشارق فالشارق من الناس الذي سيصير شرقاً عن قريب اما اذا كان ذا شرف اليوم وهذه فيقال شريف اي يفرع صوغه في قالب المبالغة وهيئة من صيغ المبالغة ولذلك لا يجوز ان يقال هارحة بل هراجة والجمع هراجات

الم تر انهم لم يسموا طائرة او طائرين واحدهما مشكوك في اصلها والأفعلها موزون اوزان مبالغة كفعل وفعال وفعّال وفعلٍ وفعّلة وفعيل الى اشباهها قلت واذا كان الاب استاس مصيباً وانا اراه كذلك فلا يقال الا الزحافات لذلك قالوا الجراد الزحاف وفي محيط المحيط للبستاني الزحّاف الكثير الزحف ومنهُ الجراد الزحّاف الذي يمشي على الارض ويقدمه الطيّار والزحافة مؤنث الزحاف والطائفة الزاحفة من الحيوانات هي التي تدب زحفاً كالسلحفاة ونحوها انتهى قول محيط المحيط وقد يكون قول البستاني الجراد الزحاف من كلام العامة ولكني جئت به شاهداً على توهم زحّاف في صيغة المبالغة لذلك أرى انهُ لا يجوز قولنا زواحف بل زحافات وهذا شاهد آخر على قول الطائفة الزحّافة فالبستاني كتب من خمسين سنة وكانوا يترجمون كلمة [illegible] بطائفة وهو الصواب في ترجمتها كما نعت في معجم الحيوان فاننا اذا ترجمنا هذه الالفاظ على طريقة الفوضى فانا لا نستقر على شيء ونبقي امورنا فوضى فانهُ لا يجوز تبديل قول من سبقنا الا اذا كان في قوله خطأ وانا لا أرى سبيلاً الى تغيير هذه الكلمة الانكليزية واستبدال غيرها بها فالكلمة الانكليزية هي طائفة وطبقة بالعربية وقد قالوا الصف وانما الصف تكاد تكون عامية بهذا المعنى وقد استعملوها في بيروت للسنة الدراسية الواحدة وهو الصف عند الترك والفرقة في مصر

ص ١٣٨ القميص جدار الخلية القميص من الالفاظ التي اخذتها على المجلة في السنة الماضية وكانت القميص او حائط الخلية فقبلت المجلة جدار الخلية والقميص والطها محسنة لو حذفت القميص وابقت جدار الخلية دون غيرها فالقميص لا يقبلها عقل ابداً

ص ١٤٠ قالت المجلة الاحياء المجهرية وسيأتي ذكر المجهرية

ص ١٤٤ العمل الفزيولوجي وقد تقدم ان الصواب الفسيولوجي

ص ١٤٦ و ١٤٧ الغدد الصم وهو الصواب وكانت في العام الماضي الغدد الصمّا

ص ١٤٧ الثقف وكانت اللقف قبلاً فاصلحتها المجلة ولكنها عادت واخطأت في هذه الكلمة في جهة لا اذكرها وقالت اللقف

ص ١٤٨ الطيور والزواحف والصواب الزحافات كما تقدم

ص ١٤٨ والثدييات البيوضة والصواب اللبونة وقد اخذت اللبونة عن الدكتور دارل في كتابه تنوير الاذهان قال في صفحة ٢٠ من كتابه المذكور ما يأتي . اما اسماء الفصائل والرتب وغيرها مما اصطلح علماء الافرنج على وضعها مركبة تركيباً مزجيًا فقد انتخبت لها اسماء عربية تفي بالدلالة على المعنى المقصود فوضعت اللبونة للدلالة على رتبة الحيوانات الولود التي تغذو صغارها بلبنها وهي التي سماها المرحوم بذوات الثدي تسمية لا توافق الوضع اللغوي العربي

لان العرب خصّوا الثدي بالمرأة والخِلف بالناقة والضرع بالشاة والبقرة والظبي بالكلبة. ولا يجوز اطلاق لفظة عليها بعينها لانهُ يُبهم وقد شاع استعمال هذه اللفظة بعد ان ذكرناها في مقالات شرتب عن الحيوانات الحية فهل يُعتقد بعد ذلك كله ان يقال ثدي الكلبة مثلاً او يقال لبونة لانها تشمل جميع الحيوانات التي تدرّ لبنها وهل بعد ذلك اشتداد للرغبة حتى في ...

ص ١٤٩ الاوار وهذه كانت الاحراج في السنة الماضية منشيا التصحيح

ص ٤٩ البيئة الخارجية فقد كان ينبغي ذكر واضعها وهو الشيخ ابراهيم اليازجي وقد ذكر البيئة وغيرها في الصفحة ٧١٠ من المجلد الثاني من الضياء هي وغيرها كالعلة فهذه من وضعه ايضاً وقلت ان اكرام العلماء واجب ولا سيما بعد وفاتهم وفي القاموس البيئة المنزل والحالة يقال هو في بيئة سوء اي حالة سوء وانهُ لحسن البيئة وقد وردت هذه الكلمة غير مرة في مجلة المجمع بلا ذكر واضعها

ص ١٠٥ و١٨٥ المواد الدُّهنية والصفات الشحمية او الألية. قال في تاج العروس الشحم معروف قال ابن سيده هو جوهر السمن والجمع شحوم والشحمة القطعة منهُ وفي الحديث لعن الله اليهود حرّمت عليهم الشحوم فباعوها واكلوا اثمانها الشحم المحرّم عليهم هو شحم الكلى والكرش والامعاء واما شحم الظهور فلا . انتهى ما اردنا منهُ فالشحم ليس الشحم المعروف عند العامة بالشحم فهذا شحم الامعاء فقط لان الشحم في اللغة فهو اللحم الابيض كما يستدل من الحديث الشريف وهو كذلك في المعجم التركي وفي بعض المعجمات الغربية الا انها قالت دهن ايضاً اما في المعجم التركي المسمى لغات طب فهو الشحم فقط

والألية في القاموس العجيزة او ما ركب العجز من شحم ولحم والعامة تسمي العجز الألية

والدهن لم يرد في كتب اللغة انهُ هذا الشحم الابيض المعروف عند عامة المصريين بالدُّهن وعند عامة اهل الشام بالدِّهن قال في تاج العروس: الدهن بالضم ويفتح والفتح عن ابي زيد نقله الجوهري قدر ما يبل الارض من المطر وفي محيط المحيط للبستاني الدُّهن مصدر وقدر ما يبل الارض من المطر ويجمع على دهان والدهن ما يدهن به السراج . ومن الحيوان اللحم الابيض كالشحم اليه الصنان ونحوه الواحدة دهنة مولدة وهو يريد بالمولدة انها عامية كما هو شأنه في كثير من الالفاظ الى ان قال اي البستاني والدهن عند الاطباء ما فيه دهن من الشجر كالصنوبر او من الثمر كاللوز ونحوه . والدُّهنة الطائفة من الدهن ويقال هو طيب الدهنة اي طيب الرائحة يريد البستاني هنا ان الدهن عند الاطباء هو ما يسمى عند عامة اهل الشام بالزيت وفي المراق الدهن ما فيه دهن من الشجر كالصنوبر او الثمر كاللوز ونحوه اي كما يقول الاطباء يقولون هناك دهن الصنوبر ودهن اللوز

وصفوة القول ان الدهن عند اهل العراق والبادية هو السمن ومن الشحم والثمر ونحوه دهن والدِّهن ايضاً بالكسر ولكن عند عامة اهل الشام هو اللحم الابيض كشحم الالية والدُّهن بالضم عند عامة اهل مصر كالدهن بالكسر عند عامة اهل الشام . اما الدُّهن بالضم فلم يرد في كتب اللغة بهذا المعنى في ما اعلم وعليه فصحاك انهُ ورد الدُّهن وهذه عامية شامية ومن الدهن بالضم عامية مصرية وصوابها الشحم كما جاء في الحديث الشريف وان شئت فقل الالية من الشحم المعروف عند العامة بالشحم فهو بالعربية شحم الامعاء كما ورد في تاج العروس فالشحم نوعان شحم الالية وشحم الامعاء فكله شحم بالعربية فهل سمع قول العامة من العراقيين او غيرهم من اهل مصر والشام فالدُّهن لم ترد في كتب اللغة بمعنى اللحم الابيض في ما اعلم

بقي عليَّ ان اقول ان الشحم وارد في التوراة في نسخة الآباء اليسوعيين وفي النسخة الاميركية وهو في كلتيهما اللحم الابيض اين كان وقد ورد في النسختين ذكر الالية وهي اللحم الابيض في مؤخر الشاة اي الشحم . وورد ذكر الدهن وهو فيهما الدهن عند الاطباء وورد ذكر الزيت وهو دهن الزيتون فقط . ولا يخفى ان التوراة مترجمة بدقة متناهية وعناية شديدة فتجد ان ما ورد فيها يوافق ما جاء في كتب اللغة ويوافق استعمال العراق

هذا وقد نقبت بالامس استاذنا معروف الرصافي الاديب العراقي الكبير فقلت ما الدهن في العراق قال هو السمن ثم انهُ ورد ذكره في القرآن الكريم بمعنى دهن الزيتون اي الزيت والآية هي «وشجرة تخرجُ من طور سيناء تنبتُ بالدُّهن وصبغٍ للآكلين» فالدهن هنا معناه دهن الزيتون اي الزيت . فما ورد في القرآن الكريم هو فصل الخطاب في الدهن فالدهن ليس معناه اللحم الابيض كما ارادت المجلة الموقرة فالافضل حذف هذه الكلمة والاستعاضة عنها بالشحم كما تقدم فان ارادت المجلة اللحم الابيض في الالية فيقال الالية وان ارادت شحم الامعاء فيقال شحم الامعاء والله اعلم

ص ١٥١ احياء عصرية وسيأتي ذكرها

ص ١٥٦ قالت المجلة مرتبة من الثدييات تشمل عدداً كبيراً من ذوات الاربع الصغيرة المحجوم كالخلد والزباب والقنفذ واكثرها يغتذي بالحشرات واظن المجلة تريد ان تقول طائفة من اللبونة تشمل عدداً كبيراً من الدوشات كالخلد والزباب والقنفذ وفي الحاشية الزباب كسحاب فار عظيم اصمّ احمر الشعر او بلا شعر (قاموس) قلت ولم يخبرنا صاحب القاموس ان هذه الدويبة من الحشريات وكنت اود لو قالت المجلة عن احدث الزباب وهل كثير عليها ان تذكر معجم الحيوان وقد ورد الزباب في الصفحة ٧٥ و ٢٢٥ و ٢٢٦ ولم يذكره احد غيري لا قبلي ولا بعدي لا المجلة الموقرة وهذا ما رأيت ان اذكره الآن وعسى ان اتم البحث في الجزء التالي



حشد نوى الذرّات

ان نوى الذرّات مؤلفة من مادة كثيفة جداً، حتى لو كانت المادة في قبعة انسان محشوة كما تحتشد المادة في نوى الذرّات لكان وزن القبعة مليون طن. هذا هو التشبيه الذي قرّب به الاستاذ بلر بوز العالم الطبيعي الدنماركي حالة المادة في نوى الذرّات الى الافهام

واحتشاد المادة في الذرات على النحو المتقدم يحير العلماء لأن النواميس التي تخضع لها النوى، غير النواميس التي تخضع لها الذرّات او المادة في حالتها السوية بوجه عام

وليست نوى الذرّات، المكان الوحيد في الكون الذي تحتشد فيه المادة هذا الاحتشاد. بل يؤخذ من الارصاد التي تمت لرفيق الشعرى، ان مادة هذا الكوكب متحشدة كذلك. فقد ثبت للعلماء ان كتلته من رتبة كتلة الشمس ولكن حجمه اقل من حجمها، بل ان قطره لا يزيد على جزء من ١٩ جزءاً من قطر الشمس، اي ان كرته صغيرة جداً وهي قريبة من كرة سيار متوسط في حجمه بين الارض واورانوس ونحن نعلم انه اذا شئت ان تضع مادة من مقام مادة الشمس في كرة لا تفوق الارض او اورانوس حجماً وجب ان تحتشد هذه المادة في هذا الفراغ، حشداً شديداً. والواقع ان كثافة المادة في كرة رفيق الشعرى تبلغ ٦٠ الف ضعف كثافة الماء، اي ان كل بوصة مكعبة منه تزن طناً

ومع ذلك نرى ان كثافة المادة في نواة الذرة اعظم من كثافتها في رفيق الشعرى

اما في حالة رفيق الشعرى فالتفسير المعقول الآن هو ان ذرات المادة في الاوساط التي بلغت حرارتها درجة عالية جداً، تتجرد الكهارب عن النوى ثم تحتشد معاً بفعل الضغط الناشىء عن كتلة النجم، فتصبح مادة شديدة الكثافة شدة لا عهد لنا بمثلها على سطح الارض، الا في نوى الذرّات

•

الشعير النابت والبول السكري

يخرج من الحية عسلاً! هذا ما ورد في التوراة. ولكن عالمين فرنسيين من اساتذة كلية الطب في باريس — الدكتور دوبار [illegible] والدكتور لابيه [illegible] — استخرجا من الشعير النابت مادة شبيهة بالانسولين، قد لا تقتصر فائدتها على مكافحة البول السكري بل

قد تفيد ايضاً في زيادة وزن الهزال

وقد سميت هذه المادة « انسولينويد » — اي الشبيه بالانسولين — وتعرف اختصاراً بالحروف الثالية I. G. B.

وعند ما اكتشف الانسولين اتجهت انظار بعض الباحثين الى النبات وهل يحتوي على خلايا تفرز كخلايا الغدة الحلوة — البنكرياس — مادة تتصف بخواص الانسولين واقل خطراً منهُ في الاستعمال

وكان في مقدمة من اتجه الى بحث هذا الموضوع الاستاذ كولب احد علماء جامعة ماكجيل فاكتشف توزاً (هرمونا. والتوز في اللغة الرسول وهو معنى هرمون وهي تتصل على كلة رسون لامكان تصيصها وقد اقترح استعمالها الدكتور محمد شرف بك في محاضرته الاخيرة في المجمع المصري للثقافة العلمية) خاصًا بالسكر وجرَّب غيرهُ من الباحثين عمل مواد مستخلصة من نباتات مختلفة

وقد جرِّبت مادة « الانسولينويد » التي استخرجها الطبيبان دونار ولايبه في الحيوانات والناس، على ايديهما، وعلى ايدي زملاء لها كذلك في مستشفى سان لويس بباريس، فثبت ان استعمالها في حالة البول السكري يفيد في تخفيف مقدار السكر الذي في الدم، وتخفيف الاعراض الاخرى. ثم ان استعمالها منهُ فائدة اكيدة في زيادة وزن الهزال

ولكن لا بدَّ من البحث والتجربة للتثبت من دوام تأثيرها على وجه علمي، ويحذر الدكتور لاتيه من استعماله الا بارشاد طبيب

■

تحضير الالومنيوم بالكهربائية

معدن الالومنيوم من أهم المعادن وألزمها للحضارة تصنع منهُ ادوات المطبخ ولا غنى عنهُ او عن اخلاطه في صناعة الطيارات والسيارات وصناعة كثيرة من الآلات الحديثة ولكن صورة عنصرية في العقد الثامن من القرن الماضي جعلته ثميناً كالبلاتين فكان ثمن رطل منهُ يقدَّر بالجنيهات لا بالقروش وروي عن اميركي كان في باريس سنة ١٨٧٨ واراد ان يشتري نظارات للاوبرا فعرض عليهِ صائغ نظارات مصنوعة من الالومنيوم واخرى من البلاتين وكان ثمن واحدة كثمنيهما فاختار الاميركي النظارة المصنوعة من الالومنيوم. ولكن الشاب الاميركي تشارلز مارتن هول استنبط طريقة كهربائية لتحضير الالومنيوم في ٢٣ فبراير سنة ١٨٨٦ اي من خمسين سنة وكان حينئذٍ في الثانية والعشرين من عمره، فهبط ثمن الرطل منهُ هبوطاً عظيماً حتى صار بضعة قروش وأصبحنا نشتري ادوات المطبخ المصنوعة منهُ الآن ببضعة قروش

ومما يهمنا ذكرهُ في هذا الصدد ان المستر هول ترك في وصيته مبلغ مليوني جنيه من ثروته توزع على المعاهد الاميركية في الشرق الادنى

تعميم مبدإ عدم التثبت

ألقى العلامة الاستاذ نيلز بور الدنماركي محاضرة علمية في معهد وردورث بلندن ، قال فيها ان مبدأ عدم التثبت الذي وضع في علم الطبيعة الحديث له ما يعادله في علمي الاحياء والنفس

ومبدأ عدم التثبت في علم الطبيعة الحديث يعني انه من المتعذر على العالم ، الباحث في الدقائق الذرية ... ان يعيّن مكان دقيقة ذرية وسرعتها في آن واحد . فاذا عرف المكان تعذر عليه تعيين السرعة ، واذا عرف السرعة تعذر عليه تعيين المكان . وقد كان من تأثير هذه القاعدة انها هدّمت ثقة العلماء بالجبرية Determinism في علم الطبيعة

وقد وجه الاستاذ بور النظر الى ان في علم الاحياء ما يقابل هذا فقد قيل انه اذا عرف العالم الاحيائي كل ما يمكن ان يعرفه عن ذرات خلية ما ، استطاع ان يعرف كل شيء عن الخلية نفسها . ولكن الاستاذ بور قال ان العالم لا يستطيع ان يعين جميع الحقائق الخاصة بذرات خلية ما من دون تمزيق الخلية فيهدم بذلك الكيان الحي الذي يريد ان يفهمه . فليس في وسع العالم ان يحلل الحياة من دون ان يهدم الحياة

وما يقال في علم الاحياء يقال في علم النفس . فالتحليل في علم النفس اكثر تعقيداً منه في علم الطبيعة والاحوال النفسية التي تعنى ان نحللها ، تتغير بالبحث والتحليل . فالصورة الذهنية ، تتغير اذا وجهت نظراً خاصًّا الى جزء من اجزائها دون سائر الاجزاء

والفروق الاصلية بين السلالات ، تزيد من فعل هذا المبدأ في علم النفس . فاذا حاول دنماركي او انكليزي ، ان يقرب جهده من الصور الذهنية التي تقوم في اذهان الصينيين او اليابانيين بغية تحليلها ، صار اقرب الى الصينيين واليابانيين منه الى الدنماركيين او الانكليز ، فتتغير الحالة تغيراً اساسيًّا بطبيعة البحث نفسه

•

فعل الغدة الصنوبرية

في داخل الجمجمة غدة صغيرة تعرف بالغدة الصنوبرية ، وقد وصفها العالم الفرنسوي ديكارت بقوله انها « مقر الروح »

لهذه الغدة تأثيران متناقضان الاول انها تعيق النمو والثاني انها تستعجل الاعمال الحيوية في الجسم

فقد اخذت طائفة من علماء معهد البحث الطبي بمدينة فيلادلفيا الاميركية خلاصة هذه الغدة وحقنوها في خمسة اجيال متعاقبة من الجرذان ، فظهر ان حجم جرذان الجيل الرابع كان نصف حجم جرذان في سنها ولدت من جرذان لم تحقن بهذه الخلاصة ولكن اعمال جسمها الحيوية في الوقت نفسه فيها ، كانت اسرع من الاعمال الحيوية في نديداتها . فالاسنان كانت تشق اللثة فيها وتبرز بين اليومين الثالث والخامس بعد الولادة بدلاً من اليومين الثامن والعاشر وعيونها كانت تفتح في اليوم الخامس بدلاً من ان تفتح في اليوم الخامس عشر

مدينة على الجمد

قال الاميرال برد عندما وصلنا الى «اميركا الصغيرة» (مقر بعثة برد الاولى الذي طار منهُ وحلق فوق القطب الجنوبي في الرحلة الاولى) في ١٧ نار سنة ١٩٣٤ — كان السكون مخيماً عليها وكان سطح الثلج المذرا فوقها مستوياً كالخشب المصقول

وبعد ما حفرنا نفقاً في احد الاعماق التي انشأناها في رحلتنا الاولى دخلناه دار الادارة» وكانت على عمق اربع عشرة قدماً تحت سطح الجمد . فاشعلت عود ثقاب ورأيت على ضوئه إناء فيه مربى

من الاغراق ان ادعي ان المكان كان لا يزال كما تركناه قبل اربع سنوات . فالسقف كان قد تهدل تحت ثقل الثلج المذرا فوقه وكان على الجدران غشاء جليدي من تقلص رطوبة الهواء عليها وتجمدها. وكانت الامتعة مبعثرة في الدار هنا وهناك فخطر لي حال هذه الدار عندما غادرناها ولكنني اغتبطت اننا عدنا وان العودة تقتضي منا عملاً غير يسير لتنظيف الدار وترتيبها واعدادها للسكنى

واذ نحن واقفون قرع جرس التلفون . ولست امزح اذ اقول ان الجرس قرع فعلاً فدهشنا وذعرنا قليلاً . فسمرنا في اماكننا ثابتة كأننا ذعر . ثم رنت قهقهة يعرفون من غرفة مجاورة . فانهُ وجد عدة التلفون فضغط على جرسها. ثم انتقل الى حيث وجد على الجدار مفتاح للمصابيح الكهربائية فأداره فأنارت المصابيح . نعم كان الضوء غير لامع ولكن تألق المصابيح حببه لا عارٍ فيها

ووجدنا على الموقد آنية الطعام وفيها طعام مجمد بالبرد وكان الفحم قرب الموقد فاخذنا قدراً منهُ واشعلنا النار وسخنا الطعام المتجمد وأكلناه فاذا هو شهي كما كان سنة ١٩٣ وبعد بحث قليل وجدنا لحم الغنم والحوت في النفق الخاص بالاطعمة فاذا هو محفوظ حفظاً تاماً لم يتطرق اليه اي فساد

فاقبلنا بعد ذلك على ترميم «اميركا الصغيرة» وتشييد ما تهدم منها وخصوصاً في ذلك البرد الشديد والعواصف الثلجية المكتسحة . كانت هذه المدينة او البلدة من اعجب بلدان العالم . انشئت على رقعة فسيحة من الثلج ولكنها تستطيع ان تفاخر بضوء كهربائي وطاقة كهربائية ومحطة للاذاعة اللاسلكية واخرى للطيران فيها اربع طائرات واربع جرارات وورش ومحطة للظواهر الجوية مجهزة باتم تجهيز باحدث الادوات العلمية ومعمل للبحث العلمي وعلماء يستطيعون البحث في ٢٢ فرعاً من فروع العلم الحديث ومرصد للشهب ومسرح للصور المتحركة وعلماء ورواد وطيارون ومهندسون عددهم جميعاً ٥٦ رجلاً هم اكبر بعثة قضت فصل الشتاء بكامله في المنطقة المتجمدة الجنوبية

واذ كانت معدات البعثة ومؤونتها تفرغ من السفينة في خليج الحيتان اذاعت البعثة اذاعتها اللاسلكية الاولى . وقفت اراقب اعداد

اصدات هذه الاذاعة فتذكرت الكابتن سكوت وبعض رجاله قبل اثنين وعشرين سنة وكيف لقوا حتفهم جوعاً وهم يبعدون عن معرهم ۰۰۰ ميلاً حيث رفاقهم يشعرون عن دنيهم عارج العصر ولا سبيل متعذر بين الفريقين وهذا تمتد بحادثة جمهور كبير من سكان الولايات المتحدة الاميركية حتى بعد عشرة آلاف من الاميال

*

الاشعة الكونية والتطور

من نحو ست سنوات كتب عالم انكليزي يدعى دكسن رسالة الى مجلة باينشر سليته المشهورة اقترح فيها رأياً جديداً مؤداه ان الاشعة الكونية قد تكون عاملا من عوامل التطور

وفي اجتماع حديث عقدته الجمعية الفلوسية الامبراطورية للبحث في الدكتور هشو تومس محاضرة بسط فيها الرأي الذي اقترحه دكسن بعد بحث وتحقيق داما ست سنوات

مشدنا في المقام الاول مباحث تجريبية لاشك فيها قام بها نفر من العلماء في اماكن مختلفة وبها ثبت ان اشعة اكس تؤثر في عوامل الوراثة في الخلية تأثيراً لا عهد للانسان بمثله من قبل وهذا التأثير يحدث في صاحب هذه العوامل تحولات حالية في صفات وخواص جديدة تورث وهذه التحولات هي عماد التطور على ما نعلم

وقد ثبت من مباحث اخرى ان اشعة غما المطلقة من الراديوم تفعل نفس هذا الفعل

اما الاشعة الكونية فما هي؟ لم يقطع العلماء فيها برأي حتى الآن ولكنها على كل حال أفعل وأشد اختراقاً للاجسام من أشعة اكس وأشعة غما عشرات من مئات الاصناف فانها تخترق ما سمكه بضع اقدام من الرصاص او مئات من الاقدام من الماء . فقد ظهر أثرها في جهاز غطس الى عمق ۷٥٠ قدماً في بحيرة صافية الماء نقيه ثم انه من المقرر ان قوتها تزداد بالارتفاع عن سطح الارض وقد اثبت العالم الوراثي الروسي فيلوف ان التحول في صفات النبات اكثر ما يكون في النجود وعلى قمم الجبال

*

وزن الكون ووزن الارض

قرأنا في جريدة « كرستيان سينس مونيتور » ان عالماً كتب مقالاً في هذا الموضوع اليك ملخصه :

اذا كان وزن الارض ...... ۰ .... ٦٥٩٢۰۰۰۰۰۰۰ من الاطنان

فماذا يكون وزن الكون ؟

يقول الاستاذ هبل العالم الفلكي المشهور ان وزن الكون يجب ان يكون عشرين كندسيليوناً من الغرامات أي ۰۰۰ ۰۰۰ ۲۰۰ ... ...

... ...

وقد عرض الاستاذ هابل هذا الرقم والعمليات الرياضية التي عملها للتوصل اليه على الجمعية الطبيعية الاميركية ومن اقواله فيها انها مبنية على حسابات نظرية لا دخل فيها للنظرية النسبية

الجو والحالة النفسية والصحية

هل خطر لك ان تسأل نفسك لماذا تحس في بعض الايام بانك نشيط طموح مغتبط لانك حي ثم لماذا تحس في ايام اخرى بتعب وفتور وتراخ وهبوط في الهمة؟ أيمكن ان يسند ذلك الى حالة الجو؟ أيمكن ان نلوم الهواء؟

عرف العلماء من عهد بعيد ان كل قدم مكعبة من الهواء الذي نتنفسهُ تحتوي على دقائق مكهربة — وتعرف باسم أيونات او شوارد — بعضها مكهرب كهربائية موجبة وبعضها مكهرب كهربائية سالبة وهذه الدقائق محمولة في الغبار وقطيرات الماء وما اشبه

ولكننا ما زلنا في مفتتح عهد جديد في فهم ما لهذه الدقائق المكهربة من التأثير في الشؤون الحيوية لانهم لم يتمكن العلماء الا من عهد قريب من السيطرة على حالة الجو الكهربائية سيطرة خاضعة لقواعد التجربة العلمية الدقيقة

***

فالايونات يمكن توليدها في الهواء بمصدر شرارات كهربائية فيه او اشعة اكس او مقذوفات الراديوم حتى شعلة من النار في موقد تؤيّن الهواء الى حد ما اي تولد فيه هذه الدقائق المكهربة أي الايونات

ثم هنالك اجهزة خاصة تمكن العلماء من ان يخرجوا من قدر معين من الهواء في معمل البحث الدقائق المكهربة الموجبة او الدقائق المكهربة السالبة ثم يدرس تأثير الباقي

على هذا النمط وجد الاستاذ دسور في جامعة ويسكونسن ان المرضى الذين يتعرضون للدقائق المكهربة الموجبة يشعرون بالتعب والاعياء والدوار والصداع فلما ازيلت الدقائق المكهربة الموجبة من الهواء الذي يتنفسونه وتعرضوا للدقائق المكهربة السالبة زال الصداع وحلَّ محله شعور الانشراح والنشاط

وقد جربت التجارب في ضغط الدم وتأثرها بحالة الهواء من حيث وجود الدقائق الموجبة او الدقائق السالبة فيه فظهر ان وجود الاولى يزيد ضغط الدم فينشأ من ذلك انزعاج عام وان وجود الثانية يخفف ضغط الدم ويحدث شعور الراحة والطمأنينة بل هنالك ما هو اعجب مما تقدم ذلك ان استنشاق مقادير من الدقائق المكهربة السالبة مدى اسابيع افضى الى تحسين الحال في ثمانين في المئة من اصابات ضغط الدم

ولا ريب انك ايها القارىء قد سمعت المصابين بالروماتزم يتحدثون عما يشعرون به من تقلب حالة الجو قبل حدوثه فهل هذا الشعور وهو اشبه ما يكون بالتنبؤ بالطقس اساس علمي؟

لقد اثبت الاستاذ دسور ان الناس المرضى بالروماتزم زادت آلامهم وتصخمت مفاصلهم وارتفعت حرارتهم قليلاً عند استنشاقهم هواء كثرت فيه الدقائق المكهربة (الايونات).

ومعروف عند علماء احوال الجو ان العاصفة قبل حدوثها يسبقها هبوط في ضغط الهواء وكذلك يصعد الى سطح الارض هواء كان

محوطاً بين دقائق التراب وقد ثبت ان الهواء الذي يكون بين دقائق التراب تكثر فيه الدقائق المكهربة الموجبة . ولعل وجود هذه الايونات يزيد آلام المصابين بالروماتزم قبل سقوط المطر

ثم ان الهواء يحتوي على ايونات كبيرة وايونات صغيرة وقد اكتشف الباحثون في معهد كارنيجي بواشنطن ان الايونات الكبيرة تكثر بعد الغروب والايونات الصغيرة تكثر قبل الشروق ولعل هذا الفرق بين الليل والنهار اهم من الفرق في ارطوبة بينهما . بل لعلنا نجد في هذا الفرق تفسيراً لتأثيرها الفسيولوجي في جسم الانسان

•

تخدير خيل السباق

لا تألو الامة الاميركية جهداً في مكافحة تخدير خيل السباق في بلادها وذلك لانه تكشف لمندوبي الحكومات الاميركية المتحدة في خلال سنة ١٩٣٤ الذين شهدوا وهم متنكرون سباق الخيل في اشهر حلباتها في مختلف فصول السباق حيث تبين لهم ان اكثر من ٣٠٠ حصان كانت مخدرة وما ادراك ما تخدير تلك الجياد — انه من اشنع الفظائع التي يقترفها من لا خلاق لهم بل انه مما يستعصي على الفهم تصوره اذ يجذب لسان الحصان ويحرك بالمادة المخدرة حالة ، ثم يذر المورفين على قاعدة اللسان وثبت ان حشيشة الدينار تحمل الحصان يركض ركضاً فائقاً حتى يصرع في الميدان

ومن الوسائل الشيطانية التي يتوسلون بها الى تلك البغية تجريع الجواد قبل ولوجه مضمار السبق بنصف ساعة جرعة مركبة من الكافيين السائل ممزوجاً بالهيروين والاستركنين وزهر الكثاتين او الديجيتالا ونحوها من العقاقير المنبهة او بحقن الحصان في عنقه تحت الجلد بمحقنة محتوية على الهيروين فيسري مباشرة في مجرى دمائه

لم يسع ولاة الامور هناك إزاء ذلك الغش الفاضح والظلم الصارخ والقسوة المشؤوم على ذلك الحيوان الاعجم الامين الا ان ألفوا لجنة لمكافحة ذلك الداء الوباء قوامها نوح من البياطرة والكيماويين من كل ولاية من الولايات المشهورة بسباق الخيول وذلك برياسة المستر هـ . ج . انسلنجر رئيس مكتب المخدرات العام في واشنطون حيث اقروا تأليف دائرة عامة في وزارة المالية تقوم ببحث ودراسة الوسائل الواجب اتخاذها لتوحيد جهود لجان السباق في الولايات المختلفة الخاصة باستكشاف حوادث التخدير ومنعها واتخاذ الوسائل لضم الولايات التي لا تعد الوسائل المقاومة للتخدير تنفيذاً تامًّا تحت لواء الدائرة

وفي اثناء تلك الجلسة عرضت تجربة امتحان اللعاب وهي الطريقة المستعملة في اوربا لمنع تخدير الخيول ولذلك يحشى فم الجواد بحشية من الشاش مشبعة بالماء المقطر فيمصها الحصان فيسيل لعابه ويفيض فيجمع في وعاء ثم يؤخذ لعاب غيره من فم الحصان ايضاً بتجفيفه بقطعة من الشاش الجاف وحينئذ

يوم كباري محص القباب مكشف فيه الاستركنين والهيروين والديجيتال وغيرها من العقاقير وفي هذه الحالة يمنع ذلك الحصان من دخول ميدان السباق

وقد استعملت معظم الولايات التي تبيح السباق طريقة فحص لعاب الخيل لكشف التخدير قبل ترخيص لها بدخول حلبة السباق وهذا يتم بأنه قبل بدء السباق في غالبية الولايات تفحص الخيول قبل قبولها في الميدان وأمر ولاة الامور في كيموريا بحجر خيول السباق في حظيرة ساعة قبل بدء السباق وذلك يقول المستر استلتجر « انه اذا اتبع ذلك النظام في بلاد الولايات المتحدة بأسرها فزال ضرر تخدير خيول السباق لان تأثير التخدير في هذه الحالة يزول قبل دخول السباق او على الاقل يتيح لنا معرفة هل الحصان مخدر او سليم من التخدير »

والغرض من تخدير خيول السباق جعلها تفور في الميدان على الاقران وجعله الكوكايين او الهيروين تحت تأثير سمه في لحم الحصان مثل تأثير المشروبات الروحية المنبهة في الانسان اذ يشعر بالابتهاج والقوة والطموح الى العدو

ومما لا شك فيه ان لادمان التخدير تأثيراً مضعفاً في جسم الحصان ولذلك يعطى الخيل دائماً الاستركنين مع الهيروين اذ الاستركنين ينبه القلب والعضلات تنبيهاً قوياً . والكوكايين والمورفين لا يلجأ اليهما كثيراً مخدرو الخيول اذ غايتهم تهييج الحصان اما كثيراً واما قليلا

والهيروين ألطف من غيره من المخدرات اذ تحدث لفخامة الوهمية التي تقتضيها المسافات العظيمة

ويجب يكون الحصان جيداً لا يشجعه الا الهيروين اذ تشجعه وتقويه على اقتحام الحلبة دون استمرار صناعي

ومتى خدرت الخيول مدة طويلة اصبحت مدمنة للمخدرات كالانسان فلا تستطيع العدو الا اذا جرعت الجرعة المخدرة قبل الاقدام على السباق وتستعمل لذلك مادة هيدرات الكلورال وهذه تمزج بالملح وتستدعي الحصان فتجعله ثملا وافظع الطرق لتخدير الخيول بهذه الطريقة وضع اسفنجة في خياشم الحصان وقد ثبت ان تخدير الافراس وخيول المطوقة بعضها فلا تستطيع تنتج نتاج جيد الصحة

عوض جندي

*

حفظ الفاكهة تشميعها

تستعمل اميركا الآن طريقة جديدة لحفظ الاثمار والخضراوات الناضجة حفظاً طبيعياً عن حرارة الشمس وذلك بتشميعها بطبقة رقيقة من شمع عسل النحل ويبلغ من فائدة هذه الوسيلة ان جلّ اصحاب السفن التي تنقل الفاكهة قد استغنوا عن تثليجها بثلاجات السفن اذ ثبت للباحثين ان تمس الفاكهة والخضراوات من قشورها بعد السبيل لصيانات لعرقدت عنها وانهُ متى شمعت الخضراوات عند جنيها من تربتها والثمار

عند قطفها من اغصانها بصمغة رقيقة من الشمع لا يخللها الهواء فمكن منع التعفن لان الشمع يحول دون النضج « النضج عند العامة » وهو اقوى الاسباب لتلف التفاح والشمع يبقى التفاح ثلاثة امثال المدة التي كان يبقيها في الاسواق بعد استخراجه من مثالج البواخر ويطول البرتقال والليمون الهندي طازجين ستة اشهر بدلاً من ستة لاسابيع وهي المدة التي كانت تقدر له محفوظاً على رفوف حوانيت باعته

ويعيش الليمون بهذه الوقاية من ٨ اشهر الى سنة كاملة وتشترى حتى الطماطم الكاملة النضج (بدلاً من الطماطم الخضراء) فتطل قصة الزمن الذي كانت تبقيه خضراء حتى تستوي ويشمع كذلك البطيخ والخيار والطاطس والكمثرى حتى اليقطين فتبقى جيدة مدة مديدة اما الخضراوات ذات الاوراق والجذور والمشمش والخوخ لشاني لم تتمتع بها بهذه الطريقة ولكن هذا لم يمنع في ساعد الباحثين عن مواصلة التجارب

ويقدر رجال البواخر النقالة صناديق الفاكهة والخضراوات التي ستشمع في الولايات المتحدة خلال السنة الحالية بخمسة وعشرين مليوناً من الصناديق . وان ثلاثة ارباع المحصولات السنوية المصدرة الى الخارج ثم تشمع قبل نقلها وان الخمسين مليوناً من الريالات التي كانت تخسرها الولايات المتحدة من تعفن الفاكهة عند نقلها كل سنة سيربحها المصدرون بواسطة اختراع التشميع

عوض جندي

الحرب بالاذاعة اللاسلكية

جاء في جريدة « الاكسبرس بوراني » التي تصدر في مرسوبيا عاصمة بوليفيا ان الروس ينوون ان يشهروا الحرب على العالم من طريق الاثير فمن انباء موسكو ان سوفيت الراديو قد أتم مؤتمره السنوي من اسابيع وانهُ قرر انشاء عشرين محطة قوية للاذاعة اللاسلكية تختلف قوتها من مئة كيلو وط الى ٢٥٠ كيلووط وانهُ ينتظر ان يذاع من هذه المحطات باثنتين وعشرين لغة احاديث وخطب واذاعات شيوعية او فنية وادبية مطبوعة بالطابع الشيوعي . وينتظر ان تكون خمس عشرة محطة منها في روسيا الاوربية وخمس محطات في سيبيريا

آكل جرثومة السل

اذاعت رسالة العلم الاسبوعية ان الدكتور وليم ستينكن Steenken وهو بكتريولوجي شاب في معهد ترودو للبحث في السل اكتشف بكتريوفاجاً (اي عاملاً يأكل المكروبات) لباشلس السل والبحث جارٍ الآن لمعرفة فعل هذا البكتيريوفاج في علاج السل . وقد يكون القول بانه فعّال قبل اوانه . ولكن هناك ما يدل على انه قد يكون العلاج المنتظر للسل الذي طال البحث عنه

لم يجرب بكتيريوفاج ستينكن بعد في اصابات بشرية ولكن استعماله في حوادث الحيوان تدل على فائدته وينتظر ان يجرب قريباً في اناس مصابين بالسل لمعرفة تأثيره فيهم



الحيرة

المدينة والمملكة العربية

تأليف يوسف رزق الله غنيمة — مطبعة دنكور اخوان — وثمنه ١٠٠ فلس اي ١٠٠ مليم

بيني وبين يوسف بك غنيمة وزير المالية السابق في العراق معرفة قديمة وصداقة وثيقة فقد كنت اعرفهُ من مقالاته النفيسة في المقتطف ثم سافرت الى بغداد والتقيت بهِ فيها فتمكنت هناك الصداقة بيننا ويكفي ان أبين ما لهُ في هذا الكتاب وما عليهِ في ما يأتي وآتي بالادلة على ذلك

اولاً تعريب الاعلام فانهُ عربها تعريباً عاماً خير مما يدل على انهُ قرأ هذه الاسماء في مظانها فقال اردوان ولم يقل ارتابانوس وقال وهش ولم يقل فيناكسا وقال الاشغانيين ولم يقل بارثيين او الفرثيين وقال بلاش الثالث الملك الاشغاني ولم يقل فولوجيسس وقطيسفون ولم يقل كتيزفون وقال يوستنيوس ويوستنيانوس وترايانوس ولم يقل جوستن وجوستنيانوس وترجان او طراجان اي انهُ عرب هذه الاسماء بالياء لا بالجيم وامثلة ذلك كثيرة

ثم ذكر نزوح العرب الى العراق وقال كان يسكنهُ الشمريون والاكديون فذكر الشمريين ماشيين اسحمة لا ساميين نقلاً عن اليونانية واللغات الاخرى التي اخذت عن اليونانية وقال ان الاكديين ساميون وهم والعرب والآشوريون والعبريون من اصل واحد وقال انهُ لا يعلم التاريخ الذي دخل فيهِ العرب الى العراق على ان اول هجرة لهم ذكرها التاريخ كانت نحو سنة ٢٢٠٠ قبل الميلاد فانشأوا هناك مملكة خرج منها حمورابي الشارع البابلي العظيم ثم اندثر الشمريون وبقي الاكديون الساميون ولم تنقطع هجرة العرب الى العراق بعد ذلك منها الهجرة التي حدثت بعد سيل العرم في اليمن نحو سنة ١٠٢ بعد المسيح فنزل مالك بن فهم بقبائله بين الحيرة والانبار فأسس هناك سلالة التنوخيين فصارت الحيرة عاصمة لهم في عهد جذيمة الابرش

وقد شرح معنى الحيرة وقال انها ارمية النجار وهي المعسكر والدير والحصن وقال ان الحيرة والحير العربي من اصل واحد اذ ان المعرب والمعسكر والحي الغائط يدل اصلها على معنى واحد ثم قال « وبدأ خراب الحيرة منذ انشأ المسلمون الكوفة سنة ١٧ هجرية ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذي ذكرناهُ »

وعقد فصلاً في سكان الحيرة فقال انهم كانوا من العنصر العربي السائد هناك فكان ثلثهم من تنوخ وهم اصحاب المظال وبيوت الشعر وكان الثلث الثاني العباد وهم الذين سكنوا الحيرة وابتنوا فيها والثلث الثالث الاحلاف وقال عن سبب تسمية العباديين بذلك انهم لما قابلهم سابور الاكبر

اتخذوا شعاراً لهم يا آل عبد الله فسموا العباد او ان جماعة منهم وفدوا على كسرى وكانت اسماؤهم تبتدي بكلمة عبد فقال لهم كسرى انتم عباد كلكم فسموا العباد واشتهر العباديون بنصرانيتهم ومعرفة القراءة والكتابة. ومدحهم طرفة الصحراء الاسدي في ابيات قال منها

ومني وان كانوا نصارى احبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

ثم عقد فصلاً آخر في قصور الحيرة وهو من احسن فصول الكتاب فذكر الخورنق فقال السدير وسنداد والعذيب والصِنّبر والقصر الابيض وقصر الفرس وقصر الزوراء وقصر العدسيين وقصر بني الحصيب وقصر مقاتل والقصور الحمر ودومة الحيرة ووصف هذه القصور وذكر ما ورد فيها من الشعر وقال في الخورنق « ومما زيد هذا الخورنق بهاء وروعة موقعه الطبيعي الفتّان فكان يشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنات والانهار وكان البحر تجاهه وفيه الملاّحون والغوّاصون والحوت وخلفه البر وفيه الضب والظبي ويقابل الفرات فيدور عليه على عاقول كالخندق ولهذا افتتن المؤرخون والشعراء بهذا القصر وهاموا بالاشادة بذكره »..

ثم ذكر اديان اهل الحيرة فقال كان اختلاف اديان الحيريين كاختلاف اجناسهم فكان منهم من يدين بدين جاهلية العرب منهم جذيمة الابرش التنوخي ومنهم من كان يعبد العُزّى وهي الزهرة ومنهم من كان يعبد القمر ثم فشت فيهم المانوية ثم المزدكية ولكن النصرانية كانت الدين السائد فيهم وذكر اخبار تنصر ملوكهم واخبار اساقفتهم وبطاركتهم وجميع ذلك عبارة تأخذ بمجامع القلوب

ثم عقد فصلاً وصف فيه ديارات الحيرة وفيما منها دير هند الكبرى وهي هند بنت الحارث بن عمرو ابن حجر آكل المرار الكندي عمة امرئ القيس الشاعر المشهور ودير هند الصغرى بنت النعمان ابن المنذر المعروفة بالحُرَقة فبقيت فيه حتى ماتت. وروى قصتها مع خالد بن الوليد وقولها في ذلك

صان لي ذمتي واكرم وجهي انما يكرم الكريمَ الكريمُ

وقال ان هرون الرشيد زار ديرها ورأى قبرها وقبر ابيها

ثم فصل في اكتشاف آثار نصرانية في الحيرة وفصل آخر في العلم في الحيرة وفي مدارسها وفصل آخر في لغاتها وآخر في الشعر العربي في الحيرة وقال من شعرائها عديّ بن زيد العبادي فقد نظم لقصائد الحسان اشهرها دالية وهي من مجمهرات العرب ضمنها اجود حكمه ومطلعها

أتعرف رسم الدار من ام معبد نعم ورماك الشوق قبل التجلد

وقال ولامرئ القيس صلات سياسية بالحيرة وقربى من ملوكها وذكر حجر آكل المرار ملك كندة وقتله وقول امرئ القيس

ألا يا عين بكّي لي شنينا وبكّي لي الملوك الذاهبينا

ملوكاً من بني حجر بن عمرو يساقون العشيـة يقتلونا

فلو في يوم معركة اصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
فلم تُغسل جماجمهم بغسل ولكن في الدماء مرمَّلينا
تظل الطير عاكفة عليهم وتنزع الحواجب والعيونا

ثم اورد حكاية المنخَّل اليشكري والمتجردة امرأة النعمان وقصة النابغة الذبياني والمتجردة واعتذاره للنعمان في قصيدته المشهورة وغير ذلك من اخبار الشعراء وهو فصل من الفصول الشائقة جداً ثم فصل في الامثال العربية والحيرة وآخر في الصناعات في الحيرة

وفصل في الحياة الاجتماعية وآخر في الحرب وآخر في المرأة ثم فصل في مآكل الحيريين وشربهم وآخر في الحيرة والثقافة والخرافات وآخر الشكل فصل في التوحيدين في العراق ثم سلالة آل لخم وبقاء ملوكهم آل نصر والمناذرة وآل عمرو بن عدي وآل امرئ القيس الى ان ذكر فتح الحيرة ودخول المسلمين . ثم اورد جدولاً فيه السنة التي حكم فيها ملوك الحيرة . ولكن الكتاب كله ملآن بالاسانيد العديدة فان المؤلف لم يذكر امراً الا واسنده الى قائله فان كتاباً بلا اسناد لا قيمة له او فائدته قليلة جداً ولا يسعني قبل الختام الا ان انقد امراً واحداً فقط وهو ان طبع الكتاب سقيم على ما اعتاده في هذه البلاد وفي الشام وكان يمكن اجتناب الخطإ المطبعي بعناية قليلة

فنشكر الصديق يوسف ملك غنيمة تحفته هذه ونحث كل اديب على مطالعة هذا الكتاب لانهُ ينطوي على اقدم ما عرف من اخبار الادب العربي مصر الجديدة امين المعلوف

تاريخ غزوات العرب

للامير شكيب ارسلان — ٣٠٧ ص — من قطع المقتطف

كان الامير شكيب ارسلان صاحب الايادي البيض على النهضة العربية قد نوى السفر الى اسبانية ليتفقد آثار العرب هناك شعراً بمفاخر آبائه . فنزل من جنيف الى باريس ومنها قصد الى اسبانية ، ولكنه قبل ان ينزل اليها عرج على جنوب فرنسا وسويسرا و ايطاليا وجزائر البحر المتوسط فذكر في اثناء ذلك ان العرب اقامت بهذه الاقطار فجعل حديثه الاول عليها مؤجلاً الكلام على اسبانيا نفسها الى حديث آخر

ولما كان الامير الكريم يريد ان يلم اشتات غارات العرب على تلك الاقطار ونزولهم بها رجع الى مؤلفات مكية بين اوربية وعربية واهم كتاب استمد منه هو كتاب المستشرق الفرنسي رينو والكتاب يتناول النظر في فتوحات العرب في فرنسا وسفواي وبيمونت من اعمال ايطاليا وسويسرا ابان القرن الثامن والتاسع والعاشر للمسيح . وقد ساق الامير الاديب حوادث هذه الفتوحات المتعددة على سبيل الرحلة باسطاً الحوادث التاريخية في رشاقة ودراية واستطرد الى الكلام على المسكوكات والملابس والاسماء العربية التي في البلاد . فجاء الكتاب لطيفاً سهلاً جامعاً لفوائد عدة

ميناء البصرة

Port of Basrah. Published under the authority of the Port of Basrah Directorate. Compiled by Cecil Byford, A. M. Inst. T.

أهدى إلينا الكولونل وارد مدير ميناء البصرة والملاحة فيه كتاباً هو من خير ما رأيناه في فن الطباعة الانكليزية وهو مزين برسوم وخرائط كثيرة. وفيه صورة فنية وسيم لعظمة فيصل الفقيد واقتوته وهو غازي الاول ملك العراق. ومن صور الكتاب صورة العشار وصورة مكاتب ادارة الميناء وصورة الارصفة والحراقات وصور بعض سفن الميناء وصورة جسر بابل وبرج السندباد البحري وهو من آثار المدينة القديمة وجميع ذلك من أحسن ما صنعت الأيدي

وفي الكتاب تاريخ البصرة وقد جاء فيه انها مصرت في زمن الخليفة عمر بن الخطاب في مكان بعيد عن الشاطئ ولعله المربد. والبصرة واقعة على شط العرب. قلت ولفظ شط كلمة صحيحة يراد بها النهر واهل العراق يقولون شط دجلة وشط الفرات اي نهر دجلة ونهر الفرات ولا يكادون يقولون غيرها. وجاء في الكتاب ان اول ما بني من البصرة مكان يبعد عنها ثمانون ميلاً وهو في مكان يقال له في هذه الايام الزبير وفيه مرقد الزبير بن العوام. فصارت البصرة على ما رواه الطبري مرفأً للسفن تأتيها من الصين وغيرها.

واشتهرت البصرة في زمن هرون الرشيد وخلفائه الى ان دبَّ الفساد في اواخر ايام العباسيين. وعلى توالي الزمن انفصلت البصرة عن خليج فارس وصارت في مكانها الحالي

واستولى الترك عليها في القرن الخامس عشر وكانت في اواخر القرن التاسع عشر مرفأً للسفن ومركزاً لتجارة العراق. ومدينة البصرة الحالية على شط العرب اي مجمع النهرين دجلة والفرات وهي على خور يقال لهُ العشار وهناك اقامة التجار العرب والاجانب

اما سكان البصرة فخمسة وثمانون الفاً من العرب وفيهم عدد قليل من الاجانب ولم يكن فيها قبل الحرب من الابنية الا بناء المكس وكان السدّ الذي في مدخل شط العرب عائقاً للسفن الكبيرة ولم يسلك هناك الا المواعين التي لا تحتاج في مرورها الا الى قليل من الماء

ثم جاء في الكتاب ادارة ميناء البصرة وقوانينهُ وقال انهُ تابع لوزارة المالية العراقية ولا يخفى ان ميناء البصرة خلاف مدينة البصرة. ولا يوجد على الكتاب سوى اسم او اسمين على الطريقة الانكليزية ولعلها من آثار الاحتلال البريطاني منها المعقل وقد كتبت Margil وفي ما سوى ذلك فالاعلام مضبوطة ولعله لا يدور على ألسنة الانكليز كتابة هذه الاعلام العربية

فنحن نشكر للكولونل وارد هديته هذه التي هي تحفة من التحف ونشكر للمستر سسل بيفورد جامع الكتاب تأليفه لهُ فالكتاب آية من آيات الفن

امين المعلوف

نفسية الرسول العربي

للاستاذ الرياشي ١١١ ص من قطع المقتطف — مطبعة الكشاف ، بيروت

هذا هو عنوان الكتاب بأكمله « فلسفة الدين الاسلامي ، نفسية الرسول العربي محمد بن عبدالله ، السوبرمن الاول العالمي » ومنه نرى مقدار طرافة الكتاب، وفحواه ان الرسول العربي هو اعظم واسمى النبي ، الصلة بين العالم العلوي والعالم السفلي ، ابن البشر المثالي ، جرياً على مذهب الفيلسوف الالماني نيتشه

ان كلام الاستاذ الرياشي يعرض لأمية الرسول وقوته على التشريع، وخلجات نفسه ، ولطموحه وامانيه ، وجرأته ولعدله ولحلمه . ان كلام الاستاذ الرياشي تعليق على آيات قرآنية او احاديث نبوية أو تذييل لما جرى للنبي . واما هذا التذييل وذلك التعليق فيجريان مجرى الوعظ او التنبيه بعبارة حارة والالفاظ قوية واساليب البلاغة من نداء واغراء وتحذير وتذييل وتمثيل متلاحقة متداركة ، ولا ركاكة الحين بعد الحين

ولا شك ان المؤلف قرأ كثيراً مما يلحق بالادب الاسلامي اعني ، فعرف كيف يستثمر السيرة النبوية وخصائص الشريعة الاسلامية . ومما يؤسف عليه انه يتفق له ان يعثر احياناً قلمه. مثال ذلك قوله (ص ٣٦) « ان القوم لفي جهالة في شرائعهم الدينية . . . في وأدهم الاحياء (كذا) من الفتيات، في قتلهم الفتيان خشية الفقر » والوجه ان الوأد في العرب انما يخص الجارية الحية . وان لفظة الفتيات انما كانت في عهد النبوة تطلق على الامة منها « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » او على الشابة وهو اقل وروداً وان الفتيان لا تصلح في ذلك الموضع من كلام المؤلف ، بل الصواب « . . . في قتلهم الاولاد » كما ورد في القرآن « ولا تقتلوا اولادكم من املاق » ، « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق »

ومما ينبغي ذكره بعد هذا ان مؤلف هذا الكتاب الطريف مسيحي من لبنان ، فانظر كيف اصبح اهل الشرق العربي على سماحة نفس لا تعدلها سماحة وانشر تفاهم بين المسلمين والنصارى يأخذ بأيديهم الى الرقي والفلاح . وهل قرأت قبل هذا اليوم لمسيحي مثل هذا القول :

« حقاً . . . يا محمد بن عبد الله انك الشاعر الاعظم

« حقاً انك السوبرمن الاول العالمي

« رسول الثقافة والعلم ، ورسول الهداية والصحبة

« رسول الفلسفة الجديدة

« ورسول الانسانية الجديدة . . . . . . »

ب .

الشوقيّات — الجزء الثالث

[illegible]

ان شعر احمد شوقي لا يمكن اغفاله عند هذا الجزء من الشوقيات المشتمل على المراثي في أبوابه وميزة هذا الشعر انهُ الصيغة المثلى لاختتام الشعر الكلاسيكي العربي في هذا الزمن ولعل صفاته الموسيقى التي تضطرب في نواحيه ثم ان احمد شوقي كان اماماً في اختيار اللفظ من ناحية وارسال الفكرة الناصعة في عبارة مقتضبة من ناحية اخرى على ورود المعنى الواحد ولا سيما في الحكم في مواضع كثيرة

ولعل اجمل قصيدة رثاء لهُ قصيدته في سعد زغلول فمطلعها من أروع ما سطرهُ شاعر ·

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها
وانحنى الشرق عليها فبكاها
ليتني في الركب لما أفلت
يوشع همت فنادى فثناها

ولكنك تصيب في شعر شوقي ما تصيب في دواوين المتقدمين وان كانوا فحولاً ، ذلك ان تجد البيت المتين بيتاً مستضعفاً ، وبيتاً حشواً ومهما يكن من شيء فان شوقي لن يموت شيئين أما الأول فقدرته على الصياغة الجيدة واما الثاني فمالحته قضايا زمنه وانباته تراجم اهل عصره سواء من ناحية الشعر او من ناحية التاريخ فجد احمد شوقي الشاعر الذي يخلف من بعده ما يذكر لهُ ابداً

والذي عني باخراج هذا الجزء الثالث هو الاستاذ محمود ابو الوفا. ومما يشهد لهُ انهُ اخرج الديوان في عشرين يوماً (انظر خاتمة الديوان «ايضاح لا بد منهُ») وهذا مما يؤسف عليه ذلك ان شعر شوقي يقتضي جهداً لا تكفيه ايام معدودات . ومما يؤخذ ايضاً على هذا الديوان سقوط مراثٍ لشوقي منهُ ، وقد نشرت المقالات في ذلك في مصر هذا الشهر غير انهُ لا بدَّ من التنويه بفضل الاستاذ ابي الوفا الذي استطاع ان يبذل شعراً غير سهل في مدة غاية في القصر

مؤلفات عربية نفيسة
تذكر في العدد القادم

تنظيم سورية الاقتصادي ، بالانكليزية
تصنيف الاستاذ سعيد حماده

المدرسة والمجتمع في وادي النيل
بالانكليزية
للدكتور أمير بقطر

مذهب الذرائع (براغماتزم)
تأليف يعقوب فام

جزيرة العرب في القرن العشرين
تأليف حافظ وهبه

الادب العربي في آثار اعلامهِ
الجزء الثاني

١ — الحب والسياسة

فردريك شيلر — ترجمة الدكتور حسن صادق — ١٦٨ صفحة — مطبعة الاعتماد بمصر

توفر الدكتور حسن صادق من سنوات على امداد الادب العربي بثروة عظيمة من خير ثمر الآداب الغربية فنقل طائفة من اروع القصص والروايات امثال « ادولف » لبنجامين كونستان ، و « سالومي » لاوسكار وايلد ، و « الاستاذ كينوف » لكنوت هامسون وغيرها وها هو يقدم في هذا العام بعد « ادولف » رواية « الحب والسياسة » للشاعر الالماني فردريك شيلر وقد ذيّلها بقصة « بلياس ومليزاند » للفيلسوف والشاعر البلجيكي موريس مترلنك

وأسلوب الدكتور صادق هو الاسلوب الذي يجب ان يحتذى في نقل الخالد من ادب الغرب فهو نقيّ خالص العبارة رصين البناء جزل اللفظ ومن مبلغ حرص المعرّب على لغته عدم سماحه للفظ الاجنبي ان يحتلّ مكاناً من قصصه فهو يجهد نفسه في وضع ألفاظ لما يمكن الاستغناء عنه من الالفاظ الاجنبية

و « الحب والسياسة » هي الرواية التي نرى من خلال فصولها صراع الغاية والوسيلة على مسرح الحياة فالام في سبيل المظاهر والافتتان بها — كمثل امرأة تعمى عن التفكير في نهاية ابنتها امام المال والجاه فهي تغضي عن علاقة تتولد بين ابنتها وبين ابن رئيس الوزارة. اما الوالد فهو امام الكرامة يشعر بالالم يحز في نفسه عندما يرى المال يسعى لاقتناص ابنته راغماً ، ويرى ان استعداده خير من اشباع نفسه بما يحصل عليه ابنته ثمناً لروحها وراحتها. وترينا في ناحية اخرى صراعاً بين الشباب والشيوخ ، بين النبيل الشاب وأبيه الشيخ رئيس الوزارة ، بين الحب والسياسة ونرى الفرق بينهما في قول فرديناند لابيه « ان آرائي في العظمة والسعادة لا تتفق وآراءك فيهما . انك لا تجد السعادة الا في الحروب . الحسد والخوف واللعنة هي المرايا الحزينة التي تتأمل عظمة الرجل القوي نفسها فيها وعلى شفتيها ابتسامة الرياء . ان الدموع والتوسلات واليأس هي الزخرف المخيف الذي يرتفع فيه هؤلاء الذين يسميهم الناس عظماء ، الزخرف الذي يغادرونه الى الابدية مترنحين امام عرش الله ! اما مثلي الاعلى في السعادة فانه مستكن في نفسي في تواضع كثير » . فلعل عمل الدكتور صادق يكون انموذجاً لنقل هذه البدائع وحافزاً للكثيرين من ادبائنا على الزيادة من هذه الثروة

٢ — وحيد او قلب الفنان

تأليف حسين عفيف — ١٩١ صفحة من القطع الصغير — مطبعة حجازي

منذ عامين قدمتُ لقراء المقتطف كتاب « مناجاة » الذي ألّفه الاستاذ حسين عفيف المحامي بأسلوب نثري شعري رائع ، واليوم تتحفنا روايته « وحيد » التي كتبها بنفس هذا

الاسلوب حتى يكاد يحتفظ بالموسيقى في عبرات كلامه ، وقد صور فيها فتاناً يهيم في رياض الحب متنقلاً من زهرة مزهرة عاش بهذه ساحراً من تلك . وبين هذا العبث وهذه السحرية تتحطم قلوب وتتلاشى أحلام . وقد عرض المؤلف في تضاعيف روايته آراءه في الحب والجمال والغيرة والسعادة والألم . وللاستاذ عفيف رأي في الحب لا يحول عنه وهو أن في استطاعة القلب البشري ان يجمع في آن واحد أكثر من حب ، فهو يحدثنا بلسان اشخاص الرواية قائلاً :

وحيد — .... ان الله ما خلق الزهر متعدد الوانه لتقتنع منه بحب واحدة ، وانما لنحبه جميعه ويتضاعف فينا الاحساس بالحب بقدر ما فيه من ألوان

حمدي — أجل ان حب الواحد يظل يردد على الفؤاد وحده ، وأما حب الجماعة فتأتلف منه في القلب موسيقى بأسرها

راشد — واذا تعدد النغم تجاوبت اصداؤه وتضاعفت حلاوة وقعه

وحيد — لاشك ان في الاقتصار على حب واحدة حداً لكمال الحب ان يتناهى وان الله ما خلق الجمال ولم يدع له نهاية الا لكي لا يدع لحبه في قلوبنا نهاية

ونحن اذا سلمنا مع المؤلف بذلك انتهينا من روايته الى الاعتقاد بأن القلب الذي لا يقتصر على حب واحد في وقت واحد لا يفوز في النهاية بحب ، وتنتهي به الحال الى الوحدة والألم

اما خاتمة الرواية فكنت اتمنى لو أن صديقي حذف من حوادث الموت فيها حتى لا ينقلب المسرح اذا مُثّلت — وهي جديرة بذلك — الى مقابر لا مقبرة واحدة فحسب ، على أني أقدم له تهنئتي الحارة بنجاحه في هذه الرواية أسلوباً وتصوراً وعاطفة

٣ — الاوتار المتقطعة

قصيدة ذات عشر أناشيد بحلاء ورسوم فنية — تأليف رياض معلوف — المطبعة العصرية بمصر

الدوحة المعلوفية وارفة الظلال امتدت اغصانها فاظلت العلم والأدب واخرجت كل عامل في فنه ، وليس فينا من يجهل الفريق امين معلوف ودأبه على البحث العلمي واخراجه في مدى ثلاثة أعوام معجمين قيمين ، أو يجهل رحل التاريخ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة الآثار وانقطاعه لبحوثه وتدقيقاته حتى احتل مكانته اللائقة في المجامع العلمية في الشام ومصر

وللاستاذ عيسى من اولاده ثلاثة شعروا بالادب هم فوزي وشفيق ورياض . أما اولهم فقد فارق الحياة بعد أن أودعها قصيدته الخالدة « بساط الريح » ، وأما الثاني فشاعر برّز في ميدانه له ديباجة عالية مشرقة طالما الادباء فيها قرأوا له ، وقصيدته « عبقر » من عيون الشعر العربي الخالد . وأما الثالث فهو الزهرة المتفتحة حديثاً على رياض الشعر وفي مطالع شعره إشراق لنبوغ منتظر وتوجُّه لمثُل عليا في الشعر وسيكوّن مع أخويه عقداً رائعاً يزين جيد الشعر العربي في

عصره الحديث وقد أصدر هذا الشاعر وهو لم يتخطَّ السادسة عشرة من عمره ديوانه «الاوتار المتقطعة» في عشرة أناشيد يبدأها بالوتر الملهم فالوتر التائه فالوتر الدامع وينتهي بالوتر المقطوع وفيه يقول:

لم يعد بين يديَّا وترٌ إلّا تقطعْ
ليتني لم أسمع الشدو بسري
من وترْ
ليتني كنت عميًّا ليتني ما كنت أسمعْ
لا أرى شيئاً من الدنيا وأدري
ما الخبرْ

إيه ربي ! خلقت عيني لدمعي وفؤادي عدّ أنفاس وانتحابِ
وحنت الهات مثل حريص يعد العمر في ربيع الشبابِ
ان همي في كفّ عمري سراج زيته الدمع من عيني المذابِ
شع دمعي فخف النور فيه كاختصار الضياء عند الغيابِ
ان حملت الرباب حتى أغني خضاب الدما على الاعشابِ
أو رشفت الكؤوس تمرى لأسلو فدموعي تشع طيَّ الشرابِ
رغم دهري ورغم تقطيع أوتا ري سأشدو ورغم حطم الربابِ

٤ — عمدة الادب «أمرؤ القيس»

دراسة بقلم الاستاذ سليم الجندي — ٢٢٣ صفحة من القطع المتوسط — نشرتها مكتبة النشر العربي بدمشق

يوالي مكتب النشر العربي بدمشق اصدار سلسلة من الكتب القيّمة في الأدب والعلم والدين والاجتماع ومن يطلع على ما اخرجه هذا المكتب من الآثار لا يتردد في شكر القائمين به على جهودهم المباركة وقد أصدروا سلسلة أدبية عنوانها «عمدة الأدب» صدر الجزء الاول منها خاصًّا بامرىء القيس، وهو دراسة طيبة لهذا الشاعر العربي الاول قام بها الاستاذ سليم الجندي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق محللاً فيها شعره وأوزانه وأسلوبه وأغراضه وما يستنتج منه من الاحوال الاجتماعية في عصره ثم عرض لأخلاق امرىء القيس ودينه وما أخذه الشعراء عنهُ ثم تكلم عن معلقته وسبب نظمها واغراضها، كل ذلك في دقة بحث واستنتاج وقد ختمها بقوله: «وقد رأينا أن نجتزىء الآن بهذا القدر على ان نعود إن شاء الله تعالى الى إتمام القول فيما يتعلق بهذا الشاعر الفذ وفي شرح البقية الباقية من شعره حتى يتبين الجاهلون بقدره أن امرأ القيس عماد يقوم عليه الادب العربي في الماضي والحاضر وان لهُ فضلاً على الأدب لا ينكره الأجاهل أو مكابر»

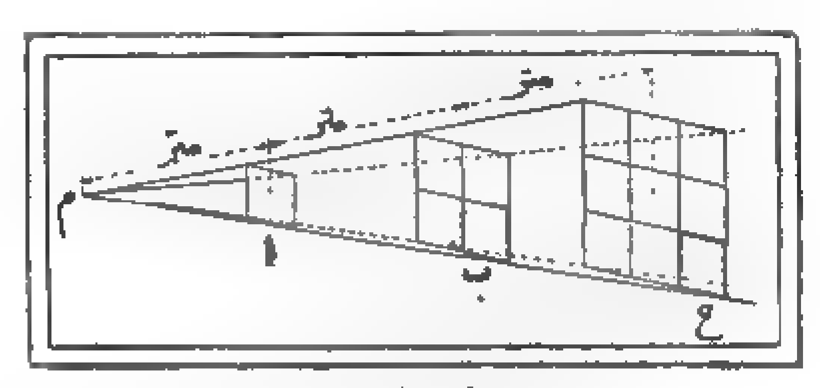
وإنَّا ننتظر من الاستاذ الفاضل برّه بوعده شاكرين جهده داعين لهُ ولمكتب النشر العربي التوفيق في هذه المهمة الكريمة التي حملوا عبئها واضطلعوا بها

حسن كامل الصيرفي

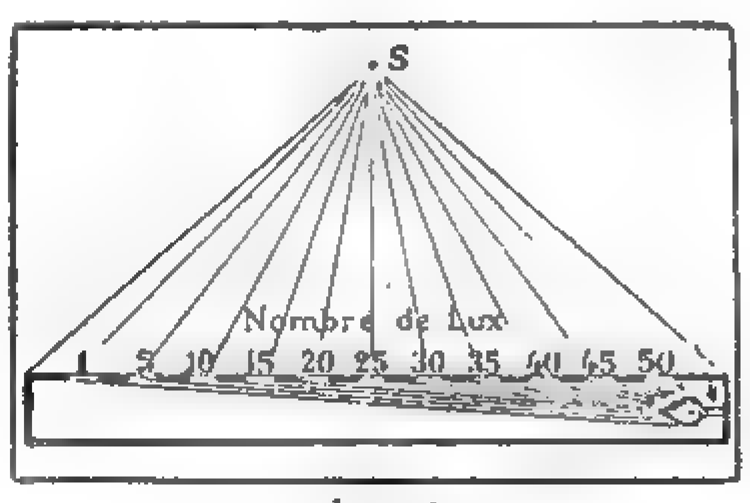
بقايا معبد طرهاقة

مدخل معبد طرهاقة (نيفونيوم) مدينة نبتة عند الشلال الرابع في السودان

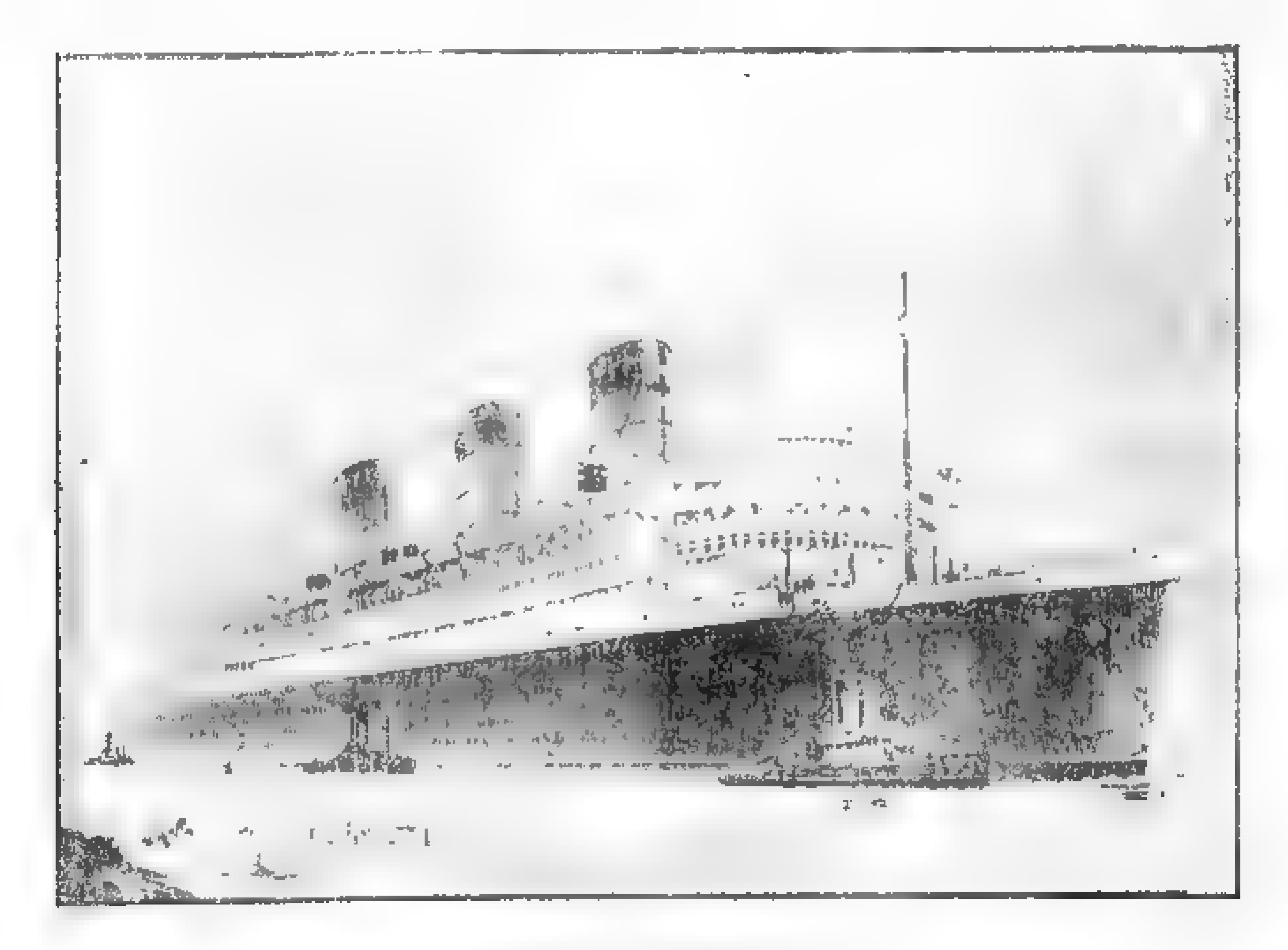
(مصر والسودان في التاريخ)



الشكل الاول



الشكل الثاني



السفينة البريطانية الفخمة « الملكة ماري »



« نمرُز »

من تصور ليب تادرس

الرجاء بالله

للشاعر الفرنسي الفرد دي موسه

عرف هذا الشاعر بأنه شاعر الحب والعذاب ، لأن حبه جاءت صفحة مشوبة بطائفة ملأ وغراماً ، وكيف لا يشهد بهذا التعب صاحب « الليالي » التي ملأ الأسى أبدعها . والليالي هي التي خلف من « موسه » شعرياً يحس الألم ويحلله ، ويصفه ويحلله والألم عنده سيد عن الناس ولعل « موسه » هو أبرز شاعر عرفته المدرسة الابداعية في فرنسا يطغى عليه الاحساس العميق والتعبير المؤثر ولكن « موسه » وهو امرؤ يطلق حبها من ذاته العميقة وألمه الحي ، من عالم الذات الواسعة التي لا تحيط بها حدود ، والى آلام كل حس تشعر وتفكر في هذا الوجود ، يعالج مسألة الله والأبدية والخلود وقدر « موسه » ان يغلب الله على فكره وعاطفته على منطقه فينظر الى « ما وراء الطبيعة » خلفه ، وفهم الله بقلبه ومقطوعته هذه هي صلاة فيها شك وايمان ، وثورة واستسلام . وفيها ترجمان عالم الى الله

« خ . هـ »

« قرأت كثيراً .. وفكرت كثيراً .. انما الدمع
والشعر مبعوثان من معدن الهي » « موسه »

ما دام قلبي الضعيف مفعماً بنشوة الصبا
لا ينصرف عن أوهامه
فلأستسلم الى الحكمة القديمة ، التي جعلت من « ابيقور » المفتوح نصف اله !
أريد ان أحيا وان احب ،
وان اماثل غيري من الناس ،
وان أحرى على قليل من الفرح دون ان أعبأ به
وان اصنع ما يصنعون ، وأكون كما يكون
وان انظر الى السماء بعين هادئة آمنة

***

اراني لا أقدر أفهذه اللانهاية — على الرغم مني — تعذبني !

خواطر حول أزمة الرين

هل بين مبادىء الثقافتين الفرنسية والالمانية تناقض ؟

اتجهت انظار العالم ، بعد فوز الهر هتلر ، وتسلمه مقاليد الامور في المانيا وتوحيد ولاياتها وتنظيم جيشها وتسليحه وانكارها لمعاهدة لوكارنو باحتلالها منطقة الرين ، الى ما يكون من أثر ذلك في العلاقات بين المانيا وفرنسا . فقد قرأنا في الاسبوعين الاخيرين ملخص الخطب التي قيلت على جانبي الرين ، وتابعنا النزاع الذي دار في مؤتمر دول لوكارنو وفي اجتماع مجلس الامم في لندن ، وكل من يهمه الامر يسائل نفسه ويسأل غيره هل النتيجة المنتظرة سلم او حرب ؟

ان الحالة الراهنة ، بين الامتين ، التي نشأت على أثر توقيع معاهدات الصلح ، وحاولت فرنسا ان تحافظ عليها ، بكل قوتها ، قد تصدى لها الآن من يتحداها بخروج المانيا من جامعة الامم ومؤتمر نزع السلاح وانتزاعها المساواة التي وعدت بها ونقضها للمواد العسكرية التي نصت عليها معاهدة فرساي وانكارها معاهدة لوكارنو على اثر ابرام ميثاق الدفاع بين فرنسا والسوفييت . ولا يمكن ان يقال ان الحالة في الخمس العشرة سنة ، التي تلت معاهدة فرساي ، كانت حالة سلام لان السلام ، اذا كان شيئاً ، فهو الرضا والطاعة ، او على الاقل هو تسليم بالحالة كما هي . وليس من ينكر ، انه لا الرضا ولا الطاعة ولا التسليم ، كانت السمة التي اتسمت بها الحالة السياسية بين المانيا وفرنسا ، في العهد الحديث ، او من جانب المانيا على الاقل

فعلى ضفتي الرين تنابذ دائم ، بين الفريقين وريبة متبادلة . فالمانيا لم تسلم قط بخذلانها . ولا رضيت عن ثمن الخذلان . انها لم تسلم قط بشروط الصلح ، لانها لم تقبل الاساس الذي بنيت عليه هذه الشروط — وهو الاعتراف بالتبعة في اثارة الحرب الكبرى . انها لم تسلم بأن خذلانها الحربي هو خذلان الثقافة الالمانية ، المتفوقة في نظرها على كل الثقافات

ثم ان فرنسا لم تحسن وضع أساس السلم وتطبيقها . فخانتها حكمة القوي في ساعة النصر ، وأخذت ثأرها من خذلان ١٨٧٠ ، مبتدئة في ١٩١٩ بنقض الاخطاء التي ارتكبتها المانيا قبل خمسين سنة فخانتها الثقة في قوتها ، فحاولت ان تملك اكثر مما تستطيع فلم تكتف ببنود المعاهدة ولا بجامعة الامم ، ضماناً لها فسعت الى الحصول على معاهدة مثلثة مع انكلترا واميركا ، لضمان الحالة التي نشأت عن معاهدات الصلح . فلما لم تنجح في هذا المسعى تحالفت مع بولونيا وبلدان الاتحاد الصغير كأنها لم تتعلم دروس التاريخ وعبره ، وهي القاضية ، بان الصداقة مع الجار ، افضل من الصداقة مع جار الجار والعداوة مع الجار . إذ لا بد ان يشعر المتوسط من الثلاثة شيء كثير من القلق ، وهو يرى جاريه من جانبيه متفقين عليه

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثامن والثمانين


المقتطف

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن والثمانين

١ مايو سنة ١٩٣٦ — ١٠ صفر سنة ١٣٥٥

بعد ستين سنة

ذكريات في عهد الصبا

لاحد منشئي المقتطف

مضى على المقتطف ستون سنة كاملة وقلَّما بلغت سنَّهُ شيءٌ من المجلات العربية ولا أعني بذلك انهُ اقدمها عهداً ولا ادعي انهُ شيخها علماً ولكن قراءهُ لم يتعودوا ان يقرأُوا فيهِ منذ انشائهِ الاَّ ما ينتظرونهُ من قول ناصح وينقلهُ اليهم من رأي خبير ويطلعهم عليهِ من خلاصات مباحث العلماء ونتائج تجارب الخبيرين وغرائب اكتشافات المكتشفين وعجائب مخترعات المخترعين ونحو ذلك مما قلَّ ان يؤثَر عن الشبان ويغلب ان يختص بالكهول والشيوخ. فلا غرابة اذا كان قراء المقتطف لم يتصوروا منشئيهِ (وخصوصاً اذا لم يكونوا يعرفونهما) الاَّ شيوخاً منذ بدء انشائهِ كما صارا اخيراً وكما لا يزال احدهما (كاتب هذه السطور) الى هذا العهد. ومن الشواهد على ذلك انهُ في سنة ١٨٧٦ كان المغفور لهُ رياض باشا وزيراً للمعارف المصرية في عهد المغفور لهُ الخديوي اسمعيل باشا فلما اصدرنا المقتطف في بيروت تلك السنة واطلع دولتهُ عليهِ اعربهُ منزلة رفيعة في اعتباره وجرت بيننا وبينهُ مراسلة حفظناها لهُ بالشكر والثناء على الفضل الى هذا اليوم. وفي سنة ١٨٨٠ زرنا كلانا مصر وكان دولتهُ رئيساً للنظار حينئذٍ وذهبنا ديوان الوزارة للتسليم على دولتهِ. ودفعنا بطاقة الزيارة لمن يناط بهِ امرها فلم يحفل بها كثيراً لانهُ رآنا شابين مجهولين عندهُ ولكن اتفق انهُ كان بجانبهِ احد موظفي الداخلية المرحوم اسكندر بك زلزل وكان قد سمع عنا من بعض اقاربهِ فأدخل بطاقتينا الى دولتهِ. فلما اطلع عليهما وقرأ اسمينا فيهما نهض عن كرسيهِ

ووقف امام باب غرفته لاستقبال زائريه فوجدنا في وجهه فاعترض عابساً انا متجرٍ اباب وسائل قائلاً اين حضرات ممثلي المقتطف فاشاروا الينا ولا ازال حتى هذه الساعة تصوَّر ما عراه من الدهشة والاستغراب وتبسم كاتبسمنا حيا اظن ان ذلك الشيخين ممثلي المقتطف هم الشابان الخجلان الواقفان امامهُ وهذا الذي رأيناهُ من رياض باشا وصرَّح لنا به رأينا وسمعنا امثالهُ من آخرين على توالي الايام

ولهذا اقترح عليَّ الاستاذ فؤاد صرُّوف رئيس تحرير المقتطف اليوم أن اورد طرفاً مما أذكرهُ عن المقتطف ومنشئيهِ في اوائل عهدهِ عسى ان يكون في ذلك فائدة للاحداث في بدء روهم الى ميدان الجهاد وخوضهم معترك الحياة

انشئت المدرسة السورية الكلية المعروفة اليوم بجامعة بيروت الاميركية سنة ١٨٦٦ وكان اخي وشريكي المرحوم يعقوب صرُّوف من تلامذة اول فرقة نالت شهادتها وتخرَّجت منها سنة ١٨٧٠ وقضى ثلاث سنوات مشتغلاً بالتعليم في مدارس تعد التلامذة لها ثم عينتهُ الكلية معلماً ومساعداً لاستاذ الطبيعيات والكيمياء فيها سنة ١٨٧٤

ودخلت انا تلك الكلية في خريف سنة ١٨٧ ونلت شهادتها وتخرَّجت منها في خريف ١٨٧٤ . فصبنا كلانا سنة ١٨٧٤ وهو معلم وانا تلميذ في فرقة المنتهين ولما نلت الشهادة عينتني الكلية معلماً للرياضيات ومساعداً لاستاذ علم الهيئة ومدير مرصدها الفلكي والمتيورولوجي — العلامة الشهير المرحوم الدكتور كرنيليوس فانديك من اعظم اركان النهضة العلمية والادبية في سورية ان لم أقل في سائر الاقطار الشرقية — وابتدأت الصداقة بيننا منذ تلك السنة واشتدت على توالي الايام حتى لم تقوَ عليها صروف الدهر ولا حلَّ وثاقها حلول المنايا

وكنا في ساعات فراغنا كثيراً ما نجتمع معاً فيفضي احدنا الى الآخر بما سمع ومن رأى وعلم وتعلم في يومهِ فاذا نحن كلانا معجبان اعجاباً عظيماً باجتهاد اساتذتنا وخصوصاً الاميركيين منهم بأن احدهم من بلادهِ وهو يجهل لغتنا وعاداتنا واخلاقنا يكبُّ على تعلم لغتنا وحفظ كل ما يتصل بعلمهِ من عاداتنا وما يلحظهُ ويختبرهُ من اخلاقنا ويحرص على كل دقيقة من وقتهِ فلا يقضيها الاَّ في قضاء واجب او عمل نافع بحيث لا يطول عليهِ الزمن فلما يتعلم لغتنا ويدرس علومها وآدابها ويقرأ كتبها ويعرف الشيء الكثير عن بلادنا واخلاق اهلها وعاداتهم ويصبح قادراً على التأليف فيها والترجمة من غيرها اليها وأدَّى بنا هذا الاعجاب بهم الى الغيرة منهم والرغبة في ان نحذو حذوهم ونحرص على وقتنا حرصهم وننظم معيشتنا على نمط تنظيمهم لمعيشتهم فجعلنا نمضي ثلث اليوم في الراحة والنوم ونخص ساعات محدودة بتناول الطعام والرياضة البدنية وما بقي نقضيهِ في الاستعداد لواجباتنا التعليمية والدرس والتحصيل لزيادة معارفنا العلمية ولقضاء

حاجتنا الخصوصية بحيث يستغرق ذلك من ١٢ الى ١٤ ساعة يومياً . وعقدنا النية على ان نحافظ على وقتنا هذا بكل جهدنا فوجدنا ذلك صعباً في مبدإ الامر ولكنه سهل وازداد سهولة على تمادي الايام حتى كنا اذا اضعناه نشعر بنوع من الاسف والالم كمن يأتي امراً اداً . ثم جعلنا نطالع ما نتصل به من الجرائد والمجلات العلمية الاجنبية على اختلاف انواعها واشتدت رغبتنا في مطالعتها بعد ان ذقنا لذة ما فيها من كل بحث طريف واكتشاف جديد واختراع غريب حتى صرنا نسابق الآخرين الى اختطافها حين وصولها لقراءتها قبل ان يتفقدها سواه . فكان تأثير ذلك فينا ان وجد فينا نزعة في مبدإها متمثلة في صدورنا واشتد شوقنا الى الانتظام في سلك الكتّاب والمؤلفين من قومنا واشراك غيرنا معنا من ابناء وطننا في الاستفادة مما كنا نحن نستفيد منه . وهذا ما حدا بنا الى العزم على انشاء جريدة علمية صناعية شبيهة من وجوه مختلفة بالجرائد الافرنجية التي كانت تصل الينا لتكون صلة بين علوم الشرق والغرب وتنقل الى اخواننا اهل الشرق ما يجدُّ علمه عند اهل الغرب

وترددنا مدة في مبدإ الامر عن اخراج هذه الفكرة من القوة الى الفعل لاعتبارات لا يزال بعضها وجيهاً الى يومنا هذا . فان مطلبنا الأول من انشاء هذه الجريدة كان شرح العلوم وبسطها لتأديتها الى افهام العامة وعدم الاقتصار على الخاصة الذين هم في غنى عنها . والعامة كانت في تلك الايام تنفر من العلوم الطبيعية خصوصاً إما لانها لا تعلم مبادئها فلا تفهمها وإما لاعتقادها انها تخالف الاديان وتناقض ما في الكتب المنزلة فتنفر منها . والخاصة ايضاً كانت معارفها في ذلك الزمان لا تتجاوز غالباً العلوم البسيطة وكان اكثرها يرى ان تعلم العلوم العالية لا يغني عن كسب الرزق فيضر ولا ينفع والاولى الاعراض عنها وتعلم الحرف التي يعيش الانسان باحترافها . ولذلك كنا نخشى اننا اذا انشأنا جريدة علمية كان حظها ان يعرض الجمهور عنها فنعود عنها خائبين لعدم استغنائنا عن مساعدة الجمهور لنا في حمل عبئها ونحن في مقتبل العمر وراتبنا ضئيل لا يكفي لسد حاجتنا ولا يدل فوق طاقتنا . ثم اننا كنا نخشى ان الخاصة ايضاً لا يؤازروننا لان اكثرهم كانوا من طلاب اللغة العربية والمتأدبين بآدابها والراسخين لوائها كالمرحومين الشيخ احمد فارس والشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير والشيخ ابراهيم الاحدب وامثالهم من علماء الشام وغيرها . وكانوا هم واتباعهم قلما يقدرون لغير اللغة العربية قدراً ولا لغير علوم اهلها وآدابها مقاماً واذا قلت لهم ان زيداً اكتشف كذا وعمراً صنف كذا من علماء عصرنا ابتدروا قولك واجابوك على الفور

« ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم »

وكذلك الباقون من المسلمين والمتأدبين بعلوم ادبية اخرى وآداب من يونانية ولاتينية وعبرية

ولاهوتية الخ يرون فيها شيئاً منهم . فلم يكن للعلوم الحديثة وخصوصاً الطبيعية نصيب الا في المدارس حيث ينحصر تعليمها في طلبتها وفي جماعة شيوخهم «كم ترك الاول للآخر»

ثم ان جمهور الخاصة والعامة كان معتاداً قراءة جرائد الاخبار والسياسة وبعض الجرائد الادبية والرسائل الادبية ولا يكاد يهمه غيرها

زد على ذلك كله ان الحكومة العثمانية لا ترخص صدور جريدة في بلادها الا بشق النفس والتوسل بأقوى الوسائط وأشدها ولم يكن لنا سبيل حينئذٍ الى شيء من ذلك

***

هذه العقبات حالت دون الوصول الى غايتنا مدةً ولكن كنا كلما سنحت فرصة ملائمة ولاحت بارقة امل يشتد الشوق بنا الى تحقيق رغبتنا وخصوصاً بعد ما كاشفنا اساتذتنا واصدقاءنا رغبتنا وشددوا عزائمنا ولذلك اعتمدنا في اواخر سنة ١٨٧٥ على ان نصدر في اول الامر جريدة شهرية قليلة الصفحات رخيصة قيمة الاشتراك ونعرضها على الجمهور على سبيل التجربة لمعرفة مقدار اقباله عليها — اقول نصدر «جريدة» ولا اقول «مجلة» لان الكتّاب لم يكونوا قد اصطلحوا على كلمة «مجلة» للتمييز بينها وبين الجريدة في ذلك الحين

وسمينا الجريدة المقتطف ثم استعنا باستاذنا المرحوم الدكتور كرنيليوس فانديك للحصول على الرخصة من الحكومة لانهُ كان من اعظم المشددين لعزائمنا والمرغبين لنا في اصدارها خدمة للوطن. فقد كان لهُ منّ على احد صاحبي كتاب آثار الادهار اخي المرحوم خليل افندي الخوري مدير معارف سورية حينئذٍ لكثرة ما كان يمدّهُ بما يحتاج اليهِ من المعرفة والمشورة في تأليف كتابهِ فسعى لنا معهُ سعياً موفقاً وحصلنا على الرخصة بعد الانتظار شهوراً مع ان غيرنا لم يكن يحصل عليها الا بعد الانتظار اعواماً في كثير من الاحيان واصدرنا العدد الاول على سبيل المثال وحاولنا ان نرضي بهِ جمهور القائلين بفضل المتقدمين وجماعة المعترفين بفضل المتأخرين المتمثلين بقول الشاعر

واني وان كنت الاخير زمانهُ لآتٍ بما لم تستطعهُ الاوائل

ووضعناهُ مقالة في علماء الهيئة عند العرب كالخليفة المأمون وثابت بن قرة والبتاني والخوكندي والادريسي وذكرنا فيها طرفاً من علمهم ومكتشفاتهم وأردفناها بمقالة اخرى «في اللغة الحميرية والخط المسند» ذكرنا فيها طرفاً مما اكتشفهُ الباحثون والمنقبون من الانكليز والفرنسويين من خرائب المدن الحميرية وآثارهم المكتوبة بالخط المسند بعد الذي ذكرهُ مؤرخو العرب من اخبار بلاد حمير واسماء ملوكها ودوّنوهُ في كتبهم كحمزة الاصبهاني وأبي الفدا وابن خلدون والنويري والهمداني وصدّرناهُ بالمقدمة الآتية التي يستدل القارئ منها على بعض ما كانت الاحوال تقتضيهِ في تلك الايام

«لا ريب أن كل من يقف على هذا المثال يسرُّهُ العمل الذي باشرناهُ خدمةً للوطن وإجابةً لطلب كثيرين من محبي التقدم ونشر الفوائد ولم نستشر فيهِ أحداً من ذوي الرأي الصائب إلاَّ حثَّ عليهِ وأبان لنا شدة احتياج الوطن إلى ما يتوصل بهِ الوصول إلى العلم والصناعة كهذا العمل وأمثاله . ولما رأينا مناسبة الاحوال لنا ووجوب ذلك علينا بمقتضى حق الوطن عزمنا مباشرتهُ على ما بنا من القصور مستعينين بهِ تعالى ومغتنمين الفرصة السانحة فيهِ من حيث نظارة المعارف الجليلة بهمة الفاضل عزتلو خليل افندي الخوري الذي اشتهرت غيرتهُ على مصالح الوطن وقد أصبحنا مديونين لاساتيذ المدرسة الكلية السورية بالمساعدات التي وعدونا بها ولنا الأمل الوطيد أن هذه الجريدة تقع عند الجمهور موقع القبول وترغّب الطلاَّب في إحراز العلم وإتقان الصناعة وإحياء رميمها وترميم بالها لشدة افتقارنا اليها كليهما على أن كثيرين يزعمون أن قد علمنا من العلم غاية ما يحتاج اليهِ وأن الاحرى بنا أن نقتصر على طلب الصناعة وذلك غير سديد أما ترى أن الصناعة مؤسَّسة على العلم وأنها إنما تُتقن بتهذيب العقل والذوق وأن الصانع الحاذق هو العالم بأصول صناعتهِ وحقائقها وهذه لا تُعرَف جيداً الاَّ بمعرفة ما تأسَّست عليهِ من المبادىء العلمية . وكفانا برهاناً على ذلك أن الافرنج وغيرهم من الذين أتقنوا الصنائع يجتهدون في تعليم الافراد غاية الاجتهاد وعلمهم يوجبهُ شرعاً فالاحرى بنا أن نقصد العلوم من حيث تؤدّي الى الصناعة مدرّبين في بحث غير مهملين هذه ولا حاجة بنا الى الاطالة في ذلك فكل مَنْ وقف على مبادىء العلوم يرى لزوم معرفتها للصانع ولو إجمالاً

«ولعلَّ هذا المثال يدلُّ على طريقة بحثنا في المواضيع غير أنها تكون في ما بعد أكثر استيفاء كما هو مذكور في محلهِ وربما كانت أسهل فهماً لأنَّا سنقرّر المبادىء ثم نبني عليها وقد التزمنا هنا أن نعرض كثيراً من مبادىء العلم والصناعة معروفاً مبنياً عليهِ لضيق المقام ونسلك تارةً مسلك التعليم وأخرى مسلك الشرح ونوجز تارةً ونسهب أُخرى حسب الاقتضاء ولما كانت مواضيعها لا تدخل في المباحث الدينية ولا السياسية الاَّ من باب العلم فكل ما يرد الينا خارجاً عن هذا الباب غير مقبول وأما الكتابات العلمية والصناعية فندرجها تحت اسم منشئها واذا تيسَّر نمو هذه الجريدة أبقنا لها مكاتبين خصوصيين وكبَّرنا حجمها وقصَّرنا مدة صدورها والله التوفيق

«وقد رأينا على ما تعلَّمنا علماً واختباراً أن نذكر بعض ما يجب مراعاتهُ في درس المباحث العلمية والصناعية لتتمَّ بهِ فائدة المطالعة على أقرب طريق وإن كان ذلك إعادة للمعلم فهو إفادة للطالب

«اولاً — العلم يوصف باللذة ولكن لذَّتهُ لا يُشعَر بها الاَّ بعد ان يُذاق جيداً كما أن طعم الطعام لا يُعرَف الاَّ بعد ما يحلّهُ اللعاب وتشعر بهِ الاعصاب وربَّ علمٍ يسكر بهِ العالم لذةً يجدهُ الخالي الذهن منهُ عديم اللذَّة . فاذا طالعت موضوعاً في علم من العلوم ولم تجد من القيمة

في حسك ما تجده في معنى عبرك فاعكف عليه فعلما تجده قبيل الاعتبار وكلما ازددت فيه تعمقاً ازددت لذة وكما انه لا بد دون الشهد من ابر النحل هكذا لا بد دون العلم من الكد وتشغيل الدماغ لترويض العقل

«ثانياً — اكثر ... يتدرج في استنطاق يقتضي له امعان نظر فاذا قرأته قراءة قصة لم تستفد منه شيئاً واذا امعنت النظر في بعضه واهملت البعض الآخر من موضوع واحد استفدت فائدة ناقصة وربما استفدتها فاسدة لتوقف صحتها على ما اهملت فتروَّ في ما تقرأ ولا تنتقل من حلقة حتى تكون قد ادركتها جيداً وتمعن طويلاً فالقليل مع فهم خير من كثير بلا فهم ولا تعتمد على الذاكرة فقط فان الحفظ عياً فقط للتعبير عن المعنى لا يفيد الا نادراً والمعتمد على الذاكرة فقط اول مقصر في ميدان العقول وبت الاحكام واذا مللت من موضوع او كلَّ عصب الدماغ فاتركه ريثما تستريح ثم عد اليه وهكذا حتى يتضح لك فيسهل عليك حفظه حينئذ وقلما يخشى عليه من آفة النسيان وذلك وان تعسر اولاً يهون اخيراً

«ثالثاً — اذا استوعبت موضوعاً فاطل المذاكرة فيه ليرسخ في ذهنك قال الشاعر :

واطل في العلم مذاكرة   فحياة العلم مذاكرته

«واجهد في ان تقرن العلم بالعمل فذلك من افضل ما يثبت العلم في عقلك ويؤيد صحته ويجني ثمرته . وحيثما عُلم وعُمل زادت الفائدة اضعافاً وسيأتي عليك ذكر كثير من الآلات المخسة الاثمان على عظم فائدتها وشدة لزومها فلا تبخل على حسك ووطنك بها وستقف على ذكر حوادث لا تحصى واقعة تحت الحس لا تكلفك الا الملاحظة والتأمل انما يجب ان تفضل ملاحظتها على الاحاديث الفارغة وقضاء الحياة سدى وقد وجدوا بالاستقراء ان العلوم الرياضية تقوّي العقل وتدربه على الاتجاه بكل قواه نحو امر ما والانحصار في موضوع فلا يتشتت والعلوم الطبيعية توسّعه وترقيه وتلذ له لسموها وطلاوة مباحثها والعلوم العقلية تعصمه مراعاتها عن ارتكاب الخطاء في فهم القضايا والعلوم اللغوية عن ارتكاب الخطاء في تأدية المراد الى غير ذلك من الفوائد التي لا تحصى ولا يغفل عنها . هذا واننا معترفون بقصرنا عن القيام بحق هذا المشروع ولنا الامل ان الواقف على كتاباتنا يسبل ذيل المغفرة على ما يرى فيها من الخلل فان العفو من شيم الكرام وسبحان من تفرّد بالكمال »

***

وانتظرنا شهراً بلغ سرورنا فيه مبلغاً عظيماً لاننا وجدنا ان مثالنا وقع موقع القبول عند الجمهور فاقبلوا عليه اقبالاً فاق انتظارنا فتوكلنا على الله في اصدار مجلتنا وحسبنا المثال العدد

الاول وصدوره في شهر ايار (مايو) سنة ١٨٧٦ ونحمد الله بدنا فاستمر صدورها الى سنتها الستين فهي أقدم مجلة عربية حية حيث تقرأ اللغة العربية في الاقطار الشرقية والغربية

وجعلنا دأبنا تحري الابحاث التي لا تخلو من طلاوة وفائدة سواء القديم والحديث ومراعين في انتقائه وتحريره ما يجد منها وكذلك الشذرات والنبذ السهلة الفهم تتخلل الابحاث الرصينة حتى اذا مل القارىء هذه ارتاح الى قراءة تلك وأقبل بعض اساتذتنا وأصدقائنا من طلاب العلم على مساعدتنا فنشرنا فصولاً للدكتور فانديك في تاريخ اطباء الشرق عموماً والعرب خصوصاً أعجبت محبي القديم كثيراً كما أعجبهم وبحث محبي الحديث ايضاً النظام الشمسي والفرق بين علم المتقدمين به وعلم المتأخرين وكذلك مقالة عن القمر حوت كل علمنا به حتى اليوم من قديم وحديث . ونفع الوالدات بما يكتبه اصدقاؤنا الاطباء عن الاعتناء بصحة الاطفال وما يكتبه السيدات المتعلمات في تدبير المنزل الى غير ذلك مما لم يكن يطلع الجمهور عليه في الصحف الشائعة حينئذٍ الا نادراً . وجعل القراء يسألوننا عما أشكل عليهم فهمه او ما يريدون علمه فأفرغنا جهدنا في اجابة طلبهم لعلمنا ان ذلك يزيد اقبالهم الى قراءة مجلتنا مع علمنا انه يحملنا مشقة زائدة كما ثبت لنا بالاختبار ايضاً فكم من جواب على مسألة واحدة كان يستغرق وقتاً طويلاً ويضطرنا الى مراجعة كتب كثيرة ولكنا لم نستثقل ذلك لانه يزيدنا علماً ومعرفة كما يجيب طلب السائلين . وقد أدى بنا ذلك على تمادي الايام الى الغوص على درر العلم والمعرفة في بحر مكتبة الكلية الواسعة وأقول ولا ابالغ انه بعد مرور الاعوام لم يكد يفوتنا كتاب من كتبها العديدة التي تهم لغاتها على اختلاف علومها وأبحاثها الا اطلعنا عليه واغترفنا كثيراً او قليلاً مما فيه اجابة لما يسألنا السائلون عنه

على ان سهر الايام والليالي على التنقيب في الكتب القديمة والحديثة واجهاد الدماغ في حل المسائل العويصة او تحرير المقالات الدقيقة كان أشهى الينا وأسهل علينا من مراجعة حسابات بعض المشتركين او مكاتبة الوكلاء لحضهم على زيادة المشتركين او تحصيل قيمة الاشتراك من الماطلين ونحو ذلك من اشغال المجلة المالية والمطبعية مما تعافه نفسنا وتمجه ذوقنا . فلذلك رأينا ان نتخلص مما لا ذوق لنا فيه ونتفرغ الى ما تصبو نفسنا اليه فاتفقنا مع صديق الصبا اخي المرحوم شاهين بك مكاريوس الذي كان بارعاً بالامور المطبعية وادارة اشغال الجريدة المالية وعيناه مديراً لاشغال المقتطف ثم تحولت العلاقة بيننا على توالي الايام واختلاف احوال الزمان والمكان الى شبه شركة عائلية اصحابها « صروف ونمر ومكاريوس » اسماؤنا نحن الثلاثة

قلت « اختلاف احوال الزمان والمكان » لأن مجلتنا وان كانت جعلت ديدنها تحامي الابحاث الدينية والسياسية حذراً من مغباتهما لم تسلم مع ذلك من نحس حيف في اوائل نشأتها ان

تزعزع أساسها وتهدم مبانيها لو لم يقيض لها القدر ما ذاد عن حوضها ووطد اركانها — والذي يراجع سني المقتطف يجد فيها ذكراً واشارات الى كثير من هذه المحن ولكني اقتصر على ذكر ثلاث منها لضيق المقام — أحداها في الشهر السادس من بدء صدور المقتطف وسببها جواب عن سؤال عن دوران الارض في مقالة ختمناها بقولنا « ولعلّ المطالع لا ينتقد علينا اذا قلنا ان الذين يعترضون على دوران الارض إما ان يعترضوا تعصباً زاعمين انهُ يخالف ما في الكتب المنزلة وهو وهمٌ محض او يعترضوا ابتغاء الشهرة كما فعل « كاسر مزراب اليمن » . وهو مثل عند عامة سوريةٌ يضرب لمن يبغي الشهرة بعملٍ ما يضر الناس والاشارة فيهِ الى كاتب نشر « امالي ملكية » كثيرة الاغلاط اللغوية . فهاج كلامنا هذا قطباً من اقطاب الطوائف المسيحية وهو نائب بطريرك الطائفة الارثوذكسية وكان من أبلغ خطبائها ومن اكبر علمائها المعدودين في زمانهِ ولهُ منزلة سامية لجلالة قدرهِ ولكلامهِ نفوذ عظيم فأرسل الينا مقالة حمل فيها على المقتطف حملة منكرة بحجة انهُ يعمّ الناس تعليماً مخالفاً لما في الكتب المنزلة بادعائهِ ان الارض تتحرك والشمس ثابتة . فندمت ندامة الكسعي على كتابتي تلك العبارة في ختام المقالة التي كنت انا كاتبها وخفت ان يقضي نشرها على المقتطف كما قضي على العلامة غليليو لقولهِ ان الشمس ثابتة والارض متحركة وحاولت ردّ تلك الحملة بالحسنى فلم أفلح واضطررنا الى نشر المقالة في المقتطف لاصرار صاحبها على نشرها وبتنا نحسب لتأثيرها حساباً كبيراً إذ نشرها أتانا الغوث من مصر القاهرة على غير انتظار . فقد كان المغفور لهُ رياض باشا وزيراً للمعارف المصرية حينئذٍ في عهد المغفور لهُ الخديوي اسمعيل باشا كما تقدم عليهِ الكلام فلما اطلع على المقتطف ارسل الينا يقول ان رأي ثبوت الارض الذي يراهُ حضرة المأمور البطريركي مغلوط وفاسدٌ ديناً وعلماً وشفع ذلك برسالة مطبوعة بقلم العالم الكبير المرحوم عبد الله بك فكري وكيل نظارة المعارف حينئذٍ عنوانها « مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية » تثبتاً لموافقة علم الهيئة الحديث ودوران الارض لدين المسلمين فنشرنا منها شيئاً كثيراً وكان لها وقع عظيم عند الجمهور وبذلك خرج المقتطف من هذه المحنة ظافراً وزاد القراء عليهِ اقبالاً

والمحنة الثانية سببها جواب المقتطف عن سؤال عن السحر بان السحر باطل غير صحيح وهو من شعوذات المشعوذين وخداع الخادعين . وكانت جريدة البشير وهي لسان حال الآباء اليسوعيين في بيروت تتعقب المقتطف لتأخذه بجريرة كل عبارة يمكن ان تؤوّلها بما ينفر القارئ منهُ او يوغر صدرهُ عليهِ وذلك لاسباب يظهر انها زالت الآن والحمد لله فلا نحييها بالعودة الى ذكرها . فما قرأت جوابنا على السحر حتى تناولت المقتطف باللوم والتثريب وقامت تحذر القراء من قراءتهِ بحجة انهُ يخالف الدين وخصوصاً دين المسلمين . ولكن انبرى لها المرحوم

الامام الشيخ يوسف الاسير خطأها ودعم اعتراضها على المقتطف وكانت النتيجة خروج المقتطف من هذه المحنة ايضاً فائزاً غانماً وزادت مكانتهُ في اعتبار القراء عموماً . وعلى توالي الايام زاد اقبال العلماء والكتَّاب على المقتطف واتسع انتشارهُ في الاقطار العربية جميعاً وكثرت علاقاتهُ بأهل العلم والادب والفضل بحيث لم يكد يفوتنا التعارف او التراسل مع كثيرين من مشاهيرهم المشارقة او المغاربة سواءٌ كانوا في بلاد الغرب او حيثما تقرأ اللغة العربية في ايران والهند الى اواسط آسيا . وازدادت المواد التي ترد على المقتطف في كل شهر حتى لم يعد فيه متسع لقسم عظيم منها وخصوصاً لما كثرت المناظرة بين العلماء الرياضيين في سورية ومصر وفي طليعة هؤلاء الاخيرين السريّان المرحومان شفيق بك منصور وادريس بك راغب . فرأينا حينئذٍ ان الوقت قد حان لتكبير المقتطف اعتباراً لوعدنا في بدء صدوره فزدنا عدد صفحاته وجعلناها ٦٤ صفحة شهريًّا بدلاً من ٢٤ وذلك من اول سنته السادسة وانشأنا مع فريق من علماء سورية والمانيا المجمع العلمي الشرقي وجعلنا المقتطف لسان حاله لنشر محاضرات اعضائه ومقالاتهم فيه. واتسع الميدان لاقلام الباحثين والكتَّاب حتى عمَّ الابحاث التي كانت تهيج خواطر العلم في تلك الايام «انتشار آراء داروِن ووفاق العلماء في النشوء والارتقاء» وكثر الاخذ والعطاء حينئذٍ بين الكتَّاب والباحثين على صفحات المقتطف وحدث لسوء الحظ في السنة الثامنة من سني المقتطف اضطراب في دوائر العلم التي نشأ وترعرع فيها ودارت الحوادث دورتها وامتدت ايدي الكائدين لهُ على غير ذنب ولا جريرة منهُ سوى انتشاره والاقبال عليه الى نصب الشراك لهُ مما نمسك الكلام عنهُ لانتقال الجميع الى رحمة ربهم غفر الله لنا ولهم . وكانت عاقبة هذه المحنة ان المقتطف زايل معهد العلم الذي ربي فيه وهجر بيروت الى الكنانة في سنته التاسعة اي سنة ١٨٨٥ . وهو من ذلك الحين الى ان اتمَّ الستين منتبوءٌ ظلال مصر رائع في ميم وادي النيل يدعو لمليكه وحكومته بالعز والتأييد ولاهليه اهلهِ واخوانه اخوانه بالعيش الرغيد والمستقبل السعيد

بقي عليَّ ان اقول كلمة لجلاء موقفي من المقتطف بعد صدور المقطم . فبعد الهجرة الى مصر فتحنا مطبعة كاملة العدة لطبعهِ وطبع ما يأتينا من الخارج لنستعين به على سد نفقاتنا ونفقاته. وكانت عواقب الحوادث العرابية قد اوقعت مصر في ازمة مالية طالت نحو من عشرها اعواماً . فلم يرد على المطبعة مطبوعات بسد الربع منها الحاجة او تكفي لادارة المطبعة فأنشأ المرحوم شاهين بك مكاريوس اللطائف وكنا نحرر لها الفصول التاريخية والمواضيع السهلة العملية رجاء ان تروج بين العامة وتساعد على ادارة المطبعة فلم يأتِ ذلك بالفائدة المرومة ولذلك خطر لبعضنا ان نصدر جريدة اسبوعية تنشر الاخبار المحلية ومقتطفات سياسية عمومية فعارضتُ في ذلك كراهة الاشتغال بغير العلم وتخوفاً من عواقب الدخول في مآزق السياسة حتى اشتدت

الحاجة الى تدبير عمل كاف للمطبعة وجعلنا نفكر إما في اصدار جريدة اسبوعية او المهاجرة الى الولايات المتحدة الاميركية كما كان قد خطر لنا قبل الهجرة الى الديار المصرية . ولكن تغلب رأي شريكي رحمهما الله على رأيي وأزمعنا اصدار جريدة اخبارية اسبوعية تكون مع المقتطف لادارة حركة المطبعة وتثمير رأس المال الذي انفق عليها . وبينما نحن نستعد لذلك شاء القدر ان يتصدى لنا من استخف مرءة قصدنا واستمر بنا الى استبدال الجريدة الاسبوعية بجريدة يومية رغماً عنا وسبحان من قسم الحظوظ فقد حتم لي أن أحمل أعباء هذه الجريدة اليومية وقعد راحتي ولذتي وما تميل اليه فطرتي من الاشتغال بالعلم وتحرير المقتطف رجاء ان يكون دخل الجريدة اليومية عوناً لنا على إدامة المقتطف واصطلاع وميلي الى تحريره عن كل عمل سواه . ولا أتعرض هنا لذكر شيء مما لقيت من جراء الاشتغال بالسياسة وخوض معاركها على مبدإ الاشتغال بالعلم في قول الصدق والانتصار للحق لا يثنيني عنه ارهاب بوعيد ولا وعود بمال ورتب ونياشين وما قاسيتُ من المتاعب التي كثيراً ما غادرتني اقضي الليالي وأنا اتقلب على فراش الهموم والغموم من تعاقب الاضطهاد تلو الاضطهاد بسبب الدسائس التي تحاك لنا في الظلام وان اكتم حرها في اعماق صدري مخافة ان يدري بها شريكاي فيضطربا فلا يستطيع احدهما متابعة الدرس والمطالعة وتحرير المقتطف بما يقتضي لذلك من راحة البال وصفاء الذهن ولا يستطيع شريكي الآخر القيام بأشغال المطبعة والجريدة والمجلة بما يقتضي من الامن والاطمئنان واذا قلنا قلق واضطرب اضطربت ادارة الاشغال وساءت حال العمل والعمال ولذلك بلغ بي اني كنت اتلقى اخبار الحكم علي بالاعدام من الناقمين علي بسبب سياسة المقطم واما صامت حتى ألفت الصبر على المكايد ولم اعد أعبأ بتلك الاحكام بعد ما تكررت علي ثلاثاً بالاعدام وهي لا تزال محفوظة بين اوراقي ليعرفها من تقع اليه بعدي ويترحم على مصدريها كما أترحم انا عليهم اليوم بعد ما بلغت من العمر عتياً ولم يبق احد منهم حياً فبعضهم مات حتف انفه وبعضهم مات غيلة او بانفاذ حكم الاعدام فيه وعما قليل سنجتمع امام الديان العادل جميعاً فلست بواجد عليهم بل اسأل الغفران لي ولهم لأني كنت احسبهم ظالمين فاطمعني في ظلمهم وكانوا يحسبونني جانياً مذنباً فيحكمون علي بحسب اعتقادهم وما دمت في قيد الحياة فارجو من فضل ربي ان يمن علي بالصحة طول ما بقي لي ، والتحرر من اغلال الاشغال التي لا ازال مكبلاً بها طوعاً لمقتضى الحال لاستأنف دروسي حيث تركتها واعود الى التحرير في المقتطف في اواخر عمري احتفاء بعدة التي كنت انعم بها في اوائل امري

هذه بعض الخواطر والذكريات التي استخرجتها الذاكرة من دفائن ستين عاماً من اعوام التجربة والاختبار أوردتها عسى ان يجد فيها احداث هذا العصر شيئاً يساعدهم في مستقبل ايامهم واسأل الله الخير لي ولهم

فارس نمر

تحية وزير المعارف المصرية

معالي محمد علي علوبة باشا

إن مجلة المقتطف هي المجلة الشرقية الوحيدة التي رافقت الشرق في نهضته العلمية والثقافية والأدبية، وارتفعت مع ارتقائه، وكان لها أثر عظيم في نشر العلوم والمعارف على طريقة علمية صحيحة سهلة المأخذ. وإن القاء نظرة على ما وصلت اليه المجلة في الوقت الحاضر، ومقابلتها بما كانت عليه في الزمن القديم، تمثل الفرق بين حالة الشرق العلمية في يوم انشائها وحالته في الوقت الحاضر

وإن كل شرقي عربي اعترف بالفضل العظيم لهذه المجلة، وما أسدته للعالم العربي من خدمات جمة. كما قامت بتضحيات في سبيل نشر هذه الثقافة التي جعلتها في متناول كل يد. فقد اختارت موضوعاتها من خلاصة الافكار العلمية، وبسطتها أحسن تبسيط، وصار الشرقي يقرؤها، وكأنه يقرأ أحسن مجلة غربية وشرقية في نوع العلوم والمعارف والادب. وان الثقة التي حازتها هذه المجلة في قلوب الشرقيين يندر ان تدانيها ثقة أخرى بفضل العناية التي يقوم بها قلم التحرير في دقة وتحرّي الصحة والسهولة. وان من الجحود ان تنكر ما لهذه المجلة من فضل على نهضة الشرق

وبمناسبة مرور ستين عاماً على تأسيس المقتطف أتقدم له بالتهنئة بصفتي الشرقية المصرية والعربية، وبصفتي وزيراً للمعارف المصرية، وأرجو لها دوام الارتقاء والنجاح

تحية وزير المعارف السورية

معالي الامير مصطفى الشهابي

من بعض الأدلة على تأثير المقتطف في النهضة الفكرية في الشرق العربي تلك الحادثة التي أسردها على القارىء في الكلمات الآتية .

كنت قبيل الحرب الكبرى تلميذاً في مدرسة غرينيون الزراعية العليا في فرنسة وكان في حلقة التلامذة نفرٌ من المصريين ومن الشاميين . ففي ذات يوم فوجئنا بزيارة الزعيم الشامي الكبير صديقنا الدكتور شهبندر فجعلنا نطوف به في مخابر المدرسة وحقولها وحدائقها ورياضها وسقائف آلاتها وحظائر حيواناتها . وكنا نسمي بعض الاشياء التي نريه إياها باسماء فرنسية لاننا كنا نجهل ألفاظها العربية ، فكان الدكتور يلفت نظرنا برفق الى وجوب تحري ألفاظ عربية لتلك المسميات ، ومما قالهُ لنا ان في أبحاث المقتطف الزراعية جملة صالحة من المصطلحات العربية تفيد مراجعتها كل تلميذ زراعي وكل كاتب في العلوم الزراعية . فصرت منذ ذلك الحين أراجع الابحاث المذكورة في مجلدات المقتطف وأستخرج منها تلك المصطلحات حتى اجتمع لديَّ منها زبدة أغرتني بمتابعة هذه الدروس اللغوية فتابعتها الى ان وضعت منذ سنتين « معجم الألفاظ العربية للمعاني الزراعية »

•••

هذا مثال صغير ذكرت فيه تأثير المقتطف في لغتي العلمية في مقتبل العمر. ولاشك ان من تأثروا بهذا العامل في أنحاء البلاد العربية عدد كبير . والذين يتذوقون سلاسة اللغة العلمية في مجلدات المقتطف ويميزون غث هذه اللغة من سمينها يدركون ان

الدكتور يعقوب صرّوف رحمهُ الله كان ممن لا يشق لهم غبار في مضمار الانشاء العلمي وانهُ كان يُعدُّ في حياته اكبر كاتب عربي في الموضوعات العلمية ولذلك عددْنا المقتطف مدرسة جيدة للانشاء العلمي والمصطلحات العلمية

***

اما العلوم نفسها فالمقتطف مدرسة لها اي مدرسة ، وأمّا تقدم العلوم العصرية فللمقتطف به جولات طالما استفاد منها الذين ألمّوا بمجمل العلوم الحديثة وخطة المقتطف لا ترمي الى نشر الموضوعات العلمية المسهبة التي اعدّ بكتب للاخصائيين ، بل خطتهُ بسط العلوم الحديثة محققةً وتقريبها من مدارك المستنيرين من ابناء لغة الضاد. ولهذا رأينا للمقتطف تلامذة في انحاء البلاد العربية كافة ، ومن هؤلاء التلامذة كتاب وشعراء وصحافيون وتجار وزراع اكبوا على تلاوة المقتطف فكان لهم مدرسة عدَّت عقولهم ووسعت مداركهم وهذبت اخلاقهم وصقلت اقلامهم فعدوا من عناصر الامة المتعلمين المثقفين ومن هؤلاء ايضاً نفر انقطعوا عن المدارس لاسباب شتى وعكفوا على تلاوة المقتطف والتثقف بموضوعاته دون غيرها فكفتهم مؤونة الدراسة او بعضها

***

وربما ظنَّ بعضهم ان خريجي المدارس العليا لا يجدون في المقتطف مادة يستفيدون منها والحقيقة ان هؤلاء ايضاً بل هؤلاء خاصةً هم في حاجة الى مقالات المقتطف لان موضوعات تلك المقالات كثيراً ما تختلف عن التي درسوها في المدرسة. فالمدرسة العليا تعلم تلميذها نوعاً واحداً من انواع العلوم في الاعم ، اما المقتطف ففيه انواع عديدة من العلوم والآداب والفلسفات المختلفة مما يحتاج اليه طالب الثقافة في جميع اطوار حياته ولهذا السبب وجدنا خريجي المدارس العليا في طليعة قراء المقتطف

المقتطف والحركة الفكرية

للدكتور محمد حسين هيكل بك

سيداتي وسادتي — اقف هذا الموقف كصحفي. وأنا سعيد بذلك غاية السعادة مغتبط به اكبر الغبطة. فللصحافة مهمة سامية تقوم بها. وهذه المهمة تزداد سموًّا كلما تجرَّدت من مطامع المادة لانها تصبح تضحية بالحياة في سبيل خير الجماعة. واغتبطت بأن اقف هذا الموقف لان حياتي الصحفية التي تمتد في الحقيقة الى ماضٍ غير قريب كان لها اتصال بمجلة المقتطف التي تحتفل اليوم بعيدها الخمسيني. وكانت في هذا الاتصال تعبر عن بعض خواطر في شأن الحركة الفكرية. لهذا كان طبيعيًّا ان احدثكم في هذا الحفل عن اثر المقتطف في حركة الشرق الفكرية والاجتماعية وأن أقصر حديثي على الحركة الفكرية والاجتماعية

***

سيداتي وسادتي — ارجوكم ان تعودوا بمثار اذهانكم الى خمسين سنة مضت. الى ذلك اليوم الذي بدأت فيه مجلة المقتطف حياتها. وان تذكروا ما كان من حياة الفكر في الشرق سنة ١٨٧٥. وما كان من حياة الفكر في الغرب سنة ١٨٧٥ وما كان بين الغرب والشرق يومئذٍ من صلات سياسية وغير سياسية. وارجوكم ان تتقدموا مع السنين قليلاً قليلاً وان تروا غزو الغرب للشرق في مختلف ميادين الحياة في العلم. والادب. والصناعة والتجارة وفي كل ميدان آخر وان تصوّروا لانفسكم ما وجب القيام به من الجهود لجعل الاتصال بين الغرب والشرق في اثناء هذه الغزوات غير قاسٍ. هنالك تقدّرون ما كان للذين جاهدوا في منع الاصطدام بين القوتين الانسانيتين من فضل. وهنالك تذكرون بالخير من كان لهم في نشر افكارها وفي تهذيبها وفي صقلها وفي تمحيصها ودفع الزائف منها. ثم هنالك ترون قدر المجهود الذي يبذلهُ صاحبهُ في غير جلبة ولا ضوضاء حين يجلس الى مكتبه وحيداً محاطاً بالكتاب والالوف من اكبر الرؤوس التي قامت على تفكيرها عمارة العالم وحضارتهُ يناجي اصحاب هذه الرؤوس ويتفاهم واياهم من طريق كتبهم. ثم يبرز آراءهم ورأيهُ في آرائهم لمعاصريه ممن يقرأون لغتهُ

في سنة ١٨٧٥ كانت امم الشرق العربي ما تزال بعيدة بعض البعد عن غزو الحضارة الاوربية

ايامها غزواً شاملاً . وكان الاتصال بين الشرق والغرب ما يزال مقتصراً على بعض الصلات السياسية والفردية . لكن عيون اوربا كانت يومئذٍ مفتوحة واسعة محدقة الى هذا الشرق العربي تريد ان تحقق فيه اغراضاً لها وغايات . وكانت مصر من بين امم الشرق العربي تتهافت على الغرب تهافتاً لا نظن ساستها كانوا يقدرون مدى آثاره . ففي سنة ١٨٧٥ تقرر انشاء المحاكم المختلطة في مصر وفي سنة ١٨٧٥ اشترت انكلترا اسهم قناة السويس من الخديو اسماعيل باشا وكذلك في سنة ١٨٧٥ كانت روسيا تتحرّش بتركيا تحرشاً انتهى الى الحرب الروسية التركية . وكانت اميركا الشمالية كلها مطمح انظار فرنسا . وكان من شأن هذه الاتجاهات السياسية ان خلقت نوعاً من الصلة بين اوربا والشرق ظلَّ ينمو ويتزايد وما زال ينمو ويتزايد الى الوقت الحاضر

وفي سنة ١٨٧٥ كانت اوربا تموج بحركة فكرية قوية بالغة القوة فكانت النظريات العلمية والفلسفية القديمة قد اخذت تتهدم وتنهار امام الفلسفة الواقعية التي مكّن لها اوجست كونت في فرنسا وقام بنشرها جون ستوارت ميل وهربرت سبنسر في انكلترا . وكانت نظريات لامرك وداروين وغيرهما ذات شأن يذكر عند كثير من اصحاب هذه الفلسفة الواقعية . وكانت هذه النظريات وما ترتب عليها من حركة في العلم شديدة وما كان من اثر هذه الحركة من نشاط في الاختراع تَرِد الى الشرق عن طريق بعض الغربيين الذين اقاموا فيه زمناً طويلاً، وعن طريق بعض الشرقيين الذين تعلموا في المدارس الاوربية ونشأت افكارهم نشأة غربية

كان محتوماً مع هذا الاتصال المتزايد بين الشرق والغرب ، ومع هذه الحركة العلمية والفكرية والادبية الشديدة في الغرب، ان تقابلها في الشرق حركة علمية وفكرية وادبية جديدة ، ولما كانت تطورات كلٍّ من ناحيتي الانسانية قد اختلفت مثل ذلك الحد الاختلاف عن تطورات الناحية الاخرى فقد كان الاصطدام محتوماً . لكنما كان يهوّن من هذا الاصطدام ان يقوم جماعة بالتقريب بين الافكار التي يظن لاول وهلة ان لا سبيل الى التقريب بينها ، وان ينشر جماعة من دفائن علم الشرق وتفكيره ما ييسر الاعتقاد بامكان التفاهم او بامكان التماس بينهُ وبين الغرب تماساً يقرب بينهما او تماساً يسوي بينهما، وهذا المجهود لا يقوم به فرد وحده بل هو في حاجة الى تعاون عدد كبير من الافراد وكلما كان تعاونهم وثيقاً كانت نتائجهُ مؤكدة وامكن خلق الجو الصالح للاحتكاك الفكري الذي يكفل ثمرات هذه النتيجة والتعاون لا يتأتى الاّ اذا كان للمتعاونين مركز يلتقون عندهُ يصدرون عنهُ ويردون اليهِ

من اول المراكز التي التقت عندها القوى التي حاولت نشر الفكر في الشرق العربي مجلة المقتطف ، وحسبك ان تطلع على الاعداد الاولى منها لتقتنع تمام الاقتناع ان الغاية التي توخاها صاحباها من ايجادها انما هي لنشر أحدث الافكار والمعلومات على اصولها ومصادرها . وربما

كانت الوسيلة لذلك في تلك الاعداد الاولى تعتمد على النقل والترجمة للمعلومات العلمية اكثر من اعتمادها على الانشاء والبحث . لكن المقتطف في ذلك من الصدر ان التفكير العربي لم يكن معروفاً يومئذٍ في مصر والشرق الا بين طبقة قليلة محصورة جداً ، فوسيلة نشره انما تكون نقل المعلومات التي تعتمد عليها والتي أدت ملاحظتها وترتيبها الى هذه العلوم الغربية التي ترى اليوم كما ان هذه العلوم ذاتها لم تكن في اوربا كما هي اليوم فان نصف القرن الذي مضى كان مموءاً بالنشاط العلمي الى حد كبير

وظل المقتطف كمجلة يتقدم كما تقدمت واياه السنون . فبدأت فيه حركة الانشاء والبحث بعد سنوات قليلة وازدادت الاقلام التي تحرره تنوعاً وكثر الكاتبون فيه . ولما كانت الحركة الفكرية قد بدأت تأخذ بكثير مما في الغرب من معارف فقد نهضت حركة فكرية شرقية تحيي القديم من الادب والتفكير العربي وتعمل لبيان ان العرب في الماضي لم يكونوا اقل من الغربيين اليوم شأناً وان ادبهم كان في كثير من الاحيان ارقى من الآداب الغربية . وكما كانت مجلة المقتطف هي الميدان الاول الذي تلتقي عنده الكتاب لنشر المعلومات والآراء والافكار الغربية كذلك كان احد الميادين لنهضة التفكير والادب العربي وان لم يختص بهذه اختصاصه بتلك . وانك لتقرأ فيه كثيراً من شعر العرب ومن الادب العربي كما تقرأ كثيراً من شعر المعاصرين ونثرهم

وظلت حركة معارضة التفكير والأدب العربي الحديث بالتفكير والأدب العربي القديم زمناً . ثم نشأت فكرة تراها ماثلة على صفحات المقتطف ايضاً . هذه الفكرة هي كيفية التوفيق في نفس اهل الشرق العربية بين ثمرات الحضارة العربية القديمة وبين الحضارة الاوربية الحديثة . من هنا نشأ تفكير جديد يرجع الى اواخر او آخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ومن هنا بدأت الفكرة الاجتماعية الحديثة تشغل اذهان الكثيرين . فحدثت حركة المرحوم قاسم امين في تحرير المرأة ، وقام الاستاذ الشيخ محمد عبده للتوفيق بين نظريات العلم وقواعد الدين . وتناولت الصحف هذه وما اليها من المباحث الاجتماعية والعلمية بالبحث والتمحيص وكان للمقتطف في هذا الميدان حظٌ كبير . فكانت الرسائل والمباحث التي لا تتسع لها الصحف اليومية تنشر فيه وهذه الرسائل ممتعة عادة لانها تجمع بين التفصيل والايجاز وكمجلة حرة كان المقتطف ينشر على صفحاته الآراء المختلفة المتضاربة بأمل الوصول الى الحقيقة من طريق البحث . وفي ذلك الجهاد قضى خمسين سنة يحتفي اليوم بها . ولعل هذا الجهاد العلمي والفكري هو خير ما يفخر به اصحاب المقتطف من أعمال حياتهم . ولعلَّ الدكتور صرّوف الذي انقطع للمقتطف منذ سنوات كثيرة يقضي نهاره وليله عملاً للعلم ونشره وللمعارف وأداعتها — يشعر وهو في سنه ومكانته بما اداهُ من خدمة للفكر والاجتماع في الشرق العربي بمجلته ...

تطور التعليم في مصر

في خلال الستين عاماً الاخيرة

محمد بك العشماوي

وكيل وزارة المعارف

تطورت الحياة المصرية في كل نواحيها لا سيما الناحية التعليمية تطوراً خطيراً خلال الستين عاماً الاخيرة ولا يستدل على هذا التطور بالارقام الناطقة البيان وحدها وانما يلحظ في التقدم الفكري وارتفاع مستوى الحياة العامة في البلاد لا سيما في العهد الاخير عهد جلالة الملك — الذي شمل بعطفه ورعايته جهود البلاد عامة والتعليمية والفكرية منها خاصة

١ — التعليم الاولي

ولعلّ اهم ما يلحظ في هذه النهضة التعليمية انتقال التعليم من الخاصة الى العامة ومن المواصم الى القرى السحيقة في انحاء البلاد حتى بلغ عدد المكاتب في انحاء القطر ٤٧٠٠ مكتب سنة ١٨٧٥ . غير ان هذا النوع من التعليم كان ينقصهُ التنظيم والتوجيه ومن ثم انشيء بديوان المدارس ادارة خاصة بالمكاتب الاهلية وعين المرحوم عبد الله فكري بك وكيلاً لهذه الادارة في مارس سنة ١٨٧١ . ولكن تنظيم التعليم القروي لم يتخذ مع هذا وجهة مقررة الا حينما شكلت لجنة عامة لبحث نظام التعليم بأكمله في مصر سنة ١٨٨ فوضعت خطة لتنظيم التعليم الابتدائي والقروي تنظيماً شاملاً

بيد ان التعطل المالي والسياسي الذي اصاب البلاد في ذلك الحين لم يسمح بتنفيذ هذه الخطة الكاملة بدليل انه الى سنة ١٩١٢ لم يبقَ اكثر من ١٣٢ مدرسة اولية منها ٨٩ مدرسة سلمتها وزارة الاوقاف الى المعارف لادارتها مقابل اعانة سنوية تبلغ ٤٠٠ جنيه ولا يمكن ان يقال ان التعليم الاولي نهض نهضته الحاضرة الا بعد صدور قرار اللجنة المشكلة لنشر التعليم الاولي سنة ١٩١٩ فمن ذلك الحين انتشرت المدارس الاولية تدريجاً في انحاء القطر حتى بلغت في الوقت الحاضر ما لا يقل عن ٤٤٨١ مدرسة يتعلم فيها حوالي ٨٥٠٧٧٨ طفلاً مبادىء الدين والقرآن والكتابة والقراءة والحساب والرسم ومشاهد الطبيعة والصحة والجغرافيا .

وتنظيماً لهذه الحركة صدر في ١٩ يونيه سنة ١٩٣٣ قانون لتنظيم التعليم الاولي فجعلت مدة الدراسة خمس سنوات من السابعة الى الثانية عشرة وقسم اليوم المدرسي الى قسمين للبنين والبنات مع تبسيط منهج الدراسة وتعديله تعديلاً يسمح للطفل بالاتصال بيئته الزراعية او الصناعية. وكذلك نظمت العلاقة بين وزارة المعارف ومجالس المديريات في ادارة هذه المدارس بمقتضى القانون رقم ٢٤ الصادر في سنة ١٩٣٤. ولكي تعطى لفريق التلاميذ المتازين في هذه المدارس فرصة التزود بقسط اعلى من التعليم انشيء الى جانب المدارس الاولية عدد من المدارس الاولية الراقية للبنين والبنات فضلاً عن المدارس الزراعية والصناعية الاولية. وأعد للتدريس في هذه المدارس جميعاً فريق من المدرسين والمدرسات الذين اتموا دراستهم في معاهد خاصة لهذا الغرض وهي مدارس المعلمين والمعلمات المنتشرة في انحاء القطر

٢ — التعليم الابتدائي

ليس هذا النوع من التعليم حديثاً في مصر بل يرجع عهده الى عصر محمد علي الذي أنشأ حوالي ٥٠ مدرسة ابتدائية في انحاء القطر لسد حاجة البلاد عامة. ولما تولى الخديو اسماعيل باشا الحكم في مصر أعاد فتح اكثر المدارس التي اغلقت في عهد عباس وسعيد واطردت الزيادة في عدد هذه المدارس الاميرية حتى بلغت سنة ١٨٨٢ نحو ٢٧ مدرسة وفي سنة ١٩٢١ — ٣٤ مدرسة وفي الوقت الحاضر ٥٧ مدرسة اميرية. وبينما كان عدد التلاميذ في هذه المدارس في سنة ١٨٨٩ نحو ٢٨٢٢ تلميذاً ارتفع العدد في سنة ١٩٢١ الى ١١٣٨٢ وفي الوقت الحاضر الى ١٥٤٢٠ هذا عدا مدارس البنات الاميرية التي تبلغ في الوقت الحاضر ١٩ مدرسة بها ٢٦٠٤ تلميذات

وقد كانت مدة الدراسة في هذه المدارس دائماً اربع سنوات وكان مقرر التعليم في بادىء الامر يشمل الدين واللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة والرسم والصحة والترجمة واللغة الاوربية ودروس الاشياء والخطوط. وكانت اللغة الفرنسية هي اللغة الاجنبية السائدة في هذه المدارس الى ان حلت محلها اللغة الانجليزية تدريجاً حتى الغيت الاقسام الفرنسية سنة ١٩٠٣ اما باقي مواد التعليم فكانت تدرس باللغة العربية الى ان قرر علي باشا مبارك سنة ١٨٨٧ تدريسها باللغة الانجليزية وبقيت هذه اللغة وسيلة التعليم الى ان تقرر اعادة اللغة العربية سنة ١٩١٦ ثم تناول الاصلاح مواد الدراسة سنة ١٩٢٥ فأدخل الكثير من المواد الحديثة التي تعاون على تثقيف الطلاب وتهذيبهم كالاشغال اليدوية ومبادىء العلوم الخ واتبع هذا النظام في مدارس البنين والبنات على السواء اذا استثنينا ان البنات يدرسن اشغال الابرة وبعض المواد النسوية

ويسير على هذا النظام عدد وافر من المدارس غير الاميرية وتبلغ ٧٣ مدرسة تابعة لمجالس

المديريات وبها نحو ١١١٢٠ تلميذاً و١٢ مدرسة للبنات وبها ٢٤٣٧ تلميذة فضلاً عن المدارس الحرة التي خضعت حديثاً لرقابة وزارة المعارف بمقتضى قانون التعليم الحر الذي صدر عام ١٩٣٤ لتنظيم العمل والدراسة في هذه المدارس. وقد بلغت بعد التصفية الاخيرة ٢٩٠ مدرسة ابتدائية للبنين و١٣٠ مدرسة للبنات وبها حوالي ٢١٠٠٠ تلميذ وتلميذة

ويتقدم تلاميذ المدارس الابتدائية وتلميذاتها في الوقت الحاضر في سنتهم النهائية لامتحان اتمام الدراسة الابتدائية الذي حل منذ سنة ١٩١٦ محل امتحان شهادة الدراسة الابتدائية. وكان هذا الامتحان قد تقرر منذ سنة ١٨٩١ ليؤهل الطلاب لدخول المدارس التجهيزية والتوظف في الوظائف الصغرى بدوائر الحكومة في حين ان الامتحان الحالي تقتصر اهميته على الانتظام في التعليم الثانوي

ومن تقدم المدارس الابتدائية في الوقت الحاضر يرجع الى اعداد الاطفال للدخول في هذه المدارس انشاء ما سمي « برياض الاطفال » وهي مدارس تقبل الاطفال من سن الخامسة الى الثامنة وتعنى اكبر العناية بتنمية قوة الملاحظة وحب الاستطلاع وتعرف حدود العالم المحيط بالناشئين والاعتماد في التعليم خاصة على الالعاب والموسيقى والاشغال ويتولى التدريس فيها مدرسات لهن مؤهلات خاصة وبالقطر الآن ٢١ مدرسة من هذا النوع بها نحو ٢٠٠٠ طفل هذا فضلاً عن ١١ مدرسة تديرها مجالس المديريات وبها نحو ١٠٠٠ طفل

٣ — التعليم الثانوي

كان التعليم الثانوي في عهد محمد علي الكبير مقتصراً على المدرسة التجهيزية بابي زعبل ثم نقلت هذه المدرسة في عهد الخديوي اسماعيل الى درب الجماميز وسميت باسم المدرسة التجهيزية ثم المدرسة الخديوية وانشئت مدرسة اخرى بالاسكندرية وهي مدرسة رأس التين الحالية ثم ازداد عدد المدارس تدريجاً حتى بلغت ٦ مدارس ثانوية اميرية سنة ١٩١٧ يتعلم بها نحو ٢٤٤٢ تلميذاً واطردت الزيادة حتى بلغ عدد المدارس الاميرية في الوقت الحاضر ٣٧ مدرسة ثانوية بها نحو ١٤٦٤٦ تلميذاً و٦ مدارس ثانوية للبنات وبها نحو ١٣٠٩ تلميذات هذا عدا المدارس الحرة التي بلغ عددها في سنة ١٩١٧ — ٢٦ مدرسة ثانوية للبنين بها نحو ٤٥٧٠ تلميذاً ثم اخذت في الزيادة تبعاً لحاجة الاهلين واقبالهم على هذا النوع من التعليم حتى اصبحت الآن ٨٥ مدرسة للبنين و١٢ مدرسة للبنات يبلغ عدد تلاميذها وتلميذاتها نحو ١٢٠٠٠ تلميذ وتلميذة

وكانت مدة الدراسة الى سنة ١٨٩٢ خمس سنوات وتشمل اكثر مواد الثقافة العامة المعروفة في المرحلة الاولى للتعليم الثانوي في الوقت الحاضر وفي سنة ١٩٠٩ قصر التعليم الثانوي على اربع

سنوات منها سنتان لمواد الثقافة العامة والسنتان التاليتان للتعمق في المواد العلمية او الادبية مع حذف بعض المواد الرئيسية كالتاريخ الطبيعي وجعلت اللغة الانجليزية مدة اساسية و الفرنسية لغة اضافية ابتداء من السنة الثالثة وتدريس اكثر المواد باللغة الانجليزية طبقاً للسياسة التي وضعتها الوزارة منذ سنة ١٨٨٧

غير ان خطة الاصلاح التي بدأت منذ سنة ١٩١٦ ادت الى اعادة التعليم باللغة العربية في هذه المدارس تدريجاً. وفي سنة ١٩٢٥ اعيدت مدة الدراسة الى خمس سنوات كما اعيدت مواد الثقافة التي حرمت منها المدارس عهداً طويلاً وهي مواد التاريخ الطبيعي والتربية الوطنية وعلم النفس فضلاً عن تعديل خطة الدراسة ومناهجها تعديلاً يطابق روح العصر وفي العام الماضي عدل نظام التعليم الثانوي تعديلاً جوهرياً في اكثر من موضع واحد — خطط الدراسة ومناهجها وامتحاناتها وانظمتها قصداً الى تحرير المدرسين والتلاميذ من رهبة الكتب والامتحانات والاتجاه الى تكوين الاذهان وتربية الاخلاق والاجسام تربية مثمرة كذلك عدّل التعليم الثانوي للبنات تعديلاً يطابق روح العصر والاختبار فالى العام الماضي كانت التلميذات يدرسن المواد المقررة للتلاميذ مع تعديلات طفيفة تتعلق بتدريس المواد النسوية لمن يرغب من الطالبات. ولهذا وضع منهج خاص لمدارس البنات الثانوية تدرس التلميذات بمقتضاه مواد الثقافة العامة في خمس سنوات بدلاً من اربع وان يعنى في هذه المرحلة بمواد الثقافة النسوية عناية تامة. وفي السنة التوجيهية وهي السنة الاخيرة للدراسة الثانوية تتجه التلميذات الى التعليم الموصل للتعليم العالي او ينصرفن الى اتمام مواد الثقافة النسوية

٤ — التعليم العالي والجامعي

افتتحت اكثر مدارس التعليم العالي في مصر في النصف الاول من القرن الماضي ثم اصابها الضعف والانحلال تبعاً لحالة الضعف السياسي التي اصابت البلاد في منتصف القرن، ولم تستقر حياتها الجديدة الا منذ عهد الخديو اسماعيل الذي استأنف تقاليد جده الكبير فأعاد منذ سنة ١٨٦٧ فتح مدارس الطب والطب البيطري والهندسة والزراعة واضاف اليها مدرسة الحقوق. وكانت هذه المدارس جميعاً تستمد طلابها غالباً من المدارس التجهيزية، وكانت مدة الدراسة ثلاث سنوات، وكانت لغة التعليم السائدة هي اللغة الفرنسية ثم اعقبتها اللغة الانجليزية تدريجاً حتى الغيت الاقسام الفرنسية. ومنذ سنة ١٩١٦ جعلت الدراسة في كافة المدارس العليا اربع سنوات بدلاً من ثلاث واخذت اللغة العربية تتخذ مكانها في التدريس واطردت العناية بالمعامل والمكاتب واساليب التدريس والبحث كما عني بارسال البعثات العلمية العديدة لتزويد هذه المدارس بطائفة صالحة من الاساتذة الممتازين

على ان التعليم العالي في مصر لم يقتصر على المدارس المتقدمة بل يشمل معهدين آخرين لهما ميزة خاصة في انهما كانا عماد التعليم الثانوي وبالتالي التعليم العالي وهما دار العلوم ومدرسة المعلمين العليا. وقد انشىء المعهد الاول عام ١٨٧٢ لتخريج طائفة من المعلمين الصالحين لتدريس اللغة العربية ثم تدعَّم الاساس الذي أُقيم عليه هذا المعهد بانشاء مدرسة تجهيزية خاصة لاعداد الطلاب للقبول في القسم العالي في سنة ١٩٢٠ ثم الغيت هذه المدرسة اخيراً اكتفاء بخريجي الاقسام الثانوية في الجامعة الازهرية. اما اعداد المدرسين اللازمين للمواد الاخرى فعهد الى مدرسة النورمال التي انشئت سنة ١٨٨٠ وكان التعليم فيها بالفرنسية شأن باقي المدارس العليا الاخرى ثم نقلت الى قصر النزهة سنة ١٨٨٨ وسميت باسم المعلمين التوفيقية ثم الى الخديوية وسميت بالمعلمين الخديوية فالمعلمين السلطانية ثم اخيراً المعلمين العليا وظلت تؤدي للتعليم والبلاد الخدمات الى ان انشىء معهد التربية الحالي للبنين

كذلك انشىء قسم خاص بالمدرسة السنية عام ١٩٠٠ لتخريج معلمات للمدارس الابتدائية ومدارس المعلمات وقد ارتفع مستوى الدخول فيها تدريجاً تبعاً لارتفاع مستوى التعليم العام فمن شهادة ابتدائية الى امتحان دخول الى اشتراط الشهادة الثانوية وجعلت مدة الدراسة ثلاث سنوات ثم ارتفعت الى اربع وبقي هذا المعهد قائماً الى ان حل محلها معهد التربية الحالي للبنات

ومنذ سنة ١٩٢٥ سار التعليم العالي خطوات سريعة . في ذلك العام انشئت الجامعة لتباعد بين التعليم العالي والمصالح المادية الضيقة وتوجد جواً جديداً من الثقافة والبحث العلمي في البلاد وقد ضمت الجامعة بادىء الامر كليات الآداب والعلوم والحقوق والطب ثم اتسعت دائرتها منذ العام الماضي حتى شملت اكثر المدارس العالية الاخرى : الهندسة والزراعة والتجارة حتى يتضامن التعليم العالي بأكمله في تحقيق الاغراض المنشودة في جو من الحرية والاستقلال وقد بلغ عدد طلاب الجامعة في العام الماضي ٦٠٣٥ طالباً بينهم ٢٠٧ طالبات وهي ظاهرة جديدة في اتجاه التعليم في مصر تستحق الرعاية والالتفات

٥ — التعليم المتوسط

لعل أهم مظاهر الاصلاح الحديث في التعليم انشاء حلقة جديدة متوسطة بين التعليمين الابتدائي والثانوي وهي حلقة يقصد بها تخفيف الضغط على التعليم الثانوي والعالي من جهة وسد حاجة البلاد من طبقة متوسطة من المتعلمين من جهة اخرى ولهذا الغرض انشىء في سنة ١٩٠٧ ادارة خاصة بهذا النوع من التعليم وفي كنفها تقدم التعليم الصناعي والزراعي والتجاري ولا تزال هذه الادارة تحت اسم آخر توالي عنايتها بهذه المدارس

فبينما كان عدد المدارس الصناعية في سنة ١٩١٠ لا يزيد عن خمس مدارس اذا به يرتفع

سنة ١٩١٧ الى ١٨ مدرسة وفي سنة ١٩٣٥ الى ٢٨ مدرسة بها ما لا يقل عن ١١٧٧٨ تلميذاً يزاولون مختلف الصناعات التي تلائم حاجة البلاد . فالى جانب اقسام الصناعات القديمة انشئت في السنوات الاخيرة اقسام خاصة بالكهرباء والتلغراف اللاسلكي وهندسة السيارات والهندسة الصحية واشغال الزخرفة وعمل الجريد وبناء المراكب والهندسة البحرية وصناعة الزجاج الخ

ولكي يمكن تشجيع خريجي هذه المدارس للعمل في الصناعات التي تخصصوا بها اعتمدت الحكومة مبلغ ٣٠٠٠ جنيه لمساعدة هؤلاء الخريجين في مواصلة العمل في صناعاتهم فضلاً عن انشاء عدة مصانع حكومية للجلود وتصليح الساعات لافساح مجال العمل لطلاب هذه المدارس . ولا شك ان انشاء وزارة خاصة بالصناعة والتجارة في العام الماضي سيعاون كثيراً على تقدم هذه المدارس ونجاحها

كذلك انشئت مدارس خاصة بالتعليم الزراعي المتوسط والغرض منها تخريج مزارعين قادرين على مباشرة مزارعهم الخاصة او العمل في مزارع الآخرين وبلغ عدد هذه المدارس اربعاً . ثلاثاً في الوجه البحري ومدرسة في الوجه القبلي تضم عدداً من التلاميذ لا يقل عن ١٥٠٤ طالباً في حين ان عدد الطلاب لم يرتفع في سنة ١٩١٧ عن ٢٠ طالب

اما التعليم التجاري فقد اتسع تدريجاً كبقية المدارس الاخرى . ففي سنة ١٩١٧ كان التعليم التجاري المتوسط مقتصراً على مدرسة واحدة في القاهرة بها ٢٢٩ طالباً ثم ازداد عددها الآن الى خمس مدارس بها ٢٠٠٠ طالب والغرض من هذه المدارس هو تدريب طلبة من الشبان على الاعمال الكتابية والحسابية في المحال التجارية والمصارف او في المزارع والمصالح الحكومية . ويتصل بهذا النوع من المدارس الاقسام الليلية التجارية التي انشئت لتزويد الشبان والشابات على السواء بالفرصة الملائمة لتوسيع معلوماتهم وتنمية مداركهم وكسب قوتهم في الاعمال التجارية والحسابية

٦ — الفنون الجميلة

كان من الطبيعي ان تمشي مع نهضة البلاد العلمية والادبية نهضة فنية . فأنشئت مدرسة الفنون الجميلة سنة ١٩١٧ ثم تأسست مدرسة الفنون الجميلة العليا سنة ١٩٢٧ وستصدر مرسوم بتأليف لجنة استشارية للفنون لزيادة العناية بها والرجوع لرأي الفنيين فيها . وتحقيقاً للأمنية التي طالما انتظرتها مصر الحديثة وهي النهوض بالموسيقى العربية الشيدة انشئ معهد الموسيقى العربية وانشئت به مدرسة للموسيقى تعينها وزارة المعارف مالياً وتشرف عليها فنياً وإدارياً . كما تعمل الموسيقى جزءا هاماً من ثقافة الشعب وعلماً يدرس بالمدارس المصرية إلى جانب العلوم الاخرى فأدخل التعليم الموسيقي في رياض الاطفال والمدارس الاولية الالزامية والمدارس الابتدائية . وفي

العزم السير تدريجياً في تعميم مادة الموسيقى في مختلف درجات التعليم وبواجبه كلما توافر عدد من يمكن ان يسند اليهم تدريس الموسيقى من خريجي البعثات الموسيقية المصرية وخريجي المعهد الملكي للموسيقى العربية

واتجهت العناية أيضاً إلى الفنون الاخرى فأقامت الحكومة المصرية أكاديمية الفنون الجميلة بروما حيث يجد اعضاؤه المصريون الموفدون للتخصص في الفنون الجميلة مكاناً صالحاً للعمل والاسترشاد الفني كما انشئ متحف للفن الحديث جمعت فيه طائفة من الآثار الفنية القيمة لكبار الفنانين في العصر الحديث من مصريين واوربيين ومصنع لصب القوالب بقصد إخراج نماذج للقطع الاثرية والفنية وتيسير اقتنائها . هذا فضلاً عن إيفاد البعوث للنحت والتصوير والموسيقى وغيرها من الفنون الجميلة الى المعاهد الفنية الكبرى في ايطاليا وفرنسا وإقامة معارض للفنون الجميلة والاشراف على تنظيم المعارض التي تقيمها الجمعيات والافراد وتشجيعها بالاعانات وشراء كثير من معروضاتها

كما وجهت العناية الى المسرح العربي فرودّد مثال أولاً ثم انشئت فرقة قومية خاصة لرفع شأنه ولتشجيع الترجمة والتأليف للمسرح واستقدمت فرق اجنبية ممتازة في كل عام لاحياء موسم تمثيلي غنائي في دار الاوبرا الملكية بقصد اذاعة الثقافة المسرحية الاوروبية

٧ — دار الكتب المصرية

انشئت في عهد المغفور له الخديو اسماعيل واتسعت أعمالها تدريجاً اتساعاً يدل على مبلغ النهضة الفكرية في البلاد واتجاه الذوق العام الى الاستزادة من الثقافة والاطلاع والاحصاء التالي يبين وجه المقابلة

	سنة ١٩١٧	سنة ١٩٣٣
جملة الرصيد	٨٨٢١٥	٢٣٨١٧٧
الكتب الواردة في السنة	١٩٥٢	٩٩٣٣
عدد المترددين على قاعة المطالعة		٩٢١٦٦
عدد زائري المعرض	٧٤٥٤	١٧١٨٥
المطلعون على خرائط المساحة .		١٤٠٩
عدد المستعيرين في الخارج	٦٠٦	٦١٦٢
عدد المجلدات المعارة بقاعة المطالعة . .	٧١٨٦٩	٢١٣٣٣٣
عدد المجلدات المعارة بالخارج	١١٢٩٧	٣٧٥٢٧
عدد المجلدات المطبوعة للبيع	٢٥	١٣٠

ويضاف إلى هذا كله مكتبات خاصة أهديت الى المكتبة العامة مثل مكتبة المرحوم طلعت بك وتشمل ٣٠٠٠ مجلد ومكتبة المرحوم تيمور باشا وبها ٢٠٠٠٠ مجلد ومكتبة المرحوم حبيب باشا وبها ٢٥٠ مجلد ومكتبة فوله وبها ٣٠٠٠ مجلد ومكتبة حليل اغا ومكتبة الفلكي وتحوي كل منها الف مجلد.

والى جانب دار الكتب انشئت حديثاً مكتبة الجامعة المصرية وهي ذات شأن كبير اذ يبلغ عدد مجلداتها نحو ١٥٠٠٠٠ مجلد وهي جلالة الملك عناية كبرى بتزويدها بآلاف المجلدات من الكتب القيمة فكان لجلالته الفضل الاكبر في نمائها كما كان له الفضل الاسبق في تكوينها اول نشأتها عند ما كان أميراً يحوط الجامعة الوليدة برعايته ويوقف عليها جهوده ووقته. فأهدى اليها جلالته مكتبة الامير ابراهيم حلمي التي آلت الى جلالته بطريق الميراث وهي تشمل نحو ٢٠٠٠٠ مجلد كما اهديت اليها في عهد جلالته وبرعايته مكتبات قيمة اخرى كمكتبة سمو الامير كمال الدين حسين التي تحوي ٧٢٠٠ مجلد ومكتبة طلعت بك وبها ١٥٠٠٠ مجلد. هذا فضلاً عما اضيف اليها بطريقة الشراء كمكتبة سيبولد وتشمل ١٠٠٠٠ مجلد

٨ — الرياضة البدنية

كان من أثر التنبه في تعليم النشء تعليماً يتفق وأساليب التربية الحديثة ان جعل التعليم البدني والالعاب الرياضية اجبارياً في جميع المدارس ووضعت لذلك المناهج المناسبة لسن التلاميذ وادخلت أوقات دراستها في برنامج الدراسة اليومي اسوة بالمواد الاخرى حتى أصبح التعليم البدني متغلغلاً في جميع مدارس القطر المختلفة للبنين والبنات

وكذلك وجهت عناية كبرى الى حركة الكشافة والمرشدات. وتفضل جلالة الملك فأذن بتنصيب ولي عهده المحبوب حضرة صاحب السمو أمير الصعيد كشافاً أعظم يوم ٢٩ ابريل سنة ١٩٣٣ في حفل رياضي كبير مما كان له أكبر الأثر في تنشيط هذه الحركة حتى اصبح في القطر المصري الآن ما يقرب من ٢٢٥ فرقة بها نحو ٩٥٠٠ كشاف جميعهم من التلاميذ. ومن المرشدات نحو ٤٠٠٠ مرشدة في أكثر من ١٤٠ فرقة وقد صدر مرسوم ملكي بتأليف جمعية أهلية مصرية للكشافة كما صدر قانون بحماية شاراتها وتسمياتها وعلاماتها

وتعمل الحكومة على توسيع نطاق تعليم التربية البدنية بانشاء ميادين للالعاب الرياضية لتلاميذ المدارس وانشاء مدرسة لتخريج معلمي التربية البدنية وانشاء حمامات للسباحة وهذا فضلاً عن اعانة الاندية والجمعيات والاتحادات الرياضية المختصة في انحاء البلاد

وتمشياً مع النهضة الرياضية الحديثة وأخذاً بأسبابها عملت الحكومة على ارسال البعوث

الرياضة من الطلاب والطالبات الى اوروبه لدراسة الاساليب المختصة والمستحدثة في التربية البدنية والاشتراك في المؤتمرات الدولية والمسابقات الاولمبية

٩ — الجمعيات العلمية والادبية والفنية

كان من أثر نهضة البلاد أن ترعرعت فيها هيئات وتكونت جمعيات تعنى بشئون العلم والآداب والفنون، فمنها الجمعية الجغرافية الملكية التي تعنى بتشجيع البحوث الجغرافية في مصر ونشرها والجمعية الملكية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع والجمعية الملكية للحشرات والجمعية الطبية المصرية والجمعية الرمدية المصرية والمجمع العلمي المصري والجمعية الملكية لعلم اوراق البردي، والمجمع المصري للثقافة العلمية. ورابطة الادب العربي والمعهد الملكي للموسيقى العربية. ومعهد الصحراء وجمعية محبي الفنون الجميلة. ومجمع اللغة العربية الملكي الذي تألف من جماعة من العلماء المقيمين في مصر وفي البلاد العربية والشرقية ومن كبار المستشرقين الاجانب ذوي الشهرة في العلوم العربية

هذا فضلاً عن مساهمة الحكومة المصرية في منح اعانات سنوية للهيئات العلمية الدولية مثل معهد التعاون الدولي الفكري بباريس ومعهد التربية الدولي بسويسرا. واللجنة الدولية للعلوم التاريخية والمكتب الدولي للتعليم الفني. واشتراكها في اعمال هذه الهيئات جميعاً وفي تعقده الهيئات الدولية العلمية سنويًا من المؤتمرات في أنحاء العالم

١٠ — مصلحة الآثار

خطت أعمال الآثار المصرية الى الآن خطوات واسعة وأنت بنتائج استثارت اعجاب العالم فقد تمَّ استكشاف مقبرة توت عنخ آمون ونقل ما فيها من حلى عجيبة وأثاث وتماثيل الى جناح أعدَّ لها في المتحف المصري ونسق أبدع تنسيق كما استكشف في جهة المعادي بقايا حضارة يرجع عهدها الى ما قبل التاريخ. وعثر على مقبرة الملكة حتحرس أم الملك خوفو ووضع ما وجد فيها من حلى ثمينة ذهبية في مكان خاص بالمتحف المصري. ولاول مرة في هذا العهد الزاهر يتولى المصريون استكشاف آثار أجدادهم فلقد قام اساتذة الجامعة المصرية بأعمال الحفر في عهود تاريخية مختلفة فكشف الاستاذ سليم حسن بك عن مقابر هامة يرجع تاريخها الى الامبراطورية القديمة بما كنوز من التماثيل الجميلة. ويواصل الاستاذ سامي جبره أعمال التنقيب عن مقابر يونانية — رومانية محلى بعضها بنقوش بديعة على أروع اسلوب «كلاسيكي» قديم كما يقوم الاستاذ محمد حمزه بالكشف عن معبد ذي مقام تاريخي كبير بأسيوط والاستاذ مصطفى عامر عن حفائر المعادي التي كشفت الكثير عن الانسان ومدنيته قبل التاريخ

الآثار القبطية — الآثار القبطية ذات مكانة تاريخية كبرى لانها تعتبر حلقة الاتصال بين الفنون المصرية في العصرين الفرعوني واليوناني والروماني من جهة والعصر الاسلامي من جهة اخرى وقد انشيء لها سنة ١٩١٠ متحف خاص يشمل مخلفات الاديرة والكنائس العديدة التي اقيمت بين القرنين الرابع والسابع للميلاد وزيدت عليه اقسام عدة كقسم للاحجار وقسم للمعادن وقسم للاقمشة وقاعة للصور ومكتبة كبيرة . وفي عام ١٩٣١ صدر مرسوم ملكي بالحاق المتحف القبطي بأملاك الدولة فتضاعفت موجودات باقي الاقسام وتوسع نطاقه ونظمت اقسامه تنظيماً يسمح بتتبع ما فيها من الآثار

***

الآثار العربية — العناية بالآثار العربية حديثة العهد اذ ان الفن الاسلامي لم يثر اهتمام العالم الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ويرجع الفضل في ايجاد متحف للآثار العربية الى سمو الخديو اسمعيل . وقد تمَّ انشاء هذا المتحف فعلاً ووضعت المجموعات الاولى منهُ في مسجد « الحاكم » ثم شكلت لجنة لحفظ الآثار العربية قامت باعمال باهرة في سبيل انقاذ المساجد العديدة والمنازل الاثرية من التلف . وفي عام ١٩٠٣ شيد بناء خاص بالمتحف العربي تعرض فيه مجموعاته الثمينة وقد اتسع نطاق هذا المتحف اتساعاً كبيراً فقد كان عدد قطعه المعروضة في عام ١٩٢٥ نحو ٧٠٠٠ قطعة فأصبح عددها اليوم ١٢٠٠٠ قطعة من الرخام والاحجار والاواني والخشب المطعم والنحاس والفسيفساء والاقمشة والسجاجيد والخطوط العربية ومصابيح الزجاج المشمولة بالمينا وهو يزداد شأناً بما يتحفهُ المصريون وعلى رأسهم الاسرة المالكة من هبات اثرية كالهبة الجليلة القدر التي تفضل جلالة الملك باهدائها اخيراً اليه

١١ — البعثات

أُرسلت البعثات الى اوربا منذ عهد محمد علي الكبير ولكن نهضة البلاد استلزمت الاكثار من ايفاد البعثات الى اوربا لتهيئة العدد الكافي من الاخصائيين في مختلف مرافق الدولة حتى اصبح عددهم في سنة ١٩٢٨ (٥٤٤) عضواً

ولهذا وضع نظام ثابت للبعثات فتألفت اللجنة الوزارية الاستشارية لبعثات الحكومة من اعضاء يمثلون مختلف الوزارات تحت رآسة وزير المعارف ولتقرير ما تراه بشأن كل منها من حيث نحوها والبلاد الواجب الايفاد اليها والدراسة التي تتبع واختيار طلبة البعثة والشروط الواجب توفرها فيهم . فزيد التدقيق في اختيار البعثات وقصرها على ما يراد به استكمال دراسة

علمية او عملية خاصة او حذق صناعة مما لا يتوافر في مصر وبهذا اصبح عدد اعضاء البعثات اليوم ٢٣١ عضواً . على ان بعثات الجامعة المصرية ما زالت مطردة الزيادة لامداد كلياتها بالاساتذة الحاصلين على اعلى الشهادات في الفروع المتخصصين فيها

وقد قبلت الحكومة الفرنسية — السماح لطلبة المصريين الحاصلين على الدكتوراه في الحقوق بأن يدخلوا مسابقة «الاجريجاسيون» لنيل لقب «اجريجيه» في القانون كما ان بعض الجامعات في انجلترا مثل جامعة كمبردج وجامعة ادنبره تعترف بدرجات الجامعة المصرية مما كان له اكبر الفضل في تمكين اعضاء بعثة الجامعة من التحضير للدرجات العليا في وقت قصير مما انتج احسن الاثر في تقوية الرابطة واحكام الصلة مع تلك الجامعات

١٢ — الجامع الازهر والمعاهد الدينية

للجامع الازهر مكانة سامية بين جامعات الشرق حيث يؤمه الطلاّب من جميع البلاد الاسلامية ويتزود بالعلم فيه آلاف عديدة من ابناء البلاد المصرية

وكان لهذه المكانة أثرها في تعليم هذا الجامع والمعاهد الدينية الملحقة به فأصبحت تدرس فيه العلوم الحديثة بجانب علوم الدين واللغة وانشئت فيه كليات للدراسة العالية وأقسام للتخصص فيها

كما انشئت بالازهر وملحقاته ابنية فخمة على احدث طراز في الجامعات تهيء للدراسة في مراحلها المختلفة وأبنية اخرى لسكنى الطلاب وللادارة وللمحاضرات والمكتبة ومستشفى للطلاب

وقد صدرت القوانين المنظمة للازهر والكليات والمعاهد الملحقة فأدخلت بذلك تعديلات واسعة النطاق في قانونه شملت الاقسام الابتدائية والثانوية والعالية وأقسام التخصص وكان لهذه التعديلات الرغبة الاكيدة في رفع مستوى التعليم في الازهر وجعله — بجانب كونه اعظم جامعة دينية اسلامية — يتمشى مع روح العصر الحاضر مما يوفر عند الطلاب مجال البحث والاستنباط ويعينهم على تفهم أسرار الاحكام الشرعية ويعدهم ليكونوا رجالاً يستطيعون الاضطلاع بالعبء الكبير الملقى على عواتقهم في خدمة اللغة والدين والقضاء . وكان لهذه النهضة الكبرى بالازهر ومرافقه أثرها في رفع ميزانيته في العهد الاخير من ستين الف جنيه الى مائتين وستين الفاً

ويبلغ عدد طلبة الازهر والمعاهد الدينية حوالي عشرة آلاف وعدد طلبة التخصص من العلماء ٣٠١ وعدد المدرسين ١٢٠ ومن بين طلبة الازهر حوالي سبعمائة من الغرباء الوافدين من جاوة والهند والصين والافغان وتركستان والاناضول والشام وبلاد المغرب والصومال وجنوب افريقيا وأميركا

تطور حياتنا العقلية

لأحمد لطفي السيد باشا
مدير الجامعة المصرية ووزير المعارف سابقاً

س ١ — ما هي أهم مظاهر الخلاف بين الحياة العقلية لهذا الجيل الذي تشرفون على تنشئته وبين الجيل الذي عشتم فيه كطلاب يتلقون العلم ؟

س ٢ — ما هو الفرق في الدراسات العلمية بين الأساليب الجامعية الحاضرة ، وبين أسلوب الجامعة الأهلية التي ورثتها هذه الجامعة ؟

س ٣ — ما هي الطريقة المثالية التي تقترحون أن تكون عليها الصلة بين حياتنا العلمية وبين الحكومة

ج ١ — الجيل الذي عشنا فيه كانت الفكرة العامة عند الطلبة وعند أولياء أمورهم هي الفكرة التي حدت بالحكومة وقصدت إلى إنشاء درجات مختلفة للتعليم ، وهي إعداد موظفين يقومون بإدارة الماكينة الكبرى للحكومة سواء أكان ذلك في مدارس الحقوق أم الهندسة أم الطب الخ الخ

ولم يكن يخلو من هذه الفكرة بعض الخلو إلا الجامع الأزهر فلقد شهدت فيه طلبة يقضون عمرهم في تعلم العلم للعلم وتبركاً به ، وحسبة له ، وزلفى إلى الله تعالى . وإن كانت فكرة اتخاذ العلم طريقة لطلب الرزق لم تكن غريبة عن أذهان بعض طلبة الأزهر . لكن ذلك كان على قلة لا على كثرة

هذا هو الفرق الأساسي بين فكرة التعليم في ذلك الجيل وبين الفكرة فيه الآن وهي الفكرة القائمة على أن يكون الغرض منه التعليم لا الأداة للاستخدام في الحكومة بل تكوين جيل جديد له من التربية الاصلاحية والمكانة العلمية ما يسمح له بالمزاحمة بنجاح في الحياة العملية غير أن أفكار الناس — كما نعرف — لا تتغير من النقيض إلى النقيض في زمن محدود ، بل الفكرة القديمة لا تزال تتحرك في الجيل الحاضر مع الفكرة الجديدة ولا يزال أولياء أمور الطلبة

يشعرون مع الاسف في نفوس أبنائهم انهم إنما يعلمونهم ليخدموا الحكومة ولكن من اولياء الطلبة من يعلم ابنهُ ليحسن التكسب ويتم عليه ملكاته ، وينمي مواهبهُ وعلى ما أرى أن هذه الفكرة هي القائمة الآن في نفس الحكومات المتتالية التي تلي أمر مصر في هذا الجيل اذ ينفقون على العلم سخاء ، مع ان الحكومات تكاد تستوفي ما يلزمها من متعلمين

هذا هو الخلاف على نحو عام ، ولكن الأغراض الخاصة المعلنة بخطط التعليم وبرامجه فانها تخالف بعض الشيء الخطط والبرامج القديمة تبعاً لتغاير الفكرتين الاساسيتين اللتين تسودان التعليم في الحالين

ج ٢ — الجامعة القديمة الاهلية لم تكن الأ محاولة لايجاد جامعة بالمعنى الخاص ، ولذلك ليس بين الاسلوبين في التعليم فرق جوهري

ج ٣ — الواقع ان لي مذهباً خاصاً في هذا المعنى يرجع الى ما درجت عليه من اعتناق مذهب سياسي خاص هو مذهب « الليبرالزم » اي مذهب أهل السماح ان شئت وبحسب اعتقادي في هذا المذهب الذي يقوي حرية الفرد ، ويكره ان تتسلط عليه الجماعة الأ عند الضرورة القصوى للاجتماع ، ويحدُّ حرية الحكومة لا في التشريع فحسب بل في المداخلة في الاعمال العامة هذا المذهب قد يقتضي مثاله الأعلى ان تقتصر الحكومة على مرافق ثلاثة من مرافق البلاد :

١ — الدفاع عن البلاد في الخارج بالجيش

٢ — والقيام على الامن العام بالبوليس

٣ — واقامة العدل بين الناس بالقضاء

وما عدا ذلك من مرافق الدولة كالتعليم العام ، والصحة العامة والاشغال « العمومية » كل ذلك ينبغي ان يكون من عمل الافراد والشركات والجمعيات الحرة . وكنت اعتبر ولا ازال اعتبر ان تدخل الحكومة فيه سببه الضرورة اي عدم وجود من يقوم به ولكن مع الاسف ارى ان مذهبنا هذا قد انهار في جميع أنحاء العالم رأساً على عقب وطاف بالعالم طائف من الاشتراكية بأنواعها المختلفة يجعل الحكومة تضع أنفها في كل شيء حتى في داخل البيوت ، ولا سبيل الى الوقوف في هذا التيار الجارف فاذا سمعتني اقول باستقلال الجامعة ، واذا سمعت الحكومة تقول باستقلال معهد فاروق ، فذلك ليس الأ استقلالاً نسبياً ما دامت الضرورة من ناحية ، « والمودة » العالمية من ناحية اخرى تعطي الحكومة حق التدخل في كل شيء

فالصلة المثالية التي تسأل عنها صعبة التحديد ما دامت الحكومة هي التي تنفق من خزانة الدولة على التعليم العام ، وما دامت الافكار العالمية متجهة تلك الاتجاه الذي ذكرت

تطوُّر التعليم
في الازهر

لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر
محمد مصطفى المراغي

١ — شعر المهيمنون على التعليم في الازهر بعد وضع القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ بأن الازهر أخذ يضيع أهم خصائصه ومميزات تعليمه ولم تخل تقارير لجان الامتحان ولا تقارير المفتشين في سنة من السنوات من الشكوى من اعتماد التلاميذ على الاستظهار ومن ضعف ملكاتهم العلمية وقد توالت على هذا القانون تعديلات آخرها التعديل الذي ادخل عليه بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وهو أظهر تعديل طرأ عليه ففي هذا القانون قسم التعليم العالي الى ثلاث كليات واحدة لعلوم اصول الدين وثانية لعلوم الشريعة وثالثة لعلوم اللغة العربية ووجد تخصص سمي تخصص المادة وآخر سمي تخصص المهنة. وقدكان الغرض من هذا تفرغ كل طائفة من التلاميذ في التعليم العالي والتخصص لطائفة من المواد الكثيرة التي كانت تدرس مجتمعة حتى يتيسر اتقان الدرس والفهم واتقان التحصيل ، ومع هذا ظلت الشكوى قائمة وظهر ان الداء الذي يجب ان يحسم ويستأصل هو ضعف التلاميذ في القسم الثانوي بسبب كثرة المواد وبسبب طول المناهج في بعض المواد التي لا يحتاج الطالب في الازهر الى طول المنهاج فيها فهذه الكثرة وهذا الطول لم يدعا وقتاً لهضم الدروس وتمثلها ولم يدعا وقتاً لطول التفكير والبحث والجدل وتنمية ملكات العلوم والاستنباط

٢ — وقد يعيننا على تصوير الحقيقة في هذا الموضوع وعلى الحكم بأن القانون رقم ١٠ سنة ١٩١١ كان ضرره اكبر من نفعه ان نرجع الى الماضي قليلاً ونستطلع ما كان عليه الازهر فقبل القانون الصادر بتاريخ ٢٠ محرم سنة ١٣١٤ (اول يوليو سنة ١٨٩٦) كانت العلوم التي تدرس في الازهر ويمتحن الطلبة فيها لنيل شهادة العالمية هي — الاصول — الفقه — التوحيد — الحديث — التفسير — النحو — الصرف — المعاني — البيان — البديع — المنطق

وكان الطلبة يمضون في تحصيلها مدداً طويلة أقلها خمس عشرة سنة ولا حدَّ لأكثرها ومع أنها كانت تدرس في كتب معينة من المختصرات التي لا تفهم إلاّ بشروح وحواشي والتي تحتاج

الى جهد شاق في حل ألفاظها وبيان وجه دلالتها وتصحيح وجوه هذه الدلالة فان الطلبة كانوا يقدرون على الاستقلال بدراسة الكتب ويقدرون على فهمها وكانت تنمو فيهم ملكات البحث والجدل ، بيد أنهم على الجملة كانوا بعيدين عن الاساليب العربية في الكتابة والخطابة بعيدين عن تذوق أسرارها غير متصلين بأسرار الدين اتصالاً وثيقاً فان دراسة الفقه كانت دراسة جامدة ودراسة التفسير والحديث كانت دراسة ضعيفة ودراسة علوم البلاغة كانت قاصرة على كتب عرتها الفلسفة وبعدت في أساليبها عن الاساليب العربية ، وأكثر من هذا أنهم كانوا بعيدين كل البعد عن المعارف الضرورية التي لا يسع أحداً جهلها في هذا العصر مثل الجغرافيا والتاريخ ومبادىء الهندسة والحساب ومبادىء الطبيعة والكيمياء

والازهر كما هو معلوم قبلة أنظار المسلمين في العالم يفد اليه الناس من مشارق الأرض ومغاربها واسمهُ يدوي في الآفاق والحكومة في حاجة اليه لأنهُ الينبوع الذي يؤخذ منهُ القضاة والمفتون

٣ — كل هذا كان سبباً في حرص الغيورين من رجال الأمة ورجال الحكومة على تلمس وجوه الاصلاح ولم يكن من الميسور أن يكون إصلاح الأزهر سهلاً لاعتبارات تقليدية تاريخية ولم يكن من الجائز أن يسلك في إصلاحه ما يسلك في تنظيم المدارس المدنية ، بل كان يجب أن يتناوله الاصلاح برفق وأن يكون باضافة القدر الضروري من المعارف وباصلاح طريقة التعليم وباختيار الكتب وبتوجيه هذه القوى الجبَّارة الى جوهر العلم وأسرار الدين وأسرار العربية

وهذا الذي أشرت اليه هو الذي لاحظهُ واضعو قانون سنة ١٨٩٦ فضمنوه من وجوه الاصلاح ما رأوه كفيلاً بأنهاض الازهر وكان من حسن الحظ إذ ذاك أن الذي قام على تنفيذ هذا القانون مجلس إدارة يضم طائفة من العلماء صلحت نيتهم وتوافرت لديهم وسائل التنفيذ وهم المشايخ حسونه النواوي. محمد عبده. سليم البشري. عبد الكريم سلمان. سليمان العبد. أسبغ الله عليهم واسع رحمته ورضوانه

أضاف هذا القانون مواد جديدة هي الأخلاق ومصطلح الحديث والحساب والجبر والعروض والقافية وجعل التاريخ الاسلامي والانشاء ومتن اللغة ومبادىء الهندسة وتقويم البلدان مواد يفضل بعضها غيره ويقدم عليه ، ومنع التقيد بكتب دون أخرى وحرَّم قراءة الحواشي في السنوات الاربع الأولى وحرَّم التقارير التي على الحواشي وجعل من اختصاص مجلس الادارة أن يعدل في مواد التعليم طبقاً لما يراه من المصلحة

سار الأزهر على هذا النظام عشر سنوات سيراً مقتداً مثمراً لم تطغ فيه المواد الجديدة على المواد القديمة لأنها أخذت بمقدار يناسب حال الأزهر ونشطت دراسة العلوم الدينية والعربية بما كان يعطى للطلاب من المكافآت التشويقية وبما كان ينشر فيهم من أفكار المرحوم الشيخ محمد عبده في دروسه ومجتمعاته وانفرط عقد النظام بخروج الشيخ عبده من مجلس الادارة ثم بوفاته سنة ١٩٠٥ رضي الله عنهُ

٤ — حدث بعد ذلك أحداث وفتن وعولت الحكومة على إنشاء مدرسة للقضاء فصدر بها قانون في سنة ١٩٠٧ وشعر الأزهريون بأن الحكومة أصبحت في غنى عنهم لأن لها مدرسة لتخريج معلمي العربية في مدارسها ومعاهدها ومدرسة لتخريج القضاة وخاف القانون على الأزهر من تقليل شأنه ومن عدم إقبال الناس عليه حيث لم يبق بعد ذلك للعلماء إلا وظائف الإمامة والخطابة في المساجد ولم يبق طلاب العلوم الدينية على عهدهم الاول يطلبون العلم للعلم وابتغاء رضوان الله بل حدثت فيهم رغبات التمتع بالحياة الدنيا وأصبحوا لا يقنعون بالرزق القليل الذي كان يجري عليهم من ريع الاوقاف المحبسة ففكروا وفكر الناس معهم في إعادة تنظيم الازهر على مثال مدرسة القضاء ومدرسة دار العلوم بل على مثال يوجد للدراسة مواد أكثر ومناهج أطول وانتهى الاصلاح بهم الى وضع القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ وكثر الاقبال على الازهر ووجدت معاهد أخرى في عواصم المديريات وبعض المحافظات جرت على نهجه وسرت عليها نظمه حتى صار عدد الطلاب في سنة ١٩١٧ أكثر من عشرين ألفاً

٥ — كثر عدد الطلاب وكثرت المعاهد وتنافست في نتائج الامتحان وكل معهد يحاول ان يسبق غيره من المعاهد لا في اتقان الدراسة ولكن في إعداد الناجحين ولم يكن من الميسور أن يكون كل المعلمين لهذه الاعداد الكثيرة وعلى هذه النظم الجديدة من الكفاية بحيث تكون النتائج مرضية واضطر الطلاب ليفوزوا بالنجاح في الامتحان التحريري الى ان يعتمدوا على الحفظ والاستظهار واستباحت المعاهد بالامتحان الشفوي فتغيرت المعالم في الازهر وفقد الطلاب أهم مميزاتهم وخصائصهم التي أسلفناها صدر البحث

٦ — ونحن إذ نحاول اصلاح الازهر نريد ان نوجد طالباً يفهم مسائل العلوم فهماً صحيحاً ويفهم أغراضها وصلتها بأدلتها وصلتها بعضها ببعض ويستطيع التطبيق على الجزئيات ويستطيع الاستنباط والتدليل ويستطيع فهم الكتب القديمة التي ألفت في العصور المختلفة في جميع الفنون الاسلامية

واني على بغضي لاكثر الكتب التي ألفت في العصور المتأخرة أكره من الطلاب أن ينجزوا عن فهمها لان فيها خيراً كثيراً ودقائق لا يصح الجهل بها لذلك أحب ان يستطيع الطلاب فهمها ويقدروا على حلها ثم اني لا أحب أن تدرس العلوم على هذه الكتب بل أحب ان توجد كتب في جميع الفنون حديثة على أسلوب عربي صحيح مناسب لأذواق الاجيال الحاضرة تهذب فيها المسائل على أحسن ما وصل اليه التحقيق العلمي ، وأن تحيا الكتب القديمة الجيدة في الاسلوب والوضع فهذا الميراث العظيم يجب ان يؤخذ كله سلسلة متصلة الحلقات

هذا الذي نحاوله بالتحديد يجب على ما نرى أن يضعه الناس أمامهم وأن يجدّوا للوصول اليه وهو غاية يبذل في جانبها كل جهد ويرخص في سبيلها كل ما يبذل للوصول اليها

٧ — ولقد كان أسلافنا أشد الناس عناية بالعلم فلم يمض الزمن القليل حتى أخذوا علم اليونان وأدب الفرس وحكمة الهند واستعانوا بذلك كله في تفسير القرآن وفي وضع علم الكلام على الأسس التي رآها في مثل المواقف والمقاصد واستعانوا به في تنظيم مسائل العلوم حتى لم يخل علم من أثر للفلسفة والمنطق ولقد كانت لهم محاولات جديرة بالاعجاب في التوفيق بين الدين ونظريات الفلسفة وقد أخذ العلم يسير في هذا العصر سيرة جديدة وتغيرت نظريات الفلسفة ووجدت نظريات أخرى وكان من شأن ذلك كله أن توجه حملة على الأديان عامة وعلى الاسلام خاصة وصار من الواجب المحتم على علماء المسلمين أن يحيطوا علماً بكل ما يوجه الى الأديان عامة والى الاسلام خاصة من مطاعن وأن يردوا تلك المطاعن ويذودوا عن عقيدتهم بأدلة ناصعة وأسلوب ممتع مقنع ليثبتوا المتعلمين تعليماً مدنيًّا في حظيرة الاسلام وليضموا اليه أفراداً وشعوباً من الأمم التي لها قدم راسخ في العلم وهذا لا يتم لهم على ما ينبغي الا بالاتصال بهم اتصالاً علميًّا وتعرف اللغات الحية التي يكثر فيها الانتاج العلمي والتي يتناول بها العلماء مسائل الاسلام ومسائل اللغة العربية لذلك وجب أن يكون لأهل الأزهر نصيب من هذه اللغات وأن تدرس تلك اللغات لأهله ، وهناك فائدة أخرى لتعلم اللغات وهي أنها تساعد على معرفة طريقة وضع الكتب وعلى معرفة الأسلوب الحديث في التأليف والتفكير وطريقة عرض المسائل على أنظار المتعلمين

٨ — قلت في الفقرة (٢) أن صدور القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ أكثر من نفعه والآن نقول انه لم يخل من الفائدة لأن تعلم التاريخ والجغرافيا والرياضة ومبادىء الطبيعة والكيمياء قرّب تلاميذ الأزهر من تلاميذ المعاهد الأخرى وغير عقليتهم ووسع أفقهم وجعلهم يعترفون الى غيرهم بفضل غير الفطرة الأولى أيام كان الأزهري لا يرى أحداً أهلاً للعلم غيره ، لا يرى أحداً يصح أن يتفوق عليه لقب عالم غيره ، وأدخال المطالعة والمحفوظات والانشاء أوجد من أهل الأزهر عدداً كبيراً من الكتاب والشعراء ومكن لهم من القدرة على الخطابة والوعظ ، ومران أثر في العالم في المجتمع المصري وفي الصحافة وفي الكتب المؤلفة حديثاً وكثرة المطبوعات القديمة نتيجة له أحسن الأثر فيما رآه من أثر لصلاحهم لكن مما لا شبهة فيه أن الدراسة لها الفضل الأكبر

٩ — ولا ندعي أن اصلاح القانون وتنفيذ هذا المشروع يحقق الأغراض التي نرمي اليها ويوجد الطالب الأزهري الذي ننشده بل أن الذي يحقق هذه الأغراض الرغبة الصادقة في التعلم والرغبة القوية على احتمال الجهد والصبر لقطع مراحل التعلم في هدوء وطمأنينة والايمان بأن العلم عزيز يقتنى وحلية للنفس ومتعة للعقل وجمال لمن يتصف به والحرص على الافادة والتعليم والايمان بأن ذلك فرض لازم واجب لله ولرسوله وللمؤمنين والشعور بلذة الاعلاق من العلم وأن الاعلاق منه تريد في الثروة ويشبع نهم النفس التواقة الى الغنى وأن هذه الثروة خير مما هو مخزون في خزائن الأغنياء

التعليم الجامعي

للدكتور طه حسين

اخص ما ينبغي من ألوان التطور التي مست التعليم منذ أعلن الاستقلال السياسي لون واحد هو مضي التعليم في السبيل الجامعية . وأريد بهذه السبيل شيئين : احدهما يتصل بالتعليم نفسه والآخر يتصل بالعلم

وظاهر جداً ان انشاء الجامعة قد احدث في حياتنا التعليمية حدثاً عظيماً ظهرت بوادر آثاره ولكنها ستظهر قوية واضحة بعد زمن ما . وهذا الحدث هو فرض حرية الرأي على المثقفين المصريين . فقد ادخلت مناهج البحث الحر عن حقائق العلم والادب لاول مرة في التاريخ المصري الحديث وانتجت هذه المناهج ما لم يكن بد من انتاجه من الاضطراب ، فتعرضت الجامعة لكثير من المقاومة الشعبية والحكومية ، ولكنها انتهت آخر الامر الى شيء من الفوز ان لم يكن واضحاً كل الوضوح فهو محقق وسيزداد مع الزمن

***

وليس من شك في ان الرأي العام المصري قد اقتنع الآن بان الرأي العلمي والادبي يجب ان يستمتع بحظ عظيم جداً من الحرية والذين يقاومون هذه الحرية الى الآن انما يقاومونها على استحياء وفي شيء من الحيطة والتحفظ . فمن الممكن الآن ان يقال ان المناهج الجامعية قد فازت بالاستئثار بالعقل المصري ولا بد من الانتظار لنرى نتائج هذا الفوز . فلم تكن المرحلة الاولى من حياة الجامعة الا مرحلة صراع ودفاع قد انتصرت فيها من غير شك

اما من جهة المعلم ، فليس اثر الجامعة أقل خطراً . فقد أنشئت مدرسة المعلمين ، وقامت

الجامعة مقامها في اعداد المعلم وتثقيفه الثقافة العلمية والادبية ومعنى هذا ان التعليم الحر المطلق القائم على البحث الدقيق قد قام مقام التعليم المقيد الجامد المحصور بين دفتي البرنامج الخاضع للتفتيش ، وسلطان المفتشين وقد لا تظهر آثار هذا التطور الآن لان الذين اخرجتهم الجامعة لم يصلوا بعد الى مناصب التعليم ولا ينتظر ان يصلوا اليها على زمن يقصر او يطول

ولكن هذه الآثار ستظهر جلية من غير شك يوم يتاح للجامعيين ان ينهضوا بمهمة التعليم في المدارس الثانوية وستكون هذه الآثار خيراً كلها وسيكون اظهرها ان المعلم الحر سينشىء تلميذاً حراً ، وان العقل المطلق سيهيء عقولاً طلقة

وواضح ان الفكرة الجامعية تلقى من هذه الناحية مقاومة كالتي تلقاها من الناحية الاخرى ولكن هذه المقاومة التي يلقى بها الجامعيون مقاومة ماكرة خبيثة يدبرها اصحابها فيحسنون التدبير دفاعاً عن انفسهم ليست لها ما كان للمقاومة الاولى من الصراحة والتصوير لطبيعة الاشياء

فالجامعيون الآن يُصدُّون عن التعليم لا لان التعليم ليس في حاجة اليهم بل لأنهم جامعيون يشفق منهم ممثلو النظام القديم على انفسهم ومكاناتهم وهذا الشقاء المؤقت الذي يحتمله الجامعيون هو مظهر واضح لقوتهم الحقيقية ، واي قوة اقوى من ان تكون مخوفاً تتقى ، ويدبر لك الكيد

وهناك مقاومة اخرى شديدة الخطر على الجامعيين ، وهي تأتي من خضوع معهد التربية للنظام البيروقراطي الشيق في وزارة المعارف ، فقد انشىء هذا المعهد بعد الغاء مدرسة المعلمين ليكون ملائماً للحياة الجامعية الجديدة ولكن الخطأ الاول كان في اتباع هذا المعهد لوزارة المعارف لا للجامعة . ذلك ان القديم لا ينشىء جديداً ، وان القيود لا تنشىء حرية ، فلم يكن بد من ان يتأثر معهد التربية في نظمه وتعليمه بكل ما في وزارة المعارف من عيب

ومن حيث إن الجامعيين يقضون في هذا المعهد سنتين ، فهم معرضون فيه لبعض الشيء ولكن طبيعتهم الجامعية إلى الآن قد خرجت من هذه المحنة ظافرة ، محتفظة بجامعيتها

وانا واثق بأن التطور الذي ضم الهندسة والزراعة والتجارة إلى الجامعة سينتهي حتماً بضم معهد التربية ايضاً الى الجامعة ويومئذ يتم النصر للفكرة الجامعية في التعليم ، وفي اعداد المعلمين والزمن وحده كفيل — ولكنهُ كفيل بالتحقيق لا بالمطل — ان يمكن الجامعيين ليسيطروا على التعليم الثانوي . ويومئذ تستطيع مصر ان تنتظر من التعليم الجديد الخير كل الخير

البحث العلمي

في مصر

للدكتور علي مصطفى مشرفة

استاذ الرياضة التطبيقية بكلية العلوم

ليس البحث العلمي غريباً عن ديارنا فمصر مهده الذي نشأ فيه وترعرع وهي بيئته التي آوته في عصور متعددة. واليوم يعود العلم إلينا بعد غيبة طويلة فما أخلقنا بأن نعنى بأمره ونرعاه. وما أجدره بأن يستقر بيننا ويطيب له المقام. في مصر اليوم نفر غير قليل من المشتغلين بالعلوم يلذ لهم البحث والاستقصاء ومنهم من يوفق إلى الكشف عما خفي من المسائل العلمية والاضافة الى المعرفة البشرية كما يفعل اقرانهم من علماء الامم المتحضرة. الا أني لا أخفي عن القارىء أني غير مرتاح الى حال هؤلاء العلماء والقادة المفكرين غير مطمئن على مصير الجهود التي يبذلونها. ذلك ان هذه الجهود قد أتت في الواقع وفي الاصل نتيجةً لبعض ظروف استثنائية في تاريخنا المعاصر كان من شأنها أن حملت بعض الافراد على مغالبة النظم الموضوعة والتغلب عليها. ولكي يفهم القارىء كيفية ذلك سأرجع به الى قبيل الحرب العظمى منذ نحو خمس وعشرين سنة. في ذلك الوقت كانت وزارة المعارف ترسل بعوثها الى خارج القطر وتحرّم على اعضاء هذه البعوث أن ينتظموا في الجامعات أو ان يدرسوا لنيل الدرجات الجامعية. ثم حدث أن ثارت نفس أحد هؤلاء الطلاب على هذا الحرمان فعارض مشيئة الوزارة وخرج على طاعتها ودخل الامتحان الجامعي ونال الدرجة فعاد الى مصر واضطهد ايما اضطهاد الا أن خطوته الجريئة كانت خطوة لا مرجع فيها فاضطرت وزارة المعارف اضطراراً الى ان تسمح لسائر اعضاء البعثات بالحصول على الدرجة الجامعية التي حصل هو عليها ولكنها أصرت وتشبثت بأن لا يتعدى أحد هذه الدرجة مهما تكن مقدرته ومهما يكن استعداده ثم حدث أن ثار عضو آخر من اعضاء البعثات على هذا التقييد

حدثته نفسه أن يتعدى مرحلة الدرس والامتحان الى مرحلة البحث والابتكار فيتيح له النجاح على الرغم من الوزارة وعلى الرغم من تعنتها . ومع هذا في ذلك نفر قليل ممن طمحت نفوسهم الى ان يكونوا علماء باحثين . هؤلاء النفر القليل ومن على شاكلتهم هم القائمون بالبحث العلمي في مصر اليوم وهم الذين قلت عنهم إن ظروفاً استثنائية حملتهم على مغالبة النظم الموضوعة والتغلب عليها . فالمسألة كما يرى القارىء لم تخرج عن حد بعض مغامرات ناجحة ، وبعض جهود فردية صادف ان لاقت نجاحاً . صحيح انهُ بانشاء الجامعة المصرية قد وجدت بيئة صالحة بعض الشيء لنمو هذه المجهودات وتقدمها الاّ اننا نكون خادعين لانفسنا اذا تصورنا ان النظم والوسائل الحالية كفيلة بازدهار البحث العلمي في مصر او بتقويته . بل اني كثيراً ما اشعر بأن ما حدث ربما كان مجرد حركة وقتية مآلها الزوال السريع في جيل او جيلين . وتاريخنا الحديث مفعم بمثل هذه النهضات القصيرة الآجال كبارقة الامل لا تلبث ان تزول بل ان مثل هذه النهضة الزائلة هي بالضبط ما حدث اثر البعوث العلمية التي بعثها ساكن الجنان محمد علي باشا إلى اوربا منذ اربعة أجيال

ذلك انهُ لكي تنمو هذه المجهودات وتزدهر يجب ان توضع لها النظم الكفيلة بحسن رعايتها وان تتكوَّن لها اسس ثابتة تقوم عليها . فالبحث العلمي ككل مجهود آخر في المجتمع الحديث لا يمكن ان يترك امره للصدفة او للجهود الفردية المتقطعة . والى القارىء بعض الوسائل التي لا مفر من اتخاذها اذا شئنا أن نقوم بقسطنا من البحث العلمي بين الامم المتحضرة . —

(اولاً) انشاء مجمع لتقدم العلوم يضم الباحثين والمبتكرين في مختلف العلوم

(ثانياً) انشاء مجلس اعلى للبحوث العلمية تكون مهمته تشجيع البحث العلمي ورصد الاموال عليه وربط فروعه المتعددة وتوجيه البحوث التطبيقية والفنية للمصلحة القومية وللمصلحة العامة

(ثالثاً) العمل على ايجاد صلات علمية بين مصر والبلاد الاخرى عن طريق الهيئات الدولية القائمة وانشاء لجنة دائمة لهذا الغرض

هذه امور ثلاثة اساسها تقدير البحث العلمي والعلماء الباحثين تقديراً صحيحاً فاما وجد هذا التقدير وتمه التنظيم الذي أشرت اليه صارت شجرة البحث العلمي شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء او بقي الحال على ما هو عليه الآن وإذن فقد اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار

المدارس في ربع قرن

من سنة ١٨٧٥ — ١٩٠٠

لأمين سامي باشا

طرحنا على صاحب السعادة أمين سامي باشا سؤالنا عن تطور التعليم في مصر ، واخترنا أن ننشر هذا البحث والاحصاء المرفق به لسعادته عن التعليم في مدة ربع القرن السابق على القرن العشرين أي من سنة ١٨٧٥ الى سنة ١٩٠٠ . ولاشك ان أمين سامي باشا يعد من أئمة الباحثين في هذه الموضوعات بل يعد مؤلفه « التعليم في مصر » والبحوث الشتى التي اجراها في هذا الموضوع المرجع الاول في شؤون التعليم حتى سني الحرب الماضية

في عهد الخديوي توفيق

في ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ تولى الخديوي توفيق أمر البلاد ، وفي ٢١ سبتمبر من هذه السنة عين المرحوم رياض باشا رئيساً لمجلس الوزراء وبقي المرحوم علي باشا ابرهيم ناظراً للمعارف

وفي شهر مايو سنة ١٨٨٠ قدم تقريراً لرآسة مجلس النظار طالب فيه باصلاح التعليم لاسباب منها « ان المصالح الاميرية التي لم يمكنها ان تحصل على توظيف اشخاص بلغوا درجة اكمال التعليم تضطر ان توظف في اكثر الاحوال بعض تلامذة في خدمات ليسوا اهلاً لها ، ولا وصلوا الى درجة الاستعداد اللازم . ولا يمكن ان يجبر هذا الخلل إلا باتساع دائرة التعليم الابتدائي والمتوسط واعطاء الشهادات الدراسية التي لم يصرح للمدارس باعطائها للتلاميذ الى وقتنا هذا »

وقد أقر مجلس النظار مذكرة ناظر المعارف ، وما اشتملت عليه من مقترحات ورفع خطاباً للخديوي يلتمس فيه تشكيل قومسيون (لجنة) للنظر في رسم الخطة المثلى للتعليم وتألف القومسيون فعلاً في نهاية ذلك العام واعد تقريراً صدره بالرأي الآتي :

« بعد ان فحص احصاء التعليم السابق درجه عن سنة ١٨٧٥ بمشروعنا هذا وقارنه بسكان القطر الوطنيين ومنها البالغ عددهم ٥٠٥١٠٢٧٨٧ نفساً قال ان هذا يدل على نقص كلي في التعليم الابتدائي الحالي ذي الدرجة المنحطة ، والتعليم بالكتاتيب فانه ناقص من جهة ، ولا قيمة

له من جهة اخرى» وتتلخص اقتراحاته في زيادة عدد المدارس واعداد المدرسين وفي ٢٨ مارس سنة ١٨٨١ صدر الامر العالي بتشكيل المجلس العالي للتعليم، واختص بالاشراف على جميع مسائل التعليم

وفي ختام سنة ١٨٨٥ قدمت نظارة المعارف لاول مرة تقريراً للخديوي ضمنته تفاصيل الاصلاحات التي اجريت في تلك النظارة خلال تلك السنة

واهم تلك الاصلاحات انها وضعت بروجرامات التعليم الابتدائي والثانوي وأرسلت للمدارس الابتدائية والثانوية لتسير على مقتضاها على سبيل التجربة وطلبت من مدرسيها ابداء ملحوظاتهم عليها، وراعت في وضع تلك البروجرامات ما حصل من التقدم في امور التعليم في اوربا في هذه الايام

واضافت لانه لم يتيسر لها ادخال التعديلات في بروجرامات التعليم العالي لان كل مدرسة من مدارسه انشئت لغرض مخصوص . . . . . عندئذ وضعت بروجرامات تلك المدارس ونظاماتها تحت البحث والنظر وستعرض عند اتمامها على اولي خبرة يفحصونها فحصاً دقيقاً لتقيل هذا التعليم من عثراته وتمنعه من وهدته، وتضعه في الحالة المرغوب فيها حتى تنتج هذه المدارس كل الفوائد التي يتيسر لها انتاجها مع مراعاة الاحوال الخصوصية لهذه البلاد

وقد تم في السنة التالية لهذا الاصلاح انشاء قومسيون جديد بالاتفاق مع نظارة الاشغال سن قانوناً وبروجراماً لمدرسة المهندسخانة وفي ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٦ صدر قرار لنظارة المعارف بناء على ما قرره مجلس النظار بالتصديق على قانون لمدرسة الحقوق تقضي المادة التاسعة عشرة منه «باعطاء دبلومات رسمية من الحكومة المصرية للمستحقين لها وان تنشر اسماء الناجحين في الجريدة الرسمية » وهو اول قانون نص باعطاء دبلومات للناجحين بتلك المدرسة

وقد ورد بتقرير امتحان تلامذة مدرسة الحقوق سنة ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٦ المكتبية الفقرة الآتية «وعلى ذلك فلا يطول بنا الزمن حتى نرى من تلامذة هذه المدرسة من يعادل اعظم تلامذة مدارس اوربا»

وفي ٢٤ ابريل سنة ١٨٨٦ صودق على بروجرام مدرسة المعلمين التي سميت فيما بعد بمدرسة المعلمين التوفيقية وفيها رتبت لاول مرة درجات موظفي نظارة المعارف ومدرسيها وجعل اول مبدأ لاقل درجة للمدرسين ٤ جنيهات في الشهر وأعلى درجة ٢٥ جنيهاً واقل درجة للضباط ٤½ جنيهات وأعلى درجة ٨½ جنيهات في الشهر ، واقل درجة للنظار ٨ جنيهات في الشهر وأعلى درجة ٥٢ جنيهاً في الشهر وفي ٨ فبراير سنة ١٨٨٧ بناء على ما قرره مجلس النظار صدر قرار باعتماد قانون مدرسة الفنون والصنائع . وفي هذه السنة ضمنها نظمت الدراسة الثانوية وتقرر اعطاء شهادة لها وكان من نتيجة هذا التنظيم ان قلت المدارس الاجنبية وغيرها بالتدريج اتباع خطة التعليم الثانوي بمدارس الحكومة او خطة تقرب من خطتها

وكانت الشهادة الثانوية حتى سنة ١٩٠٦ عامة ثم قسمت المواد الى قسمين ، ادبي وعلمي

وفيما يلي بيان عدد الحاصلين على الشهادة منذ وجدت حتى الحرب العالمية ومنهُ يتضح مدى التطور الذي لحق بهذا النوع من التعليم

السنة	الشهادة العامة
١٨٨٧	٤٢
١٨٨٨	٥٥
١٨٨٩	٥٩
١٨٩٠	١١٥
١٨٩١	٢٨
١٨٩٢	٣٦
١٨٩٣	٤٢
١٨٩٤	٣٢
١٨٩٥	٥٤
١٨٩٦	٤٧
١٨٩٧	٦٧
١٨٩٨	٩٨
١٨٩٩	٧٥
١٩٠٠	٦٨
١٩٠١	٨٢
١٩٠٢	١٣١
١٩٠٣	١٧٥
١٩٠٤	١٣٦
١٩٠٥	٧٧

السنة	شهادة القسم الادبي	شهادة القسم العلمي
١٩٠٦	٢٥٧	١٠٩
١٩٠٧	١٦٦	٥٤
١٩٠٨	١٢٨	١٠٥
١٩٠٩	٢٢٨	١٠١
١٩١٠	٢٧١	١٤٨
١٩١١	٢٦٣	١٨٢
١٩١٢	١٩٥	١٧١
١٩١٣	٣٠٧	٣٠٥
١٩١٤	٢٤٠	٣٠٧

وزاد الاهتمام بمدرسة دار العلوم ، واعدت في سنة ١٨٨٨ لتخريج طلاب يصلحون لوظائف القضاء والافتاء والنيابة بالمحاكم الشرعية وألحق بهذه المدرسة قسم لتخريج مدرسين أعظم كفاءة واقدر مدة من مؤدبي المكاتب الصغيرة ومن هذه السنة — اي سنة ١٨٨٨ — تقرر تدريس التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية بلغات اجنبية «لتعويد التلاميذ في هذه اللغات» . وانشئت فيها مدرسة العميان والخرس . وفي سنتي ١٨٨٩ و ١٨٩٠ انشئت مدارس ابتدائية جديدة ومدرسة صناعية بالمنصورة كما فتحت اول مدرسة زراعية وهي خصوصية بها قسمان داخلي وخارجي ، واعطي لها ٣٠٠ فدان من اراضي الجيزة لتدريب التلاميذ فيها على الاعمال الزراعية . وكذلك حول قلم الترجمة الى مدرسة معلمين على منهج مدرسة المعلمين التوفيقية لتخريج مدرسين يعلمون اللغة الانكليزية

وفي ١٥ مارس سنة ١٨٩ قدم المرحوم علي باشا مبارك مذكرة لتنظيم الكتاتيب بطريقة الآتية
أولاً — وجود مكتب ابتدائي من الدرجة الثالثة في البلد الذي لا يزيد سكانهُ عن ١٠٠٠

نفس ومكتب من الدرجة الثانية في البلد الذي سكانه يزيدون عن ١٠٠٠ نفس إلى ٥٠٠٠ نفس ومكتب من الدرجة الأولى في البلد الذي سكانه فوق ذلك

ثانياً — إنشاء ٥٠٠ مكتب في مدة عشر سنوات تصل نفقتها بعد إتمامها إلى ١٥٠٠٠ جنيه سنوياً

ثالثاً — إشراف مجالس المديريات على هذه الكتاتيب وإعانة الحكومة لها لصرف رواتب المعلمين وقد تمت الموافقة على هذه المقترحات ونص على عدم جواز افتتاح مكاتب التعليم إلا بترخيص يصدر من وزارة المعارف . وفي سنة ١٨٨١ ألغي مجلس التعليم العالي تأليف لجنة علمية استشارية في نظارة المعارف . وفي هذه السنة صدرت لائحة شهادة الدراسة الابتدائية

في عهد الخديوي عباس الثاني

صعد الخديوي عباس باشا حلمي الثاني على أريكة الملك في ٨ يناير ١٨٩٢ وقد كثرت زياراته للمدارس وعنايته بإيجاد البعوث العلمية وأمر بإعادة تشكيل مجلس المعارف الأعلى في ٩ مارس ١٨٩٦

ونصه في تقرير اللورد كرومر الصادر في سنة ١٨٩٦ عن حوادث سنة ١٨٩٥ ما ترجمته

« وفي أثناء العام الماضي حصل إصلاح مهم في قسم المعلمين المعروف بدار العلوم الذي غايته أن يرشح طالبيه لأن يكونوا معلمين بلغة هي لغة أمهم ولسان قومهم . وكان ذلك الاصلاح من وجهتيه الادارية والدراسية . فقد جعلت مع أكبر المدارس الابتدائية بالقاهرة وأكثرها نجاحاً (الناصرية) وحدة إدارية فأحيلت نظارتها على من هو أقدر النظار الوطنيين التابعين لنظارة المعارف حظاً من المهارة والمقدرة » . وأنشئت في سنة ١٨٩٦ مدرسة الشرطة (البوليس) والادارة

وفي سنة ١٨٩٧ أدخلت في منهج التعليم الابتدائي دراسة الديانة والتهذيب والتربية

وفي هذه السنة وكلت الحكومة إلى ناظر مدرسة الناصرية (أمين باشا سامي) بعمل إحصاء رسمي دقيق للكتاتيب فكانت النتيجة ما يأتي

عدد الكتاتيب	عدد المعلمين	عدد التلاميذ
٩٦٤٧	١٤٥٨٣	١٨٠٠٤٧

وكانت النسبة المئوية للمتعلمين بالكتاتيب المذكورة بموجب هذا الاحصاء من بالغي سن التعليم ما يأتي

	ذكور	اناث
المحافظات	٢٥ ٪	٣ ٪
الوجه البحري	٣٧ ٪	٥٧ ر٠ ٪
الوجه القبلي	٢١ ٪	٣٢ ر٠ ٪

ومما يستحق الذكر هنا أن المستر دنجلس دنلوب عين مفتشاً بنظارة المعارف وتم ذلك بعينه سكرتيراً عمومياً للادارة في ٨ مارس سنة ١٨٩٧ وفي سنة ١٩٠٠ أنشئ قسم المعلمات بالمدرسة السنية

ذكرى يعقوب صروف احياء
لاخير مقدم بأسمى الذكريات

العلم والاجتماع

رسالة المقتطف وأثرها

لاسماعيل مظهر

أوقف الدكتور يعقوب صروف حياته على خدمة العلم ، متخذاً من المقتطف ، الذي تكمل بهذا العدد سنيه الستين ، ميداناً لجولاته الواسعة ونظراته الثاقبة وجهوده المتواصلة . ولعمرك يدل على انه اوقف حياته على العلم ذلك الصبر الطويل والايمان الثابت بما سوف يكون للعلم من شأن في الشرق العربي ، في زمان كان كل ما حوله ظلام دامس ، وجهل مقيم ، وغفلة ضاربة بجرانها على كل نواحي الشرق ، فعمد الى ارسل من المقتطف اول شعاع من اشعة النور اخترق تلك الظلمات ، وكان ذلك منذ ستين سنة خلون ، حتى فارق هذه الحياة ، وهو مؤمن بقداسة الرسالة التي يؤديها لاهل جيله وللاجيال المقبلة ، إيمانه بها منذ ان بدأ العمل لها

ويكفي ان تلقي نظرة على الحالات التي قامت في الشرق في اواخر القرن التاسع عشر ، لترى ان الدولة العثمانية ، رجل اوربا المريض ، كانت على فراش الموت تنزع الروح نزعاً اليماً طويلاً ، ودولات اوربا من حولها كأنهن نسور ينهشن جثة هامدة ، فتقتطع منها الهبرة بعد الهبرة ، وتقتسم منها الجزيرة بعد الجزيرة ، والعالم العربي في سبات لاه عن كل ما هو قائم من حوله من شؤون الدنيا ، والجاسوسية تنخر في عظامه ، وسوء الحكم يحلل من اوصاله ، ويضرب في اصوله ، ضرب جبار قوي الاصلاب

قال كاتب تركي : « لقد عوّدنا ان نظن بأننا عبيد الملك ، ظل الله من فوق الارض ، وانا له ملك ومتاع . وهذا يقضي ضرورة الاعتقاد بأنه ليس عندنا من شيء يمكن ان يقاوم خليفة الله المتربع من فوق عرش الارض ، وانه لن يكون نظام اجتماعي أثبت اصولاً من نظامنا ، ولا حياة دنيوية أسعد ولا أمتع من حياتنا . بينما كانت الحقائق الملموسة توحي الينا كل حين بأن في انحاء مملكتنا فقراً وجوعاً ، وان جزءاً بعد جزء من اطراف مملكتنا يؤخذ عنوة ورغماً منا ، سلباً واغتصاباً . وكانت لنا حكومة هي أسفل من احط الحكومات الاوربية ، مترديه في حمأة الرشوة ، مفككة الاوصال ، مضطربة الاحوال ، بعيدة عن حكم الشرائع والآداب »

في ظل هذه الحكومة نشأ يعقوب صرّوف فآمن بالعلم في بيئة كفرت به، وآمن بالانسانية في محيط انكرها، وآمن بالعقل في ظل نظام لم يقم الا على الشهوات، بل على أخس الشهوات. وكان من الطبيعي ان لا يجتمع الايمان بشيء والكفر به في وسط واحد، فاعتزلهم وهبط مصر، فحمته بحرياتها واوسعت المجال لكفاياته العليا، فافرغ في سبيلها كل ما أودعته الطبيعة من قوة الروح وسلامة العقل وقويم الخلق، وخلف لها من بعده تراثاً تتوارثه الاجيال ثم الاجيال

وفي ذلك الوقت قصر العلم في انحاء المملكة العثمانية على ما كان يلقى بين جدران المساجد والتكايا من ضروب البدع التي دخلت الدين الاسلامي الحنيف، وعكف الفقهاء وطلاب العلم على درس فروع من الفقه الاسلامي ما نزل بها كتاب ولا جرت بها سنة ولا سلم بها عقل. كان يدور الحوار بين الفقهاء مثلاً في ان هرة ولدت عجلاً يتكلم ويحفظ القرآن، أيجوز أن يصلي بالناس جماعة يوم العيد؟ وهل يصح ذبحه وأكل لحمه بعد ان يؤدي بهم هذا الفرض إماماً؟

وفي جو هذه الظلمات التي تساقطت على العالم الشرقي كسفاً شديدة السواد، اخذ المقتطف يبشر للناس بمذهب النشوء والارتقاء، ويأخذ بقسط من الملحمة القائمة من حول نظرية النشوء ونظرية الخلق المستقل، وينقل آراء داروين وهكسلي ويناقش في آراء سنت جورج ميفارت معارضهما العنيد وخصمهما العنود، وينتصر لنظرية النشوء والقول بان الانسان منحدر من صورة من الشريات احط من صورته التي نلامسه الآن، والناس يرمونه بالكفر ويقولون بأن المقتطف انما يدعو الى القول بان الانسان اصله قرد، على الضد مما تقضي به حقائق العلم ونظريات التطور نفسها، ويشتد الهياج بين الكتاب ويشمر السيد جمال الدين الافغاني عن ساعده ويمضي مبشراً بمذاهب فرقة في العلم الطبيعي ويناقش في اشياء لا علم له بحقائقها ولا اتصال لثقافته بها، ثم ينجلي الغبار الذي يثيره عن ان رأس البرغوث اذا نظر من خلال مجهر ظهر كأنه رأس فيل، فهل يدل ذلك على ان الفيل اصله برغوث تضخم وانتفخ، ثم تدرج في التضخم والانتفاخ حتى صار فيلاً!!

بمثل هذه الثقافة، وبهذا القدر من الاستنارة، كانت تلاقي حقائق العلوم الحديثة التي يبشر بها المقتطف لاهل الجيل الماضي. وما كان الذين يمثلون هذا الجيل في مناقشات تدور حول نظريات حديثة، قبلها الكثيرون من اهل اوربا بسخط شديد، ان يكونوا يوماً من الايام عوناً على تحرير الافكار أو محاربة البدع أو صرف الناس الى متجهات جديدة تنقلهم من العقلية القديمة التي ورثوها عن قرون الظلامية المدعة Obscuranusm بما فيها من نصوصية مريضة أو كلامية تقوم على الفروض الذهنية، أو يعملوا يوماً على تقويم الخلق الانساني بما تقتضيه الانقلابات الفكرية والتصورية التي خلقها العلم الحديث؛ أو يدركوا ان لهذه العلوم اثراً في بحث حالات الاجتماع وتأثر الجماعات بمختلف ما في الطبيعة من مؤثرات

وكانت جماعات الشرق النائم في ذلك الحين ، قد انحلت روابطها الاجتماعية انحلالاً عظيماً ، ظهر أثره في خضوع هذه الامم لضروب الاستعباد الشديد والمظالم التي نزلت بها اقسى ما يروي التاريخ من كوارث ونكبات . واحاطت بها امم اوربا احاطة السوار بالمعصم ، تبث فيها دعايات مختلفات ، مكن لها ذلك الانحلال الاجتماعي ان تجد البيئة الصالحة لنمائه والتمكن من طبائع اهل الشرق ، حتى لقد زين لاهل الرأي منا ، ان تلك الزخارف التي وصلتنا من أوربا انما هي طريق الرقي والسداد ، وسبيل القوة والاستقلال ، في حين انها كانت المعامل الذي قطع ما بيننا وبين ماضينا وحل آخر عقدة كانت تربطنا بثقافاتنا القديمة واخلاقنا القومية ، بعد أن عملت فيها يد الجمود ما عملت ، وبعد ان غشيها من عنت الحكومات ما غشيها

وقد يتبادر الى البعض ان مظاهر الرقي الذي يبدو في افق كثير من امم الشرق في هذا العصر انما ترجع الى الدعايات السياسية او الى الصيحات التي قام بها بعض اصحاب الوطنية الملتهبة على ما لهم فيها من فضل ، وما خلفوا فيها من أثر . ذلك بأن الدعايات السياسية في الامم المستضعفة لن تجد لها سبيلاً الى القلوب أو العقول ما لم يقم في الانفس والاذهان حالة تحفز الجماعات الى العمل لاسترداد ما فقدت والاستمتاع بما يستمتع به غيرها من الناس ، فان حياة الامم وقياسها من حيث الرقي أو الفساد ، انما يكون دائماً بقدر تصوراتها . واذن تكون مظاهر الحياة اشباحاً معكوسة في الخارج من مجمل ما يقوم في الذهنية الجامعة من تصورات . وعلى قدر هذه التصورات يكون الحافز الذي يحفزها الى العمل . ولا شك في ان التصورات تقوم على العلم بما هي الحياة، وكيف يجب ان تكون ? وعلى قدر العلم بشيء تكون ناحية التصور الذي يقوم في الاذهان

ومن كان يظن ان تصوراتنا القديمة قامت على اشياء بعدت عن العلم الطبيعي وعن علاقة الاحياء بالبيئة التي ينشأون متأثرين بعواملها . ولقد ظل الشرق العربي قروناً طوالاً يقيم تصوراته على ما تضمنت الكتب القديمة من نظريات وفروض ، بعدت عن الطبيعة ، بعد الطبيعة عن ان تكون على قدر تلك العقول التي وضعت تلك الكتب . فظلت شعوب الشرق رابضة والدنيا من حولها تدور ، وانطوت في داخل تلك الصدفة التي أحكم غلافها تصورات الذين اقفلوا في وجه هذه الامم باب الاجتهاد ، فأوصدوا على العقول ابواباً ونوافذ ، اتخذوا من مشاعر الجماهير وتصورات الجماهير وسيلة لايصادها ، فنزلوا بالعلم والدين وبالاخلاق وبكل معنى وجل من معاني الحياة ، الى مستوى ما تسبح فيها احلام الجماهير واهل الجهل والغفلة من اصحاب النفوذ والامراء والملوك ، ابتغاء تحقيق مآرب دنيا ، واستجابة لنفسية مريضة سقيمة ، سوّدوها على كل فضيلة ، وضحوا لها بكل معاني البر والتقوى

ولقد تناصرت على شعوب الشرق كل القوى التي كان من الواجب ان تأخذ بيدها : ملوكها

وامراؤها وحكوماتها والمسيطرون على الثقافة فيها. لهذا نرى ان قوة الدفع الى الهاوية كانت اعظم من ان تستقوى عليها شعوب معطلة مستعبدة اسلمت بأمور دنياها الى المستبدين، وبأمور أخراها الى من لم يفكروا يوماً في ان يوحوا الى تلك الشعوب بأن لها ماضياً، وان لها من العلم والادب والقوة تراثاً، هو في الحياة سنادها وعاصمها الذي ليس لها من عاصم سواه. ولقد ظلت هذه الشعوب القرون تلو القرون مستنيمة لحكم المستبدين راضية بأن تنهب وتستغل، قانعة من الحياة بكسرات من الخبز ووشل من الماء. فأي حافز ذاك الذي حفزها الى النظر في الحياة هذه النظرة الجديدة، ووجهها هذا التوجيه الانساني، وجعلها تنظر الى الحياة نظر الموقن بأن لها فيها حقاً وان من حقها ان تفكر وان تكون حرة في تفكيرها وفي ان تختار من الحياة الوجه الذي ترضيها؟ اي عصا سحرية ضربت تلك الشعوب تلك الضربة التي بعثتها وبينها من سبات القرون المتطاولة؟ لا شك في انها عصا العلم. فان العلم حر مطلق من القيود، لا يؤمن الا بعد شك، فاذا آمن كان ايمانه راسخاً وطيداً. هذا خلق العلم. وهذا هو الخلق الذي يغرسه الايمان الثابت بكل ما يزيل من العقل منزلة الاحترام والتقديس.

ولقد كان من أثر ذلك ان شعوب الشرق قد نشطت الى العمل المجدي في سبيل تنظيم العلاقة التي تقوم بين الحكومة والمحكومين على اساس العقل والمصلحة العامة، وأخذت تقاوم النفوذ الفردي مقاومة ظلت في كل الحالات رهناً على الظروف. فظهرت حيناً في ثوب حركات اصلاحية، وحيناً آخر في صورة ثورات اتجهت نحو تحرير حقوق مدنية وسياسية حرمتها الشعوب ازماناً طويلة. ومن شأن العلم ان ينظم العقل وينظم الشهوات ويقوم المطامع. ذلك بأن العلم يقوم على حقيقة اساسية هي تنظيم الصلات القائمة بين الحقائق تنظيماً يحدد لكل حقيقة منها وضعها الخاص الذي تشغله في نظام الاشياء. وعلى الجملة اخذ المصلحون القائمون على هداية هذه الشعوب ينظمون من الشؤون الاجتماعية والسياسية على مقتضى ما يقوم في عقولهم من تصور العلم وتنظيمه العقل تنظيماً لا تضارب بين جوانبه ولا طغيان لناحية منه على اخرى. فظهر ذلك منعكساً في كل ما عملوا وسيظهر في المستقبل لابساً ثوباً جديداً من المرونة التي يمتاز بها الاسلوب العلمي، على قدر ما سوف يكون للايمان بالعلم وأساليبه من اثر في حياة الجماعات

على انا لا نقصد بذلك ان العلم اصبح المسيطر الاول على حالاتنا الاجتماعية، او ان كل المصلحين الذين قاموا في الشرق ومنهم اجتماعيون وسياسيون، قد تفهموا حقه العلم الصحيح، او ان الشعوب اخضعها قد ركز بينها بالعلم على قاعدة عامة رشيدة. وانما جل ما نقوله ان انتشار الاسلوب العلمي في التفكير والادب ونشر الحقائق الثابتة التي توحي بها طبيعة الاشياء، قد حوّل الفكرة في حق الشعوب من الحياة، وزاد الضغط على الحكومات المستبدة، فجعلها تشعر

بأن من الضروري ان تكيف موقفها ازاء المحكومين تكييفاً يتفق والاتجاه الجديد الذي اتجهت فيه العقول، وجرت فيه الميول والعواطف، ازاء الارتجاج الاجتماعي والثورات الفجائية

ولسوف تجد مؤرخ المستقبل، اذا اراد ان يقف على الاسباب التي هيأت الظروف لظهور هذه المتجهات الحديثة، انه امام مشاكل اجتماعية عميقة، لا بد له من الاكباب على درسها من طريق العلم على انه سوف يجد في علوم الاحياء، وعلاقتها بالمسائل الاجتماعية مرشده الامين الذي ينير له سبيل البحث في الحركات السياسية والاجتماعية التي قامت في خلال نصف قرن كامل، شاملا جزءاً من القرن التاسع عشر، وجزءاً من القرن العشرين. ولسوف يرى ان تبيين الكثير من مظاهر التطور الاجتماعي التي حدثت في مدى هذه الفترة، مستطاع من سبيل واحد، هو الاكباب على درس المبادىء التي قررها العلم في عملية الخلقات وفي علم النفس التحليلي والاجتماعي

على ان الشرق ان اراد ان يخطو الى الامام خطوات واسعة في سبيل الارتقاء الحقيقي وان يضرب في معارج التطور الثابت نحو حالات اسعد وأفضل، فان من واجبه ان يجعل السياسة تابعة للعلم الاجتماعي، القائم على حقائق العلم الطبيعي. فان السياسة في الشرق قد قامت الى الآن على نظريات بعيدة عن الاسترشاد بهدى العلم، ومضت تتخبط في دياجير مظلمة من التقديرات والاعتبارات التي تقوم على غير اساس وطيد الدعائم من حقائق العلم. وكل سياسة لا تقدر العلاقة القائمة بين المتجهات التي تموج في افق الحياة الاجتماعية وحقائق الطبيعة الحتمية من ورائها، انما هي سياسة مرتجلة غير ثابتة، سياسة لا تؤمن معها النزوات، ولا تسلم من النكوص والشطط

فلا بد اذن من ان نربط بين السياسة وبين العلم، وان نحكم الصلة بين السياسة وبين منهج اجتماعي نتخذه اماماً نأتم به في السياسة في الاصلاح المدني. غير ان الطريق الذي مضت فيه اكثر امم الشرق حتى الآن، لم يدل بعد على ان هذه الحقيقة قد اتخذت مكانتها اللائقة بها من عقول السياسيين والمصلحين. ودليلنا على هذا أن سياسة اكثر حكومات الشرق قد فقدت صفة اولية تجعل تحقيد هذا المطلب ممكناً، وتلك هي صفة الاستمرار. ومن أصعب الاشياء ان يكون للعلم أثر في بيئة تتغلب بها الاهواء، وتتقلب فيها دورات الخط بين ساعة واخرى. وفقدان صفة الاستمرار في سياسة أكثر الحكومات الشرقية هو السبب الاول فيما يقوم اليوم من مظاهر الاضطراب الاجتماعي والتوثب الذي نستشعره ماثلاً في الاماني والاحلام التي تساور انفس الشباب. ذلك بأن الاستمرار انما هو اتباع طريق مرسوم للاصلاح الاجتماعي يرمي الى غاية معلومة. فاذا فقدت السياسة هذه الصفة، فقدت اعظم سناد تمكنها من تخليف الآثار التي يستطاع من طريقها خلق حالات ثابتة، ونظامات مستقرة ترمي مطامع شعوب استحدثت الاسلوب العلمي في عقليتها

نظاماً جديداً ، ووسمتها بسمة لا عهد لماضيها بها ، وجعلتها تنشد في الحياة غايات سامية ومثلاً عليا

وقد يتبادر الى ذهن اولئك الذين أخذهم اليأس من إصلاح أمم الشرق أن ما تكلم فيه لا يخرج عن نظريات قد يكون في تطبيقها ما يدل على انها أحلام بعيدة التحقيق . والحق انها تكون أحلاماً بعيدة التحقيق ، إذا نحن لم نؤمن بأنها طريق الخلاص الذي لا طريق سواه . فان الجماعات الانسانية باعتبارها كائنات حية من ناحية ، وباعتبارها كائنات ذات نظام اجتماعي من ناحية اخرى ، قد تصدق عليها حقائق علوم الاحياء مطبقة عليها تطبيقاً خاصاً ، كما تصدق على بقية الاحياء الاخرى . ولا اخال ان مفكراً مرن التفكير يمكن ان يجحد اسباب العلم وسيلة للاصلاح الاجتماعي ، هو السبيل التي تؤدي بأمم الشرق إلى وضع قواعد ثابتة تنتحيها في التدرج نحو مثلها العليا

على ان من الواجب ان نبين ان لكل جماعة من الجماعات فطرة خاصة وبيئة معينة ، وان لها مزاجاً عاماً هو نتاج الوراثة الطبيعية والعادات . اما إذا كانت حقائق العلم الطبيعي قد تصدق على كل الاحياء من حيث القواعد والاسس والنواميس ، فإن درس الحالات التي تقوم في كل امة من الامم من ناحية هذا العلم ، يجب ان تعتبر فيها الفطرة والبيئة والمزاج ، حتى يستخلص المصلحون اقوم طرق التطبيق ويشرعوا من حالة كل شعب ما هو في احتياج اليه من ضروب الاصلاح ، ويلمسوا الجوانب الاولية التي يمكن ان تتخذ فيها حقائق معينة من حقائق العلم سبيلاً الى معرفة ماهياتها . وهذا ما جرت ، كثر امم الشرق على عكس ما يوحي اليناه . فقد مضت هذه الامم تسترشد باوربا ، وتتخذ من حالات اوربا مقياساً تقيس عليه حالات الشرق ، من غير ان تعير الطبع الشرقي والمزاج الشرقي والبيئة الشرقية أدنى التفات . ومن اعجب الاشياء اننا مضينا ننقل عن أوربا ثمار تطبيقها لحقائق العلم في نواح يجب علينا ان نراعي فيها مزاجنا الخاص وبيئتنا الخاصة ، وعجزنا عن ان ننقل عنها تجاريب في مسائل تصدق على كل البيئات وفي كل الاحوال . ومثلنا على ذلك اننا نقلنا مثلاً شرائع معينة عن اوربا لا علاقة لها بطبعنا ولا حاجة لبيئتنا بها ؟ وكذلك نقلنا عن اوربا طرقاً خاصة في التعليم من غير ان نراعي فيها مقدار ملاءمتها لفطرتنا او ثقافتنا التقليدية

ان ما مضيت فيه من اوجه البحث في هذه المقالة القصيرة فيه نذير وبشير . اما البشير فانا بدأنا نتجه في تحليل حالاتنا الاجتماعية ودرسها اتجاهاً علمياً . واما النذير فهو اننا لم نضع بعض مناهج إصلاحية ، قائمة على العلم ، تضمن لها الاستمرار والبقاء . والمحصل ان الاصلاح الاجتماعي في امم الشرق ، ينبغي ان يعهد به الى علماء اتصلوا بعلوم الاحياء وعلوم الاجتماع ، تلك العلوم التي كان للمقتطف الفضل الاول في توجيه العقول اليها ، وبث مبادئها في قلوب المفكرين

الاتجاهات السياسية

خلال ٦٠ سنة في الشرق العربي

لامين سعيد
مؤلف « الثورة العربية الكبرى »

يراد بالشرق العربي جميع البلدان التي ينطق اهلها بالضاد، ويتخاطبون باللغة العربية، ويتثقفون ثقافة عربية، ويدرسون ادب العرب، وتاريخ العرب

وتمتد بلاد العرب هذه من خليج فارس وديار بكر شرقاً حتى الاطلانطي غرباً ومن جبال طوروس شمالاً حتى اواسط افريقية جنوباً وتضم الاقطار الآتية: عمان (مسقط) والبحرين، ونجد، والكويت، والعراق، والشام بحدودها الطبيعية (اي سورية الداخلية ولبنان وبلاد العلويين وجبل الدروز وفلسطين وشرق الاردن وكيليكية) والحجاز واليمن، ومصر والسودان، وبرقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الاقصى ولا يقل سكانها عن سبعين مليوناً من النفوس

ولا يخفى ان اللغة العربية هي التي وحدت بين هذه الاقطار وربطتها بعضها ببعض فقبل الفتح العربي الاسلامي كان ابناؤها يتخاطبون بلغات شتى منها الافريقية والسريانية والقبطية والفارسية والبربرية والارامية والعبرية فزاحمتها اللغة العربية وما زالت بها حتى حلت محلها وصارت اللغة الرسمية لهذه الاقطار كلها ولغة العلم والتعليم والثقافة والادب، واللغة من اخص الروابط واقواها ومن اعظم الصلات وامتنها في جميع العصور والادوار

نعود بعد هذا التعميم فندرس حالة هذه الاقطار السياسية عند صدور المقتطف في سنة ١٨٧٦ ونماشي الحركتين السياسية والقومية في تطورها ونصف الادوار الخمسة التي مرّتا بها وهي:

١ — من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٨٢
٢ — من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٩٠٨
٣ — من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٨
٤ — من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٣٥
٥ — هو الدور الحالي

١ — الدور الاول سنة ١٨٧٦ — ١٨٨٢

كان في البلاد العربية عند صدور المقتطف ثلاث حكومات تسيطر عليها:
ا — الحكومة التركية   ب — الحكومة الفرنسية   ج — الحكومة المغربية

ا — الحكومة التركية

فكانت الحكومة التركية تسيطر على الاقطار العربية الممتدة من خليج فارس حتى حدود الجزائر وهذه اسماؤها : تونس وطرابلس الغرب وبرقة ومصر والسودان والحجاز واليمن والشام ونجد والعراق وكان بين هذه الاقطار اربعة تتمتع باستقلال داخلي واسع النطاق في داخل الامبراطورية العثمانية وهي : ١ — مصر وسودانها ٢ — تونس ٣ — الحجاز ٤ — جبل لبنان

فكانت في مصر حكومة علوية ثابتة راسخة الدعائم يتوارث عرشها سلائل محمد علي — وكان يجلس على عرشها يومئذ الخديوي اسماعيل باشا وكان نفوذ الباب العالي ضعيفاً جداً في القاهرة فالسلطة كلها بيد صاحب العرش. وكانت في تونس ايضاً حكومة مستقلة استقلالاً داخلياً برئاسة «البايات» من ابناء حسين بن علي الكريتي ولا يزال هؤلاء يتوارثون عرش تلك البلاد وكان يجلس على عرش تونس يومئذ محمد الصادق وكان جبل لبنان مستقلاً استقلالاً ادارياً تحت سيادة الباب العالي وبضمانة الدول الخمس طبقاً لبروتوكول سنة ١٨٦٠ وكان شريف مكة في الحجاز ايضاً يتمتع باستقلال داخلي محدود النطاق وكانت حالة متصرف جبل لبنان او اميره تختلف عن حالة هؤلاء الثلاثة فكان يبدل في كل خمس سنوات مرة وكانوا يشترطون فيه الارمنية فلا يجوز ان يقلد هذا المنصب غير واحد من ابناء «بلى»

ب — الحكومة الفرنسية

وكانت فرنسا تسيطر على الجزائر. والجزائر هو اول قطر عربي سقط في براثن الاستعمار الاوربي فقد أغار عليه الفرنسيون في سنة ١٨٢٧ فقاوم ابناؤه مدة ٢٠ سنة ثم استسلموا بعد ما تقطعت بهم الاسباب وتغلبت عليهم القوى المادية وقام المراكشيون يطاردونهم ويخرجونهم من بلادهم خوفاً عليها ان يغزوها الفرنسيون ويتذرعوا بوجود اللاجئين منهم للاستيلاء عليها وهو ما وقع بعد ذلك

ج — المغرب الاقصى

وكان المغرب الاقصى هو القطر العربي الوحيد المستقل في ذلك العهد فلا سلطان لاجنبي عليه

الاتجاهات القومية

وكانت هنالك ثلاثة اتجاهات قومية في هذه المرحلة :

الاتجاه القومي لمصر : الاتجاه القومي لسورية : الاتجاه القومي لتونس

فقد كان الخديوي اسماعيل يسعى في ذلك العهد لانشاء امبراطورية مصرية — افريقية تضم السودان وجانباً من الحبشة وبعض المناطق الاستوائية فقد ارسل الحملات العديدة الى تلك الاقطار النائية للاستيلاء عليها ونشر النفوذ المصري في ربوعها وبذل كثيراً من الجهود في هذا السبيل

ولا يخفى ان محمد علي باشا الكبير جد الخديوي اسماعيل باشا عمل لانشاء امبراطورية عربية تضم البلدان التي يتكلم اهلها اللغة العربية وحارب الترك وهزمهم في جميع المعارك التي نازلهم فيها ، ولما قارب مشروعه الختام وكاد يؤتي أُكُلَهُ وقف الانكليز في طريقه وعادوه الى مصر وحصروه في منطقتها الضيقة (سنة ١٨٣١ — ١٨٤٠) ووجه اسماعيل باشا وجههُ في خلال هذه المرحلة شطر افريقية سعياً وراء تكوين « امبراطورية سوداء » بدلاً من امبراطورية جده « السمراء » فلا تعارضهُ اوربا ولا تقف في وجهه وادرك نجاحاً لا يستهان به

وكذلك كان في مصر اتجاه لانشاء حكم برلماني على مثال النظام البرلماني في اوربا والى الخديوي اسماعيل باشا يعود الفضل في ادخال هذا النظام الى الشرق العربي فقد انشأ في سنة ١٨٦٦ اي بعد انقضاء ثلاث سنوات على تبوئه الاريكة الخديوية مجلساً سماه « مجلس شورى النواب » ومنحه اختصاصات ضيقة وحدد عدد اعضائه بخمسة وستين وجعل تعيين رئيسه ووكيله من حق الخديوي ، وجعل مدة النيابة ثلاث سنوات

واجتمع هذا المجلس للمرة الاولى يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٦٦ اي منذ سبعين سنة برآسة اسماعيل راغب باشا فافتتحهُ الخديوي ، وظلَّ يجتمع في دورات منظمة حتى شهر اغسطس سنة ١٨٧٨ فيه وافق الخديوي على الاخذ بمبدأ « المسؤولية الوزارية » وتوسيع نطاق الحكم الدستوري واصدر بهذه المناسبة مرسوماً بشكل كتاب وجههُ الى رئيس وزرائه نوبار باشا قال فيه:

« اؤكد لك اني عقدت العزم على التوفيق بين القواعد الادارية في مصر والمبادئ التي تقوم عليها الادارات في اوربا

« واريد ان احل محل السلطة الشخصية التي هي مبدأ حكومة مصر الحالي سلطة اخرى تتولى ادارة الشؤون العامة وتجد معدة توازنها في مجلس الوزراء . وعلى ذلك اريد من الآن فصاعداً ان اقوم بشؤون الحكم مع مجلس وزرائي وبواسطته فكل اعضاء الوزارة يجب ان يكونوا متضامنين معاً وان يبتوا في الامور باغلبية الاصوات بينهم » . ثم خطت الحكومة الخديوية الخطوة الثالثة في سبيل ادخال النظام الدستوري فوضع شريف باشا في ٢ يونيو ١٨٧٩ دستوراً جديداً على احدث المبادئ العصرية ولكنهُ لم ينفذ بسبب تغيير الخديوي وتعطلت الحياة الدستورية بمصر في اوائل عهد الخديوي توفيق ثم اعيدت في سنة ١٨٨١ فاجتمع مجلس النواب الجديد يوم ٢٦ دسمبر من تلك السنة . وعطل الدستور وعطلت الحياة النيابية بعد الاحتلال البريطاني في شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ ولم يعد البرلمان الى الاجتماع الاَّ في سنة ١٩٢٤ . وجملة القول ان الاتجاهات القوية في مصر خلال هذه المرحلة اي في خلال عهد اسماعيل كانت متجهة الى انشاء نظام برلماني مصري ثابت والى فصل مصر عن تركيا وانشاء حكومة مصرية مستقلة

في السلطنة العثمانية

وكانت في السلطنة العثمانية يومئذ حركة اصلاحية تمخضت في سنة ١٨٧٦ عن نظام برلماني فصدر اول دستور تركي مستمد من المبادىء الدستورية الاوربية الحديثة وجرت الانتخابات لاول برلمان فاجتمع فعلاً في دورة واحدة ثم أجله السلطان عبد الحميد سنة ١٨٧٨ ولم يعد الى الاجتماع الا في سنة ١٩٠٨

وكانت الحركة القومية ضعيفة جداً في البلاد العربية الاخرى وكانت للفكرة الدينية او فكرة الجامعة الاسلامية المقام الاول وكان السلطان عبد الحميد يؤثر هذه الفكرة ويؤيدها لمحاربة الفكرة القومية على انه لم يخل الامر من افراد في بيروت ودمشق فكروا في الاستقلال العربي وفي انشاء دولة عربية ، وقد وزعت في خلال ذلك منشورات سرية في بيروت بالدعوة الى اسقاط الترك ، وكان المرحوم مدحت باشا مؤسس النظام الدستوري في تركيا وخالع السلطانين (عبد العزيز ومراد) كما كان يعتقد بعضهم له يد في اذكاء هذه الحركة مدة وجوده والياً على سورية

في تونس

وكان في تونس ايضاً كما في مصر من ميل للاصلاح واخذ بالانظمة الاوربية الحديثة فقد زار الباي احمد باشا فرنسا سنة ١٨٤٦ بدعوة الملك لويس فيليب فبهرته محاسنها ونحى بما رآه من عمران ورقي ، فشرع في اصلاح الجيش والاسطول بعد رجوعه وادخل كثيراً من الاصلاحات مما احتاج الى مال كثير قد بدده الى فرنسا فعقد معها قروضاً مالية كانت سبب نكبة تونس ، كما كانت هذه القروض سبب نكبة مصر ايضاً . وفي يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٨٥٧ أصدر الباي محمد قانون عهد الامان (الدستور التونسي) وانشئ المجلس الكبير (البرلمان التونسي) وكان يتألف من ٦٠ عضواً وكان محدود الاختصاص ولم يكن لتونس اتجاه قومي في هذه الفترة وكان هم ولاتها موجه الى التخلص من السيادة التركية وانشاء دولة تونسية مستقلة على نمط الدول الاوربية الحديثة ، ومعها الحظ فسقطت سنة ١٨٨١ في قبضة الاستعمار الفرنسوي

٢ — الدور الثاني سنة ١٨٨١ — ١٩٠٨

ربما كان هذا الدور من أشأم الادوار التي مرت بالاقطار العربية في التاريخ الحديث فقد بدأ بدخول الفرنسيين الى تونس (١٢ مايو سنة ١٨٨١) وتجريدهم حكومة الباي من كل سلطان ، واشتداد النزاع بين الخديوي توفيق باشا والعرابيين وهو النزاع الذي انتهى بدخول الجيش البريطاني القاهرة يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ثم بدخوله الى السودان في سنة ١٨٩٩

ومدَّ الانكليز يدهم في خلال هذا الدور الى امارات خليج فارس العربية فسيطروا عليها وادخلوها في دائرة نفوذهم السياسي

وكانت حالة العرب السياسية في البلاد التي ظلت خاضعة للدولة العثمانية غير حسنة بالاجمال ،

وقد حارب السلطان عبد الحميد الفكرة القومية حرب عوان غير مباشرة بتأييده فكرة الجامعة الاسلامية كما قلنا فأدرك من هذه الناحية نجاحاً لا يستهان به فصرف افكار كثير من رجال العرب عن الفكرة القومية وكانت لا تزال في دور التكوين وجاء بكثير من رؤسائهم وزعمائهم فأنزلهم على صفات البوسفور بجواره واغدق عليهم الرتب والاموال وعودهم حياة الرفاه والترف حتى لا يفكروا في الخروج عليه او محاربة دولته ، كما ارسل رسله الى العالمين العربي والاسلامي يبثون له دعاية واسعة النطاق ويظهرونه بمظهر المسلم المخلص لدينه العامل لاعلاء شأنه على ان الامر لم يحل من ظهور حركات قومية ولاسيما في مصر تدعو الى التخلص من الترك وانشاء دولة عربية مستقلة ظل تأثيرها محدوداً ويمكن القول ان هذا الدور كان مقدمة للدور الآتي وهو دور العمل والنشاط وقد ابتدأ في سنة ١٩٠٨ باعلان الدستور العثماني وظهور الحركة القومية العربية في مظهر جديد

٣ — الدور الثالث — ١٩٠٨ — ١٩١٨

يعد هذا الدور من اعظم الادوار التي مر بها الشرق العربي في تحوله السياسي والقومي فقد كان حافلاً بالمفاجآت كثير الاحداث . وينقسم هذا الدور الى قسمين . الاول ويمتد من اعلان الدستور العثماني في تركيا يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٠٨ حتى اعلان الحرب العظمى في شهر اغسطس سنة ١٩١٤ والثاني : من اعلان الحرب حتى ختامها في شهر نوفمبر ١٩١٨

لقد كان اعلان الدستور في تركيا سنة ١٩٠٨ وانهيار الحكم الحميدي الاستبدادي واطلاق حرية الاقلام والالسنة فاتحة تحول في حياة العرب السياسية الذين ظلوا حتى ذلك العهد خاضعين للسلطنة العثمانية مباشرة وهم ابناء الشام والعراق والحجاز واليمن وطرابلس الغرب وبرقة فقد عمتهم روح جديدة هي روح القومية فكثر الداعون الى احياء المجد العربي والى بعث الدولة العربية كما كثر انشاء الجمعيات السياسية في الاستانة وفي دمشق وبغداد والقاهرة المطالبة بانصاف العرب ورد حقوقهم السياسية اليهم باعتبارهم اكثر الشعوب التي تتألف منها الامبراطورية العثمانية عدداً

ولقد كان للاتحاديين سادة تركيا في ذلك العهد يد في اذكاء الروح القومي وفي التعجيل بالنهضة العربية فقد نشطوا في خلال تلك الفترة لتعزيز شأن القومية التركية واعلائها بين ابناء قومهم ولمحاربة الروح العربية وتتريك العرب وغيرهم من العناصر الاخرى التي كانت تتألف منها الامبراطورية العثمانية مما أهاب بهذه العناصر الى جمع شملها وتوحيد كلمتها لمقاومتهم والوقوف في وجههم حفظاً لكيانها ووجودها . وكانت الاتجاهات القومية في هذا الدور ترمي الى انشاء امبراطورية عربية تضم الاقطار التي ظلت خاضعة لتركيا وهي . الشام والعراق واليمن والحجاز اي ان المنطقة التي كان دعاة الحركة القومية يعملون في داخلها خلال هذا الدور ما كانت تتعدى الاقطار الخاضعة للمملكة العثمانية

ووثب الطليان في خلال هذه الفترة فاستولوا على طرابلس الغرب وبرقة (سبتمبر سنة ١٩١١)

وبسط الفرنسيون حمايتهم على المغرب الاقصى (معاهدة فاس ٣١ مارس سنة ١٩١٢) فأضيف اسم هذه الاقطار الثلاثة الى قائمة الاقطار العربية الخاصعة للاستعمار الاجنبي فصارت تسعةً وهي :

١ — الجزائر ٢ — تونس ٣ — مصر ٤ — السودان ٥ — طرابلس الغرب ٦ — برقة ٧ — المغرب الاقصى ٨ — جنوب اليمن [1] ٩ — امارات خليج فارس العربية

ولم يك للاجانب حتى سنة ١٨٣٠ اي حتى الاغارة الفرنسية على الجزائر اي سلطان او نفوذ في قطر عربي فسقوط هذه الاقطار التسعة في قبضتهم الواحد بعد الآخر ازعج أبناء الاقطار الاخرى التي ظلت في دائرة الامبراطورية العثمانية وبعثهم على مضاعفة الجهود وراء تحرير بلادهم فلا يصيبها ما أصاب شقيقاتها . والواقع ان دعاة الاستعمار الاوربي واقطابه سعوا سعياً حثيثاً في الفترة التي تقدمت الحرب العظمى لاقتطاع كل ما يمكن اقتطاعهُ من اراضي الدولة العثمانية مستغلين فرصة ضعفها واضطرابها وانهماك رجالها في المنافسات الحزبية

وأعلنت الحرب العظمى والنضال الداخلي على اشده بين العرب العثمانيين والاتحاديين الترك فاغتنم هؤلاء فرصتها للتخلص من رجال الحركة القومية العربية ودعاتها فقبضوا عليهم وعدموا اكثرهم شنقاً في الساحات العامة في بيروت ودمشق والقدس ونفوا كثيرين من ابناء هذه الاقطار وكانت الخطة التي وضعوها للقضاء على الفكرة العربية تقوم على اجلاء العائلات العربية الكبرى من سورية وفلسطين والعراق وارسالها الى اقاصي الاناضول واحلال الارمن الذين اخرجوهم من ارضهم وديارهم محلهم . ولا يخامرنا شك في انهُ لو ختمت تلك الحروب الضروس بفوز الترك وحلفائهم الالمان لضعف شأن الحركة العربية ولما ارتفع للعرب ذكر ولعوملوا في بلادهم معاملة الارقاء ، ولمنعوا من التكلم بلغتهم ، ومن نقلها ومن قراءة تاريخهم ودراسة سير رجالهم وعظمائهم ولحملوا على دراسة سير رجال الترك ومن كان في شك من ذلك فلينظر الى حالة العرب في كيليكية (ادنه) فقد ضيقت عليهم الحكومة الكمالية المسالك ومنعتهم من التكلم بلغتهم ودراسة تاريخهم توصلاً الى تتريك هذا القطر العربي الذي هو جزء لا ينفصل عن الوطن العربي العام ولا بد للعرب في المستقبل من المطالبة به والسعي لاسترداده ورفع الحيف النازل بسكانه وابنائه فهم يعاملون معاملة لا تتفق مع المبادىء التي وضعتها جامعة الامم لحماية الاقليات الجنسية والدينية في جميع البلدان

الثورة العربية

واعلنت في خلال هذا الطور الثورة العربية ويراد بها تلك التي اضرمها الحسين بن علي على الترك

(١) وضع الانكليز يدهم تدريجاً على المقاطعات الواقعة في جنوبي اليمن وهي لحج وحضرموت وغيرها بين سنة ١٨٣٩ وسنة ١٩١٥

في سنة ١٩١٦ بالاتفاق مع بعض رجال سورية والعراق الذين ايدوه ووالوه تخلصاً من جور الاتحاديين الذين ظلموهم وآذوهم وسعياً وراء انشاء امبراطورية عربية تضم الحجاز والشام والعراق . وتلك حدودها كما رسمها ووصفها في كتابه يوم ١٤ يوليو ١٩١٥ الى السر هنري مكماهون نائب ملك بريطانيا في مصر « استقلال البلاد العربية من مرسين ، اذنه (كيليكية) حتى الخليج الفارسي شمالاً ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً ، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً ، يستثنى من ذلك عدن التي هي كما هي ، ومن البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى سينا غرباً »

وهذا التحديد للدولة العربية التي نهض الحسين بن علي بمؤازرة رجال العرب في الشام والعراق لانشائها يخرج من دائرتها الاقطار العربية الخاضعة للاستعمار الاوربي ويجعلها قاصرة على البلدان التي كانت حتى ذلك العهد تابعة لتركيا بما في ذلك نجد واليمن وعسير وجنوب اليمن وكانت تتمتع باستقلال داخلي واسع النطاق في العهد العثماني ، اما جنوب اليمن وقد اراد الملك الحسين ادماجه في الدولة العربية فكان مشمولاً بالحماية البريطانية . وابى الانكليز الموافقة على الحدود كما جاءت في كتابه وردَّ عليه السر هنري مكماهون يوم ٣٠ اغسطس سنة ١٩١٥ يقول : « اما ما يتعلق بقضية الحدود فقد يكون بحثنا في مثل هذه التفاصيل — والوقت قصير والحرب قائمة — سابقاً لاوانه وخصوصاً لان تركيا لا تزال تحتل قسماً كبيراً من الاراضي التي اشرتم اليها في مشروعكم احتلالاً تاماً » فكتب اليه الحسين يوم ٩ سبتمبر ملحاً في البت في قضية الحدود « لان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد نتمكن من ارضائه او مفاوضته بعد الحرب ، بل هي مطالب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد » وقال نائب الملك يوم ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥ في رده « وقد ادركت من كتابكم الاخير انكم تعلقون اهمية كبرى على قضية الحدود وانكم تعدونها من المسائل الحيوية ، فأرسلت مضمون كتابكم الى الحكومة البريطانية وانه ليسرني ان ارسل اليكم البيانات التالية التي اثق كل الثقة بأنها ستنول رضائكم

« ان مرسين واسكندرونه وبعض الاقسام السورية الواقعة في غربي دمشق وحمص وحماه وحلب لا يمكن ان يقال عنها انها عربية محضة فيجب ان تستثنى من الحدود التي ذكرتموها ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود على اساس هذه التعديلات على ان لا تنقض شيئاً من اتفاقنا مع الزعماء العرب . اما الاراضي التي تستطيع انكلترا العمل فيها بملء الحرية ودون ان توقع ضرراً بحليفتها فرنسا فان لي السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة ان اعطيكم التأمينات التالية جواباً على كتابكم

١ — ان انكلترا مستعدة على اساس تلك التعديلات ان تعترف باستقلال العرب وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها شريف مكة ٢ — تحمي بريطانيا الاراضي المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوحدتها ٣ — تقدم بريطانيا للعرب — عند الحاجة — كل مساعدة او نصيحة

تلزم وتعاونهم في انشاء اصلح شكل من اشكال الحكومات في مختلف البلدان العربية . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان العرب يوافقون على الاقتصار على استشارة ومعونة بريطانيا وحدها ويرضون بأن يكون جميع الموظفين الذين يحتاجون اليهم في تنظيم دوائر ملكهم من التبعة الانكليزية

« أما ما يتعلق بولايتي البصرة وبغداد فان العرب يرضون ان مركز انكلترا ومصالحها فيهما تتطلب شكلاً ادارياً خاصاً ، ومراقبة خاصة للمحافظة على تلك الانحاء من الاعتداءات الخارجية وتأمين راحة واطمئنان السكان وتوطيد مصالحنا المشتركة »

وهكذا اخرج الانكليز من نطاق الحدود التي رسمها الحسين ولاية الموصل ولبنان الكبير كما اخرجوا ولايتي البصرة وبغداد واستثنوا الاقطار العربية الخاصة لزعماء العرب وراد بها عسير واليمن ونجد فلم يبق سوى الحجاز وفلسطين وسورية الداخلية

٤ — دور السياسة الاقليمية ١٩١٨ — ١٩٢٥

وضعت الحرب اوزارها يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ وانتهت بانتصار الحلفاء وهم الذين انضم اليهم العرب وقاتلوا في صفوفهم من دون ان تحقق لزعماء الحركة العربية ما كانوا يطمعون فيه فقد وضع الانكليز في نهايتها يدهم على العراق وعلى فلسطين وشرق الاردن باسم الانتداب ووضع الفرنسيون يدهم ايضاً على سورية ولبنان واضافوها الى الاقطار العربية الاخرى التي يسيطرون عليها. والبلاد العربية التي ظلت في خارج منطقة الاحتلال الاجنبي هي ١ — الحجاز ٢ — نجد ٣ — اليمن ومعنى هذا ان جميع الاقطار العربية (ما عدا جزيرة العرب الاصلية) كانت في هذه الفترة خاضعة للاستعمار الاوربي . وضعف شأن الحركة العربية في اوائل هذا الدور وغرب نجمة بعض رجالها فتمشت فكرة السياسة الاقليمية وراجت وصارها انصراف كل قطر من الاقطار العربية الى السياسة شؤونه الخاصة من دون ان يكون له ارتباط او اتصال مباشر بالاقطار الاخرى

وأثرت مبادىء الحرب في نفوس ابناء الاقطار العربية الخاضعة للاستعمار الاجنبي وجعلت معظمها تتحرك بعضها يطالب بحقوقه فكانت في مصر ثورة (سنة ١٩١٩) وفي العراق ثورة (سنة ١٩٢٠) وفي تونس ثورة (سنة ١٩١٩ — ١٩٢) وفي سورية ثورة (سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٧) وفي المغرب الاقصى ثورة (سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦) وفي فلسطين ثورة (سنة ١٩٢٩)

وكذلك وقعت في داخل جزيرة العرب احداث خطيرة غيرت وبدلت من وضعها السياسي فقد استولى ابن سعود في خلال هذه الفترة على امارة آل الرشيد في حايل (سنة ١٩٢٠) وعلى الحجاز سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ وعلى امارة الادارسة سنة ١٩٣٣ فتكونت في داخل الجزيرة

دولتان لا ثالث لها دولة الجنوب وهي دولة اليمن ويشمل نفوذها اليمن وتهامة (ما عدا النواحي التسع المشمولة بالنفوذ البريطاني) ودولة الشمال وهي الدولة السعودية وتضم الحجاز ونجد وعسير وتهامة وادركت العصبية العربية في آخر هذا الدور نجاحاً لا يستهان به قيمة ،

١ — تحرر العراق من الانتداب ودخوله جمعية الامم سنة ١٩٣٢ — ٢ — نشأة الدولة السعودية الكبرى ٣ — عدول الوطنيين السوريين عن السياسة الاقليمية واعلانهم الرجوع الى السياسة القومية سياسة الوحدة العربية (٩ يناير سنة ١٩٣٦)

٥ — دور الوحدة او الدور الحالي

يبدىء هذا الدور بعقد ميثاق التحالف بين العراق والمملكة السعودية في بغداد يوم ٢ ابريل سنة ١٩٣٦ وهو الميثاق الذي يصح ان يسمى قاعدة الوحدة العربية فقد جاء في المادة السادسة منه « يجوز لاية دولة عربية مستقلة ان تطلب الانضمام الى هذه المعاهدة ايضاً » وبظهور اتجاهات جديدة في بعض الاوساط المصرية تؤيد فكرة الجامعة العربية وانضمام مصر اليها وباتساع نطاق التعاون الثقافي بين مصر والشام والعراق والحجاز واليمن اتساعاً يستوقف النظر ويدل على تحول في الاتجاه القومي وعلى ان فكرة الوحدة العربية تعممت تعمماً محسوساً في بلاد العرب الشرقية وهي مصر والشام والعراق والحجاز واليمن اما في بلاد العرب الغربية اي في شمالي افريقية وهي برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الاقصى فلا يزال انتشارها محدوداً لبعد الشقة وصعوبة المواصلات ولان السلطات الحاكمة هناك تحاربها وتعرقل انشاء اتصال مباشر بين ابناء تلك البلاد وبين اخوانهم من عرب هذه البلدان

وخلاصة القول ان في كل قطر من أقطار العرب المستقل منها وغير المستقل اتجاهين ،

الاول — لتحريره من كل نفوذ اجنبي اذا كان خاضعاً له والفوز بالاستقلال

والثاني — لتعزيز فكرة الوحدة العربية وتأييدها ونشرها لتسهيل انضمامه الى الاقطار العربية الاخرى التي استقلت وقد وضعت حكومة العراق والبلاد السعودية قاعدة هذا الاتحاد بميثاقهما الاخير واعلنتا كما تقدم انه مفتوح امام كل دولة عربية مستقلة

كيف ينشأ الاتحاد

اما طريقة انشاء الاتحاد العربي ونظمه والاساليب التي تتبع لتحرير الاقطار العربية الاخرى التي لا تزال خاضعة للاجنبي فقد وفيناها حقها في كتابنا الجديد « الدولة العربية المتحدة » وقد صدر الجزء الاول منه في هذا الشهر واسمه « تاريخ الاستعمار البريطاني في بلاد العرب » فليرجع اليه من شاء زيادة ايضاح وبيان

وارسطوطاليس الى الكندي والفارابي وابن سينا ، الى كانت وكونت وسبنسر ونيتشه ووليم جيمس وهنري برغسون. واعلام العلوم الطبيعية والفلكية ، من طاليس وارسترخس وبطليموس ، الى ابن الهيثم وابن حيان والبتاني الى غليليو ونيوتن وهرشل ولافوازيه ومندليف وكوري ، الى ميكلسن وملكن واينشتين . واعلام العلوم الطبية ، من ابقراط وجالينوس الى ابن النفيس والرازي والزهراوي وابن البيطار ، الى هارفي وجنر ، الى باستور ولستر وكوخ وبهرنغ ورس وباتنغ . واعلام الأحيائيين والمواليديين من طبقة كوفيه ولامارك وداروين ووالس ومندل وهكسلي ومورغن . واعلام المخترعين من وط وستيفنس ، الى مورس وبل ، الى اديصن وماركوني وده فرست وبيرد . واعلام الرواد ، من رواد المصريين الاقدمين الى رواد العرب في القرون الوسطى ، الى فاسكو دي غاما ، وكولمبس ومجلان وسكوت وبيري وشكلتون واموندسن وهيدن ورد . واعلام السياسة والحرب والادب والشعر والعمل والمال ، الى ارباب العلم والفكر والخيال في الشرق العربي كرنيليوس فانديك ، وشبلي الشميل ، وسليم الموصلي ، ويوحنا ورتبات ، وبشاره زلزل ، وحسن باشا محمود ، ومحمود باشا الفلكي ، وشفيق منصور ، وقاسم امين ، ونجم صروف ، وفرح انطون ، ومحمد كرد علي ، واحمد زكي ، وجميل صدقي الزهاوي ، وامين المعلوف ، وشوقي ، وحافظ ، وولي الدين ، وخليل مطران ، ومصطفى صادق الرافعي ، ومحمد عبد الحميد ، وطه حسين ، وايليا ابو ماضي ، ومحمد شاهين باشا ، وحسين سري باشا ، والامير مصطفى الشهابي ، وامين الريحاني ، وعباس محمود العقاد ، وأنيس المقدسي ، واسماعيل مظهر ، والآنسة مي .

جميع هؤلاء ، وعشرات بل مئات غيرهم من الاعلام التي لا تتسع لمجرد ذكرهم صفحات رصنا من المقتطف اذاع المقتطف آثارهم او سيرهم او حقائق الموضوعات التي اشتغلوا بها والمذاهب التي ذهبوا اليها او خطرات نفوسهم الحسّاسة وأخيلتهم المدقّقة . فكيف يسع الباحث ان يختار فصولاً تعدُّ على اصابع اليدين ، من ثمانية وثمانين مجلداً ، تربي صفحاتها على خمسين ألف صفحة او ستين الفاً ، وتضمُّ في نطاقها بحوثاً وسداً في جميع فروع المعارف القديمة والحديثة ؟

ان العمل متعذر بطبيعته ولكن ما لا يدرك على الوجه الاوفى لا ينبغي اهمالهُ كلّ الاهمال بوجهٍ من الوجوه . فالفصول التي تتوالى في القسم التالي من هذا العدد التذكاري ، لم نراع في اختيارها صفة خاصة ، وانما كنا نفتح مجلداً من المقتطف اتفاقاً ، ونقلب صفحاته ، فنمرّ بمقال يستوقف النظر ، بما لصاحبه من مقام ، او بما في بحثه من طرافة او حكمة ، او بما يدل عليه من المراحل في تطور موضوع من الموضوعات وارتقائه

وقد يعجب القارئ ، اننا لم ننشر في هذا العدد مقالاً من المقالات العلمية التي كان معظمهُ يكتسب فيه ، مع ان المقتطف مجلة علمية ، قبل ان تكون مختصة بالادب وما الى الادب من ألوان

الكتابة ، ولكن الحائل دون ذلك ، ان نصف ما نشر في المقتطف او اكثر من النصف كتبهُ منشئاه أو من تولى مساعدتهما في تحريره ، فكيف يستطاع اختيار فصل او فصلين من ثلاثين الف صفحة ؟ يضاف الى هذا ان الموضوعات العلمية ، التي نشرت في النصف الاول من حياته اقرب الى بسط المبادىء والاصول لترسيخها في اذهان قرائه، فاعادتها الآن وقد ذاعت بواسطة معاهد التعليم والمجلات الثقافية قلما يفيد ثم ان سرعة التقدم العلمي في ما انقضى من هذا القرن كان سريعاً ، يبعث على الدهشة في سرعته ، فما كتب في بناء المادة سنة ١٩٢٠ لا يستقيم منهُ الآن الا جانب يسير ، وان مقالات المقتطف العلمية جمع بعضها في كتب على حدة اشهرها « بسائط علم الفلك » و « العلم والعمران » و « فصول في التاريخ الطبيعي » و « الروّاد » و«معجم الحيوان» و « فتوحات العلم الحديث »

بسط المقتطف في خلال حياته نظرية التطور العضوي من جميع نواحيها ولاقى في سبيل ذلك عنتاً عظيماً كما يشير الدكتور نمر في مقالته التي صدّرنا بها هذا الجزء التذكاري . وحارب السحر والشعوذة، وحذر من التمادي في الاستسلام لاقوال المدّعين مناجاة الارواح وتصويرها، ووصف المذاهب الطبيعية الحديثة في علمي الطبيعة والكيمياء ، من ناحيتيها النظرية والعملية ،وكلف بالمباحث الفلكية وتقدُّمها،ولم يغفل الآثار وطرائفها ومعانيها التاريخية، والتفت الى نواحي الارتقاء الاجتماعي، وشرح المذاهب المختلفة في علم النفس على القواعد التي وضعها فرويد ومكدوجال وكوهلر وبافلوف والسلوكيون في اميركا ، ووضع في جميع هذه العلوم الفاظاً ومصطلحات عربية ذاع معظمها وصار مألوفاً، وأيَّد نهضة المرأة الشرقية بالدفاع عن حقوقها واشراكها في تحرير المقتطف ونشر ما يلزم لها في حياتها العامة والخاصة ، وكان لا يدع موت علم من الاعلام، او الاحتفال بذكر علم من الاعلام ، ان يمر من دون ان يبسط سيرتهُ او يلخصها ، سواء في ذلك العالم والطبيب والمؤرخ والاديب والشاعر فالذين ينعون عليه انهُ لا يعنى الا بالعلم، يغبنون الغرض الرئيسي الذي انشىء لهُ ، ويغفلون ما نشره في مجلداته من مئات الصفحات بل من الوفها ، عن المتنبي وأبي تمام والبحتري وامرىء القيس وأبي العلاء وشكسبير وملتن وشلي وتنسن وبيرون وكبلنج وهاردي وهازوردي وبرنارد شو وفيكتور هوغو وجوته وبيراندلو واناتول فرانس وغيرهم ومما نقل من آثارهم ، وما نشره من فصول في الاختصارات والقربيات ومنزلة الشعر في التاريخ ومراتب الشعر العالية ، علاوة على ما أثبتهُ من مختار الشعر لكبار شعراء العربية في عهده

فالفصول التالية في هذا الجزء التذكاري ليست الا نفسية مختارة من مواكب العلم والادب والتاريخ كما توالت في صفحات المقتطف من ستين سنة الى يومنا هذا

من ستين سنة
في المقتطف

أطباء الشرق

للدكتور كرنيليوس فانديك

ليس ثمة تاريخ أتم من تاريخ أطباء العرب يقتضي جمع ما يذكر منه من مؤلفات كثيرة بعضها يناقض بعضاً أحياناً ويتخلل فروعه حكايات وخرافات لا أصل لها وكثيراً ما يعسر تمييز فاسدها من صحيحها. ومن المؤلفات التي منها جمعت ما أقوله في هذا الموضوع تاريخ الدول لأبي الفرج الملطي وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان وتاريخ المسلمين لأبي الفدا الحموي وكتاب المكتبة الشرقية للقس السمعاني الماروني وكتاب تهذيب الأسماء لأبي زكريا يحيى النووي وكتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة وكتاب طبقات الشافعية لابن شهبة

كان العرب قبل الإسلام محصورين في شبه جزيرة العرب وبحسب ما بقي من تواريخهم لم يقم بينهم عالم شهير طبيباً كان أو غير طبيب وإنما كثرت فيهم الشعراء. وأطباؤهم أخذوا ما أخذوه من الطب عن السريان والفرس والهنود ولذلك نذكر بعض الذين أخذ عنهم أطباء العرب قبل الإسلام أي قبل القرن السابع بعد المسيح

(١) كنكه الهندي كان من مشاهير حكماء الهند وفلاسفتهم. حكى أبو معشر جعفر بن محمد ابن عمر البلخي في كتاب الألوف أن كنكه كان من أشهر علماء الهند في معرفة علم الهيئة وفي الطب. ومن مصنفاته كتاب أسرار المواليد وكتاب الاقتران الأعلى والأسفل للسيارات وكتاب قوانين الطب وكتاب دوران الأفلاك وكتاب منازل القمر

(٢) سندشهن الهندي حكيم عالم في الهيئة والطب. وذكر في الكتب العربية عدة أشخاص من مشهوري الهنود حكماء في الطب وعلم الهيئة منهم باكور ورجاه وصصا وداهر وانكر وزنكل وشهر واسدي وحادي وترجم كثير من مصنفاتهم الى العربية. وذكر الرازي في الحاوي هندياً اسمه شركة ترجمت مصنفاته الى الفارسية ومن الفارسية الى العربية على يد عبد الله بن علي وكتاب سسرود ترجم من الفارسية الى العربية بمساعي يحيى بن خالد البرمكي وكتاب بدانا ذكر فيه أربعمائة مرض وأربعة أمراض وكتب أخر عديدة ترجمت الى العربية مثل كتاب علل النساء وكتاب السكر وكتاب الحيات السامة

(٣) ابو قابيل الهندي . كتب كتاباً سمّاه كتاب الامراض والعلل

(٤) شاناك الهندي حكيم في علم الهيئة ولعله كتب في السموم وترجم كتابهُ هذا الى الفارسية ثم الى العربية على يد العباس بن سعيد الجوهري لاجل الخليفة المأمون وشرحهُ يحيى بن البطريق . لأنهُ ذكرهُ وكتب كتاباً في الطب البيطري وكتاباً في علم الهيئة

(٥) جودَل طبيب هندي شهير من كتبه كتاب في المواليد ترجم الى العربية

(٦) ثيودورس . طبيب مسيحيّ من نيسابور نال حظاً عند ملك سابور ذي الاكتاف فبنى هذا الملك كنيسة في نيسابور اجابةً لطلب ثيودورس وعاش ثيودورس بين سنة ٣٠٩ و ٣٨٠ للمسيح والّف كتاباً في اليونانية سمّي قواعد الطب الصوفية وفي السرياني كناشا

(٧) برزويه بن ازدهر فارسي من مرو الشاهجان تعلم الطب في فارس ثم توجه الى الهند بأمر الملك انوشروان بن قباذ بن فيروز الذي ملك سنة ٥٣١ و٥٧٩ واتى من هناك بكتاب الحكاية الشهيرة التي صنفها بدباي الملك من ملوك الهند وتُرجمت الى الفارسية ثم الى العربية على يد ابن المقفع وهي المعروفة بحكاية كليلة ودمنة

(٨) سرجيوس او سرجيس بن الياس الراقي من رأس عين مسيحي يعقوبي عاش في عصر الملك يوستنيانوس وترجم عدة كتب من اليونانية الى السريانية وبعد حين ترجمت الى العربية في عصر الخلفاء بني العباس

(٩) هارون او اهرون القس الاسكندري الف كتاباً في الطب في السريانية كان في عصر هيراكليوس وترجم كتابهُ الى العربية

(١٠) عبد الملك بن ابجر الكناني طبيب عربي مسيحي ومعلم الطب في الاسكندرية . أسلم في ايام عبد العزيز بن مروان والي مصر سنة ٧٠ للهجرة اي ٦٨٩ للمسيح

(١١) اما يوحنا او يحيى المعروف عند السريان بكراماطيقوس اي النحوي فكان اسكندريًّا مسيحيًّا يعقوبيًّا دخل الى عمرو بن العاص وقد عرف موضعهُ من العلوم فأكرمهُ عمرو وسمع من اقواله الفلسفية وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمهُ وكان لا يفارقهُ

كان الدكتور كرنيليوس فان ديك رحمه الله عليه علماً من اعلام النهضة العلمية والانشائية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد نقل الى العربية واعدها وصنّف في الطب والكيمياء والطبيعيات والفلك والرياضيات والجغرافيا والعروض ووضع سلسلة النقش في الحجر في سلسلة العلوم وكان استاذاً في جامعة بيروت الاميركية (الكلية السورية الانجيلية) ومديراً لمرصدها الفلكي وكان له على « المقتطف » اعظم الفضل فانه شجع منشئيه واشترك معهما في وضع خطته وخدمه بمقتطفات من فصل نشرت في مجلده الاول

(١٨١٨ — ١٨٩٥)

ان الاطباء الذين اشتهروا بين معاصريهم من العرب بعد الاسلام تنقسم اعصارهم الى ست مدات الاولى من السنة الاولى للهجرة الى سنة ١٥٠ والثانية من ١٥٠ الى ٣٠٠ والثالثة من ٣٠٠ الى ٤٠٠ والرابعة من ٤٠٠ الى ٦٠٠ والخامسة من ٦٠٠ الى ٧٥٠ والسادسة من ٧٥٠ الى ١٠٠٠ وفي مدة الالف سنة هذه نحو ذكر ٣٠٠ من الاطباء المشهورين الذين كتبوا بالعربية وان لم يكونوا جميعاً عرباً في الاصل ومنهم من الذين دون الصحة الاولى ولا يسعنا المقام غير ذكر اشهر المشهورين فصول

المدة الاولى من السنة الاولى للهجرة الى سنة ١٥٠ اي من ٦٢٢ للمسيح الى ٧٦٧

ان الخلفاء والامراء الاولين اتخذوا اطباءهم من المسيحيين واليهود وفي تلك المدة لم يقم بين العرب طبيب شهير واول من ذكر من اطباء العرب الحرث بن كلدة الثقفي طبيب العرب اصله من ثقيف من اهل الطائف رحل الى ارض فارس واخذ الطب عن اهل جنديسابور وغيرها في الجاهلية وطبب في ارض فارس وحصل له مال ثم ان نفسه اشتاقت الى بلاده فرجع الى الطائف ومن اقواله من سرّهُ البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء وليقلّ من غشيان النساء يريد بخفة الرداء ألّا يكون عليه دين. حين مات في سنة ١٣ للهجرة (٦٣٤ م) من سمّ سُقيهُ قبل ذلك بسنة

(١٣) النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي كان من الجاهلية وأُخذ اسيراً يوم بدر فقتل

(١٤) ابو حفص يزيد مولى مروان بن الحكم طبيب يهودي في ابتدائه اسلم في خلافة عثمان ابن عفان سنة ٣٠ للهجرة (٦٥٠ م)

(١٥) ماسرجويه الطبيب البصري سرياني اللغة يهودي المذهب تولّى ترجمة مؤلف القس اهرون اشار بذلك الى العربية من السريانية في خلافة مروان حدّث ايوب بن الحكم قال كنت جالساً عند ماسرجويه اذ اتاه رجل من الخوز فقال اني بُليت بداء لم يُبتلَ احد بمثله فسأله عن دائه فقال أُصبح وبصري مظلم عليَّ وانا اصاب بمثل لحس الكلاب في معدتي فلا يزال هذه حالي الى ان أُطعم شيئاً فاذا أُطعمت سكن ما اجد الى وقت انتصاف النهار ثم يعاودني ما كنت فيه فاذا عاودت الاكل سكن ما بي الى وقت صلاة العتمة ثم يعاودني فلا اجد لهُ دواء الا معاودة الاكل فقال ماسرجويه على دائك هذا غضب الله فانهُ اساء لنفسه الاختيار حين اقترن بك ووددت ان هذا الداء تحوّل لي والى صبياني فكنت اعوّضك مما تركه بك مثل نصف ما املك فقال لهُ الخوزي ما افهم عنك قال ماسرجويه هذه صحة لا تستحقها اسأل الله نقلها عنك الى من هو احقّ بها منك

(١٦) تيودوكس وتيودون طبيبان رومانيان في خدمة الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم البصرة في خلافة عبد الملك بن مروان لاولهما عدة تلامذة وكتب في الطب وكان من تلاميذهم الفرات بن شحناثا في زمن المنصور

(١٧) ابو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية الاموي احد الكيميا واخذ عن راهب رومي اسمهُ موريانوس توفي سنة ٨٥ للهجرة (٧٠٤ م)

(١٨) اصطفانوس اول المترجمين لخالد بن يزيد ترجم عدة مصنفات من الرومية الى العربية

(١٩) احمد ابن ابرهيم طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك في نحو سنة ١٠٠ للهجرة (٧١٨م) استخلص من كتب بقراط كتاباً سمَّاهُ اصول الطب ورسالةً في النبات المستعمل في الطب

(٢٠) ابو بكر محمد بن سيرين البصري كان ابوهُ نحاساً من جرجرايا صنع على عين التمر في بعض المصالح فاخذه خالد بن الوليد اسيراً مع ٤٠ فتى آخرين فاشتراه انس بن مالك ثم فدى نفسهُ بعشرين الف درهم وتزوَّج بصوفيا مولاة ابي بكر فولدت محمداً الذي نحن في صدده في سنة ٣٣ للهجرة (٦٥٣ م) واشتهر في معرفة الحديث وتعبير الاحلام وصار كاتباً لانس بن مالك لما تولى البصرة قيل ولد له ثلاثون ولداً من امرأة واحدة وعلت عليه الديون فأُلقي في الحبس وقبل وفاة انس بن مالك اوصى ان لا يغسلهُ احد ولا يقرأ عليهِ الصلاة الا ابن سيرين فاتي به من السجن ولما كان الفرض عاد اليهِ بدون ان يرى اهل بيتهِ توفي في ١١٠ للهجرة (٧٢٨ م) والَّف كتاباً في تعبير الاحلام كثير الذكر بين الذين اتوا بعدهُ

(٢١) ابن ابي راجب الَّف في النبات في نحو ١٢٥ للهجرة (٧٠٢ م)

(٢٢) عبدالله المقفع فارسي مجوسي اصلاً اسلم على يد عيسى بن علي عم ابي العباس والمنصور من بني العباس . الَّف كتاباً في الامراض وشرحاً على ارسطوطاليس ترجم من الفارسية الى العربية قُتل بامر سفيان والي البصرة

(٢٣) ابو قريش عيسى الصيدلاني في بغداد في عصر الخليفة المهدي لم نذكر هذا من جملة الاطباء لانهُ كان ماهراً بالصناعة وانما يذكر لظرافة خبره قيل كان هذا الرجل صيدلانياً ضعيف الحال جداً فشكت الخيزران حظيَّة المهدي وكانت من مولدات المدينة وتقدمت الى جاريتها بان تخرج القارورة الى طبيب غريب لا يعرفها وكان ابو قريش بالقرب من القصر الذي للمهدي فلما وقع نظر الجارية عليهِ ارتهُ القارورة فقال لها لمن هذا الماء فقالت لامرأة ضعيفة فقال بل لملكة جليلة عظيمة الشأن وهي حبلى بملك . وكان هذا القول منهُ على سبيل الزرق فانصرفت الجارية من عنده واخبرت الخيزران بما سمعت منهُ ففرحت بذلك فرحاً شديداً وقالت ينبغي ان نصطفي علامةً على دكانهِ حتى اذا صحَّ قوله اتخذناه طبيباً لنا وبعد مدة ظهر الحبل وفرح بهِ المهدي فرحاً شديداً فاهدت الخيزران الى ابي قريش حلتين فاخرتين وثلاثمائة دينار وقالت استعن بهذه على امرك فان صحَّ ما قلتهُ استصحبناك فعجب ابو قريش من ذلك وقال هذا من عند الله جلَّ وعزَّ لاني ما قلتهُ للجارية الا وقد كان هاجساً من غير اصل ولما ولدت الخيزران موسى الهادي سرَّ المهدي سروراً عظيماً وحدثتهُ الخيزران الحديث فاستدعى ابا قريش وخاطبهُ ثم

يجد عنده علماً بالصناعة الا شيئاً يسيراً من امر الصيدلة الا انه احبه طبيباً لما جرى منه واستصحبه واكرمه الاكرام التام وحظي عنده

(٢٤) ابو عبدالله جعفر بن محمد بن علي الصادق السادس من الائمة المستورين العلويين ألف في الهيئة والكيمياء والزمل وتوفي في المدينة سنة ١٤٨ للهجرة (٧٦٥م)

(٢٥) ابو موسى جابر بن حيان بن عبدالله الصوفي الطرسوسي مولداً الكوفي مسكناً من تلامذة جعفر الصادق. اشتهر في الكيمياء وجمع خمسمائة رسالة من رسائل جعفر في ١٠٠٠ صفحة طبع مؤلفه في ستراسبورج سنة ١٥٣٠ وايضاً ١٦٢٥ وطبع كتاب اصول الكيمياء لجابر وابن سينا في مدينة بازل سنة ١٥٧٢ وكتاب له في الهيئة في نورمبرج سنة ١٥٣٤

***

في المدة الثانية بقي علم الطب مع الاجانب ولم يشتهر به عربي اصلي وبها اجتهد الخلفاء في ترجمة كتب اليونان والسريان والفرس الى العربية ومن اشهر المترجمين حنين كما سيأتي

(٢٦) اما اشهر اطباء اوائل هذه المدة فهم عائلة بختيشوع اولهم جيورجيوس بن بختيشوع الجنديسابوري. قيل مرض الخليفة المنصور وكلما عالجه الاطباء زاد مرضاً فاخبر عن جيورجيوس هذا بانه من افضل الاطباء فكتب الى العامل بجنديسابور فاحضره بعد ما اكرمه فخرج ووصى ابنه بختيشوع بالبيمارستان واستصحب معه تلميذه عيسى بن شهلاثا ولما وصل الى بغداد امر المنصور باحضاره فلما وصل الى الحضرة دعا له بالفارسية والعربية فعجب المنصور من حسن منطقه ومنظره وامره بالجلوس فسأله عن اشياء اجابه عنها بسكون واخبره بمرضه فقال له جيورجيوس انا اداويك بمشيئة الله وعونه فامر له بالوقت بخلعة جليلة وانزله في اجل موضع من دوره واكرمه كما يكرم اخص الاهل ولم يزل جيورجيوس يلطفه حتى برئ من مرضه ففرح به الخليفة فرحاً شديداً وقال له يوماً من يخدمك هنا قال تلاميذي فقال له سمعت انه ليس لك امرأة فقال لي زوجة كبيرة ضعيفة لا تقدر على النهوض من موضعها وانصرف من الحضرة ومضى الى الكنيسة فامر المنصور خادمه سالماً ان يحمل من الجواري الروميات الحسان ثلاثاً الى جيورجيوس مع ثلاثة آلاف دينار فحمل ذلك فلما انصرف جيورجيوس الى منزله عرفه عيسى بن شهلاثا تلميذه بما جرى واراه الجواري فانكر امرهن وقال لعيسى يا تلميذ الشيطان لم ادخلت هؤلاء الى منزلي أاردت ان تنجسني. امض وردهن على اصحابهن فمضى الى دار الخليفة وردهن على الخادم فلما اتصل الخبر الى الخليفة احضره وقال له لم رددت الجواري قال لا يجوز لنا معشر النصارى ان نتزوج باكثر من امرأة واحدة وما دامت المرأة حية لا نأخذ غيرها فحسن موقع هذا من الخليفة وزاد موضعه عنده. وفي سنة ١٥٢ مرض جيورجيوس واستأذن بالانصراف الى بلده فعرض عليه المنصور الاسلام قال يا حكيم اتق الله واسلم وانا اضمن

لك الجنة فقال جيورجيوس قد رضيت حيث آبائي في الجنة او في النار فضحك المنصور من قوله فانصرف الى جنديسابور تلميذه عيسى بن شهلاثا عند الخليفة المنصور فاتخذه طبيباً . اما هو فاخذ بأذية الناس الى ان ضبط المنصور على امره فنفاه . وفي ذلك الوقت كان من اصحاب المنصور نوبخت المنجم الفارسي وكان خبيراً بعلم النجوم فلما كبر وضعف قال لهُ المنصور احضر ولدك ليقوم مقامك فاحضر ولده ابا سهل . قال ابو سهل فلما دخلت على المنصور ومثلت بين يديه قال لي تسمَّ لامير المؤمنين فقلت اسمي خرشاذماه وطيماذاه مابازارد خسرو ابهشاد فقال لي المنصور كل ما ذكرت هو كما قلت فتبسم ثم قال اختر مني احدى خلتين اما ان اقتصر بك من كل ما ذكرت على طيماذ واما ان اجعل لك كنية تقوم مقام الاسم وهي ابو سهل فقلت قد رضيت بالكنية فثبتت كنيته وبطل اسمهُ

(٢٧) وبعد وفاة جيورجيوس المذكور قام ابنهُ بختيشوع وصار طبيب هرون الرشيد. وبعدهُ

(٢٨) جبرائيل بن بختيشوع ثم

(٢٩) جاورجيوس بن بختيشوع اخو المذكور ثم

(٣٠) بختيشوع بن يحيى . وبقيت هذه العائلة عند الخلفاء والامراء الى سنة ٤٥٠ هـ الموافقة لسنة ١٠٥٨ م اي مدة ثلاثمائة سنة ولهم مصنفات كثيرة في الطب لا فائدة من ذكرها . وكتب واحد منهم انجيل يسوع . ومن مترجمي هذه المدة حجاج بن مطر ترجم المجسطي لبطليموس وترجم اقليدس وبعض مصنفات ارسطوطاليس وعبد المسيح بن ناعمه والبطريق في عصر المنصور وابو زكريا يحيى بن البطريق . وفي هذه المدة اشتهر بعض الاطباء من الهنود والفرس واليهود والنصارى عند الخلفاء ولا يسعنا تفصيل ذكرهم . منهم منكة وصالح بن بهلة وعبدوس بن [illegible] وماثالة الصيمري وربن الطبري اليهودي وابو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي المسيحي وقسطا بن لوقا وابو زكريا يحيى بن ماسويه وابو زيد حنين بن اسحق بن سليمان بن ايوب العبادي الشهير بالمترجم الذي ولد سنة ١٩٤ للهجرة الموافقة لسنة ٨٠٩ للمسيح . وكانت حرَّان يومئذٍ قرية للصابئين وقام من الصابئين عدة اطباء مشهورين منهم ثابت بن قرَّة الذي قيل فيه

هل للعليل سوى ابن قرة شافِ ... بعد الاله وهل لهُ من كافِ
أحيى لنا رسمَ الفلاسفةِ الذي ... أودى وأوضح رسمَ طبٍّ عافِ
فكأنهُ عيسى بن مريمَ ناطقاً ... يهبُ الحياةَ بأيسرِ الاوصافِ
مثلت لهُ قارورتي فرأى بها ... ما اكتنَّ بين جوانحي وشغافي
يبدو لهُ الداء الخفيُّ كما بدا ... للعين رضراضُ الغديرِ الصافي

(المقتطف. كل هذا مقدمة لازدهار الطب العربي الذي بلغ ذروتهُ على يدي الرازي وابن سينا والزهراوي وذكر هؤلاء الثلاثة وحدهم وتأثيرهم في نشوء الطب الحديث في اوربا يقتضي سفراً كبيراً)

من احدى وخمسين
سنة في المقتطف

هرم الجيزة والشعرى

لمحمود باشا الفلكي

المقتطف سنة ١٨٨٥

بين الشعرى والهرم

قرّرنا في فصل سابق ان وجوه اهرام الجيزة جميعها مائلة ميلاً واحداً على الافق وان مقدار هذا الميل نحو ٥٢ درجة ونصف وان جميع ما في الساحة الهرمية من اهرام وخبايا كل وراب متجه نحو الجهات الاربع الشمال والجنوب والشرق والغرب. فكلٌّ من هذين الامرين اعني اتحاد المقابر والمعابد في الجهة بحسب الوضع واتحاد وجوه المقابر الهرمية في الميل لا يتأتى وقوعهُ بموجب الصدفة والاتفاق بل لا بدّ ان يكون ذلك عن قصد وغرض ديني كان معلوماً عند قدماء المصريين. ألا ترى ان المتأخرين من الامم يجعلون مقابرهم في وضع منسوبة الى بيت المقدس او غيره بحسب دياناتهم وان اللحد عندنا معشر المسلمين يحفر عموديًّا على جهة الخط الواصل منهُ الى مكة المعظمة بحيث يكون الملحود فيه موضوعاً على جنبهِ الايمن متجهاً بوجههِ نحو الكعبة المشرَّفة هذا والغرض الذي اراد قدماء المصريين ربط مقابرهم الهرمية به ونسبتها في الوضع والجهة اليه لا يصحّ ان يكون مقرُّهُ على سطح الارض ككعبة المشرَّفة وبيت المقدس وغيرها. فان ربطهُ بميل اسطحة وجوه الاهرام وهو زاوية ارتفاعهُ فوق الافق يثبت ان وضعهُ في السماء في مقرّ احد معبوداتهم من الكواكب

ثم ان السلف من قدماء مصر لم يكونوا يعبدون في الحقيقة غير اله واحد وهو الذات العلية المتصفة بالقدم والبقاء وجميع اوصاف الكمالات. وكانوا يسمونهُ آمون را ويتصوَّرونهُ على كيفيات واشكال مختلفة يتخيلون تجليهُ لهم بها على حسب الازمنة. وكانوا يعبدون عنهُ وزراء روحانية او ملائكة تتعدَّد بتعدد مظاهر قدرتهِ جلَّ وعلا وقالوا ما نعبدهم الا ليقرّبونا الى الله زلفى. وكانت النجوم عندهم مقرًّا لهذه المخلوقات بل هي عقولها فكان لكلٍّ منها كوكب يستدل به عليه وهو روحهُ وعقله. وارواح الخلق عندهم مدينة لا تفنى والدار الآخرة عندهم دار جزاء

فكانوا يعتقدون ان هناك ملكاً حكماً يحاسب ارواحهم ويزن اعمالهم ويقضي عليهم إما بنعيم دائم او نصب ومشقة وتعذيب لا نهاية له . وقد كان المصريون يعظمون بعض الحيوانات وربما عبدوها لمشاكلتها بعض الروحانيات فهم كانوا ينظرون للعجل مثلاً كأنه تمثال حي لثور السماء والكلب الارضي كأنه تمثال حي للكلب السماوي وهو الشعرى

واكثر هذه الروحانيات كانت تدعى بالآلهة وكانت عند الاقدمين موكلة بتدبير احوال اهل الارض . والواحد منها يتشكل عندهم باشكال مختلفة يظهر فيها بين الناس حيناً بعد حين كما تشهد به الآثار القديمة الموجودة الى الآن . والكلب السماوي وهو الشعرى هو امو كل بحساب الارواح بعد الموت ويتشكل اذ ذاك بصورة رجل رأسهُ رأس كلب فان هذه الصورة القطيعة تشاهد منقوشة على حجارة فيها الميت موضوعاً على سرير حولهُ الآية الاربعة الكلية المعظمة عندهم وملك الموت والحساب وهو على الصورة المذكورة مادٌ يديهِ على الميت واحد برممهِ وكأن لسان حالهِ يقول ان المتوفي صار في قبضتهِ وتحت سلطانهِ فلا يقرب اليهِ احد

ثم ان الكلب السماوي المذكور او الشعرى يتشكل بشكل ابن آوى عند القضاء على المذنبين بالعذاب الدائم كما يشاهد في نقوش الآثار المصرية وقد يشاهد هرمس الاكبر ايضاً في شكل رجل رأسهُ رأس كلب وقابض بيده على لوح كاتب ويُرى في موضع آخر آخذاً في كتابة وزن الارواح ومعلوم ان هرمس هو الكلب انوبيس او عطارد المصريين . ويؤخذ من هذا كله ان الصورة التي رأسها رأس كلب وابن آوى وهرمس والكلب انوبيس وعطارد المصريين كلها مظاهر واشكال للكلب السماوي الذي مظهرهُ كوكب الشعرى وان هذا الكلب هو الموكل بأمر الموتى عند قدماء اهل بلادنا هذا وكان اسم الشعرى عند قدماء المصريين ست ومعناهُ الكوكب والكلب ويرى منقوشاً على الآثار القديمة ان ست هو السادس او السابع من العائلة الاولى اللاهوتية التي حكمت مصر في اول الزمان . وكثيراً ما ترى الاشارة الدالة على اسم الشعرى مجتمعة وملحقة بالعلامة الدالة على إيسيس وهي من اكبر الالهات الاناث المشهورات عند المصريين

ثم ان مدن مصر وقراها كانت منقسمة بين آلهتهم فكانت كل مدينة تحت كنف واحد منهم حتى الآثار واشكالها الهندسية فانها كانت منتسبة الى بعض الآلهة وعندي ان الاهرام والصور الهرمية كانت تخص الشعرى على ما تبين لي من الادلة التالية

الاول : لما كانت الاهرام مقابر كانت ولا بدَّ في كنف متولي امور الموتى وهو الكلب السماوي او الشعرى على ما رأيت فانه هو الذي تخافه النفس وتهابه وتتعلق اليهِ طمعاً في نعيم الآخرة ومرارة عذابها

الثاني . انهُ يشاهد في بعض المغارات والمدافن المصرية القديمة اهرام صغيرة موضوعة حول الموتى وتسمَّى بالاهرام النذرية وقد صوّر على احد اسطحتها الكلب السماوي او الشعرى بشكل

وحل رأسهُ رأس كلب . وقد نقش على اسطحتها ادعية واستغاثات يستغيث بها الميت من هذا الاله الفظيع وفي ذلك دلالة واضحة على اختصاص الاهرام بالشعرى وانتسابها اليها

الثالث ان الصور الهرميَّة تشاهد ضمن الرموز الثلاثة التي جعلت علماً للشعرى في الآثار القديمة فان الشعرى تتميَّز عند المصريين بهذه العلامة △ ☆ ⌒ وهي مثلث او وجه الهرم وهلال وكوكب وذلك يدل على ان الصورة الهرمية من خصائص الشعرى

الرابع انهُ كان في قسم الفيُّوم بالاقليم يسمَّى مدينة ليارى وهو مشهور في الآثار المصرية وليارى اسم ملك من ملوك العائلة الثانية عشرة من ثلاثين عائلة التي حكمت مصر من ابتداء زمن مينا باني مدينة منف الى زمن الاسكندر الكبير على ما قررهُ منيتو كبير قسوس مصر في زمن البطالسة خلفاء الاسكندر . وكان محلهُ في مكان ركة للاهون وهو عبارة عن اثني عشر ايواناً كباراً متلاصقة ستة من ابوابها الاصليَّة متجهة نحو الشمال والستة الاخرى نحو الجنوب وفيها فسحات وطرق كثيرة جداً وتشتمل على ثلاثة آلاف غرفة مركبة من طبقتين طبقة تحت الارض وأخرى فوقها وكان في الزاوية التي ينتهي بها البناء هرم ارتفاعهُ نحو ثمانين متراً . وقد شاهد هذا البناء هيرودوتوس اليوناني قبل الهجرة بأكثر من الف سنة ووصفهُ في تاريخه ورآهُ استرابون ايضاً قبل الهجرة بنحو ستمائة سنة . وكان يقال أن هذا البناء اعظم واحسن بناء في الدنيا ولم يكن احد يدخل اليهِ الا مخفوراً بخفرائه خوفاً من ان يتيه فيهِ او يخفى عليه باب الخروج منهُ وكان ملوك مصر يعقدون فيهِ مجالسهم المهمة ويحضرون اليهِ كبراء مملكتهم للمشورة اذ كان لكل قسم او مديريَّة من البلاد ايوان مخصوص فيهِ

ثم ان دوبوى احد متأخري الفرنج كان يرى أن مدينة ليارى هذه هي في وضعها وتشكيل محلاتها وجهاتها عبارة عن منطقة فلك البروج مشكَّلة على الارض بجميع تناسبها من بروج او بيوت شمالية وجنوبية ومن صيف وشتاء وايام طوال وقصار وغير ذلك وان الهرم فيها علم للشمس ويحتج بذلك على ان الهرم يختص بالشمس دون سواها موافقاً لرأي ابلين احد قدماء اليونان وهو ان اشكال المسلات والاهرام تشبه لهب النار واشعة الشمس فلا بدَّ من كونها مختصة بالشمس لكننا نقول انهُ اذا صح ان مدينة ليارى كانت في وضعها تمثيل منطقة فلك البروج لزم ان يكون الهرم فيها رمزاً الى الشعرى لا الى الشمس لان مدار الشعرى كان منتهى المنطقة وحدَّها من الجهة الجنوبية قبل الهجرة بنحو اربعة او خمسة آلاف سنة . فكانت بمثابة خفير يمنع الشمس من ان تتعدَّى حدود طريقها وتنزل الى الجهة الجنوبية جهة الخراب والدمار والهلاك في زعم قدماء المصريين وعليهِ تكون نسبة ذلك الكوكب الى منطقة البروج في السماء بالنظر الى الوضع كنسبة هرم مدينة ليارى الى المدينة نفسها بالنظر الى الوضع ايضاً . اعني ان

الهرم هنا رمز الى الخفير الذي يخفر الشمس لكيلا تتعدى حد طريقها وتخرج من منطقتها وعليهِ فيكون رمزاً الى الشعرى

الخامس . ان ما ورد في الاخبار وفي كتب اهل الاسلام عن نسبة الهرم الى هرمس الاكبر يدل على انهُ كانت هناك رابطة بين الهرم والشعرى . لان هرمس هو عطارد المصريين وهو الكلب انوبيس او الكلب السماوي او الشعرى على ما تقدم

والخلاصة ان الكلب السماوي او الشعرى كان من اهم آلهة المصريين القدماء وطالما تلاعبت بهِ عقولهم فجعلوهُ رقيباً في خلق الدنيا وبداءة سنتهم الالهية وهي الدور الكلبي واستدلوا على زمن فيضان النيل من شروقهِ في الاحتراق وعلى ابتداء فصل الربيع من غروبهِ في الاحتراق وعدُّوه سلطان الكواكب وخفير الشمس يحفظها من التعدي الى جهة الجنوب جهة الدمار والخراب كما سبق عليهِ الكلام الى غير ذلك مما لا محل له الآن ثم ان اطناب المتقدمين والمتأخرين من المنجمين وغيرهم في وصف الشعرى واعلاء شأنها يغني عن اطالة الشرح والادلة الجمة التي اوردناها يؤيّد بعضها بعضاً وتنفي كل ريب من ان الاهرام كانت تنسب الى الشعرى وتختص بها عند المصريين القدماء وذلك ما اردنا بيانهُ

فاذ قد تحققنا وجود رابطة معنوية بين الاهرام والكلب السماوي فلا بدَّ ان يكون عدم اختلاف الميل في وجوه جميع اهرام الجيزة دلالة حسيَّة على تلك الرابطة وان يكون جعل هذا الميل اثنين وخمسين درجة ونصف درجة عن قصد اعني ان تكون الاهرام من حيث وضعها ووجهها في نسبة معيَّنة الى موضع كوكب الشعرى في السماء وقت تشييد تلك الاهرام . وحقيقة هذه النسبة وسرّها لا يدركان الا بعد التأمل في بعض الاصول التنجيميَّة ولا يجوز احتقار هذه الامور في ما نحن بصدده لان علم التنجيم اصل علم الفلك وعليهِ كان جل عقائد المتقدمين من المصريين وغيرهم فانهم كانوا يعتقدون ان الكواكب تؤثر في احوال العالم السفلي وان تأثيرها يزداد كلما قرب ان يكون وقوع اشعتها عموديًّا على الشيء الذي تؤثر فيهِ حتى يبلغ تأثيرها اعظمهُ عند وقوع اشعتها عمودية على ما تؤثر فيهِ

فاذا امعنت النظر في ذلك وفي كون الاهرام مقابر وفي كون ارواح الموتى من حساب وغيره مفوَّض في زعمهم الى الكلب السماوي او الشعرى ثبت عندك عقلاً ان ميل وجوه اهرام الجيزة لم يكن فيها كلها اثنين وخمسين درجة ونصف درجة الا لقصد وهذا القصد هو وقوع اشعة الشعرى عمودية على وجوه الاهرام المقابلة لها لان قوة سلطان الشعرى على تلك الاهرام او لان قوة تأثيرها في المدفونين فيها لا تبلغ اشدّها في زعمهم الا بعد وقوع اشعتها عمودية عليهم كما قدمنا

وعلى ذلك يتحوَّل معنا البحث عن تاريخ بناء اهرام منقف الى مسألة هندسيَّة فلكية وهي

معرفة الوقت الذي كانت اشعّة الشعرى تقع فيه عمودية على السطح المواجه للشعرى من سطوح الاهرام اعني على السطح الجنوبي منها لانهُ هو الذي يواجه مدار شعرى اليمن واما بقية السطوح فلا يصيبها شيء من اشعة الكوكب المذكورة ولكن الاشعة لا تقع عمودية كما ذكرنا الاَّ عند صيرورة الكوكب في كبد السماء حيث يتكبَّد ويلزم ان تكون نقطة تكبُّده قطباً للدائرة الحاصلة من تقاطع مستوى الوجه الجنوبي للاهرام بالقبَّة السماوي ومن ثمَّ تردُّ المسألة الى البحث عن الزمن الذي فيهِ كانت نقطة تكبد الشعرى في قطب الدائرة الحاصلة من تقاطع مستوى الوجه الجنوبي للاهرام بالقبَّة السماوي ونقطة تكبد الشعرى لا تكون في قطب الدائرة المذكورة الاَّ اذا كان ميل الشعرى — وهو بعدها عن دائرة المعدَّل — يساوي اثنتين وعشرين درجة ونصف درجة. اي الفرق بين ميل وجه اهرام الجنوبي على الافق وهو ٥٢° و ٣٠َ وبين عرض البلد وهو ٣٠° وبذلك تتحوَّل المسألة الى صورة سهلة وهي البحث عن التاريخ الذي فيهِ كان ميل كوكب الشعرى يساوي ٢٢° و ٣٠َ فيكون التاريخ المستخرج بهذا البحث تاريخ الزمن الذي بنيت فيهِ الاهرام

•••

ميل الشعرى وتاريخ الهرم

يلزم لحل هذه المسألة حساب موقع الشعرى او ميلها فقط في زمانين بينهما مدة ما كألف سنة مثلاً ثم ينظر بها اذا كان الميل المبيَّن وهو ٢٢ و ٣٠ محصوراً بين الميلين الناتجين من الحساب فان كان محصوراً بينهما يعرف التاريخ المطلوب بتعديل ما بين السطرين او بعمل تناسب هندسي وان لم يكن محصوراً يحسب الميل في زمن ثالث بحيث ينحصر الميل المبيَّن بين اثنين من هذه الميول الثلثة. ويستخرج التاريخ المطلوب من عمليَّة تعديل ما بين السطرين

وقد اخترت لذلك سنتي ٢٢٥٠ و ٣٢٥ قبل الميلاد ومعلوم ان تاريخ الميلاد متقدم على تاريخ الهجرة النبوية ستمائة واثنتين وعشرين سنة شمسيَّة ثم حسبت كوكب الشعرى في هذين التاريخين فوجدت ان

مطالعهُ المستقيمة كانت في التاريخ الاول اي سنة ٢٢٥٠ ٥٤° ٥١َ ٢٥ً
وميلهُ كان ٢١° ٢٩َ ١٠ً جنوباً
ومطالعهُ المستقيمة كانت في التاريخ الثاني اي سنة ٣٢٥ ق م ٤٤° ٤٢َ ٣ً
وميلهُ كان ٢٥° ٢٣َ ٢١ً جنوباً

ولم اعتبر في هذا الحساب غير الحركة الحاصلة عن مبادرة الاعتدالين ولكن معاينة الارصاد الحديثة بعضها ببعض وبارصاد بطليموس يتضح ان لكوكب الشعرى حركة أخرى خاصة

بواسطتها يأخذ الكوكب في القرب من دائرة المعدل مع التناقص في الكمية تدريجاً حتى ان مقدار تلك الحركة من جهة ابتداء رصدها على حسب التقهقر في الزمان الحاضر غايتهُ الآن ١،٦١٦ من الثانية في السنة كما يعلم من مقابلة الارصاد الحديثة بعضها ببعض وكان قبل ثماني مائة سنة ١،٦٦٢ من الثانية في السنة على ما يستخرج من مقابلة الارصاد الحديثة بارصاد بطليموس التي تاريخها متقدم عن وقتنا هذا نحو ١٦٠٠ سنة وعلى هذا يكون فرق الحركتين ٠،٠٤٦ من الثانية في مدة ٨٠٠ سنة. وعلى فرض ان تغيُّر تلك الحركة جرى متصلاً على المقدار المتقدم آنفاً يستنتج بالحساب ان مقدارها كان نحو ٢،٣ الثانية قبل عصرنا بخمسة آلاف او ستة آلاف سنة فتكون الحركة المتوسطة في هذه المدة نحو ٢،٢ الثانية ولقصر مدة الارصاد الحديثة وعدم وجود ما يعوَّل عليهِ من الارصاد القديمة ولو بعيدة في العهد من زمن بناء الاهرام يضطرُّ الى الاعتماد على المقدار المتوسط وهو ثانيتان وعشر الثانية للتغير السنوي في ميل كوكب الشعرى اذ لا سبيل لمعرفتهِ بوجه اضبط من ذلك . على ان الخطاء الذي يحتمل صدورهُ عن فرض هذا المقدار المتوسط لا يزيد عن مدة قريبة من الزمن وهي قصيرة بالنظر الى بعد عهد تلك المباني

هذا وبما انا اخذنا سنة ١٧٥٠ بعد الميلاد اصلاً ومبدأً في حساب مقدار تقهقر الاعتدالين وبناء عليهِ حسبنا ميلي كوكب الشعرى لسنتي ٢٢٥٠ و ٣٢٥٠ قبل الميلاد كما تقدم وكان ما بين هذين التاريخين و تاريخ الاصل اربعة آلاف سنة للاوَّل وخمسة آلاف سنة للثاني لزم تكرار التغيُّر السنوي المتوسط اعني ثانيتين وعشري الثانية اربعة آلاف مرة وخمسة آلاف مرة . والناتجان — وهما درجتان وست وعشرون دقيقة واربعون ثانية ثم ثلث درجات وثلث دقائق وعشرون ثانية — يطرحان من ميلي الكوكب السابقين فيخرج من ذلك ١٩ درجة و ١٢ دقيقة ثم ٢٢ درجة و ٢٠ دقيقة وهما الميلان الحقيقيان لميل كوكب الشعرى في سنتي ٢٢٥٠ و ٣٢٥٠ قبل الميلاد باعتبار تقهقر الاعتدالين والحركة الخاصة بالكوكب معاً ويُعلم من بعد هذا ان التاريخ المطلوب متقدم سنين قليلة عن سنة ٣٢٥٠ قبل الميلاد لان مقدار الميل في تلك السنة ٢٢ درجة و ٢٠ دقيقة كما رأيت وهذا لا يختلف عن الميل المفروض الذي يراد معرفة تاريخهِ الا بمقدار عشر دقائق فلك اذاً ان تقول نسبة ثلث درجات وثماني دقائق (وهو فرق ميلي الكوكب في سنتي ٢٢٥٠ و ٣٢٥٠ قبل الميلاد) الى الف سنة (وهو فرق التاريخين) كنسبة عشر دقائق الى المجهول ومنهُ يُستخرج مقدار المجهول ثلاثاً وخمسين سنة تضاف الى ٣٢٥٠ سنة فيحدث ٣٣٠٣ سنين قبل الميلاد وهو التاريخ الذي كان فيهِ ميل كوكب الشعرى مساوياً اثنتين وعشرين درجة ونصف وذلك تاريخ بناء اهرام الجيزة واذا اضفت الى ذلك التاريخ ٦٢٢ سنة وجدت ٣٩٢٥ سنة وهو تاريخ بناء الاهرام في سنين شمسية قبل الهجرة النبوية

ثم ان هذا التاريخ لا يخلو من خطإٍ يسير ملازم له بالطبع لان خطأً بعض الدقائق في تعيين ميل وجوه الهرم او بعض انحراف طفيف في شكل وضعه وبنائه مع الخطإ الذي يحصل عن عدم اصابة المقدار الحقيقي للحركة الخاصة بكوكب الشعرى يحدث في تاريخ بناء الاهرام خطأً من مئة الى مائتي سنة. ولكن هذا الخطأ يسير جداً بالنسبة الى قدم عهد الاهرام الذي يبلغ ٣٢٥٠ سنة قبل الهجرة كما استخرجناه فلذلك لا نبالي به والتاريخ الذي استخرجناه مطابق لما كان عليه جمهور المتقدمين من مؤرخي المسلمين ولما جرى عليه متأخرو الافرنج ممن اشتغل بالآثار المصرية. فان ابن عبد الحكم والمسعودي والقضاعي والمقريزي وغيرهم من مؤرخينا يرون على ما استخرجته من كلامهم ان الطوفان كان في القرن الثامن والثلاثين قبل الهجرة وان الاهرام بنيت قبل الطوفان بثلثمائة او اربعمائة سنة. وابن يونس الفلكي وغيره من المنجمين يجعلون الطوفان في سنة ٣٧١٨ قبل الهجرة. وعلى كلٍّ فيكون زمن بناء الاهرام عندهم قريباً من ٤١٠٠ سنة قبل الهجرة وذلك لا يختلف عما وجدته بحساب الشعرى الا بنحو مائتي سنة

واما من جهة علماء الافرنج وخصوصاً من اشتغل منهم بالآثار المصرية فانهم استخرجوا تاريخ بناء الاهرام بطرق متعددة وعضدوها بتنقيحات سليمة ومباحث دقيقة ووصلوا الى نتائج مطابقة لما تقدم فان بنسن استخرج من بقايا كتاب منيتو ومن اراتوستين والقراطيس الأثرية المصرية المحفوظة في مدينة تورين بإيطاليا ومن الواح قدماء ملوك مصر وغيرها من الآثار الاثرية ان ما بين مينا او منيس باني مدينة منف وبين زمن اسكندر ذي القرنين ٣٥٥٥ سنة شمسية وان مدة حكم العيال الاربع الاولى الملكية ٥٧٠ سنة اعني ان نهاية العائلة الرابعة كان سنة ٢٩٨٥ قبل الاسكندر او سنة ٣٣١٠ قبل الميلاد. ولما كان بانيا الهرمين الكبيرين من اهرام الجيزة هما خيوفس وشفرن من ملوك العائلة الرابعة بالاجماع وكانت هذه العائلة قد حكمت ١٥٠ سنة فتكون الاهرام المذكورة قد بُنِيَت في القرن الثالث والثلاثين قبل الميلاد اعني نحو ثلاثة آلاف وتسع مئة سنة قبل الهجرة وهو مطابق لما حسبته عن موقع كوكب الشعرى. واذا راجعنا ما كتبه العالم بروغش في كتابه الشهير في الاثينكات والآثار المصرية وجدنا ان هذا العالم يرى ان باني مدينة منف متقدم عن الميلاد ٤٤٥٥ سنة وان انقراض العائلة الرابعة كان سنة ٣٤٠٢ قبل الميلاد وان الاهرام بنيت نحو ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد اعني سنة ٤١٠٠ قبل الهجرة. وذلك لا يختلف عن حسابي الا بنحو مائتي سنة. ففي هذا الاتفاق تأكيد لصحة ما رآه مؤرخو العرب والافرنج ودليل قوي على صحة ما استنبطته من الروابط والمناسبات بين الاشكال الهرمية والشعرى العبور وعلى ان الاهرام بنيت حقيقة نحو اربعة آلاف سنة قبل الهجرة لغرض ديني تعبدي ملائم لعبادة الكواكب

النباتات المصرية

واستعمالها طبّاً

للدكتور حسن باشا محمود

النبات جسمٌ عضويٌّ ينبت ويغتذي ويتنفس وينمو ويتناسل ويموت وهو يوجد في كل جانب من الارض مهما كانت درجة حرارته بشرط ان يكون قابلاً للزراعة مرويّاً بما يكفيه من الماء العذب قال تعالى «وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا» ومن النبات ما يعيش في الماء ويعرف بالنبات المائي ويوجد في كل جانب من الارض نباتات تنفع في معالجة الامراض التي تظهر فيها

نبات الخلّة

الخلّة نبت كثير الوجود في القطر المصري يشاهد في فصل الربيع منتشراً في حقول الحنطة والحمص والبرسيم والفول وغيرها وينبت فيها لاختلاط بزره بالبذار (التقاوي) فيزرع وينمو معها او لوقوع بزره في الارض قبل زرع الحبوب المذكورة والخلّة نبت سنوي من الفصيلة الخيمية يعيش في الربيع ويجف في الصيف جذره مغزلي مزين بألياف ذات قوام شعري وساقه ترتفع نحو متر عن الارض وهي اسطوانية مجوفة تحتوي نخاعاً ابيض وتتفرع بالازدواج والفروع تحمل اوراقاً خيطية خضراء متوالية مركبة وازهاره بيضاء خيمية الشكل وهي مركبة ومزينة من قواعدها بوريقات خضراء ورائحتها عطرية طيبة وثمره حق صلب وهذا النبت ينبت في جنوب فرنسا وقد اظهر الكيماوي ملوس الخوجه بمدرسة الاجزاجية بمونبيليه انه اذا حرق مئة جرام من الخلّة حصل منها ٩٫٢١ الجرام من الرماد وقد حلل الرماد المذكور فوجد فيه ما يأتي

٣٫٨٦٠	كلورور وكبريتات وفصفات وكربونات البوتاسا والصودا مع آثار من كلورور وكبريتات الجير والمانيزيا
٤٫٧١٩	من فصفات الكلس والمانيزيا واكسيد الحديد والمنغنيز
٠٫٦٣١	من السلس والفحم
٩٫٢١٠	المجموع

وفي هذا النبات مادة راتنجية ومادة دهنية ايضاً عدا عمّا ذكر وقد اكتشف فيه حضرة الكيماوي ابراهيم افندي مصطفى الخوجه بمدرسة الاجزاجية بمصر اصلاً فعّالاً سمّاه الخلين يشبه الاجسام الثلاثية العناصر ولا يتحد مع الحوامض فيكوّن املاحاً وهو ابيض اللون ذو بلورات ابرية حريرية مرّ الطعم جداً يذوب في الماء السخن اكثر مما يذوب في البارد وفي الكؤول

وقد استحضرهُ مكتشفهُ على هذه الكيفية اخذ مخلوطاً من اجزاء متساوية من مسحوق ثمر الخلة والجير المبلول بالماء ثم جففهُ وصبَّ عليه الكؤول وعصر المخلوط وجففهُ. ثم مزج المتحصل بالايثر وصفّاه وصبَّ عليه الماء الغالي ورشحهُ سخناً وتركهُ حتى برد فتكوّنت فيه بلورات اذابها في الحامض الخليك السخن. ثم ترك المذوّب حتى برد ورشحهُ فوجد فيه بلورات اذابها في الماء الغالي وترك مذوّبها فتكوّنت فيه بلورات هي الخلين الذي نحن بصدده

وقد ظهر من التجارب التي جرّبناها بالخلين على الحيوانات انهُ يؤثر فيها تأثير السموم المخدرة فيحدث فيها قيئاً وشللاً في اطرافها الخلفية ونعوظاً في حركات تنفسها وضربات قلبها

وقد اجرينا التجارب على هرّ فأعطيناه خلاصة الخلة وحدها حقناً ثلاثة دسيجرامات من مخلوطها وارنباً بدسيجرامين منهُ فلم نشاهد في واحد منها قيئاً ولا شللاً في الاطراف ولكن الارنب مات بعد اربع عشرة ساعة من حقنه فشرحناه فوجدنا مخهُ ونخاعهُ محتقنين ومعدتهُ وامعاءه منتفخة عما فيها من الغازات الكثيرة والقلب محتوياً على دم مائع ولم نستطع اعادة التجارب على الحيوانات العجماء لقلة المقدار الذي تيسر لنا من الخلين وسنعيدها ان شاء الله عند الحصول على ما يكفي منهُ. ولكننا جرّبنا الخلة نفسها في البشر مراراً عديدة فكان منها نتائج جيدة ناصعة جديرة بالتفات القراء اليها ولذلك نفصلها في ما يلي

كان الدكتور حسن باشا محمود، رحمه الله عليه، من نوابغ المصريين الذين تلقوا علوم الطب في اوربا في النصف الثاني من القرن الماضي وقد تولى ادارة مصالح الصحة العمومية ورأس مجلس الصحة البحرية والمدرسة الطبية وكان عضواً في الجمعية الطبية في مونبلييه وله في المقتطف مقالات طبية مفيدة نقتطف منها ما يلي
(١٨٤٧—١٩٠٦)

منافع الخلة في معالجة الامراض

لما كانت الخلة غير مذكورة بين الادوية في المادة الطبية الحالية فقد بذلنا الجهد في تجربتها لمعالجة الامراض فنجحت تجاربنا حتى صارت جديرة بالاعتبار واعية الفائدة كافية لجعل الخلة عقاراً من العقاقير المستعملة الآن. فلا يخفى ان الخلة قديمة الاستعمال عند بعض المصريين لتسليك الاسنان وهي في غاية المناسبة

لذلك لسببين الاول انها تنظف الاسنان من بقايا الاطعمة والثاني انها مقوية للثة ومزيلة للاملاح التي ترسب على الاسنان وتضر بها وذلك لوجود مواد ملحية ومادة مرة ومادة بلسمية في الخلة. وقد صح استعمالها معنا في معالجة الامراض الآتية على الوجوه الآتية

اولاً ورق الخلة — استعملناه ضماداً في الاورام الالتهابية للجلد والنسيج الخلوي تحته كالدمامل والخراريج الجيدة والفلغموني المحدود والتهاب الكعب وقد نجحت ايضاً في القوباء الحادة والمزمنة

ثانياً مغلي بزر الخلة — استعملناه مضمضة قابضة ومقوية في امراض الفم واللثة فأفاد فيها

ثالثاً بزر الخلة المدقوق مزجناه بزيت طيب او بالشيرج فكان دهاناً نافعاً في الالتهابات المفصلية وبعد الدهن به يغطى المفصل بالقطن او بالصوف

رابعاً مغلي بزر الخلة ايضاً — وجدناه طارداً لبعض الديدان المعوية ومضاداً للحميات الخفيفة المتقطعة

خامساً وقد نجح معنا مغلي بزر الخلة مراراً في معالجة الرمل البولي الكثير الحدوث في مصر سواء كان لتسكين الآلام الشديدة المصاحبة لهذا الداء او لازالة النوبة او لمنع تكرارها وكيفية الاستعمال هي ان يؤخذ درهم من البزر ويغلى في اربع اواق ماء ويصفى المغلي ويسقى ماؤه للمريض على ثلاث مرات الثلث صباحاً على الريق والثلث بعد الظهر والثلث قبل النوم مدة ثلاثة ايام متوالية ويتمنطق المريض بمنطقة من صوف ويحتمي عن اللحوم في اثناء تلك المدة

وقد استعملت خلاصة الخلة في شخص فنجحت وذلك اني اعطيته اياها حبوباً في كل حبة سنتيجرام واحد من الخلاصة وكان المريض يأخذ ثلاث حبوب الى خمس في الاربع والعشرين ساعة

وقد نصحت من بعض المرضى الذين هم عرضة للرمل البولي ايهم باستعمال مغلي بزر الخلة ثلاثة ايام في الشهر على الكيفية المتقدمة لم تعاودهم نوبة الرمل ولم يصبهم المغص الكلوي المسبب لهذا المرض وقد مضى عليهم الآن ثلاث سنين او اربع وهم سالمون منه مع انهم كانوا قبل استعمال الخلة يصابون بالنوبة مرة في كل سنة تقريباً . وقد استعملت مغلي بزر الخلة في معالجة البول الالبيومني فنجحت ايضاً . ولا بد من اقتصار المريض على اللبن غذاء والانقطاع عن غيره من الاغذية على كل حال

اما تأثير الخلة في الرمل البولي والحصى الكلوية فيفسر بأمرين اولهما ان الخلة تمنع تكون الرمل بما فيها من الاملاح والآخر انها تسكن الالم الشديد الذي يحدث في مجاري البول في الكليتين والحالبين بما فيها من الخلين الذي هو جوهر مسكن كالجواهر المخدرة كما ثبت بالتجارب وبسبب وجود المادة الراتنجية في الخلة يلطف تهيج مجاري البول في هذا المرض هذا وسنذكر نفع الخلة في معالجة امراض اخرى متى تأكدنا نجاحها والله التوفيق

الليمون الحامض (البلدي)

الليمون شجرة من الفصيلة الليمونية كثير الوجود في القطر المصري وغيره واوصافه معروفة عند الجميع فلا داعي لذكرها ويستعمل منه خلاف الاوراق والازهار والأثمار فالاوراق تستعمل منقوعها في الحمامات العطرية ومنه المجموع الوعائي للعظم وتقوي البنية في الامراض العصبية والانيميا . والازهار يستخرج منها بالتقطير مع الماء ماء عطر يسمى ماء الزهر وهو كثير الاستعمال شربا في حالات اضطرابات القناة الهضمية والدوار . ويدخل في المركبات المنبهة وفي بعض الاشربة . والثمر يستخرج من قشره زيت طيار طارد للديدان ويصنع من بزوره مسحوق لطرد الديدان ايضاً ويستخرج من لبه عصارة حمضية وهي عصارة الليمون وفيها كلامنا الآن

تستخرج هذه العصارة بعصر الليمون باليد او بآلة مخصوصة وفي كل مائة جزء من عصارة ١٫٧٧ من الحامض الليمونيك و ٠٫٧٢ من اصل من وصمغ وحامض ماليك و٩٧٫٥١ ماء

وهي حمضية بسبب الحامض الليمونيك الذي فيها وهذا الحامض ثلاثي القاعدة ويستحضر من العصارة بطريقة سهلة وهي ان تترك العصارة مدة ثم ترشح وتمزج بالكلس (جير) وتسخن فيتحد الحامض الليمونيك بالكلس ويتكون منه ملح غير قابل للذوبان فيجمع ويغسل بالماء الساخن ويعالج بالحامض الكبريتيك فيتكون كبريتات الكلس الذي لا يذوب فيرسب ويرشح فيستخلص منه الحامض الليمونيك ثم يتصعد على نار حتى تتكون على سطحه طبقة بلورية ويترك حتى يبرد بالتدريج فيتبلور كله . وعند ما يراد استعماله يذاب الجزء منه في نحو خمسين جزءا من الماء ويستعمل كالعصارة او يزاد مقداره عن ذلك بحسب قول الطبيب

ويمكن حفظ عصارة الليمون سنة من الزمان وذلك بمعالجتها على هذه الصورة يجمع الليمون الناضج بعد ان يشرب منه النيل ويترك ٤٨ ساعة ثم يغسل ويقطع ويعصر في اناء من الخزف وتترك العصارة فيه ١٢ ساعة لتروق فتصفى وتوضع في قنان مسدودة وتترك ثلاثة ايام ثم تصفى ثانية وتوضع في قنان حتى تملأها تماما وتسد القناني بسدادات محكمة تصل الى العصارة وتترك كذلك فتبقى صحيحة سنة من الزمان . وتعصر الليمون معشراً او غير معشر وعصارة الليمون غير المعشر انفع في امراض القناة الهضمية ويمكن تركيز هذه العصارة بتصعيدها على نار هادئة فيقل حجمها ويسهل نقلها . ويحذر من وضع العصارة في آنية نحاسية لانه يتكون منها ملح نحاسي سام

تستعمل عصارة الليمون صرفاً او ممزوجة بالماء او بالالكحول او بادخالها في الاقراص او الاشربة . من ذلك الليمونات (ليموناده) المستعملة للتبريد والترطيب وتقوية المعدة على الهضم وقطع الاسهال واذ استعملت لقطع الاسهال تمزج بمدقوق البن او بمنقوع الشاي

وتستعمل في الحميات المتعفنة والتيفوئية والحمى المعدية واذا وضع مقدار من العصارة في

فنجان قهوة وشربها المحموم قبل النوم عرق عرقاً غزيراً واخصب احلى او زبت . وتستعمل ايضاً في الحميضة مسكنة ومزيلة للقيء . وفي معالجة داء الحمر فتشرب ويدهن بها الفم . وفي معالجة الجدري وداء المفاصل . واذا قطع الليمون وسحق قليلاً ووضعت قطعة على مكان به الم عصبي ازاله فهو كثير الاستعمال في الصداع وفي التهاب اللوزتين . وقد اثبتت لنا التجارب نفع هذه العصارة في الذبحة الحلقية الغشائية (اي الدفتريا) والخناق وفي الرمد الصديدي والحبوبي الحاد والنزلي وفي العوباء الحادة . وارشدنا الى استعمالها في الذبحة الحلقية والرمد الصديدي المصري والرمد الحبوبي الحاد كونها قابضة ومضادة للعفونة وكاوية كيماوية للسطح المخاطي المتسخ

لا يخفى ان الذبحة الحلقية على انواع واشدها خطراً الغشائية والخانقة وقد استعملنا عصارة الليمون في الذبحات البسيطة وفي هذين النوعين ايضاً فعالجنا بها ستة اطفال سنهم بين ثلاث سنوات وسبع . ثلاثة منهم كانوا مصابين بالذبحة الحلقية الغشائية واربعة بالذبحة الخانقة فكنا نغمس فرشة بعصارة الليمون ونمس بها الحلق اربع مرات في اليوم مرة كل ثلاث ساعات ثم نغرغر الطفل كل نصف ساعة بغرغرة من الماء وعصارة الليمون النقي ومن لم يستطع التغرغر منهم اعطيناه اقراص كلورات البوتاسا قرصاً كل ساعة ووضعنا لبعضهم لبخاً ملينة من الظاهر وللبعض قطعاً من الليمون المسحوق فشفوا كلهم بعد ان عولجوا نحو اسبوع

واما الرمد الصديدي المصري والرمد الحبوبي الحاد الشديد الخطر والعدوى الكثير الحدوث في القطر المصري فعالجنا كثيرين من المصابين بهما كباراً وصغاراً في مستشفى الجزاوي فشفوا جميعاً

وطريقة العلاج هي ان تقلب الاجفان وتنظف بالقطن الجديد النظيف ونمس الملتحمة الجفنية والبصلية مرة او مرتين كل اربع وعشرين ساعة بفرشة مغموسة في عصارة الليمون الجديدة المصفاة ثم تغسل العين بماء ممزوج بعصارة الليمون (كوبة ماء وعصارة ليمونة واحدة) كل ساعة بعد تنظيف الاجفان من الصديد بقطن نظيف . وقد قضت الحال احياناً لارسال علق على الصدغين او اعطاء ملين بحسب شدة المرض والاحتقان الملتحمي هذا ما اكتشفناه حتى الآن وقد اكتشفنا فوائد اخرى لهذه العصارة سنذكرها عند ما نتأكد تأثيرها افادةً للعموم

الحلبة

الحلبة كثيرة الوجود في الديار المصرية ولم تذكر بين النباتات الطبية المستعملة في اوربا ولكن اطباء العرب استعملوها وذكروها في كتبهم . وهي نبات حشيشي سنوي من ذوات الفلقتين ذو جذر مغزلي دقيق وساق اخضر حشيشي عقدي مجوف الباطن مستدير في طرفه السفلي ومربع في العلوي ويتفرع من كل عقدة من الساق ذنب عقدي فيه ورقة مركبة من ثلاث وريقات قلبية الوسطى منها اكبر من الجانبيتين . ويخرج احياناً من اباط بعض الاوراق اوراق

ثانية اقل حجماً من الاولى والازهار فراشية انهائية يصاد كأسها اسطوانية خضراء ذات خمسة فصوص سهمية مسننة مغطاة بوبر . والتويج ابيض مؤلف من ورقة عليا كبيرة منقسمة الى فصلين ومن ورقتين سفليتين صغيرتين عليهما وبر احمر . والمبيض كثير المساكن والثمر قرني له مصراعان ومساكن عديدة وفي كل مسكن بزرة مصفرة وفي هذه البزور مادة عروية ملينة ومادة مرّة ومادة نشوية واملاح وكلما جفت النبات زادت المادة المرّة

استعمال الحلبة غذاء — تؤكل الحلبة خضراء في ايام الشتاء والذي يؤكل منها الاوراق والازهار والجزء العلوي من الساق والاهالي يأكلونها مع الخبز كما يأكلون الفجل والجرجير وتقلى بالملح والفلفل والزيت والخل سلطة ويحكى طبخها كغيرها من الخضر وطعمها حينئذٍ كطعم الخبيزى المطبوخة اما بزرها فكثير الاستعمال في القطر المصري طعاماً يضاف دقيقه الى دقيق الذرة ويصنع منها الخبز الجيد

استعمال الحلبة علاجاً — تصنع من الحلبة الخضراء ضمادات ملينة مصرفة لبعض الاورام واذا أفرط في اكلها أحدثت ليناً وإدراراً خفيفاً في البول دعيتُ مرة لمعالجة شخص مصاب بالحدار المفصلي المزمن فاستعملت له الادوية الخاصة بالحدار ولم يشف وكانت الاغذية الحيوانية تضره فوصفت له الحلبة مع الخبز ومنعته عن احد الادوية فأحدثت له الحلبة ليناً وادراراً في البول وزالت آلام مفاصله وصار قادراً على المشي ولم يمض عليه زمن طويل حتى نقه فأشرت عليه بالذهاب الى الارياف لتغيير الهواء . وامتحنت ذلك في مريض آخر فنجحت ثم دعيت لمعالجة امرأة مصابة بالتهاب في مفصل الركبة اليمنى فامرتها باستعمال لبخة من الحلبة الخضراء وبأكل الحلبة نفسها فاستفادت من ذلك كثيراً وبزور الحلبة الجافة كثيرة الاستعمال والمنافع فان علابتها المصفاة تنفع غسولاً في الارماد وشربها يصفي الصوت ويسكن السعال في النزلات الشعبية ويدر البول ويقوي المعدة . وتستعمل في الدوسنطاريا شرباً وحقناً ومطبوخها بالعسل مع التمر والتين نافع في امراض الصدر ومع الخل نافع في الاسهال ودهن الورد مع الحلبة يقوي الشعر ويزيل النخالية (الهبرية) ويصنع من دقيقها لبخة مثل اللبخة المصنوعة من بزر الكتان . وعلابتها المحلاة بالعسل تستعمل شرباً للنساء وقت النفاس فتكون غذاء مقوياً وتساعد الرحم على قذف ما فيها من المواد الدموية والمصلية . والقوابل في القطر المصري يصنعن من بزرها سدادة يضعنها في المهبل امام عنق الرحم ويبقينها فيه ٢٤ ساعة لاجل امتصاص ما في الرحم عند ضعفها لاجل لايتحصل الحمل ويستعملن علابة الحلبة غسولاً للنساء وقت النفاس . والفلاحون يدهنون بها البلاط الجديد ضد فرشه ويظهر من ذلك كله ان الحلبة كثيرة المنافع وتستحق ان تذكر بين النباتات المستعملة طباً ولاسيما في القطر المصري لكثرة وجودها فيه وبخس ثمنها

من اربعين سنة
في المقتطف

الباب والبابية

للسيد ميرزا فضل الله الايراني

لا يخفى ان المؤسسين للبابيَّة رجلان شهيران من اهل الشرق وهما الباب وبهاء الله . أما الباب فهو شاب شريف من أهل شيراز عاصمة فارس اسمهُ ميرزا علي محمد ولد في غرة محرم سنة ١٢٣٥ هجرية من عائلة معروفة بالسادة الحسينية من اهل التجارة وتوفي والده ميرزا محمد رضا قبل فطامه وربي هو في حجر خاله الحاج مير سيد علي التاجر الشيرازي . وكان من طفوليته مواظباً على العبادات مداوماً على الصلوات فلما ترعرع وشبَّ اشتهر بالتقوى والورع وكان جميل الوجه كثير الوقار ظاهر المهابة بادي النجابة . واشتغل بالتجارة مع خاله المذكور في مدينة بوشهر وشيراز . وسافر قبل اظهار دعوته الى العراق لزيارة مشاهد الائمة كما هو معهود من الشيعة ومكث في العراق اقل من خمسة اشهر وهناك كان اول اشتهار اسمهِ بين الجمهور

فلما رجع إلى شيراز وبلغ سنَّ الخامسة والعشرين ادعى انهُ الباب (١) وذلك في الخامس من جمادى الاولى سنة ١٢٦٠ هجرية وأول من صدقهُ وآمن بهِ ملاَّ حسين الشهير الملقب عند البابية بباب الباب وهو من أهل بُشْرُوْيه من بلاد خراسان وهكذا تتابع عليهِ حتى بلغ عددهم ١٨ نفساً سماهم بحروف حي (٢) وأمرهم بالتوجه إلى بلاد ايران والعراق وتبشير العباد بظهوره ودعوتهم الى اتباعهِ وحثهم على كتمان اسمهِ حتى يعلنهُ هو بنفسهِ في وقتهِ

وتفنن المفسرون لاسم الباب كلٌّ على ما توهمهُ رجماً بالغيب كما يستفاد مما ذكرتهُ الجرائد المصرية حديثاً فبعضهم فسره باب العلم وبعضهم باب السماء وبعضهم باب الحقيقة ولكن المستفاد من كتبهِ « انهُ هو القائم المنتظر قرب زوال التقليد العتيد ودخول العالم في دور جديد » وهذا اشتهر اتباعه بالبابية وذاع صيتهم بهذا اللقب في الممالك الاسلامية

ولما اتى موسم الحج توجه الى مكة وبعد فراغه من اعمال الحج اعلن دعوته في الجمع الكبير فاشتهر اسمهُ وذاعت دعوتهُ وعلا صيته ورجع الى ايران ونزل في مدينة بوشهر على

(١) الباب عند الشيعة نائب المهدي المنتظر (٢) لان عددهم بالابجدية ١٨

خديج النجم فقبض عليه والي فارس حسين خان الملقب نظام الدولة وبقي محبوساً في مدينة شيراز عدة شهور حتى حدث في بلاد فارس وباء شديد فر اكثر الاهالي وغفلوا عن حراسته فرجع الى بيته وسافر الى اصفهان ونزل في بيت امام الجمعه مير سيد محمد الملقب بسلطان العلماء وكان والي اصفهان اذ ذاك الامير الشهير معتمد الدولة منوجهر خان فانجذب من حسن بيانه وبيان ابيه واعتقد به وكتب الباب حينئذ كتابه الموسوم بالنبوة الخاصة في خصائص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بطلب منه وكتب ايضاً كتابه الموسوم بتفسير سورة الكوثر بطلب سلطان العلماء

وكان الباب يرتجل في خطبه ورسائله حتى قيل انه كان يكتب في اربع ساعات الف سطر بالعربية او الفارسية على غاية من جودة الخط وحسن الاسلوب . ووقع بينه وبين العلماء مناظرات اكثرها مدون في الكتب التاريخية فأدهشهم بقوة قريحته وسرعة قلمه وحسن بيانه فحدث بين العلماء اختلاف كبير في امره وهيجان شديد فمنهم من صدقه وآمن به مثل محمد تقي المدرس الهروي وحبيب الله العلوي ومنهم من حكم بجنونه مثل مير سيد محمد واتباعه والاكثرون افتوا بتكفيره ووجوب قتله مثل محمد مهدي الكلباسي واضرابه . فنقله الوالي من بيت سلطان العلماء الى بيته واخفاه واظهر انه ارسله الى طهران بأمر المرحوم محمد شاه فبقي مختفياً في بيت منوجهر خان حتى توفي وتولى ابن اخيه ميرزا كركين خان على اصفهان فأرسل الباب بأمر المرحوم محمد شاه الى طهران فلما صار على نحو مرحلة من طهران ارسلوه الى آذربايجان وبقي محبوساً في جهريق وماكو وهما قلعتان من قلاع آذربايجان حتى توفي المرحوم محمد شاه وجلس على تخت ايران جلالة ناصر الدين شاه وفي اثناء ذلك اشتدت الخصومة بين اتباع الباب وعلماء ايران وولاة البلاد فقاموا يداً واحدة على البابيين واتفقوا على لزوم ابادتهم فاشتبكت الحرب بينهم في بلاد مازندران وزنجان وتبريز

وخلاصة هذه الوقائع ان ملا حسين المذكور آنفاً سار مع اصحابه من خراسان قاصدين كربلا من بلاد العراق ولحق بهم الحاج ميرزا محمد علي المازندراني الملقب عند البابية بالقدوس وملا محمد صادق الخراساني الملقب عند الشيعة بالمقدس وهما من العلماء المشهورين فعقدوا اعلاماً سوداً ورحلوا فلما وردوا الى ساري عاصمة مازندران حكم ملا سعيد اكبر علماء البلد بوجوب محاربة البابيين وابادتهم . فالتجأوا الى مقبرة الشيخ الطبرسي احد العلماء المشهورين وحصنوها وقاموا بمدافعة وكان عدد البابيين ٣١٣ نفساً وحصل بينهم مناوشات كان الفوز فيها للبابيين . فصدر الامر من الدولة لعباسقلي خان السردار اللاريجاني بمحاربة البابيين فحصرهم هو ومهديقلي ميرزا والي مازندران بالمدافع والجنود المنتظمة فأوقع بهم البابيون وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فتتابعت عليهم العساكر والمدافع واشتد الحصار وقتل في اثنائها رئيسهم ملا حسين واشتد عليهم الجوع

واخيراً أمنهم الوالي والسردار وخرجوا وسلموا اسلحتهم فحطت بهم العساكر وقتلوهم بالرصاص جميعاً الا رئيسهم الملقب بالقدوس وبعض خواصه فارسلوا الى مدينة ساري وقتلهم ملا سعيد كبير العلماء بتفاق لطلبه واحرق جثتهم

وكذلك في مدينة زنجان اشتد الخصام بين البابية وعلماء الشيعة وكان زعيم البابيين الحاج ملا محمد علي الزنجاني احد العلماء المشهورين وكان الوالي امير اصلان خان الملقب بمجد الدولة خال ناصر الدين شاه فصمم الوالي باغراء علماء الشيعة على إبادة البابية واشتبك القتال بينهم واشتد الامر على الوالي فارسل إلى طهران فارسلت له العساكر والمدافع حتى قتل زعيم البابيين وفني رجاله عن آخرهم وارسلت بقية منهم الى طهران فقتلوا هناك . وفي مدينة نيريز من مدن فارس اشتبكت الحرب بين الحزبين وكان رئيس البابيين العالم الشهير السيد يحيى الداراب ابن السيد جعفر الكشفي صاحب المصنفات كسنارق وتحفة الملوك وغيرها . فآل الامر الى قتل السيد يحيى واصحابه بعد تأمينهم

فلما توفي المرحوم محمد شاه سنة ١٨٤٨ ميلادية وجلس على التخت جلالة ناصر الدين شاه في العاشر من سبتمبر من تلك السنة كانت ايران اذ ذاك مصدر القلاقل والفتن بسبب سوء تصرف اتراك الايروان المستولين على المناصب في صدارة حاجي ميرزا آقاسي وعصى والي خراسان محمد حسن خان الملقب بسالار العصيان على الدولة وادعى الملك وعقد صلحاً مع امراء افغان وبخارى وتركمان وازدادت هذه القلاقل بظهور البابية وما وقع بسببهم من الحادثات الدموية . فعزم ميرزا تقي خان الصدر الاعظم على قتل الباب وظن انه يتمكن من ابادة البابية بقتل رئيسهم فاصدر أمراً بقتله إلى حشمة الدولة حمزه ميرزا والي تبريز وهو عم جلالة ناصر الدين شاه فأبى هذا وقال « يا سيدي وحافظ أملي فاني كنت آملاً من دولة ايران تأمرني بمحاربة دولة من الدول الكبيرة وما ظننت أبداً انها ستأمرني بقتل أحد أتقياء اولاد الرسول الذي ما فاته منه نافلة من النوافل الدينية ولا أدب من الآداب العالية الانسانية » فامر الصدر الاعظم أخاه ميرزا حسن خان رئيس عساكر اذربيجان بقتل الباب معلقاً في ميدان مدينة تبريز وقتل بالرصاص في ٢٨ شعبان سنة ١٢٦٦ هجرية . فلما قتل الباب زاد اشتهار تعاليمه وكذلك زاد اضطهاد اتباعه. واشتهر من بعض رؤسائهم دعاوى مختلفة من قبيل النبوة والوصاية والولاية والمرآتية وامثالها فاختلفت آراؤهم وتشتت اهواؤهم وسقط كثير منهم في الضلالات وانهمك بعضهم في المنكرات والموبقات وزاد الطين بلة ان اطلق شاب اسمه محمد صادق التبريزي رصاصة على جلالة ناصر الدين شاه سنة ١٨٩٦ ميلادية حينما خرج جلالته للصيد من قصره في قرية نياوران وهي على ساعتين من طهران فاشتد الامر في طهران وسائر البلاد على البابيين فقبضوا على المتهم والبريء والمطيع والعاصي وقتلوا كثيرين منهم باشد انواع القتل وافظعها

ومن جملة من قتل في هذه الحادثة المرأة الشهيرة قرة العين وهي بنت حاجي ملا صالح أكبر علماء قزوين وكانت الاعجوبة عصرها في العلم والفصاحة وحسن البيان وطلاقة اللسان وكانت منتمية الى الشيخية مكبة على مطالعة الكتب الكلامية فلما ظهر الباب وانتشرت رسائله اعتنقت مذهبه وصارت من أعظم انصاره وكانت اذ ذاك في مدينة كربلا فناظرت علماءها فافحمتهم بقوة فصاحتها وغزارة علمها فحدث هيجان عظيم بين علماء العراق فاضطرت ان تمضي الى بغداد ونزلت مع بعض خواصها وحاشيتها في بيت ابن الالوسي الشهير مفتي بغداد (وهو مصنف كتاب تفسير روح المعاني المطبوع في بولاق) ومكثت في بيته نحواً من شهرين وناظرت علماء بغداد فرفضوا حجتها على الاستانة فرجعت الى ايران بأمر السلطان المرحوم عبد المجيد حتى فلما بلغت ايران ناظرت علماء كرمانشاه وهمدان ووردت الى قزوين وسكنت في بيت والدها حتى قتل عمها في قزوين فمضت الى طهران ونزلت في بيت الشارع الشهير بهاء الدين . فقبض عليها بعد مدة وبقيت محبوسة في طهران حتى حدثت حادثة سنة ١٨٩٦ ميلادية كما ذكرنا آنفاً فماتت خنقاً والقيت جثتها في بئر الجنينة المعروفة بباغ ايلخاني

قال ابن الالوسي « العربية اصحاب امرأة اسمها هند وكنيتها ام سلمة ولقبها قرة العين لقبها بذلك السيد كاظم الرشتي في مراسلاته لها وهي ممن قلدت الباب بعد موت الرشتي ثم خالفته في عدة أشياء منها التكاليف فقيل انها كانت تقول برفع التكاليف بالكلية وأنا لم احس بشيء من ذلك مع أنها بقيت في بيتي نحو شهرين وكم من بحث جرى بيني وبينها ورفعت فيه التقية وقد رأيت فيها من الفضل والكمال ما لم اره في كثير من الرجال وهي ذات عقل واستكانة ومزيد حياء وصيانة وقد ذكرنا ما جرى بيننا من المباحثات في غير هذا المقام واذا وقفت عليه تبين ان ليس في فضلها كلام » الى آخر قوله . وقد خلف الباب رسائل كثيرة وكتباً مدونة بالفارسية والعربية منها ما ذكرناه ومنها الرسالة العدلية في الفرائض الاسلامية ومنها تفسير سورة البقرة واحسن القصص وكتاب اسماء كل شيء ومنها البيان الفارسي . واورد عليه اعداؤه ان كلامهُ خارج عن الفصاحة وفيه ما يخالف القواعد النحوية وقيل انه لما انتقدوا عليه هذا الانتقاد اجاب بأن الكلمات كانت مقيدة فلما ظهر أطلقها من القيد .. ولكني رأيت في كتاب البيان انهُ اجاب عن هذا الايراد اولاً بأنهُ ما قرأ النحو والصرف وما تعلم في المدارس وما ادعى انهُ من اهل العلم بل انهُ شاب فارسي امي مأمور من ربه ملهم بمعارفه . وثانياً بأن منكري القرآن انتقدوا على رسول الله عليه السلام بامثال هذه الانتقادات واستشهد ببعض الآيات القرآنية التي انتقدوا عليها بأن فيها ما هو مخالف للقواعد النحوية والاصول اللغوية والحق يقال ان كتب الباب وبهاء الله ورسائل فرعه الكريم عباس ليست مما ينتقد عليها بأمثال ذلك

وللباب حسابات دقيقة ليس هنا مقام تفصيلها مثلاً عبر عن العدد ١٩ بالواحد تطبيقاً على حساب الابجدية وحاصل ضربه في نفسه بعدد كل شيء وبنى على هذا العدد تواريخ ايامه وطبقات اصحابه وتبويب كتبه والسنن والآداب المنسوبة الى طريقته. وبهِ احكام صعبة صارمة فما يمكن ان يعمل بها نقحها وأصلحها بهاء الله كما سيجيئ. واما بهاء الله واسمهُ ميرزا حسين علي فولد في ٢ محرم سنة ١٢٣٣ هجرية ووالده ميرزا عباس الملقب بزرك النوري كان من كبار وزراء دولة فتح علي شاه وعائلته النورية من العائلات الشهيرة في بلاد ايران

فلما قام الباب واشتهر ذكره صدقهُ بهاء الله فاشتد به ازر البابيين وعلت كلمتهم وكثرت جماعتهم وانتشرت تعاليمهم في طهران ومازندران وكان بينهُ وبين الباب مراسلات سرية كان الواسطة فيها ميرزا عبد الكريم القزويني كاتب ألواح الباب. فلما حدثت حادثة سنة ١٨٩٦ م كاد كرنا قبض على بهاء الله وسجن نحو اربعة اشهر وحوكم بمحضر جمع من الوزراء وكان سفير روسيا يدافع عنهُ فلما ثبتت براءتهُ من تهمة الاتفاق مع الخارجين على الشاه امر الشاه بالافراج عنهُ وابعاده الى العراق فخرج من طهران مصحوباً ببعض عساكر ايران رافقهُ بعض فرسان سفارة الروس حفظاً لهُ من الاغتيال في الطريق حتى ورد بغداد سنة ١٨٩٧ م

ولما اقام في بغداد اشتد ازر البابيين به وطابت خاطرهم بوروده فانهُ كان على جانب عظيم من الوقار والمهابة والدعة. فأخذ في تهذيب ما فسد من اخلاقهم واصلاح ما انحرف من اعمالهم وأجمع كلمتهم وأشهر دعوتهم فطار صيتهُ وانتشرت رسائله. وطالت اقامتهُ في العراق نحو ١٢ سنة حتى ظهرت حرارات وضغائن في صدور بعض الايرانيين المقيمين في العراق واشتعلت بين الحزبين نار العداوة والشقاق فآل الامر الى ارسال بهاء الله الى الاستانة بأمر السلطان عبد العزيز خان وبعد ما مكث فيها نحو اربعة اشهر أمر بالمسير الى مدينة ادرنه من بلاد روملي فتوجه اليها واقام فيها نحو خمس سنين وجدَّ في نشر تعاليم البابيين حتى تكررت العداوة وتكررت الشكاية فصدر الامر بنفيه الى عكاء من بلاد الشام فتوجه اليها مع اهل بيته وخدامه

ولم يثنِ عزمهُ عن تقدم تابعيه وتهذيب اخلاقهم مع ما لحقهُ من الاضطهاد فسنَّ لهم سنناً عادلة وقرر آدابهم بمواعظ حسنة ووشح رسائله التي زادت عن الالف عدة بأحسن المواعظ والنصائح وزينها بأجمل الامثال والشواهد. ففرض عليهم تربية الاطفال ذكوراً واناثاً بالعلم والادب والاهتمام بتعميم المعارف وتوسيع نطاقها حتى قيل انهُ ادخل المعلمين في طبقات الورثة وكذلك فرض عليهم الاشتغال بالصناعة والتجارة ونهاهم عن الكسل والبطالة وأمرهم بحب الخلق على اختلاف مذاهبهم وأديانهم وعلمهم ان الاديان شرعت للمحبة والوفاق فلا يجعلها سبباً للعداوة والافتراق. وحثهم على اطاعة الملوك والرضوخ للقوانين الدولية ومنعهم من الدخول

في الامور السياسية وصرَّح في كتبهِ أن سلطة الملوك سلطة سماوية ومنحة الهية . ولذا منعهم عن التكلم بالسوء في حق الملوك والامراء وفرَّق بين المعاملات والعبادات فأرجع حكم العبادات الى الكتاب وحكم المعاملات الى المحاكم المدنية ونهى عن تأويل الكتاب وكذلك منعهم عن الغش والسب والشتم والغيبة والافتراء والقتل والزنا وعن كل ما يخالف الانسانية ويحدث القلق والاضطراب في الهيئة الاجتماعية حتى منعهم عن حمل الاسلحة الا بإذن الدولة ومنعهم عن المتعة والتسري وأمرهم بالاكتفاء بزوجة واحدة وان لا يتجاوز اثنتين سنة وصعب عليهم الطلاق وعدم الصوم والصلاة والحج والزكاة على حسب ما فصل لهم في الكتب الدينية فنجح في بث تعاليمه وتحسين اخلاق شعبه الى ان توفي في ١٦ ايار سنة ١٨٩٢ م موافقاً ثاني ذي القعدة سنة ١٣٠٩ ﻫ

وأول من دوَّن وقائع البابية هو ميرزا تقي المستوفي الكاشاني الملقب بلسان الملك مصنف كتاب ناسخ التواريخ فانه ذكر في تاريخه المخصوص بالقاجارية واقعة ظهور الباب وحوادثها موافقاً لما اشتهر عنها عند اعداء البابيين فنسبهم الى الفساد والالحاد وذكر عنهم اموراً تنفر منها القلوب وتشمئز منها النفوس . لانهُ في ايام اضطهاد البابيين اجتهد المعاندون لهم في بث المفتريات عليهم ورموهم بالاباحة وفساد الاخلاق فاتهموا قبيحاً الأ نسبوه اليهم ولا رذيلة الأ وصموهم بها فأشكل امرهم على الاوربيين فقام جماعة من اهل الفضل والانصاف منهم لكشف عقائد البابية ومعرفة عاداتها منهم العالم الفاضل مستر برون معلم اللغات الشرقية في كمبردج سافر الى ايران سنة ١٣٠٥ هجرية وعاشر البابيين واخذ شيئاً من كتبهم وسافر من ايران الى الشام ودخل عكاء ولقي بهاء الله ثم رجع الى اوربا ونشر ما رآه في المجلات العلمية وكذلك الاستاذ البارون روزن احد الاساتذة في مدارس بطرسبرج ترجم بعض رسائل بهاء الله ونشرها في بلاد روسيا وسائر اوربا ومنهم السكاتب الكسندر تومنسكي احد الضباط سافر الى مدينة عشق آباد ومنها الى ايران وعاشر البابيين وعرف عاداتهم واخلاقهم وشرع في تأليف تاريخهم . وكذلك قام بعض افاضل الشرقيين لتدوين وقائعهم منهم ميرزا محمد حسين الهمداني صاحب كتاب التاريخ الجديد . وهذا سافر مع جلالة ناصر الدين شاه في سفره الاول الى اوربا وعند عودته اتى الاستانة وعرف شيئاً عن الطريقة البابية . فلما رجع الى ايران صنف تاريخه المذكور وترجم الى الفرنسوية والانكليزية في اوربا ومنهم المؤرخ السائح ابو الفضل محمد ابن محمد رضا الجرفادقاني نزيل بخارى مصنف كتاب فصل الخطاب وأما لسان الملك المذكور صاحب التاريخ الكبير ناسخ التواريخ فقد عدَّل لهجتهُ نوعاً في هذا الكتاب عند ذكر حوادث البابيَّة وما كتبهُ عن وقائع البابيَّة في اصل ناسخ التواريخ اقرب الى الحقيقة مما كتبهُ في المجلد المخصوص بالقاجارية . وستكشف الايام من غرائب وقائع البابيَّة ما سترته الاغراض السياسيَّة

من خمس وثلاثين
سنة في المقتطف

التربية والحجاب

لقاسم امين

لو لم يكن في الحجاب عيب الا انه منافٍ للحرية الانسانية وانه ضار بالمرأة الى حيث يستحيل عليها ان تتمتع بالحقوق التي خولتها لها الشريعة الغراء والقوانين الوضعية فجعلها في حكم القاصر لا تستطيع ان تباشر عملاً ما بنفسها مع ان الشرع يعترف لها في تدبير شؤونها المعاشية بكفاءة مساوية لكفاءة الرجل وجعلها محجبة مع ان القانون يعترف لها من الحرية بما يعترف للرجل . لو لم يكن في الحجاب الا هذا العيب لكفى وحده في مقته وفي ان ينفر منه كل طبع غرز فيه الميل الى احترام الحقوق والشعور بلذة الحرية . ولكن الضرر الاعظم للحجاب فوق جميع ما سبق هو انه يحول بين المرأة واستكمال تربيتها

اذا تقرَّر ان تربية المرأة من الضرورات التي لا يمكن أن يستغنى عنها فما هي التربية التي تناسبها ؟ هل يناسبها تربية كتربية الرجل او تخص بتربية اخرى ؟ وهل يمكن تربيتها مع الحجاب اولا بدَّ فيها من ابطاله ؟ وهل يصح بناؤها على قواعد تؤخذ من العلوم الغربية الحديثة او يُرجع فيها الى اصول المدنية الاسلامية القديمة ؟

●●●

في المسألة الاولى . لا نجد من الصواب ان تنقص تربية المرأة عن تربية الرجل . اما من جهة التربية الجسمية فلأن المرأة محتاجة الى الصحة كالرجل فيجب ان تتعوَّد الرياضة كما تفعل النساء الغربيات اللواتي يشاركن اقاربهنَّ الرجال في اغلب الرياضات البدنية . ويلزم ان تعتاد ذلك من اول نشأتها وتستمرَّ عليه من غير انقطاع والا ضعفت صحتها وصارت عرضة للامراض . ذلك لأن النواميس الطبيعية تقضي بضرورة التوازن بين ما يكسبهُ الجسم وما يفقدهُ بحيث لو اختلَّ هذا التوازن فسدت الصحة واختلَّ نظامها . والامراض التي تصيب الانسان بسبب اهمال

استعمال قواه الحسية ليست بأقل عدداً ولا أخف ضرراً من الامراض التي تصيب من يفقد قوته ولا يعوض بالتغذية ما فقد منها . ثم ان ما تعانيه المرأة من الآلام والمشقات حين الولادة في مرة واحدة ربما يزيد على ما يعانيه الرجل من المتاعب طول حياته ولا يحتمله من النساء الا قويات المزاج صحيحات الاجسام كنساء القرى المتعودات العمل البدني المتمتعات بالهواء النقي أما نساء المدن المحرومات من الحركة والتمتع بالشمس والهواء فلا قدرة لهن على احتمال هذه المشقات ولذلك فان اكثرهن يمشي عليلات بعد الولادة الاولى وكثيراً ما يهلكن فيها فقد بلغ عدد من يموت منهن في النفاس اكثر من ثلاثين في الالف

وكما تلزم العناية بصحة المرأة لوقايتها من المرض والموت كذلك يلزم العناية بصحتها حرصاً على صحة اولادها ووقايتهم من العلل لان ما يعرض على مزاج الام وما يكون فيه من الاستعداد للمرض ينتقل بالوراثة الى الاولاد

واما من جهة التربية الادبية فلأن الطبيعة قد اختارت المرأة وندبتها الى المحافظة على آداب النوع فسلمتها زمام الاخلاق وائتمنتها عليها فهي التي تصنع النفوس وهي ساذجة لا شكل لها فتصوغها في اشكال الاخلاق وتنشر تلك الاخلاق بين اولادها فينقلونها الى من يتصل بهم فتصبح اخلاقاً ملازمة بعد ان كانت اخلاقاً فائتة كما كانت اخلاقاً فائتة بعد ان كانت اخلاقاً للام . هذا يدلنا على ان المرأة الصالحة هي أنفع لنوعها من الرجل الصالح والمرأة الفاسدة هي أضر عليه من الرجل الفاسد ولعل هذا هو السبب في ما وقر في نفوس الناس في كل زمان من أن الرذيلة الواحدة اذا تدنست بها المرأة حطت من قدرها اكثر مما تحط من شأن الرجل لو تدنس بها وان الفضيلة تعلي من شأن المرأة ما لا تعليه من شأن الرجل

***

بقي علينا الكلام على القسم الاخير من التربية وهو التربية العقلية هذه التربية هي عبارة عن تعلم العلوم والفنون والغاية التي ترمي اليها هي ان يعرف الانسان ما في الكون من الموجودات حتى اذا عرف ذلك على حقيقته امكنه ان يوجه اعماله الى ما يعود عليه بالنفع ويتمتع بلذة المعرفة فيعيش سعيداً

ولا تحصل المرأة على المطلوب من هذه التربية العقلية بتعلمها القراءة والكتابة واللغات الاجنبية بل تحتاج ايضاً الى تعلم اصول العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية لكي تعرف القوانين الصحيحة التي ترجع اليها حركات الكائنات واحوال الانسان كما انها تحتاج الى تعلم مبادىء قانون الصحة ووظائف الاعضاء حتى يمكنها ان تقوم بتربية اولادها

والمهم في هذه التربية هو تشويق عقل المرأة الى البحث عن الحقيقة وليس حشو ذهنها بالمواد حتى اذا انتهت مدة تعليمها في المدارس استمر شوقها الى الحق فتحركت دائماً اليهِ وتسر بهِ . واضف الى ذلك انهُ ينبغي على البنت ان تتعلم صناعة الطعام وترتيب البيت

ولا بدَّ هنا من توجيه النظر الى وجوب الاعتناء بتربية الذوق عند المرأة وتنمية الميل في نفسها الى الفنون الجميلة وان كنا على يقين من ان اغلب القراء لا يستحسنون ان تتعلم البنات الموسيقى والرسم لان منهم من يرى ان لا فائدة في الاشتغال بهذه الفنون ومنهم من يعدها من الملاهي التي تنافي الحشمة والوقار وقد ترتب على هذا الوهم الفاسد انحطاط درجة هذه الفنون في بلادنا الى حدٍّ يأسف عليهِ كل من عرف ما لها من الفائدة في ترقية احوال الامم

هذه هي التربية التي نود ان تكون للبنات وقد بيناها اجمالاً لان المقام لا يسمح ببيانها تفصيلاً. هذه هي التربية الكاملة التي تيسر للمرأة الجمع بين واجباتها المختلفة المتعددة فتعدها لان تكون انساناً يكسب عيشهُ بنفسهِ وزوجة قادرة على ان تحصل لعائلتها اسباب الراحة والهناء وأمّاً صالحة لتربية اولادها

متى انتهت تربية البنت باتخاذ ما يلزم من الوسائل لتنمية قواها الجسمية وملكاتها العقلية تكون قد بلغت الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمرها فما الذي ينبغي ان تكون عليهِ بعد ذلك؟ وكيف تعيش؟ أتحتجب في بيتها وتمنع عن مخالطة الرجال ام تطلق لها الحرية في ذلك؟ هذا هو موضوع البحث في المسألة الثانية وهي ثالثة وسنتكلم عليها معاً لما بينهما من الارتباط

***

رأى المنتقدون على تحرير المرأة اننا تطرفنا في مسألة الحجاب واننا اشرنا برفعهِ تقليداً للعادات الغربية وزعموا ان الحجاب لا يوجب انحطاط المرأة ولا يترتب عليهِ ضرر ما ولذلك دعوا الى وجوب استبقائهِ والمحافظة عليهِ وقالوا ان الذي حط بالمرأة عن منزلتها انما هو عدم التربية فلو رُبِّيت تربية حسنة لامكنها وهي في الحجاب ان تقوم بواجباتها احسن قيام

على اننا بعد ان دققنا النظر في جميع ما قيل او كُتب في هذا الشأن لا نزال على رأينا ولم يزدنا تكرار البحث فيهِ الا وثوقاً بصحة ما ذهبنا اليهِ

ولا نرى سبباً للخلاف بيننا وبين مناظرينا الا الاختلاف في فهم معنى التربية فهم يرون ان التربية هي التعلم وذلك يتم على رأيهم بمكث الصغير في المدرسة سنين محدودة تكون نهاية عمله فيها الحصول على الشهادة الدراسية وانهُ متى نال هذه الورقة السميكة التي سماها بعض ظرفاء المرتسين (جلد حمار) عُدَّ بالغاً في العلم والادب حد النهاية . ونحن على خلاف ما رأوا نعتقد ان التربية

لا تقوم بالمكث في المدرسة والحصول على الشهادة وانما كل ما يستفيده الصبي من ذلك في ايام التحصيل الأولى هو الاستعداد لتكميل عقله وخلقه

ذلك لان الصبي في السنة الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمره لا يعرف من العلم الا نظريات عامة ومسائل كلية يحفظها في جمل مختصرة ومهما كانت هذه القضايا علمية او ادبية فلا قيمة لها الا بظهورها في العمل وذلك يكون بالمشاهدات والتجارب التي تحدد دائرة تطبيقها والحد الذي يفصلها عن غيرها وتبين الاحوال التي تدخل فيها او تخرج عنها وجهات ضعفها وقصرها وهذه التطبيقات هي الواسطة الوحيدة في فهم القواعد على حقيقتها فاذا انعدمت لا تكون هذه القواعد الا ألفاظاً وخيالات

وكذلك الحال في الآداب والاخلاق اذ لا شيء على الانسان اسهل من ان يعلم مقدار الفائدة في ضبط شهواته وقهره نفسهُ ولكن لا شيء أصعب في العمل من ان يأتي ذلك بالعمل لان قهر الانسان لهواه وجعلهُ تحت سلطان العقل يستدعي قوة عظيمة في الارادة ولا توجد هذه القوة في الارادة باقامة الحوائل المادية بينهُ وبين النقائص ولا بمجرد حشو دماغه بالقواعد الادبية وانما تتولد بالتمرين لملاقاة الحوادث وتعوُّد مغالبتها والتغلب عليها

فرؤية الاعمال ومشاهدة الحوادث واختبار الامور ومخالطة الناس والاحتكاك بهم والتجارب كل هذه الاشياء هي منابع العلم والآداب الصحيحة . بها ترتقي النفوس الكريمة حتى تبلغ على الدرجات وبعدمها تنهزم النفوس الضعيفة وتسقط الى اسفل الدركات

والحجاب مانع للمرأة من ورود هذا المنبع النفيس لأن المرأة التي تعيش مسجونة في بيتها ولا تبصر العالم الا من نوافذ الجدران او من بين استار العربة ولا تمشي الا وهي كما قال الامير علي الفاضي « متعثة بكفن » لا يمكن ان تكون انساناً حيًّا شاعراً خبيراً بأحوال الناس قادراً على ان يعيش بينهم

***

ولا يكفي لاخراج المرأة المصرية من هذه الحياة الناقصة التي يشكو الكل منها ان تمكث بضع سنين في المدرسة ثم تنتقل منها الى بيت محجب تبقى فيه بقية عمرها بل يلزم ان تستمرَّ في الاعتناء بجسمها وعقلها بعد المدرسة . يلزم ان نصحبها يدنا في يدها ونسير معها في الارض ونريها عجائب الكون ولطائف الصناعة ودقائق الفنون وآثار الزمن الغابر واختراعات الزمن الحاضر . يلزم ان تقاسمنا افكارنا وآمالنا وافراحنا وآلامنا وتحضر مجالسنا فتستفيد مما يعرض فيها من الاخلاق والافكار والمباحث وتقيدنا بجعلنا على رعاية الحشمة والتأدب في القول

من اربع وثلاثين
سنة في المقتطف

شرف العمل

شرقي يحث على العمل الحر

لمحمد كرد علي
وزير المعارف السورية سابقا
ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

من المشروعات المفيدة في هذه الديار ما قامت به جمعية « العروة الوثقى » في الاسكندرية من تأسيس مدرسة صناعية نسبتها الى « محمد علي » رأس الاسرة الخديوية وقد دنت الايام ودرجت الشهور وما برحت الهمم متقاصرة والمنابع التي حدث لا تسد عوز النقص مما ينبغي هذا المشروع الجليل

لا اشير الى نتيجة هذا العمل على فرض حصوله اذ ليس المقام مقام نبوات والمستقبل يكشف القناع عن وجه الحقيقة وغاية ما ينبغي ان يقال في هذا الباب ان اهل هذه البلاد والمسلمون منهم خاصة لكثرة سوادهم احق الناس بالتوفر على مذاهب المعاش الثلاثة من زراعة وصناعة وتجارة والزهد في الامارة او الاستخدام لانها ليست بمذهب طبيعي للمعاش

مضت قرون على قومنا حسبوا الخير رهنه محصوراً فيهم وان فضل الله يؤتيه ولن يؤتيه سواهم وان عندهم كل شيء وان حسن اليقين والتسليم للاقدار يغنيانهم عن تعرف كل جديد اغتروا وبا عصبية الاسلاف بظواهر الحال ذاهبين الى ان الاغيار مهما بلغوا من درجات الرقي فضل عقولهم لا يدركون شأو سلف هذه الامة في كل منحى من مناحي الحياة فاكتفوا من ثم بعلالات هي بالاطفال أليق منها بالرجال وبالامم المائتة اشد علاقة منها بالامم الحية

ولما انسال تيار الغرب على الشرق واستصفى معظمه واستبيح حتى البيضة او كاد اصبح القوم يشعرون بان تلك الدعاوي الطويلة العريضة على فرض صحتها لا طوق فيها ولا طائل تحتها وان قد انقضى دور التحدي بالاقوال اذ هي لا تغني غناء الاعمال بحال من الاحوال

بلغ هم بعض البلاد هذا المبلغ من الفكر بعد ايمانهم بان من خرق الرأي ثقة المحكوم

عليهم بحكامهم في كل شأن من شؤون الحياة لا سيما وقد اثبتت التجارب ان اعلمهم زعماء شهوات لا زعماء نهضات وأمراء حمايات لا امراء زراعات وصناعات

نعم ان ما قام من الحضارة في بعض ادوار الممالك الاسلامية كان بحسنات ملوك وأمراء وجدوا بطبعهم وعدلهم العالم والعامل فاستتب الامر الى حده لما مضى عليهم حتى قيل « الدول سواق يحمل اليها ما روج فيها » ولكن من قال انا لم نكن في كل ايامنا اهل اتكال محض ولم نستخف بأن كل ما اتت به الشريعة من الحث على السعي والتعلم لم تأخذ منهُ النفوس الا جهد طاقتها ومبلغ حاجتها

***

حاذرَ الاسلام من عواقب الكسل فحضَّ على العمل ولم يأمر بالزهادة على التحل والذي عرفهُ المتأخرون المعطلون وجاء حاثًا على الاخذ من خيري الدارين غير آمر بالخروج عن سنن الكائنات ولولا قواعد سنت لصلاح العمران ما وجدت في المسلمين من يقوم على زرع ارض او احداث صناعة وتجارة لكثرة ما دسهُ المشعوذون من الزهديات المثبطات والخرافات المصيبات من ولولا الحاجة الطبيعية الداعية في بعض اقطار المشرق ما رأيت من يفكر في استخراج اسرّ من معادنه او يحسن عمارة المساكن او يعرف نسج الثياب

ولذا ترى اكثر الفقهاء صبغوا القواعد العمرانية صبغة دينية فقالوا ان الفلاحة والنساجة والبناية فرض على الكفاية وقام بعد السلف خلف وهموا الدخول في عمار العاملين مرتزقاً صاحبه ان كان له ما يكفيه من حطام الدنيا . وقد اجمع علماء الاجتماع والدين ان كل عمل جسديًّا كان او عقليًّا لا يثلم شرف الآخذ نفسه به . وان كل ما ساغ ربحهُ وجوّزه قانون لا يعد الاشتغال به ضرّة في وجوه الاحساب ولا معيبة للاستعداد والكفاءات ولا منافية للفراغ والسعول قال عليٌّ كرّم الله وجههُ اني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله صنعة فان قالوا لا سقط من عيني

من هذا الخراب العظيم الذي تصاب به البيوتات في مصر والشام احتقار الاجداد والآباء للصناعات والزراعات والتجارات واكتفاؤهم من تربية ابنائهم بأن يغرسوا في نفوسهم حب الاحتفاظ بثروتهم والاعتماد عليها وان احسن ما يسلونهُ بعد وفاة والديهم الجري على آثارهم . وقد رأينا كثيرين جرعوا من تبديد مخلفاتهم من بعدهم ما وضعوها ولكن ابناءهم وورثتهم نقضوا ما ابرمهُ اولئك المورّثون وتصرفوا فيها عما شاءوا

ولو علم الآباء والاغنياء منهم خاصة ان خير ذخر يحوزونهُ لاولادهم بث الملكات الصحيحة

فيهم وان الثروة هي العمل وان الارض لا توجد الثروة ما لم تبذل العناية في استثمارها واستنباتها وان الثروة ليست عبارة عن نقود ولا امتلاك عقارات وقرى فليقتنوا ابناءهم ما يرتفعون به عن الدنيّة اذا تجرّدوا يوماً مما يملكونهُ

هذه الثروات الطائلة التي تضمحل كل يوم ونسمع عن ابنائها ثمحاً كانت تأمن من غوائل التبديد لو عرف وارثوها قدر العمل وقيمة المال وطرق اكتسابهِ. وتوارث اهل الغرب سر هذه القاعدة فرأينا ثروات من بيوتاتهم في المانيا وانكلترا وفرنسا وغيرها من الممالك دامت لها النعمة عدة قرون ويصونون على حين لم تدم نعمة بيت في بلادنا الا ثلاثة اجيال في الغالب.

***

ماذا اصاب سكان غربي آسيا وشمالي قارة افريقية حتى زهدوا في الصنائع وغالى كبراؤهم في احتقارها فحفت الا بقايا تدل على القديم دلالة الاثر على مؤثره. وليت شعري هل اضمحلت باسباب خارجية ام داخلية وحدث في جوّ البلاد من ظلم حكومة واشتطاط قانون وديانة نابذ اهلها من لم يقولوا بقولهم وتمكن خرافات في النفوس حتى وصلت الى البلادة ام عرت اهل البلاد امور طبيعية رمت فيهم الخمول وعششت الحر المحض في نفوسهم فخمدت جذوة العمل من رؤوسهم. وسكان الاقطار الحارة على رأي الفرنسيين تضعف قواهم العقلية والجسدية وتغلب عليهم الخفة والطيش فيطربون للمطربات ويتأثرون بها ولا يبكون للمبكيات ولا يصبرون عليها وكلما درّت اخلاف الطبيعة وامرعت اكناف الثراء بخيرات الغبراء واصبح الرزق ميسوراً اخصب السكان فاستحوذت البطالة على النفوس

فاذا كان هذا هو الداعي لفقدان الصناعات واضمحلال الاجسام بحيث صدت عن العمل فلم لم يُصب سكان الشمال الغربي من آسيا وان شئت فقل الشمال الشرقي مما أصبنا بهِ منذ قرون وبلادهم ليست دون بلادنا بحرارتها متشابهة بطبائع اقاليمها واهلها. وها نحن نرى الفرس وهم اخواننا في الانحطاط لم يزالوا متوفرين على الصناعات شأنهم في القديم وامتازوا بها على مجاوريهم امتياز الانكليز على جميع امم الغرب بميلهم الى الصناعات قديماً وحديثاً مما دعا الى تقدمهم اشواطاً الى الامام فصاروا كالطلائع من جيش المشارقة وغيرهم كالقواعد والعمين

ويبلغنا هذا العهد عن اهل الطبقة العالية في ايران وبخارى والافغان انهم يخصون الساعات في عمل ما من تجارة وحدادة وحياكة ورسم وخط ونقش وحفر وغيرها يتلهون بها ويعوّدون بالمرانة عليها عضلاتهم وان لم يتوقع اكثرهم منها نفعاً مادياً شأن اغنياء الغرب لعهدنا فانهُ لا بدّ لكل واحد منهم ان يختص بصناعة تفيد مختصهُ وتسليهِ في وحدتهِ وتروّض جسمهُ وترفع قدره

عن سنة لنفذه اليه « وغبار العمل خير من زعفران العطلة » وملأ الفرس ورثوا حب الصناعات فتسلسلت فيهم لانهم من اصل آري كختمون وسكسونيين في جرثومة واحدة كما يقول الباحثون في اصول الشعوب

ألا وان الصناعات ليست كما يعتقدها في بلادنا من ضربت عليهم مقت العمل وربوا في مهاد الاتكال والكسل فقد مارسها كبار رجال الخليقة ومن تمرسوا بها وهم يرفعون الى سمو المعالي وينشدون اشرف الغايات . فقد كان نوح نجاراً وموسى راعياً ومحمد تاجراً وصحابه كانوا يتاجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم وكان ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان بزازين وعمرو بن العاص جزاراً وسعد بن ابي وقاص يبري النبال وابو حنيفة النعمان خزازاً يبيع الخز وابو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية كان على عاتقه يحمل المواشي الى الكوفة والثعالبي صاحب اليتيمة كان فراءً يخيط جلود الثعالب والحريري صاحب المقامات كان يعمل الحرير ويبيعه وابن حوقل الجغرافي كان تاجراً وياقوت الحموي الجغرافي اشتغل بالمتاجر وابو بكر القفال الفقيه المروزي كان ابتداء اشتغاله بالعلم على كبر السن بعد ما افنى شبيبته في عمل الاقفال وابو منصور الجواليقي احد الائمة في فنون الادب نسب الى الجواليق وبيعها وابو اسحق الزجاج النحوي كان زجاجاً وهكذا لو تقصيت سير المشارقة من قبل تجد في علمائهم وامرائهم الملاح والنساج والحائك والفراء والخياط والصفار والقصار والنجار والحصار والعطار والبيطار والدهان والسمان

***

ومنهم كثير في المدرسة[1] فقد كان من الصناع طاليس رأس الحكماء السبعة وصولون المؤسس الثاني لاثينا وكان افلاطون الحكيم زياتاً يطوف بلاد مصر وسبينوزا الفيلسوف اليهودي عاش يصقل زجاجات المناظر وليبوس الثاني تعلم وهو يعمل في الحياكة وشكسبير رأس شعراء الانكليز كان يدير الملاعب وداود ريكردو واضع الاقتصاد السياسي كان تاجراً ويلي ملكي كان سمساراً ويوحنا ستورت مل الفيلسوف فاحصاً في شركة الهند الشرقية وتعلم مرغوس الهيئة وهو مرتد بجلود الغنم على رؤوس التلال، ومار درس طبقات الارض وهو يعمل في المقالع . وكثيرون من الاحياء يتجرون ويحترفون فان رئيس جمهورية سويسرا يتاجر بالاقمشة واللورد روزبري كبير وزراء انكلترا له تجارة واسعة ببيع الخيل والمورد لوندندري يبيع الفحم واللورد هارنجتون يبيع الثمار والبقول

(١) راجع كتاب سر النجاح لمعربه منشيء المقتطف ففيه امثلة من [illegible]

لاجرم ان النهوض بالشرق متعذر ما لم يسعَ اليهِ كبراؤهُ ومتى فكرت الطبقة العالية فيما انتهت اليهِ حال البلاد تحسن حال الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا ومتى قام في الامة أناس مثل كمال بك وهدايت باشا وغيرهما من الرجال العاملين يُرجى للشرق بعض الرجاء ان يلحق بشقيقهِ الغرب. واليك مثالاً من حال هذين الرجلين في العلم والعمل

***

كان كمال بك رأس النهضة الشبابية الاخيرة وقائد عصابتها وكبير كاتب وشاعر تركي عرف معنى الوطن والوطنية. ومن جملة ما عملهُ في احدى سياحاتهِ الى جزيرة رودس ان تقرّب من بعض معلمي الكتاتيب وطفق يصلح لهم طرق التدريس ويبث الغيرة في قلوبهم وقلوب تلامذتهم من تربية الملكات تربية صحيحة وتلقين العلم التام ولم تمضِ سنوات حتى تخرَّج منهم نحو ثلثمائة طالب قاموا بدعوتهِ واهتدوا بهديهِ

وكان من امر هدايت باشا انهُ مرَّ بحلب على ما روى فاضل حكيم ذاهباً الى البصرة وراجعاً عنها فلما كان يطوف ازقة الشهباء ابصر فاعلاً يخمر الطين على طريقة معيبة لا يحسن بها فوقف قائلاً للفاعل ما هكذا يعمل الطين واشار عليهِ بأسلوب أسهل وأحسن لم يفهمهُ فما كان من المشير الأ ان خلع حذاءهُ وسراويلهُ وراح من ساعتهِ يخوض في الطين الى نصفهِ ليعلّم العامل كيف يجبل التراب. وصارت القاعدة التي علمهُ اياها مطردة الاستعمال عند كل طيانة حلب الى هذا اليوم

فمثل هذين الرجلين تحيا العلوم والصنائع وترتقي البلاد في شؤونها المادية والمعنوية ومن لنا بأمثالهم يؤسسون في كل مدينة وبلدة من بلدان المشرق مدرسة أو معملاً للصناعة والزراعة والتجارة. وبعيد علينا محاكاة سابقينا دفعةً واحدةً فللكون سنن لا يتعداها وللارتقاء مدارج لا مناص من الصعود عليها ينبغي لنا ان ننهض بأنفسنا لا بحكامنا ونتشبه بالناجحين ما ساعدت المكنة ونبدأ بالجزئيات لنصل منها الى الكليات

والعالم ميدان جهاد لا تنجح فيهِ الا الحكمة الصبية ولا يسبق الا من توافرت لديهم ادوات الكفاح ونفث في نفوسهم روح العلم. وكنوز السعادة مرصودة لاهل الجلادة والنجابة وسرُّ النجاح مكتوم في بطون الليالي لا يعنو الا لمن تسعهُ صدورهم. وعلى نسبة رجال الامة العاملين يحسن حالها في العالمين. فطوبى لمن بورك لهُ بساعات حياتهِ فانفقها في جلب امانيهِ ودرء المضار وعرف ان الوقت نقد عزيز والعمر ذكاء إبريز فضنَّ بهما وسعى في ايقاظ شرقنا من رقدتهِ المزمنة وإنعاشهِ من صرعتهِ المحزنة

من عشرين سنة
في المقتطف

فلسفة الاحلام

للفيلسوف هنري برغسن

ان الموضوع الذي اريد الكلام عليه الآن كثير التعقيد يتناول مسائل مختلفة مما هو في حد العروض والاشكال بعضها سيكولوجي (نفسي) وبعضها فسيولوجي وبعضها مما وراء الطبيعة ولا يمكن استيفاء الكلام عليها الا في ساعات كثيرة ولذلك اغض الطرف عن كل ما لا تمس الحاجة الى ذكره واقتصر على ما قلَّ ودلَّ

يمكن تحديد الحلم بأنهُ ادراك اشياء لا وجود لها في الخارج فاني ارى في حلمي رجالاً واشعر اني كلمتهم وسمعت كلامهم ولم يكن امامي رجال ولا انا تكلمت . واشعر كأني رأيت اشياء حقيقية واشخاصاً معلومين لكني لا ارى اثراً لتلك الاشياء واولئك الاشخاص حينما استيقظ فكيف حدث ذلك

ولكن الم يكن هناك شيء اي ألا يكون حول النائم شيء ماديّ يؤثر في مشاعره وقت الحلم اي في عينيهِ واذنيهِ وسائر اعضاء جسمهِ

اغمض عينيك وتأمل فيما يتراءى لك وانت مغمضهما قد تقول انك لا ترى شيئاً . ولكن كرر اغماض عينيك وتأمل كأنك تتبين شيئاً تراهُ فتتصور انك ترى اشياء كثيرة ترى اولاً فضاء اسود ثم قد ترى في هذا الفضاء نقطاً منيرة تجيء وتذهب وتعلو وتهبط رويداً رويداً وكثيراً ما ترى نقطاً مختلفة الالوان وقد تكون الوانها قاتمة وقد تكون لامعة وهي تتسع ثم تضيق دواليك وتتغير شكلها ولونها سريعاً او بطيئاً وتدور على محاورها بسرعة تبهر النظر وقد بحث علماء النفس والفسيولوجيا في سبب هذه النقط وتغير الوانها وعللوها بما يصيب شبكية العين من تغير دورة الدم فيها او من ضغط الجفنين على الحدقة وتأثير ذلك في عصب البصر ومهما يكن سببها فهي اساس الاحلام كلها فهي اسبابها الداخلية ويضاف اليها اسباب خارجية

وهي ما قد يؤثر في عيني النائم من صور المرئيات لان العين تميز بين النور والظلمة ولو كانت مطبقة الجفنين وقد تميز بين نور ونور . وتصل النور بالعينين ولو كانتا مطبقتين يؤثر في كثير من الاحلام فاذا أُدخل مصباح الى غرفة نائم وكان النائم فيها غير مستغرق في نومه فقد يحلم انه رأى ناراً شبت في منزل فأحرقته

مثال ذلك ان رجلاً اسمه ليون حلم ان بيارو الاسكندرية احترق وسطع نور النار حوله ثم انتقل هو بغتة الى البركة التي في قلب المشية فدارت النار على السلسلة التي حولها ثم انتقل الى ماربس في زمن المرض واذا النار شابّة فيه فخطر له ان يشترك في مهمة كبيرة واستيقظ حينئذٍ وفتح عينيه فرأى ان الممرضة دخلت غرفته وبيدها مصباح ليلي وقع نوره على وجهه بغتة

وحدث مثل ذلك لرجل آخر كان مريضاً فانه حلم انه عاد الى الحربية التي كان فيها قبل مرضه وذهب الى طولون ولوريه والقرم والقسطنطينية ورأى البرق وسمع الرعد واشترك في معركة حربية ورأى لمعان النار من افواه المدافع فاستيقظ مذعوراً واذا هو يرى الممرضة دخلت غرفته وبيدها مصباح ليلي وقع نوره على وجهه . ونور المصباح الذي دخلت به الممرضة سبّب الحلم الاول والثاني حالما وقع على العين اي انه نبه الحالم الى صور محفوظة في ذاكرته

واذا كان النور مستطيراً مستمراً كنور القمر كان تأثيره في النائم غير تأثير النور الساطع الذي يقع بغتة فانه يحلم حينئذٍ انه يرى فتاة جميلة المنظر او نحو ذلك من الاحلام التي تروقه

***

وكما يؤثر النور في عيني النائم تؤثر الاصوات الخارجية في اذنيه عدا ما فيهما من المؤثرات الداخلية كالطنين والدوي والصفير ونحو ذلك مما قد نشعر به ونحن مستيقظون وقد لا نشعر ولكننا نشعر به حتماً ونحن نيام . فاذا تشقق الاثاث من شدة الحر او وقع المطر او هبت الريح او قصف الرعد اثرت كل هذه الاصوات في اذني الحالم فحوّلها الى حديث او غناء او صراخ او ما اشبه . ولكن الاصوات لا تؤثر في احلامنا كالانوار لان اكثر الاحلام نظري لا سمعي فكثيراً ما يحلم النائم انه تكلم مع شخص وتحادثا محادثة طويلة ثم يشعر انه لم يتكلم كأن كان عاجزاً عن النطق وان محدثه لم يتكلم ايضاً بصوت مسموع بل كان التخاطب بينهما بالافكار ويكون ذلك اذا لم تسمع الاذن صوتاً لان الانسان لا يقدر ان يستمد شيئاً من لا شيء

اما اللمس فمؤثراته كثيرة اكثر من مؤثرات السمع ويمكن ان نتكلم ساعات عما يحلم به الانسان من تأثير اللمس فيه وهو نائم لان هذا التأثير يمزج بالصور التي ترد الى النفس عن طريق البصر فينوّعها وينسقها تنسيقاً مناسباً له فكثيراً ما يشعر النائم بخفة غطائه فيحسب انه

لابس ثياباً رقيقة لا تدفئهُ او انهُ عارٍ او حافٍ . واذا كان يحلم حينئذٍ انهُ في احد الشوارع شعر ان الناس ينظرون اليهِ غير مستغربين ولو استغرب هو ظهوره امامهم على تلك الصورة . وهذا النوع من الحلم يحلم بهِ كل احد . ومن الاحلام التي يحلم بها الجميع الطيران في الهواء او في الخلاء واذا حلم الانسان هذا الحلم مرة تكرر حلمهُ بهِ مراراً ويقول في نفسهِ ان طيراني في المرة الاولى كان وهماً واما الآن فهو حقيقة لا ريب فيها ولكنهُ اذا استيقظ حينئذٍ لم يتعذر عليهِ تعليل هذا الحلم اذا امعن نظرهُ وذلك انهُ يكون محمولاً على فراشهِ وقدماهُ غير ماستين الارض فهذا الشعور بانهُ محمول على غير قدميهِ يجعلهُ يعتقد انهُ طائر واذا كان نائماً على احد جانبيهِ حلم انهُ طائر على ذلك الجانب

***

ومن اهم تأثيرات النفس ما يشعر بهِ النائم من حركات اعضائهِ الباطنة ولاسيما امعائهِ فان هذه الاعضاء تتحرك على الدوام في النوم كما في اليقظة اما في اليقظة فقلما نشعر بحركاتها لاشتغالنا عنها باعمالنا المختلفة وليس الامر كذلك ونحن نيام فالمرضى بالتهاب الحنجرة والرئتين يحلمون ان قد ضيّق خناقهم حتى كادوا يختنقون ومتى استيقظوا وزال الحلم زال هذا الشعور ايضاً ولكن لا تمضي ساعات كثيرة حتى يصابوا بالالتهاب حقيقة اي انهم يشعرون بهِ وهم نيام قبلما يشتد حتى يشعروا بهِ وهم مستيقظون . وقد ذُكرت امراض وآفات كثيرة حلم بها بعض الناس قبل اصابتهم بها فعلاً بحسب الظاهر ولذلك رأى بعض الفلاسفة مثل شوبنهور ان في داخل الوجدان صدى ما يقع من الاضطراب في المجموع العصبي السمبثاوي وقال غيرهُ مثل شرنر ان كل عضو من اعضاء الجسم يسبب حلماً خاصاً بهِ . والّف بعض الاطباء مثل ارتيميوس كتباً قالوا فيها انهُ يمكن الاستدلال بالاحلام على نوع المرض . واخيراً ابان المسيو تيسيه كيف ان الاحلام المختلفة تدل على الآفات التي تصيب اعضاء الجسم المختلفة كأعضاء الهضم واعضاء التنفس واعضاء الدورة الدموية

وزبدة القول اننا ونحن نيام لا تنقطع مشاعرنا عن التأثر بالمؤثرات الخارجية بل تبقى تتأثر في النوم كما تتأثر في اليقظة . ولو لم يكن فعلها عكساً في النوم كما في اليقظة وان المؤثرات التي تؤثر فينا في اليقظة ولا نشعر بها لاشتغالنا بغيرها يبقى تأثيرها فينا فنشعر بهِ ونحن نيام اذ تنقطع لانفسنا فمجال شعورنا لا يضيق ونحن نيام بل يتسع ولو في بعض الجهات . نعم انهُ يضعف في شدتهِ ولكنهُ يتسع في نطاقهِ فيأتينا تأثيرات كثيرة مشوشة وهذه التأثيرات هي الخيوط التي تنسج منها احلامنا ولو كانت غير كافية وحدها لنسج الاحلام لغموضها وعدم وضوحها فاذا شعر

النائم بشيء من النور وبظلمة فقد يتصوَّرها كتاباً ابيض الورق اسود الحبر او بيتاً ابيض الجدران اسود الشبابيك او نحو ذلك من الصور التي فيها ابيض واسود والذاكرة تحكم بان مرجع النوم هو هذا الشيء او ذاك . فاذا كان الانسان نائماً نوماً خفيفاً فذاكرتهُ لا تنسج خلاصةً من الامور المحفوظة في ذاكرته تحت فعل التأثيرات الخارجية والداخلية التي تحدث لهُ حينئذٍ فيتولد الحلم من مجموعها وقد تكون هذه المحفوظات اموراً قديمة لا يتذكرها الانسان وهو مستيقظ فتستخرجها الذاكرة من اعماق نفسهِ وهو نائم والغالب انها اشياء وقع نظرهُ عليها واصوات دخلت اذنيهِ وهو غير منتبه او تكون من بعض محفوظات الذاكرة التي نسي اكثرها وبقيت فضلاتها في مخادع الدماغ فتلتقطها الذاكرة حينئذٍ وتمزج بعضها ببعض على غير نظام وتخلطها بالتأثيرات التي تقع على مشاعر النائم مما حولهُ

***

وأني اعتقد ان كل سيرتنا الماضية محفوظة بتفاصيلها في نفوسنا لم يفقد منها شيء . كل ما شعرنا بهِ وادركناهُ وافتكرنا بهِ واردناهُ من اول ما ابتدأ شعورنا كل ذلك محفوظ في مخادع النفس ولكنهُ غير ظاهر للعيان فهو يتوق الى الظهور ولكنهُ لا يجد امامهُ سبيلاً من تلقاء نفسهِ ولا نحن مهتمون بامره او متفرغون لهُ لان لدينا مشاغل اخرى تشغلنا عنهُ ولكن اذا اتفق ان انقطعنا عن اشغالنا اي عمَّا يتسلط على ذاكرتنا وغابت عنا هذه المحفوظات من قيودها وخرجت من مخادعها وبادرت كلها يزحم بعضها بعضاً لتحضر امام الذهن في وقت واحد يتعذر عليها ذلك لكثرتها ولا يصعب علينا ان نعرف ايها يتمكن من الحضور . فالمستيقظ يتذكر الامور التي لها علاقة بما حولهُ من المرئيات والمسموعات والملموسات وحينما ينام تحدث مثل ذلك اي انهُ يتذكر ما يلائم المؤثرات التي تؤثر فيهِ حينئذٍ ظاهراً وباطناً كالاشعة التي تتلألأ امام عينيهِ ولو كانتا مغمضتين والاصوات التي تقرع اذنيهِ ومن مجموع هذه وتلك يحدث الحلم اي مما يشعر بهِ المرء وهو نائم ومن الصور المرسومة في ذهنهِ من شعورهِ السابق ثم ان التصور الحاضر لا يكون واضحاً جليًّا فتختار لهُ الذاكرة الثوب الذي يلائمهُ وتلبسهُ اياهُ

فالحلم مثل كل المدركات في تولدهِ وتكوّنهِ فاننا اذا نظرنا الى جسم من الاجسام فما نراهُ منهُ قليل في جنب الصورة العقلية التي ترسمها لنا الذاكرة فالذي يقرأ هذه الصفحة لا يرى كل كلمة من كلماتها وكل حرف من حروفها ولو اراد ان يتفحص كل كلمة فيها وكل حرف لقضى في ذلك ساعات كثيرة والحقيقة ان الذي يحسن القراءة لا يرى من الكلمة الا بعض حروفها وقد لا يرى من العبارة الا بعض كلماتها او ما يكفي للاستدلال على البقية ويفهم المعنى . وهذه

البقية لا يراها ولكنه يتصوّر انه رآها (١) وقد تمت عندنا تجارب كثيرة من ذلك تجارب عولدشيدر ومُلّر فانهما كتبا بعض العبارات المألوفة واخطأا في كتابتها عمداً فأبدلا بعض حروفها وحذفا بعضاً وعُرضت هذه العبارات في غرفة قليلة النور امام رجل ثم انيرت بالنور الكهربائي برهة قصيرة جداً لا تكفي القارىء للمرور بنظره على اكثر من ربع الحروف ومع ذلك سهل عليه ان يقرأ تلك العبارات من غير خطإ . ولما سُئل عن الحروف التي رآها حقيقة ذكر بعض الحروف المكتوبة وبعض الحروف المحذوفة ظاناً انه رآها بعيني رأسه والحقيقة انه رآها بعين عقله ولذلك يرى القارىء صحيحاً بعض الحروف المرسومة خطأً . ويفسَّر ذلك بان الحروف التي وقعت صورتها على عينيه انطبقت في ذهنه صور هذه الكلمات كما كان يقرأها قبلاً اي جعلته يتذكر صورها الصحيحة . فالذي يدركه القارىء حينئذٍ هو ما يتذكره لا ما يراه وعليه فالقراءة السريعة نوع من معرفة الغيب لان ما يراه القارىء حينئذٍ هو جزء صغير مما يدركه واكثر ما يدركه كان مخزوناً في دماغه (٢)

فالانسان وهو مستيقظ يعمل دواماً ما يعمله وهو نائم اي انه يدرك صورة ناقصة لما يشعر به وهذه الصورة تنبه الصورة الكاملة التي في ذاكرته وهذه الصورة الكاملة تكون كامنة في ذلك الوقت فتوقظها الصورة الناقصة وتنبه الذهن لها

والظاهر ان محفوظات الذاكرة تترتب وتتنسق بحسب اجناسها وانواعها حينما يحدث ما يستدعيها . ويؤيد ذلك تجارب اجراها منستربرج قبل عولدشيدر ومُلّر وهو انه كان يكتب كلمة غير مألوفة كتابة صحيحة ويعرضها لعيني الرائي مدة قصيرة جداً لا تكفي لرؤيتها جيداً ويقيم واحداً الى جانب الرائي يهمس في اذنه كلمة اخرى لا مشابهة بين معناها ومعنى الكلمة المكتوبة فيقول الرائي انه رأى كلمة تشبه الكلمة المكتوبة في صورتها والكلمة التي سمعها في معناها (وهنا ذكر بعض الكلمات التي كتبها الممتحن وهي المانية وهي بمثابة لو كانت الكلمة المكتوبة مفتون والكلمة التي سمعها شجر فانه يقرأ زيتون كأنه رأى الواو والنون وسمع كلمة شجر فتنبهت في ذهنه اسم شجرة مختومة بالواو والنون . وكذلك اذا كانت الكلمة المكتوبة دمتق وهمس واحد في اذنه كلمة مدينة فانه يقرأها دمشق وهلم جرّا !

(١) « المقتطف » ويصدق هذا بنوع خاص في قراءة خط بعض الكتبة لا يكتبون من الكلمة الا بعض حروفها ومع ذلك يقرأها بسهولة من اعتاد مشاهدة خط الكاتب ومرتب حروف الطبع بعض الكلمات وبعض الحروف خطأ فلا ينتبه القارىء لهذا النقص بل يقرأها كأنها موجودة لان ذاكرته تحضرها امام ذهنه

(٢) (المقتطف) ويتضح ذلك من ان المبتدىء بالقراءة يضطر ان يرى كل كلمة وكل حرف ولكن متى رسخت صور الحروف والكلمات في ذهنه وصقلت عينه صار يقرأ ما كتب ويكتفي برؤية شكل الكلمة المألوف او رسمها الظاهر

وهذا هو تعليل ما ندركه ونحن نحلم بوقائع تكون في الحالين من مؤثرات حقيقية تؤثر في المشاعر ويكون فيها امور مخزونة في مخادع الذاكرة تنتهز الفرصة عندما تفعل هذه المؤثرات فتظهر من مخادعها وتمتزج بها

ولكن ما هو الفرق بين الحلم والادراك في اليقظة او ما هو النوم من حيث فعل العقل ان كان العقل يفعل في النوم كما في اليقظة على ما تقدَّم ولماذا نسمي فعله في اليقظة ادراكاً وفي النوم حلماً اي ما هي خواص النوم العقلية

الآراء كثيرة في هذا الشأن فقد قال بعضهم ان الانسان يتجرَّد عن العالم الخارجي وهو نائم ويفقد شعوره به. ولكننا اثبتنا في ما تقدم ان المشاعر تشعر في النوم ولو لم تؤدِّ الى الذهن صورة واضحة لما تشعر به. وقال غيرهم ان النوم يوقف فعل القوى العليا من قوى العقل كأن مراكزها تصاب بنوع من الشلل الوقتي. ولا اظن ان هذا القول رهين الصحة لاننا لا نفقد الاستدلال المنطقي تماماً ونحن نيام ولكننا لا نكون قادرين عنهُ حينئذٍ فقد نستدل ونحن نحلم ونعمل اقيسة منطقية صحيحة محكمة كل الإحكام واقول ان الذي يحلم يفرط في الاستدلال واقامة الاقيسة المنطقية فيكثر شططهُ ولو اكتفى بالمشاهدة والمراقبة لجاءت احلامهُ قليلة الاضطراب والسخافات لكنهُ يحاول تعليل كل ما يشعر به فيجمع بين المتناقضات ويرتكب الشطط وهذا لا ينفي ان قوى العقل العليا تكون ضعيفة على نوع ما وقت النوم ولذلك تضعف قوة الاستدلال المنطقية ويصير منطق النائم صورة فقط وعليهِ فلا المشاعر تتوقف عن عملها وقت الحلم ولا قوة الاستدلال

هذا من حيث الآراء ولكننا لا نعرف حقيقة الاحلام فعلاً ما لم نبحث فيها بانفسنا. ولا يستطيع الانسان ان يبحث في كيفية الحلم وهو نائم يحلم ولكنهُ قد يستطيع ان ينتبه حينئذٍ الى كيفية تدرُّجهِ من النوم الى اليقظة اذا عقد نيتهُ على ذلك. واسمحوا لي ان اذكر لكم كيف امتحنت انا ذلك في نفسي. حلمت اني كنت اتكلم في موضوع سياسي امام جماعة من رجال السياسة فسمعت لغطاً زاد شدةً رويداً رويداً حتى صار صياحاً وضجة كبيرة واذا انا بقائل يقول (اخرج اخرج) وحينئذٍ استيقظت فسمعت كلباً ينبح فكان على الذات التي استيقظت حينئذٍ ان تقص على الذات الحالمة وتقول لها لقد سمعت كلباً ينبح فظننته غوغاء تصيحُ فلا ادعك تدعين ما لم تخبريني ماذا كنتِ تفعلين حتى ارتكبتِ هذا الخطأ فتجيبها الذات الحالمة اني كنت غافلة لا اعمل شيئاً وهذا وجه الفرق بيني وبينك فانك انت اذا سمعت كلباً ينبح لا تعلمين ان الصوت نبح وصاحبهُ كلب من غير روية بل لا تصلين الى الحكم بان الصوت نباح والنابح كلب الا بعد جهد جهيد ولو بدا ذلك منك من غير ان تنتبهي لهُ بحسب الظاهر لانك تعودين الى معلوماتك

السامعة وما حرّكته فيها في ذاكرتك وتحميها وتوجيهها الى هذا الصوت وتقابلين بينهُ وبينها حتى ترى واحداً منها ينطبق عليهِ تمام الانطباق وإذا اخطأت في هذه المقابلة والمطابقة اي خطأ فلا يكون الاستدلال صحيحاً بل نوع من الحلم وهذا التطبيق بين الصوت المسموع ومحفوظات الذاكرة لا يتم الاَّ بجهد كما يعمل الخياط الذي يجرب سترة خاطها على بدن من خيطت لهُ فانهُ يوسعها من جهة ويرشّها من اخرى حتى تنطبق عليهِ تماماً ولذلك فأنتِ تبذلين جهداً كبيراً كل لحظة لادراك ما تشعرين بهِ . وحياتك في اليقظة حياة جهاد وعناء حتى في ساعات العطلة ولا تكتفين بالشعور والتطبيق بل تُمحّصين امور كثيرة تقع تحت حسك فلا تنتبهين لها ولا تنتبهين الاَّ الى ما تختارين . ولكن هذه الامور تدخل دماغك عن طريق المشاعر اردتِ او لم تريدي وتمرّ في مخادع الذاكرة وتظهر وانت نائمة فانتِ مستيقظة فانت تختارين ممّا في ذاكرتك ما يناسب الحالة التي تكونين فيها وهذا الاختيار المتواصل هو ما نسميه بالذوق السليم وهو جهاد مستمر ولكنك لا تشعرين بثقل وطأتهِ عليك كما لا يشعر امرءٌ بثقل الهواء الذي يضغط على بدنهِ ولكنهُ يتعبك حتماً ولا يعمل الذوق السليم عمله الاَّ بتعب ومشقة هذا واكرر ما قلتهُ لك وهو اني اختلف عنكِ في اني لا اعمل شيئاً فالجهد الذي تعانينهُ انت لا اعانيهِ انا لاني لا اهتم بشيء وما النوم الاَّ الابتعاد عن الهموم اي ان نوم الانسان يكون على قدر انصرافهِ عن الاهتمام بامور الدنيا فالوالدة التي تنام الى جانب سرير طفلها لا تسمع هزيم الرعد ولكنها تسمع تنهد الطفل لانها تكون نائمة عن الاول ومستيقظة للثاني وما دام المرء يهتم بشيء فهو غير نائم عنهُ

وقد تسأليني ماذا اعمل حينما احلم فأخبرك بما تعملين انتِ وانت يقظى انك تأخذيني انا الذات الحالمة — الذات الحاوية لماضي تاريخك تأخذيني وتضغطين عليَّ حتى ادخل في الدائرة الضيقة التي تحصينها حولك هذه هي اليقظة او حياة المستيقظ الطبيعية حياة الجهاد والارادة والعزم . اما الحلم فهو الحالة التي تعيش فيها حينما تهملين امرك وتفقدين قوة توجيه نفسك الى امر واحد اي حينما تعطلين استعمال ارادتك والامر الذي يستدعي الايضاح هو الطريقة البديعة التي تجري عليها في توجيه كل ما فيك من القوى الى الشيء الذي يهمك وذلك في لحظة واحدة من غير تمهل . الاَّ ان ايضاح هذه الطريقة من متعلقات الفلسفة العملية

***

هذا ما تقولهُ الذات الحالمة للذات المستيقظة . ولو زدنا في استنطاقها لزادت شرحاً واسهاباً وخلاصة الفروق الجوهرية بين الحلم واليقظة أن القوى العقلية التي تشتغل في اليقظة تشتغل في الحلم ايضاً ولكنها تكون حرة في الحلم ومقيدة في اليقظة . فالحلم يشمل الاعمال العقلية

كلها من عدا النقد والاهتمام . والحالم يدرك ويتذكر ويستدل ولكنهُ لا يقيس ولا يطبق ولا يدقق في القياس والتطبيق لان هذا التدقيق يقتضي جهداً عنيفاً . فحسبان النائم صحة استنتاج بسيط لا يقتضي عناء ولكن الحكم بأنهُ نائم كلف لا يكون الا بعد إعمال الفكر وإعمال الفكر هو الذي ينقص الحالم وبه يمتاز عن المستنبط

وبهذا الفرق الجوهري نفهم مزايا الاحلام أي مميزاتها فنفهم مثلاً لماذا تكون غير منسجمة وقلما يلاحظ فيها امتداد الزمن او توالي الحوادث بحسب زمنها

فعدم الانسجام سهل التعليل لان الحلم لا يقتضي الانطباق التام بين ما يشعر به الحالم وما يتذكره بل كثيراً ما يطبق الحالم امراً على أمر مخالف له أو يطبق اموراً متخالفة يأتي بها من ذاكرته على أمر واحد يشعر به مثال ذلك أن نرى غطاءه معطّى بيضاً في غرفة خضراء فيتصورها مرجاً أخضر فيه أزهار بيض او طاولة البليردو وعليها كرات العاج أو نحو ذلك مما يجتمع فيه الاخضر والابيض ويكون محفوظاً في ذاكرته . وتتسارع هذه الصورة من الذاكرة وكل منها يحاول ان يلصق بالتأثير الذي دخل ذهنهُ فقد تتوالى عليه الواحدة بعد الأخرى فيرى أولاً مرجاً ثم طاولة بليردو وقد يظهران دفعة واحدة حتى لا يرى فاصلاً في الزمن بين الصورة الاولى والثانية فتكون الصورة مرجاً وطاولة بليردو في آن واحد وعلى هذا النمط يحدث كثير من الاحلام الغريبة التي ينتقل فيها الشيء إلى غيره حالاً وإذ يرى العقل ذلك يحاول إيضاحهُ فيزيدهُ غموضاً

وبهذا السبب عينه يقتضي الزمان من كثير من الاحلام فيرى الحالم في ثوانٍ قليلة حوادث لو تذكرها في يقظته لقضى في تذكرها يوماً كاملاً لانهُ وهو في اليقظة يبحث مع غيره من الناس فيرى ما يجري بهِ متتابعاً بحسب اتصاله بهم كأن معاشرتهُ لغيره بمثابة زمن ساعة له اسنان كثيرة تنقسم بها حركة رقاصها إلى ساعات ودقائق بدلاً من تركه ينحل في وقت واحد . وهذا الزمن المنسق لا وجود له في الحلم فلا محل فيه للتحكيم والتدقيق وما يتصاحبه من الجهد والعناء ولذلك لا يضطر الحالم ان يطبق ما في نفسهِ على ما هو خارج عنهُ

***

بقي ان نعلل كيف ان جمود العقل يجعل الحالم يقدم بعض صور الذاكرة على البعض الآخر مع أنها تنطبق كلها على الحالة التي يكون فيها على حدٍّ سوى

من الآراء الشائعة اننا نحلم في الليل بما كان يشغل افكارنا في النهار خاصة . وهذا يصدق احياناً ولكن ان كانت الافكار التي نفكر فيها في النهار تبقى معنا ونحن نيام فذلك دليل على اننا

لا يكون نائمين النوم الحقيقي المريح من النوم الذي يستيقظ منهُ متعبين كأنهم لم ينم

اما الاحلام التي نحلمها في النوم العادي المريح فتكون غالباً مقترنة بالافكار التي خطرت لنا خطوراً وبالمواضيع التي مرت بنا ولم نتم النظر فيها. وإذا حلمنا بما حدث لنا في يومنا فالغالب ان يكون مما نستطيع منهُ لا بالمهم فاذا كنت في شارع منتظراً مركبة اركب فيها ولفتت مني التفاتة عن غير قصد ولغير داعٍ خوفاً من ان تصدمني مركبة اخرى فقد احلم تلك الليلة ان مركبة صدمتني ومرّت عجلتها عليَّ ولكني لا احلم بالمركبة اذا صدمتني فعلاً. واذا سهرت على مريض مشرف على الموت وخطر ببالي انهُ قد يشفى ولو كان الرجاء من شفائهِ مقطوعاً ثم نمت فقد أحلم انهُ شفي. والحلم بالشفاء اكثر وقوعاً من الحلم بالموت ولو كان المريض على حافة القبر ومن المحقق ان الامور التي يراها الانسان في حلمهِ هي في الغالب الامور التي تمر في بالهِ وقت اليقظة مروراً لا التي يهتم لنظره فيها ويعلق قلبهُ بها. ولا غرابة في ذلك لان الحوادث التي تهم هي الذات التي لا تهم ولا تنسى والصور التي نحسبها من الذاكرة هي الصور التي تدخل الذاكرة من غير تعب ولا عناء

***

اما إذا كان النوم عميقاً جداً فيحتمل أن تكون احلامه غير ذلك ولكن هذه الاحلام تنسى عادة ولا يتذكرها المرء بعد ما يستيقظ وإذا تذكر شيئاً منها شعر كأنهُ آتٍ من مكان سحيق وزمان بعيد دلالة على انهُ تذكر في حلمهِ اموراً مرت عليهِ في صباه ولما استيقظ حاول ان يسترد بهجة الصبا فقالت لهُ هيهات

فالى أحلام هذا النوم العميق يجب أن يتجه بحث علماء النفس لكي يكتشفوا كيف تنحل مضبوطات الذاكرة بعد أن يكون صاحبها قد نسيها ولكي يعلموا الامور التي تدخل في دائرة المباحث النفسية. ولا أجسر أن أبدي رأياً في هذا الموضوع ولكنني لا أحجم عن الاعجاب بالغيرة والهمة اللتين يهتم بهما علماء هذه المباحث النفسية فان كان النوم الذي تؤثر في احلامنا فمن المحتمل أن يكون أشد تأثيرها فينا ونحن نائمون هذا النوم ولكني أكرر ما قلتهُ سابقاً وهو أنني لا أستطيع أن أبدي رأياً في هذا الموضوع. وها قد سرت معكم على قدر استطاعتي فأقف عند عتبة المجهولات وسيكون أهم أعمال علماء النفس في هذا القرن البحث في عمق أسرار الوجدان أو فيما نسميهِ بالوجدان الباطن ولا شبهة عندي ان الباحثين سيكتشفون فيهِ مكتشفات عجيبة لا تقل اهميتها عن اهمية ما اكتشف مدة القرون الماضية كلها في العلوم الطبيعية هذا ما ارجوهُ وأتمناهُ واجعلهُ مسك الختام

من خمس عشرة
سنة في المقتطف

موعظة شهر الورود

بقلم «مي»

دعاني المساء مهرجان طرب الربيع ورغبت في الخروج والتجوال لأشارك الطبيعة في أفراحها كأني حسبت جدراني ليست تقطع الصلة بيني وبينها، وتشعرني بأن السكون حرمني من مشاركة موجوداته الهاتفات بأريج أيار بين الغصون وزينة الأرض العروس

خرجت وليس لي وجهة معينة أطلب بداهةً أحياء قلما أطرقها. فسرت في شارع قصير على مقربة من شارعنا كأن حسي المتيقظة لبث داعي الأحمرين الحبيبين بهاتيك المنازل أحمر يبسط على أرض الحديقة طنفسة مخملية، وأحمر يتدلى طيلساناً فيكسو صبيب أفنانه على وجوه الجدران الشاهقات

سرت منتهبة أنتقل من رصيف الى رصيف، والشمس آخذة في التحدر وقد انكسرت حدتها ولطف نورها حتى بدت الأشعة حريرية بما مازجها من معاني الفراق. وما كان أندر المركبات والسيارات في ذلك المنعرج، والمارّون يتبادلون نظرة كأنهم بها يقولون «أرأيت؟ لا أحد الاّ أنا!»

انتهيت على آخر الشارع فعدلت منه الى شارع رحب طويل هو شارع مارييت باشا المؤدي الى دار الآثار المصرية. فخطوتُ مترددة بين العودة من حيث أتيت ومتابعة المسير الى الامام. وإذا بناقوس يدق على مقربة مني ورنينه إزاء الغروب دويّ متوسل حنّان. فالتفتُّ الى جهته فوجدتني امام كنيسة صغيرة رأيتها مراراً ولم ادخلها مرة

وقفت أتأمل واجهة الكنيسة وأدير نظري في الحديقة التي تتقدمها وكانت تجتازها بعض السيدات. فلما توارين وراء باب الكنيسة تبادر اليّ انه يُحتفل بصلاة الشهر المريميّ في هذه

الساعة من كل يوم على طول الشهر ، لان ايار (مايو) مكرَّس للعذراء . ولم يعد يدهشني الآن أن أرى فتاة تسير بخطوات عصفور في ثوب ازرق كزرقة الاحلام وتتوارى هي ايضاً وراء باب الكنيسة لاجد بي شوقاً الى مشهد اهياكل وتوقاً الى رائحة البخور . اضحكوا من شئتم ، انتم الزاعمون ان الثوب المليح دهاني ، وان ربه البسيط وتعريجه الدقيق كان له مع المرأة بي احاديث

اما الكنيسة فكانت مملوءة بالمصلين ولم يخل في مقاعدها الا مكان واحد جثوت عنده قرب الكاهن الراكع امام المذبح يتلو السبحة باللاتينية فيرد عليه الجمهور بلهجة الخاشع المتهيب

لا اعرف شيئاً اجمل واسمى من الصلاة في اي دين من الاديان ، لانها رفع النفس الى اعلى درجات الارتفاع ومحاولة الدنو من روح الحياة الكبرى . هي مناجاة العابد للمعبود ، هي شكر المخلوق للخالق واستعطافه لاستنزال عطاياه . وما اعذب هذا الاعتقاد ان في السماء هناك وراء جميع القوى والمحاسن الكونية الهاً قديراً لا يقضي دونه امر ، لديه التسم يفيضها على الحاجة البشرية ، وعزة يتلاشى حيالها ضعف الانسان ، وجودٌ يعمُّ البرايا فتموج وتتموج وتنبض بالحياة والقوة والتحول الآلي لا استحسن الصلاة الآلية المتطردة على وتيرة واحدة دون ان يشترك فيها العقل والقلب ، — الصلاة المتناقية ألفاظها بين الشفاه والاصابع تعد منها ارقاماً معينة — لانها اشبه الى التنويم المغناطيسي منها الى الايقاظ الروحي . قد يكون هذا التأثير من تفنن الشيطان في التجربة والخداع . قاتله الله ! لقد وسوس في صدري حتى شتت افكاري وحملني على احصاء الحاضرين . وكانت النتيجة اني جزمت بأن النساء اميل الى دخول السماء نسبة الى عددهن في الكنيسة ، اذ لم يكن بين مائتي امرأة الا رجلان وخمسة ارباع . أما الرجلان فرجلان ، وأما الخمسة الارباع فصبيان صغار خمسة جاءوا مع امهاتهم . وكم كنت ظالمة في الاحصاء والحكم ذلك اني بعد الخروج وجدت جمهور الرجال في مدخل الكنيسة يقفون هناك مراعاة للسيدات وتكرماً منهم لهن بالمقاعد

ومن الخناس الوسواس يجربني فيحفزني لي تفحص المعبد فتفحصت جدرانه وما قام عليه من صور وتماثيل ، وهندسته وما عبرها من نقوش ورموز ، وهياكله وما تناسق عليها من صدان وطاقات ازهار — تلك الازهار ذات الانحاء السري تحملها شموع كأنها فيها تذكارات لاذعة في شفق الديمومة والنسيان

لكل شيء في العالم نهاية. صمتت الاصوات فتنحى الكاهن الى المرازين امام المذبح الكبير وبدأ موعظته الابتدائية. وكان يقول اشياء عادية بصوت الممتث واشارته مرتبكة كاشارات التلاميذ في حفلة توزيع الجوائز. ولكن لم يلبث ان ارتفع صوته وركزت هيئته واتسعت اشاراته ولمعت عيناه وهو يقول:

« الى مريم وبه هذا الشهر الجميل يجب ان تلتجيء النساء جميعاً. فالامهات يتعلمن منها التحمل والصفات التي احاطت بها ابنها يسوع. وهي الحنان والحصافة والمحبة الصادقة التي لا زهو فيها ولا تهور. لقد كانت. وما زالت. وستبقى ابداً اسمى مثال للامومة القدسية، تسير الامهات وراءها مستوحيات اساليب التربية والتهذيب

« اليها يلتجيء الناس الذين لا ام لهم فيجدون في حضنها الراحة والعطف والمساعدة. اليها تلتجيء العذارى لانها اسمى مظهر للطهر والحشمة والوداعة

« اسمعن يا اخواتي يا نساء القاهرة! اليكن اوجه هذه الكلمات فاقبلها لانها خلاصة اعتقادي، تعلمن الحشمة من مريم انتن بنات اليوم التائهات. ان وقار المرأة واحترام الناس لها الا نتيجة حشمتها وعفتها! قد تكن عفيفات طاهرات في قلوبكن ولكن كيف يصدقكن الرائي ويحسن الظن بكن وانتن تسرن في الشوارع بهذه الازياء الحديثة التي تعري منكن العنق والنحر والذراعين، هذه الازياء الشريرة بأقمشتها الشفافة، الشريرة بقصرها وضيقها، التي تهدم لابستها كل هيبة وجلال

« ألتحببن؟ أتحببن في هذا التهتك؟ ألا فاعلمن اذاً ان حب الرجل لا يكتسب بالتهتك بل بالتكتم. الرجل محارب من طبعه يهوى الفتوحات ويستميت في الاخضاع فاذا هو يعرض عن كل ما لا يكلفه الماً وكداً. فماذا يبقى اليكن وانتن تحطرن في كل مكان؟

« ام انتن تردن الجمال؟ ولكن هل الجمال في الزينة والاناقة وملاحة الوجه وتناسب الاعضاء؟ كلا! كم من امرأة تجمع آية تناسب وملاحة وهي مع ذلك غير محبة اذا سر امرؤ بمشاهدتها مرة او مرات فهو لا يتمنى مجالستها ويمل كلامها وسخافتها بعد ان يعرفها قليلاً اذ يرى ان احسن ما فيها هو هذا الشيء الخارجي الذي لا يكفي لامتلاك القلوب ولا كتساب الارواح

« ألا فاعلمن ان النساء اللاتي كن ذوات اثر في اعاظم الرجال وذوات سلطة وشوكة

حزن جمالاً أعظم من هذا الجمال الخسيس وأبقى. لقد كان هنالك جمال النفس الذي تزيده الأيام رونقاً بينما هي تخط الغضون على البشرة هنا وهناك وتوسمها كل ساعة ذبولاً وتلافاً. كان هنالك جمال العقل وجمال القلب، وجمال حسن التصرف، وجمال العطف الصحيح، وجمال المحبة الطاهرة العميقة المستحجبة بالمظاهر التي لا يعرفها جمال الشباب وجمال الأناقة وجمال الأزياء.

«أتعلمن ما هو الشباب والجمال؟ هما حديقة تملأها الأزهار النضرة والعطور المنعشة، يقف أمامها المارون معجبين. وما هو إلا يوم وليلة حتى تمر العاصفة صارعة أشجارها، مبددة أزهارها، مبيدة عطورها، وتغادرها خالية إلا من أكوام التراب والأغصان المكسرة. هذا ما تسمونه جمال الشباب في جمال القشور. أما الجمال الآخر فهو جمال الجوهر. الآلام تطهره، والمصائب تعلوه، والعواطف تمنحه قوة ونبلاً. هو الجمال الذي يبقى نامياً مدى الحياة. هو مسعد العائلة، هو مسعد الزوج، هو مهذب الأطفال، هو السلام والخير والبركة. ولتحفظه المرأة. اسمعن أيتها السيدات. لتحفظ المرأة ذلك الجمال. عليها أن تكون وردة تحيط بها الأشواك.....»

انتهت الموعظة. صرف الأرغن الشجي وابتدأ الزياح فاشترك الجميع في الترتيل وتصاعدت الشمائر عواطفة منحنية أماماً ومحترقة أمام هيكله بخوراً.

وبعد خروجي من الكنيسة كان الظلام يغمر المدينة ومصلحو المصابيح يجرون في الشوارع حاملين المشاعل. فوقف أحدهم يتفرج على السيدات وهو يفتر عن أسنانه البيضاء، ويغني على كل مرة إنشاده المعتاد قائلاً بلهجته المصرية النحنة: «أنت يا واد يا حلو! أنت بالي زي الباشا! أنت يا واد يا حلاوة»

هذه هي موعظة شهر الورود: على المرأة أن تكون وردة تحيط بها الأشواك. وما «الأشواك» الوردة النسائية غير التكتم والحشمة والطهارة كما قال ذلك القس. فإن عجبتم اليوم لهذا الكم الطويل الذي يتعثر قلمي بأذياله فاعلموا أن سببه موعظة شهر الورود. وإن أعرضت عن ذلك الثوب الشفاف الساحر واستبدلته بهذا الشبيه بثوب أبينا الواعظ لكثافته فما سببه إلا موعظة شهر الورود. وإن غادرتكم الآن، فما ذلك إلا لأني أريد أن أسمع موعظة شهر الورود مرة أخرى

— مايو سنة ١٩٢١ —

النهضة الشرقية الحديثة

وأظهر مظاهرها

مختارات من استفتاء المقتطف

نشر سنة ١٩٢٦ — ونشر سنة ١٩٣٦

من عشر سنوات

في المقتطف

تزحزح الشرق عن جموده

الشيخ مصطفى عبد الرازق

أظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة في الشرق الادنى هي النهضة الفكرية التي زحزحت الشرق عن جموده والتي هي أساس لكل نهوض

بدت مظاهر الجمود العلمي في الشرق ، حين عدا على الشرق الجمود ، من وجهين ، احدهما — صبغ العلوم كلها صبغة واحدة ، والذهاب بغاياتها جميعاً الى وجهة دينية ، ليست هي الغاية التي تتجه اليها العلوم بطبيعتها

فعلم العروض الغرض منه ان نعلم ان القرآن الكريم ليس بشعر

وعلم الحساب نعرف به تقسيم المواريث على النظام الشرعي

وعلوم الهيأة والفلك نهتدي بها الى القبلة ومواقيت الصلاة

والفلسفة يراد منها الرد على ما تتضمنهُ من آراء مخالفة للدين

والامر على هذا المنوال في سائر العلوم

ولاشك ان توجيه العلوم في هذا الاتجاه ضيق دائرتها وانحرف بها عن مذاهبها ، ووقفها عن التقدم ، ووسمها في قواعدها وشواهدها واغراضها بسمة خاصة هي سمة الدين التي لا تحتمل كل ما تحتمل حرية البحث العلمي من فروض وتجارب وشكوك

والوجه الثاني — تغلب الاسلوب الديني على اساليب النظر المنطقي في جميع مناحي البحث ، وهو متصل بالوجه الاول

الدين يعتمد على نصوص مقدسة مصدرها الوحي الالهي ، وكل جهد التفكير الانساني فيها هو فهمها وتأويلها ، والتماس حكم ومؤيدات من جانب العقل لما جاءت به

والبحث العلمي فهو يتناول الاشياء والحوادث والمعقولات ، يحلل مركباتها ، ويؤلف بسائطها ويستقرىء جزئياتها ، ويصل بين عللها ومعلولاتها

هما اسلوبان متباينان ، قد لا يستغني الانسان عنهما ، لكن لا يجوز له الخلط فيهما

على ان انحطاط الشرق ، وتقاصر الهمم فيه ، وارتباك العقول ، وفقدان روح الحرية والاستقلال ، كل اولئك خلط بين الاسلوبين فلم يعد أحدهما ، واصبحت العلوم ديناً تحترم نصوص المؤلفين السابقين فيه كما تحترم الكتب المنزلة ، ولم يبق للاحقين الا ان يتدارسوا ما كتب الاولون ، ويخدموه بشرح او حاشية او تقرير

وهكذا جمد العقل وجمد العلم وجمد الدين

ثم جاءت النهضة العلمية الحديثة في الشرق ، تفصل بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية ، وتخص اساليب البحث العلمي من الاسلوب الديني

نشأت هذه النهضة في مصر باتصالها بالمعارف الغربية ، فقد جاء مع (بونابرت) علماء كانت آثارهم بزوراً لم تذهب كلها بدداً

وارسل محمد علي الكبير الى اوربا بعثات علمية اختارها من الازهر . فذهبت متينة باخلاقها الدينية وتعليمها الازهري ، وعادت أشد متانة واوفر كفاية بما كسبت من معارف جديدة ، وبما عرفت كيف تفصل بين وجهة النظر الديني ووجهة النظر العلمي

اخذوا يضعون في ضروب من العلم مختلفة مؤلفات ليست متوناً ولا شروحاً ولا حواشي ولا تقارير ، وليست على ذوق القدميين وما ألفوا من أساليب وأخذوا يربون خير ما عند الفرنجة من كتب في الفنون التي درسوها . واليهم يرجع الفضل في النهضة العلمية الحديثة

وقد وصل اثرهم الى المعاهد الدينية نفسها ، التي نشأوا فيها نشأتهم الاولى ، فنبه اهل تلك المعاهد الى صنوف من العرفان لم يعرفوها ، واساليب من التفكير والبحث والبيان لم يألفوها

واذا كان ذلك قد أثار كفاحاً بين الجمود الذي لا يريد تغييراً والنهوض الذي يريد ان يحل العلم من عقاله ، ان يجعل للدين سيفه خالصة ، فهو قد أنبت بين الدينيين انفسهم فكرة اصلاحية وأنهض من بينهم مصلحين يعملون على تقرير حرية العقل واعتبارها مما جاء به الدين

وكانت خدمة هؤلاء المصلحين للدين والعلم خدمة جليلة بما أيدوا حرية العقل من وجه ديني

ولما حسبوا اسباب عداوة بين الدين والعلم كان رجال يثيرونها في نفوس الجماهير حرباً مدمرة

خدم هؤلاء المصلحون دينهم ، اذ ردّوه الى ينابيعه الصافية ، وجرّدوه من التشويه والسخف ، وأبرزوه كما أنزله الله من السماء حيّاً حرّاً سمحاً كريماً

وخدم هؤلاء المصلحون النهضة العلمية في مهدها ، وصانوها من طغيان الجاحدين ، وردّوا عنها كيد الكائدين

ولقد كان الامام محمد عبده يهتف في الناس بكل ما أوتي من قوة الايمان وقوة النفس ، ان ليس من الدين ان يرمى بالكفر اهل النظر العلمي وان زلوا ، فهم « يعملون الله في تحريك عقولهم » « ويتفكرون في خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً ، سبحانك »

ان الذين جاؤوا بعد الشيخ محمد عبده يقذفون كل مفكر بالكفر ، اولئك في ايمانهم ضعف وفي عقولهم

***

ومن العوامل التي لها في نشر الحركة العلمية في الشرق أثر معاهد العلم التي انشأها الاجانب ولئن كان في كثير منها منازع مؤدية ، فقد تضاءل كل اثر لها غير صالح الى جانب أثرها العلمي ، فان العلم يأبى بطبعه الا ان يكون مثمراً ثمرة خير

ومن قبل ما قال الغزالي : « طلبنا العلم لغير الله فأبى الا ان يكون لله »

***

وقد نشأت الصحافة مع نشأة النهضة العلمية فكانت ظهيرها قوة وضعفاً وتأثرت بها وأثرت فيها

لكن الصحافة كثيراً ما تراعي هوى الجمهرة من قرائها ، وكثيراً ما يكون هوى العلم غير ما تهوى الجماهير

بيد ان مجلات علمية نشأت في مهد علمي وحملت لواء العلم ، قد ادت للعلم احسن خدمة بتيسيرها مباحثه العويصة ، ونشرها طرائق التفكير العلمي ، والمبادئ العلمية وقد كانت ولا تزال ، مدارس صالحة لطوائف من المتعلمين لا يتهيأ لها ان تساير حركة الرقي الفكري في العالم الا من سبيلها

***

واذا ذكرت النهضة العلمية في الشرق الادنى وذكر انصارها فالمقتطف جدير بان يحمل راية السبق في هذا الميدان

خمسون عاماً من اعوام الجهاد في خدمة العلم وحرية الفكر في الشرق إنظمها الدهر فوق جبين شيخ المجلات ، إكليل مجد وفخار

طوالع التفكير الحر

لسامي الجريديني المحامي

في التاريخ نهضات كثيرة منها ما كان سياسيًّا نقل السلطة من يد الى اخرى ومنها ما كان اجتماعيًّا قضى على نظم موروثة وتقاليد مقدسة ومنها ما كان ادبيًّا غيّر نظام التفكير وفكّ العقل من قيوده

هل عندنا في الشرق مثل هذه النهضات ؟ او بالاولى مثل هذه الثورات ؟

ولماذا نقول النهضة في « الشرق » اني لا احبّ هذا التعميم — فما هو الشرق ؟ ومن هم الشرقيون ؟

ولماذا نسير وراء هذا التقسيم القديم الاعمى فنفصل العالم الى شرق وغرب

قف امام خارطة العالم واجعل اعلاها شمالاً واسفلها جنوباً ويمينها شرقاً ويسارها غرباً ترَ مصر مع افريقيا في الجنوب لا في الشرق بل انت ترى اوربا نفسها شرقاً اذا قيست بأميركا

لانه خطر لقدماء الاغريق ان يقسموا العالم الى شرق وغرب يجب ان نسير نحن وراء هذه القسمة

انها ليست على شيء من حقيقة الجغرافية

وهل يصح ان نكون نحن شرقيين مثل اليابانيين والصينيين ونُبعد عنهم جنساً ودماً وديناً بعد ما بين السماء والارض وهل يصح ان يكونوا اقرب الينا منا الى اليونان والبلغار والطليان وبيننا وبين هؤلاء روابط عديدة لا نجدها بين الصين ومصر مثلاً

او نقصد الى القول بأن النهضة في مصر ترمي الى انهاض الحجاز والعراق وفلسطين وسوريا وتركيا وما الى هذه البلدان التي تجمعنا بها جامعة قديمة

الحقيقة اننا لا نجرؤ على القول بالقومية بعد اننا لا نجسر ان نقول ثورة مصرية او ثورة سورية او ثورة تركية فنعمم ونقول شرقية كأننا لم نعتد بعد التفكير تفكيراً قوميًّا لحداثة عهدنا بمثل هذا التفكير اللهمّ الا الاتراك فقد ساروا على غير ما نسير نحن عليه ولعلهم شدوا الرحال في سيرهم شدًّا سريعاً قد لا يكون ممدوح العاقبة لبعد ما بين الغرض الذي يرمون اليه وتاريخ

عنصرهم المعروف . ولكنهم في نظري الشعب الشرقي الوحيد السائر الى غاية محدودة على طريق محدودة — لذلك يصح لنا بحق ان نقول « نهضة تركية » فانها ثورة سياسية واجتماعية تهيأ لها ما يتهيأ لمثل الثورات من زعيم يقود راسياً الى غرض وسير حثيث الى هذا الغرض وجهاد مع اجنبي أثار فيهم روح القومية واستفزاز عواطفهم وهكذا سبيل الشعوب في تكوين قوميتها . دع عنك ما على هذه النهضة من انتقاد ليس هنا محل البحث فيه

اما في ما سوى ذلك فأين النهضات في « الشرق » اذا سلمنا جدلاً بهذا التقسيم الذي يفصل العالم الى شرق وغرب

نحن من الذين يعتقدون ان الحضارة الغربية خير الحضارات التي يتعين علينا اقتباسها كما اننا من الذين ينظرون الى الامر الواقع ويرون انها هي الحضارة السائدة العالم ونحن من الذين يعتقدون ان طريق نجاتنا في مسالمة هذه الحضارة وتكييف حضارتنا عليها تكييفاً لا يناقضها بل يماشيها

ذلك ان التاريخ يقص علينا قصص اصطدام الشرق بالغرب منذ العصور الاولى حتى الساعة فما قصَّ الا حديث اصطدام كانت نهايتهُ انهزام الشرق امام الغرب — فالعاقل من اعتبر وعرف ان يلتمس طريقاً غير طريق حربٍ معادةٍ الى مواطن الخطر

ونحن من الذين يعتقدون انهُ لا بقاء لنا في معترك الحياة الدولية الا اذا كوّنا قوميات شرقية مستقلة مثل القوميات الغربية . فكما انك لا تطمع في تكوين شركة تجارية او جمعية ادبية الا اذا عثرت على « شخصيات » مستقلة هي افراد احرار كذلك لن نكون اهلاً لدخول المجتمع المتمدن ان لم تكن لنا شخصية صحيحة وهي القومية بما تعنيه هذه القومية من معان وما تفرضهُ من تبعات وحقوق

فليست الحضارة الغربية لباساً يُرتدى او لغة يُرطن بها بل هي اساس عميق للحرية : حرية الفكر والقول والعمل ، وبناء شامخ للنظام · النظام القائم على هذه الحرية

فهل عملنا على اقتباس هذه المدنية ؟

اني على الرغم مما بي من التشاؤم عندما ادرس تاريخنا القديم وعندما انظر الى حاضرنا ، اني على الرغم من ذلك اظن اننا وقد احتككنا مكرهين بالغرب قد بدأنا نثور ثورة فكرية لا بأس بها

فالتفكير الحرّ اساس كل نهضة سياسية كانت ام اجتماعية . ولا تسل عما يؤدي اليه هذا

التفكير . لا دعه يسير . فهو يقاوم ويُقاوم وتصطدم حريته بحريات أخرى وهكذا الى ان يتمّ النصر للفكر الصحيح

فما لا شك فيه ان جرثومة التفكير الحرّ بدأت في مصر وفي سوريا منذ نيّف وخمسين عاماً — بدأة بكتّاب فكروا تفكيراً حرّاً صدم ما في الخاطر من عقيدة موروثة فوقعوا في سبيلها ولكن الفكرة نمت فجاءت بقوم قاوموا استبداد الحكام في عز جبروتهم الطاغي ووقفوا في وجه رجال الدين ينعون عليهم جهلهم فما زالت حتى زحزحت ما كان لتقودهم من مقام

على ان التفكير الحرّ في مصر وسوريا لم تتح له عوامل سياسية تساعده

فقد كان اختلاف الحكام في اوربا وتضارب مطامعهم السياسية مما حمل بعضهم بنصر لوثر في إصلاحه وبعضهم يشجع الهوجنوت وبعضهم يحمي فولتير وهكذا وجد المفكرون الاحرار الفقراء من يأخذ بأيديهم على غير قصد فساروا يحملون شعلة فكرهم الى ان حرقوا الهشيم القديم

اما عندنا فقد اتفق فيما مضى الجمهور مع حكامه المستبدين فكانوا يقاومون كل تفكير حرّ اينما ظهر

ولكنه على الرغم من هذا ظلّ حيًّا وها قد بدت طلائعه تظهر طوراً لم تعهده من قبل فهل يتمّ له النصر او يظل محصوراً في دائرة ضيقة كما كان في الماضي فلا ينمو ولا يعيش؟ لا اعلم ان تاريخ اضطهاد التفكير الحرّ لتاريخ مجيد . ومجده تاج يلبسه كل هؤلاء الذين اضطهدوا وعذبوا وحوكموا وسجنوا في سبيل تفكيرهم

وها قد ذهب الآمرون بالتعذيب والناهون عن الحرية ولم تبق الا ذكرى الابطال — أبطال المفكرين تفكيراً حرّاً

فان نحن اجتزنا الفترة وعبرنا السبيل كما عبره أسلافنا المفكرون الاحرار غير مبالين بما نلاقيه من اضطهاد او عقاب فاننا نكون حقًّا قد وضعنا الاساس المتين ونكون قد مهّدنا الى نهضة اجتماعية وسياسية تأتي بأسرع مما نظن فنتبوأ مكاننا في مجتمع الحضارة الصحيح

فالحرية أساس كل بناء في حضارة جديدة تأبى أن تعيش . فاذا قام شعب بنهضة سياسية لا تكون الحرية اساساً فيها فلن تكون تلك النهضة الا قلقاً غايته التخلص من يد الى يد ونقلاً للحكم من يد الى يد اخرى — وهذا ما نعوذ بالله منه

حرية الآداب

لعباس محمود العقاد

ما هي النهضة ؟ هي الخروج من حالة الجمود إلى حالة الحركة ، او هي الانتقال من المحاكاة والتقييد إلى عهد الاستقلال والحرية . فاذا أردنا أن نقوّم نهضة ونتبين قيمتها الصحيحة فلنبحث عن دلائل الحرية فيها فثمّ النهضة وثمّ يكون أظهر مظاهرها

بيد أني أقسم الحرية إلى نوعين : نوع أسميه الحرية المادية وأعني به الحرية الاضطرارية أي الحرية التي لا نكون أحراراً في طلبها بل نسعى اليها مكرهين مدفوعين بحكم الأحوال القاهرة وبواعث المعيشة، وتلك حرية ناقصة مستورة لانها حرية من لا حرية له في الاختيار فقد تبدلت أحوال المعيشة فضاقت بها عاداتنا وعقائدنا في أحوالنا الجديدة فرمينا بها وبحثنا عما هنالك حركة مباركة وحرية طيبة ولكنها على هذا حرية تملؤها جبريات ومزية لا تحمد الامم على التوقف لديها وليس يصعب عليك أن ترى مثلاً لها في الحيوان يضيق به الحبس فينطلق منه ويثب عنه القيد فيحاول كسره أو في الجماد يتقدم لانه لا يستطيع أن يقف مكانه ويتحرك لانه محمول على الحركة

ونوع آخر هو الحرية الروحية او هو الحرية التي لا تدفعنا اليها الضرورات المألوفة والمطالب الوقتية وانما يدفعنا اليها اتساع افق النفس وسمو معاني الحياة والطموح الى غايات من الرفعة والجمال ينشدها الانسان الكامل وهو موفور الجسد ممكن المؤونة . فهذه الحرية هي الحرية النفيسة الغالية وهي مقياس النهضات الشريفة وفضيلة الانسان على سائر المخلوقات ، وهي الحرية التي تترجم عنها الآداب والفنون والفلسفة الروحية وما اليها من التعبيرات «الحية» عن أشواق الحياة

ولقد سألتموني «ما هي أظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة وأبقى آثارها ؟» فرأيي الآن ان اظهر مظاهر نهضتنا وابقى آثارها هو «حرية الآداب» او هو حركة التجديد في الشعر والكتابة والفن لانها الحركة التي لا تتقيد بمحاكاة قديم ولا بمحاكاة حديث، ولانها ترجمان تلك الحرية التي نحن احرار في طلبها بقدر ما يكون الانسان حراً في هذا الوجود ، ولسنا مرغمين عليها مدفوعين اليها بدوافع الاضطرار الكثيرة والمطالب التي يشركنا فيها الحيوان وقد يوجد لها مثيل في الجماد

على ان هذه الظاهرة — بعد — ضعيفة الاثر قليلة المحصول ، فاذا هي بلغت أشدها وأوفت على تمامها فهنالك نبحث في الشرق عن جميع ظواهر النهضات التي عرفتها الامم فلا يعوزك منها دليل، بل هنالك لا يعوزك حتى الدلائل على النهضة «المعيشية» التي تعوزنا الآن لاننا نمشي مع البواعث الوقتية مسخرين خطوة بعد خطوة ولا ننبعث الى الحرية بشوق في النفس وحب للجمال . فالحقيقة اننا اليوم لا نضارع غيرنا في الاختراع والابتكار ومجاراة حاجات المعيشة لاسباب خلاصتها انهم يفهمون الجمال ونحن لا نفهم الجمال ، لانهم خلقوا بمعدات وأعصاب ونحن خلقنا بغير معدات وأعصاب

اتجاهات التفكير الشرقي

للدكتور بيارد دودج
رئيس جامعة بيروت الاميركية

منذ بضع سنوات لقيت عالماً عربيّاً من علماء الهيئة، اقتبس معارفهُ من كتّاب القرون الوسطى وبنى على كتاباتهم آراءه في حلقات زحل وأقمار المشتري وعدد النجوم الثوابت والفوهات البركانية التي تبدو على وجه القمر، وكانت هذه الآراء مبنية على مقام الكتّاب الذين قالوا بها ومقام تلاميذهم الذين تناقلوها على مرّ العصور. ولم يكن للمرقب والبحث العلمي نصيب ما في تكوينها

وفي أحد الايام زارنا في جامعة بيروت الاميركية فذهبت معهُ في المساء إلى مرصد الجامعة وفيهِ مرقب قطر بلورتهِ ١٢ بوصة، فشاهد بأُم عينيهِ بواسطة هذا المرقب، أقمار المشتري وجماهير النجوم التي كشفت حديثاً وثبتت وجود عوالم في نطاق اللانهائي لم تكن معروفة قبلاً وشاهد أيضاً الفوهات البركانية التي على وجه القمر وغير ذلك من عجائب الافلاك

فأنشأ يخبرني حينئذٍ كيف انقضت عدة سنين والفلسفة رائده في درس هذه الظاهرات الطبيعية ووصف مقدار سروره لانهُ أُتيحت لهُ فرصة ليرى حقيقتها بنفسهِ. في لحظة واحدة انتقل مركز السلطة الفكرية عندهُ من كتّاب القرون الوسطى إلى ما كشفتهُ له آلة علمية حديثة

وعرفت رجلاً آخر من سكان تلك التخوم اللاهوتية في حداثتهِ وجعل ما جاء في الكتب الدينية أساساً لعقيدته وإيمانهِ. وكان راسخ الاعتقاد بيوم الدينونة، وبوجود «سماء» و«جهنم» وكان لشدة إيمانهِ يتدفق حين الوعظ بآيات الكتاب حتى أصبح في بلدتهِ علَماً يدعو الناس إلى الهداية والخلاص. ولكنهُ اختلط بكثيرين من رجال العصر وشبابهِ فأخذت تتطرق إليهِ شكوك وريب تذهب بعقيدتهُ المعتقدة. أخذ يرتاب في محتويات الكتب الدينية كلما ازداد تعمقاً في درسها، وأخذ يبحث عن الحقيقة في مكان آخر ولما فقد ثقتهُ في صحة الوحي تزعزع إيمانهُ وبردت همتهُ وصمتت قوتهُ عن دعوة الناس وردهم إلى التوبة والخلاص وحاول أن يجد أساساً جديداً لإيمانهِ فلم يفلح ولبث يتسكع في الظلام

***

وعندي أن أظهر مظهر في النهضة الشرقية الحديثة هو أن الناس أخذوا يفقدون ما لهم من

الثقة في تقاليد آبائهم كقاعدة لمعتقداتهم الدينية والادبية ودليل لسلوكهم وانهم أخذوا يبحثون عن أساس آخر هذه المعتقدات

لما اندلعت ألسنة اللهيب في أزمير قبيل استيلاء الاتراك عليها سنة ١٩٢٢ هرب كثير من سكانها إلى الميناء، وقفوا هناك على الحد بين البر والبحر يشاهدون بيوتهم وكل ما فيها من عزيز لديهم تتابعه يد الفناء، ورأوا النيران تلتهم كل شيء حتى لقد كانوا في خطر منها على الثياب التي يرتدونها فدفعهم اليأس إلى الماء يسبحون الى المراكب التي في المرفأ او خارجه لعلهم يصلون الى مركب ينقذهم ولكن المراكب والسفن كانت مزدحمة باللاجئين اليها، فغاصوا في الأمواج حيناً حتى وهنت قواهم وابتلعتهم اللجج

هكذا يرى كثيرون من الناس أن التقاليد والمعتقدات القديمة التي قدّسها آباؤهم وجروا عليها تنهار إلى الحضيض انهياراً سريعاً يهدمها بهدم معتقدهم الشخصي فيندفعون مدبرين عنها يبحثون عن أساس جديد لمعتقد جديد فيتخبط كثيرون منهم في الظلام ثم يسقطون الى هوّة الشك أو يغرقون في لجة « المادية »

***

وهذا المظهر من مظاهر النهضة في الشرق لا يقتصر على مذهب دون مذهب أو على جنس دون آخر فإن الثوار في روسيا هدموا الكنيسة والعائلة وغيرها من أركان الحياة الدينية والاجتماعية. والوطنيين في الصين أخلوا معابدهم من التماثيل لكي ينشئوا فيها مدارس علمية حديثة. ومنذ بضعة أسابيع كنت في تركيا فشاهدت فيها سقوط القيود القديمة التي كانت تقيد بها المرأة، والاحترام لرؤساء الدين، والايمان بالوحي الالهي — شاهدت كل ذلك ينهار أمام المذاهب العلمية الجديدة وحرية الحياة الاوربية

وفي البلدان الغربية نعرف كثيرين من الرجال والنساء الذين لا يهتمون باحترام التقاليد والعادات والاعياد التي أحبها آباؤهم وجروا عليها. كذلك نجد جهلاً معيباً بأقوال الكتب الدينية واعراضاً عن الصلوات العامة وفي الوقت نفسه نرى ازدياداً في تعاطي المسكرات وانتشار الآفات الاجتماعية. وميلاً الى احلال المسرات والملاهي محل التقاليد القديمة المحترمة. وزاد في شر ذلك وقوع الحرب وتجييش الجيوش وانتشارها في مختلف البلدان

في الحين الذي نرى فيه افراد الجيل الجديد يدبرون عن معتقدات آبائهم القديمة نراهم أيضاً يقبلون على الفلسفة القديمة القائلة « لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت »

مضى على مصر والعراق وفلسطين وتركيا نحو خمسين سنة، أي منذ ما انشىء المقتطف وهي

تقطع شوطاً من أشواط العمران يقع بين عهدي القديم (الاقطاع) والديمقراطية . اي انقلاب تمَّ في هذه السنين! هذه سكك الحديد والسيارات والطائرات والتلغراف والتلفون، تطوي الابعاد الشاسعة حتى كادت تمحوها . وهذا مذهب النشوء الجديد أخذ العلم يقيمهُ مقام القول القديم بالخلق المستقل . لقد أثبت باستور أن الامراض تنشأ عن أحياء صغيرة هي الميكروبات . وأصبح الزمن يقاس بسني النور ، والتاريخ بالعصور الجيولوجية المتطاولة . وصُدِم الاعتقاد بامكان حدوث العجائب صدمة عنيفة ، وصار الكون آلة تتألف من جواهر وأيونات ، تربطها معاً نواميس طبيعية كشفها البحث والامتحان . في كل هذا يبحث الشبان والشابات عن معبود آبائهم وفي العالم لا يجدونهُ . يقولون اذا كانت الارض كرة فأين جهنم ، واذا كان الفضاء غير محدود فأين السماء

وقد نالت النساء في كثير من البلدان المجاورة للبلدان الشرقية حق الانتخاب ، وعليه ترى اخواتهنَّ في الشرق يطلبنَ التحرر من القيود التي قيدنَ بها ، القيود المبنية على تمييز بين الرجال والنساء . اضف الى ذلك ان الامم التي تجري على العادات الاوربية في معيشتها اخذت تنتشر في الارض ولها من جيوشها وسائل منظمة لنيل المطامع الشريرة

***

ما أعظم التجارب التي يتعرض لها الشبان والشابات في الشرق . انهم معرضون لفقد ما لهم من الثقة في عادات آبائهم وتقاليد اجدادهم والجري على العادات الغربية غير عارفين هل هذه العادات تاج الارتقاء الحقيقي او هي سراب يلمع ويختفي وراءه المعاطب

ما من جيل في التاريخ واجه طائفة من المشكلات كالمشكلات التي يواجهها ابناء الجيل الحاضر ، وما من جماعة من الفتيان والفتيات وجدت امامها ما يتيحها من الايمان الصحيح كفتيان الشرق وفتياته في هذا العصر . وسواء تمكن المتقدمون في السن من قبول الآراء الجديدة والجري عليها او لم يتمكنوا . فانهم لا شك يستطيعون ان يشفقوا على الشبان الذين تمزقهم هذه الشكوك المؤلمة . وسواء اردنا او لم نرد ، لا نقدر ان نقف سداً في سبيل تيار ما يسمى مدنية وما يحملهُ معهُ من آراء جديدة في العلم والاجتماع

وعليه ارى ان اظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة هو هذا الميل الى هدم التقاليد القديمة كأساس للمعتقد والسلوك . وعملنا هو ان نساعد النشء الجديد ليجد اساساً لمعتقدات تعصمهم من احتقار الدين وتعودهم الى الاحتفاظ بأعلى مستوى ادبي حتى يعيشوا لتحقيق الغايات الروحية الرفيعة

في قلوب النوابغ

لأمين الريحاني

ان أظهر هذه المظاهر ما يراه كل الناس، كالملابس الافرنجية، والأسواق المرصفة والانوار الكهربائية، والسيارات، والابنية التي لا شرقية تُعرف ولا غربية — انها كلها من مظاهر التطور، وقد تعد من مظاهر النهضة. ومما لا ريب فيه اننا غيرنا عاداتنا في الملابس والأسمار، وصرنا نفضل الجادة المرصفة على الرمل والغبار، والكهرباء على الكاز. ولا فرق أمختارين كنا في ذلك أو مرغمين.

هو التيار الاوربي والناس امامه كالرمال في طريق السيل. فانا وان لذّت لنا قراءة الاخبار واستماعها عن اجدادنا منذ خمسين سنة فلا بد لنا، ولا نستطيع الآن بثقة نصفها عقل ونصفها جنون، ان نعود الى ما كانوا يلبسون ويحتذون، ويبنون ويفرشون. على اني اذا تصورت الشيخ ناصيف اليازجي مثلاً والدكتور يعقوب صرّوف — الشيخ ناصيف في عمامته وإزاره، جالساً على طراحته يدخن غليونه الطويل وهو يكتب، والدكتور يعقوب في بزته الافرنجية، مكشوف الرأس ولا غليون حتى ولا سيجارة يدخن — تستوقفني الصورة الاولى وان كان قلبي وعقلي يتجهان حبًّا واحتراماً الى الثانية. ثم ان المسألة ذوقية لا اجتماعية.

ولكني اسأل القارئ، ان يتصوَّر مؤسس مصر الحديثة، محمد علي الكبير، بعمامته البيضاء الواسعة، او في طربوشه المغربي، وهو متربع في ديوانه، او ممتطٍ صهوة حصانه، ثم يتصور احد حكام هذا الشرق الادنى اليوم الذين يقيّدون أعناقهم بأربع اذرع من الجوخ الانكليزي او الافرنسي، ويجلسون في السيارة وهم يدخنون السيكارة — يتصور الصورتين ويسأل نفسه أيتهما ادعى الى الوقار والاعجاب. أية الصورتين أفخم وأحسن وأجمل؟ هذا في الظاهر، في البداءة. ولا أثير في قلب القارئ الاشجان فأسأله أن يقابل بين مؤسس أكبر النهضات الشرقية العربية الحديثة، صاحب الطربوش والسروال وبين حكام هذا الزمان الدستوريين.

ليست أظهر المظاهر اذن من اركان النهضة الشرقية، ولا هي برهان على النهضة الثابتة التي فيها رقي حقيقي ومعنوي.

وما هي يا ترى هذه النهضة؟ النهضة في القاموس الطاقة والقوة، او هي الطاقة على النهوض

مما عني فيه الى شيء أرفع منهُ. ولكن روح الزمن اكسب اللفظة معنىً آخر او ظلاً من المعنى جديداً. اني افهم بالنهضة ثورة على القديم الذي امسى عقيماً، والقديم الذي صار باليًا، والقديم الذي كان منذ البدء فاسداً، ان كان في الاحكام، او في العقائد، او في الآداب، او في العلوم وهذه الثورة مظاهر يراها كل الناس فهي ادنى اظهرها، ولكنها ليست بأهمها. ولها مظاهر لا يراها الاَّ فريق من الناس، وقد لا يراها غير الخاصة من ذوي الالباب، وهي في نظري اهمها

اما تلك التي يراها كل انسان ويشارك اليوم فيها، فيفخر او يكسب في سبيلها، أَي هي هذه الاحكام الدستورية التي حلت محل الحكم التركي القديم. ولكنها في مظاهرها مدعاة لغير الاحترام فلو عاد الوالي الذي كان يحكم بغداد منذ خمسين سنة، ورأى الملك فيصلاً يلعب « التنس » واصدقاءهُ الانكليز، هزَّ رأسهُ متعجباً وهو يبسمل، كي لا يتجسد صاحب الجلالة، في التخيل

ولو عاد الخديوي اسماعيل ورأى هذا البرلمان المصري الباهر وهؤلاء الافاضل المكللين بالثوب الافرنجي الرسمي — اسود على ابيض — وبينهم لطفي من الباشا لرفض ان يجلس على العرش بعده قائلاً — ايها السادة المؤدون اني افضل ان اكون واحداً منكم على ان اتقيد بارادتكم كلها

ولو تجسد ثانيةً احد ولاة الشام وشاهد ما حلَّ بدمشق في السنة الاخيرة لرفع يديهِ الى السماء شاكراً شاكياً معاً. وما هي مظالمنا يا ربي اذا قيست بأعمال المتمدنين؟

ولو أُتيح للامير بشير الكبير ان يزور اليوم سراي بيت الدين فيرى من على هذه الجمهورية اللبنانية يضرب الارض بطربوشه، وعاد دامع العين الى قبره

حكومات جمهورية ديمقراطية! واحكام برلمانية انتدابية! هي اظهر مظاهر النهضة الشرقية العربية اليوم، واقلها اهمية، اذ لا رقي فيها سياسيًا او اخلاقيًا، ولا قوة حقيقية او معنوية. فهل تظلها في هذا الشكل الصناعي — وفق المدرسي الغربي — تدوم طويلاً؟ لا ورب القوة! فاما ان يقوم عليها حاكم من اهل البلاد — حاكم بأمره وسيفه — مثل مصطفى كمال او ابن سعود، واما ان ينهض الشعب بأسره على اولئك الذين يرومون استعمار الشرق الادنى بواسطتها فيدوسون على دورها الغربي ويوكلون بها النار

وَيا مهزلة، بل أية مأساة اشد من هذه التي يشترك فيها الوطني المزيَّف، والاجنبي المصيِّف! هل تريدون حكومة دستورية، وملكاً مقيداً، وبرلماناً؟ حاكم ما تريدون ولكم

مقيدون . الملك والبرلمان والدستور كلهم مقيدون من اجلكم ايها الشرقيون

هي ذي همة السياسة الاوربية اخوة الشرق الطالب الحرية والاستقلال . هي ذي التسلية التي يتسلون بها اليوم هذا الشرق القديم الجديد

ان هناك مظهراً آخر يستحق قليل التصفيق وهو المدارس . مع ان تعدُّد المدارس في مصر وسورية ، وفي العراق ايضاً ، من اظهر مظاهر النهضة الشرقية التي تبدو للعيان فيراها كل انسان وليست هي بأهم من الدستور والبرلمان . ليست هي عنواناً — عنواناً في الاقل — للتهذيب الاخلاقي القومي ، وللتهذيب العلمي العالي

والسبب في ذلك هو ان اكثر هذه المدارس لا تزال مقيدة اما ببرنامج ديني واما ببرنامج اجنبي او ان اكثرها لا يزال يديرها رجال الدين الوطنيين منهم والاجانب وهناك عدد ليس بقليل من المدارس الاجنبية التي لا يرى مديروها في تاريخ العالم كله ما هو اهم واعظم واخلد من تاريخ بلادهم — شرلمان وركاردوس قلب الاسد ، وبطرس الاكبر هم ابطال التاريخ . بل ابطال العالم . قل لي يا ولد كم كان عدد اباء شرلمان ؟ وأيهم كان يفضل شرب الجعة على شرب النبيذ ؟ — وقل لي ما اسم البطل النوتي الذي كسر الاماء الروماني ؟ فرتاجودسك . — حمار . اسمهُ فرسجاتوريكس . [illegible] . ولا اظن احداً من طلبة هذه المدارس يعرف اسم طارق بن زياد !

ليست الاحكام البرلمانية اذن ، ولا تعدد المدارس بأهم مظاهر النهضة الشرقية . وان كانت من اظهرها . ولعمري ان مدرسة مثل مدرسة المعلم بطرس في زمانه لاصلح وانفع من هذه التي يتخرج الشبان منها متفرنجين ، لا يعرفون لغتهم ، ولا تاريخ بلادهم ، وقلما يحترمون غير الاجنبي

ان مظاهر النهضة الشرقية التي لا تستحق اقل التصفيق بالمعنى الذي افصحت عنهُ ، ولكنها من الاهمية في اعلى مكان ، انما هي المظاهر العلمية ، والادبية ، والاصلاحية التي تشتعل مصابيحها على الدوام في قلوب افراد من الناس ، في قلوب نوابغ الامة . هي المصابيح ، مصابيح العلم والادب والشعر والفنون ، ترسل اشعتها الفضية والذهبية الى قلب المجتمع الانساني ، الى مصدر الحياة فيه فتنير تدريجاً اظلم طبقاته ، واقصى زواياه الدامسة

اجل ان كتاباً واحداً او مقالاً واحداً او فكراً واحداً فيه حقيقة جديدة مفيدة للناس ، ترسلهُ

حراً في الناس لأشد فضلاً وأثبت نفعاً وأعم خيراً من كل ما تحييه الحكومات ومدارس المقيدة

عفواً ايها القارىء قد تسرعت ، فاستثنيت ، فقلت « المقيدة » ! وما الحكومات على انواعها غير قيود للناس ، وآلات لجمع الضرائب ، واقامة الحروب . أجل . وما فضل الحكومات ، مقيدة كانت ام مطلقة ، في تاريخ الامم ، او بالحري في تاريخ الرقي والعمران ؟ هل سمعت في زمانك او قرأت ان حكومة من حكومات العالم اكتشفت اكتشافاً ، او اخترعت اختراعاً ، او اقدمت على اصلاح اجتماعي او سياسي من تلقاء نفسها ؟ أخشى ان تخرجني الحكومات عن الموضوع اذا سألت سؤالاً آخر

أعود اذن الى النهضة الشرقية العربية فأقول ان الفضل الاكبر فيها هو للعالم الذي يخدم العلم من اجل الحقيقة اولاً وآخراً ، وللاديب الذي يرفع ادبه على ثلاثة اركان هي الذوق السليم ، والقصد القويم ، والخلق الكريم ، وللمصلح الذي يضحي بكل ما هو عزيز لديه ، حتى بحياته ، في سبيل عقيدة يثق ان فيها الخير كل الخير للناس وان اخل ما في هذه النهضة . وأثبت ما فيها ، هو النفر من العلماء والادباء ، والمصلحين الذين لا يبغون غير الحقيقة ، والنفع ، والصير . ولاشك ان عددهم آخذ في الازدياد ولاشك ان من يقرأونهم ، ويقبلون عليهم ، ويتناقلون اقوالهم وافكارهم ، يُعَدُّون بالالوف اليوم وقد كانوا منذ خمسين سنة يعدون بالمئات

ومن نتائج هذا الازدياد في عدد الذين يقبلون على الادب الجديد ، ويطالعون الكتب العلمية والاصلاحية ، هو اننا اصبحنا اكثر علماً واكثر احتراماً للعلم من اجدادنا ، واكثر حرية كتابةً وقولاً ، واكثر تساهلاً في المعتقدات ، وأشد ميلاً الى التآلف والتضامن في سبيل الوطن

اقول اكثر تساهلاً على الرغم من ضجة في مصر أحدثها كتاب في النقد الادبي لاديب من المجددين وكتاب في الاصلاح الديني لعالم من العلماء المصلحين فلو ظهر هذان الكتابان منذ اربعين سنة لكان السجن او الاغتيال جزاء الشيخ عبد الرازق والاستاذ طه حسين

الى الامام ؟

انا لي تقدم . وان الفضل الاكبر في ذلك عائد الى محرري المقتطف والهلال ، والى اولئك الادباء المجددين والمصلحين الصادقين الذين يقتلون القديم — القديم العقيم ، والقديم البالي ، والقديم الذي كان منذ البدء فاسداً — يقتلونه ويقولون ، بلغة المعري ابي العلاء ، عليه سمة المتاهلين

الثورة المقبلة

للورد سنودن

وزير مالية بريطانيا في وزارة العمال

من سبع سنوات
في المقتطف

هل يزيد رغد العيش ورخاء الناس بازدياد المكتشفات العلمية وتكاثر المستنبطات العلمية واتخاذ الوسائل الصناعية على اختلافها؟ من نظرة تحملنا الى دور صناعة تكفي لان نقنع الناظر من السيطرة على قوى الطبيعة واستخدامها في الآلات يخفف من عبء العمل الشاق عن كاهل الانسان، ويرفع مستوى معيشته. هذا ذهب احد المفكرين مرتاباً في فائدة هذه المكتشفات والمستنبطات متسائلاً فيما بينه وبين نفسه «هل يستفيد العمران شيئاً ما من المكتشفات والمستنبطات التي ننتظر تحقيقها في قرن من الزمن» حسبهُ الناس متعنتاً ليس له مسوغ فيما يذهب اليه. ومن الاقوال المأثورة عن الفيلسوف جون ستيورت مل قولهُ «اني ارتاب في ان الآلات الصناعية قد خففت عبء العمل اليومي عن كاهل عامل واحد» فاذا حدقنا ما في هذه الفترة من المدنية المقصودة وجدنا فيه نصيباً كبيراً من الحقيقة

لقد زادت قوة الانتاج في كثير من الصناعات نحو خمسمائة ضعف في ١٥٠ سنة بادخال الآلات البخارية والكهربائية الى المعامل. فاذا حسبنا ان مائة عامل كانوا يستطيعون من مائة وخمسين سنة ان يصنعوا مقداراً كذا من صنف ما في اسبوع اصبحوا الآن يستطيعون ان يصنعوا خمسمائة ضعف ذلك المقدار في الوقت عينه ولكن بمساعدة الآلات. ومع ذلك لا نرى نقصاً في ساعات العمل يوازي هذا التقدم في سرعة الانتاج ولا زيادة في اجور العمال تتفق معهُ. على ان الانصاف يقضي علينا بأن نقول ان الثورة الصناعية زادت الثروة العالمية فهدت السبيل لسكان

ان قيمة هذا المقال تظهر في عين القارئ، اذ عرف أن واضعه كتبه في اواخر سنة ١٩٢٨ حينما كانت الازمة الاقتصادية العالمية في مستهلها لم تعد ما قال علماء الاقتصاد ورجال المال والاعمال ان انهيار الاسواق المالية حينئذ ليس الا اضطراباً وقتياً لا يلبث ان يزول. وقد كان هذا المقال خاصاً بالمقتطف

الارض المترابدي عاماً بعد عام ان يعيشوا في مستوى من الرخاء اعلى من مستوى اسلافهم وظهر الصعاب التي تنجم عن تقدم علمي ميكانيكي كالتقدم الذي شهدناه منذ اواسط القرن الماضي صعبتان الاولى — تجمع الثروة في ايدي افراد قلائل من سكان البلدان الصناعية . والثانية — زيادة المتعطلين عن العمل زيادة غير منتجة لذلك يتعذر على اصحاب الصناعات ان يمنحوا العمال المنتجين ما يستحقونه من الاجور ولا ريب في ان التقدم العلمي والصناعي افاد فائدة غير مباشرة جماعات السكان الذين لم يشتركوا في تحقيقه كمالي واشهر هذه الفوائد ارتقاء طرق المواصلات ورخصها وتعدد وسائل اللهو والمطالعة والتهذيب ورخص السيارات واثمان المخاطبات اللاسلكية وما اليها

والسبب في ان التقدم العلمي والصناعي لا يظهر له اثر في رخاء الجمهور ورفاهته هو ان بلدان الارض لم تنتظم بعد انتظاماً يمكنها من استهلاك كل ما تقذف به المصانع الى الاسواق لذلك تكون النتيجة الاولى التي تنجم عن استنباط وسيلة ميكانيكية جديدة لترقية الصناعة ان يستغنى عن عدد من العمال لان اصحاب الصناعة اذا احتفظوا بجميع العمال واستخدموهم في ادارة الآلات الجديدة زاد ما تنتجه المعامل عن حاجة الاسواق اليه لذلك يعمد اصحاب الصناعات الى الاستغناء عن بعض عمالهم لكي يحفظوا ما ينتجونه ضمن نطاق محدود لئلا يكثر المعروض وتهبط الاسعار

فماذا ينتظر ان يحدث اذا استمر التقدم العلمي والصناعي سائراً سيراً حثيثاً الى الامام من غير ان يصحبه تقدم في مقدرة العمال على استهلاك الانتاج الزائد الذي تمهد له الوسائل الصناعية الجديدة سبيل الزيادة والسرعة ؟ ان مقدرة العمال على استهلاك البضائع المختلفة يتوقف على مقدرة الطبقة المعروفة بطبقة العمال على الشراء فاذا لم تزد مقدرتهم على الشراء لم يتسع نطاق الاسواق المخصصة لاستهلاك ما تنتجه المصانع وصرنا حينئذٍ نخشى ثورة صناعية أخرى . وكل الدلائل تدل على اننا قريبون جداً من انقلاب خطير الشأن في وسائل الصناعة العلمية . اذ يظهر لي اننا على عتبة عصر جديد تتصل فيه العلوم الكيمائية في الصناعة فتحدث ثورة اعظم اثراً وابعد مدى من الثورة الصناعية التي احدثها استنباط الآلة البخارية . وكيف اجلنا الطرف نجد ان العلوم مطردة التقدم لان كل اكتشاف جديد يحفز العلماء الى البحث والاستقصاء ويفضي الى مكتشفات كثيرة وقد يكون في امكان الكيماويين ان يزيدوا خصب الارض في مدى قرن واحد زيادة تجعل الناس في غنى عن اربعة اخماس الاراضي المزروعة الآن فيقضى على كثير من المواد الخام المستعملة الآن في الصناعة وتحل محلها مواد مركبة تركيباً كيماوياً . ان تقدماً في هذه الناحية من نواحي العمران يقلب رأساً على عقب توزيع العمل بين الناس وتعود الزراعة لا تحسب الركن الاساسي في ثروة الامم

تجيء الثورات احياناً فجأة كما جاءت الثورة الصناعية منذ ١٥٠ سنة وفي بعض الاحيان تأتي ببطء

كأنها تنتظر تضافر العوامل التي تمهد هذا السبيل . فهل في العمران الحاضر عوامل تهيأ وتتضافر لاحداث ثورة ما ؟

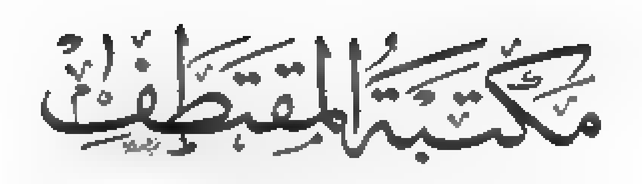
انظر الى المستنبطات التي حققت في الخمسين السنة الاخيرة التلفون — المصباح الكهربائي المولدات والمحركات الكهربائية — الاتوموبيل المخاطبات اللاسلكية على اختلافها — السفن التي تحرق البترول — الحرير الصناعي الآلات التي تبيع كالاحياء — هذه هي بعض المستنبطات التي قدف بها العلماء والمستنبطون والصناع الى ميادين الحياة اليومية

وقد اتسعت الوسائل الميكانيكية المختلفة اتساعاً جعلها كأنها مستنبطات جديدة . فقد نشر اتحاد العمال في اميركا نشرة اقتصادية يؤخذ منها ان مقدرة العامل على الانتاج زادت من اول القرن العشرين الى الآن خمسين في المائة وان هذه الزيادة سببها اتقان الوسائل الصناعية الميكانيكية

ومما يؤسف له وقد يكون له اثر شديد الخطر في العمران ان كثيراً من البلدان زادت قوة معاملها ومصانعها زيادة كبيرة لا تسوغها حالة الاسواق العالمية ولذلك ترى ان جانباً كبيراً من هذه المعامل واقف عن العمل لا يبدي حراكاً . ففي ١٧ سنة (١٩٠٧ — ١٩٢٤) زادت القوة المستعملة في مناجم بريطانيا ومعاملها من ٨ ملايين حصان الى ١٥ مليوناً ولكن ما تنتجهُ هذه المناجم والمعامل لم يزد قط . وهذا يعود بنا الى ما قدمنا الكلام عليه وهو اذا لم تنتظم بلدان العالم انتظاماً يمكنها من استهلاك ما تنتجهُ المعامل التي تكثر ويزداد انتاجها كل سنة باتقان أساليب العلم ووسائل الصناعة لم يجد هذا التقدم العلمي الصناعي نفعاً ما

فالنتيجة العامة التي نصل اليها من البحث المتقدم هي هذه : أن التقدم العلمي والصناعي سريع لا تستطيع بلدان الارض ان تجاريهُ بزيادة مقدرتها على الاستهلاك والتكيف على ما تقتضيه الاحوال الصناعية الجديدة وانهُ اذا استمر كذلك وقف كثير من المصانع عن العمل ووقعت لا محالة ازمة خطيرة جداً بزيادة العمال العاطلين . ولو كان في الامكان لكان يحسن بنا ان نقف عقداً أو عقدين من الزمان عن الاكتشاف والاستنباط لنمعن في أثناء ذلك بتطبيق ما أنشأناه حتى الآن ومحاولة الوصول إلى نقطة التوازن بين الانتاج والاستهلاك فذلك فقط تمكن من توزيع المنافع التي تنجم عن ارتقاء العلم وزيادة سيطرته على أساليب الصناعة . وما لم نفعل ذلك بطريقة من الطرق لا بد أن نرى يوماً نرى الصناعة في ركود وجماهير العمال العاطلين في فقر مدقع فاذا حصل ذلك صعب على نظام العالم المالي تحمل هذا العبء أن لم يتعذر عليهِ ذلك وحينئذٍ ينحي نحبهُ وينهار ما أغرب النتيجة التي وصلنا اليها — كلما زادت مقدرتنا على الانتاج زادت المصاعب في الاستفادة منها وتوزيع المتع على جميع طبقات الناس توزيعاً عادلاً

لقد صدق قول الشاعر « مجيء المعرفة سريع ولكن مجيء الحكمة بطيء »



ذكريات دار المقتطف

— ١ —

للأمير شكيب أرسلان

كنت ارى في اخلاق الطيب الذكر يعقوب صرّوف من السماحة والسجاحة والنزاهة والعلو عن سفساف الامور والتزام معاليها ما لا اجده الاّ في النادر الاندر من البشر ولاشك انهُ اذا كان اعلى افق من الناس متصلاً بأقرب افق من الملائكة فيكون فقيدنا طيب الذكر في الفوج الاول من الآدميين الفارطين الى ذلك الافق العالي

•••

كنت في الخامسة عشرة من العمر عندما وقع نظري على الدكتور صرّوف لاول مرة في حياتي وذلك في ادارة احدى جرائد بيروت وكان صاحب تلك الجريدة وهو اليوم في عالم البقاء يسأل الدكتور عن لفظة « مياه » ومأخذها ومعناها فأخذ الدكتور يفسر لهُ هذه الكلمة ويذكر لهُ اشتقاقها ومواضع استعمالها وتاريخها من الكلام العربي فدهشت مما سمعت وعرفت مع حداثة سني يومئذٍ مزية العالم على الجاهل او المتعالم وقلت في نفسي : انظر الى هذا الرجل كيف سرد عن لفظة واحدة بسيطة جواباً يقع في كلة واحدة عبارة طويلة لا نجد فيها مع طولها حشواً ولا حرفاً زائداً ولا ناقصاً . إن مثل هذا العالم هو الذي ينبغي ان تشد اليه الرحال . وزاد اعجابي بما سمعت من العلم وما شهدت من اللطف والتواضع وانكار الذات وعدم الصنعة في كيفية الالقاء الذي سمعتهُ

ولم تساعدني الاقدار ان اشاهد الفقيد بعد ذلك الاّ سنة ١٨٩٠ حينما قدمت الى مصر اول مرة وكنت في سن العشرين فدعاني اصحاب المقتطف الى الغداء عندهم وتذاكرنا في مواضيع كثيرة ولا يزال لتلك الزيارة اثرٌ منطبع في اعماق نفسي . ثم اتيحت لي مقابلة الفقيد مرة اخرى وكنت من قبل ذلك اكتب بعض المقالات الى المقتطف وكان المرحوم يستحث همتي في مواصلة

الكتابة العلمية وقال لي مرة من ذاق لذة العلم يجد الكتابة في السياسة إسفافاً لا تطيب به نفسه ولكنه كان كسائر العقلاء يرى انه لا بدّ من بعض الامور في هذه الحياة ولو أتاها الانسان مكرهاً

وكانت المكاتبة قلما تنقطع بيني وبين الاستاذ وأنا في بعض الاحيان أراسل المقتطف ولي فيه مقالات وبحوث كان تواضع المرحوم يحمله لا على نشرها فحسب بل على استزادتي من امثالها وكانت المحبة بيننا بلغت من الخاصة انه كان يستشيرني في امور تتعلق بمنهج المقتطف والمواضيع التي ينبغي ان يتوخاها ومرة ارادني على ان اكتب بصورة مستمرة وان اجد للمقتطف مراسلين يصح الاعتماد على علمهم وبلاغتهم لمعاونته فأبيت الا ان اكون في الكتابة حرًّا غير مقيد بزمن ولا عدد وان لا اتقاضى على ذلك شيئاً ولكني استحثثت له اقلام فضلاء مشهورين راسلوا المقتطف بعد ذلك سنين طوالاً وكان منهم الاستاذ الشرتوني طيب الله ثراه والاستاذ كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي الذي كنت انا الواسطة في مراسلته للمقتطف وكانت هذه المجلة من منابر رقيه ومظاهر نبوغه ومن هؤلاء المرحوم محمد ابو عز الدين رئيس محكمة استئناف الجزاء في لبنان الذي لولا منصبه القضائي لأمتع قراء المقتطف بأكثر جداً مما اتيح له

ولما جئت مصر للمرة الثانية وذهبت منها الى طرابلس الغرب وذلك منذ خمس وعشرين سنة اسعدني الحظ ايضاً بملاقاة الفقيد رحمه الله . وهذه آخر مرة تلاقينا بها لان الشواغل حالت دون كثرة الاجتماع وكنا من اهل بلاد لا تزال من حرب الى حرب فكانت السياسة المشؤومة تحول بيننا وبين من نهوى بمقدار من جهة اولئك الذين الساعة من عشرتهم تزن الايام الطوال من عشرة سواهم ثم جاءت الحرب العامة فانقطعت المواصلات كلها وغبنا لا يعلم الواحد عن الآخر شيئاً الا من افواه القادمين حتى اصيب المرحوم بفقد احد اخويه فأرسلت اليه بكتاب تعزية وجاوبني عليه واستؤنفت بعد ذلك المراسلة بيني وبينه عوداً على بدء واني انقل الى القراء بعض اسطر من جوابه لان روحه الطاهرة تتجلى في جميع كتاباته وكلامه لمرة مرة كله قال :

« تناولت صباح امس كتاب التعزية الذي تكرمتم عليّ به فزادني ابتهاجاً بمحبتكم وافتخاراً بصداقتكم وايماناً بحبكم ولقد اراني موت اخي ما لا استحقه من كثرة الاصدقاء والمحبين على تقصيري مع الجميع كما انه يذكرني بقرب الاجل وانا شديد الشوق اليه لعلي ادرك شيئاً من الكثير الكثير الذي اجهله »

فلينظر القارىء ما بلغ من هذا الرجل حب العلم حتى اصبح يتوقع الموت بلذة المنتظر من وراء هذه الحياة حياة اخرى اوسع علماً واصح حكماً

ثم انهُ يقول « من غريب الاتفاق اني قرأت ما كتبتموه في مجلة المجمع عن كتاب « مي » في المساواة قبل وصول كتاب التعزية بساعات قليلة والمساواة مقالات نشرت اولاً تباعاً في المقتطف ثم جمعت وطبعت كتاباً على حدة وراقني جداً وصفكم له وارجح انها « مرحم شيئاً » رحمة لانها تتكلم معي في كل المواضيع الادبية والفلسفية كما تكتب عنها موية الذاكرة الى حد يفوق التصور وقد قرأت كثيراً من الكتب في اللغات التي تحسنها الفرنسية والانكليزية والايطالية حتى لقد تستشهد في كلامها معي بأبيات من شكسبير او بيرون كما تستشهد بالمتنبي والمعري وحفظت ايضاً كثيراً من قصائد شوقي ومطران وحافظ واطنها تصوغ معانيها في ذهنها بالفرنسية او الانكليزية ثم تعبر عنها بألفاظها العربية والظاهر ان الذي طبع الكتاب عن مقالات المقتطف غير فيها بعض الالفاظ فصرها ولقد اصبتم وأحسنتم بوصفكم للكتاب وكاتبته واصفتموها »

***

ولما ترجمت كتاب « اناطول فرنس في مباذله » أحببت ان اطلع عليهِ المرحوم الاستاذ واعرض عليهِ نشره في المقتطف اذا شاء . فاستحسن الفكرة اولاً واشار إليَّ بارسال الكتاب حتى ينشرهُ في عدة اعداد من المقتطف ثم يجمعهُ كتاباً على حدة . وكنت قد رأيت فيما نقلهُ « جان جاك بروسون » عن اناطول فرانس كثيراً من الرفث والمجون مما حذفت منهُ شيئاً وسلمت شيئاً وبدت في اشياء منهُ بالمعاريض وظننت ذلك كافياً في تجريد الكتاب مما ينبو عنهُ نظر الادب ويحمر لهُ وجهُ الخفر واذا بالاستاذ يقول لي :

« الى ان اطلعت على ما بعثتم بهِ اليَّ من « المباذل » كنت احسب الرجل شيخاً جليلاً كبعض الذين عرفتهم في حياتي كفانديك والبستاني واليازجي (يريد استاذه الدكتور فانديك الشهير والمعلم بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي) لكن المباذل صورته لي كاحمد فارس الشدياق كما عرفتهُ في « الساق على الساق » ثم رأيتهُ بعد ذلك في مصر . ولا ارى ان كاتب سر أناطول فرانس أحسن في نشر ما نشرهُ عن استاذه وقد اوصينا ان نذكر حسنات موتانا . فهل من حسن الذوق في هذا العصر ما كتبهُ عن (الهيجان واللذة) وما رواه عن (الصامات الاولى) و (الساقة والسحر) لو كنا في عصر صاحب الاغاني لالتمسنا بآداب العصر عذراً لهُ

« أما عصرنا هذا لاسيما بين المصريين والسوريين من قراء المقتطف فاتم اول من يقول انهُ لا محل فيه لهذا التدل والجمون ولو كان لي معرفة بالسكرتير لكتبت اليهِ ألومهُ على ذكر تحرير استاذه وتحريره . قد يتغير العصر ويتغير نظر الناس في هذه الامور ويصيرون ينظرون الى تحريمها كما تنظر الى تحريم قطاع الطريق من اليونان وأكل الحيين في الصوم الكبير ولكن لا بد للمرء من ان يلبس لكل حالة لبوسها . ولولا اعتقادي أن رأيكم في هذه الامور مثل رأيي ولكم تسلمون كلما وصلتم الى عبارة من هذه العبر وتودون أن لا يكون الرجل كذلك أو ان لا تذكر عنهُ تلك الهنة لما صارحتكم برأيي . وعليه فانا معيد اليكم الكراس مع هذا البريد راجياً قبول عذري ومسامحتي ان كنت ذكرت شيئاً يشف عن ظهوري فيه بمظهر المعلم لمن أعده في المرتبة العليا بين المتأدبين بأدب النفس وأطال الله بقاءكم »

***

والله لقد قرأت هذا الكتاب والعرق ينحدر على وجهي من شدة ما خجلت من رجل كنت أوفر لهُ من الحرمة ما لا اوفره لغيره . ولم ألبث ان كتبت اليهِ بانهُ قد كان في الكتاب من العبارات الكثرى في هذا الموضوع ما لا يلبس عليهِ رداءه كما يقال ولقد حذفت منها ما ظننتهُ كافياً ولكني خشيت اذا استقصيت الحذف من غضب هؤلاء الشبان الذين يسمون انفسهم « بالمجددين » والذين قد يسخطون عليّ ويرمونني بعوارض أنا في غنى عنها على ان ملاحظتك كلها هي في محلها وما كان يمنعني لمثلي ان يتساهل من هذه العُجَر والبجر في شيء . ثم اردت أن امازحهُ فقلت « وأما ما قلتهُ عن تأدبي بأدب النفس فلقد كان ذلك ولكن فيما يظهر إقامتنا بأوربة مدة نحو عشر سنوات قد زعزعت أركان هذا التأدب حتى صرنا نترجم مثل هذه الروايات »

ثم اعدت النظر على الكتاب فحذفت منهُ كل ما لحظت انهُ يقع من خاطر الاستاذ صرّوف وأمثاله الكملاء موقعاً غير مقبول . ووقعت من اجل ذلك كما حسبت في ألسنة اولئك الشبان الذين شرعوا في تعنيفي من جراء هذا الامر اكثر من مقالة . حتى قيل لي ان بعضهم عمد الى المواضع التي طويتها واراد ان يترجمها ويسد بها برعمه ذلك الخلل الذي احدثتهُ انا على الكتاب ولكنه كان يهمني ان يرضى صرّوف ولا ينتقدني ولو انتقدني بعد ذلك مئات وألوف

قيل ان السيد الجرجاني تناظر مع السعد التفتازاني بمجلس عام وكان السيد شاباً حديث العهد وكان السعد شيخ العلماء في وقته فانتهى المجلس بأن السعد اقرَّ للسيد وان السيد فتح على السعد امام ذلك الجمهور فساء ذلك تلاميذ السعد ولما انصرف الناس قالوا لاستاذهم ما كان ينبغي لك ان تسلّم لرجل هو في سن احد تلاميذك فأجابهم وماذا اصنع اذا كان معهُ الحق فقالوا له: قد كان يمكنك ان تقول له كيت وكيت في الجواب. فقال لهم ولكنه يكون مماحكة ولا يكون من العلم في شيء. فقالوا له: لكن الناس قد علموا الآن ان السيد اعلم منك. فقال لهم. احب اليَّ ان يعلم الناس جاهلاً وأن يعلم السيد وحده عالماً

فاذا كنت أوثر ان يكون الاستاذ صرُّوف راضياً ولو تعرضت لسخط جمهور لا من الشباب فحسب بل من الكهول ايضاً

***

ولقد ترجم احد الفضلاء من اصحابي تأليفاً فانتقده المقتطف في عبارات معلومة. فلم يمضِ على ذلك ايام حتى قرأت في احدى الجرائد جملة شديدة في الرد على المقتطف تحت امضاء مبهم فعلمت انهُ قد يكون الرد من قلم مترجم ذلك الكتاب او احد اصحابه فأسرعت بالكتابة الى صديقي هذا اعذلهُ على هذا الرد ان كان منهُ او منهم ولم اكتفِ بذلك حتى نشرت في (كوكب الشرق) جملة ابين فيها فضل المقتطف وأصحابه ورأيي الخاص في العلامة الدكتور صرُّوف. وبعد ايام جاءني الكتاب الذي يلي بعد الترجمة

« وقال لي بعضهم الآن ان في كوكب الشرق كلمة من الامير عني وأتاني بالكوكب فاذا انا تاج وصولجان وطيلسان. والصانع والمحسن والمتفضل محب كريم لا يرى الا الحسنات ويطمسها الحب في عينيه ولست اجد كلاماً يفي بشكركم »
ولما كان في الرد الذي تناول صاحبه به الدكتور صرُّوف اشارة الى كونه نصير زويمر. وهو خبر ناشئ عن وهم ككثير من الاخبار التي تعلق بالاذهان ولا صحة لها فقد اوضحت في دفعي عن الدكتور الخطأ الواقع في هذا الظن. وقد اصحبت الدكتور ما قيل عنهُ فكتب في جملة ما ذكره:
« اما زويمر فهو بعدي اكبر خصم له ومرادي ان اطلعهُ على ما كتبتم لاقوي حجتي عليه »

ثم يذكر لي في هذا الكتاب وهو مؤرخ في ٣١ يوليو سنة ١٩٢٥ انهُ صدر مقتطف اغسطس وقد كتب فيه عن رواية آخر بني سراج وقال لي هكذا:

« وطلبت منكم ان تمدوا عما قلتموه في الصفحة ٣٩٦ فان اوربه سائرة مختارة او غير مختارة الى ابتلاع مرافق الشرق ومتى زالت مرافقهُ من يد ابنائه أمسوا عبيداً فصيره الى الخراب ان لم يتفق رجاله وينضوا عن كثير مما يفرق بينهم ولا سيما النعرة الدينية ويؤوبوا الى القول المأثور « الدين عند الله المعاملة ». وعسى ان تتمكنوا من هبوط مصر في الشتاء القادم فنواصل البحث في موضوع لا تسعهُ الاوراق واكرر الشكر الجزيل للامير الكريم »

فكنت في الحقيقة اعلل النفس بآمال لقاء هذا الصديق الكبير طاهر القلب وكبير العقل وواسع العلم . وطالما تخيلت وربما للاسف المجالس الطيبة التي كنت سأحظى بها منهُ ولكن الاجل قضى على هذا الامل وكم من حسرة تنزل مع الانسان في التراب . ولما جاءني نعي المرحوم كان اول ما انطلق لساني به قول اليازجي الكبير

قد كنت انتظر البشرى رؤيته فجاءني غير ما قد كنت انتظر

ولبثت اكرر هذا البيت ولا ازال اكرره كأنهُ يشفي بعض ما في صدري . ثم لينظر الانسان الى ما كان عليه هذا الفقيد من حب الخير وصفاء الوجدان فقد كنت كتبت بهُ مما كتبت من الاعتذار عن الرد الذي نشره بعضهم عليه بسبب انتقاده لكتاب المترجم فقلت لهُ ان المترجم قد يخسر بانتقاد رجل عظيم مثله ليس خسارة ادبية فقط بل خسارة مالية فكتب اليَّ في مكتوب آخر بتاريخ ٣١ اغسطس سنة ١٩٢٥ يقول لي :

« وأؤكد لكم اني لما قرأت قولكم أن المترجم قد يخسر بانتقادي خسارة مالية تحول غيظي منهُ الى غيظي من نفسي ولا ادري الآن كيف اكفر عما مضى »

ولم يلبث أن نشر في المقتطف قطعة طويلة من الترجمة حتى لا يظن القراء انهُ ينقد فصلها بمجرد انتقاد بعض عبارات . نعم قد كان في حب الخير والبعد عن الشرامة وحده وكنت قد ذكرت لهُ تصرف الدول التي تزعم انها حاميات الحق والعدل مما نكثت به من مواعيدها للعرب وما اظهرت من الجشع والطمع بسلب حقوقهم واحتلال بلادها بعد الحرب الكبرى فاجابني أجزل الله ثوابه من ذلك بما يأتي قال :

« اما رجال السياسة الذين اشرتم اليهم فقد رأيت منهم بعد الحرب ما صرفهم عن عيني وحلمي احقر من ان ادافع عنهم من اكرمهم الى اصغرهم اجنبني الله واياكم داخل سياج العلم واطال الله بقاكم »

ولست اكرر هذه العبارة على صحة وجدان الفقيد ولكني اذكرها في جملة حسناته الكثيرة

— ٢ —

للدكتور امين باشا المعلوف

عرفت الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر وأنا غلام لم يطر شارباي وكنت قادماً من زحلة مع والدي فدخلت المدرسة الكلية السورية الانجيلية وهي الآن الجامعة الاميركية وكان معي في المدرسة الياس صالح وابراهيم القيم ونجيب صبرا وغيرهم ممن غابت عني اسماؤهم لطول العهد ثم انضم الينا غيرهم منهم جورج بليبيدس وبقي معي في المدرسة الياس صالح فنلنا شهادة بكلوريوس في العلوم معاً ولكن انتظم غيرهم في القسم الطبي منهم نجيب الصليبي على ان الياس صالح بقي معي من الاول الى الآخر

وكان من اساتذتنا الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر لكنهما كانا يعلمان العلوم العالية كالفلك والكيمياء والطبيعيات والصرف والنحو لم نتلمذ عليهما على ان الدكتور صروف علمنا القراءة في كتابه سير النجاح لانا كنا صغاراً لم تستطع نفوسنا الى اكثر من ذلك. والذي اذكره عنهُ انهُ كان هادئاً رزيناً يمشي امامنا ذهاباً واياباً وهو يفكر ولكننا كنا اشقياء وكان احد التلامذة يضع امامهُ عيدان الكبريت فاذا مشى عليها خرج منها صوت وأظن الذي كان يضعها ابراهيم القيم لانهُ كان اشقانا ولكن الدكتور صروف كان لا يغضب وانما يهز رأسه فقط ولا يقول شيئاً

ثم ترك الدكتور صروف والدكتور نمر المدرسة وانتقلا الى مصر وانتقل معهما صديقهما شاهين بك مكاريوس وداوما هناك على انشاء المقتطف ثم انشأا معاً جريدة المقطم ومعهما شاهين بك فانفرد شاهين بك بالادارة والدكتور صروف بالمقتطف والدكتور نمر بالمقطم على ما هو معلوم على ان الشريكين الآخرين كانا يعملان معاً على انجاح الجريدتين فكان المقتطف والمقطم صنوين لا يفترقان وأظنهما يبقيان كذلك الى ما شاء الله

وأكملت دروسي العلمية كما تقدم ودخلت مدرسة الطب فأتممت دروسها وانتقلت الى مصر ودخلت الجيش المصري وخدمت فيه زمناً ولكنني كنت نزوعاً الى العلم فاشتغلت مع الدكتور صروف في تحرير المقتطف ولكنني كنت لا ادري شيئاً من قواعد العربية ولا ازال قاصراً فيها على ان الدكتور صروف كان يميل اليَّ على ما لم أتعلمهُ في المدرسة وتمكنت الصداقة بيننا لانهُ كان على خُلق كريم ثم سافرت الى العراق وكانت المكاتبة مستمرة بيننا الى ان توفاه الله. واني لا ازال حتى الآن أميل الى المقتطف وآله فهم عندي مثل آل بدر

ولا بدَّ لي هنا من ذكر بعض النوادر عن الدكتور صروف وقد استفدت منهُ شيئاً كثيراً من العلم وليتني احدث شيئاً من خلقه الكريم فقد كان الرجل الكامل هذا اذا كان في الدنيا كامل فانهُ كان اقرب الناس الى ذلك . ومن نوادره اني جئت من دمشق هرباً من الفرنسيين فدخلت يوماً عليه وانا مفلس كالعادة فقلت له لي في ادارة المقطم اجرة برقية دفعتها الى اسعد داغر مكاتبكم في دمشق قال كم المبلغ قلت لا اذكر واظنهُ خمسة جنيهات ففتح درجاً امامه وكتب تحويلاً بخمسة جنيهات ووقعهُ صرُّوف ونمر ومكاريوس ودفعهُ اليَّ وهو اشد خفراً من عذراء. وقد كان رحمه الله شديد الحياء الى آخر عمره

وكان الدكتور شميِّل معهما في المدرسة وكان كثير التردد الى ادارة المقتطف فقد كان المقطم والمقتطف كعبة يقصدها كل من اتى مصر من اهل الشام ولا يكاد يأتي احدهم الاَّ ويزور المقطم ليرى الدكاترة ويسلم عليهم وكان الدكتور شميل اذا نادى الدكتور صروف يقول يا صروف واذا نادى الدكتور نمر يقول يا فارس اي انهُ كان يناديهما كما كان يناديهما ايام التلمذة في المدرسة وكان رحمه الله ضعيفاً في مسألة الاعمار . وكانت تشتد المناقشة بينه وبين الدكتور نمر احياناً واذكر مرة انه قال للدكتور نمر يوماً « انا شو يجيبني لبك » قال له الدكتور نمر نحن من عمر واحد نحن عمرنا ستون سنة . واذكر اني قلت مرة للدكتور شميل ألستَ طبيباً من اربعين سنة قال « يعني انت ابن امبارح » وهوى عليَّ بهراوته رحمهُ الله وجعل الجنة مأواه واطال في عمر الدكتور نمر

مصر الجديدة امين المعلوف

***

— ٣ —

نجيب شاهين

ولد المقتطف في بيروت سنة ١٨٧٦ على يدي المولِّدين النطاسيين يعقوب صرُّوف وفارس نمر ثم انتقلا به الى هذه العاصمة وهو في التاسعة من سنه اي سنة ١٨٨٥ . فلما صدر المقطم سنة ١٨٨٨ استقل يعقوب صروف بتربيته وحده تقريباً واستقل فارس نمر بتربية المقطم وحده تقريباً ثم جاءتهما الدكتوراه الفلسفية سنة ١٨٩٠ من جامعة نيويورك فعرفا منذ تلك السنة بالدكتور صرُّوف والدكتور نمر

ودعتني كاتب السطور في اوائل هذا القرن الى التحرير في هذا تارةً وفي ذاك طوراً . وكانت ادارتهما في حارة قديمة التي توصل ما بين شارع عبد العزيز وشارع عابدين فكنت أرى في

الادارة وعدد العلماء والادباء والاكابر الذين كانوا يترددون اليها واحداً فواحداً في ساعات مختلفة من النهار — أراهم من بعيد ولا أمدُّ اليهم يداً لمصافحة لاني كنت اصغر منهم في كل شيء وكنت أشعر كل شعور بوجودهم وهم لا يشعرون بي ولا يعلمون عني شيئاً

وسأبدأ الكلام بالمتقدم منهم على قدر ما تساعدني الذاكرة وعلى قدر ما يسمح به المقام

***

كان ابراهيم بك المويلحي المنشئ الكبير يومئذٍ في ذروة شهرته الادبية كاديب مغرد على أثر اصدار كتابه « ما هنالك » . والاشارة هنالك الى الاستانة « العلية » كما كانت تسمى حينئذٍ في خلافة السلطان عبد الحميد الثاني . وقد خرج كتابهُ آية في البلاغة العربية مدوقوف المويلحي الصغير عليهِ — اي المرحوم محمد بك المويلحي على ابراهيم بك — وتهذيبه حتى كان كتب « اليوم » في ذلك الزمن . كان المويلحي الكبير دائم التردد الى ادارة المقطم في صبيحة كل يوم ما عدا ايام الاحد ليستطلع عن صحة السلطان عبد الحميد الذي وضع كتاب « ما هنالك » على دم ملغيه . وكنا نحن المحررين نعلم بقدومه من عصاً كان يحملها ويضرب بها الأرض ضرباً منتظماً ثابتاً يسمع صداه في ارجاء الادارة والمطبعة

ثم يجيء بعده او متأخراً عنهُ المويلحي الصغير لابساً ردنجوته كأنهُ في التشريفة الكبرى وكانت الردنجوت لبسهُ الدائم لا يستبدل بها غيرها وقد توفي محمد بك منذ بضع سنين فقط . رحمهما الله

وكان السيد توفيق البكري من أسرة البكري الحسيبة النسيبة والناثر المسجع وصاحب المقامات المعروفة باسم صهاريج اللؤلؤ من اصدق اصدقاء المقطم لا يكاد يوم يمر من غير ان يزورها فيه وهما يبالغان في اكرامه حتى اصيب بما شغل اصحابهُ عليه فبات لا يزور ولا يزار وبقي ذلك حاله الى يوم مماته

وكان يزور الادارة آناً بعد آن الشيخ السادات من أشهر الاسر المصرية الشريفة وكان قصير القامة بدين الجسم احمر الوجه كبير العمامة يتكلم همهمة بحرية فاذا وقف بباب الادارة سأل عن صاحبيه بصوت ضخم ولهجة غير مفهومة فهرعا لاستقباله الى الباب ومشيا حوليهِ يبالغان في اكرامه وكان رقيق الحديث جم الأدب تعرف من ظرفه انهُ سليل قوم اكارم وابن آباء أماجد

توفي الدكتور شميل في اوائل سنة ١٩١٨ واشتهر في الشام ومصر بأنهُ اول من انتحل مذهب داروين عقيدة لهُ في الشرق الادنى : درس الطب في بيروت وكان معاصراً في شبابه لصاحبي المقتطف ايام كانوا جميعاً طلاباً في جامعة بيروت الاميركية . وكتب كثيراً

«ألف وخطب في تأييد مذهب داروين وكان يزور ادارة المقتطف يستفسر عن « الحلقة المفقودة » وهل وجدت لا زيادة في الايمان بل للاطمئنان اذ لم يكن في حاجة الى البرهان على أن القرد هو جدّ الانسان !!

وممن كنت أرى في الادارة اسكندر شاهين صاحب جريدة « الرأي العام » الاسبوعية وسليم سركيس صاحب مجلة « المشير » ثم مجلة « سركيس » وكان الاول ابن عم شاهين مكاريوس احد اصحاب الشركة . وصاهر الثاني الاستاذ كريم ثابت نجل خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم الآن وكانا كلاهما يحسنان الانكليزية كتابة احسانهما العربية

وكان صاحب الصاعقة وحميد المويلحي الكبير يكثر من زيارة شاهين بك فتعرفت به حينئذٍ وتمكنت الالفة بيننا ولما خرجت من المقطم الى « الجريدة » كنت كثيراً ما اجتمع به اذا انتظمت الحلقة في القهوة المتاوحة لدار الكتب وكان مركز الدائرة حافظ ابراهيم يتكلم وهو ينفح في نارجيلته ونحن نسمع فلا يترك مجالاً لقائل

كان حافظ قليل التردد الى الادارة الا اذا اراد نشر قصيدة من قصائده في المقتطف او المقطم . وكان صاحباها كثيري الطرب لحديثه وكان المقطم اول الصحف التي نشرت له مقطوعات كان يبعث بها وهو سائر مع حملة دنقلة لفتح السودان فتنشر بامضاء « احد ارباب السيف والقلم » ثم عرف واشتهر ان ذلك القلم هو حافظ ابراهيم وكان يوزباشياً . ولم أرَ شوقي مرة في ادارة المقطم في عهد سمو الخديوي عباس لاسباب سياسية ولكن الدكتور صرّوف كان يقدر شعره كما يقدره كل اديب يعرف معنى الادب

زارني الاستاذ العقاد يوماً في ادارة المقتطف بعد عودي من « الجريدة » اليه وطلب مني ان اقدمه الى الدكتور صرّوف في شأن من الشؤون فامتثلت حالاً وقلت للدكتور ان الاستاذ العقاد يريد مقابلتك فابتسم تلك الابتسامة البريئة المأثورة عنهُ وذكر اشياء من الحملة على شوقي ولكن قال ان هذه الحملة على استهجانه اياها يجب ألاّ تحول دون مقابلته لاديب مثله . ثم قابله فلقي العقاد كل لطف منهُ . والظاهر ان هذه المقابلة بين الدكتور صرّوف والاستاذ العقاد لم تكن الاولى فان الاستاذ العقاد ذكر في تأبينه للدكتور صرّوف انهُ قابله لما كانت دار المقتطف على مقربة من شارع عبد العزيز وانهُ اطلع اولاً في حداثته على اسم المعري في المقتطف ولذلك نشر فيه بحثاً في المقابلة بين المعري وداروين وشوبنهور

وزاملت في المقطم المرحوم اسعد خليل داغر اللغوي المعروف والشيخ يوسف الخازن صاحب الاخبار المصرية سابقاً والارز في بيروت حالاً والاديب اللغوي رشيد عطيه من اشهر الصحافيين في الارجنتين الآن والمرحومين سامي قصيري واسحق صرّوف

لست اعلم عن شركة اختلط اصحابها على القراء عن الادارة كما اختلط اصحاب المقتطف عليهم فقد سمعت الذين يطلبون مقابلة الدكتور صرّوف نمر او نمر مكاريوس وهذه الاسماء اسماء ثلاثة لا واحد ولا اثنين

ولا اعرف مجلة او جريدة لابست صاحبها كما لابس المقتطف الدكتور صرّوف او المقطم الدكتور نمر (يسمح لنا النحويون بعدم التنوين الآن) حتى ان الذي كان يقرأ المقتطف في عهد الدكتور صرّوف كان كأنه يرى الدكتور امامه ويصيب في وصفه اذا طلب ذلك منه. وكان هذا شأن المقطم ايضاً

وكان الدكتور صرّوف يعنى بتشديد الراء كتابةً ونطقاً في اسمه لما سمع الرطانات الكثيرة ومع ذلك فقد حزن واغتم لما علم ان الشيخ الصرداتي قدم لمقابلته وسأل عن الدكتور صروف بفتح الصاد وضم الراء بتخفيف!

واخواننا المصريون يصرّون على التلفظ بأسماء بعض السوريين كما يستحسنون هم لا كما نلفظ اسماؤهم مع انك اذا أخطأت في حركة اسم مصري قامت القيامة عليك. فبالامس كان احدهم يرخّم على الشيخ اسعدي بفتح ففتح فلم يفهمه احد او فهمه ونكر وسأل من هذا فقيل له اسعدي بكسر العين وكان هذا السوري قد عرف المرحوم وقيل له انه من بني سعدى بفتح العين فاراد ان يستعمل قواعد النسبة العربية في اصلاح اسم قديم لفظ به بكسر العين منذ عهد بعيد فطاش سهمهُ

***

ولا تزال ادارة المقتطف كما كانت من قبل سوق عكاظ او ساحة لجيل جديد من الادباء لا يعرف الجيل القديم. واذا وقف بهم احد من بقايا الجيل القديم انكروه كأنهُ سامريّ! او خيل اليه انهم كذلك فعلوا فان لم يصدق تخيلهُ فان سوء الظن من حسن الفطن

ومن هؤلاء كاتب هذه السطور والفريق امين المعلوف ومصطفى صادق الرافعي واسماعيل مظهر واقل منهم عتقاً واكثر جدة محمود الشباطي وعبد الرحمن شكري. ولولا خوفي ان يهجوني بتكبير اسنانهم وتصغير سني لمدحتهم بما مدح به الفرزدق آباءهُ وهو يقارع جريراً حيث قال

اولئك آبائي فجئني بمثلهم   اذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

وكما كان المرحوم الدكتور صرّوف نقطة الدائرة في حلقة ادباء عهده وعلمائهم فكذلك محرر المقتطف الآن هو نقطة دائرة الجيل الجديد ممن جعل ادارة المقتطف مجمعاً له، ان كان دون مجمع جرير والفرزدق والاخطل في الشعر فهو فوقهُ في العلم الحديث. والفصل في ذلك ثلاثة عشر قرناً تفصلنا عنهم. والا فأين نحن منهم

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الثامن والثمانين

صفحة

فهرس المجلد الثامن والثمانين



الدكتور يعقوب صرّوف في كهولته

(١٨٥٢ — ١٩٢٧)



الدكتور فارس نمر

الأمير مصطفى الشهابي

محمد علي علوبة باشا



فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي



احمد لطفي السيد باشا



محمد العشماوي بك



أمين سامي باشا



الدكتور علي مصطفى مشرفة



الدكتور طه حسين بك



أمين سعيد



إسماعيل مظهر

مواكب الاعلام

مختارات مما نشره المقتطف في خلال السنين الماضية

ستون سنة

ستون سنة ، سارت في خلالها الحضارة سيراً حثيثاً الى الامام . وفي الافكار نبتة ، وفي الآراء تعديل ، وفي الآداب ثورة ، وفي المعتقدات انقلاب ، وفي نظم الحكم تحوّل ، وفي امور المعيشة ارتقاء لا يضاهيه ارتقاء في كل ما سبق من عهود التاريخ . وفي جميع فروع العلم وابواب البحث ، كانت على كشف المجهول واستقصاء الاسباب الاولى ، والعلماء في كل قطر ، متفرّقون في كل صقع ، مكبّون على كل موضوع ، يبحثون ومخترعون ويكشفون ويستنبطون لا يعرفون الى الهزيمة سبيلاً ، ولا يقعد بهم عن تحقيق اغراضهم مشقة او مرض او موت ، وموكب العلم سائر الى الامام وفي كثير من الاحيان على اشلاء مدعيه ، ورفات نظرياتهم وآرائهم

هذا والطبيعة لا تزال كما كانت ، الها تحدى اركانه ، وعلى النفوذ الى مكامن اسرارها تطلق أبعد الغايات . كواكب وسيارات ، واقمار ومذنبات وسدم ، ترصع الفضاء ، وصخور تتدحرج على سطح الغبراء تاركة آثارها في سهولها وجبالها ، واحجار تختمر مخاربها في التراب ، وحيوانات تبني هياكلها في طبقات الثرى ، وادلة تكشف قرباتها في اطباق الفحم ، ورجال يقلبون القافر عامراً واسامر جنة تجري من تحتها الانهار ، والهواء يدوي بالاصوات ، والحوّ حافل بالاشارات ، والاجتماع كرة تتقاذفها قوى الدمع والطمع ، والارض كمارقة دون مها تاريخ الاحياء وغير الاحياء ، وارضة في طرف محتوم ، والعلم يرنو الى فض الظرف واعلان محتوياته واسراره

من اكثر العلوم النظرية دقة وغموضاً الى اكثرها انطباقاً على الاعمال وابعدها اثراً في معايش الناس ، من ادق المعادلات الرياضية الى اعوص الآراء الجديدة في شكل الكون وبناء المادة ، الى احدث المكتشفات والمستنبطات في الزراعة والصناعة والمواصلات والمخاطبات والوقاية والعلاج ، الى اشهر المذاهب في الاجتماع والاقتصاد وعلم النفس — كل ذلك اصابه من التقدم والتحوّل في الستين السنة الماضية ، ما يجعلها من اعظم العصور مقاماً في تاريخ الانسان على وجه الارض

وقد كان المقتطف في كل ذلك رسولاً اميناً بين حضارة الشرق وحضارة الغرب ، في ميدانه ارحب التقت اقلام العلماء والادباء والفلاسفة ، من ابناء الحضارتين ، والمقتطف واقف للحضارة بالمرصاد ، يقتطف من العلم كل طارف وكل تليد ، ويقبس من الاجتماع والادب كل اتجاه ، ويرف ماله اجمالاً او تفصيلاً الى ابناء الشرق العربي ، في غرة كل شهر ، في ثوب ، آيته السلاسة والسلامة ، وغرضه الفائدة الخاصة والخدمة العامة

قلّب صفحات مجلداته الثانية والثمانين ، تتوالى امامك مواكب الاعلام ، في مركبات فاخرة ، من العلم الراسخ والفكر المتوقد والخيال الفني والخلق الكريم هنا تجد ، اعلام الفلسفة من افلاطون


المقتطف
العلم والدين لاينشتين
مصير الحضارات
العلماء أمس واليوم
روح العصور الحديثة
للفيلسوف برتراند رسل



المغفور له جلالة الملك فؤاد الاول





الجزء الاول من المجلد التاسع والثمانين

١ يونيو سنة ١٩٣٦ — ١١ ربيع الاول سنة ١٣٥٥

الملك فؤاد الاول

فقدت مصر بفقده ملكاً عظيماً ، عركه الدهر قبل ارتقائه اريكة الملك جندياً واميراً ، وخبر الناس عالماً ورحالة ومصلحاً اجتماعياً ، فعدته التجارب للحكم ، وعلمته عبر الزمن سياسة الخلق . والامر لا يوفق كل يوم ، ولا كل قرن ، الى ملك تتوفر له من وسائل الاستعداد لمنصبه السامي — علاوة على فطرة صائبة وذكاء متوقد — ما توفر لجلالة ملك مصر العظيم ، المغفور له فؤاد الاول

من المدرسة الى الحياة العامة

وُلد الامير احمد فؤاد وهو أصغر انجال اسماعيل ، وحفيد ابراهيم ، وسليل محمد علي مؤسس الاسرة العلوية في مصر ، في قصر والده بالجيزة في الثاني من شهر ذي الحجة سنة ١٢٨٤ هجرية اي ٢٦ مارس سنة ١٨٦٨ ميلادية ، وكان طفلاً لم يناهز ثمانية عشر شهراً يوم احتفل والده اسماعيل باشا ذلك الاحتفال الشرقي الفخم ، بالامبراطورة اوجيني ومن قدم مصر حينئذٍ من الامراء والعظماء لافتتاح قناة السويس

كان جو مصر السياسي ، في حداثة الامير ملبداً بالغيوم ، تثوره الازمات ، الناشئة عن موقف دائني مصر ، وما جروا عليه من الاساليب لضمان مالهم . ولكن ذلك لم يحل دون العناية كل العناية بتعليم الامير وتنشئته ، أوسع تعليم وأقوم تنشئة . فلما بلغ السابعة من العمر

تعلم في المدرسة التي خصصها والده لتعليم الامراء في عابدين وكان يشرف عليها يومئذٍ رجل اسمه طرأ لميا ، فمكث بها الامير فؤاد ثلاث سنوات . تلقى في خلالها مبادئ العلوم والمعارف من معلمين في هذه الفترة رجل انكليزي يدعى روبرت ميتشل وقد دوّن في مذكراته أن الامير « كان ذكي الفؤاد كريم الخلق رقيق الحاشية ، على شيء من ضعف البنية وشديد التعلق بذويه » فلما بلغ العاشرة من عمره صدر امر والده الى ذوي ملك العقش سعادة اللواء ارف حي السعادة حسن جلال باشا وحمد بك امين من المدرسين بالمدارس الاميرية بالسفر في صحبة الامير الى مدينة جنيف ، فتعلم هناك في معهد بودمر ثم عاد دور بك الى مصر وبقي مع الامير حسن جلال بك مدرساً للغة العربية ، وحمد بك امين بها مدرساً للتركية ، وبقي في تلك المدرسة شهد له فيها مدرسوه ورفاقه ، بالفطنة والنشاط والورع

ولما غادر اسماعيل باشا مصر ، وخلفه عرشها ابنه توفيق باشا في سنة ١٨٧٩ ذهب الى ايطاليا سفر الامير فؤاد من جنيف الى نابولي مشاهدة والده ثم جاء مصر ومنها عاد الى نابولي حيث اقام مع والده ثلاثة اشهر في القصر الملكي المشهور باسم فافوريتا في ضواحي تلك المدينة

وكان الملك امبرتو الاول ، ملك ايطاليا ، صديقاً للخديوي اسماعيل ، فاشار عليه بان يتعلم الامير فؤاد في المدرسة الاعدادية الملكية في مدينة تورينو فتعلم فيها سنة ١٨٨ ولما اتم دروسه فيها نقل الى مدرسة تورينو الحربية وخرج منها برتبة ملازم ثان في سلاح المدفعية ثم استعلم في مدرسة تورينو الحربية العليا وهي احدى المدارس الحربية الثلاث المشهورة في العالم ، واتم دروسه فيها سنة ١٨٨٨ واضيف الى آلاي المدفعية الثالث عشر برومة وظل ضابطاً في الجيش سنتين كاملتين وفي سنة ١٨٩٠ ذهب الى الاستانة العلية لزيارة والده فيها فعرفه السلطان عبد الحميد وعيّنه ياوراً حربيًّا لحضرته ، وعيّنه ملحقاً حربيًّا بسفارة تركيا في مدينة فينا وبعد سنتين استدعاه ابن شقيقه الخديوي عباس حلمي باشا ، وانعم عليه برتبة الفريق وقائد فرقة في الجيش المصري ، وعيّنه في منصب كبير الياوران ، فبقي في هذا المنصب ثلاث سنوات ، استقال في نهايتها ، لكي يصرف همه وتفكيره ونشاطه الى ترقية وطنه من الناحيتين الثقافية والاجتماعية وهو عمل كان حتى آخر نسمة من حياته احب الاعمال اليه واقربها الى قلبه واحبها بمثابته

في خدمة العلم والعمران

من دواعي الفخار التي يجب ان تقترن باسم احمد فؤاد الامير والسلطان والملك ، انه ادرك وهو لا يزال في طراوة الصبا حين ينصرف الشبان في الغالب الى اللهو والرياضة ، مدى التبعة العظيمة الواقعة على امير يجب ان يخدم بلاده ، وعظم المشقة التي يعانيها في سبيل هذه الخدمة ، واتساع نطاق العمل العلمي وقد أثيرت عنه كلمة مشهورة وهي « ليس شيئاً ان نكون

اميراً و ملكاً كل شيء ان تكون نافعاً » وقد كان هذا شعاره الذهبي في ادوار حياته المختلفة

فما استقال من منصبه العسكري في الجيش و سراي ، انصرف كل الانصراف ، الى ما علم بالخبر و الخبرة ، وبالدرس والسهر ، ان وسعه في خدمة البلد ، لانه كان مشبعاً الاقتناع كله انه اذا ادى واجبه ان يحقق امنية والده اسماعيل عندما قال « ان بلادي قطعة من اوربا » فعلى هذا عليه ان يسير اسعى متواصلا مجدياً الى رفع مستوى الحالة الاجتماعية والثقافية و لعمله في حياته العامة والخاصة. وكان الامير فؤاد متصفاً بسجايا مكنته من قيادة هذه الحركة المباركة وتوجيهها كان سديد النظر، واسع الثقافة ، لايستعجل ولا يستنفد صبره ، علاوة على مقدرة نادرة عند نفر بين امراء الشرق وهي مقدرة التنظيم. وفضل هذه الاعمال وهذه السجايا، على هذا النحو لشاق وكأنه حائط معترك مقدساً ، حتى اصبح من الاقوال المأثورة في ذلك العهد ، ان الامير احمد فؤاد هو الرجل الذي يجب ان يرجع اليه ، في تمهيد سبل النجاح لكل مشروع تعليمي او ثقافي

واتجهت عنايته سموه الى مشروع الجامعة المصرية ، وكانت حتى سنة ١٩٠٦ امنية عزيزة تجول في صدور المتعلمين من اهل مصر . فاعطاها رعايته واخرجها من حيز القوة الى حيز الوجود . ولما افتتحت في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ القى فيها خطبة بليغة قال فيها « لا يجهل ان هذا العمل الكبير سنطرأ عليه تغييرات كثيرة قبل ان يأخذ شكله النهائي ، ولكننا لم ندخر وسعاً في تثبيت قواعده بكون الشيء الآن قائماً على اساس مكين وافياً بما تدعو اليه الحاجة في مستقبل الايام . ولقد جاء اليوم الذي تقضي فيه الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العلمية العالية في نفس القاهرة دون ان تتغرب في ربوع لم تكن تلبث تنهض بها كانة عالية في العمران . واني ابتهل اليه تعالى ان يجعل هذه الجامعة نافعة للناس عموماً و لشبيبتنا المصرية خصوصاً . اذا اقبلتم على هذا العمل الجسيم ولم تسهر الليالي لرقية هذه الشبيبة التي لا يكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد ، بل نرى انه يتحتم عليها ايضاً ان تتحلى بفضيلتي الصبر والاستمرار لانهما سر النجاح . . . »

ومضى بقصد الجامعة بهمته العالية ورأيه الثاقب ، فوفق فحصل ما بذله لدى الحكومات الاوربية من السعي ، الى استحضار كبار العلماء المستشرقين للتدريس فيها فالقوا فيها محاضرات نفيسة في مختلف العلوم والفنون ووضعوا فيها مؤلفات

كانت الجامعة المصرية جامعة اهلية في عهدها الاول ، ولكن جلالة الملك فؤاد ، الذي رعاها ورأس مجلس ادارتها اميراً ، رأى ان سبل التقدم لا تمهد لها كما يجب ان تمهد حتى تصبح موئلا للتعليم العالي في البلاد الا اذا شملتها الحكومة المصرية بعطفها الرسمي ووصلت لها ميزانية خاصة بها . فتم هذا الاتصال احتفل في ٧ فبراير ١٩٢٨ بوضع حجر الاساس في بنائها الجديد بحديقة الاورمان في الجيزة

وحده. ... على نشئي ... معروف ... مولاي صاحب ... مصر الى ... هذا اليوم ... فيه ... ذكرته ... ويبس ... الاساس الذي ... بوضعه اليوم ... في ... الجامعة المصرية ... لامه جهدكم الحثيث ... سنة ١٩٠٨ في ... على انشاء جامعة اهلية واستمر ... تلك الجامعة ... اد توليتم ... با ... في تعهدها. وتجشمتم الاسفار لزيارة كبرى جامعات الغرب واقتباس ... مزاياها ونظم ... على انهاض الجامعة ورقيها

وكان ... خطوة تمت في تاريخ الجامعة المصرية وتدرج ارتقائها في عهده قبيل وفاته بأشهر ضم كليات الزراعة و ... والتجارة العليا والطب البيطري الى الجامعة واستكمال ... وصيانة ... الاول ساندتها ... في عهد وزارة محمد توفيق نسيم باشا. اد كان احمد نجيب الهلالي ... المعارف ... الجمعيات العلمية التي كان لجلالة الملك الراحل اكبر الاثر في انشائها وتعزيزها ... صفحة مجيدة من صفحات خدمته للعلم في هذه البلاد

فقد كان جلالته يرتقي امرا حتى وجه عنايته ... تنظيم اعمال الجمعية الملكية التي انشأها ... والده ... رفاها ... لما كان اميرا ... بعد ما اسندت اليه ... في ٣ اكتوبر سنة ١٩١٥ فتدركها بهمته واعاد اليها الحياة والنشاط فعادت الى ... الدورية العلمية وطبعت مطبوعات شتى ووزعت على الجمعيات الجغرافية في البلدان الاجنبية ... بمعونة جلالته ومساعدته ان تطبع عدة مؤلفات قيمة كالسفر الذي ... المسيو جوندييه ... ميناء السويس والمؤلف الذي ... ميناء الاسكندرية والاطلس التاريخي الذي ... لاظهار الادوار المختلفة التي تقلبت عليها ميناء الاسكندرية منذ القدم وقد احدثت ... الى كبار علماء الجغرافية في الاحتفال الذي اقيم في باريس في سنة ١٩٢١ للاحتفاء ... على تأسيس الجمعية الجغرافية الفرنسوية فأثنوا على الجمعية الجغرافية المصرية ووضعوها في المرتبة الاولى بين الجمعيات الجغرافية الدولية. واشتغل المسيو دي لا رونسيير — وهو من كبار علماء الجغرافيا في العالم — ثلاث سنوات كاملة في وضع مؤلف ... حالة القارة الافريقية من الوجهة الجغرافية في العصور الوسطى وذلك باقتراح من جلالة الملك وتشجيع ... مؤلفا من اهم المؤلفات وقد عرض على المؤتمر الجغرافي الدولي حين التأم في القاهرة في سنة ١٩٢٥ ... استحسانا عاما لم يقل عن الاستحسان الذي ناله كتاب المسيو جورج دوران ... شركة قناة السويس وهو الذي سماه «اسطول بونابرت عند شواطئ مصر»

ولم يقصر جلالة الملك عنايته على الجمعية الجغرافية بل شمل بها ايضا معهد الاحياء المائية وهو المعهد الذي كانت فكرة انشائه قد خطرت لجلالته في سنة ١٩١٢ ولم يستطع يومئذ

اخراجه الى حيز التنفيذ صعوبات شتى اعترضت له فعكف على تذليلها وتمهيدها [illegible] ان ابيح له في سنة ١٩١٥ الشروع في تحقيق هذه الفكرة بصفة جدية فما حلت سنة [illegible] حتى كانت جميع الاعمال التمهيدية لانشاء المعهد قد تمت فشهر جلالته برضاه [illegible] وفي اواخر تلك السنة واصدر مرسوماً ملكياً في ٢٨ مارس سنة ١٩١٨ اعلن فيه انشاء معهد [illegible] المائية رسمياً وشموله برعاية الملكية السامية. وفي سنة ١٩٢١ اضاف اليه جلالته [illegible] ليستعمل كمكتب ومتحف للمعهد ولم يكتف جلالته بحب المباحث المائية في نفوس ضباط [illegible] المصرية ألحق به ضابطين من ضباط اليخت الملكي «المحروسة» ليشتركا في دروسه وبعد [illegible] ناحية الاتصال بمعهدين ومعاملهما من ضباط البحرية. واخيراً عهد جلالته الى البروفسور [illegible] الايطالي في وضع رسوم دار جديدة تشيد لهذا الغرض

وكان [illegible] ايضاً ان يهتم جلالة الملك برفع مستوى جمعية الاقتصاد [illegible] والاحصاء والتشريع فهو الذي اقترح تأليفها وهو الذي عمل بنفسه على انشائها سنة [illegible]

ووضع اهم مبادىء البرنامج الذي تضمن الاغراض التي بنت على تأسيسه وكان من نتيجة هذا الاهتمام الذي [illegible] جلالته عن ابدائه نحو هذه الجمعية منذ اعتلائه الاريكة [illegible] ان عدد اعضائها المنتسبين اليها ما برح يزداد كل سنة. وتعنى ادارة الجمعية على الدوام باعداد محاضرات قيمة في مختلف المسائل المتعلقة بالاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع ثم [illegible] هذه المحاضرات في مجلتها الدورية التي تصدر بانتظام باللغة الفرنسية باسمها. وقد استطاعت في السنوات الاخيرة [illegible] لمسكنها داراً فخمة في شارع الملكة نازلي معتمدة على هبات جلالة الملك الذي حرص على ان تعقد لجان مؤتمر الملاحة جلساتها في غرفها تقديراً لمنزلتها و[illegible]

وليس في مصر بين المتعلمين من يجهل قيمة الفائدة العظمى التي [illegible] العلم من وجود جمعية علمية نافعة كالجمعية الطبية المصرية التي انشئت في سنة ١٩٠٨ [illegible] قصير من انشائها ان تضم اليها عدداً كبيراً من الاطباء المصريين. فلما جاءت الحرب العظمى اضطرت الجمعية الى ان توقف اعمالها في اثنائها ولكنها ما لبثت ان عادت الى استئناف نشاطها بعد عقد الصلح على منوال نال ارتياح جلالة الملك فتفضل في سنة ١٩٢٤ وشملها برعايته وصدر مرسوماً ملكياً اجاز لها فيه ان تطلق على نفسها اسم «الجمعية الملكية الطبية المصرية» وهو نفس المسلك الذي سلكه جلالته تجاه جمعية الحشرات فانه غداة [illegible] في دست الملك شمل هذه الجمعية برعايته وعكف على تشجيعها وتعزيز مواردها

وفي شهر مايو سنة ١٩٢٣ اصدر جلالته مرسوماً ملكياً وضع فيه جمعية الحشرات الملكية تحت رعاية الحكومة المصرية ومنحها من الهبات ما ساعدها على تشييد دار كبيرة [illegible] الى

حدث الدور التي شيدتها جمعية الاقتصاد لسلسلة في شارع الملكة نازلي بالعاصمة

ومن المعاهد العلمية التي يرجع الفضل الى جلالة الملك فؤاد في انشائها واخراجها الى حيز الوجود «معهد الصحاري» وقد بنيت له دار فخمة في ضاحية مصر الجديدة في اول الطريق الصحراوي المؤدي الى السويس

ان انشاء الجمع الملكي للغة العربية يعود كل الفضل فيه الى جلالة الملك ايضاً

ولم يقتصر على توجيه عنايته الى الجمعيات والمعاهد العلمية بل شمل الجمعيات الانسانية برعايته ومعونته ففي ٥ يناير سنة ١٩١٠ اجتمع مجلس ادارة جمعية الاسعاف بمدينة القاهرة وانتخب سموه بالاجماع الآراء رئيساً لجمعية الاسعاف فقبل الرئاسة وقام بها خير قيام والى سموه يعود الفضل في انشاء صيدلية كبرى في مركز الجمعية بمصر وفي ٣ مارس سنة ١٩١٦ تعهد برئاسة جمعية الهلال الاحمر المصري لخفف آلام الاسرى والاسقام عن الوف من اسرى الحرب

الى العرش والدستور

في اوائل اكتوبر سنة ١٩١٧ اصيب المغفور له السلطان حسين كامل بمرض خشي منه على حياته، فلما وقع نجله المغفور له الامير كمال الدين حسين في موضوع العرش، رأى ان الحالة لا تمكنه من ارتقائه وفي ٧ اكتوبر من تلك السنة تنازل عن حقوقه في وراثة العرش فاجمعت الآراء حينئذ على ان الامير احمد فؤاد وهو شقيق السلطان خير من يرقى الاريكة السلطانية خلفاً للسلطان، اذا حم القضاء فلما توفي السلطان حسين في ٩ اكتوبر خلفه شقيقه الاصغر الامير احمد فؤاد

ومن غرائب الاقدار ان عرشاً تهيأ للامير فؤاد سنة ١٩٠٨ في مدينة نابولي ليصبح ملكاً فاصبحت ملكه مدى سنين وبين العرش في مصر ولكن عندما ثارت حروب البلقان في سنة ١٩١٣ الى انفصال البانيا عن الدولة العثمانية، اقترحت ايطاليا اسم الامير فؤاد وكانت صلته قد توثقت باسرتها المالكة منذ طلب العلم في تورين، ليصبح ملكاً عليها علاوة على كونه اميراً مسلماً كان جده محمد علي باشا وهو الباني مصر ولكن السياسة الالمانية حالت دون التسليم باقتراح ايطاليا فاختير امير الماني، هو البرنس ولم دي ويد، ملكاً على البانيا

ولما عرض عليه العرش المصري، كانت احوال العالم السياسية مضطربة كل الاضطراب، وعروش الملوك غير راسخة الاركان، وكان مستقبل مصر محفوفاً بعلائله من الغموض، وكان اعتلاء العرش تبعة عظيمة لا متعة وميرة ولكن الامير فؤاد، اقدم على القبول، ثقة منه انه وهو على الاريكة يستطيع ان يؤدي لبلاده خدمات لا يستطيعها في ساحة العلم والعمران وحدها او اقدم، لان القيود التي فرضت على البلاد في ذلك العهد، وهي القيود الناشئة عن ضرورات الحرب

وخضوع كل شيء في سبيل السعي الى النصر، كانت سيطرته على النفوس وكان من أيسر ما يشكل من ينظر في الامر ان مصر كانت تحتمل الاحتلال حينئذ في سكينة ويسكن على مضض

فرتقاء العرش واعتلائه . ومهما كان إقداماً وجرأة . لما تحتمه من سوء التأويل . ولكن حضرة صاحب الجلالة وبعد نظره كانت قد علمته ان ما لا يؤخذ بالاقتدار قد يؤخذ بالصبر وان ما تطلبه مصر من تحقيق امانيها القومية ، يجب ان تصحبه نشاط في حياتها الثقافية والاجتماعية وكلتا الناحيتين تجد فيه وهو على العرش اقوى سند وعضد

لم يأن الوقت لكتابة تاريخ الثورة المصرية . وما تلاها من حوادث واحداث ، ولكن الامر الذي لا ريب فيه، ان حكمة الملك الراحل وحزمه . كانا العامل الفعال في حفظ التوازن في فترة الانتقال من الثورة الى التسيير ، ومن السلطنة الى المملكة الدستورية

كانت الفترة التي انقضت بين اعلان الهدنة سنة ١٩١٨ وسنة ١٩٢٢ من احفل السنوات في تاريخ مصر الحديث ، بالمشكلات المعقدة ولكنها انتهت اخيراً الى اعلان تصريح ٢٨ فبراير وفيه اعترفت الحكومة البريطانية باستقلال مصر وبأنها دولة ذات سيادة وحصرت المسائل المعلقة بينهما في حماية المواصلات الامبراطورية والدفاع عن مصر والاجانب والسودان على امل ان تسوى بين الامتين في مفاوضة تالية

وفي ١٥ مارس ، اي بعد انقضاء اسبوعين على صدور هذا التصريح ، اعلن السلطان فؤاد نفسه ملكاً على مصر . وكان اهم مظهر من مظاهر هذا التحوّل في نظام الحكم في مصر ، انشاء لجنة برئاسة المغفور له رشدي باشا لوضع مشروع للدستور يكون اساساً لاقامة الحكم في هذه البلاد على اساس دستوري نيابي وفي ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ وقع جلالة الملك وثيقة الدستور وبعد ما اعدّت المعدات للانتخابات ، اجريت الانتخابات في ١٤ يناير سنة ١٩٢٤ ففاز فيها الوفد المصري برئاسة المغفور له سعد زغلول باشا فالملك فؤاد الاول هو اول ملك دستوري في تاريخ مصر ، وسعد زغلول باشا رئيس الوزارة الدستورية الاولى في هذه البلاد ولاريب في ان تاريخ توقيع وثيقة الدستور وتاريخ تأليف الوزارة الدستورية الاولى من الاعلام الخالدة في تاريخ مصر الحديث

الملك العالم

حدثنا حضرة صاحب السعادة حسين سري باشا من سنوات ، انه عهد اليه في احد الايام في وضع تقرير مسهب في مسألة معيّنة اختلفت فيها الآراء ، ليعرض على جلالة الملك ، فوضع التقرير وبسط فيه الآراء الفنية اوفى بسط ، ثم رأى ان يلخّص ذلك التقرير في مذكرة موجزة ، توفيراً لوقت جلالته الثمين ورفع التقرير والمذكرة الموجزة الى القصر ، وبعد ايام تلقى امراً من القصر بالحضور اليه للتشرف بمقابلة جلالة الملك ، فلما دخل على جلالته رأى

التقرير ... وقد كثرت عليه الاشارات باسماء الاجزاء ... جلالته
وجد ... بل ادق الامور الفنية مذكورة في التقرير ، فثبت من هذا ... بعض
مدة ... زيادة ايضاح ، فخرج حسين ... وهو المهندس الكبير ونام ... ،
... جلالته وسعة علمه ودقة فهمه شؤون هي من اختصاص اهل الفن ...
حتى ... مذكورة بصفحاتها ورقمها الى المصر ... التقرير ... اسم

و ... جلالة الملك الراحل ، كان من نوادر الدهر في سعة علمه ودقة تتبعه تطور الاحوال ... ، وارتقاء العلم والعمران والفن والادب في مختلف ميادين العلم ... وكانت وسيلته الى ذلك ... من عشرات من مئات من المجلات والصحف الفرنسية والعربية ... تجمع منها ... معينة بوجه خاص الاطلاع عليها ثم ان جلالته كان ... فرصة ... في عهد الامارة وعهد الملك ، ... فكان لا يكتفي بزيارة ... والمصانع ودور الآثار ... بل كان يوجه الى من يرافقه من العلماء واختصاصيين ... السؤال مدققاً النظر في كل ما يشاهد وشعاره الكريم « أتيت الى هنا لأستفيد لا لأتسلّى »

واسمي دلالة على المقتطف آية من آيات ... ، ... وتمثل حملة عبده لدمي في سنة ... والعامية ... وقد حدث المرحوم الدكتور صروف ... هو والدكتور فارس نمر ... جلالته ... آيات الولاء والشكر ...

« ... مصر ... ان ... وقت ... شرف المقابلة ... صاحب الجلالة ... وكان اكثر ظني الا تستغرق تلك المقابلة اكثر من خمس دقائق ... ليستمع ... والمقتطف ... كم لبثت في حضرته؟ لقد ... ساعتين كاملتين تناول فيها جلالته كل ... المقتطف ، واستفاض في ادق ... وحدث ما حدث فيه من تقدم و ... احسست اني لست في حضرة ملك ... الملك وشؤون الرعية ... وقته وتفكيره بل في حضرة ... العلم ... فائقة من شؤون العلم والادب والاقتصاد والاجتماع »

و... التي ذكرها لنا المرحوم الدكتور صروف لم تكن الاولى ولا الاخيرة لان جلالته كان يقدر المقتطف وصاحبيه تقديراً عظيماً من يوم ان تشرفا بمعرفته حين قدومه الى مصر ... الى يوم انتقاله الى رحمة ربه ملكاً عظيماً وكان في كل مقابلة لهما اولاً او لاحدهما ... في حضرته الساعة والساعتين وهو ينثر الدرر من بحر علمه واختباره في كل فن ومطلب على الوجه الذي ... جمهور عظيم من عامة القوم الذين كانوا يسترون بمقابلته

مصادر الطاقة العالمية

متى تنفد؟ وهل يهيئ العلم بدلاً منها؟ — (يسمونها)

مما يقاس به ارتقاء الانسان خلال العصور اطراد مقدرته على استعمال الطاقة الخارجية في قضاء اعماله. وهذا المقياس يصح اليوم مع ان مقدار الطاقة الذي رهن ايدينا يبدو اعظم مما يحتاج العالم اليه، حتى ليحدث تقلقلاً واضطراباً في الصناعة وما ينشأ عن ذلك من تعطل عن العمل. ولكن هذا التقلقل والتعطل ليسا حكماً على الطاقة نفسها بل هما حكم على عجزنا عن استعمالها الاستعمال الصحيح

ولما كانت الطاقة ركناً من اركان الارتقاء الانساني، فيحسن بنا ان ننظر في مصادرها، الى متى تدوم هذه المصادر قبل ان تنفد، وما الوسائل لاستعمالها على احسن وجه واتمه

ان مصدر الطاقة الاول هو الشمس، والمواد التي تستمد منها الطاقة التي نحتاج اليها مؤلفة في الغالب من احياء، عاشت في العصور الخالية مغمورة بضوء الشمس وحرارتها، ثم دفنت في باطن الارض فتحولت الى فحم ونفط وغاز وغيرها

ومما لا ريب فيه انه اذا مضى الانسان في استهلاك الطاقة بالمعدل الذي يستهلكها به الآن، فمصادر الطاقة المعروفة الآن تكفيه الوف السنين. واذا رتبنا هذه المصادر بحسب مقامها كانت كما يلي: الفحم والنفط وقوة الماء المنحدر والغاز الطبيعي والخشب وقوة الانسان العضلية وقوة الحيوان العضلية والريح مع قليل من طاقة الفحم النباتي[1] والكحول وحرارة باطن الارض وطاقة الشمس المباشرة والجزر والمد والفرق بين حرارة مياه البحر على السطح وفي القاع

الفحم

قبل ان يشيع استعمال الفحم الحجري كانت تقطع اشجار الحراج لتحويلها الى فحم يعرف بالفحم

(١) Peat وهو يختلف عن الفحم الحجري في نسبة الكربون فنسبته في الخث ٥٥ — ٦٢ في المائة وفي الحجري ٨٨ الى ٩٤ في المائة

الصناعي Charcoal لاستعماله في افران مصانع الحديد والصلب الا ان تاريخ استعمال الفحم الحجري مدفون في مدفنه . في كتب اليونان والرومان اشارة الى «حجارة تحترق» وقد عثر الباحثون في آثار الرومان الباقية في بريطانيا على بقايا نيران كان الفحم الحجري وقودها . ولم تصح الاشارة الى استعمال الفحم الحجري الا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر . ويلي ذلك ذكر لحفر المناجم في الارض لاستخراج الفحم منها ولما اخذ الفحم الحجري يزاحم الفحم الصناعي في انكلترا في العهد الاول من شيوع استعماله سدت قوانين تحرّم استعمال الفحم الحجري ، وقد سجن غير واحد من الانكليز في ذلك العهد لانتهاكه هذا القانون

والفحم الحجري على اربعة اصناف (القيْر) [1] و (نصف القيْر) [2] و (الفحم الخشبي) [3] و (الانثراسيت)

يقدَّر ما يوجد في باطن الارض من الفحم بنحو ٧٤٠٠ بليون (الف مليون) طن يستعمل منه الناس كل سنة مليوناً وثلاثة اعشار البليون . فاذا لم يزد ما يستهلكه الانسان من الفحم في المستقبل عن متوسط ما يستهلكه الآن ، فالفحم الذي في باطن الارض يكفيه ستة آلاف سنة اخرى

الا ان الفحم لا يجدي الانسان نفعاً ما ، حتى يطلق الطاقة المخزونة فيه . فحرارة الفحم تستعمل في توليد الطاقة الكهربائية ، او البخار ، لدفع السفن والقاطرات والتربينات . ثم ان الفحم اذا حرق في احوال خاصة استخرجت منهُ مواد نافعة كالقار والكوك والبنزين والزفت والاصماغ وغيرها من المواد المستعملة في الصناعات الكيميائية

كان معدَّل ما يحرق من الفحم في سنة ١٩٢٠ لتوليد ما مقداره قوة حصان واحد من الطاقة الكهربائية اربعة ارطال من الفحم . لكن العلم لا يقف عند حدّ من الاتقان . فما اهلت سنة ١٩٣٥ حتى كان ما يجب حرقهُ من الفحم لتوليد مقدار حصان واحد من الطاقة الكهربائية رطلاً واحداً فقط . ومع هذا لم يبلغ العلم الحدّ الادنى بعدُ ، وقد نصبح في المستقبل قادرين على توليد قوة حصان واحد من حرق اوقية واحدة من الفحم او اقل من اوقية

وقد بلغ مقدار ما استعملتهُ الولايات المتحدة الاميركية من طاقة الفحم ٤٨ في المائة من مجموع الطاقة التي استعملتها في السنة الماضية

ومما يستعمل لهُ الفحم ، استخراج الغاز منهُ ، ومصانع توليد الغاز من الفحم في الولايات المتحدة الاميركية تولد في السنة ما سعتهُ ٥٠٠ بليون قدم مكعبة . والطريقة الشائعة الآن هي نقل الفحم من المناجم الى مصانع الغاز على مقربة من المدن حيث يحول الى غاز وسائل وكوك . ثم يحوَّل الكوك الى غاز مائي او اول اكسيد الكربون وايدروجين او يستعمل في صناعة التعدين

(1) Bituminous (2) Semi-bituminous (3) Lignite اصله من Lignum اللاتينية اي خشب

ولكن الطريقة المعقولة ، هي ان يولد الغاز من الفحم قرب المنجم ، ثم يوزع على المدن بأنابيب ممتدة تحت الارض وفي هذا توفير مالي كبير ، لانه يزيل من السلسلة حلقة نقل الفحم من المنجم الى المصنع علاوة على انه يوفر على المدن ، بتسمم في جوها من هباء المتصاعد من مصانع التي تحرقه لتستخرج منه الغاز ، وهذه هي الطريقة المتبعة في منطقة الرور بألمانيا . ويضغط غاز الفحم في بعض المدن في اسطوانات خاصة ضغطاً عالياً ويباع كما تباع صفائح البنزين . ويستعمل وقوداً لتحريك السيارات

ولكن الاتجاه الجديد ، في المانيا وانكلترا ، لاستعمال الفحم على اتم وجه ، هو تحويله الى النفط ومشتقاته ، وفي كل من البلادين مصنع ، يستخرج من طن من الفحم نحو خمسة براميل من البترول . ثم ان علماء المانيا قد استنبطوا طريقة « كاتليكية » لاستخراج زيوت مختلفة من غاز الماء او اول اكسيد الكربون المولَّدين من الفحم والماء . ثم تحوَّل هذه الزيوت الثقيلة الى بنزين يستعمل في تحريك السيارات . مع ان الطريقتين تقتضيان نفقات كبيرة ، الآن ، ولولا مساعدة الحكومة لما تمكنت المصانع التي تقوم بهذا العمل من منافسة اصناف الوقود السائل المستخرجة من باطن الارض

فاذا استعملت احدى هاتين الطريقتين ، او كلتاهما بعد اتقانهما لتحويل كل ما في باطن الارض من الفحم ، الى زيت صالح للتحريك ، واستهلكنا كل سنة منه بليوناً ونصف مليون من البراميل ، كفانا فحم الارض ، على هذا الاساس ، ٢٤ الف سنة

الزيت (١)

يسلم العلماء الآن بأن المواد الايدروكربونية موزعة توزيعاً واسع النطاق في طبقات الارض سواء كانت فحماً او نفطاً او غازاً طبيعياً او فحماً بنياً . والنفط موجود منه كثير على الرغم من الاعتقاد الشائع بأن مقادير محدودة قريبة النفاد . واذا نظرنا الى النفط من الوجهة الجغرافية وجدنا ان العثور عليه ممكن في أية بقعة من الارض . فقد وجد مثلاً قرب الدائرة القطبية الشمالية وفي ادغال كولومبيا وبورنيو عند خط الاستواء وفي المنطقة المعتدلة في الولايات المتحدة الاميركية . بل وجد النفط في بيرو باميركا الجنوبية على منحدرات جبال الاندس حيث الارتفاع ١٣ الف قدم فوق سطح البحر ، كما وجد على سواحل البحار وفي مقر المحيط الهادي ، أمام ولاية كاليفورنيا وفي الصحراء في وادي سان يواكيم . ومما يدل على اتساع نطاق المواقع التي يوجد فيها ان مدينة شيكاغو قائمة على صخر جيري من نوع « الدولوميت »

(١) استعملت كلمة الزيت هنا ترجمة لكلمة Oil الانكليزي وهو لفظ عام يشمل النفط وجميع مشتقاته

وهذا الصخر يحتوي في كل ميل مربع منهُ على ٠٠ر٧٥٠ برميل من الزيت وإذن فالارض التي شيدت عليها مدينة شيكاغو ، ومساحتها تبلغ ٢٠٠ ميل مربع ، تحتوي على مليون ونصف بليون من براميل الزيت الخام

وقد عثر في السنة الماضية على ارضين حوضاً جديداً من احواض الزيت يقدر ما تحتوي عليه من الزيت بنحو ١٢٥٠٠٠٠٠٠٠ برميل

وحفرت عشرة آلاف بئر جديدة في الستة الشهور الاولى من سنة ١٩٣٥ فكان سبعون في المائة منها تنتج زيتاً وستة في المائة تدفع غازاً والباقي غير منتج

ان الزيت الخام ، لا يلي الا الفحم ، في كونهِ مصدر من مصادر الطاقة يستخرج منهُ كل سنة ما متوسطهُ بليون ونصف بليون من البراميل وهو يختلف من الزيت الصافي الى مادة صمغية قاتمة اللون قذرة المظهر والزيت الخام يختلف لوناً من الابيض الى الاسود وما بينهما من الوان قوس قزح . وتختلف رائحتهُ من رائحة الصندل الزكية الى رائحة الكافور القوية الى رائحة القطران الكريهة

وقد استخرج من باطن الارض ، منذ ما أنشئت صناعة الزيت ، ستة وعشرون بليوناً من البراميل فلو وضع هذا المقدار من السائل في حفرة عمقها ميل ومساحة سطحها ميل مربع لما ملأها . على حين ان علماء الجيولوجيا قرروا في شهر يناير من سنة ١٩٣٤ انهُ اذا ظل استخراج الزيت في الولايات المتحدة الاميركية على ما هو الآن امكن استخراج ١٣ بليون برميل او ما يكفي الولايات المتحدة خمس عشرة سنة ولكن يبقى في باطن الارض مع ذلك مقدار من الزيت يختلف من ٣٨ بليوناً من البراميل الى ١١٣ بليوناً ولكن الحصول عليهِ بالاساليب المستعملة الآن لاستنباط الزيت من الارض متعذر ومتوسطهُ يكفي العالم نحو ثمانين سنة

فما ان بليوناً ونصف بليون من براميل الزيت الخام تستنبط كلَّ سنة من باطن الارض فيستعمل معظمها على الاكثر في تسيير السيارات التي يبلغ عددها في مختلف بلدان العالم نحو ٣٥ مليون سيارة والطائرات وتستعمل بعض مشتقاته لتزييت اجزائها . وهذا لا ينفي استعمال بعض المشتقات الاخرى في اغراض مختلفة

والعلماء منبثون في كل ناحية من نواحي صناعة الزيت ، يسعون الى الكشف عن اساليب جديدة او اتقان الاساليب القديمة ، لتعيين آبار الزيت المنتجة ، وحفر الآبار ، وخزن الزيت ونقلهِ ، وتكريرهِ ، حتى لا يضيع الا اقل مقدار ممكن منهُ في خلال هذه العمليات جميعاً

ومن هذه الوسائل التي استنبطها العلماء وسيلة تعرف بطريقة التحطيم او التهشيم Cracking اذ بها يحوَّل الزيت الخام الذي لا يحتوي على مزيز ما ، الى بنزين ، او على الاقل يستخرج بهذه الطريقة

مقدار كبير من البنزين من زيت خام لا يحتوي عليه . ولولا هذه الطريقة لكان البنزين الذي تحتاج اليه السيارات الآن ، لا يستخرج الا من ضعف مقدار الزيت الخام الذي يستخرج منهُ الآن

ومنذ ما اكتشف الزيت ، أخذ يزاحم الفحم كمصدر من مصادر الطاقة . فقد قيل ان ٤٨ في المائة من الطاقة المستعملة في الولايات المتحدة الاميركية في السنة الماضية كان مصدره الفحم . ويدل الاحصاء على ان ٣٢ في المائة او أقل من نصف الباقي قليلاً كان مصدره الزيت

وقد ابتدع اسلوب بارع من عهد قريب يتصل بصنع وقود السيارات والطائرات من الغاز الذي يطير من الزيت الخام عند تهشيمه لاستخراج اكبر قدر من البنزين منهُ . ويقدر ما يخرج من هذا الغاز كل سنة بثلاثمائة مليون قدم مكعبة يمكن تحويلها بهذه الطريقة الى الف مليون جالون من بنزين يعرف باسم [illegible] وتبلغ نسبة مقاومته ٨١ في المائة فاذا عولج هذا البنزين بالايدروجين على اسلوب معين تحول الى اوكتين تبلغ نسبة صفائه مئة في المائة فيمكن الطائرات من قطع ٥٠٠ ميل في الساعة

الغاز الطبيعي

يخرج الغاز الطبيعي من الارض وحده او بصحبة الزيت الخام كذلك . وهو من افضل موَلّدات الطاقة لانهُ مركّب من « الميثين » و « الايثين » وهما مركّبان ايدروكربونيان يصلحان خاصة للاستعمال في المحركات الغازية وتوليد البخار وفي شؤون المنزل لشدة الحرارة التي يولدانها . ويؤخذ من الاحصاءات الرسمية ان مقدار ٨ في المائة من الطاقة التي تستهلك في اميركا كل سنة مردّهُ الى هذا الغاز . ومما يسهّل استعماله ان نقلهُ سهل من الاماكن التي يستخرج فيها من الارض الى المراكز الصناعية بالانابيب فيصل الوقّاد من الانابيب من دون ان يفقد شيئاً منهُ . وقد قدّر الباحثون ان منابع هذا الغاز في « بانهاندل » بولاية تكساس الاميركية تكفي الذين يستعملونها الآن مائتي سنة

على ان استعمال هذا الغاز نادر خارج الولايات المتحدة الاميركية مع انهُ كثير في بعض المناطق كمنطقة آبار الزيت الايرانية . ففي هذه المنطقة يضيع كلُّ يوم نحو الف مليون قدم مكعبة من الغاز الطبيعي وذلك لعدم وجود مناطق صناعية حول المنطقة او على بعد معتدل منها تحتاج اليه

ويقدَّر ما يمكن استخراجهُ من منابع الغاز الطبيعي في الولايات المتحدة الاميركية المعروفة الآن بـ ٧٥ تريليون قدم مكعبة وهي تكفي مدة خمسين سنة اذا لم يزد المقدار المستهلك عن المتوسط السنوي الآن

قوة الماء

الماء المنحدر مصدر من اقدم مصادر الطاقة التي استعملها الانسان . ومنذ ما اكتشف احد قدماء المصريين استعمال العجلة لاستخدام طاقة الماء الجاري، توالت وجوه الاتقان عليها حتى اصبحنا الآن ولا صلة ظاهرة بين تربين العصر الحديث وعجلة المصريين الاقدمين . وقد بلغت كفاءة تربين الماء ٩٤ في المائة فهي افضل آلة صنعها الانسان من هذا القبيل . ويبلغ ما يستعمل من الطاقة المولَّدة من الماء المنحدر في اميركا ٨ في المائة من مجموع الطاقة المستعملة فيها

وتقدَّر الطاقة التي يمكن توليدها من الماء المنحدر في الولايات المتحدة الاميركية بنحو ١٢٧ تريليون حصان كلَّ سنة لا يولَّد منها الآن الاَّ ٤٢ تريليون حصان

والماء على ما نعلم مصدر دائم للطاقة وقد يعود الى الاعتماد عليه كلَّ الاعتماد عند ما تنفد سائر مصادرها . ولكنَّ الصعوبة في توليد الطاقة من مساقط الماء انها بعيدة في الغالب عن مناطق الصناعة التي تستهلكها ، والاعتقاد السائد هو ان كل ما يحتاج اليه المرء لتوليد الطاقة من الماء المنحدر يتمُّ بوضع محولات او ما يقوم مقامها في تيَّار متدافع من الماء . ولكن الواقع انهُ بعد اعداد المعدات نفسها لتوليد الطاقة من الماء المنحدر والجاري — وهي دقيقة ومعقدة وكبيرة النفقة — يحتاج الى مدّ الاسلاك مسافات طويلة من حيث تولَّد الطاقة الكهربائية الى حيث تستعمل وكلما طالت المسافة زاد ما يضيع منها في الاسلاك . وبذلك تجد ان الطاقة المولَّدة من قوة الماء أغلى في بعض المناطق من طاقة البخار المولَّد بالفحم او النفط او الغاز الحقلي

أما توليد الطاقة من المد والجزر فقد عني به المشتغلون من القرن التاسع عشر الى الآن والواقع ان الاختلاف بين المد والجزر يجب ان يجهزنا بمقدار عظيم من الطاقة اذا تمكنا من توليدها منهما بطريقة سهلة المأخذ معتدلة النفقات . وقد استنبطت في العصر الحديث طرق جديدة لاستخدام هذه الطاقة ولكن يظهر ان فائدتها العملية محصورة في نطاق ضيق في بعض الفرض البحرية في فرنسا وانكلترا والمانيا . ونفقات الاجهزة اللازمة لتوليدها بهذه الطريقة كبيرة يضاف اليها تعذر استعمالها الاَّ في أماكن معينة حيث تؤاتيها احوال المد والجزر وهذا يقيم العراقيل في سبيل انتشارها

وقد وافقت حكومة الولايات المتحدة الاميركية على انفاق سبعة ملايين ومائتي الف من الجنيهات لانشاء محطة على شواطئ ولاية مين تولِّد طاقة قدرها ٢٠٠ الف حصان من المدّ والجزر . والمعروف ان مشروعات مختلفة وضعت لتوليد الطاقة من المدّ والجزر عند مصبّ نهر تسين تانغ في الصين وسفرن في انكلترا وعلى شواطئ بريتاني في فرنسا . ولكن المشروع الاميركي هو الوحيد الذي ينتظر اخراجهُ من حيّز القوة الى حيّز الفعل

وقد وضعت حديثاً طريقة جديدة لاستعمال طاقة مياه البحر . وهي في رأي العالم بارعة طريقتها مستعمل ماهر . ونريد بذلك طريقة الكيماوي الفرنسي كلود (Claude) وزميله بوشرو (Boucherot) المبنية على استعمال الفرق بين حرارة سطح البحر في المناطق الاستوائية وحرارة مياهه في الاعماق التي تكاد تكون دائماً (٣٧ — ٣٩) درجة بميزان فارنهيت في سنة ١٩١٣ اشار كلفن لامبركي الى امكان الحصول على طاقة ميكانيكية او كهربائية من هذا الفرق الدائم بين حرارة مياه السطح وحرارة مياه الاعماق . وانقضت عشر سنوات فاذا رومانيولي ودورنغ وبوجيا يشيرون اشارة كلفن ذاتها . ولكن لم يقصد لتحقيق هذه الفكرة الا كلود وبوشرو الفرنسيان . فقد اثبتا بالامتحان ان تربيناً يتحرك ببخار يتراوح ضغطه بين ٣ ارطال و ٣٠٠ رطل على البوصة المربعة، يمكن تحريكه ببخار مائي متولد من طبقتين من المياه يختلف الفرق بين حرارتيهما من ٧٧ درجة بميزان فارنهيت الى ٤٤ درجة . ومبدأ هذه الطريقة يتلخص في ان جانباً من المياه السطحية الساخنة يتحول بخاراً اذا ضعف الضغط الجوي على سطحه وهذا البخار يستعمل في إدارة التربين مع ضعف ضغطه ثم يؤخذ هذا البخار ويبرد بماء مستمد من الطبقة الباردة وبعمق في البحر . فيولد هذا التبريد الفرع الجزئي المطلوب في الاناء الاول الذي يتحول فيه الماء الساخن بخاراً . ويؤخذ من حساباتهما ان طاقة قدرها ٣٨٣٠٠٠ قدم — رطل يمكن توليدها من متر مكعب من الماء اذا كان الفرق بين الماء الساخن والماء البارد نحو اربعين درجة بميزان فارنهيت . وذلك بعد استهلاك قدر من هذه الطاقة في رفع الماء من الاعماق الى مستوى الحوض الذي تستعمل فيه لتكثيف البخار بعد خروجه من التربين . فاذا كان حوض الماء البارد يتسع لخمسة وثلاثين قدماً مكعبة مثلاً فانه يستطيع ان تولد نحو ٤٠٠ كيلووطس الطاقة الكهربائية . وهذه الطاقة تفوق الطاقة التي تولد من جهاز المد والجزر (من الحجم نفسه) ٣٠ ضعفاً الى ٣٥ ضعفاً . وقد اثبتا مؤخراً امام طائفة من المهندسين ان فرقاً من الحرارة يبلغ ٣٨ درجة بميزان سنتغراد يمكن استعماله لتحريك مولد كهربائي يولد ٥٩ كيلووط . ويؤخذ من حسابات بوشرو لنفقات جهاز من هذا القبيل ان اثمان هذه الوسيلة واستعمالها في نطاق الامكان العملي

لخصنا ما تقدم من محاضرة للدكتور غوستاف اوغلوف مدير قسم المباحث في شركة « يونيفرسل اويل برودكتس كومباني » بشيكاغو وقد صدرت بها المجلة العلمية الشهرية ومن مقال نشر في مجلة السينتفك اميركان . أما مصادر الطاقة الاخرى كالخشب والقوة العضلية في الانسان والحيوان والريح والفحم النباتي والكحول وطاقة الشمس المباشرة وحرارة باطن الارض — فقدار الطاقة المستخرجة منها يسير اذا قيس بما تقدم ولذلك أخرنا الكلام عليها الى عدد تال

جنون الحياة

للشاعر المهندس علي محمود طه

في هذه الأبيات حديث موجه إلى مصور [illegible] لو كانت شاعرة لتأثرت [illegible] شعرية من ملحمة الحب الاول تصف أهواء الرجال وتصور من سرائل ليلة [illegible]

يا منطق الوحي في كفهم وخطّ عليه ربيع الطرب

ومدّوا العيون الى دمية تمثّل في حيوانٍ عجب

رأى بأحداقه عادة أعادَ صباها شبوبَ اللهب

جنونُ الحياة وأهواؤها أوانها وبريقُ الذهب !!

***

فأين من القوم سحرُ البيان وصيحةُ موسى قبيل الوداع؟

همُ الناسُ لا يشعرون الجمالَ إذا لم يكنْ حافزاً للطماع

همُ الناسُ لا يعبدون الجمالَ إذا لم يكنْ نهزةً للمتاع

همُ الناسُ لا يألفون الحياةَ إذا لم تكنْ مسرحاً للخداع

***

تماثيلهُ بعض أجسامنا إذا صاغها العبقريُّ الصَّناع

ولوحاتهُ صُوَرُ العاريات إذا مزّقَ الفنُّ عنها القناع

أبالشعرِ تُغري هذا الفتى ؟! وهمتَ إذن وجهلتَ الطباعَ !

أليستْ له شهوةُ الآدمي وشهوةُ تلك الذئابِ الجياعِ ؟!

اسرار الدماء (١)

للدكتور علي توفيق شوشه بك

مدير معامل مصلحة الصحة العمومية

منذ القدم — كان الانسان قديماً ينظر الى الدم نظرة حذر واحترام، ولقد عرف الانسان الاول في أقدم العصور ما للدم من شأن كبير في حياة الفرد. فكثيراً ما شاهد كيف كان البطل يخر صريعاً اذا ما طعن بسهم عدوه، وكيف كانت روحه تنسل منه مع قطرات الدم التي تسيل من جرحه. فاستنتج من ذلك ان الدم هو موطن الروح بل هو موطن الحياة فلا عجب اذن ان كانت القرابين البشرية وليدة هذا الاعتقاد، ولا عجب ان قد حيك على مرور الزمن وتعاقب الاجيال نسيج معقد من الخرافات حول الدم وأسراره. فالشعوب الهمجية كانت تكتسب ولا تزال تكتسب معاهداتها بضربات الدم ومواثيق الاخاء في الحياة والموت كانت تمضي ولا تزال تمضي بينهم بمصير الدم

وطبيعي ان يكون لتلك المعتقدات الخرافية في الدم تأثير شديد في آراء العلماء الذين عاشوا في القرون الغابرة. اما الآن فنحن نكاد نتبين عنها. وقد كشف العلماء عن الكثير من خفاياه، ولكن حتى هذا اليوم الذي اخذت فيه طريقنا بالدراسات عن الدم واحواله، والذي وصلنا فيه الى استجلاء الكثير من الحقائق عنه. حتى هذا اليوم يجب ان نرجع الى مجاهرنا ومختبراتنا. ليست تلك الاسرار التي استخلصها العقل البشري من دراساته واستنبطها من مشاهداته، ليست تقل بلغة هي اعظم وأروع من تلك التي حدثت بها عقول الاولين حين ادخلوا الدم ضمن دائرة معتقداتهم الخرافية، وحاكوا حوله خيوط الاعتقادات الوهمية

سفن الحياة

وليس الدم الا سائلاً يغذي الخلايا والاعضاء الداخلية في الجسم بالطعام الضروري لها. ولا يقتصر الامر على ان يحمل الدم الغذاء الى الخلايا، فكما ان الآلة البخارية لا تحتاج الى الفحم للوقود فقط بل تحتاج ايضاً الى الاوكسجين كيما تتم عملية الاحتراق، كذلك الحال في

(١) خطبة الافتتاح من المحاضرات العامة التي القاها الدكتور شوشه بك في مؤتمر المجمع المصري للثقافة العلمية

الخلية . تلك الآلة الصغيرة في الجسم البشري وكريات الدم الحمراء — كما تعلمون — هي حاملة الاوكسجين وناقلة فسيات حيوية في شبكة الاوعية الدموية فهي تأخذ شحنتها من الاوكسجين من الرئتين وتجري مسرعة في مداوي الى خلايا الجسم ، فتفرغ حمولتها هناك وتأخذ عوضاً عنها شحنة جديدة من حامض الكربون ، ثم تعود الى الرئتين حيث تستبدل به ثانية غاز الاوكسجين النقي — فهي في عملها الخفي تمثل الجسم الصغيرة التي تسير في ميرانه المنوعة بالمصل الدموي ، متنقلة من جهة الى اخرى ، تحمل من هذه بضاعتها وتفرغ في تلك حمولتها

والآن أتعلمون كيف يحمل الدم الغذاء للانسجة ؟ ذلك الطعام الذي تمده الامعاء بالامتصاص والهضم قد تعرفون ان السكريات والنشويات تذهب دائمة توًّا الى قنوات الدم وتخزن في الكبد، وقد تعلمون ايضاً ان الدهن يصل بواسطة القنوات اللمفاوية الصغيرة الى المجرى اللمفي الكبير ومنهُ إلى تيار الدم . اما الزلال أتدرون ماذا يحدث لهُ ؟ المعروف ان المواد الزلالية تتحلل في الامعاء . والمعروف ايضاً انها تترك تماماً زلالاً تشربًا في جدر الامعاء بواسطة احدى الخمائر . ولكن اين مصيرها ؟ اذا بحثنا في الدم الخارج من الامعاء لا نجد فيه هذه المواد الزلالية ولا مشتقاتها . إذن كيف تصل الى الجسم . هناك مشاهدة قد تفسر لنا ما خفي علينا . عند تناول الطعام يزداد عدد كريات الدم البيضاء زيادة كبيرة في ذلك الجزء من الدم الخارج من الامعاء الى الكبد . تلك المشاهدة أمكننا الوقوف على طريقة هضم المواد الزلالية على النسق الآتي :

هضم الزلال

يتحلل الزلال بواسطة الاعصارة الهضمية ثم تمر كريات الدم البيضاء الى داخل الامعاء وتلتقطه وتنسج ثانية الى الاعضاء الداخلية . وهناك تتحلل بذاتها مقدمة نفسها وما تحمله من غذاء قرباناً الى تلك الاعضاء المفتقرة الى هذا الغذاء

كلكم يعلم من مشاهداته الخاصة ان الزلال انواع مختلفة . فزلال بيضة الدجاج يختلف منظراً ومذاقاً عن زلال بيضة الاوز . وكما يختلف البيض في نوعه يختلف الزلال ايضاً في نوعه . وليس كل زلال كغيره ، بل ان هناك اختلافاً كبيراً بين انواع الزلال في مختلف المواد . فلحم الجمل مثلاً يختلف عن لحم الضأن وعن لحم الارنب ايضاً . وكذلك يختلف تركيب الزلال في اللحم عن زلال المخ . وكل هذه الانواع من الزلاليات تختلف ايضاً عن زلاليات النبات

ومهمة الجسم هي تمثيل هذه المواد الغريبة عنهُ وتحويلها الى زلال خصيص بنوعه خصيص بلحمه ودمه . وهو يقوم بهذه المهمة عن طريق عملية الهضم . وهذه ليست اكثر من تجزئة انواع الزلاليات وحلها الى عناصر بسيطة اولية . ومتى تم ذلك ارسلتها الامعاء الى الدم . هناك

فتلتقطها كريات الدم البيضاء، وتقوم هي الاخرى بمهمة تحويل تلك الاجزاء الاولية الى نوع جديد من الزلال خصيص بالجسم البشري. ثم تصبح هذه الكريات بنفسها على مدخل الاعضاء والخلايا الداخلية، فتتزع كل واحدة من خلايا نفسها ما تحتاج اليه منها. وتسلم لنفسها — تبني نوع الزلال الخاص بها الذي يلائمها والذي يلائمها هي فقط

حقاً انهُ نظام عجيب وترتيب مدهش، لا يقنع الباحثون بكشفهِ بل تحدوهم يقومون بتجارب شتى، ليستوضحوا الطبيعة بعض الحقائق الاخرى. والعالم الواحد منهم يسأل نفسه : ترى ماذا يحدث اذا اعطيت حيواناً زلالاً (ويكن آح الدجاج) لا على سبيل الطعام عن طريق الفم بل حقنة يحقنه بها رأساً في الدم، هل تمكن الانتفاع بهذا الزلال والاستفادة منهُ؟ وماذا يكون شأن الاعضاء حياله؟ الجواب على ذلك، هو انهُ اذا حقن آح البيض في دم الارنب دب اعراضاً شديدة من التسمم تظهر عليه مصحوبة بتشنجات ونوبات اختناق قد تودي بحياة هذا الحيوان فلماذا يحدث هذا؟ هذا طعام لا ضرر فيه اذا هو أخذ عن طريق الفم وهضم وتمثل يكون جيداً ومفيداً للبدن، وهو هو نفسه اذا ارسل الى الاعضاء مباشرة دون تنقيته وجبه وهضمه بواسطة الامعاء يكون سماً مميتاً

على انهُ في الامكان حمل الحيوان على تعاطي هذا السم من دون ان يؤذيه. فاما اذا حقناه في المرة الاولى بمقدار صغير منهُ، ثم حقناه ثانية بمقدار صغير آخر، ثم بعد مدة بمقدار آخر، يتزايد تدريجيًّا ببطء، فانا نجد الارنب قد اعتاد السم واصبح حصيناً ضد تأثيره — واذا ذبح هذا الحيوان وجمع دمه وترك زمناً ليستقر ذلك الدم، فانا نجد مصله قد اكتسب خاصية عجيبة لا توجد في مصل حيوان آخر لم نحقن منه. لاننا اذا اضفنا هذا المصل الى شيء من آح البيض وجدنا ان هذا المحلول اصبح عكراً وتكونت فيه رواسب

وهذا يحدث فقط اذا استخدمنا آح الدجاج، وبعبارة اخرى لا يحدث هذا التفاعل اذا استخدم زلال بيض الطيور الاخرى، او اي محلول آخر من الزلاليات. واذا حقن الارنب بزلال من لحم الحصان فان مصله لا يعكر ولا يرسب الا زلال لحم الحصان. ولقد اجريت عدة تجارب باستعمال مختلف الانواع من الزلاليات وكانت النتيجة دائماً ان المصل لا يرسب الا صنف الزلال الذي استعمل في تحضيره

وبهذه الطريقة اصبح من الممكن تعيين مصدر اي نوع من انواع الزلال الواضحة، وهي نتيجة ذات شأن عملي كبير. فعلم الكيمياء قد تركنا في هذه الحالة حيارى، فلا هو قادر على ان يعطينا بياناً عن تركيب المواد الزلالية ولا عن اسباب اختلافها، كما ان التحليل الكيمائي قد عجز ايضاً عن ان يوضح لنا نوع الزلال الذي يوجد في اية مادة من المواد. ولكن هذا التفاعل

الحيوي بين ايدينا الآن وهو يفيدنا عن كثير من ضرر يقع في هذه الناحية فمثلاً اذا اريد ان نعرف هل يحتوي نوع من انواع المقانق المحشوة على لحم حصان، فما علينا الا ان نمس خلاصة مائية من هذه المقانق، ثم نضيف اليها مقداراً من مصل ارنب يكون قد حقن بخلاصة لحم الحصان. فاذا تعكر السائل ورسب منه دلّ ذلك على ان المقانق تحتوي على لحم الحصان. وقد تمكن الاستاذ (أولنهوت) واضع هذه التجربة من الاستدلال على غش بعض المواد الغذائية بلحم الخيول واحياناً بلحوم الكلاب والقطط

وبعد حقنت الارانب بأمصال دماء الحيوانات المختلفة وبمصل دم الانسان وامكن الحصول على امصال من الارانب ترسب امصال الحيوانات التي استخدمت في حقنها. فمثلاً اذا اضيف مصل الارنب الذي حقن بمصل الانسان الى اي سائل يحتوي على مصل الانسان فان هذا السائل يترسب لساعته. وهذا التفاعل دقيق وحساس للغاية، وانه يحدث مع اي خلاصة من اي عضو من اعضاء الجسم حتى ولو تقادم عليها العهد. وبعد ظهرت فائدة هذه التجربة في الجرائم فانّا الى الآن لم نكن نستطيع ان نخبر المحقق بطريقة جازمة في الحالات المشتبه فيها ان بقع دم معينة ليست بقع دم انسان. فاما علم الكيمياء فكان قد اخفق كل الاخفاق في هذه الناحية، واما المجهر (الميكرسكوب) فان فائدته كانت قليلة ومقصورة على اثارة الشك في حالة الدم الحديث العهد وذلك بتمييزه بعض الاشكال المختلفة لكريات الدم في بعض الحيوانات كالانسان والطيور مثلاً، ولكنهُ عاجز عن هذا التمييز في الدم الجاف القديم الذي تتهدم فيه تلك المميزات الشكلية للكريات

وهنا تظهر فائدة تلك التجربة الحيوية الناجحة التي بيناها والتي لا يمكن دحض نتائجها حتى ان المحاكم اليوم تبني احكامها في الحالات المشتبه فيها على نتائج هذه الاختبارات

انتساب الحيوانات

ولكن لا نلبث حتى نرى عقبة تعترض سبيلنا، لان هذا التفاعل المصلي ليس مطلق النوعية بمعنى انهُ اذا حقن ارنب بمصل حصان، فان مصل الارنب لا يرسب فقط مصل الحصان، ولكنه يرسب ايضاً مصل الحمار. ومصل الارنب المحقون بمصل الثعلب يرسب مصل الثعلب والكلب ايضاً. وبديهي ان الحيوانات القريبة بعضها من بعض تعطي تفاعلاً مشتركاً بينها. ولقد امكن بواسطة هذه التجربة معرفة صلتها وقرابتها بعضها الى بعض، لانه كلما كانت الصلة قريبة كان التفاعل شديداً. وقد تناول العلامة (ناتال) هذا الموضوع، وبحث في درجة انتساب الحيوانات بعضها الى بعض فقام بتجارب على ٩٠٠ نوع من انواع الدم تقريباً، ونال معلومات قيمة عن تاريخ المملكة الحيوانية مما اثار اهتمام علماء الحيوان. فقد ثبت ان الصلة قريبة بين القرد والانسان،

ومن [illegible] وليدث والثعلب وابن آوى . وأيد الرأي الشائع عن الصلة الوثيقة بين اللاما والجمل . وقد امكنه ايضاً ان يؤيد رأي علماء الحيوان عن وجود صلة بين الطيور والزواحف وان السلحفاة هي اقرب الزواحف الى الطيور . وان التماسيح ابعد عنها . اما السحالي والحيات فتكاد تكون الصلة معدومة بينها وبين الطيور . وبالاختصار يمكنه توضيح تطور مملكة الحيوان وتبديد الظلام الذي احاط بكثير من انواعها وفصائلها

***

وقد يدعونا هذا الى وضع ذلك السؤال الهام ، وخصوصاً لان الاجابة عنهُ تلذنا معرفتها ويهمنا الوقوف عليها ، وهو : اذا حقن ارنب بمصل آدمي فاي نوع من انواع الدم يرسبه مصل الارنب . وهل يحدث ذلك في دم الانسان فقط . او ان هذا التفاعل يحدث في دم بعض الانواع الاخرى من المخلوقات . والدليل على ذلك سهل . والجواب واحد . وهو ان مصل الارنب الذي حقن بمصل آدمي يرسب مصل الانسان ويرسب ايضاً مصل القردة الشبيهة بالانسان (الجيبون والاورانج اوتنج والغوريلا والشمبانزي) اما القردة ذات الذيل الطويل فان التفاعل بمصل دمها ضعيف ، واما قرود الدنيا الجديدة كالليمور مثلاً فامصالها لاترسب بالمصل الآدمي بتاتاً كذلك جميع المخلوقات الاخرى الحية . هذا هو الواقع الذي لايتطرق اليه الشك

والآن ماذا نستخلص من تلك المشاهدة . نستخلص منها انهُ توجد هناك قرابة دم بين الانسان وبين القردة الشبيهة به تلك القرابة التي تعترف بها الشعوب البدائية . ولكن ينكرها ويرفض الاعتراف بها الرجل المتمدين على الرغم من تأييد علمي الحيوان والتشريح له والتسليم بوجودها. [illegible] تطور الانسان . رأى هؤلاء من الواجب عليهم ازدراء هذه النظرية فاغمضوا عيونهم وصموا آذانهم عن الحقائق التي اظهرها داروين ولكن الطبيعة لاتحابي انها تنادي بأعلى صوتها . انهُ لكذلك هناك قرابة في الدم بين القردة والانسان مهما انكرتم وتنكرتم . هي صلة دم لا اكثر ولا اقل وهذا لا يعني اننا تحدرنا من القردة بل ان لنا وللقردة شجرة نسب واحدة يرجع تاريخها الى اقدم العصور وهذه الشجرة جملة فروع . في اسفلها القردة وعلى قمتها الانسان . ان جواز احتمال صيرورة القردة اناساً قد زالت الى الابد من الوجود ، ولن تتاح الظروف لاي حيوان آخر ليمرّ في ادوار التطور حتى يصبح في النهاية شبه انسان ، لان الاحوال التي وجدت في قديم الازل والتي ساعدت الانسان الاول على الوصول الى شكله الحالي لا توجد ولن تعود ، وحتى اذا وجدت فرصاً فانهُ لنستحيل ، اذ ان الانسان يسود الآن العالم ولا يحتمل وجود سيد آخر يشاركه في هذه السيادة

سادس — ان العمل البشري جبار . وكل نجاح يلقاه في الكشف عن الحقائق يحرك اوتار شغفه للكشف عن حقائق اخرى

فقد رأينا كيف ان الزلاليات والامصال المختلفة اذا حقنت في حيوان من فصيلة اخرى احدثت تغيرات في الدم تغيرات يصنعها ذلك السائل الحي نفسه

الآن يبدو لهذا العمل ان يسأل ما هي التغيرات التي تحدث في الدم اذا ادخلنا فيه بدلاً من سوائل الزلال خلايا مشكلة

فلنفرض اننا حقنا الحصان بدم ثور اي بخلايا دمه الحمراء، واخذنا قليلاً من دم الحصان المحقون وتركناه ليتجمد حتى ينفصل مصله من الخلط الدموية . اذا اضفنا هذا المصل الى دم الثور في انبوب الاختبار وجدنا انه يذيبه ويفنيه . واذا حقناه في الثور مات هذا الحيوان لوقته . لان كريات دمه الحمراء تكون قد ذابت . واعلمت تأثير هذا المصل يموت الثور لان دمه فقد تلك المادة الصفيرة التي تشحن وتفرغ الاوكسجين وحامض الكربون . فهذا الحيوان المسكين يلهث عبثاً في طلب الهواء . قد يدخل الهواء الى رئتيه ولكن الاوكسجين الذي به لا يجد تلك السفن التي تحمله الى مراكز الجسم . هنا تتمزع جاشيم الحيوان ويئنّ من حشرجة الموت . وفي دقائق معدودات يفارق الحياة الى الابد

خذ احد الطيور كالبط مثلاً ، واحقنه بدم اي حيوان آخر ، ويكفي حقنه . من عشر نقط فقط من مصل البطة المحقونة تكفي لقتل كلب ممتلىء صحة وعافية في لمح البصر . كل هذه التجارب تشير الى ما يحدث عند دخول خلايا من نسيج احد الحيوانات في حيوان آخر ، ولكن ماذا يحدث اذا دخلت في الدورة الدموية كائنات حية من ذوات الخلية الواحدة كالمكروبات مثلاً

الجسم ودفاع الدم

قد يذكر بعض حضراتكم من الذين استمعوا الى محاضرتي في هذا المجمع الموقر سنة ١٩٣١ عن الوقاية الطبيعية للجسم او كما اسميتها وقتئذ المعركة اليومية في الجسم البشري ، تفاصيل ذلك القتال الذي قام بين الميكروب وبين الجسم وكيفية انتصار الاخير على خصمه بفضل مساعدة من وسائل الكفاح وخاصة بفضل حماته الابطال ، ألا وهي البلعمات . ولكن منازلة الميكروبات ليست دائماً سهلة وقتالها قد يكون احياناً متعباً ومضنياً فان هؤلاء الشياطين هم محاربون غادرون ويحملون معهم سلاحاً قوياً هو سمومهم الزعافة التي ينفثونها في الجسم فتحدث حتى ولو كانت بالمقدار القليل اضراراً بليغة . رأينا في المعركة كيف كان الجسم يرسل الى الميدان لقتال جنوده الابطال وكيف كانت تلك الجنود تبيد عدوها اللدود ولكن ماذا تصنع تلك الجنود مع عدو مهاجم اكتسح

ارض امسلكة وأعمل فيه التخريب والتدمير . لا بل عمل اكثر من ذلك فقد سمم موارد طعامها وشرابها بسمومه التي هيأها فيه وعمرها بها ، ما العمل . . قبل ان تتأزم هذه الملحمة الحديدية نحدد ما ان نسأل انفسنا هذا السؤال الآتي —

ماذا يحدث اذا دخل اي سم في الجسم . الجواب عن ذلك هو ان الجسم يبذل اقصى ما في وسعه لطرد هذا السم من دمه ، فهو يستخدم لذلك اعضاءه الخصيصة لهذا العمل وهي الكلى والامعاء وغدد العرق

هذا هو السبيل الذي يتبعه الجسم في التخلص من سموم الميكروبات ولو انهُ طريق ضار به اذ انهُ يعرض تلك الاعضاء للتلف بدليل ما نراه كثيراً من اصابة الكلى في الامراض المعدية ولكن تلك الجهود التي يواجهها الجسم لطرد هذه السموم تذهب في أغلب الاحيان سدى ، لانها سموم معقدة التركيب من ناحية الكيميائية خصوصاً وانهُ لم يألفها ولم يكن لهما سابق معرفة

ومع ذلك فنحن نرى ان كثيراً من تلك الامراض السمية قد تبرأ من تلقاء نفسها بفضل نظام الجسم وحسن انشائه ، حتى انهُ يتمكن في النهاية من التخلص من السموم التي دخلت فيه وغزت نواحيه فكيف كان ذلك

نحن نعلم الآن انهُ في مثل هذه الحالة تتغير اخلاط البدن تغيراً حيويًا ، وانهُ يتشكل هناك ترياق يبطل مفعول سموم البكتريا فيجعلها غير ضارة وان مصدر هذا الترياق هو الدم نفسه

وقد قام « بهرنج » بعمل تجارب على الخيول فحقن عدداً منها بحقن متدرجة من سم الدفتيريا فوجد بعد زمن ان الخيول قد اعتادت تأثير هذا السم ، واصبحت تحمل منهُ مقادير كبيرة بدون اي ضرر ، ووجد انهُ اذا أخذ دم هذه الحيوانات المحقونة وتركها لتتجمد ونزع منها المصل فانهُ يحصل على ذلك الترياق في هذا المصل وهذا الترياق او مادة اخرى المصل الشافي لهُ خواص عجيبة فانهُ اذا حقنت به حيوانات أخرى يحصنها ويقيها ضد تأثير السم ، واذا اضيف الى السم فانهُ يشل عمله ، بل الاحرى اكثر من ذلك فان الحيوانات المريضة يمكن شفاؤها بمعالجتها بهذا المصل

ها قد رأيتم الآن كيف يدافع الجسم عن نفسه ضد سموم البكتريا ، ولا اخفي عليكم ان ما امدتهُ لكم الآن لايعتبر بياناً شاملاً عن تفاصيل هذا النظام الدفاعي الذي يتمتع به الجسم البشري في مكافحة الميكروبات وفي التغلب عليها . اذ ان تفاصيل ذلك الموضوع وما توصل اليه البحث العميق من حقائق علمية وعجيبة اكثر مما تقتضيه مني هذه المحاضرة

— المحاضرة الثاني من المحاضرة تتناول موضوع عن الدم والانسجة —

تقدم علم النفس

في مائة عام

تطوُّر البحث فيه

— ١ —

في مائة عام

لمحمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

يقول الناس ان علم النفس علم قديم ، نشأ مع الفلسفة في أقدم عصورها من عهد افلاطون ، بل وقبل افلاطون — وسار معها في كل ميادينها كالتابع الامين ، لا يحيد عن اسلوبها وطريقتها النظري في البحث ، فيد شمرة من تلك هناك تجارب واسعة ، ولا معامل ممدة بمختلف الأجهزة ، ولا اختبارات مقننة ، ولا احصاءات ومشاهدات مضبوطة منظمة وإنما نحو بحثه الخاصة به — أو بعبارة أدق ، بحوث بعض الفلاسفة التي تناولوها عرضاً ، حسبما بحثوا فيه — عن روحين او ثلاثة — تتناول النفس البشرية ، وقواها القديمة الثلاثة عند اليونان ، او الخمسة عند الفارابي وفلاسفة المسلمين ، الذين نقلوا عن اليونان ثم الملكات العقلية الخاصة كالذاكرة والخيال ، وأخيراً الصلة بين وظائف العقل والبدن

على ان الدارس المحص الذي يتتبع تاريخ المباحث النفسية وتطورها ، لا يسعه الا ان يقرر انه لم يكن هناك ، في اي عصر من العصور ، شيء منظم مرتب ، يصح ان يطلق عليه اسم (علم النفس) وكل ما هناك آراء متفرقة لافراد من الفلاسفة ، وعدة ملاحظات فردية ، لبعض الباحثين في النفس البشري . ولكن ما كاد القرن التاسع عشر ينتصف حتى استطاع المفكرون ان يتحرروا من نير الفلسفة ، وقواعدها واساليبها النظرية في البحث فخطا البحث خطوات واسعة ، هي في الواقع طفرة سريعة وثابة ، لا يعدلها شيء في تاريخ العلوم الاخرى وتنوعت

مباحث البحث فيه، حتى شملت كل شيء يمت للعقل بصلة. واتجه الباحثون بالضرورة اتجاهات متعددة متناقضة بعض الشيء، وكونوا لانفسهم مذاهب ومدارس. وازداد تطاحن في سبيل البحث عن الحقيقة حتى صار علم النفس مسرح معارك. دونها حروب التاريخ. على ان هذا كله كان من شأنه ان يحدد موضوعات البحث، وينظم اساليبه، ويربط اجزاءه المتناثرة، حتى تجمع من ذلك علم مرتب منظم، له أُسس علمي متين

ونستطيع ان نقول، ان ما تم في كل عام من الاعوام المائة الاخيرة، من التطور، يفوق كل ما تقدمه في القرون السابقة المتعاقبة، حتى ان الباحث ليكفيه ان يدرس تاريخ علم النفس في القرن الاخير لا غير

وسنحاول ان نستعرض في هذه المقالة، اهم المدارس والمذاهب التي ظهرت في هذه الفترة (وقد فصلها وبسطها الاستاذ فلوجل في كتابه النفيس، الذي ظهر حديثاً باسم (علم النفس في مائة عام) ولم يترك فيه زيادة لمستزيد. ويمكننا ان نقسم التطورات التي ألمت بعلم النفس في المائة السنة الاخيرة الى ثلاثة أدوار

(الدور الاول): يبدأ من سنة ١٨٣٣ الى سنة ١٨٦٠، ويتميز بوجود تيارين متضادين يسودان ميدان علم النفس. فمن حيث طبيعة العقل البشري، نجد فريقاً من العلماء، ينظرون الى النفس نظرة آلية بحتة، كما لو كان آلة مسيَّرة ليس لها شعور أو ارادة، ولا تصرف خارج عن سنة تكوين جسمه المادي. وفريق آخر يرى العقل كائناً حياً، عاملاً متصرفاً لا يقف نشاطه عند حد. وكذلك نجد للعمليات العقلية ذاتها ووظائفها تفسيرين متضادين. الاول يفترض وجود ملكات عقلية كل منها تعمل مستقلة عن غيرها الى حدٍّ ما. وتكون قوية على وجه العموم عند شخص ما، وضعيفة جداً عند الشخص الآخر. فالشخص الذي وهبه الله ملكة الذاكرة مثلاً يكون سريع الحفظ سريع التذكر، يذكر كل ما وقع تحت حسه من الحوادث الماضية في اي وقت يشاء وبأقل مجهود ممكن. ثم ان كل ملكة من هذه الملكات قابلة للتحسن بالتمرين حتى تصل الى حد الكمال. فحفظ الشعر مثلاً يقوي الذاكرة على وجه العموم، حتى يصبح صاحبها قوياً في تذكر الامور الاخرى غير الشعر. وهذا المذهب — مذهب الملكات العقلية — من أقدم الامور التي اعتقد العلماء في صحتها من ايام افلاطون، الى ان اثبتت التجارب في اوائل القرن الحاضر بالبرهان القاطع فساده وبطلانه. ثم المدرسة الاخرى التي تفسر العمليات العقلية على اساس تداعي المعاني بقوانينه القديمة المعروفة، وهي الاقتران الزماني والمكاني والتشابه والتضاد. ونجد كل فريق من العلماء ينحو في بحثه منحى خاصاً، ويفرض لتعليل اسس علم النفس والحياة العقلية فروضاً غريبة. فمدرسة هربارت وبراون وستيوارت مل وغيرهم وضعت فكرة الكيمياء

العملية ، التي تعتبر العقل عملاً يخرج الافكار كما يخرج الاملاح من تفاعل المواد الكيميائية وخطا لوتزه خطوة لدراسة خطوات جريئة تحدد شكل تجربة عملية خاصة مركزاً في الجهاز العصبي وجعل بين Bain كل همه في جمع التفاصيل بصرف النظر عن التفسير وقضى هلمهولتز على اثر علماء الفزيولوجيا ، الذين جعلوا علم النفس علماً عصبيًا عماً كلهم وظائف الاعصاب . فتوصل من دراسته الواسعة للاحساس البصري والسمعي الى مذهب « الطاقات » التي تقوم بها الاعصاب الحسية وخطا فبر Weber ، وفخنر Fechner خطوة اخرى جريئة فاكسبا علم النفس صبغة رياضية ترمي الى تحديد العلاقة الجوهرية بين العقل والبدن

(الدور الثاني) من ١٨٦٠ — ١٩٠٠ يتميز هذا الدور بظهور ثلاثة ازواج من الآراء والمذاهب المتعارضة فهناك نجد النظرية النظامية Systematic التي تحاول ان تطبق الخطة على مثال النظم العلمية ترد اليها كل الظواهر العقلية ومدارها في البحث ، النظر النفسي العقلي وتقابلها النظرية التجريبية Experimental التي كان لفنط واببنجهاوس ومولر Wundt, Ebbinghaus, Muller الفضل الاكبر في ابرازها . وان كانت جهودهم في اول الامر موجهة الى الاهتمام بتجارب الادراك الحسي والتداعي والانفعال والذاكرة . وفي الناحية الثانية نجد رأي صلي وموسكمان [illegible] الذين زعموا انه وهربارت في ان المدار في دراسة العمليات العقلية يجب ان يكون على المحتوى Contentual . ويقابلها الرأي العملي او الوظيفي Act الذي احدثه برنتانو وناصره من اتباع المدرسة النمساوية مثل ارنفلس ومينونج Ehrenfels, Meinong ، ثم الاساتذة الاعلام جيمس وورد وستاوت وليبس وهوبهوس وكولب . فهؤلاء يقولون بأن دراسة العملية العقلية يجب ان تكون موجهة للعملية ذاتها او العمل الحادث وطريقة حدوثه بصرف النظر عن المحتويات او العناصر التي تشملها العملية

واخيراً نجد مدرسة جالتون الانكليزي تهتم بدراسة الافراد والفوارق الفردية وتستعين بالإحصاء والدراسات الفردية والتجارب العملية فتؤسس مدرسة علم النفس الافرادي Individualistic التي استقرت في امريكا وانتشرت على يد كاتل Cattell وتقابلها المدرسة الاخرى التي تدرس العقل على وجه العموم عند بني الانسان بصرف النظر عن الفوارق الفردية وتسمى المدرسة العامة General

ومن المدارس القديمة التي استمرت في هذا الدور المدرسة الفزيولوجية ممثلة في بحوث بروكا وفرنيك وجولتز Broca, Wernick, Goltz عن تحديد الوظائف المخية ؛ وما كتبه شرنغتون Sherrington عن الافعال المنعكسة وأعمالها . ثم اخيراً في بحوث بافلوف Pavlov الروسي عن الافعال المنعكسة الشرطية او المعدلة او المحولة

وخطا علم النفس على وجه العموم خطوة اخرى واسعة المدى وامتدت غزوته الى ميادين العقل والحيوان وعلوم الانسان والاجتماع

(الدور الثالث) من سنة ١٩١٠ ، ظهرت في هذا الدور مدارس ومذاهب متعددة وقف بعضها ازاء بعض كالدويلات المتعادية كل منها تشن اغارة على حدود ما يجاورها ليتسع سلطانها بما تضمه اليها من املاك الغير . فهناك حتى نزعات جديدة متناقضة

من الناحية الاولى نجد المدرسة التركيبية Structural وعلى رأسها تتشنر Titchener تحاول ان تعرف ما هو العقل وما تركيبه ، وطبيعة عملياته وتعارضها المدرسة الوظيفية Functional وعلى رأسها ديوي وأنجل وجد Dewey Angell Judd وهذه تبحث في الغرض من وجود العقل وفائدته وما ترمي اليه كل وظيفة من وظائفه . فالاولى تبحث عن السبب والثانية تتتبع النتيجة .

ومن الناحية الثانية نجد مدرسة الذري او الاصولية Elementarism القديمة ويعارضها المدرسة التشكيلية او الجشتالت Configurationism التي تحاول هدم المدارس القديمة وهي مدرسة المانية أسسها ورتهايمر وكهلر وكوفكا Wertheimer Koehler Koffka . وتتلخص آراؤهم في ان الموقف العقلي يجب ان تدرس حالة لا موقفاً موقفاً ، وبالتركيب لا بالتحليل ، كما هي كانت حالة على اعتبار كل منها شيئاً واحداً ، لا يتجزأ ، وليست مكونة من وحدات حسية أو ذرات Atomism فالاولى تفصل وتعلل بالاجزاء والثانية تجمع وتعلل بالكليات وقد خطت هذه المدرسة في السنوات الاخيرة خطى واسعة سريعة صافية وعززت آراءها بتجارب واسعة النطاق قامت بها في صبر وأناة ودقة تمحيص ، مما يجعلنا نعتقد انها ستسود الميدان وترد كل الآراء المتنافرة الى حقيقة واحدة وقد اكتسبت قوة فوق قوتها بالمذهب الجديد الذي وضعه سبيرمن زعيم علماء النفس الانجليز ورسم له قوانين ثلاثة هي في علم النفس كقوانين الجاذبية وتسمى Noegenetic Laws وهذا المذهب لا يحلل الظواهر العقلية الى ذرات وعروض وانما الى خواصها ، بالملاحظة بالفعل ، والعلاقات القائمة بين اجزائها

ومن الناحية الثالثة نجد مدرسة السلوكيين التي لا شأن لها بالامور العقلية ، لانها تجد كل حلولها في الحركات البدنية التي تصدر عن البدن والجهاز العصبي ، من دون الحاجة الى افتراض عقل ، له وظائف اخرى غير البدن ، وعالم آخر لا يخضع لقوانين الحياة المادية وقد نشأت هذه المدرسة اولاً لتعارض مدرسة التأمل الباطني Introspectionism التي تستمد كل تفاسيرها من تأمل الاشخاص لذاتهم وما يدور في عقولهم وتسجيل ملحوظاتهم عنها . ونادت هذه المدرسة بالشك في عملية التأمل الباطني لأنها ذاتية وخاضعة لعوامل شخصية متباينة ولا يمكن ان توصلنا الى حقائق عامة بطريقة علمية ، ثم لاضرابها لدراسة الحيوان الذي يستحيل عليه ان يتأمل تأملاً

مضبوطاً وهو ان من يعلم لا يستطيع ان يحدثنا عنه . وقد ردت كل الظواهر العقلية الموجودة عند الانسان موجودة بذاتها عند الحيوان ولا حاجة بها الى استنباط فروض اخرى تنبئ بحياة عقلية خارجة عن دائرة الحيوان وكأنهم بهذا قد جعلوا الانسان حيواناً محضاً لظهور شخصي لا يقوم باكثر من عدة عوامل متشابكة تكون بسيطة او معقدة فتصبح غرائز . ونتج من تصادم هاتين المدرستين ان هدمت احداهما الاخرى

ومن الناحية الرابعة نجد المدرسة الآلية Mechanistic التي نشأت أصلاً كثورة على علم النفس القديم الذي يصور العقل البشري كشيء لا وجود له الا بتشبع رغبته وتعارضها مدرسة ما كدوجل Mc Dougall الغرضية او الهورمية Purposive, Hormic التي أحيت المذهب الذي نادى به افلاطون قبل ان الله خلق كل شيء كأن حي يسعى نحو غرض يدركه وقد كشفت هذه المدرسة ما كان غامضاً في بحث الغرائز والاستعدادات والسلوك الانساني واكتسحت كل ما أمامها في زمن قصير

واخيراً نجد مدرسة الشعور Consciousness التي تعنى بدراسة اليقظة والشعور المتكامل وتنظر الى كل الظواهر الاخرى التي تصدر عن الانسان في حالة النوم والاحلام والشرود والاضطراب كعمليات عابثة لا قيمة لها ، وان كل العمليات العقلية الهامة تصدر في اثناء الشعور فعلينا ان نهتم بدراسة الشعور ذاته . وتعارضها المدرسة الحديثة مدرسة اللاشعور Unconscious التي جرت بخطى واسعة وقامت بالمعجزات في تعليل كل الظواهر العقلية الغريبة ، تعليلاً صحيحاً معقولاً ، ومعالجة كل الاضطرابات العصبية وحالات الامراض العقلية التي كان الطب الى عهد قريب يعجز عن مداواتها . واصبح لطريقة التحليل النفساني Psycho-Analysis مقام محترم حتى صرنا نعرف ان الشاذ هو الطريق لدراسة العادي واللاشعور هو مفتاح الشعور

واخيراً ظهرت في الميدان امور جليلة الخطر عظيمة الشأن توجت جهود علماء النفس ، وقربت علمهم الى الناس من كل حدب حتى صارت مرضاً طالباً لا غنى لكل بلد ناهض من الاخذ باسبابها وعلى رأسها اختبارات الذكاء والتوجيه المهني والعيادات السيكولوجية لتقويم السلوك ومعالجة الشذوذ

وقد يخيل الى القارئ العادي غير المتصل بعلم النفس او الدارس لفروعه وأصوله المتتبع لتطوراته انه بكل جديد فيه ، ان هذه الفوضى لا يمكن ان تخلق علماً محترماً ، وان علم النفس كما حدثني الكثير ممن لا يعرفون . لا يزال شيئاً غريباً يتطاير في الهواء . وهذا في الحق وهم باطل . لان هذه الجهود الجبارة هي في ذاتها دليل على حياته لانه صالح للنماء ، وعلى رقيه وسيره للامام نحو الكمال بخطى واسعة ليس لها مثيل في تاريخ العلم . لان الباحثين فيه رجال علماء امناء مخلصون لعلمهم متجردون لرسالتهم ، يتطاحنون ويتعاركون كل بوسيلته وطريقته

للوصول الى الحقيقة المجهولة ، ولا مصلحة لاحدهم في ان يستمر رأيه الباطل . ولذلك تجدهم اكثر الناس تسليماً بالحق اذا قام الدليل عليه . ويكفي ان يعرف القارىء ان العلماء المتمدنة جميعهم تتعاون معاً على القيام بالبحث والجد للوصول الى الحقيقة ، وقد وحدوا كلهم جهودهم وهذه مختبراتهم العلمية التي لا عدد لها وجمعياتهم العلمية تلخص في كل عام اهم البحوث التي اجريت فيه وتذكر كل ما يهم الانسان الاطلاع عليه في مجلدات خاصة ، بحيث يتسنى للدارس ان يلم فيه بكل شيء ، بطريقة منظمة لا مثيل لها في اي علم آخر . وقد قد انجلت المعركة اخيراً عن موت مدارس كثيرة الى حيث لا رجعة . وقد دفنا في العام الماضي مذهب الملكات العقلية وفي هذا العام مدرسة السلوكيين والنزاعيين والعقبة الآن للمختبرات وعلم النفس التجريبي والاحصاء . وحق لنا معشر المشتغلين بهذا العلم ان نتصور كل الاغتباط بما وصلنا اليه . ويكفي لحركتنا الآن ان تدأب على تحسين الانتاج في كل ناحية من نواحي النشاط العلمي وسننتظر ان شاء الله ان تخلق من بني الانسان خلقاً اقرب الى الكمال

— ٢ —

تطور البحث في علم السيكولوجيا

عفيف عبد الوهاب

حلقة السيكولوجيا بجامعة بيروت الاميركية

نشأ علم السيكولوجيا كبحث فلسفي وطرقه علماء كثيرون اشهرهم ارسطو الذي وضع رسالته « في النفس » وقال ان النفس كناية عن مجموعة جواهر حيوانية وقوى عقلية مستقلة عن تلك وتختلف عنها كثيراً في وظائفها . فالقوى العقلية ترشد المرء الى الصواب ومعرفة الحقيقة اما الجواهر فتقوده الى الامور المادية الدنيوية المنحطة . وقد عمت هذه الفكرة فلسفة العصور الوسطى شأن تعاليم ارسطو كلها وصبغت بصبغة دينية ، فالروح تأمر بنواميس آلهية سماوية اما الجسد ففاسد لا علاقة له بالروح .

بعد هذه الفترة المظلمة رعت اشعة النهضة العلمية فرحض العلامة جاليليو ان معظم القوى الطبيعية تسير بدافع الحركة وقوة الاستمرار الذاتي واستعمل هارفي نفس هذه النواميس لشرح الدورة الدموية وفكر ديكارت تقليداً لهذين العالمين ان يأخذ نفس هذه الاسس لشرح تصرفات الانسان والحيوان العقلية . ونظريته في ذلك انه عندما يضغط شيء خارجي على عصب حسي من الجسم يندفع هذا الضغط سائلاً من العصب الحساس الى النخاع ومن الدماغ

الى العصب الفعال او العضل وقال ان الروح مركزها في الدماغ وان لها مقدرة التدخل في العوامل الداخلة اليه والخارجة منهُ

ثم جاء هبس فقبل نظرية ديكارت وزاد عليها بقوله ان هذه الحركة التي تبتدىء بضغط خارجي على الاعصاب وتنتهي بحركة في العضلات تنتج بقوة استمرارها اساس الذكريات والآراء والتخيلات وكان قد عزى ديكارت هذه الحالات العقلية الى الغدة الصنوبرية الموجودة بين شقي الدماغ

وفي اوائل القرن التاسع عشر انتشر المبدأ الارتباطي Association وقد شرح اتباع هذا المبدأ التذكارات والاتصالات الفكرية بطريقة التسلسل او التداعي ومثال ذلك انك ترى شخصاً لابساً قبعة من شكل معين فتتذكر صديقاً لك كان يرتدي قبعة من النوع نفسه فرؤيتك للقبعة كانت مدعاة لتذكر صديقك لما كان بين القبعة والصديق من رابطة كائنة وعلاقة متينة

وفي اوائل هذا القرن ايضاً تقدم علم الكيمياء تقدماً محسوساً وكان لطريقته التحليلية أثرها الظاهر في تفكير العلماء في ذلك الوقت واصبح علماء السيكولوجيا ذوي نظرات تحليلية واخصهم بالذكر اتباع المبدأ الارتباطي فانهم اخذوا يقسمون المسائل التي يبحثون الى اجزائها الاولية ويحاولون ان يعرفوا كيفية تركيبها والنواميس التي تتم في هذا التركيب وعلى اثر هذا التطور شاع التعريف القائل بأن السيكولوجيا هي الكيمياء العقلية نظراً للتقارب بين اساليب العلمين التحليلية

وفي عام ١٨٧٩ اسس العلامة فنط Wundt اول مختبر لعلم السيكولوجيا كفرع من مختبره الفسيولوجي لما بين العلمين من تقارب في معضلاتهما كالذاكرة والادراك وتأسيس هذا المختبر جاء خطوة حربية للقضاء على طريقة البحث القديمة المبنية على الذاكرة والاختبار البسيط ، اذ أصبح البحث السيكولوجي يرتكز على الطرق العلمية المحتة

في هذا الوقت كانت نظرية داروين في النشوء والارتقاء تنتشر بسرعة زائدة وما لبثت ان ظهرت نتائجها في مباحث علماء السيكولوجيا عن التطور العقلي في الفرد وفي الجنس ، وعن تأثير الوراثة والمحيط فيه ، وعن عقلية الحيوان وتنمية العقل ، وعن الفروق بين الافراد والشعوب وما الى ذلك من الابحاث المبنية على كل من علمي الحياة والاحصاء

ثم ان تقدم علم الشذوذ العقلي Psychiatry وانقسام علمائه الى فئتين فئة ترى اسباب الشذوذ في خلل دماغي كورم او جرح في الدماغ نفسه ، وفئة تراها في خلل عقلي نفساني لا علاقة لهُ بمادة الدماغ ، فتح باباً آخر للدرس والبحث

ومجمل القول هو ان جميع هذه التأثيرات من مختلف العلوم قد احكمت الصلة الوثيقة ما بين السيكولوجيا والفلسفة وربطتها ربطاً محكماً بالعلوم الطبيعية ، واصبح علماء السيكولوجيا في اواخر القرن التاسع عشر زمرة صغيرة العدد تتقدم في طرقها العلمية تقدماً مطرداً وعلى الرغم من انها

حاولت درس السيكولوجيا درساً موضوعيًّا مجرداً Objective فقد حددت منطقة درسها بالوعي واعتمدت في تحديدها هذا طريقة التأمل الباطني Introspection

هذه حالة السيكولوجيا عندما قامت مدارسها الحديثة تثور ضدها وتحررها من اعتقاداتها وطرقها القديمة

قامت مدرسة السلوكيين Behaviorism اولى هذه المدارس ثائرة على طريقة التأمل الباطني وعلى تحديد السيكولوجيا كعلم يبحث في الوعي وأكد اصحابها أن الوعي لا يمكن درسه بطريقة علمية مجردة قائمة على الاستقراء والتجربة ولذلك فهو ليس بكمية لان يبنى عليه علم ثابت الاركان بل يجب ان تقتصر السيكولوجيا على درس تصرفات المرء وسلوكه درساً موضوعيًّا كانه مظهر من مظاهر الطبيعة لا غير وبحيث يستطاع مراقبة اعماله بواسطة التجارب والملاحظة الدقيقة

ثم قامت مدرسة التحليل النفسي Psycho-Analysis فقالت ان علم السيكولوجيا يجب ان لا يقتصر على الوعي فحسب بل يجب ان يتعداه الى درس العقل الباطن Subconscious ويعتقد اتباع هذه المدرسة أن هناك ظواهر عصابية لا يمكن درسها بالطريقة العلمية المجردة التي اختطها السلوكيون لانفسهم وقاموا بتجارب واساليب مرتكزة على الاستبطان الذاتي . وقد كان الدافع الاهم لقيام هذه المدرسة الابحاث التي قام بها فرويد Freud وادلر Adler في معالجتهما للشذوذ النفسي اذ اثبتا اهمية الحياة الباطنية في سلوك الفرد

ثم قامت المدرسة الهدفية Hormic مناقضة لما ادعته مدرسة السلوكيين من أن تصرف الانسان هو سلسلة متصلة بعضها ببعض اتصالاً ميكانيكيًّا محضاً مؤكدة أن وراء التصرف البشري دافع نحو غاية مثلى توحد مظاهر الحياة وتجعل لها معنى

واخيراً ظهر في مستهل القرن العشرين زمرة من علماء الالمان في جامعة فرنكفورت مدرسة جديدة دعيت فيما بعد بالمدرسة الشكلية Gestalt وقد قامت كثورة فكرية على الاساليب التي اتبعها الارتباطيون وعلى رأسهم فنط . وانكرت هذه المدرسة الطريقة التحليلية المحضة قائلة انه مهما تعمقنا في دراسة الاحساسات النفسية والتجارب العقلية فاننا لن نصل الى معرفة كنهها اذا لم نعتبرها حيناً « كشكل انموذجي » . ويعتقد الشكليون هؤلاء أن هذه الاشكال هي وحدات تامة يدركها العقل ادراكاً فطريًّا لا اجزاء صغيرة تجتمع فتركب وحدة كما كان يظن اصحاب المدارس الفكرية القديمة . وقد ثارت هذه المدرسة على تعاليم السلوكيين ايضاً واجرت تجارب علمية كان لها الوقع العظيم عند علماء النفس واشهرها تجارب كولر Kohler في ذكاء القرود وورثيمر Wertheimer في الحركة والحجم

هذه كلمة عامة ذكرنا بها التطورات التي طرأت على السيكولوجيا وعسى أن يكون لنا في المستقبل متسع من الوقت ندرس فيه بعض هذه المدارس الحديثة بشيء من الاسهاب

السامية

في مؤتمر ثقافات البحر المتوسط بموناكو

بيان جاستون زنانيري
مع مقدمة وتعليق لفليكس فارس

في أول نوفمبر من العام المنصرم عُقد في موناكو مؤتمر دولي لدراسة الثقافات التي نشأت في البلدان المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط. وكان المجمع الذي دعا الى عقد هذا المؤتمر يحصر مهمته من قبل في درس الآداب اللاتينية غير ملتفت الى الآداب السامية التي أنارت العالم من الشواطئ الآسيوية. واذا ما علمنا ان المؤسسين لهذا المجمع هم الكتاب بول فاليري وهانوتو ودانونزيو ادركنا مكانته في عالم الأدب اللاتيني.

غير ان الانظار اتجهت مؤخراً الى الحركة الأدبية في البلاد العربية فدعي الى المؤتمر الأستاذ جستون زنانيري عن مصر والأستاذ شارل قرم عن لبنان وسوريا، وهكذا تسنى للأديبين بمعارفهما الواسعة واقتدارهما بلغة غربية ان يمثلا ثقافة البلاد العربية في الجمعية التي خصصت لدرس الآداب السامية في الشرق الأدنى وان يسمعا صوتها في مؤتمر عام.

لقد ذكرت الجرائد اليومية انعقاد هذا المؤتمر وبحثت في وصف ما دار فيه من المباحثات وتناولت البيان الذي قدمه الأستاذ زنانيري بتحليل موجز. وقد تمنت جريدة الأهرام لو يترجم هذا البيان الى اللغة العربية وينشر في مجلة علمية. فرأت ان اول عدد منها ترجمت البيان وهو كما سيرى القراء موضوع بالأسلوب الفني الموجز الدقيق ويتضمن من الفكر ما يفسح مجالاً وسيعاً للأقلام المفكرة في هذا الشرق العربي الذي يمثل لأول مرة ثقافته السامية في مؤتمر جل أعضائه من المعجبين بالحضارة الغربية المستخفين بما في بلادنا من فكرة ومعتقدات.

إن بيان الأستاذ زنانيري يتضمن من المبادئ ما يصح ان يبنى عليه دستور نهضة تتطلع اليها ابناء الاقطار المحدقة من الشرق بالبحر المتوسط على اختلاف مذاهبهم لأنه اذا كان لكل من هذه المذاهب (قانون ايمانه) يتحد به الوجدان في العقيدة الدينية فاننا نرى في الوحدة الروحية التي صدع بها الأستاذ زنانيري أعداء السامية (قانون ايمان واحد) للعقيدة القومية التي يتفق الجميع عليها لإقامة حضارة يستمدون فيها وحدة أفكارهم ومقاصدهم الأعلى من الشعوب

بيان عن السامية

١ — السامية

المبدأ — إنّ السامية أو بالاحرى نهضة ثقافتها ، إنما هي مبدأ يتّحد قوّة العقيدة في الزمن الذي تنجه لافكار فيه نحو مسألة السلالات غير أنّ السلالة السامية لم تسلم من الاختلاط ، لذلك لا يصح أن ينظر الى المبدأ السامي كعصبية ترسو على وحدة الجنس بل على وحدة إجتماعية وروحية . واذا ما اعتبرت السامية على هذا الوجه فانها لتعدو قضية السلالة المزعومة التي تقوم أساساً على اعتبارات المميّزات البدنية

الوحدانية — ان قاعدة السامية إنما هي الوحدانية ، أي الاعتقاد بالقوة الازلية الابدية ، بالجوهر الاكمل المحجوب المتعالي على كل وصف وتحديد ، بالمبدإ الغير المتناهي ، بالواحد الاحد الواحد الصمد الذي لا يتجزّأ ، وهو مصدر الكائنات ومرجعها ، واعتبار هذه القوّة ناموساً لنظام الكون وشريعة ادبية عامة للناس اجمعين على اليهودية والمسيحية والاسلامية ، إذاً يجب ان تقوم النهضة السامية ، فتجمع الوحدانية الكامنة فيما بين شعوبها التي سادها التقاطع من مناحيها الاجتماعية لا من مناحيها الفكرية وتقاليدها وثقافتها

الوحدة الاجتماعية — تتكون السامية من مجموع عوامل ليس من السهل ان يفصل بينها وهذه العوامل هي

(الموقع) — نشأت السامية من اتحاد الشعوب التي حدثت من مختلف الجهات ونزلت في جزيرة العرب وفلسطين وسوريا ووادي الفرات والنيل والشواطئ الشرقية للبحر المتوسط وشواطئ البحر الاحمر

(الثقافة) — إنّ الثقافة والتوحيد السامي أوجدا التقاليد المنطبعة عليهما فاصبحت غرائز فكرية في من قطن هذه البلدان من شعوب ارتقت في ظل اليهوديّة والاسلامية كما ارتقت في ظل النصرانية الشرقية التي تتولى الطريركيات فيها الفصل في الاحوال الشخصية

(اللغة) — إنّ للعربية والعبرانية طابعاً واحداً ، وهنالك لغات أخرى لها هذا الطابع عينه وقد قصر استعمالها في الرتب الدينية كالسريانية والآشورية والكلدانية

(الفلسفة) — لقد تعاون العرب واليهود تعاوناً وثيقاً على مدى الاحقاب في البحوث الفلسفية مما ادى الى انتشار الثقافة السامية في أوربا بل والى صدور تآليف يتجلى الإلهام الشرقي فيها

(التاريخ) — ان الممالك السامية ازدهرت في بلدان البحر المتوسط في الشرق الادنى وكانت الجهود مشتركة في تاريخ الشرق بين اليهود والنصارى والمسلمين وجميعهم يمتون بنسب الى السامية

(عامل عام) — وتضاف الى هذه العوامل الجامعة الروحية الخاصة بالسامية وهي صفاء مبادئها الادبية وتصورها وحدات الاجتماعية الى الوحدة الانسانية بعقيدتها الوحدانية وبايمانها بالعدل وثقافتها وفكرتها الاساسية بالوحدة الشاملة وتلك عوامل تتفوّق ولا ريب على سائر المبادىء التي تسود البشرية

للسامية إذاً مظهرها من حيث الواقع ومظهرها من حيث الشعوب

السامية من حيث الواقع — أما وقد نشأت السامية من عوامل الموقع والثقافة واللغة العامة والتاريخ، فقد وجب أن تنشر على أساس صحيح من المبادئ الجديدة بين الأمم التي ظهرت ما بين النيل والفرات وفي الحضارات القديمة المصرية والبابلية والفينيقية والآشورية التي تحققت بين هذين الحدّين حيث نشأت السامية الأصلية القديمة فاستمرت أولاً بين تناسق الروح متأثرة بالتقدم الواقعي الذي حدده المجتمع عن نظام الأسرة المقدس وعن حرمة المثل وإكرامها للضيف

السامية من حيث الشعوب — أما وقد ظهرت السامية ملهمة بالمبادئ الأدبية الثابتة فقد وجب أن تشمل الإنسانية كلها لأن القوى الخفية تحلّق فوق الشعوب فترفع مستواهم وتسمو بعواطفهم وأفكارهم، فهي الهادية للناس أجمعين لأنها تخترق تخوم الأوطان وتمشي مع التقاليد سائدة أبداً ثابتة لا تتغير، هو مبدأ الإخاء الروحي

٢ — عداء السامية

لهذا العداء ثلاثة مظاهر ١ — العداء للسامية باعتباره موجهاً ضد اليهود ٢ — العداء للسامية باعتباره عداء الشرق موجهاً ضد السامية

إذا كان يبدو لنا في الواقع أن الساميين من غير اليهود لم يضطهدوا للمعارضة في ممالك الغرب كما اضطهد اليهود أنفسهم، وأن الحكومات المعادية للسامية لم تضطهد سوى اليهود دون العرب والمصريين والسوريين والفلسطينيين والعراقيين والأحباش وسواهم، فما كان ذلك إلا لأن أكثرية هذه الشعوب لم تبرح مواطنها وهذا سبب ينقل عداء السامية في الغالب إلى مظهر الاضطهاد لليهود. إن هذه الهوة التي ينفتح الغرب بينه وبين الشرق على ما فيه من مختلف المذاهب، هي الدليل على ما تضمره بعض ممالك أوروبا وأميركا نحو الشعوب التي تمت بأصلها إلى السامية وأجلى ما يمثل شعور الغرب فيه نحوها ما يراه من اعتقاده تفوقه عليها بالقوة الفكرية

٣ — العداء للسامية باعتباره مقاومة لأفكار الساميين ومفاهيمهم — إن قوة السامية ترتكز على مبادئ الآداب التي لم يحتفظ بها اليهود في تشتتهم فحسب، بل احتفظ بها أيضاً المسلمون في مراحل انتشار الإسلامية كما احتفظ بها النصارى في تقاليدهم السامية أو بأخذهم بروح الكتب المنزلة في حياتهم، وما هذه الكتب إلا الركن المكين للسامية. وعلى هذه الاعتبارات يصبح العداء للسامية منطوياً على تهديد للآداب التي نشأت من الإلهام السامي

٣ — الثقافة السامية

إن الثقافة السامية التي اجتاحت العالم صادرة عن بغداد والقاهرة وقرطبة إذ كانت مزيجاً من الثقافتين العربية والعبرانية فكانت تحمل طابع السامية والفلسفة اليونانية. وكان المتفوقون

من ناشريها يعرفون العربية والنصرانية ومنهم العرب المسلمون والعرب المسيحيون واليهود

وقد تجلت هذه الحركة الفكرية خاصة في اسبانيا وافريقيا وايطاليا . وهكذا فان الحضارة السامية العربية واليهودية مهدت التفكير الآري في اوربا لذلك لا بد لهذه النهضة المزدوجة التي عرفت الحضارة الاوربية مثل هذه الحوافز من ان تضمّ عدداً حاملة الفكرة السامية فتخلق نهضة في مناحي التفكير . على انه يلوح لنا ان ليس لهذه النهضة ان تبلغ الازدهار ما لم تضم الى مبادئها السامية المعرفة للتفكير الذي استلهمه اليونان الاولون ، كفلسفة فيثاغورس وافلاطون التي نفذت فيما بعد في تفكير فيلون والقديس اوغوسطينوس وكمبادىء ارسطاطاليس التي تخللت في تفكير ابن رشد والفارابي وابن سينا ، وتشرب ايضاً مبادىء المتحذلقين في عصر اليونان وعصر الرومان ، وما هي الا المبادىء التي اتسمت بها ثقافة بلدان البحر المتوسط فتجلت في فلسفة ابكتيتوس وماركوس اوريليوس وآباء الكنيسة الاولين . وان التفكير السامي بعد ان مر بحضارة يونانية لاتينية نشأت في الاصل من الآرية ، انتشر في اوربا دافعاً الحضارة الغربية التي ارتكزت على اساسي السامية النصرانية والآرية الرومانية ان ثقافة تستلهم مثل هذه المبادىء يمكنها ان تسود الافكار لتدفع بها الى اتجاه جديد

٤ — الآداب السامية

لا يقوم الدين الا بالآداب ، ويتوقف انتشاره على سهولة الاخذ بها ، لذلك انتشرت الآداب السامية بسرعة في العالم ملتفتة الى المجتمع بالمبادىء العامة التي تقوم الانسانية عليها . وان مبدأ النهضة السامية لا يتجه الى الحط من مقام عقيدة تجاه عقيدة اخرى فليس هنالك سوى ثلاثة مبادىء متحدرة من آداب واحدة فعلى اليهودية والنصرانية والاسلامية ان تعمل عملها الاخلاقي فتبعث الحضارة السامية ناشرة على العالم المداعي حيوية قواها المتجددة وهل يمتنع على هذه الشعوب التي نشأت فيها ثلاثة اديان سامية ان تواجه بنظرة واحدة طلائع مستقبل يشملهم جميعاً بوحدته إن الدين شعور كامن في النفس متشرب بالآداب يسود جميع الافكار ايًّا كان مذهبها ، وما يقوم الدين على النص والبراهين اللاهوتية أكثر من قيامه على ما يصلح الحياة في المجتمع لذلك وجب ان نرسو على التفكير الادبي لنتبع اتجاه سيرها

ان ما تناولناه من السامية في بحثنا هذا انما هو القواعد التي يجب أن ينشأ منها ارتقاء الآداب والتفكير بصرف النظر عن اي اعتبار ديني من حيث المذاهب . اما الدين فعقيدةٌ في النفس يجب الاحتفاظ بها والحرص عليها لانها واجب الانسان تجاه نفسه وتجاه المرجع الذي صدر عنهُ ، فالدين دعوة من اعماق الوجدان يهيب بالناس الى معرفة انفسهم والاعتراف بالاخاء الانساني العام

في العدد القادم تعليق منكمي مرس على الموضوع

المحايد الصغير

The Neutrino

دقيقة من مرور الاشباح
في علم الطبيعة الحديث

لو عهد الى عالم في جمع « ودائع » علم العصر » او « قواعد العلم » لجعل ناموس حفظ الطاقة احداها. فكان الطبيعة حصرت في حدود هذا الناموس القائل بان الطاقة لا تخلق ولا تتلاشى وانما هي تتحول. فالطاقة هي حرباء العلم لكثرة الالوان التي تلبسها فهي تارة حرارة وتارة ضوء وآناً حركة ... محفوظة حيناً كيميائية في الطعام الذي نأكله. والضوء الذي نشهده، والصوت الذي نعرفه انها تمت التيارات في اسلاك البرق وتفرغ الاشعاع في المذياع فهي كامنة في المادة على اختلاف اشكالها لان العلم الحديث قد بين لنا ان المادة والطاقة انما هما شكلان مختلفان لشيء واحد. ولكن ليكن الشكل الذي تخرج فيه ما كان فانها تبقى هي هي القدرة او الطاقة على العمل

فالسائق عندما يسوق سيارته تتحول الطاقة الكيميائية في البنزين الى طاقة حرارة ثم الى حركة، فتتحرك الاسطوانات والعجلات. فاذا وقف السائق اطاعة لاشارة الشرطي تحولت طاقة السيارة المتحركة، وهي طاقة حركة، الى حرارة تظهر في فرامل السيارة وفي اطارات العجلات وفي الارض التي تدرج فوقها. ولا يخفى ان طاقة الاشعة المنطلقة من الشمس يخزن بعضها في النبات بطريقة التركيب الضوئي ثم نأكل هذا النبات فتتحول هذه الطاقة المخزونة، نشاطاً عصبياً في عضلاتنا ونشاطاً عقلياً في ادمغتنا

ولعلّ بنجامين طمسن المعروف باسم كونت رمفرد، كان اول عالم ادرك التساوي بين مقادير الطاقة في حالات تحولها من شكل الى آخر. فقد كان في احد الايام يراقب صنع مدفع فلاحظ ان نحاس المدفع يحمى في حالات حفره ويبقى حامياً ما دام الحفر مستمراً، فجرب التجارب باداة غير متقنة لقياس مقدار الحرارة (محرار Calorimeter) فوجد ان طاقة الحركة تتحول الى مقدار يقابلها من طاقة الحرارة. وتلت ذلك تجارب كثيرة ومتنوعة افضت في اواسط القرن التاسع عشر الى التسليم بصحة ناموس حفظ الطاقة اي انها لا تخلق ولا تتلاشى وانما هي تتحول

ان علماء هذا العصر لا يستطيعون ان يجزموا بصحة ناموس حفظ الطاقة كما كانوا يجزمون بها اسلافهم لان دراسة الذرّات قد اسفرت عن حوادث لا يصح فيها هذا الناموس ولا التعريفات التي كان مقطوعاً بصحتها فكأن الذرة قد تمرّدت عليها . ومن حقيقة ما تمرّدت عليه ناموس حفظ الطاقة . والى القارىء البيان

هناك طائفة من العناصر غير مستقرة التركيب تتحوَّل من تلقاء نفسها الى عناصر اخف منها واكثر استقراراً . واشهر هذه العناصر الاورانيوم والثوريوم والراديوم . ولا يسع على وجه من البسط الباعث على هذا التحوُّل الذاتي ولكن يقال ان له صلة بحالة التوازن في نواة الذرة ، لان نوى الذرّات في العناصر الثقيلة ، تحتوي على عدد كبير من الكهارب والبروتونات حتى يسهل احداث تقلقل في القوى التي تربط بينها وتؤلف منها نواة الذرة . فاذا حدث هذا التقلقل حاولت الذرة ان تستعيد توازنها باطلاق دقيقة صغيرة وهذه الدقائق نوعان دقائق الفا ودقائق بيتا واشعة جما وما اثبته البحث ان نواة واحدة تستطيع ان تطلق دقيقة الفا او دقيقة بيتا ولكنها لا تستطيع ان تطلق الدقيقتين في آن واحد . اما اشعة جما فقد تصحب اطلاق دقيقة او تلك

واذا تتبع القارىء اقوال العلماء في سلسلة التحوُّلات التي تطرأ على نواة عنصر من العناصر المشعة قبل ان تبلغ درجة الاستقرار فالراديوم (A) يطلق دقيقة الفا فيتحوَّل الى عنصر جديد هو راديوم (B) ولكن هذا الراديوم غير مستقر فيطلق من تلقاء نفسه دقيقة بيتا وهي كهرب اوكهرب فيتحوَّل الى راديوم (C) هذا العنصر اي راديوم (C) غريب الاطوار فبعض ذرّاته تطلق دقائق بيتا (اي كهارب) فيتحوَّل الى راديوم (C') والباقي من ذرّاته يطلق دقائق الفا ويتحوَّل الى راديوم (C'') ثم ان راديوم (C') يطلق دقيقة الفا وراديوم (C'') يطلق دقيقة بيتا فيتحول كلاهما الى احد نظائر isotopes الرصاص وهو عنصر مستقرّ

وهناك نوع آخر من الدقائق التي تطلق من العناصر، وهو الكهارب الموجبة (بوزترونات) ولكن هذه الدقائق لا تطلق الا من العناصر التي حملت على الاشعاع حملاً ، اي جعلت مشعة بالصناعة Artificially radioactive (راجع مقالنا في صدر عدد مقتطف مارس ١٩٣٦) على ان هذا النوع من الاشعاع لا صلة له بموضوع هذا المقال ولذلك نكتفي بالاشارة اليه فقط

ومعلوم ان ذرات عنصر من العناصر متشابهة ، فهي جميعاً تحتوي عدداً واحداً من الكهارب في منطقة حول النواة . وهي جميعاً تحتوي على عدد واحد من البروتونات والكهارب في النواة . ولكل منها صفة خاصة من صفات الطاقة . ولذلك اذا فقدت نواة احدى هذه الذرّات دقيقة الفا ، او دقيقة بيتا ، تحوَّلت الى نواة ذرة اخرى لها صفة اخرى خاصة من صفات الطاقة . فكل تحوُّل في ذرة العنصر يصحبهُ فقد قدر معيَّن من الطاقة

وقد فُسِّر هذه الخسارة في الصفة بأساليب مختلفة. فأولاً ان كتلة الدقيقة التي قذفت الى الخارج تعدل قدراً كبيراً من الطاقة مكامنة. ثم ان سرعة الدقيقة المقذوفة تمثل قدراً من طاقة الحركة. فاذا كان مجموع الطاقة من كتلة الدقيقة وطاقة حركتها لا يعدل ما فقدته الذرة من الطاقة، فمن حساب لانطلاق شعاعة من اشعة غمّا مع الدقيقة المقذوفة فتتعادل الكفتان. اما طاقة شعاعة غمّ فتختلف باختلاف طول موجتها وهذا يسهل علي الحساب بها في احوال مختلفة

كلُّ هذا يمهّد لنا السبيل لوصف المشكلة الناشئة عن تمرُّد الذرة على ناموس حفظ الطاقة. لنفرض اننا اخذنا نواتي ذرتين من عنصر واحد انهما متشابهتان في كل وصف من اوصافهما. ولنفرض ان كلاًّ من الذرتين اطلقت دقيقة مثل الدقيقة التي تطلقها الاخرى، فتتحولان الى نواتي ذرتين من عنصر آخر، واذن يجب ان يكون مقدار ما تخسره كل منهما من الطاقة واحداً

ولكن الواقع ان هذا يصح اذا كانت الدقيقة التي تطلقها كلٌّ منهما دقيقة الفا. اما اذا كانت الدقيقة التي تطلقها كلٌّ منهما دقيقة (بيتا) اي الكترون فحينئذٍ قد يساوي ما تخسرانه من الطاقة وقد لا يتساوى، اي ان النواة في هذه الحالة تمردت على ناموس حفظ الطاقة

ولكن كيف يمكننا ان نتثبت من صحة هذا القول؟ فالبرهان التجريبي والتصوير الصوتي وعلماء الطبيعة قد ابتدعوا تجارب بارعة البراعة كلها، دقيقة الى أبعد حدود الدقة، فثبت لهم ان دقائق بيتا اي الكهارب المنطلقة من نوى ذرات عنصر واحد، تختلف سرعة وطاقة في انطلاقها. فماذا تقذف النوى بكهارب مختلفة السرعة؟ وماذا يحدث للطاقة الناقصة عن كهرب يسير بسرعة أبطأ من سرعة كهرب آخر؟ هذه هي الاسئلة التي تحير العلماء الآن، فاذا كان هذا المقدار من الطاقة — الفرق بين كهرب سريع وآخر بطيء — يفنى غير تارك أثراً، فناموس حفظ الطاقة من لغو الكلام. وذلك معنى العلماء، من سلم هذا التسليم المطلق بخطإ هذا الناموس، الى ابتداع اعذار واساليب لتفسير ما يقع ولعل أحدث هذه الاساليب على اسبقية ضمّ دقيقة جديدة الى اسرة الدقائق الذرية sub-atomic تعرف باسم النوترينو Neutrino اي الحايد الصغير وهي مصغر نوترون ron (الحايد)

الا ان الحايد الصغير — اذا صح وجوده — ينكره الاجماع ويبعد عن احواله في الاسرة الذرية، وقد امتنع حتى الآن عن الظهور، بل قد خابت جميع المساعي التي بذلت لاقتفاء أثره فاذا ثبت وجوده، كان رحمة من القدر للمؤمنين بناموس حفظ الطاقة والمدافعين عنها

والى القارئ خلاصة هذه النظرية الجديدة من مقتضيات نظرية اينشتين ان الطاقة والكتلة وجهان مختلفان لشيء واحد. فانطلاق كهرب (دقيقة بيتا) من نواةٍ ما بسرعة اقلّ من سرعة كهرب آخر منطلق من نواة اخرى من العنصر نفسه، يعني ان الطاقة التي وقعت على

مدى الاول اقل من الطاقة التي وضعت على قذف صنوه ولكن النوايين متشابهان في كل دقيقة من دقائق التركيب واذن في النواة الاولى مقدار ناقص من الطاقة مستعمل في قذف الكهرب فماذا حدث لهُ ؟ ان التجارب الدقيقة والاساليب العلمية البارعة لم توفَّق الى كشف اي اثرهِ. فاذا لم يتيسر ذلك وجب القول بانهُ تلاشى من دون ان يترك اثراً وهذا مناقض لناموس حفظ الطاقة

ولكن اذا قلنا ان النواة تطلق في الحالة الاولى مع الكهرب دقيقة صغيرة جداً ، تعدل في كتلتها وسرعتها مقدار الطاقة الضائع امكن تفسير ما حدث . هذه الدقيقة الصغيرة المفروضة فرضاً هي النوترينو او الحايد الصغير ولكن دقيقة من هذا القبيل يجب ان يكون تبيُّنها مستطاعاً في مجال مغنطيسي اذا كانت ذات شحنة كهربائية وقد جرّبت التجارب لتبيُّن الحايد الصغير بهذا الاسلوب فاخفقت . ففرض انها لا تحمل شحنة كهربائية اي انها كالنوترون (الحايد) ولكن النترون يمكن تبيُّنهُ لان كتلتهُ تكفي لذلك وهذا الحايد الصغير لم يستطع تبيُّنهُ لانهُ اذا كان ذا كتلة ، فهو اصغر من ان يظهر بالاساليب المستعملة في تبيُّن شقيقه الاكبر

وبذلك نرى العلماء قد فرضوا ان (النوترينو) ليس لهُ كتلة ما وهو في حالة الاستقرار

قد يبدو هذا القول غريباً او بالحري مستحيلاً اذ كيف تكون هذه الوحدة الذرية من دون كتلة ؟ والواقع ان الفوتون (النور) وهو دقيقة الضوء ليس لهُ كتلة ، ولكن لهُ طاقة ويمكن ان يتحوَّل الى كتلة احياناً اذ لا يخفى ان هنالك ناموساً علمياً ، وهو انهُ اذا زادت سرعة الجسم زادت كتلتهُ . وهذه الزيادة يسيرة جداً في حركة عادية حتى يتعذر تبيُّنها فالقطار السائر بسرعة خمسين ميلاً في الساعة لا تزيد كتلتهُ وهو سائر بهذه السرعة عن كتلتهِ وهو مستقرٌ الا جزءاً يسيراً من الاوقية . ولكن اذا زادت سرعة الجسم المتحرك حتى تقارب سرعة الضوء (١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية) زادت كتلتهُ كذلك زيادة ظاهرة وهذه الدقائق المنطلقة من النوى تنطلق بسرعة عظيمة لا يفوقها في العالم المادي الاَّ سرعة الضوء لذلك قيل اذا كان النوترينو مستقراً ، كان لا كتلة لهُ ، ولكن اذا انقذف بسرعة تبلغ ١٠٠ الف ميل في الثانية ، اصبح لهُ كتلة يسيرة ، ولكنها كافية لغرضنا هذا ولما كانت سرعة دقائق بيتا (الكهارب) تختلف باختلاف الذرة التي تنطلق منها ، وجب كذلك ان تختلف سرعة « الحايد الصغير » باختلاف الكهرب الذي تتممهُ معها صاحبان يتمم احدهما ما في الآخر من نقص

لم يفز احد من العلماء حتى الآن باستنباط اسلوب من التجربة على وجه كافٍ من الدقة لتبيُّن الحايد الصغير مع ان الاستاذ بابنبردج (هارفرد) قد اقام دليلاً غير مباشر على وجوده . وقد اقترحت نظريات أخرى غير نظرية « الحايد الصغير » لتفسير هذه المشكلة ، ولكن الاستاذ هرست الاميركي يقول في السينتفك اميركان ان التفسير الوافي لا يزال حتى الآن في طيَّات المستقبل

ادوار الفلسفة الثلاثة

ومميزات كل منها

لطيجور الخوري

كل امة قامت في وجه المعمور منذ فجر التاريخ الى الآن اشتغل مفكروها بشيء من ابحاث الفلسفة بمقدار ما سمحت لهم عقولهم وبيئاتهم ولا غرو فان مسائل الحياة الكبيرة كالوجود والعدم والحدوث والقدم والتغير والاستحالة والصيرورة وغيرها من امور الحياة الهامة لا يمكن ان تفوت مفكري امة ... كانت درجة تلك الامة من الرقي او الانحطاط

غير ان فلسفة المصريين والآشوريين والهنود كان يخالطها الشيء الكثير من الخرافات والاوهام ... ولم يطلق عليها اسم الفلسفة بمعناها الصحيح ولا ابقى التاريخ على شيء منها جدير بان ... الاخبار . اما الفلسفة اليونانية فقد قدر لها منذ اول نشأتها ... حضارة ... طائفة من عظام المفكرين رفعوا شأنها و... قدرها وجعلوا لها ... واسعاً مستقلاً ... عريقة في سائر اقطار العالم المتمدن ... لم يكتفوا ... فلسفة ... رفعوا ... ووطدوا اركانها ... الآن ... ولا ... بحثاً ... بحوثهم ... ارسطاطاليس ... مرجعاً سامياً في كافة ابحاث الفلسفة الى يومنا هذا . وقد مرت الفلسفة منذ نشأتها الاولى على ادوار ثلاثة لكل منها مميزات خاصة تميزه عن سواه وسنشرح في هذا المقال ذكرها بطريق الاجمال

— ١ —

الدور الاول

﴿ او الدور القديم وهو دور الفلسفة اليونانية ﴾ قد تقدم انه لم يعرف لاي شعب آخر فلسفة صحيحة بمعناها مستقلة غير امة اليونان . وكان اول مؤسسي هذه الفلسفة طاليس وهو

فاذي منها الكسوف الذي حدث في الثامن والعشرين من شهر آيار (مايو) سنة ٥٨٥ ق . م

وقد تشعبت الفلسفة اليونانية منذ اول عهدها الى فرق او مدارس شتى عرفت باسماء مؤسسيها او بالاماكن التي نشأت فيها فهنالك المدرسة الفيثاغورية نسبة الى مؤسسها فيثاغورس المولود في جزيرة ساموس في آخر القرن السادس والمدرسة الايونية نسبة الى مشاهير فلاسفة ايونيا على الشاطئ الغربي من آسيا الصغرى . ومدرسة الايلياتية نسبةً الى مدينة ايلياء وهناك المدرسة الافلاطونية والمشائية والرواقية ومدرسة السفسطائيين والافلاطونية الحديثة وغيرها

اما مميزات هذا الدور فهي :

اولاً طلب الحقيقة الواحدة المطلقة المستترة وراء ما لا يحصى من مختلف الظواهر والصور والاشكال وهذه المزية وان كانت لم تتفرد بها الفلسفة اليونانية الا انها من مبتكرات العقل اليوناني ولم يكن لها في الدورين الاخيرين ما كان لها عند فلاسفة اليونان من الخطورة والشأن

وان من يطلع على المناقشات الدقيقة التي دارت حول هذا الصدد بين المدرسة الايونية وهي مدرسة التحول والصيرورة والمدرسة الايلياتية مدرسة الثبوت يعرف شيئاً من الخطورة التي كانت لهذه المسألة في الدور القديم ولا يجهل مطلع على ابحاث الفلسفة ما كان لمسألة الوحدة من الشأن العظيم في جميع ادوار الفلسفة

ثانياً احتقار المادة وكل شيء مادي من شأنه ان يعوق النفس عن نطاق الكمال لا مراء في ان جميع مدارس الفلسفة اليونانية اذا استثنينا منها مدرسة ديمقراط وابيقور اللتين كانتا من النوع المادي البحت أجمعت على تحقير المادة واعتبرتها مفسدة للاخلاق وحائلاً كبيراً يعترض سبيل النفس في طريقها الى الفضائل والصلاح واوضح ما يكون ذلك في تعريف افلاطون المادة حيث يقول

المادة هي الشيء الذي لا صورة له ولا شبه صورة بل هو اشبه الاشياء بالعدم لا قيمة له ولا فائدة منه سوى انه يتكيف وفقاً لارادة العقل تتقيد فيه النفس وتخشاها وتبغضها ولا يخفى ان هذا النظر الفلسفي القديم في احتقار المادة هو غير النظر الديني او الفلسفي الديني الذي كان لها في الدور الثاني فالاول فلسفي محض غايته ترقية النفس الى ان تبلغ ذروة الكمال الانساني والثاني ديني مبني على احتقار المادة وقتل كل ميل اليها تطهيراً للنفس من ادران المادة واعداداً لها لنيل الحياة الابدية

ثالثاً الصبغة العقلية الغالبة في الفلسفة اليونانية على الصبغة الحسية المادية كانت فلسفة اليونان في اول امرها فلسفة مادية محضة فقد كان الكون عندهم ما تألف من العناصر الاربعة المعروفة ولم يكن معلوماً لديهم شيء من قبيل العنصر الروحي او العقلي واستمر ذلك شأن الفلسفة الى ان قام انكساغوراس فقال بوجود عنصر او قوة عاقلة حية متسلطة على المادة اسماه العقل وقال ان هذا العنصر العقلي يختلف جوهراً وماهية عن عناصر المادة وغير قابل الامتزاج بها

وانهُ مدبر هذه الكائنات وموحد لنواميس الطبيعة الخ . وذهب افلاطون الى ان الوجود الحقيقي انما هو للمثل وان عالم المادة الا تابع لا شأن له وهذا ما جعل افلاطون في نظر المتأخرين مؤسس المذهب المسمى التصوري (Idealism) ومثل ذلك نرى في اقوال سقراط وارسطاطاليس وبرمينيدس وامبدوكليس وارواقيين الخ . ومما هو جدير بالذكر ان اهل البحث وطلاب المعرفة في الدور القديم طلبوا المعرفة لذاتها لا ليجعلوها واسطة لاغراض ومقاصد اخرى كما كان الحال في العصور التالية . كما انهم عدوا الفضيلة حسناً بما لا لتستخدم في شؤون ومنافع مادية كما جعلها ابناء الاجيال اللاحقة خصوصاً في عصرنا الحاضر

— ٢ —

الدور الثاني

﴿ دور الفلسفة اللاهوتية او المدرسية ﴾ وقد عرف اصحاب هذه الفلسفة بالمدرسيين لان معظمهم كانوا يشتغلون بصناعة التدريس في جهات مختلفة . نشأت هذه الفلسفة ونمت مع انتشار الدين المسيحي في ممالك الغرب في عهد التمدن الروماني وقد كان منشأها كما يعلم الباحثون بداية واحدة هي الدفاع عن تعاليم الديانة المسيحية وعقائدها . ذلك انهُ على اثر انتشار الدين المسيحي في بلاد الغرب قام اعداء الدين الجديد من فلاسفة الوثنية يحاربون ذلك الدين ويحاولون خنق مبادئه وتعاليمه في المهد فكانوا يدسون في اذهان الملأ ان تلك التعاليم لا تتفق في شيء مع احكام العقل وانها تناقض كل المناقضة مبادئ الفلسفة التي وضعها فلاسفة اليونان وقد اوّلوا بعض آراء تلك الفلسفة تأويلاً يوافق اهواءهم واغراضهم . فلذلك خيف على اركان الدين ان تتزعزع وعلى العقول ان تتسرب اليها سموم تلك المفاسد فهبَّ آباء الكنيسة (المدرسيّون) لصد هجمات الخصوم ودحض مفترياتهم وكان لا بدَّ لهم في ذلك من محاربة الخصوم بمثل اسلحتهم من مبادئ الفلسفة اليونانية ذاتها . لذلك عمدوا الى وضع آراء ومذاهب جديدة في الفلسفة معتمدين فيها على الغالب آراء افلاطون وارسطاطاليس بنوع خاص . ولولا ذلك لما عني الآباء بوضع فلسفة طبيعية خاصة بهم اما مزايا هذا الدور فأهمها اثنتان : الاولى ان فلسفة هذا الدور هي في الدرجة الاولى فلسفة روحية . وقد كان الدين العامل الاول في توجيه الافكار الى الامور الروحية غير ان وصايا الدين وحدها لم تكن كافية لاقناع الجماهير واستمالتهم الى سبيل الصلاح فقيل انه لتستطيع ان نحيا الحياة الروحية يقتضي ان نفهم اولاً ماهية الروح وجوهرها فالمعرفة يجب دائماً ان تسبق العمل وتحث عليه وبدون المعرفة الصحيحة لا يصدق العمل وهذا

ما صلته الفلسفة بكل دقة وجلاء وكان من نتيجة ذلك صرف القلوب والافكار الى الامور الروحية وتفهم اسرار الروح فتقوّى بذلك العنصر الروحي في الانسان واشتدّ الميل الى البر والصلاح فضعفت شوكة الفساد في النفوس وزعزع سلطان الرذيلة وقد كان الدين وحده قوة فعالة في محاربة جيوش الفساد فكيف وقد تضامن الدين والفلسفة معاً في ذلك الجهاد

الثانية نشر المبادئ الاجتماعية الصحيحة كالعدل والمساواة والاخاء من المعلوم انه كان يسود على الاقوام قطعة من التفاوت المشؤوم بين الطبقات وما نشأ عن ذلك التفاوت من الضغائن والاحقاد والفتن التي كثيراً ما كانت تؤدي الى ما لا يوصف من الويلات والخسائر في الاموال والنفوس وكان راسخاً في الاذهان ان ذلك التفاوت على الرغم من اضراره امر طبيعي لا مفر منه فلما طلعت شمس الدين الجديد واخذ دعاته يكرزون بمبادىء الاخاء والمساواة انفتحت له الابواب واستقبلته النفوس استقبالاً حافلاً واصاب سهلاً ممهداً وان لم تكن هذه المبادىء شيئاً جديداً في عالم الوجود فلا شك ان الدين هو اقوى العوامل على غرسها في النفوس واشد تأثيراً من سائر العوامل الاخرى

— ٣ —

الدور الثالث

(دور الفلسفة الحديثة) شهد مطلع القرن السادس عشر فاتحة عصر التجديد الفلسفي وهو ثالث ادوار الفلسفة على ما تقدم وكان استهلال العصر ثورة عامة على القديم وعلى المذاهب الفلسفية السابقة اجمالاً وكان في مقدمة الثائرين واول نافخ ببوق الثورة الفيلسوف باكون الانكليزي وقد وجه قوارص انتقاداته موضع [illegible] في آراء ارسطوطاليس اما اسباب تلك الثورة فاهمها اثنان:

الاول ان المجددين رأوا ان فلسفة الاقدمين كانت فلسفة عقيمة عديمة الجدوى وقد حملهم على هذا الرأي اعتقادهم ان تلك الفلسفة لم تعن بالنظر في شؤون البشر بل كانت بمجملها فلسفة نظرية بعيدة عما يتعلق بامور البشر ومصالحهم فكان كل همها البحث في ما وراء الطبيعة في ما وراء هذا الوجود المادي لذلك كانت عديمة الفائدة لم يجن منها النوع الانساني ثمرة واحدة من ثمار التقدم والارتقاء

الثاني الضغط والتقييد الفكري من جانب السلطتين الروحية والزمنية ومنع العقل من الانطلاق في ميدان البحث بحرية تامة وهو ما افضى اخيراً الى الحركة الاصلاحية الدينية والسياسية المشهورة في القرن السادس عشر وما بعده اما مزايا هذا الدور فكثيرة نتناول منها اهمها .

الاولى : المادية وهذه اظهر مميزات عصرنا الاخير ونتيجة لازمة لنظرية المحدثين في حصر الامور الروحية المجردة والانصراف عنها الى ... فلسفتهم على تمكّنها والاهتمام بالاشياء المحسوسة ... من الفلاسفة الاقدمين قصد ... مختصر المادة ... وكان الآراء الروحية تسود ... الذين هم المحدثون بشأن المادة واهمال الروح ولا نحن ... في هذه المبادئ المكوّنة من تقوية الطبائع والميول المادية الحيوانية واضعاف الميول الروحية العقلية في النوع الانساني

الثانية : النفعة او ايثار الذات وهذه ايضاً من نتائج نظرية المحدثين من حيث اتباعهم الامور العملية النافعة بدلاً من النظرية المجردة النفع وطلب الاشياء التي تؤول الى راحة الانسان ورفاهة عيشه عوضاً عن التي تشغل عقله على غير طائل . ونظرية النفعة هذه قد كان لها شأن كبير في تاريخ الفلسفة ولا تزال وهي ترجع في اصل منشأها الى عهد ابيقور والابيقوريين او الى ما قبل ذلك وللفلاسفة فيها مذاهب شتى لا محل لتعقيبها هنا الا انه لا بدّ من القول ان مذهب النفعة هذه قد تطوّر تطوراً خطيراً في الآونة الاخيرة وبعد ان كان المراد منه النفع الذاتي الفردي اصبح المقصود به النفع العام الجمهوري وصارت قاعدته « اعظم النفع لاوفر العدد » ولا يخفى ما في هذا الاخير من الاختلاف المعنوي العظيم عن الاول

الثالثة : الصبغة الحسية الغالبة فيها على الروحية العقلية . ليس من السهل على الباحث تعيين صبغة خاصة للفلسفة الحديثة نظراً لتضارب الآراء وتباين المذاهب وتعددها خصوصاً في هذا العصر فلا نستطيع ان نقول مثلاً انها فلسفة حسية (Sensationnisme) او نظرية (Rationalisme) او فكرية خيالية (Idealisme) او روحية صوفية (Spiritualisme) فالآراء لا تزال متضاربة كما كانت في كل عصر ولكل مذهب انصاره ومؤيدوه . الا اننا اذا اردنا تعيين الصبغة الغالبة وقعاً في نفسية الحديثة نقول ان الرأي الحسي هو الغالب فيها على سواه ولا شك ان العامل الاكبر في اعطاء الفلسفة هذه الصبغة هو الفكرة المادية المنتشرة منذ اول عهد التجديد العلمي والميل العالمي الشديد الى الامور العملية الاقتصادية وترقية الصناعات والفنون فالعالم اليوم تسوده هذه الفكرة الحسية المادية وتتغلب في جميع اوساطه على كل فكرة روحية او مبدأ عقلي وقد طغى هذا الميل في البشر وتفاقم تفاقماً ينذر بكل شر مستطير ولهذا عدنا نرى الكثيرين من مفكري هذا العصر ينذرون الشعوب بسوء المصير اذا كانت المدنية ستستمر على هذا النحو من الامعان في المادية والاستغناء بها عن كل ميل روحي او ادبي

***

هذا ما لاح لي من مميزات ادوار الفلسفة قديماً وحديثاً اتيت عليه باختصار مراعاةً للمقام وعسى ان يوافينا البعض بما يرتأون من هذا القبيل تتمةً للفائدة في هذا البحث الخطير

البطالة ووسائل علاجها

والتعليم المهني وأثره في معالجة البطالة

للدكتور احمد سوسه المصري

عضو المكتب الفني لمعالي وزير المالية

كلمة تمهيدية

البطالة احد الامراض الاجتماعية التي انتشرت اضرارها في مدنيتنا الحديثة عقب الانقلاب الصناعي. وقد ظل هذا الداء حتى ما قبل الحرب العظمى مؤقتاً يظهر تحت تأثير الازمات الاقتصادية القصيرة الاجل التي تمتاز بارتفاع الاسعار ارتفاعاً شديداً ثم هبوطها الى الحضيض ثم عودة الحياة ثانية الى مجاريها كل نحو ربع قرن. وسرعان ما كان يختفي الداء باختفاء مسببه هذه الازمات ثم تحول فاصبح اليوم داء دوليًا يلازم الامم الصناعية الكبرى وهي تحاربه بشدة لاجل مكافحته دون ان توصلت الى استئصال شأفته فهو لا يزال ينخر في مجتمعها ويستنزف عصبها وقد يئس فيها

واذا كان هذا الداء يلازم الامم الصناعية الكبرى ويقلق راحتها فانه ذو تأثير لا يلفت النظر في الامم الزراعية المحضة بل هو محدود التأثير فيها لقلة خطره وكثافته فيها. ولا تشذ بلادنا واساس ثروتها الزراعة عن بطالة فلاحيها وشبه بطالة الاعظم من سكانها بشكل يقدر الخبير ويشعر موسم الجني دون ان يبين هذا الاستفسار عن البطالة لان ذلك طبيعي في الزراعة طبيعي في حياة الريف. كذلك بطالة العمال والصناع عندنا محصورة الدائرة مؤقتة وسرعان ما يجد العامل المتعطل بعد انتظار قصير ايام العمل الذي ينشده وذلك لتعطش البلاد تعطشاً شديداً الى الصناعة غير ان بلادنا تعاني بطالة الشبان المثقفين المتعلمين وقد استحكمت حلقات هذه الازمة وذهبت بآمال الشباب وما يرجونه من حياة يعيشون فيها الى نحو تحذير عواقبه.

وبالرجوع الى التقرير السنوي لمكتب العمل عندنا سنة ١٩٣٥ يمكن رسم صورة عامة للبطالة في القطر وذلك لتعذر الالمام بالحالة بالدقة لعدم وجود احصاءات في هذا الصدد كما يذكر التقرير على ان التقرير لا يهول امر البطالة ولا يخفيها من الخطورة فكأن هو يذكر في احدى فقراته « ان الازمة الاقتصادية الحديثة قد كانت سبباً في تعطيل كثير من العمال وارباب الحرف

بين افرادهم كما ترتب عليها كثرة عدد العاطلين من الحاصلين على الشهادات المدرسية » ثم يعود فيذكر « ومن المعروف انه لم يمكن الحصول على معلومات صحيحة عن تحقيق عدد العاطلين عن طريق الاحصاء ولكن هناك عدة ظواهر تمكن من الجمهور معرفة ما اذا كانت حالة البطالة تسوء ام لا . فحالة صناعة البناء وعدد طلبات الرخص لانشاء مخازن صناعية جديدة ونشاط حركة البناء والاحواض واصلاح السفن في كل من ثغري الاسكندرية وبور سعيد — كل ذلك يعد مقياساً لزيادة عدد العمال المشتغلين بالصناعة او نقصانه وبفحص هذه الامور من اساسه يتضح لنا انه وان كان كثير من العمال ما زال خلواً من العمل فان الحالة قد تحسنت تحسناً ظاهراً منذ اواخر سنة ١٩٣٣ رغم ركود سوق القطن . وقد استفادت دور الصناعة المحلية من رفع التعريفة الجمركية كما وجدت الصادرات المصرية سوقاً رائجة بعد هبوط قيمة الجنيه الاسترليني ولم يصحبه اي ارتفاع في اسعار نفقات المعيشة في كل من بريطانيا العظمى ومصر . وقد كان من اثر ما اصابته شركة مصر للغزل والنسيج من التقدم في السنوات الاخيرة ان راجت سوق العمل في المحلة الكبرى رواجاً عظيماً حيث بلغ عدد من تستخدمهم الشركة نحو تسعة آلاف عامل فضلاً عن العمال الذين يشتغلون في انشاء المصانع ويتراوح عددهم بين ثلاثة آلاف واربعة آلاف عامل وكذا شركة الغزل الاهلية بالاسكندرية فقد زاد عدد عمالها زيادة عظيمة »

ولما كان موضوع (البطالة ووسائل علاجها والتعليم الاقليمي واثره في علاج البطالة) متشعب النواحي اصبح لا مندوحة من بحث البطالة عموماً ووسائل علاجها ثم بحث البطالة واسبابها في مختلف البلدان المتمدينة وطرق علاجها واثر التعليم الاقليمي فيه كما يجب تشخيص عوارض هذا الداء الخطير عندنا ومحاولة استخلاص العلاج على ضوء تجارب غيرنا

البطالة عموماً — اسبابها وعلاجها

الاسباب

لازمت البطالة الامم الصناعية الكبرى ملازمة الظل منذ هبوب عواصف الازمة الاقتصادية ولم تأت سنة ١٩٢٩ الا وقد اصبحت احدى المشكلات المستعصية في بريطانيا العظمى كما ضربت اطنابها ايضاً في غيرها من الدول الاوربية الكبرى ووصل عدد المتعطلين حينما اشتدت حلقات الازمة الاقتصادية العالمية منذ نحو عامين الى ما يقرب من ثلاثة ملايين عامل في انكلترا وعشرة ملايين في الولايات المتحدة وستة ملايين في المانيا وما يربي على النصف مليون في فرنسا

ولجأت الحكومات التي منيت بمرض البطالة الى الوسائل التشريعية فكافحتها كما لجأت ايضاً بدافع الاشتراكية تارة والعاطفة القومية اخرى الى تمويل رواتب المتعطلين بالاعانات المقتطعة مما كد الميزانية اثقل الاعباء ولم تصب هذه البلدان على الرغم مما بذلته من جهود جبارة في سبيل المكافحة بعد اداء

فلا يزال ملايين العمال متعطلين بلا عمل . واحدث بكثير من مسكنات الداء دون ان تعثر على ناجع الدواء

اما استعصاء حل مشكلة البطالة فيرجع الى تشخيص الداء وعلاجه مما لا يخفى وحقيقة الحال اذ غالباً ما تشخص وتعالج الحكومات التي يهمها وضع حد لتفاقم البطالة هذا الداء تشخيصاً وعلاجاً يتمشى مع اهواء احزابها السياسية القابضة على زمام الحكم وقد تتعارض هذه الاهواء والامر الواقع وقواعد الاقتصاد السليمة . وقبل ذكر وسائل مكافحة البطالة مع نقدها يحسن ذكر اسبابها

كان العامل طوال القرن الماضي وحتى اوائل هذا القرن يجد بسهولة عملاً يدر عليه اربح بل وكان ربحه في صعود مستمر على الرغم من نقصان ساعات عمله وذلك بفضل تقدم الصناعة وانتشار الآلات مما ساعد على زيادة ارباح المنتجين فاستطاعوا ان يزيدوا اجور العمال مع انقاص وقت عملهم ولم تكن قد ارهقتهم بعد — كما هي الحال الآن — المنافسة الشديدة التي تضطرهم اليوم الى التضحية بما ربحوه من استخدام الآلات في سبيل ادخال التحسينات المستمرة على مصانعهم كما لم تكن قد قصمت ظهورهم بعد الضرائب الثقيلة المفروضة عليهم اليوم اذ لم تكن ميزانيات الدول قد اصيبت بعد بالتضخم التي اصيبت بها الآن . اما نقابات المهن والعمال فلم تكن على مبلغ من القوة يجعلها تطالب بالاجور الباهظة التي تطالب بها الآن فكان العامل يتبع خطوات التقدم الصناعي عن قرب دون ان يسعى الى دفعه الى الامام دفعاً يفوت عليه الفرص منه او بعبارة اخرى كان التقدم الصناعي قائماً على اساس الحاجة اليه ليس الا . ثم حدثت الحرب الكبرى فقلبت الحالة رأساً على عقب فدفعت بالتقدم الصناعي طفرة واحدة مما ادى الى استفحال ازمة البطالة

اما اهم العوامل التي ادت الى هذه الازمة فهي :—

١ — سلوك الحكومات — اضطرت الحكومات لوفاء ديون الحرب وسائر الديون العامة ولدفع نفقات التسليح ونفقات التعمير والاصلاحات الاجتماعية الواسعة النطاق ان تزيد الضرائب زيادة فادحة تفوق نسبتها نسبة الزيادة الناتجة عن زيادة ارباح الصناعة لتقدم الآلات فترتب على ذلك ارهاق الصناعة ارهاقاً اضطرها الى استخدام وسائل الاقتصاد المختلفة والاستغناء عن كثير من العمال

٢ — اضطراد زيادة الاجور — زادت الاجور التي يتقاضاها العمال زيادة كبيرة عما كانت عليه قبل الحرب بفضل اتساع نطاق النقابات وانتشار الاشتراكية وكسبها المقاعد في المجالس النيابية واستيلائها على الحكم . وعلاوة على ذلك حصل العامل على تخفيض ساعات العمل وعلى نصف يوم الراحة المعروف بنصف يوم الاسبوع الانجليزي علاوة على راحة يوم الاحد بأجر كامل وعلى كثير من المزايا كضروب التأمين الاجتماعي التي تترتب عليها مساعدة العامل في مرضه وشيخوخته وكذلك على الاعانات المستمرة في حالة بطالته . وقد ارتفعت اجور العمال في الولايات المتحدة ارتفاعاً هائلاً مما اثر أشد تأثير في ارباح الصناعة وقد ظن اولو الامر هنالك ان رفع الاجور هذا

سيؤدي الى زيادة قدرة شراء العمال . ثم صفة كبيرة تحدد من الاهمية [illegible] عكسية [illegible] وفي [illegible] أسوأ [illegible] ظهور [illegible] البطالة وانتشاره

٣ — [illegible] الحكومات [illegible] كما [illegible] التي فرضتها على [illegible] وكلما زاد [illegible] ارتفعت نسبة الضريبة [illegible] الضرائب على المصانع الاقتصادية [illegible] سعى الى رفع أسعار منتجاتها [illegible] المغلوب في [illegible] الاسعار الى الارتفاع [illegible] على الاسعار القائمة في حالة [illegible] إلى الهبوط وإلى تدبير جزء كبير من ارباحها في سبيل توسيع نطاق المصانع والتمادي في [illegible] اصلاحية [illegible] للهروب من دفع ضريبة الايراد من جهة ولتحسين حالة الصناعة [illegible] الانتاج من ناحية اخرى وكذلك الى رفع [illegible] كثيراً ما تحد من [illegible] ثم ان عدم اطمئنان الرأسمالية الى مستقبل كثير من الصناعات جعلها ترفع ارباح [illegible] تقدمها للصناعة [illegible] في سبيل زيادة ارباحها [illegible] وتحقيق [illegible] وعجزت الصناعة عن [illegible] في كفاحها هذا [illegible] تدريجيا وانتشرت البطالة

٤ — الانتاج [illegible] زاد الانتاج [illegible] زيادة كبيرة وشجع هذه الزيادة [illegible] إلى الاسراف [illegible] الحرب [illegible] حيث حرموا [illegible] المنتجات [illegible] عن الحياة العادية الى [illegible] باحتياجاتهم [illegible] على مختلف المنتجات التي كانوا قد حرموا منها [illegible] نشاط هذا الانتاج ايضاً سهولة تحويل المصانع التي اتسع نطاقها خلال الحرب [illegible] للذخيرة والسلاح الى مصانع تنتج [illegible] للحرب ثم [illegible] الحكومات [illegible] كل الاقتصادية [illegible] التي خلفتها الحرب [illegible] اصحاب المصانع الى [illegible] التحسين والتعديل [illegible] وتوسيع نطاقها كي يعوضوا على [illegible] من ارباح [illegible] ضريبة للحكومة [illegible] في هذه الاثناء قدرة الافراد وقدرة [illegible] على الشراء [illegible] كثير من [illegible] الدولة [illegible] ارباحه وانتشرت البطالة [illegible] في زيادة الانتاج زيادة كبيرة لانتشار استعمال الآلات [illegible] قدرة الافراد على الشراء كما كانت قبل [illegible] بالضرائب [illegible] ذلك [illegible] المثل الآتي [illegible] ان هناك نوعين من المنتجات يستبدلان بطريق المقايضة — لا بالنقد لسهولة التفسير — وأن كل منهما كيلو جرام وهما الحديد والقمح مثلاً وأن متوسط قدرة العامل على انتاج كل منهما هو [illegible] الكيلوجرام في ساعة [illegible] كان [illegible] نظير [illegible] بقدر بنحو ٣٠٠ جرام في ساعة [illegible]

للعامل وانتج نحو ٧٠ جرام في الساعة اي ما يعادل ٣٥٠ جراماً الحديد و ٣٥٠ جراماً القمح هذا وعند الاقتطاع من ٣٠٠ الى ٤٠٠ جرام نقص ما بقي الى ٦٠٠ جرام وهذا عارض ... في شخص مستوى معيشته بغير هذا الاقتطاع وجب ان يستبدل كل ٢٥٠ جراماً ... الحديد بمقدار ٣٥ جراماً من القمح . واذا تشتت منتج القمح نفس الموقف وجب ان ... ٢٥ جراماً من القمح ٣٥٠ جراماً من الحديد وفي هذه الحالة يصبح لا مفر من ... الانتاج من ١ جرام في الساعة الى ١١٠٠ جرام ولا شك في هذه الحالة ان ... زيادة في الانتاج تؤدي الى بقاء جزء من المنتجات في السوق بلا طالب ما وعلى التوالي يوقف ... حركة الانتاج ويضعف دولاب الصناعة وتنتشر البطالة

ه — تعارض بعض الادواء وعلاج البطالة ... يتقدم الانتاج بواسطة الآلات ... كبيراً ويزيد انتاج الصناعة بما يدلك غير ان هذه الزيادة لا توجه الى معالجة البطالة واسباب ذلك ... —

تنتهز الدولة فرصة للحصول على الزيادة تنوء بها لمعالجة امراضها الاجتماعية ... البطالة غير انها بدلاً من صرفها في ابواب العلاج الناجع تصرفها في دفع معاشات ... وارباح ديونها ومرتبات موظفي الادارات الجديدة التي تنشئها في سبيل الاصلاح الاجتماعي

ب — لا يعمد اصحاب المصانع بزيادة الربح الناتجة عن تقدم الآلات ... تقليل ساعات العمال تقليلاً ما بتوسيع الانفاق على مشروعاتهم مثال ذلك فرض ان صاحب المصنع ... تحسين الآلات عن نحو ١٠٠ صانع ربح كل منهم نحو ... في السنة ... الانتاج في العام غير انه في نفس الوقت يدخل التعديلات على ادارته ... ويصدق الاموال في سبيل الدعاية وانشاء الاقسام الفنية والقضائية والمعامل التجريبية ... تشغيل نحو ٥ موظفاً مثبتاً عنده يتقاضى كل منهم راتباً سنوياً قدره ٢٠٠ ج م فهو ... يصرف لثمرة الآلات الحديثة التي وفرها بل ربما اكثر منها وفي الوقت نفسه يضاعف ... البطالة

ج — يطالب العمال مزايا لا نهاية لها ويضطر صاحب المصنع الى اجابتهم الى طلبهم وهو يقتطع ما لا يستهان به من الارباح في ذلك السبيل ولا يخفى ان ما يكسبه العمال المشتغلون زيادة عن استحقاقهم كان يمكن انفاقه في سبيل الترفيه عن العمال المتعطلين

العلاج ونقده

على اساس تشخيص الداء تشخيصاً يختلف في كثير من الاحوال عن الحقيقة او عنه وضع أولو الامر برنامج المكافحة وهو يتلخص فيما يأتي —

١ — محاولة زيادة قدرة الفرد على الشراء — عمدت الحكومات ولا سيما الولايات المتحدة واخلتها الى رفع الاسعار والمحافظة على مستوى الاجور العالية في الصناعة وفي ادارات الحكومة

على زيادة مصنوعاتها حتى يستطيع الافراد ان يقبلوا على الاستهلاك لا سيما ان الفرصة سانحة لهبوط الاسعار الصناعية وقد أتت هذه الحالة بنتيجة عكسية اذ انتشرت بناء عليها البطالة انتشاراً كبيراً. وسبب ذلك ان القدرة على الشراء انتقلت من اصحاب رأس المال الى العمال والموظفين وبعض الطبقات الوسطى من دون ان توجد اسواق جديدة للعمال العاطلين بينما ظلت حالة اصحاب رأس المال على ما هي عليه في السوء. وعلى ذلك اغلقت كثير من المصانع ابوابها وسرّحت عمالها بينما زادت ودائع الموظفين واصحاب الدخل الثابت ومتوسطي الحال في صناديق التوفير

٢ — الانفاق عن سعة في سبيل الاعمال العامة والتسليح — عمدت الحكومات الى سياسة الانفاق عن سعة في سبيل المشروعات العامة لتشغيل العمال المتعطلين ثم كذلك في سبيل زيادة قواتها البرية والبحرية والجوية استعداداً للحرب القادمة مما زاد تلبد الجو السياسي بالسحب قتامة. وترتب على كل هذا تلافي الخطر موقتاً ثم تلت ان اشتدت ازمة البطالة اذ عمدت الحكومات الى القروض وزيادة الضرائب فضعفت قدرة الفرد على الشراء واضطربت ميزانيات الحكومات مما اجبر كثيراً من الدول على ترك عيار الذهب وتخفيض النقد فتفككت الاسعار المحلية وساد الاضطراب الاقتصادي. وكان الاوفق مد يد المعونة للصناعات وتخفيف اعباء الضرائب وتوزيع القسط عند تمكن من العمال على المصانع والسعي الى اعادة الروابط التجارية الدولية بتثبيت النقد

٣ — الاتفاق الصناعي والتجاري وتحديد الانتاج — عمدت الدوائر التجارية والصناعية الى عقد الاتفاقات بين هيئاتها الكبرى وشركاتها الضخمة في سبيل مكافحة البطالة وذلك بتحديد انتاجها تحديداً نسبياً منعاً لزيادة الانتاج وتخفيفاً لشدة المنافسة. واذا كان هذا الحل يساعد على تلافي اخطار الازمة موقتاً فهو لا يضع حداً للبطالة المزمنة اذ يترتب عليه نقصان انتاج المصانع والاستغناء عن كثير من العمال. وكان الاوفق ترك كل هذا لقانون العرض والطلب حتى تختفي المشروعات السيئة الادارة وتنمو وتترعرع الاعمال الحسنة الادارة

٤ — انقاص عدد السكان — ان التفكير في وضع حد لزيادة عدد السكان في البلاد التي تعم فيها البطالة نظري اكثر منه عملي واذا حاول البعض اختبار هذا الحل فهو يلجأ اليه دولة ما لخطورته اذ يؤدي الى اضعاف قوى الشعب وزيادة حصة الفرد في الديون والضرائب. ولا تعني زيادة السكان البطالة حتماً. فاليابان مثلاً يزيد عدد سكانها بينما لم تبلغ مشكلة البطالة عندها مبلغاً حديثاً غير ان بعض الدول كفرنسا مثلاً لجأت الى حل يقارب ذلك وهو اخراج العمال الاجانب الذين يسكنون في بلادها ويعملون في مصانعها واعادتهم الى اوطانهم كما حرمت على الاجانب العمل ما دامت البطالة منتشرة عندها. واذا اتضحت عدالة هذا الحل لاول وهلة فقد يؤثر في مستوى الصناعة للخبرة التي اختص بها الاجنبي في بعض الصناعات والتي تحرم منها الصناعة المحلية في حالة منع اشتغاله فيها

٥ — نقص ساعات العمل — ان استغناء العمال في الصناعات الكاسدة مع نقص ساعات عملهم ونقص اجورهم ولو انه حل يحول دون انتشار جيوش العاطلين الا انه يزيد حالة تحرجاً اذ يقلل من ربح المصنع ولا بد ان يأتي الوقت الذي يهبط فيه الارباح الى الحضيض ويبدو العجز واضحاً فيغلق المصنع ابوابه ويسرح عماله. وقد أتت هذه الطريقة أسوأ النتائج في الولايات المتحدة

٦ — حماية الصناعية والتجارية — ان حماية بعض الصناعات حماية مبالغاً فيها بعائق مع عدم صلاحيتها حتى لا يسرح عمالها تؤدي الى عدم التمييز بين الصناعات الكاسدة والصناعات الرائجة من وتنصر الاولى على الثانية فيترتب على ذلك هبوط مستوى الثانية مما يساعد على ضعف الانتاج وانتشار البطالة

٧ — وضع قيود في وجه فريق من الاهلين لحرمانهم من العمل — تحاول كثير من الحكومات ان تضع القيود والعقبات في طريق بعض الطوائف من الاهلين لافساح العمل للعمال حتى تخف مشكلة البطالة. ولهذا الغرض تحرم الحكومات على النساء المتزوجات العمل كما تطيل سني الدراسة وتخفض سن التقاعد عن العمل. ومما لا شك فيه ان تحريم العمل على النساء المتزوجات يقلل من الاقبال على الزواج كما يشجع الرجل على معاشرة المرأة دون الالتجاء الى الزواج. اما اطالة مدة الدراسة فهي تؤجل المشكلة ثم تظهرها فيما بعد في صورة اخرى وهي مشكلة بطالة الشباب المثقف. كذلك تخفيض سن التقاعد يحرم الصناعة في كثير من الاحوال من خدمات الاكفاء الصالحين للعمل. وهذه الحلول لا تعالج البطالة بحال ما هي اذا اصبحت الطريق للعمال العاطلين تضمت الى صفوف العاطلين ايضاً الصالحين للعمل والممنوعين منه

٨ — وضع حد للمنافسة في استعمال الآلات — اشار الكثيرون بحل ازمة البطالة عن طريق التخفيف من غلواء استعمال الآلات حتى لا تستغني المصانع عن خدمات العمال وقد استخدمت المئات منهم بآلة صغيرة او تعديل بسيط في آلات الانتاج. غير ان هذا الحل لا يتفق وناموس التقدم المضطرد فضلاً عن ان هناك كثيراً من الآلات اوجدت الاعمال لمئات الآلاف من العمال مثل ذلك السكك الحديدية والقاطرات والسيارات والسينما والطباعة

يتضح بعد هذه ان علاج البطالة لم يصب المرض منه. وما لم تعمل البلدان الاوروبية ولاسيما كبريات البلدان الصناعية على استئصال شأفة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تركتها الحرب الاخيرة عامة دون حل استئصالاً تاماً وان تقدم على بعض التضحيات في سبيل تفاهم وتخفف من غلواء التسليح وتضع اسساً واسعة للسلام وما لم تفك قيودها وتحطم السياج الجمركي وتخفف من اعباء الضرائب الثقيلة وتحل مشكلة ديون الحرب وسائر الديون عامة فلن تستطيع حل مشكلة البطالة المزمنة حلاً موفقاً ولن تتعدى حلولها التي سبق ان اتينا بأهمها المسكنات الوقتية التي لا تشفي الداء

[انظر صلة]

— ١٠ —

شجر الأبنُوس

يعرف عن (آبنوس) بالعربية الشجرة منهُ متوسطة الحجم ترتفع من ٣٠ قدماً الى ٥٠ طولاً حيث جذعها ٦ اقدام قلفها الخارجي سنجابي اللون داكن او خشن ذو تشقق كثيرة طولية وعرضية والداخلي احمر. أوراقها القصيرة وأزهارها مكسوة بزغب ناعم سنجابي اللون او اسمر ماعدا الثمرة والاوراق الكبيرة كالجلد يكاد يكون اعلاها متقابلاً تتراوح طول الواحدة منها ٣ بوصات الى ٦ وأحياناً تكون اكبر كثيراً عند تكامل نموها وتبلغ ٢ بوصة ، وهي ناعمة من وجهها العلوي ومكسوة بزغب قصير ناعم من وجهها السفلي ولها عنق طوله من ربع بوصة الى نصف. وزهراتها الذكرية رباعية الاجزاء بلا اعناق تقريباً مجتمعة في نورات قصيرة الاعناق متدلية إبطية كل ٣ زهرات او ١٢ تكون معاً والأنثوية فرادى إبطية كذلك كل منها على الفروع وهي أكبر حجماً من الذكرية ولها اعناق ثخينة قصيرة او بلا اعناق والثمرة الشكل او كروية صفراء عند النضج عرضها بوصة (عقدة) او بوصة ونصف لها اسفل جسم قاس قليلاً ٤ بذور الى ٨ والبذرة منبسطة مستطيلة مقوسة صفراء براقة

اسمه العلمي (Diospyros melanoxylon, Roxb.) (ديوسبيروس ميلانوكسيلون) وفصيلته الأبنوسية (Ebenaceae) (إبناسيه) وبالانجليزية (Ebony tree) وبالعربية .

يكثر في احراج الهند وخشبه ابيض ضارب الى الحمرة خفيف متوسط الاحتمال يستعمل في المباني وفي صنع عربات النقل وغيرها . أما قلب خشب الاشجار المسنة فيكون عادة على هيئة كتلة غير منتظمة من الأبنوس الاسود الفاحم تختلف في الحجم بحسب عمر الشجرة وفيها سوداء غير منتظمة في الوسط قد يبلغ عرضها في الاشجار الكبيرة ١٢ بوصة الى ١٨ وخشب الابنوس

الا[illegible] لأن ثقله النوعي يتراوح بين ١٫٠٨ و١٫٣٦٢ وزن القدم المكعبة منه ٧٥ [illegible] وهو مرغوب فيه لصنع [illegible] الموسيقية على اختلاف انواعها . والثمرة [illegible] تركل وأجود الأبنوس الهندي يحصل عليه من [illegible] يسمى عسبا ([illegible]) (ديوسبيروس إيبنوم) الذي ينبت في جنوب الهند وجزيرة سيلان [illegible] وهو شبيه [illegible] وأوراقه ملساء براقة

السَّاسَم كالَم

[illegible] واسشم) شجر هندي يسمى بالأردية (شيشم) وبالعامية المصرية ([illegible]سوع)

شجرة ترتفع الى ٦٠ قدماً تكون قائمة وجذعها غير ممتد طول محيط الجذع ٦ اقدام الى ١٢ [illegible] اسمر يضرب الى السنجابية او الصفرة ذو شقوق وكل اجزاء الشجرة متى كانت [illegible] مكسوة بزغب ناعم [illegible] من النوع الريشي المركب في الواحدة منها ٣ [illegible] ٥ مسافة بيضية الشكل عريضة مثنية [illegible] خضراء اللون تصيرة حبلة عند تكامل نموها ثم [illegible] في آخرة ملساء [illegible] . أزهارها حتى بيضاء ضاربة الى الصفرة [illegible] اعناق مجتمعة في [illegible] وردية الجوانب مرتبة في عناقيد قصيرة في آباط الاوراق [illegible] عبارة عن قرن شبيه بالحذاء

اسمه العلمي [illegible] ([illegible]) دالبرجيا[illegible] و[illegible] [1] وفصيلته الفراشية [illegible] [2] (بابليوناسية) وبالانكليزية [illegible] وبالعربية [illegible]

موطنه [illegible] بالاودية وسفوح اغصان الخارجية من هيمالايا وعلى ضفاف الأنهار وجزائرها [illegible] وفي هذه المواطن تنمو بنفسها او بزرع وقد أدخل مصر كشجر [illegible] والخشب [illegible] أوراقه من [illegible] الى [illegible] الى ابريل خشبه الخارجي [illegible] اللون [illegible] [illegible] مع عروق داكنة وفي بعض الاحيان يكون في الاشجار [illegible] داكناً [illegible] لا يفصل ولا ينشق حين الصقل له قوة احتمال ومرونة على وجه عام مرغوب فيه [illegible] الاغراض اذ يستعمل كثيراً في صنع القوارب وعربات النقل والركوب والآ[illegible] وإطارات رحال الإبل والابواب والشبابيك وفي البناء ويعتبر خشباً جيداً جميلاً لصنع الأثاث وغالباً ما تقتطف اغصان الشجر واوراقه في الهند وتعطى علفاً للماشية ويقال إن الإبل ترغب فيها ويتطلب الاهالي هناك بنشارة الخشب

---

(١) [illegible] Dalbergia [illegible] [illegible] ١٧٥٥ [illegible] مركزاً تمهيداً [illegible]

وثمَّ نوع ثانٍ من الساسم في الهند اسمهُ العلمي D[illegible] (دلبرجيا لاتيفوليا) وبالانكليزية Bo[illegible] [illegible] Broad-leaved [illegible] شجرتهُ متساقطة الورق ترتفع الى ٨٠ قدماً خشبها صلب ثقيل مرغوب فيه لصنع أثاث الزينة وأبواب دور الحجر والعجلات والعوارض وخشب عوارض ولونه أحمر محمرّ او ارجواني داكن تتخللهُ خطوط وبقع افتح لوناً

وفي إفريقية الاستوائية والسودان وجنوب مصر نوع ثالث اسمهُ العلمي ([illegible] Guill. et Perr.) (دالبرجيا ميلانوكسيلون) وبالانكليزية ([illegible] blackwood tree) تطلق عليه عرب السودان اسم (تَبِنُّوس) او (إِبِنُوس) شجرتهُ صغيرة أو متوسطة فروعها شائكة ونموها غير منتظم أوراقها من النوع الريشي المركب في الواحدة من ٩ وريقات الى ١٣ متبادلة أزهارها بيضاء ذكية الرائحة ثمرتها قرون منبسطة لا تنتفخ في كل منها بذرة واحدة غالباً وخشب هذا النوع يضرب الى اللونين الاسود والارجواني شبيه بالأبنوس ولذا يستعمل بدلاً منهُ لحسن صفاته وان كانت تجارته ضعيفة وأكثر ما يستعمل في صنع نصال السهام والمطارق الخشبية وبعض انواع الاثاث وغيرها وقد يشتبه على بعضهم هذا النوع الاخير بالأبنوس الحقيقي مع أن انواع الساسم الثلاثة من الفصيلة القرنية كما ذكر وذاك من الفصيلة الأبنوسية وسبب هذا الاشتباه ان النوع الاخير من الساسم قد يسمى بالخشب الأفريقي الاسود او تَبِنُّوس او إِبِنُوسا او أنهُ ورد في بعض الكتب العربية أن الأبنوس او الآبنوس معرَّب عربيته السمسم او الشاسم وأنهُ هو الشيزي التي كانت تصنع منهُ العرب الجفان والقصاع والكثر والخلاف بين واضعي المعاجم اللغوية يفهم منهُ عدم التحقيق

الارز

واحدته ارزة شجر معروف من الصنوبريات يقال لهُ (الشربين) ايضاً ترتفع شجرته الى ٥٠ متراً وتمتد اغصانها في كثافة أوراقه إبرية مستديمة منظرها جميل أزهارها وحيدة الجنس تجتمع في نوعين من مخاريط مذكرة (سدوية) اسطوانية قائمة على الاغصان ومؤنثة (مدقية) تشبه الاكواز متدلية في النمو عند نضج المخاريط السدوية بعد انتشار حبوب اللقاح عليها وتبقى مدة الشتاء وتنضج مدة الصيف وبهذه الخاصية تكون الشجرة مثمرة على الدوام والمخاريط المؤنثة (الاكواز) بيضية الشكل أرجوانية اللون ابتداء ثم تصفر فتكون مخططة على نوع طريف . ويوجد داخل المخروط الثمار في كل ثمرة حبتان موضوعتان على قاعدة قشرة

اسم جنسه العلمي Cedrus,Link (كيدروس) وفصيلته المخروطية أو الصنوبرية ([illegible]) (قونيفيرية) وبالانكليزية (Cedar) وبالفرنسية (Cèdre)

والمعروف منهُ ثلاثة انواع مهمة :

(١) أَرْز لبنان أو (شجر سليمان) واسمهُ العلمي ([illegible]) (كيدروس ساني) وبالانكليزية [illegible] وبالفرنسية (Cèdre du L[illegible])

موطنهُ غرب آسيا بجبل لبنان وفي جبال طوروس بتركية آسيا ونقل الى فرنسا في سنة ١٦٨٣ ترتفع شجرة هذا النوع الى ٤٠ متراً ومحيط جذعها من ١٠ — ١٢ متراً قمته مخروطية حال الصغر تنبسط في الكبر أوراقه متجانسة الاخضرار طول الورقة من ١٢ مليمتراً الى ٤٠ ومخروطه الثمري بيضي الشكل طوله من ٨ سنتيمترات الى ١٢ وعرضه من ٥ الى ٧ ولونهُ احمر قاتم عند النضج . خشبه صلب ذكي الرائحة لا يأكله السوس ولا تؤثر فيه الرطوبة يرغب فيه من قديم الزمن لتسقيف البيوت ويستخرج منهُ قطران وزيت شجره الحدائق وتنشأ منهُ غابات

(٢) الأرْز الاطلسي واسمهُ العلمي ([illegible]) (كيدروس اطلنتيكا) وبالانكليزية ([illegible]) وبالفرنسية (Cèdre argenté de l'A[illegible]) ينبت في بلاد الجزائر بجبال الاطلس وغيرها . ارتفاع شجرته كالسابق ومحيط جذعها من ٤ امتار الى ٦ وأغصانها مستقيمة وهي تمتاز عن أرز لبنان برفع ساقها كما تمتاز بصغر اوراقها وغلظها وخضرتها الضاربة الى السواد وصغر مخاريطها (اكوازها) وخشبها جيد جداً يستعمل كثيراً في البناء

(٣) أرْز هيمالايا واسمهُ العلمي ([illegible]) (كيدروس ديودارا) وبالانكليزية ([illegible]) وبالفرنسية (Deodar ou Cèdre de l'Himalaya)

موطنهُ غرب جبال هيمالايا وبلاد الافغان شجرته كبيرة جميلة قد ترتفع الى ٥٠ متراً ومحيط جذعها من ٦ امتار الى ٧ وأغصانها منبسطة مائلة في القمة وفروعها مرنة وأوراقها اكبر من أوراق النوعين السابقين طول الواحدة منها ٣ سنتيمترات الى ٥ شائكة ومخروطها الثمري بيضي على نوع ما طوله من ١٠ سنتيمترات الى ١٢ وعرضه من ٥ الى ٦ ولونه احمر ضارب الى السواد عند النضج

وأطباء الهند ينسبون الى الأرْز منافع فيقولون إن خشبه طارد للريح معرّق مدر للبول ويحصل منه على زيت قاتم شديد الرائحة قوي التصويل كما يحصل على نوع من القطران تداوى به القروح ويتبخر بدخان خشبه المحترق ونظراً لاشتماله على الزيت والقطران المذكورين كانوا يستصحون بخشبه قديماً

والأرْز يضرب به المثل في الصلابة وقد جاء في الحديث مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث أتتها الريح كفئتها فاذا اعتدلت تكفأ بالبلاء والفاجر كالأرْزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله اذا شاء

الصحة في ارياف سورية

درس علمي حديث

ملخص لكتاب الدكتور دد (1)

بقلم جورج عبود الاشقر

وسموه « درس علمي » لان المؤلف قد وصل الى الحقائق الواردة في هذا الكتاب بالطرق العلمية المبنية على دقة الملاحظة وصحة الاستقراء والتنسيق ثم الاختبار وقد ثبت له ان طريقته التي اتبعها في درس مجتمع معين يصح تطبيقها في درس كل مجتمع وتأتي في كل حالة بنتيجة مطلوبة

و[illegible] الكتاب قد وضع ليلائم العلماء [illegible] من جهة [illegible] ويسرد الحقائق [illegible] الراغبين في [illegible] الصحة العامة ويوافق بعض الذين يودون ان يقفوا على حالة الامة من الوجهة الاجتماعية فقط فهو اذاً يشتمل [illegible] الاختلاف [illegible] في الاخيرة هذا من جهة غرض المؤلف في كتابه والذين عاونوا المؤلف في درس حالة الارياف السورية الصحية زادوا مع اهتمامهم [illegible] الى الحقيقة [illegible] ان [illegible] سكان القرى التي [illegible] حالاتها ووسائل واساليب وعادات صحية [illegible] في هذا الصدد وقد كانوا [illegible] واسعة وطلبة [illegible] وقد تدربوا على [illegible] ان [illegible] ان [illegible] ويركن الى اقوالهم

والصحة العامة كما جاء تعريفها في هذا الكتاب هي « [illegible] القوم الصحية وما يعرفونه من القواعد الصحية وما يمارسونه منها والعوامل المحيطة بهم وتحت مطلق تصرفهم لزيادة اسباب صحتهم »

وبناء على هذا التحديد قام من ذكرنا برحلة الى بعض القرى السورية الثانية والقوا على اهلها اسئلة كانوا قد اعدوها من قبل وكانت هذه الاسئلة تشمل كل حالة لها علاقة بما يؤثر في الحالة الصحية العامة كمعرفة سكان هذه القرى بالادوية او اسباب المرض او صحة الطفل او النظافة او الطعام او كيفية الوقاية من الامراض او العدوى الى ما هنالك من المطولات

(1) A Controlled Experiment on Rural Hygiene in Syria By Stuart Carter Dodd [illegible] Professor of Sociology American University of Beirut

... بالتجربة كانوا قد القوا الاسئلة نفسها على غير هذه القرى وجمعوا من سكانها ما يمكن ان يكون من الاجوبة عن السؤال الواحد

... يبيّنون بمعرفة اطباء مهرة واساتذة خبيرين علامة ايجابية لكل جواب ... الحقيقة متوسط ... الى معرفة المقياس الرقمي لكل عائلة ومعدل مجموع معدلات العائلات في القرية او ... معياراً رقمياً لتلك القرية وللوصول الى معدل العائلة الواحدة كانوا ... الاسئلة دائماً على عضوين من هذه العائلة ولكن على كل منهم على انفراد من دون ان يعرف ... الآخر ... بعد سنتين والقوا الاسئلة دائماً على العائلات نفسها وعلى ... معدل القرية الواحدة في الزيارة الاولى ... في الزيارة الثانية وعندئذ تمكنوا من معرفة من كانت القرية تسير متقدمة من هذه الناحية ام لا والكتاب يقول « ان كل تغيير في الحالة الصحية التي يصل ... اليها هي تقدم » ولمعرفة معدل سرعة هذا التغيير ومقدار قابلية اهل القرية له اتبع المؤلف المعادلة الرياضية التالية

ان يطرح معدل القرية الواحدة في الحالة الثانية منه في الزيارة الاولى ثم يقسم الفرق على الزمن بين الحالتين وهذا طبقاً للقاعدة الطبيعية المعروفة وهي ان الزخم مقدار قوة مركباتهم ويساوي ... مضروباً في سرعته فتغيير السرعة بين الزمن الاول والزمن الثاني في الزيارتين يدعى ... هذا صرف الزخم في هذه القوم لدى ازدادت سرعة تقدمهم ونجاحهم كان ذلك ... و ... القوة الاجتماعية العاملة في نجاحهم

و ... كل الجهود التي بذلها هؤلاء لاتمام عملهم لم يتوفقوا للوصول الى كل الحقيقة لاسباب سيكرر ... والجهل ... او ... في نظرهم الى الامور المسؤول عنها « ولا يظن احد ان ما ... في هذا الكتاب يشمل جميع الفلاحين او جميع سكان المدن في سوريا بل هو صورة تمثل طرفي ... احط قوم في سوريا وارقى ... فيها »

« وقد درست حالة قسم صغير من البلاد لا يصح ان يكون عنوان للبلاد كلها ولكن يمكن ان تتخذ الطريقة المتبعة وسيلة لدرس حالة جماعة اوفر عدداً »

وللتثبت من صحة الطريقة المتبعة وصحة النتائج التي وصلوا اليها بالاستقراء قد حصروا دروسهم في ناحية من بلاد العلويين وقسموا الناحية الى قسمين ... في الاول منها مستوصفاً ... تحت ... جمعية مؤسسة الشرق الادنى واهملوا القسم الثاني اهمالاً تاماً ... بعد ... درسوا حالة القسمين ووجدوها مماثلة متشابهة فيها وعادوا بعد سنتين من عمل المستوصف في القسم الاول ودرسوا حالة القسمين معاً وعرفوا من هذا مقدار تأثير العامل الاجتماعي الذي هو المستوصف في نجاح حالة القسم الاول

ان القرى التي اتخذوها مركزاً لتجاربهم وعمل المستوصف الواقعة في قضاء مصياف من بلاد العلويين. اربع منها على مرتفع صخري يعلو عن السهل ثلاثين متراً وثلاث منها في سهل وكلها مزارع مع ما في كلمة المزرعة من معنى. وكانت احدى هذه القرى تختلف عن الاخرى في كل شيء لان سكانها من الارمن المهاجرين وقد بنيت القرية لهم بحسب ارشاد جامعة الامم وتحت اشراف المفوض السامي في بيروت. سكان اربع من هذه القرى يستقون الماء من آبار علاها الامطار وفي القرى الثلاث الاخرى ينابيع وعدد سكانها جميعاً ستمائة عائلة فيها ثلاثة آلاف نفس معدل الوفيات فيها ٥٦ بالالف ومعدل المواليد ٦٧ بالالف غير ان هذا المعدل يختلف في القرية الارمنية المار ذكرها فالوفيات فيها سبعون بالالف والمواليد مائة وخمسة بالالف

وهذه البقعة من المعمور علاقة بالماضي فقد كانت عامرة في زمن الرومانيين اذ لا يزال في مصياف اثر من طريق رومانية كانت تربط انطاكية بداخلية البلاد. وفي قرية منها قطع من الرخام محفور عليها علامة الصليب وحروف لاتينية مما يدل على ان عهدها يرجع الى العهد المسيحي الاول. وعلى بعد ساعة من احداها خرائب قلعة ابو قبيس ومقابلها الى الجهة الشرقية آثار قلعة سحار وفي هذين آثار القرون الوسطى وآثار الفرس والصليبيين وخرائب قلعة مصياف يرجع عهدها الى زمن الحشاشين وسلالتهم لا تزال في القرى الواقعة الى جنوب هذه القرى. كذلك في البلاد اثر من الحكم التركي فتركيا حلت عنهم نير اسيادهم الاقطاعيين قانوناً وحلت عليهم نيرها هي

اما حالة هذه البقعة من الارض من الناحية الاقتصادية فسيئة للغاية. البلاد زراعية بحتة وسكانها رعاة ومزارعون ومعاملاتهم الاقتصادية مبنية على المقايضة فالنقود عندهم لمعرفة قيمة الاشياء لا لدفع الثمن لانها قليلة جداً بين ايديهم واجور اليد العاملة عندهم بخسة جداً فاجرة العامل لا تزيد عن خمسة غروش سورية يومياً (عشرون مليماً). ومعدل دخل العائلة الواحدة مائة ليرة سورية سنوياً (٢٧ ليرة مصرية) الفلاحون لا يملكون الارض التي يستغلونها بل هم شركاء يعطون اصحاب الملك اربعين بالمائة من غلة الارض. ضرائب الحكومة باهظة جداً. وقد فرضها ذوو الامر متخذين مواسم السنوات ١٩٢٧ و ١٩٢٨ و ١٩٢٩ قاعدة لفرضها ان عداً او عيناً فاذا فرضنا ان معدل نتاج ارض احدهم كان مائة في هذه السنوات وكان سعر الوحدة من المائة بمائة فكانت الفريضة $\frac{١}{٨}$ × ١٠٠ × ١٠٠ وهم يتقاضون اليوم القيمة ذاتها بصرف النظر عن مقدار ما تنتجه الارض في هذه الايام وعن ثمن هذا النتاج وسكان هذه القرى مثقلون بالديون والفائدة باهظة جداً فقد تبلغ احياناً خمسين بالمائة. فهذه الحالة الاقتصادية جرت معها سوء الحالة الصحية وهذا امر طبيعي

القرية الارمنية فقط مبنية بالسمنت اما البيوت في القرى الاخرى فمن الطين ونوافذها صغيرة

حد" وهذا مما يساعد على عدم نظافة سكانها وعلى كثرة البراغيث فيها

المسيحية ديانة سكان القرية الارمنية والباقون نصيريون بينهم سنيون وقليلون من عشيرة شمس وقمر وفي هؤلاء فريق يعتقد في الجن والخرافات والتسليم وهذا يصدهم عن الجد والنشاط

المرأة عند العلويين لا تمس لها وهي نصيرية فقط عند زواجها وقد خصت لارضاء زوجها وولادة الاولاد والعمل لراحة الكل وهي تباع وتشرى ويختلف ثمنها باختلاف جمالها ومقدرتها على العمل وقد يصل الى الستين ليرة سورية (ستة عشر جنيهاً تقريباً) ثم ان تعدد الزوجات عندهم مباح نصف اطفالهم يموتون قبل بلوغهم الثانية من العمر وفريق وافر منهم يموت قبل الوصول الى العاشرة. الامية في هذه القرى ما خلا القرية الارمنية تبلغ تسعين في المائة وفي القرية الارمنية عشرين في المائة المدارس بينهم كتاتيب المشائخ المعروفة للاقت الحسبة بينهم امر طبيعي كالا كل والشرب يذكرها المزوجون دون خجل او وجل وعند الفحص وجد ان بينهم اثنين او ثلاثة مصابون بالامراض التناسلية

وقد اجرى الدرس عينه على ثلاث قرى في البقاع الى جنوب بعلبك حالتها متشابهة لما ذكرنا كل التشابه إلا ان بيوت هذه من الحجر وحالتها الصحية افضل من هذه تلك ولان هذه القرى اقرب الى العمران من تلك وان معدل الولادة فيها ٢٧ بالالف ومعدل الوفيات ٥٣ بالالف وهذا ما ينذر بانقراض سكان هذه القرى انقراضاً تاماً ولعل السبب في كثرة الوفيات وجود الملاريا مزمنة في هذه القرى وهي تفتك كالمنشار تقتل الاطفال وتساعد على عدم

واحد الاقصى الآخر كان في رأس بيروت فقد درست حالات خمسين عائلة في رأس بيروت هم من الطبقة الراقية جداً وفي محيط صحي بكثرة المستشفيات فيه والارشادات الصحية وهم من فئات مختلفة كاطباء ومحامين وتجار وغيرهم معدل الوفيات في هذه العائلات ٧ر٤ بالالف (اربعة وسبعة أعشار) بينما معدل الولادة ستون بالالف ويبلغ متوسط دخل العائلة الواحدة منهما مدرب الثلاثمائة وخمسين جنيهاً مصرياً . فالحالة الصحية في الارياف بالقياس الى ما هي في المدن كنسبة ٢٫٨ الى ٦٥ ومعدل عدد الانفس في العائلة الريفية ٤⅓ بينما هو ٦⅓ في المدن الولادات اقل منها في الارياف ومعدل العمر في الارياف خمس عشرة سنة ونصف وفي المدينة ست وعشرون سنة. ولست تجد عائلة واحدة من العائلات الريفية قد سلم كل افرادها بينما ظهر ان عشرين عائلة من احدى وعشرين عائلة في رأس بيروت لم يمت فيها طفل واحد بل كل من ولدوا يتمتعون بصحة جيدة وهم احياء يرزقون

ان كل الامراض التي يشكو منها سكان هذه القرى قابلة للشفاء وسهل اتقاء شرها ويمكن القضاء عليها واكثر الامراض شيوعاً بينهم الملاريا وكثيرون منهم يعرفون الكينا وكيفية

منشئها ولا يعرفون مصدر الملاريا وكيفية انتقالها من مريض الى الآخر . ومن تفشيهم في الملاريا تفشى في الامراض الاخرى كالتيفود والجدري والحصبة وغيرها فهم لا يعرفون كيفية الوقاية منها ولا تأثير الفصام فيها وزد على ذلك فهم يجهلون التعقيم في الجروح والقروح . ثم ان حالتهم الاقتصادية تحول دون عزل المصاب بالامراض الوافدة كالجدري . وهم يقبلون على التلقيح ضد الجدري ولا يخافون منه . ويخافون امراض العين جداً ولكنهم لا جلد لهم على مداومة ما يشير به الطبيب من المداواة ولا يعرفون كيفية الوقاية منها . فقد تمسح الام المصابة بالرمد عينيها بطرف ثوبها القذر ثم تعود وتمسح عيني طفلها بالثوب ذاته من دون تطهيره . وللخرافات شأنٌ مهمٌ في تطبيبهم فمن لم تشفه التعاويذ يطببونه بالحجر الاملس او بالخرزة الزرقاء وغيرها . الامهات جاهلات لا يعرفن كيفية العناية بالاطفال غير ان الطبيعة قد جهزتهم بأفضل الاغذية وخير الادوية ألا وهي الشمس وما تحمل في اشعتها من القوة . ثم ان الامهات يرضعن اطفالهنَّ حتى يبلغوا السنة تقريباً

انواع اطعمتهم قليلة جداً ولا يأكلون الخضروات في الشتاء مطلقاً ولهذا فطعامهم الشتوي قليل الفيتامين

ثم ان وجود المياه بعيدة عنهم وفقرهم يحولان دون نظافتهم فاذا اخذنا ما يستهلكونهُ من الصابون مقياس النظافة نجدهم قذرين غير نظيفين

وهم لا يعرفون كيف تنقل الحشرات كالبعوض والبراغيث والقمل والبق وكل ما يعرفونهُ عنها انها من الله . ولا يدركون ما لها من الاثر في امراضهم ونقل العدوى

في كل تلك المنطقة طبيب واحد موظف حكومي مركزه مصيف يقوم بأعمال المستوصف الحكومي ويزور القرى التابعة للمصيف مرة كل شهر وهو يقضي ستة ايام في الزيارة ينتقل من قرية الى اخرى وكل اعماله تنحصر في المعالجة والتطبيب وهو لا يصرف شيئاً في تعليم الاهلين الوقاية من الامراض وما تستلزمه القوانين الصحية . وايضاً وجد ان الوقت لا يتسع لديه ليتابع المعالجة لتصل حالة المريض الى ما يصح السكوت عليه وليس في حيازته ادوية محاربة بعض الامراض فلهذا زياراته قليلة الجدوى

ومتى عرف القارئ هذه الحالة يمكنهُ ان يقدر عمل مؤسسة الشرق الادنى حق قدره فقد انشأت كما اشرنا سابقاً مستوصفاً سياراً في القرى السبع التي اتخذت للدرس والاحصاء . ولم ينحصر عمل رجالها في التطبيب والمعالجة بل تناول حالات اجتماعية اخرى كانشاء صفوف للامهات والصبايا ومدرسة نهارية للاولاد الصغار وكانوا يستخدمون الفانوس السحري لشرح بعض الامور الصحية . وقد علموهم كيفية غرس الاشجار وبناء (المراحيض) . والذين قاموا بهذا

العمل طبيب وممرضات . فكان الطبيب يزور كل قرية مرة في الشهر وتقوم احدى الممرضات بزيارة القرى مرة كل اسبوع وهي كانت تذهب الى بيوت المرضى لمعالجتهم حيث وكثيراً ما كانوا يتطلبون الى سكان القرية ان يفاوضوا ... في امور الامور الصحية وتضيق المقام عن سرد الحوادث التي قام بها اعضاء هذه البعثة ... في الحادثين الاتيين فيما لنا لا يتسع المجال لذكره

تموز (يوليو) ١٩٣١ : دعيت (مس ... احدى الممرضات) لزيارة امرأة طرشاء (صماء) قال لها جاراتها ان طرشها من الدواء الذي حقن به العشب ... كثيراً ... في اذنيها ساحرات وكان الوقت مساء ... من الآلات والادوية وفحصتها فوجدت شعرها وما لصق به من الاقذار قد ... دسها فالحال حززت شعرها ووصلت الى اذنيها فوجدت الاقذار قد سدتهما فازلت ... بالماء والصابون وللحال عادت لها حاسة السمع

آب (اغسطس) ١٩٣١ امامنا حوادث عدة من عسر الهضم في الاعصاب والاطفال يسمح لهم ان يتمتعوا كل ما تصل اليه ايديهم من المآكل ولتخلصهم من اوجاعهم يجيء بهم الى مدارسنا ولنتني بهم اعتناء خاصاً ليتنزعوا من اوجاعهم

وها كم ما قالته الرئيسة في تقريرها

كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٣٢ ان الذاكرين ... اننا لم نالحة عن هذه القرى قد حصلت البدوي والعلوي والارمني على مستوى واحد وكل منهم كان يجيء الينا للمساعدة وكنا نحن نقوم بقسطنا من العمل بكل لذة ... نطرق ... مدة هذه السنوات الثلاث اصدقاء لهم كلهم وهم يقدرون لنا هذه الصداقة حق قدرها وانا نحسب هذه الفرصة منحة من الله . اما حالة البلاد بعد عمل المستوصف المذكور فتظهر من الاقوال التالية

« الحمد لله منذ جاءت الينا سلاك (...) لم يبق عندنا مرض . والحكيمة جعلت قريتنا جنة »

« منذ سنوات لم نر اولاداً يلعبون في الازقة وكانوا جميعاً يموتون قبل مشيهم . اما اليوم ففي القرية ثلاثون منهم يركضون ويمرحون والفضل في هذا للحكيمة »

واذا اردنا ان نعبر عن التحسين بالارقام فنقول ان حالة هذه القرى تحسنت بين ٢٠ ٪ و٦٥ ٪ والفضل في هذا يعود الى مستوصف مؤسسة الشرق الادنى العامل الوحيد في تحسين هذه القرى

الدكتور ابرهيم

رواية مصرية لجون تنل

عرض ونقد[١] الدكتور ابرهيم ناجي

يسرني السرور كله ان أحاضركم هذه الليلة في كتاب المستر تنل النفيس الذي عنوانه « الدكتور ابراهيم » . وعليَّ ان اوجه الشكر الخالص الى جمعية الشبان المسيحية التي اتاحت لي هذه الفرصة . فقد حاضرت في مدرجها قبلاً في ولز وريعس وتحدثت في فرصة اخرى عن رواية المستر مورغن المشهورة باسم « ينبوع » ولكنني لم احس قبلُ بما احس به الآن من رغبة شديدة في التحدث اليكم عن كتاب المستر تنل . ان هذا الكتاب يستهويني من نواحٍ عديدة فاسم بطله شبيهٌ باسمي ومهنته مهنتي ، وفي حياته حوادث تشبه ما وقع لي ، علاوة على اشتراكنا في الميل والنزعة والسمو الى المثل الاعلى

ان رواية المستر تنل قطعة نفيسة من الادب اخرجها قلم كاتب مالك لفنان التأليف الروائي الاَّ انها علاوة على ذلك يجب ان تستوقف نظرنا نحن المصريين ، من ناحية اخرى . فهي كتاب عنا وضعهُ اجنبيٌّ عاش بيننا سنين كثيرة فهو يحبنا ويشاركنا في شعورنا ومصلحتنا ، ثم انهُ منزَّه عن الهوى . فانتم في هذا الكتاب من اول صفحة الى آخر صفحة في صحبة صديق صدوق . تستطيعون ان تحسُّوا لمس يده الرفيقة ، حتى اذا وصف عذاب الدكتور ابرهيم ورأيتم مواجع نفسه وسمعتم انينهُ الاَّ انهُ لا يسامح في كل هذا انهُ صرح احياناً الى حدّ القسوة ، وبوجه خاص عندما يكشف عن مواطن ضعفنا ونقائصنا ، او عندما يتكلم عن المرأة المصرية ويبثُّ رأيه في عجزها عن النهوض قد لا نشاطرهُ كل آرائه الاَّ انهُ لا يسعنا الاَّ الشعور بان هنا قلباً كبيراً يخفق في كل سطر خفقة الفهم والمشاركة

سألخص لكم هذه القصة ، لكي يلمَّ بمجملها ، من لم تتح لهُ مطالعتها حتى الآن . الاَّ اني اخشى ان يشوّه هذا التلخيص جمالها ، ولذلك سأعمد في خلال التلخيص الى اقتباس بعض فقراتها وعباراتها الممتازة

(١) القى الدكتور ابرهيم ناجي محاضرته الانكليزية في هذا الموضوع وتكرم فخصنا بها فنقلناها الى الصفحات التالية

كان الكتّاب الاجانب الذين يكتبون عن مصر ، ينقسمون الى طوائف تجتمع في حقيقة واحدة واضحة وهي أنهم لم يفهموها مطلقاً . فالطائفة الاولى مؤلفة من جماعة الكتّاب السياسيين وهؤلاء كانوا يعالجون الناحية السياسية من القضية المصرية ويهملون روح الامة عاش بعضهم بين ظهرانينا ولكنهم لم يتصلوا الا بطبقة السراة والاعيان ، عاشوا هنا معيشة ترفع فجهلوا كلَّ ما يجب ان يعرفوه عن الفلاح والعامل « ورجل الشارع » لذلك اهملوا هذا العنصر العظيم المهم في حياة الامة ، عندما كتبوا عن مصر . اما الطائفة الثانية فجماعة المراسلين الصحافيين وهؤلاء في الغالب يجمعون معلوماتهم من التراجمة الذين يحومون حول شبرد والكونتننتال وكوك او من صديق في جلسة شاي قصيرة او من شيخ الاعراب ، والغالب ان تكون معلوماتهم غير مستندة الى اساس صحيح او مزوقة عن الغرض . ثم هناك جماعة السيّاح ، وهؤلاء يكتفون بجولة حول الاهرام على ظهور الجمال او بزيارة للاقصر وخان الخليلي ، ثم يغادرون مصر وهم يعتقدون أنهم عرفوا مصر وتغلغلوا في فهم اسرارها

ولكن المعلومات التي جمعها المستر تنل ، صحيحة ، على الرغم من بعض اخطاء يسيرة تطرقت الى صفحات كتابه ، ولكنها لا تنتقص بحال من الاحوال لمستوى العلمي الذي يقفه فيه

وهذه الرواية ، مفرغة في قالب ترجمة ، ترمي الى غرض خلقي ، وقد تماست النزعة الخلقية في الفصول الاولى حتى ليكاد القارىء ان يسأمها ، ولكن لا يلبث الفنان في شخصية المؤلف ان يسيطر على السياق ، فيحل الوصف البارع لشخصيات الرواية ، محل الوعظ والارشاد . وعند ذلك يصبح الكتاب وكأنه قطعة من الحياة . فاذا القيته من يديك أحسست ان المستر تنل قد ادرك غرضه ، وهو طبع شخصية الدكتور ابراهيم في قلبك مدى حياتك . فليس في وسعك بعد الآن الا ان تذكر الطبيب المصري الذي لم يحل فقره بينه وبين النبل والمروءة . ولا ريب في انك لن تنسى المثالي المصري الذي كافح الارتباك والضعف والحيوانية

هنا يعترضنا سؤال : هل يجب ان يكون لاي رواية هدف خلقي ؟ وفي الرد عليه لننظر اولاً في الرواية وما هي . فقد وُصِفت الرواية بأنها شكل ديمقراطي من اشكال الفن ، وهذا يميّز بينها وبين اشكال الفن الاخرى كالموسيقى والتصوير فهما ارستقراطيان ولا بد ان يبقيا كذلك على الرغم من المساعي التي تبذل لتقريبهما من الجمهور . كل انسان يستطيع ان يقرأ رواية او ان يذهب لمشاهدة رواية على لوحة الصور المتحركة ، ولكن التمتع بموسيقى بيتوفن او تصوير رفائيل ليس في متناول كل احد

وعصبة الرواية مبنية على حقائق عصبية عامة . فاعمال الناس جميعاً نتيجة رغبات أولية داخلية يشترك فيها جميع الناس . ولكنها تختلف بين الحدة والضعف في مختلف الناس . وهذه

الرغبات ليست تجد ذاتها صالحة ولا صالحة ... بل هي لازمة للجنس ابقاء له وحفظاً عليه . وكل ما هنالك ان الامر يتوقف على الاسلوب الذي تتحقق به هذه الرغبات . وفي بعض الاحيان يتوقف الامر على مقدار ما تكبت من رغبات تعجز عن تحقيقها . هنا ميدان واسع لنفسية الرواية . فالبطل — او البطلة — يحقق في سياق القصة او على لوحة الصور ، ما يتعذر علينا تحقيقه في حياتنا ، فنضع انفسنا محل ابطال القصص و بطلاتها ، من غير وعي ، ونجني من ذلك لذة خاصة ؛ و نحمل على طلب المزيد من قراءة القصص او مشاهدة الافلام ، مبالغة في هذه المتعة النفسية

هذا هو التفسير لاقبال الناس جميعاً على الرواية . وهذا هو الباعث على ابداع بعض ما يثيف مع ما يسلي ، في الروايات من قديم العصور . ولكن لنأخذ مؤلفاً عظيماً كتولستوي في روايته « انا كرينينا » ان الصور التي رسمها تولستوي في روايته خالدة، ولكن المثل الخلقية او الاجتماعية التي اراد التبشير بها واذاعتها قد طواها النسيان . ان هذه الآثار من الآيات الروائية الخالدة لما فيها من الوصف البارع للوسط ، والشخصيات ، والطبيعة ، علاوة على انها صادقة في تصوير الحياة . كان الغرض من الرواية ولا يزال — من رواية العهد الفكتوري بنزعتها الخلقية وعقدتها الأخاذة ووزنتها احياناً ، الى مثل جويس وفرجينيا وولف المعقد — كان الغرض ولا يزال تصوير الحياة تصويراً صادقاً . وهذا هو سر الخلود في فن الرواية . كانت المدرسة القديمة تعنى بهندسة الرواية ، واختيار حوادثها وترتيبها . ولعل رواية فيلدنج « قصة الروحانية العظمى » ورواية فلوبير « مدام بوفاري » من افضل الامثلة على ذلك . ولكن المدرسة الحديثة ، ترى ضعفاً في هذا البناء . وتأخذ على كتاب الجيل المتقدم من امثال بنت وولز انهم يرون الحياة ، عربة سائرة على طريق طويلة صعبة ، وان حوادثها اشبه ما يكون بأعلام الطريق تتوالى بعضها في اثر بعض

ويؤكد ابناء العصر الحديث ان الحياة ليست كذلك ، بل هي كالحقل الفسيح ، وان الروائي يجب ان يعلو لنظر المشارف ، كأن عينه عين الطير العالي ، يرى الحقل تحته رقعة واحدة

وكما سالمون في ذكر صدد الاشارة الى الشعر وكتاب الروايات ان الشاعر والروائي يجب ان يتذكر ان الحياة والعمل دائماً التغير والتحول وان غرض الفنان يجب ان يكون تتبع مراحل هذا التغير وتدوينها . الا ان لورنس (Lawrence) فسيح وحده ، ويعتقد ان عمل الرواية يجب ان يكون تتبع التفاعل بين عمل الرواية والحياة وقد استنبط جويس ما دعاه « معجم الاحلام » وله الآن اتباع ومقلدون واني آسف اشد الاسف ان ضيق الوقت يمنعني من تتبع ارتقاء الرواية الحديثة

من القصص . ان نعيّن المدرسة التي ينتمي اليها مؤلف الدكتور ابرهيم من بينها في رواية عرضاً خفيفاً . وهو يكتب بأسلوب مدرسي وعدم ثقة الرواية في عصر الفكتوري ثم ان الرواية من قبيل السيرة او الترجمة ، والقصة تشتغل بين الطفل وهو الدكتور ابرهيم والحياة المصرية. فهو في هذا يتبع في لورنس . وعلاوة على ذلك فالرواية مادة متقن ، والحوادث فيها تتوالى وبوصف وصفاً دقيقاً هالبس مونير وست . ورأيي الخاص ان المستر تل يتخيَّر احسن ما وجده في المدارس المختلفة ، مع ان هناك ما يدل ان يجعل المدرسة الفكتورية اسلوباً وهدفاً

***

فلننظر الآن في الرواية نفسها . ولد ابرهيم في اسيوط من والدين قبطيين فقيرين . وكان ابوهُ عطّاراً ، يبيع النباتات الطبية وامهُ سيدة مسيحية طيبة القلب . مرض لما كان في السادسة من عمره ، فعالجه حلاق فكاد يقتله . فالحلاقون في القرى ، بمثابة جراحين ، وتكون جراحاتهم في جمعه وسكون . وكل سعي يبذل لترقية صناعة الطب ، وتنقيتها من الغدر والتدجيل ، يجب ان يتناول الحلاقين في غير رفق ولا هوادة

وذهب ابرهيم الى مستشفى في احد الايام فرأى المرضى يصبرون على بابه فحدثت حينئذٍ في نفسه ثورة التململ والثورة . وكأنه عزم من ساعتئذ ان يصبح « حكيماً » . وتأيد هذا العزم في ذهنه عندما زار مسلخاً حيث رأى الحيوانات تقتل بقسوة تثير الشفقة ، وهناك تلقى درسهُ الاول في التشريح على شلو احد تلك الحيوانات

وشاء القدر ان يحنو على والده فورث قطعة حبيبات من قريب متوفى . فبعث ابرهيم الى المدرسة. وبعد ما اتمَّ ابرهيم دراسته الابتدائية والثانوية ، حمل الملابس وقليل من المال وارسل الى القاهرة ليشرع في دراسة الطب . هنا ينتهي فصل الرواية الاول وعنوانهُ « اسيوط » ولكن قبل ان ننتقل الى الفصل الثاني ، اودُّ ان انقل اليكم بعض الفقرات مختارة من مذكرات الدكتور ابرهيم . ولكم هذه الفقرة عن الانكليز

« سأقول لاخواني المصريين ان الانكليز لا يعرفوننا ووجودهم في بلادنا عمل من اعمال الوحشية الامبراطورية متفرع من تفكير فاسد . ولكن لا نعاديهم لان الجدل عقيم » ، او خذوا هذه الفقرة عن الامتيازات « اشكر لك حمايتك ايها الانكليزي . نحن محميون ولذلك يتاح لقطاع الطرق الاجانب أن يطلقوا بلادنا قتلة » أو خذ أيها القارئ هذا النصح الرشيد يلقيه والد ابرهيم على ابنه وهو يغير ملابسه : « لا تدع هذا التغيير ان يحملك على نسيان نفسك، وعندما تلبس هذا الرداء بعض الاجانب ، انهم لم يغيروا منك الا مظهرك الخارجي . وانهم لم يمسّوا شيئاً في داخلك »

ويرى ابرهيم ، في الفصل الثاني ، ذاهباً إلى القاهرة حيث يسير في النيل وعلى ظهر الفيّاسة

يجري عمليته الجراحية الاولى اذ يصنع جراحاً عميقاً في سيدة بعد ان يشخصه التشخيص الصحيح فتتنبأ له الحروز عستقبل باهر وانه سيصبح رجلاً عظيماً . قالت اني ارى قلادة من الذهب حول عنقك . ولكن فيها حلقة غير ذهبية وفي هذه الحلقة زهرة هي هذه الحلمة التي سوف تنكسر . فتخسر القلادة وعبثاً تبحث عنها ولن تجد الا الزهرة فتحتفظ بها الى آخر حياتك

وكان قد فشا حينئذ وباء الهواء الاصفر على مقربة من اسيوط فيمرض رجال الوليس القبّاسة للحجر الصحي فيلتقي ابرهيم هناك بطبيب الصحة الذي وكل اليه مكافحة الوباء . هذا هو الدكتور جاد الله وهو رجل نبيل . فيقع من نفس ابرهيم موقعاً غالباً ، فيتبرع في الحال لمساعدته في عمله الانساني العظيم . كان الوبأ كالعاصفة المكتسحة ، والناس يسقطون موتى ، اكداساً فوق اكداس . ولم تكن الوسائل الصحية وافية فيمرض ابرهيم ويعالجه الدكتور جاد الله وينقذ حياته ، ولكن الدكتور يقع فريسة المرض بعد ذلك ويلقى حتفه . ان وصف المشاهد في هذا الفصل من الكتاب من ابلغ ما يكون ، واني لم اقرأ ما يضارعها الا فصولاً في كتاب اكسيل مونتي الموسوم « قصة سان ميشيل » حيث يصف وباء الهواء الاصفر في ايطاليا

يحس ابرهيم بعد وفاة الدكتور جاد الله بألم الوحدة . ها هو ذا غريب لا يملك من الدنيا الا اشغالاً ... ية . لقد سرقت ملابسه ونقوده في خلال مرضه . فاذا يعمل

سار الى اقرب قرية وارتمى في ظل جدار ليصيب قليلاً من الراحة ، فلقي هناك الفتاة القروية عزيزة ، التي ربط مصيره بمصيرها

فاستقبل ابرهيم في دار عمها ، بما عرف عن سكان الصعيد من كرم الوفادة . ولكن زهرة الحب اخذت تتفتح في قلبي ابراهيم وعزيزة . وكأني بالمستر تل يخشى ان مشهد هذا الجانب من الرواية في الصعيد ، فيذكر ان الفتى والفتاة كانا يستلقيان على الارض جنباً الى جنب . فالتقاليد المرعية في الصعيد ، تحول دون هذا الاتصال الوثيق بين فتى وفتاة دع عنك فتاة مسلمة وفتى قبطياً غريباً . واذا حدث هذا فاما ان يقتل الاثنان او يطردا من القرية في غلالة من العار

وكان سيد القرية سري يحمل لقب باشا . وقد وصفه المؤلف بما يلي « اجتمع القرويون وصفقوا . ولكن الباشا كان لا يفكر في احد منهم . انه لم يرَ المصابين منهم بأمراض العيون او فقر الدم او تضخم الطحال فمضى على متن دابته مترفعاً عنهم جميعاً وهو لا يفكر الا في نفسه » .

وكان للباشا ولد وحيد ، يدعى عباس ، كان ضخم الجثة ، فاسد الخلق وهو يذكرني بشخصية النذل التي وصفها هاردي في كتابه العظيم « تس » فنظر الى عزيزة فحسنت في عينه ، وبايعاز منه صدر الباشا امره الى عمها لكي يبعث بها الى قصره خادمة فيه فيتفق ابرهيم وعزيزة على الفرار . ولكنهما

لا يلبثان حتى تكشفهما عيون عساكر فيهال البوليس عليهما ضرباً وتخرج عزيزة من دواعي حبيبها

هذا، كان الفصل الثالث نجد ابراهيم وقد بلغ القاهرة، وشرع في دراسة الطب ولكنه يعيش في حي فقير من احياء العاصمة، في غرفة قذرة حقيرة في السيدة مع صديقه التركي ابو بكر الفقير يعيم على معيشتهما، يعمدان الى اساليب بارعة في سبيل الخبز. ولكن نفس ابراهيم تتمرد ابداً على هذه المعيشة، فيبحث عن طريقة تمكنه من كسب الرزق فرق الحين فيفتح مدرسة يعلم فيها اطفال الحي الفقراء لقاء جعل شهري صغير. وفي مقدمة مبادئه في موسم حب النظافة وحب الوطن. ويعمد الى التكرار والايحاء في طبع هذه المبادىء في ارواح تلاميذه الحساسة. الا انه يساق في احد الايام الى القسم بتهمة التعلم من دون رخصة ولكن الباعث الحقيقي على القاء القبض عليه نزعته الوطنية. وبعد قليل يفرج عنه فيسائله حوادثه الصلة بالمتاعب. ما اصل الآن وأسباب العيش قد عدت من يديه؟ يذهب الى استاذه الدكتور هرمس ويبوح له بحالته فيمده بقليل من المال، ويخلع عليه احدى بدله ويشير عليه بأن لا يشتبك بعد ذلك بشؤون السياسة

ينتقل ابراهيم بعد ذلك الى السكن في شبه اسطبل في ارومة ويكب على دراسة المؤلفات الطبية على حصير. واذ كان في احد الايام مكبًّا على الدراسة، سمع صياحاً وصراخاً في الخارج فعدا الى صاحب الصوت فعلم ان سيدة انكليزية سبة، كانت تزور البرنس عين صحبة زوجها، فلدغتها حية. فلم يعدم رباطة الجأش، في تلك الساعة الحرجة، وانقذ حياة السيدة فلما عرض عليه مبلغ من المال لقاء خدماته رفض اباء وشمم. فاحفظ ذلك ارتفع صدر الامير عليه اولاً ولكن الامير، اعجب بصراحة ذلك الفتى واخلاصه بعدئذٍ وقطع له مبلغ جنيهين كل اسبوع ليقوم على معالجة كبده

ويختم هذا الفصل بحادث طريف. كان البرنس طاهر نسيب البرنس علي مبتدءاً صقراً واصطاد في احدى رحلاته عقاباً «عورلا» فحاول الاستاذ لارس ان يحوّل العقاب انساناً بحقنه حقنة تحتوي على خلاصة الغدة الدرقية. واذ كان الاستاذ، لارس يبسط آراءه في محاضرة عامة يفر العقاب ويلجأ الى دار الآثار المصرية فيلحق به الاستاذ الى داخل الدار، ويحاول ان يستدرجه ليقبض عليه ولكن العقاب الاخلق يعمم سيده ويضغط عليه فيكسر اضلاعه فيطلق عليه الناس الرصاص من نافذة ويقتلونه

وهذه الحادثة، سحرية بارعة يجب ان يقرأها فورونوف وشتايناخ واضرابهما

في الفصل التالي ينبئنا المؤلف ان ابراهيم قد فاز بالشهادة الطبية، وعيّن مساعداً «كلينيكيًّا» بمستشفى قصر العيني واليك وصف المستر تل القهرمانة (رئيسة الممرضات): كان وجهها

كبيراً مرهباً، ولكنها كأنها من حديد. وكنت لا اخشى ان تلكم من احد عند ... في ذلك، ولو كانت اذني مريض او مرسه ... ولكن ... ان اخيب ... كان لا اخشى ان تلكم اذني طبيب كذلك اذا اقتضى الامر

يحدثنا المستر ... ان الدكتور ابرهيم كان صديقاً للعوامة، التي كانت تقدم له شراب الوسكي، وعشيقة ان يدعى ... وكنت ... في قصر العيني ... على ان اصرح ان مثل هذه الصداقة بين العوامة وأحد الاطباء مستحيلة ... الدكتور ... لعلم الباثولوجيا، محبة ويعطف علينا ... دعانا الى الشاي، فرددنا دعوته بمثلها، وانصبنا في الحفلة التي اقامها ... وهمنا له ... الى ... من طويل عليه حتى اعيد. هذا الاستاذ البارع، في بلاده

فالصلة بين الاستاذ والطالب في قصر العيني كانت معدومة ... كان معدوداً ... ونحن ... جفاة ولكن تمرّدنا على هذا الاستبداد في سنة ١٩١٩ ... الدكتور ... في هذا الكتاب «دكتورنا» كلاماً ... ولكن هذه من ذكريات الماضي، وعيوننا تتطلع الآن الى فجر جديد

لنعد الى الدكتور ابرهيم ... دخل الدكتور ابرهيم ... الخاص ... في احد الايام، فدهش اذ وجد عزيزة في احد الاسرة. ولكنها لم تكن وحدها ... كل منها ... ويجدها ... بعدما ... من ... الى مصر ... وكيف ... وكيف طردت من المصر عندما ظهرت عليها اعراض الحمل ... ابرهيم ... في ... ما في وسعه ... واخيراً ... الشقة الصغيرة التي كان ... مع صديقه بكر فتنام في الحجرة التي ينام فيها ابرهيم، ويفصلها ... رقيق. ولكن ... لابرهيم ... عليها، فيدوم ابرهيم ... لانه كان ينوي ان ... وان يكون ... ولكن الوحش الحبشي في صدرها، ... على الطوق احياناً فيدفعها الى ابرهيم وكأنها جارعة ... الا ان ... جبل لا تهزه الرياح ... في مستشفى قصر العيني، ولكنها لا تميل الى هذا العمل، لانها لم تستطع ان تخضع غرائزها ... ابرهيم لا يخضع للوحش ... عليه وما لبس في تكوينه ذلك الروع ... انه على جانب من ... القديسين

ولكن ... بين عزيزة وبكر ليست كذلك ... يعتقدان ان ابرهيم ... رجلاً وعندما يجد ابرهيم صديقه بكر وعزيزة في حالة مشتبهة ... ممًا

في الفصل الذي عنوانه دمنهور، نجد ابرهيم طبيباً ... في مستشفى دمنهور حيث ...

والارشاد ... عن المرضى ... الدكتور ... الى ... المستشفى ... لدعوى والفرو ... كان فاسد الاخلاق يعيش من الرشوة حتى ... الجواهر وكان ... رئيس ... الجراحية في ... ان المريض ... ان يوقف ... مستشفيات

... رجيم الفساد فيحاول ان ... ولكنه يخفق في ما يسعى اليه ويعدما يضرب رئيس الجراحية ... رئيسه ويبعث به الى الادارة ... في القاهرة ... شهرته كطبيب كانت ... في الاسبوع فدعي الى مشاورة طبية مع رئيسه وطبيب يوناني في بيت مالي يوناني فصحح التشخيص الذي اتفق عليه رئيسه ... بعد ... عملية جراحية وكان هذا المريض ... ان تحول ... الى شعب ... فكانت ... في دائرة ... الكبار ونعمة ... ولكن ... على ... فنقل من دمنهور الى ادفو فكبر هذا على صاحبته ... فحاولت ... والاستقالة من ... الحكومي. قالت انها مستعدة ان تبدل كل شيء في سبيله ... ووعدت بالانفصال عن زوجها اذا شاء. ولكن ... اقوى من حبه ... في دمنهور ... الى ادفو

كانت حياته في ادفو حياة ... لا ... ولا سلوى ولكن ... تلك الحوادث التي ... لتغيير مقدرات الناس ... فقد كانت ... في ادفو وكان في احدى ... سيدة انكليزية كان ... الروماتزم ... يجد حقنة مورفين من الدكتور ابرهيم ليخفف ... لا لانها ... الدكتور ... بزيارة المريضة ... بعد ما فحصها ادرك ان الروماتزم ... فدعي ... انكليزيان ... من القاهرة ... وسكن السيدة الانكليزية ... عملية جراحية ... كان يعتمد على ... المصري ... روجها من انكلترا ... كانت زوجته قد تماثلت للشفاء ... الدكتور ابرهيم ... جنيه ... الصحة ... هذا ... حتى يقدم ... ابرهيم هذا واستقال من منصبه ثم ذهب الى انكلترا حيث مارس ... عشر سنوات ... في خلالها اعلى مراتب الشهرة بين اهل الاختصاص ولكنه اصيب اخيراً ... وعاد الى مصر. فساقه القدر في خلال عودته الى ... ، حيث وجد عزيزة ترقص في احدى ... الليلية (كاباريه) فعادا معاً الى مصر حيث تزوجها واخيراً مات ورأسه على صدرها بعد كفاح شديد ضد المرض

هذا ملخص وجيز لكتاب احسبه يجب على كل مصري ان يقرأه

اللذة

في نظر فلاسفة العرب

للدكتور فؤاد الأهواني

بحث اللذة من الناحية الأخلاقية بحث قديم بدأ منذ شرع الإنسان يفكر في رسم لنفسه سبل الحياة، ويقدر ما يجب أن يعمل، وما ينبغي أن يتجنب. لأن اللذة تمت إلى حد كبير بالخير والشر وهما أساس الأخلاق كلها. واشهر النظريات القديمة التي دارت في أذهان الفلاسفة، وجرت على ألسنتهم، وشغلت أذهانهم زمناً طويلاً، ولا تزال تشغل الذهن حتى الآن، وسيظل الجدل حولها قائماً ما دام الإنسان مقيماً على سطح الأرض، نظريتان عرفتا باسم أصحابهما، وهما مذهب الرواقيين، ومذهب الابيقوريين. فالرواقيون ينادون بالزهد والتقشف والبعد عن طيبات الحياة، والانصراف عن المال والزينة والطعام الشهي، والشراب السائغ واللباس الفاخر، وكل هذه الأشياء التي يستمتع بها الإنسان ويجد فيها لذة الحياة. ويعارضهم ابيقور قائلاً: لم خلق الإنسان؟ يجب أن يسعى جهده إلى تحصيل لذة العيش، واجتناب كل ما يدعو إلى الألم، ولكنه يقسم اللذة إلى أنواع. لذة حسية ولذة عقلية، ولذة عاجلة تستتبع ألماً، ولذة خالدة، وأن اللذة العقلية أفضل من الحسية، واللذة المستقبلة خير من اللذة العاجلة. ولسنا في صدد الكلام في الإطالة عن هاتين النظريتين. وإنما أردت أن أسوقهما للدلالة على الخلاف العام بين الناس فيما يتعلق بهذا الصدد ولأن هذين المذهبين قد اشتهرا بحيث أصبح اسم الرواقي يطلق في الاصطلاح العام على الزاهد الصادف عن اللذة، واسم الابيقوري رادف المقبل عليها.

وقد ذهب فلاسفة المسلمين مذاهب شتى في هذا الصدد، ونستطيع أن نرجع آراءهم إلى نظريات ثلاث: الأولى أن اللذة الحقة هي سعادة الآخرة، وعبادة الله، واتباع أوامر الدين، والانصراف عن نواهيه. والثانية أن اللذة هي تحصيل العلم، وتحكيم العقل. والثالثة أن اللذة في الاعتدال

وأنصار المذهب الاول هم المتصوفة ، وأنصارهم كثيرون في الاسلام ، وأغلب تعاليمهم مستمدة من الدين الاسلامي ، فقد اقتطفوا من القرآن الآيات التي تحض على سعادة الآخرة ، مصداقاً لقوله تعالى « وللآخرة خير لك من الاولى » وفي سورة الاسراء « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة اكبر درجات وأكبر تفضيلا » والآيات كثيرة لا نريد ان نسردها جميعاً ، ولكن الآية التي يستند اليها اكثرهم ونجدها في اغلب الكتب والرسائل هي « اما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى » .

والدافع الاكبر الذي دفع هذه الطائفة الى اصطناع التصوف انهم رأوا أن قد « زال الورع وطوى بساطه ، واشتد الطمع وقوي رباطه ، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، ودانوا بترك الاحترام ، واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، وركضوا في ميدان الغفلات ، وركنوا الى اتباع الشهوات . . . . . » [1]

لذلك دعوا الى الزهد ، وهو سلو القلب عن الاسباب ، ونفض الايدي من الاملاك ، وهو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر ، وهو استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب . وقال الحسن البصري الزهد في الدنيا ان تبغض اهلها وما فيها

وهناك فلاسفة دينيون اقل غلواً من المتصوفين والداعين الى الزهد وترك الدنيا اصلاً ، وهؤلاء هم اهل الشرع الذين يفرقون بين الحلال والحرام ، ويحثون الناس على الاستمتاع باللذة الحلال دون غيرها . وقد ينادون بالصدوف عن اللذات والاقبال على الشهوات فترة من الزمن يكون الغرض منها تقوية النفس وتطهيرها من الادران ، وتسمى هذه الفترة بالاعتكاف ، وهو « عكوف القلب على الله تعالى ، وجمعيته عليه ، والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق ، والاشتغال به وحده سبحانه ، بحيث يصير ذكره وحبه والاقبال عليه ، في محل هموم القلب وخطراته . . . ويصير أنسه بالله بدلاً عن انسه بالخلق » [2]

والنظريتان الاخريان مرجعهما إلى فلاسفة اليونان ، ومن العسير أن نجد نظرية من هذه النظريات خالصة عند العلماء العرب وحكمائهم بل هي مزيج من آراء اليونانيين مع ما قد أضيف اليها بعد ذلك

فابن سينا مثلاً يرى أن « اللذة ادراك لما هو خير عند المدرك والألم ادراك لما هو شر ، وقد يختلف الخير والشر بحسب القياس » [3] هذا هو التعريف الذي يصطلح عليه ابن سينا ،

---

(١) الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ٢ و٣ (٢) زاد المعاد لابن القيم الجوزي ، ج١ ص ٢٤٠، ٢٤١

(٣) كتاب لباب الاشارات لفخر الدين الرازي ص ١٢٣

وهو التعريف [illegible] الاخلاقية [illegible] ان تكون [illegible] في رأيه [illegible] اللذة [illegible] في ادراك الملائم . [illegible] الشهوية الذي [illegible] الادراك العقلي [illegible] الى [illegible] . [illegible] محسوسات فليته [illegible] مدركات [illegible] مدركات [illegible] »(١)

[illegible] تارة ، [illegible] الاعتدال في [illegible] في رسالة [illegible] ان يعده [illegible] . « [illegible] ان تكون [illegible] الرجل الذي [illegible] ارسطو [illegible] في [illegible] الاخلاق [illegible] الشهوانية كي تكون شهوته [illegible] . واصبح مع ذلك [illegible] ناطقة كي تكون ارادته [illegible] »

[illegible] عند العرب ، هي [illegible] بالاعتدال [illegible] في [illegible] وأساسها [illegible] الانسان مركب [illegible] القوة [illegible] والقوة الشهوانية [illegible] الفضائل [illegible] هي [illegible] والعفة وهي فضيلة القوة الشهوانية ، والعدالة جامعة هذه اللوازم [illegible]

[illegible] ان اللذة [illegible] لان الاحساس [illegible] وفي ذلك [illegible] هذه اللذات والآلام لم [illegible] على [illegible] في [illegible] »(٢)

ثم [illegible] الغزالي بعد ذلك [illegible] الانسان [illegible] « وعلى الانسان ان [illegible] شهوته ، [illegible] الافراط . لا سيما الى [illegible] والى المال والرياسة [illegible] والافراط والتفريط في كل ذلك [illegible] في الاعتدال ومعيار الاعتدال [illegible] والشرع [illegible] ومن عرف هذا كان [illegible] على العادة دون [illegible] لا محالة ولا [illegible] ، ويعلم ان شهوة الجماع [illegible] تكون باعثة على الجماع الذي هو [illegible] للنوع [illegible] ليطلب النكاح للولد والتحصن لا للعب والتمتع »(٣)

(١) [illegible] ص ١٢٤ — ١٢٥ (٢) المنقذ للغزالي ص ٧٠
[illegible] الطبعة الثانية

وللفارابي رأيٌ لطيف ذكره في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة ، فبعد ذكر الصفات المختلفة التي يجب ان يتصف بها صاحب الفضل ، وطالب الكمال ، قال « ان يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح متجنباً بالطبع للعب ، مبغضاً للذات الكائنة عن هذه » فهو هنا لا ينكر الاقبال على اللذة اصلاً ، ولكنهُ يطلب الاعتدال ، وعدم الشراهة ، وذكر عن المال « ان يكون الدرهم والدينار وسائر اعراض الدنيا هينة عنده » وعلى العكس من هذا ، مضادات المدينة الفاضلة ، وهي المدينة الجاهلية ، والفاسقة ، والمتبدلة ، والضالة وصفات هذه المدن هي التي ينكرها الفارابي ، ولا تتفق عنده مع الاخلاق الفاضلة ، فقال عند الكلام على مدينة الشقوة والخسة انها « هي التي قصد اهلها التمتع باللذة من المأكول والمشروب والمنكوح وبالجملة اللذة من المحسوس والتخيل ، وايثار الهزل واللعب بكل وجه ، ومن كل نحو »[١]

ولا يخرج رأي الرازي في خلاصته عن نظرية الاعتدال ، وهو الرأي الذي وضحه اشمل الايضاح في « الرسالة الفلسفية » التي كتبت عنها في عدد سابق من المقتطف . ويرجع السبب في ايثاره هذه النظرية الاخلاقية الى أن « ناساً من أهل النظر والتمييز عابونا واستنقصونا لما رأونا نخالف سيرة امامنا سقراط الفيلسوف » وهي الحملة التي استهلَّ بها رسالته . ويرى الرازي انهُ لا حرج على الانسان أن يستمتع باللذات المباحة التي هي قوام الانسان والمجتمع ، ولكنهُ يفصل بعد ذلك اللذات المطلوبة ، والحدود العليا والدنيا لهذه اللذات وهو يرى أن « المغبون من اشترى لذة بائدة منقطعة متناهية ، بدافعة باقية غير منقطعة ولا متناهية . لذلك لا ينبغي ان نطلب لذة ، لا بدَّ في الوصول اليها من ارتكاب امر يمنعنا من التخلص الى عالم النفس ، او يوجب ألماً مقداره في كميته وكيفيته اعظم وأشد من اللذة التي آثرناها واما سائر ذلك من اللذات فمباحة لنا » . ويقول في تفصيل حدود اللذة « الحد الاعلى لها ، ان يمتنع الانسان من اللذات التي لا يمكن الوصول اليها الا بارتكاب الظلم والقتل . والحد الاسفل ، اعني في التقشف والتقلل ، فان يأكل الانسان ما لا يضره ولا يمرضه ، ولا يتعدى الى ما يستلذه غاية الاستلذاذ ويشتهيه فيكون القصد فيه اللذة والشهوة لا سد الجوع »

وهو يطلق أكبر الطعن على اولئك الذين يؤاخذون انفسهم بالابتعاد كلية عن اللذات المباحة ، مثل الرهبان في المسيحية ، والمتصوفين في الاسلام ، ولكنهُ لا يرى بأساً على الرجل الفيلسوف ان يترك كثيراً من هذه المباحات ، اذا كان الغرض منها تقوية نفسه ، وتعويدها العادات الحسنة

الواقع ان الآراء السابقة المختلفة ان هي الا خليط من فلسفة اليونان ، ولعلَّ أحداً يدرسها دراسة اشمل ويحققها تحقيقاً أوسع ، فيردها الى اصولها اليونانية ، ويبين ما أضافه العرب اليها

(١) آراء اهل المدينة الفاضلة للفارابي مطبعة النيل . الطبعة الثانية سنة ١٩٠٦ ص ٦٦ و٦٧ و٦٨ و٦٩

مؤتمر أذرح

بحث في وقائعه

لفاخر عبد الله الربيعي

لا مراء في أن مؤتمر أذرح ومؤتمر التحكيم الذي عقد بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان بعد وقعة صفين وكانت نتيجته وبالاً على علي ونصراً ظاهراً لمعاوية كان من الحوادث الخطيرة الحاسمة في تاريخ الإسلام السياسي لأنه شهد نقطة التحول بين ضربين متباينين من ضروب الحكم التي توالت على الدولة الإسلامية من ضمنهما مظهرين متمايزين من مظاهر تطورها. خلافة الراشدين في صلاتها واستنهاجها سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واستمساكها بتعاليم الإسلام ومثله بعده. ودولة الأمويين في عروبتها وتأثرها الشديد بالعصبية في السياسة والحكم، حيث توفرها على الملك واستفحال العصبية العربية فيها

ويمكن للمؤرخ أن يلحظ هذه الحادثة الخطيرة من وضوح الدلالة ودقة ... في الرواية الإسلامية مثيل بحيث لا تكاد تراها تخلو من فرط العنت والتشويش ... فأين ومتى كان انعقاد مؤتمر التحكيم، وما الوسائل التي تذرع بها عمرو بن العاص لخدع أبي موسى الأشعري؟ ثم أكان أبو موسى ذلك الرجل المؤمن الضعيف الرأي الذي تصوره عامة المصادر، أم ثمة عوامل خفية دقيقة قد استغلها ابن العاص بتدبيره فاضطرته أن ... على وحدة قضيته؟ ... حتى إن كثيراً من المعاصرين لا يمكن للباحث اليوم تجاهلها ولا إغفال ذكرها. يزاد عليه أن معظم المصادر الميسورة لهذا العهد لم تكن كلها ... لأنهم تأثروا بوجهة النظر الأموية فلم تنظر إلى سير الحوادث بعين المدقق البريئة من هوى!

وإذ وضح ذلك فلا بد من التنبيه إلى ما يذهب إليه بعض ثقات المستشرقين من نكران حيلة عمرو الشهيرة. بينا كافة المؤرخين وأولي التحقيق من أهل الرواية الإسلامية تكاد تجمع على التسليم بصحتها وإن كانت على التدقيق مختلفة في بيان شكلها وتحديد ماهيتها. فيذهب الأب لامنس [1] وهو ثقة في هذا الموضوع إلى أنها لو وقعت حقاً لزعزعت من شأن علي وهدمت

---

(1) انظر في دائرة المعارف الإسلامية مادة «أذرح» للامنس

مركزه وتثبيت مكانته. هذا شيء حتى بعد أن ... اخوانه بذلك العهد كانوا قريبين قريبه لم تخفت. لاحدث ذلك عليه ... رفعه المصاحف في اطراف الرماح. ويعرف عنه ذلك الدور ... بين أبي موسى وعمرو بن العاص ... حيث الكفاية والدهاء، الاصحاح عموم الامر والشدد في الخصومة ... أحد دهاة العرب المعدودين الذين ضرب في دهائهم ومكرهم وصفات رأيهم الامثال. ورب رجل من أوساط الناس علق قوله على رأي الشيخ في دهاة أمره تعلقه علي وآخره ... وربما أرباً ماقلا ... وتقاعد ولم ينشط إلى نصرة علي ... وهو لقريبين ... بتهمة الشيعة وموالاة معاوية

ويتضح ما تقدم ان هؤلاء وأولاء جميعاً كانوا يعتبرون كفاة لان ينهلوا هذه الفرصة الفريدة التي أتاحها لهم عمرو بن العاص بحيلته وخدعته واستغلالها في إثارة كوامن الحقد والنقمة في نفوس المسلمين من هذا الرجل (عمرو بن العاص) الذي لم يكد للاسلام ولفت نظر المسلمين لعامة ... وتمويه الرأي على الناس ... كافرط ... ونعاه ... لدى بعض الآخرين ودعاه في ذلك تذهب للمرض والتحرر والتمرد لحقوق صاحبه. ومن ثمة كان رفعه المصاحف في اطراف الرماح أثر بعيد في توسيع شقة الخلاف بين صحب علي حيث أخذ الفساد يدب في صفوفه منذ هذه الدعوة إلى المؤتمر، وبات كل فرد يرى ... وتضاربوا بالسياط ... بعضهم بعضاً وقالوا كفر الحكمان لا حكم الا لله، وانواعم ان عليا اتى من عظيم وتنادموا عنه ... رأيهم فيه ... حتى يرى إلى وقد ... وعجز عن إصلاحهم ... والجرام ... في نفوسهم ... وتداعيهم ... أهل الشام ... لمعاوية فهذا كان ردهم عليه؟ «ويلك ... إنما عبثنا انفسنا ؟!!»(٢)

فهل ... بعد ان ... وانصرافهم الى نفوسهم يخاصمونها على كل صغيرة وكبيرة غير مكترثين لجند الشام وما تبيته جند الشام لهم من الشر والوقيعة أن يبني سخطه على عمرو واستنكاره لحيلته الخادعة؟ اللهم لا ... واذا كان ثمة امرؤ خليق بأن يستهدف لسخطه وصواعق ... فذاك على الحقيقة هو أبو موسى الاشعري الذي ... وبعث نفوسهم للتوجه عليه ... له في المؤتمر. وفي الحق أراد علي ان يمثل ... بادر الى الفرار ولحق بمكة حيث ... على حد قوله ... وعظموا من شأنه(٣)

ويستطرد الاب لامنس فيقول لو كانت هذه الخدعة راهنة لم أخذ أهل العراق ... ولم لم يرفعوا عقيرتهم منادين بالشهداء استنكاراً لها ... عليها؟ ... الا انا نعلم أن ليس

---

(١) تاريخ اليعقوبي ... ١٨٨٣ ج ٢ ص ٢٢٢ (٢) الاخبار الطوال للدينوري طبعة ١٩١٢ م ص ٢٠٥ (٣) العقد لابن عبدربه ج ٢ ص ٢٩٩

من المنطق في كثير ولا قليل أن يسلك أهل العراق في تلك الصائفة الشديدة سلوك الرجال الواثق من عقله ورأيه وحزمه ، لانهم كانوا في حالة من التأثر النفسي السيء لا يملكون معها صرفاً ولا نصراً بل لا يستطيعون حلاً ولا عقداً واخفاقهم في تلك الثورة لفكرية أن يدب دبيب اليأس والقنوط الى قلوبهم وتتفرق كلمتهم ويصبحوا من أمرهم شيعاً وأحزاباً ! وعلى الرغم من ذلك فقد تحركت في نفوس بعضهم عوامل الحقد والنقمة والاستنكار فقام شريح بن هانيء وهو قائد الكوكبة التي أرسلها علي الى المؤتمر عمرواً بالسوط حتى أدماه [1] . ومن كان بوسعه أن يجري في إبداء نقمته الى القصد والغاية ، وقد كان جند الشام وأضيق له بالمرصاد . ثم من يدرينا فلعله لم يكن صادق المودة لعلي كبعض الزعماء والرؤساء الآخرين . وأخيراً يقول أما كان أحرى أن تستفز هذه الحادثة الغريبة عوامل الاشمئزاز والاستنكار في نفوس كبار الصحابة والمحايدين ممن شهد التحكيم ورأى بعينيه هذه المؤامرات المنكرة التي ما أنزل الله بها من سلطان ؟ أجل ! ومن ثمة يحدثنا الطبري أن « سعداً قد شهد مع من شهد الحكمين وأن ابن عمر لم يدعه حتى أحصره أذرح فندم فأحرم من بيت المقدس صرة » [2] ويقول المسعودي « ومضى سعد وابن عمر الى بيت المقدس فأحرما ! » [3]

ويتساءل الاستاذ الصولي « كيف فسر ثورة الخريت بن راشد ذاك الذي أخلص لعلي وشهد معركتي صفين والنهروان ولم يدفع الثقة مع تيار الخوارج لو خدع عمرو أبا موسى هل يعقل أن يندفع في سوق الثورة وينشق على علي بن أبي طالب بينا يعلم أن صاحبه خدع خدعاً » [4]

ولكن أكان الخريت حقاً من الاخلاص لعلي والتعصب له والميل اليه كما يتصور الاستاذ ؟ يروي الطبري أن علياً أمهل الخريت كي يناظره فرأيناً هذا بالامس وخرج شخصياً متسللاً دون ان يراه أحد [5] فلو كان لديه مثقال ذرة من الاخلاص لعلي أما كان بوسعه الخهل ريثما تتكشف له الحقيقة وتتجلى له اعذار علي فامامه كان مصوناً ، ولكن لم التريث والانتظار وقد كان مزمعاً الخروج مهما كلفه الأمر !

وأخرى أليس للمرء أن يستخلص من رواية الطبري أنه كان يأتي الكل فرد على هواها فيسايرها ويجاريها ويريد لها أقوالها [6] أن الخريت لم يبت من رجالات علي المخلصين بل لعله لم يكن من أولي المبادىء القويمة والاغراض النبيلة ! . وعلى أية حال فلو أردنا مجاراة هؤلاء المستشرقين في نكران هذه الخدعة الشهيرة فان منطق الحوادث يدعو الى اقرارها ووجوب

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري ليدن ١٨٧٩ ، ص ٣٣٥٩ (٢) الطبري ج ١ ص ٣٣٥١
(٣) مروج الذهب للمسعودي طبعة باريس ج ٤ ص ٤٠١ (٤) معاوية بن أبي سفيان بيروت ١٩٢٤ ص ٢٣ (٥) الطبري ج ١ ص ٣٤١٩ (٦) الطبري ج ١ ص ٣٤٣١

التسليم بها والا فكيف نفسر انصراف معاوية الى أم حبيبة[1] بنت عمرو او عمرو بن الشورى كان في ذاته مورداً ناهزاً به وهو الذي كان على قاب قوسين او ادنى من أمريه

بل كيف نفسر حملة مصر التي خرجت من الشام بعد المؤتمر بوقت قصير لا يكاد يتسع لتحضير عدتها وعديدها[2] ، الا ان تكون هذه الخطة مدبرة مبيته لا يخفى على الظن أن عمرواً كان معترماً أخذ ابي موسى وصحبه بالحيلة ولا عزو فقد بدأ عمرو بالخداع و حيلة مليته ايضاً بالخداع والحيلة !

وكيف نفسر ايضاً فرار أبي موسى والتحاقه بمكة ان لم يكن له عصبية قوية من أهل العراق كان من قوتها وسلطان تأثيرها أنها اختارته لتمثيل علي في المؤتمر وهو الذي كان خذله ويفرق الناس عنه ؟ فهل كانت تسخر مثل هذه الفئة القوية عن مظاهرته والدفاع عنه لو ذهب يدعو الى جعل الامر شورى بين الناس وهي على ما نعلم من سمو المكانة في نظام الدولة سبيبي ! لا مراء في أنه لو ذهب يدعو اليها لما تهاون هؤلاء في أمره وتركوه طريداً وحيداً شريداً

هذا الى ان الاتفاق على جعل الامر شورى بين الناس معناه الوصول الى نتيجة مرضية يقبلها جمهور المسلمين ويستريح اليها . فكيف نفسر قول ابي موسى يخاطب ... حين لحق بالحجاز « وأصبت قوماً صغروا من ذي ما عظمتم ؟ وعظموا من حق ما صغرتم[3] » وقول بعضهم « ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموها حكمين قد نبذا حكم القرآن من وراء ظهورهما ؟ وأحييا ما أمات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه[4] بغير هدى من الله ، فكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية واختلفا في حكمهما[5] » ورواية بعضهم « مررت مع ابي موسى بدومة الجندل فقال حدثني حبيبي انه حكم في بني اسرائيل في هذا الموضع حكمان بالجور وانه يحكم في امتي في هذا المكان حكمان بالجور قال فما ذهبت إلا اياماً حتى حكم هو وعمرو بن العاص فيها حكماً[6] » . وقول ابن ايمن يخاطب به ابا موسى فيما قال .

تمص الكف من ندم وماذا يرد عليك عضك للبنان[7]

وقول ايمن بن خريم بن فاتك الاسدي

لكن رموكم بوغد من ذوي يمن لم يدر ما ضرب اخماس لاسداس[8]

وقول زيد بن عبد الله الراسبي (وهو من اهل حروراء)

---

(١) الدينوري ٢١٥ والمسعودي ج ٤ ص ٤٠٦ والعقد ج ٢ ص ٢٨٦ (٢) الطبري ج ٦ ص ٣٤٧ (٣) العقد ج ٢ ص ٢٩٢ (٤) ... الحكمين ... اختلافا ولم يصلا الى نتيجة فيه تنبئه صريحة (٥) الطبري ج ٦ ص ٣٣٦١ وج ٤ ص ٤٠٧ (٦) معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٦٢٨ والمسعودي ج ٤ ص ٣٨٣ ... فانها بلا مراء تدور على فكرة اساسية هي فكرة الجور ... المسعودي ... ذلك جوراً (٧) المسعودي ج ٤ ص ٤٠١ (٨) المسعودي ج ٤ ص ٤٠٠

وتحكيمكم عمرواً على غير تربة ... وكان لعمر الله خطل من الخطب
فأنكصه للعقب ... فأصبح يهوي من ذرى حالق صلب (١)

وقول الآخر

ويبس يهادي امه من ضلالة ... مذمومة شيخ منفر عموشان (٢)

قد نفهم من لفظة مختلفين الواردة في بعض الشواهد السالفة انها تشير الى اتفاق عمرو وابي موسى على خطة موضوعة ثم اختلافهما عند التنفيذ غير اننا لا نستطيع ان نفهم من لفظة غادر وغدر وشيخا منفر عموشان وما اليها الا انهما قد ضلا سواء السبيل وساء حكمهما وخاب صورهما. هذا واعتبر قول الآخر يخاطب به ابا موسى تعرض لكشف من ندم وودا

فاي ندم يكون هذا الذي يحتاج معه ابو موسى الى عض الكف ... فيه شرطه ووقوعه في الشرك الذي نصبه له عمرو كما تذهب الرواية. ومهما يكن الامر فان هذه الصفات على الحكمين لا تلائم مبدأ الشورى ولا الداعين اليه من المسلمين كما ... تتأدى لنا من هذا البحث كله ثلاث روايات ... من ... فالرواية الاولى تذهب الى ان الحكمين قد مشيا في المشاورة و ... على خلع علي ومعاوية وجعل الامر شورى بين الناس . لكن عمرواً رام الكيد لاهل العراق فقام ... ابي موسى وخلع عليًا وأثبت معاوية متوخياً في ذلك التأثير على جموع المسلمين ... كان قد هيأه لهذا الامر (٣) وتذهب الرواية الثانية الى ان عمرواً اراد الخلافة ... ثم ... وان هذا الرأي لم يقع موقعاً حسناً في نفس ابي موسى ... وحق ... موسى ...

واما الرواية الثالثة فتذهب الى ان عمرواً اراد اخذ ابي موسى بالخداع و ... في الكلام ونسبة ... ان يهديه عقله ورأيه الى حل يكون فيه الخلاص من هذه الحرب ... التي طوحت بصاحبه وكادت توردهم موارد التلف والهلكة ... الى امر يصلح الله تعالى به امر امة محمد ... فقال عمرو وما هو قال ... ابو موسى ... العراق لا يحبون معاوية ابداً واهل الشام لا يحبون عليًا ... جميعاً ... عبدالله بن عمر ... «وكان عبد الله بن عمر على بنت ابي موسى فقال عمرو ... ذلك عبد الله قال ابو موسى نعم اذا حمله الناس على ذلك ... عمرو الى كل ما ... ابو موسى ...

فقال عمرو اما اذا رأيت الصلاح في هذا الامر والخير للمسلمين فقم واخطب الناس واخلع صاحبينا معاً وتكلم باسم هذا الرجل الذي تستخلفه . فقام ابو موسى وقال ... واستخلفت رجلا قد

(١) العقد ج ٢ ص ١٩٤ (٢) المعجم ج ٢ ص ... (٣) ... المسعودي ج ... ص ٣٩٩ ... الدينوري ص ٢١١

(٤) المسعودي ج ٤ ص ٤٠٢

صحب رسول الله (صلعم) معه وصحبة أبيه وأطرافه ورضي الناس به ثم نزل فقدم عمرو وحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (صلعم) ثم قال أيها الناس إن أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع عليًا وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب وهو أعلم به ألا وإني قد خلعت عليًا وأثبت معاوية عليّ وعليكم»[1]

وفي الحق كان يجب أن نكون في غنى عن ذكر الرواية الأولى هذه لولا أنها تغلب على بعض الروايات التي تصوب إليها الأسس ومن اليوم من المستشرقين سهام نقدهم وتجريحهم لما يلابسها من روعة التشرد وروعة التقمص والواقع أنها في حاجة أعظم من السحر والقصور والنقص من منطق الحوادث ومنطقها الطبيعي المطرد من حيث أنها لا تفسر لنا الدوافع التي دعت إلى قرار أبي موسى الأشعري بتأييد ارفضاض المؤتمر بينما هو لم يعارف دينا يؤاخذ عليه سوى اعتناقه مبدأ الشورى ودعاوته لشريعة أبيه وهو ما عطلت من تكون المكانة والاعراق في نظام الدولة السياسي. كما أنها لا تنهض لحظة أمام ما تمرسه الرواية الإسلامية من الشواهد والحجج الوافرة التي تتبع في نزعة الحكمين وفي آرائهما سنة الله الخاصة سدوة غير المرفقة

ومن الرواية الثانية نفسها خير من الرواية الأولى وأبقى باعتبار أن موقف عمرو بن العاص في المؤتمر من الدهاوة لولاه ثم لتعبه من قبيل المناورات السياسية البارعة التي كثيراً ما يتذرع بها فحول السياسة وقادتهم المحدثون متى عرفت الحلول واستحكمت السبل ودفاع ما يقصدون! وفي الواقع كان عمرو ملزماً حكم ما كان أحداً يحصيه من الافساد على علي وأسود عن معاوية بالأدنى من الاجراءات موقفاً اتخذ وأعجز فيه أدامه مصرح الأولى وإبطاله في الثانية؟[2]

بيد أن في هذه الرواية على أية حال ثغرات يتعذر وصلها بحقة من ذلك أنها لا تفسر لنا هذا الأمر المعقد على قرار أبي موسى وأعماله في أغرب صيد أفراط المؤتمر اشفاقاً على نفسه وشحنًا من أن يناها علي بالعقوبة الصارمة والجزاء المستحق وإلا فمن يستطيع أن يتحمل تبعة ارفضاض المؤتمر دون الوصول إلى نتيجة ملموسة وهل دعه في ذنب غير ذنب امرىء رشد عدوى فأحقق واجتهد فما توفق فكان أحرى أن يقف مرفوع الرأس موفور الكرامة

وأحرى بنا أن نسير هذه الحجج الجمة والمصادر الوافرة التي يتوجه بها علي ورهطه الأدنون إلى شيعه الحادثة وأخواته المستعدة من حيث أن الحكمين لم يلتزما حكم الله وسنته الخاصة العادلة بل اتبع كل منهما هواه ومذهبه، واتباع الهوى والمذهب كما لا يخفى معناه التوصل إلى حل مسمى ووجهه معلومه سواء أكان ذلك بالانفراد أو بالاتفاق معاً فهل اختلف الحكمان وتسابقا أم أنهما انتهيا إلى هذا الحل فتصل هذه الرواية؟ ثم كيف نعلل خروج بعض الطوائف

---

(1) المسعودي ج ٢ ص ٣٩٥ (2) أي عند رفعه المصاحف في الموقعة ولا [illegible] على الوجه المذكور في هذا البحث

من الخوارج على علي لخلعه انه لم يرضَ بعد حكم المؤتمر وأي حكم يكون هذا اذا كان الحكمان قد خلعاه ونسياه فمضى ابو موسى بمكة ؟

بقي ان ننظر في الرواية الثالثة فهي فيما نظن بيت القصيد من هذا البحث لان البواعث التي كانت عند ابي موسى الاشعري في الانخداع وترخص له لنكث بصاحبه واخراجه من هذا الامر الذي يتطلب قربه بكية . فقد كان عبد الله بن عمر كما تشهد الرواية على بنت ابي موسى وكفى بذلك دليلا بدا من عز الدين واذكر روح هذا العصر الذي كان سادته ومترفوه يتنافسون فيه بالمرة على قرب عهدهم بانوار النبوة وعصر الخلافة الذهبي ويستشعرون زينة الحياة الدنيا وأسبابها الفانية

زد عليه ان ابا موسى لم تكن اكيد المودة لعلي بل كان في الدنيا يخذله ويفرق الناس عنه كما كان كاشحاً لمعاوية لا يراه كفؤاً للخلافة [1] ، وكان ابن عمر علاوة على ما كان بينهما من اواصر الرحم وتقرب المواشجة وفوق ما كان بين والده — أي ابن عمر — وبينه من روابط الالفة المستمرة واسباب المودة الصادقة رجلاً زميتاً وقاراً متحلياً بصفات كثيرة تقربه الى الخلافة فهو ورع ومرقته ونصيحة سابقة مع النبي (صلعم) كما انه لم يغمس في حمأة الفتوق التي اشتملت معظم رؤوس الصحابة فلا جرم ان يكون ميل أبي موسى الى ابن عمر أوكد منه الى علي ومعاوية

هذا مع ان هذه الرواية ادنى الروايات إلى الانسجام في سرد الحوادث ومنطقها الطبيعي المطرد ، فدراة مصر المتحله وفرار ابي موسى والشواهد الثانية في الروايات الاخرى وغيره .. وغيره مما لا تفسره هذه الروايات ، تأوله روايتنا هذه تأويلا صحيحاً وتعلله تعليلاً مديداً يسوغ منه بل يثني عليها في تصحيح الرواية الاسلامية المتداولة بهذا الشأن ومذاهب المستشرقين في ذيوعها [2] وعليه فيجب ان نعتقد بان عمراً حين ذهب الى أذرح لم يكن في حسبته سوء نيته والعرعة المعهودة على التفرق بابي موسى وقصده بالحيلة ، او لعله كان مبيتاً له امراً ثم تبدى حين قام بخدعته المذكورة التي اتجها له فكره وصل مرونته السياسية في التو والساعة

كما يجب أن نعلم انه كان بين عمرو ومعاوية منذ بداءة الحرب شبه اتفاق يمول معاوية بموجبه عن مصر ويقطعها عمراً لقاء ما يبذله له هذا من الود والمعونة والمناصحة ، ومن ثمة كانت هذه المراة الصلة المتينة التي بحث شطرها عقيب انفراط المؤتمر . ولا مراء أن كلاً من الحكمين كان قد اتبع هواه في هذا الحكم الجائر الذي كان يعلق عليه المسلمون الآمال الواسعة فلم يتركا عند حكم الله وكتابه ولم يعتمدا على سنته الخامسة العادلة وكان ابو موسى على الاخص قد فرّط بحقوق صاحبه فاستوجب عقوبته واستحق جزاءه ، غير انه بادر إلى الفرار اتقاء ان يلحقه وبال ما صنع

---

(١) الاشعري ٢ : ٢١٢ وطبري ج ١ ص ٣٣٥٦ (٢) فاليزهف ملاك الدراسة وبوبا كزيميا او غيرها من دونهم للبحث فيه

الانتقاد الادبي

أقاعدة لغوية هو أم عاطفة ؟

ليوسف البعيني

في مناظرة أدبية عنيفة تصرّمت نارُها بين الكاتبين الكبيرين اناتول فرانس وفردينان برونتيير حدّد اناتول — ذلك الفنان الساحر المتهكّم — ماهيّةَ الانتقاد بهذه السطور الصاحية الجزلة فقال :

« لا يمكن أن يكون فنُّ الأدب غير عاطفي ، وكذلك نقدُهُ . لأنّ الفنَّ ذاته عاطفة . وكذبةٌ هم اولئك الناقدون من الادباء الذين يزعمون انهم قادرون على انتقاد الأدب بدون عواطفهم . والحقيقة الناصعة عندي هي انهُ ليس سواءً من ناقد يتخذُ مقاييسَ الألفاظ والاوزان سنداً لنقد قطعة فنية أفرغ في روعها صاحبها خلاصة روحه ، لأن المشاكل الخفية في الأدب وفي نقده لا يحلّها علمُ الصرف والنحو ، بل يحوجها تلك العاطفة السوية التي لا تحدّها فواصلٌ وحدود ، ولا تثنيها أسدادٌ وتخوم »

وتحاملَ مرةً نفرٌ من الادعياء المغرورين على الشاعر العبقري الساحر توماس هاردي ، فتصدّى لهُ الناقدُ المبدع — جون رَسكن — وكتب في ذلك مقالاً صافي الذيول لا ازالُ اذكرُ منهُ هذه الجمل :

« إنَّ غايةَ النقدِ الحيّ الرفيع لا تنحصر في بحث الجمل الصحيحة وترديد الالفاظ القاموسية الخالية من الخطأ النحوي ، أنما تنحصر في البحث عن كل جميل ومؤثر في الحياة ، وعن كلّ حسنٍ والغوص في اسرارها واحلامها »

وقال سانت بوف : « الناقدُ النابغ هو ذلك الذي يزيد في ثروة العالم الفكرية ، ويأخذ بها خطوةً في نواحي التقدّم والفلاح ، ثم يكتشف حقيقة اخلاقية رائعة ، ويخترق إلى عاطفة كامنة فيصبُّ كلَّ ذلك في قالبٍ شفّاف عميق في تفكيره ، جميل في اسلوبه »

وقال بودلير: «إنَّ أروعَ نقدٍ هو النقدُ الشعريُّ المبهج، لا ذلك النقد البارد الذي يسلك طريق الجبر في حلّ الامور الرياضية. وعلى الناقد ان يكون رشيق العاطفة، رقيق الاحساس، ومقياسهُ هو الطبيعة باسرها، باسبابها ونتائجها. ثم عليه أن يتأثر ليستطيع الانتقاد. لانَّ كونك ناقداً لا يمنع كونك شاعراً. والاعمال يقرّب بين الامزجة المتشابهة ويسمو بالمدارك الى افق جديد»

وقال هربرت إلسن: «عمل الناقد في الحياة أن يتعهد الحياة بمبادئها الشعرية الناتئة، لا بكلام القاموس وأوضاعه المتهرّئة. وهكذا يجعلها حرة عذبة لابناء الاجيال المستمدّين من المثل الاعلى أحلام قلوبهم وتصاوير أرواحهم»

وقال استيفان رِفيت: «الناقد المختار هو مخلوقٌ غريب يبصر بعين عاطفته الخفية غير ما تبصره أعينُ الناس. هو شاعر والمه معاً. ينظر الى الوادي العميق وما في عُمقه من رهبة وخشوع، ويشاهد الخريف وما في صحوته من حزن وكآبة، ويرى الليل وما في ظلامه من أسرار.. فيكوّن من كلّ ذلك رسماً حافلاً بألوانه، فاتناً باشراقه»

فالانتقاد اذاً ليس معرفة مواضع الخطأ في ما نقرأهُ ونسمعه، او ما كل التحامل في ما نراه، بل هو العاطفة السموية الجبارة التي تتغلغل بها الى اعماق المعاني، فتلمس عبقرية الشاعر الذاكية، وتمس روح الكاتب اذا حلّق وأجاد. ولولا ذلك لكان كلُّ دعيٍّ مأموناً عليها بأسرار النقد فيعيب على المصورين رسومهم وتعابيرهم، وعلى الملهمين فنهم وإبداعهم

إنَّ الانتقاد هو قوّة الحسية غير ملموسة تتوشح اجنحة ابناء الفن المتصدين للمثل الاعلى في هيكل الحياة. اما هؤلاء المنطرحون على الادب انطراح المرأة الدميمة الشوهاء على فراش الجمال، فشأنهم في فهم نبضات القلوب وهمسات الارواح كشأن الوادي يسمع عويل العاصفة فلا يفقه معناه، ولا يقدر ابنه وبلواه

لقد كان الانتقاد العاطفي مجهولاً من نقدتنا العربية في زمن انحطاط الادب وتأخره حتى جاء المجددون فأشرعوا هذا الباب على مصراعيه وخيراً فعلوا. لان النقد المجرد من تعابيره الجامدة القديمة يعتقُ الفكر من قيود الالفاظ والاوزان، بل يسكب في عروقه دم الحياة. والفكر السامي تذويه القواعد العفوية وتميته الاحكام المروضية، فهو كالجمرة المتقدة اذا طمرت بالرماد انطفأت وتلاشت فلا تعود تشيع في النفس حرارة، وفي الخيال ارتعاشاً وسمواً

بيد ان المتمسكين بذيول القديم يأنفون من الاقرار بهذه الحقيقة وجمالها، ويحيون الموت على عاشاة الذوق العصري الذي يستضيئون شمسه الوهاجة. فاذا كتبَ كاتبٌ حديث سير

الطريقة التي كتب بها ابن المقفع كتابه كليلة ودمنة ، حسبوا اسلوبه مبتذلاً . ولماذا ؟ لأنه لا يتسق مع اساليب قدماء المنشئين كالحريري والثعالبي والزمخشري وغيرهم . وان هم ذهبوا في فهم الادب ذلك المذهب الناجي المرصوص ، فلأن نقدهم لا يخرج عن كونه معرفة بحروف القاموس وعلوم اللغة . اما العاطفة ، تلك العاطفة المجنحة التي تغوص بك الى اعمق دركات الفكر والوجدان ، فلا شأن لها في مقاييسهم ولا حرمة

ولكن ليت شعري هل من احد يجوز القاعدة النحوية قانوناً له يقوى على اختراق عالم الشعور والوجدان ؟ والشعور لا حدود له ولا روابط . فالصور والتشابيه التي يرسمها الكاتب او الشاعر عن القمر وهو يرسل اشعته الذهبية في تربة الروض الساجي الحزين ، والصحراء المستطيلة تحت صافية الاديم قلما تلبد بالغيوم او تدوي بالرعود ، والرسم المتسارعة بين خطوطه اشباح الحياة واحلام الموت ، والغراب الاسحم الكالح الوجه ينعب في ليلة حالكة الجلباب منذراً بانقضاء اوقات اللذة والغرام ، واعشاش الطيور تستقبل متمايلة فرحة عند مجيء الصباح ، ثم ان كل هذه الصور والتعابير ما يفهمها ويتبصرها الا الناقد الحار الذي يضم بين ضلوعه عاطفة شجيّة حنونة تتحرك لأخفّ النسمات هبوباً ، وألطف الخطرات والتراكيب دقة وعذوبة !!

●●●

إنَّ حقَّ الانتقادِ العاطفي هو أفسح آفاق الانشاء في دولة الادب ، يستطيع أن يحوِّم فيه كلُّ من أحبَّ ومن أراد . ولكن ليس كلُّ كاتب يجيد النقد عندما ينتقد اذا كان محروماً من ذلك السائل العجيب الذي يدعونه شعوراً ورقةً وإحساساً

كلّنا نسمع حشرجة الجداول وحفيف الاوراق في هدأة الليل ، فنعلم ان الجداول تعضُّها الصخور والمنحدرات فتحدث شكوى وبكاء ، وان الاغصان عندما يلامسها نسيم الاودية تتحرَّك مصفقة متمايلة . ولكن الذي يحتوي بين طيّات صدره عاطفة صافية شفافة يفسر حشرجة الجداول بأنها تحتضر بفعل انفاسه الاخيرة ، ويحمل حفيف الاوراق بنغمات فؤاد تتنازعه الميول والحنين والتذكارات

والأديب كالجدول او كالغصن ، تتألم روحهُ وموازينه محطمةً في مسالك الحياة التي لا ترحم ولا تلين ، فاذا جاء من يقيس هذه النفثات بالارقام الحسابية والموازين اللغوية ، يخطىء الى الفنّ والابداع . وذلك لان الفكر غير محسوس وغير منظور ، وحتى يفهمه الناقد يجب ان يستعمل مقياس عواطفه ومشاعره وإحساساته

وعلى الناقد أن يكون علماً بكلِّ امور الفنِّ الذي ينقدهُ اذا أحبَّ ان يكون مصيباً في

انتقاده . وأنا لا اقصد من هذا انّ على ناقد الشعر ان يكون ورّاقاً خبيراً ، او على ناقد الرواية ان يكون روائياً مجيداً ، لا ، ما هذا الذي أقصده . . من عليه ان يبحث العيب في ما يقرؤهُ نسيَ وجهه كلمات مكتوبة ونسيَ عاطفته الخفيّة آيات مرسومة بالدم والدموع

ومع كلّ الشروط الواجبة على الناقد ان يكون ناقداً منظوراً اليه ، نجد انّ العاطفة هي المحور الاول في فنّ النقد . ولا سيّما انّنا هنا ننتقد الهوى المبني على الارقام والقراريط

فانّ كثيرين من حملة الاقلام — وخصوصاً في العالم العربي — يتناولون قصيدة لشاعر او مقالة لكاتب ، ولا يقصدون من نقدهم الا ان يروا مواضعَ الخطأ النحوي في هذه الكلمة او في ذلك البيت كأنّ النقد الرفيع غايته القشور لا اللباب ، وهكذا يجرمون الى الفنّ والى الكاتب والشاعر المتعدّين بظلم واعتداء ، متناسين انّ أقدس عمل في قانون الناقد ان يمحّص المعاني قبل كلّ شيء ، لا ان ... يكبس يديه ورجليه ... على الالفاظ ليستخرج منها عصيراً ونوراً وحياة

***

فالانتقادُ الادبي اذاً عاطفة لا قاعدة لغوية كما يزعم افلاطون . ولولا انّ جبابرة التاريخ كشكسبير وهيغو وبيرون وجبران مثلاً يؤثرون القواعدَ اللغوية على العواطف الذاتية لما استطاعَ العالمُ الفكري أن يحفل بتلك الروائع التي يبلى الدهر ولا تبلى جدّتها

إنّ المنتقد الذي يعيبُ على الكاتب والشاعر هفواته القاموسيّة ، يبرهن على ضعف ملكة النقد فيه وعلى جفاف ثروته الادبية ، والادب الخلاّقُ المستجدّ لا يبلغُ القمة ما لم يستثمر هذا الفنّ . فالشاعر الفنّان الخالد جبران خليل جبران — وهو ربُّ المجدّدين في الأدب العربي واكبر من تنشّد للسحر والخيال — لو لم يستوعب خلجات فؤاده ويرسمها على جدار الحياة رائعةً فتّانة ، لما عرفت العربية تلك التماثيل الحيّة في الاجنحة المتكسرة وغيرها !

***

وغايةُ النقد الفنّي الصريح هي تلمّس الحياة في جميع حالاتها . فجبران ذاته هو امير الناقدين وانت عنده تمضي الى ومضات روحه تطلّ عليك من كوى الغيب كواعبُ سحرية مجهولة يشعّ منها بريقُ عيونها وهمهمة اردانها . . . وذلك لأنّ جبران — ذلك الناقد الجبّار — عرف ان ينتقد الحياة ويستقطر الالهام من دموع ليلها ، وندى صباحها

اما هؤلاء الذين ينتقدون ومحورهم القواعد اللغوية وحسب ، فليسوا من ابناء الفنّ وان أصرّوا على ان يكونوا منهُ . . . فالانتقاد اللغوي الممسوسة ريشته في محبرة الحقيقة لهُ عاطفته المضحكة ، ونتيجته المخلفة كثيراً عن لبنات ضفادع المستنقعات وأعصاب المعابر ! !

السيطرة على البحر المتوسط

تاريخ المشكلة وأدوارها [1]

لم تعرف للبحر المتوسط مشكلة ما ، قبل ثلاثة قرون ، لان هذا البحر وحده دون غيره كان ملتقى سواحل البلدان التي قامت فيها الحضارات القديمة في هذا الجانب من الكرة الارضية — حضارات مصر وفينيقية وكريت واليونان والرومان وقرطاجنة . فالتاريخ القديم ، او على الاصح تاريخ هذه البقعة من الارض ، كان يتجه الى البحر المتوسط دون غيره ، ويلتقي عنده . واذن يصح القول انه انقضت الوف السنين ، قبل القرون الوسطى ، كان البحر المتوسط فيها عالماً قائماً بنفسه او كان هو العالم كله . على شواطئه وسواحله ، قامت دول اثر دول ، وتعاقب الحكام على هذا المثلث المحدود بشواطئ القارات الثلاث اوربا وافريقيا وآسيا . ومع ان لنا التاريخ عن محاولة بعض الشعوب ، كالفينيقيين ، تعدي حدوده عند اعمدة هرقل (جبل طارق الحديث) سعياً للبلدان التي وراءها ، كان في الغالب محاولات فردية بقصد التجارة لا بقصد السيطرة ، والمعرفة التي جنيت من هذه الرحلات طويت في صدور اصحابها . فالوصول الى جزائر كاسيتريدس الغنية بالمعادن زالت من ذاكرة الانسان بزوال الفينيقيين .

ثم جاء عصر المكتشفات الجغرافية العظيمة ، وهو عهد عجيب من النشاط الانساني ، كان من شأنه نقل محور الحياة الانسانية من موقع الى آخر . فصار الناس حينئذ نحو قرنين من الزمان ، ومسالك الفتح والكسب تتفتح امامهم الى آفاق واسعة بعيدة ، وكان يحدوهم حب المغامرة والمخاطرة ، ويسبيهم سحر الرغبة في الثروات الطائلة ، يفوز بها الفائز من المغامرين [illegible] الصورة التي رسمها المؤرخون للشرق الادنى في العصور الوسطى ، وقد احتشدت فيه الذهب والعطور والافاويه ، لاسيما على [illegible] من القصص الحديثة عن بلدان تفيض ذهباً وتبراً .

وما دالت دولة الامم البحرية في البحر المتوسط ، على اثر هذه المكتشفات الجغرافية ، حتى تسلمت دول الشمال مقاليد السيطرة البحرية ، حتى لقد تجرأ بعضها ان يدحر اساطيل اسبانيا المنيعة التي حافظت بها على سيادتها في البحر المتوسط من جبل طارق الى مضيق مسينا . ومضى قرنان ، دار فيهما النزاع في سبيل انشاء طبقة الامبراطوريات الجديدة ، وكان هذا النزاع في الغالب على متن المحيطات ، على ان البحر المتوسط ، اهمل امره ، واصبح في الاصطلاح العالمي الجديد ، وكأنه بحيرة لا شأن لها . فلما طغت مغامرات المغامرين حدها في امريكا الشمالية وامريكا

---

(١) ... في مجلة « الشؤون الخارجية » للمسيو لويجي فيدريزوني رئيس ... الايطالي

الحيوية ، اتجهت اوربا ثانية . الى اختراق الحجب المسدلة على بلدان آسيا ، وكانت اقرب السبل الى آسيا ، تمر بالبحر المتوسط

قلّ في ذلك العصر ، من ادرك هذه الدورة التاريخية التي تقدم وصفها ، وندر بين الامم من كان له خطة خاصة ونهج معين — مع ان الدلائل تدل على ان اوليفر كرومويل كان قد ادرك بنافذ بصيرته سير الحوادث المتوقع

فالامم في الغالب تسيَّر الى اغراض سيدة مجهولة ، بدافع من فطرتها وباعث من رغبتها في تحقيق بعض الاغراض القريبة . وكانت انكلترا حينئذٍ في عز شبابها القومي ، واشدّ مراسها بالقاهرة ، فاقتنصت انكلترا بحيط من دافع الفطرة وباعث الكسب القريب ، من السبيل الوحيد هدم سيادة مديدتها ، لايكون الا بنصرها في المركز الحساس في حياتها ، اي البحر المتوسط وكذلك نرى نشاط انكلترا في البحر المتوسط ، مظهراً من اهم مظاهر الحياة في تاريخها الحديث فكانت انكلترا تغتنم كل فرصة وكل عذر لتمكن نفوذها فيه وكانت حرب وراثة العرش في اسبانيا ، في اواخر القرن فاضيفت خصومة فرنسا الى خصومة اسبانيا . ولما حاول الامير ال روك Rooke الانكليزي ان ينزل جنوده الى البر في طولون واخفق ، حاول ان يستر اخفاقه بعمل يستوقف النظر ، فاحتلَّ صخرة جبل طارق ، وكانت حاميتها الاسبانية حينئذٍ ضعيفة لاتقوى على المقاومة وكذلك استطاع الاميرال روك وهو لايعلم ان يكسب لانكلترا ، مفتاحاً ، يفتح لها طرقاً جديدة وآفاقاً جديدة لسياستها الحربية الامبراطورية

ومن النادر ان نجد في تاريخ الاعمال الحربية ، عملاً كان له من التأثير في تاريخ اوربا الحديث ، ما كان لاحتلال جبل طارق

فتاريخ احتلال جبل طارق (٤ اغسطس ١٧٠٤) هو بدء المشكلة المعروفة بمشكلة البحر المتوسط

وورثت انكلترا ، باحتلالها جبل طارق ، السيادة على البحر المتوسط ، الطريق الدولي الرئيسي ومفترق الرغبات الدولية الكبرى وادركت انكلترا ، قيمة هذا الارث . فسعت خلال القرون الثلاثة الماضية ، سعياً متواصلاً الى المحافظة على هذه السيادة وتعزيزها ، غير مدخرة لذلك ، قوة ولا مالاً ولا جرأة ولا دهاء . ولكنها في كل عمل عملته لتحقيق هذا الغرض ، كانت تلقي على عملها ستاراً من البواعث الادبية العامة لتسويغه

ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر وصفت عمل انكلترا في البحر المتوسط ، بانه تم في سبيل تحرير الشعوب من استبداد الكاثوليكية الاسبانية . وفي عهد الثورة الفرنسية وحروب نابوليون سوّغت عملها بالدفاع عن النظام ومبدإ الملكية في اوربا ثم اعلنت في عهد تال ضرورة التصدي لخطر نزول المارد الروسي الاوتوقراطي الى سواحل بحري ايجه والادرياتيك ، وجعلت

عدوها في الحرب الكبرى استكفاح مع النزعة العسكرية. وهي اليوم تلقي حملها لدى الدفاع عن النزعة السلمية المتجسمة في جامعة الامم.

هذه المنوّعات الادبية المتشابهة، جعلت لها حسب كثير من الرأي العام البريطاني وطوائف من الرأي العام في سائر الامم. ولكنها كانت في كل حال ستاراً تستتر به مصالح بريطانيا الامبراطورية

ومما امتاز به الشعب الانكليزي مقدرتهُ على تغيير موقفه السياسي ليلائم الاحوال السائدة. ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر، عمدت انكلترا الى انشاء محالفات بين الدول في سبيل تقرير سيادتها في البحر المتوسط، بل وفي العالم. فلما كان نظام توازن القوى النظام الذي ساد اوربا في القرن التاسع عشر، عمدت الى خطة العزلة والاحتفاظ باسطول يساوي في قوته اسطول اية دولتين من دول اوربا. وفي العقد الاول من هذا القرن اعتمدت على المحالفات الدفاعية، ثم لما وضعت الحرب أوزارها لاذت بفكرة التعاون الدولي عن طريق الجامعة، لان الجامعة في نظر الطبقة الحاكمة في انكلترا، تجمع بين اكبر قسط من المساعدة في تأييد مصالحهم وأيسر قسط من الخطر، علاوة على انها تتفق مع النزعة الادبية البروتستانتية في ان الجامعة ملاذ العدل الدولي وموئلهُ

فتاريخ انكلترا في البحر المتوسط يمكن ان ينقسم الى اربعة ادوار

١ — عدم سيادة الدول الاخرى عليه

٢ — الحيلولة دون سيادة دولة جديدة

٣ — انشاء امبراطورية استعمارية بريطانية قاعدتها البحر المتوسط

٤ — المحافظة على مغانمها الامبراطوري المتفوق وتقريره

فالدور الاول بدأ يوم اقبلت انكلترا على البحر المتوسط لتناجز فيه اسبانيا وفرنسا في عقر دارهما، فلما وضعت معاهدة اوترخت كانت نتيجتها تغيير التوازن الاوربي في صالح تفوق بريطانيا البحري في البحر المتوسط، وكان من اثر ذلك تفوقها عليهما في المحيط الاطلنطي كذلك

اما في الدور الثاني فقد سعت انكلترا الى القضاء على كل عمل فيه تهديد لسيادتها في البحر المتوسط بل ولامبراطوريتها الاسيوية التي كانت في دور التكوين حينئذ. فوجهت النزاع اولاً الى مطامع نابليون الشرقية ثم الى مساعي المملكة الفرنسية بعد نابليون اذ حاولت احياء خططها القديمة بالاستيلاء على شمال افريقية. فحملة نابليون الى مصر كان الغرض منها تهديد الهند وهي حينئذٍ قلب الامبراطورية البريطانية الجديدة. ومن ذلك الوقت اصبحت الهند والبحر المتوسط حلقتين لا انفصام لهما في سياسة بريطانيا. ولكن موقعتي ابو قير والطرف الاغر قضتا على حلم بونابرت. ثم حاول الملك شارل العاشر ان يبعث خطة فرنسا القديمة في البحر المتوسط باحتلال

طريق [illegible] سنة ١٨٨٣ [illegible] فترجح به كفة الانكليز [illegible] حدث دون [illegible] بين الدستور [illegible] بريطانيا وفرنسا [illegible] في وضح النهار و [illegible] في الاتفاقات التي عقدت بينهما سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٤

وكان [illegible] مساعدة [illegible] روسيا على الاستانة والمضايق [illegible] كفاحها ضد روسيا [illegible] على الاستانة تمكن روسيا نظاماً دينياً [illegible] والاستيلاء على المضايق يفتح لها [illegible] البحر المتوسط . وليست حرب القرم [illegible] من نتائج هذا النزاع على البحر المتوسط [illegible] هذا الدور من [illegible] انشاء قاعدة بحرية في مالطة [illegible] المضايق في [illegible] الاوربي واحتلال مصر [illegible] الى [illegible] سكة الحديدة [illegible]

و [illegible] الثالث [illegible] بعد حرب [illegible] الكبرى [illegible] اعلان [illegible] وفتح قناة السويس [illegible] انكلترا [illegible] مصر [illegible] الواصلة بين البحر المتوسط والبحر الاسود [illegible] وهي [illegible] بين [illegible] واحد

[illegible] انكلترا مصر [illegible] الطريق [illegible] المواصلات بين القاهرة ومدينة الكاب . وبين [illegible] وعلى ذلك أصبح البحر المتوسط [illegible] الرئيسية [illegible] الناحية [illegible] الامبراطورية البريطانية [illegible] الاستعمار البريطاني [illegible] صحاري افريقية [illegible] وادعاها من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال [illegible] في ذلك [illegible] الامة البريطانية . وكان الاحتلال [illegible] الطريق [illegible] ان اصبحت [illegible] التجارة التي انشأتها [illegible] على سواحل المحيط الهندي عواصم مستعمرات جديدة [illegible] حرب السودان وحرب البوير كانت قدم انكلترا قد رسخت في طرق [illegible] بين القاهرة ومدينة الكاب [illegible] في هذه [illegible] يستول عليها [illegible] الحرب الكبرى . وهي مستعمرات [illegible] التي عهدت [illegible] الامم في الانتداب عليها لبريطانيا

وقد [illegible] بريطانيا في حلال [illegible] هذا [illegible] في [illegible] ثم [illegible] اثر هذا التصادم في [illegible] الذي عقد بينهما على اقسام افريقية اقساماً [illegible] فاعترف لانكلترا بتفوق مصالحها في شرق افريقيا ولفرنسا بتفوق مصالحها في غربها فكفت بريطانيا يدها عن مراكش وكفت فرنسا يدها عن مصر

وكذلك تم الاتفاق الودي بين فرنسا وانكلترا و[illegible] على النزعة الالمانية الامبريالية في مهدها [illegible] خطرها على طرق المواصلات بين اوربا وآسيا [illegible] في الاستعداد [illegible] الروس

من الوصول الى البحر المتوسط عن طريق الاسكندرونه احتلت انكلترا في سنة ١٨٧٨ جزيرة قبرص. ولكن روسيا لم تلبث ان مدّدت قواها في سواحل منشوريا في حربها مع اليابان . وبعد الثورة البولشفية وقيام حكومة السوفييت فيها ، زالت روسيا كعامل فعال في النزاع الدائر حول البحر المتوسط . الا ان اتجاه المانيا الى بغداد قبيل الحرب الكبرى ، كان اكبر خطراً على مواصلات بريطانيا في البحر الاحمر من عمل اية دولة اخرى . فجاءت الحرب الكبرى وقضت عليه . ومع ذلك عزمت انكلترا ان تنشىء طريقاً برية من البحر المتوسط الى المحيط الهندي ، ومكّنتها معاهدة سيفر من ذلك

ولكن حساب الحقل لم يأتِ موافقاً لحساب البيدر (الجرن) فانها انتزعت أزمير والمنطقة المحيطة بها من نطاق نفوذ ايطاليا بعد ما وعدت بها ايطاليا في اتفاق « سان جان موريان » ووعدت بها الى اليونان . ولكن الاتراك بزعامة مصطفى كمال فلوا الخطة التي وضعتها انكلترا وظنت انها اصابت النجاح في وضعها، واستولوا على ازمير وطردوا اليونان من الاناضول

الا ان هذا الانقلاب لم يكن باعثاً على قنوط انكلترا . فلما عقدت معاهدة لوزان رأت انكلترا ان تستعمل البلدان العربية الخاصة لانتدابها في سبيل هذا الغرض الامبراطوري فعهد الى الدول العربية في حماية طريق المواصلات البري بين البحر المتوسط وخليج فارس . وكانت فلسطين مبدأ الخط ، لانها تصلح ان تحل محلّ مصر اذا اقتضت الحال ذلك . فقناة السويس يمكن الدفاع عنها من الغرب ، اي من مصر، كما يمكن الدفاع عنها من الشرق اي من فلسطين حتى اذا فقدت انكلترا السيطرة على القنال، فالعقبة تحل محلّ السويس وحيفا تصلح لان تكون قاعدة بحرية ومرفأ يصدر منه خط الموصل . ثم ان انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين يمكن ان يستعمل لاغراض سياسية في زرع بزور الشقاق بين مسلمي فلسطين ومسيحييها . وقيام امارة شرق الاردن يفصل فلسطين عن الكتلة العربية في الجزيرة وما وراءها . وقد بلغ من نجاح سياسة انكلترا في العراق انها لم تمانع في الاعتراف باستقلاله

***

وهذا يفضي بنا الى الدور الرابع ، وهو الدور الذي تسعى فيه انكلترا ، الى ترسيخ سيطرتها على البحر المتوسط قاعدة بنائها الامبراطوري . ولكن لندن ترى ان العوامل التي تستطيع ان تزعزع اركان « السلام البريطاني » في البحر المتوسط ثلاثة هي النزعة القومية المصرية، ونهوض تركيا ، وقيام ايطاليا الفاشستية . وبعد ما اشار الكاتب الى العاملين الاولين في بضع عبارات ، افاض في اسرار النزاع بين ايطاليا وبريطانيا ، وهو بحث اقرب الى سياسة المناقشة منه الى تاريخ السياسة لذلك اكتفينا من مقاله بما تقدم

محمد علي والامبراطورية العربية (1)

لامين سعيد

لم يعن الذين دونوا تاريخ محمد علي من الاجانب والترك او المصريين ببحث هذه الناحية من تاريخه . فكتب الاولون بذكر سيرته ، ووصف فتوحه ، واصلاحاته ، وعني الآخرون بتشويه صورته ، والانتقاص من قيمة عمله ، اما المصريون فدرسوا تاريخه من الناحية الاقليمية الخاصة بمصر وحدها وبين ايدينا الآن كتابان حديثان اولهما تاريخ الحركة القومية بمصر للاستاذ عبد الرحمن الرافعي والثاني الامبراطورية المصرية للدكتور محمد صبري وقد حاول كل منهما ان يصبغ الحركة بالصبغة المصرية البحتة من دون ان يعنى بدرس الناحية العربية منها مع ان في كتابيهما كثيراً من النصوص والمذكرات والوثائق السياسية التي تثبت ان محمد علي وابنه ابراهيم كانا يعملان لانشاء امبراطورية عربية تضم الاقطار الممتدة من حدود الجزائر غرباً حتى ديار بكر وخليج فارس شرقاً ومن جبال طوروس شمالاً حتى اواسط افريقية جنوباً وبذلك تدخل في دائرتها جميع الاقطار التي ينطق ابناؤها بالضاد وهي الجزائر وتونس وطرابلس الغرب وبرقة ومصر والسودان والشام والعراق وخليج فارس ونجد والحجاز واليمن ولا يبقى في خارجها سوى المغرب الاقصى لانه كان خارجاً عن نطاق الامبراطورية العثمانية وهو القطر العربي الوحيد الذي لم يخضع للاحتلال العثماني ولم يفقد استقلاله

ولقد عنينا في هذا الفصل باثبات الوثائق والمراسلات السياسية والمذكرات والاقوال التي عثرنا عليها في بطون الكتب التي نشرت عن محمد علي وابراهيم مما له صلة ببحث الامبراطورية العربية وتبيين الغاية منها ان هذين البطلين العظيمين سعيا لانشاء امبراطورية عربية تكون القاهرة عاصمة لها تنهض بالعرب وتجدد مفاخرهم ، وتهيء لهم سبل التقدم فينهضوا من الهوة السحيقة التي اوصلهم اليها الحكم التركي ويلحقوا بالامم الاوربية في نموها ورقيها وكانت نهضة اوربا حينئذ في ابتداء اشراقها

لما جاءت الاخبار الى القاهرة باستيلاء ابراهيم باشا على دمشق وزحفه الى حلب استأجر محمد علي باشا سفينة فرنسية تحمل منه رسالتين الاولى الى حكومة جلالة الانكليزي والاخرى من قنصل فرنسا بمصر الى حكومته . وهذا ما جاء في رسالة القنصل الى المسيو سبستياني وزير خارجية فرنسا يومئذ قال .

« ان محمد علي لم يستأجر السفينة الفرنسية لتحمل الى مرسيليا ومنها الى اوربا خبر فتح

---

(1) من فصل من كتاب « الدولة العربية المتحدة » الجزء الاول » تأليف امين سعيد

دمشق ولكنهُ استأجرها لتحمل منهُ رسالة الى الحكومة الانكليزية بواسطة حاكم مالطة لانهُ لا يثق بالقنصل الانكليزي بمصر ويعتقد أنهُ يتلاعب بالاعراب عن افكاره وآرائهِ

« ولم يسلمني رسالة مكتوبة ولكنهُ املى عليَّ افكاره التي يريد ان يعرضها على وزير الخارجية وهي :

« يرى محمد علي ان تركيا واصلة حتماً الى ازمة من الازمات الكبيرة التي يتقرر بها مصير الامم والدول . وانهُ يتم الآن الانفصال بين شطرين من السلطنة تقضي الحوادث والانظمة والضرورة والاقدار بفصل احدهما عن الآخر (يريد انفصال بلاد الترك عن بلاد العرب)

« وكان في الامكان تلافي ذلك لولا عناد السلطان لان محمد علي كان يود دائماً — على الرغم من انفصال احد الشطرين عن الآخر بالفعل والواقع — ان يظل التابع الخاضع الخاص ولكن العناية ارادت غير ما اراد فالآن قد تم انشاء المملكة العربية . والبلاد العربية هي مهد الوحي وهي تحتضن الاماكن المقدسة وفيها مقر الخلافة وتطوقها الجبال من كل جانب كالاسوار ، واذا اضطرت للدفاع عن نفسها انشأت القلاع والحصون التي يتضاعف عددها

« واليوم ينتظر ان يرمي السلطان وجيشه على اسطول محمد علي وجيشه فيكون مصير سطوة السلطان وجيشه السحق فماذا يثمر هذا القتال الذي لا فائدة منهُ ؟ واي امة اوربية تجد فيه ربحها ؟ فلا هي فرنسا ولا هي انكلترا ولا النمسا ذاتها وذلك للاسباب التي يعرفها الجميع ولا يجهلها احد

« والدولة الوحيدة التي يهمها سقوط الدولة العثمانية هي روسيا ويقوم الدليل على ذلك بدفعها الباب العالي بكلتا يديها ضد محمد علي مع اعلان النصب والسخط عليه وعمكت النعمة الباب العالي فلا يعمل شيئاً الا بنصيحة روسيا وأوامرها وروسيا تعرف ان مصر صارت قوة وان هذه القوة تؤيد عند الحاجة الباب العالي ضدها . وتعلم ان الباب العالي المفتون منساق لارادتها ضد الشعور القوي الحي في السلطنة ولذلك تريد روسيا ان يمزق بعضنا بعضاً

« فهل تسمح فرنسا وانكلترا بأن تجر السياسة الخادعة هذه الحفرة ليتردى فيها الجهل والغباوة ؟ ان عليهما وحدهما وعلى رأيهما ووساطتهما تتوقف الحيلولة دون الدسائس فاذا فعلتا كان عملهما خدمة للباب العالي ذاته وللسلام والانسانية

« ان محمد علي وان كان امين فهو لا يطلب — والنصر حليفه — الا ما كان يطلبه قبل القتال فلا يمتد نظره الى اكثر من الحاق سورية حتى حلب بمصر تحت سيادة السلطان وعلى شروط موافقة للسلطان كل الموافقة . اما اذا ترك قواد السلطان لصديق ما كرسمد تكون النتيجة عليه بلايا شديدة

« وهل من يشك الآن في ان الانتصار في سهول حلب عمل عبقرية ابراهيم العسكرية »

ويصل تفوق العرب ويحصل نور الاسطول المصري سوف يقرر مصير الاستانة »

وفي يوم ٣ فبراير سنة ١٨٣٣ كتب ابراهيم باشا عند وصوله الى كوتاهية في طريقه الى الاستانة يقول الى والده « ارى ان يكون الاستقلال مقدماً على كل شيء في المناقشات التي تدور بينك وبين الرسولين (موراڤيف مندوب روسيا وحاليل رفعت باشا مندوب الباب العالي)

« فمسألة الاستقلال مسألة حيوية تتقدم على كل شيء ، وبعد الاعتراف بالاستقلال يجب ان نطلب اضاليا واذنه وجزيرة قبرص وان تضم الى مصر — اذا كان ذلك بالامكان — تونس وطرابلس ، ذلك اقل ما يجب ان نطلبه ولا نتساهل في اي شيء كان مهما كان الامر لان مصلحتنا تقضي به

« ان اصرارنا على طلب الاستقلال هو كي نوطد مركزنا ونحوطه بالضمانات فاذا لم ننل الاستقلال ذهبت جميع جهودنا ضياعاً ، وبقينا تحت يد هذه الحكومة الخبيثة التي توقرنا بمطالبها الدائمة وبطلب المال ، فمن الآن يجب ان نتخلص من الاعباء الفادحة ولا خلاص الا بالاستقلال

« ووالدي يدعونا لطلب اضاليا واذنه هو شدة حاجتنا الى الخشب ، لان مستقبل اسطولنا معلق على ذلك ، فما دامت بلادنا محرومة من الخشب ، وانت تذكر ان انكلترا منعت اصدار الخشب اليها فاضطررنا ان نلجأ الى البلاد التي اوجبنا بعضها اصداره ازعاجاً لا نستطيع نسيانه. وأما ضم قبرص الى مصر فهو ايضاً لازم لا مندوحة عنه لسببين الاول لتكون مركزاً لاسطولنا والثاني لمنع الباب العالي من ان يكون له طريق الى املاكنا واذا شئت ان تطلب بغداد فلا مانع من طرح هذه المسألة على بساط البحث »

يقول عبد الرحمن الرافعي في كتابه تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر في الجزء الثالث ما نصه « ومن الراجح الذي تؤيده الحوادث ان مشروع محمد علي كان يتناول انشاء دولة عربية مستقلة في مصر تضم اليها البلاد العربية في افريقية وآسيا ، ففي افريقية قد استقل بمصر وفتح السودان ، وفي آسيا فتح معظم جزيرة العرب ، وبسط عليها نفوذ الحكومة المصرية وبطموحه الى سوريه اراد ان يؤسس الدولة المصرية الكبرى

ويزيد هذه الفكرة رجحاناً تصريحات فاه بها ابراهيم باشا في خلال الحروب السورية فقد ذكر المسيو كادليفي وبارد في كتابهما انه بينما كان الحصار مضروباً على عكا سئل ابرهيم باشا الى اي مدى تصل فتوحاته اذا تم له الاستيلاء على عكا فقال ما معناه « الى مدى ما يتكلم الناس واتفاهم وإياهم باللسان العربي »

وقابل البارون « لبو الكونت » ابراهيم باشا قرب طرسوس سنة ١٨٣٣ بعد عودته من

كونها خادمة حديثاً طويلاً وكتب عنه يقول « يجاهر ابراهيم باشا علناً انه ينوي احياء القومية العربية واعطاء العرب حقوقهم ، واسناد المناصب المهمة اليهم سواء في الادارة ام في الجيش ، وان يجعل منهم شعباً مستقلاً ويشركهم في ادارة الشؤون المالية ، ويؤيدهم سلطة الحكم كما يتحملون تكاليفه

« وتتجلى فكرته هذه في منشوراته ، ومخاطباته لجنوده في الحرب السورية الاخيرة ، فانه لا يفتأ يذكرهم بمفاخر الامة العربية ومجدها التالد ، ويتصل بهذا المعنى مجاهرته بان كل البلدان العربية يجب ان تنضم تحت لواء ابيه . وقد قال لي ان اباه يحكم مصر والسودان وسورية ومن الواجب ان يضم العراق الى حكمه وان جزيرة العرب تابعة لابيه الذي يمسك الآن على اعلام فتحها

« وهو في صلاته مع اهل البلاد يستخدم اللغة العربية ، ويعد نفسه عربياً ، ولذلك لا يتكلم بعض التركية . وقد لاحظ عليه ذلك احد جنوده وخاطبه بتلك الحرية التي كان يشجع رجاله عليها وسأله كيف يتكلم في التركية وهو منهم فأجابه على الفور « انا لست تركياً فاني جئت مصر صبياً ومنذ ذلك العهد قد مصرتني شمسها وغيرت من دمي فجعلته دماً عربياً »

وفي شهر مارس سنة ١٨٣٣ اي في اثناء الفترة التي كان فيها الجيش المصري يهدد الاستانة ارسل محمد علي باشا الى قنصلي انكلترا وفرنسا في مصر الكتاب الآتي

« انه على الرغم من القوة التي استمدها من شعبي ومن القانون المقدس والفتاوى الشرعية الموجهة اليّ من جميع علماء البلاد العربية قد اصبح من واجبي الذي لا محيد عنه ان اوطد اركان حكومتي ومكانة قومي بجميع الوسائل . ومن تلك الوسائل سوى الحصول على كل البلدان التي اطلبها وهي البلاد التي استوليت عليها

« وبما اني قد بذلت في سبيل ذلك وقتاً طويلاً وجهوداً جهيدة فمن الواجب على الاقل ان يتركوا لي في هذا الكون شيئاً من الشهرة ولن يحملني حب الراحة على ارتكاب عار التخلي عن شعبي الذي وضع كل ثقته بي ، بل اني سأكون سعيداً بأن اموت شريفاً في سبيله فأرجو والحالة هذه من دولتي انكلترا وفرنسا ان تتخذا نحوي قراراً مطابقاً للعدالة والانصاف ولمصالحهم الخاصة »

وفي يوم ٨ مارس سنة ١٨٣٣ ارسل محمد علي الى البارون روسان سفير فرنسا في الاستانة الكتاب الآتي رداً على كتابه اليه قال :

« تقول ياسعادة السفير في كتابك المؤرخ ٢٢ فبراير سنة ١٨٣٣ انه لا حق لي بالمطالبة الا ببلاد عكا والقدس ونابلس وطرابلس الشام وانه لذلك يجب عليّ ان استرد جنودي حالاً من البلاد الاخرى وتنذرني بسوء العاقبة اذا رفضت ذلك . كان رسولك اظهر شجاعاً وبناه

عن تمييت التي زودته بها اني اذا بعثت مصراً على الجسك عطاني فان الاسطولين الانكليزي والفرنسي يتظاهران امام الشاطىء المصري

« حتى حق يجور لك بسعاده السفير ان تعمل على تجريدي مما غنمته ? ان شعبي باسره معصب بي ولو شئت ناديت الروماييين والالبانيين الى الثورة ولو شئت لأحدثت حدثاً عظيماً في تركيا بمساعدة الشعب التركي

« ومع اني اسيطر على ولايات عديدة والنصر حليفي فقد اكتفيت بأخذ سورية التي افيم فيها بقوة السلاح وبمساعدة الرأي العام ، واوقفت جنودي عن التقدم ولا قصد لي سوى عدم اراقة دم لترك عبثاً وعدم اغضاب دول اوربا فكانت المكافأة على هذا وعلى الضحايا العظيمة التي قدمها شعبي الذي مكنني بمساعدته الفعالة من الحصول على انتصارات باهرة ، ان أحاسب الآن بالتخلي عن البلاد التي استوليت عليها وان استرجع جيشي الى منطقة صغيرة يسودها الفوضى ! ألا ترون بذلك انكم تصدرون على الحكم بالموت السياسي ، ان لي وطيد الامل بأن فرنسا وانكلترا لا تأبيان مساعدتي بالانصاف والاعتراف بما لي من الحقوق ان شرفهما يقضي بذلك

« اما اذا كنت مخدوعاً بما املت فاني سأطيع قضاء الله لا عن وسأفضل الموت على احتمال الضيم وسأقدم نفسي بكل ابتهاج فدى لمصلحة قومي ، واشعر بأني سعيد بأن اخدمهم حتى اغيب في لحدي . هذا هو قراري الذي وطنت النفس عليه »

وفي تلك الفترة كتب اللورد بالمرستون وزير خارجية انكلترا الى السر وليام كامبل سفير انكلترا في كابل يقول :

« ان الشروط المعروضة على محمد علي باشا حسنة جداً (يريد بها الشروط الخاصة باعطائه ولاية عكا) ما دامت تحرمه من دمشق وحلب وهما الطريق الى العراق . وفوق هذا يجب ان يثبت كل سنة في ما اعطي له وان كان تثبيته في مصر دائماً

« لقد كان محمد علي يرمي الى تأليف مملكة عربية تجمع بلاد العرب والمشروع جميل بذاته لولا انهُ يقضي بتقسيم تركيا وهذا لا يمكننا ان نسلم به فتركيا هي احسن دولة تملك طريق الهند وهي خير من اي ملك عربي يقوم على هذه البلاد ويكون رابعاً فعل كثير الحركة

« ومن الواجب علينا ان نساعد السلطان في اعادة تنظيم جيشه واسطوله وماليته ، فاذا استطاع ان يعيد النظام الى تلك الولايات الثلاث استطاع البقاء »

وكتب بوغوص بك يوسف الذي كان يتولى ادارة ديوان الخارجية في حكومة محمد علي الى قنصل النمسا بمصر في سنة ١٨٣٤ يقول :

« لا شك انك عرفت الميول العدائية التي اظهرها الباب العالي حديثاً ضد مصر فهو يجمع

منذ بضعة شهور بدون سبب ظاهر جيشاً صغيراً في سيواس بقيادة الصدر الاعظم رشيد باشا مع ان سموه (اي محمد علي) ارسل مندوبه لاتمام المباحثات بشأن الجزية التي تدفع وبشأن الجلاء عن ادنه التي امر ابراهيم باشا باحتلالها موقتاً ليصد بعض القبائل البدوية المتمردة . وفي خلال ذلك اخذ الباب العالي يوزع الاموال بواسطة عبد الله باشا والي عكا السابق لاثارة الفتن والثورات في جبل نابلس وجبال الرحى والقدس وقد عمت الثورات تلك الجهات وتطلب اخمادها مجهوداً استمر ثلاثة اسابيع

« ولما وصل الى محمد علي خبر هذه الحركات العدائية ابلغ قناصل الدول انه قد يرى نفسه مضطراً لاعلان استقلاله لان الباب العالي لا يرضيه سوى هدمه سياسياً والجميع يعرفون ان سموه لم يطلب في حين من الاحيان استقلالاً ، والتفرقة التامة الدائمة بين الوطنين العربي والتركي هو الضمان الوحيد امام من النتائج المهلكة من جراء حرب اهلية ومن عروة احنبية

« واذا اعترف باستقلال سموه فانه يستطيع بعد هذا الاعتراف ان يحصر همه في تنظيم ماليته وفي حشد ١٥٠ الف جندي منظمة تنظيما كاملاً ويتمكن من القيام بالمهمة الكبرى وهي انقاذ تركيا من روسيا »

ولما اطلع مترنيخ (وزير خارجية النمسا يومئذ) على هذا الكتاب كتب الى سفيره في بطرسبرج يقول : « اننا نستنتج من اعتراف محمد علي انه يريد امرين ، استقلاله التام عن الباب العالي وانشاء الدولة العربية »

وفي ٦ فبراير سنة ١٨٣٣ كتب الكولونيل تايلور قنصل انكلترا في بغداد يقول « ان هذه الولاية (ولاية بغداد) هي الآن في اشد حالات البؤس والضيق تحت حكم علي باشا الذي كان قبل تعيينه في بغداد والياً على حلب

« ان انظار الشعب العربي متجهة في هذه الفترة نحو ابراهيم باشا وهو يحبه »

وفي ١٦ يوليو سنة ١٨٣٣ كتب المرر وكني اوستن مندوب النمسا بمصر الى الكونت مترنيخ يقول

« ان اسباباً عديدة تثبت ان فكرة تأليف الامبراطورية العربية لا تزال حية ولا تزال موجودة ، ولكني ارى الى جانب العقل المدبر ، عقل محمد علي ، المطامع الواسعة والهمة العالية في صدر ولده وخليفته ، فابراهيم باشا ابن هذا العصر وقد تربى تربية عصرية عالية وتنزه عقله عن الانصياع على الخضوع للسلطان بحكم المبادىء القديمة

« وارى الى جانب ضعف الباب العالي وهزاله جيشاً عربياً قوياً مرناً على احدث مبادىء القتال ، وارى اسطولاً قوياً ، وكلا الجيش والاسطول يسهل مضاعفتهما . اضف الى هذا كله يقظة الروح العربية بعد سباتها فمحمد علي يتمتع بحسن السمعة والصيت في جميع البلاد العربية »

وعثروا في محفوظات وزارة الخارجية البريطانية على تقرير قدم الى محمد علي بين سنة ١٨٣٢ و ١٨٣٣ عن انشاء الامبراطورية العربية هذا نصه

« ان احدق ترتيب واصلح تنظيم هو ان تؤلف المملكة العربية من مصر وبلاد النوبة وسنار ودارفور وكردوفان في افريقية ومن بلاد العرب كلها حتى الخليج الفارسي ومن الشاطىء الشرقي لنهر الفرات مع دخول سورية في هذه المنطقة

« فاذا تم ذلك يحييكم العالم العربي كاحي التاثر للخلافة الاسلامية وللخلفاء الراشدين وكما يحيي الرجل الذي ارسله الله لاسعاد الاسلام ، وينظر اليه كل عربي كمنقذ لأمانيه وآماله

« وهذه الروح الدينية والسياسية قد تحولت اليكم ، وهذا شريف مكة هو اول المحبين بعونكم وعظمتكم والرأي العام يؤيدكم باصدق امنية ودعائه ولا ريب ولا شك في اصابة وسائلكم على ما عند الباب العالي

« وسنوع امرص يحب البدء بمفاوضة اعيان بغداد وزعماء الشعب على الشاطىء الشرقي للفرات ولا يعارض الانكليز في التقرب من شيوخ الخليج الفارسي ويستطيعون حماية التجارة والصناعة ولذين في تلك البلاد بفضل نفوذكم—ونحن نثق بعرب حلول نكبة في استانبول ، فانكلترا وفرنسا لاتستطيعان الحيلولة دون ذلك والنمسا وروسيا لا تريدان هذه الحيلولة ومن ذلك تكون خطتكم الدفاع منذ تركيا اوربا وشأنها وما هو واقع وراء جبال طوروس لنا تعرفه اوربا ولما كان نائب اساي سيحاول ان يسترد سورية فان من الواجب عليكم العمل السريع

« وتنقص جيشكم في الشام الآن معدات الدفاع فهو يحتاج الى ٢٠ بطارية وفرقتين مهندسين و ٣٠٠ مستشفى وعدد كاف من الاطباء وان يكون عدد الجيش العامل ١٣٠ الفاً عدا العربان المتطوعين راو حب القضاء بصداقة رشيد باشا والولاة الآخرين »

وكتب مستر فارن قنصل انكلترا في دمشق سنة ١٨٣٥ الى وزارة خارجية دولته حينما اراد ابراهيم باشا احتلال بيرهجك على الفرات يقول « ان هذا الاحتلال يجعل لمحمد علي النفوذ الكبير في بلاد العراق ، واذا وصل العراق بدمشق بمرابط عسكرية فانه يضع خصماً ملحم به بين العائل » . وارسل اللورد بالمرستون وزير خارجية انكلترا الى الكولونيل كامبل يوم ٨ ديسمبر سنة ١٨٣٨ المذكرة الآتية لابلاغها الى محمد علي وهذا نصها :

« ا كلفك ان تبلغ محمد علي باشا بأن حكومة جلالة الملكة تلقت تقارير عن حركات الجنود المصرية في سورية وبلاد العرب وهي تدل على انه ينوي أن يبسط سلطة مصر الى جهة خليج فارس وولاية بغداد فبلغ الباشا بكل صراحة ان الحكومة الانكليزية لا تستطيع ان تنظر دون اكتراث الى تنفيذ مثل هذه المشروعات »

١ – دائماً !

كان « جان لاهور » ذا فكرة فلسفية متشائمة من الوجود، [illegible] ولكنه تفكره شعراء، تدور مع روايته ولكنها لا تحطم كما تفعل، ورث زعامة المدرسة « البرناسية » بعد وفاة « سولي برودوم » وورث منه تلك النزعة الهادئة وذلك الأسلوب الرقيق. ولكنه لم يكن مثله علا شعره بالفلسفة الخالصة! فهو يفلسف بصوره وهو شاعر بسمت نظرته الى الوجود نظرة سوداء وفي ظل مذاهب الهند توافقت من روحه هوى فأحب التجرد في الفلسفة الهندية ولكنه لم يفهم تجرده، الذي جمع الخلود، ولم يستطع ان [illegible] من حياتها وحقيقته. تجرده ميل الى الفناء واستسلام الى العدم. [illegible] من حكم واحب وجه [illegible] العدم [illegible] عدمه ويطرح [illegible] النار. [illegible] في الغاية [illegible] الموت. والعدم [illegible]

وديوان « الوهم [illegible] » نقل مذهبه الهندي « حسن »

كل شيء كاذب ، أحب في كل زمان !
أحب واحلم وآمن في التمني ،
وقدم فؤادك الخفاق
لهذه الجراح التي يقدسها

كل شيء باطل ، آمن دائماً
وأحب بلا نهاية ، وغنّ واحلم
لا تترك صحبة الحب
واذكر دائماً ان الحياة قصيرة العمر

لتسكر نفسك بالفضيلة والفن
وليكن السمو هدف عقلك وقلبك . . .
وأحب اللون الوردي . .
وكن شاعراً ان لم تكن الهاً . . .

الحب والحلم هما حقيقة الحياة
فالحياة هي لمعة البرق الخاطف
يلمع لحظة في جواب السماء
ثم يتلاشى في الفضاء

الأهواء وحدها ، الاهواء المشبوبة في النفس
تضيء قليلا يومها اعيننا المنفتحة
قبل ان يغمرنا الليل السرمدي
حيث تتوارى النفس وتزهق الروح .

أفن نفسك اذاً
فكل مصباح يرسل النور وهو يضطرم .
أضرم قلبك وفكر في المجد
الذي ستحول فيه تراباً

هناك الهوة الثابتة غير بعيدة عنا
فاضيء وألمع وأنت تهوي فيها .
واجعل فناءك مشتعلاً ساطعاً
أحب واحلم، وتمنَّ وتألم

٢ — الزوبعة

هل تنظرين الذرات ترقص ؟
والنجوم تخفق ؟
واشباح الاحياء تدور في مدارها الابدي ؟

هل تسمعين في الفضاء كهدير الامواج ،
هذه الضجة الشديدة من صياح وعويل وعواء ؟

اصوات البغض والمقت الشديد
الاصوات الناعمة والاصوات التافهة
اصوات الهانئين واصوات البائسين ؟

هل تسمعينها ممزوجة ببكاء وشهيق
تمشي بينها تنهدات عاشقات ناحبات
يتلقين صلات العاشقين ؟

هل تسمعين كالعاصفة الحائرة في اليم الغضوب
تقبل عليك هذه الضجة الهائمة من انهار ، وجداول وبحار ؟

ومناكب الجبال والسهول
والغابات والمسارب
تمزج اصواتها بأصوات بني الانسان

هل ادركت من هذه الاغنية التي لا تزال تشدى ، وتدور
في هاوية النسيان بلا نهاية
هل ادركت ان « كل لحية » باطلة ؟

هذه الابدان وهذه العيون ، وهذه الثغور ولألائها
هل تحسبين سرعة عطبها ؟
وهذه اليد التي تلمسينها
هل تستروحين ريح الموت فيها ؟

وعلى الرغم من ذلك . . .
اتركي — يا نفس — في الهاوية
واسقطي في زوبعة الاحياء
وانت — يا شبحي ! تمتع ساعة وتألم !
واجرِ مع رغبة الرياح

. . . . .

. . .

وجولي لحظة ايتها النفس وانتِ معانقة جسد امرأة —
في هذه الزوبعة التي لا تنتهي . . .

ريح الفجر

للشاعر الانكليزي كبلنج

اذا فتحت نافذتك قبيل الفجر وسمعت الليل وسامه ،
تسمع الريح وهي ساحبة اذيالها ، تخترق الليل
وتذهب الى الشمس توقظها من رقادها

والاشجار في الليل ترتعش وتلمع تحت لألاء القمر ،
والليل على الرغم من سواده وعمقه تراه يمضي لبيتهم ً ما انصاب
واذ ذاك تهب النيران من مرابضها ، وترعى قليلاً ثم تنام ،
وهي تجتر في عالمها الهادئة . . .

وقد ينهض عصفور من عشه يردد لحناً ثم يسكت ، والريح لا تفتأ قلقة تنمو في كل طريق في الظلام الأربد ! حتى ينشق الظلام قليلاً قليلاً فتعود الى ... ولكنها همس لطيف كأنه خفق جناح ملاك — ولا تزال تصخب حتى توقظ الارض المتشحة بالسواد اشعة الشمس ! فتكتسي الارض رداء ارجوانياً .

ها هو ذهب الفجر يسيل في الحقول
وها هي العصافير تردد الاغاني
والريح قد هبت في المروج وهي تحتضر
والنهار أقبل وجاءت أعماله !

واذ ذاك حين يسر الوجود الهاجع رقادٌ ثقيل كثيف لا رحمة بعده باليقظة ، يحس الناس خلال احلامهم السوداء ما يحلق لهم الهمس في الليل والانين في الرقاد.
ذلك نداء النهار !
وذلك صخبه الشديد
فينهض كل انسان — ناجياً من كيد الليل .
يضحك لجاره ... ويرى بفكره
« ان روحه ُ ليست لاحد ، وانما هي له ُ »

بين عهدين

للشاعر الالماني ستراوس

كنتُ في العهد الغابر —

أود أن أدرك منطق الطيور
وأفهم شكاوي الجداول
وأعرف نجوى النسيم والزهر حين يتلاقيان ويتناجيان
وأدري الى اي أوج تسمو زفرات المحبين
كنتُ حينذاك فتى تغمرني السعادة

واليوم —

قد انطوت كل اماني الماضي
وأصبحتُ أتوق الى معرفة ذلك الطب الذي تتداوى به آلام الحياة
وأسبب في [illegible] على صدره أنواع هموم —
أبتغي أن أعرف :
أهناك أملٌ يصبح غير بعيد ،
يتنفس عن نهار جديد ؟





الاصطلاحات

التي اقرها مجمع اللغة العربية في دورته الثانية

بقلم الفريق الدكتور معلوف

تمثّل

من الالفاظ التي احدثتها على لجنة اصطلاحات علوم الاحياء في السنة الماضية قولها في التمثّل (ص ٧١ من الجزء الاول) عمل من اعمال التغذية به تتحول المواد الممتصة بعد الهضم مواد مماثلة لجسم الحيوان الآكل فاذا اكل الكلب مثلاً دهن خروف هضم هذا الدهن ثم امتصت المواد الحاصلة من هذا الهضم صارت في جسم الكلب دهناً جديداً مماثلاً لدهن الكلب ومخالفاً دهن الخروف

فقلت يومئذٍ ان قول اللجنة دهن خروف من استعمال العامة في الشام ومصر والصواب شحم او ألية فالدهن بالعربية شيء سائل كالسمن فيقال دهن اللوز ودهن السمسم ودهن الزيتون ونحو ذلك واري ان صحة ما يريدون قوله ما يأتي التمثّل والتمثيل عمل من اعمال التغذية به تتحول المواد الممتصة بعد الهضم مواد مماثلة لجسم الحيوان الآكل فاذا اكل الكلب مثلاً شحم خروف هضم هذا الشحم ثم امتصت المواد الحاصلة من هذا الهضم صارت في جسم الكلب شحماً جديداً مماثلاً شحم الكلب ومخالفاً شحم الخروف فالكلب قد مثّل شحم الخروف وشحم الخروف هو الممثّل اي اني قلت ان الدهن بهذا المعنى خطأ وصوابه ان يقال شحم

ولكن اللجنة الموقرة راغت في هذه السنة من كل هذا حتى لا تقول الشحم فقالت التمثّل (ص ٣٤ من الجزء الثاني) تحول المواد المأكولة بعد الهضم والامتصاص سوائل او انسجة مماثلة لجسم الحيوان الآكل اي انها تركت الشحم ولعلها تعود اليه في السنة المقبلة فالشحم موجود لا ينسى وهو وارد في التوراة وفي القرآن الكريم كما ذكرت في جزء ابريل الماضي عسى ان اللجنة الموقرة تعود الى الشحم والتمثيل والتمثّل والى المواد الشحمية في السنة المقبلة

ولا بدَّ لي هنا من شرح الشحم والمواد الشحمية وانهُ لا يجوز غيرها فالمواد الدهنية التي قالت الفحة (ص ١٨٥ الجزء الثاني) لا يجوز فيها الا المواد الشحمية فلا يخفى ان هذه المواد عند علماء الزراعة الشحوم والادهان فالشحوم معروفة وقد اسهبت فيها في جزء اربيل الماضي اما الادهان فهي الادهان الثابتة اي الزيوت الثابتة فاذا قلنا المواد الدهنية فانها لا تشمل الشحوم لذلك قلت ان المواد الدهنية لا تجوز تماماً لان الشحم اعم من الدهن وهو الاصل ألا ترى ان الفحة حذفت الشحم وقالت في هذه المواد « ومن مثلها الزبد والزيت » (الجزء ٢ ص ١٨٥) وكانت في السنة الماضية « ومن مثلها الزبد والدهن والزيت » (جزء ١ ص ٨٣) وهي تريد بالدهن ما صوابه الشحم فاذا اعادت الشحم كان قولها صواباً والا كان تعريفها ناقصاً لذلك رأيت ان اذكر في ما يلي الترجمة الصحيحة للكلمات الآتية فتعد ان المواد الدهنية كما هي في الصفحة ١٥٠ والصفحة ١٨٥ من الجزء الثاني خطأ وصوابها المواد الشحمية ولا يجوز غيرها

تمثيل وتمثّل اي من المتعدي واللازم	Assimilation
شحم اين كان ولا يقال دُهن	Fat
شحمي ولا يقال دهني فالنسبة الى الشحم شحمي لا دهني	Fatty
دُهن جمعها أدهان وقلما قال العرب الزيت فالزيت هو دهن الزيتون على التحقيق	Oil
دُهني	Oily
زيت او دهن الزيتون	Olive oil
دهن ثابت او زيت ثابت وهو دهن الزيتون اي الزيت	Fixed oil
الشحوم والادهان	Fats and oils

وعلى في ما تقدم صحة ترجمة الالفاظ الآتية وهي التمثيل والتمثّل والشحم والشحمي والدهن والدهني والزيت والزيت الثابت والشحوم والادهان فقولنا المواد الدهنية خطأ والصواب المواد الشحمية ولعلَّ قولنا المواد الدهنية على مذهب « ماعليش » لان الدهن اذا جمد صار شحماً والشحم اذا سال صار دهناً فهذا القول منطق فاسد

ونعود الآن الى سياق الكلام عن الالفاظ الاخرى التي ذكرتها الفحة الموقرة

ص ١٦٤ علاقة الدقاق اي المكركوب فقد كانت الفحة استعملت قبلاً الجهر (الجزء الاول ص ٩٨) ثم عدلت عنه والجهر شائع كثيراً في مصر والشام والعراق وهو احسن كثيراً من

علاوة على ذلك لا نرى ان اللجنة عادت اليه مراراً فقالت حي مجهري (ص ١٣٢) وقالت نوع من الاحياء مجهرية (ص ١٤٠) والمجهر من اوضاع الشيخ ابرهيم الحوراني وقد فاتت فلا ان اذكر م سماه واجب ولا سيما بعد وفاته ومن علماء مثلهم صعداء بعد عرطوبين تموت اعضاء اصبح اللغوي وتحفظ ذكرهم بما وضعوه من الالفاظ

ص ١٧٣، المنا ر وقد عدم من الصواب في ترجمه هذه الكلمة هو الوزم

ص ١٧٤ : الحيوانات المتغيرة الحرارة فقد كان قول اللجنة فيها ما يأتي هي الحيوانات التي تتغير حرارتها الداخلية اذا تغيرت حرارة البيئة التي تعيش فيها مثل الديدان والاسماك والضفادع والحلكات والثعابين والتماسيح فقلت ان صحة تعريف هذه الحيوانات ما يأتي هي الحيوانات التي تتغير حرارتها اذا تغيرت حرارة البيئة التي تعيش فيها مثل الديدان والاسماك والعظاء والحيات والتماسيح اما تفضيل العظاء على الحلكات فهو لان العظاء اعم وهي تشمل الحلكات وغيرها من العظاء واما تفضيل الحيات على الثعابين فهو لان الحيات اعم من الثعابين فالثعابين نوع من الحيات من كلام العامة في مصر فالافعى من الحيات لكنها ليست من الثعابين فقالت اللجنة كما قلت في الديدان والاسماك والضفادع والعظايا والحيات والتماسيح وانما غيرت العظاء فجعلتها العظايا جمع عظاية والعظاءة وذكر اللغويون فيهما عظاء وعيظاء وعظايات وعظاء وعظي العظاء افصحها ولكنها اسم جمع او اسم جنس جمعي وعلى كل فقد قالت اللجنة كما قلت وغيرت فيها كلمة ولعلها مصيبة في هذا التغيير

***

وقد اصاب النقد لجنة العلوم الطبيعية والكيمائية فكان مما ذكرته ان اللجنة قالت المغنطة بالتصور او ممغطسة بالتأثير فقلت الصواب ممغنطة بالتجاور او ممغطسة بالتأثير وقلت لا يحق ان المغنطيس كلمة يونانية الاصل وقد ذكرها القزويني وغيره بهذا اللفظ اي حجر المغناطيس فالنون فيه اصلية فيجب ان يقال ممغنطة لا ممغطسة فيقال مغنطه فتمغنط لا مغطسته فتمغطس وهو ما جرى عليه اساتذة بيروت منهم الدكتور فان دايك والمعلم اسعد الشدودي والشيخ ابرهيم الحوراني وغيرهم

واخذت على اللجنة قولها في ص ... الابنوسية وقلت احسن منها الآبنوسية بالمد مع ان الابنوس قد ورد بغير المد والمد احسن ولكن ليس الخلاف على هذه الكلمة بل الخلاف على التسمية فالساسم غير الآبنوس فهو شجر هندي يشبه الآبنوس ولكنه ليس به

وقالت اللجنة في ص ... مَسلم بالفتح وقلت الصواب مُسلم بالضم اخصص ١٢ ٣١ وقالت اللجنة شحمة بالضم فقلت شحمة بالفتح

وسكن لجنة العلوم الطبيعية زاغت من كل هذا فتركت هذه الألفاظ كلها ولم تذكرها في المجلد الثاني ثباتاً وبعلها حتى الآن لم تتفق على المسطة والمعطنة او لانها تركتها حتى تنسى المسألة حسب الفاظ او ارمه تروح منها اللجنة مع انه مضى عليها سنة وبعض اسنة فكيف تمرر الالفاظ الدقيقة وهي الوف والوف ولا تنتهي منها فأي متى تنتهي الوف الالفاظ الطبيعية والكيميائية فاذا انتهت يكون الافرنج قد وضعوا غيرها

هذا شيء يسير جداً مما احدثته على لجنة علوم الاحياء ولم اذكر الأمور المختلف عليها بل ذكرت الالفاظ التي لا خلاف فيها ولم اذكر الالفاظ التي وضعها المجمع الموقر او بحث فيها لان اعضاءه من ائمة اللغة الذين يشار اليهم بالبنان ثم اني اقتصرت في النقد على الفاظ علوم الاحياء وهي ألفاظ قضيت العمر في تعقبها وجمعها ولا يخفى ان معرفة اللغة وحدها لاتكفي في تحقيق مثل هذه الالفاظ بل يقتضي التحقيق معرفة في اللغة ومعرفة دقيقة في العلوم العصرية وان امراً مثل هذا يتعذر او يستحيل على رجل واحد ولو وصل الى ما لم يصل احد غيره من العلم فهو امر يحتاج الى علم واسع وصبر وجلد وحسن نية واخلاص وامانة في النقل وصدق في الرواية ودقة في تتبع الالفاظ وانى لنا بمثل هذا الرجل وبعلُ من ليس من اعضاء المجمع الموقر وضع مثل هذه الالفاظ دون المجمع وقد جمع علماء اللغة لا يمكن ان يصل شيئاً من هذا ولا يمكن ان يصح الدهن مثلاً مكان الشحم وكلاهما وارد في القرآن الكريم ولا شبهة في صحة تفسيرها

***

هذا وارجو من المجمع الموقر ان لا يحمل نقدي الا على حسن نية واخلاص وما سرقة الادب فان طبعي لا يحملها فهي اشد ضرراً من سرقة الاعراض واني شديد الوطأة على مقترفها من الرجال وقد مرّ ذكره مقتبس من معجم الحيوان بلا اقل شبهة فانا نريد من يحمي الادباء من لصوص الادب فاذا كان مجمع اللغة وقد جمع شيوخ العلم والفضل لا يحميهم فانهُ لا قوة في الدنيا تقدر على ذلك بقولنا ان كلمة واردة في كتب اللغة لا يكفي لتبرئة المقتبس فكثير من الالفاظ وارد في كتب اللغة لكن الذين يجمعونها قليلون والأ فكيف يكون النقد النزيه اذا كان المرء لا يأمن على ما افنى العمر في تحقيقه فاقتباس الرجال سهل في حد ذاته وانما كنت اود ان لا يقع في مجلة عليها اسم مجمع اللغة الملكي وبعلم الله ما كابدته من العناء في تحقيقه وقد ذكرته في الصفحة ٧٥ من معجم الحيوان فليراجعه من يشاء وليحكم في التحقيق فنحن نريد ان يكون المجمع مرجعاً للادباء يحتكمون فيه فاذا كانت الشكوى منهُ فالى من يحتكمون. هذه كلمة صادرة عن اخلاص واعلم ان اعضاء المجمع منزهون عن كل شبهة كل واحد منهم وسكن السرقة واقعة بلا ريب او قل الاقتباس لانهُ اخف وطأة



البونا والبوتادين

في معرض السيارات الالماني الاخير أعلن الهر هتلر ان شركة المانية قد حلت معضلة الكاوتشوك الصناعي واشار الى عجلات سيارات مصنوعة من كاوتشوك «البونا» كانت قد امتحنتها السلطات العسكرية وغيرها

ولكن ما هو كاوتشوك «البونا»؟ لا الهر هتلر قال ولا منشورات الشركة التي صنعته وانما ذكر اسم مركب يدعى «بوتادين» قيل ان «البونا» صنع منه

والكاوتشوك كالايمن مركب ايدروكربوني اي انه مركب من عنصري الايدروجين والكربون الا ان المركبات الايدروكربونية تحصى بالالوف واحدها مركب يدعى «ايزوبرين»

فمن نحو ستين او خمس وستين سنة ذهب الكيماوي الفرنسوي «بوشاردا» الى ان الكاوتشوك الطبيعي مركب من جزيئات صغيرة من الايزوبرين وقد كان على صواب في ما ذهب اليه. إن إحماء الكاوتشوك يفضي الى الحصول على الايزوبرين فاذا امكن الفوز بمصدر رخيص يستخرج منه الايزوبرين فليس عسيراً تحويله الى كاوتشوك

وظن الكيماوي الانكليزي «تلدن» ان هذا المصدر هو زيت التربنتينا فقضى سبع سنوات يحاول ان يصنع الكاوتشوك من الايزوبرين المستخرج من هذا الزيت ولكنه لم يظفر الا بمركبات ايدروكربونية سائلة اشبه بالزيت الا انه على الرغم من اخفاقه في تحقيق ما يصبو اليه مهد السبيل للبحث عن طريقة لصنع الكاوتشوك الصناعي

واقبل الاستاذ «هريز» احد علماء جامعة كيل على البحث في الموضوع فقضى فيه ثماني سنوات من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩١٣ ولكنه لم يكتف بحصر بحثه في مركب الايزوبرين بل تناول كذلك فيه مركب البوتادين وهو يمت بصلة القربى الى الايزوبرين فكشف هو والاستاذ ماثيوز الانكليزي كيف يمكن ان تجمع جزيئات البوتادين حتى تتألف منها جزيئات كبيرة هي جزيئات الكاوتشوك. والواقع ان البوتادين نفسه غاز يتحول بهذه الطريقة طريقة تجمع الجزيئات الى مادة جامدة او مطاطة

وتناول الدكتور «هرتر هوفر» موضوع البحث مؤيداً من قبل صناعة قطران الفحم الحجري الالمانية فصنع من البوتادين كاوتشوكاً في سنة ١٩١٠ وبيع من هذا الكاوتشوك نحو عشرة

حدث في المانيا قبل الحرب الكبرى ولكن معدات صنعه كانت كبيرة مربكة في وسع صانعيه ان يتنافسوا به الكاوتشوك الطبيعي

فلما نشبت الحرب الكبرى وانقطعت صلة المانيا بالعالم حاول الالمان ان يصنعوا الكاوتشوك على طريقة هوفمن ولكن الادوات اللازمة لصنعه كانت تعوزهم حينئذٍ فارتدوا الى طريقة هرز وهي صنع الكاوتشوك من الايزوبرين ولكن الكاوتشوك الذي صنع كذلك لم يكن جيداً

***

وبعد الحرب لم يجد هوفمن او غيره من علماء المانيا حافزاً للمضي في هذا البحث علاوة على نفقته العظيمة بعد هبوط المارك خصوصاً. ولكن هوفمان عاد اليه من نحو عشر سنوات وشجعته الدولة خشية نشوب حرب اخرى تقطع فيها صلة المانيا بالعالم على نحو ما تمَّ في الحرب الاخيرة. وهذا الكاوتشوك الجديد المعروف باسم « بونا » هو ثمرة هذه المباحث على ما يظهر

يبدأ الالمان بالجير والكوك والملح والماء وكذلك يبدأ الاميركيون الذين يصنعون الكاوتشوك الصناعي المعروف باسم «دوبرين». (وقد وصفناه في مقتطف ديسمبر ١٩٣٠ ص٥٤٩) فيحولون الجير اولاً الى كاربور الكلسيوم فاذا صب ماء عليه تولد غاز الاستيلين. ومنهُ تستخرج البوتادين في المانيا والكلوروبرين في اميركا وهذان الغازان يحولان الى كاوتشوك بطريقة تجميع الجزيئات وهذه الطريقة هي مطوى السر في البلادين

ارانب لا أب لها

هذا هو السؤال الذي يسأله كل من يطلع على التجارب الحديثة التي قام بها الدكتور غريغوري بنكس الاستاذ بجامعة هارفرد الاميركية

ذكرنا قبلاً في هذا الباب نتائج تجارب سابقة اجراها هذا العالم وملخصها انهُ اخذ بيض اناث من الارانب ووضعها في انبوب ادخل فيه نطف الذكر فتمَّ تلقيح البيض وبعد التلقيح نقل بيضة ملقحة الى رحم ارنب وتركها هناك فتكون جنيناً سوياً. فكان هذا من حديث الدوائر العلمية وغير العلمية مدى اسابيع

ولكن الدكتور بنكس لم يقف عند هذا الحد ففي اسابيع اجتمع مؤتمر جمعيات علوم الاحياء التجريبية في وشنطن فقرأ فيه احد زملاء الدكتور بنكس رسالة وصف فيها التجارب الجديدة التي قام بها استاذ جامعة هارفرد وملخصها انهُ اخذ بيضة من انثى ارنب ووضعها في انبوب ليس فيه الا محلول ملح ثم اعاد البيضة الى رحم الارنب فتكون منها جنين سوي

ثم جرب تجربة اخرى من هذا القبيل استغنى فيها عن محلول الملح واكتفى برفع حرارة الانبوب الى درجة ١١٣ فارنهيت (اي درجة ٤٥ مئوية) ثم اعاد البيضة الى رحم الارنب فتولد منها جنين سوي

هذه هي حقائق التجارب التي قام بها الدكتور بنكس وهي على ما ترى تختلف عما هو معروف في بعض الاحياء العليا من ضرورة اجتماع نطفة الذكر ببيض الانثى حتى يتم التلقيح

فهل ان الدكتور جاك لوب عمل ما ... في حيوان « الرتب » اذ جعل بعضه يتصرف كأنه ملقح بتأثير مجرى ... بوجه ... كهربائية ... الحيوانات العليا لم يتم قبل تجارب الدكتور ... شكس على ما يظهر

الجاموس الافريقي

جاء في معجم الحيوان ان الجاموس الافريقي من اشد الجواميس خطراً على الانسان ويعرف في السودان بجاموس الخلاء ولا يستأنس البتة . وهو بحسب مقال في مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية من طائفة الثيران البرية وهذه الطائفة متصلة الى حد ما بالثور الامريكي او الاليف الا ان هذا الضرب المعروف بالجاموس الافريقي قلما يشابه الثور الاليف في شكله وهيئته و... بعداً عنه اذا قابلنا بين سلوك الاثنين فالجاموس الافريقي مشهور بأنه من أشد الحيوانات ... ومحاولة صيده مغامرة كبيرة فهو شرس قوي الاضلاع بارع في اختيار المكان الذي يهجم فيه على عدوه وزمن ذلك الهجوم وكثيراً ما افضت قوته وشراسته ودهاؤه الى وقوع ضحايا في جماعات الصيادين الذين يتأثرونه

الجاموس الافريقي منتشر في شرق افريقيه من جنوب الحبشة الى رأس الرجاء الصالح واكثر ما يوجد قرب الماء ... حيث يعوزه الماء او يندر فهذا الضرب من الجاموس لا يوجد به اثر او قلما يوجد له اثر

... بعض ... الاجتماعية ... من عشرة جواميس او ... مائة جاموس والقطيع ... الاناث والذكور وليس فيه على ... الرحالين والصيادين جاموس واحد ... او مرشد كالساعور في جماعة المعز ... الاناث عن الذكور في ان قرونها ... قرون الذكور وتميل الى مهاجمة ... او استثارة ... ان الذكور ... ولا تهاجم الا ... لها ... ومكان ...

و... تتناول هذه الحيوانات طعامها ... في حر النهار في بطيحة ... فاذا مالت الشمس الى ... تخرج للبحث عن مرعى ترعى ... وفي ... تعود جماعات من ... الصبح ... في المنطقة التي ... فالغالب انها تشرب كفايتها من الماء قبل العودة الى المطالع للاستراحة وقد تكون المسافة بين النهر ومكان الراحة اميالاً

هذا الجاموس شديد الحذر مرهف الحواس وهو ... حواس البصر والشم والسمع لذلك يحتال بارع في الحذر والحرص ... وهو في الغالب لا يهاجم الا اذا ... في الغالب لان بعض الصيادين ... ذكروا حوادث هجم فيها الجاموس ... على الناس لم يبادئوه العداء

راديوم الدائرة القطبية

يبلغ ثمن غرام الواحد من الراديوم الآن نحو ١٥ الف جنيه وذلك لندرة المناجم التي يستخرج منها تبره ولعظم المقدار من التبر الذي يستخرج منهُ غرام او جزء غرام من الراديوم ولتعدد عمليات السحق والفصل والتحليل التي تفضي الى ذلك الاستخراج

وقد قرأنا الآن ان تبر الراديوم قد وجد في مناجم على شواطئ بحيرة الدب الكبير عند الدائرة القطبية الشمالية في شمال كندا ولأن من المتعذر ان يبنى في تلك الاصقاع القطبية المتجمدة مصانع لاستخراج الراديوم من تبره فقد انشئت مصانع في بلدة بورت هوب بمقاطعة اونتاريو بكندا لهذا الغرض وهي بلدة تبعد عن منجم الراديوم الشمالية نحو ثلاثة آلاف ميل

كان هذا التبر يستغرق اسابيع في نقله اولاً من المنجم الى بورت هوب ولكن استعمال الطائرات الآن يمكن القائمين على هذا العمل من نقل التبر من المنجم الى المصنع في ثلاثة ايام ونصف يوم اذا كانت الحالة الجوية مؤاتية

*

الغذاء واطالة العمر

وضع الدكتور هنري شرمن استاذ الكيمياء بجامعة كولومبيا تقريراً قدمهُ الى معهد كارنيجي بواشنطن قال فيهِ ان اطالة العمر خمس عشرة سنة ممكنة بالغذاء الملائم

كان هذا التقرير نتيجة تجارب جربها بالجرذان لان كيمياء غذاء الجرذان شبيه بكيمياء غذاء الانسان فالنتائج التي اسفرت عنها هذه التجارب يمكن تطبيقها على الانسان

قسم الدكتور شرمن جرذانه الى طائفتين، فغذى الطائفة الاولى غذاء يحتوي على القمحيات وغيرها من مواد الغذاء التي لا غنى عنها . وغذى الثانية غذاء نوعياً يختلف عن الاول في مقدار اللبن الذي فيه فمقدار اللبن في طعام الطائفة الثانية جعل اجسام الجرذان اكبر وفيتامين A اكثر فكانت حياة الطائفة الثانية أطول من حياة الطائفة الاولى وأشد حيوية ونشاطاً . والنتائج التي وصل اليها تبين انهُ اذا صح على الانسان ما يصح على الجرذان صار دور الهرم في الانسان التي تبدأ في الظهور في السنة ٦٥ من العمر تتأخر بفضل هذا الغذاء الى سن ٧٥ او سن ٨٠

*

عرق الطيور

من المعلوم ان العرق الذي يتصبب من اجسام الحيوانات الحارة الدم عند ما ترتفع حرارة الجو او يكثر عمل الجسم انما غرضهُ خفض حرارة الجسم لابقائها على مستواها الطبيعي وهذا الخفض يتم بالتبخر ولكن الطيور وهي من الحيوانات الحارة الدم لا تعرق، فكيف تحتفظ حرارة جسمها سوية وتحول دون ارتفاعها؟

اولاً انها تطلب ظلال السواقي والحدائق والحراج في حر الظهيرة فيساعدها ذلك قليلاً . ثم ان لها نظاماً من الاكياس الهوائية في صدرها متصلة برئاتها تبرد الدم عند ما يدور دورتهُ الرئوية

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يعقد مجمع تقدم العلوم البريطاني اجتماعه السنوي في اواخر الصيف من كل سنة في مدينة من مدن انكلترا او مدن الامبراطورية وقد سبق عقده مراراً في كندا وجنوب افريقية واوستراليا

وستقرر أن يعقد هذا المجمع السنوي القادم وهو الاجتماع الخامس بعد المائة في مدينة بلاكبول في شمال انكلترا في ٩ سبتمبر ورئاسة السير يوشيا ستامب العالم الاقتصادي المشهور فيه ومن المحاضرات النفيسة التي يتقرر ان تلقى فيه محاضرة عنوانها « المهندس والامة » يلقيها الاستاذ كرامب احد اساتذة هندسة برمنهام

•

حفظ اللبن طازجاً

استنبط في الولايات المتحدة الاميركية من عهد قريب اسلوب سريع لحفظ اللبن المعقم طازجاً مدة ثلاثة أشهر بعد تعقيمه

وهذا الاسلوب عبارة عن آلة محصنة تضع الغطاء على زجاجات اللبن ثم تختمها ذلك ان الزجاجات تملأ اولاً باللبن المعقم . ولكن سطح اللبن في الزجاجة يبقى معرضاً لما في الهواء الملامس له من المكروبات . فمنع تطرق الفساد الى اللبن يجب ان تعقم سطح اللبن قبل اقفال الزجاجة وختمها وهذا الغرض استنبطت هذه الآلة تمر بها الزجاجات وقد مثلت لنا معقماً في حجرة يملؤها بخار شديد الحرارة فقتل البخار ما على سطح اللبن من المكروبات ثم تقفل الزجاجات وتختم والبخار لا يزال يحيط بها فيمتنع بذلك تطرق مكروبات الفساد اليها فيبقى اللبن طازجاً من دون ان يفسد ثلاثة شهور

•

امواج الصوت وامتحان المعادن

من الاصوات ما تبلغ امواجه الوفاً او مئات الالوف في الثانية وهذا مما يتعذر على الاذن سماعه لان الاذن البشرية لا تسمع صوتاً تزيد امواجه على عشرين الف موجة في الثانية

هذه الاصوات يمكن توليدها من بلورات الكوارتز باطلاق تيارات كهربائية عليها وقد سبق للباحثين ان جربوا تجارب بها تستطيع منها انه اذا اصابت هذه الاصوات الاحياء الدنيئة قتلتها وشوهتها . وقد اطلعت الآن على استعمال جديد عجيب ما ذلك انها تستعمل في امتحان قضبان او قطع من المعادن ليعرف هل تركيبها الداخلي منتظم او سليم من الشروخ ومواطن الوهن

يؤخذ القضيب ويصقل من طرفيه ويوضع الطرف الواحد وضعاً ملامساً فيه احدى بلورات الكوارتز التي تولد هذا النوع من الامواج . ويوضع الطرف الآخر في اناء فيه زيت فاذا تولدت الاهتزازات في بلورة الكوارتز سرت في القضيب الى الطرف الآخر فتنشئ على سطح الزيت شبكاً من الامواج الدقيقة

ثم يوجه الى سطح الزيت شعاعة من الضوء فتصيب الامواج الدقيقة وتنكسر عليها فتتحول الى رسم طيفي ملون يمكن مشاهدته على لوحة بيضاء فاذا كان الرسم غير منتظم دل على وجود خروق او مواطن ضعف في داخله

[illegible]

جامعة هيدلبرج [illegible]
اسسها الناخب روبرخت [illegible]
سنة ١٣٨٦ فهي [illegible]
خمسة قرون ونصف قرن [illegible]

وقد اقتضت حكومة [illegible] الاسباب الاوسية في المانيا [illegible] الجاري بهذا العيد فوجهت [illegible] عدة لمشتغلين بشؤون [illegible] العام ومنها دعوات الى الجامعات

ومن الجامعات التي قبلت هذه الدعوة [illegible] ان توفد وفوداً الى هذا الاحتفال [illegible] كولومبيا وهارفرد ومشيغن وبنسلفانيا [illegible] وفسار وكورنيل [illegible] المتحدة الاميركية والاسبانية [illegible] وجامعات [illegible] وبودابست [illegible] وفينا وصوفيا وغيرها

وتكاد هذه الجامعات [illegible] اجابت جامعة هارفرد في الا[illegible] هو انها تشترك في هذا الاحتفال وهي مدركة [illegible] الادراك [illegible] بعضها يمضي على ارغم من الاحوال السياسية

***

والظاهر ان كل عمل يكون مصدره في المانيا في هذا الحين لا يمكن ان [illegible] يتم من دون ان يعترض عليه في ناحية من النواحي [illegible] ان تكون انكلترا مصدر الاعتراض [illegible] يتعلق بحفلة جامعة هيدلبرج مع ما يبدو من ميل الشعب البريطاني الى فهم المانيا الجديدة

فعندما وجهت الدعوات الى جامعات انكلترا [illegible] اسقف درهام كتاباً الى رئيس تحرير التيمس في لندن يحتج فيه على اشتراك الجامعات [illegible] في هذا الاحتفال مستنداً في اعتراضه الى ان الوطنيين الاشتراكيين قد داسوا الحرية الجامعية Academic [illegible] واضطهدوا الاساتذة

وتوالت الرسائل في التيمس في هذا الموضوع واشترك في مناقشته طائفة من اعلام الفكر واقطاب التعليم العالي في بريطانيا

وعلى ذلك رفضت جامعة برمنغهام الاشتراك في هذا الاحتفال ورفضت جامعة كمبرج كذلك ولكنها اعربت عن تقديرها للخدمات العظيمة التي اسدتها جامعة هيدلبرج للعلوم الطبيعية والادبية والفنون الحرة في مدى تاريخها الطويل

***

اما جامعة اكسفرد فاعتذرت عن ارسال وفد الى الاحتفال وانما بعثت بخطبة مكتوبة باللغة اللاتينية مهنئة بالعيد ومعترفة بدين الانسانية للعلم الالماني وراجية ان تبقى هيدلبرج محتفظة بكتاب المعرفة مفتوحاً للطالبين للعلم

فعلى كل هذا تاحث الدكتور جوبلز Goebbels مدير الجامعة مع رجال الحكومة فاستقر الرأي على سحب جميع الدعوات الموجهة الى الجامعات البريطانية على ما جاء في جريدة نيويورك تيمس بتاريخ ٨ مارس

جبار مارد وغدده

اذا بلغ الرجل ست اقدام طولاً حسب من الرجال الطوال

ومن بضعة اشهر بدأت صحف اميركا تعنى بشأن شاب يدعى روبرت ودلو بل انها لتتابع ما جعلت الكتابة عنه في المقام الاول بين انبائها ولم يكن الباعث على ذلك اصابة ان الشاب اقترف جريمة منكرة ولا انه احرز رقماً قياسياً في الالعاب الرياضية وانما كان الباعث على عنايتها به ان طوله سبع ثماني اقدام واربع بوصات يوم بلغ الثامنة عشرة من عمره ان وزنه يبلغ ٣٩٠ رطلاً مع ان والده سوي ولا يزيد وزنه على ١٥٠ رطلاً وقد رأينا صورته واقفاً امام سيارة فورد (سيدان) فاذا اعلاها لا يبلغ حزامه

قد يقول القارىء انه مشوه من علة العضية وهو كذلك ولكنها علة لها تعليل والتفسير ان في بعض هذا الشاب الغدة النخامية خللاً وهذه الغدة تقع في منخفض صغير في قعر الرأس وتسيطر على النمو والنشوء وافراز اللبن. ويقال ان هناك صلة بين الغدة النخامية في الدماغ والغدة الدرقية والتي وراء الدرقية في العنق والغدة الصعترية والغدد التي فوق الكلى

فاذا زاد ما تفرزه الغدة النخامية من تورمون النمو (Hormones) زاد نمو صاحب هذه الغدة زيادة فاحشة. وقد جربت تجارب في الجرذان ونوع من الكلاب حقنت بخلاصة من هذا التورمون فزاد حجمها زيادة عظيمة

يقابل هذا ان صبياً صغير الجسم في السابعة عشرة من عمره حقن بهذه المادة فلم يزد حجمه والعلم الآن عاجز عن تفسير ذلك. بل يقال بوجه عام ان استجابة انسجة الجسم لهذه الحقنة عامل اساسي وانه مهما يكن مقدار التورالذي يحقن في جسم معرض فانه لا يمكن ان يصبح مارداً

وليس روبرت ودلو الشاب الاميركي الذي تقدم ذكره اطول رجل عرف في التاريخ. ففي الكلية الملكية للاطباء والجراحين في لندن هيكل عظمي لرجل يدعى تشارلز بيرن مات سنة ١٧٨٣ بعد ما بلغ طوله ثماني اقدام وخمس بوصات اي انه كان اطول من الفتى الاميركي ببوصة واحدة

ويقال ان انكليزياً آخر يدعى جون مدلتن مات سنة ١٦٢٣ وقد ذكر في قريته ان طوله بلغ ٩ اقدام وثلاث بوصات ولكن الاطباء والباحثين لا يعيرون هذا الامر التفاتاً كبيراً فالدكتور هارفي كرشنج الخبير بهذه الموضوعات مقتنع بان احداً لم يبلغ طوله تسع اقدام او ما يقاربها

•

مدينة قائمة على قطعة من الجليد

يذهب رواد الاصقاع المتجمدة الجنوبية الى ان البقعة التي ضرب فيها الاميرال برد خيامه وانشأ مقر مشتبه السطحين واطلق عليها اسم «اميركا الصغيرة» ليست قائمة على اليابسة على اطراف القارة المتجمدة الجنوبية بل على طبقة طافية من الجليد ثخانتها ٢٥٠٠ قدماً

خطر النوترون على الحياة

يعلم القراء أن التعرض لبعض مقذوفات الراديوم يفضي الى احتقان الجلد وتقرحه واذا طال فقد يفضي الى تسمم مميت. وليس في تاريخ البحث العلمي الطبي الحديث ما هو ادعى الى الاعجاب من مضي العلماء في تجربة التجارب بانابيب محتوية على راديوم مع علمهم أن تعرضهم لمقذوفاتها قد يميتهم

وقد اكتشفت من اربع سنوات دقيقة مادية لا عهد للعلماء بها من قبل تعرف باسم « النوترون » اي الدقيقة المحايدة او الحايد. وهي دقيقة كتلتها مثل كتلة ذرة الايدروجين ولكنها متعادلة الكهربائية تخترق المواد بسهولة لعدم تأثرها بالجذب الكهربائي ثم استنبطت اساليب ميكانيكية كهربائية لاطلاقها بسرعة عجيبة على نوى الذرات لتهشيمها والنفوذ الى ما تنطوي عليه من اسرار. وقد ثبت الآن من مباحث طائفة من علماء اميركا ان التعرض لتيارات هذه الدقائق خطر على الحياة على مثال التعرض للراديوم ومقذوفاته لانها اقوى من اشعة اكس عوداً بالاجسام نحو عشرة اضعاف

فبعد عرض لتيارات من النوترونات طائفة من الجرذان البيض فهزلت ومرضت وانكمشت واخيراً ماتت وكان الظن ان هذه الدقائق تؤثر تأثيراً ضاراً عامًّا في الجسم. ولكن احد الباحثين عني باحصاء الكريات البيض في دماء الجرذان فوجد ان التعرض للدقائق ينقصها نقصاً عظيماً وان تأثير النوترونات في نقصها عشرة اضعاف التأثير المشاهد لاشعة اكس

وجرب تأثير هذه الدقائق في انساج لنبات مطهر لها تأثير مشابه لتأثيرها في اجسام الحيوان وأنها من رتبة واحدة في قوة التأثير

*

نجيمة جديدة؟

من النجيمات الجديدة التي تدور في فلك بين المريخ والمشتري نجيمة لا يزيد قطرها على ثلث ميل وقد دعيت اتيروس وهو شقيق اروس في الاساطير اليونانية واروس اسم نجيمة صغيرة هي اقرب ما يقترب من الارض من اجرام السماء لاستطالة فلكها الاهليلجي اما مكتشف النجيمة اتيروس فهو الفلكي البلجيكي دلبورت

وهذه النجيمة الجديدة صغيرة جداً لا يزيد قطرها على ثلث ميل اي ان حجمها لا يزيد على حجم جبل صغير وقد اقتربت من الارض في ٧ مارس الماضي حتى اصبحت على بعد مليون ونصف مليون من الاميال منها وهذا بالقياس الى الابعاد الفلكية قرب عظيم ويقول الفلكيون ان احتمال اصطدامها بالارض عند اقترابها التالي منها ليس كبيراً ولكنهُ ليس مستحيلاً

فاذا اصطدمت بالارض وكانت نقطة الاصطدام عند مدينة من المدن كان ذلك كافياً لتدمير المدينة وحفر اخدود في الارض في خلال سيرها الى ان تبعد عن الارض او تتفتت في الاصطدام. اما اذا اصطدمت بالارض عند اواسط محيط من المحيطات الكبيرة فالغالب ان لا يكون ما تحدثهُ من التدمير كبيراً

علاج الانيميا الخبيثة

يعلم القراء أن ثلاثة من أطباء أميركا وعلى رأسهم الدكتور جورج مينو احرزوا جائزة نوبل الطبية في سنة ١٩٣٤ لاتمامهم علاج الانيميا الخبيثة بالكبد. وقد اذيع التصريح العلمي الاول الخاص بهذا العلاج سنة ١٩٢٦

والآن اطلعنا في جريدة الصنداي كرونيكل على ان الدكتور داكن وهو انكليزي قطن اميركا ثم عاد الى انكلترا اكتشف طريقة لاستخلاص المادة الفعالة من الكبد على نحو ما يستخرج الانسولين من الغدة الحلوة (البنكرياس)

وقد عهد مجلس البحث العلمي في انكلترا الى الاستاذ وايل والدكتور انغل في امتحان هذه المادة التي دعيت « أنا هيمين » فثبت ان المصابين الذين عولجوا بها شفوا من اصابتهم في خلال بضعة اسابيع

•

خلف الاستاذ برستد

كان الاستاذ جيمس هنري برستد من أعظم أهل زمانه بالآثار الشرقية وبوجه خاص بالآثار المصرية . وقد توفاه الله من اشهر بعد ما ادى للتنقيب عن آثار الحضارات الشرقية القديمة في مصر والعراق وسورية خدمات جلّى. اما خلفه فشاب عالم بالآثار المصرية يدعى الدكتور ولسن وهو في السادسة والثلاثين من العمر وقد تلقى العلم على الدكتور برستد نفسه ومارس البحث الاثري في الاقصر واشترك في تأليف عدة مجلدات في الكتابات المصرية القديمة

انباء علمية منثورة

— استنبط الاستاذ هنك أحد اساتيذ جامعة تكنولوجيا طريقة عملية تجارية لطلاء الحديد والصلب طلاء من الالومنيوم لا يتأكل

— صنعت شركة كودك فلماً جديداً ملوناً عرضه ١٦ مليمتراً لآلات الصور المتحركة البيتية واستعمال هذا الفلم لا يحتاج الى مصفاة لونية بل هو مؤلف من خمس طبقات شديدة الاحساس بالاحمر والاخضر والازرق المصحح

— جلس اثنان في غرفتين متجاورتين في نيويورك وتحدثا بالتلفون ولكن كلام الواحد منهما كان يدور حول الارض في أسلاك التلفون قبل وصوله الى صاحبه وجاره المجاور له فكان الكلام واضحاً كل الوضوح

— صنعت الشركة الاميركية الكهربائية العامة خلطاً جديداً من الالومنيوم والحديد والنيكل متصفاً بصفات مغنطيسية مستمرة

ارسلت امواج لاسلكية متناهية في القصر مسافة ٦٠٠٠ ميل من لندن الى بوينس ايرس عاصمة الارجنتين

— كان المعروف ان الوزن الذري للهدروجين ١٫٠٠٧٨ ولكن طائفة من علماء كمبردج برئاسة اللورد ردرفورد اعادت وزنه وقررت أنه ١٫٠٠٨١ ولهذا الفرق اليسير في الوزن الذري شأن كبير في علم الطبيعة النظري

— بين الاستاذ ابلتن العلامة الانكليزي بشؤون اللاسلكي ان على ارتفاع ١٥٠ ميلاً قد يبلغ حرارة الجو ١٧٠٠ درجة بمقياس سنتغراد



علم تكوّن الجنين

تأليف الدكتور شوكت موفق الشطي استاذ علوم النسيج والجنين والتشريح المرضي
في المعهد الطبي العربي بدمشق — طبع الجامعة السورية سنة ١٩٣٥

لا اظن احداً من قراء المقتطف يجهل الدكتور شوكت موفق الشطي وبحوثه النفيسة الأحيائية وقد جمع لنا الآن علم تكوّن الجنين اخذه من اقدم المصادر واحدثها ولم يكتفِ بذلك بل اجرى الاختبارات في الحيوان حيث يمكن ان يفحص عدد كبير منهُ لتتبع التغيرات المختلفة فيه؟ فهو ليس فقط ناقلاً بل مبتكراً فكل من يتتبع ما كتبهُ المؤلف يتحقق ذلك بلا ادنى شبهة

بدأ كتابه في التعريف بعلم تكوّن الاجنة فذكر القرآن الحكيم واورد كثيراً من آياته في البحث في ذلك ثم اورد كلام العرب في تكوّن الجنين منهم صاحب كتاب كامل الصناعة لابن المجوسي نقل ما جاء عنهُ في كتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ثم ذكر اقوال وولف ولامارك وداروين وغيرهم من الاجانب

ثم عقد فصلاً في التناسل وآخر في جهاز الذكور وآخر في جهاز الاناث وآخر في الذكورة والانوثة وتعيين الجنس والاستدلال على المرأة وآخر في الوراثة وهو خير فصول الكتاب وقد اسهب فيه وذكر التخليط والهجونة والتزاوج بين الامم المختلفة وكل ما له علاقة بالوراثة

والكتاب مكتوب بلغة فصيحة لان مؤلفهُ كاتب بليغ وجميع مصطلحاته عربية ليس فيها شيء من العجمة فالمؤلف عربي صميم قرأ المؤلفات العربية واستوعبها واخذ عنها. ومن المصطلحات التي اوردها المدار وفسره بقوله حيوان منوي من الحيوانات الدنيا ولم يقل الدبيبة والرسول ترجمة هرمون والاشباب اي استرجاع قوة الشباب والتصغير تصغير الصغير للمرسة وهي ترجمة مكرون والعشار اي المليمتر والعُشير اي السانتيمتر والعُشر اي الديسمتر ومنها المُحّ وفسره بقوله صفرة البيض ومنها التدحل والانسحال وفسرها بقوله التحول شيئاً فشيئاً ومنها البيض وفسره بقوله مصدر باض تبيض الدجاجة بيضاً

ومنها التبيغ اي فوران الدم ومنها الوداق من ودقت ذات الحافر اذا ارادت الفحل وقال لهذه الكلمة مرادفات كثيرة وهي الضبع والاستضراب في الابل والوَدْقة في الضأن والدرةُ في المعز والاستحرام في كل ذي ظلف والاستحراء في القرد ومن هذه الالفاظ الصهي وفسرهُ بقوله انقطاع الطمث والاطهار اي ادوم ايام الطهر والطهر الحالة الناقصة للحيض ومنها اشداء البشر وفسرها بقوله فئة من الحيوانات من خصائصها ان ثديَيها على صدورها والتحسف وفسره

بقوله في الحديث الشريف لقد رأيت جلده يتحشف [illegible] وقد اورد المرادف الفرنسي لهذه المصطلحات تماماً فاتفقت هذه [illegible] في كتاب واحد كان منها معجم عيسى وهو [illegible] معهد الطب العربي [illegible] هذا المعجم خير المعجمات العربية لان جميع اساتذة معهد الطب العربي [illegible] وكنت [illegible] اورد امثلة من هذا الكتاب النفيس لو كان عندي متسع لذلك والكتاب مكتوب بلغة فصيحة قلما نراها في كتابة الاطباء ولاسيما بين الذين تعلموا عند الافرنج او بلغتهم فالكتاب عربي صميم ومؤلفهُ عربي يغار على لغته فجاء كتابه آية في دقة البحث وجودة الانشاء

وهو مطبوع طبعاً متقناً جداً ولما كان قد قال في مقدمته انهُ يرجو من [illegible] ان ينبهُ الى مواضع الزلل او الخطإ ليصلحها في فرصة اخرى فاني [illegible] او امرين قد اكون فيهما مصيباً او مخطئاً وهو قوله للغم واطلق اصوات الغنم وقد ذكرت ذلك قبلاً وبينتهُ في نقد معجم اللغة للسكي [illegible] وقوله الامرأة واطلق الصوت المرأة فقد وردت الامرأة في اللغة ولكن المرأة افصح وقولهُ السبع [illegible] هو المفترس من الحيوان مثل الاسد والذئب والنمر والفهد وما اشبه (راجع تاج العروس في ذلك) وقوله ان آخر اسد قتل في بلاد العرب هو الذي وصف قتله المتنبي بقصيدته المشهورة واظن ان آخر اسد قتل ووصل خبره الينا كان في بادية الشام ذكره القاوقجي وسترام فقد قال انهُ جيء بجثة اسد في ايامهِ الى دمشق وسترام كتب في سنة ١٨٨٤ . والاسد كان في العراق الى [illegible] غير بعيد وكانت الاسود تأتي الى شاطئ النخل في بغداد على دجلة من نحو مئة سنة وورد ذكر اسد قتله رجل في عرمون الغرب ذكره صالح بن يحيى في تاريخ بيروت على ما اذكر

ولا يخفى ان النقد اذا اريد بهِ اظهار الخطإ سهل بالقياس الى التأليف [illegible] لا اصنف كتاباً مثل هذا الكتاب لجاء فيه من الخطإ اكثر من هذا كثيراً وهو امر يغفل عنهُ بعض الناس في نقدهم فالنقد يجب ان يكتب بانصاف للمؤلف وهذا الكتاب [illegible] تحفة وهو في نظري من خير مؤلفات الطب العربي وهي كثيرة

امين المعلوف

تنظيم سوريا الاقتصادي

تصنيف سعيد حمادة — استاذ الاقتصاد [illegible] — جامعة بيروت الاميركية

Economic organization of Syria

لا يحتاج الباحث الى سند يعززهُ به قولهُ عندما يصرّح بأن المؤلفات الحديثة التي اخرجتها جامعة بيروت الاميركية سواءٌ باللغة العربية او باللغة الانكليزية من اهم المراجع التي يعتمد عليها في دراسة حياة القطر السوري من نواحيه التاريخية والاجتماعية والادبية وحسبنا ان نذكر في هذا المقام ما اخرجهُ تأليفاً وتصنيفاً ونشراً الاستاذ انيس الخوري المقدسي [illegible] والدكتور

أسعد رستم، والاستاذ سعيد حماده والدكتور صند والدكتور ونتر ووديس رر وجبرائيل سليمان جبّور وغيرهم من اساتذة الجامعة

وقد اصدرت الجامعة بيروت كتاب « نظم سوريا الاقتصادي » ، الذي صنفهُ الاستاذ سعيد حماده استاذ الاقتصاد التطبيقي فيها ، بمعاونة رجال دائرة العلوم الاقتصادية كالمستر روبرت روس وحسني افندي الصواف والبرت افندي خوري وجورج افندي حكيم والعميد ادورد نيكولي وباسم افندي فارس والاستاذ يودس رر والمستر الي ادوردز . وقد ذكرت هذه الاسماء وفقاً لترتيب الفصول التي كتبوها

والكتاب مجلد ضخم يشتمل على نحو ٥٠٠ صفحة باللغة الانكليزية وهو عشرة فصول اولها في « السكان » للمستر روبرت روس وهو بحث مسهب في سكان سورية ولبنان اساسهُ الاحصاء ففي الفقرة الثالثة فيه كلام على ازدحام السكان في سورية وسنجق الاسكندرونة وجمهورية لبنان وحكومتي اللاذقية وجبل الدروز ، ومنها يتبيَّن للقارئ ان ازدحام السكان في الشام على اشدّه في جمهورية لبنان حيث يبلغ عدد السكان في الكيلو متر المربع الواحد ٩٢٫٩١ ويليه في اللاذقية ٤٩٫٣٦ ثم في سنجق الاسكندرونة ٤٦٫٥ ثم في سورية ٨٫٧٩ ثم في جبل الدروز ٦٫٧٢ ويلي ذلك جداول تبين نسبة سكان المدن الى سكان الريف وقراء . وفي الصفحة ١١ جدول يبين مدى انتشار الامية في لبنان وسورية فنسبة الاميين في بيروت ٤٢٫٠٦ / ونسبتهم في لبنان ٥٠٫٣٨ / وفي شمال لبنان ٦٦٫٥٦ وفي جنوب لبنان ٧١٫١٨ ٪ وفي البقاع ٦٧٫٤٥ ٪ وذلك وفقاً لاحصاء تمَّ سنة ١٩٣٢ اما في مقاطعات الدولة السورية فالنسبة اكبر بوجه عام فهي ٦٣ ٪ في ولاية حلب و ٥٥ ٪ في سنجق دمشق و ٨٧ / في حماه و ٨٢ في حوران و ٥٨ / في حمص و ٥١ ٪ في الاسكندرونة ومما ينطوي عليه هذا الفصل بحث في مهاجرة السوريين واللبنانيين الى الخارج وبواعثها ومهاجرة الاجانب الى سورية ولبنان ومنهُ يتبين القارئ ان اكثر الاجانب المقيمين في سوريا هم الفرنسيون وعددهم (٣٨٠٧) والاتراك (٣١٦٤) واليونانيون (٢١٩٩) والايرانيون (١٩٨٩) والمصريون (١٧٩٩) والايطاليون (١٧٥٤) والاميركيون (١٢٨٢) ويليهم اسماء الدول الاخرى والجدول الذي يشتمل على هذا البيان ذكرت فيه كل دولة وبلاد على سطح الارض تقريباً

ويلي ذلك فصل في مصادر الثروة الطبيعية لحسني افندي الصواف وهو يشتمل على بحث في التربة وخصبها والماء والمعادن والغابات والحراج والمصايف والحيوانات وهي تشمل الخيل والحمير والبغال والماشية والغنم والمَاعز والخنازير والجواميس والجمال وبعض هذه الحيوانات قد زاد زيادة تذكر في خلال اربع سنوات اي بين سنة ١٩٢٧ و ١٩٣١ فعدد رؤوس الغنم مثلاً

كانت سنة ١٩٢٧ يبلغ ١٤٠٤٤٩٢ رأساً فزاد سنة ١٩٣١ على ٢٩٠٠٠٠٠ رأس وتضاعف عدد العمال فكان في السنة الاولى ٣٢٥٨٤ وصار في السنة الثانية ٦٨٢٢٣

ويلي ذلك فصول في تأجير الارض والزراعة والصناعة والمواصلات والنقل والتجارة الداخلية والتجارة الخارجية ونظام المال والمعارف وميزانية الحكومة

وكل فصل من هذه الفصول مرجع قائم بنفسه في الموضوع الذي عالجهُ ، ولا يتسع هذا الباب لذكر طرف ولو يسير جداً من الحقائق التي انطوت عليها ، وانما نعود الى تلخيص بعض هذه الفصول في المقتطف إذا اذنت في ذلك جامعة بيروت الاميركية

المدرسة والمجتمع بوادي النيل

ابنه بالانكليزية — الدكتور امير بقطر — صفحاته ٢٦٩

هذا الكتاب ، هو الرسالة او الاطروحة التي قدّمها الدكتور بقطر الى جامعة كولومبيا ، ففاز بها برتبة دكتور في الفلسفة . وهي في الواقع بحث اسكلوبيذي النطاق غزير النفع ، غرضهُ الرئيسي البحث في حالة التعليم في مصر على ضوء الاحوال الاقتصادية والاجتماعية في البلاد . لذلك وقف البابين الاول والثاني — وهما يشملان نحو نصف الكتاب — على وصف موجز لتاريخ مصر الحديث وحالتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية توطئة للبحث في حالة التعليم . وربط الاولى بالثانية

في القسم التاريخي تتبع المؤلف احوال مصر من عهد نبوليون الى العصر الحديث بايجاز كلي استغرق ١٤ صفحة فقط ، ولكن البحث في الاحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، اتمّ واوفى وفيهِ تقع على فصول حسنة تتناول احوال مصر الزراعية والصناعية والتجارية ومشكلة السكان والطبقات الاجتماعية وما يتصل بذلك من حالة الفلاح ، وعوامل الدين واللغة ومقام المرأة ومكانتها من الناحية الشرعية وماينتهي الى هذا الموضوع من بحث في الحجاب والزواج والطلاق والضرائر ثم صلة المرأة بالنهضة القومية ونهضتها الحديثة . وفي هذا الباب فصلان سياسيان احدهما يعالج موضوع الامتيازات الاجنبية والآخر موضوع النهضة القومية

اما الباب الثالث من الكتاب فهو المقصود بالذات في الرسالة ، وموضوعه حالة التعليم في مصر . نعم أن القارىء يحسُّ وهو يطالع فصول البابين السابقين ، ان المؤلف كتبها مدركاً ما للتعليم من المقام والأثر فيها كعامل في تطور السياسة والاجتماع والاقتصاد . ولكن بحث التعليم فيها لم يكن مقصوداً بذاته ولا ظاهراً على غيره . اما في هذا الباب فيتجه المؤلف الى صميم مشكلة التعليم فيتتبع مراحلها في فروعها المختلفة ، وبسط ما يبدو لهُ من آراء ناقدة . فيقول في الامتحانات مثلاً في الصفحة ١٧٣ ما ترجمتهُ « الامتحانات كالبرامج اعراض مرض واحد وهو الثقة العمياء بالمعرفة ... » وبعد ما يصف الاستعداد للامتحانات واشتغال الصحف بنشر

تأخذ [illegible] لمعمعة الحياة ، يجوب [illegible] تتجه عنايته كلها الى الامتحانات [illegible] في هذه السنة المدرسية الى آخرها يعنى المدرس بتلقين التلاميذ الحقائق وبوجه خاص الحقائق التي يخمّن ان يمتحنوا [illegible] وفي آخر السنة يحاسب المدرس الذي لا ينجح فريق كبير من تلاميذه محصوراً في [illegible] هذه الحالة تحمل المدرس منذ بدء السنة الاولى على الاهتمام بشيء واحد وهو نجاح تلاميذه [illegible] في الامتحان [illegible] اما عادات التلاميذ واخلاقهم وتفكيرهم وغيرها من الصفات [illegible] ولا يكترث [illegible] فهو مهما يكن المدرس نبيهاً وعادلاً وفي عمله [illegible] بل يقترح [illegible] يرى فيها بعض العلاج على الاقل لمساوىء الحالة القائمة . والفصل الحادي عشر يشتمل على مقترحات [illegible] البرامج والامتحانات والمدرسين وغيرها من نواحي مشكلة التعليم في مصر

والواقع ان كتاب الدكتور مصطفى وثيقة خطيرة لكل من تهمه شؤون التعليم في مصر ووجه قيمتها علاوة على الحقائق التي احتوتها ان واضعها خبر نظام التعليم في مصر طالباً ومدرساً . وأضاف الى خبرته هذه دراسة علمية وعملية وافية في علم التعليم والتربية في اميركا واوربا

ظلال

لاحمد راسم — ١٩٢ ص — من قطع المقتطف

ان للاستاذ احمد راسم في طليعة أدبائنا المجددين الذين استمدوا من الغرب ادق الوان الحضارة المعنوية [illegible] يؤثرون على منهاج طريف تموّه الافكار في ادبنا . وقد سبق للاستاذ احمد راسم [illegible] بضعة كتب باللغة العربية هي « [illegible] » و« الحديقة المهجورة » و« [illegible] » فضلاً عن نشره باللغة الفرنسية من شعر منثور واحاديث خيالية

وهذا الكتاب الذي اخرجه الاستاذ راسم اليوم موقوف على نقد الفن في مصر . فهو عرض لصور [illegible] المصريين [illegible] وطائفة من الفرعية المقتبس؛ عصر اشباه [illegible] ويتخلل هذا النقد عبارات فنية وفلسفية غاية في الدقة اذا تدل على رسوخ [illegible] في اساليب الفن الحديث والقديم على طريقة ادبية

وقليل من [illegible] في الشرق العربي يقدرون على ان يخوضوا في حديث التصوير والنحت والرسم [illegible] على الاقلام ان تخرج من هذه التجربة ظافرة لأن الادب العربي لم يعرف نقد الفن [illegible] من كتابه الاستاذ راسم انهُ يميل عن الفن الحديث الذي تنهج مناهج غريبة امثال المكعبية [illegible] وغيرها وان تعصبه ذاهب الى المنهج الاتباعي Classicism ولذلك تراهُ يؤثر فنّاني المنهج الثاني على فناني المنهج الاول

والى جانب نقد الفن بعض مقالات في نقد الشعر والنثر لنفر من الادباء المصريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية امثال [illegible] وراوئ [illegible] وكأن قلم الاستاذ راسم في هذا الباب اكثر انطلاقاً منهُ في نقد الفن ، ذلك ان الاسلوب العربي معتاد النقد الادبي الاعتياد كله ب. ف.

من حديث الشعر والنثر

للدكتور طه حسين بك

أصدر الدكتور طه حسين هذه المحاضرات القيمة مجموعة في كتاب كما أراد أصحابه وألحّوا عليه في ذلك، ولا أظن الا ان صبره الادبي قد تقاضاه كثيراً من الالحاح وغير قليل من اللوم على تردده في إصدار هذا الكتاب وأدبنا العربي في أمس حاجة الى مثل هذه الدراسات المبنية على أحدث مذاهب التحليل والاستقراء لتبرز مكانته بين الآداب العالمية الكبرى، ولقد أحاط المؤلف بهذا الموضوع أجمل وأوفى احاطة وما أرى بعدُ حجة للذين تستريبهم آراء الدكتور طه في الادب الجاهلي والذين ينعون مذاهبه في اتهامه بالتعصب للآداب الغربية، ولو صدرت هذه الآراء عن رجل غيره لأتهمه الذين يجردون الادب العربي من معاني القوة والحياة بالتعصب المطلق لهذا الادب او محاولة ذلك، ولكن من يمعن الفكر في آراء الدكتور طه ويقرن نتائجها بمقدماتها فهو من غير شك مغتبط بهذه المقدمات، مطمئن الى هذه النتائج، معجب بالتحليل والتدليل اللذين توخاهما المؤلف في حديثه عن النثر الفني ونشوئه وارتقائه. وفي الموازنة الدقيقة بين مذاهب ابن المقفع والجاحظ وعبد الحميد وغيرهم من الناثرين، ورجوعه بألوان نثرهم وفنون أدبهم الى العقلية الموروثة والثقافة المكتسبة، فصل ممتع رائع، مرتب وفق ما ذهب اليه كبار النقاد المحدثين في فهم أصول الآداب العالمية الكبرى وتعرف تياراتها المختلفة

ولا تجاوز المقدمة وحديث النثر الى آرائه في ابي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز، فهي فصول حقيقة بالاعجاب جديرة بالثناء، وفي الحق ان المؤلف انصف كلاً من اولئك الشعراء، وكان شديد الانصاف لشعر ابن المعتز وسهولته وطرافته ورقته التواسية وترسله في الوصف البديع واني لأراه منصفاً جداً لشعر البحتري وغروره وتعلله، وسطحية خياله، وأعرف كثيرين ممن يتأثرون بأن « البحتري شاعر وأبا تمام والمعري حكيمان » سيغضبون لحديث الدكتور طه وسيتهمون ذوقه اتهاماً قاسياً ولكنهم سيلمسون في هذه المحاولات البديعية، وفي هذه الصناعة التي تستأثر بإعجاب الاذن الدليل القوي على سر هذا الخيال القاصر والبهرج الساحر. اما حديثهُ عن ابي تمام ففيه نوع من الرضا والوان من الاعجاب يألفها الذين ينشدون متعة الحس والعقل معاً ويتجهون بأخيلتهم حيث تثب المعاني وتهيم الخواطر المشحة وظني ان شعر ابي تمام شديد الجفاف على انه عاش في القرن الثالث الهجري ولعل ما حدثنا به المؤلف عن تمقيده اللغوي هو سر هذا الجفاف

أما ابن الرومي فقد اظهرنا حديثه على نواحٍ جديدة رائعة تتصل بنظائرها في حديث النثر

بيد ان لي رأياً في هذا الشاعر أعلل به إسهابه ، فقد كان رجلاً سهم النظرة شره الخيال وحيث دار الناس بأعينهم في الجهات الاربع دار هو في أكثر من هذه الجهات اعني في الدقائق التي تحويها النظرة العابرة وتستدعي اشاعة الخيال المتفرس الصائد ، وظني ان ابن الرومي كلما حاول انتقالاً سريعاً عرضت له المعاني متصلة متلاحقة في الطبيعة والطبائع تظهر من حيث أختفت وتندرج من حيث أطلقت فهو مأخوذ بها دقيق الحركة بطيء الخطى ولك تلمس شواهد هذا في بطء موسيقاه وعدوتها المصطردة في قصيدة أبي الحسن الشطرنجي وغيرها

لا خلاف اذن في الرأي بين الدكتور طه وبين كثير ممن توفروا على دراسة الأدب العربي والمّوا بأطراف من الآداب الاخرى . ولكن الدكتور طه عرض لموضوع واحد مرتين ، مرة في حديثه عن النثر واخرى في حديثه عن الشعر فقال بأن الشعر في صدر الاسلام عاد متأثراً بالنثر بعد ان كان النثر في الجاهلية متأثراً به واني لأتساءل ، لماذا لا تكون العقلية العربية قد تأثرت بمنطق ابو نواس فدفعت الشعراء والناثرين معاً الى هذا النوع الجديد من التعمق كما تأثر الآن كتابنا وشعراؤنا بمنطق العلم الحديث واني لادعو مخلصاً الى مطالعة هذه الاحاديث الشائقة النازعة المنبعثة بسمو موضوعها وعمق أفكارها واستقامة منطقها وجمال أسلوبها فهي من كل نواحيها خليقة باستيعابها ، جديرة بالتوفر على دراستها على محمود طه

رباعيات عمر الخيّام باللغة الالمانية

Omar Chayyam und seine Vierzeilen von Christian Herrnhold Rempis. Tuebingen 1933, 176S.

لعل الخيّام اشهر شاعر شرقي في اوربة . فقد اكتشفه القوم اكتشافاً منذ زمن وأول من تكلم عنه المستشرق النمسوي (هامر برجستال) وأما الذي نقل رباعياته نقلاً محكماً الى الانجليزية فهو فتسجرلد Fitzgerald سنة ١٨٥٩ وقد نقلت الرباعيات بعد ذلك الى الفرنسية والالمانية والعبرية الحديثة والعربية وغيرها وعقدت فيها وفي صاحبها فصول طويلة

وميزة الترجمة الالمانية التي نحن بصددها ان صاحبها المستشرق رمپيس اعتمد على ٥٠ مخطوطة قديمة باللغة الفارسية وانه ترجم الرباعيات كلها ووضع مقدمة ضافية في سيرة الخيام استقاها من المصادر الفارسية والعربية ثم عمل جدولاً ادرج فيه جميع ما يتعلق بالخيام فأثبت هنالك مخطوطات بين مطبوعة وغير مطبوعة ومباحث في الرجل ومؤلفاته ومختلف الترجمات للرباعيات ولكنهُ عند ما أثبت المصادر العربية اتفق لهُ أن يخطيء في اقامة بعض الكلمات (ص ١٩٤)

هذا واما الترجمة فرضية ولكن الخاصيات الشرقية اللاحقة بمتون البيان كثيراً ما وردت بالالمانية شاحبة . ومن كان للمترجم ان يصنع شيئاً في هذا ، فبين التعبيرين مدى وشطط

التصوير في الاسلام عند الفرس

تأليف زكي محمد حسن — ٨٤ ص و ٥٤ صورة ٢١ × ٣٠ — طبعه المؤلف ، [illegible]

قد سبق لنا ان نوهنا بفضل الدكتور زكي محمد حسن (راجع مقتطف مارس ١٩٣٦) وتأليف المستشرقين للدكتور بشر فارس) الامين لدار الآثار العربية عند الكلام على مؤلفيه « الفن الاسلامي في مصر » . ومما يعجب له أن همة الدكتور زكي حسن لا تعرف الفتور اذ نراه يخرج من كتاب الى آخر . ولعمري ان مثل هذه الظاهرة قليلة المثال في هذه البلاد

وطريقة هذا الكتاب الاخير جارية على منوال الكتاب السابق من حيث التثبت والاستقصاء والعرض الوافي شاهد ذلك ان المؤلف بدأ ببسط تاريخ بلاد فارس بسطاً موجزاً توطئة للبحث وانه لبحث بعده فتشعب الفصول . الاول في نشأة التصوير الفارسي . والثاني في مدرسة بغداد او مدرسة العراق ، والثالث في المدرسة الفارسية التترية ، والرابع في اشهر رسامي فارس هو بهزاد وفي مدرسة بخارى والخامس في المدرسة الصفوية ، والسادس في عصر الشاه عباس وخلفائه

وقد عرف المؤلف كيف يجمل القول في جميع هذه الفصول فدلَّ في الاول على احجام المسلمين عن التصوير اول امرهم ثم اقبالهم عليه متأثرين بصور المانوية واليعاقبة والنساطرة واشار في الثاني الى أثر مسيحيي الكنيسة الشرقية على اختلاف طوائفها في تكوين مدرسة بغداد وعلامات هذا الاثر تصوير الاشياء دون تجميل ولا تكلّف يضاف الى هذا ما ادخله الايرانيون انفسهم من اساليب الزخرفة . وبسط في الثالث كيف تسرّب الفن الصيني الى نواحي الفن الفارسي بغزو التتر للامبراطورية الاسلامية . وعرض في الرابع لصنعة الرسام الشهير بهزاد الذي تمت على يده الصورة الفارسية الكاملة اذ حذق مزج الالوان والتأليف التصويري وابراز الاشخاص في هيئات ثم على دخائل انفسهم وسرد في الخامس خصائص المدرسة الصفوية التي كادت تقف همها على تصوير رجال الخاصة وقصورهم وأبهتهم . ثم ختم في السادس قصة الفن الايراني مشيراً الى انعطاف هذا الفن عن التقاليد شيئاً فشيئاً نحو الطريقة الاوربية

ذلك مجمل هذا البحث النفيس ، ومما يزينه صور مستخرجة من الفن الايراني على تعاقب العصور مشروحة شرحاً لطيفاً ، ومما يدعمهُ وثائق واقوال ودراسات لكبار المستشرقين ومؤرخي الفن

وصفوة القول ان هذا الكتاب الطلي على جانب عظيم من التشويق واملنا ان يذهب المؤلف في هذا الميدان غير متوانٍ فيتحفنا بما يأتي من الزمان بكتب جديرة على هذا النسق القويم وان عنينا شيئاً وددنا لو جلت بعض الشيء من آراء غيره من العلماء فيخرج لنا مباحث نصيبهُ فيها وتلسة

ب . ف .

جزيرة العرب في القرن العشرين

تأليف حافظ وهبه — ٤٣٦ ص ٢٤ × ١٦ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

من عرف اميراً عربياً شغل الناس في هذا الزمن اكثر من الملك ابن سعود فالمؤلفات فيه ومقالاته ملئت صحفاً. وهذا كتاب يؤلفه فيه السيد حافظ وهبه الوزير المفوض والمندوب فوق العادة للمملكة العربية السعودية بلندن. والحق ان موضوع الكتاب غير مقصور على ابن سعود فهو يتناول البحث في جزيرة العرب من الناحية الجغرافية والخلقية والسياسية ثم يعرض عرضاً طويلاً لآل سعود

وهذا الكتاب مسوق سياقة حسنة ومرتب ترتيباً يبعث على الرضا ومدعم بوثائق ومستندات قوية (من ص ٣٥٠ الى ص ٤١٨) الا ان المؤلف اختصر القول اختصاراً عند الكلام على «العوائد والاخلاق» فأطال الحديث فيما لا جدوى فيه (باب الكرم مثلاً) واسرع الخطى كأنما تجنب البحث في الاخلاق من ناحيته الاجتماعية الفلسفية (باب الفرق بين البدو والحضر، باب المساواة) وكان يحق للمؤلف ان يرجع هنا الى الكتاب الذي الفه الدكتور بشر فارس باللغة الفرنسية وعنوانه «العرض عند عرب الجاهلية». ذلك ان البدو لم يغيروا كثيراً من حياتهم التي كانوا يحيونها قديماً. اضف الى هذا ان مراجع الكتاب ضئيلة جداً ونخص بالذكر ما اهمل اثباته الكتب التي الفها الرحالون امثال الريحاني «ملوك العرب» والقس سلمان «خمسة اعوام في شرقي الاردن» ثم كتب الاب Janssen الفرنسي في «عرب مواب» وغيرها ثم كتب المستشرق التشكوسلوفاكي «موزل» ومن يدري كيف اهمل المؤلف بعض التآليف العربية القديمة مثل اسد الغابة لابن الاثير وطبقات ابن سعد بعض التآليف الاخرى التي اثبتها في المراجع العربية (ص ٤٨٣). واما ثبت الكتب الانجليزية (٣٤٩) فمشحون غلطاً مطبعياً

واما ميزة الكتاب فالعقد المنضود في آل سعود من حيث انه وثيقة تاريخية ومرجع صالح لولا ميل الى الدفاع عن امير الجزيرة

ب

ترجمة احمد زكي باشا

للدكتور بشر فارس

نشر صديقنا الدكتور بشر فارس في مجلة البحوث الاسلامية Revue des Etudes Islamiques الصادرة في باريس (العدد الثالث سنة ١٩٣٤) مقالاً مسهباً تناول فيه سيرة فقيد العروبة العلامة احمد زكي باشا رحمه الله. وميزة هذا المقال انه جاء وافياً جامعاً مؤيداً بالوقائع والاخبار الوثيقة وهو مقسم اقساماً: تاريخ حياة احمد زكي ثم اعماله العلمية ثم مساعيه الوطنية ثم خلقه ثم اثره

فلا يسعنا الا ان ننوّه بهذا العمل الذي قام به واحد من اقرب الناس الى الفقيد ارادة بث مآثره في الغرب

١ — قبس من الشرق

مجموعة من الشعر الشرقي نقلها الى الشعر العربي الاستاذان خليل شيبوب وعثمان حلمي ... صفحة من القطع المتوسط ... الاسكندرية

هي فكرة حية وبدء كريم، منها الاستاذان خليل شيبوب وعثمان حلمي وأسدياها الى الادب العربي، وهي صورة جديدة يصبانها من آداب شعوبه الى ادب شقيق، وقبس سيهتدي به كثير من الادباء الى الشرق المودع كنوزاً وأسراراً اقرب الى نفوسنا ومشاعرنا وخيالاتنا ومن في اعماقنا من اسرار الشرق وعجائبه، وسيبهرهم بإذن الله اشعاع هذا القبس ونأمل ان يتعهدوه

والثقلان شاعران قويان مجيدان استطاعا ان ينقلا تلك الصور بقدر حذقهما محافظين على الروح والفكرة على الرغم مما في هذه الطريق العسيرة من مصاعب ولا سيما في النظم، وأديا الواجب مخلصين، وقد نقلا في كتابهما هذا عن الفردوسي وطاغور (ونثبت اول طاغور كما يقول الاستاذ عبد الستار علي بصدر الكتاب عن تحقيق لهذا الاسم)، ومحمد إقبال والتي سليمان وموريس رورسيلد الشاعر العبري والامبراطور موتسوهيتو، والشاعر اليابانى يكوهوريموتشي والشاعر الصيني لياج تي تاو وثلاث اغنيات الاولى نسبة لاسو في شرق افريقيا والثانيتان لرقص قبيلة هرروس من زنوج افريقيا، وقد قام كل منهما بنصيب خاص من هذا العمل الطيب

والذي اذكره مما نقلاه عن طاغور ان تلك المقطوعات قرأتها منذ سبع سنوات في كتابه « جيتنجالي » وليس « جني الفاكهة » اذ اني اذكر ان الكتاب الاخير مجموعة من الشعر الصوفي ملخصة بالكتاب الاول. وقد تفقدت هذا الكتاب من كتبي لأتأكد من ذلك فافتقدته. واننا لنأمل ان لا تقف جهود الشاعرين الفاضلين عند هذا القبس بل تتلوه مصابيح اخرى تزيد من ثروة الادب العربي وتطلعنا على كنوز الشرق المجهولة

٢ — احلام النخيل

نظم عبد العزيز عتيق — ١٢٦ صفحة من القطع المتوسط ... مطبعة ... بالاسكندرية

« احلام النخيل » هو الديوان الثاني لهذا الشاعر الرقيق الذي يدس روحه فيما يكتب، عادئاً في غير ما جلبة او طنين، ساكباً على شعره مسحة من التأملات الصوفية الحائرة الهائمة التي تتطلع الى افق بعيد، له ديباجة نقية وروح تتعلق بالالوان الجديدة فتصفي منها على ما ينظم ما يتناسب من ظلال، ولهذا تجده يتخلص في ديوانه الثاني من كثير مما في ديوانه الاول من عقبات توضع امام المعاني الرقيقة فتعوق التأمل الحائر. ولهذا اعجبت به الآن اكثر مما أعجبت به قبلاً والمح من وراء شعره انواراً جديدة فاتنة وأطيافاً حالمة عسى ان يطلعنا عليها قريباً

وهذا الشاعر ميزة الوصف الدقيق والاحاطة منه بدقائق الموصوف ، وقد تجلى هذا فيما صوّره في شعره الوطنيّ وفي الملاك التائه وكتب نصطاف ووداع الشاطئ، وغيرها وفي نعات كثيرة من قصائده الاخرى ، وقد اجتني تلك الروح الشعرية الخالصة المتجلية في نشيد الغروب والشمس الحديدة ، وفي طريق الواحة وبيئة الزورق وفي انتظار الحب والشاعر الصامت وغيرها

ويمتاز الى جانب ذلك بالاخلاص في التعبير عن احساسه ونزعاته في صدق وبساطة ، وهذا هو الفن الخالص . فالاخلاص والصدق والبساطة من امارات الشخصية لهذا الشاعر ولذلك تلمح صورته في كل قصائده لا تختلف في واحدة عن اخرى الصيرفي

شهران في اوروبا

أهدي اليّ كتاب (شهران في اوربا) من مؤلفه الكاتب الواعي الاستاذ توفيق حبيب وهو يقع في نحو ثلاثمائة وعشرين صفحة، وقد حلي بالرسوم والصور لاهم مناظر اوربا كلها وآثارها ولا أقول اني عنيت بمطالعة هذا الكتاب من الجلدة الى الجلدة ولكن أشهد أن هذا الكتاب أرغمني على قراءته ارغاماً وناهيك بكتاب كتبهُ قلم يجمع بين مرانة جنبين سنة وتجاريبها واعني به قلم الصحافي المحنك فهو من قوة الاستهواء بحيث يحمل القارىء معهُ مع المؤلف يرى بعينه ويحس بحسه فهذا الكتاب في كتب الرحلات يعد من النوع الذي يصف المشاهد حتى لكأن الغائب يراها بل أقول حتى يستغني الغائب عن أن يراها . ولست أدري هل كانت شركات الملاحة ومكاتب السياحة ترحب بالصحافي المحنك وتسهل له السفر ليكتب كتاباً يغني الناس عن السفر ام يغريهم به؟ أما أنا فأبادر الى القول ان الصحافي المحنك أراد الاثنين معاً فهو يريد ان يغري القادرين كما يريد ان يغني العاجزين لانهُ يحب الربح والاحسان معاً انظر صفحة ٧٧ في كلامه عن الفتاة الاميركية صاحبة (فيلا سربلوني) ولكن هل يتعمد الصحافي المحنك انهُ يكتب لكل الناس؟ كلا فالذين يعيشون في الحاضر والذين يحسون متاع الدنيا هو في ملذات الجسوم والذين لا يفهمون الحضارة الا في مراقص الملاهي والمودات الحديثة هؤلاء جميعاً هم الذين يخرجون من حساب استاذنا المحنك ولكنهُ يكتب للذين يعيشون بأجسادهم وعقولهم اي انهُ لا يكتب الا لاصحاب الحيويات القوية حقاً لانهُ يورث حقاً ماهو متاع الحياة فكتاب الصحافي المحنك يعني بمشاهدة الحضارات القديمة كما يعني بوصف المنشآت الحديثة وكما يحب الصحافي المحنك زيارة المعابد والمتاحف كذلك لم يهمل أن يعرج فيشاهد بعض (مارات) ، او مراقص شارع مونبرناس وهكذا يعود كتاب تلك الرحلة ليس كتيباً من الاوراق المحبرة ولكنهُ صفحات من الآداب او من الحياة مسطرة . فالاستاذ توفيق حبيب يعدّ احد كتّاب الرحلات المعدّين الثقاة

محمود ابو الوفا

التاريخ العام للفنون

الفن الفطري وفن القرون الوسطى تأليف لويس ريو (باريس ١٩٣٤) — ٤٤٢ ص و ٢٧٥ صورة و ٣ خرائط

Histoire Universelle des Arts. L'art Primitif. L'art Médiéval, par Louis Réau. Editions Armand Colin, Paris 1934

قد سبق لنا ان تحدثنا الى قرّاء المقتطف عن مجموعة التاريخ العام للفنون واليوم قد ظهر الجزء الثاني وهو منطوٍ على كتابين الاول في فن الامم الفطرية Primitives والثاني في فن القرون الوسطى في اوربا. وميزة هذا الجزء أنه قائم على اسلوب هندسي ومن ذلك أن مظاهر الفن لم تدرس فيه مستقلة بذاتها بل مضافة الى منابعها ومصادرها ومن علامات ذلك ان فن القرون الوسطى رُدّ الى منشئه اي بزنطية وفرنسا. ففي عاصمة بلاد الروم صعد الفن الى مدن الصقالبة ومن فرنسة انحدر الفن الى اسبانية وايطاليه وسويسرة وانطلق الى انكلترة وهولندة والمانية والاسوج والنروج. واما فن الامم الفطرية فهو فن اولي لا ينتمي في ذاته الى أصل من الاصول وانما في عرضه وتحليله فكاهة لما فيه من الغرائب وفائدة من حيث انه كان موصولاً بالدين والسحر ومجرى لانه رأس سلسلة لفن هذا وكان المؤلف لم يعن بالناحية الاجتماعية من الفنين المذكورين العناية كلها ومن ذلك انه لم يلتفت الا قليلاً الى تأثير المذهبيات المختلفة في مظاهر الفن في شتى البلدان

الادب العربي في آثار اعلامه

تأليف الاساتذة «حسن بن الدين» و «فؤاد افرام البستاني» و «يوسف برودي»

كتبنا عن الجزء الاول من هذا الكتاب في عدد المقتطف الصادر في مايو سنة ١٩٣٥ وكان يشمل نصوصاً من الادب منتخبة من الجاهلية ثم صدر الاسلام الى آخر دولة بني أمية، ثم صدر هذا الجزء الثاني وهو يطوي العصر العباسي كله وقد اتبع فيه الاساتذة منهاجهم الاول الذي يراد به تبصير الطالب العربي بأدب لغته، ثم تشويقه لذة هذا الادب، لينشأ من ذلك الذوق الادبي الذي يحتكم اليه الادب المروي، ويخرج على روائعه الادب المنشأ

ولعل الاساتذة قد لقوا عنتاً كبيراً في جمع هذه النصوص واختيارها لطول العصر الذي يريدون أن يضعوا بين يدي الطالب صورة من شعره وأدبه ثم لعظم المادة الادبية التي فاض بها هذا العصر ومع ذلك فقد استطاعوا أن يختاروا أجود هذه المادة، وأدلها على العصر، وأبقاها على الزمن، وأروعها في الفكرة والعرض، وأشدها حضاً للطالب على متابعة التأدب الفني، والتفنن في الادب

وفي هذا الجزء خلاصة الادب العربي في شعر بشار وأبي نواس وأبي تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي وأبي فراس، وما جادت به قرائح أهل الشرق والاندلس من الموشحات، ثم المختار من كتابة الكتاب كابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان والحريري وأبي الفرج الاصفهاني وابن الاثير صاحب المثل السائر، والحق أن هؤلاء جميعاً هم أصول الادب العربي في هذا العصر

سير الزمان

السيطرة على البحر المتوسط

تاريخ المشكلة وأدوارها

لمسيو لويجي غبرزوني

محمد علي والامبراطورية العربية

لادمون سيير



حديقة المقتطف

دائماً — الزوبعة

للشاعر الفرنسي هانري لاهور

ربيع الفجر

للشاعر الانكليزي كبلنج

بين عرسين

للشاعر الالماني ستراوس



فهرس الجزء الاول

من المجلد التاسع والثمانين


المقتطف
العلم والدين لا يتنافيان
مصير الحضارات
العلم أمس واليوم
روح الاستعمار العصرية

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد التاسع والثمانين

١ يوليو سنة ١٩٣٦ — ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٥

عيون العلم
التي ترى ما لا يُرى

ما يحوله العلم الحديث الى جنب احد النجوم كالمس
يبدو عنه كالامة [الاستاذ غلبرت لوس]

الاستاذ الفرد نورث هوايتهد ، كبير اساتذة الفلسفة في جامعة هارفرد ، عالم وفيلسوف . ولعلهُ أوسع الفلاسفة المحدثين قدماً في العلوم الرياضية والطبيعية . فقد تعاون ورسل في العلوم الرياضية ، لانهُ كان رياضياً قبل ان ينحو النحو الفلسفي ، ولكن فلسفة رسل اوثق صلة بالاجتماع منها بقضايا الفلسفة الكبرى ، وفي هذه من حيث صلتها بالعلوم الحديثة قد يكون هوايتهد نسيج وحده

يقول هوايتهد ما معناه : يدعي العلماء ان مادة العلم تستمدُّ من اشياء تدركها الحواس — المرئيات والمسموعات والملموسات وما اليها — إلاَّ انها في الواقع لا تنحصر في هذه الحدود بل ان ريادة العالم المكنون الذي من وراء الحواس ، من اروع المظاهر التي تبدو في افق العلم الحديث . فانتا نعلم ان اللورد رذرفورد ، عندما يهشم ذرة في معمله بكمبردج ، لا يرى جزيئاً ولا كهرباً بل هو لا يشاهد الا أثر لمعة من الضوء . وعندما يقيس الدكتور هبل ، احد علماء مرصد جبل ولسن ، حيود الخط الاحمر ، في طيف سديم لولبي ناءٍ ، فهو في الواقع لا يرى ضوءاً مجاوراً بل هو لا يرى ضوءاً ولا سديماً على الاطلاق . وكل ما يراهُ ، صورة فيها خطوط

شعت تختلط بعضها ببعض ، صورت تعرض اللوح اربعين ساعة متواصلة ، لناحية معيّنة في الفضاء

ولولا التصوير الضوئي [١] لتعذّر على الانسان ادراك الاجسام البعيدة عنهُ ، بعضها من ناحية اتصال من ان يرى بأكبر المراقب ، وبعضها من ناحية اخرى على اشعة لا يحسها عصب البصر في عين الانسان (كالنجوم التي معظم ضوئها من الاشعة التي تحت الاحمر infra red) . وعند ما نعرض لاصناف الاشعاع الكثيرة من الاشعة اللاسلكية الى التي تحت الاحمر في الطرف الواحد الى الاشعة التي فوق البنفسجي وما وراءها في الطرف الآخر نرى ان العين الانسانية لا ترى الأُحزمة من شتى حزمة منها وهو طائفة الامواج الواقعة بين اللونين الاحمر والبنفسجي

فارتقاء العلم تمَّ بمدِّ آفاق العين البشرية بوسائل مختلفة مكنت العالم من رؤية ما لا يُرى ، مدركاً من ناحية المتناهي في الصغر ومن ناحية المتناهي في البعد

وجلُّ ما يعرف الآن عن الذرات والنجوم والسدم عرف عن طريق هذه الوسائل غير المباشرة

ويمكن هذه الوسائل غير المباشرة جميعاً لا تجدي اذا لم تصل آثارها أو نتائجها بطريقة من الطرق إلى العين البشرية . فالعين بهذا المعنى لا تزال الحكم الأخير في حقائق العلوم وعلى الباحث العلمي ان يعتمد على عينيه في قراءة ما تدونه الآلات والاجهزة من المقاييس او ما تصوره من الصور انه كالشرطي السري ، يبحث عن مجرم فارٍّ ، فيعوزهُ تارة ولكنه من يراه انما ينظر الى صور بصماته ، وأوراق خطه ، وآثار اقدامه ، وغير ذلك من الأدلة فيستخرج منها صورة لهُ . كذلك عالم الطبيعة الحديث ، يرسم صورة الذرة كما يجب ان تكون ، من الآثار التي تتركها الذرة في ألواح التصوير الضوئي . وغيرها من اجهزة البحث العلمي

ان جانباً كبيراً مما نعرفه الآن عن بناء الذرة ، نشأ عن اطلاق دقائق معينة على الذرات ثم قياس انحراف هذه الدقائق خلال ارتدادها بعد اصطدامها بذرة ما ، وهذا العمل يشبه قذف كرات التنس على جسم غير منظور ، ثم ملاحظة كيف ترتدُّ هذه الكرات وجهات ارتدادها وزواياها وطاقتها ومن هذا كله يعرف شكل الجسم الذي ردَّها قد يقول القارئ ، ان هذه طريقة فيها كثير من المداورة لمعرفة أشكال الاجسام . ولكن اذا كان جسم ما ، مما لا تراه عين او تمسه يدٌ بردٍ ، في الوقت نفسه كرات التنس ، فماذا لا نعمد الى هذه الطريقة في معرفة بعض خصائصه ؟

فكرات التنس في هذه الحالة امتدادٌ ليد الانسان ، بل يصحّ ان نقول ان راميها يمسّ

---

(١) Photography فضلت التصوير الضوئي على التصوير الشمسي ، لانها ادق في ترجمة المعنى الاصلي لان التصوير ممكن بضوء غير ضوء الشمس كالتصوير بلا ضوء منبعث من المصور

احسم يدي بردها وعلى هذا السؤال يقول الاستاذ عدنت لوس « ادعي ان عيني تمس النجم كما تمس يدي هذه المائدة »

بهذه العين تمس عين الانسان المجردة ستة آلاف نجم لا غير . فلما صنع غليليو مرقبه الاول — كان قطر عدسته بوصتين وربع بوصة — ووجهه الى السماء دهش دهشاً عظيماً عندما تبين له انه يستطيع ان يرى به من النجوم عشرة اضعاف ما يراه بالعين المجردة

واطرد الارتقاء في صنع المراقب وتكبير عدساتها ومراياها من عهد غليليو الى يومنا هذا فاصبح العلماء ينظرون الى السماء بمراقب اقطارها ستون بوصة وسبعون بوصة ومائة بوصة . فرقب هوكر في مرصد جبل ولسن بكليفورنيا قطره مائة بوصة . وقدرته على جمع الضوء تعدل قدرة تسعين الف عين . وهذا يعني اننا نستطيع ان نرى بهذا المرقب اجساماً تبلغ تسعين الف ضعف من اصغر النجوم التي نراها بالعين المجردة . وقد زاد عدد النجوم التي تمكن رؤيتها به الى ٥٠٠ مليون نجم او اكثر قليلاً ، وبألواح التصوير الضوئي المتصلة به كشف عن ٥٠٠ مليون نجم أخرى ، اي ان الفلكي يستطيع الآن ان يدرس الف مليون نجم بواسطة هذا المرقب وجهاز التصوير الضوئي المتصل به . وينتظر ان يتم قريباً صنع مرقب آخر قطره مائتا بوصة

ولكن هذه النجوم الثابتة ، لا تظهر في عدسة المرقب ، ولا على لوحة التصوير الضوئي اكثر من نقطة من النور . ان بعدها الشاسع يحول دون ظهورها عليها بمظهر قرص كما نرى الشمس او القمر

فاذا عجز العلماء عن الصعود الى بعض اسرار النجوم بالرؤية المباشرة . فهذا لا يحولون ان يصعدوا اليها من سبيل غير مباشر ؟ ان ظهور شبح النجم قرصاً بالمرقب ضروري للتمكن من قياس حجمه . فاذا كان لا يبدو الا نقطة من النور حتى في اكبر المراقب ، أيمكن ان يبقى قطر قرصه محجوباً عنا ؟

كلا . فالعلامة ميكلصن (راجع بحثه في كتابنا اساطين العلم الحديث) استنبط جهازاً غاية في البراعة، يدعى الانترفرومتر . بهذا الجهاز يستطيع الباحث ان يستخلص من صورة مسحة ترسم للاشعة الواصلة من نجم ما ، حقائق عن قطره ، فاستعمله في قياس قطر النجم المعروف بمنكب الجوزاء ، فاذا هو ٢١٥ مليون ميل ثم استعمل في قياس اقطار خمسة نجوم اخرى منها قلب العقرب فاذا قطره ٤٠٠ مليون ميل اي ان قطر هذا النجم اكبر من قطر فلك الارض حول الشمس !

ولا ريب في ان هذه الآلة ، شأناً عظيماً في علم الفلك الحديث ، لدقتها وسهولة استعمالها فتقاس بها الآن المسافة بين نجمين في نجم مزدوج علاوة على قياس النجوم الصغيرة والكبيرة التي لا يمكن ان يرى لها قرص لبعدها عنا

وبين المِطياف ([illegible]) والمصوِّرة الضوئية من احدى الاجهزة الحديثة على علمي الفلك والطبيعة فمدَّ امتدت عين الانسان الى أبعد الابعاد من ناحية وهدت الى ادق واصغر اجزاء الذرة من ناحية اخرى

كان الفيلسوف الفرنسي اوغست كونت من اعظم عقول زمانه ، ولكنهُ مع ذلك قال ان العقل البشري لا بدَّ ان يبقى جاهلاً بعض الاشياء وضرب على ذلك مثلاً بناء الاجرام السموية من الناحية الكيمائية . فهذه المسألة كانت في نظر كونت وغيره من علماء ذلك العصر من وراء مقدرة العقل البشري ، لانهم كانوا يجهلون حينئذٍ الوسيلة التي تفتح أمامهم ابواب هذا السرّ المغلق

ونحن اليوم ندرس بناء النجوم ، كما ندرس بناء الاجسام المادية في المعمل الكيماوي . والمفتاح الذي فتح امامنا الابواب ، هو علم الحلّ الطيفي وآلتهُ المطياف

فما كاد العلماء يكشفون المطياف ، حتى اصبح بناء الاجرام السموية امامهم كالكتاب المفتوح به عرفوا العناصر التي تدخل في بنائها ، وقد كشفوا حتى العهد الاخير ، نحو ستين عنصراً من العناصر الارضية في كتل النجوم ، ثم انهم اثبتوا بالحلّ الطيفي ان جوّ المريخ يحتوي على الاكسجين وان لا اثر لهُ في جوّ الزهرة . وبيّنوا بواسطة الخطوط المختلفة التي تظهر في طيوف النجوم والسدم، ان الذرّات التي على الارض، كائنة كذلك في أبعد السدم وفي اذناب المذنبات وعلى سطوح النجوم البيض التي بلغت حرارتها درجة الباهر . وبذلك صار المطياف اقوى الادلة على وحدة الطبيعة

من نحو ٢٠٠ سنة امرَّ العلامة اسحق نيوتن شعاعةً من الضوء في موشور من الزجاج في غرفة مظلمة ، فرأى على الجدار المقابل الوان قوس قزح . فأفضى به ذلك الى الاعتقاد بأن نور الشمس مركَّب من اشعة مختلفة ، ولكن نيوتن ادخل شعاعة النور الى الغرفة المظلمة من ثقب مستدير ، فكان شبح الشعاعة بعد اختراقها الموشور وخروجها منهُ رقعة مستديرة من الضوء . ولو اتفق لهُ ان يدخل شعاعة النور من شقّ مستطيل ، لكان اكتشف علمَ الحل الطيفي حينئذٍ ، وهذا ما فعله كرشوف وبنصن الالمانيان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

الى جوزف فراونهوفر يعود الفضل في اكتشاف امر حقيقة علمية تتعلق بحل الطيف بعد اكتشاف نيوتن وهو ان نور الشمس مركَّب من طوائف من الاشعة لكلٍّ لونها الخاص . ذلك ان فراونهوفر اكتشف ما يعرف بظاهرة « الخطوط السود او القاتمة » في الطيف ومع انهُ توفي سنة ١٨٢٦ وهو في السادسة والثلاثين من عمره ترك في هذا الاكتشاف اثراً في علمي الطبيعة والفلك لا يزول . كان ابن حرّاف فقيرٍ ، فتلقى عليهِ اصول الحرافة ثم تعلّم صنع الزجاج فاتقنهُ واشتهر فيهِ فاختير لمنصب في معهد بصري [illegible] بمدينة مونيخ ، حيث انتخب عضواً في اكاديمية العلوم وعيّن اميناً لمكتبتها في العلوم الطبيعية . هناك استنبط اساليب

جديدة لصقل العدسات وقياسها . ووضع رسوماً جعلها مصلح العدسات ، وتعلّم كيف يحسب أشكال العدسات المختلفة حساباً رياضياً دقيقاً

ولكن همه الأعظم كان متجهاً الى صنع عدسات « اكروماتيكية » اي لا تظهر في الأشعة التي تمر فيها بقع ملوّنة ، وهذه البقع تنشأ اذا كان سطح العدسة غير محدّب تحديباً تاماً فتتكسر الامواج وتتفرّق فتنشأ ظاهرة البقع الملوّنة ولكي يتمكن من تحقيق غرضه هذا ، درس طيوف انوار مختلفة وكان ذا يوم يدرس طيف نور صادر من مصباح ، فاكتشف في الحيز الاصفر من الطيف خطاً مزدوجاً هذا الخط يعرف الآن بخط الصوديوم وهو من اشهر خطوط الطيف لان رؤيته سهلة ويمكن للقارىء اذا رأى مصباحاً عجيباً في مدرسته وعلمت ان ترى مطيافاً . كان خط الصوديوم هذا اول ما رؤي من خطوط الطيف ومتد به البحث ، فاكتشف هذا الخط في طيوف انوار اخرى ولكن الخط كان دائماً في محل واحد من منطقة اللون الاصفر ثم حلّل نور الشمس ، فرأى مكان الخطين الاسودين في طيوف انوار المصابيح طائفة من الخطوط المتلألئة وبعضها اكثر قواماً من البعض الآخر ، الى ان بعضها اسود ثم فحص فراونهوفر نور النجوم فرأى في طيفه خطوطاً تشبه الخطوط التي رآها في طيف الشمس

فدعيت هذه الخطوط خطوط فراونهوفر ولكن فرونهوفر مات قبل ان يدرك تعليلها ، وما لها من الشأن في زيادة اسرار ومعرفة بناء النجوم والسدم وحركات الاجرام السماوية

وتلا فرونهوفر في هذا الميدان عالمان المانيان هما بونزن وهو مخترع الصباح الكهربائي وغوستاف كرشوف الطبيعي . كانا حينئذ استاذين في جامعة هيدلبرج وكان بونزن قد استنبط المصباح المعروف باسمه وكان هذان العالمان يحرقان في لهيب هذا المصباح بعض العناصر الكيمائية ثم ينظران الى الوانها بالمطياف وكانت هذه الآلة من تركيب جديد من ثلاثة أجهزة اولها جهاز لجمع اشعة الضوء على موشور زجاجي ، ثم موشور مثلث الذي يفرق النور الى الالوان المؤلف منها ، ثم مرقب صغير يجسّم الطيف حتى تستطاع رؤيته وما لبثا حتى وقفا الى اكتشاف اساسي في هذا الميدان ، وهو ان لكل عنصر خطوطاً لامعة في الطيف خاصة به

وفي يوم من أيام سنة ١٨٥٩ ، اكتشفا سر الفرق بين خطوط فرنهوفر — وهي خطوط قاتمة في الطيف — والخطوط التي كشفاها وهي خطوط لامعة ذلك انهما اشعلا مصباح بنصن ومحترا في لهيبه عنصراً من العناصر ، ورأقبا الطيف فوجدا الخطوط اللامعة الخاصة بهذا العنصر ثم جمعا نوراً قوياً من مصدر آخر وامراه في لهيب المصباح الذي يحترق فيه ذلك العنصر ، قبل جمعه وتوجيهه الى الموشور . فلما راقبا الطيف وجدا أن الخطوط فيه قد اصبحت قاتمة فأدرك كرشوف في الحال تعليل ذلك وكان تعليله صحيحاً أيدته المباحث التالية قال . — اللون الخاص

الذي يولده العنصر في لهيب مصباح بنسن في النور الوارد من مصدر آخر، الامواج التي من طوله تماماً، وكذلك يلغي الواحد الآخر. فيزول اللون الذي كان يولد في الطيف خطوطاً لامعة وكذلك تشاهد خطوط قاتمة وقد حلت محلها

هذا الاكتشاف مهد السبيل لتعليل خطوط فرنهوفر. كان العلماء قد عينوا مواقع مئات من الخطوط الداكنة — خطوط فرنهوفر — في طيف الشمس. ولكنهم لم يدركوا معنى هذه الخطوط الا بعد اكتشاف بنسن وكرشوف الاخير، وتعليل كرشوف له التعليل الصحيح. ذلك ان طبقة الشمس الخارجية ... تطلق امواجاً مختلفة تمثل امواج الطيف المرئي، ولكن هذه الامواج قبل ان تصل الى مراقبنا ومطايفنا يجب ان تمر في جو الشمس حيث توجد معظم العناصر في حالة غازية متأججة. وكما عدّل النور الصادر من جسم آخر لون اللهيب الخاص بعنصر معين في مصباح بنسن، كذلك تفعل هذه العناصر المتألقة في جو الشمس بالامواج الصادرة من سطحها. فلذلك نرى خطوطاً سوداً او قاتمة في طيف الشمس. فاذا اتفق موضع خط من هذه الخطوط او موقع طائفة منها، مع موقع خط (او طائفة) خاص بعنصر من العناصر عرفنا ان هذا العنصر موجود في جو الشمس. وكذلك نستطيع ان نعرف تركيب الشمس الكيماوي وهي على ٩٣ مليون ميل منا

وما كاد كرشوف وبنسن يكتشفان هذه الحقيقة حتى استعملت اداتهما في اكتشاف عنصري السيزيوم والروبيديوم في المياه المعدنية التي تنبع في دوركهيم. ويروى في هذا الصدد قصة كان كرشوف يحب ان يرويها قال: كانت المسألة المطروحة على بساط البحث، هل تكشف خطوط فرنهوفر عن وجود الذهب في الشمس؟ وكان صراف كرشوف يقول له وماذا يهمني ان كان الذهب موجوداً في الشمس ما دمت لا استطيع ان آتي به الى هنا. وبعد ذلك نال كرشوف من احدى الجمعيات العلمية في انكلترا مدالية ذهبية ومبلغاً من المال جزاء له على مباحثه. فذهب بها كرشوف الى صرافه وقال له بعد الفحص في ان آتي لك بالذهب من الشمس!

وتلا ذلك استنباط وسيلة ادق من الموشور لحل الطيف. فكان استنباطها من نصيب رولند العالم الاميركي والاستاذ في جامعة جونز هبكنز في العقد الاخير من القرن التاسع عشر. ذلك انه صنع آلة لتخطيط قطعة من الزجاج خطوطاً عديدة متلازة ويقال ان البوصة المربعة في النادر منها قد تحتوي على ٣٠ الفاً من هذه الخطوط (الانسكلوبيديا البريطانية). ومن يملك قطعة منها يحسب انه يملك كنزاً علمياً لانها افضل ما عرف من وسائل العلم لحل نور الشمس الى الالوان التي يتركب منها. ثم قضى رولند بعد ذلك سنين عديدة في درس طيف الشمس، فقال انه وجد في مناطق الالوان المختلفة نحو عشرين الف خط، وان كل خط او كل طائفة منها تشير الى مادة معينة في كتلة

الشمس فلما أتم رولند مباحثه ، كان قد كشف في الشمس عن ٣٦ عنصراً من العناصر الكيمائية المعروفة على الارض وقد كشفت بعد وفاته عناصر أخرى لان العلماء صنعوا الواحاً فوتوغرافية شديدة الاحساس ، تتأثر بالنور الذي تحت الاحمر، وكذلك كشف العلماء عن نحو ستين عنصراً من العناصر الكيمائية في مادة الشمس

أما في النجوم فاننا لا نستطيع ان نشهد في طيف نورها التفصيلات التي نشهدها في طيف الشمس ولكن المطايف الكبيرة التي بنيت في العهد الاخير وألحقت بالمراصد الكبيرة كرصد جبل ولسن ، قد كشفت عن عشرات من العناصر الكيمائية في مواد النجوم

ثم ان الخطوط التي تبدو في الطيف لا تكون مستقرة في مكانها اذا كان مصدر النور متحركاً بل هي تميد الى الاحمر اذا كان الجسم متعداً عن المراقب او تميد نحو البنفسجي اذا كان الجسم مقترباً منه. وعلى هذا الاساس استطاع الباحثون ان يكشفوا عن دوران الشمس على محورها وسرعة هذا الدوران ، وكذلك دوران السيارات وسرعته، وعرفوا ايضاً ان حلقات زحل ليست مادة جامدة بل مؤلفة من كريات صغيرة كل منها بمثابة سيّار صغير. وعليه بنيت ادق الحسابات لبعد الشمس عن الارض . ولما طبق هذا المبدأ على النجوم ، عرفت حركة الشمس بالقياس اليها ، وقيست ابعاد مئات منها ، وكشفت عن مئات من النجوم المزدوجة ، وعرفت كتل بعضها و أقطارها . ثم درست نتائج هذا المبدأ ، فيما يرتبط بنور السدم التي خارج المجرة ، فتبين ان معظمها يبتعد عنا بسرعة عظيمة . فقدرت سرعة ابتعاد احد هذه السدم بـ ١٥٠ الف ميل في الثانية — وعلى هذا بنيت نظرية الكون الآخذ في التمدد او الاتساع Expanding universe ثم ان المباحث الطيفية بينت ان السدم نوعان او طائفتان . طائفة مكونة من كتل من الغاز المضيء او المتألق واما الطائفة الثانية فتطلق نوراً كنور النجوم فيرجح انها مجموعات من النجوم بعيدة عنا بعداً لا يمكننا من رؤية بعض نجومها الفردة

واذا كان هذا شأن المطياف في علم الفلك الحديث فما هو اثره في ميادين العلم الاخرى ؟ الكيماوي مدين للمطياف بالكشف عن عشرة من العناصر ، ولعل أشهرها عنصر الهيليوم الذي كشفه لكير في جو الشمس قبلما كشفه رمزي على الارض بنحو عشرين سنة . وانت تعلم مقام الهليوم في المباحث العلمية النظرية ، كتركيب الذرة وتحويل العناصر ، كما تدرك مقامه في الشؤون العلمية ، فهو الغاز الذي لا يصلح غاز مثله ، لملء اكياس البلونات ، لانه خفيف وغير قابل للالتهاب . ثم ان للمطياف شأناً اي شأن في علم الطبيعة النظري الذي يتناول الذرة وبناءها وتحويلها وكشف العناصر التي توجد منها مقادير ضئيلة في ركازاتها

المطياف جهاز يفرق الاشعة والامواج والخطوط ويميز بينها . ولكن المصوّرة الصوتية

([illegible]) اي آلة التصوير الضوئي ([illegible]) ، جهاز مدوّن او مسجل فاذا ربطنا الواحد بالآخر ربا مطياف مصوّر ([illegible]) والفرق بينهما واضح . فالاول لا يرى ما لا تراه العين قد يكون خطئاً وهو على كل حال ارزول ويسمى اما ما يرسم على لوح التصوير فيبقى بعد ذلك امداً . وكذلك نرى ان معظم المطايف التي يستعملها العلماء من المطايف المصوّرة . يضاف الى هذا ان لوح التصوير يثبت في الطيف خطوطاً دقيقة وامواجاً وراء البنفسجي وتحت الاحمر لا تثبتها العين المجرّدة ثم يدونها

ولنضرب مثلاً من المباحث العلمية الحديثة على الفوائد العظيمة التي تجنى من استعمال المطياف المصوّر مضت سنوات والعلماء يحاولون ان يتبينوا العناصر التي تتركب منها الشمس . ففي سنة ١٨٥٩ كشف كرشوف وجود الحديد والصوديوم وغيرها في كتلتها وتبعها غيره في هذه الحلبة حتى بلغ عدد العناصر المعروفة في مادة الشمس ، تسعة وخمسين عنصراً في مستهل سنة ١٩٣٤ ولكننا نعلم ان العناصر على الارض اثنان وتسعون عنصراً واذاً فعلى العلماء ان يمضوا في بحثهم لعلهم يجدون في مادة الشمس العناصر الثلاثة والثلاثين الباقية

ولا يخفى ان من ابواب الارتقاء الحديث في التصوير الضوئي ، زيادة قدرة الالواح لتصوير على الاحساس بالاشعة التي تحت الاحمر . فمن ثلاثين سنة كان يتعذر على العالم ان يصور جسماً مصوراً بضوء الاحمر وما تحت الاحمر . كانت آلة التصوير الضوئي حينئذٍ تشبه العين في عجزها عن تبين المرئيات في ذلك الجانب من الطيف . ولكن ارتقاء التصوير مكّن العلماء من تصوير اجسام بضوء النور الاحمر وجانب كبير من الاشعة التي تحت الاحمر

وكان عالم اميركي يدعى كيس ([illegible]) يحاول سنة ١٩٣٣ ان يدرس بعض العناصر درساً طيفياً باستعمال التصوير بالاشعة التي تحت الاحمر فوجد ان في طيف الفصفور المحترق ، خطوطاً كثيرة في الجانب الذي تحت الاحمر . وكان قد عرف قبل ذلك ان للفصفور خطوطاً في منطقة الضوء الذي فوق البنفسجي . وان ليس له اي خطوط في منطقة الضوء المرئي من الطيف . فعندما تشعل عود ثقاب يطلق الفصفور الذي فيه ، اشعة لا ترى بالعين لانها اشعة حرارة واشعة فوق البنفسجي

لنعد الآن الى الشمس . في سنة ١٩٣٤ شرعت الآنسة شرلوت مور في مرصد جامعة برنستن في قياس بعض الخطوط الظاهرة في صور ضوئية لطيف الشمس صورت في مرصد جبل ولسن كان مصور هذه الصور رجلاً يدعى بابكك وكان قد صورها باكبر مطياف مصوّر في المرصد مستعملاً اشد الالواح احساساً بالاشعة التي تحت تحت الاحمر فظهر في الصورة في المنطقة الخاصة بالضوء الذي تحت الاحمر خطوط لم تكن قد ظهرت قبل اتقان هذا الضرب من التصوير . فوقلا

يجوز ان تشير بعض هذه الخطوط في هذه المنطقة الى وجود العنصور في الشمس ؟ عقدت المس مور في بحثها مقابلة بين الخطوط التي في صور ماكلث والخطوط التي في صور كيس وكانت قد صوّرت للعنصور في معمل البحث الطبيعي وبعد بحث علمي دقيق اعلن في مجلة العلم ان العنصور يمكن ان يضاف الآن الى قائمة العناصر التي تتركب منها الشمس

وللمصوّرة الفوتية ميزة اخرى ذلك ان تأثير الضوء في لوح التصوير تأثير متجمّع فالعين اما ان ترى الجسم واما ان لا تراه . ولكن لوح التصوير يستطيع اذا استعمل في صنعه مستحلب خاص ، ان يصوّر في ساعة من التعريض للضوء ما لا يرى في ثانية او في دقائق وفي اربعين ساعة ما لا يمكن ان يدوّن في بضع ساعات اكتشف هذه الحقيقة اولاً المستر جورج بُند Bond مدير مرصد كلية هارفرد اذ بيّنه في سنة ١٨٥٧ الى ان فترة تنقضي بين بدء تعريض اللوح للضوء وبين تكون الشبح عليه وهذه الفترة تختلف طولاً وقصراً وفقاً لقوة ضوء النجم واحوال اخرى مختلفة ، وهي لذلك اصبحت مقياساً دقيقاً لاشراق النجوم بدلاً من الاعتماد على البصر والعين في تحديد اقدارها ، وكذلك نشأ ما يعرف في علم الفلك الحديث باسم القياس الضوئي للنجوم stellar photometry

وقد دلّت المباحث العلمية الدقيقة في معامل شركة كوداك ، ان دقيقة واحدة من مستحلب صالح للتصوير الضوئي ، تحتاج الى عدد من مقادير (كونتات) الضوء يختلف من الف مقدار الى اربعة آلاف مقدار ، قبل ان تصبح تلك الدقيقة صالحة للتحميض والتثبيت وفي شبكية العين ما يعرف بالعصيّات والمخروطات ، وهي تقابل دقائق المستحلب اي انها الاجزاء التي تتأثر بالنور . ولكن العصبة الواحدة او المخروط الواحد يحتاج الى [illegible] اي انها اشدّ احساساً من دقائق المستحلب الوف الاضعاف . ولكن مقدرة العين على الرؤية محصورة في جزء من الثانية فاذا لم يقع على العين من مقادير النور ما يكفي لرؤية الجسم تعذّرت رؤيته . حالة ان اللوح الفوتغرافي يبقى معرّضاً زمناً طويلاً للجسم ، حتى يجتمع عليه عدد كاف من مقادير النور يكفي للتأثير في دقائقه . فافضل الاجسام النائية التي صوّرت بمقياس جبل ولسن المصوّر ، تبعد عنا ٣٠٠ مليون سنة ضوئية . ولا يقع منها على مساحته ٢٠ سنتمتراً مربعاً من مرآة المرقب الا مقدار واحد من الضوء في الثانية اي انه يقع على سطح المرآة الكامل ٥٠٠ مقدار ضوء في الثانية فاذا ظلّ اللوح الفوتوغرافي معرّضاً لضوء هذا الجرم ثماني ليالٍ متوالية ، سقط على لوح التصوير عدد من مقادير الضوء كافٍ لاحداث التأثير في دقائق مستحلبه

قال هولدين : « ليس الكون اعجب مما نتصور بل هو اعجب ، مما نستطيع ان نتصوّر » . واذن فلا بدّ في استطلاع خفاياه من اعوان لعين البشرية وما تقدم وصف بعضها

فئات الدم (١)

للدكتور علي توفيق شوشه بك

مدير معامل مصلحة الصحة العمومية

ان العقل البشري جبار ، وكل نجاح يناله في الكشف عن الحقائق يحرك او يذكي شعلته للكشف عن حقائق اخرى . ففي عام ١٩٠٠ اكتشف لاندشتينر انه عند ما تختلط كريات الدم الحمراء لأحد الافراد بمصل شخص آخر يحصل احياناً تفاعل عجيب وهذا التفاعل هو تجمع الكريات على شكل كتل صغيرة ، وهو لا يحدث في كل مرة تمزج فيها مصل بكريات الدم ، ولكنه يحدث فقط عند ما تختلط كريات شخص معين مع مصل شخص آخر معين .

ويرجع السبب في حدوث هذا التجمع الى وجود مادة في الكريات الحمراء تتأثر بجسم مضاد لها في المصل . ولقد ظهر بعد ذلك ان هناك مادتين في كريات الدم اطلق عليهما اسم أ و ب لسهولة التفرقة بينهما .

وقد وجد « لاندشتينر » وغيره ممن قاموا بعده بهذه البحوث انه من الجائز وجود احدى المادتين في الدم ، كما انه من الجائز ايضاً عدم وجود احداهما ، او وجود الاثنتين معاً ، وعلى ذلك يكون هناك اربعة فئات من الناس . فالشخص الذي يوجد في دمه المادة أ يعتبر من الفئة أ ، والشخص الذي يوجد في دمه المادة ب يعتبر من الفئة ب ، والشخص الذي يوجد في دمه المادتان معاً يعتبر من الفئة أ ب ، كما ان الشخص الذي لا يوجد في دمه احداهما يعتبر من الفئة صفر

واول ما طبقت دراسة فئات الدم كان في حالات نقل الدم من شخص الى آخر . فاذا فقد شخص ما مقداراً من دمه في احدى الحوادث واصبح في حاجة الى اخذ مقدار آخر من الدم بدلاً منه فأول ما يجب ملاحظته هو عدم تجمع كريات الدم المتبرع به ابداً ، وذلك لسبب واحد وهو انها لا تتمكن من المرور في الاوعية الشعرية الدقيقة التي تصل الاوردة بالشرايين وعلى ذلك تعمل التجارب قبل عملية نقل الدم للتأكد من عدم تجمع كرياته عند اختلاطها بمصل المصاب

وبعد وقت وجيز من اكتشاف ما لتلك الفئات من الشأن في حالات نقل الدم اخذ علماء دراسة

(١) الحديث الثاني من المحاضرة المختصة التي القاها الدكتور شوشه بك في مؤتمر المجمع المصري للثقافة العلمية

الوراثة البشرية في توجيه اهتمامهم الى موضوع اختبار توارثها ، فاختبروا في فحص عدد كثيرة من دم الاسر في جميع انحاء العالم وكانت النتيجة ان تجمعت لديهم معلومات قيمة عن مصير هذه الفئات عند الوالدين والاطفال

ولقد كانت النتائج حاسمة اذ ظهر ان هذه الفئات تتبع نواميس وراثية ثابتة ، فمثلاً اتضح ان المادة ا لا تظهر مطلقاً في دم الطفل ما لم تكن موجودة في دم احد ابويه على الاقل، وكذلك لا تظهر المادة ب في دم الطفل ما لم تكن موجودة في دم ابيه او امه او في دم كليهما ولقد اصبح هذان الناموسان اساساً يعتمد عليه في استخدام فئات الدم في المنازعات القضائية

واتضحت بعد ذلك نواميس اخرى في وراثة هذه الفئات ، فمثلاً اذا كان احد الوالدين ينتمي الى الفئة ا ب فمن المؤكد ان يحمل هذا الوالد لكل من اولاده اما المادة ا او المادة ب، وعلى ذلك لا يمكن ان يكون لاب ينتمي هذه الفئة طفل من الفئة صفر ، والمثل اذا كان طفل ينتمي الى الفئة ا ب فهو دائماً يأخذ المادة ا من احد الوالدين والمادة ب من الآخر، ولا يمكن ان يكون من والد من الفئة صفر

وقد وضحنا بالجدول رقم (١) المركبات المختلفة لفئات الدم التي يمكن حدوثها في الوالدين وكذا انواع الاطفال الذين يولدون منهما

جدول رقم « ١ »

فئات دم الوالدين والاطفال

فئات دم الوالدين	فئات الدم التي يمكن ان تحدث عند الاطفال	فئات الدم التي لا يمكن ان تحدث عند الاطفال
صفر × صفر	صفر	أ ، ب ، أب
صفر × أ	أ ، صفر	ب ، أب
أ × أ	أ ، صفر	ب ، أب
صفر × ب	ب ، صفر	أ ، أب
ب × ب	ب ، صفر	أ ، أب
أ × ب	صفر ، أ ، ب ، أب	—
صفر × أب	أ ، ب	صفر ، أب
أ × أب	أ ، ب ، أب	صفر
ب × أب	أ ، ب ، أب	صفر
أب × أب	أ ، ب ، أب	صفر

ويتضح من الجدول ان فئات دم الاطفال ليست دائماً مشابهة لفئات دم الوالدين ، كما ان الاخوة والاخوات ليسوا دائماً من نفس الفئة

ومن الجدول رقم ١ يتضح بسهولة انهُ من الممكن في كثير من الاحوال التمييز بين المواليد التي قد تكون أُبدلت بسبب بعض في دور الولادة بواسطة فحص فئات الدم

فمثلاً حدث ان خرجت والدتان من احد المستشفيات في وقت واحد ومع كل منهما وليد ، وعند استحمام الطفل بالمنزل لاحظت الوالدة رقم ١ وجود علامة معلقة بجسم الطفل مكتوب عليها اسم الوالدة رقم ٢ ، وقد نشأ عن ذلك اشكال قضائي تمّ في حله مساعٍ كثيرة ، واخيراً عملت ابحاث الدم فاتضح ان كلا الوالدين في الاسرة رقم ١ ينتمي الى الفئة صفر ، وان الطفل الذي اخذاه معهما الى البيت كان من الفئة أ ، بينما في الاسرة رقم ٢ ينتمي الاب الى الفئة صفر ، والام الى الفئة ب ، والطفل الذي اخذاه معهما هو من الفئة صفر

واذا ألقينا نظرة على الجدول رقم ١ ظهر لنا انهُ ليس من الممكن لاي الاسرتين ان يكون الطفل الذي اخذته معها من نسلها في حين انهُ من الجائز ان يكون الطفل الآخر هو الذي من نسلها ومن ذلك يتضح جليًّا ان الطفلين ابدلا بين امهما الحقيقيتين وبناء على ذلك حكمت المحكمة بتبادل الطفلين

غير انهُ يجب ان لا يعزب عن البال انهُ من الجائز في بعض الاحوال ان يكون كلا الطفلين من نفس الفئة ، او ان يكون التركيب الدموي للاسرتين مما يصح معهُ انتاج كلا الطفلين ، ففي مثل هذه الاحوال لا تثبت اختبارات الدم شيئاً وقد اتضح ان اختبارات الدم تصلح لحل ثلث حالات خلط الوالدة

ويستعان كذلك بطريقة فحص فئات الدم في موضوع قضائي آخر وهو موضوع الابوة المتنازع عليها ، ويمكن وضع قوانين الوراثة الموضحة ثانية بشكل آخر كما هو مبين بالجدول رقم ٢

جدول رقم « ٢ »

استخدام فئات الدم في الاحوال الطبية الشرعية

فئة دم الطفل	فئة دم الام	فئة الدم التي يجب ان ينتمي اليها الاب
صفر	صفر	صفر ، أ ، ب
صفر	أ	صفر ، أ ، ب
صفر	ب	صفر ، أ ، ب
أ	صفر	أ ، أب
أ	ب	أ ، أب
ب	صفر	ب ، أب
ب	أ	ب ، أب
أب	أ	ب ، أب
أب	ب	أ ، أب
أب	أب	أ ، ب ، أب

فلنفرض مثلاً ان طفلاً وجد في دمه المادة أ وان والدته ليس لديها هذه المادة يتعين من ذلك انهُ لا بدَّ وان يكون في دم والده المادة أ ، وعلى ذلك فالرجل الذي لا يوجد في دمه المادة أ لايمكن ان يكون والداً لهذا الطفل ، وفي هذه الحالة يصبح الرجل الذي ينتمي الى الفئتين صفر او ب بريئاً من ابوة هذا الطفل ، اما الرجل الذي ينتمي الى الفئتين أ او أ ب فمن الجائز ان يكون والداً للطفل ، ولكن لايمكن الجزم بانه الوالد اذ انه يوجد في العالم رجال كثيرون من فئة أ او من فئة أ ب وعلى ذلك فمن الممكن بواسطة الاختبارات التي تعمل على فئات الدم تبرئة الرجل ولكن لا يمكن ادانته بها

وسنأتي هنا بحالتين توضحان الكيفية التي أمكن بها الحكم في بعض المسائل الشرعية بواسطة فحص الدم عن المادتين أ و ب

(الحالة الاولى) كان   متزوجاً من   مدة تسع سنوات ، ثم هجرها بتاريخ اغسطس سنة ١٩٣٢ لانها لم تحمل ولم تلد ، فادعت المطلقة انها طلقت وهي حامل في ثلاثة شهور ، ووضعت مولوداً ذكراً وقيدته في شهادة الميلاد بتاريخ فبراير سنة ١٩٣٣

فثبت من فحص الدم ان دم الوالد من فئة أ ودم الوالدة من فئة أ ب ودم الولد من فئة صفر . النتيجة : الغلام ليس ابن الرجل، اذ لايمكن ان تنتج فئة صفر من تناسل بين فئتي أ و أ ب

(الحالة الثانية) ادعى   انهُ فقد ابنته سنة ١٩١٤ وكان عمرها اذ ذاك ثلاث سنوات ، وفي سنة ١٩٣٤ عثر على بنت ضالة لا تعرف لها أهلاً ويدعي الرجل انها هي ابنته واعترف بالنبوة اولاد الرجل اما الام فقد انكرتها تماماً

فثبت من فحص الدم ان دم الرجل من فئة ب ودم الام من فئة صفر ودم ابن من فئة ب ودم ابن آخر من فئة ب ودم ابنة من فئة ب ودم البنت الضالة من فئة أ . النتيجة : — البنت الضالة ليست ابنة المدعي ، اذ لا يمكن أن تنتج فئة أ من تناسل بين فئتي ب وصفر

• • •

ان العقل البشري جبّار ، وكل نجاح يلقاه في الكشف عن الحقائق يحرك اوتار شغفه للكشف عن حقائق أخرى

في سنة ١٩٢٧ عاد (لاند شتينر) فاكتشف بالاشتراك مع (ليفن) عاملين جديدين في الدم البشري يشابهان من جميع الوجوه المادتين أ و ب ، وقد اطلقا عليهما اسم العاملين م و ن وقد تمت دراستهما في بعض الاسر واستخلصت القوانين الخاصة بهما في حالات الوراثة

وقد اتضح ان العامل م موجود في دم بعض الاشخاص ، والعامل ن في دم آخرين ، بينما وجد العاملان معاً في دم غيرهم ، وليس هناك من لا يوجد في دمه احد هذين العاملين ، مع العلم أنهما مستقلان كلَّ الاستقلال عن المادتين أ و ب

وعلى ذلك يتكوّن لدينا ١٢ فئة من فئات الدم، ولا بدَّ لكل فرد ان ينتمي الى احداها وهي —

أ . م	ب . م	أ ب . م	صفر . م
أ . ن	ب . ن	أ ب . ن	صفر . ن
أ . م ن	ب . م ن	أ ب . م ن	صفر . م ن

وكما هي الحال في المادتين أ و ب كذلك لا يوجد العامل م أو ن في دم الطفل ما لم يكن موجوداً في دم احد والديه على الاقل

وقد وضحنا في الجدول رقم ٣ التركيبات المختلفة لفئات الدم التي يمكن توافرها عند الوالدين وكذلك أنواع الاطفال الذين يلدونهم

جدول رقم « ٣ »

تفاعلات العاملين م ون عند الوالدين والاطفال

الوالدان	الفئات التي يجوز ان ينتمي اليها الاطفال	الفئات التي لا يمكن ان تحدث في الاطفال
م × م	م	ن ، م ن
ن × ن	ن	م ، م ن
م × ن	م ن	م ، ن
م × م ن	م ، م ن	ن
ن × م ن	ن ، م ن	م
م ن × م ن	م ، ن ، م ن	—

وقد وضحنا بالجدول رقم ٤ امكان الاستعانة بهذين العاملين في الاحوال القضائية

جدول رقم « ٤ »

استعمال تفاعلات العاملين م و ن في الاحوال الطبية والشرعية

فئة دم الطفل	فئة دم الام	فئة الدم الذي يجب ان ينتمي اليها الوالد
م	م	م او م ن
م	م ن	م او م ن
ن	ن	ن او م ن
ن	م ن	ن او م ن
م ن	م	ن او م ن
م ن	ن	م او م ن

وباستخدام الفحص للعاملين م ون علاوة على فحص المادة أ و ب أمكن التوصل الى حل معظم حالات الابوة المتنازع عليها، وحالات خلط الاطفال بعضهم ببعض . وسأبين هنا حالتين توضحان الطريقة التي أمكن بها حل مسائل طبية شرعية على هذا الاساس

الحالة الاولى كانت لاثبات ابوة متنازع عليها، وتتلخص في ان زوجاً طارس في دفع نفقة لطفل مطلقته مدعياً ان الغلام لا يمكن ان يكون ولده، وكانت كل الظروف في صالح الوالد، الا انه لم يتمكن من تأييد اعتراضه . بفحص الدم لفئات أ و ب و أ ب وصفر، ولكنه لم يسفر عن شيء، لان الزوج والزوجة والطفل ينتمون الى الفئة صفر ولكنه بواسطة الفحص عن العاملين م و ن أمكن اقامة الدليل على استحالة أبوة هذا الرجل للطفل، فالام والولد كانا العاملين م، بينما الزوج السابق اتضح انه كان ينتمي الى العامل ن

اما الحالة الثانية فكانت حالة طفلين خلط احدهما بالآخر فقد ١٤سنة وضعت كل من السيدتين ب و د ولداً في احد مستشفيات الولادة، وفي اليوم التالي للوضع ادعت الام د ان ابنها ابدل، ولكن سرعان ما هدأت ممرضات المستشفى شكوك تلك الام . وبعد مضي احدى عشرة سنة، عند ما تعارفت هاتان الاسرتان بطريق المصادفة البحتة ظهر تشابه مدهش بين كل من الولدين واطفال الاسرة الاخرى وعلى ذلك رفعت الام الامر الى القضاء . ولم يأت فحص الدم للفئات أ و ب و أ ب وصفر بنتيجة ما، اذ اتضح ان احد الوالدين في كلتا الاسرتين كان ينتمي الى الفئة صفر، بينما الوالد الآخر مع الطفل الذي ينتسب اليه ينتمي الى الفئة أ . ومع ذلك فقد أمكن اقامة الدليل بواسطة البحث عن العاملين م و ن، على ان الصبيين ابدلا فعلا فقد كان الاب والام في احدى العائلتين من الفئة ن و من والولد الذي يحن بصدده من الفئة م ن، فحينئذ يمكن ان يكون هذا الولد من نسل هذه العائلة . اما في العائلة الثانية فكان الاب من الفئة م والام من الفئة م ن والولد من الفئة ن، وعلى ذلك لا يمكن اعتبار هذا الطفل من نسل هذين الوالدين، ولكن من جهة أخرى من الممكن ان يكون من نسل الوالدين الآخرين، وما يمكن عده من الجائز ان يكون الطفل المذكور الذي ينتمي الى المجموعة م ن ليس من نسل الزوجين الاولين فقط بل ايضاً من نسل الزوجين الآخرين، وبذلك امكن التدليل على حدوث التبادل ورد كل ولد الى امه . وما زالت الابحاث على اختبارات الدم كالتي ذكرت تسير بعوامل عديدة في جميع انحاء العالم، وكشف الغطاء عن الكثير من قوانين الوراثة الخاصة بها

ولقد فحصت دماء الشعوب المختلفة عن نسب فئات الدم فيها فوجد ان توزيع هذه الفئات يختلف اختلافاً عظيماً يمكن بواسطته تعيين الشعوب وحتى تعيين صلة القرابة بين بعض الاجناس التي اصلها غامض

يهود امريكا من الفئة صفر (ما عدا ما ادخل عليهم من الفئات الاخرى نتيجة اختلاطهم بالجنس الابيض). والغالبية الاوربيين والامريكيين من الفئتين أ وصفر مع وجود نسبة قليلة منهم من الفئتين ب و أب، وتزيد فئة ب في الاسيويين على فئة أ. اما الزنوج فتكاد تتعادل الفئتان أ و ب فيهم مع وجود جماعة كبيرة بينهم (تقرب من النصف) ممن ينتمون الى الفئة صفر وعدد قليل جداً من الفئة أ ب. وقد استنتج من هذه الحقائق بعض قوانين لترتيب الاجناس لها قيمتها عند علماء علم الانسان

وقد اطلق (هرشفيلد) على نسبة المادة أ (في كريات الدم أ و أب) الى المادة ب (في كريات الدم ب و أب) اسم «الدليل الشعبي الحيوي»

ووجد ان الشعوب تقع في ثلاثة اطرزة: الطراز الاوربي ودليله اكثر من ٢، والطراز المتوسط ودليله من ٢ — ١، والطراز الاسيوي الافريقي اقل من ١

وللتدليل على قيمة هذه الابحاث في دراسة الاجناس البشرية، اذكر لكم على سبيل المثال البحث القيم الذي قام به (فيرار وبيتشسكي) عام ١٩٢٠، على فئات الدم للغجر والالمان والنور القاطنين بسانماريا، فقد وجد ان الدليل الشعبي للالمان هو ٩ر٢ كما في الالمان في المانيا وفي الغجر ٦ر١ كدليل اقربائهم الاتراك. اما في النور فهو ٦ر٠ كما هو في الهنود. فمعنى ان هذه الاجناس الثلاثة رغم معيشتها قروناً عديدة بعضها مع بعض في صعيد واحد ما زالت محتفظة بتقسيم الفئات الدموية المميزة لاجناسها الاصلية

ولقد قام كل من شوشه عام (١٩٢٧) وشرف (١٩٣٠) وشوشه ومحمد علي (١٩٣٤) بالقطر المصري، وبار (١٩٣) بالشام بفحص فئات الدم للمصريين

ويؤخذ من هذه الارقام ان المصريين يعدون بين الطراز الاسيوي الافريقي والطراز المتوسط لهرشفيلد، وهم اقل في المادة أ واكثر في المادة ب من العرب واليهود كما انهم اكثر في المادة أ واقل في المادة ب من الزنوج

***

سوف لا احاول ان استخلص رأياً حتمياً عن الشعب المصري من النتائج التي فحصها او التي قام غيري بفحصها فكلكم يعلم ان الامة المصرية مزيج من عدة اجناس. فلقد اندمج فيها من وقت لآخر عناصر اجنبية اثرت في كيانها الجنسي. ففي العصور القديمة اختلط الاثيوبيون بالمصريين من الجنوب، والليبيون من الغرب، والساميون من الشمال الشرقي

وفي الازمنة القريبة اختلط المصريون بالعرب والترك، اما عن طريق الاحتلال الاجنبي واما عن طريق الهجرة

الشذوذ

في النظام الشمسي

لامين الريحاني

ان في الارقام الفلكية عند علماء الفلك نوعاً من السحر ، وان في السحر ، كما في اللاهوت مثلاً ، ما لا يدركه غير النعمة والايمان . فمن الحقائق الاولية في النظام الشمسي ان ادنى السيارات من الشمس هو عطارد ، واقصاها نبتون ، اما بُعد الاول ، في حساب الفلكيين ، فستة وثلاثون مليون ميل ، واما بُعد الثاني فالفان وثمانمائة مليون من الاميال

هذا مثال صغير من الارقام الفلكية السحرية ، وما انا بالفلكي ولا بالساحر لأتورط فيها اي ادنى ورود «معاري» الى المدرسة ومثلها البسيط . فالشمس التي تبدو لنا كالبرتقالة الكبيرة تتراءى للمشتريين — ان كان ذلك السيار مأهولاً — كزهرة من المسح او السوسن وبكلمة اخرى ، بسيطة وفلكية معاً ، ان بُعد نبتون عن الشمس — بعده المتوسط — هو سبعة وسبعون ضعفاً بُعد عطارد . اما المسافة بين الارض والشمس فهي نحو ثلاثة اضعاف المسافة بينها وبين عطارد ثلاثة اضعاف لا غير . فتأمل البعد الاقصى ، بُعد نبتون

وليس الفضاء بين السيارين فارغاً . فان هنالك سيارات اخرى ، اكبرها المشتري ذو الاقمار التسعة ، وهو يبعد عن الارض خمسة اضعاف بُعد الارض من الشمس مما يزيدك علماً — او ايماناً — ببُعد نبتون . ولكن الغرض من هذا المقال هو غير نبتون ، وغير الارض

من الحقائق الاولية الاخرى ، التي لا تخفى على طلاب هذا العلم الجليل ، ان السيارات التي تدور حول الشمس تقسم قسمين : الصغار ، اي عطارد والزهرة والارض والمريخ ، والكبار الجبابرة ، اي المشتري وزحل واورانوس ونبتون

وههنا استوقف نظر القارئ . فان بين السيار الاخير من القسم الاول والسيار الاول من القسم الثاني اي بين المريخ والمشتري ، مسافة شاذة لا تشبه في نسبتها المسافات التي تفصل بين افلاك السيارات الاخرى وبكلمة اجلى ان بين المشتري والمريخ فضاء هو نحو اربعة اضعاف الفضاء الكائن بين الارض والشمس . وان في هذا الاخير ثلاثة سيارات ، وليس في ذاك سيار واحد . فما السبب في ذلك ؟

ما السبب في خلو الفضاء بين فلكي المريخ والمشتري من السيارات ؟ وما السبب في شذوذ سنة سابعة في المسافات ؟ هذا مثلاً بُعد عطارد عن الشمس درجة ٤ ، فبُعد الزهرة يكون ٨ ، وبعد الارض ١٢ ، وبُعد المريخ ١٦ ، ثم تثب وثبة واحدة الى ٥٠ اي بُعد المشتري وبعد السنة تعود الى سنتها الاولى ، لان بُعد زحل عن الشمس هو ضعف بُعد المشتري ، وبُعد أُورانوس هو ضعف بعد زحل ، وبُعد نبتون ضعفا بُعد أُورانوس كل ذلك بالتقريب

والفضاء الشاذ عن هذه القاعدة هو الذي بين المريخ والمشتري وقد كان بعض الفلكيين ، قبل ان اكتشف السيار السابع اي أُورانوس في سنة ١٧٨١ م ، يقولون ان ليس بين هذين السيارين أي شيء من الكائنات السماوية وقد ظنوا ذلك الفضاء فضاءً خالياً

مساحة [illegible] الف مليون ميل من الاميال ، وليس فيها ما تعثر به المذنبات ، او تتساقط عليه النيازك والشهب ، او ما يجري حوله . على الاقل الى الاثير . فهل هي البيداء الكبرى في السماء ؟ هل هي الربع الخالي في النظام الشمسي ؟ هو ما كان يعتقده علماء الفلك قبل القرن التاسع عشر

ثم جاء كولمبس السماوات باخبار العين ، جاء احد المكتشفين بما وراء الآفاق الفلكية بحقيقة فلكية جديدة . فان في الليلة الاولى من الشهر الاول من القرن الماضي (١ يناير ١٨٠١) تراءى للفلكي الصقلي بيازي ، حينما كان في مرصده يرصد النجوم ، ان سائحاً واحداً يسري في تلك البيداء [illegible] يطوف وحده في ذلك الربع الخالي ، بين المشتري والمريخ

في تلك الليلة اكتشف بيازي الصقلي اول نجمة من النجوم التي تدور حول الشمس مع السيارات ، وأسماها سيريس (Ceres)

ليس ذلك الفضاء اذن فارغاً ، بل ان هنالك نجوماً عديدة اكتشفها بعد بيازي غيره من الفلكيين ، وقد بلغ عددها الف نجيمة او تزيد . على انها صغيرة جداً بالنسبة الى السيارات ، فقطر اصغرها عشرة اميال فقط ، وقطر اكبرها ثلاثمائة وعشرون ميلاً . فلو جمعت هذه النجوم — هذه النجيمات — وضمت بعضها الى بعض لما تجاوز حجمها ربع حجم الارض

هذا هو الموضوع الذي مهدت له بكلمة فلكية وجيزة ، فما هي حقيقة هذه النجوم الدخيلة في النظام الشمسي ؟ وما السبب في وجودها في تلك المنطقة الشاسعة بين المشتري والمريخ ؟ ليس بين المناطق الشمسية الاخرى ما هو شبيه بها

هي ذي شاذة القاعدة ، بل هو ذا الخلل في النظام الشمسي المشهور . فهل هو الدليل على ان هذا النظام ليس بابدي ولا ازلي ؟ هل هو الدليل على ان للاكوان ، في عرف العلم ، بداية ونهاية ؟ — بداية في السُّدُم ، ونهاية في النيازك والشهب ؟ [illegible] بداية هي الحياة المتكوّنة ، الآتية وعبر الآتية ، الناطقة والميكانيكية ، ونهاية هي التفكك ، والخلل ، والفوضى ، والانحلال ؟

تلك النجوم الصغيرة بين المريخ والمشتري هل هي شتات من الشهب ام سرب من الاقمار

الاطفال ؟ هل هي شظايا سيار محطّم ؟ هل هي الاثر لما تفجّر او لما اصطدم في حادثة الافلاك ؟ هل هي ارض مثل ارضنا ادركها هادم اللذات ، ومفرّق الجماعات ؟ هل هي سيار مثل سيارنا تعددت فتفجّرت براكينها ، فتطايرت بأركانها ، فتعثرت ثم انفلتت حتى حبس فمسكها فصدمت شقيقة لها هائلة فتحطمت ، فتفتت ، فذهبت نجوماً صغيرة ؟ ام هي بقايا من السديم الذي منذ ملايين من السنين يتكون اطواقاً حول المشتري كالاطواق التي تطوق زحل ، فتغلب المشتري في دورته السريعة عليها ، فحت حديثه بها ، فحالت دون ائتلافها ؟

تلك النجيمات ، هل هي لسيار ما تم تكوّنه ، ام هي الاثر سيار تكسر بعد التكوّن ؟ هل هي الجنين المقتول ، ام هل هي العظام المبعثرة في المدفن الشمسي ، بين المشتري والمريخ ؟

تلك النجيمات (Asteroids) هل هي ما بقي من ارض مثل ارضنا ؟ وهل نحن سائرون مصيرها ؟

وماذا يكون من ادراك الانسان بعد ما تدركنا يد الدمار والفناء ؟ هل يبلغ العقل البشري حداً من العلو والقوة بعيداً ، فيتمكن من تدارك الكارثة الكبرى اذ يسيطر العقل البشري على الناموس الاعلى ، فيدفع عن الارض تلك الاخطار التي تحيق بالسيارات والشموس ، بل بالاكوان اجمع ؟ ام هل تصير هذه الارض من النجيمات ، بعد ان كانت من السيارات ؟

هل تصير في حركاتها ، فتدور وابناءها في فلك الشمس ؟ اذا كانت النجيمات الكائنة بين المريخ والمشتري تدل على خلل في النظام الشمسي ، فالحادث الذي سبب هذا الخلل يحدث مرة اخرى وليس من المستحيل ان تتقاص الارض ، اذا ما اطلقت كل ما في جوفها من النيران ، فتصعف جاذبيتها ، فيختل فلكها ، فتصطدم بالمريخ او الزهرة ، وتمسي السياران ، او ما تبقى منهما ، من اعضاء جمعية النيازك الشمسية

ان النيازك والشهب التي تصطدم حول الشمس ، وتتساقط دوماً عليها ، فتعوضها من الحرارة التي تستهلكها السيارات — النيازك والشهب التي تدخل النظام الشمسي ، بعد ان تجتاز في دورته من المسافات ما هو اضعاف المسافة بين نبتون والارض — ان تلك الشهب والنيازك لتنبئ بالمزعج الدائم ، والخلل المستمر ، في الكائنات ، وراء افق كوننا المعروف . فهنالك مذنبات تضيع طرقها ، وكواكب تهجر افلاكها ، وسيارات تنكب النكبة الكبرى اثناء تكونها او في حياتها وحادية تهوى على شقيقاتها ، وشموس تمرد فتعصف سياراتها ، واقمار تموت فتضم الى احضان امهاتها

ان النيازك والشهب لتأتي من عالم الخلل والفوضى إلى عالم ، نظامه ينشأ من الخلل والفوضى فهل ينتهي كذلك يا ترى ؟

لله من اعوان الفكر والمنطق التي تحتشم في المراصد الفلكية لله من علم يرينا تلك الآثار السماوية المفجعة ، الشبيهة بآثار الامم البائدة في هذه الارض ، المثبتة بالبداية والنهاية لكل شيء المثبتة أن النظام الفلكي مثل النظم البشرية ، لا يخلو من الشذوذ ، والخلل ، والفوضى

وان لكل خلل فيه فاجعة ، وان لكل شاذة مأساة

ثقافتنا حيال اوربا

تعليق على بيان جاستون رامبيري (١)

فليكس فارس

التعليق

إنّ في الشعوب كما في الأفراد غرائزَ ركّزتها نواميس الرجعة في العقل الباطن فاستقرّت فيه مسيطرة على التفكير وقبول الاعتقادات. فإذا كان الفرد في تصرفه او انعطافه، وفي اندفاعه أو نفوره، يشعر من نفسه بمسيطر لا قِبَل لهُ بالتمرّد على شكيمته، فالجماعات ايضاً لها مثل هذا الوازع يحدوها الى أهداف تستمرّ منذُها المثُل فيها. وكما أنّ الفرد إذا اقتيد مرغماً الى تطبيق حياته على غير السنن التي تتوافق وفطرته يضلّ السبيل، فتتغلب بواعث اللذة والسعادة فيه الى مصادر ألم وشقاء، كذلك تشقى الشعوب التي يقضي عليها بأن تأخذ بسنن غريبة عنها في تفكيرها وشعورها

إنّ للشعوب التي تحدّرت من السامية واستقرّت جواهرُ القومية الشرقية فيها بكرور الأجيال فطرة خاصة تتميّز عن الفطرة الآرية التي كانت أساساً للحضارة الغربية لاتينية وجرمانية، وتتجلى هذه الفطرة في [illegible] البحر الابيض المتوسط الآهلة بعبدة الأوهام الذين أصغوا الى أصوات موسى وعيسى وأحمد فحطّ فيهم ما ورثوه عن الرُعاة الأقدمين الذين تمرّدوا على على القوة بالحق وعلى الشرك بالتوحيد

على أنّ هذه الجواهر الكامنة في هذه الشعوب أرهقتها عوادي الزمن أجيالاً فاستسلمت للجمود ولكنها لم تزل تراود أحلامها صروحُ مجدها الغابر وأنوار حضارتها المنطفئة

وإذا نحن استعرضنا الصفحات التي خطّتها اقلام الكتّاب على ضفاف البحر المتوسط منذ بدأت جواهر الشعوب السامية تنتفض من سباتها على هذه الاقلام فإننا لنقرأ فيها ما انطوت عليه روح قوميتنا وما يتجه اليه شوقنا من حضارة تتنافر كل التنافر والحضارة التي تطرفت مؤخراً الى [illegible] على مبادئه الآرية سواء أكانت شرقية من الفرس أم غربية من الجرمن واللاتين

---

(١) انظر مقتطف يونيو ١٩٣٦ ص ٣٢ مقال « [illegible] سامية في مؤتمر ثقافة البحر المتوسط »

على أن هذه الثقافة أو الآداب الاجتماعية الشرقية السامية قد طرأ عليها شيء من التبدل في مظاهرها، فإن أبناء اسرائيل بعد أن تشتتوا في بابل ثم بعد طيطوس هادماً هيكلهم سنة ٧٠ مسيحية تقلص العدد الوفير منهم في الغرب مختلطاً بالشعوب الآرية فظهرت منهم فرق أهمها السفرديم في اسبانيا والبورتغال والاشكنازيم في روسيا والمانيا وأمثالهم، لا بدا على أن هذه الفرق وإن كانت بقيت محتفظة بالوسم السامي في بطنها وشعائرها الدينية في معابدها لم تسلم من التأثر في ثقافتها ومنها بالمبادئ الغربية في نظم الحياة وأساليب التفكير. وهنالك المتفصلون الذين لم يستبقوا من السامية إلا الادعاء بها

لا ريب في أن اليهود هم، وإن كانوا أعرق الساميين نسباً، غير أن مرور تسعة عشر قرناً متوالية على من تقلقل منهم بين الشعوب الآرية على أنواعها لممّا يؤثر تأثيراً عميقاً في آدابهم وأساليب تفكيرهم. على أن هذا التطور في الأخلاق المدنية، لا الدينية، بين متشتتي اليهود قد كان معه شيء من التأثير في ثقافة المتخلفين منهم في بلاد العرب. وذلك بقوة الفعل المنعكس الذي لا بدّ للفرع من أن يتناول به أصله ولو الى حدّ محدود

وما يقال عن اليهود كسلالة ينطبق على المسيحيين تجاه مدنيات الروم والجرمن والروس وعلى المسلمين تجاه مدنيتي الفرس والترك. أن المسلمين والمسيحيين لم يبرحوا أوطانهم الأصلية غير أن المسيحية والاسلامية انتشرتا في مدنيات من أصل آري تكثر فيها ثقافتها المدنية فكان من ذلك انسراب شيء من هذه الثقافات الى أتباع عيسى وأحمد في بلاد العرب

على هذا النمط وتحت هذا التأثير المثلث، تفككت أو تراخت روابط المجتمع الشرقي فساد عليه شيء من التداعي في حين أن الفطرة السامية الأصلية لم تزل كامنة فيه ولا تحتاج إلا الى توحيد مسدّد في الفرق المذهبية لتتجلى آداباً واحدة تنم عن حضارة راقية تتحدر من القواعد الأساسية لليهودية والنصرانية والاسلامية، ولا يمكن لهذه الأديان السماوية أن تقف حائلاً دون هذا الاتحاد إذا ما تعرّى أتباعها مما دسته الآرية في نظم حياتهم ومناحي تفكيرهم، لأنها راسية من حيث العبادة على التوحيد ومن حيث المعاملات على مكارم الأخلاق

إنّ الحضارة السامية كامنة في العقل الباطن لجميع الشعوب المنتشرة على ضفاف بحر الروم وهي وإن خفيت بصورتها الإيجابية ظاهرة جليّاً بصورتها السلبية لأنها تملك كل قوتها، ففي ظهور اليهودية والنصرانية والاسلام في الشرق من مبادئ الالحاد والشرك بالله التي كانت أساس التفكير الآري والحضارات القديمة في الغرب، وفي ظهورها أيضاً من التنظيم الاقتصادي ومن القواعد التي يبني الغرب حضارته عليها الآن ما يدل على استمرار متسلسل عبقري في تفكير الشرق العربي السامي وفطرته للحضارة الطبيعية التي تتحدر من نظام الأسرة منذ عهد ابراهيم الى عهد محمد في الأدوار الأربعة التي تجلى الوحي فيها هادياً الى الصراط المستقيم في الحياة وفي المعاد. إن الاستاذ

رنانبري كان مأخوذاً بروعة هذه المثل العليا [illegible] أمام تلك حضارة ملؤها العظمة لبعول لهم (انه وقد ظهرت السامية ملهمة للمبادىء [illegible] العليا ، فقد وجب أن تشمل الانسانية كلها) إنها لجرأة أدبية شرقية تكل [illegible] [illegible] إنها لكلمات مؤمن تشربت روحه بما نفحه أثير الشرق من صرخات ونيائه وملوك الاقدمين [illegible] وعظ رسله وأنبيائه

فاذا ما تفاعلت هذه العقيدة الصحيحة في [illegible] حيا على ، وارتقى الحضارة السامية على الضفاف الشرقية للبحر المتوسط الذي يدعوه هرير بحر الذكاء ، فما يضيرنا ما أتى به امثال أدوار دريون في كتبهم المشحونة افتراء عليا ، وما يضيرنا قول لويس برتران في جلسة ختام المؤتمر نفسه الذي تكلمت السامية فيه بلسان رنانبري وقرم ، اذ قال

(إني لا أحب أن يدعى الى هذه الوليمة الفكرية خاصة بالبحر المتوسط ساميون وعرب وبربر فاني لا أشك في امكان الجمع بين هذه الشعوب والشعوب اللاتينية في فكرة واحدة للمثل العليا)

أجل ، ما يضيرنا هذا القول ونحن قادرون أن نجيب المسيو برتران بأن المثل العليا التي يباهي بها اغا هي [illegible] من أنوار غمرت هذه الشعوب التي يتكلم عنها فأنارت بها جدوده حين كانوا يضربون في حنادس الظلمات ويعبدون أربعة آلاف إله في أساطيرهم الرومانية ؟ بل نحن قادرون أن نسأله عن شكل حضارة قومه لو أوحي [illegible] كانت تقوم هذه الحضارة عليه لو لم يستنر الشاطىء الغربي للبحر المتوسط بما أشع على شواطئه الشرقية من أنوار

اذا كان المسيو برتران ، لاعتقاده بتفوق قومه علينا علماً وثقافة يعتقد بعدم إمكان الجمع بيننا وبينهم في فكرة واحدة للمثل العليا ، فانا نحن أيضاً نشك في إمكان هذا الجمع بعد أن تضاءلت في الغرب الانوار التي ارسلتها [illegible] على [illegible] وسكرته المادية الى [illegible] كل مبدأ لا يؤمنه العنف ولا يعيم من أصنام الشهوات إلهاً .

إن السامية أنارت الغرب طوال الاجيال عبر أن إشعاعها لم ينفذ الا الى أرواح العباقرة في شعوبه ، وهذه الآثار الأدبية الرائعة التي تبهر النفوس والتي يباهي أبناء الجرمان واللاتين بها لا تفيض على المشاعر بفكرة الا ووراء الشرقي وراءها آية من توراته أو انجيله او قرآنه . غير ان الغرب لم يعمل بهذه الروح في بناء حضارته بل كان يرجع ابداً الى فطرته القديمة في تضخم سلطته وجثمانه فنشأت فيه هذه المشكلات الاجتماعية التي نرى من مفاعيلها تهدم بناء الاسرة وفناء النسل

استغرق الغرب في حضارته الآلية فتمردت فكرته على الاديان وهذا نيتشه الكاتب الالماني الذي اقام اوروبا واقعدها والذي تأخذ الثارية بمباديه اليوم وهي تتسرب الى كل الشعوب التي تمت الى الآرية بنسب ، هذا نيتشه يقول في كتابه زردشت

(لقد كان هذا الاله الشرقي قاسياً في اوائل حياته ، لقد كان متعطشاً الى الانتقام ، فأعد جحيماً

لتسلية اصحابه ، ولكنه انقلب الى الضعف في أيام شيخوخته فاصبح شيخاً رحيماً . لقد اصبح حقاً هذا الاله بعد ان كان ثأراً بل هو الآن اشبه بعجوز هرمة متداعية الى الفناء. ويقول أيضاً « ان هذا الاله كان مضطرب العقل مملوءاً بالتناقض والغموض ، أبعدوا عن هذا الاله خيراً لنا ألا يكون لنا مثل هذا الآله . ان الفهم الانسانيه تشعر بالحضيض ، لقد مات إلاله وهو على سمع بارادة الحرة ليحيي الانسان المتفوق »

اذا كانت مثل العليا التي يشجع بها المسيو برزان هي هذه ، فليتم بها هو ومن يجنّدها من قومه، فان الروح السامية لن تفقد تنحه في جهادها الاكبر نحو هذا الاله الذي يدعوه (شرقياً) ليحقره بتحقيرنا وهو الاله الواحد الاحد رب الناس اجمعين

غير اننا نحمد الله على انه لم يزل في الغرب عباقرة يعقدون بسمو ثقافتنا الروحية ، واذا كان برزان قد قال ما قال في المؤتمر ، فان المسيو جبريل بوانسي الذي ترأس احدى جلساته قد هتف قائلاً :

(يجب أن لا تدرس مدنية البحر المتوسط كما تدرس مدنية ميتة بل كمكان حي مليء بالقوى الدافعة والإشعاع)

ومن هذه الشهادة الأولى بما في الشرق العربي من حوافز ومؤهلات ، وبعض الاداء بيننا بما يعتقده دعاة الغرب في ثقافتنا ، غير اني أرى مما يتوافق والبحث الذي اتناوله من الخاتمة أراهنة ايراد كلمات لكاتب المانى وشاعر اسباني نظرا الى الانسانية بعين مجردة عن هوى الاشخاص فقال الاول وهو الاستاذ كمفاير : (تمشي النهضة الادبية في الاقطار العربية الثلاثة مصر والشام والعراق ، بخطى متساويه متوازية كانها قنوات حقاق بنهر عاطفة واحدة وتنفس عن شعور واحد) . وقال الثاني وهو الشاعر الاسباني فرنسيسكو فيلا سبزا في مقدمة ترجمته لقصيدة (على بساط الريح) للشاعر العربي الخالد المغمور له فوزي المعلوف

(ما هي الآثار الحديثة التي خلفتها ثقافة الغرب الروحية ؟ ! لقد محضت الغرب انوار المسيحية الأولى ، وبدل بالادب المستحدث ما في شعر المسيحية السامي من مؤاساة وحول فلسفتها الى أحاجٍ ومعميات . ان جميع مكتشفات الغرب العلمية ليست جديرة بكفكفة دمعة واحدة ولا بخلق ابتسامة،وليس اجدر من امم البحر المتوسط المحتفظة بالثقافة الشرقية والقائمة على اداعتها بوضع حد نهائي لتدهور الغرب المشؤوم الى هوة التوحش الاقتصادي . اذن فنسيم البحر المتوسط العليل هو القادر على تبريد هذه النشوة نشوة الحر والذهب ، وحسب الغرب المسوس ما يتخبط فيه من نوب يستسلم بها الى أحط ملاذ المادة ضارباً عرض الحائط بأجمل ما في الحياة من أماني وأحلام

ثم وقف بين علاقة الثقافة الغربية من روح مصدر السامية الشرقية عالياً . أما وقد كان لهذا السعي المأثور من أعضاء المؤتمر الى أن يحتفل في حفلته الاخيرة دعوة المفكرين الى الاهتمام بالمدنيتين السامية والغربية وضمهما الى الدراسات اللاتينية، فاننا نرى الشرق العربي بعد هذا يواجه أمراً واقعاً لا بد له من اقتحامه، وهو ان يثبت انه ممثل حضارة الشواطئ الغربية للبحر المتوسط أي على الشواطئ الشرقية المقابلة له ثقافة تشع منها اليوم الانوار التي اهتدى بها الخاصمان . وكيف ينسى لنا، نحن أبناء هذه البلاد ان نثبت بالفعل ما قاله عنا كلود فارير في مؤتمر مونا كو اذ هتف قائلاً :—

لا يجب ان نبحث عن الوارثين الحقيقيين لمدنية البحر المتوسط لأن كل الذين يقطنون هذه الشواطئ المنارة بجمالها وطيب مناخها متضامنون في هذه المدنية التي طبعتهم بطابعها الخاص ووحدت بينهم

أجل كيف يتنسى لنا القيام بهذا الواجب الذي يلقيه علينا رماد القبور وتطالبنا به سيرة أطفالنا بل وأسرة أعمال الذين نأمرها . إن عدداً وفيراً من عباقرة الأمم المهتمين يولون وجوههم شطر بلاد الانبياء ومشارق نفحة الاحرار لاعديين كأنهم يتوقعون منها انبثاق نور هداية للشعوب المتدهورة في مهاوي المادية التي تنكر الانسانية بجحودها إله الانسانية

هل نحن يا ترى ، ذلك الجنين الذي تحوم روح الانسانية حوله لتحل فيه فتقيمه جسداً جديداً للحياة الجديدة . إن هذا البعث المنتظر لن يتم بقيام أمة على أنقاض أمم بل بهبوب فكرة حية من مثاوي الوحي القديم تسود المدنيات الاوربية المتداعية كما أنزل على الشرق من وحي الانبياء

إن المدنية المنتظرة انما تقوم على إحياء الاسرة ورفعها على عرش قدسيتها من مهاوي الاغراق في الاستبداد بالمرأة ومن حرمان اطلاقها المتطرف المشين ، انها مدنية تقضي على تناكر المذاهب والحسيات لإسعاد الانسان بالتعاون في كل أمة وفي كل بلاد ، انها مدنية تحتفظ بالعلم الذي قضى الغرب على نصيبه في جهاده الفكري لاخضاعه للنظم الاجتماعية الصحيحة المستلهمة من الشرق لاصلاح الحياة . اذ لا خير في علم يبتدع الوسائل لاستغلال الطبيعة والتحكم بقواها الكامنة اذا صار هذا العلم ثقافة لا تميز بين الجماد والاحياء فتدفع بهم جميعاً الى معصرة حضارة مغلولة تستخرج الذهب من العناصر كما تستخرجه من دماء المستضعفين في الارض

إن علماً لا تتحكم فيه الثقافة الراقية الروحية لقوة جامحة مطلقة هوجاء تأتي الانسان بما يداوي به علله ولكنها تأتيه بالرغم عنه بما يقتله ويبيد جسمه . وليس أشد فتكاً بالنوع البشري من اشراق علمه في دماغه وموت ايمانه في قلبه

إن الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط لم تزل مستودع تلك الثقافة الروحية ، ولكننا نلمسها منتقلة من نفاس الاجيال نائمة بين خرائب هياكلها وآثار مدنيتها القديمة

ومن حسنات هذه الثقافة عباقرة الغرب وقد ملأت مؤلفات شكسبير وهوجو ودانتي وأقمت في الغرب كل ما هو جميل ونبيل حتى جاءت الحضارة الآلية تكافح هذا النبل وتقضي على هذا الجمال

وهذه الثقافة نفسها هي الملهمة لأكثر كتبنا وحضاراتنا وشعرائنا، هي النسمة الخالدة التي أحيت كتابات مصطفى كامل وسعد وشوقي وحافظ ومطران وطه حسين وهيكل والمازني والمنفلوطي والرافعي والعقاد والمعلوف ومي وجبران والريحاني والملاط ونعيمة ومردم وأسطفان والزركلي وبشارة الخوري وإلياس أبو شبكة والرصافي والزهاوي والكرملي وأبي ماضي والكاظمي و … و … و …

من هذه السلسلة الطويلة التي تماسكت حلقاتها فوق التراب وتحت التراب على أرض الشرق وعلى كل أرض بثت هذه الخفقات متماسكات عليها

ولكن، أين من هذه الثقافة هؤلاء الأقوام المحيطون بالبحر المتوسط والمقيمون في الشرق العربي من أقوام. إن بين هذه الشعوب والتفاهم بينها مجالاً بعيداً، فإن روح الشرق الهائمة فوق الأهرام والأرز وقامة بعلبك وهياكل أورشليم ومآذن دمشق وقباب بغداد قد فعلت على مشاعر العباقرة منا، ولكنها لبثت ترفرف أعلاماً على هذه الكتل المبددة الملتوية كالمقاصب وقد ساورتها هوج الرياح من كل جانب

إن الثقافة العربية السامية الشرقية التي تتجلى في أقوال عباقرتنا نسمة روح الصبابة والتساهل والعطف والإخاء من هذه الشعوب المقيدة التي تسمو جواهرها بها

إن هذه الطبائع الفكرية المنتسبة للدهر على أرض الوحي القديم قادة يتجهون إلى مثل عليا واحدة ولكنهم مختلفون في مناحيهم الفكرية متفرقون على أساليب تضعف تأثيرهم في مدنية القرون من شعوب، ويلوح لنا أن الأوان قد آن لتتضافر الهيئات الأدبية لعقد مؤتمرات سنوية تجمع بين مفكري الشرق العربي وتمنح أعمال المناقشة في الأسس التي يجب أن ترتفع عليها حضارتنا في تجددها

إن كلاً من سلالات العالم تنتفض الآن لتنبه ما يكمن في قوميتها من جواهر وقد أمعنت جلها إن لم نقل كلها على مناوأة السامية وإنزالها منزلة منحطة عن مراتب الشعوب الآرية. فالأقوام المنتشرة في جزيرة العرب وفلسطين وسوريا ولبنان ووادي الفرات ووادي النيل والشواطئ الشرقية للبحر المتوسط وشواطئ البحر الأحمر تدمغها الحضارة الغربية وحضارة العالم الجديد بطابع التوكل والخمول، وما يعنى المفكرون في الشرق تلك الحملات التي وجهت إلى هذه الشعوب في أوروبا وخاصة في العالم الجديد حيث وقف أدباؤنا وقفتهم التاريخية فهاجموا المعتدين على كرامتنا وردوا كيد المفترين

إن السامية في الشرق العربي لا تقف بحد السلالات المنكمشة على ذاتها في العالم كله تبني وحدتها على المميزات الجسمانية المتشبثة على العروق في الأنساب، بل هي تبنيها على المميزات الروحية

في جوانب أصبحت قصوراً تسكنها سلالة قديمة قطنت هذه البلاد التي خشع عظماء العالم تحت سمائها الصافية وفوق أرضها المطهرة بدماء الشهداء من اجل الاخوة الانسانية والحق المطلق

هذه الصخور الخرس والمباني وسواها من السلالات بالشرق، فما نحن سامعين بالفكرة الحية السماوية التي انبثقت من شتات أسرة واحدة، كلها تتعارف بينها باسم ربها ومصدرها ومعادها

لا ريب في أن هذه الأسرة الروحية قد تركت بها عوادي الزمان حقبة من الدهر يستطيلها الجاهلون، ولكن العارفين يعلمون أنها أقصر من أن تقضي على مبادئ حضارة بقيت أربعين قرناً عنواناً لتيارات الافكار في [illegible]

إن حضارة الغرب وعهدها بالرقي منذ بضعة مئات من السنين قد قامت على تراثنا من العلوم الوضعية فسارت بها شوطاً بعيداً حتى حسبت أنها هتكت سر المادة وادراكها سر نمائها المتوالي ولكنها عندما توغلت في ما وراء الحد الاخير رأت الجوهر الفرد الذي افترضته علة واحدة الوجود يتحول إلى إشعاع ويتوارى عن العيان، فأدرك العلماء العصريون أنهم محدقون بمحاجرهم إلى مادة لا كيان لها بذاتها وقد بدأ هؤلاء العلماء يفترضون وجود العالم الخفي كما كانوا يفترضون وجود الجوهر الفرد المادي من قبل ولن يطول الزمن حتى تعود حضارة المادة أدراجها نحو المبادئ الاساسية التي تواجه معضلات الحياة من تفسير مظاهر المادة وتعين أخرى من الإلهام تواجهه ابداً موضع الاسرار ومنبع الانوار

إن الغرب لا يزال يدرس الانسانية كأنها حلقات جسوم تتوارث الموت لا الحياة فلا يستغرب أن تأتي الحلول التي يأخذ بها في مشكلات أموره معضلات جديدة تستدعي بدورها حلولاً أخرى فليس من العبث أن يعمد الانسان إلى اصلاح المادة بالمادة نفسها في حين أن مستقر القوى المصلحة انما هو في النفوس وما غيّر الله من قوم ما لم يغيّروا ما في نفوسهم

ليس في هذه المقالة متسع للالمام بأطراف الموضوع، وقد املنا القلم فبسطنا منه في غير هذا المقام، فنكتفي الآن بتكرار الدعوة إلى عقد المؤتمر الذي نرى الحوادث نفسها تدعو إلى عقده، وهل أجدر من مصر بعقده ومن أحق من عرشها السامي بانشائه وعلى هذا العرش نحمل باعث اتحاد البلاد العربية الآن بانشاء المجمع اللغوي والمؤتمر الموسيقي وفرقة التمثيل الحكومية، وما اللغة التي يعنى المجمع بها وما الموسيقى والتمثيل الا بعض عناصر الثقافة او الآداب القومية التي تبنى عليها أمجاد الامم

إنا ونحن نسجل للاستاذ رمايري خطوته الاولى تجاه أمم الغرب لا ننسى ما لثقافتنا من ثمرات تفرج باسم الاسلامية التي أصبحت العربية لغة الخافقين ولسانها المبين، اقامة دار النشر العربي على ضفاف النيل منارة عالية تشع بكل ما في الاقطار العربية من أنوار

المذهب الشكلي

في السيكولوجيا الحديثة[1]

Gestalt Psychology

لسالم العبد سالم

تنشأ المذاهب الفكرية في مختلف العلوم الطبيعية والاجتماعية عادة كثورات يقوم بها بعض المفكرين العلماء على المعتقدات السائدة والاساليب المتبعة ثم لا يلبثون ان يؤسسوا على انقاضها صروحاً فكرية اخرى ومعالم علمية جديدة ما تلبث ان تنهار كسابقتها من الصروح والمعالم. وهكذا بين نشوء مذهب وآخر يسير العلم خطواته الوئيدة ابداً نحو الكمال منتقلاً من عالم الخيال والظن الى عالم القوانين والحقيقة. ولا تنشأ هذه الثورات ولا تؤسس هذه المذاهب دفعة واحدة وانما هي تنشأ تدريجياً فتقدمها التجارب وينميها الاختبار بعد تفكير و[illegible]

هذا عين ما حصل لعلم السيكولوجيا في مستهل القرن العشرين فقد امتدت فيه ألسنة الثورة على المذهب الارتباطي السائد[2] — وهو مذهب وونت واصحابه — بعد تمهيد تجريبي ظهرت علائمه في اواخر القرن التاسع عشر. فقام واطسون الاميركي منادياً بمذهب السلوكية طالباً درس الانسان والحيوان درساً موضوعياً مجرداً وجاء بعده كل من فرويد وادلر مبشراً بمذهبه الجديد — مذهب التحليل النفسي — بعد ان كانا قد صرفا الاعوام الطوال يدرسان العلل النفسية والامراض العقلية في مصحاتهما، وقام ماكدوغال ايضاً وأسس المدرسة «الغائية»[3] التي تجعل لكل عمل نفسي يصدر عن الفرد والمجموع غاية معينة هي غاية الحياة الكبرى.

واخيراً قد ظهرت زمرة من علماء الالمان تعكف على دراسة الابحاث العملية منادين بمذهب جديد هو المذهب الشكلي وعليه مدار بحثنا في هذا المقال.

يعد الاستاذ فرتيمر Wertheimer احد اساتذة السيكولوجيا في جامعة فرنكفورت سابقاً — الرائد الاول لهذا المذهب الشكلي وقد قام بابحاث مبتكرة في الارتباط التصوري

---

(١) كتب هذا المقال والمقال الذي يليه في عدد قادم تحت اشراف الدكتور حبيب كوراني استاذ علم النفس في جامعة بيروت الاميركية (٢) ويدعوه بعضهم بمذهب تداعي الافكار Associationism
(٣) Purposive School McDougall وقد آثرنا لفظة «الغائية» لسهولتها ولامكان اشتقاق صفة منها

قبيل الحرب العالمية ووضع خططاً جديدة لاكتشاف مخابئ احدثها عنه وبما بعد ... ويلاب الالمانية . وكان يساعد فرتيمر يومئذ كوفكا وكوهلر ... والاخير منهما هو العالم بالتجارب المشهورة في ذكاء القرود . وسنأتي على هذه التجارب عند كلامنا عن المذهب الشكلي وعلاقته بالذكاء . ويقطن اليوم فرتيمر وكوهلر برلين ويدرسان في جامعتها المشهورة . اما كوفكا فقد غادر وطنه الى الديار الاميركية حيث يواصل ابحاثه الجديدة في المذهب الشكلي

(بين المدرسة الشكلية والمذهب الارتباطي [illegible]) نشأت المدرسة الشكلية كما مرّ بنا كثورة فكرية على تعاليم وونت واصحابه المعروفة في تاريخ الفلسفة بالمذهب الارتباطي بعد ان تبوّأ هذا المذهب سدة الزعامة طوال عموم القرن التاسع عشر . وقد ترجع نواة هذا المذهب الى عهد بعيد يوم قامت النهضة العلمية الحديثة وخطت العلوم الطبيعية من كيمياء وفلك وطبيعيات على اثرها خطواتها الواسعة نحو الكمال وذلك بفضل نفر من الباحثين العلماء امثال غاليليو ونيوتن وكبلر . ومن المعلوم ان تقدم هذه العلوم الطبيعية احدث الطريقة العلمية القائمة على التحليل المجرد تنازع الطريقة القديمة البقاء .

وهكذا لم يلبث ان يمضي القرن الثامن عشر حتى تنتصر طريقة التحليل العلمي لا في العلم الطبيعي فحسب بل وفي العلوم الاجتماعية ايضاً فتنشأ من ثم مدرسة في السيكولوجيا تدعي انها «علم كيمياء العقل» وتزعم ان غايتها الاولى هي تحليل اعمال الفرد النفسية وشخصيته المتعددة الاجزاء . هذه المدرسة هي مدرسة وونت واتباعه المعروفة بالمدرسة الارتباطية ولها ميزتان اولاهما انها تقتصر في ابحاثها على عقل الفرد ومظاهره المختلفة وما يترتب عليها من الاعمال النفسية . وثانيتهما انها تتبع في ابحاثها منهج الطريقة التحليلية المجردة فهي تنظر الى ما في الانسان العقلية والعاطفية بنظرها الى مركبات كيماوية وتحصر همها الاشد في تحليل هذه المركبات الى اجزائها الاولى

وتقوم المدرسة السلوكية على اثر ذلك فتثور على مبدإ الارتباطيين الاول وتنكر على وونت واصحابه حصر السيكولوجيا في دائرة ضيقة هي دائرة العقل وتصرّ على ان الوعي [1] لا يدرس عن طريق التأمل والتأمل الباطني وانما عن طريق الاعمال المنعكسة [2] والروابط الكائنة ما بين المؤثرات واجوبتها [3] وذلك لان الناس — على حد قول وطسون — آلة حيوانية قبل كل شيء وانه ينبغي لذلك ان يدرس كحيوان آلي

وتظهر المدرسة الشكلية من ثم وتوجه سهام نقدها الى المبدإ الارتباطي الثاني قائلة ان الطريقة التحليلية طريقة مضللة لا تجدي الباحث السيكولوجي نفعاً وتسخر من وونت واشياعه داعية مدرستهم «مدرسة الطوب والطين» وذلك لان هؤلاء «يعيرون اهتمامهم للطوب بين هم

(١) Consciousness (٢) Reflex actions (٣) …-Response Bond

يبحثون عن الحين الذي يرونه فقط مجتمعاً معاً ، وعدم تمكن وونت وأتباعه من إيجاد روابط حية تربط العناصر المتفرقة في مختلف الأعمال النفسية ساعد الشكليين على التمادي في السخرية منهم

أما فرتيمر وأتباعه فلا يؤمنون بصحة هذا التحليل النظري المجرد وإنما ينظرون بالنظر إلى هذا التعبير الماضي كوحدة ترتبط أجزاؤها معاً ارتباطاً كلياً ويسوقون لك دليلاً على قولهم من الأعضاء ... وأخصها العين في الوجه الناطق تختلف ملامحها تماماً لمقابلتها بالوجه كاملاً أو ببعضه وقد يستطيع القارىء أن يتحقق من ذلك إذا وضع فوق الفم السفلي من صورة فوتوغرافية غطاء وتأمل العينين وتعبيرهما ثم رفع هذا الغطاء عن الصورة ونظر إلى العينين ثانية مقابلاً إياها بالوجه كاملاً

والشخصية المتعددة المزايا مثلها مثل الوجه الناطق فالارتباطيون يحللونها تحليلاً مجرداً إلى أنواعها الكثيرة وطبائعها ثم يصفون ويحاولون التصويب هذه الجزئيات ويدعون بذلك أنهم أدركوا أعماق الشخصية وعرفوا كنه سرها الدفين والحقيقة أن ما عملوه لا يتعدى الإحصاء الدقيق لمميزات الأشخاص وخصالهم أما حقيقتهم التي عاشوا في حمأة الأمرّين فلا تؤلف تلك الشخصية التي سرها وتفاعل وإياها أما الشكليون فينظرون إلى الشخصية نظرهم إلى شكل هندسي تام فهم إذا درسوا إحدى مزاياه قابلوها دائماً بالشكل الكامل وبحثوا عن التآلف بينها وبين باقي الخصال والمزايا

(المذهب الشكلي والإدراك الحسي : Gestalt & Sense Perception) دخلت المدرسة الشكلية في طورها التجريبي بفضل مباحث فرتيمر . وأول تجاربه التي قام بها تتعلق بالشكل الأعوجي وإدراكنا الحسي به وقد جرت عام ١٩١٢ في جامعة فرنكفورت بالصور المتحركة . قد يعلم القارىء أن أول من اكتشف الأفلام السينمائية كان أحد علماء النفس من الذين عاشوا في القرن الماضي هو العلامة البلجيكي بلاطو Plato وقد رأى بلاطو هذا على أثر تجاربه المتعددة أنه باستطاعتنا أن نخدع العين لا بل نخدعها بالحركة إذا عرضنا أمامها صوراً متتابعة تتماثل تماثلاً عظيماً وجعلنا بينها فسحات صغيرة لا يمكن للعين أن تلاحظها حين العرض وعلى الرغم من أن فن التصوير السينمائي قد تطور اليوم تطوراً عظيماً وعلى الرغم من أن آلاته قد أتقن صنعها إتقاناً عجيباً فالمبدأ الذي وضعه بلاطو قبل مائة عام لا يزال يعمل به في عصرنا الحاضر ولو أسعد الحظ القارىء فرأى ولمس بيده شريطاً سينمائياً لتحقق من أن سلسلة من الصور المتتابعة المتماثلة شكلاً بينها فسحات صغيرة ولعلم أيضاً أن شعوره بحركة هذه الصور أثناء عرض الشريط لا يقوم إلا على مبدأ بلاطو وهو أن الفسحات الكائنة بين الصورة والصورة لا تشعر بها العين لقصرها وإنما تولد الإدراك بالحركات المتتابعة ولا يظن القارىء أن المدرسة الشكلية

وقفت نظرية شعر هذا الحد ... حد للتجربة والتعقل الادنى لا وسيجريه لقد لا يتكفلان امره مكانة عظمى في مجتمعنا اليوم ما لم يتم بسبب التتبع والبحث المتواصل وذلك ما قام به فرتيمر وصحبه

ولكي ما يستطيع القارىء ان يتفهم ما يعنيه الشكليون عندما يتكلمون عن الاشكال النموذجية نسوق له هنا بعضاً من الامثلة مأخوذة من متعدد نواحي الحياة ولنبدأ بمثل من عالم الاصوات

من المعلوم ان اللحن الموسيقي مؤلف من مجموعة من الاصوات الموقعة في ترتيب خاص ومعلوم ايضاً ان هذا الترتيب اذا بدّل او غيّر او حرّف كأنْ نجعل الصوت الاول ثانياً مثلاً، قاد الى اختلال اللحن ... لا بل حصل لدينا لحنٌ آخر يختلف عن السابق اختلافاً ظاهراً وقد نستطيع ان نؤلف اللحن نفسه من اصوات موسيقية اخرى نأخذها من سلم سلم آخر — كما يعلم ذلك كل من له المام بسيط بالموسيقى وادنى فالظاهر ان اللحن الموسيقي شكل نموذجي خاص به مميزات لا توجد في الاصوات المفردة التي يتألف منها اللحن ويقوم هذا الشكل او الانموذج على ترتيب في الاصوات فان حدث خلل في هذا الترتيب ضاع اللحن وخرب الشكل بكامله

او خذ الشكل الهندسي فهو كما هو معلوم مؤلف من نقاط صغيرة لا شكل لها ولا حجم قد وضعت في ترتيب خاص اذا ما طرأ عليه بعض التغيير او التبديل اختلف الشكل عن سابقه واصبح شكلاً ثانياً . او دعنا نضرب لك مثلاً من عالم الصناعة وليكن ذلك شكل السيارة عماد مواصلاتنا اليوم فهي ولا ريب مجموعة تامة لاجزاء متعددة من عجلات واجنحة ودفة ومحرك وغيرها وظاهر ان للسيارة مميزات تختلف تمام الاختلاف عن مميزات اجزائها الكثيرة وباطلاً يحاول احدهم ممن لم يشاهد السيارة بأكملها قط ان يدرس لك خصائصها عن طريق درس اجزائها والسبب في ذلك ان للسيارة شكلاً تاماً مميزاته غير مميزات اجزائه وصفاته غير صفات ... وقد نستطيع ان نضاعف الامثلة على ذلك ولكننا نعدم لنطلعك على ما اورثه الشكليون في الاشكال النفسية

قال الارتباطيون ان انفعالاتنا النفسية تظهر على وجوهنا في تعبير خاص وعندهم ان درس هذا التعبير العاطفي يحتم علينا درس كل من الملامح الظاهرة واحدة واحدة فعلينا ان ننظر مثلاً الى ارتفاع الحاجب وخفضه او الى اتساع العين وضيقها وارتعاش الشفة و انضمامها الى الاخرى وان نحصل بعد ذلك من مجموع هذه الملامح المتعددة وحدة تامة هي التعبير النفسي بكامله

وقد رأى فرتيمر في هذه الظاهرة — ظاهرة الاحساس بالحركة — مجالاً واسعاً للبحث وادرك بعد نظره ان الحركة واحساسنا بها ليست سوى شكل انموذجي لا يمكن درسه عن طريق الارتباطيين التحليلية . ومهما حاول المرء استقصاء خواص الحركة ومهما اهتمّ بدراسة طبيعة الفراغ الكائن بين الصورة والصورة فهو عبثاً يحاول أن يجعل من السكون حركة تدرك بالعقل ولكي يسهل فرتيمر على نفسه عناء التجربة المعقدة الاجزاء ويحصل تكرارها امر

قرص النشاء ثم عمد الى تعاد عوض الشريط السينمائي بقطعة مستطيلة من الورق رسم فوقها خطين مستقيمين حفر بينهما فتحة صغيرة من الفراغ ثم سرعة محركته وكان كلما رأى أن الحركة المنشودة لا تتم عمد الى تصغير الفتحة شيئاً فشيئاً وبعد جهد وتعب تمكن من ادراك الحركة بموجب مبدأ فلاصو المذكور بعد ان بلغت الفتحة ما بين خطين ... من الثانية وعاد فرتيمر التجربة ثانية وثالثة ورابعة وكانت النتيجة ابداً واحدة وشاهد انه كلما ازداد الفراغ الزماني عن ... من الثانية بطل ادراك الحركة وتتابعت الصور تتابعاً مضطرداً وانه كلما نقص هذا الفراغ ظهرت الحركة غير واضحة حتى يبلغ ... من الثانية فان الحركة تبطل تماماً. ويرى المشاهد مكانها خطين منفصلين يسيران جنباً الى جنب ولكي يعلل فرتيمر تجربته هذه تعليلاً سيكولوجياً افترض ان للدماغ « عملية » عند احساسنا على المؤثرات المتتابعة تتغير تغيراً ديناميكياً متواصلاً وهو بذلك يعني ان الدماغ لا يصل المؤثر الناتج عن الصورة الاولى وحده وعن الثانية وحدها وانه يعمد من ثم الى جمعهما معاً — لا و بما يرى فرتيمر ان احساسنا بالمؤثرين المتتابعين وبينهما فتحة صغيرة يجعل رد المؤثر الاول يندمج في رد المؤثر الثاني ويؤلف الردان معاً وحدة شكلية تامة او نمط « جشتلت » ومن هذا يستنتج ان الانسان « يحس » بالحركة احساسه بمختلف المحسوسات الاخرى في العالم الخارجي

***

وهناك من اصحاب المدرسة الشكلية من يريد ان يجعل الكثير من اختباراتنا العقلية احساسات عادية واهمها الحجم وهو الذي ظن الارتباطيون اننا لا ندركه الا بالتأويل العقلي . ولكي نتبين الفارق ... هؤلاء اليه نقول ... انها المدرسة تنظر الى رجل يبعد عنك عشرة امتار ولنفرض ايضاً ان الرجل هذا سار مبتعداً عنك حتى اصبحت المسافة بينك وبينه عشرين متراً فبموجب علم البصريات تصغر صورة هذا الرجل المطبوعة على شبكية عينك الى ان تصبح نصف ما كانت عليه سابقاً بيد ان الواقع ينافي ذلك والحقيقة انك ترى حجم الرجل بعد ابتعاده عنك لم يطرأ عليه تغيير محسوس ويفسر ووند واتباعه هذه الظاهرة قائلين اننا قد تعلمنا ان « نؤول » حجم الصورة المطبوعة على شبكية العين ... الى البعد المكاني بيننا وبينه واذاً فرؤية الجسم وحجمه لم تعد عملاً حسياً خالصاً في نظر الارتباطيين وغيرهم من العلماء وانما هي تأويل عقلي مكتسب اما الشكليون فيرتابون في صحة هذا التعليل وعندهم ان عملية الدمج الديناميكية واندماج جوانب المؤثرين المتتابعين — الاول والرجل على مقربة منك والثاني وهو مبتعد عنك — ليسا سوى بعض اجزاء الشكل الانموذجي الكامل واذن فهم يعتقدون ان رؤية الحجم كادراك الحركة عمل حسي محض لا دخل فيه للتأويل العقلي الا قليلاً وهم بهذا الصدد

يعتقدون ان حاسة البصر تخدم صاحبها خدمتين عظيمتين اولاهما اظهار الاشكال والنماذج بصرف النظر عن موضوعيتها . وهذا امر لا يسلم به الارسطيون او علماء السكولوجيا اليوم

وثانيتهما ان العين تلبس « موضوعية » الاشكال والنماذج هذه فتجربنا مثلاً ان ما وراء حبل او سهل او بحر . ومن البديهي هنا ان لتأويل العقل هنا له شأن رئيسي وقد يصل هذا التأويل العقلي الى درجة يجعلنا ونحن ننظر مثلاً الى شجرة وارفة الظلال ان نشعر بارتياح وانتعاش شديدين

ومن الطبيعي ان يحدو هذا الاعتقاد بنظرية الاحساس الشكلي اصحابه الى التفريق بين الاشكال الانموذجية والمحيط التي تقع فيه (Background) و (Foreground) فاذا نظرت مثلاً الى قطعة من الورق وقد وقع عليها نقطة من الحبر الاسود ادركت حالاً الفرق الشكلي ما بين النقطة وهي الشكل وقطعة الورق وهي المحيط واستطاعت ان تحسب قطعة الورق شكلاً ثانياً في محيط اعظم واكبر اتساعاً . وظاهر ان الشكل يقوم بخطوطه وزواياه والوانه وظلاله وهو ذو هيئة خاصة تستوقف انظارنا دائماً اما المحيط الذي يكتنف هذا الشكل فلا حدود ثابتة له وانما هو يظهر عادة كقطعة من المكان غير المحدود وقلما يسترعي انتباه احد ونحن لو سلمنا بصحة المذهب الشكلي قلنا ان الطفل عندما يجيء هذا العالم ويفتح عينيه اول مرة فيه لا يرى صباباً متلاشياً تتخلله بعض الاضواء المرتعشة — كما ارتأى وليم جيمس — وانما هو يرى شكلاً ونماذج تسترعي انتباهه في محيطها المبهم من دون ان يكون داعٍ لموضوعيتها فهو مثلاً يبصر وجه والدته وهي تقترب منه لتطبع قبلتها الحارة فوق جبهته الصغيرة كشكل خاص منفرد لا يعني معناه مطلقاً

ولا يقتصر هذا الفرق بين الاشكال ومحيطها على عالم المرئيات فحسب وانما هو كائن في الاصوات ايضاً فبين الناي وبين الناقوس فرق لعل منهما « اشكال صوتية » تقع في محيط غير محدود من الاصوات المجاورة مما هو اقل منها شدة . وقد اخذ اصحاب المذهب الشكلي على عاتقهم اخيراً دراسة جميع هذه الاشكال بالقياس الى ما يحيط بها وعلاقة كل بالآخر واتخذوا بعض الاشكال الهندسية خطة تمهيدية لدراستهم هذه الواسعة . وقد خرجوا بأحكام عامة مفيدة منها ان تقارب النقاط مثلاً وتشابهها في الحجم واللون عاملان اوليّان في تكوين الاشكال ومنها ان العقل ابداً يملأ الفسحات الفراغية بين النقاط القريبة لبعضها وقد علل فرتيمر ذلك بقوله ان الاجابة عن مختلف المؤثرات القريبة تتلاحم في الدماغ عند ادراكنا الحسي لها اما السبب في تلاحمها فهو احساسنا البصري بالاشكال الانموذجية وان الدماغ عندما يرى هذه الاشكال ناقصة قليلاً يقع في حالة مؤثرة شديدة فيعمد والحالة هذه الى املاء تلك الفسحات الفراغية كي ما يعود الى توازنه الطبيعي ، وبالتالي تعود المياه الى مجاريها

أنا والصحراء

لراجي الراعي

وقفت امس في قلب الصحراء وحدثتها ، واليك ما دار بيننا :

— ما أنت ومن انت ايتها الصحراء

— انا كفٌّ مبسوطة تتسول الماء

— وماذا ايضاً

— انا صرعة الجبل

— وماذا ايضاً

— انا ثورة تائهة ساكنة

— بماذا تفكّرين ايتها الصحراء

— بقمة مجدي القديم التي تلاشت في رحابتي وطول مداي

— وما الذي جعلك رحبة وطويلة المدى

— هوى الطبيعة ، والطبيعة كالمرأة لها أهواء

— وهذه الرمال فيك ما هي

— انها الارقام في جدولي هل هي النظرات في عيني هل هي القطرات في دمي...

هي مواليد ارحامي تغيم في احصائي واذا شئت فقل هي النجوم في سمائي

— كيف انت والجَمَل

— انهُ رفيق القديم احبّهُ ويحبني ويسابق صبره صبري

— وعلى اي شيء تصبرين

— اصبر على آلامي

— ومِمَّ تألمين

— تألمْ من عقمي

— وهل ينطوي قلبك على قوة الانتاج

— نعم ، وهذا ما يزيد في ألمي

— ولمَ لا تنتجين

— لأني نار تأكل نفسها

— من هي عدوتك ايتها الصحراء

— عدوَّتي هي الروضة الخضراء الغنَّاء

— وما هو الشيء الذي تفتنينه

— الظل ، ظل الشجرة . ان الظلال هي الاحلام التي لايرتسم في خاطري

— كيف ترين البحر

— انا البحر في موته انا جثة البحر ملقاة على الحضيض

وكيف ترين الافق

— رسلي نجومه وشمسه أفقي

— أتحبين المدى

— لو كنت احبه لما كنت الصحراء . انا ابنة التيه والتائهين ، انا وطن الحائر

— ولمَ لا ترحمين العابرين

— لا ارحمهم لانهم لا يرحمون احداً

— كيف أنت والموت

— أنا من حصادات المؤامرات امره

— وأين هم قتلاك

— هم في بطوني وعظامهم منثورة في رياحي

— لو جئتك بالمرآة فأين ترين صنيعك فيها

— أراني وأنا المربية العميقة في عربها وعجمها

— كيف أنت والفلاسفة

— أنا أذنهم التي تلتقط أصواتهم التي لا يلتقطها الناس . إنهم يصيحون في رمالي التي لا يسمعهم سواها ، إن طلسماتهم التي يصبها الناس تضيع في أعماقي

— كيف أنت والخطباء

— لصمتهم يقفون على منبري

— لم أنت الصحراء

— أنا الصحراء لتبقى لك الجنة تستلذها وليبقى لك الماء تستطيبه . . . ألا ترى أنه لولا الليل لم يكن للنور معناه ولولا السباحة لم يكن فحس روحه . . . إن الله أقامني رحمة بك . لقد أماني لتحيا وتشرني لتطوي مراحلك في الوجود قدماً طروباً

— وهل أنت راضية بهذه التضحية . ألا تؤثرين أن تكوني الجدول أو الينبوع أو الروضة

— لا لست راضية ولذلك أثأر من الذين يختاروني فأقتلهم

— أيتها الصحراء أيتها الصحراء سأجعلك غابة غيناء

— ومن تكون

— شاعر يحلم . . .

— ربيبك يا شاعري ارحني من وطأتي ، احملني في خيالك أشجاراً خضراء لأستريح فيك ساعة من الزمن ، ارحني ارحني يا ابن الخيال فأنا امرأة تائهة مقهورة قاحلة مهجورة . . . غذني عاثك وردد نظامي بشعرك . ارحني من حصيبي الى سمائك ودعني أتنشق هواء الجبال وعبير الرياض . احمل شعلي الشتيت وألقي في مملكتك قنة جبل أو فأل ينبوع أو نهر أو جنة . . ارحني أيها الشاعر واستغرني ارحني .

مدينة العي الكنعانية

مكتشفات أثرية كبيرة الشأن

قيصر صادر

عضو جمعية العاديات السورية

أخذ معول التنقيب يعمل منذ بضع سنوات على نبش أطلال المدن الدارسة في أرض الميعاد وجلاء غامض حضاراتها الدفينة . فبعد أن أماط اللثام عن أسوار أريحا القديمة وغيرها من المدن الوارد ذكرها في الأسفار المقدسة ، ها هو ذا يحسر التراب اليوم عن خرائب مدينة كنعانية ، عريقة في القدم ، تدعى العي . وهي واقعة على بعد خمسة وعشرين كيلو متراً من شمال أورشليم، شرقي بيت إيل ، فوق تل نصف كروي مساحته مائة ألف متر مربع تقريباً ، يحيط به خندق عميق ، أحاطة السوار بالمعصم، وهو يشرف شرقاً على وادي الأردن وشمال البحر الميت ثم تكتنفه شمالاً وغرباً سلسلة من الروابي تكاد تحجب عن الواقف عليه سائر المناظر المجاورة

(تاريخ العي) كانت العي مدينة ملكية ، يرتقي تاريخ بنيانها الى فجر العصر النحاسي القديم ، وكان فيها قصور ومعابد وقلاع وحصون وكان سكانها نحو اثني عشر ألفاً وكانت تعد في مقدمة المدن الكنعانية حضارة وازدهاراً وكان رجالها على قلتهم أبطالاً بواسل ، شهد لهم التاريخ بمواقف مشرفة ، وقد جاء في التوراة انه لما شن الاسرائيليون عليهم أولى غاراتهم صمدوا لهم كالجبابرة وردوهم على أعقابهم بعد أن أبادوا نفراً منهم فهزموهم لا يلوون شر هزيمة . بيد ان الاسرائيليين كانوا على ما يظهر أوفر عدداً ، وأمكر حيلة وأمضى سلاحاً فلم تفت تلك الهزيمة في عضدهم بل شق عليهم ان يندحروا أمام رجال العي وهم بعد سكارى بنشوة الانتصارات التي أحرزوها في عبور الأردن والاستيلاء على أريحا ، فحملوا عليهم حملة ثانية ملؤها الخبث والدهاء فتغلبوا فيها عليهم عن طريق المفاجأة والحيلة وقد جمعت هذه الحملة ثلاثين ألف محارب من نخبة أسباط الاسرائيليين تحت قيادة يشوع بن نون فقصدوا الى العي وانقسموا الى جيشين ، أحدهما كمن وراء أكمة غربي المدينة ما بين بيت إيل والعي والآخر زحف ليلاً على شمال المدينة يتقدمه يشوع مع تابوت العهد والكهنة فلما صار على مقربة منها كان قد أصبح الصباح وشمر رجال

العي بدنو الخطر فعمدوا لصد الغزو المداهم وسرعان ما تألبوا حول مليكهم وشرعوا يطاردون اعداءهم فتظاهر الاسرائيليون بالهرب وزحف بنو العي يتعقبونهم حتى ابتعدوا عن المدينة وصاروا في ريفها منقطعة فثار عندئذ الجيش الكامن من موضعه وهجم على المدينة فاحرقها وواصل سيره محاصراً وحال دون العي من خلفهم وكان يشوع قد أتى عليهم مع جيشه فاصبحوا كلهم بين حجري الرحى والتحموا في موقعة دموية هائلة كان النصر فيها حليف الاسرائيليين فصرعوهم صرعة قاضية لم تبق ولم تذر وقبض يشوع على ملك العي حياً واقتاده اسيراً فعلقه على خشبة عند باب المدينة ثم دخل العي في طليعة جيوشه ظافراً منتصراً فقتل سائر اهلها المتأخرين فيها ذبحاً واغتنموا اموالهم وماشيتهم وتركوا المدينة خراباً يباباً فاختفت آثارها من عالم الوجود وكانت العي أولى المدن الكنعانية التي سقطت في ايدي الاسرائيليين بعد استيلائهم على اريحا

﴿ حالة العي الراهنة ﴾ هذا ملخص ما ورد في الاسفار المقدسة عن خراب مدينة العي متى علمنا وصف حالتها الراهنة التي اشرفنا عليها عن كثب إبان زيارتنا الاخيرة لفلسطين واضافة معلومات مفيدة اخذناها عن تقرير البعثة التي تنقب في ذلك التل

خراب ووهاد وعرة مكسوة بحلة قشيبة[1] تحف بذلك التل من معظم جهاته حتى يكاد قاصده لا يجد طريقاً اليه، فيخال للسائر بين تلك الربوع انه يعوم في بحر زمردي متلاطم الامواج، وعندما يطل على التل من عليه قمته الراسية ثم يدنو من اثاره الرابضة على قواعدها الصخرية تتملكه روعة ورهبة فيقف امام صخاتها مأخوذاً خاشعاً كأنما تحدثه صمتها الرهيب عن ماضيها الجليل وعن عظمة اولئك الابطال الغابرين الذين احكموا بايديهم سواعدهم المفتولة ليبقوها دليلاً ناطقاً من بعد الاحقاب على الحضارة التي حازوها منذ زمن سحيق

﴿ اسوار المدينة ﴾ اول ما يسترعي النظر عند الصعود الى ذلك التل انقاض اسوار هائلة تطوق المدينة القديمة من كل نواحيها مبنية بحجارة غليظة الحجم، مصقولة من الخارج ومحكمة التماسك بمزيج تراب مع حصى. اما سماكتها فتتفاوت حسب مناعة موقع التل الطبيعية فبينما هي في الجهة الشمالية مقتصرة على حائط واحدة لوعورة مسالك هذه الجهة ومناعتها، نراها تتضخم تدريجاً فتتسع طبقات جدرانها وتتعدد اسوارها كلما تقدمنا نحو الجهات السهلة المرور حتى تشكل في الجهة الشرقية جبهة منيعة جداً من ثلاثة اسوار ضخمة متتابعة[2] مما لا تقوى عليه المعدات

---

(١) صادفت زيارتنا فلسطين في فصل الربيع (٢) ان عرض السور الداخلي في الجهة الشرقية سبعة امتار ونصف والسور الاوسط الذي عرضه متر ونصف والسور الخارجي متران ومن السور الاول والثاني مسافة متر ونصف [illegible] في الجهة الشرقية والسور الاوسط [illegible] مع السور الخارجي الذي [illegible] هناك ثلاثة اسوار ونصف [illegible] عرض السور الداخلي بضع خمسة امتار فقط

المدمرة حتى في هذه الايام فيدلنا ذلك على براعة الاقدمين وتفننهم في طرق تحصين مدنهم لاتقاء غارات العدو منذ اقدم العصور

(القصر) وبعد ما تخطّاهذه الاسوار تستوقفنا خرائب قصر فخم، جليل هندسة، يُعدّ آية في فن البناء القديم، وقد وجد مدفوناً تحت طبقات كثيفة من الرماد لم تمسّ في كثير من نواحيها مما يؤيد ان تدميره كان أثر حريق مروّع، وأهم مشتملات هذا القصر ردهة مستطيلة مساحتها عشرون متراً طولاً وسته أمتار ونصف عرضاً متجهة نحو الشمال، تقوم في وسطها اربع قواعد حجرية بين كل اثنين منها مسافة اربعة امتار فيُرجّح انها كانت اركان دعائم سقف خشبي اذ وجد بالقرب من احداها بقايا خشبة كبيرة سلمت من ألسنة النيران وتكسو ارض هذه الردهة طبقة من التراب الصلب اما جدرانها فتقوم على اسس حجرية متينة عرضها متران وبناء وهي مبنية بأحجار مستطيلة متساوية الحجم، منحوتة نحتاً متقناً ومرصوفة بعضها فوق بعض رصفاً محكماً على انه يظهر من قلة الانقاض الحجرية وكثرة قطع اللبن بينها ان البناء الحجري كان مقتصراً على ارتفاع قامة تعلوه اللبن المصنوعة على نسق الاحجار عينًا ووجدت هذه الجدران مطلية من الداخل بالملاط واكتشفت كوة في الجدار الغربي عثر فيها على كأسين تمتان بنسب الى العصر النحاسي القديم كما عثر بين الانقاض على كسر جرار كثيرة محلاة بزخرف في غاية الرقي ترتقي صناعتها الى العصر المذكور. وتم الحذر المساعدة الضيقة بهذه الردهة على انها كانت تلتف حولها اروقة طويلة من كل جهة ما عدا الجهة الشرقية التي ينفذ من باب كبير فيها الى باحة واسعة ويستدل من طراز البناء على وجود قبة خشبية عالية فوقها كان يصعد اليها على سلم خشبي متروع النفس وجلاء النظر. اما سائر متفرعات هذا القصر فوجدت مقوضة حتى الاركان فلم تتسنّ معهُ معرفة اصلها وصفاً وشكلاً

(المعبد) وقرب زاوية القصر الغربية الجنوبية اكتشفت بقايا معبد معاصر للقصر بدا ان ارضه ادنى من ارض القصر حتى انهُ كاد يختفي تحت اكوام من الحجارة مكدسة تحت القصر تعلو ستة امتار فلما ازيحت عنهُ هذه الحجارة برز البناء وهو مؤلف من ثلاث أبراج متداخلة على طراز المعابد السامية ويرجح ان يكون بناؤه حجريًّا بتمامه اذ لم يعثر على أثر للبن بين الانقاض اما سمك جدرانه فيتراوح بين متر ومتر ونصف وهي متقنة الصنع ما عدا الجدار الغربي الملاصق للقلعة فهو مشيّد بحجارة غليظة غير متناسقة لكنهُ كان مطليًّا من الداخل بالملاط لجعله مستويًا مع سائر الجدران

يُعبَر من هذا المعبد بضع درجات الى اولى أبهائه واوسعها حجماً وهي مستطيلة الشكل بمساحة ثمانية امتار ونصف طولاً وستة امتار عرضاً، تجلل ارضها طبقة رماد بكثافة ٧٠/٨٠

سنتيمتراً وفي طرفها مصطبة حجرية وجد عليها كثير من الاواني الطقسية . اهمها مبخرتان من فخار ، منقوشتان ، بلا قعر ، مستطيلتا الشكل ، مربع زواياه في كل من اطرافها ثقب مما يدل على شيوع استعمال البخور في معابد الكنعانيين

وقد وُجدت بقرب من هاتين المبخرتين كؤوس مختلفة الاشكال حمراء اللون وأباريق وآنية أخرى من فخار مثلها كانت تصلح لتقدمة بواكير الخمور واللحوم والأثمار

وفي زاوية هذه القاعة الجنوبية الغربية اكتشف باب صغير يؤدي الى حجرة مظلمة وجد في ارضها آثار عظام حيوانات داجنة والى جانبها نصاب سكين من عاج دقيق الصنع مفقود النصل . فكل ذلك يحدونا بالاعتقاد بأن هذه الحجرة كانت مذبحاً للضحايا التي تقدم قرباناً للآلهة ، وعلى مقربة من هذه الحجرة عثر على جرة كبيرة مطمور نصفها في الارض ومطوقة بالحجارة مما يرجح ان تكون مستودع خمر او زيت . ومن صدر هذا البهو يدخل الى بهو ثانٍ شبيه بها غير انهُ اقل اتساعاً وجد فيه ايضاً مصطبة عليها اثنتا عشرة كأساً مصفوفة جنباً الى جنب كأنها معدة لاتمام التقدمة . ومن زاوية هذا البهو يعبر من باب صغير الى بهو ثالث أعلى ارضاً وأصغر حجماً يقوم في وسطه هيكل حجري صغير مكلس بطول ١٫٧٠ متر وارتفاع ٠٫٧٠ يعلوه مرتفع صغير اشبه شيء ببيوت القربان في الكنائس المسيحية مبني بحجارة مطلية بالأحمر وقد وجدت تحته كأس جميلة حمراء اللون سالمة من كل عطب . كما عثر على اشياء كثيرة ملقاة عند اقدام الهيكل والى جانبه كجرة وعلى آنية من خزف بأشكال مختلفة وكؤوس من الحجر الوردي والرخام المصري ترمى الى عهد الاسرتين المصريتين الثانية والثالثة ووجد في جوار هذا المعبد جرة لم يعرف اصلها مثلها كانت بحدث الكثة

ولا يبعد ان يكون هيكل سليمان الحكيم في اورشليم قد نقل طرازه عن هذا المعبد الكنعاني لشدة التشابه الهندسي بينهما . فاذا صحَّ هذا الاحتمال لعله كان هنالك تشابه في الطقوس الدينية ايضاً مما يحملنا على الاعتقاد بأن البهو الكبير كان محل اجتماع المؤمنين لتناول الذبيحة والبهو الاوسط هيكل التقدمة اما البهو الثالث فكان قدس الاقداس يدخلهُ الكهنة فقط ليستوحوا معبودهم . بيد ان الغريب في هذا كله ألاّ نجد بين هذه الآثار تمثالاً او شيئاً آخر يرمز الى الاله الذي كان يُسجد لهُ في هذا المعبد الضخم

(القلعة) وتلاصق هذا المعبد حصون قلعة منيعة مستطيلة الجسم مساحتها أربعون متراً طولاً وعشرة امتار عرضاً تقوم إلى جانب سور المدينة مجدر عليه ، ارتفاعها الآن خمسة امتار ويقف عليه انه يسدد من قاعدته وطراز مبانيها على أن علوها لم يكن يقل عن خمسة عشر متراً على أقل تقدير وهي بموقع يشرف على مد شاسع ويصلح لمراقبة زحف جحافل العدو ولصد غاراتهم

«البيوت المجاورة» وحول هذه الابنية الضخمة المحاطة بين اكوام الاتربة آثار بيوت كثيرة متلاصقة لها كانت تقوم على سفح التل بعضها فوق بعض . تفصل بينها ممرات ضيقة وكلها مغموسة اليوم تكسوها طبقة رماد كثيفة . تظهر فيه مخططات منشآتها على ما يستدل من انقاضها انها كانت على الاغلب مبنية باللبن ذات حجر صغيرة مستديرة الشكل صففت صفوفاً لبناء القواعد منها

«المدينة في العصر الحديدي» هذا بناءً على بيان معظم المكتشفات التي ترتقي الى اقدم عهود المدينة يحسن بنا ان ننتقل الى وصف سائر الادوار التي تعاقبت عليها . فيوضح من الآثار التي ظهرت من هذه المدينة انها لم تعمر عمراناً كاملاً بعد تدميرها بالحريق بل دفن معظمها تحت اكوام الرماد التي لم تمس حتى يومنا هذا وقد جددت منها بعد مدة لا تقل عن مائة سنة من تاريخ تدميرها وذلك في نواحي القصر المكتشف وجواره حيث وجد أثر جدار احدث منها في بنيانها تقوم على الاسس والانقاض القديمة ، منها ما وجد مشيداً مكثرة في ردهة القصر الكبيرة واروقته التي قسمتها الى حجر ضيقة تصلح على ما نظن لتخزين الحبوب والمؤن ومما يؤيد ظننا هذا وجود حفر عميقة في بعضها يصل منها الى دهاليز عثر فيها على جرار كبيرة تستعمل عادة لخزن الزيوت والخمور المعتقة

ولدى تنظيف انقاض بناء آخر من هذا العهد قد يكون هيكلاً مقدساً عثر على مبخرة كبيرة حديدية الطراز مثقوبة الاطراف تقوم على اربعة ارجل مزخرفة بنقوش شبيهة باصابع ارجل الاسود ووراثها ووجد ضمن هذه المبخرة فوق حجارة منقوشة دقيقة الصنع وعلى مقربة من المبخرة عثر على آنية أخرى من الخزف يرى طراز صناعتها الى العهد الحديدي وهي تمتاز عن آنية العصور التي قبلها بزيادة زخرفها وتنوع من شكل الآنية المدنية ولقط من بين الانقاض عدد من الحلي كالحلق والاسوار والخواتم والاقراط مصنوعة من الحديد على انه يبدو من خشونة صناعتها أنها لم تعد اوائل العصر الحديدي

«المقبرة» ومما كشفت عنه الحفريات في الشمال الشرقي من التل كهوف مقبرة تبعد نحو مائتي متر عن اسوار المدينة وتمتد الى مسافة بعيدة ، عثر فيها على جرار كبيرة دفن فيها اطفال رضع اما جثث سائر الاموات فتكاد تكون مكدسة بعضها فوق بعض بحالة سيئة سواء في زوايا مغاور طبيعية او في جوف كهوف محفورة في الصخر مما لم نستطع معه ان يعرف لوضعها اتجاه معين بيد ان الامر الذي تسنت معرفته هو ان الكنعانيين كانوا يدفنون مع الميت امتعته الخاصة ويضعونها على الاغلب حول رأسه اذ وجد بالقرب من جماجم الرجال كثير من الاسلحة التي كان استعمالها شائعاً في ذلك العهد من فؤوس وحراب من النحاس (البرونز) وخناجر ذات مقابض مزخرفة

كما وجد حول جماجم النساء كثير من الحلي كدبابيس مزينة وخواتم واطواق وقراط الخ . وهذا دليل على لون من العقائد الكنعانية فانهم كانوا يؤمنون بحياة بعد الموت ويزودون موتاهم بما قد يحتاج اليه في تلك الحياة

ولم تقتصر مدفوناتهم على الاسلحة وادوات الزينة فحسب بل وجد هنالك آنية اخرى من الفخار صنع اليد مختلفة الحجم والشكل كالاباريق والجرار والقوارير صغيرة وكبيرة بعضها بسيطة وبعضها مزينة والاطباق وكؤوس وطاسات وقدور ومدافن وسرج كثيرة لوحظ على بعضها اثر الدخان في موضع الفتيلة ومن هذه الآنية ما وجد مطلياً بلون يتراوح بين الاحمر والبرتقالي ومنها ما هو باق على لون ترابه الطبيعي وكان بعضها مزخرفاً بنقوش متنوعة وبعضها موسوماً بطوابع [illegible] على تشكيلات ساذجة . على انها كانت بأجمعها تتميز عن سائر الآنية المعاصرة لها والمكتشفة في حفريات غيرها بصغر حجمها وجودة عملها وتنوع زخرفتها ونعومة ترابها ومن أجمل ما وجد بينها قارورة صغيرة دقيقة الصنع ، جميلة النقوش ، حمراء اللون عثر عليها في راحة ميت ولعلها كانت رمزاً دينياً يشير الى معنى خفي يعسر علينا تفسيره

﴿ الخلاصة ﴾ لقد أجمع علماء الآثار استناداً الى الادلة التي توفرت لديهم على ان بناء صروح هذه المدينة يرتقي الى ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح [illegible] وان الآثار المكتشفة منها اثارت اعجابهم بجمال صنعها ودقة شغلها وتناسق [illegible] صورها وبالاجمال تعد هذه المكتشفات من اهم ما عثر عليه المنقبون في فلسطين لانها القت ضوءاً على شعوب الكنعانية في فنون الهندسة والصناعة والقت نوراً جديداً على حضاراتهم القديمة [illegible] وجود آثار آنية وآنية بين تلك الانقاض احدث منها عهداً ساعد على فتح افق [illegible] في هذه الفنون قرناً بعد قرن حتى [illegible] تدمير المدينة بحريق [illegible] بين الالف والمائتين والالف ق . م ثم طوى الدهر آخر صفحة من [illegible] هذه المدينة واضمحل ذكرها من عالم الوجود

بقي علينا قبل ختام مقالنا هذا ان نوازن بين نصوص التوراة التي لخصناها في مقدمة مقالنا والنتائج التي توصل اليها التنقيب فبالرغم مما لمسه من التقارب بينهما هنالك [illegible] من رجالات الآثار تدحض هذا التقارب وتعزو تاريخ حريق المدينة وتدميرها الى قرن الالف الثانية ق . م . اي قبل دخول الاسرائيليين الى ارض الميعاد وتزعم انه عند وصول يشوع اليها كانت اطلالا دارسة لذلك سميت بالعبرية التي تعني الخربة ثم نسب تدميرها بعد كتابة التوراة الى الاسرائيليين ودونت اسطورتها بشكل يسهل تصديقه [illegible] من المعقول بيد ان هذه المزاعم كلها لا تخرج عن دائرة الظن والاستنتاج فلعل التنقيب المتواصل بعد في ذلك التل سيبرز لنا من طي الخفاء الجواب الحاسم على هذه المزاعم ويصحح بعض الظنون فسبحان الحي القيوم

العربية
مفتاح المغلقات

للأب أنستاس ماري الكرملي

١ — توطئة

ذكرت مراراً لا تحصى ... من فقهاء اللغة ... ابناء الغرب ... ألفوا ... كثيرة اوضحوا فيها ما لبعض الالفاظ من الصلات بعضها ببعض ، واحسن من ... في اللغة اليونانية وعلاقتها بما في سائر الالسنة هو ... بوازاق ... ، واحسن ما صنفه في هذا الامر للغة اللاتينية هو الالماني اشتور ... والذي ... واما احدث من وضع مثل هذين التصنيفين في العربية وسائر الالسنة فهو ... متر ... الذي سماه « وحدة الالفاظ الهندية الجرمانية والسامية » وعنوانه بالالمانية [1]

ومع كل ما افرغ هؤلاء جهدهم في مناسبة ... فاتهم امور لا تحصى في اللغة العدنانية ، لانهم لم يعرفوا ... ولا ... فيها من ... والدفائن وهذا كان سعيهم ... وهاءنذا أتعرض ... لذكر ... اولئك الجهابذة اولي الفضل

٢ — هبط و٣ — حط

يذكر علماء العصر ان الانسان القديم سكن في اول امره المغاور والكهوف في اعالي الجبال لان السهول كانت يومئذ مغمورة بالمياه وليس فيها موطئ لباس قدميه وكان ينحدر المرء من اعالي مساكنه كلما نقصت المياه وبدت الارض يابسة حتى سكن الحزون فالسهول ولهذا قالت العرب منذ اقدم الازمنة هبط الرجل الرجل من الجبل يهبطه هبطاً من باب نصر : انزله . وهبط فلان كذا : دخله وادخله ، لازم متعد وهبط الرجل يهبط (بالضم) ويهبط (بالكسر) هبوطاً : نزل والوادي : نزله ومن موضع الى موضع آخر : انتقل فهذا كله يصف لنا حالة سكنى الانسان الاول الجبال ثم انحداره الى السهول ثم نزوله الاودية بعد نضوب مياهها

اما اللاتين فيقولون في معنى سكن (...) « موطن » و « الحي » ومن تابعه ان اصلها من Habere اي الحصول على الشيء والظفر به والقبض عليه ... وقد وافقه على هذا الرأي كثيرون ومنهم

---

(1) Hermann Möller ... Indogermanisch-Semitisches Wörterbuch — Göttingen. Vandenhoeck & Ruprecht ...

ميشيل بريآل في كتابه معجم اصول الالفاظ اللاتينية ص [illegible] الطبعة الحادية عشرة (١)

فانت ترى من هذا ان اللغويين الغربيين غير مصيبين في ما ذهبوا اليه ونسبته الى العربية تحل هذا المغلق احسن حل. ولا نعود احد ان [illegible] على هذا [illegible] التعرض او لا يريد ان يرى في لغتنا هذه لشريفة انها تحل المواضع [illegible] مثلها.

ونزيد على ما تقدم ان اصل (هبط): (حَبَطَ) والحبط هو انحدار الرجل من علو الى سفل وانما نقول ذلك، لان كل فعل ثلاثي لا بد من ان يرجع الى فعل ثنائي، اي الى اصل وجيه يمكن ان ينطق به — وكان يحسن ان يقال في اول الامر (حبط) في اول الوضع، ويظهر ان العرب خصوا الحبط بالمعاني والهبط بالاصل. قولوا حبط عمله يحبط حبطاً كمنع بطل اي انحط من حالته الحسنى العالية الى الحالة السيئة وخصوا الهبط بالمعنى الواقعي كما رأيت

٤ — فلتة و ٥ — فتق

للاتين كلمة هي [illegible] للدلالة على معنى احطأ واذنب ولم يستطع احد ان يعرف كيف وصلت هذه الكلمة الى الرومان ولا من اي لغة اخذتها. قال « واندي » انها تحريف لليونانية [illegible] Ptaio اي سقط، وكل من له ادنى نظر في معرفة مقابلة اللغات وأصولها، لا يسلم بهذا القول عما ذهب اليه، فان هذا الرأي من صدق صحة اللغويين الفرنسيين ميشيل بريال [illegible] والاستاذ بايي Bailly [illegible] القائلين في معجمهما الذي ذكرناه فوق هذا. وهذا معرب كلامهما. [illegible] يدل على الاهمال والنقص اما [illegible] في اللغة الاصلية واصل الكلمة مظلم ويرى في اللغة الاسرية بصورة [illegible] المعدل بعوامل [illegible] وهذا ما يدفع الظن الى ان تشديد الحرف C هو من قبل الرسم لا يعبر عن حذف [illegible] او

اما نحن فنقول ان حل هذا المغلق وإنارة هذا المظلم لا يرى الا في [illegible] ان [illegible] من آخر اصل [illegible] Pe ذات المصدر اي R من الكلمة F وكذلك نجد إذ وجدنا من آخر [illegible] Peccatum كسبع به آخرها اي [illegible] وبمقابل [illegible] من حروفنا العربية [illegible] فيصح لنا ان الخطيئة هي « فتق » شريعة الله من عرى التعلق به تعالى ونرى [illegible] انها « فتق » كما احطأنا ايضاً لان معنى فتق فسخ وفتح عرى الذي شدّ فكّها لا فرق بينهما

ومما يثبتنا في هذا الرأي ويقوينا فيه ان علماء الغرب [illegible] ان الدين او الديانة في لسانهم [illegible] او [illegible] Religio وهي مركبة من كلمتين واحداها فالاداة هي Re ومعناها التكرار والتوكيد والاعادة، و [illegible] Ligo مأخوذة من [illegible] ومعناها الربط والشد. فيكون معنى الدين في لسانهم [illegible] ارتباط الانسان بالله خالقه ربطاً محكماً. فاذا كان الدين على رأيهم هو الربط

(1) Mic[illegible] — Dictionnaire étymologique latin [illegible] Paris [illegible] Saint Germain.

بالله فتكون الخطيئة « وقتية » هذه العربة او هذا الرباط او هذا العهد قد أُحييت هذه التآريب ومن العربة الى الحق والصدق والعلم الصحيح

٦ — الكلفة

يعوق عقد الروح ان النفس اذا تلوثت بالخطيئة يقع فيها شيء كالوسخ . ولكن دون النفس غير دون الجسد فالدرن المادي يزول . والدرن الروحي فلا يزول اذا الاثر ظاهر في السريرة والسيرة لا غير . وهذا ما يسمي اللاتين هذا الاثر في النفس « كلفة » اي macula . فقد قال فقهاء تلك اللغة ان كلتهم مشتقة في القديم من معنى العصر والشر المادي كما ورد في قصائد فرجيل ... (راجع معجم ميشيل بريال وباطول ص ١٥٤ في العمود الاول) ويقارب هذا القول ما ذهب اليه العلامة اللغوي الالماني ف. والدي . لكن من هذا تكون من تأويله ؟

قال في لسان العرب « الكلف شيء يعلو الوجه كالسمسم . كلف وجهه يكلف كلفاً . وهو أكلف تغير والكلف والكلفة حمرة كدرة تعلو الوجه . وقيل لون بين السواد والحمرة وقيل هو سواد يكون في الوجه وقد كلف وبعير اكلف ، وناقة كلفاء وبه كلفة كل هذا في الوجه خاصة وهو لون يعلو الجلد فيغير بشرته » الى آخر ما قال وهو كلام طويل فاجتزأنا بما ذكر ومن اراد الاطالة فعليه بمطالعة المعجم المذكور

ثم لاحظ قوله « كل هذا في الوجه خاصة » وهذا رأي الروحيين والسالكين الى الله ان الخطيئة تدنس وجه النفس وتطبع فيه سمة العار التي لا يمحوها الا الرجوع الى الله بالتوبة والكفارة

ومما يزيد هذا الرأي وضوحاً ان علماء الفلك من العرب سموا الآثار التي تعلو وجه الشمس بالكلف وان غض الطرف عن هذا كله يدعك الى ان تقول ان اللغة المصرية هي حقيقة من اوسع اللغات لانها محل الرموز ورموز كل إشكال

٧ — المشغل

نعم في الفاظ هذه الاحداث التي جرت للخاطىء الاول وما حصلت في صميم المعصية فانها دنست نفسه ووضعت فيها علامة خاصة هي الكلفة ، ولكن لا يجهل الانسان الباحث ان هذا الاثر يحدث في النفس شراً لم يكن فيها قبل الآثم وهذا الشر يسميه اللاتين ... واذا سألتهم من اين جاءتكم هذه اللفظة ، قالوا لك أقوالاً لا تمسك (راجع معجم ا. والدي ص ٤٥٧) واما ميشيل بريال وباطول فاني تعد امراً بالحق مثالاً « كلمة ... لا نعرف لها شرى في اللغة الأشقية Usque ونكتب فيها ailus (اي تضعيف اللام) ام اصلها فلا يعرفه احداً . انتهى قول اللغويين الفرنسيين وهما صادقا اللهجة في ما كتبا

اما نحن فرأينا ان الكلمة العربية هي من العربية « مشغل » وذلك ان الشر هو شدة وحدث

ومقطع لاء النعم عن النفس بنفس ارضها ه وهي لا ست منير ومعنى الحل هو هذا كله كما اثبته لغويو العرب وما على الباحث الا ان يتبع اي كتاب لغة تقع في يده ليتحقق الامر بنفسه فلو كان علماء العرب يتعمقون كل لا التعمق في لغة العرب لما غفلوا عن الحق في الوقت الذي يرون في هذه اللغة ، يفهمهم ورسوخ علمهم وتضلعهم، لكن يمر عليهم كما يمر على كل متصفح معاجم اللغة العربية ان يعرف لها هذا الفضل على سائر اللغات وما هذا الا من لظم اليقين لظاهر لكل ذي عينين

٨ — لَطَا يَلْطُو

كان من نتيجة خطيئة الانسان الاول انه يخاف من طوارىء الجو والطبيعة وما الى ذلك وكان في بدء الامر اذا رأى المطر يشتد عليه ، او اذا رأى ما يخيفه لجأ الى صخرة او كهف او غار فاختبأ فيه فالاختباء في اول الامر كان في مواطن طبيعية لا تكلفه تعباً ولا مشقة فكان يلجأ اليه وقد سمَّى اللاتيني هذا الاختباء latere وقد جهد علماء اللغة بحثهم للوصول الى معرفة اصل الكلمة ووجودها في اللاتينية ، فاتفق جمهور من الالمان والانكليز والفرنسيين على ان الاصل يتصل باليونانية ، واحسن من شرح هذا الموضوع اللغويان الفرنسيان ميشيل بريال وأناطول باي في معجمهما فقالا ما هذا معناه في لغتنا العربية (راجع ص ١٥٢ في العمود الثاني)

« [illegible] هو المقابل الصادق معنىً واستعمالاً لليونانية [illegible] في اللاتيني [illegible] كما قال اليونانيون [illegible] لكن T—Θ يوافق قبولاً لعادات اللغة اللاتينية وكان من المنتظر ان يبدل الحرف اليوناني Θ الى F (راجع F[illegible] او الى B (راجع R[illegible]) او الى D (راجع [illegible]) ، على انه يرى مثالان في اللاتينية مخالفين لذلك وهما قول اللاتيني [illegible] Rufus مجانس [illegible] و R[illegible] وقولهم [illegible] (بمعنى تألم) مجانس اليونانية [illegible] وقد عرض [illegible] Corssen (في كتابه) ([illegible] (Ber[illegible] تفسير Lateo انها بدل Lad-Feo (وهو من اسم مشتق قديم هو Lad-Las راجع Egretus) و Rufus بدل Rud-F[illegible]us » اه

قلنا : وفي كل ذلك من التمحلات ما لا يخفى على أحد وما Lateo الا العربية لطا يلطو قال في تاج العروس « لطا يلطو اهمله الجوهري وقال غيره اذا التجأ الى صخرة او غار . نقله الصاغاني في التكملة » انتهى والظاهر ان هذه الكلمة قديمة في هذه اللغة وكادت تنسى ولعلهم اهملوها لعدم حاجتهم اليها . مع انهم لو دروا أنها تفسر مغلق ما في اللغات لعضوا عليها بكل قواهم وعلى كل حال فذكر الصاغاني لها — وهو من اعظم الاثبات اللغويين — اقوى دليل على وجودها في هذه اللغة من اقدم زمن

ولمادة (ل ط ا) فروع منها لطأ ولاطء ، ولات ولات الى غيرها وهي كثيرة اذا نظرنا الى تنقل هذه الحروف الى صور شتى

قالوا في لطّ: لطّ عليه ستره ... وسدّ سدّه الخبر طواه وكتمه. ولطّ الباب: أغلقه ولطّ الستر أرخاه وكل شيء سترته فقد لططته — وقالوا في لاط الشيء يلوطه لوطاً: أخفاه — ولاث الرجل الخبر يلوثه لوثاً: كتمه وحبسه عن وجهه. وفيه معنى الاخفاء أيضاً. وفي لاث بالمثلثة قالوا: ومن لاث فلان ان علا فلاناً أي ما حبس. ولو أردنا تتبع هذا البحث لاحدثنا الملل في صدور القراء

٩ — النحي و ١٠ الناي و ١١ — الناوق

النِّحي والنَّحْي (بالكسر والفتح) والنَّحَى (بالتحريك): الزّق. وقيل: هو ما كان للسمن خاصة. الازهري: النحي عند العرب الزق الذي فيه السمن خاصة ... (عن ابن منظور في كلام طويل لا محل لذكره هنا) وعندنا ان النحي هو الزق عامة ثم خصص لوجود عدة ألفاظ لا تحصى لهذا المعنى، فاستحسنوا تخصيص بعض المعاني بها توصلاً الى معرفة المقصود كما هو شائع في جميع لغات الارض

والذي اوجه النظر اليه ان الاقدمين لما ارادوا السفر على الماء او العوم عليه اتخذوا النحي لهذه الغاية، والباحث يرى فائدة لا تقدر الآثار التي وجدت محفورة على بعض الآجر والصخر والمرمر وفيها صورة رجال يعبرون الانهار والمياه والاودية على ظهر «زق» او «نحي» — ثم لما أرادوا ان يسافروا جماعات على المياه، جمعوا زقاقاً عديدة وضموا بعضها الى بعض ووضعوا عليها المَرادي والخشب فكان لهم عليها محل للقعود والنوم والاكل والشرب واسم هذا المركب القديم من عهد الأكديين والاشوريين والبابليين هو «الكَلَك» بكاف ولام مفتوحتين وفي الآخر كاف. وهذا الاسم الذي مضى عليه نحو ستة آلاف سنة معروف الى يومنا هذا في العراق وكان العرب يسمونه «الطوف» بطاء وواو وفاء والى اليوم اذا اراد الاعرابي المجاور للمياه وادياً او مستنقعاً او بحيرة او نهراً عمد الى الزق الذي عنده دائماً فنفخه ووكاه (اي شدّ رأسه برباط) وركبه وعبر النهر به. وهذا يستطيع ان يشاهده كل انسان في ديار العراق المجاورة للانهر

هذا كان اول مركب المرء حينما كان يجاوز عبور المياه. وبقي هذا الاسم في اللاتينية بصورة s . n . n . فان « (الثاء) الموجودة في آخر الكلمة (ولا عبرة بحرف S لانه حرف اعراب عندهم) منقولة عن الحاء العربية وقد بيّنا ذلك مراراً لا تحصى في مقالاتنا، ومعنى ... المركب. واذا سألت فقهاء اللغة اللاتينية من اين جاءتكم الكلمة المذكورة، ذكروا لك مقابلها ونظائرها في سائر اللغات، لكن لم يطلعوا على اصلها ولا على سرّ اشتقاقها. بل لم يفكروا قط ان الاصل عربي محض لا شك فيه ومن اقدم ما ورد في كلامهم

ومن تكلم على النحي [illegible] اللغويين الفرنسيان مثل زيلي وانطون بايي في معجمهما اليوناني الفرنسي الديع فقد قالا في ص [illegible] في العمود الاول ما هذا معناه في لفظ [illegible] ان الكلمة الاولية هي [illegible] ولما كانت اللاتينية لا تخص اصول الكلم اليونانية بالمحاء الموحد المزدوج الحرفين في الاصل ملت في التعريب الى آ فقالوا [illegible] وراجع [illegible] وقولهم [illegible] و [illegible]

فهما مخففان من [illegible] و [illegible] ويجب ان تعتبر [illegible] و [illegible] مقتبستين من اليونانية ولم الكلمة [illegible] كما في [illegible] بمعنى كثيرة الورود في اليونانية لكنها نادرة كل الندرة في اللاتينية وكذلك [illegible] وهو مقدام او دوار لمحرفان عنه من اليونانية [illegible] و [illegible] بالسنسكريتية [illegible] بمعنى لا ماء وباليونانية [illegible] تنظر الى الارلندية القديمة [illegible] بمعنى سفينة وفي الالمانية القديمة العالية [illegible] . فالملاحة — سواء أكانت على البحر ام على الانهار — كانت اذن معروفة قبل ان تفترق الامم شعوباً وقبائل » اه كلام اللغويين

قلنا وهذا عين الصحة من جهة معرفة ركوب المياه قبل الافتراق والانفصال في البلاد ولكنك ترى من سقط اللغويين لاصل الكلمة انهم جهلوا المعنى الاصلي الحقيقي وكيف بلغ الانسان الوصول الى ركوب البحار والانهار فكلاهما المشروح السابق يطلعك على حقيقة الامر

ومن الغريب ان السلف اخذوا من اليونان كلمة « النوتي » بمعنى الملاح وراكب السفينة ولم يأخذوها عن نبتهم فيقولوا مثلاً نحتي او نحر او نحاه وكل ذلك من باب النسب، لئلا يختلط بما يشتق من النحو ولهذا فضلوا الاقتباس على الاخذ بالاصل وفي ذلك من الحكمة ما لا يخفى على احد

ومما اشتقوه من مادة النحي وحفظوه قول السلف النَّأْي والنُّؤْي والنِّئْي مثلث النون ، والنُّؤَى بضم ففتح وهو الحفير حول الخباء او الخيمة يمنع السيل . فكأنهم نظروا في هذا اللفظ سلامة الخباء من الغرق على حد ما يكون حفظ راكب النحي سيم صاحبه من الغرق

ومما جاء من هذه المادة الناوق . قال في محيط المحيط « الناوق بفتح الواو : الخشبة المنقورة التي يجري فيها الماء في الدواليب او تعرض في النهر او الجدول ليجري فيها الماء من جانب الى جانب معرب ناوه بالفارسية والجمع ناوقات » انتهى ولم يذكر احد اللغويين هذه اللفظة انما اخذها عن معجم فريتغ واظن ان هذا اقتبسها من رسالة اخوان الصفاء وقد وردت فيها وهي « النعير » في لغتنا ولم ينبه عليها احد . وقد تقدم القول ان « ناوه » ما هي إلاَّ تحقيف « نحي » لعدم وجود أحرف الحلق في اللغات اليافثية اي الهندية وما تفرع منها من لغات الغربيين على اختلاف قومياتهم

وهذا الموضوع واسع الاكناف يشتمل على امور بديعة لا تحقق ولا تجلى إلاَّ لمن يعاني درس اللغة العربية ولعلنا نعود مرة اخرى الى هذا البحث لما فيه من استجلاء النواميس واظهار الحق لمن يريد ان ينفعه . وما كل آت بعيد

مشكلات المستقبل

تحدي العلماء والمستنبطين

ملخص كتاب «مائة العام المقبلة»

«نظرة الى المستقبل» اغمض عينيك واشغل مخيلتك الى سنة ٢٠٣٦ فماذا ترى؟ ثم ارتد عشراً عشراً من السنين الى سنة ١٩٣٦ وقس ما تراه بما في القرن المنصرم بين العهدين

هنا بحيرات مصطنعة ملئت مواد كيميائية وغطيت سطوحها بألواح الزجاج تحوّل ضوء الشمس الى قوة كهربائية محركة. وهناك انابيب مدت في بطن الارض من مناجم الفحم فتشرب انتشار الشبكة وهي تنقل الوقود الغازي من المناجم الى مدن صحيحة قد تحررت من وصمة الدخان وهنالك سيارات تدرج على الطرق وهي لا تنبعث من أزرها بخار الدخان الناجم عن اول اكسيد الكربون. والناس يحملون في جيوبهم اجهزة لاسلكية لدقتها كأنها الساعات السويسرية الدقيقة ولكنها تمكنهم من التقاط الاذاعات اللاسلكية وارسالها. وقد بلغت ميداناً فسيحاً من هذه الميادين التطبيقية في مدن المستقبل فلا يبعد ان ترى في احد جوانبه لوحة تنجلي عليها حوادث الدنيا وقد نقلت بالأمواج اللاسلكية بأجهزة التلفزة الصحيحة

قد يكون كل هذا بعض ما يتصف به العالم بعد مائة سنة اذا تمكن ارباب البحث العلمي من حل المشكلات التي عجزوا عن حلها حتى الآن

ان ارتقاء العلم السريع في خلال القرن الماضي وما اسفر عنهُ في ميدان التطبيق العملي من سيارات وطائرات وصور متحركة واذاعة لاسلكية وغير ذلك ترك الناس مشدوهين يعتقدون في الغالب ان العلم منجم قد اوشك ان ينفد وانهُ مهما تتعدد فرص الاكتشاف والاستنباط في المستقبل وتتنوع وسائلهما فلا ريب في ان متوسط التقدم فيهما سيكون ابطأ جداً مما كان

ولكن في سنة ١٩٣٣ ذهب احد المهندسين الكيميائيين بجامعة ييل الاميركية الى معرض «قرن التقدم» الذي اقيم في مدينة شيكاغو وبعد ما طاف ارجاءهُ وردهاته وشاهد ما عرض فيه

من مخاتف ... ثم ان المستنبط عاد الى داره ووضع كتاباً عنوانه « مشكلات العلم المقبلة » وعرض فيه للمسائل التي لم يحلها العلم بعد

والتمثيل من الاشياء التي ذكرها مؤلف هذا الكتاب الدكتور فرناس Furnas معطف يقي من المطر ويسمح في الوقت نفسه بمرور عرق الجسم بالتبخر. وورق مبين يوثق على الدهر كالورق رخيص ثمنه. وحرير صناعي خالٍ من عيوب الحرير الصناعي المستعمل الآن. ونسيج للملابس يمنع العث من دون ان يكون كريه الرائحة. واسنان صناعية تشبه الاسنان الطبيعية. وصحف لا تتدثر ومادة تغطى بها سطوح الطرق فتدوم قرناً من الزمن. وطنافس لا تتآكل. وسكاكين لا تكلّ. ان الشهرة والثروة مضمونتان للمستنبط الذي يستطيع ان يحقق اي واحد منها

﴿قوة الوقود﴾ كان الاميركي في سنة ١٩٢٠ يقطع ما متوسطه ٨٠٠ ميل بالسيارة في السنة و ٤٠٠ بسكة الحديد. ولكنهُ في سنة ١٩٣٦ يقطع ما متوسطه ٣٠٠٠ ميل بالسيارة و ١٥٠ ميلاً بسكة الحديد. وعلى الرغم من التقدم الحديث في صناعة السيارات يقول الدكتور فرناس ان محرك السيارة لا يستغل من قوة البنزين الداخلة الا جزءاً من اثني عشر جزءاً منها (١/١٢)

فاذا استطاع المهندسون ان يبتدعوا طريقة لجمع الذرات التي تتدفق من السيارة في سيرها من دون ان تحترق واستعمالها وقوداً اصبح في وسع السيارة العادية ان تقطع خمسين ميلاً بمقدار من البنزين لا يمكنها الآن ان تقطع به عشرين ميلاً على الاكثر. ومما يتصل بهذا البحث منع غاز اول اكسيد الكربون الخارج من السيارات في سيرها والتخلص منه لانه يظهر متصلاً باحداث اخرى

﴿الاخلاط المعدنية﴾ يبلغ عدد الاخلاط المعدنية المعروفة حتى الآن نحو عشرة آلاف خلطة ومع ذلك لا يزال امامنا في صنع اخلاط جديدة مجال واسع للمقدرة بتركيب اخلاط جديدة متصفة بخواص عجيبة. فيمكننا صنع سيارات يكون متوسط ما تقطعهُ مائة الف ميل قبل ان يحتاج صاحبها الى سدها. ثم هنالك الكاوتشوك. فالولايات المتحدة الاميركية وحدها تستهلك من الكاوتشوك ٥٠٠ الف طن في السنة. ومع ذلك لم يعرف أحد بعد معرفة تركيب المطاط على وجه علمي دقيق. ان عبارته الكيماوية (كربون ٥ ايدروجين ٨) س وحرف السين هنا يدل على كمية مجهولة في تركيب الكاوتشوك الطبيعي. ولكن الكمية المجهولة لا تزال مجهولة. فالجزيء من الكاوتشوك الطبيعي منهُ، يشبه سلسلة مؤلفة من ٧٠٠ حلقة ولكن الجزيء في الكاوتشوك الصناعي قصير اي انهُ سلسلة مؤلفة من بضع حلقات او بضع عشرات من الحلقات. فهل في الطبيعة عامل خاص يؤلف الجزيئات على هذا المنوال؟ وما هو؟

﴿طاقة الشمس﴾ أو حد موضوع الطاقة المتحركة فالدكتور فرناس يقول ان البحث عن مصادر جديدة للطاقة امر لا مندوحة عنهُ لان مصادرها الطبيعية المستعملة الآن آخذة في النفاد

من يستطيع [illegible] في [illegible] ان مستعمل طاقة الشمس التي لا تنفد [illegible] ميدان للبحث حافل بالفرص المدهشة لمن يعنيها . فضوء الشمس الواقع على قدم مربعة [illegible] الدار التي [illegible] طاقة [illegible] يمكن الحصول على مقدار من الطاقة يكفي [illegible] من المصانع والمواقد . واذا استطاع العلماء ان يلتقطوا [illegible] الشمس [illegible] على سطح الارض مدى دقيقة واحدة كفت [illegible] ما نحتاج اليه [illegible] لان [illegible] ضوء الشمس [illegible] على سطح الارض [illegible] ان يتجه اليها العلم هل تحل باستعمال ما يعرف بأنبوب [illegible] الترموكبل او [illegible] الكهربائية [illegible] الحادي والعشرين

﴿ اوراق النبات ﴾ [illegible] من مبادئ البحث لا بد ان يكون من اهم ما يلتفت اليه [illegible] في [illegible] اوراق النبات لتحل محل طاقة الفحم [illegible] كل [illegible] من طاقة الشمس [illegible] مقدار [illegible] مقدار [illegible] في جميع [illegible] ان يستخرج من [illegible] مربع [illegible] خمسون [illegible] من الوقود [illegible] يمكن استخلاصه [illegible] من الوقود [illegible] على نحو ما يولد [illegible] من الفحم [illegible]

﴿ إزالة دخان الفحم ﴾ [illegible] ان يكتشف وسيلة في الفصل [illegible] من المدن [illegible] يموتون [illegible] ما قاله الدكتور [illegible] انهم يستطيعون ان [illegible] سكان المدن من [illegible] سكان الريف [illegible] يتجمع في رئات الاولين من دقائق [illegible] الفحم [illegible] . ويقدر ما يقع على مدينة شيكاغو كل يوم من [illegible] الكربون [illegible] وخمسمائة طن . فهذه المادة الناجمة عن حرق الفحم تتلف [illegible] والاحذية [illegible] السيارات ودهان البيوت ويزيد على ما [illegible] سكان المناطق التي يكثر فيها دخان الفحم [illegible] ٩٠ في المائة على ما [illegible] والسبيل الى الخلاص من هذه الضريبة الاجتماعية هو تحويل الفحم الى غاز على مقربة من مناجم الفحم ثم [illegible] الى المدن [illegible] لسكان [illegible] من دون دخان

﴿ في معمل الصحة ﴾ يقول الدكتور [illegible] ان الانسان يتنفس كل ٢٤ ساعة مقداراً من الهواء وزنه يوازي تقريباً وزن جسمه [illegible] يأكل كل ٥٠ يوماً مقداراً من الطعام يبلغ

زرعه وزن جسمه كذلك. فتنمية الهواء من المكروبات وغيرها واستنباط اطعمة جديدة أصلح للجسم من الاطعمة التي تعودناها حتى الآن ميدان واسع للبحث والكشف والاستنباط

خذ الفيتامينات فقد كشفت منها حتى الآن ثمانية انواع وكل نوع منها من هذه الانواع الغذائية يمكن تركيبه في المعمل كذلك هناك عشرة هرمونات معروفة ولكن العلماء لم يوفقوا بعد الا الى تركيب هرمونين منها فهذه حلبة واسعة لابداع الكيماوي. ثم ان اورام السرطان تكلف الاميركيين كل سنة نحو الفي مليون جنيه نحباً وعجزاً عن العمل ومع ذلك فسببه لا يزال مجهولاً فاذا الزكام بميكروبه يجب ان تكون من الاعراض التي يمحوها العلم في القرن المقبل

(كنوز البحار) واذا التفتنا الى البحار التي تغطي ما هو نحو ٧٥ في المائة من سطح الكرة الارضية، رأى الدكتور هرماس فيهما مجالاً غير محدود للاكتشاف والاستنباط فتعدين البحر اي استخراج معادنه وكنوزه، لا يزال في مرحلته الاولى فمن شاطئ ولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الاميركية معمل يستخرج كل شهر ملايين الارطال من عنصر البروم من ماء البحر. وفي سبيل ذلك يكرر المصنع ٣٦ الف جالون من الماء كل دقيقة فمثل هذا المصنع مثال يسبغ على أمواله في المستقبل ان ثلاثة في المائة من مياه البحار والمحيطات جميعاً مواد معدنية و ٨٠ في المائة من هذا المقدار ملح عادي اما العشرون في المائة الباقية فتحتوي على جميع المعادن المعروفة ومن بضع سنوات عمد باحث الماني الى جمع عينات من مياه البحار من المنطقة المتجمدة الشمالية الى جنوب اميركا الجنوبية فوجد في كل نموذج مقداراً يسيراً جداً من الذهب. وكان الذهب اكثره في مياه المنطقة المتجمدة الشمالية. اما يوماً من الايام يستخرج معدن النحاس من مياه البحر فتى يتاح للانسان ان يجاري المحار ؟

(الضوء) ولا يخفى ان مصابيحنا الكهربائية تحوّل معظم الطاقة السارية في اسلاكها للتغلب على مقاومة الاسلاك لسيرها فيها فتتحول الى حرارة ويستعمل الجانب الاصغر في توليد الضوء. ولكن بعض الحيوانات تولد ضوءاً يعرف بالضوء البارد وقد استخلص احد العلماء من نحو ٢ سنه المادة الفعالة في الحيوانات المضيئة واسمها لوسفرين، فهل يتاح للانسان ان يجاري هذه الحيوانات فيوفر نحو ٩٨ في المائة من الطاقة التي يضيعها على الاضاءة ؟

وليس ما تقدم الا بضعة امثلة مما اشار اليه الدكتور هرماس في كتابه مما يدل على ان العلم لا يزال في الشوط الاول من رحلته. والواقع ان العلم على ما بلغه من التقدم خلال القرون الثلاثة الاخيرة لا يزال علماً لا حدود له وكل ذروة بلغها العلماء في سيرهم انما كانت مطلاً يطلون منه على ذرى متتابعة يحيط بأبعدها غيم المجهول

مكسيم غوركي

مات الكاتب الروسي مكسيم غوركي الذي ملأ [illegible] وكان ولد في سنة ١٨٦٨ ونشأ في مهد الفاقة . ذلك ان والده [illegible] ومكسيم في الخامسة من عمره فتزوجت والدته ثانية واضطر هو [illegible] سنة فعاش عيشة كد وكدح متنقلاً في سبيل العيش شرقي روسيا [illegible] نوفغورود [illegible] جورجيا عاملاً في هذه السنين [illegible] والصعاليك ويقال انه كان يشتغل صبياً لطباخ في سفينة تمخر نهر الفولغا فما اثر شيء [illegible] الادبية الاولى لانه كان يطالع في اوقات فراغه كل ما يقع عليه يداه في مكتبة [illegible] وكان [illegible] حتى [illegible] لصحف المحلية ان تنشر له قصة قصيرة [illegible] بتوقيع مكسيم غوركي [illegible] فكان نشر هذه القصة بدء مرحلة جديدة في حياته [illegible] وفي سنة ١٨٩٥ نشرت له [illegible] تصدر في بطرسبرج [illegible] طبعت مجموعة قصصه في كتاب [illegible] رواجاً [illegible] واصبح اسم غوركي معروفاً في [illegible] تلت شهرته [illegible] الى مدن اوروبا فلما وضع مسرحيته التي عنوانها « الاعماق » [illegible]

وكان في رغبته السياسية ميالاً الى مبادىء الاشتراكيين [illegible] الروس فكان ذلك باعثاً على اضطهاده من ناحية وتوسيع [illegible] شهرته من ناحية اخرى [illegible] ثورة ١٩٠٥ اشترك فيها ثم غادر وطنه في سنة ١٩٠٦ [illegible] حكومة [illegible] في مدن اوربا وفي سنة ١٩٠٧ استقر في كابري بايطاليا [illegible] توثقت اواصر الصداقة بينهما

عاد الى وطنه قبل الحرب وانشأ [illegible] مجلة [illegible] وكان في الحرب الكبرى من دعاة السلام وفي الثورة الروسية من مؤيدي البولشفيك [illegible] في روسيا اصبح لسان الادب والثقافة في [illegible] وكان له شأن كبير في [illegible] الادباء والاحتفاظ [illegible] وساءت صحته سنة ١٩٢٢ فغادر روسيا الى المانيا حيث مكث سنتين ثم استقر في سورنتو . أما مكانته الادبية فقائمة على القصص القصيرة التي كتبها في بدء عهده بالادب وقد وصف فيها [illegible] وهو هائم [illegible] الرزق وصفاً قائماً على ركنين من الواقع والعطف فكان ذلك الباعث الاول على ذيوع اسمه بين طبقات الشعب الروسي المظلومة واشهر هذه القصص « رفيقي في السفر » و « ستة وعشرون رجلاً وفتاة » وفي سنة ١٨٩٩ شرع يكتب روايات مطولة ومسرحيات ولكنها [illegible] من الناحية الفنية دون قصصه القصيرة في المقام الادبي وقد دامت هذه المرحلة من حياته الادبية الى مطلع سنة ١٩١٣ اذ بدأ يكتب كتباً تنطوي على ذكريات صباه وشبابه والراجح انها في المقام الاول بين آثاره الادبية

ملاحظات عمومية على الاضاءة

للدكتور الياس صدقي

ذكرنا في ما تقدم باختصار مبادئ الاضاءة بقي ان نذكر شيئاً عن الاضاءة الجيدة اي الاضاءة المقسمة بشكل تتيح لكل القليل من الناس سواء في ذلك الكتبة والعاملون والصحفيون ومن شاكلهم او نظار المدارس او التجار الذين يعرضون بضائعهم في واجهات المخازن او اصحاب المصانع الذين يستخدمون عدداً كبيراً من العمال او مديرو البلديات الذين يطلب منهم انارة المدن . لا بد من الالمام بطرق استخدام الاضاءة . ويعوّل الكثيرون منهم في انتخاب المصابيح على رخص ثمنها . فانه لنعمة في تركيبها مع ان ثمنها وثمن ما يكسب الضوء الذي تعطيها وتركيبها كلها نفقات لا قيمة لها اذا قابلناها بما تكلفهُ هذه المصابيح لاضاءتها . فثمن مصباح الترول ليس شيئاً مذكوراً بالقياس لثمن الترول الذي يحرقهُ مدة عشر سنين او عشرين سنة وثمن المصباح الكهربائي المتوهج الذي يبلغ قوتهُ خمسين شمعة خمسة قروش ولكنهُ ينفق من التيار في مدة الالف ساعة التي يبقى فيها صالحاً للعمل ما قيمتهُ مائة قرش تقريباً لذلك يجب ان يتوقف انتخاب نوع المصابيح وتعيين قوتها على الاشياء والاماكن المراد اضاءتها والجداول الموضوعة لتعيين القوّة كثيرة واليك أحدها

حجرة الاستعمال وحجرة الاكل وحجرات النوم	٢٥ — ٤٠ لوكساً
الممرات والدهاليز وحجرات التخزين	١٠ — ٢٠ »
المكاتب والمطاعم وحجرات التزيين والحمام	٤٠ — ٦٠ »
الملاهي	٥ — ٨ »
الكنائس واشباه المحاضرات	٢٠ — ٤٠ »
المدارس	٤٠ — ٨٠ »
حجرات الرسم ومصانع النقش والنحت	٨٠ — ١٥٠ »
محلات عرض البضائع في واجهات المخازن بحسب زهاء الوانها	١٥٠ — ٨٠٠ »

محلات عرض البضائع في [illegible]	٤	١٢	لوكساً
محلات [illegible] والتصوير [illegible]	٥٠	١٥	»
[illegible] الاقمشة والجواهر	٥٠	١٥٠	»
المصانع [illegible] ومحلات [illegible]	٣	١٥٠	»
» التي ليس فيها آلات تتطلب اضاءة قوية	٢٥	٤٠	»
محلات غسل الملابس	٤٠	٦٠	»
المطابع ومحلات الخياطة	٦	١٠	»
[illegible]	٣٠	٤	»
[illegible] الجواهر [illegible] الاولى [illegible]	٨	٢٠	»
داخل السيارات	١٠		»
الشوارع	٥ر٠	١٠	»
طاولة العمليات	١٠٠٠	٥٥٠٠	»

[illegible] الواسع [illegible] هذه الارقام [illegible] ولا عجب في ذلك لان تحديد الاضاءة الجيدة [illegible] الارقام [illegible] الفائدة العملية من هذه المعلومات [illegible] الاضاءة المناسبة عنه ولا بدّ للمرء من [illegible] احتياطية كبيرة [illegible] ما يلزم لرؤية الشيء وبين ما يلزم للاستمرار [illegible] في مائة وفي نحو هذا الاحتياطي ظهرت علامات الاجهاد [illegible] الضوء وتقلص الحدقتان ويكلّ البصر

[illegible] الاضاءة الجيدة [illegible] كانت [illegible] الصناعية بالزيت او البترول او الغاز او [illegible] او غير ذلك [illegible] تكون هذه الاضاءة مناسبة لحاجتنا ولكي نجني منها كل الفوائد الممكنة [illegible] اولاً ان تكون هذه الاضاءة كافية وافية كما يظهر من الجدول السابق وفي [illegible] تكون في [illegible] من مصابيح الانوار الصناعية [illegible] كثيراً من [illegible] حين تكون الشمس في سمت الرأس نحو ١٠٠٠٠ شمعة [illegible] لا تحتملها العيون ولكن [illegible] شمعة والخمسين شمعة الصادرة [illegible] مصباح المكتب الاعتيادي مدى طويل يجعلنا نفكر في استخدام مصابيح اقوى من [illegible] نستخدمها على انهُ لا يجوز استعمال المصابيح القوية والمتقدة ايضاً الا [illegible] سقوط [illegible] او تغطيتها بأجهزة [illegible] الضوء [illegible] هاتين الطريقتين تمنع سقوط الاشعة على [illegible] البصر

يعقبه احياناً نوع من الصداع. ثم يجب ان تكون شدة الضوء ثابتة لان العين تحس تماماً بكل تكيفت تبعاً لتلك القوة كما تؤدي الى زيادة اجهاد الشبكية حيث تستمر بلا انقطاع في دور متحرجاً وهذا ما يحصل بالمطالعة في عربات السكك الحديدية والسيارات وما يشبهها مصر. كذلك اذا لم ينتشر الضوء بنفس القوة على جميع اجزاء الشيء المضاء تكون بعض هذه الاجزاء مظلماً والبعض الآخر نيراً وتشعر العين بمضايقة تشعر بها اذا زحزح النور

فوائد الإضاءة الجيدة

يجب على الجمهور الالمام بالمعلومات اللازمة للاضاءة الجيدة التي يتوقف عليها النشاط بكل انواعه وهو العامل الاهم في الانتاج. فقد كان اسلافنا ينقطعون عن العمل عند غروب النهار ولا يعودون اليه قبل طلوع الشمس ولكن الحالة تغيرت منذ قرن واصبحت الحياة كلها قد تطالب بمزيد من الاضاءة تقدماً ادى الى زيادة الانتاج زيادة كبيرة في جميع الاعمال ولا شك في ان انتاج العمل يتوقف قبل كل شيء على مقدار ما يحدثه من الضوء في النهار وعلى انارة كل قسم من اقسامه الانارة الوافية في الليل. فقد نتج عن تجارب عديدة في مكتب من اكبر مكاتب نيويورك كان يشتغل فيه نحو ٤٨ عاملا من امر المراسلات ان زيادة الاضاءة سببت زيادة عمله في كل فرد ومكنت من اقتصاد كبير في عدد العمال أدى الى توفير مائة الف ريال سنوياً فضلاً عما دفع ثمناً لزيادة الاضاءة. ومن السهل تعليل ذلك فان زيادة عدد اللوكسات كان سبباً في ازدياد حدة البصر وتقصير الزمن اللازم لقراءة العناوين وقلة اجهاد الشبكية وقد كان من الخطأ يتطلب تحديد تكييف البصر بشكل ورسالة نتج عن توفير جزء صغير من الثانية في قراءة كل عنوان ربح مئات من ساعات العمل وقد ادت التجارب الاخرى في نيويورك الى النتيجة عينها في ربح العمل كما يظهر من الجدول التالي

نوع العمل	الإضاءة الأصلية	الإضاءة المحسنة	زيادة العمل	ثمن زيادة الاضاءة بالنسبة للاجور
معمل مقاص حديدية	٤١ لوكساً	١٣٣ لوكساً	٨ر٥ في المائة	٨٦ر١ في المائة
معمل مكاوٍ حديدية	٨ »	١٤٥ »	١٢ر٥ »	٢ر٥٠ »
معمل تركيب كاربوراتورات	٣٣ »	١٣٣ »	١٢ر٠ »	٠ر٩٠ »
معمل وسائد	٤٩ »	١٣٧ »	١٥ر٠ »	٣ر٠٠ »
معمل بكر	٣ »	٥٣ »	٣٥ر٠ »	٥ر٠٠ »
معمل اساطين أو مكابس	١٣ »	١٥٠ »	٢٥ر٨ »	٢ر٠ »

[illegible] تطرأ [illegible] الاضاءة من [illegible] طارئة خارجية طوراً [illegible] العيون من الاميركيين [illegible] في الشتاء [illegible] في الصيف ولا تصح نسبة ذلك [illegible] لا [illegible] تحت نسبة الى طول المدة التي [illegible] الاضاءة [illegible] في الشتاء [illegible] ايضاً ان ازدياد الطوارئ بشدة ساعة [illegible] في حين [illegible] الاضاءة [illegible] وفي انواع يمكن حدوث طارئة خطر ان تجهز [illegible] ان [illegible] بعضه [illegible] تحول دون [illegible] ما يصيبه ويؤدي [illegible] الطوارئ في الذين [illegible] الاضاءة غير وافية

ومما لا ريب فيه ان للاضاءة تأثيراً [illegible] في صحة [illegible] وارتياحهم ونشاطهم اثناء العمل وهو امر يعلمهُ الجميع ولكن قلَّ [illegible] السرور [illegible] العمل [illegible] القيام بالاشغال المتعبة ويعرف هذه الحقيقة اصحاب المسارح و [illegible] من النور [illegible] وتحملهم على التغاضي عن كثير من [illegible]

* * *

وما ذكرناه عن الحالات العمومية ينطبق على المعامل ولا سيما [illegible] التي [illegible] فيها المصانع من النور [illegible] ولا [illegible] الولايات المتحدة [illegible] الاضاءة [illegible] فلا يكتفون بذلك عن استعمال المصابيح [illegible] شمعة [illegible] البلاد الاخرى مصابيح قوتها ١٦ او ٣٢ شمعة [illegible]

اما انارة المدن فلم يزل بعضها [illegible] التحسينات [illegible] ويتوقف الامن ليلاً على عوامل كثيرة اهمها انارة الطرق انارة وافية لان الاعتداءات الليلية كالسرقات لا تحدث الأ في الظلام وفي زمن الحرب حينما [illegible] اضاءة الشوارع توفيراً [illegible] ازداد عدد الحوادث [illegible] كل مصباح شرطي

ولا تكثر الحوادث [illegible] في الشوارع الا [illegible] مصابيح [illegible] و قريبة جداً من الارض او عند ما تحدث انواع [illegible] عند [illegible] او [illegible] القادمين من الجهة المقابلة

ومن مزايا اضاءة المدن اضاءة وافية تسهيل الحركة ومنع الزحام

الاخشاب المصرية

القديمة

للدكتور حسن كمال

مقدمة

(ا) عثر الاستاذ بتري (Petrie) حديثاً على كتلة من خشب السنط من عهد البداري مما يشير الى مدى اهتمام القوم وتقديرهم بالاخشاب . لكن هذا الاهتمام في تلك العصور السابقة لابتكار الآلات الخشبية كان قليلاً جداً بالقياس الى ما وصل اليه بعد اكتشاف النحاس قبيل حكم الأسر . ومن عهد الاسرة الاولى (٣٤٠٠ ق . م .) اهتمت المملكة المصرية القديمة بالاخشاب واستعمالها في الاعمال الحكومية وخصصوا مصلحة لذلك تحت اشراف « كاتب النجارة الملكية »[١] واختاروا لذلك المنصب كبار رجال العصر كما انشأوا لذلك مناصب « رؤساء النجارين »[٢] و « نجاري السفن »[٣]

(ب) « استعمال الاخشاب في المباني والصناعات » عرش القوم مقابرهم الاولى المبنية تحت سطح الارض بالكتل الخشبية المتينة بعضها في بعض باسلاك نحاسية وفي جبانتي (ام اعاب) و (نجع الدير) مقابر من عهد الاسرة الاولى محكمة السقوف أحكامها للارضية (راجع ريزنر جبانات الاسرة الاولى ج ١ ص ١٦ و ١٩ و ٢٢)

وفي عهد الاسرتين الاولى والثانية صنع القوم صحائف قبورهم والمعابد الملحقة بها وسقفها وأبوابها وأرضيتها من الخشب غالباً . واللوحة الخشبية المرسوم عليها النبيل (رحسي) آية في الابداع والجمال . وهناك عدة توابيت مصنوع كل منها من كتلة خشبية واحدة (راجع بتري فنون وادوات مصر القديمة ١٩١٥ طبعة ثانية رحة كامارس ص ١٦١) . ومنذ عهد المملكة الوسطى (٢١٠٠ — ١٧٠٠ ق . م) اشتدت عناية القوم بالمحافظة على الجثث من التلف فصنعوا توابيتهم من ألواح الخشب (بتري نفس المرجع)

(١) و(٢) نفس المرجع ص ٢٥٧ (٣) Wen, Les origines de l'Egypte pharaonique p. 180

ثم كثر ستعمال الاخشاب تبعاً لانتشارالمباني فصنع القوم لاسوارالمعابد الكبيرة والسرايات الملكية ابواباً خشبية كبيرة تتفق مع ضخامة السور وفخامة السراي . من ذلك ابواب سراي الملك سنفرو ٢٧٢٠ ق م) فقد اخبرنا (دوا ناوى)[1] انها كانت شاهقة كذلك الامير (ختوم حوتب) (اسرة ١٢ — ٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق . م .)[2] وصف ابواب معبد قبره مسارته الآتية « وعملت هذه الحجرة الكبيرة باباً طوله ست اذرع (الذراع = ٥٢٫٣ س) من خشب السنط . ومصراعين (درفتين) طول كل منهما سبع اذرع لباب الموصل الى حجرة الطهارة »

وفي الاسرة الثالثة صنع القوم ابواباً خشبية للصروح الداخلية والخارجية بمعبد الكرنك يبلغ طول الباب الواحد منها عشرين متراً وعرضه خمسة امتار (بتري - الفنون والمواد ص١٦١)

وعاش الفلاحون في اكواخ مصنوعة من القصب (البوص) والطين اما منازل العائلات الراقية فكانت تصنع من الخشب واللبن . واما جدرانها فكانت تزاد صلابة بوضع عروق الخشب بين اللبن على مسافات قصيرة (فيرى — مقبرة رخمارا ل ١٧) وعرّز القوم اسقفهم بكتل الخشب ورفعوها احياناً على عمد خشبية

وصنع الفلاحون من الخشب اثاث منازلهم وحمامهم وقصاعهم الخ وذلك في عهد الاسرة الثانية (حوالي ٢٨٠٠ ق م .) وفقدنا اثاث مقبرة (حايوسوكاري) وزوجته ذكر فيها جدول بأثاث خشبي المادة (وايل اصل مصر الفرعونية ص ٢٥٠ و٢٥٣) وتشاهد على جدر معابر المملكة القديمة (٣٢٠٠ — ٢٢٧٠ ق . م .) والمتوسطة (٢١٠٠ — ١٧٠٠ ق م) مناظر تبيّن صناعة النجارة مثل قطع الاخشاب بالبلط وتجزئة الكتل الى قطع صغيرة وصناعة الادوات منها وكذا المراكب الخشبية ويسهل على الناظر ان يتبيّن بين الآلات المرسومة المنشار والقدوم والازميل والقوس ذا المثقب والفأس (راجع انموذج ورشة النجارة التي عثر عليها بالاقصر اسرة ١٢ — ٢٠٠٠ - ١٧٩٠ ق . م) وتشاهد في بني حسن (مقبرة ٢ لوحة ٢) صناعة الاحذية الخشبية والاقواس الخشبية الحربية وصناعة الآبنوس في الاثاث والتوابيت . ويستدل من نقوش مقبرة (رخمارا) بالاقصر (حوالي ١٤٦٠ ق.م .) على كمية ادخال العاج والآبنوس والسدر والسنط وغير ذلك في المواد الثمينة في الاثاث المتنوع

نذكر هنا على سبيل المثال لصناعة الحفر في الخشب تمثال شيخ البلد (اسرة ٥ — ٢٥٦٠ — ٢٤٢٠ ق م) المركب فيه العينان المحوطتان في عملها باطرز من النحاس ومن اجل امثلة

(١) Rec. de trav. ... 77 (٢) دكهاير ج ٢ لوحة ١٢٤ و١٢٥ .

وصلات النجارة اهودج ولسرير واسعد دو البدين والعلب المتعددة التي وجدت جميعها بمقبرة (حوتب حيريس بالجيزة اسرة ٣ ٢٧٨٠ — ٢٧٢٠ ق . م) واتى عثر عليها الدكتور ريزنر عام ١٩٢٧ م وفيه تشاهد وصلة تثم ... ووصلة لتشيقة ... ومن امثلة وصلات النجارة ايضاً اثاث مقبرة توت عنخ امون (اسرة ١٨ — ١٣٥٨—١٣٥٠ ق م) وفيه يشاهد على الوصلتين السابقي الذكر اسلوب الوصل المعروف باسم وصل ديل الحمامة ... واستعمال الاوتاد الخشبية ... والمسامير المعدنية ... واعمال الآبنوس والعاج واعمال التصبيح ...

(ج) (لتجارة الدوليه) — ورد بقرطاس المسطاني رقم ٤ (لوحه ١٤ س ٨) بيان مالي كتلة خشبية ومائتي قطعه من الفحم النباتي . ومنهُ يستدل على مصادر الخشب لكثيرة التي كانت في القطر المصري في العهد الفرعوني — وعلى معرفة القوم بطريقة صناعة الفحم النباتي وهذا خطاب ارسله الكاتب (نكمحوس) الى الكاتب (أريا) وصف شدة اهتمام القوم بايراد الغابات السنوي حيث وردت به العبارة التالية . — « حصر الف قطعة من الخشب وعشرة آلاف قطعة من الفحم النباتي حسب الاتفاق الذي تمَّ بيننا »[1]

(د) (لتجارة البحرية) وأسس القوم (ترسانات) — دور صناعة السفن — بالقرب من الحراج وصنعوا منها السفن الخشبية الصغيرة والكبيرة بين النيل والبحر الابيض المتوسط وجد في الآثار[2] نصوص خاصة بغزو بلاد النوبه ورد ضمنها ان القوم صنعوا لذلك سفينة طولها مائة ذراع وستة عشر شبراً عدا ستين سفينة صغيرة . اما هيرودوتس فاخبرنا في مجلده الثاني (فقرة ٩٦) ما ترجمته : —

« يصنعون سفن النقل من الاثل (...) وهو يشبه سدر القيروان ويخرج منه سائل يصير صمغاً . فيأخذون من هذه الشجرة الواحاً طولها نحو دراعين ويصفونها كما يصف القرميد ويثبتونها بمسامير متينة طويلة ويضعون على وجهها خشبات ولا يستخدمون اساساً ولا اضلاعاً لكن يثبتون مجموع هذه الاخشاب من الداخل بربط من البردي ثم يصنعون دفة ويخرجونها من اسفل السفينة ثم صارياً من السنط وقلوعاً من البردي

« وهذه السفن لا تقدر ان تصعد في النهر ما لم تقدمها ريح قوية ولذلك يضطرون ان يجروها من فوق الشاطىء واما طريقة النزول بها فهي هذه يصنعون طبقاً من الوزال يحبكونه بالاسل ويأخذون حجراً مثقوباً وزنه نحو وزنتين ويلقون الطبق نحل في مقدم

Rec. des trav. t, XXV p. 77 L . (٢) Rec. des trav t I p. 58 (١)

السفينة ويتركونه يجري مجرى الماء ويطلقون الحجر محل آخر في المؤخر فالطوق بواسطة سرعة جري الماء يجر السفينة والحجر الذي في المؤخر يغرق في الماء وتكون ممسكة قانونية مجرى السفينة وعندهم كثير من هذه السفن يحمل شحناً وزنه الوف من الوزنات »

(ه) ﴿ قلة الاخشاب المصرية ﴾ — لم تكن مقادير الخشب التي ناقطر المصري قديماً كافية لسد حاجات اهله وخصوصاً ما يلزم لبناء الابنية الشاهقة كالاهرام وغيرها من عمارات المملكة القديمة (٣٢٠٠ — ٢٢٧٠ ق م) ومنذ اقدم العصور وردت سورية الى مصر خشب الارز (cedar) وخشب (...) وذلك عن طريق جبيل (بيلوس) . ولما اراد الملك سنفرو (٢٧٢٠ ق. م) بناء ستين سفينة في سنة واحدة استورد لذلك اولاً اربعين شحنة من خشب الارز (حجر بالرمو — برستد نصوص مصرية قديمة ١—٤٦) . وكانت للاخشاب لسان قيمة كبيرة في اسطر المصري حتى دخلت ضمن الجزية التي كانت تلك الجهات ترسلها لملوك مصر وخصوصاً في عهد الملك تحوتمس الثالث (١٥٠١ — ١٤٤٨ ق م) في السنة الرابعة عشرة من حكمه حيث ورد ضمن الجزية ومقدار خشب الارز (cedar) وخشب السرو (cypress) (...) . وكانت سورية دائماً مقصودة لاشجارها الصنوبرية (coniferous trees) منذ اقدم الازمنة حتى عهد الرعمسيين . ثم صارت سورية مطمع حكام مصر لاخشابها حتى عهد البطالسة (٣٣٢ — ٣٠ ق م)

الاخشاب المصرية الاصل

(و) لم يمكن للآن من معرفة انواع الاشجار المرسومة على الآثار الا في بعض حالات خاصة مثل السنط (acacia) والنخيل والدوم والجميز والمعروف ان اهم الاخشاب المصرية التي كانت تستعمل بكثرة للتجارة هي الجميز والسنط والاثل (tamarisk) لكن هناك اخشاب اخرى كانت تستعمل بين حين وآخر اهمها خشب النخيل والدوم والنبق او السدر (sidder) واللبخ (Persea) والصفصاف (Willow) وسنتكلم الآن بالايجاز عن كل من هذه الانواع

١ ﴿ خشب السنط acacia ﴾ تنمو في مصر عدة انواع لهذا النبات ويرجع تاريخ استعمال خشبه الى عهد البداري . واورد الاستاذ برستد ان القوم استحضروا خشب هذا الشجر في عهد الاسرة السادسة (٢٤٢٠ — ٢٢٧٠ ق م) من حاتنوب (نصوص قديمة ١—٣٢٣) ومن اقليم الواحات بالنوبة (نصوص قديمة ١ — ٣٢٤) وصنعوا منه سفناً للملاحة والحروب (برستد نصوص قديمة ٤ — ٢٢٩) . قال هيرودوتس (٢ — ٩٦) ان هذا الخشب استعمله القوم في صناعة السفن والصواري اما تيوفراستوس (٤ — ٢ — ١ — ٨) فقال ان المصريين

استعملوا خشب هذا النبات المصري لاسقف منازلهم واصلاح سفنهم . وذكر استرابون (١٧ — ١ — ٣٥) نوعاً من هذا النبات كان ينبت بصعيد . ولا يزال المصريون حتى الآن يستعملون هذا الخشب في صناعة السفن وغيرها

٢ ﴿خشب النخيل﴾ (Phoenix dactylifera) سبق ان ألمعنا في مقتطف يناير سنة ١٩٣٦ ان النخيل كان ينمو بمصر منذ اقدم الازمنة المعروفة . وان الدوم ونحوه على جدران مقابرهم بوضوح في مقابر الاسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق م) بطيبة ومعبد الدير البحري بالقرب من نقوش بعثة الصومال

ولا يخفى ان خشب النخيل بالقياس الى كثرة الياف وغلظها وخشونة مادته لا يصلح لاعمال النجارة الدقيقة . لذلك قصر استعماله على تعريش السقوف وذلك بعد شق الجذع شقين كما هو مستعمل الآن في بعض القرى . وفي سقارة مقبرة معرشة بجذوع النخيل يرجع تاريخها الى الاسرة الثانية او الثالثة (٢٧٨٠ — ٢٧٢٠ ق . م) واخرى بجهة قاو باسيوط وثالثة عفرة بالقرب من هرم (خفرع) بالجيزة . واستمر استعمال جذوع النخيل في تعريش الاسقف في العهدين اليوناني (٣٣٢ — ٣٠ ق . م) والروماني (٣٠ — ٣٩٥ ب م) كما هو مشاهد بمدينة كرانيس بالفيوم . وعثرت الآنسة (كاتون طمسن) والآنسة (جاردنر)[1] على نوى بلح في الواحة الخارجية يرجع تاريخها الى العهد الحجري . اي قبل حكم الاسر الفرعونية بمئات من السنين

(٣) ﴿خشب الدوم﴾ (Hyphaene thebaica) ورد هذا النبات مرسوماً بوضوح وبكثرة على مقابر الاسرة ١٨ (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق م) ووصف تيوفراستوس (٤—٢—٧) شجرة الدوم بأنها مصرية متفرعة الجذع وان خشبها صلب المادة على الضد من خشب النخيل . وان العجم استعملوه في صناعة أرجل مقاعدهم . وذكر (دليل)[2] انه لما زار مصر عام ١٨٠٩ كان المصريون يصنعون ابوابهم وبعض نجاراتهم من خشب الدوم

ولا يزال شجر الدوم ينمو في مصر في المنطقة الواقعة بين العرابة شمالاً والنوبة جنوباً . اما ثمره فقد عثر عليها من العهد السابق لحكم الاسر (اي قبل ٣٤٠٠ ق . م)

(٤) ﴿خشب اللبخ﴾ (Persea) ويقال له بالاتينية (Mimusops schimperi) وورد ذكر هذا النبات في النصوص التاريخية ابتداء من عهد الاسرة ١٨ (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م .)

(١) The Geographical Journal LXXX p. 384 1932
(٢) Delisle Descrip. de l'Egyp. 1809 p. 54

(برستد نصوص مصرية قديمة ٢ ص ٢٩٨) كما ذكره كثير من المؤرخين الاقدمين فان تيوفر استوس (٤ — ٢ و ١ و ٥ و ٨) ان هذا النبات مصري الاصل وينمو بكثرة في طيبة وانهُ يحتفظ باوراقه طول السنة وان خشبه صلب المادة اسود اللون ويصنع القوم منهُ التماثيل والاسرة والموائد وغير ذلك اما استرابون (١٧ — ٢ — ٢ — ٢) فقال ان هذا النبات حبشي الاصل

وعثر على فروع هذا النبات واوراقه بالمقابر القديمة ابتداء من عهد الاسرة ١٢ (٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق . م .) الى العهد اليوناني ومقبرة (توت عنخ آمون) حوت عدة باقات من فروع هذا النبات كبيرة الحجم وكذا فاكهتها المجففة ونماذج زجاجية تشبه الفاكهة (كارتر مقبرة توت عنخ آمون ج ١ ل ٢٧ وج ٢ ص ٣٣) . وقال بعضهم ان اسم القمح بالمصرية (إشد)

(٥) (خشب السدر Sidder) النبق . لهذا النبات عدة انواع والنوع المصري القديم هو المعروف باسم (Zizyphus Spina christi) ويعتبر بعضهم ايضاً وجود النوع المعروف باسم (Zizyphus mucronota) في وادي النيل لانتشاره بكثرة في افريقيا اما النوع الاول فينمو بكثرة على شاطىء البحر الابيض المتوسط ويعرف في مصر بشجر النبق وكلنا نعرف فاكهة النبق من حيث الشكل والطعم والرائحة فلا حاجة لشرحها هنا ويكفي الآن ان نقول ان فاكهة النبق وجدت في مقابر مصرية قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل حكم الاسر (قبل ٣٤٠٠ ق . م .) ولا يخفى ان هذه الشجرة ليست ضخمة وعليه يتعذر عمل ألواح خشبية كبيرة منها . لذلك قصر استعمال خشبها على الاثاث الصغير الحجم وخشب النبق صلب المادة

(٦) (خشب الجميز Ficus Sycomorus) ورد ذكر الجميز بكثرة في الآثار المصرية القديمة مثال ذلك ما جاء (برستد نصوص قديمة ٢ — ٦ و ٣) من ان سفينة صنعت من خشب الجميز في عهد الاسرة ١٨ (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م) كما ورد ان تماثيل صنعت من نفس الخشب من عهد الاسرة الشرمية (١٧٠٠ — ١٠٩٠ ق . م) وقد عثر على خشب الجميز في المقابر السابقة لعهد الاسر ولا يزال في حوش معبد (منتوحوتب) الاسرة ١١ (٢١٠٠ — ٢٠٠٠ ق . م) بالاقصر جذور اشجار الجميز القديمة وفي المتحف المصري اوان وتوابيت وتماثيل وغيرها مصنوعة من خشب الجميز ابتداء من عهد الاسرة الخامسة (٢٥٦٠ — ٢٤٢٠ ق . م) الى آخر التاريخ الفرعوني

(٧) (خشب الاثل Tamarisk) . في القطر المصري عدة انواع لهذا النبات وهو قديم جداً وقد عثر على جذوع متفحمة منهُ . كما عثر على بعض اخشابه من العصر الحجري وعصر النداري وما قبل الاسر (اي قبل ٣٤٠٠ ق . م .) وورد ذكر هذا النبات في نصوص الاهرام

ونصوص الأسرة ١٢ (٢٠٠٠ — ١٧٨٨ ق م) قال هيرودوتوس أن بعض السفن كانت تصنع من هذا الخشب (٢ — ٩٦) وتوصل الأستاذ ولوك الى معرفة بقايا لنابة من أشجار هذا النبات كانت مزروعة بمعبد (منتو حوتب) — أسرة ١١ (٢١٠٠ — ٢٠٠٠ ق م) بالدير البحري ولا تزال الشجرة تنمو بكثرة بالقطر المصري ويقال للأثل بالمصرية القديمة « أسر »

(٨) «خشب الصفصاف» (٢ — ٩٣) ويقال له باللاتينية (Salix Safsaf) نبات مصري قديم للغاية، عثر على مدية من العهد السابق لحكم الأسر مقبضها مصنوع من خشب الصفصاف . كما عثر على صندوق مصنوع من نفس الخشب من عهد الأسرة الثالثة (٢٧٨٠ — ٢٧٢٠ ق م) وكان خشب الصفصاف كثير الاستعمال في العهدين اليوناني (٣٣٢ — ٣٠ ق م) والروماني (٣٠ ق م — ٣٩٥ ب م) ولا يزال يستعمل للآن في صناعة برادع الإبل وتوابيت المياه المستعملة لري الحقول وفي تكاكيب السب وفي دار تحف القاهرة أكاليل للموتى مصنوعة من ورق الصفصاف يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة ١٨ (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق م) والأسرة ٢١ (١٠٩٠ — ٩٤٥ ق م .) ويقال للصفصاف بالمصرية القديمة (تيرْ) (كمال باشا . ل . د . ٢٩٤)

(٩) «الأخشاب المتحجرة» (Silicified wood) هي أخشاب تحولت مادتها الخشبية الأصلية الى مادة حجرية تعرف كيماويًا باسم (Silica) وهذه الأخشاب كثيرة بالقطر المصري ومنتشرة فيه خصوصاً في شرق القاهرة وغربها وفي إقليم الفيوم وشبه جزيرة طورسينا وبالرغم من صلابة الأشجار المتحجرة فان المصريين صنعوا منها تمثالا بالمتحف المصري [1] من عهد الأسرة ١٩ (١٣٥٠ — ١٢٠٠ ق م) وجُعَلاً من نفس المادة [2] كما عثر على بعضه من العهد الحجري وعهد البداري (لوكاس — مواد قدماء المصريين وحرفهم ص ٣٩٥)

وقد عرفت فصائل أشجار هذه الأخشاب وأنواعها وسمى بعضها الأستاذ (أونجر) (Unger) - Nicolia Aegyptiaca واعتبرها من نوع (bombaceae) ويظن الآن ان هذا التحجر انما حصل نتيجة عيون مائية جارية فوارة (geysers) كالمشاهدة الآن بأمريكا الشمالية في الجهة المعروفة باسم (Yellowatone Park) (بديكر) (مصر — ص ١٢٧)

(١٠) «الفحم النباتي» ويقال له بالانكليزية (charcoal) كان مستعملاً بمصر كالمادة الرئيسية للوقود الى عهد قريب لما استبدل بزيت البترول وتوجد الآن بقايا لأماكن مخصوصة لتفحيم الأخشاب بالصحراء الشرقية وطورسينا ، مما يدلنا على سر اختفاء الغابات بتلك الجهات وقد عثر على الفحم النباتي بمقبرة بسقارة من عهد الأسرة الأولى (٣٤٠٠ ق م) وفي حجرين

(١) كتالوج عام المتحف لتماثيل ج ١ ل ٤٠ و ٤١ (٢) بتري — جعلان واسطوانات ص ٩

من حجر التحوين التابعة لهرم الجيزة الثالث . ووردت عبارة على شظية حجرية (دار تحف القاهرة) رقم (...) تشير الى كيفية توزيع هذا الفحم على اعمال الذين يشتغلون بحفائر مقبرة ملكية بوادي الملوك من الاسرة العشرينية (١٢٠٠ — ١٠٩٠ ق م)

الاخشاب الاجنبية المستوردة

(ز) استورد قدماء المصريين اخشاباً اجنبية من آشور (برستد — نصوص مصرية قديمة ٢ — ٤٤٩) ومملكة الحيثيين بآسيا الصغرى (برستد نصوص مصرية قديمة ٢ — ٤٨٥) ولبنان (برستد نصوص قديمة ٣ — ٩٤) ونهرين — العراق (برستد نصوص قديمة ٣ — ٤٣٤) وفينيقيا (برستد — نصوص قديمة ٢ — ٤٩) والصومال (برستد — نصوص قديمة ٢ — ٢٦٥) وعلى الرغم من كثرة اسماء الاخشاب الاجنبية الواردة على الآثار المصرية فاننا لا نعرف منها الاّ القليل على وجه التأكيد . ولا يخفى ان السبيل الوحيد لمعرفة انواع هذه الاخشاب بدون شك هو الفحص الميكروسكوبي . والى القارئ بيان بأهم هذه الاخشاب الاجنبية

(١) خشب الزان Beech ويقال لهذا النبات باللاتينية (Fagus Sylvatica) يوجد هذا النبات في اوروبا وغرب آسيا . وقد عثر على بعض منهُ في مصر في العهد الاخير من التاريخ القديم

(٢) خشب البقس Box ويقال لشجرته باللاتينية (Buxus Sempervirens) وهي تنمو باوربا وغرب آسيا وشمال افريقيا . جلب خشب اليونان (تيوفراستوس ٥ — ٣ — ٧) والرومان (بلينوس ١٦ — ٢٨) الى مصر في اواخر العهد الفرعوني

(٣) (خشب الارز cedar) . لهذا النبات ثلاثة انواع نوع ينمو بلبنان ويقال لهُ باللاتينية (cedrus Libani) او أرز لبنان . ونوع ينمو بمراكش ببلاد الاطلس ويقال لهُ أرز الاطلس أو (cedrus atlantica) ونوع ثالث ينمو بالهند ويقال لهُ ارز هندي أو (cedrus deodara) . والاول هو النوع الذي كان يستوردهُ قدماء المصريين الى القطر منذ العهد السابق لحكم الفراعنة . اما الثاني والثالث فلا . وكان القوم يصنعون من أرز لبنان التوابيت والنواويس والاثاث المنزلي احياناً . وتابوت (توت عنخ امون) الحجري كان موضوعاً داخل ثلاثة صناديق كبيرة موضوع احدها داخل الآخر ومصنوعة من أرز لبنان (كارتر — مقبرة توت عنخ امون جـ ٢ ص ٣١ — ٣٣ و ل ١٢ و ١٣) . ولكل من هذه الصناديق باب ذو مصراعين . والصناديق المذكورة مكسوَّة بطبقة بصلة . ممزوجة بالغراء glue مموهة بالذهب تارةً وبالالوان تارة اخرى ، وبفحص هذه الصناديق اتضح ان بعض ألسنة الاتصال مصنوعة من خشب النبق والبعض الآخر من الارز . اما الالواح فكلها مصنوعة من الارز اللبناني

(٤) ﴿ خشب السرو ﴾ ويقال لشجرته سلابية ([illegible]) لا تزال تنمو بعض حدائق الوجه البحري وهي اوربية او سورية الاصل ويظهر ان التابوت الخشبي الذي عثر عليه بهرم المدرج بسقارة كان مصنوعاً من هذا النوع من الخشب

(٥) ﴿ خشب الشربين Fir ﴾ عثر على ثلاث قطع اثرية من هذا الخشب — وهي آنية من الاسرة الخامسة وتابوت من القرن الثاني قبل الميلاد وبطاقة مومياء من العهد الروماني (لوكاس — مواد وصناعات مصر القديمة ص ٣٧٧) وهي من نوع النبات الصنوبري المعروف باسم [illegible]

(٦) ﴿ خشب العرعر [illegible] ﴾ — على عدة انواع — وشجراته ذكية الرائحة خشبها حمراء اللون ولم تتمكن بالضبط من معرفة نوع العرعر الذي صنعت منه الآثار المصرية القديمة والغالب ان التابوت الذي عثر عليه بسقارة (اسرة ٣) كان مصنوعاً من عرعر فينيقيا ([illegible]) ويكثر العرعر في جبال سورية وآسيا الصغرى . واسمه بالمصرية القديمة (عر) لاحمد كمال باشا

(٧) ﴿ خشب الليمون ﴾ ([illegible]) هذه الشجرة موطنها الاصلي اوربا الوسطى وانتقلت منه دخل القطر المصري وتعرف الاستاذ نيوبري على زهرتين لهذا النبات ([illegible]) ضمن بقايا نباتية من عهد البطالسة (٣٣٢ — ٣٠ ق . م .) بهوارة بالفيوم ومنه يستنتج ان المصريين لا يبعد ان يكونوا قد زرعوا هذا النبات في عهد البطالسة وقد يكون [illegible] واسم الليمون بالمصرية القديمة (مي) او (مي)

(٨) خشب البلوط (Oak) قال المستر لوكاس ([illegible]) الاستاذ النباتي بحدائق (كيو) ببلاد الانكليز ان توابيت توت عنخ آمون الخشبية تحوي خشب البلوط لكن مباحث المستر لوكاس بعد ذلك اثبتت خلاف ذلك والمعروف عن البلوط انه شجر عظيم وقشوره قابضة تحتوي على التنين تقوم مقام الكينا خاصة للحرارة (ككينا الفرنسيين) وتستعمل ايضاً في دبغ الجلود وثماره تعرف بشر الفؤاد تعطى علفاً للحيوانات وخصوصاً الخنازير ودقيقها يصنع منه خبز عرفه الانسان قبل الحنطة والمحمص منها يقوم مقام البن (قهوة البلوط) وتعطى الثمار ايضاً في الامراض الخنازيرية والآفات الكبدية ويقال للبلوط بالمصرية القديمة (خنشو) كمال باشا

---

(١٣) Annales du Service 1933 p 163-5 (١٣) Annales du Service

(١٤) F. Petrie The Ancient Egyptians [illegible] Gizeh & Hawara p. 50

(٩) خشب الصنوبر [illegible] لم يعثر في الآثار المصرية الا على قطعتين من خشب الصنوبر احدهما يرجع تاريخها الى ما قبل حكم الاسر والثانية ضمن تابوت من العائلة الثالثة بسقارة (راجع مرجع رقم ١٢ من هذا المقال) والقطعة الاخيرة من نوع الصنوبر المعروف باسم [illegible] وهو الذي ينبت بكثرة على والقدس والصنوبر نبات شجري حتى عظم الارتفاع يكون في غابات متسعة في المناطق المشابهة الباردة وفي اعالي جبال المناطق الحارة ويستخرج من انواعه الربنتجات والربسميات والقلفونيا والقطران والزيت النباتي . واخشابه تدخل في بناء المراكب الكبيرة

(١٠) خشب (الارز) ويقال له باللاتينية [illegible] ينمو عادة غرب آسيا وجنوب اوربا ويقال ان هذا الخشب كان تستورده مصر من جبال طوروس وذلك في عهد الاسرة السادسة (٢٦٠٠ ق م) والسابعة عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٩٠) والثامنة عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق م)

(١١) (خشب الابنوس [illegible]) يقال لهذا النبات بالمصرية القديمة (ببن) وهو اصل لفظ ابنوس وقد ورد مرسوماً بوضوح على الآثار المصرية . ودلتنا النصوص التاريخية على استيراد هذا الخشب من السودان (يستند نصوص قديمة ٢ — ٤٦٤ و ٢ — ٥٠٢ و ٥١٤) والنوبة (يستند نصوص قديمة ٢ — ٣٧٥) والصومال (يستند نصوص قديمة ٢ — ٢٦٥ و ٢٧٢) ولا يعني هذا ان الابنوس كان ينبت في تلك الجهات انما يعني فقط الى انه كان يصدر الى مصر من تلك الاصقاع وذكر الاستاذ (بركهارت)[١٥] ان قطعاً من هذا الخشب كانت تباع في السلع جهة شندي شمال الخرطوم بقليل وذلك في اوائل القرن الاخير اما ديودوروس (١ — ٣) واسترابون (١٧ — ٢ — ٢) فقالا ان شجر الابنوس كان ينمو في السودان والمعروف ان الابنوس الحالي يأتي من جنوب الهند وجزيرة سيلان من الشجرة المعروفة باسم (Diospyros ebenum) اما الابنوس المصري القديم فكان يستخرج من الشجرة المعروفة باسم (Dalbergia melanoxylon) التي تنمو في افريقيا الاستوائية

***

وصنع المصريون من الابنوس الصناديق والتوابيت والنواويس والآلات الموسيقية والتماثيل والعصي والسباط والمقاعد والاسرة كما هو واضح بأثاث مقبرة توت عنخ آمون وكان المصريون يرلون الابنوس وسن الفيل في اخشاب اثاثهم قصد الحلية

(١٥) J. L. Burckhardt, Travels in Nubia, p. 286

النظريات الفنية للفلاسفة والشعراء

نظرة تولستوي

الى الفن

عن الاستاذ اوسيب لوري (١)

في مقالات اردنا فيها ان نلخص بعض النظريات الفنية في الادب ونقده محاولين ان نقدم لقرائنا صورة واضحة وهو بعض الدرس الذي نقدمه في الادب الامر الذي جعل الفن شعراً محدوداً وصورة ... وقد رأينا ان نلخص نظريات الفلاسفة الذين على آثارهم ... الادبية وكان لهم تأثير ... في تطور الادب ونقله من حال الى حال ... وذلك عن تلخيص مقالات لاشهر الكتاب في هذا الموضوع

« خليل هنداوي »

— ١ —

قد شغلت النظريات الفنية جميع المدارس الادبية والفلسفية وكل مفكر يعرض علينا نظريته في الفن ويحدد لنا معنى الفن. والحقيقة ان المسألة الفنية لا تزال سؤالاً من دون جواب. فلا مذهب ولا مدرسة اقنعت تولستوي بالحل الذي انتهت اليه. ولم يرَ في كل هذه الاجوبة الا مظاهر وغوامض. فماذا يستلهم الفن اذاً؟ يقول تولستوي: ان اعتبار الجمال في الفن لا يعني شيئاً لاننا نجهل ما هو الجمال وكل ما جاءنا من تعاريفه لا يزال غامضاً. وكل هذه التعاريف تعود الى اصلين اثنين (١) القول بأن الجمال شيء كائن بذاته وهو مظهر من مظاهر الواحد المطلق والروح والفكر والارادة والاله (٢) والقول بأن الجمال هو متعة نجنيها نحن، ولا تتخذ اهواءنا الذاتية غرضاً. ولكن تولستوي لا يرى هذا الرأي ولا ذاك. ويقول «ليس بالامكان ربط فكرة الجمال بالله. والقول بأن الجميل هو ما يسرنا قول خاطىء لم يختلف فيه كل امرىء في تفهم الجمال وتعصبه لمظهر أحبه على مظهر، ولكل امرىء آلهة ايضاً فلماذا لا يجعل تولستوي — في حد الامكان — امكان ربط فكرة الجميل بفكرة الله؟ الا يستطيع المثال ان يجعل الفاظ الله والجميل والمثل الاعلى الفاظاً مترادفة؟ الاله هو الغاية العليا، الغاية التي يتطاول اليها كل انسان. الاله عند تولستوي هو الخير وعند الفاضل هو النعيم

---

(١) فلسفة تولستوي : Ossip Laurie

السماوي وعند المادي هو نعيم الدنيا ، فلماذا لا يكون هذا الالّه — عند الفنان — هو النزعة في تحقيق فكرة الجمال كما يتلقفها ؟ يجيب تولستوي : ان الانسانية تفتقر الى ادراك الاصطلاحات الاساسية للجمال وأنها لا تحدده ، لأن اليوم الذي يحدد فيه الفن والجمال هو اليوم الذي لا يبقى فيه فن ولا جمال ! وكيف يراد تحديد ما لا يتناهى او ما يتناهى ؟ على ان هذا الشيء الذي لا نحده في الفن هو اصل جمال الفن والجمال والحياة ذاتها . يعتذر تولستوي عن تحديد الفن ولكن الفن هو فرع من الحياة ، والحياة هل تحدد ؟ انا نقضي الحياة كلها وراء معرفة العلة والغريب انا في اليوم الذي نقف فيه على العلة نرانا لا نجد لذة في نعماه . وكل كائن انساني مهما دهشت ميول عقله ونفسه واوضاعه الاجتماعي يدرك — بحسب طبيعته — الحياة والجمال والفن والسعادة . فاذا شئت ان تحدد حياته وتفرض عليه قاعدة كان مثلك مثل ذلك سالخاً لحريته الذاتية وحركته النفسية . وان تحديد الفن على الفنان معناه ان تسلب منه اثمن ما فيه ، حريته وذاته المبدعة ، حرية خياله وقوة اهوائه وميوله . ومن يريد ان تفرض على الفنان آراءه المجردة ؟ على ان في عالم الفكر المجرد يسمح لنا ان نتحرى عن الفروق الاصلية بين الفن الحديث والفن القديم — في القرون الجاهلية الاولى — حيث كان الفنان ينطوي على نفسه . ان التجرد هو — كما يقول احدهم : جثة لا حياة فيها او هيكل عظمي . وليس باستطاعة امرء ان يكون في وقت واحد — متجرداً وخيالياً ، اذ لا يقدر ان يفكر في الوقت الواحد تفكيراً كلياً وتفكيراً جزئياً . وهذان النوعان من التفكير متضادان . فالمتجردون — كالعلماء — يسمو بهم تفكيرهم دائماً الى الوحدة والشرائع والقوانين والبساطة . اما تفكير الفنانين فهو تفكير مركب يسمو بهم تفكيرهم الى شيء عضوي حي مركب . فبعضهم يرسم فكره بالكلام ، وبعضهم بالاشكال ، وبعضهم بالالحان . وهكذا تمثل لنا طرائق التفكير الاول كالهيكل العظمي وطرائق التفكير الثاني نبض الحياة . فكيف نريد ان نفرض على الفنانين ان يعملوا بالافكار المجردة ؟ وكيف نريد قبل ان ينبعث الناحت ويشدو الشادي وينظم الشاعر ان نحدد لهم الفن الذي نرغمهم التقيد به ؟ لا نطلب الى الفنانين ان يفكروا تفكيرنا . ولنتحمل انفسنا الكلفة الى تفهم ما يحدونا به ولندخل في نواميسهم ولوحاتهم لنفهمها . الفنان ليس يفتقر الى افكارنا المجردة . واذا أوتي الفنان روحاً وبراعة فائقة يؤلف فكرة ولوحة ، تقام خطوطها مستقلاً غير مقيد . اذ ليست الخطوط المنظمة مظهر جمال الاثر وانما مظهر حياته وبراعة تلك الشرارة التي يخرجها صاحب الاثر

ان عمل تولستوي لا يؤمن بتعريف واحد من التعاريف المتعددة التي وُصف بها الفن لأن فن الجمال — باعتقاده — لم يصل بعد الى مرحلة حاسمة في تعريف قوانين الفن والجمال على ان تولستوي لا يريد ان ينصر المذهب القائل بأن الفن هو مظهر من مظاهر الجمال او

السرور وانما يجد ان الفن هو ضرورة من ضروريات الحياة وهو في الوقت نفسه وسيلة اشتراكية بين الناس . وهكذا نفس الفن عند تولستوي لوناً اجتماعياً وسما بهذا التعريف الى قمة عالية من الحياة السامية . وجدير بكل تعاليمه أن تسمو به الى هذا التعريف

— ٢ —

يرى تولستوي ان علماء ما وراء الطبيعة قد خدعوا انفسهم حين نظروا في الفن فكرة سرية رمزية للجمال والالوهية على ان الفن ليس هو كما زعم علماء الجمال والفن — لعبة ينفق فيها الانسان ما فاض عنده من قوته وليس هو تعبير عن الاهواء الانسانية باشارات وعلامات خارجية وليس هو مظهر من المظاهر المعبرة عن اللهو والطرب . الفن ليس لذة وسرور ، وانما الفن هو وسيلة اشتراك واتحاد بين الناس . يجمع بينهم في عاطفة واحدة . وبهذا يصبح امراً ضرورياً لحياة الانسانية ليقودها في طريق السعادة الفن هو لغة الحياة الانسانية التي تمر بواسطة لعاطفة عن صغار الناس وهكذا يقول تولستوي ، يجب على الفن ان يكون مقبولاً عند الكل ولا يكون الفن فنا الا اذا كان مفهوماً . هذا لم يقدر الفن ان يؤدي العواطف ويعبر عنها وينقلها فهو ليس بالفن ! واذا كان هذا الاثر الفني يثير عند هذا وذاك وذلك تأثيراً واحداً ربما بينهم هذا الاثر الفني هو فن وقد يكون هناك اثر في آخر جيل شعري قوي لا اراه جميلاً اذا كان لا يولد فينا هذا التأثير وهذا الفرح في احساسنا بشيء لاننا اشتركنا اشتراكاً فنياً مع المؤلف ومع الاشخاص الذين نقرأ عنهم ونسمع لهم وننظر اليهم في هذا الاثر الفني

« ان الفن العظيم الجميل العالي قد تستهويه فئات من الخاصين ، ولكنه لا يكون مهماً عند اكثر الناس البسطاء وان تقول ان هذا الاثر الفني جميل ثم تزعم انه لا يحتمله كل الناس يشبه قولنا عن طعام انه فاخر ولكن الناس لا يقدرون على اكله » وقد يكون هذا الطعام فاخراً ولكنه لا يقع موقع الرغبة عند كل الناس وقد يحكى انه لا يلائم اذواق كل الناس . وهكذا الحال في الآثار الفنية فاذا لم يمس الاثر الفني بعضهم او ظل عند البعض مبهماً فهذا لا يعني ان هذا الاثر فاسد ، وانه ليس بالفن أجل ! ان واجب الفنان ان يحلل وان يصرعن الاهواء والعواطف التي يحسها ولكنه في الوقت نفسه يجب على هؤلاء الذين تحلل عواطفهم واهواؤهم ان يكون باستطاعتهم ان يحسوا هذه العواطف وان يفهموها . أليس هناك كائنات شاذة لا تقدر — حسياً — على ان تتقبل اي شعور كان ؟ واخيراً نجد ان الناس كلهم لا تتولد عندهم ذات الاحاسيس . فالعواطف والاهواء التي تتولد في نفس عشرة اشخاص ازاء أثر فني او منظر او حادث لا تتشابه وهل الاهواء التي تولدها رواية « آنا كارنين » او « حرب وسلام » هي واحدة عند جميع الناس ؟ وهل جمالها الفني واضح عندهم جميعاً ؟ وقد يكون تولستوي

بطبيعة منطقه الحاد يبخس قيمة كل ما رآه من آثاره الخالدة ولا يرى جديراً منها بالخلود الا ما سكب فيه نفسه واودع رسالته ككتابيه « الله يرى الحقيقة ، وفي بلاد القوقاس » على ان كل رجل يرى ويعقل ويريد ويفهم بحسب ما أُوتي من حواس وتفكير وهنالك الحديث الذي يصح فيه ؟ ان الآثار الفنية توحي الينا لاول وهلة اسرار جمالها وروعتها . وتبدأ هذه الاسرار تحثنا على الرغبة في النظر والمعرفة . وهي تفتقر الى ثقافة عميقة لشعور جمالها . وقد تكون هذه الثقافة فنية ولكن يجب ان تخضع لامتحانات كثيرة « ولكي تؤثر اللوحة الفنية في نفسي تأثيراً فنيًّا وفي غيري تأثيراً خلقيًّا ، يجدر الا تحس بها حواسي وحدها وانما يجدر بعقلي ان يفهمها »

والآن كيف نرى ان الاثر الفني يجب ان يدركه جميع الناس؟ لا نتحدث عن الشعراء والموسيقيين والمزوقين الذين جعلوا دأبهم ان يحيطوا آثارهم بشبه لطافة ويجعلوها شيئاً من قبيل الصعاب مقتبساً ان عدنا من روائع الفن . فمن هؤلاء ليس مجهولاً عند اغلب الناس فحسب . وانما هو مجهول عند اصحابه انفسهم عندما يكون الاثر الفني واضحاً عند صاحبه يبقى على وضوحه واشراقه عند الآخرين

اني احب الآثار الفائقة — آثار كاربير — لأني اعتقد ان صاحبها صادق في تعبيره عن اهوائه ، وانهُ كان يرسم الاشياء كما كان يراها . وانهُ يحلق في نفسي هذه الاهواء والعواطف المنبعثة من صدر الشقاء الانساني . ولكني لا احب هذه الآثار السطحية التي تفرضها المدارس الحديثة . لا يجب على المؤلف ان ينتمي الى مدرسة ما . خيرٌ لهُ ان يبقى امة وحده نائية من ان يعرض على نفسه تأثير فئة تحط كثيراً ولا تخلق شيئاً . لا شيء اسرع من آثار فئة — المعاهد الفنية — فانها لم تأت حتى الآن بشيء جديد . اني على رأي صاحب كتاب « ما هو الفن » القائل بأن الفنان ليس بذلك الذي ينشأ في مدرسة تعمل على خلق « مسخ » الفنان . حيث ينشأ ليسيطر على نفسه قوتان . قوة نفسه وقوة رعاية هؤلاء الذين يسيطرون عليها . الفنان الحقيقي لا ينشأ في المدرسة وانما ينشأ في الحياة . واكبر مثل على ذلك كبار الفنانين فمدارس الفنية تقتل الحياة في هؤلاء الذين يقضون شطراً طويلاً من اعمارهم فيها بعيدين عن الحياة وتكثر من خلق هؤلاء الفنانين المشوهين الذين يفرضون عالم الفن على انفسهم

وهكذا يرد تولستوي علة اضمحلال الفن الى سببين : (١) وجود هذه المدارس و (٢) ميل الغموض الى الابهام في التعبير الفني . ويضم الى جانب هذين السببين سبباً ثالثاً هو ذهاب الايمان في الطبقات العالية . وكما ان الفكرة — في عالم الفكر — لا قيمة لها الا اذا كانت جديدة كذلك في عالم الفن لا قيمة للاثر الفني الا اذا كان يحمل فكرة جديدة . ويرى تولستوي ان الفن — في هذا العصر — قد نضبت منهُ الينابيع التي كانت غذاء الجدة والروعة ، حين اخذ يعتقد اهل العصر ان العواطف ليس مأتاها الايمان الديني وانما مأتاها طرب الفنانين وعطفهم

وعند اليونان يستمد منها الخدمة الأمر من ضميرها المؤمن ؟ وهكذا كان حال اهل عصور الوسطى وهكذا نكون مع اهل هذا العصر اذا عادوا الى استمداد الخدمة من الضمير المؤمن والشعور الديني !

ولكن لماذا يجدر بالفنان ان يعود الى الوحي الديني ؟ فإن حكمنا على الفنان بألا يقتبس الا من الوحي الديني انما هو تقييد له وتحديد لمواهبه ، وتحديد لحقل الفن الواسع الخصب . فالحياة والطبيعة بجدها وموسيقاها وظلالها واحداثها وارواحها ، كلها باستطاعتها ان توحي الى الفنان وتولد فيه تأثيراً مستوياً قوياً بما تخلق من عواطف سامية صادقة يجدر بالمصور ان يصفها والشاعر ان يعلنها والموسيقي ان يجعل منها الحاناً . واما يتبع تولستوي في نظرته الفنية نظرة فيه كرسول مصلح وانما هو يجد « ان الايمان هو قوة الحياة . واذا كان الانسان يجب الا انه يؤمن ببعض الاشياء » ولكنه باستطاعته ان يؤمن باقوال المسيح وان يؤمن بجمال الوجود وجمال النفس الانسانية ... وبالامكان ان يعود عليه ايمانه هذا بالروائع الفنية . الفنان يستطيع ان يؤمن بفنه كما يؤمن المفكر بافكاره والمؤمن بكلمات رسوله . الفن هو شريعة والفنان يهوى شريعته ويقصدها كانها الوجهة ، يغترف منها قواه وعظمته وفكره وسعادته ، لانه يجد شريعة قوية سامية ... وهي وحدها تستطيع ان تستقر في نفسه ينبوعاً للجمال والخير . واني لا ادري سبب زعم القائل بان المسيحية وحدها تقدر على خلق الروائع الجديدة ... وان الوان العواطف الجديدة لا تتناهى . قد تتألف من الجمال والحنان والشفقة والاخلاق ... وهذه الصفة تقدم لكل فنان صادق مجموعة غير متناهية — من الالوان والاشكال والافكار ... كلها جديد ! ولا استطيع ان افهم هذا آثار بيتهوفن ولست وشوبان وشومان وفاجنر لا تبلغ تأثيرها وروعتها ما بلغته « رواية البؤساء لهيجو » او « قصص دكنز » وان افلاطون ودانتي وبيتهوفن وغوتي قد عبر كل منهم عن فكرته وعاطفته وهواه . وكل منهم تحرى عن الحقيقة بحسب ما وعى منها أليس ما نطلب الى المؤلف — قبل كل شيء — ان يكون صادقاً ؟ وتولستوي نفسه يقول بهذا الرأي ، والناس في اعتقاده يتأثرون بالعاطفة التي يحسون انها صادقة في انشائها . والناس تسري اليهم العواطف وتهزهم الاهواء بحكم العدوى الفنية . وهكذا اذا كان الفنان صادقاً فانه يمنحنا — مهما كان مذهبه الفني والى اية وشيجة فنية انتسب — تعبيراً عميقاً خلقياً . وهذا كل ما يطلبه تولستوي ! « فالفن عنده يجب ان يكون لغة الاخلاق في الحياة الانسانية » يجب على الفن ان يطهر كل ما يلمس ... وهذه النظرة تباين كل المباينة نظرة النقاد الافرنسي « روشير » في كتابه « الفن والاخلاق » هذا يرى أن في كل اثر فني جزءاً يخالف الاخلاق . ونقول بالعفة والحشمة في الآثار المتحوية أمانية . الفن لا يؤثر فينا الا بواسطة الحواس . في هذه الحالة شيء من تولستوي — تولستوي غير الكامل غير الواضح — يجد تولستوي ان الطبيعة حية وأدبية

ويرى السعادة ان نحيا مع الطبيعة وان نشهدها وان نحبها وان نفهمها » أما « روتيير » فيعتقد بأن كل مذهب اخلاقي هو فن للطبيعة وعلينا لاننا لا نؤول بنا الى نقص الاخلاق ويشابهه على هذا الرأي استاذ الماني بقوله « ان نعبر عن الاخلاق في الفن هو منبوذ نقص ! »

أليس الاحتجاج على هذه الآراء لا يجدي ? فالعلاقة بين الفن والاخلاق هو فوق هذا النزاع . لكن كالذين الذي يعلمنا ان نحيا حياة طيبة لان الشعر والموسيقى والتصاوير تترك فينا تأثيرات صافية عميقة ظاهرة قد تمس الكثير منا من روحه ونشاطه او « كأنما الحياة فيه » وتجعلنا خيراً مما كنا وأكثر إيماناً بقيمة الاخلاق !

— ٣ —

بين تولستوي والنقد خصومة عنيفة يقول : انهم يزعمون ان غاية النقد تحليل الآثار الفنية فأي شيء يحلله النقد ? ان الفنان قد بلغ بالناس بواسطة أثره حسبه . فاذا نقلها على صورتها فاذا يبقى بعده محتاجاً الى البيان ? ان أثر الفنان لا يمكن ان يحلل . هذا استطاع الفنان ان يعبر عنها احسن بالكلام فالكلام حسبه واذا عبر عنه بوسيلة اخرى فهذا يعني انه لا يستطيع ان يؤدي الينا رسالة الا بواسطة هذا الطريق . يقول تولستوي « حينما يحاول انسان ان يترجم الآثار الفنية بالكلام فمحاولته هذه تدل على انه غير قادر على الاحساس بالتأثير الفني » ولكن هذا يبدو عندي غريباً . فما هي غاية هذا الذي يدعى بالنقد ? أرى — مع تولستوي — ألا غاية له اذا كان لا يخلق بنفسه أثراً فنياً او شعرياً . إن الناقد يتلو ويرى ويسمع ويجهد بفهم . اما المهم فهو تفكيره بنفسه فيما فكر به واحد منا على ذات القريحة الاولى . المهم هو الاحساس برعشة الابداع التي تمشي في عروقنا . والناقد لا تثبت قيمته الا حين يظهر في مظهر الفنان ولا يمكن ان يكون قاضياً منصفاً في احكامه الا بشرط ان يكون جزءاً او شطراً من الفنان .

يظنون ان عمل الناقد اوسع حدوداً واكثر امتداداً من عمل الفنان . وهذا ظن حق لأن عقل الناقد أخف حدة وأقل هوى . فما هو دور الناقد اذاً ? ان تولستوي لا يذكر هنا الدور لانه لا يجحد النقد كله . ولانه يعتقد ان الفن اذا كان مهدى الى الكل فالنقد لن يكون . واغا يقولون ان واجب الناقد ان يكشف عن بعض النواحي التي لم يوضحها الفنان والشاعر . وواجبه ان يفتح ما بقي مستغلقاً على الفكر وان يفسر ما كان مطوياً . ولكن الناقد يفسر من نفسه اكثر مما يفسر من نفس الفنان ويفسر من نفس الفنان ما كان اكثر ملاءمة لطبعه وموافقة لمزاجه . والآن هل الفن والنقد متممان ?

تولستوي لا يسمع هذا السؤال . وهو في نظري سؤال له قيمته . أنهم يجحدون وجود الحاكمة عند الفنان . واذا أردت أن تفصل بين عاطفتين مثلاً وجب عليك أن تجرد نفسك منهما

ونعني كلتيهما وتناقشهما في هذا عبر عالم خفي، يبدو أن الفنان يدخل نفسه وقلبه وعقله في كل عاطفة من عواطفه. وهذه القدرة على التعبير هي التي ولدت النقد. ولكن درساً عميقاً لهذه المسألة قد يبدل هذا الرأي. فالفنانون — وهم أهل تحليل — يشعرون بالعلل والأسباب أكثر من غيرهم على تحليلها. هم يدرون ما يشعرون به وما يريدون وما يعملون، وأن نقدهم لآثارهم أنفسهم ليس بأضعف من نقد الناقدين لهم. فالفنان حين يعمل ويبدع لا يعمل على خيال ما يعمل، حتى إذا ما أتم عمله أخذ ينقده ويقارن بين ما عمل وما أراد أن يعمل؛ لأن كل فنان له مثل أعلى يريد أن يبلغه ويحققه. ومن هنا تنشأ مقارنة بين ما عمله الفنان وما كان يحاول أن يبلغه وما كان يشعر نفسه أنه قادر على أن يبلغه. ولذلك كان الناقد البارع للآثار الفنية هو المبدع نفسه، هو الفنان.

إني أستطيع أن أقول إن في كل فنان ناقداً وإن في كل ناقد فناناً. ونقطة التفريق بينهما هي — كما يقول الأستاذ ريبو — في المثل الأعلى. كلاهما يفكر في أثر حي ظاهر مركب، وكلاهما دينامي لأن له تحليله والتعبير عنه. الفنان بإبداعه والناقد بمصاغه ومبرراته. كلاهما يحقق في الخيال، وعمل الخيال في الفن عمل واسع يعود إليه سر البراعة. الخيال هو ينوع أهواءه ويوزعه، والخيال هو الذي يبدي براعته. وبحسب هذا الخيال يعمل خطوطه وألوانه بخلقة أو مبرة ويشوه الحياة مطربة ومعرفة. والخيال نفسه هو مرتع فسيح شامل للروح الإنسانية كلها

— ٤ —

ولنعد الآن إلى تولستوي عاملين على تلخيص آرائه في الفن. إن تولستوي لا يجحد الفن ولكنه يزعم أن الفن في هذا العصر — أصبح كبيراً، ويرى أن فن اليوم — سائر على طريق غير قويم، ويرى أن الفن يجب أن يعطى للجميع وأن يعود وسيلة أدبية للحياة الإنسانية بأن يساعد على نشر الفضيلة في الناس والاتحاد والسعادة. ويجعل هذه الرسالة غايته؛ لأن سعادة الناس إنما تنشأ في وئامهم واتحادهم»

إني أقبل هذه الرسالة ولكني أذود عن الحرية الذاتية الفنية أو الاجتماعية. أذود عن «الذاتية» لأني أرى أن هذه الحرية ليست غاية ولكنها وسيلة ضرورية، فإن حرية الفرد هي أول مظهر من مظاهر المدنية. وإن حرية الفنان صيانة — ذاتية — إن هي إلا واسطة لإنتاج الآثار القوية الرائعة التي تجمع الناس. وغاية الفنان السامية هي كفاية كل فرد في هذا المجتمع، العمل على اتحاد الناس. فلا يجب والحالة هذه أن نخشاه في هذه الناحية لأن الفنان وهو منتج لنفسه لا يعمل لها وإنما يعمل للكل. وكلما كان عمله شخصياً صادقاً كان أثره أبدع وأكثر تأثيراً وأعلق بالنفوس. وكلما كان أكثر إحاطة بالأفكار وتوليداً لها كان أكثر شمولاً وارتباطاً بالإنسانية. ولكي نعتقد بالفنانين والشعراء والمفكرين بأنهم رسل مطلوب يجب أن يؤمنوا بقدس رسالتهم، ويجب أن يكون كل منهم عضواً نبيلاً فاضلاً. وهكذا نقول مع تولستوي «إن الفن هو سنة أخلاقية فاضلة للحياة الإنسانية غايته الاتحاد والمودة بين الناس»

بطالة الشباب المثقف

في الخارج — أسبابها وعلاجها

للدكتور احمد سويلم العمري
عضو المكتب الفني لمعالي وزير المالية

الاسباب

تعدت البطالة الصناعة وامتدت الى الشباب المثقف اذ ان مقدار كسبه يعلو وينخفض تبعاً لارتفاع او هبوط بارومتر الانتاج عامة في ذلك الانتاج الصناعي . وتئن حالاً غالبية الامم المتمدينة لاسيما كبريات الامم الصناعية من ازمة الشبان المتعلمين المتعطلين وتحاول عبثاً توجيه قوى هؤلاء الشبان المتدفقة على غير هدى الى نواحيها المنتجة وقد اصبحت كالشلالات المنحدرة بين الادغال والاحراج لا يمكن تسخيرها وتوليد الكهرباء من تدفقها

تخرج الجامعات في مختلف انحاء العالم سنوياً عشرات الآلاف من حملة اجازات اسمى المختصين في مختلف فروع المعارف والفنون من اطباء ومحامين ومهندسين وكيميائيين وصيادلة وزراعيين وفنانين ومدرسين وصحافيين وادباء ومن احترفوا اعمال البنوك والشركات وبرعوا في الحساب والعد ومن درسوا الفنون التطبيقية واساليب الصناعة والتعدين وغيرهم وسرعان ما ينشدون من هذه الاجازات المال ويريدون ان يفتحوا بها خزائنه اعتداداً بانها مفتاح سحري لا مفتاح خزانة خاملة مكنوز السر في حاجة الى اكتشاف دخائلها والتريث عن الاصابة من هذا السبيل ، وهم معذورون في ذلك لان حياتنا الحديثة صعبة المراس لا نمتد الى زخرفها الا عن طريق المال

اصبحنا اليوم عند مفترق الطرق حيث استوفى العالم المتمدين قسطاً كبيراً من التشييد الحديث والآلات الضخمة المصانع والقاطرات والطائرات والبواخر واسلاك البرق ومنشآت السواحل والموانى وكل ما كان يفتقر اليه قبل الانقلاب الصناعي وتسخير البخار والكهرباء وغيرها من القوى الطبيعية . بدأ التطور الصناعي الحديث خطواته الاولى منذ اكثر من قرن واجتاز الصعاب الشداد وهو الآن يواصل هذه الخطوات في سبيل غايتها اقل فلا تغيير لمعالم المدنية ولا غرس وانشاء من جديد اذ لا نزال في عهد البخار والكهرباء ندخل على معدات الانتاج التجديد والتعديل دون ان ندك صروحها دكاً ونعيد تشييد صروح البناء . لذلك تعذر اسناد الاعمال الى الآلاف

المثقفين المختصين الذين يتخرجون كل سنة من الجامعات . وزاد الحالة سوءاً ما أصاب الميدان الصناعي بعد الحرب التي ابدت سيطرة الآلات ابدع تأييد، مما جعل الغالب للمصنوع موقفاً فيها قضى على كثير من الفنون وترك أربابها على الطوى كالممثلين والموسيقيين والفنيين والحفارين والرسامين للاستغناء عنهم باستعمال الراديو والفونوغراف والبيانو الكهربائي والسينما والفوتوغرافيا والمطابع وغيرها

كذلك لفحت الأزمة الاقتصادية العالم بنيرانها الحامية واودت بكثير من الصناعات وشلت حركة التجارة الدولية فاوصدت كثير من المصانع والمتاجر ابوابها واستغنت عن عمالها كما استغنت عن كثير من احصائييها المثقفين . ولم يدرك العمال من جهتهم وقد تذوقوا مرارة حياتهم الشاقة وما يحوطها من متاعب البطالة خطورة الموقف فوجهوا ابناءهم الى المدرسة وزجوا بهم نحو الدراسة الفنية والتخصص بل ونحو الدراسة العالية والجامعات وقد ساعدهم على ذلك انتشار المدارس واستمرار رقي التعليم وانه اصبح باعتدال نفقاته في متناول مختلف الطبقات . فتكبد العمال اشد التضحيات في سبيل تعليم ابنائهم فيما زادت عقبات المهن الحرة والاعمال الحديثة على المثقفين

وجاء نقص ايرادات الحكومات الناشئ عن الأزمة الاقتصادية وزيادة ديونها العامة وانفاقها على التسليح صعباً عن اتاحة عمل وتوظيف الشبان المثقفين الجدد بل ان هناك حكومات اضطرت الى الاستغناء عن كثير من الموظفين والغاء الوظائف الشاغرة

ثم ان نقص ما تدره الثروات على اصحابها بسبب ثقل الضرائب والديون الزراعية والصناعية وانحطاط الاسعار اجبر الافراد على الاقلال من استهلاكهم فظهرت مضاعفات الداء وتزايد عدد العمال المتعطلين وتبع ذلك زيادة الشبان المثقفين المتعطلين كما نزل الى ميدان العمل ثانية الذين اعتزلوا عن ميدانه من الرجال المثقفين بعد ان حصلوا بكدهم من المال وذلك لضياع اموالهم المدخرة بفعل الأزمة فازدحم الميدان ازدحاماً لا مثيل له من قبل

كذلك لوحظ اشتداد نشاط المدارس والجامعات واخراجها سنوياً عدداً من الشبان المثقفين يزيدون عن حاجة البلدان المتمدينة زيادة اكبر كثيراً من نسبة زيادة عدد السكان. تغير العالم بعد الحرب فأصبحت المدرسة تنتج كالمصنع والطالب الذي اتم دراسته يريد بدوره ايضاً ان ينتج كالمصنع . حياة ميكانيكية مضنية وجهود آلية لا تتفق والعقل والمشاعر والوجدان وقد نقد تلك الحالة احد كبار وزراء فرنسا السابقين البارزين في ميدان الاقتصاد هناك اذ قال هذا الباحث المحقق وهو المسيو كايو : صارت المدرسة بعد الحرب كالمصنع مسرحاً لزيادة الانتاج زيادة على حساب كبير من الخطورة لانها لا تنصب على الآلات والصناعة بل تنصب على الجنس البشري واصبح لا يرجع شيئاً في اختيار طلبة المدارس الثانوية والعالية الى كفاءتهم واستعدادهم فاكتظ كل فصل بعدد كبير منهم يفوق طاقة المدرس وقد يصل الى نحو الخمسين او قد يصل الى

السن او السنين . ونضيف الى ذلك السهولة التافهة التي رأيتها في اختيار الطلبة وفي حصولهم على الاجازات العلمية والشهادات . ثم قال ايضاً يجب وضع حد لزيادة انتاج المدرسة في احصائها بث المتذمرون الذين يميلون الى العنف والثورة فمنهم اداة لهذه ذوي الآراء الاشتراكية المتطرفة والبعض الآخر محدودون من اصل وضيع يتعذر عليهم فهم حقائق الحياة فمن ثم يثورون في وجه العالم لأتفه الاسباب . ولا ترجع اصول الداء الى سوء نظام التعليم فحسب بل ايضاً الى عقلية الشبان وشدة طموحهم الاشعي . ويجب العمل على استئصال ما يأخذ عن الشبان عقولهم من ان العلم والثقافة يمنحان حتماً الثروة والنفوذ

ولا ادل على تزايد عدد الطلبة في مختلف الامم المتمدنة مما ادى الى تعقد مشكلة بطالة الشبان المثقف من الاحصاءات والبيانات التي وردت في تقرير لجنة مكافحة بطالة الشبان المثقفين المتعطلين التابعة لمكتب العمل الدولي بجنيف وهذه اهم الاحصاءات والبيانات —

١ — احصاءات عن زيادة عدد طلبة المدارس العالية والجامعات

الدولة	سنة ١٩١٣	سنة ١٩٣٢	الدولة	سنة ١٩١٣	سنة ١٩٣٢
بلغاريا	١٨٢٢	٨٧٠٩	الدانيمارك	٤٨ ٨	٨٥٧٥
اليونان	٣٣٤٥	٨٤ ٩	فرنسا	٤١٠٤٤	٧٣٠٨٨
هولاندا	٥٥٠٠	١٢٧٢٥	السويد	٦٣٦٣	١١٣٠٢
النروج	٢١٦٩	٤٨٣٠	ايطاليا	٢٨٠٢٦	٤٧٧٢٣
المجر	٤٥٧٩	٩٤٨٣	المانيا	٧٧١٤٣	١٢٩٦٠٦
اسبانيا	١٩٨٥٨	٣٥٩٩٢	الهند	٣٠٠٠٠	٨١٠٠٠

٢ — احصاءات عن عدد الاعمال الشاغرة وعدد المتخرجين الجدد : —

الدولة	المتخرجون الجدد ١٩١٣	الاعمال الشاغرة ١٩٣٢	الدولة	المتخرجون الجدد ١٩١٣	الاعمال الشاغرة ١٩٣٢
	مهنة الطب			مهنة طب الاسنان	
المانيا	١٧٠٠	١١٠٠	المانيا	٧٠٠	٤٠٠
				مهنة الصيدلة	
النمسا	٣٥٠	١٥٠	الارجنتين	١٥٠	١٠٠
				مهنة التمريض	
فرنسا	١٠٠٠	٥٠٠	الولايات المتحدة	٢٥٠٠٠	٦ ٠
سويسرا	١٥٠	٨٠	اليونان	٤٥	الحاجات غير مبينة عدداً
يوغوسلافيا	٣٥٠	٢٠٠	النمسا	٣٢٨	٣٠٠

٣ — بيانات عن نسبة المتعلمين المتعطلين المختصين بالصحافة

هولندا ١٥ ٪ المانيا ١٠ ٪ تشيكوسلوفاكيا ٥ ٪

العلاج

لجأت الحكومات التي تئن من بطالة الشباب المثقف الى نوعين من العلاج المباشر تكافح بهما هذه البطالة مكافحة وقتية اكثر منها دائمة حتى تتحسن الحالة الاقتصادية ويدب دبيب الانتعاش في العالم فتختفي هذه الازمة شيئاً فشيئاً وهذان العلاجان هما علاج يتناول اقامة السياج المنيع للحيلولة دون ازدياد عدد الشبان المتعلمين المتعطلين في المستقبل ثم علاج يشتمل على السعي بكافة الوسائل لايجاد الاعمال لهؤلاء الشبان مع تنظيم هذا السعي، وسنشرح كلاً منهما فيما يأتي

﴿ العلاج الاول ﴾ يرمي هذا العلاج الى انقاص عدد الذين ينتظمون في سلك المهن الحرة والاعمال التي تتطلب العقل والتفكير اكثر منها الذراعين والقوى البدنية كما هي الحال في الصناعة وذلك : —

١ — بتضييق النطاق على منح الدبلومات والتشدد في الامتحانات والاقلال من الملاحق وحرمان الذين يرسبون عدداً معيناً من المرات من مواصلة الدراسة ومد اجل التمرين العلمي قبل إعطاء التصريح باحتراف المهنة وقد اتبعت فرنسا ذلك بتشديدها في امتحانات الطب وادخالها النظام التحريري الاجباري في السنتين الاولى والثانية من جامعات الطب منذ سنة ١٩٣٣. واتبعت ذلك ايضاً الولايات المتحدة وانكلترا واستراليا مع زيادة اجل التمرين فيما يختص بالصيدلة ويعيب البعض على هذا النظام انه قاسي ويعملون عليه السعي في اسعاد وطائف الشبان المتعطلين الذين تضطرد زيادتهم

٢ — بتحديد عدد من ينتظم في المدارس العالية والجامعات من الطلبة الجدد حتى لا ينزل الى ميدان الحياة العلمية من الشبان الا بقدر الحاجة اليهم مما يحافظ على كرامتهم وكرامة مهنتهم وقد استصوبت السويد ذلك فيما يختص بدراسة الطب كما ان وزارة المعارف ببريطانيا العظمى تراعي هذه القاعدة فيما يختص بتخريج العدد اللازم من المدرسين لمعاهدها المختلفة كذلك اليونان فقد امدت بمقتضى قانون صادر في ٢٣ مارس سنة ١٩٣٣ تحديد عدد الطلبة الممكن قبولهم في الجامعات سنوياً واتبع ذلك فعلاً فيما يختص بدراسة الطب

٣ — بتنظيم احتراف بعض المهن التي اذا تطلبت نوعاً معيناً من الثقافة فالدلومات عاملاً ما نوزعها . مثال ذلك الصحافة والتمثيل . وذلك بتنظيم هيئات اتحادية تضم ارباب المهنة وتشترط في الانضمام اليها شروطاً معينة . وباعطاء اجازات تخول لحاملها الاحتراف بالمهنة وباشتراط التمرين مدة معينة قبل مزاولة المهنة وكذلك بانشاء مدارس خاصة للتمثيل والصحافة وقد عمدت

بلجيكا الى انشاء مدرسة للصحافة كما انشأت المانيا مدارس للتمثيل . واشترط اتحاد الممثلين في سويسرا على من يريد ان يشتغل بالتمثيل ان يقوم بتمرين عملي منتظم في حلقة هذا الفن . وأنشأت ايطاليا سجلاً خاصًا بالصحافة لا يمكن مزاولة هذه المهنة الا لمن قيد اسمه فيه وتكون فيه محدودة بقدر الحاجة الى هذه المهنة

٤ — حماية الالقاب العلمية والدبلومات وذلك باشتراط الحصول على اجازات علمية خاصة لمباشرة بعض المهن الفنية ومحاربة الذين يحترفون هذه المهن بلا مؤهلات لاسيما الصيدلة والطب والمحاماة ومنع الاشتغال بالاعمال الهندسية واعمال المقاولات الا لحملة الشهادات الذين مرنوا التمرين بما فيه الكفاية . وحماية الالقاب العلمية مكفولة اليوم في كافة البلدان المتمدينة

٥ — توسيع نطاق التعليم الثانوي وجعله في نهاية الثقافة العامة مصبوغاً بصبغة فنية المختصة فيستطيع الشاب بعد اتمامه خوض غمار الحياة العملية في ميدان الصناعة وميدان الزراعة . وقد أيد النظام الفاشستي في ايطاليا هذا النوع من التعليم وعمم المدارس الثانوية الفنية

(العلاج الثاني) السعي لايجاد اعمال للشبان المتعلمين المتعطلين وتنظيم هذا السعي يكون باتحاد صلات قوية بين اصحاب المهن والاعمال الشاغرة يترتب عليها شغل هذه الاعمال اولاً بأول وبأن يتصلوا باصحاب هذه المهن منذ نعومة اظفارهم وهم بالمدرسة بمستقبل المهنة التي سيحترفونها وذلك

١ — بانشاء مكتب دائم يسهر على مصالح الشبان المتعلمين عموماً والمتعطلين منهم بنوع خاص ويتلخص اختصاص هذا المكتب في جمع آراء وابحاث جمعيات المهن الحرة وفحصها وتلقي البيانات عن الاعمال الشاغرة وتوزيع الشبان المتعلمين المتعطلين عليها وارشاد اولياء الامور والتلاميذ بالمدارس الابتدائية والثانوية الى اقل المهن ازدحاماً واوفرها حظاً واوفرها ربحاً وما تتطلبه كل مهنة من الاستعداد والكفاءة والذكاء والجهود البدنية والعقلية واذاعة البيانات والاحصاءات الدورية في سبيل تلك الغاية

ولو ان هذا النظام في اعتبار البعض عصري الا انه عملي وقد انتشر على الرغم من ذلك في كثير من البلدان المتمدنة فهناك مكتب استعلامات خاص انشيء في وزارة المعارف بمصر ويؤدي هذا الغرض منذ سنة ١٩٢٧ . كما ان هذا النظام متبع في صور مختلفة في المانيا وفرنسا والنمسا وسويسرا والولايات المتحدة . فهناك مكاتب خاصة للارشاد الى المهن الحرة تابعة للجامعات الالمانية مثل جامعات برلين وميونيخ وكولونيا وقد نجحت نجاحاً كبيراً في اداء مهمتها . وهناك في فرنسا مكاتب خاصة لنفس الغرض بباريس ومختلف المقاطعات الفرنسية

٢ — باهتمام جمعيات المهن الحرة على اختلاف انواعها بمستقبل الاعضاء الجدد المنتمين لها والسعي لايجاد اعمال لهم . ولا تألو هذه الجمعيات جهداً في المانيا وبريطانيا العظمى وفرنسا

وهولاندة والولايات المتحدة ويوغوسلافيا جهداً في سبيل مساعدة الشبان المثقفين المتعطلين للحصول على عمل يرتزقون منه. وقد قام اتحاد جمعيات الاطباء في فرنسا سنة ١٩٣١ بدعاية واسعة النطاق حيث وزع ما يربي على عشرة آلاف منشور دوري الى المدارس والجامعات والطلبة والمدرسين وأولياء الامور ومختلف جمعيات المهن الحرة ونشرها كذلك في الصحف يبين فيها الصعوبات التي تعترض مهنة الطب ويحذر الطلبة من التهافت عليها. كما اذاع ايضاً اتحاد جمعيات المهندسين الفرنسيين عدة نشرات عن حالة المهنة وطرق مزاولتها والصعوبات التي تعترضه

٣ – بذل الحكومة والجمعيات قصارى جهدها لايجاد اي عمل لشبان المتعلمين المتعطلين ما يأتي:

ا – تحريم شغل عدة مناصب او القيام بعدة اعمال في آن واحد

ب – تحريم اشتغال الموظفين لا سيما اساتذة المدارس باعمال اضافية علاوة على وظائفهم

ح – تخفيض سن الاحالة على المعاش او التقاعد من اجل الشيخوخة

د – تحريم اسناد اعمال ومناصب للمتقاعدين وارباب المعاشات

هـ – انشاء اعمال غير عادية والتوسع في المشروعات العامة لتشغيل العمال والمتعلمين المتعطلين

و – تخفيض ساعات العمل

ز – تحريم اسناد اعمال او وظائف الى الاجانب والى النساء المتزوجات

ح – ايجاد اعمال ووظائف لشبان المتعلمين المتعطلين في الخارج لا سيما في البلدان التي في مستهل نهوضها وفي المستعمرات

ط – انشاء ما يسمى بمعسكرات العمل تضم تحت لوائها الشبان المتعلمين المتعطلين ويوزعهم على الاعمال وفقاً لنظام خاص وهي غالباً ما تزج بهم في الاعمال الزراعية والصناعية

ي – استخدام الشبان المتعلمين في مختلف الحرف التي لم تعدهم دراستهم لادائها وتلقينهم هذه الحرف كلما دعت الحال لاعدادهم من جديد لاعمال تتفق ومقتضيات العصر وحاجة الجيل

ك – تقوية دعائم جمعيات الحرف والمهن حتى تزيد عنايتها بالشبان المتعلمين المتعطلين

ل – انشاء صناديق اعانة لمساعدة الشبان المتعلمين المتعطلين وتشجيع الابحاث العلمية التي يقومون بها بمال وانشاء عيادة تمرين هؤلاء الشبان توطئة لخوضهم ميدان الحياة العملية وجعلها مقابل أجر معين

وعلى الرغم مما حققته هذه الحلول على الشباب المثقف من الترفيه عنهم والتخفيف من متاعبهم فهي حلول وقتية اتخذتها مختلف البلدان التي عضتها الازمة الاقتصادية بنابها لعلاج احدى مشكلات هذه الازمة الفرعية وهي بطالة الشباب المثقف. الا ان مما لا شك فيه ان هذه الحلول ليست وحدها كفيلة بانقشاع سحب ازمة البطالة عموماً وازمة بطالة الشباب المثقف بنوع خاص. بل ان بطالة الشباب المثقف لن تزول الا تدريجياً بسير العالم بخطوات ثابتة نحو الانتعاش الاقتصادي

البيش

يكثر الموجدة نبات سام جداً ، ويطلق في الهند على جذر اربعة انواع من جنس (آقونيتوم) (Aconitum) من الفصيلة الشقيقية (Ranunculaceae) (رانونقولاسية) وهذه من قبيل تسمية الكل ببعض اجزائه

والنيبالي والهيمالاي منه المعروف (خانق النمر) خطر جداً وهو ينمو في الهند وخاصة في النيبال وجبال هيمالايا ويرتفع قدمين أو ثلاثاً واسمه العلمي (Aconitum ferox, [illegible]) (آقونيتوم فيروقس) وبالانجليزية (Nepal [illegible] aconite) وبالفرنسية (aconit féroce) وجذره سم ناقع قتال لاشتماله على الالكلويدات المعروفة (بالاقونيتين) (aconitin) و(النابيلين) (napellin) و(النارقوتين) (narcotin) ، وثانيها اشدها إهلاكاً ، قيل إن الرطل من جذر هذا النبات يشتمل على ٥٠ حبة الى ٩٠ من الاقونيتين وان تعاطي عشر الحبة منه خطر على الانسان ، هذا واجزاء النبات الخضراوية تشتمل على مادة اخرى طيارة لذاعة

وأما العادي منه وهو المعروف (خانق الذئب) أو (قاتل الذئب) أو (قلنسوة الراهب) لشبه زهرته بها فاسمه العلمي (Aconitum Napellus, L.) (آقونيتوم نابيلوس) اشتقاقاً من (napus) ومعناها لفة وذلك لشبه جذوره الدرنية بالفتات الصغيرة

وبالانجليزية (Common aconite, Monk's hood; Wolf's bane)

وبالفرنسية (aconit napel)

ونباته عشبي معمر جميل يرتفع من ٣٠ سنتيمتراً الى ٨٠ ، اوراقه كفية مفصصة ، وبورته

عنقودية طويلة زرقاء، ينمو في الجهات الباردة من أوربا وآسيا الى جبال هيملايا وأمريكة القطبية ولاسيما في المناطق الخصبة وخواصه كالسابق الا انه أخف منه. قال لينيوس إنه قتال للبقر والماعز ولكنه لا يؤذي الخيل اذا أكلت منه يابساً فقط وان طبيباً جاهلاً اشار على مريض بتعاطي بعض اوراقه كدواء فلما رفض تناولها هو فمات. وقيل إن اناساً شمّوا نباته وقت إزهاره فغشي بصرهم يومين أو ثلاثة وان مجرماً هلك بتناول درهم منه وان خمسة اشخاص أكلوا بعض جذوره خطأ فهلكوا جميعاً وان رجلاً تسمم لأكله بعض النبات في صلاطة بدلاً من الكرفس وآخر مات في ساعات قليلة لأكله الاوراق الغضة في صلاطة ايضاً بعد ان ظهرت عليه اعراض الجنون الشديد الى غير ذلك مما يدل على أن النبات من اشد السموم خطراً ولاسيما جذوره

ومع ذلك فالأقونيتين دواء ناجع لبعض الامراض الصعبة، فقد ثبت ان استعماله من الظاهر يشفي من التيتانوس والروماتزم والنقرس والالتهابات العصبية وغيرها. هذا وقد ثبت في تاج العروس عن الليث أنه في غاية الحرارة واليبس والحدة يذهب البرص طلاء وينفع من الجذام مع ادوية أخر وأكثر ما يستعمل منه مع أدوية أخر على ما ذكره وقدّره اسحق الى قدر دانق. وقال صاحب المنهاج وأظن ان هذا المقدار خطر جداً وربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان واشد مضرته بالدماغ ويعرض عنه ورم الشفتين واللسان وجحوظ العينين ودوار وغشي وربما قد يصدع واذا سقي عصيره انساناً قتل من يصيبه في الحال وترياقه فأرة البيش ويقال لها بيش موش وهو حيوان كالفأر يسكن في أصل البيش وهو ترياق منه يقال إنها تتغذى به والسماني تتغذى به ايضاً على ما يقال ولا تموت ومنه المثل أعجب من فأرة البيش تتغذى بالسم وتعيش. وقال الرئيس ابن سينا في القانون ورق خانق النمر اذا خلط بالشحم وخبز بالخبز واطعم للذئاب والكلاب والثعالب والنمر قتلها

خانق الكلب

أو (قاتل الكلب) ويقال له (السُّورِنجان)

نبات ذو ساق بصلية مغبّر أوراقه منبسطة مستطيلة على نوع ما قائمة، وأزهاره أُرجوانية اللون جميلة

اسمه العلمي (Colchicum autumnale L.) (قولشيقوم اوطومنالي) وفصيلته الزنبقية (Liliaceae) (ليلياسية) وبالانجليزية (Autumn crocus, Meadow Saffron) وبالفرنسية (Colchique d'automne ou Mort aux chiens; Tue-chien, Safran des prés)

وهو سام، يكثر في وسط أوربا وجنوبها وغرب آسيا، قد يزرع للزينة مع الانواع الاخرى

ولكن نصلاته وبذوره وأزهاره مهضمة تستعمل في الطب ، والصبغة منه في شكل صبغة النبات المعروف بعين الشمس (تيوليبا) وحصيها تعرضاً ، ويرجع استعماله الى عهد ابقراط ، ومن خواصه ادرار البول واطلاق الطمث والتعرق ، ينفع في الاستسقاء ولا سيما الصدري والريو وفوائده مؤكدة في علاج النقرس والروماتزم وتخفيف الاوجاع

المَرْخ

من شجر النار معروف وهو سريع الوري كثيره ترتفع الشجيرة منه متراً ونصفاً الى ثلاثة أمتار وهي ملسة (يندر ان توجد على عصاها الحديثة اوراق) ثخن ساقها من ٨ سنتيمترات الى ١٢ وفروعها قضبان اسطوانية دقاق مستقيمة تكسوها عادة شمية رقاق ، وورقها خيطية الشكل توجد في اطراف الاغصان تسقط باكراً في الغالب ، وزهارها مصفرة مجتمعة في نورات صيوانية وثمرها جُرُب اسطوانية الواحد منها ذو مصرعين يتراوح طوله بين ٦ ½ — ٨ ½ سنتيمتراً وثخنه نصف سنتيمتر

اسمه العلمي (Leptadenia pyrotechnica, Decne) (ليبتاديني بيروتشنيقا) او (Leptadenia spartium, W.) (ليتاديا اسبارتيوم) أو (Cynanchum pyrotechnicum, Forsk) (كيناشوم بيروتشنيقوم) وفصيلته الشجرية (Asclepiadaceae) (اسقليبيادائية)

يكثر في الصحاري المصرية والسودان وغربية الاستوائية وبلاد العرب الى ضفاف نهر الجومنة والبقاع الحامية في الهند وأهل السودان يتبرونه من حيث الطب لانهم يحصلون على ألياف من قلف شجيراته

قال ابو حنيفة الدينوري افضل ما اقتدحت منه الزناد شجرتا المرخ والعفار ، وفي المثل في كل شجر نار واستمجد المرخُ والعفار فتكون الانثى وهي الزندة السفلى مرخاً ويكون الذكر وهو الزند الاعلى عفاراً وليس في الشجر أورى زناداً ولا أكثر ناراً من المرخ وربما هبت عليه الريح وهو مجتمع ملتف فحك بعضه بعضاً فأورى فحرق الوادي كله الى ان قال عند ذكر الاشجار التي تتخذ منها الزناد وصفة الزندة عود مربع في طول الشبر او اكثر وفي عرض اصبع او اشف وفي صفحتيها فرض وهي نقر والزند الاعلى نحوها غير انه مستدير وطرفه أدق من سائره ، يضع المقتدح الزندة ذات الفراض بالارض ويضع رجليه على طرفيها ثم يضع طرف الزند الاعلى في فرضة من فراض الزندة مهيأة فيها مجرى للنار الى جهة الارض مجراً قد حزه بالسكين في جانب الفرضة ثم يفتل الزند بكفه كما يفتل المثقب وقد القى في الفرضة شيئاً من التراب

يسيراً ينتهي بذلك الخشونة ليكون الزند أعمل في الزندة وقد جعل الى جانب الفرضة عند مفضى الحز رُبيّة (والربية ما يورى به النار واصل ربيه ورُبْية مثل قدمت الراء على الواو فاجتمعت ساكنة مع ياء فقلبت ياء وادغمت في الياء) تأخذ فيها النار، فاذا قدح الزند لم يلبث الدخان ان يظهر ثم تتبعه النار فتنحدر في الحز وتأخذ في الربية

والمرخ والعفار يتقدان وهما خضراوان واليه الاشارة في القرآن الكريم قال تعالى (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً) وفي سورة الواقعة (أفرأيتم النار التي تورون أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشؤون نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين) اي تذكرة بالنار الكبرى ومتعة للمقوين بالصحراء المجتازين

العُشَر كعُمَرَة

أو (الأشخر) لغة يمانية شجر يرتفع من ٣ - ١٢ قدماً تكسو الاجزاء الصغيرة للشجرة أوبار قصيرة بيضاء ناعمة وأوراقها الكبيرة ثخينة متقابلة جالسة تقريباً حادة القمة بيضية الشكل أو اهليلجية وقبية ملساء طول الواحدة منها من ١ — ٢٥ سنتيمتراً وأزهارها مجتمعة في طوائف جانبية أو طرفية في الواحدة منها من ٣ زهرات الى ١٠ ذات رائحة مقبولة، ويكون هذه الزهرات ناقوسية الشكل فصوصها (ثلاثها) قائمة تضرب الى اللون الارجواني من الداخل والى اللون الفضي المصفر من الخارج، وثمراتها شبه كرية كل واحدة ذات مصراعين اسفنجية من داخلها طولها من ٧½ سنتيمترات الى ١٠ وتسميها العرب (بيض العشر)

اسمهُ العلمي (Calotropis procera. (Ait.) R. Br.) (كالوتروبيس بروسيرا) أو (Asclepias gigantea, Jacq.) (اسقلپياس جيجانتيا) أو (Asclepias procera Willd) (اسقلپياس پروسيرا) وفصيلته العشرية (Asclepiadaceae) (اسقلپيادسية) وبالانجليزية (Bell-flowered Calotropis, Mudar Plant, Dead Sea Apple) وبالفرنسية (Mudar; madar)

ينمو في مصر والسودان والحبشة والشام وبلاد العرب وفارس وافغانستان الى بلوخستان، وخشبه ابيض خفيف يصنع منه فحم، كما ينزع قلفه الذي في رخاوة الفلين او الاسفنج حال اخضراره فيصنع من الياقه حبال ببلاد العرب والسودان، ويستعمل وبر ثماره الحريري المكتنف للبذور الشبيه بالقطن المعروف عند العرب (بالحُرّاق) في حشو اللحف والزرابي والوسائد لنعومته فضلاً عن كونه اجود ما يقتدح الناس به هناك لاشعال النار. واهل السودان يستعملون الاوراق في اختمار الذرة لصنع نوع من الجعة عندهم تسمى (المريسة) كما وانهم يتداوون

بأجزاء مشجرة كما في الهند حيث يستعمل مسحوق قشر الجذر الجاف مقوياً ومعرقاً ومقيئاً باجتراع القليل منه أما اذا اجترع الكثير كان مقيئاً والعصير اللبني القتال مادة منثورة مرّة لم يعرف تركيبها تسمى (مُدارين) ([illegible]) من خواصها انها تذوب في الماء البارد فاذا سخن محلولها تجمد

وثمَّ نوع ثان من العشر ينمو في الهند وجزيرة سرنديب (سيلان) وجزائر الهند الشرقية وجنوب الصين اسمهُ العلمي ([illegible]) (كالوتروبيس جيجانتيا) و (Asclepias gigantea Willd.) (اسقلبياس جيجانتيا)

وبالانكليزية (Curled-flowered Calotropis, Gigantic Swallow Wort, Madar, Mudar)

ترتفع شجرته من ٦ أقدام الى ١٠ ويستأصل بقطع من جذورها في الهند ويصنع من لباب قلفها حبال وأعنّة للخيل وخيوط لشباك الصيد وشدّ وتخلط عصارتها بالنبة الذاعة اللاسعة بالملح وتستعمل في نتف شعر من الجلود قبل دبغها. وهذه العصارة اذا تخثرت حُصِّل منها شيء من نوع من المطاط، ويستعمل وبر ثمارها الحريري كالنوع السابق في حشو اللحف والزرابي والوسائد وفي صنع الورق وغير ذلك

وهناك نوع ثالث من العشر يعرف بعشبة القطن اسمه العلمي ([illegible]) (اسقلبياس قورنوتي) أو ([illegible]) (اسقلبياس سيرياقا) أصله من اميركة وينمو في بلاد الشام وأوروبا وسواحل بحر الروم اسمه الانكليزي ([illegible] Swallow-wort) والفرنسي ([illegible]) وأشتقاقه شبيه باشتقاقات النوعين السابقين

والعُشَر من النباتات التي كانت تستمطر بها العرب في الجاهلية اذا احتبس المطر عنهم فقد كانوا يجمعون أبقار الوحش ويعقدون في أذنابها وعراقيبها العُشَر والسَّلَع ويصعدونها في الجبل ويشعلون فيها النار زاعمين ان ذلك يكون سبباً في انزال المطر قال شاعرهم

لا درّ درُّ أناس خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزمات بالعشر
أجاعلٌ أنت بيقوراً مسلّعة ذريعة لك بين الله والمطر

والأزمات جمع أزمة وهي القحط، وبيقور اسم جمع البقرة، ومسلّعة معقود فيها السلع كما سبق، والذريعة الوسيلة، وهذه النار هي التي يطلق عليها نار الاستمطار

دعوة عامة

للعمل المنتج لاجل السلام العام
واخماد الاضطراب العالمي الحالي المدمر

لنقولا الحداد

لم يعانِ العالم في ماضيه عُشر ما يعانيه في هذا الردح من الزمان من الاضطراب والقلق والضنك وضيق العيش حتى انهُ ليكاد يُخيَّل لك ان اهل الارض كثروا جداً الى ان ضاقت بهم ولم يبقَ فيها من الرزق ما يكفيهم. ولكن الباحث الاقتصادي يثبت لك ان خير المعمور من الارض يكفي اضعاف عدد سكانهِ الحاليين اذا ثاب اهله الى رشدهم، واحسنوا استخراجه وتوزيعه على افرادهم

ولا يمكن ان نجد سبباً لهذا الضنك الا سوء النظام السائد في العالم. واهم مظاهر هذا النظام السيّئ اجتماع النقيضين في كل وجه من وجوه الحياة الاجتماعية. فهناك الغنى الفاحش والفقر المدقع واتساع دائرة العلم وانتشاره في طبقة من الناس واستفحال الجهل في طبقة اخرى، وتزعزع الديموقراطية والى جنبهِ سؤدد الدكتاتورية، والاستعدادات الحربية النشيطة، ونشاط السعاة الى السلم، والتساهل الديني من جهة والتعصب القومي من جهة اخرى. وهكذا كيفما تلفت في نواحي الحياة تجد طرفي المتناقضات. ولا يخفى ان هذا التطرف من الجانبين من علل تلك الاضطرابات التي جعلت الحياة البشرية نكداً

وما هو ضنك اقتصادي فقط، بل يقترن بهِ اضطراب سياسيّ هائج ايضاً، زعزع اركان السلم العام حتى كاد يقوّضه الى اساساته. ففي كل يوم نسمع زمجرة الدول كأنها تتحفز لتخرج من عرائنها الى ساحات الوغى. وفي كل يوم نسمع قرقعة المعامل والمصانع الحربية التي تستنفد معظم القوى العاملة للتسليح. وفي كل يوم نرى الامم تحرّق الأرَّم بعضها على بعض كأنّ بينها حزازات ثارات واحقاد عداوات، حتى اذا تلاقى افرادها لا ترى بينهم شيئاً من هذا

اصبح افراد الامم جميعاً وهم في همين: الخوف الدائم من نضوب موارد الرزق لعدم استقرار

الاحوال الاقتصادية السياسية وتحرجها

... القلق الدائم من توقع نشوب الحرب بعداً عاجلاً لتأثيرات كل

تحرَّجت الحالة الاقتصادية والاجتماعية تحرُّجاً هائلاً بحيث لم تعد الحياة معها مرغوباً فيها لاسعاد كل ... مسحت الحياة عن الارض عبثاً ثقيلاً على الصدور وجحيماً لتسامع ومكرهة للآمن — ... شقاء مدلهمَّاً لا يتخلله نور امل مفرح

— نعم! لماذا ... حدث من موجبات هذا الشقاء؟ الارض لا تزال واسعة على ناسها ... الخير الجزيل ... الطبيعة لا تزال سخية مواهبها والعقل البشري اصبح مفتوحاً يقدره على استدرار خيرات الارض والطبيعة والتمتع بها

فلماذا ضيق العيش هذا ؟

ولماذا تحاقدُ الامم وتخاصُمها ؟

ولماذا هذا الاضطراب الهائل وتداعي اسس السلام ؟

وهل يكن من اساس كل هذه، فهل تنعدم الوسائل العملية لتعزيز السلام ولكي يعيش افراد الامم في امن وطمأنينة ولكي يجدوا ابواب الاسترزاق مفتوحة امام نشاطهم

يئس سواد الناس من استقرار الحال وعودة الطمأنينة لانهم خابوا املاً بالنتائج الحسنة التي كانت منتظرة من الحرب العظمى التي حسبوها حرباً لتأييد السلم الابدي وخاتمة للحروب، ولان المشكلات السياسية ازدادت تعقداً بعدها والازمة الاقتصادية تزداد تأزماً كل يوم، ولذلك اصبحوا يعتقدون ان العالم الانساني يتدحرج الى الدمار، وان الامل بالسلام خائب على كل حال، وان الاصلاح الاجتماعي اصبح مستحيلاً لان الفساد سرى في المجتمع الى ادق عروقه

ولكن المفكر لا يستطيع ان يسلم بان العقل البشري الذي اصبح هذا الصروح العجيب واتيح مخترعات القرن العشرين العجيبة يعجز عن معالجة هذا الاضطراب الاجتماعي الحادث مهما تحرج ومهما تعاقبت اسبابه ... في الحقل التسليم بهذا الاعتقاد ومن السخف الاستسلام لهذا الاضطراب

ليست الفوضى سنةً في الكون

لكل عالم نظام، وقانون تنظيم، وقوة منظمة

فاذا ظهر فيه اي اختلال او اضطراب فلا بدَّ ان يكون قد طرأت عليه قوة جديدة فقلقلت نظامه، او ان يكون قد اصطدم بعالم آخر فتقلقل نظامهما حتى استعداداً لاتحادهما بنظام واحد يجمعهما

فاذا بحثنا في مجرى تقلقل نظام العالم الانساني واهتدينا الى اسبابه فلا بدَّ ان نجد الوسائل العمليّة لردّه الى استقراره الطبيعي. وحينئذٍ يسهل علينا ان نهتدي الى العوامل الفعالة لاتخاذ تلك الوسائل

اول ما يلوح لنا كسبب اساسي لهذا الاضطراب هو ان الحجب الجغرافية التي كانت تفصل الامم بعضها عن بعض قد تقوضت بسبب انتشار وسائل المواصلات السريعة . فأصبحت الامم متصلة بعضها ببعض تتعامل بعضها بعضاً اقتصادياً كأنها امة واحدة . ولكن الحجب الاجتماعية — الجنس والاديان والعادات والتقاليد والاخلاق والثقافات — لا تزال قائمة فيها تفصلها بعضها عن بعض فهي متجاذبة بحكم الاتصال الاقتصادي ، ومتصادمة بحكم التباين الاجتماعي في هذه الامور المذكورة . هنا جرثومة ذلك الاضطراب الذي يجب قتلها

لا يخفى عليك ان الحجب الجغرافية التي كانت تفصل الامم بعضها عن بعض كانت السبب في هذه التباينات الاجتماعية التي اشرنا اليها . وكان من مقتضيات هذه الفروق تفاوت الامم بالحضارة والتمدن في درجات متباعدة أعلاها عالٍ جداً وأدناها سافل جداً ، ومعظمها تتدرج بين العالي والسافل

فلما تهدّمت تلك الحُجُب سهل طغيان العالية منها على السافلة واسترقاقها استعباداً واستعماراً واستثماراً . وكان هذا الطغيان تقوية للرأسمالية وتنشيطاً لاستفحالها الى ان استتبّ لها التسلط على ازمة السياسات المسيطرة والادارات المنظمة . ومن هنا نشأ جذع ذلك الاضطراب الذي نحن بصدده وتفرَّعت منهُ فروع القلاقل المختلفة التي لا محل لتفصيلها هنا

وهو معلوم جيداً ان الجنس الانساني ارتقى عقلاً ارتقاء عظيماً واعلى اعتلاء شاهقاً عن ارقى انواع الاحياء الاخرى . ولكن نصيبه من ناحية الادب النفسي لم يرتفع ارتفاعاً مناسباً لذلك الارتقاء العقلي بل ان الادبية الاجتماعية لم ترتفع كثيراً عن البهيمية الحيوانية ، بل هي من وجهة الطمع احط من النفس البهيمية — جشع هائل ونهم فارض كنهم الجراد . ولذلك كان دائماً كل طغيان من قبيل الامم الراقية على الامم المنحطة قديماً وحديثاً افتراساً ونهشاً والتهاماً وتنكيلاً في كل حال . وكان أرقّه استعباداً للامم المتمدنة بعض التمدن

فذلك الادب النفسي المسيطر على ذلك الطغيان الاستعبادي الاستعماري الاستثماري جاء بعد تهدُّم الحجب الفاصلة بين الامم عاملاً مباشراً للاضطراب العالمي العام . ولم يقتصر تأثيره الرديء على غزو الامم القوية للضعيفة بل تمادى الى تطاحن الامم القوية تنازعاً لهذه الامم المغزوّة

هنا ملتقى امواج الاضطراب المتلاطمة التي يتخبط فيها الآن جميع الناس امماً وافراداً على اختلاف طبقاتهم وهم يهلكون فيها غرقاً ويموتون جهاداً ويفنون عياء

ترى مما تقدم ان سلسلة اسباب هذا الاضطراب العالمي الرهيب المهدد الآن بالدمار تشتمل على ثلاثة حلقات رئيسية : —

١ — تهدُّم الحُجُب التي كانت فاصلة بين الامم ، واتصال الامم بعضها ببعض . ولكن

هذه الحلقة النسبية ليست رديئة بل هي حلقة جيدة متى احسن استعمالها — يكون ذلك الاتصال الأممي ركناً للاصلاح اذا تدفقت الحضارات والثقافات من الامم الراقية الى الامم المنحطة الى ان تصبح الامم في مستوى واحد

٢ — طغيان الامم الراقية على الامم المنحطة لاستعبادها واستعمارها ، وشدة هذا الطغيان في القرن الاخير الى الآن وهذا الطغيان يمكن ان يتحول الى خير اذا تولته هيئة اممية عامة مسيطرة سيطرة فعلية ، وحلت محل استعمار البلاد المنحطة لمنفعة الامم الراقية والامم المنحطة على السواء ، وتعميم التمدن في جميع انحاء في مستوى واحد

٣ — تأخر الادب النفسي في الارتقاء عن النضوج لنصل الى ان أصبح بينهما مدى بعيد ولاسيما في الأدب الاجتماعي ، وإيضاحه لايحتاج الى جهاد عظيم لان قانونه معروف جيداً ولا مقتضى للبحث فيه وتقريره . وانما الحاجة فيه الى ترويض النفوس البشرية والنفوس الاجتماعية وتمرينها على سجية الادب النفسي لكي يصبح سجية مطبوعة فيها ، ولا سيما لان في المجتمع البشري الآن فئة من الافراد قد ملكت هذه السجية وهي الطبقة المتمتعة بثقافة عالية فهي تهدي الطبقات الأخرى وتلقحها بها

هذه هي الاسباب الرئيسية للاضطراب العالمي الرهيب الموئس الملقي على صدور الناس جرثومة الخوف وعلى نفوسهم ظلماء اليأس وفي قلوبهم كره الحياة لشدة مرارتها أفحال ان مدرك الكريم يستنبط هذه الاسباب ويهيب التفكير في وسائل ازالتها ويرتد عنها قانطاً خائب الأمل باصلاح حال المجتمع

اجل ان النظرة السطحية في هذه الاسباب لاول وهلة تؤيس بل تخيف لتوقع اشتداد الاضطراب وتفرج الازمات ولكن أيعجز العقل البشري الذي صنع معجزات القرن العشرين عن اختراع الوسائل لمعالجة هذا الاضطراب وتعبيد المجتمع وتوجيهه الى المجرى السهل الذي يؤمن فيه اضطرابه ويحصن فيه اطمئنان افراده ويغري أملهم بالرخاء الذي منتهاه به العلم الحديث بما وفره لهم من اسباب الراحة واستدرار الخير بلا عناء ؟

لا اعتقد ان اختراع هذا النظام اصعب من اختراع الراديو والسينما والطيران بل هو اسهل جداً لان طبيعة الاجتماع مكشوفة واستخراج قوانينه سهلة . والمعروف منها كثير بل تكاد تكون كلها معروفة ولا حاجة بنا الآن الا الى تطبيق هذه القوانين

فلنرَ كيف يمكننا تقويم تلك العوامل التي سببت ذلك الاضطراب الهائل وتوجيهها الى الاصلاح الاجتماعي

أ — ان اتصال الامم المباشر وتفاهمها المتكامل بواسطة وسائل المواصلات الجوية يمهد

الخصب من كل ناحية فيسهل تحقيق الحضارات والتعاون بين الأمم الراقية التي لأمم التي هي دونها في الرقي كما يسهل طغيان القوى الاستعمارية وبذلك يمكن لانتشار هذه الاتصالات في نشر ي فكرة مثل تقرير السلام العام بكل صعوبة واعتراض ... مستقيمة صالحة بمصير ومصالح ... وحاسبات ... بعد تقرير السلام فيمكن نشر هذا ... بسرعة ... سواد الامم به وشيع هو ... الأمان بحيره ... لانتشار اسهل ... فيمكن طبع فكرة واحدة او تعريبه وحدة عامه في الالوف المليون من سكان الكرة الارضية في عام واحد او في بضعة اعوام او في جيل على الاكثر ومتى تشبعت نفوس بفكرة واحدة تقرير السلام العالمي اتجهت الى ... بها من تلقاء انفسهم لانها تجدد الامل ... من هذا ... ارهيب فالناس حيناً في وجل يتوقعون بارقة أمل ... لمعت لوامع الرجاء اتجهت الانظار اليها وأسرعت الخطى نحوها ... الناس من تلقاء انفسهم يوجهون مساعيهم في خدمة البرنامج الذي يعمهم بالسلام ويدعو الرزق عليهم والرفاه لهم

٢ — بينما تكون قوى الجشع والطمع طاغية ومدمرة تكون عوامل توحيد التفكير وتقرير الاتجاه الى ناحية برامج الاصلاح الاجتماعي متدفقة ايضاً حتى اذا انطبعت نفوس سواد الامم بهذا الطابع تيسر لتنظيم الجديد الذي يصد دفق الجشع ويقر النظام على قاعدة راسخة مطمئنة

فالمهمة الفعالة في هذا العمل الاجتماعي هي اختراع الوسائل والوسيلة الناجحة لبث التفكير السلمي الجديد لتوحده في جميع افراد الامم ولتقرير برامج التعمير ... على قاعدة راسخة

فما هي هذه الوسيلة ؟ ومن يتصدى للقيام بها اولاً ؟

٣ — نشرنا في الخلاصة الثالثة من خلاصات ... الى ان طبقة المثقفين ثقافة عالية تملك من سعة الادب النفسي ... ... وهذه الطبقة منتشرة في جميع الامم حتى انك لتجد منها افراداً في ... الامم ... وكان هؤلاء الافراد على ... اقوى تأثيراً في قومهم من غيرهم من ... زملائهم ... المثقفين هذه تكاد تكون مطبوعة طابعاً واحداً في المعرفة والتفكير ... انتشر العلم الحديث من مركز واحد الى جميع انحاء العالم فمن اسهل الامور جمع افرادها مهما تباعدت ديارهم وتباينت قومياتهم. ومن السهل ايضاً تحالفهم حول مركز تعريبة وحدة جديدة وفكرة واحدة ... ولهم من الادب النفسي حافز قوي كاف ليدفعهم لترويج فكرة وشيوعها بين الجماهير من قومهم ... وبيئة لانكار النظام السلمي الجديد . ومتى هم امور يكتسب الفكرة ... وترويجها بين الجمهور ... ورسوخاً في اذهانهم ايذاناً

دنو الرخاء واستقرار السلام العالمي وبسط الرحمة على جميع طبقات الامم اصبح منوطاً بفئة المثقفين من كل امة ... فاذا قام جماعة منهم في اي بلد — في مصر مثلاً — وكونوا هيئة مسددة

وصاغوا صيغة دعوة عامة للسلام وكانوا منشئيها ومروجيها معربين عن مقاصدهم للتآخي في الامم الاخرى ، ودعوهم للاشتراك معهم [illegible] وحينئذٍ يمهد السبيل لعقد مؤتمر عام من نخبتهم من جميع الامم [illegible] لوضع برنامج على قاعدة عملية غير صعبة التطبيق

(وهنا تتجلى فئة من كبار المتعلمين بتبنيه هذه الدعوة الشريفة بقطع النظر عن مكانة الداعي الوضيعة)

حبذا ان ينفصل بعض الاخوان الادباء للاشتراك مع هذا العاجز في تلبية كنز مثقفينا تلبية الدعوة لان عدد الاخوان يكون اوسع في آدابهم واقوى [illegible]

واخال القارئ يقول ان هذه الدعوة عقيمة لان المشروع حلم وطريقة مستحيلة التحقيق او تكاد تكون مستحيلة فامامها عقبات لا حد لها كتنافر الامم وتباينها في الاخلاق والعقائد والتقاليد والمشارب بحيث تتعذر وحدة فكرة واحدة وطبع عقيدة واحدة في افرادها وامامها مقاومات لا تغلب كما كانت [illegible] ودسائس [illegible] ولا يمكن الايمان بامكان تحقيقها ما لم يشرح البرنامج المبتغى لها . فما هو برنامجها

فاقول ان كل حقيقة كانت اولاً نظرية ثم تحققت فالاشتراكية كانت نظرية ثم ارادها [illegible] السير اوين [illegible] والطيران كان نظرية اهل [illegible] لكوت [illegible] والاخوان [illegible] والجمهورية كانت نظرية افلاطون حققها الاميركان ثم الفرنسيس وهذه النظرية يمكن تحقيقها عن يد [illegible] مصر وما الا ؟

واما العقبات والمقاومات فيمكن تذليلها [illegible] وسأعود له في مقال آخر ومع ان وضع البرنامج من اختصاص مؤتمر عام من المتعلمين سيأخذون وضع [illegible] برنامج عام عسى ان نصحح فيه امكان تحقيق هذه النظرية فتقدم على الدعوة لها فئة جديرة بها

حاشية [illegible] مثل هذه الدعوة لان [illegible] اميركة تدعى [illegible] مشروعات ترسلها الى من تتصل بعنوانهم من الطبقة الوسطى من جميع الامم . ولكنها لا تنجح هذه المهمة بتة خاصة بل هي تتولاها وتدعو اليها دعوة عامة ولا ريب انها عمل عملاً جيداً وتمهد السبيل لتآنس الامم الى تقرير السلام ولكن بعد التفكير في المشروع رأيت ان الدعوة العامة من فرد واحد لجميع افراد الامم على الاطلاق صعبة النجاح او عقيمة ولذلك ارتأيت ان تقوم بهذه الدعوة فئة المتعلمين وان يضع برنامجها مؤتمر منهم وان يتولوا هم اذاعتها كل في بلاده

امل ان يشترك كل محب للسلام من المفكرين للبحث في هذا الموضوع النفيس ولبث الآراء في هذا المشروع الجليل

الاشتراكية الاوربية

نشوء الحركة وتحولها في بلدان اوربا

على ذكر فوز الاشتراكيين في فرنسا

يرتد تاريخ الاشتراكية الاوربية من حيث هي حركة متصلة لا مجموعة آراء معزولة في بطون الكتب والرسائل الى منتصف القرن الماضي اي الى سنة ١٨٤٨ . اجل قد سبق ذلك ظهور آراء بطائفة من كبار مفكري الاشتراكيين مثل سان سيمون وفورييه في فرنسا وروبرت أوين في انكلترا وكان لآراء الاشتراكية شأن في تصميم بعض الحركات الاجتماعية الاقتصادية كحركة نقابات العمال المنسوبة الى أوين في انكلترا ولكن في تلك السنة أي في سنة ١٨٤٨ عندما أذاع كارل ماركس « البيان الشيوعي » خرجت الدعوة الاشتراكية الى العالم في منهجة محدودة المعالم وبرنامج مفصل للعمل .

وكانت الثورات التي قامت في أوربا سنة ١٨٤٨ والسنوات التي تلتها تحتوي على عنصر اشتراكي . ففي المانيا وفرنسا حاول الاشتراكيون ان ينزعوا مقاليد الزعامة من الثوار الذين كانوا ينتمون في الغالب الى الطبقات المتوسطة ، ولكن همهم لم يتم . ولأن الصناعة لم تكن قد بلغت من الارتقاء في أوربا — الا انكلترا — مبلغاً يجعل عمالها قوة كافية لان تكون اساساً لحركة اشتراكية قوية منظمة . فلما خمدت ثورات الاحرار في منتصف القرن الماضي اضطهدت الاشتراكية وطلب ان يمحوها محواً ولكن زعماءها لم يلبثوا ان عادوا الى العمل بهمة شديدة وكانت لندن حينئذ قد أصبحت مثابة للمنفيين من اقطاب الاشتراكيين وفي مقدمتهم كارل ماركس

فلما كانت سنة ١٨٦٤ انشئت « جماعة العمال الدولية » وهذه الجماعة تعرف الآن في تاريخ اوربا الحديث باسم « الدولي الاول » تمييزاً لها عن الدولي الثاني (وسيأتي ذكره) والدولي الثالث الذي يمثل الشيوعية السوفيتية في روسيا وباشراف « الدولي الاول » أخذ زعماء الاشتراكيين يسعون لانشاء جماعات اشتراكية منظمة في بلدان قارة اوربا الكبيرة ولا سيما فرنسا والمانيا والى هذا العهد يرتد اصول الحزب الاشتراكي الديمقراطي في المانيا وهو الذي كان له شأن

كبير في حكم البلاد بعد اعتزال الامبراطور الى ان صفه عن حزب تسلمه معارضيه حكم باسم الوطنية الاشتراكية

وكان على الحركة الاشتراكية في فرنسا أن تقاوم تيارين مختلفين من التفكير والعمل يتجهان الى الاشتراكية بسبب أولهما تيار فريق من اتباع برودون كانوا فوضويين او شبه فوضويين ويؤمنون بحل مشكلات الاجتماع بغير التوسل بأساليب الاشتراكيين وثانيهما تيار فريق من اتباع بلانكي وهم أقرب من الفريق الاول الى رأي ماركس ولكنهم يميلون الى الثورة تقوم بها اقلية حتى ولو لم تؤيدها في ذلك جماعة العمال الكبيرة

اما في ايطاليا فتركت للنزعة الاشتراكية شأن كبير لان اتباع باكونين قاوموها من جهة ولان جماعة أخرى متأثرة بنظريات مازيني الوطنية الفوضوية قاومتها من ناحية أخرى

وكذلك في روسيا لان زعماء الحركة الاشتراكية بها حاولوا ان يستندوا الى الفلاحين لعدم ارتقاء الصناعة في روسيا وهؤلاء وجدوا النزعة الفوضوية اقرب الى نفوسهم من اشتراكية ماركس وصحبه

وبلغ « الدولي الاول » ذروة نفوذه في الثورة التي أنشأت حكومة « الكوميون » الاشتراكية في فرنسا على اثر انكسار نابليون الثالث في الحرب البروسية الفرنسية سنة ١٨٧٠–١٨٧١

فحكومة الاشتراكية الجديدة في فرنسا بزعامة المسيو بلوم ليست الحكومة الاشتراكية الاولى التي تؤلف فيها — بحصر المعنى — لان حكومة « الكوميون » التي انشئت في مطلع العقد الثامن من القرن الماضي سبقتها الا ان حكومة « الكوميون » كانت قصيرة العمر لان العناصر التي تألفت منها كانت متنافرة فلما ثارت على الجمعية العمومية وأعلنت أن باريس مدينة حرة ودولة سائدة وان الدولة الفرنسية يجب ان تتألف من « كوميونات » مستقلة استقلالاً ذاتيًّا نادت فرنسا وهبت الى تأييد المسيو تيرس فكانت ثورة او حرب اهلية دامت نحو شهرين من اول ابريل الى ٢٨ مايو سنة ١٨٧١ سقطت على اثرها حكومة « الكوميون » الباريسية فمهد ذلك السبيل الى انشاء الجمهورية الفرنسية الثالثة وقضى بأن تبقى هذه الجمهورية متصفة مدة طويلة بصفات حكومة بورجوازية (أي مستمدة من الطبقات الوسطى) . وقد احتفظت حكومة فرنسا من ذلك العهد الى عهدنا هذا بهذه المميزات على أن الحكومة الاشتراكية الجديدة ليست اشتراكية بأوسع معاني الكلمة لأن حزب الاشتراكيين ليس اكثر من مجموع سائر الاحزاب في مجلس النواب الفرنسي والحكومة مؤلفة منه ومن حزب الاشتراكيين الراديكاليين وهذا الاخير ليس اشتراكيًّا ولا راديكاليًّا واعضاؤه من احزاب الطبقات الوسطى ويتسم فقط بسمة الاحرار وكذلك كان سقوط حكومة فرنسا الاشتراكية الاولى هادماً لاماني زعماء الاشتراكيين

بقرب اليوم الذي يقبض فيه الاشتراكيون على مقاعد الحكم في بلدان اوربا

بعد انهيار حكومة « الكوميون » في فرنسا سنة ١٨٧١ وسقوط تجربة الحكم الاشتراكي اصبح تاريخ الاشتراكية في اوربا تاريخ الحركات القومية في مختلف بلدانها

ففي المانيا حيث رسخت نظريات ماركس في نفوس فريق كبير من الالمان قاوم الرئيس بسمارك الحركة الاشتراكية مقاومة عنيفة من سنة ١٨٧٨ الى سنة ١٨٩٠ وقيدها بالقوانين الشديدة فاضطر الاشتراكيون الالمان ان يقوموا بدعايتهم في المانيا من خارجها ومع ذلك نشطت الحركة في المانيا واتسع نطاقها فلما كانت سنة ١٨٩١ تمكن الحزب الدمقراطي الاشتراكي من الظهور في حلبة السياسة العمومية ومن تلك السنة اخذ الدمقراطيون الاشتراكيون الالمان في زيادة المقاعد التي يشغلونها في الريخستاج وصحب هذه الزيادة تغير في آراء الحزب فبعد ان كانت « ماركسية » ثورية في نزعتها عدلت تعديلاً مطرداً وكان على رأس الجماعة المطالبة بتنقيح مبادىء الحزب رجل يدعى ادوار برنشتين الا ان برنشتين وصحبه خذلوا في مؤتمر الحزب الذي عقد في سنة ١٩٠٣ ولكن رأيهم كان قد كسب له انصاراً كثيرين فاصبحت خطة الحزب الدمقراطي الاشتراكي اميل الى الاعتدال وطلب التغيير والاصلاح عن طريق التشريع على الرغم من احتفاظه بعبارات ماركس واتباعه

اما في انكلترا فكان الاتجاه في العقدين السابع والثامن من القرن الماضي الى انشاء نقابات للعمال فلما كانت الازمة الاقتصادية في العقد الثامن ضعفت هذه الحركة وبدلاً من ان ينشأ حزب للعمال كما كان منتظراً اخذ العمال بعد وقوع الازمة ينضمون الى الاحرار في المطالبة بحقوقهم وكان ممثلو العمال الذين يفوزون في الانتخاب لمجلس النواب يجلسون مع نواب الاحرار فيه . ثم حاول بعضهم ان ينشئ حزباً اشتراكياً ماركسي النزعة فلم [illegible] بذكر ان الحركة الاشتراكية ضعيفة الى مطلع القرن العشرين عندما انشئت « لجنة تمثيل العمال » وهي اللجنة التي غير اسمها بعدئذ وجعل « حزب العمال » وكان زعيم هذه الحركة كير هاردي وهي تختلف عن الحركات الاشتراكية على بر اوربا — الا البلجيكية — في انها ما كانت تستند الى افراد اشتراكيي النزعة بل الى حركة العمال المنتسبين الى نقاباتهم المختلفة . ولذلك كان لنقابات العمال سيطرة او شبه سيطرة على خطة الحزب ومناهجه وهذا الحزب ليس اشتراكياً بالمعنى المحصور مع تسليمه بأهم مبادىء الاشتراكيين فهو يرمي الى الاصلاح الاجتماعي عن طريق البرلمان لا عن طريق العنف والثورة

وكانت الحالة في روسيا تختلف عما في المانيا وانكلترا لان الاشتراكيين الروس ظلوا معرضين للاضطهاد الشديد والنفي والتشريد وكان معظم اعضائهم منفياً في سيبريا او لاجئاً الى بلدان

وره اجتماعه فلما حبطت ثورة ١٩٠٥ في روسيا رأت اصطهاداً فاضطر بعضها ان يعودوا لنشر دعايتهم في روسيا من البلدان التي لجأوا اليها . وكانوا علاوة على ذلك شيعاً مختلفة فكان منهم حزب الثورة الاجتماعية وجل اعتماده على الفلاحين واكبر اغراضه اصلاح حال الفلاحين بالثورة . وكان هذا الحزب اقرب الى الفوضوية منه الى الاشتراكية وكان يثير نفوراً كويين لا كارل ماركس . وكان هناك حزب آخر يعتمد على ماركس وقد انشق هذا الحزب سنة ١٩٠٣ — ١٩٠٤ الى شيعتين شيعة البولشفيك وهي التي تحولت بعد ثورة سنة ١٩١٧ في روسيا الى ما يعرف الآن بالحزب الشيوعي وشيعة المنشفيك وهي التي تدعي انها من اتباع ماركس ولكنها كانت تقول ان الاشتراكية التامة في روسيا تقتضي اولاً انشاء حكومة بورجوازية دمقراطية بالتعاون مع الطبقات المتوسطة اي انها كانت تخالف البولشفيك في نقل روسيا نقلاً مفاجئاً من حالتها التي كانت عليها الى حالة الاشتراكية التامة

قلنا ان « الدولي الاول » تألف سنة ١٨٦٤ وسقط بعد سقوط تجربة الحكم الاشتراكي في باريس على اثر الحرب البروسية الفرنسوية (١٨٧١) ولكن الجماعات الاشتراكية اعادت الكرة سنة ١٨٨٩ فانشأت « دولياً » آخر دعي الدولي الثاني او الدولي الاشتراكي ولكنه كان يختلف عن سابقه في انه لم يكن له هيئة مركزية قوية تسيطر على خطته . وكانت اجتماعاته الاولى تقتصر في الغالب على البحث في افضل الاساليب التي تجري عليها الاحزاب الاشتراكية المختلفة . ولكن في سنة ١٩١١ أخذ « الدولي الثاني » يهتم بموضوع السلام والحرب وموقف الاشتراكيين منهما . ثم كان هذا الموضوع قد شغل افكار الاشتراكيين في مؤتمر استردام سنة ١٩٠٣ مما حمل جوريس الاشتراكي الفرنسوي على تأليف كتابه « الجيش الجديد » ثم عولج الموضوع ثانية في مؤتمر ستتغارت فنقد هرفيه النزعة الوطنية نقداً شديداً ثم حمل بيبل وفولمار الالمانيين على التصريح بان الدمقراطيين الاشتراكيين في المانيا يهبون الى الدفاع عنها اذا هوجمت

ولما تلبد جو اوربا بسحب الحرب سنة ١٩١١ على اثر حادثة اغادير وحروب البلقان وحرب ايطاليا في طرابلس الغرب اجتمع الاشتراكيون في بال سنة ١٩١٢ للبحث في الحالة الدولية وتقرير خطة الاشتراكيين الدمقراطيين لمنع الحرب . واذيع بيان يدعو عمال الامم المختلفة الى الضغط على حكوماتهم في سبيل تقرير سياسة خارجية قاعدتها السلام والوئام

وكان موضوع السلام على اجندة المؤتمر الذي دعي للانعقاد في اغسطس ١٩١٤ في مدينة فينا ولكن نشوب الحرب حال دون اجتماعه ونشوب الحرب وقيام الثورة الروسية سنة ١٩١٧ غير اتجاه الاشتراكية الاوربية

لما نشبت الحرب العالمية تفرق شمل الاشتراكيين وانهار الدولي الثاني . وقد قلنا أن

الاشتراكيين كانوا يسعون بواسطة اسولي الثاني الى بذل كل ما في وسعهم من مكانة ونفوذ لمنع الحرب التي ظهرت بوادرها في آفق السياسة العالمية. ولكن لما اشتبكت الدول الاوربية بعضها ببعض في صيف ١٩١٤ انحازت اكثرية الاحزاب الاشتراكية إلى تأييد حكوماتها القومية على الرغم من مظاهرات اشتراكية ضد الحرب هنا وهناك وعلى الرغم من اعتراض طوائف قليلة من الاشتراكيين انفسهم. ويذكر القراء ان المسيو جوريس زعيم الاشتراكية الفرنسية وسلف المسيو بلوم في زعامة الاشتراكية الفرنسية اعترض على الحرب في فرنسا فلقي حتفه وان المستر مكدونلد اعترض كذلك على الحرب في انكلترا فصد ولما حاول ان يسافر بباخرة انكليزية الى مؤتمر اشتراكي رفض بحارة السفينة ان يقوموا بعملهم اذا كان المستر مكدونلد على متنها. بل ان طائفة من ممثلي الاحزاب الاشتراكية في فرنسا وبريطانيا اشتركوا في الوزارات المشرفة على تسيير القوى الى النصر. ولو اتيح مثل هذا الاشتراك لاشتراكيي المانيا لما رفضوه. وظل الاشتراكيون موالين لحكوماتهم اغلبهم الى سنة ١٩١٨

ولكن طوائف قليلة من احزاب اوربا الاشتراكية سعت سعد نشوب الحرب الى الاجتماع ووضع خطة عامة يجري عليها الاشتراكيون في اوربا بصفة كونهم جماعة اوروبية لا جماعات قومية متفرقة. فعقد المؤتمر الاشتراكي الدولي الاول في سبتمبر من سنة ١٩١٥ في زمرفولد وعقد الثاني في ابريل سنة ١٩١٦ في كينتال وحضرهما اشتراكيون من الوان مختلفة. فمن حضرهما مدفوعاً بنزعة سلمية قوية ظناً انهما قد يكونان السبيل الى وقف الحرب ومنهم من حضرهما اعتقاداً منه انهما فرصة نادرة للاستفادة من نشوب الحرب لتعميم الاشتراكية وفي مقدمة هؤلاء الشيوعيون وعلى رأسهم نقولاي لنين

ثم وقعت الثورة الروسية. فالحركة الاشتراكية الروسية كانت ثورية لما مُنيت به من الاضطهاد والتشريد ولكن اقطابها واتباعها كانوا مع ذلك فريقين فريقاً يدعى الحزب الثوري الاشتراكي وكان جل همه منه رداً الى الفلاحين ويرجع الى اساليب الثورة وفريقاً يدعى الحزب الديمقراطي الاشتراكي وكان قد اسس على قواعد البيان الشيوعي الذي وضعه كارل ماركس في اواسط القرن التاسع عشر ثم انقسم فريقين احدهما معتدل يسلم بالتعاون مع الطبقات الوسطى ويدعى المنشفيك وفريق ثوري يريد الثورة ودكتاتورية العمال ويدعى البولشفيك

فلما قامت الثورة الروسية الاولى سنة ١٩١٧ على اكتاف المنشفيك واحرار الطبقات الوسطى وسواعد انصارهم فازت بتأييد عام من اشتراكيي العالم وقد كان رئيس الحكومة التي انشأتها هذه الثورة كرنسكي. ولكن لما نشبت الثورة الروسية الثانية بزعامة البولشفيك وقيادة لنين، واعلنت دكتاتورية العمال، انشق اشتراكيو اوربا حيالها الى فريقين وزادت

القوة بين المرتقبين عندما امتلك الاس التروتسكيت وعلقوا اسم ٣ الحزب الشيوعي، وأسسوا المؤتمر الشيوعي المعروف « الدولي الثالث » وشرعوا يبثون الدعاية الى الثورة العالمية على اساس قواعد دعوا اليها اقترعوها من مؤلفات كارل مركس وبيانه الشيوعي الذي اذيع سنة ١٨٤٨ وحملوا مسددين بالمعتدلين من الاشتراكيين اي بالاشتراكيين الدمقراطيين ومن كان على غرارهم في جميع البلدان واتهموهم بانكارهم مركس وبمساواتهم مع البورجوازي في سبيل تأييد النظام الرأسمالي فرد عليهم هؤلاء بأن الشيوعيين هدموا اسس الحرية والدمقراطية في روسيا وبسطوا سيطرتهم على الجماهير بالقوة والعنف

وعلى الرغم من قيام حكومة شيوعية في روسيا وحزب شيوعي قوي في المانيا حافظ الاشتراكيون الدمقراطيون الالمان على خطتهم . اما في فرنسا فانحاز حسب من الاشتراكيين الى الشيوعية ، فاعيد تنظيم الحزب الاشتراكي واحرزت زيادة كبيرة في مجلس النواب الى ان صبح اكبر حزب فيه في الانتخابات الاخيرة . وكان الاختلاف الشديد بين اشتراكي ايطاليا ونسامهم الى شيوعيين ونصف شيوعيين ومقاومين للشيوعية ، تمهيداً لقيام النظام الفاشستي فيها . اما في انكلترا فلم تتأثر الحركة الاشتراكية كثيراً بانقسام الاشتراكية الاوربية حيال النظام الروسي الجديد

***

يشترك الشيوعيون والاشتراكيون في القواعد التي يؤمنون بها والاغراض التي يسعون اليها ولكنهم يختلفون في السبل المؤدية الى تحقيق هذه المبادئ، والاغراض . فكلا الفريقين يدعو الى جعل وسائل الانتاج الحيوية والصناعات الكبيرة ملكاً للامة او للدولة وقد يسر ذلك اشارة المستر بلوم في ما يقوله الى جعل مصانع السلاح ملكاً للامة . ولكن الشيوعيين يريدون ذلك بالثورة ، واما الاشتراكيون فيسعون اليه عن طريق التشريع ثم هم يسعيان الى جعل الدولة اموراً اساسية في تنظيم القوى الاقتصادية حتى لا تتعارض وتتنافر بباعث الكسب الخاص فمجالس النواب والشيوخ اي مجالس التشريع التي يمنى الاشتراكيون بالسيطرة عليها عن طريق الانتخاب والفوز بالكثرية فيها ، يندد بها الشيوعيون لانها منشآت رأسمالية لا بد من هدمها قبل أن تستطيع الاشتراكية القيام بتحقيق ما تقصده من اصلاح . ولذلك ينظر الشيوعيون الى الاشتراكيين الذين ينشدون الاصلاح دستوريًّا متدرجاً على انهم اعدى عداة العمال

هذه هي نقطة الاتفاق والاختلاف الاساسية بين الشيوعيين الاشتراكيين ويتصل بهذا ما تسعى اليه الاشتراكية من الاصلاح الاجتماعي تأمين العامل على عمله وصحته ورفع مستوى اجره ومعيشته وتقليل ساعات عمله ومنحه حق المساومة الاجتماعية والاتفاق الاجتماعي مع اصحاب العمل

نفحة العطر

قصة لهنري دوفرنواه

كان أندره هوردو تارك المصرف الذي يعمل فيه، يقفز الى سيارة اجرة ويقول للسائق « أسرع الى حدائق التويلري » فاذا بلغها اجتاز الشارع العريض يستحثه الامل بلقاء لوسيين جانيير قادمة من ناحية المدينة في طريقها الى بيتها من محل عملها في مكتبة على ضفة السين اليسرى. وكان قلبه يثب فرحاً مرتين او ثلاث مرّات في الاسبوع عندما تقع عيناه عليها. وكانت وجنتا الفتاة تتورّدان حياء، فتقبل ان تمشي معه هنيهة ويدور بينهما حديث قصير.

وفي احد الايام رأت لوسيين اندره واقفاً تحت شجرة وكأنه يحدّق في الافق فردّت تحيته ومضت في سبيلها.

وبعيد مدة لقيته لوسيين فقالت له « يجب ان لا تنتظرني. فالرجل الذي ينتظر تبدو عليه سيماء السخف. ثم انه يورّط الفتاة التي ينتظرها »

فامتنع اندره بعد ذلك عن اللبث في مكان واحد منتظراً فتاته. فاذا بكّرت لوسيين خمس دقائق، او اذا تأخرت خمس دقائق، كان يضيع عليهما التلاقي. ولكنه تبيّن ان الفتاة ضبطت ذلك اذ سألته في احد الايام عن الوقت وضبطت ساعتها على ساعته. فكان ذلك كافياً في نظره لانهما بعد ذلك اليوم كان لا يسبق احدهما الآخر، ولا يتأخر احدهما عن الآخر، في الوصول الى حدائق التويلري. ولاحظ في يوم آخر، انه لما اعترضت حركة السيارات سبيله في اجتياز الشارع، تمهّلت في سيرها حتى لا تسبقه.

فقال لها: وددتُ لو اقبّل ذلك الحذاء الرمادي الذي أخّرك عن السير

فقالت: كنت ارغب ان لا افوّت لقاءك اليوم

فقال: ما أعظم عطفك!

فقالت لا شك انا يجب الا نلتقي بعد اليوم

فقال واي ضرر من اجتماعنا ؟

فقالت ذلك هو السؤال العسير الذي يحدث معظم النكات اللطيفة

فقال انني لست غريباً عنك فقد قدّمتُ اليك وفقاً للتقاليد في حفلة شاي أقامها أحد أصدقائنا

فقالت أعلم ذلك . وعلاوة على ذلك ليس عليَّ ان اقدّم حساباً لاحد عمّا افعل ، الا لوالديَّ ، وهي تثق بي ثقة عمياء

فقال وبعد ذلك ؟ ان والديَّ يثقان بي كذلك ثقة عمياء انهما رحبا الصدر ولكنَّ جدّي ولا يزال مقدّم الاسرة ورئيسها — كلنا نرتجف خوفاً منهُ

فقالت وأنت ترتجف كذلك ؟

فقال وفقاً للتقاليد

فقالت في هذه الحال جدير بنا بأن نتصافح وأن لا نعود الى الاجتماع ثانية . اني ارتاح الى لقائك ، ولكن لي كرامةً لا أنكر اني اسعد برواحك ، الا انني ارى ان ذلك مستحيل فسوف تتزوج انت وفقاً لتقاليد سنة ١٧٧٨ عروساً يختارها لك جدُّك وارجو ألاّ تسيء فهمي . فانا لا اعرّض بأسرتك ، وانما ارجو ان لا تقطع سبيلي مرةً اخرى واذا اتفق اننا التقينا فارجو ان لا تحييني

كان الشفق يغمر حدائق التويلري بجلباب ورديّ رقيق . وكان الحديث بين اندره ولوسيين ، قد أخذ يزداد حماسة وحرارة ، فردُّ اندره ينصب على لوسيين ، وعلقت هي بخنطة رباطة جأشها وحسن ادبها ، ولكنها كادت في ردودها عليه ، تتهمهُ بالحس . ولكنَّ النهار كان قد اخذ يولي الادبار ، وكان الشفق جبلاً يدبُّ في النفوس فتحنُّ ، فبدت التويلري آمادة ، وكانا يمشيان احدهما الى جنب الآخر ، فيكل كلام لا شأن لهُ ولا وزن . فتصبا في الحديث ، لا لشيء ، الاّ ليسمع كل منهما صوت صاحبه ، فكانا في تلك الدقيقة اقرب ما يكون احدهما الى الآخر ، مع ان الدلائل كانت تدلُّ على انهما على مفترق الطريق

فتوسل ادمون قائلاً : امهليني اسبوعاً

فقالت : طبعاً يا صديقي ، امهلك كل الاسابيع التي تريد

فقال : بعد اسبوع تماماً ، نلتقي هنا

فقالت : قد نلتقي

فقال : عديني بذلك والاّ انتحرت

وكانت لوسيين قد احست مدامع من مقلتها السليمة ، تحوف المصيبة وخشيت حالة ادمون الدهشة والقصية فأحنت رأسها ، قبولاً للوعد باللقاء ، ثم ولّته ظهرها واختفت في زحام شارع ريفولي

فأسرع ادمون الى داره ، الى والديه ، كالعاصفة ، واخذ يصف بكل ما يستطيعه من القوة والبلاغة حبه للوسيين . فقيل له ان يذهب الى جده ، فاندفع اليه ثائراً فوجده يتناول طعام العشاء وحده

فقال المسيو لوجرشان وقت غريب تجيء فيه لاقلاق راحة الناس وقت العشاء

وكان الخادم يقدم للشيخ حساء الشعير في كأس فضية وجاء بعد الحساء الفاكهة المطبوخة ثم احتسى الشيخ بعد ذلك صحافاً من شاي حامض النكهة ، قبل أن سمح لحفيده بالكلام فكان ادمون عندها قد فقد كثيراً من اندفاعه وحماسته وثقته بنفسه . وكان المسيو لوجرشان قد قضى خمسين سنة في خدمة بلاده الدبلوماسية ، فتعلم كيف يهدىء الروع ، ويخفف سورة الحمى ويثني السائل عن السؤال بإشارة لطيفة فلما سمع من ادمون حديثه وعزمه على الانتحار إذا لم يحب طلبه الخاص بلوسيين ، هز الشيخ كتفه غير مبالٍ

قال الشيخ : ائت لي بهذه الخطوبة يوم الاثنين القادم في الساعة الخامسة اني أود أن أراها

وكذلك انتهت المقابلة بين الجد والحفيد وحده

كانت كلمات الشيخ الاخيرة ، مفرغة في قالب من الحزم والفتور ، حمل الفتى على الاضطراب ، ولكنه توسل الى لوسيين ، ان تلبي الطلب

فقلت : ولكن من الغريب ، كل هذا ؟ اني ما اطلب اليك هذا . . ونت الذي عمي في التحدث عن الزوج . ثم عودا استعترح علي ان اتوسل الى جيدك الكريم !

قال : لا . لا توسلي اليه

قلت : ولكن دهائي يبي التوسل . ن دلك يجرح كرامتي ولست ارى فائدة مرجى منه هذا استطيع ان اقول له

قال لاتقولي شيئاً . دعيه يتكلم

فقلت : اذن تريدني ان اتقدم للامتحان بين هذا الناس الذي ارتاح اليه

وكانت في خلال تفكيرها في الموضوع ، لم تلاحظ ان اندره اخذ ذراعها بيده فأحست بعدها ، ان قوة جارحة على سيطرتها ، تربط بينهما بسريها موجة من الحنان والرضى وقمت ان تذهب لمدة الجد الشيخ . ولما كانت فتاة ذكية ، في نفسها حب المغامرة ، رأت في صعوبة المعاملة ، شيئاً يشوقها ويستحثها . ففكرت في الموضوع طوال الليل فلما تنفس الصبح هبط عليها الحل في لمحة من لمحات الالهام ، في شكل فكرة ، يطاردها الانسان ، فاذا هي في العالم كالغزال النافر فلما يظفر بها

وذهبت في صباح اليوم التالي ، الى دكان عطار مشهور وطلبت ان تقابل المدير فلما دخلت عليه ، قالت له : لقد دعيت الى حفلة ساهرة راقصة ، واثواب المدعوين يجب ان تكون جميعها من طراز ما كان الناس من ستين سنة وقد طرزت ثوب من سنة ١٨٦٨ تاماً في جميع تفصيلاته . ولما كنت ارغب في ان يكون كل ما ألبسه او احمله منسجماً مع زي ذلك العهد ، رأيت ان اسألك عن زجاجة صغيرة من العطر الذي كان شائعاً حينئذٍ لانعطر ببضع قطرات منه

فقال المدير : ان سؤالك مستجاب على اهون سبيل فمن حسن الحظ انه لايزال عندنا مقدار من هذا العطر فاسمحي لي ان اقدم لك قنينة صغيرة منه ، ولا اطلب منك الاّ ان تتفضلي علينا بصورتك في ثوبك هذا ، موقعة منك

فدخلت هذا الحديث ... فيسرني ان تقدم لك احداهما . وفي الساعة الخامسة من يوم الاثنين تنتظر لوسيان في بيت ابيه ودخلت بصحبته على احد النوس

فلما رآهما الشيخ قال لحفيده : اما انت فاذهب الى الغرفة المجاورة وابحث عني فيها . ثم قال للفتاة : اني ... ما سيدتي . ليس علي ان اسألك ان هذا الفتى مغرور اقترب مني ... اصغي الى ما اقول ... فقربت لوسيان من لوجرشان . وكان هو قد اعدَّ حفنة وحجرة ... . اذا انت ... تدعي هذا الفتى الا انه وشأنه ... اذا اصررت على حبه الى الزواج هو في نظري ضرباً من الجنون . فلبثت ان ... ولكنه لاول مرة في حياته تردد في الجواب ... لان نفحة من عطر هبت عليه ، فخفق قلبه ... نفحة عطر كاد ينسى عبيرها فتولا على اجنحة الذكرى ، من اعماق الشباب

فقال الشيخ في نفسه : ... استنشقت هذا العطر ... اي نعم ... ماري ... ثم فاح هذا العطر من ماري حبيبته اذ كان منحنياً فوق رأسها يقطع لها عهد الولاء الى الابد !

وبعد انصتت الرهيب ... عرف الشيخ العطر . ولما عرفهُ حاول ان يكمل خطابهُ فتعثر ذلك ان قوة خفية كانت قد غلبت عليه لان ملاك الذكريات الحلوة كان مرفرفاً فوقهُ ... فقال :

ولا تنسيْ — اقول لك لا تنسي ... يجب ان تكوني ... واحكم من ابنه لقد حذرتك . . .

وفتح الباب ونادى حفيده قائلاً تعال الآن يا ابني . لقد عرفتُ ما اريد ان اعرف ... انت تؤتَ بالنصر فدعها بسلام

ولما خرجا اغلق المسيو لوجرشان نوافذ الغرفة ، واسدل الستائر وتهالك على كرسي ضخم مريح ، كأنهُ يحاول ان يأسر نفحة العطر التي تركتهُ عاجزاً امام غرام الشباب !

الحديقة المهجورة

للشاعر الفرنسي جيرره روماس

« من ديوانه مشاهد »

وكان الخريف يبدو فيها رقيقاً حاراً
تنظر الى الماء فتحس ان بقية من الحياة تفيض على وجهه
وترى الاشجار في المساء تهز اوراقها رويداً رويداً

ها هنا كنا نبكي في عهد غبرت ايامه .
ولكن الذي يتركه العاشقان من روحيهما لا تقدر على اماتته الفصول

أو في أعماق كل مدرج اثارة منها تشهد عليها
تبدو كأنها نفحة من رقته لا تتلاشى ابداً
والماء الهابط رويداً رويداً ، الماء العذب المكتئب لا يزال يعكس
للعين ألوان ردائها الزنبقي

ألا قل للهجر والنسيان أتكما تصلان عنتاً في سلخها عني !
اني احدها في كل مكان او أنظرها في كل الاكوان
تقر في النسيم نفحة من شذاها
والماء الهامد لا يزال يرتعش لصداها !

[نقلها خليل هنداوي]

باب المراسلة والمناظرة

أبو الطيب المتنبي

ونسبه العلوي

أخرج لنا « المقتطف » الأغر في مطلع هذا العام عدداً فريداً بأسلوبه ، ممتازاً بمادته ، كان خير هدية تقدمها هذه المجلة الراقية الى العالم العربي ، الذي ما زال يقتبس من صفحاتها أنوار العلوم والمعرفة منذ ثلاثة أرباع القرن ، ونرجو أن تظل فيه نبراساً ساطعاً تغذيه على كرّ الأجيال بالآراء السديدة الناضجة ، وتتحفه بهداياها النفيسة القيمة . والعدد الذي أعنيه بكلمتي هذه هو عدد « المتنبي » الذي كتبه الأستاذ محمود محمد شاكر ، فأفرغ فيه مجهودات طائلة ، ودراسة دقيقة وافية ، حتى تجلى المتنبي فيه بأزاهر فتية من الروعة والجلال والرونق والجمال وأحسبني في غنى عن القول أن هذه الهدية النفيسة حازت كل إعجاب لدى جمهرة الأدباء والبحاث في مختلف الأقطار العربية ، لأن الصحف على اختلاف طبقاتها ، كانت طافحة بالتقريظ والاستحسان لذلك سوف لا أطيل وقتي في البحث كمقرظ جديد ، وإنما أقف كقارئه ، وأحسب أن صفحات « المقتطف » الرحيبة ، وصدر الكاتب الرحب ، يتسعان لكلمة نقد بريئة غايتها حب الاستفادة والمعرفة ، ولمناقشة رائدها خدمة الحقيقة ، والدفاع عن رأي علمي

مما لا شك فيه أن الأستاذ محمود شاكر فيما كتبه عن المتنبي ، قد ابتكر لشاعر العرب الخالد ، شخصية ما عرفها التاريخ ، ولا خطرت لأحد من المؤرخين الذين طرقوا موضوع البحث قبله وقد كشف من هذه الشخصية الجبارة التي ملأت الدنيا وشغلت الناس مدة عشرة قرون ، بعض النواحي الهامة التي كانت من الأسرار المطوية في أدراج السنين ، ولم يتح لها البروز أمام نور البحث ليدرك الناس حقيقتها ، ويقفوا على كنهها . ومما لا شك فيه أيضاً أنه كان موفقاً كل التوفيق في أسلوبه الطلق الجذاب الذي أفرغ البحث فيه ، فكان يغري « القارىء » دائماً بمتابعة سياق البحث ، ثم يحمله على التسليم بصحة استنتاجه وتآلف الأفكار فيه . أما إذا وقفنا عند الانتهاء من القراءة للحكم والاستنتاج ، فإننا نقف أمام حقائق طريفة في بعض الأحيان ، وربما كانت غريبة في أحيان أخرى . وأهم هذه الحقائق التي تسترعي انتباه القارىء الحقيق ، وتستوجب اهتمام كل أديب هي قضية نسب الشاعر العلوي ، تلك القضية التي ابتكرها الأستاذ في بحثه هذا

ونحسب أنها محدودة بالنظر والتحليل ، ولا يعرف كل من عني بدرس شخصية أبي الطيب الى معالجتها والاهتمام بها

لقد أبدع الاستاذ شاكر بتحرير مقتطف يناير في كتابه الذي قدمه بها هذا العدد إذ قال عن نسب شاعرنا المتنبي نظرية أنشأها تكون كالنظريات العلمية في ميدان العلوم الطبيعية ، توسع بالاستنتاج والاستنباط من الحقائق المحدودة . ثم وضع هذه النظرية وسعى لتطبيق عليها تطبيقاً فاذا صح التطبيق تثبت النظرية وعدّت صحيحة صادقة . اما اذا جاءت النتائج معكوسة فتلغى النظرية الموضوعة وتستبدل بما هو اكثر منها ملاءمة للحوادث والحقائق . وقد اتضح من اسلوب بحث الاستاذ شاكر المبني على هذه النظرية وتطبيقاته على الحوادث وتطابقها معها ، مشجعاً على احتمال كون هذه النظرية تمهيداً للكشف عن اشياء في حياة المتنبي . ويعترف الاستاذ شاكر في مواضع كثيرة من بحثه هذا ايضاً ، بانه بنى هذه النظرية اعتماداً على الاستنباط الشخصي لا على ادلة تاريخية ووثائق محدودة ثابتة . ولكن هل يصح لنا في المباحث التاريخية أن نبني النظرية ، كما يصح في العلوم الطبيعية ، وهل يجوز لنا ان نتوسع في الاستنباط الى هذا الحد البعيد الذي يتنافى مع الحقائق التاريخية ؟ هذه هي النقطة الاولى التي اريد أن أعالجها في هذا البحث أولاً

اذا بنيت النظرية في العلوم الطبيعية أولاً ثم عمد الى تطبيق الحقائق عليها ، فتكون هذه الحقائق دائماً أمامنا في البحث وتكون حينئذ مستمرة . أعني بذلك أن النظرية إذا سبق وضعها وتحديدها في اسلوب علمي ، فلم يسبق وجود هذه الحقائق وتكوينها ، إذ انها مخلوقة منذ القدم ثم تبقى هذه الحقائق نامية متجددة . لا تزول من عالم الوجود ، ولا تذهب مع فترة محدودة من سير الزمان . فالحقائق الطبيعية لا تعرض عرضاً في الكون ، ولا يكون وجودها صدفة . وعلى ذلك يصح لنا أن نمهد بفهم أسرارها بوضع نظريات فيها ، ثم نستعرض ما يتجدد منها مع الزمن بعد وضع تلك النظرية للتطبيق والمقايسة . اما في علم التاريخ ، فلا يصح لنا هذا ، بل يتحتم علينا ان نحدد فيه الحقائق اولاً . ثم نعمد بعد تحديد هذه الحقائق واثباتها ، الى الاستنتاج والاستنباط ضمن نطاقها . ونتمكن من وضع النظريات بعد ان نقتبس أسسها من حقائق التاريخ وحوادثه . والسبب في ذلك هو أن حوادث التاريخ محدودة الميلاد ، وقيمة الحدوث تتصل بفترة خاصة من الزمن وتزول بزوال تلك الفترة . فلا يمكننا ان نستعيد حدوثها مرةً ثانية لتطبيقها على نظرية جديدة موضوعة ، ولا يمكننا تغيير نظرية ما ، واستبدالها بغيرها ، الا بالاعتماد على وجود حقائق محدودة ، يشهد التاريخ بوجودها فيه ، واقرار تلك النظرية الجديدة او دحض القديمة بموجب سياق هذه الحوادث والحقائق

فانت ترى إذن ، انه لا يمكننا أن نقيس جميع حوادث التاريخ بالشك فقط ، ولا يمكننا أن

منها مجرد عدم ارتياحه الى صاحب ... ثم لا يمكننا كذلك أن نكون لنا رأياً جديداً فيما يكون أساسه محض فكرة فقط ، وتكون حقيقته مجرد نظرية خاصة ، ثم نعمد الى تكييف الحوادث التاريخية وتفسيرها بأشكال جديدة تطابق نظريتنا المستحدثة ، التي تفتقر الى أدلة تاريخية محدودة تثبتها وتدعمها . ثم إن الاستنتاج والاستنباط في المباحث التاريخية ، في حدود وقيود أيضاً يجب ان يكون استنباطنا نفسه مقتبساً من حقائق ثابتة في التاريخ ، فيصح أن نعتبره عندئذ مقبولاً اما اذا جاء منافياً لجميع ما في التاريخ من الحوادث والادلة ، وفرض عليه حقائق جديدة لا علم لأحد بها من قبل فلا يمكننا ان نأخذ به او نعمل به ، ونتغاضى عن الحقائق الثابتة مهما كان شأنها

فاذا كان نسب المتنبي العلوي نظرية ، وإذا كان يستند الى الاستنتاج والاستنباط فقط ، كما يقول الكاتب نفسه بصراحة تامة ، فلا يمكن للتاريخ ان يعترف به ، ولا يمكن لأي أديب ان يسلم بصحته ، لان النظرية والاستنباط وحدهما لا يجديان في تقرير الحقائق التاريخية شيئاً لا سيما وجميع المصادر تروي خلاف ما يزعمان به ، والصلة مقطوعة بين الباحث الحالي وبين الحوادث التي مر عليها عشرات القرون عن غير طريق هذه المصادر

لكن الاستاذ شاكر بعد أن فرض هذه النظرية في اصل المتنبي ، حاول ان يدعمها ببراهين مقنعة ، وأدلة تاريخية ، فكانت نتيجته تجريح الروايات التي وردت عن نسب المتنبي القديم أولاً ثم الاستدلال بشعره على صحة نسبه الجديد ثانياً ، وهو موفق تمام التوفيق في هذه الجهة ، وأثبت هاتين النقطتين إثباتاً قاطعاً ، يصح ان ... من الواجب علينا ان نعد قوله هذا في نسب شاعر ما قد خرج عن طور النظرية والتكهن ، واصبح حقيقة لا مجال للشك فيها . لكننا نأبى الآن لنبحث مقدار ما توصل اليه في البحث ، وفي مناقشة تلك النتائج التي تعد فصل الخطاب في الموضوع

لقد كان الباحث موفقاً في بحثه كل التوفيق . لكن كان كذلك فقط ، حتى حين ... كما هي أقرأ رواية رائعة عن حياة المتنبي نسج المؤلف خيوطها من مبتكرات الوحي فنسيت عن الابحاث التاريخية الجافة ، الا أنه كمؤرخ محقق ، يثبت نظريته ويسجلها في التاريخ بشكل جديد لم يكن موفقاً إلى حد ما ، لأنه عندما حاول ان ينفي عن المتنبي نسبه القديم ، لم يتعرض الا لروايتين فقط ، واستند في رد قولها الى حجة العداوة بينهما وبين المتنبي ، بكون الواحد منهما علوياً فيصبح عدواً طبيعياً لأبي الطيب ، وكون الآخر متوجهاً مشايعاً للعلوية . وهذا يجعله عدواً لأبي الطيب ايضاً . في حين ان لدينا غير هؤلاء ممن عنوا بالبحث عن حياة شاعرنا المتنبي ، وهم أرفع من ان يستميلهم هوى ، أو يفسد رأيهم عداوة وعاطفة . واخص بالذكر منهم الثعالبي صاحب اليتيمة ، الذي يعد من اكبر ادباء العرب ، والذي كان من أقرب المؤرخين للمتنبي زماناً ومكاناً . وقد خصص القسم الاكبر من كتابه لشعراء الدولة الحمدانية ، كما خصص الجزء

الامر من محمد الأول للمتنبي وحده فقد رأى الثعالبي آراء لا استنكار فيه لمروي ولا مجالاً نشك فيه ، ولم نطلع على رواية تدل على صلته هذه بالعلويين لذلك لا نسمح ان نمدح في اقوال المؤرخين دون ان نستند الى رواية واحدة على الاقل تؤيد دعوانا . ولا يمكننا ان نشك فيما يكتبه أديب كبير مثل الثعالبي حتى في علمه واطلاعه ونزاهته وتجرده ، وقرب الزمان والمكان مما جمعه ونقل من يتكلم عن أبي الطيب . واذا كنا لم نعثر على أدلة تثبت زيف نسب شاعرنا بعد فلنعد للبحث عن الادلة التي حدت بالكاتب ان يثبت بها نسب المتنبي الجديد ومقدار ما يمكننا ان نعتمد عليها

واول برهان يقيمه الكاتب على احتمال انتساب أبي الطيب الى أصل علوي ، هو انهُ ولد في الكوفة ، والكوفة موطن الدعوة العلوية منذ القدم . ودخل في صغره الى مكتب لأولاد الاشراف فيها . ثم لقد كانت الكوفة كذلك ، وكان يطلب على كل من فيها ان يكون متشيعاً لآل البيت . لكن لا نشترط ان يكون كل من فيها متصلاً بهم في النسب . ثم اذا اتيح للمتنبي ان يدخل إلى مدرسة يتعلم فيها اولاد الاشراف ، فلا يمكن ان نتخذ من هذه الحادثة البسيطة ما يحملنا على الظن او القول بأن أبا الطيب كان يمتّ الى العلويين بنسب ما خوّله هذا الامتياز العظيم . لان التعليم لم يكن محتكراً فقط في الاسلام ، ولم يكن هناك مدارس خاصة بالأشراف دون سواهم بل كان يتاح للمتنبي وغيره من ابناء المسلمين ان يدخلوا المدارس ويجلسوا الى جانب اولاد الاشراف والامراء ، وعلاوة على هذا ايضاً فقد كان بعض الاشراف والاحزاب السياسية مثل العلويين والفاطميين ، وغيرهم يبنون المدارس ويدخلون فيها الطلاب ليستميلوا هذا الموقف وينشروا دعايتهم من على منابرها . ومن تفرّغ للبحث في نظم التعليم لدى الدول الاسلامية ، تبين له صحة هذا القول ، ورأى في المدارس الشهيرة مثل النظامية والمستنصرية وبيت الحكمة ، نماذجَ واضحة . لذلك فلا يستغرب ان يدخل المتنبي الى مدرسة فيها اولاد الاشراف ولا يستدل من هذا انهُ أُتيح له ذلك لاتصاله بالنسب مع العلويين

اما قضية عداوته للعلويين ، والتعريض بهم في شعره ، والترفع عن المسير اليهم ومدحهم ، تلك الامور التي حسبها الكاتب واتخذها ادلة على صلة ابي الطيب بنسبهم وحرصه على المجاهرة بهذا الشرف ، فهذه ايضاً مما يلذ للقارىء مناقشته والاطلاع عليه ولكنه لا يساعده على قبول النظرية المعروضة ولا نجد أمثال هذه البراهين مثبتة لها . اذ اننا لم نطلع في شعر ابي الطيب عداء صريحاً يختص بالعلويين من حيث هم ، كأصحاب مذهب ديني أو مبدأ سياسي . ولم تكن علاقته بهم الا حوادث خاصة وبيئة ظروف خاصة ، لا يمكن الاستناد عليها واتخاذها مبدأ لمثل ذلك القول . فاذا كان قد ترفّع عن المسير الى احدهم فقد ترفع عن المسير الى كثير غيره من الامراء والوزراء والخلفاء ايضاً . واذا كان قد عرّض بهم فلم يحجم عن التعريض بسواهم من مختلف

طبقات الناس. وإذا كان قد افتخر بنفسه أمام أحدهم فهو يمدحه. فقد فعل مثل هذا أمام سائر ممدوحيه. وأما تلك الثورة الجياشة في صدر المتنبي التي كانت تتجلى في شعره، فلا نرى أيضاً أنها كانت موجهة ضد العلويين دون غيرهم من الناس، بل هي ثورة النفس الحادة التي تمردت على كل ما يحيط بها، ونقمت على كل من فوقها فشمر يدعو إلى تصريف أعناق الملوك، ومقت السلاطين، وقيادة العسكر المجر. ولا يعقل أن يكون قد اختص بقوله هذا العلويين الذين لم يعودوا في زمنه إلا فئة تضاءلت قوتها، وقل أنصارها، وحرصاً علي على أمره في ميدان النزاع السياسي، فاعتزله في حذرٍ بعيد

***

والآن بعد مناقشة هذه النقاط المحدودة، وإظهار بعض مواطن الضعف فيها وفي نسب المتنبي الجديد، نعود فنسأل: ما هو الداعي إلى خلق مثل هذه النظرية؟ وهل ما يصادفه الباحث من الإبهام في شخصية المتنبي، والغموض في حياته لا يمكن تفسيرها إلا بمثل هذا النسب؟ إني لا أرى هذا وأحسب أن حياة المتنبي المعروفة لدينا بنوعها الأصلي الواضح في جميع كتب الأدب القديمة تستغني عن أن نبتكر لها نسباً جديداً وأن شخصيته، وشعره وحوادثه تتلاءم كل الملاءمة مع ما روي عن أصله ونشأته. وهل من الغضاضة أن يكون المتنبي ابن رجل فقير معدم قعد به الحظ فاشتغل فيما اشتغل فيه؟ أم من العار على أبي الطيب — شاعر العرب الخالد — أن ينشأ عصامياً فذاً كما نشأ كثير غيره من عظماء العرب في القديم والحديث؟؟ لا لعمري ليس ثمت شيء من ذلك. ثم إذا كان أبوه سقاء، وكان نسبه صحيحاً واضحاً، ينتمي به إلى أنساب كندة وهمدان من طريق أبيه وأمه، فهل يكون قد خسر من شرف المحتد شيئاً؟؟ كلا أيضاً

***

لذلك فإني أرى أن نسب المتنبي المعروف قد أقره التاريخ، وقل مجال الشك فيه، وإنه يلائم شخصية الشاعر وروحه وحياته الثائرة كل الملاءمة كما وإني أرى أيضاً أنه ليس يعيبه أن يكون جعفياً صحيح النسب، وينتمي بأخواله إلى همدان، من أن يكون مبهم النسب، ويتصل بنسب علوي صلة غير شريفة. ولولا أني أكره أن أشغل من صفحات «المقتطف» الأغر فيما أكثر مما شغلت لأفضت في تثبيت هذا الرأي. حسبي أن منهم الأستاذ محمود شاكر ناقداً ممحصاً لا سيما وهو لا يزال يعنى بدراسة الموضوع ويعمل لتخليد المتنبي بسفر ضخم يتناسب مع شخصيته الكبرى. والله من وراء القصد

وديع تلحوق ب. ع

معجم شعبي

سيدي رئيس تحرير المقتطف الاغر

ان المعجم لي مع الاسف ... الآن شكري ... بمعجمكم باسم ... والادب فما المقتطف سوى منارة يهتدي بها وشرعة ... لرواد من ... الصادد

قرأت في المقتطف شذرة ... وفصولاً عن المجمع العربي الملكي في القاهرة وجهد اعضائه في تهذيب قواعد اللغة وعنايتهم بوضع الفاظ جديدة للمستحدثات العصرية من علمية وصناعية وغيرها مما ادخل على العربية ... لعدم وجود مرادف له في اللغة

وقرأت ايضاً ان المجمع ... سيؤلف معجماً لهذا الغرض وانه شرع ما تواضع عليه اعضاؤه من الالفاظ الجديدة . ولكن ... اطلاع تلك اللغة ولا وقع لطري عنبا ولا ... على ان ... في المهجر ... فكان ... المجمع — اعزه الله وشكر فضلهم — دعوا الى ان في ... رجال ... معاني في ... لا ... ولا يصح ... ويجري ... منهم ... في الوضع وقد يكون منهم ... عنهم من ... الاقطار ... البحث ... مصر ... وصحافة المهجر لا تعرف شيئاً ... تستعمل ما يصح استعماله ولا ... احداً من ... يستعملون ... في ... في ... وهي لا تخلو من مواضع للنقد

... في هذه ... قرأته في المعلم للدكتور بشر فارس عن معجم جديد يشتمل في وضعه المستشرق الشهير الاستاذ فيشر ... وعدد ... والاستاذ ... ونرجو ان يكون معجمه درة المعاجم والحجة لناطقيه في اللغة و... وقد استوقفت نظري العبارات الواردة في ختام المقال الذي نشره الدكتور وهي : —

« وعلى اعضاء مجمع اللغة العربية الملكي ... الى قدره (اي المعجم) فيتعاونوا على ... وعسى ان يواصلوا العمل ... الفصيح انصرفوا الى المصطلح والعامي والدخيل »

... ان حاجتنا الى وضع الفاظ جديدة اشد منها الى معجم لغوي تاريخي للذي ... الاستاذ فيشر وهذه الحاجة هي التي دعتني الى سد هذا النقص فظللت عشر سنوات ونيفاً اواصل الاستقراء والتنقيب والبحث في ما لديّ من المعاجم وأسفار الادب للمتقدمين والمتأخرين للعثور على ألفاظ ترادف ما ادخلته العلوم العصرية على اللغة العربية من الالفاظ العلمية المستحدثة وحين يتعذر علي العثور على لفظة ترادفها ... الى التعريب ... والاشتقاق و... القواعد . ثم احدث من جهة اخرى اجمع ما تيسر لي جمعه من الالفاظ العامية الشائعة في الاقطار

العربية فأوردت كل واحدة الى وجهها الفصيح وبيّنت اصلها في اللغة التي اخذت منها واتبعتها بما يرادفها من مفردات الفصيح . وبلغت بي ذلك حتى اجتمع في موسوعة آلاف كلمة بين دخيلة وعامية رتبتها على حروف الهجاء فكان منها معجم يستعين به الكتاب والانشاء ولا سيما الذين ينقلون بالترجمة من لغة اجنبية الى اللغة العربية . وقد تمّ هذا كله عدت الى الالفاظ الدخيلة فشرحت معناها في لغاتها وما عمل عن تاريخ كثير منها فاصبح هذا الكتاب معجماً وموسوعة في وقت معاً

ثم كتبت الى معالي حلمي باشا وزير المعارف المصرية سعياً بشأن هذا المعجم فتلطف بجواب طلب فيه الي ان ارسل اليه نسخة خطية منه ثم عرضت امور حالت دون ذلك فوقف الامر عند هذا الحد وبقي المعجم عندي معدّاً للطبع

غير ان الناقل مهما بلغ من دقة البحث في هذا الصدد ومهما رسخت ثقته بنفسه فهو لا يخلو من زلة او كبوة ولذلك لا مندوحة له عن عرض ثمرة جهاده على جهابذة اللغة منهم يروون ما فاتني التنبه اليه من مطارح النقد ومواطن المؤاخذة فرأيت ان انشر فيما يلي نموذجاً من نماذج المعجم مقتصراً على الدخيل . فمن رأى من ذوي البصيرة والاطلاع ما اوجب رده فارجو منه ان يهدي الى الوجه الصحيح لكي اتجنب الخطأ قبل مباشرة الطبع وسأثبت اسم صاحب الاصلاح اذا كان في محله وملحوظته فيما يصح ان يكتب عنه

وهذا بعض الالفاظ كما وردت في معجمي الخطي (معجم عتبة)

﴿ appartement ابرتمان ﴾ فرنسية ومثلها الانكليزية والاصل لاتيني من Appartar ومعناها الفصل . والمراد بالشقة في اصطلاح اليوم عرف للنوم والجلوس والطعام وسائر المرافق موضعة لسكنى الاسرة وتكون منفصلة عن مثلها في البناية فسماها عربها بعضهم بالشقة والاصح ان تعرب بالطبقة كما جاء في المصمر

ومن هذا تعيين (الطابق) في قولهم هذه البناية مؤلفة من كذا طابقاً فهو أليق ما يسمى به الرُّوق بالفتح جمعها ارواق كصوت واصوات

والغريب ان اصحاب المعاجم ذكروا في شرح الروق انه شقة البيت التي دون الشقة العليا : ومقتضى ذلك ان الشقة تأتي بمعنى الطابق كما تقدم ولكنك اذا راجعت مادة (ش ق ق) فلا تجد للشقة اثراً من هذا المعنى وفي ذلك من الذهول والسهو ما فيه

﴿ apagar اباغار ﴾ برتغالية معناها الاطفاء . ولكنها في الحقيقة دخيلة على البرتغالية لان اصلها عربي وهو إباخة من اباخ النور اي اطفأهُ

﴿ Éblouissement ابلويسمان ﴾ فرنسية من Eblouir معناها تحيّر النظر كما لو أدام المرء نظره الى الثلج مثلاً . وعربها بعضهم بالسَّدَر مشتقين من سدر اي تحيّر بصره من شدة الحر . على ان

هذه اللفظة لاتؤدي معنى إدامة النظر الى النور والثلج ولذلك عربتها بالعمش بمعنى من قصر الرجل نظره بصره من الثلج او النور ولم يقصد تبيّنا

﴿ Etymology اتيمولوجي ﴾ انكليزية من اللاتينية وهذه من اصل يوناني مركب من كلتين معناهما بحث في اصول الكلمات او حرفيا لمعرفة أصلها عربوها بعلم الاشتقاق فاذ صحت المطابقة ولو من باب الملاءمة فلاصح ان نستغني عن الكلمتين بكلمة واحدة فنقول الشتقة بالكسر على وزان فعالة جريا على القاعدة التي اتبعناها في تعريب كل ما دل على علم او فن او صناعة

﴿ Evolution ايڤوليشن ﴾ انكليزية ومثلها فرنسية أما لاتيني فمجهول كما جاء في معجم الاجنبية . معناها عند الاطباء استمرار الوحدة في مرض عربتها بالتلكعاء وهو كوني للون

﴿ Ethnology اثنولوجي ﴾ انكليزية وفرنسية والاصل يوناني مركب من كلمتين معناهما علم تقسيم البشر الى سلالات او علم السلالات البشرية من جهة اصولها وخواصها التي تميز الواحدة عن الاخرى فلذا ان عربها أما بالاشتقاق فعلوم السلالة بالكسر . وإن ما نحت من مدلولها لسلالات البشرية فنقول سلشة وهو سيلالش Ethnologist ويكون الفعل الجديد سلش

﴿ Udder أُدُر ﴾ قال وبستر في معجمه ان هذه اللفظة انكليزية قديمة ومعناها ضرع البقرة ونحوها وهو خطأ لان الاصل عربي وهو الدَّرُّ من در الضرع فأخذتها الاعاجم بلفظها ومعناها ولكنهم جهلوا اصلها كما ترى

﴿ Ichnology اكنولوجي ﴾ يونانية الأصل مركبة من كلتين معناها علم تتبع آثار الاقدام عربتها بالقيافة وهي في اللغة تتبع آثار الاقدام . وقيف الارض تتبعها والقيّف هو الذي يتبع آثار الناس او آثار الاقدام

﴿ Alternately أُلترنيتلي ﴾ انكليزية من اللاتينية معناها مرة بعد مرة اي عكس التوالي والاستمرار عربتها بالمراوحة . ومثلها الموازنة وهي لا تكون بين الاشياء الا اذا وقعت بينها فترة والا فهي مداركة او مواصلة

﴿ Algar الغر ﴾ ذكر وبستر ولاروس ان هذه اللفظة لاتينية وفسراها بأنها البرد الذي يتقدم الحمى ونقلها الدكتور شرف الى معجمه فاسما في انكليزيتها وعربها بالبرودة والقشعريرة والصحيح ان اللفظة عربية بدليل وجود (آل) في اولها وأصلها القرّ اي البرد نقلها الاعاجم وابدلوا من القاف الحرف G لعدم وجود القاف في لغاتهم

﴿ Elevator اليڤاتور ﴾ انكليزية يقابلها بالفرنسية Élévateur وكلاهما من اصل لاتيني

ومعنى الكلمة مَن اوما يرفع . وهي تستعمل اليوم لآلة كهربائية معروفة يصعد بها وينزل في الابنية العالية المرتفعة وناطحات السحاب . عربها بعضهم بمصعد اسم آلة من صعد

غير ان الآلة المذكورة تستعمل للصعود والنزول فهي غير مختصة بالصعود فقط . وسابها وضعت في الاصل للصعود لان النزول على درج لا يحتاج فيه الى آلة لسهولته . ولذلك ارتأيت ان اعربها بالمِفرعة . يقال فرع الجبل صعده وفرع الوادي نزله فهي جامعة بين الصعود والنزول

﴿ Amalgam مُلغام ﴾ قال وبستر ولاروس ان هذه اللفظة لاتينية الاصل معناها معدن مخلوط بالزئبق عربها بعضهم بلفظها معتمداً تحجيتها فقال مُلغم . والحقيقة انها عربية اصلها الملغم اسم مفعول من الغم الذهب وما شاكله من كل جوهر يذاب خلطه بالزاووق اي الزئبق فهو مُلغم . والدليل على عربيتها وجود (أل) في اولها وقد حذف الاعاجم حرف اللام وأبقوا على همزة أل وسطوها أملغم كما رأيت

﴿ Antipyretic انتيبرتك ﴾ لاتينية الاصل معناه مانع الحمى او مزيلها . عربتها بمُقلِعم من اقلعت عنه الحمى اقلعت . ومن اقوال العرب : داء مقيم ولا يُقلِعم اي يقطع ولا ينقطع وعربها بعضهم بالمعرق وهذا خطأ لان الإعراق يكون في ما لا يصيبك غير مرة كالجدري

﴿ Maquette ماكت ﴾ فرنسية من الايطالية معناها رسم مجسم يكون مصغراً لشخص او شيء كبير كأن تصنع من الصلصال مثلاً قصراً مصغراً لقصر كبير والاثنان على هندسة واحدة . فهذا المصنوع يسمى (ماكت) عربها كتاب مصر بالتصميم وتابعهم كتاب سوريا والمهجر وهو تعريب غريب اذ لا ادري اية صلة بين مدلول اللفظ الاجنبي ومدلول (تصميم) ولذلك عربت الكلمة بالجسمي، تصغير جسماو وهو الشخص . وقد اوردتها مصغرة لتدل على سائر المعنى لان اللفظة الفرنسية مصغرة ام انه قد يقرب من (نجم) الفارسية

واذا رأى اللغويون ان الجسمي ثقيلة على الاذن واللسان فلا بأس من تعريب الكلمة بالماكتة بالتاء المثناة اسم فاعل من مكت بالمكان اي قام ولا يخفى وجه الملامسة بين المدلولين فضلاً عن اتفاق الكلمتين باللفظ

﴿ Neology نيولوجي ﴾ مركبة من كلمتين الاولى لاتينية معناها جديد والثانية يونانية معناها علم . فانت ترى انهم اخذوا من كل لغة كلمة وادغموها معاً . والمراد بها وضع كلمات جديدة للمخترعات والمستحدثات العصرية على نحو ما ترى في هذا المعجم

وفيما كنت افكر في لفظة عربية تؤدي هذا وبحث عن المقصود في مظانه قلت يا ليت لنا في اللغة مادة (نلج) ثم خطر لي ان اقدم الجيم على اللام فيكون لنا افضل مجلّ وهو عربي صحيح ومعناه ولا كما لا يخفى فثبت ان الاستعمال الليق كلمة لتأدية معنى (نيولوجي) ومثلها

لسخافة ولولا الميل [illegible] ان نعرب المحفوظ من [illegible] مقصورة جيم على لازم

كذلك يصح تعريبها [illegible] من [illegible] الاستعارة [illegible] وانفصل

﴿ Geology جيولوجي ﴾ [illegible] الاصل مؤلفة [illegible] الارض و [illegible] لوجي اي علم ودرس ويراد بها اليوم علم طبقات الارض [illegible] المعدنية [illegible] التي تحتوي عليها الارض مع سائر ما يختص بها [illegible] الخارج [illegible] الكرملي بالهلك وهو في اللغة [illegible] كل ارض [illegible] الارض [illegible] كل ارض وما هلك من احشائها

فانت ترى ان التعريب وجيه سديد ولا [illegible] في لفظة [illegible] من الكراهة في السمع ولا سيما متى شئنا ان ننسب اليها فنقول فلان هلكيّ [illegible] باسكيّ

لذلك بحثت عن لفظة اخرى الى ان عثرت على [illegible] في [illegible] الارض فنقول بطريق الاشتقاق المساكة اي علم المسك وهو مساكيّ

ولنا كذلك ان نعربها بالطباقة وهو طباقي او [illegible] الاصطلاحي [illegible] جيولوج وجيولوجيّ او بالنحت فنقول طبارضي منحوتة من (طبقات الارض) وهو طبارضيّ .

﴿ Conserve كونسرف ﴾ فرنسية وانكليزية [illegible] ويراد بها اليوم ما يحفظ في علب [illegible] كالمربيات والمملحات وغيرها من [illegible] اسمها [illegible] تكتبها صحف مصر وسوريا هكذا (كونسروه) [illegible] حسب النوع المحفوظ . فان كان فاكهة كالثمر ونحوه فهو [illegible] او [illegible] عن [illegible] وإذا كان من البقول فهو [illegible] واذا كان من اللحم فهو القديد [illegible] هو [illegible]

وعربها الاستاذ عبد القادر المغربي [illegible] ولكن هذه تصح لما يسمى ([illegible]) ونقلها الفرنسي Macérer من اللاتينية

وعربها الاب انستاس الكرملي بالمحفوظات وهذه عامة مشتركة لا [illegible] الا بذكر المحفوظ والا وقع الالتباس

هذا ما رأيت [illegible] عن معجمي المخطوط [illegible] عليه [illegible] الالفاظ التي اشتمل عليها ولعلي أعود الى نشر طائفة أخرى اذا انست من القوميين ارتياحاً وفسحت لي مجلة المقتطف الاغر مجالاً في صفحاتها. فاذا كان في ما ذكرت او سأذكر ملحوظ او موضع للنقد فالرجاء من القوميين وخصوصاً اعضاء المجامع العلمية اللغوية في مصر والشام ان [illegible] بآرائهم السديدة ولهم الشكر

وهوذا [illegible] رشيد عطية

صاحب جريدة ([illegible])

Rachid Atiye
Caixa Postal 1786
Sao Paulo—Brazil



تصوير عروق العين

لتحقيق الشخصية وكشف المجرمين [1]

عروق العين

ثبت أن بصمة العين البشرية ، أصلح الوسائل التي يتوسل بها الباحثون الى مكافحة الاجرام والاستدلال على شخصيات المجرمين. وقد ورد من نيويورك أن طبيبين من أطبائها المشهورين وهما الدكتوران كربتون سيمون وايزا جولدشتين قاما ببحث مستفيض في هذا الموضوع ، أسفر عن اعلانهما أن عروق الحدقة تؤلف نموذجاً ممتازاً في كل فرد من افراد المجتمع البشري يختلف عنه في غيره من الناس ، كاختلاف خطوط الكف وغضونها في بصمات الكفوف . وتيسر لدى الباحثين الاميركيين ، في اثناء البحث عن الحقيقة (بوساطة آلة مصورة دقيقة ، معقدة التركيب ، اخترعاها لتصوير باطن العين ، والتقطا بها الوفاً من الصور) أنه ما من عينين تتشابهان غيرهما على الاطلاق

وتمهد السبيل الى تصوير العين بتسديد شعاعة من النور الى البؤبؤ ، في باطنها ، حيث يتاح لذلك الجهاز تصوير عروق العين المتشعبة في شكلها ونمطها . وتنقل تلك الصور على لوح حساس مقسم الى مربعات دقيقة لتتجلى عليها الفوارق كل التجلي . ثم تحصى الخطوط الممثلة لرسوم العروق على اللوح اللاقط ، فتدل الباحث على كل نقطة في تلك الصورة ثم توحد الصور السالبة وتقسم اربعة اقسام عامة على حسب اشكالها وخطوط كل على حدتها

وتدل الانباء الحديثة على أن وزارة الحربية في جمهورية الولايات المتحدة ، ودائرة الشرطة في نيويورك ، قد جعلتا تجربان الطريقة المتقدم وصفها لاثبات الشخصية . ولا غرو فان عروق العين لا يمكن تغييرها البتة ، بعكس الوجه والبنان ، اذ المجرم يستطيع تغيير وجهه بعملية جراحية ، وكذلك تشويه أنامله بالاحماض الكيمائية اذن صارت العين هي امضى الاسلحة لمكافحة المجرمين

---

(١) وعدت القراء في جزء فبراير الماضي بمواصلة الكتابة في هذا الموضوع تنويهاً لأثر الاستاذ الفاضل الدكتور محمد عماره الطبيب الشرعي المشهور . وها نحن ذا نستأنف البحث في هذا الباب [عوض جندي]

[illegible]

ولكن [illegible] العامل [illegible]
[illegible] الحد [illegible] في [illegible]
[illegible] كبيراً [illegible]
في تعيين الشخصية ، في حوادث [illegible]
وخطف الاطفال ، وفقد الذاكرة
والانتحارات الصورية . [illegible] في هذا
الصدد الحادث الآتي : —

وُجد من عهد قريب في احد الفنادق
باحدى الولايات الشرقية في جمهورية اميركا
الكبرى ، رجل طاعن في السن منتحراً . واسفر
التحقيق عن أنه كان قبيل اقدامه على [illegible]
[illegible] ، قد أتلف كل شيء يمكن أن يُستدل به
على شخصيته فلم يعثر المحققون على أي دليل في
ملابسه ولا وجدوا بطاقات ، ولا رسائل [illegible]
[illegible] ، [illegible] ان اسمه وعنوانه اللذين سجلا
في دفتر الفندق ، كانا [illegible] . وأن ذلك [illegible]
[illegible] شيئاً واحداً وهو [illegible] . وكانت مكسورة
ومع ذلك تمكن البوليس السري من معرفة
[illegible] كبير [illegible] ، ، مرغماً
يباع فيها كل سنة عشرات الالوف من النظارات .
ومع ذلك قدم أحد الخبراء فيها فحص قطعة
من الزجاج فحصاً مدققاً ، فاستطاع أن يقرر وصفة
النظارة . وازاء ذلك الدليل ، راجع البوليس
السري أسماء الشيوخ الذين اشتروا نظارات من
ذلك النوع حتى وصلوا الى اسم الشيخ المجهول
فحلّوا المعضلة التي كان حلها عسيراً [illegible]

وغدت الادلة التي تتمثل في خدوش

[illegible] في [illegible]
والاد [illegible] الجوهريين
[illegible]

خدوش [illegible]

وحدث في سبيل الاجرام [illegible] الشهادات
الصامتة التي أدتها الخدوش الفولاذية قد
وجهت الباحث الى منهجها . [illegible] في الحادث
الآتي : —

في ذات يوم من أيام أوائل الخريف
[illegible] بعض الملاحين [illegible]
بيترون ميرم — مدينهم — تسيرا وئيداً
في النهر الشرقي بمدينة نيويورك [illegible] جسر
بروكلين ، [illegible] أحدهم في النهر جثة عارية
[illegible] ، وكان [illegible] تصدق [illegible]
في [illegible] التي يمكن
الاهتداء بها الى شخصية القتيل ، غير ان
[illegible] في احدى [illegible] جثة على [illegible]
[illegible] ، وكانت [illegible] . والواقع ان
[illegible] الجوهريين في اميركا يتبعون صوغاتهم
بخدوش [illegible] « صفة » في مواضع خفية في
الاشياء التي يصوغونها ، [illegible] المحقق من
معرفة [illegible] المشتري [illegible] اليهم
وكان الخاتم من صوغ جوهري مشهور من
ارباب المتاجر في الشارع الخامس بمدينة
نيويورك ، وكانت علامة بخدش من ذلك القبيل ،
فاطلع عليها التاجر ، وراجع سجل البيع ،
حتى [illegible] اسم المشتري وعثر [illegible]
من المشتري [illegible] ذلك السفاك الاثيم في اقرب وقت

وتعد الخطوط التي تحدثها صناع الساعات ومصلحوها ... الخطوط أعطيتها عند تصليحها ، على شخصيات أصحابها ... وكذلك ... المحافل الماسونية وعلامات اصحاب الاجرة ، ترشد الباحثين الى معرفة حامليها . ويقوم الخط والشعر وخيوط المنسوجات مقام أدلة على اصحابها

فئات الدم

ويميّز رجال البوليس العصري العلميون ، على الفوارق الدقيقة التي تميز الفرد من غيره . ومثال ذلك الاكتشاف الذي اجراه احد خبراء الدم العصري (في معهد روكفلر بنيويورك) وهو الدكتور كارل لندشتينر الذي نال في سنة ١٩٣٠ جائزة نوبل اذ اكتشف ان خلايا الدم الحمراء التي توجد في شخص ما ، اذا مزجت بمصل دم شخص آخر ، حدث بينهما تفاعل عجيب . اذ تجتمع الخلايا بعضها ببعض على هيئة عناقيد . وهذا هو المعروف عند العلماء بعملية التلبد او الالتحام او الالتصاق ، وسببه تأثير الميكروبات الترياقية أو المدامة التي في مصل الدم في مادة توجد في الخلايا البدنية

ونشأ عن ذلك الاكتشاف تقسيم الدم الى اربعة انواع تتبين باختبار مجرد اختبره حديثاً الكاتب الامريكي جون لودج (منشيء هذا المقال) بنفسه اختباراً عاجلاً ، وذلك في المعمل الكيماوي بمستشفى ... بكليفورنيا حيث قامت احدى الممرضات بوخز شحمة أذنه اليمنى بإبرة طبية ... فصدت سائل منها ثلاث قطرات من الدم فمزجتها بمحلول ... يمنع تجمدها . وبعد ... امرت الممرضة عينها ان وضعت ذرات من الدماء على شريحة زجاجية من شرائح الاختبار محتوية على ثلاثة انواع من المصل بمثابة امزجة دقيقة . وسرعان ما شاهد الكاتب الامريكي جسيمات دقيقة تشبه حبوب الفلفل الاسود ، جعلت تظهر في باطن دائرتين من الدوائر ، على حين لم يظهر شيء في الدائرة الثالثة ، فكان ذلك دليلا على ان دم ذلك الباحث من النوع الذي يمثله المصل الثالث لا من النوعين الاول والثاني اللذين بدا فيهما التلبد . ويحتاج الفحص الى ثلاثة انواع من المصل . هذا وبعد الامتحان لثلاثة عينات ، عرف الخبير ان الدم من النوع الرابع

تبرئة متهم بها

وسنرى من حادث القتل ، الآتي تفصيله ، كيف يقوم هذا الاختبار بمهمته اسطعة في تحقيق الشخصية في دوائر البوليس :—

عثر البوليس على قتيل مطعون طعنة نجلاء افضت الى موته . واتهم بقتله صديق قديم من اصدقائه ، فأثبت للمحققين انه يعرف القتيل حقاً ولم ينكر انه كان قريباً من المكان الذي وقعت فيه الجريمة . وسلم بأن بقع الدماء التي وجدت على ثيابه كانت دماء بشرية ، وان سكين المائدة الطويلة ، التي وجدت في داره ملوثة بالدم ، سكينه . فكانت جميع تلك الادلة مما لا يترك مجالاً للشك في كونه الجاني

وتتلخص ... نتيجته ذلك المتهم (...)
يكون ... بينما كان ...
وان الدماء التي لوثت سكينه ، ...
من يده . ولكن لم يصدق تلك الاقوال الا
نفر ... أما سائر الناس فكانوا
معتقدين انه ... الحقيقي . ولولا اكتشاف
الدكتور كارل لندشتينر الذي أنقذه من
الاعدام على الكرسي الكهربائي

وذلك ان الخبراء حينما فحصوا بقع الدماء
في القميص ... ادركوا كونها من ... الفئة
الدموية الثانية ... (...)
الاميركي ... ونوع الدم الذي في عروق المتهم
السجين ... وان نوع دم القتيل يختلف
عنه في ... المزعوم اختلافاً كلياً ...
الفحص ... الذي استغرق بضع دقائق ،
استطاع ... ذلك الصديق وتخلية سبيله

حل مشكلة الابوة

وقد شرعت ... المحاكم الاميركية ، من حين
قريب ، في ... بطريقة لندشتينر الى
اثبات بنوة ... التي تنازع عليهم الوالدون و...
... في كل حادثة من ثلاث
حوادث ان ... عزي اليهم انهم آباء
لاولاد غير شرعيين كانوا ابرياء لان انواع
دمائهم وجدت مختلفة كل الاختلاف عما في
اولئك الاطفال

ومن ذلك القبيل الحادث الغريب الذي
وقع في احدى الولايات الغربية الوسطى
المتحدة : وهو ان احدى المرضعات عهد
اليها في ... طفل فاتهمت ... رضيعها
... صوراً للحقيقة ... المرضع
بينما كان ... المزعوم في داره ... الفحص
في ... يدل على ... الطفل
لم يكن ... فلم يسع المرضع الا الاعتراف
بجريمة الاستبدال وعادت الرضيع الى ابويه
الحقيقيين

ومع ان تلك القاعدة العلمية بفحص الدم
ثمرة مباحث ... الحديثة ، فتوجد تجارب
مشهورة من قرون ، ولكنها مبنية على
الخرافات ففي بلاد اليابان مثلاً ، اذا ادعى
شخصان القرابة ، احدث من شريان كل
منهما قطرة دم . وأريقت في الماء . فاذا سال
الدم بعضه مع بعض ، اعتقدوا انهما قريبان
حقيقة . واذا ادعى احدهم القرابة لميت ،
احدث قطرة من دم المدعي وأهرقت على
عظمة من الهيكل العظمي لذلك الفقيد ،
فاذا اخترقت العظمة ، وتمدد ... ،
ثبتت دعوى القرابة بينهما

طريقة زنغستر

وجد حديثاً ... من المانيا دل على اختراع
وسيلة جديدة من كل الوجوه ، لتمييز انواع
الدماء ، بعضها من بعض وذلك ان العلامة
زنغستر الاستاذ بجامعة كونغسبرج ...
الامراض النسائية ، اخترع جهازاً كهربائياً
دقيقاً يقوم بذلك الفحص اذ تطلق منه شعلة
مخروطية الشكل في زجاجة رقاقة كعين الهرّة
وفي جهاز علوه يتصل الدم ايضاً ويوضع مجاهر

فوتومتر حسّاس « مقياس لشدة الضوء » ، يتوسل به الفاحص الى المقابلة بين قوة الاضاءة المحرقة الرسمية وبين قوتها التي تتخللها المصل وهذه تختلف باختلاف حجم وعدد الدقائق الزلالية التي يحتويها المصل وعلى ذلك المنوال يستطيع الجهاز حالاً ، بالارقام التي تسجل على مبيانه ، تمييز دماء الاشخاص المختلفة بعضها من بعض

اظفار الاصابع

ومن المستحدثات العلمية التي يرجى لها مستقبل باهر في تحقيق الشخصية ، اظفار الاصابع البشرية وذلك انه متى حميت الاظفار بمحاليل من الزيت الخفيف الشفاف ، تجلت الانابيب الدموية الشعرية الدقيقة التي تتخللها وذلك بوساطة الميكرسكوب ، على شكل شولات الكتابة (، ، ،) ويدل اختلاف اشكالها على حقيقة الشخص وهذا الامتحان يميز الطفلان التوأمان المتشابهان الواحد عن الآخر وقد تكون هاتيك الشولات حتى في هذه الحالة مشابهة بعضها لبعض تشابهاً مدهشاً اما في التوائم العادية فان تلك النماذج تختلف اختلافاً عظيما في تنسيقها اذ تختلف التركيبات والادمان الملتوية المؤلفة لها ، عدداً وحجماً

حديث البصمات

ومما لا مراء فيه ان الطريقة الفذة الحالية المألوفة لتحقيق الشخصية هي بصمات الاصابع فقد شاعت في جميع انحاء العالم ومثلها طريقة بصمات الكفوف والاقدام وفي كثير من مشافي امريكا ، تلتقط بصمات اصابع الوالدة وبصمات اقدام وليدها وذلك على قطعة ورق تسمى « بطاقة » وتحفظ في جناح الولادة بالمشفى لتدل على شخصيته عند اختلاطه بغيره من المواليد ومن الوسائل المستعملة حديثاً ايضاً لتحقيق شخصيات الرضع ، طبع ارقام على جلودهم باشعة خفية غير مهيجة للجلد ، تنبعث من مصابيح الاشعة فوق البنفسجية ومنذ بضع سنين قامت بصمات الاصابع ، وبوساطة الحظ المدهش ، بكشف القناع عن انتحار صوري مدبر وذلك في احد المنتزهات الشرقية : —

عند انتهاء احد ايام الآحاد الكثيرة الزحام كان الخدم في شاطيء (فارروكاوي) بنيويورك يعملون في تنظيف ، كذلك الحمامات ، فعثروا على ثياب رجل معلقة في احدى الغرف ، فخيل لهم انها لشخص غريق او منتحر غرقاً ، فاستدعوا رجال البوليس ففتشوا الثياب فعثر في احد جيوبها على بطاقة تحوي عنوان اسم المنتحر ، فدلت على شخصيته وانه كان مؤمناً حياته على مبلغ كبير من المال ولكن المحققين ما لبثوا أن شكوا في هذه الواقعة وانقضت اسابيع في البحث عن ذلك الرجل المفقود دون جدوى وحدث في ذلك الحين أن دهمت سيارة أحد المارة في شارع من الشوارع الكبرى بمدينة مونتريال بكندا ، فسقط على الارض مغمى عليه فنقل الى احد المشافي ليسعف بالعلاج حيث شرعوا يفتشون ملابسه ليعرفوه فعثر رجال

البوليس في حججهم به على ورقة من صحف د استدلوا بها على كونه الشخص المقصود من جهة فاررو كا واي. واخذت بصمات اصابعه فتبين لهم أن اوصاف الرجلين متشابهة كل الشبه واثبتت شخصيته من دون اي شك فلم يسعه الا الاعتراف. وكونه كان يحمل معه الى مائدة البحر بدلتين، فترك احداها في الكشك الملق، كجزء من حيلة مدبرة تخدع بها شركة التأمين على الحياة فيصرف سهامها لتأمين المعقود عليه معها

اساليب اخرى

ولما كان حديث بصمات الاصابع ذا شجون فقد أعلن احد الخبراء في احدى الولايات المتحدة انه قد اكتشف حديثاً طريقة لحقن مواد كيماوية خاصة في مسام الاصابع يحصل بواسطتها على بصمات مستوقة من الاجسام التي تكون قد لمست بلا دون عدة ايام وقد يقوم شكل الرأس او الاذن او الانف وغيرها من المميزات الفطرية والوراثية دليلاً امام المحاكم لاثبات الشخصية بين المتهمين ومنذ ثلاث سنين أعلن الدكتور نيوتن كيلر (الباحث في الاجرام والمجرمين في نيويورك) في مجلة العلم العام الاميركية نظاماً لتقسيم الآذان البشرية الى اقسام مختلفة وقضى في هذه عشر سنين التقط في خلالها صور ألوف من الآذان وقابل بعضها ببعض. وقد بنى العلماء ورجال البوليس على ذلك الاساس مجهوداتهم ففي جامعة نرموث جمع الاستاذ هنري ف. ركس عادج

ومع ان وراثة الصفات الى آخر الطوائف بحسب غيرتها في قوائم ويحصها توارثه العائلات جيلاً بعد جيل. ثم ان ر ن لون البشرة وعدد الشعر البشري وتموجه، مميزات مباشرة للدلالة على الشخصية وبعض الخبراء عند المقابلة بين الوان العيون خريطة خاصة تحتوي على اربعين لوناً، من الازرق والسنجابي والاسود وكلها تتراوح بين الاشقر والاسود فالولدان دون لون الزرق او رثية لنقدرة الى الخصاب الاسود كل الاقتدار لا يحصلون ابداً ولاداً سود لعيون وقد تدل لمعالم والاسنان على شخصية الفقيد وفي دائرة البوليس بنيويورك مئات من الخرائط السنية كثير منها دلت على اشخاص غائبين في شتى الحوادث حينما سقطت سائر الوسائل

[مجلة العلم العام] عوض جندي

●

اذا تعبت فكل

أيتسلط عليك شعور الاعياء في الصباح او بعد الظهر فتحس انك قليل الصبر سهل الاستثارة معرض للخطأ في عملك ولو كان طريقه معبداً

قد يحدثك ان تعزو انك في هذه الحالة متعب تعباً عصبياً ولكنك جائع وان علاجك ليس في الراحة بل الاكل

هذه هي النتيجة التي اسفرت عنها مباحث الاستاذين هجرد وغريشرح من جامعة يايل بعد ما دامت بضع سنوات في بحث «التعب الصناعي» من ناحية صلته بالمواعيد التي تأكل فيها لامر

ماحية صلته بما نأكل ومقدار ما نأكله

والرأي العام الذي توصلا اليه هو انه اذا كنت ممن يصابون بشعور التعب والاعياء فتناول طعامك خمس مرات او ست مرات في اليوم بدلاً من مرتين او ثلاث مرات

الغالب ان هناك ثلاثة اعتبارات مسيطرة على عادتنا في تناول الطعام. اولها اننا يجب ان نأكل عند ما نجوع والثاني ان الشهية او لذة تشتد عند ما نجوع والثالث اننا يجب ان نريح المعدة بين طعام وطعام

ولكن الباحثين ميرد وهريس مزعاً صحيح هذه الاعتبارات بالمباحث الدقيقة التي قاما بها

***

وقد اجرى هذان العالمان تجاربهما على ٣٠٢ شخصاً تتفاوت اعمارهم من اربع سنوات الى اربعين سنة منهم ٦٣ تلميذ مدرسة و ٢٠ طالب جامعة و٥ بوابين و١٠ كتاب بالمكتبات و٤ كتاب و٨ معلمين و٨٨ عاملاً يعملون عملاً يسيراً و١٥ عاملاً يعملون عملاً مرهقاً وكان ٢٣ من هؤلاء يتناولون الطعام مرتين في اليوم و١٣٥ منهم يتناولونه ثلاث مرات في اليوم و٣٨ منهم يتناولونه اربع مرات في اليوم و١٧ منهم يتناولونه خمس مرات في اليوم

وقد قاس الباحثان ما يطرأ على عضلاتهم من التغير في نشاطهم كل ساعة من ساعات النهار

ونتيجة البحث تدل على ان نشاط العضلات يتوقف على طول الوقت الذي انقضى بعد آخر طعام تناوله صاحبها

فلما نوقشت النتائج ظهر منها ان الذين يتناولون الطعام مرتين في النهار في الظهر والمساء اي من دون طعام الافطار كان نشاطهم العضلي على احطه في الصباح الى الظهر ثم يزداد بعد طعام الظهر وان الذين يتناولون الطعام مرتين في الصباح والمساء يكون نشاطهم العضلي عالياً بعد طعام الصبح ثم يضعف رويداً رويداً فاذا تناولوا طعاماً في الظهر عاد نشاطهم العضلي الى الارتفاع بعد الهبوط

ثم ان الذين يتناولون الطعام ثلاث مرات في النهار ثبت ان نشاطهم العضلي يزداد زيادة محسوسة بعد طعام الفطور ثم يضعف رويداً رويداً حتى الظهر ويعود فيزداد بعد طعام الظهر وهكذا

وكان الذين يتناولون الطعام اربع مرات في النهار طائفتين طائفة تتناول طعاماً بين الفطور والغداء وطائفة تتناول طعاماً بين الغداء والعشاء. وفي كلتا الطائفتين ثبت ان نشاطهم العضلي يزداد بعد الطعام الاضافي في الصبح والظهر ومما يبعث على الاستغراب ان اثر الطعام الاضافي الذي اكل بين الغداء والعشاء في زيادة نشاط العضلات كان اكبر من اثر الطعام الاضافي الذي اكل بين الفطور والغداء

اما الذين يتناولون الطعام خمس مرات في اليوم فكان متوسط نشاطهم العضلي في اليوم اعلى جداً من متوسط احوالهم الذين خضعوا لهذه التجارب

البلهارسيا بين الحموضة والقلوية

منذ نحو اربعين سنة كان نحو ٣٠٠ مليون من سكان بلدان الشرق الاقصى — بحسب قول رسالة العلم الاسبوعية تاريخ ٣ مايو ١٩٣٦ — مصابين بالبلهارسيا المتلفة احياناً والمضعفة دائماً ولكن عدد المصابين بها نقص الى النصف الآن والمناطق التي كانت تكثر فيها جنوب الصين اي في اليابان وما يتبعها اصبحت خالية منها او تكاد اي ان الوقاية منها اصبحت خاضعة لاساليب العلم والصحة

ومن نحو اربعين سنة كان الدكتور بول بارتش احد علماء المعهد السمثسوني الاميركي معنيًّا بدرس القواقع في نهر البوتومك وروافده القريبة من العاصمة وشنطن . فوجد ان القواقع في النهر تختلف عن القواقع التي في الروافد مع انهُ لم يكن هناك اي حاجز طبيعي يمنع اختلاط قواقع النهر بقواقع الروافد

وبعد بحث دقيق وجد التعليل في حموضة ماء الروافد وقلوية ماء النهر . فماء النهر أميل الى القلوية وماء الروافد اميل الى الحموضة وبعض انواع القواقع يفضل هذه الواحد حال كون بعض الانواع الاخرى يفضل ذاك الآخر فكأن حاجزاً كيماويًّا كان قائماً بين قواقع النهر وقواقع الروافد يمنع الاختلاط بين النوعين

ولكن ما صلة ذلك بالبلهارسيا والشرق الاقصى ? هذا المرض يسببه كائن يتطفل على القواقع نوعًا ثانويًّا وهذه القواقع التي يتطفل عليها تفضل ان تعيش في ماء مائل الى الحموضة . وزراع رز كانوا مصابين به عند سيرهم حفاة في مزارع الرز المغمورة بالماء

فعمد اليابانيون الى تحقيق الدكتور بارتش واستعملوه سلاحاً لمكافحة هذا الداء او بالحري للوقاية منهُ وذلك بجعلهم الماء قلويًّا بوضعهم مقادير من الجير على الصفات فالسيطرة على البلهارسيا من هذه الناحية — تقول رسالة العلم — اسهل من السيطرة على الملاريا

•

اكتشاف التسمم بالراديوم

ذكر الدكتور روبلي ايفانس احد علماء معهد مستشوستس التكنولوجي انهُ قد اتقنت الآن وسيلة اشد احساساً من الوسائل القديمة لمعرفة مقدار الراديوم المتجمع في اجسام الناس الذين يتعرضون لاشعته او المرضى الذين يشربون ماء فيه آثار بصخور راديومية فيحمون بذلك دون تسممهم بالراديوم

•

مكافحة السرطان

تدل المباحث الحديثة في تيارات النوترونات (وهي دقائق مادية كل دقيقة منها بوزن ذرة الايدروجين ولكنها محايدة الكهربائية لذلك يصح تسميتها بالدقائق المحايدة) تقول ان المباحث الحديثة تدل انها اشد فعلاً من اشعة اكس في اتلاف النواحي الحيوانية ولذلك يظن انهُ لا تمضي اوقات قبل ان يستعملها الطب في مكافحة السرطان على نحو ما يستعمل الراديوم الآن



اسباب الحملة المصرية

على سورية ١٨٣١ — ١٨٤١ (1)

هذا الكتاب اثر من آثار فضل الملك فؤاد الاول على العلم. فقد اتاح جلالته للدكتور اسد رستم استاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية الاطلاع على الوثائق التاريخية المحفوظة في قصر عابدين، فجمع منها في هذه الرسالة ما كان خاصًّا بأسباب الحملة المصرية على سورية بين سنة ١٨٣١ و١٨٤١ وقد قدَّم لمجموعته بكلمة عن مجموعات قصر عابدين قال فيها ما ملخصه

يحتوي قصر عابدين على مجموعتين من الوثائق وقد وجد المؤلف فيها مما يختص بالحملة المصرية على سورية ١٠ الف وثيقة. ولما كانت هذه الرسالة تختص بأسباب الحملة السورية فقد قصر النظر على الاوراق الخاصة بالسنوات الثلاث الاولى (١٨٣١ — ١٨٣٣) ودرس كذلك خمسة سجلات تحتوي على اوامر صادرة من محمد علي باشا ومذكرات من بعض رجاله الى بعض مقدمي الجيش المحتل وعثر على معلومات ثمينة في المحفوظات المصرية الموسومة « بحر برا » وفي سجلات المجلس الخديوي هذه الوثائق تتناول موضوعات مختلفة وهي تحتوي على رسائل حربية وبحرية وادارية ومنشورات عسكرية وخطط للمعارك وتقارير سياسية ورسائل جواسيس ومذكرات يومية وما التقط من خطابات العدو ومعظم الوثائق موقع من محمد علي باشا او من ابنه ابرهيم باشا وبعضها موقع من عبدالله باشا (عكا) واحمد خلوصي (الاستانة) وعلوش باشا (دمشق) واحمد منكلي باشا (اوردة الفرسان) والامير بشير الشهابي الثاني ومحمد شريف باشا وعثمان نور الدين بك (الاسطول المصري) وغيرهم وليس يتطرق الشك الى صحة هذه الرسائل فورقها والحبر الذي كتبت به هو ورق النصف الاول من القرن التاسع عشر وحبره

وبعد التمهيد الذي اوجزناهُ فيما تقدم عمد الدكتور رستم الى تبويب الوثائق الخاصة بأسباب الحملة تحت عنوانين. اما العنوان الاول فالاسباب الرسمية واما العنوان الثاني فالاسباب الحقيقية ولم يكتفِ في هذه الرسالة بنشر الرسائل التي عثر عليها، كما فعل في بعض المراجع التي نشرها قبلاً، بل درس هذه الوثائق درساً دقيقاً واستخلص منها اهم ما تنطوي عليه وساقه في كلامه شأن المؤرخ الثبت مستنداً في كل قول الى الوثائق التي راجعها ذاكراً كل الاوصاف التي تمكن الباحث من سهولة مراجعتها في محفوظات عابدين ولم يقتصر في استناده الى محفوظات عابدين بل استند كذلك الى امهات المؤلفات الاوربية والعربية الخاصة بهذا العصر

(1) The Royal Archives of Egypt and the Origins of the Egyptian Expedition to Syria 1831—1841

لا ريب في ان التاريخ لا يمكن ان يكتب على وجهه الاوفى الاّ بعد ان تنشر الوثائق وعندنا ان الدكتور رستم قد خطا برسالته هذه خطوة طيبة على طريق كتابة تاريخ الشرق الادنى في عهد محمد علي ، وهو العصر الذي توفر على درسه ، بعد ان قام بنصيب وافر من نشر الوثائق في كتبه ورسائله السابقة . وانها لخطوة موفقة تتلوها خطوات انشاء الله

١ — شوقي على المسرح

تأليف ادوار حنين — ٩٤ صفحة من القطع المتوسط — طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت —
يطلب من مؤلفه ... ثمنه ... ٥٠ قرشاً

دُرِس شوقي كثيراً في حياته وفي موته من ناحية الالفاظ والمعاني غير ان رواياته التي طلع بها على العالم العربي في سنيه الاخيرة لم يتقدم واحد من الادباء لدراستها من الناحية الفنية الروائية وهل افلح شوقي فيها أم أخفق

وقد قام الاستاذ ادوار حنين أحد أعضاء ندوة الاثني عشر في بيروت بجمع المقالات التي نشرها في مجلة « المشرق » في كتاب صغير رتّبهُ في هذه الناحية دارساً وجوه الفن الروائي فيما اخرج شوقي مشرّحاً كل رواية ليتبين مبلغها بهذه الوجوه محلّلاً مواقفها تحليلاً دقيقاً يدعو الى الاعجاب والتقدير حتى انتهى الى الحكم بأن شوقي « حلّق في الشعر وهوى في التمثيل وهذا طبيعي عند امثال شاعرنا لان التمثيل يتطلب درساً . والتمثيل يتطلب ممارسة واسعة ، والتمثيل يتطلب وقتاً للتأليف وعملاً جدّياً وجهداً قويّاً . وشوقي لم يكن من اصحاب الدرس والمطالعة والصقل والصبر فأحسن حيث نظم من محفوظه عفوية وسرعة ، وأجاد حيث أحسن ولذلك فقيت له مرتبةُ الرفيعة بين الشعراء النابغين وهذه روايات شوقي التمثيلية ان كان لها من فضل على شهرة صاحبها ففي انها استعرتهُ في بعض المواقف الغنائية الى نظم قصائد يمكننا ان نعول عليها في إنما دعامة شهرته الغنائية »

واستهل المؤلف بحثهُ بمقدمة قيّمة عن التمثيل العربي هي وحدها كتاب قائم بذاته عن تاريخ التمثيل مبيّناً الاسباب التي وقفت بالعرب دون تأليف الرواية أو نقلها فيما نقلوا عن اليونان

وقدّم الاستاذ فؤاد افرام البستاني أستاذ الآداب العربية في جامعة القديس يوسف هذا الكتاب بكلمة عن شوقي شاعر عصره ومتكلم جيله حلّل بها شخصية شوقي على ضوء عصره أروع تحليل في لمحات مقتضبة . ولعل هذه الكلمة التي توّجت هذا الكتاب تحدو الاستاذ فؤاد الى الحاق ادباء العربية ببحث في شعر شوقي من ناحية فنونه الشعرية وصياغته النظمية ومميزاته الخاصة لتكون نهجاً لدراسات قيّمة بهذا الاسلوب الجميل . ولعلّ الاستاذ أدوار يفي بوعده قريباً في دراسة شوقي من ناحية شعره الثاني بنفس طريقته التي نجح فيها في هذا الكتاب

٢ — وراء البحار

بقلم محمد أمين حسونة — في مائتي صفحة من قطع الثمن — طبع مطبعة الشمس بمصر

محمد أمين حسونة قاص بارع . أصدر منذ عامين مجموعة من قصصه سماها « الورد الابيض » فتلقاها عالم القصة بالترحيب ذلك لاسلوبه الرشيق ودقته . اما كتابه الجديد « وراء البحار » فهو وصف ودراسة لما شاهده في رحلة قام بها في العام الاسبق الى اليونان وتركيا وممالك اوربا الوسطى ولكننا لا نمر فيه بما اعتدنا قراءته في كتب الرحلات لان مؤلفه كتبه بنفس اسلوبه في القصة ولوّنه بنفس الالوان والظلال التي سكبها على قصصه فهو يستعصي بفكر الباحث ويكتب بروح الشاعر . وفي الكلمة التي نقتطفها مما كتب عن رومانيا — بلاد الموطف والحنان — صورة لاسلوب المؤلف « لاحت مدينة كونستنزا عروس البحر الاسود في هدأة الفجر الجميل راقدة تحت اشعة الفنار المتلألئة واضواء القمر الكابية كأنسة سوداء تتأبى على صدر امير خيالي من أمراء ألف ليلة وكانت الليلة التي قضيناها في البحر الاسود من أسوأ الليالي التي مرت بنا عواصف تزمجر فاغرة فاها لابتلاع السفين ، وامواج تصخب وتزأر (تعوي) كذئاب كاسرة تلهث متضورة جوعاً وتتبعنا بعد أن عضها الجوع وأضواها ، ورياح عاصفة تضرب جوانب السفين كسياط من حديد ، ونفوس واجفة تزجي رحمة الرحمن فلما اوشكنا ان نقرب من اليابسة بعد ان مررنا بفنار كونستنزا الذي كان يوزع اشعته في هدوء الفجر كخيوط من النور شعرنا جميعاً ان الله استجاب دعاءنا فأنقذنا من غول البحر الاسود ، وبرزت المياه امامنا كأنها فاتحة ذراعيها لتضم السفين اليها ، واحسسنا احساس طفل عاد الى امه بعد ان ضل طريقه في غابة كثيفة مملوءة بالرعب والمخاطر »

هذه صورة لاسلوب هذا الكتاب فلعل مؤلفه الفاضل يتحفنا بكتابه عن رحلته الثانية فنحن في حاجة الى كتب الرحلات التي تعطينا صوراً صادقة من الحياة الغربية في ادق نواحيها

٣ — العصبة

مجلة أدب وفن ، تصدرها في البرازيل العصبة الاندلسية في مائة صفحة [illegible]

اشتراكها [illegible] وعنوانها Caixa Postal 1912, S. Paulo (Brazil)

صدرت في نيويورك قبل نشوب الحرب العالمية مجلة الفنون ، وكانت في جدة موضوعاتها والتفنن في طبعها مفخرة الصحافة العربية في المهجر ، فصارعت احداث في مصر وسوريا ثم قضت عليها الحرب بعد أن نقلت الى العالم العربي نفحات طيبة من زهرات عصبة طلعت بواكير العمل في تلك البلاد النائية حتى كوّنت من نفسها باقة جميلة هي الرابطة القلمية التي تفرق شملها

بعد موت جبران فاصبحت دعامة تلك الحركة المباركة في اميركا شهدنا فيها حيوية حيث بدأ نسيب عريضة والشدى لقصيّ يعوجان من بلد الى بلد ضمتا عارضة لترويح وزارته وهجمات انسانية الملوية لقصة نوري وشفيق ومبشيل نعيمة ، ورشيد ايوب وحياة وعقل وسكر الله الجر والخوري الصمير وسمعان وقربان ورملائهم ودراسات حبيب مسعود وبطرس سعد وباقي افراد الجيّة التي تكوّنت منها فيما بعد « العصبة الاندلسية » وجعلت مبدأها الاول تحرير الادب العربي في المهجر بمختلف الوسائل واتحاد الصلات الطيبة وتوثيق ربط الولاء بينها وسائر اندية الادب العربي ومكافحة التعصب وتمحيص العقائد ومحض التقاليد التي تنافي روح العصر وتؤدي الى الجمود الفكري

وقامت هذه الجماعة التي انتظمتها العصبة الاندلسية وترأسها ميشال نعمان معلوف باخراج مجلة عالية في مباحثها الادبية والعلمية والاجتماعية والتاريخية وفي طريقة اخراجها واتقان طبعها ، هي مجلة (العصبة) وقام على ادارتها وتحريرها كاتب بعدُ في الطبقة الاولى من كتّاب أسلوباً وتفكيراً هو الاستاذ حبيب مسعود . وقد صدرت عامها الاول وأوشك ان ينتصف عامها الثاني دون ان تحيد عن خطتها المرسومة في تمحيص ما تنشره او النزول عن مستوى الغاية التي تحافظ بها وبخطة واحدة يدرك عظم التضحية التي تبذل من أجل قيامها والسير بها في طريق النجاح . مدّ الله في أجلها وقوّى عزيمة هذه الجماعة التي عززت الادب العربي في مهجرها فاعتز بها في موطنه

حسن كامل الصيرفي

سكان هذا الكوكب

تأليف الدكتور محمد عوض محمد — سلسلة المعارف العامة — لجنة التأليف والترجمة والنشر

كان قرّاء اللغة العربية في حاجة الى هذا الكتاب فقد اطلعوا على فصول متفرقة في المقتطف وغيره من المجلات تناول فيها كتّابها ترجمة وتلخيصاً ، موضوع اصل الانسان ونشأته ووطنه الاول ، وموضوع ازدحام السكان وعلاقة ذلك بتطور الاجتماع والاقتصاد ، واسم ذكر مالتوس واليوجينيه ومن قبلها وعلمها ، ولا ريب انهم اطلعوا على بحث مشتتة في المواليد والوفيات ، وما يصيب السكان من اثر في احداث الهجرات والحروب ، وتأثير الاقاليم في السكان والصناعات . ولكنهم كانوا ولا ريب في حاجة الى كتاب يجمع شتات هذا الموضوع المتشعب الذي يتصل بالتاريخ والجغرافية من نواحٍ وبعلم الحيوان وعلوم الحياة من نواحٍ وبالاجتماع والاقتصاد من نواحٍ اخرى

وها هو ذا عالم راسخ العلم ، واديب وشيق القلم ، قد قام بهذا العمل على احسن وجه ، فكتابه يتناول جميع هذه الموضوعات وما يتصل بها تناولاً منتظماً ، في اسلوب أتمّ ما يكون سهولة وسلامة واغراء . فهو يرضي العلماء لانه تلخيص حسن لاهم ما يقال في هذا الموضوع وهو يرضي من لم

يلمّ به كذلك لما يحتويه نفسه من حسن الاختيار وحسن السياق . وبمثل الفقرتين اللتين افتتح بهما الكتاب ، ومهّد بهما الى بحث نشأة الانسان ، يمكن تقديم نموذج للقارئ للدلالة على أدب العالم او علم الاديب

«اصبح الانسان وقد اتخذ من الارض كلها داراً . ومن كل اقليم وطناً ويوشك ألاَّ يكون في الكائنات جميعاً : حيوانها او نباتها ، ما هو اوسع انتشاراً ، واكثر ضرباً في مناكب الارض من الانسان . سكن الجبال على وعورتها وشدتها واستوطن الصحراء على قلة مائها ومرعاها ، واستطاع ان يعيش وسط الغابات الكثيفة وتحت الشمس المحرقة ، وان يتخذ حتى من المستنقعات وطناً يعيش فيه ، ولم يرتد حتى عن الاقطار القطبية ذات الزمهرير القارص والظلام الدامس والشتاء الذي يبعث الرعب في القلوب . لم يبق الانسان رغم هذا كله ، بل استطاع ان يتخذ لنفسه في كل اقليم داراً ، وان يجعل من كل بيئة وطناً

«ولكن اي هذه الاوطان هو الوطن الأول ؟ ... اين الوطن الاول لهذا الكائن الذي يملأ اليوم هذا الكوكب ، والذي اصبح له اليوم الف وطن ؟ انه من غير شك لم ينشأ في كل هذه الأوطان مرة واحدة ، ولم تكن له نشآت مستقلة متعددة في جهات متفرقة . انه لا يمكن ان يخالف الانواع جميعاً بحيث تنشأ منه في آسيا سلالة وفي افريقية سلالة أخرى ، وفي اوربا سلالة ثالثة . نعم وجد بين علماء الانثروبولوجيا من قال بأن للانسان نشأتين مستقلتين ، محاولاً بهذا ان يفسر اختلاف الاجناس في الوقت الحاضر وخصوصاً اختلافها في شكل الرأس . ولكن هذا الرأي اذا استطاع ان يوصلنا إلى حل مشكلة واحدة ، فانهُ يثير امامنا مشاكل اشد منها واكثر تعقيداً ، ولهذا لم يلبث ان نبذه الباحثون نبذاً تاماً . ويكاد ألاَّ يكون بين كتّاب اليوم كاتب واحد ذو شأن يقول بهذا الرأي . وفي وسعنا أن نقرر في اول بحثنا هذا ان نشأة الانسان واحدة وان سكان الارض جميعاً — مهما اختلفوا فيما بينهم ، في صورهم وأشكالهم ، وفي مذاهبهم ولغاتهم وأيّاً كان وطنهم اليوم ، او مساكنهم بالأمس ، او مثواهم في الغد — فانهم جميعاً ينتمون الى نوع واحد ، وان هذا النوع نشأ وتكوّن في ناحية واحدة من سطح الارض ، ودرج ونما في وطن واحد ، ثم انتشر من هذا الوطن الى سائر الانحاء والبقاع ، ولهذا جاز لنا ان نتساءل أين كان الوطن الاول ؟ »

اما ابواب الكتاب فاربعة كل منها ثلاثة فصول الا الثالث فانهُ اربعة فصول . فموضوع الباب الاول نشأة النوع البشري وتكوين الاجناس . وموضوع الباب الثاني قواعد توزيع السكان وموضوع الباب الثالث : النواحي الاجتماعية لتوزيع السكان . وموضوع الباب الرابع حالة السكان في بعض الاقاليم . والكتاب يشتمل على خرائط وصور ورسوم كثيرة مبالغة في الايضاح

الكيمياء العامة

تأليف سليم كاتول — استاذ الكيمياء والطبيعيات في الكلية العربية بالقدس — صفحاته ١٩٨

طريقة هذا الكتاب تعلم الكيمياء بالعمل أولاً ثم استخراج الاحكام عامة من الاختبارات او التجارب التي يجريها الطالب، وهذه الطريقة اقدم وافعل في ترسيخ مبادئ الكيمياء في ذهن الطالب من تلقينه الاحكام الكيميائية وتعريفات ألفاظها اولاً ثم اجراء تجارب فيها مرة كل اسبوع

فتحنا الكتاب اتفاقاً عند الصفحة ١٧ فوجدنا موضوع « ذوبان الجوامد في الماء » مبسوطاً كما يلي : اختبار ١١ — اذا عملت محلولاً مشبعاً لملح نترات البوتاسيوم في درجة الحرارة العادية ثم بخرت حجماً معلوماً منهُ واستخرجت مقدار الملح الموجود في ١٠٠ س^3 منهُ ثم اعدت العمل عدة مرات لتعلم قابلية ذوبان هذا الملح في درجات مختلفة يمكن ان تمثل بالرسم البياني (٧) كمية الملح التي تذوب في ١٠٠ غرام من الماء في درجات الحرارة المختلفة . ستنتج من الاختبار السابق

(١) قابلية معظم الاجسام الصلبة للذوبان تزداد بارتفاع درجة الحرارة

(٢) لدرجة ذوبان كل جسم صلب حدٌّ معيَّن

(٣) في درجة حرارة واحدة كمية الجسم الصلب التي تذوب في كمية معيَّنة من الماء هي دائماً نفسها

(٤) درجة ذوبان جسم صلب في سائل هي عدد الغرامات الضرورية من هذا الجسم لاشباع ١٠٠ غرام من السائل في درجة حرارة معلومة

(٥) عندما يذيب الماء اكبر كمية من جسم صلب في درجة حرارة معلومة يدعى المحلول محلولاً مشبعاً في تلك الدرجة

ويلي ذلك رسم بياني (اشير اليهِ في وصف الاختبار) وأسئلة تسهّل على المدرّس تحقيق فهم الطالب من الاختبار ومن قراءة الاحكام المستخرجة منهُ . فالكتاب كتاب مدرسي نفيس وضع وفقاً لأحدث الآراء في تعليم العلوم وهو يشتمل على منهاج السنتين الاولى والثانية الثانوية

---

* صحائف الدمع — مجموعة من الشعر القصصي والاجتماعي والعاطفي في مختلف الموضوعات نظم بردها الشاعر مرسي شاكر الطنطاوي في ١٦٨ صفحة بالقطع العادي وطبعها طبعاً متقناً محلاة ببعض الرسوم

* صحبة الموت او بين احضان الابدية — تأليف الدكتور داهش بك — صفحاته ٢٠٥ من قطع المقتطف — طبع بمطبعة دار الايتام السورية بالقدس الشريف وثمنهُ ٤٠ قرشاً

يحتوي هذا الكتاب على نحو مائة صورة فنية من بينها خمسة وخمسون رسماً صورها الفنان الايطالي (موريللي) ويحدثك عن الموت وما وراء الطبيعة باسلوب شعري وقد ورد في هذا الكتاب بعض عبارات عن مصر ضمنها المؤلف حنيناً وشوقاً الى مصر وجميع صفحات الكتاب مكتوبة بقلم الخطاط محمد افندي حسني ومزينة بالصور والرموز ومطبوعة طبعاً متقناً وبالالوان

* نبذة تاريخية عن باستور وكوخ للدكتور محمد عبد الحميد جوهر — صفحاته ١٥٧ من القطع الصغير طبع بمطبعة الاعتماد بمصر هذه نبذة تاريخية عن حياة عالمين كبيرين خدما الانسانية اجل الخدمات واعظمها ضمنها المؤلف خلاصة وافية عن تاريخهما واعمالهما

* غاية المأمول في الفصل الواصل واسرار الموصول تأليف الاستاذ حسن عبد اللطيف عرام — صفحاته ٣٩٦ من قطع المقتطف — طبع بمطبعة رمسيس بالمطارين بالاسكندرية

يحوي هذا الكتاب بحوثاً في اسرار الصلات لمؤلف النحو عن اليه حاجة بالكاتب وترتبط النحو العالي باللغة والبلاغة وهو يعد الاول من نوعه في بحوثه وموضوعاته

* التسالي في سهرات الليالي الجزء الثاني للدكتور خلاف فارحي صفحاته ٦١٥ من القطع الكبير

يحوي هذا الكتاب مجموعة علم وفكاهات واخبار وحكم وامثال والغاز واديبات ومساطرات لغوية وكتابات رمزية والعاب اجتماعية واقوال في الاسماء والصحة والاكتشافات والاوليات والاحصاءات وفي الحياة والامل والصبر والرياضة البدنية ونصائح طبية واسعافات اولية وغيرها والخلاصة انه كجراب الكردي حاوٍ لكل شيء وفيه ما يزيد على الف ملحة وفكاهة

* الحديث في قواعد اللغة العربية ثلاثة اجزاء — تأليف الاستاذ عيسى عطا الله — طبع بالمطبعة العصرية بالقدس كتاب لا يستغني عن مطالعته كل تلميذ فهو يسير به متدرجاً من تركيب الكلمات والجمل المفيدة الى تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف متدرجاً معه الى الافعال وتصريفها والى الاعراب وهكذا يسير به الى معرفة القواعد النحوية والصرفية

* تفسير سورة يوسف — تأليف المرحوم السيد محمد رشيد رضا — ١٦٠ صفحة مكتبة المنار بمصر وهي آخر ما فسره من القرآن الكريم المرحوم العلامة السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الاسلامية حتى انه لم يتم تفسير السورة بل اتمها صديقه الاستاذ الكبير الشيخ محمد بهجة البيطار ولقد اجمع العلماء المسلمون على ان السيد رشيد رضا كان اقدر الذين فسروا القرآن بما امتاز به من علم ودقة ملاحظة وسعة اطلاع على الكتب القديمة والحديثة وآراء المفسرين

* محمد والقرآن — تأليف الاستاذ الشيخ سليمان آل نوح — صفحاته ٢٢٢ قطع المقتطف طبع بالمطبعة العربية ببغداد . وضع هذا الكتاب فضيلة الشيخ سليمان آل نوح خطيب الكاظمية كاظم جمع فيه شهادات كبار فلاسفة الغرب وعلمائهم وادبائهم وصحافييهم في النبي محمد والقرآن ونزوله

* نظام الطلاق في الاسلام تأليف الاستاذ الشيخ احمد محمد شاكر — صفحاته ١٤٠ صفحة من القطع الصغير طبع بمطبعة النهضة بمصر كتاب قيم الفه فضيلة العالم المحقق الشيخ احمد محمد شاكر القاضي الشرعي وهو يشتمل على مقترحات مفيدة في انظمة الطلاق حبذا لو ان وزارة الحقانية تعيرها ما تستحقها من عناية واهتمام والكتاب مطبوع على ورق جيد وثمنه عشرة قروش



هيئة العمل الدولية

نظامها وتأليفها وتاريخ أعمالها

النزعة الدكتاتورية

وتحليلها النفسي

رأي العالم النمسوي شتيكل

معاهدة الزعفرانه

١ — حفلة التوقيع

٢ — نصوص المعاهدة



لوحة في دار الآثار المصرية تمثل اخناتون يعبد الشمس



دعوة عامة

واتحاد الاضطرابات العالمي الحالي المدمر

لتقرير المراد

الاشتراكية الاوربية

على ذكر فوز الاشتراكيين في فرنسا



حديقة المقتطف

نفح العطر

قصة لهنري دو فرنوا

الحديقة المهجورة

للشاعر الفرنسي أندره دوماس

[نقلها خليل هنداوي ، تابع جمع القطع في حديقة المقتطف في العدد الماضي]



هياكل يدو في عاصفة ثلج

[المصور الياباني هيروشيجي]

من آيات الفن الإسباني
القديم في التصوير

للمصورين ...

ال غريكو (١٤٤٧—١٦١٤)
فلاسكيز (١٥٩٩—١٦٦٠)
موريللو (١٦١٧—١٦٨٢)



آلام المسيح في البستان
تصوير الغريكو وهو مصور كريتي عاش في اسبانيا وتحسب
آثاره الفنية جزءاً أصيلاً من الفن الاسباني



المسيح ويوحنا وهما طفلان — تصوير مورلّو



القديس يوحنا في البرية — تصوير فلاسكيز
وهي من أبدع آثاره في عهده الاول وقد اشتهر بعد ذلك
في تصوير الاحياء Portrait Painting فكان من أعظم
المصورين عصراً بحذق المصوَّر وابرازه في صورته

فهرس الجزء الثاني

من المجلد التاسع والثمانين


المقتطف
العلم والدين لا يتناقضان
مصير الحضارات
العلم أمس واليوم
روح الاستعمار العصرية

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد التاسع والثمانين

١٥ رجب سنة ١٣٥٥ | ١ اكتوبر سنة ١٩٣٦

العلم والمجتمع

خطبة الرآسة في مجمع تقدم العلوم البريطاني

وملخصات من الخطب الأخرى

ليس يذكر كاتب هذه السطور ان مجمع تقدم العلوم البريطانيّ ، اختار عالماً اقتصادياً لرآسته قبل السر جوشيا ستامب ، رئيسه هذه السنة ، مؤلف كتاب « العلم والعمران » الذي اصدره المقتطف سنة ١٩٢٨ فمعظم خطب الرآسة في هذا المجمع الموقر خلال ثلاثين سنة لا يضم خطبة واحدة لعالم اقتصادي . ولعلَّ الباعث على ذلك ان المجمع لم يعترف كلَّ الاعتراف قبل الآن بوضع المباحث الاقتصادية في مرتبة العلوم الدقيقة ، اي علوم الرياضة والطبيعة والكيمياء والحياة وهي العلوم التي اتيح لها خطبة ونال اقطابها حصر شرف الرآسة حتى الآن . ولا يزال كاتب هذه السطور يذكر للعالم النفسي وليم مكدوجال وهو يلقي خطبة الرآسة في قسم علم النفس عند انشائه في تورنتو بكندا سنة ١٩٢٤ فكان في مقدمة ما اعلنهُ في خطبته « استقلال علم النفس » وحتى الآن لم يحرز علم النفس شرف اسناد رآسة المجمع الى احد اقطابه ولعلَّ ذلك ليس ببعيد

والسر جوشيا ستامب عالم اقتصادي ورجل كبير من رجال الاعمال لانهُ رئيس لاكبر شركة في انكلترا من شركات السكك الحديدية واحد مديري بنك انكلترا وعضو في المجلس الاقتصادي الاستشاري وصاحب مؤلفات كبيرة الشأن في الاقتصاد والاحصاء

على ان الرئيس لم يحصر كلامهُ في موضوع اقتصادي محض ، بل اختار ان يلقي نظرة عامة ،

الى تأثير العلم في المجتمع في بعض نواحيه الاقتصادية والاجتماعية وهو موضوع واسع الرحاب لم يدّعِ السر يوشيا انه يتناول بحثه بحثاً شاملاً جميع نواحيه ولكنه دلّ على بعض المشكلات الناشئة عن تأثير ارتقاء العلم وتقدم الاختراع والاستنباط في كيان المجتمع واستقراره او اضطرابه. فالعلم ولا ريب، عامل من اهم العوامل في احداث التحوّل الاجتماعي من ناحية، ويتأثر من ناحية اخرى، بالنظام الاقتصادي والاجتماعي الذي يحيط به. وقد بيّنا في خطب رؤساء المجمع في السنوات الاخيرة، سعة القلق والحيرة الناشئة من اصطدام العلم بالنظام الاجتماعي والاقتصادي القائم. فبعد ما وصف السر جيمس جينز (١٩٣٤) هذه المشكلات قال أن الحاجة تقضي بالازدياد من العلم لا بالاقلال منه للتغلب عليها وقال السر فردريك غولند هبكنز (١٩٣٣) انه لا بدّ لنا من اتباع الاسلوب العلمي لتحقيق الملاءمة بين تقدم العلم واحوال الاجتماع في المستقبل

قال السر يوشيا، بعد الاستهلال، ان تأثير العلم في المجتمع، كان غير مباشر، وانما يلمس بما ظهر من آثار تطبيقه في عادات الناس وعددهم ومواقع سكناهم. الا ان هذا التأثير قد يصبح بمثابة الرجّة العنيفة الناشئة عن الاصطدام اذا كانت المنشآت الاجتماعية التي تتأثر به راسخة الى حدّ الجمود وكره التحوّل. ولعلّ أبلغ مثل على هذا ما نراه في الولايات المتحدة الاميركية، حيث نجد دستوراً وضع في القرن الثامن عشر اذ كانت نصوصه تلائم أحوال ذلك العصر، ولكنه في هذا العصر لا يمنع الارتجاج عروته من ان يبعث على الارتجاج بصلابته وجموده. والواقع ان مقاومة الأوضاع الاجتماعية الراسخة، قد تكون في بعض الأحوال مانعاً لتقدم العلم نظريًّا كان أو مطبقاً

فما هو مقام المخترع أو الباحث العلمي في هذا الاصطدام بين العلم والمجتمع؟ كان العالم أو المخترع، الى الثلث الاول من القرن الماضي، يحظى بعد الفوز بكشف أو استنباط، بتأييد أمير عظيم او ثري كبير. ولكن رجال الحكومات وأقطاب المال والأعمال أشد ميلاً اليوم، الى تشجيع الباحثين على البحث وإجازتهم بغير وسيلة واحدة على ما يكشفون او يستنبطون. فكانت النتيجة ان الفترة التي كانت تنقضي بين الكشف أو الاستنباط من ناحية ووصولها الى مرتبة التطبيق الصناعي الواسع النطاق، أصبحت الآن قصيرة، وهذا أعان على احداث انقلاب فجائي في أحوال المجتمع لقصر الوقت المتسع للتعديل الاجتماعي والملاءمة الاقتصادية

ثم ان العالم، قلما يعنى بنتائج كشفه واستنباطه مع أن ثمارهما من اقوى العوامل على احداث التحوّل الاجتماعي. واذا عني بها، فعنايته تنحصر في الغالب في تعديد الفوائد التي تمدّها مكتشفاته ومخترعاته على الناس. ولا تتعداها الى تبيُّن الهزات الاجتماعية يسيرة كانت أو قوية، التي تحدثها. فكأن المنطقة التي تحصل فيها هذه الهزات وكيفية اتقائها كانت منطقة حراماً على

الباحثين. فالعالم كان يحسبها خارجة عن نطاقه الخاص. والاقتصادي قلما اعترف بأن الواجب يقضي عليه بدراسة هذه الناحية من موضوع بحثه. والحكومات كانت تقف بمعزل عما هو حادث من هذا القبيل الى ان تستفحل النتائج. فتربية العامة كانت لا تشتمل على تبصيره بنتائج تقدمه من الناحية الاجتماعية. وتربية السياسي والاداري كان يعوزها تدريبهما على فهم تقدُّم العلم وما يقتضيه من ملاءمة الكيان الاجتماعي له. فلما وقع الاصطدام، أنكر كلٌّ من يهمّهُ الامر، ان الأمر من شأنه

فهذا الموضوع يجب ان يكون ميداناً للبحث العلمي اذ من الخطإ ان نحسب ان المتخصص المتوفر على علم من العلوم او فرع من فروعه، يحق له بفضل هذا التوفر ان يقطع بحكم ما، في النتائج الاجتماعية الناشئة عن تأثير ذلك العلم او غيره في المجتمع البشري

قال السر يوشيا ستمب «مضى عليّ زمن وانا اراقب الاسلوب الذي يجري عليه عالم في الوصول الى حكم ما في موضوع خارج عن نطاق اختصاصه. ومن الامور التي لم يبت فيها حتى الآن، كون التخصص يقوي ملكات التفكير العامة او يضعفها. فيدعوني الى اناطول فرانس قوله «شر ما في العلم انهُ يمنعك عن التفكير» ولكن هذا المعنى جرى على لسان زنجية فاعربت عنهُ إعراباً ارق وأدق من اعراب اناطول فرانس اذ قالت «اذا لم تكن قد أوتيت تربية فعليك ان تستعمل عقلك»

لست أدري مبلغ الصحة في هذين القولين بوجهٍ عام. ولكني اعلم بالتجربة انهُ عندما يحاول العالم ان ينظر في النتائج الاجتماعية للتطبيق العلمي، يجد نفسه مشتركاً في الغالب في بحث سياسي يدور حول نظم الحكم المختلفة وحسناتها ومساويها، او يستسلم للوهم والخيال في ما يقترحهُ من اصناف العملة وأركان النظام الاقتصادي

ولكن كائناً ما كان شكل الحكم او نظام الاقتصاد، فلا محيص عن العناية بنواحٍ من تأثير العلم في المجتمع بقصد فهمها والسيطرة عليها

على المعنيين بهذه الشؤون ان يوفروا من المواهب التي يضيّعها تقدم الآلات بتعطيل طائفة من العمال البارعين عن العمل. وعليهم ان يوفروا ما يضيع من الثروة بالاستغناء عن آلات لم يطل عليها العهد لان آلات جديدة احسن منها واكفأ حلّت محلها. ويجب ان يوفروا ما يضيّع كذلك من المعاني الروحية التي تجعل للحياة قيمتها اذ تنزع الموجات الصناعية طوائف العمال من بيئتهم وبيوتهم لتقذفهم في اوساط جديدة تقتضيها الاحوال الصناعية الجديدة

[البقية في باب الاخبار العلمية]

سباق الخيل

في الليل (١)

للأمير مصطفى الشهابي
وزير المعارف السورية

من عجائب باريز (وباريز ام العجائب) إجراء الخيل في الليل مرةً في كل سنة في مضمار « لونشان » الواقع في غابة بولونيا الشهيرة ، بين مسوّقات اشجار البلوط والكستناء والقطلب والصنوبر والسنط وغيرها ، حيث يجتمع الناس من كل صوب وحدب ، لمشاهدة حلبات تتبارى فيها الجياد الصافنات ، لا في شمس النهار المشرقة ، بل في شموس الكهرباء المتلألئة في ليلة سجواء صفت سماؤها وراق نسيمها إنطلقت بنا السيارة تمشي الهوينا في خضم من مثيلاتها كأنهنّ النمل المتتابع او الموج المتدافع ، حاملات الى المضمار هواة الخيل والهواة المراهنة عليها ، وهم القلة ، ثم الكثرة حسان باريز واطرافها ممن لا تفوتهن ليلة كهذه يبرزن فيها على الناس فتنةً للعين ودهشة للمتأمل

وبعد لأيٍ ما بلغت بنا السيارة المضمار سائرةً كالسلحفاة من شدة الزحام ، لو سابقها اعرج لتركها تسير وراءه . واذا بنا في ميدان فسيح أمام منصة عظيمة . واذا بالأرض تموج بالناس ، رجالاً في السواد ونساء في اكسية السهرات ، اي في ضروب من الألبسة الحريرية إفتنّ في صنعها أصحاب الازياء في باريز فخطوطها على أشكال وألوان وحلوها بقطائر وتعاريج وتلافيف وتواريق ومخاريم ، فكانت آية الأناقة في عالم الازياء ، وصار المرء لا يدري أيمتع طرفه بهذه البدائع من الألبسة أم يمتعه بجمال اللواتي يرفلن بها ؟

ونظرت الى شجر الميدان فاذا بهم قد علقوا عليها مصابيح وهاجة من الكهرباء او من غاز

---

(١) في الرابع من شهر « يوليو » ، وهي قصة حقيقية

المتفننون بأشكال الطير والزهر والثمر والتماثيل وغيرها ، كما جعلوا المصابيح في أحواض الماء على مثل السمك وصغار التماسيح وأنواع الشاطئات المائية من أشنة وطحالب وأشباهها

وامتدّ نظري الى مجرى الخيل فاذا به ظاهر للعين على بعده ، لأنهم سلطوا عليه عواكس الانوار المتألقة فبدت محجّباته سماءً مذهبيًّا أخضر حالكًا ما وقعت العين على أجمل من تألق خضرته في الليل البهيم . ثم قُرعت الطبول واصطفت الخيول وزمّر الزمّارون ، حتى اذا دقّ الجرس المؤذن بالسباق ، انطلقت الخيل كالسهام المطلقة او كالسيوف المندفعة او كالقذائف المنقضة او الشهب الهاوية ، فتبعتها قلوب المراهنين وصوّبت اليها منظارات الهاوين والغاوين . ولقد رأيت بعض الحسناوات يقفن ويقعدن ، ويتوسلن الى الله ويبتهلن ، اذا تقدم الفرس الذي راهنّ عليه أو تأخر بضع خطوات . وما اقتربت الخيل من النهاية إلا والناس في هرج ومرج وقد توترت أعصابهم وعلا ضجيجهم وصار كل منهم يصيح بفرسه ويشجعه ، لكنها لحظة لم تمرّ حتى ثاب القوم بعدها الى رشدهم وهدأت أعصابهم واسودت فيهم وجوه وابيضت وجوه . وراح المراهنون الى أماكن الحساب لاستجلاء الربح او الخسارة ، ومنهم من راحوا يتفحصون خيل الحلبة الثانية ، أما غير المراهنين فظلوا يتمشون في الميدان او يجتمعون الى مرقص رحب الأرجاء . وقادتني قدماي الى طرف الميدان الذي عن بعد فاذا بي امام حظار (حاجز) خشبي يفصله عن ميدان آخر بدت على نظّارته دلائل الخصاصة ورقة الحال . فسألت عنهم فقيل لي انهم يصيرون الى حيث هم بأجور زهيدة فقلت لا جرم لأكوننّ في جملتهم . ثم دلفت عليهم لكنني ما تجاوزت الباب حتى رأيت فتاة في ميعة الصبا ، وسيمة الطلعة ، ممشوقة القد ، تحدق بي وتصوّب فيّ نظرها بازدراء . فعجبت لأمرها ولم اتبين ما علّي وعهدي بالباريسيات متحليات رقة العواطف وكثرة المجاملة وفرط الأدب . فاقتربت منها وقلت لها بعد التحية : « هل للآنسة الكريمة ان تعذرني اذا كان قد بدر مني امرٌ يسيء اليها » . فتوردت وجنتاها لهذه المفاجأة وهمّت بالكلام ولم تفعل . فأردفت قائلاً بتلطف : « لا بدّ من امرٍ حملك على ان تحدجيني بنظرك ، ومن حق الأدب ان تطلعيني على السبب » . فتبسمت لسذاجتي ولم تجد مناصاً من ان ترد فأجابت : « انا يا سيدي لم أحظ بشرف التعرف بك من قبل ، ولم أنكر في حركاتك شيئاً مخالفاً للأدب

لكنني أنكرت مجيئك الى هنا على حين إني شاهدتك في زمرة الطرف الاول من الميدان. فحسبت حمقاً أنك لم تتجاوز الخطار الا لتدل علينا بفخ افتراه بلباسك الاسود الجميل وبقبعتك الاسطوانية العالية فكان مني ما كان عن غير ارادة فاعذرني وقت الفصل » . ولم تكد تتم جملتها إلا وأمدرتها قائلاً « لقد عذرتك وشكرتك لكنني حريص على اثباتك انني أحببت لم ادخل ميدان السباق الا لمشاهدة طبقات الناس في هذا المجتمع سواء أكانوا اغنياء ام فقراء ، وان وجودي في زمرة الطبقة الاولى لا يدل على كوني غنياً وقد ليس كل الاغنياء قساة القلوب غلاظ الاكباد »

ورأيتها تبتسم ابتسامة مرة لخلق هذه وادركت ان في جوفها كلاماً تهم به فيثنيها الخجل فقلت « وفوق هذا إني من بلاد سكانها يتصادقون فور التحادث او التعارف ، وربما كان للفرنسي هذا الطبع السليم فهلا تتخذين صديقاً لك وتشكين إليّ ما في قرارة نفسك »

فراقتها خلق هذه وانفرجت اسارير وجهها وسرنا بين الناس وهي تقول : « لقد انكرت عليّ يا سيدي نظرتي القاسية ، وعجبت لأمر فتاة تزوي ما بين عينيها في مكان كهذا . ولكنك لو عجبت سبب تقطيبي لعذرتني فالحياة ليست جميلة كما يتصورها بعض الكتّاب الخياليين أو بعض الرجال الميسورين . وشئون الرزق في هذا المجتمع فتاكة بجسوم معظم البشر قتالة لمكانتهم . أو تريد دليلاً على ذلك ؟ فأنا الدليل إني زوجة وأم ولدين يشبان عن الطوق . وزوجي مهندس شاء سوء حظه ان يكون عاطلاً عن العمل منذ سنة لندرة الأعمال في هذه الأزمة وقد اشتغلت مدة أسبوع بائعة في أحد المتاجر ، لكن هذا المتجر أوصد أبوابه لعلة نجهلها فابتغيت الرزق من سبل شتى متذرعة بشهادة البكالوريا التي أحملها فلم أوفق لأكثر من ان اكون خادمة في مطعم أقدم الطعام الى الآكلين لقاء أجرة زهيدة هي ما يتبرع به هؤلاء علاوة على ثمن الطعام . واصعب على ذلك اني ورفيقاتي في ذلك المطعم ممنوعات عن الأكل فيه ما لم ندفع ثمن طعامنا كغيرنا من الناس ، فأعجب لمطعم لا يطعم مستخدميه !

هذه حالي يا سيدي وهذه حال عشرات الألوف بل مئات الألوف من العاملين والعاملات في المتاجر والمصانع والمزارع تكدح آناء الليل وأطراف النهار في بلغة من القوت ولا تدركها

الأرشق الأنحس . أما أنتم فماذا تفعلون ؟ ثم يدفع كل رجل منكم مائة فرنك في ذلك[1] أجرة دخول الموقع الأول من الميدان ، ومائة فرنك ثمن العشاء في مطعمه ، ومائة أخرى ثمن المشروبات كالشمبانيا وأضرابها ؟ فإذا أضيف إليها أجرة السيارة وغير ذلك من النفقات جاوز المجموع ما أكتسبه في شهر

ثم انظر الى بدلتي هذه . إنها والحمد لله نظيفة . ولعلها أنيقة ككل ما تلبسه الباريسيات فالأناقة من خصائصنا . لكن هذه البدلة البسيطة (وليس لدي غيرها تصلح لهذه الأماكن) لا تساوي أكثر من أربعين فرنكاً ، على حين ان بدلة هذه السيدة (وأشارت الى إحداهن) التي تتهادى كالطاووس وترمش كديك الروم لا يقل ثمنها عن عشرة آلاف فرنك . وفروة تلك (وأشارت الى سيدة ثانية) تساوي ثلاثين الف فرنك دونما مبالغة . وقس على هذا أثمنة سائر أسماء الثياب ودع الجواهر والحلي من ماس ولؤلؤ وفيروز وزبرجد فأثمانها تقدر بالملايين وقد همت النعمة على كثير من السيدات فأبطرتهن فصرن يشترطن على الخياطين ان يصنعوا لكل سيدة ثوباً فريداً في زيه لا يحق لغيرهن تقليده ما لم يؤذن لهن بذلك . أما ثمن كل ثوب من هذه الطراز فعشرات من آلاف الفرنكات

وبعد فما فضل هذه السيدات علينا ؟ إننا يا سيدي ندرس ونحس ونشعر ونفكر مثلهن . وربما كنا أكثر منهن صدقاً وشرفاً وأقل إيذاء للناس . لقد قلت لي انه جاء في قرآنكم أن الله رفع بعض الناس فوق بعض درجات . وأنا من المؤمنات بهذا القول . لكنني أرى ان الله لم يجعل الدرجة الواحدة من تلك الدرجات طويلة جداً أي بطول السلم التي يستعملها جنود الأطفاء في باريز حتى يكون بعض الناس في الأوج وبعضهم في الحضيض . ثم أين الزكاة التي ذكرت لي أنها وردت أيضاً في القرآن وأن النبي الذي زكى ؟

وأرادت المسكينة ان تسترسل في مث بنات صدرها لكن جرس الحلبة الثانية لم يمهلها ، فودعتها وقد أخذ مني حديثها كل مأخذ ورحت أفكر في هذا المجتمع الأحمق وفي حظوظ الناس المتفاوتة وأنا أكرر دعاء والدة الاسكندر له : « اللهم ارزقه حظاً يخدمه به أرباب العقول ، ولا ترزقه عقلاً يخدم به أرباب الحظوظ » ! . .

(١) يساوي الجنيه المصري نحو ٧٧ فرنكاً أو أكثر قليلاً

مكتشف

الدورة الدموية الصغرى من هو ؟

للدكتور سامي حداد

عضو الكلية الجراحية الاميركية وأحد اساتذة

العلوم الجراحية بجامعة بيروت الاميركية

اتهم الأفرنج العرب بأنهم نقلوا العلوم عن الأمم التي سبقتهم ووصموهم بالسرقة والنسخ فأجحفوا بحقهم بما أجحفوا. ومن ذلك الاتهام ترعرع النقدة وجهلهم بما ورث العرب عن سلفهم من العلوم وما اكتشفوه وأحدثوه وأضافوه الى إرثهم. ومن كشف عنه البحث في بطون الكتب التي تركها العرب تجلت له الحقيقة وأدرك ما تركوه في العلوم كافة والطبيّة منها خاصة.

ومن أهم ما تركوه الطبية اكتشاف الدورة الدموية الصغرى التي ادعى الأفرنج أنهم مكتشفوها. ولدينا البراهين الدامغة أن أول من فهم هذه الحقيقة الفسيولوجية فهماً صحيحاً ودوّنها بنظره الثاقب وعلّق عليها بفكره الصائب هو عربي. فهم ذلك وأفهمه لتلامذته من قبل أن يعرف عنها الأفرنج شيئاً بنحو ثلاثة قرون.

ابن نفيس الذي يكاد لا يعرف أحد عنه شيئاً والذي طوت الأيام اسمه في دفاتر الكتمان والنسيان كل هذه الأجيال يبقى خالداً ويفاخر به ما اختلج صدر وخفق فؤاد.

لقب علاء الدين علي ابن ابي الحزم القرشي الدمشقي بابن نفيس وهو الامام الفاضل والعلامة الحكيم الذي نشأ بدمشق واشتغل بها في الطب على مهذب الدين الدخوار الذي تخرّج عليه جماعة من أساطين الاطباء منهم الرحبي وابن قاضي بعلبك وشمس الدين الكلي. وبعد أن تمّم علومه الطبية توجه الى القاهرة وتسلم ادارة البيمارستان المنصوري وصار عميداً للمدرسة الطبية فيه.

وكان علاء الدين امام زمانه في علم الطب لا يضاهى فيه ولا يدانى استحضاراً واستنباطاً. قيل ولم يكن في الطب على وجه الارض مثله في زمانه ولا جاء بعد ابن سينا مثله وقيل وكان في العلاج أعظم من ابن سينا. واشتهر عنه انه كان ينقض كلام جالينوس ويصفه بالعي والاسهاب الذي ليس تحته طائل. ويعظم كلام أبقراط ولا يشير على مشتغل في الطب بغير قانون ابن سينا

وهو الذي شوق الناس الى هذا الكتاب . وكان لا يحجب نفسه عن الافادة لا ليلاً ولا نهاراً

وله في الطب التصانيف الفائقة والتآليف الرائعة . صنف الكتاب الشامل في الطب يستدل من فهرسته على ان المؤلف قصد ان يجعله في ثلاثمائة سفر فلم يبيض منها سوى ثمانين سفراً . وله ايضاً كتاب المهذب في الكحل وشرح قانون ابن سينا وفصول بقراط وتقدمة المعرفة لابقراط ومسائل حنين بن اسحق والهداية في المنطق لابن سينا . وقد أوجز قانون ابن سينا في كتاب سماه موجز القانون حاز شهرة عظيمة في الأوساط الطبية العربية

وفي غير الطب له مؤلفات وتصانيف عديدة في الفقه والحديث والعربية والمنطق من أهمها كتاب في التوحيد سماه « رسالة الرجل الكامل في السيرة النبوية » ردّ به على رسالة حي بن يقظان لابن سينا انتصر بها لمذهب الاسلام وآرائهم في النبوات والشرائع والبعث الجسماني وخراب العالم . وقد أبدع فيه ودلّ على قدرته وصحة ذهنه وتمكنه من العلوم العقلية[1]

وقال في ابن نفيس الشيخ برهان الدين ابرهيم الرشيدي خطيب جامع الامير حسين بالقاهرة انه اذا اراد التصنيف توضع له الأقلام مبرية ويدير وجهه الى الحائط ويأخذ في التصنيف املاء من خاطره ويكتب مثل السيل اذا انحدر فاذا كلّ القلم وحفي رمى به وتناول غيره لئلا يضيع عليه الوقت في بري القلم

ومن جميل ما يحكى عنه انه دخل مرة الى الحمام الذي في باب الزهومة في القاهرة فلما كان في بعض تغسيله خرج الى مسلخ الحمام واستدعى بدواة وقلم وورق وأخذ في تصنيف مقالة في النبض الى ان أنهاها ثم عاد ودخل الحمام وكمل تغسيله

وكان يحضر مجلسه في داره جماعة من الامراء ومهذب الدين ابن ابي حليقة رئيس الاطباء وشرف الدين بن صغير واكابر الاطباء ويجلس الناس على طبقاتهم

وكان علاء الدين شيخاً طويلاً أسيل الخدين نحيفاً ذا مروءة توفاه الله تعالى بعلة مرض بها ستة ايام اولها يوم الاحد وتوفي سحر الجمعة الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وستمائة هجرية بالقاهرة عن ثمانين سنة

وفي علته التي توفي فيها اشار عليه بعض اصدقائه الاطباء بتناول شيء من الخمر اذ كانت علته تناسب ان يتداوى بها على ما زعموا فأبى ان يتناول شيئاً من ذلك وقال لا القى الله تعالى وفي باطني شيء من الخمر

وانشد الصفي ابو الفتح بن يوحنا بن صليب بن مرجي بن موهوب النصراني يرثي علاء الدين ابن نفيس قال : —

---

(١) في مكتبتي خصوصية نسخة خطية كاملة من كتاب سيرة الرجل الكامل ... [illegible]

وسائل هل عادَ ... او فاصلٌ ... من موعدٍ في الملى بعد البلاء

فُجعت والنيران تضرم في احشا ... مصر عند ممات أعلامها الملى

وكان ابن النفيس قد ابتنى داراً بالقاهرة وفرشها بالرخام حتى ايوانها ولم يكن متزوجاً فأوقف داره وكتبه وكل ماله على البيمارستان المنصوري

هذه ترجمة موجزة لمكتشف الدورة الدموية الصغرى (١) ولنتتبع تطور الفكر في هذه الدورة التي بقيت غامضة احقاباً عديدة الى ان حلّ لغزها ابن النفيس

اول من وصل الينا خبره ممن حاولوا فهم الدورة الدموية وحل رموزها وتقريرها هو جالينوس الذي عاش في القرن الثاني بعد الميلاد والذي بعد ان شرّح القردة العليا وجثث الانسان اشكل عليه تفسير الطريق الذي يتخذه الدم في دورته من الجانب الايمن الى الجانب الايسر من القلب . فأعاد النظر في تشريحه وأمعن الفكر فيه فلم يجد الى حل تلك العقدة سبيلاً فضلّ وأضلّ وادعى ان في الحاجز الذي بين الجانب الايمن والجانب الايسر من القلب ثقوباً غير منظورة يتسرب منها الدم من الجانب الواحد الى الجانب الآخر وما وظيفة الرئتين الا ان ترفرفا فوق القلب فتبردا حرارته وحرارة الدم وقد يتسرب شيء من الهواء منهما بواسطة المنافذ التي بينهما وبين القلب فيمتزج بذلك الهواء القلب والدم

وليس لدينا دليل على ان احداً ممن أتى بعد جالينوس من اطباء اليونان او الرومان من استصوب هذا الرأي او سفّهه او اضاف شيئاً جديداً الى هذا المذهب

بقيت هذه الآراء مكانتها الى ان قام العرب بنهضتهم المباركة التي لم تضاهها نهضة سوى نهضة القرن العشرين . فوقفوا على علوم اليونان وقوع الجائع على الطعام والظامىء على الماء فترجموا كتبهم ودرسوا علومهم وهذبوها واضافوا اليها وجعلوا منها ثقافة عربية جديدة . مما قام في سبيلهم عقبات ما تسنى لهم تذليلها الا بالجد والكد والسهر والعمل . وما كان الا لابد ان يكمل لهم تحقيق امانيهم وتذليل صعابهم . وكانت العقبة الكأداء في سبيل تقدم العلوم الطبية عندهم مادية ذي بدء احترام الميت وتحاشي مس جثته بأذى . وكذلك كانت احساساتهم رقيقة تأبى ان تعذب الحيوان وتشقه حيًّا . وما كان لهم في علوم التشريح والفسيولوجيا الا ان يقتبسوا تعاليم من سبقهم وينهجوا منهجهم

(١) لا يخفى ان الدورة الدموية الصغرى تعبير فسيولوجي يطلق على دورة الدم في الرئتين، فان الدم بعد وصوله الى التجويف الايمن من القلب يدفعه القلب في الشريان الرئوي الى الرئتين حيث يطهر ويتنقى بامتصاصه الاكسجين من الهواء الذي في خلايا الرئتين ويطلق ما يحمله من الكربون الموجود فيه . ثم يعود في الوريد الرئوي الى التجويف الايسر من القلب

وكان الرازي الذي عاش بين القرن الثالث والرابع الهجري اول من كتب في العربية شيئاً عن تشريح القلب والرئتين والاوعية التي ما بينهما واكثره نقلاً عن جالينوس . واليك ما قال في الكلام عن الرئة — « واحتيج اليه (اي الى الرئة) الى تنشق الهواء الخارج واخراجه بعد ذلك للترويح عن القلب فالهواء الذي يستنشق يصل شيء منهُ الى القلب في المسد التي بينها وبين القلب واذا سخن ذلك الهواء الذي اجتذب احتيج الى اخراجه استبدالاً به فانقبض الصدر وقبض الرئة واخرجهُ ثم عاد فانبسط وبسط الرئة فدخلها هواء آخر على مثال الزقاق التي ينفخ بها النار فانها اذا انبسطت امتلأت من الهواء ثم اذا انقبضت افرغت منهُ »[١] اه

وتحت عنوان « في هيئة القلب » على ذكر الكلام عن شرايين القلب يقول « والثاني فوهة الشريان الذي يتصل بالرئة وبه يعود الهواء من الرئة الى القلب وعلى هذه الفوهة غشاآن ينفتحان من خارج الى داخل ينفع الهواء الذي يدخل القلب » اه

وجاء علي ابن العباس المجوسي بعد الرازي بنحو ثمانين سنة . واليك ما جاء في كتابه « كامل الصناعة الطبية » قال في تشريح الرئة : —

اقول ان الرئة تملأ تجويف الصدر وهي مركبة من لحم سخيف رخو هوائي اشبه شيء بزبد الدم الجامد ومن اوعية كثيرة متشعبة وهذه الاوعية ثلاثة احدها يبتدىء من التجويف الايمن من تجويفي القلب والثاني من التجويف الايسر والثالث من قصبة الرئة . فاما الوعاء الذي ينبت من التجويف الايمن فهو عرق غير نابض في هيئة الشريان ويسمى بالعرق الشرياني والحاجة كانت الى هذا العرق بغذو الرئة . . وأما الوعاء الذي يبتدىء من التجويف الايسر فهو عرق نابض وهيئته هيئة عرق غير نابض اعني ذو طبقة واحدة سخيفة رخوة الجوهر ويقال له الشريان الوريدي والحاجة كانت اليه ليوصل الى الرئة الدم والروح . . واما الاوعية التي تمت من اقسام قصبة الرئة فهي على ما ذكرنا من صورتها وهيئتها على مثل قصبة الرئة اعني انها مؤلفة من حلق غضروفية وهي من حلف ناقصة . . . . فهذه صفة الرئة وتركيبها واما منفعتها فانها محيطة بالقلب من جميع نواحيه قابضة عليه وحركتها تابعة لحركة الصدر واما هي فليست لها حركة واحتيج اليها لتكون آلة للتنفس والصوت والحاجة كانت الى التنفس بسبب القلب وذلك انهُ لما كان القلب معدن الحرارة الغريزية وينبوعها احتاج الى شيء من جوهر الهواء ليروح به لهيب الحرارة وغليانها والى ان يدفع عنهُ ما يتولد فيه من البخار الدخاني فجعل لذلك فيه حركتان متضادتان هي حركة الانبساط الذي به يجتذب الهواء البارد وحركة الانقباض الذي به يخرج البخار الدخاني ولما لم يكن الواجب ان يرد الهواء على القلب من خارج الى داخل دفعة لما فيه من الضرر

(١) نقلاً عن كتاب المنصوري للرازي . النسخة الخطية بدار الكتب المصرية

حملت الرئة كالواسطة بينهُ وبين الحنجرة يدخلها الهواء فيجتذبهُ القلب ليروح به حرارة الغريزية ويبرد ما يحدث فيه من الغليان ويدفع البخار المحترق الذي هو بمنزلة الدخان اليها » (١)

وقد جاء بعد علي بن العباس بمدة وجيزة ابو علي بن سينا الذائع الصيت فكتب في قانونه المشهور عن الرئة والاوعية المتصلة بها ما يأتي —

« وأول ما ينبت من التجويف الايسر شريانان احدهما يأتي الرئة وينقسم فيها لاستنشاق النسيم وايصال الدم الذي يغذو الرئة الى الرئة من القلب فان غذاء الرئة هو من القلب ومن القلب يصل إلى الرئة . ومنبت هذا القسم هو من أرق أجزاء القلب وحيث تنفذ فيه الاوردة اليه وهو ذو طبقة واحدة خلاف سائر الشرايين ولهذا سمي الشريان الوريدي

واما الوريد الشرياني . فانه وان كان مجاوراً للرئة فانما يجاورها مؤخرها عند فقار الصلب وهذا الشريان الوريدي انما يتفرق في مقدم الرئة ويغوص فيها وقد صار اجزاء وشعباً » (٢) اه

وما زال كتّاب العرب يتناقلون هذه الآراء دون ان يبدوا رأياً فيها او يتأكدوا صحتها الى ان قام ابن نفيس الذي درس قانون ابن سينا درساً مدققاً وبين فيه وجوه الخطإ والصواب في كتاب سماه « شرح القانون » فانتقد اقوال ابن سينا في وصف العروق الواصلة بين الرئة والقلب ووظائفها ووظيفة الرئتين . واليك ما قال ابن نفيس بعد ان اورد ما قاله ابن سينا بالحرف الواحد : —

« ان القلب لما كان من أفعاله توليد الروح وهي انما تكون من دم رقيق جداً شديد المخالطة لجرم هوائي فلا بدَّ وان يحصل في القلب دم رقيق جداً وهواء ليمكن ان يحدث الروح من الجرم المختلط منهما . وذلك حيث تولد الروح هو في التجويف الايسر من تجويفي القلب ولا بدَّ في قلب الانسان ونحوه مما لهُ رئة من تجويف آخر يتلطف فيه الدم ليصلح لمخالطة الهواء . فان الهواء لو خلط بالدم وهو على غلظه لم يكن من جملتها جسم متشابه الاجزاء . وهذا التجويف هو التجويف الايمن من تجويفي القلب . واذا لطف الدم في هذا التجويف فلا بد من نفوذه الى التجويف الايسر حيث تتولد الروح ولكن ليس بينهما منفذ فان جرم القلب هناك مصمت ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنهُ جماعة او منفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ هذا الدم كما ظنهُ جالينوس فان مسام القلب هناك مستحصفة وجرمه غليظ فلا بد وان يكون هذا الدم اذا لطف نفذ في الوريد الشرياني الى الرئة لينبثَّ في جرمها ويخالط الهواء ويصفى ألطف ما فيه ويتنفذ

(١) نقلاً عن كتاب كامل الصناعة المعروف بالملكي لعلي بن العباس المجوسي طبع بولاق جزء ١ ص

(٢) نقلاً عن قانون ابن سينا طبع بولاق جلد ١ صفحة ٥٩

الى الشريان الوريدي ليوصل الى التجويف الايسر من تجويفي القلب وقد خالط الهواء وصلح لان يتولد منهُ الروح (١) . اه

وقد كرر ابن نفيس تعاليمه في الدورة الدموية الصغرى في خمسة مواضع من كتابه مما يدل على انهُ فهمها فهماً لا يشوبهُ شك او التباس

ففي وصف الرئة قال . — « اما حاجة الرئة الى الوريد الشرياني فلان ينفذ اليها الدم الذي قد لطف وسخن في القلب ليختلط ما يرشح من ذلك الدم من مسام فروع هذا العرق في خلل الرئة بالهواء الذي في خللها ويمتزج به فيكون من الجملة ما يصلح لان يكون روحاً اذا حصل ذلك المجموع في التجويف الايسر من القلب وذلك بايصال الشريان الوريدي ذلك المجموع الى هذا التجويف . . . . فيصير ذلك المجموع روحاً وان ينفذ فيه ما حصل في هذا التجويف من ذلك المجموع فلم يصلح ان يتكوَّن منهُ روح وما حصل فيه من الهواء الذي سخن وبطلت فائدته في تعديل الروح والقلب واحتيج الى اخراجه ليتسع المكان لما يدخل بعده من الهواء . . . . وكذلك تحتاج الرئة ان تكون متخلخلة تكون كثيرة المسام واسعتها والغرض ان تتلقى الممتزج الذي في جرمها هواء فيتعدل بذلك الهواء ويمتزج ما يترشح الى جرمها من الدم اللطيف الهواء الذي لا يصلح غذاء الرئة ولكنهُ يصلح لان يخالط ذلك الهواء ويحدث من مجموعهما جرم يصلح لان يستحيل في القلب روحاً »(٢) ا.

وفي تشريح القلب قال . — « ان فعل القلب كما بيناه اولاً ان يولد الروح الحيواني ويوزعهُ على الاعضاء لتحيا وتوليده ذلك بان يسخن الدم ويلطفهُ حتى اذا خالطهُ ما في الرئة من الهواء صلح ذلك المجموع لان يصير روحاً حيوانياً . . . فلذلك لا بد من ان يكون اغتذاء الروح الذي في القلب بان يلطف الدم في القلب ويرق قوامه جداً ثم بعد ذلك ينفذ في الرئة ويخالط ما فيها من الهواء وينطبخ فيها حتى يتعدل ويصلح لتغذية الروح ثم بعد ذلك ينفذ الى الروح الذي في القلب ويختلط به ويغذوه . . . . وقوله الدم الذي في البطن الايمن منه يغتذي به القلب لا يصح البتة فان غذاء القلب انما هو من الدم المنبث فيه من العروق المنبثة في جرمه . . . . بل فائدة ذلك الدم (أي الذي في البطن الايمن) ان يلطف فيه ويرق قوامه جداً ويتصعد إلى الرئة ويخالط الهواء الذي فيها وينفذ بعد ذلك في الشريان الوريدي إلى التجويف الايسر من تجويفي القلب فيكون من ذلك المجموع الروح الحيواني » . ا.(٣)

أضف الى ذلك ان ابن نفيس قد ذكر الدورة الدموية في رسالته « الرجل الكامل » التي ذكرناها في اول هذا المقال . فقال في كلامه عن الانسان الذي رغب في تعرف منافع

(١) عن مخطوطة مكتبتي الخصوصية (٢) عن مخطوطة مكتبتي الخصوصية (٣) عن مخطوطة مكتبتي الخصوصية

الاعضاء التي في صدر الحيوانات وصدره [illegible] ومتى بسطها وشاهد [illegible] في الصدر وعلى الايمن مملوء من [illegible] الدم وبطنه الايسر خلو من الروح وهذا البطن ينفض تنفذ تلك الروح في الشرايين الى الاعضاء ثم [illegible] ترجع الروح اليه ويجذب اليه الهواء من الرئة [illegible] الرئة [illegible] ثم يندفع ما ينحصر في ذلك الهواء الى الخارج وذلك اذا انقبضت الرئة وانبسطها وانبسط [illegible] الحجاب وعضلات الصدر ها وذلك بأن ينقبض الصدر وينبسط وبذلك يتم التنفس [2]

وقد ثبت لنا الآن ان ابن النفيس وضع رسالة الرجل الكامل لتأييد مذهب التوحيد ومن غريب التصادف ان سرفيتس الذي ادعى انه مكتشف الدورة الدموية الصغرى في القرن السادس عشر للميلاد اي بعد ابن النفيس بنحو ثلاثة قرون كتب اكتشافه في مقدمة كتابه في التوحيد . فاعتبر لأجله مارقاً من الدين المسيحي فأُحرق هو وكتابه بأمر من كلفن فهل يا ترى اطلع سرفيتس على كتاب ابن النفيس ورسالته فانتحلها وكان ذلك سبباً لهلاكه ؟ ! !

ومن راجع كتابة سرفيتس لا يسعه الا ان يستنتج انها ترجمة تكاد ان تكون حرفية عن قول ابن النفيس وعليه [illegible] نورد الترجمة الانكليزية مقال سرفيتس للتأمل وسرفيتس هذا كان لا يجهل كتب اللغة اللاتينية [3]

---

(١) ولعلها غلطة في النقل والصحيح [illegible]

(3) Lectures on the History of Physiology during the 16th, 17th & 18th Centuries. By Sir Michael Foster.

Cambridge University Press 1924. (page 21)

Michael Servetus, who published in 1553 his Restitutio Christianismi, and was burned at the stake at Geneva at the bidding of Calvin in 1553, on Oct. 27. In the Restitutio occurs this remarkable passage.

"In order, however, that we may understand how the blood is the very life, we must first learn the generation in substance of the vital spirit itself which is composed and nourished out of the inspired air and very subtle blood. The vital spirit has its origin in the left ventricle of the heart, the lungs especially helping towards its perfection; it is a thin spirit elaborated by the power of heat of a yellow (light) colour, of a fiery potency so that it is as it were a vapour shining out of the purer blood containing the substance of water, of air and of fire.

It is generated through the commingling which is effected in the lungs of the inspired air with the elaborated subtle blood communicated from the right ventricle to the left. That communication does not, however, as is generally believed, take place through the median wall (septum of the heart) but by a signal artifice the subtle blood is driven by a long passage through the lungs. It is prepared by the lungs, is rendered yellow (light) and from the artery-like vein is poured into the vein-like artery. Then in the vein-like artery it is mixed with the inspired air, and by expiration is cleansed from its fumes. And so at length it is drawn, in a complete mixture, by the left ventricle through the Diastole, stuff fit to become the vital spirit."

وخلاصة القول

(١) ان اليونان ومن سبقهم من الأمم جهلوا وظائف الرئتين والأوعية التي بين القلب والرئتين

(٢) لم يرث العرب مع ما ورثوه عن اليونان معرفة وظائف هذه الاعضاء

(٣) يعود الفخر في اكتشاف الدورة الدموية الصغرى وفهم وظائف الرئتين وأوعيتهما الى العرب ولا ينازعهم في ذلك أحد

(٤) العربي الذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى هو علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي الملقب بابن نفيس الذي توفي سنة ٦٨٧ هجرية الموافقة لسنة ١٢٨٨ مسيحية اي قبل ان عاش سارفيتوس بنحو ثلاثة قرون

(٥) فهم ابن نفيس تركيب الرئة والاوعية الشعرية التي بين الشرايين والاوردة الرئوية وشرح الفرج الرئوية شرحاً واضحاً

(٦) لا يبعد ان يكون قد اطلع سارفيتس على كتب ابن نفيس وانتحلها

(٧) وضع ابن نفيس الانسان في مصاف المخلوقات التي لها رئة

(٨) فهم ابن نفيس وظائف الاوعية الاكليلية انها تنقل الدم لتغذي القلب به وبين لنا غلط القائل بأن القلب يتغذى من الدم الموجود في التجويف الايمن

المصادر

الكتب المطبوعة

طبقات السبكي	
حسن المحاضرة	لجلال الدين السيوطي
مفتاح السعادة	لطاش كبري زاده
روضات الجنات	لمحمد الباقر الموسوي
شذرات الذهب	لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي
القانون في الطب	لابن سينا
كامل الصناعة الطبية	لعلي بن عباس المجوسي

المخطوطات

شرح قانون ابن سينا	لابن نفيس	بمكتبتي الخاصة
رسالة الرجل الكامل	لابن نفيس	بمكتبتي الخاصة
الوافي بالوفيات	لصلاح الدين الصفدي بالمتحف البريطاني	
كتاب المنصوري	للرازي	بدار الكتب المصرية

الخريف : برلين

لدكتور بشر فارس

صُفْرَةٌ غَشِيَتْ رُواءَ الوَرَقِ
صُفْرَةُ الوَيْلِ وطُولِ الفَرَقِ
مِن دُعاباتِ الخريفِ الأحمقِ

وَرَقٌ صَبٌّ بِظِلِّ الزَّورقِ
هَزَّتْهُ مُضْنِياتُ العَبَقِ
صد ريّان حصرار عَسِق
يا صُفْرَةَ الورقِ   في الخريفْ

***

طَلَبَ القلبُ هواةَ الشَّرَقِ
غَصَبوهُ الرِّفقَ حتّى الرَّمَقِ
خَلَّفُوهُ وأداروا مـــا بَقِي
يا صُفْرَةَ الورقِ   في الخريفْ

بطالة الشباب المثقف
في القطر المصرى

للدكتور احمد سويلم العمرى
عضو المكتب الفني بوزارة المالية

أبواب الأعمال موصدة في وجه الشباب المثقف عندنا وها هو يرفع شكواه الصادرة من اعماق نفسه التي كادت تستسلم لليأس وقد أضحى المستقبل أمامها أضيق من سم الخياط الى القابضين على زمام الامور المتصرفين في مصيرها

من الابناء الى الآباء
كلمة شاب مثقف متعطل يعبر فيها عما تكنه جوانحه

لقد مضى عهد الدراسة اليوم فكنت بالامس اخوض خلال قاعات الجامعة ومدرجاتها وأسبح في خيال الآمال وأبني القصور وأحلم بمستقبل اشتمته من تاريخ النبغاء سبيلا وأعلى جبال العبقرية وتصدرت صفحات كتبي ودفاتري. اما اليوم فقد استيقظت من ذلك الحلم الرائع واذا بالحقيقة تزيح الستار عن الاماني الخادعة، واذا بما كنت اصور أنه وأراه دنيا بعطوف مأتي تأتي بثرى عن الثريا واذا بي وحيد ضعيفاً كالريشة في مهب رياح الكفاح تتقاذفني. كنت بالامس أرى مستقبلا يعتز ثمره اهتزاز الاكمام عن الازهار وكنت لا أبالي بما أعاني من متاعب السهر في الحفظ والتحصيل متمثلاً ما قاله أحد الحكماء لابنه «يا بني اجعل نظرك في العلم بلا فكان لعاب في الصدر كالطير ينتشر بالنهار ويعود الى وكره ليلا» ولا تهمني من مشاغل الدنيا الا كتبي ودفاتري واستذكار الدروس. اما اليوم فقد اخذ علي الخوف من ظلام المستقبل مسلكي وكلما تفرست في وجه هذا العالم العبوس المتجهم. رأيت في ثناياه أن الفشل سوف يشتد بي حتى أصير في خصاصة من العيش لا استطيع ان أجد عملا أسد به رمقي

كنت قبل ان اتخرج بالامس احمي نفسي الخاوي على الاجازة العلمية اختال بين اقراني أزعم اني سوف أرقى. وسوف أصبح علماً من الاعلام في ميدان الحياة العملية. وكان يخيل لي اني

أعتلي منصة منصب عالٍ واني آمن واثق وما كان هذا شعوري وحدي، بل كان شعورنا جميعاً، نحن معشر الشبان يطلبون العلم، مما يدل على مدى ما في صدورنا من طموح

اما اليوم فقد خارت عزيمتي. وهذا لا يرجع الى ما يعقب النصر من الركون الى الراحة بل يرجع الى اني طرقت الابواب لاحظى بعمل يمهد لي سلم الرقي ويحقق ما أصبو اليه. فاذا بي ارتد خائباً. بدأت سماء حياتي تتلبد بالغيوم وخففت من غلوائي وطلبت اي عمل أين كان وبأي مرتب، وتضرعت واستعطفت فارتددت خائباً بلا أدنى أمل. قيل لي ان أطلب الامور من أبوابها وان أقصد العظماء وذوي الجاه لأحظى منهم بكلمة أو خطاب توصية واني لا أستطيع ان احصل على عمل الا عن طريق التوصية. فلما ضاقت بي الحيل، أرقت ماء وجهي وقصدت احد ذوي الجاه وقد كان يعرف أني من سنين مضت فناولني خطاب التوصية بأطراف اصابعه متأففاً كأنه يخاف ان يلمس يدي فيصاب بمرض الفاقة، وأي مرض أشد وطأة منه وقد عجز الطب عن مداواته بل لقد أودى بالعظماء وأذاقهم الهوان. وتناول هذا العظيم بعد ان سمي الخطاب «سماعة التليفون» وردد بضع كلمات لصديق يشغل منصباً من مناصب الحكومة صحبها بعظمة مرتبة لم أفهمها بحذافيرها انما ادركت منها ما يدركه المستجدي شديد الحاجة من احساس بادرة الاحسان

بادرت الى حمل الرقعة الى دور الحكومة ثم انتظرت الرد كما ينتظر الجندي المحصور حضور طلائع النجدة. وبعد ان مكثت ساعة بل اكثر. وانا على احر من الجمر يخفق قلبي خفقان المحموم وترتعد فرائصي ارتعاد الواله المشدوه احاول ان أستخلص من ثنايا وجه ذلك الذي استدر عطفه كلمة، إما لي وإما عليّ، نظر الي نظرة المكتئب ثم قال لي. (عجيب ان يتهافت الشباب على وظائف الحكومة ومجال الاعمال الحرة فسيح وفي ميدانها متسع للكفاءات. على الشباب ان ينافس في التجارة او الصناعة او الزراعة ولا يتشبه بنا معشر الموظفين ويحذو حذونا فحالنا أسوأ حال ومآلنا أسوأ مآل لا تتعدى حياتنا دائرة الوظيفة فنحن كالآلات بلا فكر ولا ابتداع ولا تتعدى ثروتنا مهما تضخمت مرتباتنا حد ضرورات الحياة القصوى فلا نأمل في ضياع او عقارات او اسهم او سندات. واعلم اني كنت افضل ان اشتغل بعمل من الاعمال الحرة يدرّ عليّ الآلاف على ان اشتغل في وظيفتي هذه ولا يغرّنك المرتب الضخم الذي اقبضه فان مرتباتنا تتضاءل في جانب ذل الوظيفة) ومضى في خطابه واخذ صوته يعلو شيئاً فشيئاً وهو ينظر إلى مرؤوسيه ليتلقى منهم نظرات وعبارات الاعجاب ثم تدخل وكيله بناء على اشارة منه وقد علمت فيما بعد انه محاميه فجاء طالبي عطفه وقال لي (اعلم ان الحصول على وظيفة ليس من السهولة بمكان فخطابات التوصية عديدة ويفوقها الآن توسط العظيم القابض على زمام السلطة لا العظيم المتقاعد البعيد عن ميدان السياسة. وقد سبقك من هو اقوى منك واسطة واسرع منك في اقتناص

الوظيفة الشاغرة عنده واني اصبحت اليوم وأملك صيف الواسطة ان تنهز فرصة الاعلان عن المسابقة للالتحاق باحدى الوظائف بعد عدتك للامتحان وتتقدم اليه فتغنم الوظيفة متى أحدث الاجابة ما دمت لا تستطيع المغامرة في ميدان الاعمال الحرة)

ما كان امالي تعوزني تسمو علي النزول الى ميدان الاعمال الحرة، فتقدمت الى احدى المسابقات الحكومية وفزت فيها على ان الفوز لم يحقق حصولي على الوظيفة بعد قيل لي ان الحكومة استغنت عن اشغال الوظائف المؤقتة ثم سمعت بعد بضعة شهور ان الوظيفة قد شغلها غيري وقد اصبحت الحكومة بذلك التعليل في حل من اشغالها بواسطة الناجحين في المسابقة

ربت اني يبدأ حياته كموظف في احدى بلاد الريف بأن مالنباتات هناك وكنت طفلاً أمرح في الحقول، وكثيراً ما كنت ألهو في رحبة المحكمة لقربها من البيت وارتع في صحونها وعرصاتها واصعد الى سوها ثم انزل واعود أدراجي في صحبة ابي وانا سعيد بحياة الريف، سعيد بحياة الطفولة البريئة بلا هموم ولا تفكير في المستقبل. وكنت أنبه نحواً حبيا اصحب والدي في غدواته وروحاته، وكان الاحترامات التي يقابل بها موجهة الى كل ما الى ابي كممثل للسلطة العامة والى كان احد رجال هذه السلطة. وكانت امنيتي القصوى ان أتربع في المستقبل في دست مثل هذا المنصب بل كانت هذه امنية اسرتي وذوي قرباي ثم صحبت والدي في تنقلاته بمختلف بلاد الريف ومضت أعوام الدراسة سريعة فيها بصعد أبي سلم ارتقى المطرد ويختم جهوده في احدى كبريات مناصب القضاء بالعاصمة، وأتممت أنا بدوري حياتي المدرسية وحصلت على اجازتي بفضل سهره على تعليمي. وأريد اليوم ان أنسج على منوال الآباء وان امثل دوري في الحياة خير تمثيل وان أربح من المال ما يساعدني على تكوين أسرة لا تعبث بها الفاقة ولا تقوض دعائمها المتاعب المالية. أريد ان أكون ركناً صالحاً في بنيان مصر الحديثة وان أواصل جهود الآباء والأجداد ولطالما قال لي أبي في ساعات حياته الأخيرة (اني أرحل من هذه الدنيا قرير العين فقد قمت بواجبي نحوك لم أورثك المال لاني كنت موظفاً محدود المرتب ضئيله ولكني أنفقت عليك في سبيل العلم وهو كنز لا يفنى سيفتح لك أبواب الرزق سيفتح لك أبواب التوظف على مصراعيها) فهل تبدل العالم فأصبح غير العالم الذي عاش فيه جيل ابي وهل أصبحت الحال غير الحال فصار العلم وبالاً على صاحبه

لقد رشفتم أيها الآباء كؤوس الحياة هنيئة حتى آخر قطرة منها وتقلدتم المناصب وزينتم في صدر أعلاها وأوفرها قيمة وأغزرها كسباً وحرصتم عليها حرص البخيل على المال وقبضتم على أطرافها بكلاليب من حديد غير ان الفلك دوار والحياة سائرة في طريق لا رجوع منه وها ميزان النهار قد مال وأذنت شمسه بالغروب، وكما أفسح الأجداد للآباء الطريق وقدوم نفحة

الحياة العملية ليستريحوا بدورهم بحسن ما يكفل الأبناء للآباء مستوى الحياة كي يصطدموا بها

لا بد من شباب اليوم افكار جديدة . لا بد ان نصبغ بها كافة أساليب الحياة حتى نواصل بلادنا تقدمها ونأخذ قسطاً أوفر من المدنية الحديثة . وان إغلاق الأبواب في وجوهنا ، لا يحول دون مشروعاتنا فحسب ، بل يحول أيضاً دون تكويننا الأسرة

ما أشد الآباء قواماً معطلة على ارغم ما هولاً ان الاوان لاطلاقها من عقدها

من الاعمار الى الاعمار — نصيحة الشيوخ للشبان

تكمن صرخة الشباب المثقف حماسة بقدر امتلاء الصدور الخارجة منها هي صرخة الشباب الذي يستعد لخوض غمار الحياة بسبب ميلاقي العقبات تعترض طريقه كالذي من سعة في ذلك السبيل فيش لغارة عن الجيل الماضي طوع سنة التجديد . ليس ذلك التهديد بالجديد فطالما تماحت وتناهضت الاجيال بالقدم والجيل بالتجديد والبناء وطالما أنذر الابناء بخطورة الموقف وتوعدوا الآباء بهدم كل قديم وطالما حموا التراث وأظاهروا خلاب خداع، ثم ما لبثوا ان اعرضوا عنها وسلموا بخطئهم بعد التجربة القصيرة، ودلفوا الى حكمة الآباء وادانهم

اننا لسنا أبناء جيل او نصف سنين في هذه الحياة الدنيا بل لقد ورثنا في ساعة ميلادنا تراث القرون والاحقاب فعلينا تعهد ذلك الميراث الزري والسيما علينا أدعان وسائل التحصين عليه لا تحطيمه واقتلاعه من جذوره . وكاننا في حاجة الى افكار الشباب ونشاطه لمواصلة استثمار هذا التراث العظيم فالشباب أيضاً في حاجة إلى عرض أيدينا . مما لا شك فيه ان الشاب يعبر عن آراء حديثة لها أجل فائدة في التقدم العالمي اذا استعدت منها المبالغة . ومما لا شك فيه ان الشاب يمج تردد الشيوخ الذي يضيع عليهم الفرص واكثارهم من القول والمناقشة والجدل . ومما لا شك فيه ان الشباب يتأجج حماسة ، بعكس الجيل السابق الذي كادت تنطوي رسالته وكاد ينتهي عهد كفاحه وهو يستعد لتسليم مفاتيح الحياة الى رجال الغد . غير انه مما لا شك فيه ايضاً ان الشباب ينقصه المران وفي حاجة الى نصح الشيوخ الذين حنكهم الدهر وعجمت عودهم الخطوب

يغبط الابناء الآباء على ما كانوا عليه منذ جيل او أكثر فيقولون انهم لم ينعموا بسهولة الحياة التي نعم بها الآباء في العصر الماضي وانهم لم يحصلوا على ما حصل عليه الآباء من ثروة وراحة البال واستقرار العيش وثبات النظم السياسية والاقتصادية ، بل انهم ضحية عصر انتقال وقرابين تقدمه مدنيتنا وقد فقدت اتزانها على مدرج التطور ، وان الآباء لم يشهدوا إبان صباهم حياة ضيق ارزق الناشئة لا عن قحط او شح الانتاج ، فالعالم يغص بالمنتجات والحاصلات ، بل عن وفرة الانتاج

للابناء بعض العذر فحياة هذا الجيل عصيبة لان التاريخ يلازمهم أعنة انقلاب خطير شبيه بذلك التطور الذي قضى على عهد الاقطاع بأوروبا وأحل النذقية والمدفع محل القوس والنشاب

والتحقيق. وكذلك التطور الذي مضى على الصناعات اليدوية وأساليب المواصلات القديمة بإحلال الآلات والقاطرات والسفن التجارية محلها في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. يصحب التطور الاضطراب ثم يقوم البناء الجديد على أساس وطيد وسوف يخرج العالم من أزمته هذه كما خرج من الأزمات السابقة أشد وأقوى

وواجب الأبناء اليوم تجاه المدنية الحديثة أشق من واجب الآباء فيما مضى غير ان مجال العمل للشباب المثقف أفسح من مجال الآباء. على الأبناء تشييد صرح العالم الاقتصادي من جديد ومكافحة زيادة الانتاج، لا مكافحة قلته وشحته كما كافح الآباء ذلك. وعليهم تنظيم العملة ووضع قواعد ثابتة تربط الأسعار العالمية بعضها ببعض فتنظم العلاقات بين الدولة والفرد ووضع قواعد صالحة جديدة للعقود والالتزامات وعليهم التوفيق بين حرية الفرد وواجباته نحو الدولة وتوطيد دعائم السلطة مع احترام سيادة الأمة وعليهم وضع أسس ثابتة للسلام وإصلاح حكومة الأمم إصلاحاً يضمن لها الخلود، خلود الهياكل والمعابد وعلى العموم عليهم ان يضعوا أسساً علمية جديدة للحياة لتسيير دفة العالم. لاشك في ان الأعباء الملقاة على عاتق الأبناء ثقيلة تنهك قوائم ستجعل شبابهم عسيراً وعيشهم شظفاً. غير انها سوف تخلق منهم رجالاً أشداء وسوف تهيئهم اذا حلت شيخوختهم حياة آمنة ترفرف عليها أجنحة السلام. فليس لكم أيها الأبناء ان تتذمروا وتضجروا بل عليكم ان تجاهدوا بجلد. ومما لاشك فيه ان الآباء يغبطون من العشرين في سنة ١٩٣٦

لقد سهر الآباء عليكم أيها الأبناء وعنوا بتربيتكم ورفرفوا بأجنحتهم على أعشاشكم يوم كنتم صغاراً وعليكم اليوم ان تذودوا عنهم وتواصلوا جهودهم وعسى ان تكونوا أوفر منهم حظاً فتحققوا ما لم يستطيعوا تحقيقه. عليكم ان تعلموا أبناءكم غداً ان يعلموا أحفادكم على مر العصور والأجيال، كيف يواصلون بناء صرح مصر المستقلة

لكم يا معشر الشباب ان تتساءلوا ماذا يعني العلم اذا مات صاحبه على الطوى، وماذا يفيد الدرس والتحصيل اذا تعذر على الشاب المثقف ان يقوم بأوده بعد ان قوّم فكره وان يجني ثمار جده وتحصيله في ميدان حياتنا المادية هذه وقد تطور العلم فأصبح وسيلة للارتزاق

ومهمتنا نحن الآباء ان نذلل الصعاب التي تعترضكم ونمهد لكم طريق الحياة المكدسة بالصعوبات ونهيء لكم سبل الأعمال. أما الوقوف عند حد إسداء النصح لكم بانخراطكم في سلك التجارة والصناعة والزراعة وسائر الأعمال الحرة دون التغلغل في أعماق داء البطالة واستئصال شأفته فهو ما لا يفي بالغرض بحال، وما لا يغني فتيلا. وذلك لانشغالنا فيما مضى عن ميدان الاقتصاد لنسبغ نشاطنا على الوظائف حبًّا في راحة البال وتفضيلاً للمرتب الثابت على المغامرة فاحتله غيرنا حتى ازدحم ازدحاماً شديداً، وتعذر علينا اليوم خوض غمار هذا الميدان المكتظ بالبيئة الأجنبية

اسباب بطالة الشباب المثقف عندنا

تتراءى البطالة عندنا في تراكم طلبات التوظف والاستخدام بالحكومة والشركات وفي انتهائها كلما أعلن عن وظيفة خالية أحياناً عدداً يزيد على عدد الخانات المراد اشغالها بمئات المرات وفي هبوط مستوى تقدير حملة الشهادات واضطرارهم الى شغل وظائف لم يتخصصوا لها وغالباً ما تكون دون مستواهم العلمي ومؤهلاتهم، وفي شكاواهم وصيحاتهم وفي نقصان دخل اصحاب المهن الحرة من اطباء ومحامين ومهندسين تبعاً لتزايد عددهم سنة بعد اخرى. ومن يتراءى فيما يحيط بنا من متاعب الجيل وهي أبعد غوراً وأشد أثراً مما قد يتيسر لاول وهلة. علاوة على ان للازمة العالمية يداً في كساد الاعمال وانحطاط الاسعار وبطالة المتعلمين عندنا، شأننا شأن الامم الاجنبية. فهذه البطالة نتيجة محتومة لازمة محلية خطيرة نجمت عن تزايد عدد السكان من ٩ر٢ مليون من الانفس الى ما يربو على الاربعة عشر مليوناً وحسبان ارتفاع الرقم في المستقبل الآجل الى اكثر من ٢٠ مليون بينما ان الاراضي الزراعية وهي عماد ثروة البلاد لم تزد عن الضعف الا قليلاً وقد وصلت الى ما يقارب الخمسة ملايين ونصف من الافدنة ولن تتجاوز مساحة الاراضي بعد اصلاح البور منها سبعة ملايين. ومعنى هذا ان عدد السكان رغم تضاعفه يعيش على نفس موارد الرزق غير العادلة لزيادته الكبيرة. ويترتب على ذلك اشتداد الكفاح في سبيل الحياة وازدحام الاعمال بشاغليها مع قلة موارد الثروة مما لا يؤهله لمستلزمات المدنية الحديثة وكما يقتضيه المتعلم الذي يتطلب اجراً خليقاً بعلمه. وهذه الظاهرة مشاهدة في الاطباء والمحامين حيث ان موارد الفلاح ضئيلة محدودة لا يلتجيء اليهما الا عند الضرورة القصوى ويعرض عليهما اجراً زهيداً يزيد في زهادته وقلته، شدة تنافس اصحاب هاتين المهنتين وهبوط دخل الفلاح بفعل الازمة وجهله تقدير مزايا الاعتماد على الطب او المحاماة لأميته.

وعلاوة على ان موارد ثروة البلاد لا تتناسب وتزايد عدد السكان، فهناك اسباب اخرى تضاعف اشتداد ازمة بطالة المتعلمين عندنا كعدم تمشي ثقافة المتخرجين وتعليمهم والامر الواقع، حيث ينقصهم الكثير من المعارف التجارية والصناعية ولا يلمون إلماماً كافياً باللغات السائدة في عالم التجارة والصناعة لقلة تحدثهم بها واستعمالها في بيئتهم. والفرق بين حالتهم وحالة الاجنبي شاسع فبينما نجد المصري لا سيما الريفي، لا يرى كثيراً تطور الحياة المصرية في بيئته اذا بالاوربي المقيم في مصر شأنه شأن الاوروبي في الخارج سواء أكان بالمدينة ام بالريف، يتشبع بروح التجارة والصناعة وتطور الحياة المصرية لانه يحيا بين اهله وعشيرته في بيئة تملك ناصية الاقتصاد في البلاد، ويهضم ما يتلقنه بالمدرسة بسهولة حيث ينسج على منواله في حياته العملية المصرية

ومما لا شك فيه ان هناك اطراداً في زيادة عدد المقبلين على الثقافة العالية والفنية عندنا واذا

فورنت عدد الزيادة رخ الاخير رت مشكلة بطالة الشباب المثقف جلية واضحة . غير انها زيادة حقيقية في حسب مجموع عدد سكان القطر وما تطالب احد البلاد بأساليب المدنية الحديثة من جهود المثقفين ويتضح ذلك من الاحصاء العام لمعاهد التعليم بالقطر المصري للسنة الدراسية ١٩٣٣ و١٩٣٤ . —

١ — عدد المدارس ٨٤١٢ وعدد الطلبة من بنين وبنات ٧٦٥ر ٩٤١

٢ — اطراد زيادة المقبلين على الشهادة العالية من المصريين بالجامعة المصرية والمدارس المختلفة خارج القطر والمدارس العالية في مصر ومدارس التخصص والفنون والصناعات والزراعة ما بين سنة ١٩٢٣ — ١٩٢٤ و ١٩٣٢ — ١٩٣٣ : —

سنة ١٩٢٣—١٩٢٤	١٫١٠١	تموا دراستهم	سنة ١٩٢٨ – ١٩٢٩	٩٤٣	تموا دراستهم
» ١٩٢٤—١٩٢٥	٩٤٠	»	» ١١٢٩ ١٩٣٠	١٫٠٠٧	»
» ١٩٢٥—١٩٢٦	١٫٥٨٧	»	» ١٩٣٠—١٩٣١	١٫٢٨١	»
» ١٩٢٦—١٩٢٧	٨١٨	»	» ١٩٣١—١٩٣٢	١٫٨١٣	»
» ١٩٢٧—١٩٢٨	٧٨٤	»	» ١٩٣٢—١٩٣٣	١٫٩٦٩	»

وانما تبدو الصعوبة في تهافت جل هؤلاء المتخرجين على وظائف الحكومة. ويتضح ذلك كما هو مبين بعد ، من مقارنة متخرجي الجامعة المصرية وعدد من وظف منهم بالمصالح الاميرية طبقاً للاحصاء العام لمعاهد التعليم في القطر المصري —

السنة	المتخرجون	الموظفون منهم	السنة	المتخرجون	الموظفون منهم
١٩٣٠	٣٢٨	١٧٣	١٩٣٣	٣٣٠	١٣٩
١٩٣١	٣٨٥	١٦٣	١٩٣٤	٢٨٦	١٦٢
١٩٣٢	٣٧٥	١٩٣			

ليست ازمة البطالة في بلادنا ناشئة عن ان مستوى الذين يعرفون القراءة والكتابة ١٠٠ او ان عدد المتخرجين من المدارس العالية يزداد زيادة لا مبرر لها كما هي الحال في البلدان الاجنبية بل بالعكس ، يتضح مما يتناه فيما سلف ان الخمسة عشر مليوناً من سكان القطر يتوقون الى خدمات وصنائع المثقفين من اطباء وقانونيين ومهندسين واقتصاديين وزراعيين وفنانين وكيميائيين وغيرهم، وان في البلاد متسعاً لجهود اضعاف اضعاف الحاليين المثقفين الا ان موطن الداء هو فقر السواد الاعظم من الامة وانحطاط مستوى معيشتهم حيث يتبلغون بكسرة من خبز الاذرة وقليل من السمن او الجبن ، ويمشون حفاة عراة في الطين ويسكنون بناء اهل الطين ويلتحفون السماء كما يتحفون الثراء مضجعاً

المذهب الشكلي

في السيكولوجية الحديثة

— ٢ —

سالم العبد سالم

(المذهب الشكلي والسلوكية Gestaltism & Behaviorism) مرّ بنا في ما سبق ان المذهب الشكلي قد قام بثورة عامة وانقلاب خطير في كثير من المعتقدات السيكولوجية القديمة ووضعها. وقد تحدّثنا إلى القارىء في مقالنا السابق عن الحملات التي قام بها فرتهايمر وأصحابه من اتباع المذهب الشكلي لنقض مبادىء الارتباطيين ونعود اليوم لنتحدّث اليه عن حملات جديدة قام بها اصحاب هذا المذهب لتقويض دعائم السلوكيين. وقبل ان نوغل في البحث يجمل بنا ان نذكر ان السلوكيين يعتقدون بأن مناقب الانسان العقلية والنفسية من عاطفة وفكر وارادة — وبعبارة أخرى ان سلوكه في الجملة مؤلف من مركبات دقائقها لاولى المؤثرات وأجوبتها وما يتفرع عن ذلك من اعمال منعكسة مشترطة وغير مشترطة . وهم يعتقدون ايضاً أن معرفتنا لهذه المؤثرات وأجوبتها وللروابط الكائنة بينهما ، تمكننا من السيطرة على سلوك الانسان وتصرفه

اما فرتهايمر وأصحابه من الشكليين فيخالفون هذا الاعتقاد وينكرون على ويأبون تجزئة سلوك الانسان الى مؤثرات وروابط ، وينكرون ايضاً ان الغرائز ليست سوى مركبات لسلسلة من المنعكسات كما ارتأى هربرت سبنسر قبلاً وهم يحملون على ما ادعاه بافلوف العالم الروسي من ان السلوك المكتسب قائم على المنعكسات المشترطة [1] وهم يحتجون بشدة على الاستعمال الخارق للمعنى « مؤثر وجوابه » في السيكولوجيا الحديثة وذلك لأن أغلب من يستعمل هاتين اللفظتين يتناسى ما يجري في الدماغ من الادراك الحسي لشتى المؤثرات من أحجام وأشكال . واشهر من بين صفوف الشكليين بحملاته الشديدة على تعاليم السلوكية كورت ليفن Kurt Lewin أحد أساتذة

---

(1) Conditioned Reflexes

السيكولوجية في جامعة برلين فهو ينكر على واطسون القول ان سلوك الانسان يصدر عن الروابط الكائنة بين المؤثرات وأجوبتها سواء أحصل ذلك عن طريق فطري او اكتسابي اشتراطي وليفن في دحضه لتعاليم السلوكيين يأتي بكثير من التجارب والاختبارات اليومية مؤيداً لكلامه. وقد اخترنا منها هنا مثلاً سهل التناول. قال. لنفرض ايها القارىء أنك قبل خروجك من بيتك وضعت تحريراً في جيبك وعزمت في نفسك ان تطرحه داخل صندوق البريد حال مرورك به في الشارع. فأنت بذلك قد جعلت رابطاً أو سبباً بين رؤيتك لصندوق البريد واخراجك التحرير، هو رابط المؤثر وجوابه فاذا مررت بصندوق البريد تناولت في الحال التحرير من جيبك وأودعته إياه. وقد يتخذ الارتباطيون والسلوكيون هذا المثل برهاناً ساطعاً على صدق نظريتهما. واذا كان الحال هكذا فان تكرار حدوث هذا الرابط في شكله المذكور يزيده رسوخاً وشدة وإذن فأنت اذا أقدمت ثانية على صندوق بريد يتحتم عليك بناء على ما مر ان تدخل يدك في جيبك كي ما تتناول التحرير. بيد ان الحقيقة الواقعة هي عكس ذلك. وبيان الأمر ان الرابط بين المؤثر وجوابه قد امحى حينما دفعت بالتحرير الى الصندوق. ويرى كورت ليفن المذكور ان العامل الذي أهاب بك الى دفع التحرير ليس الرابط الكائن بين المؤثر وجوابه وانما هو حالة توتر شديدة في دماغك تلاشت بعد ان ألقيت بالتحرير في الصندوق. وهو يرى أيضاً ان هذا التوتر في الدماغ قد يذهب عن طريق آخر فأنت لو مر بك ساعتئذ ساعي البريد مثلاً ودفعت له تحريرك تكون قد فصمت هذا التوتر ايضاً

وإذن فليفن وأصحابه الشكليون يرون ان سلوك الانسان ومناشطه النفسية في مختلف ألوانها قائمة على عملية «املاء الفراغ» التي كنا قد ذكرناها في مقالنا السابق. فأنت مثلاً حين وضعت التحرير في جيبك وأقررت النية على ايداعه ... سلوكك فراغاً لم يكن «ليمتلىء» الا حين أودعت التحرير داخل الصندوق او ناولته الساعي. وظاهر ان هذا التوتر في الدماغ لا ينشأ ما لم تكن هناك رغبة خاصة في سد عوز حيوي وقد يكون هذا العوز في كثير من الأحايين كاذباً ملفقاً. ومع هذا نراه يشغل فراغاً في سلوك المرء ويتطلب «املاء» بشتى الوسائل والطرق

***

﴿ المذهب الشكلي والذكاء Gestalt & Inteligence ﴾ لعل أشهر الاصلاحات الخطيرة التي أحدثها المذهب الشكلي في السيكولوجيا تقع في منطقة الذكاء «والتعلم» فأصحابه أول من أقدم في عصرنا الحاضر — عصر العلوم الطبيعية والآلات — على تفسير الذكاء تفسيراً يخرج عن

نطاق التفسير الآلي القائم على طريقة التجربة والخطأ وسوموبة منذ ان قام اسكهاوس ١٩٠٠ الى بحثه السكولوجية الى ان ظهر مؤلف العالم المصري «المنعكسات المشترطة » و «التعلم » يفسر تفسيراً آلياً محضاً . تارة بنظرية ربط الخاطرات بعضها ببعض عند الارتباطيين ، وأخرى بنظرية ربط المؤثرات بأجوبتها عند السلوكيين . ويعلم من له المام بالسيكولوجيا الحديثة ان النظرية الثانية — نظرية السلوكيين — سائدة اليوم لدى اكثر الاوساط العلمية وقد أحرزت نصرها المبين يوم قام ثورندايك Thorndike الاميركي بتجاربه الواسعة في الكلاب والقطط وبعض القرود الصغيرة .
وقد تتلخص النتائج التي خرج بها ثورندايك هذا من تجاربه المتعددة ، ان الحيوانات حتماً « تتعلم » من طريق التجربة والخطأ وانها بتلك تكتسب ما كان ذا فائدة محسوسة لكيانها وانها تدفع عنها ما كان ضاراً وما لا يحصل لها منه نفع . وظاهر أن طريقة « التجربة والخطأ » هذه طريقة عمياء آلية

أما الشكليون فقد ارتابوا بادىء ذي بدء بصحة نظرية ثورندايك وفي طليعتهم العالم الالماني كولر Koehler صاحب التجارب المعروفة في ذكاء القرود . وفي عام ١٩١٣ ارسلته الحكومة الالمانية الى تنريف عاصمة جزائر الكنار حيث كانت قد انشأت حديقة عظمى للحيوانات كي ما يقوم ببحوث واسعة النطاق في حقل اختصاصه واعلنت يومذاك أسنة الحرب العظمى وكولر مكبٌّ على بحوثه في تلك الجزر النائية ولم تسمح له السلطات بمغادرة البلاد فأتيح له من ثمَّ فرصة نادرة المثال لمتابعة بحوثه في ذكاء القرود وعلى الاخص الشمبانزي منها . ويظهر ان كولر قد ارتاب بادىء ذي بدء بصحة تجارب ثورندايك فهو قد رأى مثلاً أن ثورندايك قد استعمل حين قيامه بتجاربه صناديق محكمة الجوانب بحيث لا يستطيع الحيوان الوصول الى داخلها الا بعد مشقة هائلة وبرغم من انه أقر مبدئيًّا ان من الواجب ان توضع للحيوانات عقبات لتجتازها ، عاد فرأى ان وضع عقبات كؤود قد لا يمكننا من معرفة الذكاء بدليل انها أعظم من أن يجتازها الحيوان . وإذن فنحن إن أردنا أن نفحص ذكاءه يجب علينا أن نفسح له مجالاً كي يتمكن من رؤية جميع ما يحيط به من الامور والاوضاع . فاذا كان ذا ذكاء — ونعني بالذكاء هنا ما قام على بصيرة ورؤية للاشكال في وحدات تامة — اجتاز العقبات سالماً دون أن يلجأ إلى طريقة التجربة والخطأ العمياء .

وقد يطول بنا الشرح لو عمدنا إلى استقصاء جميع ما قام به كولر من التجارب لإثبات ذكاء القرود فقد ألف في ذلك المطولات غير أننا عمدنا هنا إلى اختيار بعض التجارب كي يوضح

لسلطان وبلي سنوات جديداً على مذهبه الشكلي ووجوده في القرود العليا. أخذ كولر عنقوداً من الموز وعلقه في أعلى قفص "شمباري" حيث لا يتمكن من الوصول إليه ثم ربط هذا العنقود بخيط محكم وأدلاه إلى الجهة السفلى من القفص واضعاً مع ذلك الخيط خيوطاً أخرى لا اتصال لها بالموز قط. وهكذا شرع الشمباري يسحب الخيط واحداً تلو الآخر حتى تمكن أخيراً من العثور على الخيط المتصل بالعنقود. والظاهر من هذه التجربة أن القرد لم يحصل على عنقود الموز إلا عن طريق التجربة والخطأ وقد علل كولر ذلك قائلاً إن الشكل الحاصل من هذه الجزئيات أعسر من أن يستطيع عقل القرد أن يدركه

ثم عمد كولر إلى تجربة أخرى فألقى عصاً ووضعها خلف قضبان القفص، والغريب أن القرد قد شاهد العصا وأخذها بيده ولكن لم يكن ليستخدمها سريعاً. ويظهر أن فشله في ذلك قائم على عدم وجود شكل «كشتلت» يضم كلاً من العصا والعنقود المتدلي في وحدة متناسقة الأجزاء وقد استطاع كولر فيما بعد أن «يعلم» القرد أن يستخدم العصا تدريجياً وتمكن القرد على أثر ذلك من إسقاط العنقود

***

وأعجب ما يذكره كولر عن ذكاء القردة ما حكاه عن شمباري نبيه قال: استطاع هذا القرد بعد تجارب متوالية أن يجمع قصبتين من البوص الهندي ويؤلف منهما عصاً طويلة استخدمها فيما بعد للحصول على عنقود الموز بعد أن كادت تعييه جميع الحيل. وقد كان نجاحه دون سابق انتظار وطفح وجهه في الحال سروراً ولمعت أساريره ... ثم استطاع بعد حين، متواصل أن يحل معضلة معقدة الأجزاء. والغريب أن الشمباري هذا تمكن في اليوم التالي أن يقوم بما قام به قبلاً على مرأى من جموع الحاضرين. والظاهر أن عملاً كهذا يعين الجمع أن ذكاء القردة العليا لا يقوم على التجربة والخطأ فحسب، بل وعلى التبصر والفطنة أيضاً Insight ويظهر هذا التبصر وتلك الفطنة في إدراك الأشكال التامة أولاً، وما فيها من الجزئيات المتعددة ثانياً. وهناك تجربة أخرى قام بها أحد علماء الشكليين تشير بوضوح إلى صدق نظريتهم القائلة أن الحيوانات جميعاً تدرك الأشكال قبل أن تدرك أجزاءها المتعددة

لنضع صندوقين طلي أحدهما بدهان رمادي خفيف هو صندوق – (أ) والثاني طلي بدهان رمادي متوسط هو صندوق (ب). ولنجعل في صندوق (ب) طعاماً شهياً، ولنأت من ثم بأحد الحيوانات — مهما كان نوعها — ولنتركه يسعى وراء هذا الطعام وهكذا نرى الحيوان يتلمس الصندوقين ليرى أيهما يحوي طعامه ثم لنأخذ الصندوق الأول ذا اللون الرمادي

الخفيف — صندوق (ا) — ولنضع مكانهُ صندوقاً آخر طليت جدرانه بدهان رمادي قاتم. ولنعد فنطلق سراح الحيوان ليجد طعامه. فهل نراهُ يركض نحو صندوق (ب) حيث كان يجد طعامه ابداً؟ لا فهو يندفع الآن نحو الصندوق الجديد ذي اللون الرمادي القاتم. ولماذا؟ لأن الحيوان — على حد قول الشكليين — لم يتأثر بلا لون خاص هو لون صندوق (ب) وانما بشكل انموذجي هو « الرمادي القاتم القاتم » فهو اذا رأى حدي اللونين هرول مسرعاً نحو اقتمها فتراهُ يركض في الحالة الاولى نحو الصندوق (ب) وفي الثانية نحو الصندوق القاتم الجديد. وقد اعيدت هذه التجربة مراراً وكانت النتيجة ابداً واحدة. فالحيوان في مختلف احواله لم يكن يتأثر الا بالشكل الأنموذجي الكامل

***

ومن البديهي ان المتأثر بالشكل الانموذجي دون اجزائه المفردة لا يمكن لهُ ان يقوم على ذكاء آلي أعمى، بل يتحتم عليه ان يقوم على بصيرة تستطيع ان تدرك الاجزاء في وحدة شاملة. وبينما نحن نرى الذكاء الآلي قائماً على التجربة والخطإ متخبطاً في دياجير اخطائه الكثيرة يعثر مرة وينهض اخرى، نجد الذكاء القائم على البصيرة سديد هدفه، يدرك الاشكال برمتها ويفهم اجزاءها واحدة فواحدة بالنسبة الى بعضها والى الكل. ومن الاهمية بمكان عظيم ان نعلم اي النوعين من الذكاء هو ذكاء الحيوانات السفلى والعليا. وظاهر ان الحيوانات السفلى لا ذكاء لها الا الاول — ذكاء التجربة والخطإ — امَّا العليا منها فلها ذكاء البصيرة والفطنة — كما اثبتت تجارب كولر وادن فمن الطبيعي ان تقوم ضجة عظيمة في الاوساط السيكولوجية على اثر هذه التجارب فتشتد المشادة بين اصحاب مختلف المذاهب، كلٌّ يدعم نظرياته ويحاول ان ينقض نظريات الآخرين ومشادة عنيفة كهذه تنبيء ولا ريب بانقلاب خطير سيعم شتى الآراء والنظريات النفسية والتربوية معاً

ولسنا نبالغ اذا قلنا اننا اليوم واقفون على عتبة ثورة جديدة في السيكولوجيا تكاد تماثل الثورة التي قام بها شارلس داروين في منتصف القرن التاسع عشر فقلب بها آراء علماء عصره في مختلف نواحي العلم. واننا نكاد نشعر مما كتب حتى اليوم عن المذهب الشكلي وآراء اصحابه الثورية في السيكولوجيا، ان اتجاهه سوف لا يكون ماديًّا صرفاً وان تفسيره لشتى المناحي العقلية والنفسية سوف لا يقوم على تفسير آلي فحسب وانما سينحو في جميع ذلك منحىً جديداً هو المنحى الحَدَثي Phenomena فلننتظر فان غداً لناظره قريب

سر المادة المحير

أكهرباء لا مادة هي؟
أم هي مادة ايثرية الاصل؟

بقلم نقولا الحداد

على الرغم من اكتشاف العلم كثيراً من خواص المادة وأساليب تصرفاتها في تفاعلاتها المتنوعة لا تزال حقيقتها الأساسية سرّاً مجهولاً. فعلامة اليوم كعلامة القدماء لا يزالون يقولون: لا نعرف عنها إلاّ ما تؤديه أعراضها الظاهرة في حواسنا. ومثلهم العلماء، كلما اكتشفوا تجربة جديدة للمادة وأمّلوا ان يظفروا بالجوهر الاول الذي يعدّ وحدتها غير القابلة التجزئة، والذي به ينحل لغزها، وجدوا ان اللغز يزداد غموضاً وحقيقتها التباساً. وقد اطلعت اليوم على مقال قيّم للعلاّمة الكبير سوليفان في الجزء الاول من دائرة معارف العلم الحديث الصادر في هذا العام يبسط فيه سرّ المادة المحير. فوددت أن ألخصهُ فيما يلي دون تغيير ما يتراءى في تفسيره ممكناً:

لقد ثبت بالاختبار العملي أن الذرة (atom) مهما كان نوعها مؤلفة من دقيقات كهربائية (أي ذريرة معبأة تعبئة كهربائية) بروتونات ايجابية وكهارب (الكترونات) سلبية. والذرات تختلف بحسب عدد ما فيها من نوعي الذريرات هذين. وفي بادىء الأمر أُعتبر هذان البروتون والكهرب (الكترون) وحدتي المادة الاساسيتين. (وأخيراً ظهر انهما مؤلفان من ألوف الفوتونات كما سنذكره فيما بعد) فلو كان هذا الاكتشاف على بساطته كافياً لتعليل جميع تصرفات الذرة والذريرات لعُدّ لغزها منحلاً. ولكن الاختبارات العملية الأخيرة أفضت الى نظرية غريبة، وهي ان هذه الذريرات المكهربة ليست إلاّ الكهرباء عينها وليس ثمت شيء يسمّى مادة مكهربة.

لقد تعودنا أن نتصوّر قطعة من المادة اما مكهربة (معبّأة) او غير مكهربة، باعتبار ان الكهرباء خاصة للمادة. ولكن الاختبارات المشار اليها تدل على ان الكهرباء والمادة شيء واحد، لا ان الأولى صفة، والثانية موصوفة بها. ولا يخفى انهُ يتعذر على العقل تصوّر الكهرباء بهذا المعنى شيئاً متحركاً في الزمن والمكان. فهو كقولك الحركة موجودة من غير وجود شيء متحرّك

ثم ظهرت عقدة اخرى [illegible] الرياضيين . فقد أظهرت حساباتهم الرياضية [illegible] ان الذرة وهي مشتملة على نواة [illegible] وكهربائيات [illegible] لا يمكن ان تبقى في الوجود لانها تتقلص [illegible] الى ان يسقط الكهرب على النواة ويمسي في مدى [illegible] هذه النظرية لعالم المادي [illegible] غير موجود

والغريب ان هذا هو [illegible] ما كان [illegible] الفلاسفة التصوريون [illegible] منذ زمان [illegible] واكثرهم اغراباً فيه الفيلسوف المطران بركلي

وجاء في إبَّان هذه [illegible] من كوبنهاغن [illegible] ان قوانين الكهرباء لا تنطبق على ما في داخل الذرة [illegible] الذرة قوانين [illegible] عن تلك ثم بسط قوانينه هذه [illegible] كثيراً من [illegible] المهمة [illegible] نظرية صادقة وعاشت نظريته هذه [illegible] كالشمس [illegible] كالسيارات تدور حول النواة المؤلفة من بروتونات . بيد ان نظام دورانها غريب مستهجن

ومن مستهجنات هذا النظام ان الكهرب يمكن ان يثب من فلك الى فلك آخر ضمنه او حوله من غير ان يمر في الخلاء الذي بينهما فكانه يختفي في فلك فيظهر في الفلك الآخر نفس الوقت — أمر يستحيل [illegible] تصوره . ووجه الغرابة فيه ان نظرنا الى الزمان والمكان لا يطابق ما في داخل الذرة من حدثان

ومعنى ذلك ان الذرة ليست الا [illegible] لا يمكن تخيلها ، اي لا تقوم لها صورة في المخيلة لاننا لا نستطيع ان نتصور شيئاً غير خاضع للمكان والزمان [illegible] هي واحاطة هذه [illegible]

[illegible] نظرية [illegible] هذه [illegible] ظهرت نتائج اختبارات عملية لم يمكن تفسيرها [illegible] تعديلها وتنقيحها . وفي سنة ١٩٢٥ [illegible] الخلاف بينها وبين الاختبارات العملية [illegible] غير مطابقة للوقائع [illegible] تطبيق بينها وبين الاختبار العملي [illegible] للذرة يمكن تصورها و [illegible] الذرة اعلنت [illegible] كشيء وهمي لا وجود له ولا وجود الا لافاعيلها فقط وهذا يطابق قول بعض الفلاسفة التصوريين كما تقدم ذكره

كذا كانت العقيدة بشأن الذرة الى ان [illegible] وقدم نظرية جديدة ولكنها رياضية بحتة غير ممكن تصورها على ان المعادلات الرياضية التي [illegible] الرموز أدوارها تطابق كل المطابقة نتائج الامتحانات العملية . فهذه المعادلات لا تقيم في الذهن صورة للذرة لا في الحيز ولا في الزمن ولا في الحركة الميكانيكية ثباتاً . على انها عدّت ناجحة لمطابقتها للنتائج العملية . (لله در الرياضة ، فانها العين التي تنفذ الى اعماق الاسرار) بيد ان هذه النظرية الرياضية التي لا ترسم للذرة صورة عقلية ، وصعوبة فهمها ، كانا سبباً لقلة التوسع فيها

وفي إبان هذه الحيرة ظهرت نظرية اخرى تمكنت من التغلب على المصاعب التي صادفتها نظرية هيزنبرج، وكانت تمتاز لاخلائها من الخطوط بعض الغموض لدى العلماء. ففي سنة ١٩٢٥ رأى البرنس دي بروجلي ان المادة ليست وهماً كما سبقت اليه بعض النظريات بل هي موجودة فعلاً ولكنها ليست موجودة بشكل ذريرات بل بشكل امواج. فانتشرت هذه النظرية وتوسع بها العلماء واصبحت النظرية العصرية الاخيرة. وأفضت الى انقلاب عظيم في نظرنا الى المادة. واخذ العلماء يعتقدون ان تمثيل المادة مجموعة من الذرات والذريرات لم يعد كافياً لتفسير الامر بل لم يعد ممكناً تمثيل الذرة كرة مادية متناهية في الصغر. بل هي مجموعة من الموجات المجردة من المادة (هات من يستطيع تصور تموج بلا شيء متموج!) ولا بد من مطابقة هذا التعريف للنتائج الاختبارية. فهو يزيد سر الذرة غموضاً على غموض ويبعدها عن دائرة التصور. ولنشرح طبيعة التموج بقدر ما يسمح هذا الغموض —

فلنشرح حكاية التموج النوري كنموذج لكل تموج. كان المعتقد ان النور رمي من الذريرات مندفعة في الفضاء بسرعة متناهية. ولكن ظاهرات هذا الاندفاع النوراني دلت على ان النور ليس ذريرات بل هو تموجات. لانه لو كان ذريرات منطلقة كانطلاق الخردق (الرش) من البندقية لاندفع في خطوط مستقيمة. ولكن اتضح انه اذا مر في شق صغير جداً انعطف الى الجانبين ايضاً كما تفعل الامواج المائية. ثم ان «التداخل النوري» Interference لا يبقي شكاً بان النور تموج لا ذريرات. والمراد «بالتداخل النوري» هو انه اذا التقت قمتا موجتين ازداد سطوع النور واذا تقابل قعرا موجتين كان ظلام (ترى نموذج ذلك دوائر نور تتخللها دوائر ظلال على حجاب اذا اسقطت على الحجاب شعاعتين من مصدرين مختلفين تمران بثقبين في نقطة صغيرة جداً). وذلك معلوم في امواج الماء وامواج الصوت ايضاً بحيث اذا تقابلت موجتان على نحو ما تهدم احداهما الاخرى

هاتان الظاهرتان التواء الاشعة والتداخل تثبتان ان النور تموج لا ذريرات. كذا الامر في الكهارب فاذا انطلقت هذه من خلال شقوق معدني رقيق حدث في انطلاقها هذا التداخل الموجي، الامر الذي يدلك على انها امواج لا ذريرات، اي انها تتصرف تصرف الموج لا تصرف الذريرات المنطلقة

قبل العلماء نظرية موجية المادة ورفعوها فوق نظرية بوهر لان الحسابات الرياضية المبنية عليها تطابق نتائج الاختبارات العلمية. لكن بكل اسف يقال ان التوسع بهذه النظرية يفضي الى تناقضات في نتائجها بحيث يخيل لنا انها ليست الا طائفة اوهام. لاننا لا ندري كيف تكون تلك الامواج. ما هو الشيء المتموج؟ لا نقدر ان نقول انها تحدث في وسط مادي لان المادة

حسبها مؤلفة من امواج (بحسب هذه النظرية) رد على ذلك انه يظهر رياضيًّا ان هذه الامواج تنتشر حتماً ومعنى ذلك ان اي نقطة من المادة لا يمكن ان تبقى في حجمها المعين وفي شكلها الخاص لحظة من الزمن بل لا بد ان تتمدد تدريجاً في الفضاء الى ان تنبسط في جميع ارجائه . وهو امر غير معقول وغير منطبق للواقع

وهناك عقبة اخرى ظهرت في سبيل هذه النظرية وهي ان الامواج التي يتألف منها مختلف الذريرات لا يمكن ان تعم في ملتقى الابعاد (الجهات) ثلاثة فكلما زادت الذريرات فيها زاد عدد الابعاد التي تعم الذرة في ملتقاها اي ان طبيعة المكان Space التي نعرفها (المكان الثلاثي الجهات) لا توافق طبيعة هذه الذرة المؤلفة من امواج لا ذريرات وكأن هذه الذرة الموجية مكاناً او حيزاً خاصاً بها غير الحيز الذي نعهده . فأين هو ؟ وكيف يكون ؟

ترى انا كلما امعنا في الجديد من النظريات بعرفة طبيعة الذرة بالابهام ويعمم لشكلها صورة في الاذهان رأيناها تزداد غرابة وغموضاً والتباساً وابتعاداً عن عالم تصوراتنا . يكفي ان تقول انها مجرد امواج من غير وجود وسط متموج حتى يعد هذا القول تخريفاً وهرفاً ولكن الابحاث الرياضية تثبته والنتائج العملية تطابقه فكان سر الحيرة ليس في طبيعة المادة بل هو في طبيعة عقولنا التي الفت ظاهرات المادة فقط من غير ان تتصل بحقائقها ولا تجاوزت الى ما وراء الظاهرات ولذلك بقي يلوح لدى نظار اهل العلم هذا السؤال . كيف نستطيع ان نفهم نظرية موجية المادة ؟

وحديثاً سمع جواب هذا السؤال وهو ان الاختبار العملي يرينا ان المادة تتصرف تصرفين مختلفين في وقت واحد . تصرف الامواج . وتصرف الذريرات (كقولك انها ذريرات متموجة كما وصفها السير جايمس جينز) . هذا اطلقنا زمرة كهارب على حجاب متألق مثلاً لمع تواقعت عليها كرشاش المطر او البرد من غير انتظام فهي تتصرف هنا كأنها ذريرات ولكن اذا اطلقناها على لوح بلوري تصرفت تصرفاً موجيًّا كتصرف الاشعة السينية (اشعة X) واظهرت نماذج فوتوغرافية كما تفعل هذه الاشعة . فلا يبقى ثمت شك انها امواج لا ذريرات اذن ، الكهارب تتصرف تارة كذريرات وطوراً كموجات حسب الظروف . اذا انطلقت في الخلاء كانت امواجاً . واذا انطلقت ووقعت على جسم كانت ذريرات — فكيف يمكن تفسير هذا الامر الغريب ؟

يضطر علماء هذا العصر ان يكونوا فلاسفة ايضاً أي ان يعللوا كل ظاهرة من ظاهرات الوجود . فعسرٌ عليهم ان يقفوا عند هذا الحد من العلم المثبت عمليًّا من غير ان يعللوه . ولذلك في السنين الاخيرة قال بعضهم بنظرية ظن انها تحل هذه المشكلة . وهي :

بحسب نظرية « موجية المادة » لا يعني ان تعتبر امواج المادة امواجاً طبيعية بكل معنى

الكلمة بل هي « امواج ارجحية » والمراد بهذا القول المبهم ان الامواج المصاحبة (حسب ما في تلك كلمة « المصاحبة » كما ذكرها سوليفان) للكهرب المنطلق انما هي دليل على المكان الذي يحتمل ان يكون فيه الكهرب . الكهرب لا يتحرك حسب نواميس الحركة فلا نقدر ان نقول ان له موضعاً محدوداً في وقت معين، او انه يمرّ في ممر خاص في الفضاء . وكل ما يمكن ان نقوله انه موجود في جماعة امواج من غير تعيين موضعه منها . بل يستحيل ان نعين موضعه منها . وانه اذا كان موضع في هذه الجماعة الموجية أكثف من المواضع الاخرى قلنا ان الكهرب موجود على « الارجح » في هذا الموضع الكثيف من غير ان نحدد نقطة وجوده أي ان وجوده في الموضع الاكثف أرجح منه في الموضع الاقل كثافة وبعبارة اخرى ان الكهرب ليس ذريرة بل هو تموج شائع يشغل الموضع الاكثف تموجاً مركزاً له

ولا ريب ان هذا التعبير يُري القارىء ان نظرية موجية المادة تزداد به غموضاً وابهاماً وابتعاداً عن التصور العقلي . ولذلك يقول سوليفان : —

« هذه الامواج المادية ليست امواجاً طبيعية Physical (يكاد يقول انها روحانية لماذا لا يقول انها اثيرية ؟) ما هي الا طريقة لتمثيل الحدود الجوهرية لمعرفتنا . ان الكهارب وحدات ذاتية لا نستطيع أن نعرفها باصطلاحات مطابقة للحقائق لا نستطيع ان نتصورها ذريرات ذات مواضع معينة وسرعة معينة ، حتى ولا نستطيع ان نتخيلها كالامواج التي نعرفها فهي لا تشبه شيئاً مما عرفناه في الوجود . فهذه النظرية تمثل جهلنا المحتوم لاحقيقة المادة »

وكأننا خرجنا من هذا البحث بنتيجة مدهشة وهي ان المادة ليست ذريرات ولا هي امواج فما هي اذن ؟ وأدهش من ذلك ان يقال انها ذريرات موجية او « امواج ذريرية » او كما حاول السير ادينتون ان يصورها لنا بتسميتها Wavel المنحوت من لفظي wave و partcl ولكن هذا الادغام اللفظي لا يسهل لنا الادغام التصوري . فلا نستطيع ان نفهم كيف ان المادة ليست ذريرات ولا امواجاً بل هي « ذرمجات » اي « ذريرات موجية » او « امواج ذريرية » على طريقة ادينتون . ترى ان النقطة التي انتهى اليها العلماء اخيراً في تفسير المادة هي اصعب العقبات وقد اعترفوا بانها عقبة لا ترتقى . وجعلوا العيب لا في النظرية بل في عقولنا وعقولهم ايضاً يا للعجب أليست عقولهم هي التي توصلت الى هذه النظرية العجيبة ؟ فكيف يصل العقل المعاب الى نظرية سديدة ؟ وان كان من غير عيب فكيف لا يستطيع تفسيرها بصورة معقولة ؟

في رأي هذا العاجز ان سبب هذا التعقد الغريب في استكناه اسرار المادة وتعليل تصرف الذريرات هو تعصب العلماء ضد « الاثير » الذي استغنت « نظرية النسبية » عن وجوده ولكنها لم تجحده فهم تطرفوا في هذا الاستغناء الى الجحد واصرّوا عليه . ولكن الظاهر من اتفاقهم

في التحقيق ان نتائج الابحاث الرياضية والاختبارات العلمية تردهم الى نظرية الايثر. لان هذه النظرية تحل كل هذه المعضلات التي تعترضهم. ولذلك نرى بعضهم في البحث يثبتون وجود الايثر المادي لا الفرضي

فاذا لا نعود الى الايثر ونعتبره الوسط المتموج حول الذرة المتحركة فيه. فاذا كان الكهرب مثلاً يدور حول النواة فهو يحدث في بحر الايثر امواجاً. وان انطلق من الذرة واندفع الى غيرها او الى الفضاء فهو يحدث تموجاً في الايثر ايضاً. كذلك بروتونات النواة اذ كانت تدور على محاورها فهي ايضاً تحدث امواجاً ايثرية. والذرة برمتها اذا كانت سائرة تعمل كذلك. والذرة اذا انحلت الى شررات فشرراتها المندفعة منها تحدث امواجاً ايثرية ايضاً. فاذا سلمنا بوجود الايثر بان لنا سر التموج والمموج والمتموج وينحل السر الذي حيّرنا اذ نستطيع حينئذٍ ان نحل جميع المسائل التي اعضلت علينا ولم يبق موجب لافتراض ان عقولنا تعجز عن تصور المادة موجاً يموج في لا شيء. حقاً ان العقول لا تستطيع تصور صورة للهذيان

بفرض ان الكهرب ذرة مشحونة كهربائية سلبية مندفعة في بحر الايثر تحدث فيه امواجاً — بهذا الفرض نستطيع ان نفسر جميع المسائل المعضلة التي مرت في بحثنا الآن. فالكهرب المنطلق على الحجاب المتألق يرتد عنه كما ترتد الحصاة المقذوفة الى لوح صلب. والكهرب المنطلق الى لوح بلوري تمر هذا اللوح امواجه التي يحدثها سواء ارتد هو عنه او اخترقه والامواج التي يحدثها الكهرب في بحر الايثر عرضة للانعكاس والانكسار والتداخل ولجميع طبائع التموج. فاذا رأينا ظاهرات التموج حين اندفاع الكهرب او انطلاقه فليس المعنى ان الكهرب نفسه مجموعة امواج بل ان تلك الظاهرات هي نتيجة التموجات التي احدثها الكهرب نفسه

وسرعة انتشار الكهرب والامواج الصادرة منهُ ان سرعته كسرعتها. فامواجه مصاحبة لهُ (كما قال سوليفان وأشرنا اليه آنفاً) فلا تتأخر عنهُ ولا تسبقهُ. ولعلَّ هذا هو السبب في حيرتهم في موضع الكهرب وقولهم «بقانون الارجحية». اي انهُ يتعذر جداً تعيين الموضع الذي يكون فيه الكهرب في وقت ما. اي يتعذر تعيين مكانهُ في زمان معيَّن. وانما يرجح وجوده حيث يكون التموج اكثر كثافة. فماذا يمنع ان نقول ان أكثف موضع في التموج هو موضع الكهرب المادي، وان سائر منطقة التموج هي من احداث حركته؟

ثم ان سلوك الكهرب او اية ذرة في خطتين مختلفتين: انطلاقه في خط مستقيم تارةً، وانعطافه بعد مروره في شق صغير الى الجانبين تارةً اخرى، يدلاننا على امرين متلازمين ايضاً

الاول ان الذرة الكهربية نفسها منطلقة بخط مستقيم، والثاني امواجها منتشرة الى جميع الجهات. فبهذا الاعتبار تعد المادة متصرفة تصرفين مختلفين معاً في وقت واحد —

تصرف الامواج وتصرف الدريرات . وما هي بالحقيقة الا دريرات محدثة امواجاً في الوسط الايثري . فاذا سلمنا بوجود الايثر فلا يبقى معنى للقول المستحدث ان المادة « دريرات موجية » او « امواج دريرية » ولا داعي للتعبيرين لاطلاقها في الخلاء بشكل امواج وبين وقوعها على جسم بشكل دريرات . هي دريرات تصدم الاجسام التي في طريقها وتحدث امواجاً في الخلاء الايثري

ثم اذا سلمنا ان المادة ليست دريرات (كهارب وبروتونات) ذات وجود ذاتي بل هي مجموعات موجات ، فبحسب قانون التعادل الكهربائي القائل انه اذا وقع كهرب سلبي على بروتون ايجابي تجاذبا وتلاشيا بحسب هذا القانون وبحسب ذلك الفرض يؤول النظام المادي الى العدم بسرعة ولا يبقى الى اليوم وبحسب « قانون العمل الحراري الثاني » The second thermo dynamic law فبما ان المادة لا تفنى فناء مطلقاً اي تصير عدماً بل تنحل الى شذرات ادق من الدريرات غير صالحة للعمل فاذا وقع كهرب على بروتون فنيت كهربائية الواحد كهربائية الآخر وانحل كلاهما الى شذرات ادق منهما خالية من الشحنة الكهربائية . وقد سميت هذه الشذرات « فوتونات » وكل كهرب ينحل الى عشرة آلاف فوتون وكل بروتون ينحل الى ١٨٤٠ × ١٠٠٠٠ فوتون والفوتون هو آخر جزيء تنحل اليه المادة على حد ما نعرف الآن

واذا صح ظن العلماء كالسير جينز والسير اوليفر لودج بأن المادة مؤلفة من دريرات ايثرية فلا بد ان يكون الفوتون هو الذرة الايثرية ، وبحر الايثر هو بحر فوتونات . ومتى تلاشت المادة عادت الى اصلها الايثري

فاذا تصورنا كهرباً وبروتوناً انطبق احدهما على الآخر وتلاشيا كهربائياً فانتثرا ذريرات فوتونية في بحر الايثر وأحدثت هذه الشذرات المندفعة امواجاً — حينئذٍ لا نستطيع ان نعين موضع كل فوتون في اندفاعه في بحر الايثر ، لأنه مندمج في بحر فوتونات مثله فلا يتميز منها شيء سوى انه مندفع فيها ويحدث بها امواجاً فمثله كمثل ماء النهر المندفع الى البحيرة يحدث فيها امواجاً ولكنك لا تستطيع ان تقول ان هذه الموجة احدثتها هذه القطرة او تلك القطرة الفلانية وانما تقول ان ذرات النهر هي الآن في هذه النقطة التي تتدفق فيها الامواج او تصدر منها . في تلك الحالة حالة اندفاع شذرات الذرية الفوتونية في بحر الايثر المتموج بها يصح « قانون الارجحية » الذي تقدمت الاشارة اليه وان تعسف العلماء في تعليل ظاهرات المادة بالاستغناء عن الايثر مفضٍ الى ثبوت وجود الايثر ولعلهم اذا عادوا في التحقيق عن حقيقة المادة يجدون اخيراً ان الحقيقة التي توصلوا اليها هي الايثر عينه . واني لأحسبهم معتنقين الايثر بعد وقت قصير كحقيقة راهنة ومعتمدين عليه في تعليل جميع ظاهرات الطبيعة بوجه حتى سر الجاذبية يسهل تفسيره به . وسأشرحهُ في مقال آخر إن شاء الله

الإضاءة الطبيعية

او النهارية

دكتور الياس صليبي

معلوم ان الشمس مصدر الاضاءة الطبيعية ونورها يمتاز كثيراً على كل ما عداه من الأنوار ولكن يجب أن لا تسقط أشعتها رأساً على العين لأن ذلك يسبب أحياناً فقد البصر كما يحدث لبعضهم عند مراقبة الكسوف من غير اتخاذ الاحتياطات اللازمة ويجب ايضاً ان لا تسقط أشعتها رأساً على الكراس أو الكتاب وقت القراءة لأن ذلك يسبب جهداً شديداً في العين. أما ما يرتاح به البصر فهو الضوء المنتشر الآتي من الجو رأساً والمنعكس عن البيوت والطرق البيضاء وما شابه ذلك، ويتقي سكان خليج هدسون اضرار الضوء المنعكس عن الثلج باستعمال جهاز مركب من قطعتي عاج أو خشب بينهما شق ضيق وهذا الجهاز يشبه كثيراً النظارات المستعملة لتضييق دائرة البصر ويستعمل بعض الذين يزورون البلاد القطبية طريقة أخرى لتخفيف وطأة الضوء المنعكس عن الثلج، وهي صبغ دائرة الحجاج بسائل أسود ويشير غيرهم باستعمال نظارات زرقاء محاطة بنسيج معدني مصمت يحاذي الوجه. ويزعم « فون دي برج » ان الاضاءة الطبيعية الجيدة هي التي تساوي اضاءة النهار في يوم صحو، وانها لا تنقص في جهة ما عن ٢٢٥ لوكساً على ان هذا التعبير ناقص لأن اضاءة يوم صحو من أيام يونيو تزيد على ثلاثة اضعاف اضاءة يوم صحو من أيام ديسمبر وهي في البلاد الحارة أشد منها في البلاد الباردة

ولقد تضاربت آراء الفنيين في اختيار الجهة التي يحسن ان تجعل فيها النوافذ الداخل منها النور في المدارس والمباني الأخرى كالمكاتب والبيوت والمخازن والمصانع والمعامل ولا شك في ان أفضل جهة للنوافذ في قطرنا المصري هي الجهة الشمالية لأن نورها أكثر اعتدالاً مدى النهار، ولأن النسيم العليل يهب منها في الصيف فينعش الأجسام على أن الحال ليس كذلك في البلاد الباردة حيث النور الشمالي في الغالب ضعيف وغير كافٍ. أما الضوء الآتي من الجنوب فهو أقل اعتدالاً والحرارة التي تأتي من هذه الجهة شديدة لا تطاق في الصيف، والضوء الآتي من الغرب يتعب العيون ساعة الغروب، حينما تكون أشعة الشمس افقية. فلهذا كله يفضلون في أوربا الجهة

الشرقية وبالأخص الشرقية الشمالية أو الشرقية الغربية وهذا ما جعل ريان ... على الاشارة بجعل زوايا المدارس والمكاتب مواجهة للجنوب اذا كان ذلك في الامكان

ونقص الاضاءة أقدم ما عرف من أسباب الحسر (قصر البصر) المدرسي ولهذا لذلك يجب ان يكون النور الداخل الى حجرات الدرس والمطالعة وافياً

والاضاءة بواسطة سقف زجاجي أفضل نظريًا ولكن تنفيذها عمليًا لا يتيسر دائماً فضلاً عن أنها قد لا تحتمل مدة الصيف في البلاد الحارة لشدة حرارة الشمس وقد لا تصلح في البلاد الباردة مدة الشتاء بسبب الثلج الذي يسقط على هذا السقف ويحجب النور وصعوبة تنظيف هذا الثلج او تنظيف ما يعلق بالسقف من الغبار وايضاً للظل الذي يسببه ارتفاعه

وقد نوقش فيما هو أفضل، الاضاءة من جهة واحدة أو من جهتين ولا شك في ان النور الداخل لا يستحب دون ضرر مهما كثرت كميته فضلاً عن انه يسهل عند اللزوم تحويل الاضاءة من جهتين الى جهة واحدة أما العكس فمستحيل على انه اذا اختلفت قوة الضوئين الصادرين من جهتين متقابلتين وجب ان يتجه الجالس وضعاً يكون فيه الضوء الصادر من يساره أشد وأقوى وأن تكون مساحة النوافذ اليمنى نصف مساحة النوافذ اليسرى ولقد أطلقوا على هذا النوع من الاضاءة اسم الاضاءة الاسبانية او الاضاءة المزدوجة المختلفة تمييزاً لها من الاضاءة المزدوجة المتساوية ، أعني التي تتساوى فيها مساحة نوافذ الجهتين

أما اذا كانت الاضاءة آتية من جهة واحدة فيجب ترتيب المقاعد والمكاتب في حجرات الدرس والكتابة والأعمال الأخرى المشابهة لها بحيث يدخل النور من يسار الجالسين مع انحراف قليل الى الخلف، لأن الضوء الآتي من الامام يسقط رأساً على العيون فيتعبها والضوء الآتي من الخلف يحجبه ظل الجسم فلا يبقى الا الضوء الآتي من أحد الجانبين وبما اننا نكتب بيدنا اليمنى فالضوء الذي يأتي من جهتها يجعل الكتابة في ظلها مظلمة

ويشير تريلا Trela بأن تكون المسافة بين الحد الأعلى لنوافذ حجرات الدرس وبين أرضها مساوية لثلثي عرض الحجرة على أقل تقدير، وقد عملت وزارة المعارف الفرنساوية بهذا الرأي. أما لا حافال ... فيشير بأن يكون ارتفاع هذه النوافذ مساوياً لعرض الحجرة كله لأن ذلك يوصل النور رأساً الى أبعد تلميذ وأن يعلو حدها الأسفل على أرض الحجرة نحو متر وثلاثين سنتيمتراً على الأقل لمنع النور المنعكس عن الارض الخارجية من ازعاج العين واذا كانت الاضاءة من اليمين او مزدوجة ، وجب ان تكون النوافذ اليمنى أعلى من اليسرى

ولقد تماروا في زيادة مساحة النوافذ وتقصير المسافات بينها فجعل بعضهم مجموع المساحة مساوياً لنصف أرض الحجرة، وعرض آخرون نماذج مدارس مسطح نوافذها يساوي مسطح أرضها أو يربو عليه . لكن المبالغة في ذلك قد تجعل للطقس الخارجي تأثيراً سيئاً على صحة

للاضاءة ... فضلاً عن أن كمية النور تتوقف ... على ارتفاع النوافذ وليس على عرضها . فالأمر المهم هو تقصير المسافات بين أعلى النوافذ والسقف إلى أدنى حد مستطاع

والاطباء مجمعون الآن على أن الاضاءة كافية في حجرات الدرس متى كان النور كافياً في أشد زواياها ظلاماً ويقول جوفان ان الضوء الآتي حتى مستوى المكتب في اظلم ركن الأضعف نوراً يجب أن تتمكن من رؤية جزء من السماء يمتد طوله من حد القاعدة الأعلى الى ما تحته ثلاثين سنتيمتراً على الأقل وحتى لتطبق هذه القاعدة في تشييد مدارس جديدة يجب أن لا تعتمد على ما تكون الحالة حينئذٍ بل على ما تصير عليه اذا استعمل صاحب البناء المواجه للمدرسة أو الأرض الخلاء بين التشييد الى الارتفاع الذي تسمح به قوانين المدن او اللوائح المصطلح عليها في القرى ومن الضروري أن يكون زجاج النوافذ شفافاً شديد الشفافية لأن الزجاج المثلج يضعف النور ويجعله متعباً للنظر (...) ولكن قد يجوز استخدامه في اسفل النوافذ لمنع رؤية الاشياء الخارجية ويسعون إلى الاضاءة الصحية ومنع الاضاءات المضرة على العمال أثناء تأديتهم أعمالهم

الاضاءة الصناعية وأجهزتها

﴿ نبذة تاريخية ﴾ كان رجل الكهوف يشعل أغصان الاشجار اليابسة في مأواه فيستدفئ بها ويستضيء بنورها ويطبخ عليها طعامه ثم استعملت الاخشاب الصمغية وبعدها الزيوت الحيوانية والنباتية فكانت مصابيحها ذات الذبالة القطنية التي يتصاعد منها اللهب أول المصابيح المعروفة واستخدمت الزيوت النباتية باستمرار آلافاً عديدة من السنين ولم يزل أناس كثيرون يستضيئون بنورها إلى يومنا هذا

واخترع السلف في القرون الخالية الشمعة المصنوعة من شحم الغنم المصبوب في قوالب لها ذبالة في وسطها ... ومن صنع مثلها في سنة ١٦.. وعم استعمالها زمناً على استهجان الدخان الذي تخرجه ورائحة الشحم الكريهة التي تنبعث منها ووجوب قص فتيلها كل برهة وقد صنعوا في تلك الايام شموعاً أخرى أفضل من هذه استعيض فيها بشمع العسل عن شحم الغنم ولكنها كانت كثيرة النفقة فخصصت لإنارة الهياكل وقصور الملوك والامراء وما زالت تستخدم في كثير من المعابد

ولم تكن الطرق تضاء ليلاً في باريس قبل سنة ١٥٠٤ ففي ذلك العهد صدر قرار يحتم على السكان تعليق المصابيح في النوافذ لاضاءة الشوارع وفي سنة ١٦٦٧ استبدلت هذه المصابيح المعلقة بمصابيح ثابتة تقام في الطرق وتقص ذبالتها كل ساعة وانتشرت هذه المصابيح بسرعة لا سيما بعد ان اخترع بورجوا دي شاتوبلان المرايا العاكسة للضوء سنة ١٧٦٥ ولم يدخل بعد ذلك أدنى تحسين على الاضاءة بالزيوت النباتية حتى سنة ١٧٨٠ التي تم فيها ذلك الحادث العظيم في تاريخ الاضاءة وهو اختراع الطبيب أرجان الجنيفي الذبالة المستديرة المصنوعة من القطن المنسوج والمدخنة الزجاجية

وخطر بعد ذلك لكنكيه أن يصنع مصباحاً يتصل به من أحد جوانبه خزان كبير يغذي الفتيل ويظل موقداً زمناً طويلاً من غير أن ينطفئ. لكن مصباحه هذا كان يلقي ظل الخزان على جوانب المكان المطلوب إضاءته فتلافى كارسل هذا العيب فصنع مصباحاً بديعاً خزانه تحت الزبالة وله زمبلك كزمبلك الساعة يعمل عمل المضخة فيدفع الزيت الى الزبالة وظهر بعد ذلك مصباح فرنشو فأتت آلته أقلّ إتقاناً من آلات سابقيه ومصباحا كارسل وفرنشو كانا آخر ما اخترع للاستضاءة بالزيوت النباتية

ورغماً عن الارتقاء في صناعة مصابيح الزيت استمرت الشمعة المصنوعة من شحم الغنم محتفظة بمكانتها كوسيلة من الوسائل التي يستعان بها على الاضاءة الى ما بعد اكتشاف غاز الفحم، ولم يدخل عليها ادنى تحسين حتى اليوم الذي اكتشفوا فيه حمض الزيت وحمض الشحم سنة ١٨١٣ وعرفوا ان شحم الغنم يحتوي على هذين الحمضين وان تنقيته من حمض الزيت يزيل الرائحة الكريهة التي تتصاعد من شموعه ويجعلها ذات نور زاهر. فأنشأ ملي مصنعاً لهذا الغرض وأطلق على الشموع المصنوعة فيه اسم شموع النجمة نسبة الى متجر يقال له متجر النجمة كان مجاوراً لمعمله. وهذه الشموع من النوع الذي نستعمله في بيوتنا الى يومنا هذا.

واكتشف ليبون غاز الاضاءة سنة ١٧٩٧، ففي يوم ٢٩ مايو من ذلك العام ألقى قطعة من نشارة الخشب في قنينة زجاجية وجعلها على النار لينظر ما سيحدث فلم يلبث أن رأى غازاً مرئياً يخرج من القنينة ثم يشتعل فجأة. ولقد أدرك ذلك المهندس الشاب لأول وهلة ما لاكتشافه هذا من الأهمية فأعاد التجربة مراراً عديدة وبعد ان وثق من النجاح أخذ يبحث عن طريقة لتنقية الغاز من المواد الغريبة التي يحتوي عليها فاخترع على التوالي جهاز التنقية ثم الجرس او الخزان المختص لجمع الغاز اللازم لانارة المصابيح، ثم مصباحه الذي سماه مصباح الحرارة thermolampe وكان يستخرج من الخشب الذي يصنع منه الغاز قطران الخشب وحمض الخليك أيضاً. ولقد حرص على ان يذكر في البراءة التي نالها يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٧٩٩ صلاحية الفحم للحلول محل الخشب في صنع الغاز. ولما وجد ان ذوي السلطة لم يأبهوا لاختراعه استأجر فندقاً في باريس وأنار كل حجراته بالغاز ودفأها به كذلك ثم دعا الجمهور لزيارته فخرجوا بعد الزيارة وهم جميعاً في أشدّ حالات التحمّس لما رأوه من آيات نجاحه الباهر. ومنحه نابليون بعد ذلك قطعة من الارض في غابة روفريه Rouvray فشاد عليها معملاً دمّرته العواصف والنيران بعد زمن قصير. وفي سنة ١٨٠٤ قتل هذا المخترع في الشارع طعناً لأسباب خفيّة

وبينما كان ليبون يستخرج الغاز من الخشب في فرنسا كان وليم مردخ الاسكوتلندي يستخرجه من الفحم في انكلترا ويعمل على استخدامه في الاضاءة. وفي سنة ١٧٩٨ ركّب الاجهزة اللازمة لصنعه وأنار به جزءاً من معامل بلتون ووط التي كان موظفاً فيها. وبعد ذلك أنار به

بعض المحالّ والمصانع المحدودة . وفي سنة ١٨١٠ نجح أحد رجال الاعمال المسمّى وينسور في تأليف أول شركة للانارة والتدفئة بالغاز في لندن . وفي سنة ١٨١٥ أتى الى فرنسا مصمماً على تأليف شركة مشابهة للشركة الانكليزية فيها فنجح بعد تقلبات عديدة وأضيئت ساحة كاروزيل في أول يناير سنة ١٨١٩ بمصابيح الغاز للمرة الاولى

وانتشر الغاز كثيراً بعد ان خرج فون أور بشبكة لتوهجه وأنيرت به قبل انتشار النور الكهربائي ، وكثر في المكاتب والمنازل والمدارس والنوادي والطرق العمومية ولا يزال عدد عظيم من شوارع القاهرة ينار به الى يومنا هذا

وكان العالم الانكليزي دروموند أول من اكتشف الانوار المتوهجة التي دلت الى اختراع شبكة أور فيننا فهو قد وضع يوماً قصبة مزيجاً من غاز الهيدروجين وغاز الاكسجين على قطعة من الطباشير رآها تبعث بنور ساطع جداً . ثم وجد ان الزركون والمنيسيا يعملان عمل الطباشير ايضاً . وفي سنة ١٨٨٤ استعاض كلامون عن قطع الجير والمنيسيا التي كانت تعطي حرارة أكبر من الحرارة بنوع من الشبكات ، والسلال المصنوعة من خيوط من المنيسيا يكفي مصباح بسيط من مصابيح الغاز لرفع حرارتها الى درجة التوهج ثم أدخل أورفون بعض التحسينات على هذه السلال وأذاع عام ١٨٨٥ اختراعه في الخافقين

وتتركب هذه السلال الآن من الثوريوم والسيريوم بنسبة ٩٩ في المئة من الاول الى واحد في المئة من الثاني . وصناعتها تتطلب مهارة وتقتضي استخدام نسيج دقيق من نسيج قطني أو حريري يكسبها صلابة ويسهّل نقلها وتصديرها وبعد الوصول يحرق حين اشعال الشبكة للمرة الاولى

ولا تصلح شبكة أور هذه للاضاءة بالغاز فحسب بل للاضاءة بالكحول والبترول وخلافها ايضاً وهي وسيلة قليلة النفقة للحصول على نور جميل زاهٍ وذلك علة انتشارها السريع فقد بلغ ما يستعمل منها في العام ٢٥٠ مليوناً

واكتشف البترول بعد الغاز وفي سنة ١٨٥١ امتحنه وليم ولوثر أتوود وأثبتوا مزاياه . ولكن قلّة ما كان يستخرج منه وارتفاع ثمنه حالا دون انتشاره في ذلك الزمن على انه بعد أن نجح دريك بحفر البئر البترولية الاولى في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٥٩ وثبت نجاح طريقته التي اتبعت بعد ذلك في جميع البلدان وأدّت الى زيادة المستخرج من البترول وتخفيض ثمنه ، أقبل الجمهور اقبالاً عظيماً على استعماله للاستضاءة به وللأغراض المنزلية الأخرى كالطبخ والتدفئة وكان البترول معروفاً منذ القدم وقد استعمله قدماء المصريين لتحنيط موتاهم وأشار كثير من المؤرخين الى وجود ينابيع زيتية دائمة الاتقاد والى نيران طبيعية تضرمها أبخرة البترول . ولكن لم يخطر لاحد في بال امكان الاستضاءة به . وأول من أشار الى وجود البترول في الولايات المتحدة راهب فرنسيسكاني ، فقد ذكره في رسالة كتبها من هناك سنة ١٦٢٩

أما المصابيح التي استخدمت للاضاءة بالبترول حين اكتشافه فقد كانت مثل المصابيح المستعملة للاضاءة بالزيوت النباتية ثم اخترعت مصابيح اخرى عديدة

وقد قام بعض الباحثين بتجارب مهمة لتحويل الكحول وغيره من المواد الهيدروكربورية إلى غازات مضيئة منذ عشرين سنة تقريباً وجميع الاجهزة التي اخترعت لهذا الغرض صنعت بحيث يمكن بواسطتها تحويل هذه المواد إلى الحالة الغازية قبل إشعالها على ان هذه الفكرة قديمة فقد اخترع روبير سنة ١٨٤٠ مصباحاً لاشعال الكحول مبنيًّا على هذه الطريقة

وكان الاستيلين آخر ما اكتشف من الغازات المضيئة فقد اشار هنري دي مواسون سنة ١٨٩٢ إلى ان اتحاد الكربون والجير بواسطة حرارة القوس الكهربائي وفي وجود الماء يؤدي الى انبعاث هذا الغاز واكتشف ويلسون الاميركي ذلك العام كربور الجير في رواسب فرن كهربائي صدفة واعطيت الامتيازات الاولى الخاصة ببعض مصابيح الاستيلين سنة ١٨٩٥ في بلاد مختلفة

(اللهب) قبل ان اتكلم عن الكهرباء اريد ان اقول شيئاً عن اللهب الذي تمتاز به الاضاءة بالمواد الهيدروكربورية فمن المعلوم ان كل جسم مشتعل يحدث لهباً

ولا بدَّ لحدوث الاشتعال من اجتماع عنصرين أحدهما مُشعل والآخر مشتعل اما العنصر المُشعل في اللهب فهو أوكسجين الهواء الذي لا يتم الاشتعال الا به وأما العنصر المشتعل فهو الكربون الذي يخرج على هيئة ذرات سوداء دقيقة جداً يمكنك ان تراها اذا وضعت صحناً فوق مصباح متقد من مصابيح البترول او الزيوت النباتية مثلاً

وتتوقف قوَّة اضاءة اللهب على ارتفاع حرارته وشدَّة اشتعاله وعلى كمية المواد الكربونية الجامدة التي يحتوي عليها. فغاز الهيدروجين لا يصلح للاضاءة لانهُ لا يحتوي على مواد جامدة تتوهّج بالحرارة. اما غاز الاستيلين فنوره شديد التوهّج لاحتوائه على كثير من ذرات الكربون

واذا كان الاوكسجين غير كافٍ ضعف الاشتعال وضعف لذلك بريق اللهب فنور الشمعة فوق قمة جبل عال كالجبل الابيض مثلاً حيث الهواء خفيف يعادل نصف نورها وهي على مستوى سطح البحر . اما اذا كانت كمية الاوكسجين في الهواء قليلة جداً او معدومة فلا يحدث اشتعال البتة ، بل ينطفئ نور الشمعة المتقدة اذا وضعت هناك ولذلك يدلّون شمعة في الآبار قبل النزول اليها ، حتى اذا ما انطفأت علموا ان الهواء فيها غير صالح للتنفس فامتنعوا عن النزول حذر الاختناق

اما اشتعال اللهب فيتمّ كما يأتي . تحتوي كل المواد السائلة أو الغازية المستعملة للاضاءة على عنصري الكربون والهيدروجين، فاذا أشعلنا احدى هذه المواد سببت الحرارة انفصال كل من العنصرين المذكورين عن الآخر واحترق الهيدروجين بملامسته لاوكسجين الهواء وتولد عن هذا الاحتراق حرارة شديدة تسبب اتقاد ذرات الكربون واشد أجزاء اللهب حرارة هو الجزء الخارجي لملامسته الهواء

الشك

للأستاذ حسن كامل

مدرس اللغة الفرنسية بمدرسة القبة الثانوية الأميرية

الشك — كاليقين — حالة يجربها كل واحد منا في ظروف متباينة. فكثيراً ما نود التأكد من أمر يهمنا معرفته، فتبدو لنا احتمالات متناقضة يحار أمامها ذكاؤنا، ويستعصي عليه الاختيار بينها. وبدلاً من أن تهبنا قوانا العقلية على اكتشاف الحقيقة، نجدها كأنما تضاعف الصعوبات التي نواجهها وتنأى بنا عن كل نتيجة مرضية.

فما هي طبيعة الشك من الوجهة النفسانية وما هي أسبابه؟ وهل هو نوع من أنواع الضعف وضرب من ضروب الشر؟ وإذا صح أن الشك ضروري في كثير من الظروف، أفليس من اللازم أن نعلم كيف نجيد الشك، لنتجنب بذلك أخطاره على الفرد والجماعة؟

تلك هي نقط بحثنا

***

نلاحظ جيداً أن الشك إنما هو نضال بين تقديرات مختلفة لا يصل أحدها إلى الفوز باختيار العقل له دون غيره من التقديرات. ومن الخطأ أن نحسب الشك نوعاً من التوازن بين قوى متعارضة متساوية، لا تنجح إحداها في التغلب على الأخرى. فعند الشك في أمر من الأمور، تتغير كثيراً قيمة القضايا المتناقضة وتظهر لنا كل واحدة منها بدورها كأنما هي حق بقبولنا إياها، ويحس العقل ميلاً الى تفضيل الواحدة منها بعد الأخرى. وهذه هي بالضبط حال الطالب الذي ينتظر نتيجة امتحانه مرتاباً في قيمة اجاباته. فهو لا يقدر عندئذ هذه الاجابات تقديراً واحداً، بل نراه يميل مرة الى احتمال نجاحه، وتظهر له آماله في النجاح واهية الأساس مرة أخرى. ويخيل له في هذه الحالة الثانية، أن ثمة أسباباً جدية كثيرة يخشى عليه منها من الرسوب. وهكذا لا نجد له موقفاً واحداً لا يتغير، بل هو دائم التراوح بين اليأس والرجاء. وهو لا يفتأ يفحص من جديد أسباب أمله في النجاح، وخوفه من الفشل، دون أن يستقر على حالة

واحدة أو يصل إلى نتيجة تامة وليس أيسر من أن نضرب أمثلة أخرى لندل على أن الشك حالة حيرة فكرية ، تحدث اذا تعارضت فيها قضايا متعارضة ، ويظهر منها عجزه عن الفصل فيها

ولما كان الشك حالة تردد وقلق ، فهو بطبيعة الحال مؤلم وقد يصحبه نوع من الضيق يصعب احتماله وذلك ما نشعر به عند ارتيابنا في أمر يهمنا كثيراً معرفته معرفة تامة محققة ويخيل للبعض أن الشك الذي يفسح مجالاً للامل ، أقل ايلاماً لمرء من التأكد اذا كان الامر أمر كارثة من الكوارث . ولكن الثابت أن الترقب من وقوع حدث مشؤوم ، يكون غالباً أقسى أثراً في النفس من احتمال الحدث المشؤوم نفسه اذا وقع بالفعل ولاريب في أن تثبت الطالب من رسوبه ، أيسر احتمالاً من حالة الدبدبة وعدم الاستقرار ، التي لا تحتمل تدعمه موازنة ما له من فرص في النجاح والرسوب . وكثيراً ما رأينا الآباء والامهات يفضلون معرفة حقيقة ما حدث لطفل لهم احتى نخاة مجاكات هذه الحقيقة . بل وكثيراً ما لاحظنا ان التحقيق من موته — رغم ما يحدثه من ألم عميق في نفوسهم — يبعث على تهدئة أعصابهم المرتجفة ، على إثر بحثهم عن حقيقة ما حدث لطفلهم دون جدوى

ويختلف رأي الفلاسفة فيما اذا كان الشك نتيجة ضعف في الارادة . ويرجع اختلافهم هذا الى عدم اتفاقهم على رأي في ماهية اليقين فيعتقد بعضهم أن مصدره الوحيد هو الذكاء . ويقولون إننا لا نؤمن بالاشياء الا اذا فهمناها فهماً جيداً . ويرى آخرون أننا لسنا في حاجة الى الذكاء لفهم القضايا البسيطة ، فهذه يظهر لنا خطؤها أو صوابها دون عناء أو إعمال فكر . وإننا إذ نستخدم العقل في حل المشكلات المعقدة ، نستند الى ارادتنا للبحث عن الحقيقة . لانها هي التي تهيمن على قوة الانتباه ، وتعين التفكير على مواصلة نشاطه فلا يترك الصعاب الا وقد محصها تمحيصاً كاملاً ، أو مرضياً على الاقل . كما أنها توجه الجهود العقلية التوجيه الصحيح ، فلا تسمح بإهمال العناصر المهمة اللازمة لاتمام البحث . وليس أدل على ذلك في رأي هؤلاء الفلاسفة من أننا لا نتحيز لرأي دون آخر ، الا ولارادتنا دخل في ذلك

ويذهب فلاسفة آخرون الى أبعد من هذا ، فيقولون ألا مخلص من الشك لولا تدخل الارادة التي تمنع الشك من إقتحام العقل وارتباكه ، والتي لولاها لاصبحت الثقة مستحيلة ، حتى فيما يتعلق بالحقائق العلمية

وهم يقولون في هذا الصدد أن ليس ثمة حقائق لا سبيل الى تفنيدها أو انكارها . ويعجبون كيف يعتقد البعض أن هناك حقائق تلزم العقلين بالاتفاق عليها ، ويستشهدون بتاريخ الفلسفة الذي يثبت لنا تضارب المذاهب واختلافها في كل زمان ومكان ويتساءلون أين هي تلك الحقائق الثابتة التي لم تكن يوماً من الايام موضعاً للشك ؟ ويجزم هؤلاء الفلاسفة بأن تدخل الناطقة

ن الإرادة شرط من شروط قبول الانسان للذكاء وقوته ... وانه لولا هذه ... ، لما لجأ الانسان الى الذكاء ولا وثق به ، بل لما تحرر عقله من الشك

ولسنا نود التعرض لهذه المشكلة الصعبة التي لا يزال الخلاف قائماً عليها بين مدارس علم النفس ولكننا نريد أن نشير الى أن دراسة حالات الشك المرضية ، أظهرت التلازم بين الشك وضعف النشاط في الارادة . فالصحيح ان ضعف الذكاء وضعف الهمة ، ليسا المصدرين الوحيدين للشك المرضي ، وان مرض الشك يحدث اضطراباً عميقاً في فروع النشاط العقلي . مضافاً إليه ضعف كبير في الارادة . وعندئذ يحس الشاك هياجاً عقلياً عدماً لا جدوى من ورائه ، بل انه يعجز بسبب هذا الهياج ، عن إتمام أبسط البحوث واستنفاد المسائل الدقيقة ، ومواجهة الصعاب الحقيقية . ولن يستطيع العقل البشري تجنب الشك تجنباً تاماً فكما أن هناك حقائق ستظل موضعاً لثقته ، فان ثمة حقائق أخرى لن تصبح ثابتة ، الا بعد ان يهدمها الشك ويصقلها النقد . ويتضح من ذلك ما للشك من الشأن في التفكير العلمي

فالعلماء متفقون على انه أساس الملاحظة الصحيحة السليمة ... بيد أن هناك أسباباً للخطأ كثيرة ، نذكر منها عيوب حواسنا ، ونقص أدوات البحث عندنا ، وتأثرنا بما توارثناه من الافكار عن أسلافنا الخ .. وواجب الباحث أن يتمهل كثيراً قبل الأخذ برأي من الآراء والايمان بحدث من الاحداث وان يتذرع بكثير من الحذر إزاء كل ما ذكرنا من أسباب التورط في الخطأ ، وازاء الفروض التي توحي بها ملاحظة الاشياء والاحداث . والرجل العالم لا يني يناقش ويفسر الحقائق التي يظنها الرجل العادي ثابتة لا مجال للشك فيها . وهكذا يعود بالفكرة التي اسميها اكتشافاً ، والتي قد تضيف حقيقة جديدة الى مجموعة معارفنا العلمية . ولا يكون لهذه الفكرة أية قيمة الا بعد أن يقدم الدليل على صدقها واستنادها الى الخبرة . ويسمي العلماء الخبرة مجموعة الحقائق التي تقوم على أساس الملاحظة والتجربة ويجمع العلماء المعاصرون على ان الحقيقة هي كل ما تحققت صحته بعد طول البحث وكامل الدراسة . ويتبين من ذلك أهمية الشك في اثناء القيام بالجهود التي ترمي الى التحقق من صدق فرض من الفروض أو فكرة من الفِكَر . فالعالم لا يتعجل قبول ما يمر بمخيلته من خواطر ، بل هو يحتفظ بتقديره ويبدأ عمله بالشك في كل فكرة من الفِكَر ، ومحاولة انتقاد كل رأي من الآراء ، واستقصاء كل ما يمكن ان يوجه الى هذه الفِكَر والآراء من اعتراضات وكثيراً ما يطول شك العالم . وليس أدل من تاريخ العلوم على ان اهم اسباب تورط العلماء في الاخطاء ، هو عدم ارتيابهم ارتياباً جدياً فيما يخالج عقولهم من الفكرات

ويحسن بنا ان نشير هنا الى ما يقوله العلماء والمفكرون المعاصرون عن القيمة النسبية المؤقتة للنظريات . فهم يعتقدون أن غاية العلم هي اكتشاف العلاقات الضرورية التي تربط الظواهر

بعضها . ويقولون في هذا الصدد « انا لا نعرف هذه العلاقات الا معرفة نسبية وما وصلنا اليه من نظريات هو أبعد ما يكون عما يسميه البعض حقائق ثابتة وعليه فنحن دائماً على استعداد لطرحها وتغييرها بمجرد تحققنا من أنها لا تمثل الحقيقة والواقع ونحن انما نجد في تغيير النظريات لتصبح مطابقة للطبيعة متمشية معها . ولا نعمل على ان تطابق الطبيعة هذه النظريات »

ويفرق كلود برنار (١) بين العلوم الرياضية وعلوم الطبيعة فيقول : « ان نقطة البدء في العلوم الرياضية وحدها دون غيرها ، تتكون من حقائق ثابتة اما فيما يتعلق بجميع الظواهر الطبيعية فالمبادىء التي تصدر عنها بحوثنا ، لا تمثل الا حقائق نسبية وعلى ذلك فليس للمجربين (experimentateurs) حق الاعتقاد بأن نقطة البدء في بحوثهم ثابتة ، وينبغي ألا يعتقدوا انها مطلقة ، بل تصل اليها يد التجارب التي لا تنفك تغير وتبدل » ويضيف « كلود برنار » الى ذلك قوله : « ان النظريات مؤقتة في علوم الكيمياء والطبيعة ووظائف الاعضاء والاحياء والطب على الاخص . وعليه في مقدور المجربين في مختلف هذه العلوم أن يحتفظوا بحريتهم في البحث »

وقد يكون الشك خير وسيلة للاحتفاظ بحرية التفكير التي تعد بحق الشرط الاساسي لاكتشاف الحقائق في ميدان العلم وعالم الفلسفة ولاجل ان يحتفظ الباحث بذهن كامل الحرية والاستقلال ينبغي له ان يتحرر من افكاره وآرائه وان يثور عليها ويخضعها للنقد والتجريح . ولقد ذهب بعض العلماء الى ان الجهل شرط من شروط المقدرة على التجديد . ولكن « كلود برنار » يعتقد ان هذه الفكرة غير صحيحة ولو انها تحوي حقيقة اذ لو صح ان الجاهل لا تعميه الافكار المتوارثة ، فهو ناقص ، تعوزه العناصر الضرورية لاختراع الفكرة ولا ريب في ان استعداد العقل للاكتشاف يزيد زيادة تسلحه بالمعارف الغزيرة ، بشرط ان يحتفظ باستقلاله ازاء هذه المعارف التي قد تعميه ، لانها كثيراً ما تكون خطأ بيناً

ثم ان الشك في آرائنا يبعثنا على عدم الازدراء ، الا مع ثقتنا بأنفسنا ثقة عمياء . وكما ان واجب الباحث ان يتجنب كل ثقة ساذجة في نفسه ، كذلك ينبغي له ألا يتأثر بالمشاهير الرجال والمفكرين من سلطة ونفوذ لأن اكثر الآراء عقرية وسموا ، تبقى قابلة للتصحيح والاتمام

ويفرق الفلاسفة بين شك العالم ، وريبة الشاك . فالشاك لا يؤمن بالعلم . في حين ان العالم الذي يشك في نفسه ، يؤمن بالعلم . ومعنى هذا ان شك العالم ينصب على وسائل استقصائه وصحة آرائه . ولكنه لا يمس العلم بسوء

ورب معترض يقول : اذا صح ان العالم يشك في كل شيء ، فكيف به يؤمن بالعلم وهو يعتقد ان صحة نظرياته نسبية ، وانه يجوز له ان يهجر هذه النظريات ويبدلها ؟ ثم أليس من

(١) كلود برنار من اكبر العلماء الفرنسيين في القرن التاسع عشر (١٨١٣ — ١٨٧٨)

العجيب ان نطلق كلمة « حقيقة » على آراء ومبادىء يقال انها مؤقتة ؟! وكيف نأخذ بها ونحن نشك فيها ؟

ومصدر الخطأ في هذا الاعتراض اعتقاد اصحابه ان العلم لا يستمر له ان يؤدي رسالته الا ان يفسر الطبيعة الماهية الحقيقية . ولكن الواقع على خلاف ذلك اذ غاية العلم — كما قدمنا — هي ان يحدد العلاقات بين الظواهر (Les phénomènes) وهو لذلك قابل للتقدم وقد ذكرنا ان هناك نتائج كثيرة ثبتت دعائمها وفرغ من تقرير صحتها وليس اكثر من العلاقات التي اكتشفت من زمن بعيد بين مختلف الظواهر ولا زالت كما هي ويقول العالم الفرنسي « كلود برنار » . وهل تتغير العلاقات بين ما يمكن ملاحظته من الظواهر الضوئية ، اذا اخذ العلماء بنظرية جديدة في الضوء ؟!

ويتبين مما تقدم ان الشك ليس عجزاً او دمدمة فكرية فحسب ، بل هو في كثير من الاحيان موقف حذر يرغمنا عليه العقل كي نقدر ولا يقوم على الاناة وسعة الاطلاع وطرق الاستقصاء واذا كان ينبغي لنا ان نتعلم كيف نجيد الشك ونحسنه ، فمن اهم الامور ان نفهم اخطار الاسترسال فيه فقد يكون من نتائج الريبة في كل امر من الامور ان يتعود الانسان عدم الاستقرار ، فيصبح متردداً لا يقوى على اتخاذ قرار نهائي . كما قد يبدو عاجزاً عن القيام بذلك المجهود الذي يتلخص في تنظيم عناصر الدرس والمناقشة وترتيب الحجج وفق اهميتها للوصول الى نتيجة معقولة في نهاية الامر . ولقد لوحظ مثلاً ان كثيراً من المفكرين الممتازين قد تماسوا في الفحص عن كل فكرة من فكراتهم وكل دراسة من دراساتهم ، فادى ذلك الى اضطراب طريقتهم في التفكير

ولقد سبق ان ذكرنا ان الشك حالة ضيق مؤلم . ولكن كثيراً ما يتحول الشك في الحقيقة الى عدم اكتراث بها . وقد يلذ للعقل الاستمرار في نشاطه دون اهتمام بالنتيجة التي ينبغي له ان يحصل عليها بفضل هذا النشاط . وهكذا ينقلب التفكير الى ضرب من ضروب اللهو ، يقتصر معه المفكرون على التمتع بملاحظة خصوبة أذهانهم والاعجاب بمرونتها وتفوقها على سواها من الاذهان ، غير آبهين بحل المشكلات واكتشاف الحقيقة . وهذا خطر كبير اذ الواجب ان تكون غاية كل نشاط فكري ، هي الوصول الى نتيجة خاصة وإقامة الدليل على صحة هذه النتيجة أو احتمال صحتها على الاقل

***

ولكي لا تكون دراستنا هذه في الشك ناقصة ، نرى ان نضيف الى تحليلنا النظري له وسائل الوقاية من تحوله من وسيلة ناجعة للعثور على الحقيقة . إلى ميل أو حالة مرضية

وقبل ان ندرس هذه الوسائل يجمل بنا ان نذكر ان الشاك يكون سريع الانفعال حاده . والانفعال السريع الحاد يكون اما طبيعياً او مكتسباً فاذا كان مكتسباً ، فينبغي لنا ان نعرف الظروف التي تحرك هذه القابلية للانفعال الحاد لنتلافاها إن امكن . او — على الاقل — لنقاوم آثارها بمجرد توفرها ، إذا كان من المستحيل علينا تجنبها تماماً

وعلى وجه عام نجد ان الانفعال السريع الحاد المكتسب يكون نتيجة لأحد أمرين . هما الانفعال النفساني الشديد المتكرر : او بعض الامراض المدنية وعليه فواجبنا ألاّ نألوا جهداً في ان نأمن اطفالنا شر الانفعالات النفسية المفاجئة ، والتي لا جدوى من ورائها . وان نحول بينهم وبين حلوتهم انفسهم ليستحيل عليهم احفاء ميولهم وعواطفهم . فكم من طفل اضطرب كيانه على اثر مشاهدة منظر اساء فهمه او نتيجة لعاطفة جامحة كتمها في نفسه ، اعتقاداً منه انها شريرة او مزرية به فاصبح بذلك قلقاً تلعبه الهواجس ، مترددا رتاباً في كل امر من الامور

فاذا كان الانفعال الحاد نتيجة لحادث او مرض من الامراض ، فالواجب تهدئة هذا الانفعال قبل ان يعود الطفل الى مواصلة حياته العادية ويؤكد الاخصائيون اننا نستطيع ان نجد في ظروف حياته الخاصة وسائل لتهدئته اعم من العقاقير واكثر منها ثمرة وان اهم ما يجب الالتفات اليه ، ضرورة العمل على تحويل تفكير الطفل عن انفعاله الذي يشتد به بمجرد ملاحظته له واهتمامه به ويقول هؤلاء الاخصائيون ان زوال الانفعالات النفسانية الحادة ، يستغرق زمناً طويلاً ، واننا اذا عرضنا الطفل اثناء هذه المدة لانفعالات نفسية جديدة ، او الى اي جهد عقلي متعب ، رسخت عنده نهائياً هذه الانفعالات الحادة ، واصبح زوالها وشفاؤه من آثارها مستحيلاً

اما سرعة الانفعال الطبيعية ، فتظهر اعراضها في طور المراهقة . وعليه فينبغي لنا أن نبدأ ملاحظتنا الدقيقة لها منذ احتلام الصبي الذي يبدأ معه تطوره التناسلي وتكوينه الديني . وهما مصدران خطيران لنمو الانفعالات النفسية الطبيعية ، إن لم نعن بارشاد الطفل في هذه الفترة عناية تامة

***

ولعلّ من الخير أن نقول هنا كلمة عن اخطار هذه الفترة الهامة من فترات تطور الطفل تطوراً جسمانياً ومعنوياً . فكثيراً ما تطبع الطفل بطابع يصعب ازالته ، كما قد يستحيل احياناً القضاء على آثاره

وسنتكلم اولاً عما يسميه الاطباء وعلماء النفس "الانفعال الجنسي" وثانياً عما يسمونه الانفعال الديني

اما الانفعال الجنسي فهو من أعمق الانفعالات أثراً في تكوين الشخصية . ذلك بأنه نتيجة أول انقلاب جسماني معنوي عند الطفل . ولعل ازمة سن الرشد هي أهم الازمات الدالة على الفرد . فالطفل في هذه السن لا يدري ما حلّ به بالضبط . ولكنه يشعر باستيقاظ رغبات في نفسه ، ونوع من الاضطراب عند رؤيته الجنس الآخر، او الاحتكاك به . ونحن نلاحظ بأنه ان اطفال الجنس يتحادثون كثيراً في هذه الفترة وهم تارة يبحث احدهم عن الآخر ، وطوراً يفر منه . ويكون الدور الشهري عند الفتيات علامة هذا الانقلاب الخطير . فكثيرات منهن يضطربن له اضطراباً كبيراً . وقد تساورهن آلاف الفكرات المختلفة عند حدوثه ، ان لم يحصلن على ايضاح اسبابه وطبيعته . كما ان الهواجس الجنسية تبدأ في هذه السن في النمو عند الاطفال ، الذكور منهم والاناث على السواء . وقد يصحب هذه الهواجس ظواهر جنسية . وعلى اية حال فان هذه هي الفترة التي يبدأ الاطفال يفكرون فيها في علاقة الرجل بالمرأة ، وفي الامومة والولادة . وهم يحسون خوفاً غريزياً يمنعهم من الاستفسار عن هذه الاشياء من آبائهم ومربيهم . فان حدث ووجهوا لنا سؤالاً في هذا الصدد صحنا بهم وزجرناهم ، وفهمناهم ان من العار ان يفكروا في هذه المسائل . ونحاول اقناعهم ان هذه المسائل الطبيعية ، غير عادية . وانه يجب بهم ألاّ يلتفتوا اليها ، لان من الرذائل ان تشغل بالنا بها

فماذا يحدث عندئذٍ ؟

كلنا يعلم ان حب الطفل للاستطلاع يزيد كلما حاولنا أن نستر الوقائع الخاصة به بجو من الابهام والغموض . وهو لا يني يجدّ في فهم ما يحيط به ، وتطبيق كل ما يعرفه على نفسه . وهو اذ تنمو غريزته الجنسية ويسير تطوره الجسمي إلى جانب تطوره المعنوي ، يكون في نضال دائم مع نفسه . فتتجاذبه غريزته التي تعصف به رغم أنفه من جهة ، وفهمه للمبادئ الخلقية الذي أسيء تكوينه من جهة أخرى . ويظهر هذا النضال أكثر وضوحاً في الصبيان وذلك لأن الوظيفة الجنسية تتم عند الفتيات بفضل الدور الشهري ، في حين أن الافراز الغددي يبقى عند الذكور في حاجة إلى مخرج . فاذا لم يعثر على هذا المخرج بطريقة طبيعية ، فهو يجده بطرق شاذة تنهك التركيب الجسماني عامة والجهاز العصبي خاصة . كما قد تمنع هذا الجهاز من النمو نمواً طبيعيًا ، أو تضعف قوة مقاومته . وكثيراً ما يكون لها بجانب الآثار السابقة آثار أخرى اكثر خطورة ، وهي الشذوذ والانقلاب الجنسي .

وهذا هو السبب في اننا نجد ان حالات جنسية شاذة تصيب كثيراً من الأشخاص شديدي الخجل والتمسك بأهداب المبادىء الخلقية

والملاحظ أنهُ إذا توقفت الوظيفه الحسية عن العمل توقفاً تاماً ، نتيجة انضغاط معنوي ، فان الانفعالات النفسية وما يعقبها من اضطرابات تبلغ اقصى ضروب الحدة وعندئذٍ تصبح المسألة الحسية أهم ما يشغل الشاب الذي قد يقاوم تسلطها على تفكيره . ولكن مقاومته هذه لا تقوى على منع عنهُ الفرار منها كلما أمعن فيه وهي جادة في طلبه وهكذا تنشأ فيه حالة الشك الفطري التي تتراكم بعدها طبقات أخرى من مختلف الشكوك

***

ويؤكد الاخصائيون أصحاب المؤلفات التي رجعنا اليها في هذا البحث . ان الوظيفة الحسية هي النقطة التي تبدأ منها شكوكنا جميعاً ، وان كل العوامل التي تقيمها ، عمداً أو عن غير قصد ، لمنع هذه الوظيفة من أداء عملها بطريقة معقولة ، تؤدي إلى اضطراب تكويننا الحسماني النفسي اضطراباً نسميه اضطراب . وهذا ما يسمونهُ بالانفعال الحسي

ويعتقد هؤلاء الاخصائيون أن المصدر الثاني للشك المرضي هو الانفعال الديني ويقولون ان تطور العاطفة الدينية يتبع تطور النمو الحسي ونمو شخصية الفرد نفسها والواقع ان فترة الاحتلام هي الفترة التي يبدأ فيها عند الطفل استيقاظ الهواجس الدينية والخلقية بل والفلسفية وعندئذٍ تأخذ شخصيته الفكرية والخلقية في التكوّن وتنسج في ذهنه بعض الفكرات العامة ، وتظهر خلقه ، ويتضح اتجاهه الحديد النهائي كما أن تربية الطفل من الوجهتين الخلقية والدينية تبدأ هي ايضاً في هذه الفترة فنحن نتحدث إليه فيها عن واجباته نحو نفسه وغيره ونحو الخالق ونعرفه بذلك الدين والاخلاق

وينمو في هذه الفترة بشكل خاص احساس الطفل وقابليته للانفعال والتأثر ، بل إن الاشياء التي تؤثر في حسه في هذه الفترة ، تطبعها بطابع خاص عميق ، ثم ان مخيلته تأخذ في النمو نمواً محسوساً ويشتد عنده تداعي الافكار وانعكاس الانفعالات النفسية ، بعضها عن بعض

ولكن كل هذه القوى تكون رغم نشاطها وحيويتها ضئيلة وواجب المربي ان يجدّ في ان يكون نموها جميعها متناسباً متوافقاً وان يحول دون زيادة قابلية الطفل للانفعال إلى حدّ تصبح معهُ مصدر خطر عليه

وإننا لنلاحظ مع الاسف الشديد ، اننا نقوم بعكس هذا فنحن عندما نحاول ان نغرس في نفس الطفل فكرة الخير وحب الخالق واكباره وطاعته ، نلجأ الى ارهابه من الشر وآثاره واخافته من نار جهنم وسوء المصير . وبدلاً من ان نستثمر أطيب عواطفه في تربيته الدينية وتكوينه الخلقي ، نستخدم أرذل غرائزه واسقطها ، واعني بها الخوف

ونحن نشير إلى الإهمال الديني كمصدر أساسي من مصادر الشك، بل كعامل من عوامل تمهيد الأرض الخصبة لنمو شكوك أخرى بعد ذلك. وليس من العسير أن نفهم أن من نتائج ذلك أن تحدث عند الطفل اضطرابات عنيفة حتى إن تعرّض قد لازمه طول حياته. فتلك فترة تكوين شخصيته، بل فترة تكوينه من كل الوجوه.

ولخطورة هذه الفترة أعمق الأثر في الاتجاه النهائي لحياة الفرد، ينبغي لنا أن نعمل في أثنائها على إحاطة الطفل بجوّ من الإيمان والثقة بالنفس، وكلما زادت صلابة الأسس التي تشيد عليها شخصيته وتكوينه الخلقي والديني، زادت قوة مقاومة هذه الأسس على مر الأيام.

ومن الخطر أن نتساهل في تقويم أي اعوجاج حسي عند الطفل أو نتهاون في تبديد أي شك خلقي أو ديني. فقد يصبح هذا الاعوجاج نقصاً خطيراً وقد ينقلب هذا الشك كفراً مستطيراً.

وبدلاً من أن نترك للظروف أمر إرشاد الطفل وإنارة ذهنه، وبدلاً من أن نتهرب من الإجابة على أسئلته مدّعين العجز عن فهمها وإهمال مواجهته دون أي تفسير أو إيضاح، يجب علينا أن نهدي أطفالنا سواء السبيل، وأن نجيب على أسئلتهم بالقدر الذي يستطيعون فهمه، وأن نسدد شُعَل عقولهم، ونقضي على مصادر الريبة عندهم.

***

والخلاصة أن الذكاء يصبو إلى اليقين والاستقرار، أعني إلى معرفة الحقيقة معرفة أكيدة؛ وعلى ذلك فالشك يعد شراً من شرور البشرية. بل إنهُ من أكثر هذه الشرور إيلاماً لها. ولكنهُ ليس كذلك في كل الظروف. بل إنهُ من أهم وسائل العثور على الحقيقة وتجنب الخطأ.

ولقد كان ديكارت من أكثر الفلاسفة تعلقاً بالاستقرار واليقين. ولكنهُ مع ذلك كان يعتبر الشك من الأساليب الأساسية في طرق البحث. ولقد قال باسكال: «إن إجادة الإنكار والاعتقاد والشك هي بالنسبة للإنسان كالعدو بالنسبة للخيل».

وليس أصدق من كلمة باسكال هذه. ولكن الناس يخضعون بسهولة لتأثير بيئاتهم وضغط عواطفهم فيحجمون عن الإنكار. ويتسرعون في الاعتقاد والشك كيفما اتفق.

وواجب التربية أن تعمل على أن تكسب العقل كفاءة إجادة الإنكار والاعتقاد والشك. فإذا نمت هذه التربية أو أشرفت عليها، كان لها على الفرد فضل تزويده «برأس حكمة الصنع». وما هذا بقليل

أيها البركان

لسامي الراعي

أيها الجبل المنيع الرهيب الذي تهاب قمته النسور .

أيها الهرم الثاري الذي لم تقمه يد العبد ولا دفن فيه أحد من الفراعنة ، وانما أقامه التمرّد للمتمرّدين ودفنت فيه الارض أحقادها .

أيها الهاتك حجب الأفق بسيوف من نار شحذها ثائر التراب

أيها المكرم الوفيّ المعيد الى آفاق اليوم صواعق الأمس . .

أيها البرق الأحمر الذي يلمع فيه موتانا .

أيها الثائر الذي يحمحم له الثائرون

يا صرخة الجبار . ويا زعيق الزلزال . ويا جحيم الارض ويا نذير السماء

أيتها الجحيم التي أطلقتها الارض من أسرها فالتقط شياطينها الفضاء .

أيها الشريد الذي تاه عن الأرض وضلّ عن السماء فظلّ بينهما شريداً

أيها الخطيب المصخاب الفوّار الثرثار الذي لا ينطق الا بلغة الدمار وألسنة النار .

يا زعيم الشكاة ، ويا أول المتمرّدين

أيها الساقي الساكب في كأس الأفق من دمث الكرم .

أيتها القبلة التي تطلقها الارض وهي تحارب السماء .

أيها السجين الذي جار عليه سجّانه فحطّم السجن . . .

أيتها الصيحة التي لم يحملها بيرون . .

أيتها الغضبة التي لم يغضبها نابوليون .

أيتها الثورة الصريعة التي لم يثر مثلها ثائر .

أيتها الصفحة الحمراء في كتاب الارض يقلبها الأفق بيد مرتجفة وقلب مذعور . .

أيتها الكهرباء التي تتخاطف أسلاكها الفضاء . . .

أيتها النار اللاهثة الظمأى التي لم تروها ينابيع الارض فنهضت تفتش عن مائها في الأثير . . .

أيتها القذيفة الحمراء التي اقتضتها الأرض من كبدها . . .

أيها الصانع الأفق ... بي حاجة عندك فاقضها لي .
أيها الساقل المحزون ... يدي لا يعرف متى تدق ساعة جنونه
أيها الجبر الذي يثب على القضاء كما استطاب الفريسة
يا معرج كرب الارض ، ويا صاحب الحلم . ويا ملك الصراع ، ويا فاتن العقرية
أيتها القصيدة النارية البليغة الطليقة التي ضاق بها دمع الارض فاستعادها الافق ...
أيتها القوة الدفينة التي قست الحجر عن قبرها ورشقت به الفضاء ..
أيتها الشجاعة التي لا عرش لها ولا رأي .
أيها المصارع الذي لم يدعه أحد إلى النزال ولكنه استطابه .
أيها الذي قصره في الهواء عصارته النارية
أيتها الكتلة الحمراء الهدامة المشتعلة الصارخة
أيها العلف المحصور المعجر غراماً واشتعالاً ...
أيتها الفتنة الصارخة الموحية التي أقلقت الشمس وحدثها لتحمة
أيها الفاتح الفضاء بجيوش حممه ..
أيها الثمل المعربد الحيران
أيها النائم اليقظان
أيها الاسد الطليق المهتم الغضبان
أيها البركان .
أيها الجبار الذي هاجه أن يجاوره الانسان الضعيف فثار عليه ودمر مبانيه ..
أيها السر العجيب المنشق من ضمير الارض
أيتها المنارة التي تستضيء بها الصعرية في ليلها .
أيها الصوت الداعي إلى الولجة الخالدة ..
يا مثال المتطرفين . ويا حبيب المدمرين . ويا ضربة الحاسمين
أيها البركان . أعطني من حممك .
وأن لي من حرارتك ..
واجعلني من حممابك ...
ولا تنصب على محتبك ..

علم الاجتماع

وحالة المجتمع المصري

بقلم

إسماعيل مظهر

منذ ان أُسس في مصر النظام الاقطاعي، وأصبحت ملكية الارض حقاً مباحاً لكل من سكن مصر، انقسم الفلاحون قسمين: قسماً امتلك اجزاء من الارض وساوى من حيث المنزلة الاجتماعية اسياد الاقطاعات الذين كانوا يملكون عنق الارض، وقسماً ظل عاملاً، يفلح الارض بقوة عضلاته، وعلى نفس القواعد التي ورثها عن اسلافه، منذ أقدم العصور.

غير ان هذا الفرق الذي اوجدته اباحة الملك، لم يحدث من اثر ايجابي كبير في تغيير عقلية المالكين او ترقية أحوالهم الاجتماعية. ذلك بان الرقي الاجتماعي شيء لا يكفي المال وحده في احداثه، ولا يغني الملك فيه عن تكييف التصورات، وتقويم الحياة على مقتضى مثل عليا، يعتقد بها ويؤمن بصلاحيتها، وتتخذ دستوراً تجري عليه النظم العامة، تلك النظم التي تشعر كل جماعة من الجماعات بملاءمتها لأخلاقها وتصوراتها ومطامعها في الحياة. ولا جرم أن الرقي الاجتماعي، انما هو دليلٌ على ان هنالك صوراً ذهنية تنعكس في الخارج، فتظهر جلية في كل ما يتعلق بحياة الجماعة من الخصائص والمميزات.

اذن فالمالكون من الفلاحين، والعاملون الذين لا يملكون شيئاً، سواءٌ في حكم الرقي الاجتماعي، من حيث ان التصورات التي تجول في عقليتهم اجمعين واحدة، ومطامعهم محدودة بحدود بعينها، وأخيلتهم محصورة في دائرة ضيقة من الوراثات القديمة، وتقويمهم للحياة قائمٌ على اساس واحد. وكل ما هنالك من فرق، انما هو فرق كمي لا فرق كيفي. فكبار الملاك من اهل الريف، وصغار العاملين من الفلاحين، ينظرون جميعاً الى الحياة بمنظار واحد، ويقوّمونها بعيار واحد، ويتصلون بها وفي اذهانهم تصورات واحدة، حتى ليخيل اليك ان ذلك الحق الذي كسبهُ الفلاح، وهو حق الملك الذي حرمهُ قروناً عديدة منذ الفتح الفارسي في اواخر القرن

[illegible] البلاد او وجه الريف [illegible] عشر هذه البلاد [illegible] امكن ان في [illegible] حالات [illegible] جديدة [illegible] ان [illegible] مظاهر رقي اجتماعي

[illegible] لا [illegible] ان [illegible] الريف سكنوا [illegible] لانهم قادرون [illegible] سكناها [illegible] لانهم اشتغلوا بالتجارة او عمل في الحكومة وهؤلاء ولا شك يخرجون من حسابنا في هذا البحث، لاننا [illegible] الكلام على اهل الريف. وان كان ذلك لا يخرج دون [illegible] ان اكثر هؤلاء ابناء فلاحين [illegible] عليهم من [illegible] ثوب [illegible]

هنا [illegible] الوجهة التي سوف ننحيها في البحث، ونظهر ان كلامنا ينصب على الذين يشتغلون بالزراعة [illegible] واهل الريف عامة. وانا سوف لا نفرق بين الذين [illegible] والذين لا [illegible] شيئاً، لانهم جميعاً فلاحون من دم واحد، يجمعهم محيط واحد، [illegible] الدراسات [illegible] من نبع واحد، وان كل ما بينهم من فروق انما هي فروق منشؤها [illegible] نظم جديدة، اوجدها تغير في شكل الحكومة [illegible] حالات اجتماعية، قامت على [illegible] عصر الاقطاعات من احقاب الدنيا

•••

[illegible] البحث في حالة الفلاح [illegible] من وجهة [illegible] امر محفوف بكثير من [illegible] والمشكلات الاجتماعية، لئن ان يعتقد باحث ان في مستطاعه ان يصدر فيها احكاماً مقطوعاً بصحتها، او يكون قد [illegible] على [illegible] او جاهلاً بما يحيط بها من معضلات [illegible] العلوم الاجتماعية، كالبحث في [illegible] والاقتصاديات الحديثة، والعلوم السياسية، وعلاقة هذه البحوث وما يجري مجراها بالحقائق الحديثة التي اقرتها علوم التطور العضوي [illegible] على تقرير مبادئ عامة قد تفضي الى وصف الدواء الذي يمكن ان [illegible] حالات اجتماعية نشأت ونمت وتمت على صورة خاصة منذ عصور لا تعيها الذكريات [illegible] يكون [illegible] علينا ان نبدأ البحث بوصف موجز للحالات الطبيعية التي [illegible] انها ذات [illegible] في خلق حالات اجتماعية [illegible] ان عدم معالجتها [illegible] من [illegible] اجتماعي وفساد في النظم وثورات [illegible] لتطور الحالات التي [illegible] احتكاكنا بآراء وتصورات جديدة، بعد ان ربطت الكهرباء بين اطراف العالم واصبحت المعمورة شبكة واحدة، تنسجها تلك الموجات الخفية العجيبة

وهنا يتعين علينا ان نذكر ان للموضوع طرفين: طرفاً لن [illegible] فيه الى [illegible] الا [illegible] على حالات [illegible] علوم الاحياء والاجتماع والسياسة وطرفاً نصف فيه الدواء لما يظهر لنا عنه البحث العلمي من اوجه الفساد التي [illegible] في مجتمعنا كذلك يجب علينا ان [illegible] الى

ان حقائق العمران التي نستخرجها او نبحث طرفاً من الانحلال الاجتماعي الذي نمر به فقدناه من حولنا ، انما هي حقائق عامة ، تصدق على كل امة قريباً من حالتنا شبه . اما الفلاح فيحسن ان يخرج من صومعة بحثه ومن تدبيرنا ووزاراتنا . لنأخذ في بحث عن علاج ، بقدر المستطاع ، مواجهة عادات نشأت من متعددة تقاليد رسخت اصولها في عقلنا واصبحت في مقدم التحلل الاجتماعي ونسمو في هذا الشأن بالبحث العلمي . اما الفلاح فسنفرد له بحثاً خاصاً

***

اثبت العلامة « توماس روبرت مالتوس » الانكليزي ان الانواع الحية ومنها الانسان ، يزداد عددها بنسبة رياضية ،(١) وان زيادتها على تلك النسبة الرياضية ، تقصر معه رقعة من سطح الارض عن ان تستوعب نسل الاحياء ، اذا استمرت زيادتها دون حائل يقف تيارها

ولا جرم ان هذه القاعدة تصدق على الحيوانات في حالتها الطبيعية ، وتصدق على الانسان في حالاته البدائية ، اكثر مما تصدق على الحيوانات حال ايلافها . او على الانسان لانه في حالات مدنية معينة . فالحيوانات في حالتها الطبيعية تتوالد من غير ان تفكر في تحديد النسل . فاذا زادت نسبة عددها الرياضية نسبة كبيرة ، سلطت عليها عوامل طبيعية ، ليس في وسعها ان تدفعها بحال من الاحوال . وذلك على نقيض من الحيوانات حين الايلاف ، فان زيادتها راجعة الى ارادة الانسان . وكذلك تحديد نسلها ومستولداتها . ذلك انها تكون في تلك الحال بمنجاة من طوارئ الطبيعة خاضعة للارادة البشرية . فاذا رجعنا الى الانسان في حالته البدائية ، وجدنا انه لا يخرج عن حكم الطبيعة العام ، فانه اذا تناسل وكثر نسله وزادت نسبته الرياضية زيادة لا تحكمها الطبيعة ، سلطت عليه مهلكات تقضي على زيادة افراده بنسبة محدودة . وذلك على الضد من الانسان لانه مدنية وساعده العلم ، فانه يستطيع ان يدفع عوامل الطبيعة بوسائل صناعية . وفي مستطاعه ان يتسود على الطبيعة وعلى قوانينها ، فيصبح سيداً ، بعد ان كان مسوداً . بل انه يستطيع ان ينقذ من الموت والفناء ، افراداً من نوعه كتبت عليهم الطبيعة آية الموت ، ان تركوا بلا عناية من علاج او وسائل من الوقاية

أضف الى ذلك ان الطبيعة لا ترحم ولا تشفق ، في حين ان من أخص صفات الانسان الشفقة والرحمة . والطبيعة تدفع الاحياء الى الاحتفاظ بالنوع ، كما تدفع الفرد الى الاحتفاظ بالذات . ولكنها في الوقت ذاته لا تعنى على حماية النوع او وقاية الفرد ، الا بقدر ما تهيء للنوع او الفرد من فرص البقاء . فهي تسرف في الانتاج من ناحية ، ثم تسرف في الضياع

(١) Geometrical Ratio ونقصد بها النسبة التضاعفية

والبدل من ناحية أخرى. وهي مصدر ما نسميه في التنويع تعبير بالابتكار. ويقصد بالتنويع اخراج افراد مختلفة الصور، متغيرة الطبائع. أما الابتكار فاظهار أفراد ذات صفات جديدة ترجح بها كفتها في مضمار الحياة. وتضمن لها الغلبة والبقاء. واختلاف نسل متصف بصفاتها. هذا نجد أن الصور المبتكرة، وهي تلك الصور التي تتغلب في التناحر على الحياة، قليلة جهد القلة، وأن الطبيعة تضن بها ضناً هي في هذه الناحية شحيحة بخيلة، في حين انها اذا انتحت رمت عالم الحياة بالملايين من الصور المشوبة التي لا تخرج عن نطاق الصفات الأصيلة للنوع الواحد واذا عدت سلسلة الملايين، وهي في التنويع لا يبلغ إسرافها حداً ولا يقف عند غاية. فليس في العالم شجرتان أو حيوانان او إنسانان، كلا بل زهرتان أو ورقتان، هما صنوان، لا تغاير فيهما ولا تباين بينهما. اما في الابتكار، وبخاصة ابتكار الصور التي يقدر لها البقاء في معترك الانتخاب الطبيعي، فانها ضنينة، شحيحة

اذا وعينا هذه المبادئ، خرجنا منها بنتيجة لا ينبغي لنا ان نغفل عنها. فشعوب الأرض قاطبة تعاني اليوم سعيرها. والطبيعة تجود عليها بالافراد مسرفة إسرافها المعروف والحضارة من وراء ذلك تؤيد إسراف الطبيعة في الانتاج. فلا مجاعات اليوم ولا أوبئة ولا وفيات بين الناس بالنسب المروعة التي حفظتها الاحصائيات خلال قرن ماض من الزمان، على ما كان خلال ذلك القرن من رقي، مقيساً بما سبقه من القرون. فاعلم بأن كثيراً من الامراض الوبائية المعدية كالحمى والملاريا والتيفوئيد والتيفوس والكوليرا مثلاً، قد أصبحت من أسهل الامراض علاجاً أو وقاية. فاذا أضفت الى ذلك طرق الوقاية من كثير من الامراض الخبيثة، عرفت الى أي حد أيد الانسان باستكشافاته اسراف الطبيعة في الانتاج، والى اي حد عطل يدها عن السلب والافناء وان الانسان ان كان قد ساعد اسراف الطبيعة في الانتاج، فانه قد أرادها شحاً في الابتكار وضنا به، ونحن نخرج من ذلك بنتيجة كبرى. ذلك أن ابتكار الطبيعة إنما يكون في مجموع الافراد الذين يقدر لهم البقاء، بعد ان تعمل فواعل الطبيعة وتأثيراتها الناتجة من الافراد، فتذهب بالاكثرية الى الفناء، وتبقي على ما يصلح للبقاء. في حين ان استكشافات الانسان ووسائله قد عمدت الى الحد من قوة الطبيعة الابتكارية، بأن هيأت فرص البقاء لعدد أكثر مما تريد الطبيعة أن يبقى فيها، لو أنها تركت ووسائلها. وبهذا نجد أن الطبيعة، بمساعدة الانسان، قد زاد اسرافها في الانتاج، وقل ابتكارها للافراد أو السلالات الممتازة. وهذه حالة كما اوجدها الانسان، يجب عليه ان يبحث عن علاج لها، يروح به عن مدنيته. ويخفف وطأة الفوضى والاضطراب، ويحد به من بواعث القلق الشديد البادية في حياة هذا العصر

والدليل الثابت على هذا زيادة عدد النوع الانساني خلال أربعة القرون الفارطة زيادة اذا

فسنا سنيها بنسبة زيادته خلال القرون الوسطى ، أو القرون المظلمة كما يسمونها ، لما وسعنا إلا أن نرتاع وأن نشك في صلاحية الوسائل المدنية ، على رغبها وعظمها ، أن تكون سادة تنكر عليها الحياة الانسانية ، متمتعة كل مطامعها من السعادة والطمأنينة . والمثل البسيط على هذا أن قارة كالقارة الامريكية استعمرت في أقل من خمسة قرون ، وازدحمت بالنوع البشري على قلة وسائل الوقاية والحروب الدائمة والثورات الجامحة والمجاعات المدمرة . وكذلك لديك اوستراليا مثل حي على هذا . وكلما ازداد تسود الانسان على الطبيعة ازداد اسرافها في الانتاج وقل انتكارها وفي هذا ينحصر السبب في ما يبدو على جبين هذا العصر من بواعث القلق والشعور باقتراب الثورات المجتاحة والاحساس العميق بأن نظام المدنية الحديثة لا بد منهار ، وانه لا بد من أن يتبدل الانسان بهذا النظام نظاماً آخر أقرب إلى حاجاته التي تلائم محيطه الحديد الذي اصطنعه لنفسه

فالطبيعة مطلقة من قيود الاستكشافات الانسانية وعوامل الوقاية ، تذهب بكل ما لا يصلح للبقاء من الافراد ، ولا تبقي إلا على الأصلح والأكثر انتاجاً والأشد مقاومة والأصفى عنصراً والأمتن تكويناً والأعمق تفكيراً والأنبل والأذكى والأعصى فلما تدخلت العوامل الانسانية ، وزاد بها اسراف الطبيعة في الانتاج ، قلت مدة الانتخاب امام الطبيعة بل قيد سيرها بقيود حديدية من ارادة الانسان واستكشافاته وما عرف من طرق الوقاية ، فقل انتكارها وخرج من مجموع ذلك نوع بشري مصطنع ، تزيد فيه نسبة الطالحين طبيعياً واجتماعياً بنسبة ما في الطبيعة من مرض الاسراف في الانتاج ، وزيادة الشح في الانتكار وبقدر ما يكون من أثر هذه الحالات في مجتمع ، يكون الفساد الذي لا يدل عليه من شيء ، قدر ما تدل ظواهر القلق والاضطراب البادية في حركاته وتطوراته واتجاهات أفكاره الراجعة في الواقع إلى مشاعر واحساسات أخفى من ان تظهر له أو يكتنهها بحال من الأحوال . وبقدر ما يزيد اسراف الطبيعة في الانتاج ، يكون التأثير في العناصر العليا في المجتمع فان إسراف الطبيعة في الانتاج ، مقروناً بعوامل الوقاية والحماية لغير الصالحين طبيعياً واجتماعياً ، يحدث صورة من التطفل الاجتماعي ، هي أنكى ما صادف الجماعات الانسانية من الكوارث خلال كل الأزمان

ولا ينبغي لنا أن ننسى ان الاجسام العضوية أشبه شيء ببناء الاجتماع ، وحالاتها الحيوية أصلح ما يتخذ دعامة للبحث الاجتماعي فالميكروبات مثلاً ، لا بد من ان تحدث حولها وسطاً وبيئة يلائمان حياتها ومطالب وجودها فانك اذا لقحت كتلة من الهلام بنوع من الميكروبات ، فلا تلبث إلا قليلاً حتى تلحظ ان جزءاً من هذه الكتلة قد تنار تناراً كيميائياً خاصاً بسنة فعل الميكروبات نفسه ، اذ تخلق من حولها بيئة تتكافأ بين حاجات حياتها وضرورات وجودها فاذا طبقت هذه الحالة على الاجتماع ألفيت أن جماعات المدنية الحديثة ، كجماعات المستوحشين

والطبيعي ، ثم تخرج عن حكم هذه القاعدة . فان انقلاب الحالة الاجتماعية في أوربا في آخر القرن الثامن عشر ، وابتداء عصر الصناعة الانتاجية ، قد خلق بيئة جديدة مخالفة تمام المخالفة للبيئات التي حفت بالجماعات في القرون الوسطى . وهكذا تخلق الجماعات البيئة ، حتى اذا ما استقرت البيئة على نظام ثابت ، احدثت البيئة بدورها تؤثر في الجماعات تأثيراً بعيده في كل الحالات رغماً عن طبيعة البيئة ذاتها . فالميكروب ان أحدثت في مادة الغلاف التي ذكرناها ، جوًّا وبيئة تلائمها بدئية ، فان تكاثر الميكروبات الى حدٍّ كبير ينتج في البيئة الطبيعية أثراً يقضي على حياتها . بل يقضي على حياة الجماعة كلاً وأفراداً . وهذا في الواقع السر في قيام المدنيات ثم اضمحلالها وسقوطها . فاذا قست حالات الاجتماع على حالات الحياة العضوية ، امكنك ان تعرف الى أي حد تذهب مستوى الاسراف في انتاج الافراد ، من غير أية موازنة بين حاجات الجماعة ، وبين الطبيعة والانتاج

وليست صفات الجمعية المشتركة كلها على نسبة واحدة من القوة . فان الطبقات تختلف اختلافاً كبيراً من حيث القدرة والكفاية . ومما لا ريبة فيه ان غير ذوي الكفايات او كما يقول الاجتماعيون — الساقطون اجتماعيًّا — وهم النسبة الكبرى ممن تسرف الطبيعة في انتاجهم ويسرف الانسان في حمايتهم من الطبيعة — يحدثون من حولهم بيئة خاصة لا يستطيعون ان يعيشوا في غيرها ، لانها تلائم طبائعهم وتوافق مشاربهم ، بل لا نكون مغالين اذا قلنا ان البيئة التي يحدثها غير ذوي الكفايات من حولهم ، عامل ذو شأن في تهديد قوى العناصر العاملة المنتجة في المجتمع . ومتى استقرت البيئة على شكل ثابت ، أحدثت من ثم في التأثير كل من استتم زرعها واندمج في طبيعتها فتصبح نظاماً ثابتاً ، لا لانه مفيد مساعد لنشء النوع العليا ، ولا لانه مساعد للطبيعة على الانتخاب ، ولا لانه نظام طبيعي ثابت ، ولا لانه خطوة من خطى النشوء الطبيعي ، لا لشيء من هذا ، بل لانه مرتكز على عنصر عالب في المجتمع ، هو العنصر الذي يخلقه اسراف الطبيعة في الانتاج واسراف الانسان في وقايته من قوة الطبيعة الانتخابية . تلك القوة التي اذا تركت ووسائلها الخاصة ، كانت امون على الانتخاب

وليس لنا مع هذا ان ننسى ان في المجتمع الحديث نزعة الى التطفل كامنة هي نتاج طباع هذه الحالات انظر في العالم العضوي وتأمل قليلاً في مختلف صور التطفل الكامنة فيه والظاهرة ، تجد ان الديدان العالقة بالاجسام الحية ، والنباتات النامية على جذوع الاشجار الكبيرة ، وقد التفت فروعها على أغصان تلك الشجرة حتى كادت تخنقها وتميتها . اذا تأملت في هذه الحالات ومثالها ، أيقنت بأن البيئة التي يخلقها الاسراف في الانتاج ، مع تحديد نسبة الفناء بما يخالف مطالب الطبيعة ، تقوي في المجتمع نزعة التطفل

أنظر من حولك في نواحي المجتمع الخافق بك ، واستغرق ساعة في التفكير من حال اولئك

الذين يسخرون لملذاتهم وأهوائهم أقوى عناصر الاجتماع ، فيبددون مجهود تلك العناصر تبديداً لا يعود إلا بنتيجة واحدة هي سوء بيئة تتصدع في جسم المجتمع ، فإنك تصل إلى النتيجة المحتومة . فإن غير ذوي الكفايات ممن تسرف الطبيعة في إنتاجهم ويسرف الإنسان في حمايتهم — على الرغم من أنهم يعيشون متطفلين على عاتق أقوى العناصر المنتجة في الاجتماع ، ممن تقضي الطبيعة بإبراز أمثالهم كل حين — يخلفون من حولهم تلك البيئة الفاسدة التي لا يقتصر تأثيرها على أنفسهم ، بل يتعدى إلى قتل المواهب والكفايات النامية ؛ لأن كل فرد يجد في الحياة طريقاً يكفل له العيش متطفلاً مع غيره من الناس ، ينزع إلى البطالة والكسل . ويقع العبء إذ ذاك على كاهل تلك العناصر التي يعيش من نتاج جهدها ، مجموع الذين تسرف الطبيعة في قذف الحياة بهم ، ومن ثم حولهم ممن يعيشون عيش التطفل على عواتق غيرهم ومن كد غيرهم : وليس لهذه الحال إلا نتيجة واحدة ، مؤداها أن أضعف عناصر المجتمع تعيش متطفلة على أقوى العناصر . وكلما زادت العناصر المتطفلة ، قلت العناصر المنتجة . وهناك تؤثر البيئة أثرها المحتوم في قضائها على قوى المجتمع المنتجة في أفراده المتطفلين عليهم . كل هذا وأمثاله قس على حساب الطبيعة ، وضد نواميس الحياة عن الإسعاف في وجوهها الصحيحة . أما نتائجه ، فالعوامل المحاولة لثورات الهدم والتحطيم والحقيقة أن الواجب يقضي بأن يضحى بالعناصر الضعيفة المتطفلة في المجتمع ، في سبيل تقوية العناصر المنتجة الضاربة في سبيل الارتقاء ، مدنياً وصحياً

أسرفت الطبيعة في الإنتاج خلال كل العصور ، ولكنها كذلك أسرفت في الإهلاك والإفناء ، مستخلصة من الباقي — باقي الطرح بين الناتج والفاني — مادة للانتخاب تساعدها على ابتكار الكفايات النادرة الحدوث في الطبيعة . فلما تدخل الإنسان باستكشافاته ، وهي التي كان من الواجب أن تساعد الطبيعة ، بدلت الحال كل تبدل

كان المجتمع القديم ولا شبهة أقرب لمطالب الطبيعة من المجتمع الحديث . كان المجتمع بمثابة معمل طبيعي تنتخب فيه الطبيعة ما تريد ، وتتخذ منه ما تريد مادة لابتكارها التي تقصر عن إحصائها ، كما قدمنا . أما في المجتمع الحديث فقد تعطل الانتخاب الطبيعي ، وزادت الطبيعة عنتاً بالابتكار من هنا واجهتنا المشكلات الاجتماعية الكبرى التي تهدد المدنية الحديثة . ولا جرم أن المجتمع المصري قد أصابه من هذه العوامل نصيب سيزداد على كر الأعوام . فإذا تبصرنا في الحالات المماثلة من حولنا استطعنا أن نعتقد بوسائل عملية تحمي مجتمعنا المصري من كثير مما سوف يواجه جماعات الغرب وأمريكا من عوامل القلق والفوضى والاضطراب

والمصريون إحدى سلالات النوع البشري ، تلزمهم الطبيعة الإسراف في الإنتاج ، وتلزمهم بضرورة ما تفرض فيهم من حب حفظ النوع والفرد ، أن يلجأوا إلى طرق الوقاية لكي يوردوا

بعناية اكثر عدد من الافراد النابغة فان صح ان ذلك مستطاع فتهذيب المدنية ونشر التعليم ودرجاته ، ثم طالما أن تبقى الحالة الاجتماعية مستمرة على هذا الاستمرار العجيب الذي لا يبرره إلا الجهل من عوامل القلق النفسي ، وكما على هذه الشعب أو على الاغلبية العظمى منه عيش الفقر المدقع والحاجة الماسة واستبداد ممولي الفلاح . درج مصر الآمن ، كنا كمن يحاول بناء هرم يرتكز على قمته لا على قاعدته

لا جرم ان هذه المشكلة هي اكبر المشكلات التي سوف نواجهها في المستقبل القريب . فان أمر العناية بالتعليم قد تضاعف وازداد أثره ، والعناية بالشؤون الصحية قد صرف فيها من الجهد ما لا يقل عن أمر عنايتنا بالتعليم وعلى الجملة اصبحنا اكثر اهتماماً بكل شؤون الحياة مما كنا خلال عهد قريب ولدينا امة اليابان مثل حي على ان الامم لا تحتاج الى زمن طويل لتبلغ اسمى مدارج الرقي والعظمة ، وانما تحتاج الى جهد وتحتاج الى عزيمة ونحن لا ينقصنا شيء من هذا فالثروة قائمة ، والعزيمة نائمة ، والجهد مبذول وإذن فنحن على ابواب الأزمة الاجتماعية ، ان لم نكن قد حددنا مدى تقدمنا في لججها العاتية الشديدة

اذا عمدنا الى الاعتبارات السابقة ان نظامنا الاجتماعي من شأنه ان يزيد الغني غنىً والفقير فقراً ، وان امضي على الخضوع لهذا النظام من شأنه ان يجعل الطبيعة عنصراً قوياً في تكوين الاسباب التي تفضي الى الازمات الاجتماعية الكبرى ، شعرنا الى اي حد بلغت بنا الحاجة الى النظر في ترقية الفلاح اجتماعياً باعتبار انه الاكثرية العظمى ، وانه اصل الثروة ، كما انه لا يجب ان يغيب عن اذهاننا ان اهمال تكوينه سوف يكون عما قريب اساس القلق الاجتماعي ، لا عن قصد ، ولكن عن ضرورات سوف تتكون في افق حياتنا الاجتماعية

قيل نحو ان نمو الفلسفة لا يخرج فلاسفة غير ان هذا لا يمكن ان يكون حائلاً دون تلقين الفلسفة بل ان هذه الحقيقة تجعل التحوط في تلقين الفلسفة عاملاً في اخراج فئة من الناس تحيط بشؤون الفكر الانساني وتطوراته قدر المستطاع كذلك نقول إن تعليم الفلاح لا يخرج مصلحين دائماً غير ان هذا لا يجب ان يصرفنا عن تعليمه وانما يجعلنا نحتاط في تعليمه بمقتضى منافع خاصة تساير اغراض الطبيعة وآثارها في الجماعات العاقلة الشاعرة اي الجماعات الانسانية

وقيل ايضاً ان الانقلابات الاجتماعية نتيجة تخالط بين حاجتين عصبيتين هما حاجتنا الاعتقاد والانفعال فاذا اردنا ان نطبق هذه الحقيقة على المجتمع المصري ، بان لنا مقدار الخطر الذي سوف يحيق بمجتمعنا اذا لم نبادر بأن نتخذ من النظامات ما يحل محل الطبيعة المطلقة في الجماعات البدائية

لا جرم ان اعتقاد المصريين بحقهم في الحياة أخذ يزداد وكذلك احساسهم بالاستقلال في الرأي واحترام الذات ، وان لهم في الحياة ما لبقية الناس فاذا ثبت هذا الاعتقاد ، وهو

لا شك من أحد ما يجب ان نسعى لغرسه في نفوس المصريين ، ثم استمر الحال على ما نرى من تحكم الضعفاء ، وعدم الاعتراف بحق الفلاح في الحياة على نسبة ارقى وأوسع حيث ترضي هذه النسبة مشاعره ومعتقداته ، تكون الى جانب هذه المشاعر والمعتقدات اهمال يزداد اثره وهناً على وهن وخللاً بعد خلل ، حتى اذا بلغ اشده كان الانفجار وكانت الثورات الفجائية . ولا تسائل العقل بعد هذا في شيء ، بل سائل المشاعر الهوجاء ، وسائل النزعات المتوثبة ، وسائل النزوات المشبوبة ، عما هناك من الخراب

هذه اتجاهات أكاد ألمس نتائجها لمساً . ولقد زكت النزعة الى هذه الاتجاهات القلاقل السياسية وزاد الشعور بالذاتية نظام الحكم الدستوري الذي يجب ان ندفع عنه بكل غال من حطام ونفس ، باعتباره المعهد الاساسي لتربية القومية . لهذا وجب علينا ان نبحث في امثل الطرق والوسائل التي تجنبنا الانقلابات الفجائية والتي تصد عنا سيل الافكار المتطرفة الحديثة التي تعبث عيثاً بها دوليات اوربة الشيوعية . ولنعتقد انها لم تنجع الا في مجتمعات لم تحمها الوسائل الاصلية من احكام الطبيعة الصارمة ، ولم يفكر مصلحوها في وضع نظمها الاجتماعية على قواعد تساير احكام الطبيعة على نسبة كافية . واني لشديد الاقتناع بأن ما سوف أصف من مبادىء في مقال تال ، كفيلة بأن تجنبنا هذه الشرور ، وانها كافية لان تحمل نظامنا على ما تريد الطبيعة أن يكون من بقاء الأصلح ، والأمثل ، لا في الطبيعة ، بل في المجتمع

لا يجب بعد الآن أن يكون هناك تفضيل للاسرة ولا للجاه ولا للمال ، بل للكفاءة . بذلك تحل سلطة الانسان محل الطبيعة وتسود الكفايات العليا فتوجه ضغط شديد على الدنايا الاجتماعية وعلى الفاشلين اجتماعيًّا وعلى المتطفلين ، فيحفظ التوازن ويبقى جسم المجتمع سليماً من امراض الفوضى والاضطراب . ذلك بأني اعتقد ان تحريك الجماهير وتوجيهها الى الثورات الفجائية ، لن يكون الا تحت تأثير كفايات عليا ، صدها النظام الاجتماعي عن الانبعاث في طريقها ، ذلك الطريق الذي هو حقها الطبيعي غير منازعة فيه . ذلك بأن الكفايات ككل شيء في الوجود ، اذا زاد الضغط عليها ، انقلبت الى عكس وظيفتها . هذا إذا اردنا ان نكون امة سليمة من الامراض الاجتماعية ، بل ومن عدوى الامراض الشيوعية على الاخص . ولا جرم ان هذا الاساس هو اصح الاسس التي تمهد لنا سبيل تشييد حضارة تسد مطامعنا وتكفي حاجاتنا ! ذلك على اعتبار اننا امة فتية من امم الارض ، وعلى اعتبارنا قسماً صالحاً من مجموع النوع البشري

تدلنا هذه الحقائق العلمية ، وان شئت فقل النذر الحقية ، على ان في مجتمعنا الريفي اصول الفساد التي تهيء بها الطبيعة كل مجتمع فرض عليه الارتجاج الاجتماعي وعدم الثبات على حالات تساير حاجات البقاء . وما نقصد بالبقاء الا قدرة الجماعة على ان تحتفظ بحالات ثابتة فيها خاصية

قبول الاستشارات الاصلاحية بملاءمة مزاجها . والتكيف بمقتضى الظروف المحيطة بها . على ان لنا بعد هذا ان نقول ان مجتمعنا الريفي كـكل مجتمع من صنفه ، يتزعزع بما فيه من عوامل الفساد ، فان فيه كل العناصر التي تهيء للمصلحين الجو الصالح للاصلاح . وخص ما يجب على الباحث ان يبني من مجمل ما صوّرناه في الأسطر السابقة ان في مجتمعنا الريفي المظاهر الآتية :

١ — جمود وسمة شعور عقلي ناقص ، لان القوى العقلية للعناصر المتحدة هي المسيطرة على الحالة الاجتماعية

٢ — انتقال من الحالة البدائية التي يتهيأ فيها للطبيعة ان تحمل كل حي على العمل المنتج ، الى حالة اقتصادية مصطنعة ، صدت فيها الطبيعة عن مباراة وسائلها ، فانقلبت الآية من العمل على بقاء الأصلح وتسوده ، الى مساعدة الأطلع على البقاء والسيادة على غيره

٣ — يحمي مجتمعنا الريفي من الانحلال التام ان وسائل الطبيعة في الانتخاب من بين افراده اعظم من وسائلها في الانتخاب من بين غيره من الطبقات . فان المدنية الحديثة ، وان شئت فقل الصناعية ، مساعدة للضعفاء اجتماعيًا وطبيعيًا على البقاء ، فضعف كثيراً فيها في غيره . لان الفلاح ما زال ابن الطبيعة ، ولا يبقى من افراده الا الذين تختارهم الطبيعة للبقاء بعد ان تغربل متوحيها مكلما فيهم شدة وقوة وقسوة . ومن هنا سر البقاء في العنصر الريفي وقدرته على العمل والانتاج . واذن ينبغي ان يكون كل اصلاح يرمي الى اضعاف فعل الطبيعة الانتخابي في هذا العنصر ، مقروناً بما يعوض عليه هذه الميزة التي تميزه بها الطبيعة على غيره من العناصر ، والا ذهبت فيه مبادئ الطمع ، بما يؤصل فيه ضربة للتطفل الاجتماعي ، وهي ضربة نجا منها المجتمع الريفي حتى الآن . وان كان ذلك لم يحمه من تطفل الطبقات الطافحة عليه

٤ — يتسود في مجتمعنا عنصر الانتهازيين والاحرى عنصر الطافحين اجتماعيًا على العنصر العامل المنتج

٥ — العنصر العامل المنتج الذي يمثله مجتمعنا الريفي ، لا ينال من ثمرات عمله وانتاجه نسبة ما يجب ان يخصص له ليحتفظ بحيوية كاملة

٦ — في مجتمعنا عنصر من التطفل الاجتماعي يعيش في المدن عاطلاً ، فيستمد الجزء الأعظم من ثمرات العنصر الريفي العامل . لأن العنصر الاول هو صاحب السلطان الاقتصادي والعنصر الثاني هو صاحب الانتاج . فاذا لم ينل العنصر الثاني من انتاجه ما يحميه من الانحلال الحيوي ، انحدر شيئاً فشيئاً الى عنصر اضعف انتاجاً مما كان ، ويتدرج الامر من هنا الى الفساد الاجتماعي

هذه حالات بينة الاثر في مجتمعنا الريفي ، اذا وزناها ووعيناها ، بان لنا مدى الهاوية التي يخطو نحوها لتردى في اعماقها العميقة . اما النجاة ففي مراعاة تطبيق مبادىء قائمة على البحث العلمي ، وذلك ما سوف نفرد له بحثاً خاصاً

القرود العظام

وأسماؤها العربية

بحث لغوي وعلمي

-

بقلم الفريق أمين المعلوف

لما كتبت معجم الحيوان ذكرت قروداً لم أبين سبب تسميتها بالاسماء التي اوردتها فالتبس امرها على بعض الباحثين فرأيت الآن أن ابين السبب الذي دعاني الى تسميتها بهذه الاسماء ولاسيما القرود الكبار مثل الغول والسعلاة والبعام والشق وان اورد هنا الاسماء العلمية الحديثة كما جاءت في كتاب الميجر موّر وهو الكتاب المعوّل عليه في تصنيف الحيوانات اللبونة وفي اسمائها العلمية ولا عبرة بما جاء من هذه الاسماء في غيره وهو الكتاب الذي تعتمده حديقة الحيوان في انكلترة وقد اتبعته في التصنيف ، لذلك وقع خلاف في الفاظ لما كان يقع فيها بين الباحثين عولوا عليه في التصنيف او عولوا على كتاب حديث من كتب القوم . اما الكتب القديمة وعلى فضل اصحابها في العلم فانها لا تصلح لمثل هذا البحث . ولا يخفى ان اسم الفصيلة ينبغي ان يكون باسم الجنس النموذجي فيها . فمن الفصائل التي ذكرناها الفصيلة التالية

١ — فصيلة السعالي Pongidae

قرود شبيهة بالانسان منها الغورلى اي الغول والبعام والسعلاة والشق انظر ص ١٨ و٢١ و١١٥ من هذا المعجم

وانا اريد بهذه الصفحات المكان الذي ذكرت فيه القرود واسماءها ولكني لم ابين سبب تسميتها فصيلة السعالي وسأبينه في ما يلي انما قبل ذلك أنبه القارئ الى ان الميجر موّر كتب اسم الفصيلة بياء واحدة وليس بيائين كما كتبته قبلاً لذلك اصلحته هنا . وقد قال ان هذه الفصيلة كانت تسمى قبلاً سميدا ثم وجدت انه اخرج الشقوق منها فأخرجتها وجعلت لها فصيلة على حدة كما ذكرت في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٣٤ . اما هذه الفصيلة فتشمل ثلاثة قرود فقط هي الغول والسعلاة والبعام وسأذكرها على هذا الترتيب اي الغول والسعلاة والبعام فأولها الغول وقد قلت فيها ما يأتي :

٢ — غُورِلّى . غول   Gorilla gorilla Gorilla

نوع من السعالي Pongidae اي القرود الشبيهة بالانسان وهو أضخم من النغام وأقوى شرس جداً

وكتب اليَّ الاب انستاس (المقتطف ٣٩ : ١٧٠) واقترح تسمية الغورلى بالطغموس . قال حفظهُ الله: « كنت قد بينت قبل ٢٥ سنة في مجلة الضياء ان احسن لفظة عربية ترادف الغورلى هي الطغموس » فأجبتهُ بما يأتي « لم أطلع على المقالة التي يشير اليها ولا ارى مانعاً من تسمية الغورلاَّ بالطغموس وهو في اللغة الخبيث من العفاريت او الغيلان . وقد اطلق العرب اسم الغول على الغورلاَّ او غيره من القرود في بعض مؤلفاتهم » لذلك سميت الغورلى غولاً كما ذكرت في مادة قرد " "

اما ما أوردتهُ في مادة قرد عن الغول فهو ما يأتي . وقد ورد في الصفحة ١٣ منهُ :

للقرود في أساطير العرب شأن كبير . فكانوا يروون عنها الروايات الغريبة ويعدّونها من الجن او الشيطنة ومن الغول والسعلاة والقطرب والهم والسعير والأزبّ ورُبّ العقبة الا قرود

فالغول ولهم فيها اقوال كثيرة منها انها حيوان شاذ مشوّه لم تحكمه الطبيعة وانهُ يتعرض للمسافر ويكون في ضروب الصور والثياب وزعموا ان جماعة رأوا الغول في الجاهلية منهم تأبط شراً وغيره . وقالوا خلقتها خلقة انسان ورجلاها رجلا حمار الى غير ذلك من الاقوال . وأطلق العرب اسم الغول على الغورلّى او غيره من القرود الضخام في بعض مؤلفاتهم . فان شمس الدين الدمشقي في كتاب نخبة الدهر في وصف جزيرة القطربية « وبها بناحية منها جبل عال الشروع ؟ وهو الغول ويسمى القطرب » . وقال في وصف منابع النيل « وحدوا بجبل من جبال القمر الحان طاهرين ووجدوا منها طائفة تسمى الشروع ؟ وهم الغيلان وان الغول عندهم متوسط الخلق بين الجان والحيوان والانسان يتزيا في زي اي حيوان أراد تخييلاً للناظر اليه ويتكلم بكلام الآدمي ويظهر بصورته ويفترس كما يفترس السبع » فلا شبهة انهُ يريد بالغيلان هنا طائفة من الغورلّى في أوغندة عددها نحو خمسمائة وجبال القمر جبال كليمنجارو في منابع النيل

اما كلمة غورلّى هذه فقد أطلقها ازيدور جفروى العالم الفرنسي في اوائل القرن الماضي على هذا النوع من القرود نقلاً عما ورد في رحلة منسوبة الى حنُّون القرطاجي في المئة السادسة قبل التاريخ المسيحي فانهُ على ما روى التاريخ قام برحلة في جماعة من رجاله لارتياد سواحل افريقية فمروا ببحر الزقاق اي مضيق جبل طارق وواصلوا السير حول الساحل الغربي من افريقية الى ان بلغوا حصناً رأوا فيه جزيرة فيها بحيرة وفي البحيرة جزيرة اخرى لقوا فيها قوماً طوال الشعور فقاتلوهم ففرَّ الرجال اي الذكور وقبض حنّون وجماعته على ثلاث نساء حاولن التملص منهم بالعض والتخديش فاضطروا ان يقتلوهن ثم سلخوا جلودهن وجاؤا بها الى قرطاجنة

ووضعوها في معبد الالات اي بونون وقد سمى التراجمة هذه النساء او الاناث غوريات احداها غورلّى وكتب حنون رحلته باللغة الفينيقية على لوح علقهُ في المعبد مع الجلود وبقي اللوح والجلود هناك الى خراب المدينة وحفظت ترجمة يونانية لهذه الرحلة الى يومنا . ثم لما وصف العلماء هذا القرد سمّاهُ جفروى غورلّى كما جاء في رحلة حنون القرطاجني ولعلّ التراجمة الذين كانوا مع حنون سموا هذه القرود غيلاناً اي انهم تكلموا بلغة يفهمها حنون ورجاله اي بلغة فينيقية وهي لغة سامية شبيهة جدًّا بالعربية فلم يكن لهم الاَّ ان يسموا الواحدة من هذه القرود غولاً كما سمى عامة المصريين الشمبانزي أي البعام غولاً لما رأوه في حديقة الجيزة لاول مرة . ومن الطبيعي ان الشرقي اذا رأى الاوران او الشمبانزي او الغورلى ان يقول هذا الغول الذي حدثتنا به العجائز

ولا يبعد ان الذين نقلوا رحلة حنون الى اليونانية حرفوا الكلمة وجعلوها غورلاً . وهذا ليس أغرب من تحريف قَرْت حَدَشْت الفينيقية الى قرطاجنة فقالوا في قرت حدشت Carthago ثم Carthage وقرت حدشت معناها قرية الحدث اي المدينة الجديدة ولا يزال هذا الاسم أي الحدث معروفاً في لبنان وبه سميت اماكن كثيرة ولا يخفى ان اليونانيين اخذوا ألفاظاً كثيرة من الفينيقية السامية لا محلَّ لذكرها هنا

وقد اشار بلنيوس الروماني في كتاب التاريخ الطبيعي الى قصة حنون وسمى الجزيرة التي تقدم ذكرها جزيرة الغوريات أو جزيرة الغوالي وسمى الغوريات غوالي Gorgonae وذلك في الكتاب السادس ولا أذكر الفصل . وعليهِ فلا أرى بأساً من تسمية الغورلى بالغول كما فعل شمس الدين الدمشقي

وقلت في الطغموس : قد سمعت عنهُ انهُ الخبيث من القطارب او الغيلان وكتب اليَّ الاب انستاس وقد نشرتهُ في المقتطف ٣٩ - ١٧٠ قال « كنت قد بينت قبل ٢٥ سنة في مجلة المشرق ان أحسن لفظة عربية ترادف الغورلاً هي الطغموس » . قلت ما زال الاب العلامة قد قبل الطغموس فلماذا لا يقبل الغول وهو اقل حشناً من الطغموس وأخف على السمع

فتجد مما تقدم ان رجال الدين لم يأنفوا من تسمية الغورلّى بالغول وهي من الجن او الشيطنة منهم شمس الدين الدمشقي شيخ الربوة في دمشق فقد تكلم عن الغول كلاماً واضحاً لا يقبل التأويل او الشك . ومنهم الاب انستاس فقد قال ان الطغموس اي الخبيث من الغيلان هو في رأيهِ الغورلى . كذلك رجال الحرب منهم حنون القرطاجني فانهُ سمى الغورلّى بالغول . وقد بينت في ما تقدم ان الغورلى ليست الاَّ تحريف اليونان لكلمة غول كذلك رجال العلم منهم ايزيدور جفروى سنتيلر فانهُ سمى الغورلى بهذا الاسم الوارد في اساطير اليونان او اهل قرطاجنة فهل نحن اشد تمسكاً من هؤلاء بالدين او بالعلم لذلك لا ارى بأساً في تسمية الغورلى بالغول ولو كانت من الجن او الشيطنة . اما تعريب الغورلى بكلمة غورلى وزان قرنلى فلا أراهُ صواباً لورود الغول بالعربية وهي فصيحة

٣ — ومنها اني فهمت ان قرداً آخر اسمه السعلاة معروف عند العرب لم يكن اعتماداً بل عن درس وروية فقد قلت في ص ٥٧٢ ما يأتي

انسان وحشي سعلاة Orang-utan, or ang-outang, Pongo pygmaeus

قرد شبيه بالانسان مسكنهُ الغاب في جزر ارخبيل اي بورنيو وجاوة وسومطرة

ذكرت هذا القرد في المقتطف ٣٣ : ٨٤٤ وسميته الانسان الوحشي من اوضاع احمد فارس واضفت الى هذا الاسم السعلاة كما جاء في مادة قرد في الصفحة ٨١٠ من هذا المعجم . اما ادلتي على تسميته بالسعلاة فواردة في الصفحتين ٥ و ١٦ وهما النسناس والسعلاة فعدلت عن تسميته بالنسناس لاختلاف الفصحاء في معنيه واثبت السعلاة واعتمدتها . وهاك ما قلته في النسناس ص ١٦ .

ومنه النسناس وهذا ما قيل فيه انه خلق في صورة الناس او جنس من الخلق يثب احدهم على رجل واحدة او حيوان كالانسان له عين واحدة يخرج من الماء ويتكلم . او انه لكل واحد منهم نصف بدن ونصف رأس ويد ورجل كأنه انسان شق نصفين ينقز على رجل واحدة نقزاً شديداً ويكون في جزائر الصين . وذكر شيوس الشق والنسناس فسمي الاول منهما كما تقدم اي الشق وسيأتي ذكره وسمي الثاني اي الشطر ووصفه بمثل ما وصف العرب النسناس . ولا يخفى ان هذه الكلمة معناها ايضاً صنم للسوريين كان في صورة نصف انسان اي نصفهُ بشري والنصف الآخر من السمك ولعل الكلمة يونانية من مصدر سامية وهي بالعربية القود من النمّ اي النيس . او من مادة شطر اي جعل الشيء نصفين . ومثل هذا الصنم عند السوريين هو السمير الآتي ذكره . والنسناس عند العامة هو هذا القرد اللطيف الصغير الطويل الذنب وهو كثير في دنقلة وكردفان واول استعمال العامة للنسناس بهذا المعنى قديم وقد اشار الى ذلك صاحب تاج العروس . وذكر عبد الله القزويني انه كان نسناساً في ايامه بمصر منذ سبعمائة سنة لنوع من القرود الكبيرة من ذوات الاذناب . ويرى الاب انستاس في ما كتبه ونشرتهُ في المقتطف ٣٩ : ١٧٢ ان النسناس يوافق القرد الشبيه بالانسان وان الكلمة من اليونانية ومعناها القزم كتبها العرب ثم صحفوها الى نسناس . اقول وربما كان الاب العلامة مصيباً في قوله ان النسناس يوافق القرد الشبيه بالانسان او انهُ يوناني الاصل وعندي ان العامة اولى بتخصيصه هذا القرد اللطيف وان استعمالهم لهُ بهذا المعنى قديم ويصعب تحويل افكار العامة واستبدال وهم بوهم آخر لا لسبب سوى ان وهماً اقدم من وهم او انهُ وارد في الاساطير او في كتب اللغة بحق توهمهُ القدماء

وقلت في السعلاة : ومنها السعلاة ويقال سعلاء والجمع السعالي قال القزويني : السعلاة نوع من المتشيطنة مغايرة للغول واكثر ما تكون السعلاة في الغياض وهي اذا ظفرت بانسان

ترقصُ ويلعب بها كما يعبث تقعد بالعار » ولهم في السعلاة أقوال كثيرة منها ان الغول الذكر من الجن والسعلاة الأنثى ويريدون بذلك ان الغول أعظم والسعلاة أصغر ولعل السعلاة هي سعيرم الواردة في سفر اشعياء ١٣ : ٢١ في الترجمة الاميركية « وترقص هناك معز الوحش » وفي الترجمة اليسوعية « وترقص هناك الاشاعر » وهي احسن لأنها أدق معنى فان علماء التوراة يظنون ان سعير شيطان او صنم له شعر كالمعز وعن كلمة سعلاة ايضاً معناها شعراء او زبَّاء فالسين والشين واحد في اللغات السامية والراء واللام يتبادلان فالسعلاء والشعراء واحد وسيأتي البحث في ذلك

هذا وقد ورد في كتاب يشوع اروملي وفي التوراة الافرنجية كلمة ساتيرس . وفي العبرانية سعير او سعيريم لانهم كانوا يعظمون هذا القرد او يعبدونهُ كما كانت تفعل العرب في جاهليتها على ما ورد في معجم الحيوان ص ١٦ ولا أُريد بذلك ان السعلاة هي السعير عينه لكنها كانت قرداً من القرود وهو امر عريق جدًّا في القدم يقدر بألوف من السنين وقد سمَّى لينوس هذا القرد سيميا ساتيرس اي القرد ساتيرس لان هذه في اساطير اليونان يوضعهُ دون غيره من القرود وهو السعلاة بالعربية كما تقدم في مادة نسناس . ثم ان هذه الامور اي تسمية هذا القرد بالسعلاة او النسناس وقعت منذ الوف والوف من السنين حتى صارت كلمة شعراء سعلاء فالتاريخ لا يقاس بحياة الانسان بذلك لا اراني مخطئاً في قولي انها السعلاة ولو كانت من الجن او المتشيطنة او الشياطين . اما كلمة نسناس فقد أخذناها عن كتب اللغة وعن العرويي وعن الاب انستاس وكلمة سعلاة عن العرويي وعما ورد في معاجم التوراة ولا اظن هؤلاء متهمين في دينهم ولكنني أحكم بعقلي لذلك قلت ان النسناس والسعلاة هما هذا القرد ولا يخفى ان القرود الكبار من هذه العصبة ثلاثة انواع لا رابع لها الغول وقد تقدم والنغام وسيذكر وهذا القرد فان لم يكن هو السعلاة فما هو وان لم تكن السعلاة هذا القرد فأين السعلاة وقد ورد ذكرها في كتب الائمة وان لم تكن هي السعلاة فأين هذا القرد الثالث . ثم ان المسعودي ذكر في مروج الذهب أنهُ جيء بنسناس من اليمن في زمن المتوكل فهذا النسناس هو بلا شك هذا القرد او النغام وأُرجح أنهُ السعلاة . وان علماء الحيوان لا يتمسكون بأمور تتمسك بها نحن بل يحكمون عقولهم ويبحثون عن السعلاة والنسناس ويقولون اين هما ولو قال لهم احد انهما من الجن او المتشيطنة او الشياطين ولا يخفى ان الانسان لا يقدر ان يتصور في مخيلتهِ حيواناً لا وجود لهُ في الكون لذلك تصور الغول اشكالاً لا وجود لها وقال ان السعلاة والنسناس من المتشيطنة . وفي المقتطف القول شيء عن النغام والشيق وفيه فصل الخطاب في هذا البحث اما الاسم العلمي الذي تقدم ذكرهُ في اول البحث فمعناهُ السعلاة القزم وان شئت فقل النسناس القزم ولكن العامة لا تفهم النسناس بهذا المعنى لذلك عدلت عنهُ الى السعلاة فالنسناس والسعلاة واحد

حكمة المرأة تبني بيتها

المرأة الفاضلة تاج لبعلها...

لأن ثمنها يفوق اللآلئ

[أمثال سليمان]

امرأة فاضلة

الى روحي — ذكرى وعهد

على رجاء اللقاء

خليل ثابت بك

رئيس تحرير المقطم

فجعت أسرة المقتطف والمقطم في الصيف الماضي في وفاة سيدتين كريمتين من سيداتها، تأرجت سيرتهما بعطر الفضل والحكمة ومكارم الاخلاق وهما السيدة فريدة مكاريوس قرينة المرحوم شاهين مكاريوس بك أحد منشئي هذه الدار والسيدة «إما» كريمته وقرينة خليل ثابت بك أطال الله عمره. والفصل الآتي قطعة من الأدب العالي علاوة على كونها رثاء خارجاً من صميم نفس مكلومة وقلب زوج وأبٍ فقد زوجهُ وأمَّ أولاده وشريكة عمره، وصورة بليغة للمرأة الفاضلة التي قال فيها سليمان الحكيم «إنَّ ثمنها يفوق اللآلئ». [المحرر]

أرقدي بسلام بين أكاليل الورد والرياحين. ولتصعد روحك الكريمة محمولة على أجنحة الأملاك الى خالقك البرّ في أعلى عليين — الفتاة الطاهرة والزوجة الوفية والأُم الرؤوم والمربية الكاملة وربة البيت الحكيمة والنبيلة التي قال فيها وفي مثيلاتها الشاعر العربي ما قال لما فضل بعض النساء على الرجال

خمسة وثلاثون عاماً قضيناها معاً في وارف من ظلّ السعادة ومعين مفعم من الهناء والصفاء في كنف حنانك الناعم وحبك الخالص ومودتك الصافية فنعمت بما لا ينعم به سوى الازواج الذين ترضى العناية عنهم بفضل الله لا بفضلهم. وألفت

هذه الحياة وحسبنا باقية حتى امصت الكارثة ورأشت المنية سهمها وعدت عادية الزمان عاب كوكب سعدي وعماني ودوب بهجة حياتي واعطب صياء الامل في عيني يأساً وتبدلت مظاهر الحياة واسودت أيام اليمن . مضينا في عمر من الهم والاسى ما اعتدنا في حياتك الوقوف على ساحله فكيف نخوض الآن غماره ونجرع صاب مائه

وقطعنا مراحل هذه الحياة يداً بيد مبدأنا وحدنا الى أن حبتنا العناية الثمر مكان نطيب أرومتك وحسن شمائلك وطهارة نفسك ثمراً شهياً قرت به أعيننا وتضاعفت نطيبه سعادتنا فامتزجت في بيتنا الموسيقى التي كنت تحبينها وتجيدين عزفها وصوتك العذب بموسيقى أصوات صغار ملائكتنا وهم يحبون ويمرحون ويلعبون فيطربوننا بابتسامهم وأنغامهم وسرورهم ويلبون ما في أنفسنا ويحملون عنا مطارف من بهجة الحياة فاجتزنا تلك المراحل بهناء وغبطة وصفاء الى أن سيرنا القضاء تجاه في طريق آخر ليس لنا به عهد ولا صلة وأوقفنا صوراً امام غيبة الابدية فاجتزت أنت بابها اليها بسلام وأوصد الباب في وجهي فافترقنا . ولولا التقى وحرصي على الفتاتين والصغير لآثرت اللحاق بك فلا نفترق أبد الدهر

كانت عواصف الحياة تهب فأسمع عجيجها وضجيجها وأصغي الى حفيف اوراق الشجر وهي تنوح وتتأوه فعلها لم تحطّ تلك العواصف بدارنا . فاذا هب منها شيء علينا عرفت كيف تدرئينه بحكمتك أو تخففين فعله بحسن تدبيرك ومضاء ذهنك وصفاء قلبك حتى هبت العاصفة الجائحة الجامحة فهدت حياتنا وحُمّ القضاء وطوي سفر الرجاء وضاعت حيل الاطباء ولم ينفع سهر البنين وحنو البنات وصلاة الحبيب وابتهالهم الى بارىء السموات

وأطوف الآن في غرف الدار فأرى صورة وجهك الصبيح وأبصر آثار يديك ومظاهر سلامة ذوقك وعالي عنايتك واتقانك ثم آوي الى مخدعنا ألتمس الراحة

كما يتمشى الخدر في المحموم فاذا سكن ليلي وهدأ الصوت وكلّ البدن وأعييت حيل الحيّ امسى في حلم واني سمعت رؤيا وفتح عيني الأمل بسمعه أهم وزوال الكابوس فلا تلبث الحقيقة ان تلوح لي من خلال سحب الظلام وأراني وحيداً فريداً فيخفق قلبي أسى ويسيل دمع اليأس صباح ارحمه

ونلبس السواد حداداً ونتخذهُ دلالة وشعاراً فاذا حان وقت المقت خلعناهُ. أما الذي لا يخلع مهما طال الزمان ونلازمه في النهار والليل فذلك المستقر في صدورنا واللوعة التي تحرق أكبادنا ومرارة الفراق التي استقرت في شغاف قلوبنا

أقول — والله على ما أقول شهيد — انت أيتها الحبيبة ما عرفت للحقد معنى ولا أضمرت لأحد شراً أو ضغناً وحسبي أنك غادرت الدنيا وليس فيها من عارفيك الا كل آسف عليك وذاكر لسجاياك ومعترف بما طبعت عليه من حب الصفاء وكره الخصام والشقاق وايثار السلام والوفاق

وكنت رقة طبعك وعذب حديثك وبشاشتك للحياة وفهمها زينة المجالس ما دخلت مقام هناء الا زدته غبطة وما حللت مجلس حزن او عزاء الا سكبت فيه من جميل العون وصدق العاطفة بلسماً يخفف من وقع الالم ويهوّن هول المصاب

رأيت التي أحسّت بهجة الحياة وكانت نوراً يفيض بهذه البهجة على الذين حولك ولاسيما أهل بيتك حبا اليوم بولك وغادرت حياة كنت من عناصر عناصرها إيثاراً لحياة أخرى تعدين فيها لي بيتاً مكللاً تتوافر فيه أسباب الهناء كما عنيت في هذه الدنيا

واما الذي كنت استمر نجاحه في ما اصاب ومصدر راحته وركن ارتياحه لعطفك وحنانك وحبك ووفائك وحكمتك ومكارم خلقك وكرم طباعك وصدق اخلاصك من يطارد الآن همي ويكشف غمي ويمحو كآبتي ومن يمسح دمعي ويبرد لوعتي ومن يخفف حزني ويريح كربي

لقد كنت واسطة عقدنا فانفرط العقد وانا اليوم المسؤول الى الله واليك

بأن اصون باقيه واحرص على سمعته ولآ ليه وسأصل الى ان يسترد الله وديعة هي عطيي مساً وقرتي عيناً عهدي لك مقدس ما دام في عرق ينبض

وما كنت اريد ان تسبقيني يا ساعفه الى كل معروف وكال بل كنت اتوقع ان تكوني تمريني عند غروب شمس حياتي كما كنت عوني فيما مضى فتحلي محاسي واما مسجى على سرير مرضي الاخير بعد ان تمحي أرجاعي وآلامي كما كنت تصنعين في هذه السنين وتسمعي عني ما املك فأذهب من هذه الدنيا قرير العين ناعم البال

وقد عودتني ان ألقي عليك اتكالي فأصبحت اليوم كمن قوضت اركان عزمه واطلمت منارة هداه فلا يدري أنى يلتمس الحكمة والرشاد

ويعزوني بايراد الامثلة والشواهد ولست بجاهل لمرها ولا منكر لآيائها ولكن شعور من يرى ناراً تلتهب امامه غير احساس من يكوي الجمر احشاءه

من لي بان يزيل الالم ساعة فارثيك بغير هذا القلم المضطرب وأفيك بعض حقك عليّ وأصوغ لك ما أنت اهلٌ لهُ من عقود الشكر وقلائد الاعتراف بالجميل وصدق الوفاء . ولكن اذا تجرت وعاب جثمانك عنا فروحك قائمة بيننا وسيرتك ماثلة أمامنا وصورتك منقوشة على صفحات قلوبنا وأريج محامدك يعطر أرجاء بيتنا وشمائلك قدوة لنا وذكراك مقدسة في هيكل لك في حنايا ضلوعنا

ما أصعب الفراق وما أمرّ مذاق كأسه ولكننا سنلتقي — أجل سنلتقي ولن يطول الفراق فالرحمن الذي جمعنا اولاً سيجمع شملنا ثانياً

يا حبيبة الصبا

يا شريكة العمر

يا أم أولادي

يا زوجتي !

المعاهدات الدفاعية

أقدم ما عرف منها

معاهدة رمسيس الثاني مع الحيثيين

للدكتور حسن كمال

حوالي سنة ١٢٨٨ ق. م. زحف رمسيس الثاني بجيشه العرمرم من مدينة (ثارو) على حدود مصر الشمالية الشرقية متولياً قيادة فيلق آمون بمقدمة الجيش تلوه فيالق رع وبتاح وسوتخ بهذا الترتيب. وزحف رمسيس الثاني على شاطىء فينيقيا حتى بلغ لبنان ثم تتبع طريق وادي البقاع وبلغ نهر العاصي في أواخر شهر مايو أي بعد مرور تسعة وعشرين يوماً على مغادرته حصن (ثارو) القريب من الاسماعيلية الحديثة وضرب خيامه على مقربة من مدينة (كدش)

وعند كدش وقعت أقدم المعارك الحربية المعروفة بالضبط. هناك التقت الجيوش المصرية بالجيوش الحيثية والتحمت المدنية الافريقية بالمدنية الاسيوية وكان القتال شديداً وأبلى الفريقان بلاءً حسناً وكاد المصريون يخسرون المعركة لولا الامدادات التي وصلتهم في آخر لحظة على نحو ما حدث في معركة واترلو. ونشاهد أخبار هذه المعركة منقوشة نقوشاً بارزة رائعة على جدر معبد ابي سمبل والدر والرمسيوم ومعبد الأقصر والكرنك والعرابة وغير ذلك من العمارات التي شيدت وقتئذ. ومن أهم المكتشفات الحديثة جهة (بوغازكوى) بآسيا الصغرى نصوص مسمارية استدل منها على ان النفوذ الحيثي كان مبسوطاً على مملكة آمور وواصلاً الى شمال فلسطين

ويتضح لكل من تتبع أخبار هذه المعركة ان أهالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد كانوا ملمين بمميزات المواقع الحربية وتقسيم القوات المحاربة في القتال وان الحيثيين برعوا في القيام بحركات خفية دون معرفة المصريين وانهم قسموا جيشهم الى قلب وجناحين. ولذلك كانت معركة (كدش) أقدم معركة تاريخية استعمل فيها هذا التقسيم الحربي. وبناء عليه تكون سهول سوريا

قد شاهدت اقدم انواع هذه الحركات الحربية التي ضمها نابوليون وفاق فيها سواه ولا تزال تعرف الآن بفن « الانتصار قبل العراك »

لكن تأثير معركة (كدش) على في سكان فلسطين وسوريا كان ضعيفاً على الرغم مما اظهره رمسيس من الشجاعة والاقدام . ثم ان الحيثيين اتخذوا عدم الفصل في معركة (كدش) عملاً للتحرش فوطدوا نفوذهم بآسيا وشوهوا سمعة مصر والمستعمرات المصرية الاسيوية . وقد حصل ان شبت فعلاً نيران الثورة تدريجاً حتى بلغت الساحل الشرقي للدلتا فاضطر رمسيس ان يبيد لسكرة عليهم ولذلك كرر زحفه على وادي العاصي فطرد الحيثيين منه ويستدل من الآثار ضمناً ان جلالته استولى على (كدش) وزحف على (توب) بلاد النهرين

وثابر رمسيس الثاني على حروب آسيا خمسة عشر سنة تقريباً ثم وقع حدث داخلي هدم مملكة الحيثيين وقف حروبه هناك فجأة الى الابد ويتلخص هذا الحادث في ان (متلا) ملك الحيثيين توفي في معركة حربية فتبوأ أخوه (حيتاسار) الملك بعده . ونشدة حاجة هذا الاخير الى صون معاقله وعلى معارضيه عرض على رمسيس الثاني مشروع معاهدة لانهاء الحروب وتوطيد السلام بينهما بآسيا

قال الاستاذ رشد وفي السنة الحادية والعشرين من حكم رمسيس الثاني (أي حوالي سنة ١٢٧٢ ق . م) وصلت رسل حيتاسار الى القصر الفرعوني وكان وقتئذ بالدلتا ولا بد ان يكون الطرفان اتفقا سابقاً على صورة هذه المعاهدة بمساعدة ممثليهما لان الآثار دلت ان الرسل لم يرسلوا وقتئذ الا للموافقة النهائية على المعاهدة . وقد نقشت هذه المعاهدة على لوح فضي وتشمل ثماني عشرة مادة رسم في أعلاها المعبودة (سوتخ) محتضنة ملك الحيثيين وبجوارها المعبودة عينها محتضنة ملكة الحيثيين المدعوة (بوتو حيبا) زوج (حيتاسار) وبجوار هذه الرسوم وضعت أختام (سوتخ) معبودة الحيثيين و (رع) معبود (إدس) و (رمسيس) و (حيتاسار) ويرجح ان ملك الحيثيين احتفظ بنسخة أخرى من هذه المعاهدة . وتعتبر هذه اقدم معاهدة دولية معروفة واليك ترجمة ديباجتها وملخص موادها : —

(١) ﴿ الديباجة ﴾ « معاهدة منقوشة على لوح فضي بين ملك الحيثيين (حيتاسار) الشجاع ابن (ميراسار) ملك الحيثيين الشجاع ابن ابن (سيلل) ملك الحيثيين الشجاع (فريق أول) ورمسيس الثاني الملقب (امر معارع استبرع) حاكم مصر الأعظم الشجاع ابن (سيتي) الاول حاكم مصر الاعظم الشجاع ابن ابن رمسيس الاول حاكم مصر الاعظم الشجاع (فريق ثاني)

هذه المعاهدة الطيبة عملت لحفظ السلام والاخاء واستتباب السكينة بين الطرفين الى الازل

(٢) ﴿ العلاقات السابقة بين الأمتين ﴾ كانت العلاقات منذ الازل بين ملك مصر وملك

الحثيين علاقات وديّة مدعمة للمشاحنات ومروطدة لمواعيد ثم أن أخي (مثلا) حارب (رمسيس الثاني) عند دنو دور (حتوسر) وأراد توطيد السلام بين الأمتين مانعاً بذلك الحروب الى الأبد حسب المعبود (رع) — معبود للمصريين — و (سوتخ) — معبود الحثيين

(٣) ﴿ المعاهدة الحديثه ﴾ ومن اليوم أصبح (حتاسار) ملك الحثيين في صفاء وأخاء مع (رمسيس الثاني) ملك مصر . وستكون ذريه ملك الحثيين الاعظم في صفاء وصفاء مع ذرية (رمسيس الثاني) ملك مصر وستكون كذلك مملكة الحثيين في أخاء وصفاء مع المملكة المصرية

(٤) ﴿ عدم الاعتداء ﴾ تمنع الحروب بين الفريقين الى الابد ويتعهد ملك الحثيين بأن لا يغزو الاراضي المصرية للاستيلاء على شيء منها ويتعهد رمسيس الثاني بأن لا يغزو مملكة الحثيين للاستيلاء على شيء منها

(٥) ﴿ الاعتراف بالمعاهدات السابقة ﴾ يتعهد ملك الحثيين الحالي بمراعاة نصوص المعاهدتين اللتين أبرمهما أبوه وجده من قبل . ويتعهد رمسيس الثاني بأن يراعي أيضاً المعاهدتين المذكورتين منذ اليوم

(٦) ﴿ التعهد الدفاعي ﴾ اذا هاجم عدوّ المملكة المصرية واستنجد (رمسيس الثاني) بملك الحثيين فعلى هذا الاخير ان يأتي بنفسه ويشترك في صد العدوّ . واذا لم يرغب ملك الحثيين في الحضور فعليه ان يرسل قواته الحربيه من مشاة وعجلات لقتال مهاجم مصر

واذا شقت مستعمرة مصرية عصا الطاعة على ملك مصر وأراد هذا الاخير أن يعاقبها ويخضعها فعلى ملك الحثيين ان يساعد ملك مصر في ذلك

واذا هاجم عدوّ مملكة الحثيين واستنجد ملك الحثيين بملك مصر فعلى هذا الاخير ان يأتي بنفسه ويشترك في صد العدو . واذا لم يرغب ملك مصر في الحضور فعليه ان يرسل قواته الحربيه من مشاة وعجلات لقتال مهاجم الحثيين

واذا شقت مستعمرة حثية عصا الطاعة على ملك الحثيين واراد هذا الاخير عقابها واخضاعها فعلى ملك مصر ان يساعد ملك الحثيين في ذلك

(٧) ﴿ معاملة الهاربين السياسيين المصريين ﴾ اذا هبط مصري رفيع المقام ارض الحثيين وكان هارباً سياسيًا فيتحتم على ملك الحثيين ان لا يؤويه في مملكته بل يرسله الى فرعون مصر رمسيس الثاني

(٨) ﴿ معاملة المهاجرين المصريين ﴾ اذا هاجر مصري او مصريان من طبقة الشعب المجهولة (اي الوضيعة) الى مملكة الحثيين ليعاملوا معاملة رعايا الدول الاجنبية فان مثل هؤلاء لا يسمح لهم بالمعيشة بالاراضي الحثية بل يرسلوا الى رمسيس الثاني حاكم مصر الاعظم

(٩) (معاملة الفارين السياسيين الحيثيين) اذا هرب حيثي ولجأ الى الاراضي المصرية وكان فاراً سياسياً فيتحتم على ملك مصر ان لا يؤويه في مملكته بل يرده الى ملك الحيثيين

(١٠) (معاملة المهاجرين الحيثيين) اذا هاجر حيثي او حيثيان او ثلاثة (فهذه الكلمة غير المفهومة اي الوصية) الى المملكة المصرية ليعاملوا معاملة رعايا دون الاجنبي فان ملك مصر لا يسمح لهم بالمعيشة بالمملكة المصرية بل يرسلهم الى حاكم الحيثيين الاعظم

ويلي ذلك ملحق يحض على استعمال الرحمة في معاملة هؤلاء الاشخاص والاستشهاد بألف معبود ومعبودة من مملكة الحيثيين وألف معبود ومعبودة من مملكة مصر على هذه المعاهدة . وقد علمنا منها عدة معبودات حيثية وبعض عاداتها . وتنتهي المعاهدة بصب اللعنات على كل من يخالف شروطها وبطلب الرحمة والسلام لكل من يحترمها والظاهر ان ملاحظة الاخيرة صيغت في آخر الامر

وقد امر رمسيس بنقش صورتين من هذه المعاهدة منقوشة على جدران معبدين له بطيبة قدم لها بوصف وصول رسل الحيثيين واورد بعد ذلك رسم المعبودات والاشخاص الواردة ذكرهم في اللوح الفضي المذكور . وقد عثر ونكلر على صورة بابلية هذه المعاهدة منقوشة بالخط المسماري على قطعة لبن في بوغاز كوي بآسيا الصغرى

ولم ترد بهذه المعاهدة بيان حدود المملكتين المصرية والحيثية ولكن يرجح انها عينت في معاهدة سابقة . ومن الصعب تعيين هذه الحدود بالضبط ولكنه يستدل من نقوش المسمارية التي عثر عليها ونكلر ان الحيثيين استمروا حاكمين آمورو بأعالي الشام . ولكنه لم يثبت تماماً هل كان رمسيس الثاني قد وسع حدود مستعمراته كثيراً عما كانت عليه في عهد والده . ويمكن القول انه مدها جهة الشاطيء قرب بيروت لانه اقام حجراً آخر هناك غير الحجر الذي اقامه في السنة الرابعة من حكمه . ويفهم من نصوص المعاهدة ان رمسيس الثاني يرى نفسه مساوياً لملك الحيثيين . وهذا لم يمنع رمسيس ان يدعي لنفسه الفوز والنصر ويفتخر بلقب «قاهر الحيثيين»

بعد ذلك الوقت انتهت الحرب وخيم السلام على المملكتين . ووقف رمسيس الثاني بآسيا عند حده . والظاهر ان شروط المعاهدة جاءت في مصلحة الفريقين كثيراً لانه بعد ابرامها بثلاث عشرة سنة (حوالي سنة ١٢٥٩ ق . م .) زار ملك الحيثيين مصر وحضر الاحتفال بزفاف كريمته الكبرى الى رمسيس الثاني . ودلتنا الآثار ان مجيء ملك الحيثيين اقتضى اقامة احتفال عظيم بالقصر الملكي تقدمته كريمة حاملة متنوعة بالهدايا الجزيلة ثم حاملة حيتاسار نفسه ثم ملك كرد . واختلط وتفرق حرس الحيثيين بالجنود المصرية بعد ما كانوا الد الأعداء ثم سميت الاميرة الحيثية باسم مصري هو (معات نفرورع) اي الناظرة محاسن الشمس واحتلت مكاناً مبجلاً بالقصر الملكي

النور البارد

اصله وغايته وما يرجى له

بقلم عوض جندي

كتبت غير مرة في هذا الموضوع في أجزاء المقتطف السابقة [1] وهأنذا أريد ان أوفيه حقه من الشرح، فرأيت اقتطاف الفصل الآتي من كتاب (مائة السنة القادمة) لمؤلفه الدكتور فرناس، أستاذ الهندسة الكيميائية بجامعة ييل بأمريكا وهو السفر النفيس الذي قرظه صديقي رئيس تحرير المقتطف في جزء يوليه الماضي

قال المؤلف في فصل (الضياء) ما يأتي

نستضيء من الشمس بوسائل مختلفة — وهي الفحم الحجري والمرجل والبخار والتربين والمولد الكهربائي والقصبة الكهربائية والسلك الكهربائي الدقيق (الشعري) الساخن ونور الغاز البارد. وهذه كلها ليست وافية بالمرام إذ طاقة الشمس التي تخزن بمثابة كهربائية ضوئية في النباتات لا تزيد على ٢ / وتحويل الطاقة بحرق تلك المواد بالمرجل، ثم تسييرها في الأسلاك قلما يفوق ٣٠ ./

ثم ان أفضل المصابيح الكهربائية المولبة الدرية انما تحول ٢ ./ من الطاقة التي ترد عليها الى أشعة تبصرها عيوننا إذن كل ما يصل الينا من طاقة الشمس، المحولة بالوسائل الصناعية الى ضياء نستضيء به عند القراءة، انما هو ٢ فعلى المرء ان يذكر ذلك الرقم جيداً حينما يتأفف من دفع الثمن الفادح للنور الكهربائي الذي يستنفده شهرياً ويعلم يقيناً ايضاً انه ما من مخلوق استطاع حتى اليوم الانتفاع بتلك الطاقة الباقية ٩٨ر٩٩ ./ من النور الكهربائي الذي يدفع ثمنه المستهلك لأنها تذهب هباء منثوراً ولا يخفى كذلك أن ٩٦ / من النور البارد الذي ينبعث من ردف اليراعة صالحة للاستعمال حينما تتحول طاقته ضوءاً اي أن نور اليراعة

(١) انظر مقتطف مايو سنة ١٩٣٤ صفحة ٦٠٤

أشع أفضل ٨٠٠ مرة من رأس الانسان المفكر ، في موضوع توليد النور . وهذا مما يستوجب البحث

والضوء بمثابة أمواج مغنطيسية كهربائية تحسها العين البشرية . وهي أمواج ظاهرة يتراوح طولها بين ٠٠٠٠٣٨ر و ٠٠٠٠٧٨ر من السنتيمتر . وفي الكون أمواج كثيرة أقصر من ذلك جداً فلا نتمكن البتة من رؤيتها وهي — الأشعة التي فوق البنفسجية وأشعة رنتجن وأشعة غما وآخرها الأشعة الكونية التي يبلغ طولها ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٤ر من السنتيمتر أو أقل من ذلك . أما الأمواج الأطول من الامواج الظاهرة ، فهي الأشعة التي تحت الحمراء أو أشعة الحرارة وما يفوقها طولاً ، الى أطول امواج الراديو البالغة ١٥ ميلاً . ونحن حينما نصنع النور بأية وسيلة من وسائلنا القديمة المختلفة فلا نأتي شيئاً سوى حصر الطاقة في نطاق ضيق بينما يوجد ٥٨ نطاقاً آخر تأبى الطاقة الا التوغل فيها

***

والعين البشرية أشد احساساً بالأمواج التي في وسط المنطقة الظاهرة منها في جانبيها ، فتبصر الموجة التي طولها ٠٠٠٠٥٥ر من السنتيمتر التي تقع في الاشعة الخضراء . فاليراعة او قطعة الخشب المتعفنة ، التي تشع منها أشعة باردة في ليلة من ليالي الصيف الرطبة ، يتولد منها نور أخضر رائع . واليراعة وحدة مضيئة دقيقة إذ أنها تحصر توزيع قدرتها في ذلك اللون الاخضر ، اما ضوء الانسان فضعيف اذ هو يتوصل الى توليده بالحرارة الشديدة التي تصل الى درجة البياض وتلك الطاقة تأبى حصر نفسها في نطاق ضيق من اللون

سخن قضيباً من الحديد الاحمر تسخيناً يزيد على حرارة جسمك ببضع درجات ، فتشعر بحرارته على بعد عدة عقد (بوصات) منه . اذن القضيب يشع أشعة تحت الحمراء أو أمواج حرارة لا يتاح لك رؤيتها بباصرتيك . واذا سخنت ذلك القضيب الى درجة ٥٥٠ سنتيغراد ، رأيته يولد اشعة قاتمة جداً في غرفة مظلمة . ويكون بعض تلك الطاقة المتولدة في المنطقة الظاهرة . وان سخنت ذلك القضيب الى درجة ١٥٠٠ سنتيغراد ، ابيض من شدة الحرارة اذ انه في تلك الدرجة من الحرارة يولد قدراً كبيراً من الضياء بيد انه يولد ايضاً طاقة اكبر منها ، بمثابة اشعة حرارة طويلة غير ظاهرة . وكذلك بعض أشعة قصيرة غير ظاهرة وهي الاشعة التي فوق البنفسجية . وهي التي تصبغ جسم الانسان كأشعة الشمس (١)

ويُمثّل القضيب الاحمر في المصباح البيتي الكهربائي الدري سلك رفيع جداً من

(١) صبغت الشمس وجهه أثر لفحها فيه

معدن الطنجستن بضيء عند وصول درجة حرارته الى ٢٣٠٠ سنتيمراد ولكننا اذا نظرنا الى القوة نفسها رأينا ذلك السلك الرفيع حل محل قلب الصوف الاحمر

***

وتقاس كثافة النور عادة بوحدة ضوئية تسمى بالشمعة . وتقاس طاقته بالشمعة الكروية . والشمعة الكروية من الضوء الكهربائي الذري تساوي ، فيما يختص بالعين البشرية ٠.٨٨ من وطء من النور الاحمر اذن متى ولدت زجاجة الضوء الكهربائي قوة شمعة واحدة في الوط (وهذا شيء مألوف في الزجاجات الصغيرة) استنفدت ٠.٨٨ في المائة من قوة الضوء وكلما زادت حرارة الجسم ، زادت نسبة الطاقة التي تشع منهُ في الضوء الظاهرة ، وذلك ما لم تزد درجة حرارته على ٧٥٠٠ سنتيمراد

اذن تبلغ حرارة سطح الشمس درجة ٦٠٠٠ سنتيمراد وقوة اضاءتها ١٥ ضعف معادلها بقوة مصابيحنا الكهربائي الذري الصغيرة التي تساوي ٣ ٪

وجهاز الاضاءة في الحباحب اقوى لان نوره « نور بارد » اي ان طاقته تكاد تكون كلها على هيئة نور ظاهر مشرب بالخضرة ويوشك الا يصيع منهُ شيء بمثابة اشعة حرارة غير ظاهرة والمهندس انما يريد قوة اضاءة النور الكهربائي الذري بزيادة حرارته الى درجة الياس وذلك سبب كون المصباح المشتمل على سلك الطنجستن اقوى ضوءًا من المشتمل على سلك الكربون لان سلك الشعري اقوى حرارة من الآخر . ولا يُعدُّ هذا القول ناقضاً للاعتقاد الشائع عند الناس ، وانما يبين ان الانسان والحيوان يستعملان وسائل مختلفة في عملية الاضاءة وثبت حتى اليوم أن الانسان قد عجز كل العجز عن مباراة الحشرات المضيئة غير انا اذا تأملنا في سرعتنا العجيبة وتصورنا أعماله الفادحة التي تقدمها كل سنة . أيقنا بانهُ لا مندوحة لنا عن السعي الحثيث في تحسينه

***

وقد حيل لفوج منا أن شركة احتكار القوة الكهربائية ... لديها سر الانوار الباردة وانها تكتمهُ ليضطر الناس الى استعمال المصابيح الكهربائية الذرية الضعيفة التي تستهلك قدراً كبيراً من القوة الغالية الا يليق بأولئك الحلق أن ذلك الطنطنة لا سر النور البارد لما يتكشف لامريكه . ورب سائل يسأل :— وما السبيل الى كشفه ؟! واذا نكشف هل يكون نافعاً ؟ ؟ فنقول ان هذا السؤال يجب توجيهه الى هيئة الباحثين الكبيرة . ومن البديهي انا اذا اردنا تحسين قوة نورنا الكهربائي تحسيناً مبيناً ، وجب علينا التدرع بذريعة غدا بيض النور

بالحرارة . لأن اديصون (تغمده الله برحمته) حينما صنع مصباحه الكهربائي الاول في سنة ١٨٧٩ احدث اختراعه هذا ، انقلاباً كبيراً حديثاً ولكن ذلك ليس سبباً لنعتقد بأنه لا يوجد خير من مصباح اديصون الناجح . واذا نحن اقتدينا بالحشرات أو بسمك أعماق البحار ، لا بدَّ لنا من استعمال طريقة Chemiluminescence اي توليد الضوء المصحوب ببعض التفاعلات الكيميائية ولما كانت اليراعة ، رغيمة ذلك الضوء ، فهي الامينة على سره ، ولا تقبل البوح به ، وان كان بعضه قد ذاع

وذلك ان امام ديبوى Dubois اكتشف سنة ١٩١٣ ان نور الحباحب ينبثُ من مادتين سمى العنصر الفعال فيهما لوسيفرين luciferin وسمى التركيب الآخر المصاحب له ، لوسيفراز luciferase وهو وسيط كيميائي عضوي او خميرة كيميائية فاذا مزجت ذينك العنصرين بعضهما ببعض بوساطة الماء والاوكسجين ، اشتعلا وكانت تلك العملية نتيجة اتحاد الاوكسجين باللوسيفرين اما اللوسيفراز فيبقى ثابتاً لا يتغير . ومتى تشبع اللوسيفرين بالاوكسجين انطفأ النور ويمكن استئناف هذه العملية بتجريد اللوسيفرين من الاوكسجين بوساطة الهيدروجين

***

ويلوح لنا ان اليراعة تلجأ الى عمل صغير خفي تحت جناحيها لكي تقوم بذلك التفاعل الكيميائي وعلى ذلك فان إناء مملوءاً بمحلول من الماء البارد المذاب فيه عنصر اللوسيفرين واللوسيفراز يمكن ان يشع نوراً بارداً دائماً ما دام يتدفق فيه مجرى صغير من الهيدروجين والاوكسجين وهذا هو النور البارد ولكن استخراج مادة اللوسيفرين من الحباحب عمل بطيء شاق جداً . ورب سائل يسأل وما كنه اللوسيفرين وهذا سؤال وجيه ، ولكن ليس له عندنا جواب . وهل يمكن صنعه في المعمل الكيميائي ؟؟ هذا ما يطمح الى معرفته فريق كبير من الباحثين فنقول ان قوة الشمعة في ضوء اليراعة ، ضئيلة جداً جداً ، ولذلك ينبغي وضع سلسلة من اوراق الحباحب بعضها بجانب بعض حتى تبلغ عدة ياردات مربعة لتستطيع انارة غرفة واحدة نوراً جيداً ولكن اللوسيفرين مادة لا يمكن استعمالها ، وان عرف تركيبها ، وتسنى صنعها ولكن مما لا شك فيه ان الانسان لا يتاح له حرم اليراعة ما دام لا يدرك ايضاً ماذا تصنع

فعلى المرء اولاً أن يتحقق التركيب الكيميائي لذلك العنصر القوي والخميرة الكيميائية الملازمة لهُ وحينئذٍ يجب عليه اكتشاف التفاعل الكيميائي المحكم الذي يحدث ، وكذلك التصرف الطبيعي او المرئي الذي يولد ذلك النور . فأية طريقة تستعمل فيها مادة اللوسيفرين الصناعية فلا تولد ضوءاً كافياً ناصعاً بحسب الدأب في تجربتنا وهذه ليست المرة الاولى أو الأخيرة التي تحس

فيها الحقيقة . ومما لاريب فيه انهُ اذا وجدت وسيلة او عدة ناجحة لتوليد الضياء المصحوب بالتفاعل الكيماوي . سهل اختراع غيرها . ويسمي المخترع المشتري الا بعد ان يفحص شفيعه حتى يقف على سر اختراعه او يقلده

***

ومتى حلت معضلة توليد الضياء المصحوب بالتفاعل الكيماوي ، فانها لا تصبح مصدراً صالحاً للانارة لاجل البيوت العادية ومن المحتمل انها لا تصلح للاضاءة من جهة السهولة ، بقدر المصابيح الكهربائية الحديثة . والمعروف ان عملاء شركات النور الكهربائي الاميركيين يقدرون وسائل الراحة والسهولة حق قدرها فاذا كانت طريقة النور الحباحبي الصناعي تفوق الاضاءة الحالية قوة ، للترغيب فيها ، فمن المرجح انها سوف تكون محدودة الاستعمال . فاذا وجد امرؤٌ ذو عبقرية فذة أمكنهُ تحسين ذلك المشروع ، غير انهُ لا يسلم من العيوب مهما بذل فيه من الجهد فقد تصادمهُ دائماً عقبة الاحتياج الى الكثافة والكثافة شديدة ضرورية لبعض الغايات وقد يكون من المبهج اضاءة غرفة جلوس العائلة بنور ضئيل يشع من جميع جدرانها ، ولكن الانوار الكشافة او الانوار التي تستعمل في غرف العمليات الجراحية يجب ان تكون شديدة ومن المحتمل ان الضوء المصحوب بالتفاعل الكيماوي يمكن تلوينه كغيره من الانوار ولكن المثال الطبيعي منهُ لا يرجى تلوينه . ومن وسائل الاضاءة الممكنة « الاضاءة الذاتية » ويقصد بها التأثير المضيء الذي يتولد من انحلال الراديوم وما شاكله من العناصر انحلالاً ذاتياً فاذا استطعنا تغطية حيطان دورنا بالراديوم أو بدهان (بوية) الثوريوم ، ظفرنا باضاءة ذاتية قد تدوم جيدة الى سنة او نحوها وذلك بتجديد مادة الكبريتور لقوية الـ [illegible] في تركيب الدهان ، من حين الى آخر وهي التي تحدث جل الاضاءة الفعلية ، حينما تسطع عليها المواد التي تنحل من الراديوم . غير ان ثمن تلك المواد باهظ في عصرنا الحالي ولكن ربما يكتشف معدن مشع او يخترع شيء آخر يكون ثمن ساعة الاضاءة منهُ اقل مما ندفع الآن . وهذا من المحتملات الجديرة بالتأمل . وثم علاقة بين ذلك وبين الصحة البشرية اذ الراديوم وغيره من المواد القوية الاشعاع ، انما هي الموت الزؤام الخفي لان الحياة البشرية ، لبعض الاسباب ، لا تحتمل الا النزر من مقذوفات الراديوم من الاشعة القوية (التي تغور في البدن) و من مجاري الشحنات الكهربائية التي تسقط عنها من ذرات الراديوم أو أنابيب اشعة رنتجن

(لها صلة)

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

— ١٢ —

محمود مصطفى الدمياطي

النجيل الصغير

ويقال له (الثيل) ككيس او (النجم)

عشب يرتفع الى ٥٠ سنتيمتراً سوقه الثانوية الطويلة تنشأ من عقد الساق الاصلية فاذا قطعت تلك السوق نشأ مكانها نباتات جديدة من نوع النبات الاصلي

اسمه العلمي (Agropyrum repens, Beauv.) (اغروبيروم ريبنس) أو (Triticum repens, L.) (تريتيقوم ريبنس) وفصيلته النجيلية (Gramineae) (غرامينيه) وبالانكليزية Twitch or couch-grass وبالفرنسية (Froment rampant ou petit chiendent ou chiendent ordinaire)

منتشر في معظم انحاء اوربا ويعتبر من الحشائش الضارة في الحقول والحدائق. جذوره حلوة مغذية ترعاها الخيل والبقر بشراهة ويستخلص منها مادة للتداوي ملطفة مليّنة مشهية مدرّة للبول

النعناع الفلفلي

ويقال له (النعنع) كَجَعْفَر وهُدْهُد

ضربٌ من النعناع نباته عشبي معمر اوراقه بيضية مستطيلة حادة القمة منشارية الحافة ملساء ذات اعناق وزهراته ارجوانية مجتمعة في سنابل بيضية مستطيلة

اسمه العلمي (Mentha piperita, L.) (منتا بيبريتا) وفصيلته الشفوية (Labiatae) (لابياتيه) وبالانكليزية (The Peppermint) وبالفرنسية (Menthe poivrée)

يزرع في المواضع المائية في وسط اوربا وآسيا وافريقية وامريكا. ذكي الرائحة والطعم الآن

رائحته نفاذة أكثر مما في الانواع الاخرى وطعمه شبيه بما في الفلفل . يستقطر منه زيت طيار (روح النعناع) ومن هذا تصنع الاقراص المعروفة مع السكر وهو نافع للمعدة مضاد للمغص مذهب للريح

المليسة الأترجية

ويقال لها (البادرنجبويه) أو (الحبق الترنجاني)

عشب معمر ورقته بيضية ذات عنق حادة القمة خشنة الحافة وزهرته بيضاء مبقعة باللون الوردي

اسمه العلمي Melissa officinalis, L. (مليسا اوفيشيناليس)(١) من فصيلة النعناع وبالانجليزية (Common Balm, The Balm-Herb) وبالفرنسية (Melisse officinale ou citronelle)

يزرع في جنوب اوربا وغرب آسيا ومصر واهميته في رائحته العطرية وغذاء النحل وكثيراً ما يزرع في وسط فرنسا لاستخراج مائه العطري (Eau de melisse) وعند اقتطافه حديثاً يكون ذا رائحة ذكية كالليمون فاذا جف زالت تلك الرائحة . وطعمه حريف عطري قليلاً . ومن فوائده تقوية المعدة وادرار البول وقديماً كان ممدوحاً للتداوي من الامراض العصبية وغيرها واقتصروا الآن على استعماله من قبيل الشاي لتعجيب وطأة الحيات

الزوفى

عشب أقرب الى الشجيرة معمر دائم الاخضرار جميل المنظر جداً عطر الرائحة وقت إزهاره أوراقه حذائية الشكل وأزهاره زرقاء

اسمه العلمي (Hyssopus officinalis, L.) (هيسوبوس اوفيشيناليس)(٢) من فصيلة النعناع وبالانجليزية (Hyssop) وبالفرنسية (Hysope ou Hyssope)

وهو يغترس بنباتات الزينة في جنوب اوربا والجنوب الغربي من آسيا وفلسطين والقوقاز وكان له قديماً شهرة في الطب ثم قل استعماله الآن ويستقطر منه زيت طيار يدخل في تركيب بعض الروائح العطرية

---

(١) مليسا (Melissa) اسم النحلة باليونانية

(٢) هيسوبوس (Hyssopus) باللاتينية أخذاً من (إزوب) (Ezob) العبرية وهو الزوفى بالعربية

الآنيسون

المعروف عند العامة (بالينسون) ويقال له (الكمون الحلو) و (الرازيانج الشامي)

عشب سنوي أزهاره بيضاء. اسمه العلمي (Pimpinella Anisum L.) (بمبيلا آنيسوم)[1] من فصيلة الكرفس وبالانجليزية (The anise plant) وبالفرنسية (Anis).

يزرع في مصر واليونان وبلاد فارس ومالطة واسبانيا وغيرها وتصدر بزوره الى بلاد الانجليز لاستعمالها في العقاقير المتنوعة والأبازير ويستخرج منها زيت تتوفر فيه مادة تسمى الانيثول (Anethol) لها استعمالات في الطب وما عدا هذه البزور من النبات يستعمل علفاً للماشية. وهذه البزور عطرية تدخل في علاج انتفاخ البطن

الكزبرة او الكسبرة

ويقال لها ايضاً (التقدة) بالكسر والفتح مع كسر القاف و (الحُلْحُلان)

عشبٌ قائم متفرع يرتفع الى ٤٥ سنتيمتراً يزرع سنوياً اوراقهُ قوية الرائحة وأزهاره بيضاء وبزوره (ثمراته) كروية قليلة الرائحة

اسمهُ العلمي (Coriandrum sativum, L.) (قورياندروم ساتيوم)[2] من فصيلة الآنيسون وبالانجليزية (Common coriander) وبالفرنسية (Coriandre)

موطنهُ الشرق ووسط آسيا ويزرع في مصر والسودان وبلاد الاعاجم وغيرها من أجل بزوره التي هي من الابازير الكثيرة الاستعمال. وقد يستقطر منها زيت طيار خاص له استعمالات أو يصنع منها ملبس بتغطيتها بالسكر في بعض البلدان

الشمر أو الشمار الحلو

ويقال له (الرَّازيانج البستاني)

هو صنفٌ من الشمر العادي نباتهُ عشبي معمر قاعدة ساقه منبسطه وأوراقهُ القاعدية (الجذرية) شبه العرض وفصوصها دقيقة جداً وأزهاره صفراء

---

(١) في بعض المراجع ان (بمبلا) (Pimpinella) مشتقة اصلها (bipennula) ومعناها ثنائي الريشة

(٢) قورياندروم (Coriandrum) مشتق من (كوريس) يونانية اي بقة وذلك بسبب رائحة أوراق النبات الخضراء

اسمهُ العلمي (Foeniculum dulce. C. Bauh.) (فيتولوم دولسي) من فصيلة الآنيسون وبالانكليزية (Sweet Fennel) وبالفرنسية (Fenouil doux ou Fenouil d'Italie)

يزرع في ايطاليا وغيرها واعناق اوراقه هي التي تؤكل نيئة او مطبوخة كخضر وهو مرغوب فيه بايطاليا وطعمهُ كالآنيسون

الكَمُّون

نبات يشبه الشمر سنوي أوراقه السفلى عريضة والعليا شعرية

اسمهُ العلمي (Cuminum Cyminum L.) (كومينوم كيمينوم)[١]

من فصيلة الآنيسون وبالانكليزية (Cumin Plant) وبالفرنسية (Cumin officinal)

يزرع في شمال افريقية وجنوب أوربا وآسيا الصغرى وبزوره (ثماره) حارة عطرية تستعمل كبزور الآنيسون والكراويا وغيرها من صنف الأبازير كما تستعمل في الطب مدرَّة محشية هاضمة طاردة لريح البطن

نبات خيلوني غلابرا (Chelone glabra, L.)[٢]

عشبٌ معمر يرتفع ٣ سنتيمتراً الى ٤٠ اوراقه كالحداء شكلاً ذات اعناق مشاربة الحافة اوراقه العليا متقابلة وأزهاره بيضاء تضرب الى اللون الارجواني

من الفصيلة الخنازيرية (Scrophulariaceae) (اسكروفيولارياسية)

وبالانكليزية (White-flowered chelone, The "Balmony")

وبالفرنسية (Galane ou chélone)

موطنه شمال امريقة يزرع كنبات للزينة وأصبح له استعمال في الاقرباذين حديثاً

هذه المفردات التسعة هي التي يتركب منها الشاي المعروف في المتجر بشاي مرانكلين الملين بزيادة السنا المكي عليها على النسب الآتية . —

سنامكي ٤١ ½ ٪ ، نخيل ٤١ ½ ٪ ، سناع مطلي ١ ½ ٪ ، نعنة اترجية ٢ ½ ٪ زوفى ٢ ٪ ، آنيسون ١ ½ ٪ ، كزبرة ٢ ½ ٪ ، شمر حلو ٤ ٪ ، كمون ١ ½ ٪ خيلوني غلابرا ٢ ٪

(١) في بعض المراجع ان (كومينوم) Cuminum مشتق من لفظ كمون العربي

(٢) في بعض المراجع أن (Chelone) مشتق من (خيلوني) اليونانية ومعناها سلحفاة وذلك لما بين زهره وظهر السلحفاة من الشبه

هيئة العمل الدولية

نظامها ونشؤها وتاريخ اعمالها

« دخلت مصر رسمياً في اوائل نصف الشهر الماضي الى هيئة العمل الدولية في جنيف بعد ان قبلت حكومتها المصرية هذه الدعوة . فما هي هذه الهيئة الدولية ؟ وما مقصدها ؟ وما سبب تكوينها للامم ؟ اسئلة ترددت في ذهن كل مصري ولها يلي بيان موجز بحقائق الامر منها »

انشاؤها وغرضها

انشئت هيئة العمل الدولية في سنة ١٩١٩ على انها جزء من التسوية العامة التي تمت في باريس بعد انتهاء الحرب العالمية . والنصوص الخاصة بها تقع في القسم الثالث عشر من معاهدة فرساي ومطلع هذا القسم من المعاهدة ينص على ان الدول المتعاقدة قد انشأت هذه الهيئة مدفوعة بشعور العدل والانسانية والرغبة في الحصول على سلام العالم الدائم . ثم يقول ان احوال العمل والعمال القائمة تنطوي على جور وحرمان لطوائف كبيرة من الناس من شأنها ان تجعل السلام والاتساق العالميين محفوفين بالخطر وتحتم العمل على تحسين هذه الاحوال

ولذلك انشئت هيئة العمل الدولية على انها علاج لهذه الحالة

وقد ورد في المادة ٤٢٧ من معاهدة فرساي بعض القواعد التي يجب ان تجري عليها هذه الهيئة في تحقيق المقصد منها وأولاها ان « العمل يجب الا يحسب عرضاً او مادة من عروض التجارة وموادها » ثم هناك قواعد أخرى وضعت للمحافظة على حسن العلاقة بين العمال واصحاب الاعمال منها دفع الاجور الوافية وتحديد ساعات العمل والغاء عمل الاطفال وجعل الاجور للنساء والرجال واحدة اذا كان العمل واحداً وحماية حقوق العمال الاجانب وغيرها

***

لم يحدَّد في دستور الهيئة مدى اعمالها فنشأ عن ذلك في اول عهدها مشكلة أساسها هل يحق للهيئة ان تجعل احوال العمل الزراعي من اختصاصها كاحوال العمل الصناعي ؟ وكانت الحكومة الفرنسية ترغب في اخراج العمل الزراعي من نطاق اختصاصها . وجارتها بعض الحكومات في ذلك . ولكن أكثرية اعضاء الهيئة تغلبت على هذا الاعتراض وقد تناولت مؤتمرات العمل الدولية التي عقدت بعد تقديم الاعتراض المذكور قضايا الزراعيين والبحارة وغيرهم في قراراتها ومقترحاتها كما تناولت العمال الصناعيين بحصر المعنى

وكان الغموض في تحديد مدى عمل الهيئة باعثاً على نشوء مشكلة اخرى وهي الفصل بين

تهمه من بعض القسم الاقتصادي ... القسم الاقتصادي في جامعة الامم ثم ان الهيئة الدولية أساسها النظر في ... ولكن يتضح انه من المتعذر فصل هذه المسائل عن أمور أخرى ... في اول عهدها الى اجراء بحث عام في موضوع الارباح فاعترض عليها ... خرجت عن حدود المعينة لها في دستورها ولكن هذه المشكلة لم ... الهيئة لم تحد من عملها بعض الحد اتقاء بقرار رسمي يقضي بذلك. وقد تعاونت هيئة العمل بعد ذلك مراراً مع القسم الاقتصادي في جامعة الامم ولا سيما ... في احوال ... في اوربا. وقد تشترك هيئة العمل والقسم الاقتصادي في الجامعة في الدعوة الى مؤتمرات دولية اذا كانت الحالة تقتضي ذلك وكثيراً ما يستشير القسم الاقتصادي في الجامعة هيئة العمل الدولية عند ما تعرض عليه مشكلات خاصة بالعمال ولجان

تأليفها واعضاؤها

تتألف هيئة العمل الدولية من جميع الدول المنتظمة في جامعة الامم اي ان الانتظام في الجامعة يعني الانتظام فيها. ولكن العكس لا يصح اي ان الانتظام في هيئة العمل الدولي لا يعني ولا يقتضي الانتظام في جامعة الامم. فالمانيا كانت عضواً في هيئة العمل الدولي قبل ان تنتظم في الجامعة سنة ١٩٢٦ والبرازيل لا تزال عضواً فيها مع انها انسحبت من الجامعة

الا ان بين الجامعة وهيئة العمل فرقاً. فالجامعة مجلس تشترك فيه الحكومات فقط. واما الهيئة فتشترك فيها الحكومات وجماعات العمال واصحاب الاعمال. وكل دولة مشتركة فيها يحق لها ان تمثل بأربعة مندوبين منهم مندوبان يمثلان الحكومة والمندوبان الآخران تعينهما الحكومة بالاتفاق مع الجماعات الصناعية اذا كانت قائمة لتمثيل العمال واصحاب العمل

وللهيئة ثلاثة اقسام القسم الاول يعرف باسم المؤتمر العام وهو مؤلف من جميع ممثلي الدول المنتظمة فيها على اساس اربعة ممثلين لكل دولة. والقسم (الثاني) مجلس الادارة وعدد اعضائه الآن اربعة وعشرون عضواً ١٢ عضواً منهم يمثلون الحكومات وستة اعضاء يمثلون جماعات العمال والستة الآخرون يمثلون جماعات اصحاب العمل. والقسم (الثالث) مكتب العمل الدولي

على ان تأليف مجلس الهيئة يشبه بعض الشبه تأليف مجلس الجامعة. ففي مجلس الجامعة مقاعد دائمة للدول الكبرى وفي مقدمتها الآن انكلترا وفرنسا وايطاليا وروسيا. كذلك في مجلس هيئة العمل نجد ان ثمانية مقاعد من مقاعد ممثلي الحكومات جعلت سنة ١٩١٩ وقفاً على دول معينة هي بلجيكا وفرنسا والمانيا وبريطانيا العظمى وايطاليا واليابان وسويسرا والولايات المتحدة ولكن الولايات المتحدة رفضت الانتظام فيه ورفضها الانتظام في الجامعة فأعطي مقعدها لكندا لكي تمثل قارة اميركا في المجلس وطلبت حكومة الهند ان يكون لاحد ممثليها احد هذه

المقاعد مقبل طلبها وحجت محل سويسرا ثم ستعقد لا بعة لاجراء تسوية بالانتخاب والمؤتمر العام ينتخب ممثلي الدول الذين علاوة بها وقد كان في يوليو سنة ١٩٣٤ ممثلي ... والدنمرك وبولونيا واسبانيا ومدة عضويتهم في المجلس ثلاث سنين

إلا أن بعض الدول اعترض على حرمانه من مقعد دائم في المجلس ولا سيما دول أميركا الجنوبية فاقترح في المؤتمر العام الذي التأم سنة ١٩٣٢ أن يزاد عدد أعضاء المجلس الى ٣٢ عضواً بحيث يمكن ان يضاف الى أعضاء المجلس اربعة ممثلين للحكومات واربعة للعمال واربعة لأصحاب العمل ولكن قبول هذا التعديل يقتضي موافقة ٤٢ دولة عليه وقد وافقت عليه ٤١ دولة الى آخر سنة ١٩٣٢ ومن الدول التي لم توافق عليه ... ولذلك لا يزال النظام القديم معمولاً به الى الآن

وصفت هيئة العمل الدولية خطأ بأنها أنشئت لسن قوانين دولية للعمال والعمل ولكنها في الواقع لا تملك سلطة تشريعية لأن الدول تحتفظ بسيادتها الخاصة في شؤون العمل احتفاظها بها في الشؤون السياسية ولن تتخلى عنها لأي علة ودون الآن رئيس مؤتمر العمل الدولي الآن ان يقترح فيه ان يتخذ قرارات وان يدعو الى الأخذ بها وان يضع مشروعات قوانين وعلى الحكومات المشتركة في المكتب ان تعرض هذه المشروعات على مجالسها التشريعية في حدود معينة من الزمن ولكن الواجب على الحكومات المشتركة لا يتعدى هذا العرض وللسلطات التشريعية في اي دولة ان ترفض المشروع او ان تعدله او ان لا تتخذ أي قرار بشأنه بل لأي حكومة ان تشير على المجالس التشريعية برفض اي مشروع ولو كان مندوبها قد وافق عليه في مكتب العمل نفسه وقد حدث ما هو من هذا القبيل مراراً

ساعات العمل في الاسبوع والتقدم بتقصيرها

ان هيئة العمل الدولية مدينة بنجاح كبير من أعمالها لدى حرفتها مديرها الأول المسيو البر توماس أحد أقطاب الاشتراكية في فرنسا ووزير الذخيرة الحربية في خلال الحرب الكبرى فقد تمكن بنشاطه العجيب وسعة حيلته وإخلاصه للغرض السامي الذي أنشئت له هذه الهيئة من مكافحة الحكومات وجماعات أصحاب العمل التي بذلت كل ما يمكن بذله لاضعاف مكانتها

وقد توفي المسيو توماس في سنة ١٩٣٢ فكانت وفاته في رأي الاشتراكي الانكليزي كول ضربة لقضية السعي الدولي لحماية العمال وحقوقهم وتحسين أحوال العمل

وخلفه في يوليو سنة ١٩٣٢ المستر بطلر الانكليزي يعاونه في عمله أربعة هم المستر فيلان الارلندي والسنيور دلا كاستيليوني الايطالي وقد عينا في سنة ١٩٢٠ والمسيو موريت الفرنسوي (١٩٢٤) والهر ستبرز الالماني (١٩٣٣) ومستشار فني هو الدكتور كارروري الايطالي (١٩٢)

المشروعات وابرامها

أقرّت هيئة العمل الدولية ٣١ مشروع قانون بين سنتي ١٩١٩ و ١٩٣١ علاوة على المقترحات والتوصيات التي اقترحتها وأوصت بها وقد عرضت هذه جميعاً على المجالس النيابية في الدول المنتظمة في الهيئة وفقاً لما تقدم. ولكن بعض الدول من الدول تتلكأ في ابرامها بوجه عام فأعضاء الهيئة ٥٨ دولة ومشروعات القوانين ٣١ مشروعاً ومع ذلك لم تتخذ المجالس النيابية في دول الأعضاء الا ٥٠٠ قرارات ابرام أي ان متوسط عدد الدول التي أبرمت مشروعاً من هذه المشروعات لا يزيد على تسع دول ثم ان بعض المشروعات أبرم في طائفة كبيرة من الدول وبعضها أبرم في طائفة قليلة ولكن المتوسط هو ما تقدم

بل مما يبعث على الدهشة ان عشرين دولة من الدول المنتظمة في الهيئة الدولية لم تبرم مشروعاً واحداً من جميع هذه المشروعات على الاطلاق ومعظم الدول التي أبرمت طائفة منها هي دول أوربية في الغالب. واليك بياناً بأسمائها والرقم الذي يلي الاسم يدل على عدد مشروعات القوانين التي أبرمتها. بلغاريا ٢٧ لوكسمبرج ٢٧ بلجيكا ٢١ يوغوسلافيا ٢١ أرلندا ٢١ بريطانيا ١٨ فرنسا ١٨ ايطاليا ١٧ بولونيا ١٧ رومانيا ١٧ المانيا ١٦ السويد ١٦ هولندا ١٥ تشكوسلوفاكيا ١٣ اليابان ١٢ الدنمارك ١٠ سويسرا ٦

ولكن الدولة التي سبقت جميع الدول في ابرام مشروعات هيئة العمل الدولية هي اسبانيا فقد أبرمت ٣٠ مشروعاً منها. ويلي ان جمهورية يوروغواي في اميركا الجنوبية أبرمت جميع المشروعات دفعة واحدة في اواخر سنة ١٩٣٣ او اوائل سنة ١٩٣٤ بعد ان امتنعت عن ابرام أي منها نحو ١٥ سنة. وبديهي ان ما أبرم من المشروعات التي اقترحت في عهد الهيئة الاول، أكثر مما أبرم من المشروعات التي اقترحت في السنوات الاخيرة وذلك لان عرض المشروعات على المجالس النيابية والمناقشة فيها قد يطول أمره من ناحية ولان بعض البلدان ولا سيما البلدان الصناعية الكبرى تفضل في الغالب ان لا تكون البادئة في الابرام منتظرة غيرها ان يتقدم

ساعات العمل وأجوره

كان المشروع الاول الذي أقرّته هيئة العمل الدولية مشروعاً خاصاً بتحديد ساعات العمل وجعلها ٤٨ ساعة في الاسبوع وذلك في جلسة الافتتاح التي عقدتها الهيئة في وشنطن سنة ١٩١٩ وقد انقضى على هذا المشروع الآن نحو ١٧ سنة لم تبرمه الا تسع دول أوربية ودولتان غير اوربيتين. يضاف اليها الآن ان حكومة فرنسا الجديدة أبرمت قانوناً يجعل ساعات العمل في فرنسا ٤٠ ساعة في الاسبوع وفي أنباء ١٨ يونيو ١٩٣٦ ان مجلس الشيوخ قد أقرّه. اما الدول

الاوربية الاخرى التي أبرمته هي تشكوسلوفاكيا وبلجيكا ولوكسمبرج واسبانيا والبرتوغال واليونان ورومانيا وبلغاريا ولتوانيا

فترى من مطالعة هذه الأسماء ان الدول الصناعية الكبرى في اوربا اي انكلترا والمانيا وايطاليا لم تبرمه بعد بل ان انكلترا والمانيا عارضتاه معارضة شديدة اما ايطاليا والنمسا ولاتفيا فقد وعدت بان ستبرمه اذا أبرمته الدول الاخرى

اذا نظر الباحث في مشروعات القوانين التي اقترحتها هيئة العمل الدولية على اعضائها وما أبرم منها وما لم يبرم تبين له ان تأثير الهيئة في رفع مستوى العمال بادماج مقترحاتها في قوانين الدول المختلفة ليس بشيء يذكر

ولكن الهيئة أسدت الى العمال خدمات جليلة بما دار في اجتماعاتها من المناقشات وما أذاعته من الحقائق والآراء مما يتصل بادارة المصانع وأحوال العمل الصحية فيها وبحث الاعمال ومنع العمل الليلي . ثم ان طائفة كبيرة من الدول الصناعية الراقية كانت قد عمدت من تلقاء نفسها الى تحسين الاحوال الصحية — كالتهوية والاضاءة — في المعامل ومنع عمل الاطفال الا ان عمل الهيئة كان من شأنه حمل الدول الصناعية التي في المقام الثاني على العناية بهذه الشؤون وتحسين احوال العمل فيها

العقوبات

بقيت كلمة عن العقوبات التي ينص عليها دستور هيئة العمل الدولية كما ينص عليها دستور جامعة الامم فقد تبين مما سبق ذكره ان الدول المنتظمة اعضاء في هيئة العمل الدولية تتعهد بأن تعرض على مجالسها النيابية مشروعات القوانين التي تقرها الهيئة للفصل فيها سواء اوافق مندوبوها في الهيئة عليها أم لم يوافقوا ولما كان من أسهل الأمور على حكومة ما ان تدبر ما يلزم لاحباط مشروع ما او رفضه فلا ينتظر ان ترتكب احدى الحكومات خطأ من هذا القبيل يقتضي تطبيق العقوبات عليها

ولكن اذا ابرمت دولة مشروعاً من هذه المشروعات ثم لم تنفذه فعندئذ يحق للهيئة ان تعين بالاشتراك مع سكرتير جامعة الامم العام لجنة للبحث تضم ممثلين للحكومات وجماعات العمال واصحاب العمل ثم ترفع اللجنة تقريرها وقد تقترح تطبيق عقوبات اقتصادية على الدولة المقصرة ولهذه الدولة ان ترفع المشكلة الى محكمة العدل الدولية

اما وقد خبرنا في حلبة السياسة الدولية مبلغ نجاح العقوبات الاقتصادية فلنا ان نقول ان تطبيقها فيما يخص هيئة العمل الدولية غير عملي

النزعة الدكتاتورية وتعليلها النفسي

تحيّر الباحث في شؤون أوربا ميول شعوب عريقة في الحضارة وتقاليدها العقلية والفنية كالشعبين الألماني والإيطالي، للحكم الدكتاتوري. بل أروع مما يحيره هذا الحكم في أثره من قيود تثقل على جميع الإنسان المثقف. ولا سبيل إلى إنكار أن الحكم الدكتاتوري أسفر في ألمانيا وإيطاليا بوجه خاص عن انتصارات باهرة في حلبة السياسة الداخلية والخارجية كنجاح موسوليني في تنظيم شؤون بلاده وزيادة أسباب الخير لأهل بلاده وفوزه في حملته الحبشية ونجاح هتلر في تسليح ألمانيا وإلغاء معاهدة فرساي واحتلال منطقة الرين ونجاح أتاتورك العظيم في تركيا ولكن هذا النجاح ينطوي على بذور الخطر لأنه يقتضي من الحاكمين بأمرهم انتصاراً تلو انتصار لكي تبقى أذهان الناس منصرفة عن عيوب الحكم الدكتاتوري التي تنفر منها النفس. ومهما يكن فإن ذلك لا يكفي لتعليل ما نراه في جماهير هذه الشعوب من التحمس أو ما يشبه الإجماع على تأييد الحاكمين بأمرهم والخضوع لهم. فما هو التعليل؟ للعالم النفسي النمسوي الدكتور فلهلم شتكل رأي في تعليل هذه الحالة لا يخلو من الطرافة وهو قائم على ما يعرف في علم النفس «بمركب السلطان» أو «عقدة السلطان».

يرى الدكتور شتكل أن في نفس الطفل نزاعاً بين غرائزه والقيود التي يفرضها عليه اتصاله بالعالم الخارجي. فالأطفال يميلون إلى أن يكونوا فوضويين ولكن والديهم ومعلميهم يعلمونهم أنه يجب عليهم أن يتصفوا أشد اتصاف بالنظام. والتربية في رأيه ترمي إلى إخضاع الطفل في قالب يخالف اتجاه غرائزه والتربية أساسها السلطان – سلطان الوالد والوالدة والعم والمعلمة، «والسلطان» خصم الطفل وعدوه لأنه يعني التخلي عن رغباته الفطرية.

والسلطان الأول الذي يبدو أثره في حياة الطفل هو سلطان الوالدين فإذا كان الوالدان صديقين غفر لهما الطفل. ولكنه لا يكاد يخرج من نطاق سلطانهما حتى يصطدم بسلطان الأطفال الذين يفوقونه سناً وخبرة، وسلطان المعلم ثم سلطان القانون وسلطان الكنيسة إذ لا يخفى أن السلاح الأخير في أيدي مربي الأطفال قولهم للطفل العاصي «إن الله يعاقبك على ما تعمل أو على ما فعلت» هذا المركب «مركب السلطان» الذي كان له أكبر أثر في تربية العصر أخذ يضعف بعد نشوب الحرب الكبرى في سنة ١٩١٤ فالأسرة أصبحت غير ما كانت عليه لأن الوالدين — بحسب رأي شتكل — لم يحافظوا على القواعد الأدبية التي لقنوها لأولادهم فثار الأولاد على هذا التغيير وطرحوا جانباً سلطان الوالدين وعمروا بالنزاع أوامرهم ونواهيهم.

وما حدث للأسرة حدث للمدرسة والجامعة وما وقع للوالدين وقع للمعلمين والأساتذة. بل إن أخطر النتائج التي أسفرت عنها الحرب الكبرى كانت إضعاف الشعور بوجوب احترام السلطان وأصحاب السلطان في الأسر وبين الأمم. وهذا هو تعليل موجة الاحترام التي طغت على العالم

وبلغت ذروتها في الولايات المتحدة الاميركية . وتلا ذلك ان لم يعد يضعف من مقام الدين التقليدي في نفوس الناس لان العلم لم يجبهم على وجهه الصحيح ولان طائفة كبيرة من رجال الدين تمسكت بالقشر من الدين دون جوهره فلما أخذ الشبان والشابات يتساءلون كيف يسعهم الايمان برب يأذن في نشوب حرب تزهق في غمرتها ارواح عشرة ملايين من الناس انهار مبدأ « السلطان » في حياة الافراد وكانت النتيجة موجة الحاكمين بامرهم

فهتلر وموسوليني وأشباههما ليسوا في رأي الدكتور شتيكل الا رجالاً يحلون في حياة كل فرد محل الوالد والمعلم . وقد يتنكر الناس لصاحب السلطان يفرض سلطانه عليهم ولكنهم لا يستطيعون ان يعيشوا من دونه مفرعاً في شكل من الاشكال . لقد ثار الاولاد على آبائهم فجاء هتلر وموسوليني ودلفوس وبلسودسكي وكمال اتاتورك وستالين فحلوا محلهم . ودخل في روع الطفل الحديث ان والده غير جدير باحترامه واجلاله وطاعته فبحث عن زعيم خارج عن نطاق الاسرة يوليه هذا الاحترام وتلك الطاعة . فمركز السلطان خرج من دار الاسرة واستقر في دار الحكومة . ولوامع ان الحكومة مزيج من قوتي الخوف والحب والحاكمون بامرهم ابلغ مظهر لهذا المزيج فدلفوس قتل اشتراكيي فينا بالمدفع والقذيفة ثم طلب منهم الغفران والتعاون . واسكندر اليوغوسلافي سعى جهده لاستمالة الكرواتيين اليه بالحسنى وفي الوقت نفسه كان يحاول ان يحملهم على الخضوع بالقوة وهتلر على الرغم من حب الشعب له اضطر ان يطهر الحزب بالدم كما فعل يوم ٣٠ يونيه سنة ١٩٣٤ فلماذا لا ينفر الانسان من الخضوع لسلطان الدكتاتور او الزعيم كما نفر من الخضوع لسلطان الوالد والمعلم ؟ هذا سؤال طبيعي والدكتور شتيكل يرد عليه بقوله ان عصمة الدكتاتور من الخطإ تزداد رويداً رويداً في رأي الفرد كلما زاد عدد اتباعه وكذلك يتفشى في الامة مرض عصبي دعاه شتيكل « وباء التمجيد » فتسقط الامة معفرة التراب عند اقدام الدكتاتور

يضاف الى هذا انه كلما زاد الاتباع الذين يؤيدون الزعيم او الدكتاتور تندمج نفوسهم وتتحول الى مرايا لانهم يحسون انهم والزعيم وحدة لا تنفصم فيشاطرونه في نفوسهم سلطان السلطان الذي يحكمهم به . اي انهم يصبحون حاكمين لا محكومين . ولذلك ترى الالمان يقولون انهم لا يحاربون في سبيل هتلر بل هتلر يحارب في سبيلهم فعند هذا الحد من التحول النفسي يندمج الخضوع بالتحدي والبغض بالحب ويتحول الدكتاتور الى منقذ كان الزعماء في العهد القديم ينشئون ديانات جديدة ولكن الزعماء في هذا العصر رجال سياسة بل ان طائفة من زعماء العصر الحاضر يخشون الدين لانهم يرون ان زعماء الدين ينازعونهم « السلطان » على نفوس اتباعهم لذلك تراهم يحاولون اسقاط الدين من مكانته العالية في نفس الامة على نحو ما وقع في تركيا وروسيا والمانيا

معاهدة الزعفران

في بهو لوكارنو

---

١ — حفلة التوقيع

بهو لوكارنو في وزارة الخارجية البريطانية حجرة متسعة طولها ثلاثون متراً وعرضها خمسة عشر متراً وهي مزينة من الداخل بالذهب والارجوان وفي صدرها صورة زيتية للملك جورج الخامس تقابلها على الصدر الآخر صورة زيتية للملكة ماري والى جنبها صورة للملك جورج الثالث وفي وسطها مائدة من خشب الابنوس تتسع لعشرين كرسيا وعلى جانبي البهو مقاعد وثيرة مغطاة بحرير كثيف ذهبي وأرجواني

دعيت بهو لوكارنو لانها كانت في خلال الحرب الكبرى وما بعدها حجرة لحفظ الوثائق ثم نظفت وزينت سنة ١٩٢٥ استعداداً لامضاء معاهدات لوكارنو المشهورة التي عقدت بين انكلترا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا والمانيا وهي المعاهدات التي نقضت باحتلال الجيش الالماني لمنطقة الرين في ٧ مارس الماضي

في هذه الحجرة التاريخية أمضيت «معاهدة الزعفران» التي نظمت الصلات الصداقة والتحالف بين مصر وانكلترا يوم ٢٦ اغسطس ١٩٣٦

***

دخلنا البهو في الساعة العاشرة والدقيقة العشرين من صباح يوم الاربعاء ٢٤ سبتمبر مع زملائنا ممثلي الصحافة المصرية وهم الاساتذة حافظ عوض بك وتوفيق دياب وعبدالله حسين وزكي اباظه وجلال الحمامصي فألفينا مندوبي الصحف الانكليزية ومكاتبي الصحف الاميركية والاوربية وجماعة من المصورين قد سبقونا اليها وعددهم ينيف على ثلاثين . وهم جلوس على كراسي اعدت لهم تحت صورتي الملكة ماري والملك جورج الثالث . وكان بينهم من عرفناه المستر فيليب جراهم مندوب التيمس والمستر ادوار مندوب الديلي هرالد

وجلسنا على مقعد وثير عند طرف المائدة المعدة لمندوبي مصر وانكلترا من ناحية المراسلين الاجانب وكان الجو غائماً عند دخلنا ثم بعد دقائق حتى انقشعت الغيوم ودخلت من النوافذ أشعة الشمس فابتسم الحضور مستبشرين . وكان السر ميلز لامبسن واللادي لامبسن قد وصلا الى البهو قبلنا وجلسا يتحدثان قبالة وسط المائدة من الناحية الاخرى

كان ميعاد ابتداء الحفلة في الساعة العاشرة والنصف ولكن الدقائق توالت من دون ان

نرى أثراً لممثلي مصر وممثلي انكلترا غير ان المقاعد التي تحف بالمائدة من جانبيها ومن طرفيها الآخر بدأت تحفل بالمدعوين . هو ذا حقي بك القائم بأعمال المفوضية المصرية في لندن وقرينته قد دخلا وجلسا على مقعد جانبي بجوار كرسي الرئيس وهاهم رجال المفوضية — وكان بينهم علي بك اسماعيل القائم بأعمال المفوضية المصرية في بولونيا — قد جلسوا على الكراسي المعدة لهم تحت صورة الملك جورج الخامس

وها طائفة من السيدات المصريات — حرم النحاس باشا وحرم مكرم باشا وحرم حلمي عيسى باشا وحرم الشمسي باشا وكريمة صدقي باشا وكريمة عبد الفتاح يحيى باشا وكريمتا حمدي سيف النصر باشا وها هي مسز ايدن دخل بعضهن أثر بعض فجلست السيدات المصريات على المقاعد الممتدة الى يمين كرسي الرئيس وجلست مسز ايدن مع اللايدي لمسن على مقعد الى يساره

***

وفي الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين سمعنا اصواتاً ووقع اقدام في الممر المفضي الى البهو فكان ذلك ايذاناً بقدوم المندوبين . دخلوا الحجرة تتقدمهم النحاس باشا والى جنبه المستر مكدونلد وجلسوا في المقاعد الموسومة باسمائهم وجلس المستر ايدن في الصدر بصفة كونه رئيس الحفلة والى يمينه النحاس باشا فالدكتور احمد ماهر رئيس مجلس النواب فمحمد محمود باشا فصدقي باشا فعبد الفتاح يحيى باشا فواصف غالي باشا فعثمان محرم باشا فمكرم باشا فالنقراشي باشا وكان يقابلهم من الناحية الاخرى الى يسار المستر ايدن المستر مكدونلد فالسر جون سيمون فلورد هاليفاكس فالسر مايلز لامبسن فحافظ عفيفي باشا فالشمسي باشا فحلمي عيسى باشا فحمدي سيف النصر باشا وكان الجميع ببذلة الردنجوت الا أن المصريين كانوا يلبسون الطرابيش وقد وصفها المستر جرامر في التيمس غداة حفلة التوقيع في التيمس بقوله «ليس ثمة ما هو اقرأ من بعض في حلال مطرها»

فلما جلس المندوبون والحاضرون وقف المستر ايدن وتلا خطبته بالانكليزية فلما انتهى صافحهُ النحاس باشا . ثم تلا ترجمتها بالفرنسوية أحد موظفي قسم المعاهدات بوزارة الخارجية . ووقف النحاس باشا وتلا خطبته بالفرنسوية متمهلاً عند بعض عباراتها لتمكين المعاني في النفوس فكان للخطبتين احسن وقع في نفوس الحاضرين . وعندما انتهى ترجمت خطبته الى الانكليزية وقد جرت الخطبتان على وتيرة واحدة في تأييد اشتراك المصالح وتوثيق عرى الصداقة والقيام على تنفيذ المعاهدة بروح مشبعة بالمودة والتعاون وما تخص الاشارة اليه ان اشارة المستر ايدن في خطبته الى لورد كرومر قابلتها في خطبة النحاس باشا اشارة الى سعد زغلول باشا

بعد ذلك اشترك رجال السكرتيرية من الوفدين في تقديم نسختيها وعليهما اختام الشمع الاحمر والشرط الزرق لتوقعا فقدمتا اولاً للنحاس باشا وزملائه فامضوهما بحسب ترتيب جلوسهم وكان

النحاس باشا على وشك ان يمضي بأحد الاقلام امامهُ مقدم لهُ مكرم عبيد باشا قلماً ذهبيًّا اهدته جمعية الشبان الوفديين بسنتود تمضي به المعاهدة وقد نقش «عليهِ معاهدة ١٩٣٦»

فلما اتمّ الجانب المصري الامضاء حملت نسختا المعاهدة الى الجانب الانكليزي فأمضاها المستر ايدن أولاً فزملاؤه وقد استعملوا حبراً قلم «معاهدة ١٩٣٦»

ولما اتمَّ السرمايلز لامبسن الامضاء وهو آخر من وقعها من الجانبين اسمعت اساريره وتلفظ بكلمة «مبروك» متجهاً الى من يجاوره ويقابله من رجال مصر وعندها وقف المستر ايدن واعلن انتهاء الحفلة. وبذلك انتهت المساعي التي بذلتها مصر وانكلترا مدة ١٦ سنة واشترك فيها زغلول وعدلي وثروت ومحمد محمود والنحاس من الجانب المصري وكيرزون ومكدونلد واوستن تشمبرلن وهندرسن وايدن ولورن ولمبسن من الجانب البريطاني الى معاهدة ترضي الفريقين في الاحوال القائمة الآن

انها ولا ريب «فاتحة مرحلة جديدة بين البلادين» كما وصفها المستر ايدن في خطبته مؤثراً ذلك الوصف على القول بأنها «خاتمة»

---

٢ — نصوص المعاهدة

ان حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا والاملاك البريطانية وراء البحار وامبراطور الهند

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر

بما أنهما يرغبان في توطيد الصداقة وعلاقات حسن التفاهم بينهما والتعاون على القيام بالتزاماتهما الدولية لحفظ سلام العالم

وبما ان هذه الأغراض تتحقق على الوجه الأكمل بعقد معاهدة صداقة وتحالف تنص لمصلحتهما المشتركة على التعاون الفعال لحفظ السلام وضمان الدفاع عن أراضيهما وتنظيم علاقاتهما المتبادلة في المستقبل

قد اتفقا على عقد معاهدة لهذه الغاية وأنابا عنهما المفوضين الآتية أسماؤهم

حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وارلندا والاملاك البريطانية وراء البحار وامبراطور الهند (الذي سيشار اليه في نصوص هذه المعاهدة بعبارة صاحب الجلالة الملك والامبراطور)

قد ناب عن بريطانيا العظمى وشمال ارلندا: — المستر انتوني ايدن وزير الخارجية والمستر رمزي مكدونلد والسر جون سيمون ولورد هاليفاكس والسر مايلز لامبسن

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر قد أناب عن مصر .

حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ورئيس الوفد الرسمي وحضرة صاحب السعادة الدكتور احمد ماهر رئيس مجلس النواب وحضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء سابقاً وحضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا رئيس مجلس الوزراء سابقاً وحضرة صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا رئيس مجلس الوزراء سابق وحضرة صاحب المعالي واصف بطرس غالي باشا وزير الخارجية وحضرة صاحب المعالي عثمان محرم باشا وزير الاشغال العمومية وحضرة صاحب المعالي مكرم عبيد باشا وزير المالية وحضرة صاحب المعالي محمود فهمي النقراشي باشا وزير المواصلات وحضرة صاحب المعالي احمد حمدي سيف النصر باشا وزير الزراعة وحضرة صاحب السعادة علي الشمسي باشا الوزير السابق وحضرة صاحب المعالي محمد حلمي عيسى باشا الوزير السابق وحضرة صاحب السعادة حافظ عفيفي باشا الوزير السابق

الذين بعد تبادل وثائق تفويضهم التي تخولهم سلطة كاملة والتي وجدت صالحة ومستوفية الشكل قد اتفقوا على ما يأتي :

المادة الاولى — انتهى احتلال مصر عسكريًّا بواسطة قوات صاحب الجلالة الملك والامبراطور

المادة الثانية — يقوم من الآن فصاعداً تمثيل صاحب الجلالة الملك والامبراطور لدى بلاط جلالة ملك مصر وبتمثيل صاحب الجلالة ملك مصر لدى بلاط سان جيمس سفراء معتمدون بالطرق المرعية

المادة الثالثة — تنوي مصر ان تطلب الانضمام الى عضوية عصبة الامم وبما ان حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة تعترف بأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة فانها ستؤيد اي طلب تقدمهُ الحكومة المصرية لدخول عصبة الامم بالشروط المنصوص عليها في المادة الاولى من عهد العصبة

المادة الرابعة — تعقد محالفة بين الطرفين المتعاقدين الغرض منها توطيد الصداقة والتفاهم الودي وحسن العلاقات بينهما

المادة الخامسة — يتعهد كل من الطرفين المتعاقدين بان لا يتخذ في علاقاته مع البلاد الاجنبية موقفاً يتعارض مع المحالفة وان لا يبرم معاهدات سياسية تتعارض مع احكام المعاهدة الحالية

المادة السادسة — اذا افضى خلاف بين احد الطرفين المتعاقدين ودولة اخرى الى حالة تنطوي على خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة يتبادل الطرفان المتعاقدان الرأي لحل ذلك الخلاف بالوسائل السلمية طبقاً لاحكام عهد جمعية الامم او لاي تعهدات دولية أخرى تكون منطبقة على تلك الحالة

المادة السابعة — اذا اشتبك احد الطرفين في حرب بالرغم من احكام المادة السادسة

المتقدم ذكرها فإن الطرف الآخر يقوم في الحال بنجدته بصفته حليفاً وذلك مع مراعاة احكام المادة العاشرة الآتي ذكرها

وتنحصر معاونة صاحب الجلالة ملك مصر في حالة الحرب او خطر الحرب الداهم او قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها في ان يقدم الى صاحب الجلالة الملك والامبراطور في داخل حدود الاراضي المصرية ومع مراعاة النظام المصري للادارة والتشريع جميع التسهيلات والمساعدة التي في وسعه بما في ذلك استخدام موانئه ومطاراته وطرق المواصلات

وبناء على هذا فالحكومة المصرية هي التي لها ان تتخذ جميع الاجراءات الادارية والتشريعية بما في ذلك اعلان الاحكام العرفية واقامة رقابة وافية على الانباء لجعل هذه التسهيلات والمساعدة فعالة

المادة الثامنة — بما ان قنال السويس الذي هو جزء لا يتجزأ من مصر هو في نفس الوقت طريق عالمي للمواصلات كما هو ايضاً طريق أساسي للمواصلات بين الاجزاء المختلفة للامبراطورية البريطانية فالى ان يحين الوقت الذي يتفق فيه الطرفان المتعاقدان على ان الجيش المصري أصبح في حالة يستطيع معها ان يكفل بمفرده حرية الملاحة في القنال وسلامتها التامة يرخص صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة الملك والامبراطور بان يضع في الاراضي المصرية بجوار القنال بالمنطقة المحددة في ملحق هذه المادة قوات تتعاون مع القوات المصرية لضمان الدفاع عن القنال ويشمل ملحق هذه المادة تفاصيل الترتيبات الخاصة بتنفيذها

ولا يكون لوجود تلك القوات صفة الاحتلال بأي حال من الاحوال

كما انهُ لا يخل بأي وجه من الوجوه بحقوق السيادة المصرية

ومن المتفق عليه انهُ اذا اختلف الطرفان المتعاقدان عند نهاية مدة العشرين سنة المحددة في المادة السادسة عشرة على مسألة ما اذا كان وجود القوات البريطانية لم يعد ضرورياً لان الجيش المصري أصبح في حالة يستطيع معها ان يكفل بمفرده حرية الملاحة على القنال وسلامتها التامة فان هذا الخلاف يجوز عرضهُ على مجلس عصبة الامم للفصل فيه طبقاً لاحكام عهد العصبة النافذ وقت توقيع هذه المعاهدة أو على اي شخص او هيئة للفصل فيه طبقاً للاجراءات التي يتفق عليها الطرفان المتعاقدان

المادة التاسعة — يحدد باتفاق خاص يبرم بين الحكومة المصرية والمملكة المتحدة ما تتمتع بهِ من إعفاء وميزات في المسائل القضائية والمالية قوات صاحب الجلالة الملك والامبراطور التي تكون موجودة بمصر طبقاً لأحكام هذه المعاهدة

المادة العاشرة — ليس في أحكام هذه المادة ما يمس او ما يقصد بهِ ان يمس بأي حال الحقوق والالتزامات المترتبة او التي قد تترتب لأحد الطرفين المتعاقدين او عليه بمقتضى عهد

عصبة الامم او ميثاق منع الحرب الموقع عليه بباريس في ٢٧ اغسطس سنة ١٩٢٨

المادة الحادية عشرة — ١ — مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة في المستقبل لتعديل اتفاقي ١٩ يناير و ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ قد اتفق الطرفان المتعاقدان على ان ادارة السودان تستمر مستمدة من الاتفاقيتين المذكورتين

ويواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين

والطرفان المتعاقدان متفقان على ان الغاية الاولى لادارتهما في السودان يجب ان تكون رفاهية السودانيين

وليس في نصوص هذه المادة أي مساس بمسألة السيادة على السودان

٢ — وبناء على ذلك تبقى سلطة تعيين الموظفين في السودان وترقيتهم مخولة للحاكم العام الذي يختار المرشحين الصالحين من بين البريطانيين والمصريين عند التعيين في الوظائف الجديدة التي لا يتوفر لها سودانيون اكفاء

٣ — يكون جنود بريطانيون وجنود مصريون تحت تصرف الحاكم العام للدفاع عن السودان فضلاً عن الجنود السودانيين

٤ — تكون الهجرة المصرية الى السودان خالية من كل قيد الا فيما يتعلق بالصحة والنظام العام

٥ — لا يكون هناك تمييز في السودان بين الرعايا البريطانيين وبين الوطنيين المصريين في شئون التجارة والمهاجرة أو في الملكية

٦ — الطرفان المتعاقدان على الاحكام الواردة في ملحق هذه المادة متفقان فيما يتعلق بالطريقة التي تصير بها المعاهدات الدولية سارية في السودان

المادة الثانية عشرة — يعترف صاحب الجلالة الملك والامبراطور بأن المسؤولية عن ارواح الاجانب واموالهم في مصر هي من خصائص الحكومة المصرية دون سواها وهي التي تتولى تنفيذ واجباتها في هذا الصدد

المادة الثالثة عشرة — يعترف صاحب الجلالة الملك والامبراطور بأن نظام الامتيازات القائم بمصر الآن لم يعد يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة

ويرغب صاحب الجلالة ملك مصر في الغاء هذا النظام دون ابطاء وقد اتفق الطرفان المتعاقدان على الترتيبات الواردة بهذا الخصوص في ملحق هذه المادة

المادة الرابعة عشرة — تلغي المعاهدة الحالية جميع الاتفاقات أو الوثائق القائمة التي يكون استمرار نفاذها منافياً لاحكام هذه المعاهدة ويجب ان بعد اتفاق الطرفين اذا طلب احدهما ذلك

بيان بالاتفاقات والوثائق الملغاة وذلك في مدى ستة أشهر من نفاذ هذه المعاهدة

المادة الخامسة عشرة — اتفق الطرفان المتعاقدان على أن أي خلاف ينشأ بينهما بصدد تطبيق أحكام المعاهدة الحالية أو تفسيرها ولا يتيسر لهما تسويته بمفاوضات بينهما مباشرة يعالج بمقتضى احكام عهد جامعة الامم

المادة السادسة عشرة — يدخل الطرفان المتعاقدان في مفاوضات بناء على طلب اي منهما في اي وقت بعد انقضاء مدة عشرين سنة على تنفيذ هذه المعاهدة وذلك بقصد اعادة النظر بالاتفاق بينهما في نصوص المعاهدة بما يلائم الظروف السائدة حينذاك فاذا لم يستطع الطرفان المتعاقدان الاتفاق على نصوص المعاهدة التي أعيد نظرها يحال الخلاف الى مجلس عصبة الامم للفصل فيه طبقاً لاحكام عهد العصبة النافذ وقت توقيع هذه المعاهدة او الى اي شخص او هيئة للفصل فيه طبقاً للاجراءات التي يتفق عليها الطرفان المتعاقدان

ومن المتفق عليه أن اي تغيير في المعاهدة عند اعادة نظرها يكفل استمرار التحالف بين الطرفين المتعاقدين طبقاً للمبادىء التي تنطوي عليها المواد ٤ و٥ و٦ و٧

ومع ذلك في اي وقت بعد انقضاء مدة عشر سنوات على تنفيذ المعاهدة يمكن الدخول في مفاوضات برضاء الطرفين المتعاقدين بقصد اعادة النظر فيها كما سبق بيانه

المادة السابعة عشرة — يصدق على المعاهدة الحالية ويتبادل التصديق عليها في القاهرة في أقرب وقت ممكن ويبدأ تنفيذها من تاريخ تبادل التصديق عليها وعندئذ تسجل لدى السكرتير العام لعصبة الامم

واقراراً بما تقدم وقع المفوضون السابق ذكرهم على هذه المعاهدة ووضعوا اختامهم عليها ويلي ذلك نصوص الملحقات

المفاوضات المصرية البريطانية السابقة

وأقطابها وتواريخها

عدلي باشا يكن واللورد كيرزون — (لندن) سنة ١٩٢١

سعد زغلول باشا والمستر مكدونلد — (لندن) سنة ١٩٢٤

عبد الخالق ثروت باشا والسر اوستن تشمبرلين — (لندن) سنة ١٩٢٧

محمد محمود باشا والمستر ارثر هندرسن — (لندن) سنة ١٩٢٩

مصطفى النحاس باشا والمستر ارثر هندرسن — (لندن) سنة ١٩٣٠

مصطفى النحاس باشا وهيئة المفاوضة المصرية ؛
والسر ميلز لامبسن وهيئة المفاوضة البريطانية ، — (القاهرة) سنة ١٩٣٦

استهلال زراداشت

للفيلسوف الالماني فردريك نيتشه

— ١ —

ما كاد يبلغ زراداشت الثلاثين من عمره حتى عاف وطنه وهجر بحيرته وتوغل في الجبال . وهنالك طابت نفسه العزلة طيلة عشرة اعوام قضاها دون ان يجد السأم الى قلبه سبيلاً . ولكنهُ في النهاية تبدَّل قلبه واستحالت ميوله . وفي مطلع فجر يمم زراداشت وجهه شطر الشمس واخذ يناجيها قائلاً .

— انت ، ايها الكوكب الوقاد ، ما عسى تكون سعادتك اذا لم يكن لك من تنير عليهم ، وترسل اشعتك اليهم ؟

منذ عشر سنين وانت — أيتها الشمس — لا تزالين تطلين على غاري ، وانك لسائمة من نورك ومن طلوعك كل يوم على هذا الطريق لولاي ولولا نسري وحيتي

انا رتقبك عند كل فجر ، ونغتنم من فيض شعاعك ، ونباركك

ها أنا قد سئمتُ من حكمتي ، واصبحت كالنحلة التي اشتارت من الأري ما فاض عليها ، واصبحتُ فقيراً الى أيدٍ تأخذ مني

أُريد أن اعطي وان أُوزع ما لديَّ حتى يغدو عقلاء الناس سعداء بجنونهم والفقراء مبتهجين بغناهم

لهذا يجب عليَّ ان اهبط في الاغوار هبوطك كل مساء متوارية خلف البحار، ناثرة لمعانك في ذيل الوجود ايتها النجمة الطافحة غنىً ونوراً

يجب عليَّ أن اتوارى مثلك وان اغيب — يقول الرجال الذين أُريد ان انزل فيهم

فباركيني اذاً ايتها العين الهادئة التي ترى السعادة التي لا تُحدَّدون ان تنظر غيرتها

وباركي الكأس التي ستطفح حتى يتدفق منها الماء الذهبي حاكياً في كل مكان لمعة سعادتك وهناءتك

ان كأسي تريد ان تفرغ مرة ثانية وزراداشت يريد ان يعود انساناً

وهكذا انتهت عزلة زراداشت !

— ٢ —

انحدر زرادشت وحده من الجبال دون ان يقع ناظره على انسان حتى اذا دخل الغابة صادف رجلاً كهلاً هجر كوخه وسعى في زوايا الغابة وراء اصناف من الاعشاب

قال لزرادشت :

— اني اعرف هذا الماضي، وهو منذ عام مار بهذا المكان انهُ يدعى «زرادشت» ولكني اراه قد سافر

كنتَ تحمل اذ ذاك رمادك الى الجبل، فهل تشاء اليوم أن تحمل نارك الى الوادي؟ ألا تخشى اسباب اسي يقصدُ مضرم النار؟

بلى ، قد عرفتُ زرادشت ، في عينيهِ يتألق الصفاء ، وعلى شفتيهِ لا ترتسم السآمة ، ألا يمشي كأنهُ راقص ؟

زرادشت قد تطوّر ، وأصبح طفلاً . زرادشت هب من كراهُ فما عسى تود ان تصنع بجانب هؤلاء الراقدين ؟

كنت تحيا في العزلة كانك تحيا في بحر والبحر يحملك على غاربه . فتعساً لك لأنك أردتَ ان ترسو على الارض . وويل لك لأنك رضيتَ بنفسك ان تجر جسدك الى عناء جديد

أجاب زرادشت

إني أحب الناس !

وأجابهُ القائل الحكيم

وأنا لماذا آثرتُ ان اعيش العزلة في غابة لا يعرف فيها رسم لساكن ! ألستُ لأني ما كنت في حب الناس ؟ والآن صرفت حبي الى حب الله ومقت عبادة الانسان في ملق مخلوق غير كامل . ان حب الانسان كاد يقتلني

قال زرادشت

— ماذا أقول عن الحب ، ان عندي هديّة أريد ان أقدمها للناس

أجاب القائل

— لا لا ! لا تعطهم شيئاً ، ارفع عن ظهورهم بعض الشيء وآزرهم على حمله

د، خير ما تصنعهُ من أجلهم ، وفي ذلك خيرٌ لك

إذا أردت ان تعطيهم شيئاً فلا تعطهم الاّ صدقة ، وارتقب حتى يرغبوا منك صدقتك رجاء

أجاب زراداشت

كلاّ ! إني لم أهبط لأُعطي صدقات وما أنا الى هذا العمل بفقير

ضحك العاقل ساخراً منه وقال

لتفرغ مجهودك في استمالة قلوب الناس حتى يتقبلوا كنوزك قبولاً حسناً ، لان الناس ألفوا أن يحترزوا من المعتزلين ، وهم لا يؤمنون بأننا جئنا لنعطيهم

تسمع آذانهم لقدم المعتزل رنة غريبة الوقع ، يرقدون في حجرات الاسرة محترسين ، اذا خطر سارٍ في الليل همسوا قائلين « اين يولي هذا السارق وجهه ؟ »

لا تمض الى حظائر الناس وعد إلى غابك فقد كفاك وحش اساب صحبتهم ، ولماذا لا تود ان تأتسي بي فتكون دبّاً بين الدببة ،وعصفوراً بين العصافير

قال زراداشت

وما عسى يصنع الصالح في عزلته؟

أجاب العاقل

إني انلهى بنظم الاغاني والترنم بها فاذا ألفتها ضحكت وبكيت وهمست، وهكذا اجدني أمدح ربي وأمجده

وبالاغاني والدموع ، وبالضحكات والهمسات اشكر ربي الذي هو ربي . وانت ما هي الهدية السنية التي اعددتها لنا ؟

سمع زراداشت كلام العاقل وقال

ماذا أُعطيك؟دعني أهرب من وجهك حتى لا يسرق من حوزتي شيء الى جوفي

وهكذا انتحى كلاهما ناحية ، والكهل والرجل يضحكان ضحك الاطفال.

وحين اصبح زراداشت وحده قال لقلبه همساً

-- أحقاً ان هذا الكهل القديس المتوحد في غابه لم يسمع هذه الكلمة « لقد ماتت الآلــه » !

« من كتاب هكذا قال زراداشت » نقلها خليل هنداوي

معبودتي الشمس !

نظمها رياض معلوف

[هذه قصيدة من الشعر الصيني للشاعر (يون وفينغ) وهي لبعد تصور الشاعر أقرب الى المراقة منها الى الشعر]

عبدتُ الشمس لا لنورها
بل للظلال التي ترسمها عبالات الاشجار !
ظلال وارفة ، كجنة الحور
حيث أنشد تصور أحلامي الفتية
في أيام الصيف
— وليس فحسب بل لذكرى الحب
عبدت هذه المرأة !
لأن الحب يموت
ولكن ذكراه يظل أخضر الى الابد !!

على صفحة الغدير الذي أشرب منهُ إكسير الربيع
أصغي لا لأنشودة الطائر ..
ولا يهمني حسن صوته ، بل يروقني
السكون العميق الذي يحدثهُ الانشاد بعد صمته !
هذي هي أناشيد أرض الفناء ..
التي يتجه اليها نظري وفكري !! ..

باب المراسلة والمناظرة

البراجماتزم

او مذهب الذرائع

حلقة من السلسلة الفلسفية التي تنشرها لجنة التأليف والترجمة والنشر تأليف الاستاذ «يعقوب فام» الاستاذ في التربية من جامعة «بس»ـــ «الامريكية» — ٣٠١ صفحة من القطع الاوسط

قرأت هذا الكتاب من ألفه الى يائه ، وأطلت فيه النظر والبحث ، فكان أول ما ملك علي تأملي حقيقة ان ضبط استعمال المصطلحات ينبغي ان يكون اساس البحث في موضوع علمي أو فلسفي . والواقع ان ضبط استعمال المصطلحات وتحديد مدلولاتها ، سواء أفي العلم أم في الادب أم في الفن أم في الفلسفة ، هو في هذا العصر كما كان منذ اقدم العصور اساس البيان الفكري وعمدة التمييز بين الفكرات والمذاهب في حدودها الصحيحة التي لن يكون من فهم بدونها . ذلك بان استعمال المصطلح في غير ما وضع للدلالة عليه مفسد للفكر مشتت للفهم مضيع للحقائق . واشد من ذلك نكاية بالفكر والتفكير أن تستعمل مصطلحاً معيناً في مواضع متفرقة للدلالة على معان مختلفة . وشيء من هذا ، بل الكثير منه ، وقع لي وانا مكب على قراءة هذا الكتاب حتى لقد صبت عليَّ ناحية الكتاب في استعمال المصطلحات وقتاً أنفقته فيه ، ثم خرجت من آخره كما دخلت من أوله ، لست « بأعلم في يومي مما كنت في أمسي » على ما يقول « جوته » بلسان « فوست »

على اني اردت ان انقد الكتاب من ناحية الموضوع ، فلم استطع ، وضاع كل تعب بذلته في هذه السبيل سدًى . فقد رأيت واجباً عليَّ ، اذا انا اردت ان انظر في نقد الكتاب هذا النحو ، ان أضع نفسي في موضع المؤلف فأحدد المصطلحات معانيها وأضع للجمل روابطها وللعبارات مقدماتها ونتائجها ، ثم انظر هل أفلحت في ان أخرج من هذا الكتاب هيكلاً جديداً يمكن ان يتصل بفكري بصلة تقربني من فهم ما اراد المؤلف ان يؤدي الى قرائه من رسالة بهذا الكتاب

لهذا عمدت الى نقد استعمال المصطلحات في الكتاب لأظهر القارىء شيئاً من الفوضى الغامرة التي أوقعني فيها المؤلف بكتابه هذا . وسأعالج بعض مصطلحات الكتاب في هذه العجالة لعلي أبين عن شيء مما ذكرت في فاتحة هذا النقد

(١) Pragmatism — عربها حضرة المؤلف فقال « البراجماتزم » أو « مذهب الذرائع » ولا أثر للعلاقة بين مؤدى هذا المذهب والذرائع لغة . وفي القاموس تذرع بذريعة توسل بوسيلة.

فسمى مذهب الذرائع ، مذهب الوسائل، وفي هذا المعنى تجريد الاصطلاح الاصلي ، والمقصود به المذهب العملي . ومهما يكن من احتجاج بضعف العلاقة بين تسمية المذهب بالمذهب العملي وبين مفهوم المذهب من الاشتقاق الاصلي لاسم المذهب في الفرنجية مسوّغ لذلك

جاء في معجم وبستر ص ١١٢٤

Pragmatic; Pragmatical (L. Pragmaticus) busy, active skilled in business especially in law and state affairs, systematic

وذكر في هذا المعجم وفي غيره من المعاجم ان مقابل الكلمة اللاتينية في الاعربية يؤدي نفس هذه المعاني . أضف الى ذلك ان الاستاذ وليم جيمس قال في كتابه :

Philosophical Conceptions and Practical Results (1898) ما يلي :

"The principle of Practicalism or Pragmatism as he [illegible] Peirce [illegible] when I first [illegible] the [illegible] is the clue [illegible] following which [illegible] we may keep our feet upon the [illegible]

وجاء في الكتاب نفسه ص ٦ ما يلي . —

"To attain perfect clearness in our thoughts of an object, then, we need only consider what effects of a conceivable practical kind the object may involve. Our conception of these effects then is for us the whole of our conception of the object, so far as the conception has positive significance at all. This is the principle of Pierce, the principle of pragmatism

وفي هذين الشاهدين اكبر مسوّغ لان نطلق على هذا المذهب اصطلاح المذهب العملي من غير ان نبالي شيئاً بما يقول المؤلف « البراجماتزم او مذهب الذرائع » ، فنجعل لا معنى له . لا سيما اذا علمنا أن مؤلفين من الاعلام مثل كدول Lewis وشلر Schiller قد قرنوا دائماً ذكر كلمة practicalism بكلمة pragmatism واستعملوها مترادفتين . وقد سبق للدكتور صرّوف ترجمتها في المقتطف بـ « الفلسفة العملية »

وليس لي أن أتطرق من ثمّ الى شرح ما يقصد بهذا الاصطلاح، وانما يبقى لي أن أعود إلى مختلف المصطلحات التي استعملها المؤلف في العربية بدلالة على هذا الاصطلاح فقال في عنوان الكتاب « البراجماتزم او مذهب الذرائع » ، ثم قال « الفلسفة الاميركية » (ص٤٥) ونظرية البراجماتزم (ص ٥٨) وفلسفة البراجماتزم (٦١ ، ٦٣) والنزعة الفلسفية المعروفة بالبراجماتزم (ص٧٩) والبراجماتزم (فقط) في (ص ٨٠) . ولن نخرج من مجمل البحث بتحديد ذي ضوابط نعرف به هي فلسفة ام نظرية ام مذهب، والفروق بين هذه الاشياء كبيرة، اذا اتبعت ، اختلط عليك الامر

(٢) Realities — ذكرها المؤلف في ص ١٩ ، ٩٠ ، ١٤٨ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢١٤ . فقال الحقائق . ثم قال في ص ١٣١ « الوجود » وقال في ص ١٧١ الحقائق الصحيحة ، مما يشعر بأن هنالك في هذا المذهب او في غيره من المذاهب حقائق كاذبة او مزيفة

(٣) Facts — ذكرها المؤلف في ص ١٢ فقال الحقائق . فيستحيل اليك انها نفسها الحقائق التي عناها باصطلاح Realities في حين أن المقصود بهذا الاصطلاح « الامور الواقعة » ولا يقصد بهذا الاصطلاح في هذا المبحث غير هذا

(٤) First Cause — ذكره المؤلف في ص ٢٣ فقال السبب الاصلي او الأوّلي . وقوله الاصلي يشعر بأن هنالك سبب مرجع ، وقوله أوّلي يشعر بأن هنالك سبب ثانوي . وهذا أبعد ما يكون عن المقصود . واما المقصود بالاصطلاح « العلة الاولى » كما قال جميع فلاسفة القدماء

(٥) Facts of Experience — ذكرها المؤلف في ص ٢٨ فقال الحقائق الموضعية ، وكرر هذه العبارة في أكثر من جهة وأكثر من موضع ، ثم ذكرها في ص ٧٢ فقال حقائق الاختبار وزاد الى ذلك أن ذكرها في ص ٧٣ اي في الصفحة التالية فقال الحقائق الخارجية

وعلّ المؤلف الفاضل اراد بالحقائق الموضعية ومعناها الحرفي الحقائق ذات الموضع او المكان ، ان يقول الحقائق الموضوعية ، وهذه معناها Objective facts اما الموضعية فلا معنى لها على اطلاق القول. اما حقائق الاختبار والحقائق الخارجية فبينها من الفروق ما بين الثريا وسهيل

(٦) Determinism — ذكرها المؤلف الفاضل في ص ٣٦ فقال « الفلسفة الجبرية » وهذه في الحقيقة معناها Fatalism اما هذا الاصطلاح فأحسن ما يترجم به ان يقال فيه « التوقفية » وهذا اصطلاح اضعهُ لاول مرة، فلا اقطع بصلاحيته التامة للدلالة على المعنى المراد من الاصطلاح الافرنجي المقتضي انه عملاً يتوقف إتيانه على سبب او اسباب خارجة عن ارادة الانسان واختياره . وإليك ما جاء في معجم ستنوري ص ١٥٧٣ ج ٢

Determinism A term invented by Sir William Hamilton to denote the doctrine of those of the philosophers who hold that man's actions are unvaryingly determined by motives acting upon his character, and that he has not the power to choose to act in one way so long as he prefers on the whole to act in another way. Determinism does not imply materialism, atheism, or denial of moral responsibility, while it is in direct opposition to Fatalism (جبرية) and to the doctrine of freedom of the will

واني لأكتفي بهذا الشاهد فلا ازيد عليه شيئاً ، وان كان بين يدي من الشواهد ما يزيد الامر بياناً وجلاء

(٧) Indeterminism — ذكرها الاستاذ المؤلف فقال الارادية (ص٣٧) ولاول وهلة يظن المطالع أن المقصود بها نظرية الاختيار Free-will في حين ان المقصود بها « التوسطية » اي ان الارادة لا هي توقفية صرفة ، ولا حرة صرفة . ولأني أضع هذا الاصطلاح لأوّل مرة ، فلا أقطع بصلاحيته التامة ، على ماقضيت في الاصطلاح السابق

واليك ما جاء بمعجم ستنوري ص ٣٠٥٦ ج ٣ .

... doctrine ... motives, it is not ... and spontaneity H...

وجاء في معجم ... المورد الكبير ص ... ج ٥

The ph... determined by ... but ...

وعندي أن هذين ... كافيين للدلالة ... المقصود ... لا تؤديه ... وان الترسمية خير ما يطلق ... هذا الاصطلاح

(٨) ... — ذكرها ... (ص ٤٩) فقال ... فكرة الطلقة ... عندي أن المقصود ... الطلاقة ... أو ... الطبيعة عن كل ما يشوب المثاليات ... الماديات أو متعلقاتها

(٩) ... — قال المؤلف في ص ... الوجود ذاته ... وأخرى ... الكوبية ... وبين ... خلاف مدرك لا ... فلا شك في أن ... الوجود خلاف الحقائق، والذات خلاف الكون ... وقال في (ص ٧٩ ... الوجود ... ثم ... (في ... الصفحة) ... في ذاتها، فأيهما ... وأيهما أحق ... ثم قال ... (ص ١٥) حقيقة موجودات وفي هذا ... أن يحس ... يشعر به أولئك ... عليكم تيه الصحراء

(١٠) ... — ذكره المؤلف في (ص ٧٣) ... الفكر ... وما من شك في أن هذا ... وحقيقتهم ...

(١١) mysticism — ذكرها المؤلف في (ص ٨٠) فقال الصوفية في المعرفة ثم قال في (ص ٨١) الصوفية ... وما من شك في أن التصوف ... تصال بهذا الاصطلاح ولكن يحسن أن ... كله ... عند المسلمين ... sufism، ونقول في هذا الاصطلاح «الالهية» على ... الاتصال بالله ... وكما قضى بذلك مجمع اللغة العربية الملكي

(١٢) Truth — قال المؤلف حقائق في ص ٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، ١٥٦ ، ٥٨ ... وقال الحق في ص ٨٢ ، ١٣١ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، وقال الحقيقة مرتين في ص ١٠٥ . وقال حقائق الكون في ص ١٥٦

ثم يأتي بعد ذلك اصطلاح Reality فقال الحقيقة ص ٨٦ ، ٨٨ و ١٦ ، ثم قال حقيقة واقعية في ص ١٥٠ وقد استعمل المؤلف المصطلحين ليقوم أحدهما مقام صاحبه بدون تفريق ولا شك عندي في أن أكثر ما جرى في الكتاب من أسباب الغموض انما هو راجع الى الاضطراب بين هذه المصطلحات في الاستعمال واطلاقها للدلالة على أشياء مختلفة مع اتفاق حروفها . وعندي أنه يمكن التفريق بينها فنقول

أولاً — Facts الأمر الواقع وجمعها الأمور [illegible] — [illegible] الحق وجمعه الحقوق ثالثاً [illegible] الحقيقة وجمعها حقائق [illegible] — [illegible] — [illegible] أصلها اللاتيني [illegible] أي شيء [illegible] [illegible] [illegible] لإبهام

(٣) [illegible] — [illegible] موضع في [illegible] [illegible] المسيحيون [illegible] منه أنهم [illegible] [illegible] النصر [illegible] [illegible] Christian [illegible] أشبه [illegible] عندنا والله أعلم

(١٤) [illegible] — [illegible] [illegible] [illegible] (ص ٨٠، ٨٧) ثم الفلاسفة [illegible] (ص ١٥١) ثم ذكر [illegible] لطريقة العقلية مرة (ص ٩٤ ثم [illegible] في المعرفة مرة أخرى (ص [illegible]، ١٢، ١٦٥) ولم يكتف بهذا [illegible] (ص [illegible] ٨ [illegible] ٣٨ [illegible] الخ) ثم يكتف بهذا أيضاً فقال الفلسفة [illegible] (ص ١٥٢) ثم [illegible] عيش هذا الاصطلاح فأطلق عليه اصطلاح الميتافيزيقا (ص ١٧٥)

ثم ذكر [illegible] في ص ١١٦ [illegible] النظرية [illegible] في المعرفة، والمقصود [illegible] ليس [illegible] [illegible] [illegible] المعرفة [illegible] أو أسلوب المعرفة [illegible] وما دون ذلك [illegible]

ثم ذكر في ص ٢٣٤ اصطلاح [illegible] [illegible] الفلسفة التقليدية، فكانت ثالثة الأثافي لأن التقليدية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على تسميتها T[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] اختلفت باختلاف الزمان والمكان

(١٥) [illegible] — ذكرها [illegible] ص ٢٨ [illegible] [illegible] في ذات الصفحة وكأنه [illegible] اصطلاح [illegible] والفرق [illegible] بين الاصطلاحين [illegible] الاصطلاح الثاني [illegible] [illegible] [illegible] نزعة عملية أو حسية أما اصطلاح [illegible] فالمقصود به [illegible] القديمة، وقد دعوها « الإيجابية » اصطلاحاً

(١٦) [illegible] — ذكره المؤلف في ص ٨ [illegible] النظرية اللاأدرية في المعرفة، ثم قال في ص ١٨١ اللاأدرية وفي ص ٢٨ ذكر اللاأدريون Sceptics . وكل هذا إسراف ووهم، فالمقصود بالاصطلاح الشكيون أو أصحاب [illegible] [illegible] واللاأدرية Agnostics [illegible]

جاء في معجم [illegible] ص ٤٨٩ ج [illegible] [illegible]

1 - The theory that Positive and certain truth is not attainable by the human intellect.
2 - The theory that it is necessary to doubt before reaching truth

وجاء في معجم ستشوري ص ٥٦٦٨ ج ٥

The entertainment of or trust in doubt, or disbelief, especially the reasoning of one who doubts the possibility of knowledge of reality; the state of mind or doubt which characterizes a philosophical sceptic; specifically doubt or disbelief of the fundamental doctrines of the Christian religion.

وفي معجم اكسفورد الكبير ص ١٠٢ ٣٠٢ ج ٩ ما يلي

Sceptic One who, like Pyrrho and his followers in Greek antiquity, doubts the possibility of real knowledge of any kind; one who holds that there are no adequate grounds for certainty as to the truth of any proposition whatever. Also often applied to a historically less correct sense, to those who deny the competence of reason or the existence of any justification for certitude, outside the limits of experience

Scepticism (1) The doctrine of the sceptics; the opinion that real knowledge of any kind is unattainable (2) Sceptical attitude of mind in some particular branch of science; doubt or incredulity as to the truth of some assertion or supposed fact; also, disposition to doubt or incredulity in general; mistrustfulness, sceptical temper

فهل بالاستاذ المؤلف من حاجة الى البيان بعد هذه الشواهد ؟

(١٧) — Agnosticism — ذكرها الاستاذ في ص١٣١ فقال التشككية ، ولا شك مطلقاً في انها اللاأدرية التي وضعها من قبل لاصطلاح Scepticism

جاء في معجم اكسفورد الكبير ص ١٨٦ ج ١ :

AGNOSTIC unknown, unknowing, unknowable

One who holds that the existence of anything beyond and behind material phenomena is unknown and so far as can be judged unknowable, and especially that a First Cause and an unseen world are subjects of which we know nothing.

This term is first suggested by Huxley in 1869

AGNOSTICISM

The doctrine or tenets of Agnostics

Quotations :

1871 — R H Hutton Ess. I 135 — They themselves rather may dispute the term (Atheism) and usually prefer to describe their state of mind as a sort of Know nothingism, or agnosticism, or belief in an unknown and unknowable God.

1897 - Huxley Hume, 60 — Called agnosticism from its profession of an incapacity to discover the indespensable condition of either positive or negative knowledge

1880 Sat Rev 26 June/ 1892 — In nine cases out of ten Agnosticism is but old atheism 'writ large'.

وهذه هي اللاأدرية بعينها وليس سواها :

هذا قليل مما وقع لي في كتاب « الراجازم او مذهب الذرائع » اعرضهُ للتمحيص

اسماعيل مظهر

باب الأخبار العلمية

العلم والمجتمع

تأثير المقالة الافتتاحية

العلم والتعطيل عن العمل

وتناول الخطيب بعد ذلك تأثير العلم في تعطيل العمال عن العمل . فكان حكمه العام في هذا الموضوع ان التأثير كبير بوجه عام ولكنه اقل مما هو راسخ في اذهان الناس . وعلى كل حال فللمسألة وجهان لم يتالا حظهما الوافي من البحث . فالوجه الاول اطلق عليه عادة « ميزان الحدثة » . ذلك ان بعض التحول الناشئ عن تقدم الهندسة آلات وأدوات تقتصد في العمل فتمكن اصحاب المصانع من الانتاج بنفقة في المال والعمل تقل عن النفقة قبلها . ولكن هناك آلات وادوات اخرى تخلق عملاً اي انها تخلق فروضاً جديدة يطلبها الناس علاوة على الفروض التي تعودوا طلبها . فما يقتصد من القدرة الشرائية ومن العمل باستعمال الآلات والادوات الاولى ، يستطاع استخدامه في صنع الفروض التي تخلقها الآلات والأدوات الجديدة واتباعها . فكل بحث علمي يتناول تأثير العلم في تعطيل العمال عن العمل ، يجب ان يكون بحثاً كمياً في نوعي هذا التحول وكل تنظيم سليم للانتاج يجب ان يوازن بينهما

ثم هناك ناحية اخرى تتعلق بالسكان . فالزيادة العظيمة في عدد السكان ، اصل مانع لحدوث الحركات الاجتماعية الناشئة من تقدم العلم والاختراع ولا سيما اذا صحب زيادة السكان اتساع رقعة الارض التي يقطنونها على نحو ما حدث للولايات المتحدة الاميركية في توسعها من الشرق الى الغرب في القرن التاسع عشر ، او لبريطانيا في عهد توسعها بهجرة الى المستعمرات . فمشكلة التي تعانيها البلدان الصناعية من هذا القبيل . ان عدد سكانها بلغ حالة من الاستقرار وشرع في بعضها ينقص او هو وشيك الشروع في النقص . وهذه الامم بحكم الطبع تكون اشد شعوراً بالحركات الناشئة عن تقدم العلم وتأثيره في احداث التعطيل عن العمل

البطء في التطبيق

هذه بعض النتائج التي يسفر عنها تقدم العلم وتطبيقه المرهان . الا ان للموضوع ناحية اخرى وهي ناحية البطء والتلكؤ في تطبيق بعض نتائج العلم على حياة المجتمع . فالعلماء يرون فوائد عظيمة الشأن يستطيع المجتمع البشري ان يجنيها من تقدم العلم ، لو ان المجتمع نفسهُ

كان سريع الادراك لقيمتها، سريع الاقبال على الاكتتاب بالمال اللازم لتحقيقها، سريع الشعور بالتضحية التي تقتضيها في الاعمال وتعصب للعمال. ووجوه هذا التعصب كثيرة لا تحصى. من ان تطبيقها يقضي حتماً الى ارتقاء المجتمع ارتقاء حثيثاً. فقد قدّر بعضهم ان حاكماً بأمره سليم النية من الخبير بالدرس يستطيع لو شاء تطبيق نتائج المباحث الحديثة في الغذاء، ان يزيد متوسط قامة الانسان بوصتين طولاً وبضعة أرطال وزناً علاوة على زيادة مقاومته العامة للمرض. وذلك لا يقتضي منه الا همة يسيرة. ويمكن للحاكمين بأمرهم بواعث لا يرضى عنها عامة الناس. فهم بذلك يفشلون في الناس ان يسيّروا دفة حياتهم بايديهم مقصورة على ان يكونوا ادوات طائعة في جميع مسالك الحياة، حتى العداء، لأوامر الحكام

ولو أن العلماء كانوا أبعد نظراً، ورجال السياسة أشد توقداً، ورجال الأعمال أقل عناية بالكسب الفاحش، ورجال الحكومات أعظم امانة وأبعد نظراً وأكثر مروءة، لكان في المستطاع استعمال جانب كبير من نتائج العلم الحديث، في رفع مستوى الصحة والرفاهة

تشجيع العلوم الاجتماعية

ثم قال الرئيس ان لجنة من خبراء علم السكان وجدت بالبحث الدقيق، ان ما ينفق على تشجيع العلوم الطبيعية يفوق من ثمانية أضعاف الى عشرة أضعاف ما ينفق على تشجيع العلوم الاجتماعية. ان يكاد رجال العلوم الاجتماعية لا يملكون شيئاً من المال المقتضي في دراسة مشكلات السكان من نواحيها النوعية والكمية ثم اننا في أشد حاجة الى معرفة نسبة التربية والوراثة. وهذا يصدق في موضوع «الفراغ؟» انه مشكلة جديدة نشأت بالمستنبطات الحديثة التي توفر كثيراً من الجهد والوقت. انه ميدان لا يزال غامضاً على روّاده. وليس في وسع المجتمع ان يعتمد على بكسبه الفردية لتحرير قوة الاختيار ولا بد أن يكون لهذه التحولات حدود يمكن تعيينها بالبحث العلمي

مكانة علم الاقتصاد

وما مكان علم الاقتصاد في كل هذا؟

لا ريب في ان تأثير علم الاقتصاد في المجتمع في عهدنا هذا، تأثير كبير ولكنه يبعث على تبلبل في الأفكار وقلق في النفوس. وذلك لأنه متعدد الأصوات متناقضها لأن كل واحد من اصحاب الرأي فيه، يبني نظامه على مجموعة من الأحوال الاجتماعية، وأهملها غير ما يمكن ان يتوافر للجمعية البشرية. فالجمهور يصغي الى هذه الاصوات حائر الرأي لا يستطيع ان يعينه من سؤال صحيح ويزيد في حيرته وهو من اقوال الاقتصاديين انه يعتقد ان شؤون الاقتصاد، وهي تتناول النقد والاجور واحوال العمل والتبادل، يجب ان يكون فهمها في متناوله، على الضد مما يجري في موضوعات العلوم الطبيعية التي تتناول شؤون السموات والذرات والتفاعلات الكيمية وهي مما يحسب عادة فوق مستوى الادراك العام

فتصبح ضرورة ممتنة الى ان كتب سلطة على بحث افق جديد من النواحي النظرية ويحلله واصلية يعامل ذلك الحاجة الشديدة من نشر التعليم الاقتصادي العام فالمهندس او الكيماوي قد يؤثر بمكتشف واحد من مكتشفاته في معيشة ملايين من الناس ، من دون ان يكون بهم حاجة الى فهمه ولكن صورة النظام الاقتصادي التي رسمها العالم الاقتصادي ، لا تصلح ولا تتحقق ما لم يفهمها الناس وتتضافر قواهم على تحقيقها

وفي الختام عرض لسر بوشيا الى موضوع العلم والادب النفسي والخلقي . فالنظم الادبية السائدة اليوم ، نشأت قبل الفي سنة في ترة « الفردية » وعلاقة الافراد بعضهم ببعض ولكن الصلات الاجتماعية الغالبة الآن ، ليست صلات فردية بل هي متسعة في كل ناحية من نواحيها ، صلات الجماعات على اختلافها . فنظام الادب النفسي والخلقي يجب ان يفرع افراغاً جديداً ، على صورة هذه العلاقات الاجتماعية الجديدة من اسكيبية والشركة الى الاسرة المبكرة وجامعة الامم

وليس الغرض ان نعتقد التحول لذاته . ولكن الراحة الحقيقية لا تكون الا حركة منسقة . بعد تكلم أسلافي في الرآسة عن تقصير العالم والناس — ولكن هذا التقصير برأيي ليس الا تقصيراً عن طوع روح العلم الصحيح . اما نحن فنعلم كيف قيدنا النظر في جوانب ولكننا نعلم الآن ان احتساب النفع لا يكون الا مؤكد المنفعة — منفعة البحث العلمي . ان القوة التي انشأها العلم في حياة الانسان ، بين العلم على الصفة الواحدة وجميع اعمال الانسان الاخرى على الصفة المقابلة ، ليست قوة حقيقية

ان ما تعلمناه عن تأثير العلم في المجتمع خلال القرن الماضي ، يسير جداً عند مقابلته بما علينا ان نكشفه ونطبقه في المستقبل . لقد انفقنا مالاً كثيراً ووقتاً طويلاً على علم المادة وبقدر ما يعظم نجاحنا فيه ، يعظم اخفاقنا اذا لم نلتفت من علم المادة الى علم الانسان

من نيوتن الى بورن

قسم الطبيعة

كان موضوع الاستاذ آلان فرغسن Allan Ferguson رئيس قسم الطبيعة « الاتجاهات الحديثة في علم الطبيعة » . فأشار في مستهل خطبته الى علماء الطبيعة الذين فقدهم العالم في خلال السنة الماضية وهم السر جون مكلنن والسر رتشرد غليزبروك والسر جورج نابل والاستاذ كارل بيرسن ثم ذكّر سامعيه بأن هؤلاء العلماء نشأوا في بيئة طبيعية وفلسفية تختلف في قواعدها كل الاختلاف عن البيئة السائدة الآن

فالصورة العلمية للكون كانت قائمة على قواعد الحركة والاسراع والزخم والقوة، وهي القواعد التي وضعتها عبقرية نيوتن في نظام كوني شامل. ولكننا اذا رددنا نظرنا اليها الآن نجد انها كانت من الناحية العلمية ساذجة اشد السذاجة لا تصلح لتفسير جميع مظاهر الكون المعقدة. ثم جاءت نظرية الاثير، فاستحوذت على الاذهان زمناً وحررت مجاحاً لم يعد، ولكنه كان كافياً لحمل لورد كلفن على التصريح بأن «الشيء الذي ندعوه بالاثير النير Luminiferous هو المادة الوحيدة التي نثق من وجودها في علم الحيل dynamics». ان هذا الرأي يحملنا الآن على الحذر كل الحذر من الامور التي نعتبرها في هذا العصر بمثابة الحقائق الراسخة

الا ان السنوات الاخيرة في القرن التاسع عشر أثبتت صدوعاً في الصرح وضعفاً في الاساس. وكان اكتشاف بلانك ان الطاقة ذرات دعاها بالمقادير quanta اهم ما استهل به العصر الجديد، لأنهُ اكتشاف كان يتعذر تعليله بالنظريات القديمة. فلما اقيمت نظرية المقادير على اساس علمي رياضي ظهرت فائدتها في ميادين اخرى من البحث الطبيعي. ذلك ان الصورة الجديدة التي رسمت للذرة بعد اكتشاف الالكترون والبروتون لم تستقم مع مبادئ نيوتن حتى كانت الصورة التي رسمها العلامة بور Bohr على اساس من نظرية المقدار وما اهلّ القرن العشرون حتى ظهرت في علم الطبيعة ظاهرة الثنائية. فقيل اولاً بأن امواج الاشعاع يمكن ان تحسب في احوال خاصة دقائق. ثم قيل ان دقائق المادة يمكن ان تحسب في احوال خاصة اخرى امواجاً. وقد قال احد الكتّاب متهكماً على هذه الثنائية ان الكون مؤلف من دقائق في ايام الاثنين والاربعاء والجمعة ومن امواج في الايام الاخرى. ولكن هذه الثنائية اخذت تزول الآن امام التعديل الرياضي القائم في اساسه على فكرة الاحتمال Probability

وبعد ما وصف الاستاذ فرجوسن الصور المتلاحقة التي رسمت لبناء الذرة انتقل الى البحث في ما يحسبهُ اهم مآثر القرن العشرين في علم الطبيعة اي توحيد الكتلة والطاقة وهو يماثل اعظم مآثر القرن التاسع عشر في هذا الباب اي توحيد الحرارة والطاقة. ثم تتبع ما تمّ في ميادين الطبيعة المختلفة كالمكتشفات الحديثة في الاشعاع الصناعي، والبحث في درجات الحرارة الواطئة والحركة البروانية وتفريق الاشعة بالبلّورات

ومن اهم ما اشار اليه من الناحية الفلسفية مبدأ عدم الثبت الذي قال به الاستاذ هيزنبرج الالماني. فمن المعروف اننا عند ما ندخل عالم الذرّ يصبح من المتعذر على العالم ان يعيّن زخم كهرب ومكانهُ في وقت واحد تعييناً مضبوطاً. فزيادة التدقيق في تعيين احدها تصحبهُ زيادة في خطإ تعيين الآخر. ومبدأ عدم الثبت مقتصر على هاتين الكميتين. ولكن التعميم الفلسفي على اساس

عدم التثبت بهذا المعنى القصور ، فيه مراتب

وما ينطبق على مبدإ عدم التثبت من هذا القبيل ينطبق على مبدإ سببية . فالقول بزوال سببية من عالم الطبيعة ، قول يصح في احوال خاصة ويجب ألاّ نتخذ اساساً لحكم عام

وليس للفكر منفذ من هذا المأزق الاّ بفهم ما قالهُ بلانك وهو ان هناك عالمين عالماً يرى ويُحَسُّ وعالماً يتخيّل او يتصوّر فنحن نعيش في الاول ولكن مهمةُ فهماً مقسماً اخترع لنا عهده الطبيعة صوراً لا يمكن ان يدركها الحس ككالجزيئات والذرات والكهارب .

فالمقاييس المألوفة التي نعتمد عليها تحول دون تنبؤنا بحدوث حادث ما ، تنبؤاً دقيقاً كل الدقة ولكن هذا مستطاع في عالم التصوُّر بمساعدة المعادلات الرياضية العالية . لذلك يحتفظ بلانك بمبدإ السببية في عالم التصور مبيناً ان الصلة بين العالمين عرضة لشيء من عدم الدقة التامة

فالقول بزوال مبدإ السببية يجب ان يصحبهُ دائماً هذا التفريق بين عالمي الحس والتصوُّر

الكيمائيون والغازات السامة

قسم الكيمياء

جعل الاستاذ فيلب J. C. Philip موضوعاً لخطبة الرآسة في قسم الكيمياء «صلة الكيميائي الحديث بخدمة المجتمع» وأنكر الرأي السائد الآن الذي يقرن الكيميائي في الاذهان بذكر المفرقعات والغازات السامة فقال ان هذه الصورة لا أساس لها من الحقيقة فمعظم المكتشفات الكيميائية لأغراض غير مفيدة لا يرجع الى رغبة الكيميائي في الحاق الضرر بالمجتمع بل الى ضعف الطبيعة البشرية وأخيرها غاز الفوسجين اكتشف من نحو مائة سنة وكان لهُ شأن في مرتبة متوسطة من مراتب صناعة الاصباغ والنترات قاعدة معظم المواد المتفجرة تستعمل الاستعمال الأوسع النطاق في تسميد الارض والمتفجرات المصنوعة منها تفيد في التعدين ونسف الصخور عند حفر الانفاق وشق الطرق والترع ثم قال انهُ يعتقد انهُ يعرب عن رأي جميع الكيميائيين في انهم يمقتون أشدّ المقت النزول بالعلم الى مستوى استعماله للتدمير

لا ريب في ان الكيميائيين يلتفون حول حكوماتهم عند الحاجة اليهم مدفوعين الى ذلك بشعورهم الوطني ولكن طائفة منهم أحدث ترى ان البواعث الوطنية يجب ألاّ تتغلب على البواعث الانسانية . ومهما يكن الموقف الخاص الذي يقفهُ كلٌّ منهم ازاء هذه المشكلة فليس ثمة ريب في ان الأوان قد آن لكي يلقي جميع الكيميائيين بوجه خاص والعلماء بوجه عام ، بما لرأيهم من وزن ضدّ الاتجاهات التي تهبط بالعلم والحضارة الى الحضيض وتفسد المعاني الروحية العالية وهي أسمى ما ورثهُ الناس من العصور المتقدمة

إلا أن صناعة الكيمياء ... معلقة كما تقدم ... قد مكنته من معرفة تركيب جزيئات معقدة في المواد الطبيعية ومهدت لتركيبها في المعمل وقد ثبت على يديهم ... تركيب السكر والمواد الشبيهة بالقلويات . وها هي الفيتامينات وأسرار ... حتى تبيح أسرارها للكيميائي العصري . اما في ميدان الفيروسات ، وهي دقائق متوسطة بين الجزيئات وأصغر الدقائق التي تُرى بالمكرسكوب ، فقد كشفوا عن خواص مكنتهم من فهم وجوه التغير الكيميائي الطبيعي في الاجسام الحية . انهم يعلمون الآن ان قليلاً من الرطوبة أو دقيقة من الغبار او اثراً يسيراً من الحامض او شعاعة من الضوء او ارتفاعاً صغيراً في الحرارة ، يؤثر في هذا التغير تأثيراً كبير الشأن . وقد كان التقدم في هذا الميدان من الناحية الوصفية النوعية الى الناحية التجريبية كبير الشأن ظاهر الاثر

الكحول وحوادث الاصطدام

قسم الفسيولوجيا

قال الدكتور فرنون ... ان طائفة كبيرة من سائقي السيارات لا تستطيع ان تتناول مقداراً معتدلاً من الكحول له اي تأثير سيء في تسيير سياراتهم ، بل يدعي بعضهم انه يمكنهم من إجادة تسييرها . وقد طلب وزير النقل الى مجمع تقدم العلوم البريطاني بحث هذا الموضوع بحثاً علمياً ، فعيّنت لجنة لذلك وتلخص رأيها بعد تدبر الموضوع وتجربة التجارب ان مقداراً معتدلاً من الكحول كالمقدار الذي يحتوي عليه قدح كبير من الوسكي له تأثير سيء لانه يضعف من قوة الانتباه والدقة والسرعة في السيطرة على حركات العضلات التي تستعمل في سوق سيارة

إلا أن التجارب لم تجرب مباشرة بسائقي السيارات على الطرق بل بجهاز مثبت في الارض يشبه مقعد السائق وعجلة التسيير وعوامل السيارة وهو جهاز اخترع واستعمل لهذا الغرض في المعهد القومي لعلم النفس الصناعي . وأمام الجهاز صورة متحركة لطريق ، فاذا جلس السائق في المقعد وأخذ العجلة بيديه وعرض شريط الطريق أمامه بدا له كأنه على طريق حقيقية عليه ان يدير السيارة ويخفض سرعتها او يرفعها فتقاس دقة السائق في سيره على الطريق وسلوكه بمقتضى الحالة التي أمامه من سيارات وعربات ومشاة وغيرها ، في مائة نقطة مختلفة على الطريق ثم يؤخذ المتوسط اما السرعة فتقاس بساعة خاصة بذلك

وقد جربت هذه التجارب بعشرين سائقاً ، بعد أن سمح لكل منهم أن يتمرن على استعمال الجهاز قبل الشروع في التجربة . وكانت التجارب تجرب لكل منهم ، ساعة ثم نصف ساعة قبل تناول الكحول . ثم تعاد نصف ساعة

ساعة ساعتين فأربع ساعات بعد تناوله . وقد ظهر منها ان تناول ربع Pint من « البيرا » الخفيفة لا تؤثر تأثيراً ما في مقدرته على تسيير السيارة . ولكنهُ اذا تناول مقداراً من الوسكي يختلف من اوقيتين الى اربع اوقيات (وهو مقدار أكثر قليلاً من قدح كبير من الوسكي) زادت سرعته نحو ٦ في المائة من دون ان يدري وزاد عدد الاخطاء التي يرتكبها ١٢ في المائة . بل ان زيادة السرعة في بعض الاحوال كانت ٢٥ في المائة . فزيادة السرعة من دون ان يدري السائق ذلك يعني انهُ ولا ريب يخطئ في الحساب ، اذا اضطرّ أن يقف فجأة اجتنابا لاصطدام ... يمنع الاصطدام

وعليه اقترح الدكتور فرنون ان يقضي القانون بتجهيز كل سيارة بمقياس دقيق للسرعة والتأثير على السائق للسيارات من لا يتناولوا شيئاً من الكحول في سوق السيارة . ويؤيد عدد التجارب من المباحث العلمية ثبتت ان التأثير الكحول يقع عندما يكون في دم الانسان جزءان من الكحول في كل الف جزء من الدم . ولكن بعضهم يتأثر به عندما يكون مقداره في دمهم نصف ذلك

أخبار علمية متفرقة

تعرض مبتكر

طبيب كهربائي يفحص المرضى

عرضت حديثاً في لندن آلة كهربائية تكشف عن الامراض والعدوى الكامنة في الاجسام البشرية . وقوامها أن الامراض تغير المقدرة الكهربائية للاعضاء البدنية المريضة فتى لمست اطراف الآلة جسم الانسان ، تحركت موجة من النور على مقياس مدرّج مخطوط في انبوب ، فدلّت على مبلغ قوة التيارات الكهربائية الواردة من المنطقة المصابة بالمرض فيتاح للطبيب الفاحص الاهتداء الى موضع الداء ووصف الدواء

الحشرة الجراحة

قلنا في مقالنا « انطيفة رائد اهتزعي » الذي نشر في مقتطف مارس سنة ١٩٣٤ إن الخليقة علمت الحشرات أشياء شتّى وصيف إلى ذلك ما رونهُ مجلة العلم العام الامريكية حديثاً اذ قالت « إن البراعة ، عدا عيبها قاموسها الداني ، معي حديرة بلقب « الحشرة الجراحة » اذ تدس في القوقعة فتلقي عليها مادة مخدرة خبيثة ، فتبرز الموقعة من مكمنها وهي لا تدري شيئاً عما دبّر لاغتيالها ، فتفترسها البراعة حالاً

انسان ميكانيكي
يشرح منافع الآلات لزائري معرضها

اقامت وزارة المدن والعمال في حكومة الولايات المتحدة الاميركية في ولاية تكساس معرضاً مئوياً « للانسان والآلات » وسبت فيه حديثاً جهازاً كهربائياً ذا ساعدين طويلين من المعادن ، يشير بهما اشارات فعلية الى المعروضات ، ويحرك رأسهُ الضخم يمنةً ويسرةً اذ يلقي موضوعات مختلفة لارشاد الجمهور الى الآلات المعروضة ومنافعها . ويؤلف ذلك الجهاز من آلات معقدة (محركها كهربائية) كامنة في جذعه المصنوع بالفولاذ وطول الجهاز ستة اقدام . ويستطيع تحريك شفتيه وذراعيه ورأسه تحريكاً يطابق الكلام الذي يعيدهُ من الاسطوانة المسجلة التي في جوفه ، فيذاع كلامه من الابواق الخفية التي في باطنه اذ يخطب السامعين خطباً عديدة تستغرق كل منها اربع دقائق

•

اشعة رنتجن
تبين عيوب الفواكه وعيوب الخضراوات

تستعمل الآن في اميركا طريقة علمية لاظهار عيوب الفاكهة والخضر قبل عرضها للبيع . وهي وسيلة سهلة مثل طريقة فحص البيض بالشمعة . وذلك بمساعدة جهاز مستقل من اجهزة اشعة رنتجن ، اخترع لذلك القصد ، في جامعة ميسوري بالولايات المتحدة اذ يصور الجهاز باطن الفاكهة فيبين هل هو متعفن أو سليم ، ويظهر هل البطاطسة خاوية او صحيحة وذلك بوضعها في ممر الاشعة ثم فحصها بحجر كشاف يمسك باليد . وان الفاكهة التي تفحص بمثابة نموذج ، لا يحدث فيها قطع ولا خدش ، فلا يخسر صاحبها شيئاً . وقد ينتفع العلماء بهذا الجهاز ايضاً في بحث اسباب عيوب الفواكه والخضراوات ، اذ يمكنهم التوسل به الى معالجتها ، دون قطع الفاكهة من اشجارها أو عروشها التي تنمو فيها . فتوجهت انظار وزارة الزراعة وكبار الزراع ومصدري الفواكه الى اوربا ، الى شراء بعض هذه الاجهزة والانتفاع بها

•

منفس صناعي لحياة الغرق

اخترعت في فرنسا من عهد قريب آلة ميكانيكية لانقاذ الغرقى تقوم بعملها بالتنفس الصناعي اوقاتاً طويلة لتمد حياة الغريق دون ارهاق منقذه (عند قيامه بعملية التنفس الصناعي لاحيائه) وذلك ان يرقد المصاب منبطحاً على ان تسند جبهته الى مسند مغطى بالكاوتشوك ويحزم وسطه بسير من الجلد وتسلط عليه الآلة وهي بمثابة طلمبة تدار باليد من فوق الى تحت فتجعل الحجاب الحاجز للمصاب يتحرك ، فيرغم على القيام بوظيفته في التنفس الطبيعي حتى ان يهتم اولو الامر منا بشراء بعضها لتستعمل في شواطىء الاسكندرية وبورسعيد والسويس وغيرها من اماكن الاصطياف

منافع الشعر البشري

في الصناعة

يستعمل الشعر البشري بمثابة مصفاة لتصفية زيت بزرة القطن الذي يستعمل للتغذية والطبخ وذلك لأن شعر الانسان شديد المتانة اذ تحتمل المصفاة المرفوعة منه ضغط ستة أطنان

*

يأكلون الولائم حتى أطباقها

وسكاكينها ليريحوا ربة الدار من غسلها !!

صنعت حديثاً في اميركا أطباق المائدة وفناجين وسوملات[1] للقهوة من السكر المبلور «المعروف عند العامة بمصر باسم السكر النبات» بمثابة بدعة تقدم في المآدب الخاصة ، والولائم العامة اذ يستطيع الضيوف عند تناول المأكولات الشهية التي تقدم لهم فيها ، أن يأكلوا الأطباق ايضاً بمثابة بدعة اضافية من مواد التفكه

وطريقة صنع تلك الأدوات السكرية الصالحة للأكل ، أن يصب محلول السكر الساخن في قوالب مشكلة بشكل الاطباق والصحون فتتخذ أشكالها وتتصلب فتصبح حلوى صالحة للأكل بمثابة سكر مبلور حقيقي فاذا لم يقنع الضيف بأكل الاطباق والصحون ، استطاع أكل السكاكين ايضاً لأنها تصنع من المادة نفسها . وهكذا مما يريح ربة الدار من غسل الاواني . فهنيئاً لاولئك الضيوف ومرحى !!

[1] السوملة — تعني به الصغيرة —

كشف اوكسيد الكربون

في منازل المجارير وأمثالها

تستعمل في الولايات المتحدة الامريكية آلة تدل على سطح وجود غاز اوكسيد الكربون في تجاويف الشوارع التي ينزل فيها العمال لترميم اسلاك التليفونات الارضية لأن ذلك الغاز الخطر السام العديم الرائحة كثيراً ما يهلك العمال عند استنشاقهم إياه فيتقون غائلته بحمل أنبوب مختوم يحتوي على محلول كيماوي على أن يلف الانبوب بالقطن ويغطى بظرف من الظروف الشفافة ومتى شرع العمال في النزول في أي منزل من منازل الحفر المشار اليها ، كسروا الأنبوب وعلقوه في منزل الحفرة عشر دقائق فاذا ما كانت الحفرة المزمع النزول فيها محتوية على اوكسيد الكربون ، رسبت المواد الكيماوية بمثابة مسحوق اسود على القطن . ومتى رفع القطن الى سطح منزل الحفرة ، يقابل لونه ، أسود كان أو سنجابياً ، بالالوان المثبتة على الخريطة القياسية للالوان ، فيتبين مقدار الغاز الذي في الحفرة . وعند روده الجو تدفأ الحفر بمدفئات كهربائية لكي تعجل التفاعل الكيماوي الواجب حدوثه . وتستعمل لتلك الغاية ايضاً مصابيح السلامة

حبذا التصرف اذا اشترت مصلحة التلفونات ومراكز المطافئ في القاهرة والاسكندرية والارياف ومصلحة المجاري كمية من هذه الآلات

هل تحل انابيب جيسلر محل الضوء الكهربائي ؟

ما برح مهندسو الاضاءة في اميركا منذ سنين ينشدون الضوء الصناعي الكامل (انظر مقالنا في النور البارد المنشور في هذا الجزء من المقتطف) الذي يشبه ضوء الشمس الطبيعي اي الضوء الصناعي المؤلف من مزيج عدة ألوان تضارع الالوان التي يحويها ضوء الشمس اذ ان ضوءها الباهر الذي ينبثق من الجو الشمالي في ربيع اشهر الصيف مكون من مزيج ٣٢ ٪ منهُ احمر و ٣٢ ٪ منهُ اخضر و ٣٦ ٪ منهُ ازرق . اما اصلح الاضواء التي انتج لا ولئك الخبراء تركيبها في الانابيب الكهربائية العتيقة فتؤلف من مزيج ٢٨ ٪ منه ازرق و ٣٦ ٪ منه احمر و ٣٦ ٪ منه اخضر

بيد انه قد اخترعت حديثاً وسيلة جديدة تنير نوراً طبيعيًّا يكاد يبلغ حد الكمال ، ولا ينقصهُ الا درجتان (كما وصفتهُ مصلحة المقاييس الاميركية) وهو ثمرة مباحث خمس سنين قام بها علماء الطبيعة والمهندسون في مدينه سيتل بواشنطون ، الذين شرعوا في اختراعه ورائدهم ان النور الذي يتولد من غاز الحامض الكربونيك التي يشتمل على نسب الالوان عينها التي في الضياء الطبيعي . وانهُ اذا سلط تيار كهربائي شديد (قوة الف فولط أو اكثر) على انبوب زجاجي مملوء بغاز الحامض الكربونيك النقي ، انبثق من الانبوب ضوء نير ، بارد رائق خال من التشويه وقد اخترع نصب كهربائي خاص يحول دون ضعف ذلك التيار . وأتيح الحصول على ذلك التيار الكهربائي الشديد بضغط جهاز محول للتيار الكهربائي transformer بسيط ، كالمستعمل في انابيب غاز النيون « أنابيب جيسلر » المستعملة في الاعلانات ، وهو غاز يفوق المستعمل في البيوت ودوائر الاعمال . ويكون الانبوب الذي يملأ بغاز الحامض الكربونيك خالياً من السلك الشعري اللازم للاشتعال فلا يسخن ولا يشقق وفي المعامل الكيميائية هناك عدد من الانابيب السابقة الذكر أضيئت اكثر من خمس سنين متوالية فلم تضعف . ولذلك أخذت المصانع تسير على غرارها . ومتى تصنع منها المقادير الكافية ، ستظهر في الاسواق

الكهربائية المخية تسجل على الشريط

ذكرنا الكهربائية للتربة في مقالنا معجزات الكهارب الذي نشر في مقتطف يوليه سنة ١٩٣٤ وقد اخترعت في أمريكا آلة علمية تسجل التغيرات التي تحدث في الدماغ في أثناء راحة المرء وشغله ، وذلك بمثابة أمواج كهربائية تدوّن على شريط . ويستدل بها ان للنوم والاغماء ونوبات الصرع أمواجاً تختلف عنها في حالات اليقظة وسلامة الابدان والتفكير السوي في حل المعضلات العلمية وللآلة إبر توضع في أذني الشخص المراد فحصه وفي فروة رأسه فتلتقط النبضات الكهربائية التي تجول فيها، فتوصلها الى الجهاز المضخّف لها ومن ثم تصل الى القلم المسجل فيسجلها على الشريط المشار اليه



سعد زغلول

سيرة وتحية — تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد — مطبعة حجازي بالقاهرة
٦٢٨ صفحة بقطع المقتطف — ثمنه عشرون قرشاً صاغاً

مما لا ريب فيه ان الترجمة لعظيم من العظماء بغير « عطف ومساجلة شعور » لا يمكن ان تخرج صورة حية ناطقة لشخصية المترجم له، بل تنحصر عندئذٍ في تقرير موضوعي للوقائع والحوادث، وليس بالنادر في سير العظماء ان يميل مثل هذا النحو من التقرير الى رأي فيهم هو غير الحقيقة او دونها على الاقل، بل هو حتماً يقصر بالمؤلف عن ادراك مرتبة الفهم لشخصية العظيم. والترجمة بلا فهم صدفة قد يدرك شكلها الخارجي وتلألؤها من الداخل، ولكن اللؤلؤة ليست فيها حتماً فالذي يهمه المؤرخ المحرّر، هي يد المترجم الذي تربطهُ بموضوعهِ رابطة العطف ومساجلة الشعور، فتندمج في ذهنهِ عناصر تلك الحياة كما رآها عامة الناس وكما استشفها لصحب الادمون، ثمَّ تنطلق الريشة في رسمٍ كامل او هو في طريقهِ الى الكمال

لذلك قال الاستاذ العقاد، انهُ انصف المؤرخ ولم يسكت الصديق

وكأنهُ شاء ان يسبق المعترض بأن الصديق قد لا يأمن العثار في حكمهِ، لشدة اعجابهِ بشخصية من يترجم لهُ، فردَّ عليهِ بقولهِ انهُ لم يثبت « حرفاً في هذه السطور الاّ الذي اعلم انهُ صحيح لا شبهة عليهِ »

***

في إمكانك أن تقسم الكتاب الى ثلاثة اقسام بوجهٍ عام. فالقسم الأول يترسَّم نشأة صاحب هذه العبقرية المصرية القوية من مهدها الى مطلع الثورة. والثاني من مطلع الثورة الى يوم الوفاة وفيه تندمج سيرة سعد بتاريخ مصر بعد الحرب الكبرى. والثالث ينطوي على نظرات عامة في حياتهِ الخاصة وخلقهِ وثقافتهِ وآثار زعامتهِ

في القسم الاول وفي الفصول ٣ و ٤ و ٥، كلام في أصل سعد وجيلهِ وبيئتهِ التي نشأ فيها. وقد حقق الكاتب موضوع أصل زغلول تحقيق مؤرخ بحاثة، فأنكر بالبرهان ما قيل فيهِ من نسبتهِ إلى المغول والترك أو إلى البدو أو العرب أو إلى العائلة البدوية التي دخلت من مصر إلى

المغرب في الفتوح الاسلامية الاولى ثم حلت راجعة بعضها الى الصعيد وبعضها الى اقليم البحيرة . وقد كشف في تحقيق نسبته مغربية عن قصة وضعت لأغراض قضائية سياسية ، « وضعها محام عتيق من أصحاب الحيل الذهنية والاساليب المستطرفة في تخليص لعملائه) على طريقة تلك الايام » وهذه العبارة الأخيرة من قلم سعد نفسه

فعند ما رد المؤلف هذه الاقوال ، واستند إلى بعض المبررات التشريحية ، في تأكيد ان سعداً من أصل فلاح، اعتمد ونحن معه في هذا الاعتقاد ، على مميزات سعد النفسية في تقرير ان اصله فلاح . قال : « ان مزايا سعد جميعها كانت مزايا المصري القروي بلا استثناء خصلة من الخصال ولا حلية من الخلال ولا خلق من الاخلاق . فهو في خلائقه العملية وفكاهته الحاضرة واعتداده بالاسرة وكرامته للعلية وايمانه بالغيب مصري فلاح من طينة المصريين الفلاحين . » وقد جاء هذا الكلام بعد فصل بين فيه المؤلف كيف تعمر الطينة المصرية بالاصالة بهذه المميزات

وقد بذل المؤلف جهداً في معرفة السنة التي ولد فيها سعد فلم يوفق الى اكثر من الترجيح قال : ولا نعلم من سجلات المواليد تاريخ ميلاد سعد فلا غنى لنا في إثباته عن الترجيح دون التحقيق . والارجح انه ولد في ذي الحجة سنة ١٢٧٤ هجرية (اي في يوليو سنة ١٨٥٧ ميلادية) لانه التاريخ الذي ذكره سعد لبعض سائليه

اما البيئة التي نشأ فيها سعد فكانت البيئة التي تلائم ظهور الشخصية القوية ، في رجل مفطور على أتم ملكاتها فالجيل الذي نشأ فيه سعد كان جيلاً قوي الايمان واسع الحكم في شؤون الدنيا والآخرة ، متململا من الظلم وشيوع الخراب والفساد في أعمال الحكومة ومرافق الرعية متنبهاً الى دعوة الحرية في الغرب وشعاع الانباء بالثورات انتصافاً للشعوب وذوداً عن حقوق الأفراد ، فرجحت قوى النفوس في ابناء ذلك الجيل وفي طليعتها الحمية وشدة الشكيمة والصرامة وهي صفات لا غنى عنها في عصور الوثوب والاصلاح

والأسرة التي ولد فيها وترعرع ، أسرة تقيم على وزن للحرم والمروءة وتحافظ على كرامتها امام الظالم لا تخشى بأسه . وقد روى المؤلف حادثة وقعت لوالد سعد الشيخ ابرهيم يتجلى فيها هذا الخلق الكريم . فاذا أخذنا بمذهب اهل النفس من تأثير هذه الحوادث في نفوس الصغار حتى تصبح الاساس الذي ينهض عليه بناء اخلاقهم شباناً وكهولاً علمنا ان تلك النواحي الخلقية من عظمة سعد التي تجلت ايام ولايته وزارة المعارف وعاطفته في هدوء وكبر على مقام الوزير أمام المستشارين والمرؤوسين من الاجانب مردها إلى هذه الحادثة وما كان على غرارها

ثم هناك الأم التي تولت تربية أطفالها ، بعد وفاة زوجها وكان سعد لا يزال في السادسة من عمره فكانت تعرف كيف « تخلو بالقسوة كما تخلو بالرحمة وعرفت كيف تغض عنه كما تهش له »

وقد قال سعد فيها «ان الحق والذي هو الذي يتحلى بهما قدم او اثور . اما المرحومة والدتي فقد عرفت بين اهلها بالحكمة والدهاء والقدرة على ضبط النفس فكانوا يحتكمون اليها فيما بينهم من خلاف ويرجعون اليها في المصايب وانما كل هذا هو حق والذي الذي تحطه في عدد من روحي اشير «المزيث والامانة»

ان في هذه وراثته الطبيعية والاجتماعية ، لا بد ان يظهر اثر الاقران . وكذلك كان سير سعد زغلول من ايامه الى الازهر الى المحاماة الى القضاء الى كرسي الوزارة . سير من ركزت في حسه وتربيته عناصر العظمة الحقيقية . فهو في الازهر وعمره لا يزيد على الرابعة عشرة او الخامسة عشرة ، يختار « الفريق الذي يجتمع عيبه وسعد على رأيه في الاختيار » . وهو في المحاماة يعرف كيف يصون كرامته ويصير اهلاً لمباشرة الامراء والاميرات في عهد كثر فيه « التحيص على القضايا » باساليب وحيل لا كرامة فيها ولا فضل . وهو في القضاء مثل يضرب في الاستقامة والنصفة للمظلوم وقوة الحجة وصخرة ثابتة تتكسر عليها موجات الطامعين . وهو في الوزارة كما هو مشهور ، مثال حي لما قاله فيه كرومر عند سفره : « ان سعد زغلول قدير شجاع في عقيدته وقد علمي كيف احترمه » . وقد اقام المؤلف الحجة على ان تعيين سعد وزيراً للمعارف انما كان تسليماً من الاحتلال للوطنية المصرية ولم يكن تسليماً من الوطنية المصرية للاحتلال . ولا ريب في ان النوادر التي تروى عما وقع له وهو يتولى منصب الوزير في وزارة المعارف يجب ان تكون جزءاً من التربية الوطنية العامة في مصر

ولعل الاعتراف بالخطإ اعترافاً صريحاً امام الاقران من سير ما يتصف به الرجل المعوي . وسعد لم يحاول ان يستر خطأً وقع فيه في وزارتي المعارف والحقانية . قال في خطبته بالجمعية التشريعية « . . . عرض علي قانون المطبوعات فعارضت فيه اولاً ثم لم البث ان وافقت عليه واشتركت في تطبيقه لظروف بررتها في ذلك الوقت لنفسي وها انا اليوم نادم على ما فعلت بالامس »

اما موقف سعد بعد اعتزاله الوزارة وعقده النية على العودة الى المحاماة ، على غير ما جرت به عادة الوزراء الذين يعتزلون الحكم في تلك الايام ، ثم عزمه على ترشيح نفسه للجمعية التشريعية على ما في دستورها من تضييق ، وما اجاب به الشيخ المنفلوطي عندما سأله « ما تستفيده يا مولاي من اجهاد نفسك في شؤون قلما تنال فيها الاغلبية في الجمعية » فقال سعد : « اني لا اخطب في الجمعية وحدها بل في الامة جميعها ولا اخاطب الحاضر وحده بل اخطب المستقبل ايضاً » كل هذا موقف الرجل يدرك قوته ولا يهوله مخالفة العرف الذي جرت به تقاليد الضعف والخمول

كانت الحرب الكبرى ، وما اصيبت به البلاد المصرية من آثارها وويلاتها ، مهد سبيلاً فيه البواعث المباشرة للثورة المصرية . وعندما شرع في تأليف الوفد المصري ، للمطالبة بحقوق مصر

ورفع الحماية ، اندمج تاريخ سعد زغلول بتاريخ الثورة والسعي للاستقلال وهذا هو القسم الثاني من الكتاب ، وقد جرى فيه المؤلف على تتبع الحوادث بحسب تاريخها مبيّناً نصيب سعد فيها وما كان لملكات سعد العقلية والخلقية من تأثير في توجيهها ، ولعلَّ هذا الجانب من الكتاب افضل تاريخ موجز للثورة المصرية كتب حتى الآن وان كان الاوان لم يئن بعد لكتابة التاريخ الوافي ، لاسباب يعرفها المؤرخون وفي مقدمتها ان الوثائق الرسمية حيناً ومذكرات الاقطاب الذين كانت لهم يدٌ فيها لم تنشر بعد ، وان ذكر الخلافات الحزبية لا يزال حيًّا في النفوس ، لا يؤمن معهُ اشتراك الحكم او الانحراف فيه على غير وعي . ولكن المؤلف كان عند عهده بان لا ينشر الاَّ ما يعلم انهُ صحيح لا شبهة عليه وتفسيره للحوادث المقرَّرة مشبع بروح النصفة والاعتدال

ولا تتم صورة الرجل العظيم الاَّ اذا اضيفت اليها خطوط تمثل حياتهُ في بيته وعنايتهُ بنواحي الثقافة الخاصة من ادب وعلم واجتماع وهذه الموضوعات وإن انها نالت من عناية المؤلف قسطاً وافراً ، وفي ما يضعه منها تتوافر صفات العظمة التي برزت واشتهرت في سعد محامياً وقاضياً ووزيراً وزعيماً قومياً . وما يرويه في هذا الصدد من اقوال سعد ونوادره ، جدير بان يردَّد ويعاد ترديده ، فالخلق العالي الشرق فيها جميعاً من احوج ما نحتاج الى بثه في نفوس الجيل ، ومفخرة سعد ان الرجل الرجل فيه كان سبيله الى مكانة الزعيم

الجيش المصري في حرب القرم

تأليف سمو الامير الجليل عمر طوسون

صفحاته ٢٠٠ من القطع الكبير — مزدان بخارطتين وأربعة خرائط وعدة صور

كانت المعاهدة الانكليزية المصرية سبباً في الاهتمام بمستقبل الجيش المصري بعد ما اطلقت المعاهدة يد مصر في زيادة عدده وتحسين عدده ورفعه الى اسمى مرتبة بين مراتب الجيوش العصرية ومن محاسن الاتفاق ان حضرة صاحب السمو الامير العالم والمؤرخ الجليل عمر طوسن كان يشتغل في اثناء ذلك باحياء صفحة مجيدة من صفحات تاريخ هذا الجيش جامعاً ما عثر عليه من وثائق عن الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم وهي التي دارت بين روسيا والدولة العلية وبعض دول اوربا في منتصف القرن التاسع عشر واشتركت مصر فيها

فقد تفضل سمو الامير الكريم وأهدى الينا نسخة من كتاب « الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم» وهو ثمرة جديدة من ثمرات فضل الامير على البلاد ومفاخرته بجيشها وأشادته ببسالة هذا الجيش وتخليده لذكرى آثار هذه البسالة بشتى المصنفات والبحوث العلمية والمقالات التي تنشرها الصحف لسموّه

والكتاب الذي نحن في صدده مصدر شهيد عمّا نصت به الفرمانات السلطانية التي كانت

تسود علاقة مصر بتركيا من وجوب اشتراك جيش مصر البري والبحري في حرب القرم وما رأه سموه من الفائدة من بيان «قصة هذا الاشتراك الذي انتهى بصورة مشرفة تام التشريف لجنودنا». ثم اتبع هذا التمهيد بلمحة تاريخية عن شبه جزيرة القرم وكيف انها كانت محكومة «بتتر» ثم ضمتها روسيا اليها وما كتبه ابن بطوطة الرحالة الشهير عنها واصفاً مدنها وسلطانها

وانتقل بعد ذلك الى ذكر السبب المضمر لحرب القرم وهو طمع روسيا في الاستيلاء على الاستانة (استانبول) والسبب الظاهر وهو شجار حدث بين رهبان الاغريق ورهبان الاراضي المقدسة وتشديد روسيا على الدولة العلية لكي تقف الى جانب رهبان الاغريق لانهم مشمولون بحمايتها ورفض الدولة العلية هذا الطلب وما كان من اعتداء روسيا على ملدوى تابعة للدولة في البلقان — هي الآن رومانيا — حتى اضطرت الدولة الى شهر الحرب عليها في عهد السلطان عبد المجيد

وعلى أثر ذلك طلبت الدولة من عباس باشا الاول والي مصر ان يرسل اليها نجدة عسكرية فأرسلت اليها نجدتان احداهما في عهد عباس والثانية في عهد سعيد

وهنا اسهب سمو الامير في وصف الحملتين واعدادهما للسفر فذكر اسماء قوادهما وكيفية تأليف كل منهما وعددها ضباطاً وجنوداً وعمالاً وأنواع السفن الحربية وعدد رجالها كذلك . وقد استقى سمو الامير هذه البيانات الدقيقة من سجلات دار المحفوظات المصرية ونشر كثيراً من الاوامر والوثائق مما تلذ قراءته

وبعد ما تتبع سموه ادوار الحرب ووقائعها الى نهايتها نقل ما كتبه النقاد الحربيون والقواد العسكريون من الاجانب اطناباً في مدح الجنود المصريين واعترافاً بما اتصفوا به من شجاعة وقوة حتى فضلهم بعض الكتاب على الجنود الترك في تلك الحرب

وقد خسرت مصر في الحرب المشار اليها نصف الحملة التي ارسلتها اليها وكثيراً من سفنها علاوة على ما امدت به الدولة العلية من اموال طائلة

وقد وضح سمو الامير في هذا السفر ان مجموع الجيش العامل في مصر في عهد عباس الاول كان اكثر من ٩٢٠٠٠ جندي مع ان ميزانية الحكومة اذ ذاك كانت اربعة ملايين جنيه

وفي الكتاب عدة صور لقواد مصريين ولمناظر الاسطول المصري وجيش الحملة في مواقف متنوعة وفيه كذلك خرائط وفهارس مفيدة

فنقدم الى سمو الامير المحقق والمؤرخ المدقق اجزل الثناء على عمله وما يسديه من اياد بيض لتاريخ مصر وجيشها ونسأل المولى ان يمد في حياته لتكثر مآثره العلمية والتاريخية وتتمتع الامة بآيات بحثه واطلاعه وخدماته الجليلة التي يبذل لها من ماله ووقته وجهده بذل كريم وسخاء

نظم التعليم المركزية

في التعليم في مصر الحديثة — باللغة الانكليزية

تأليف الدكتور روس جونز ... عميد كلية الآداب والعلوم بالجامعة الاميركية بالقاهرة —

مع ... صفحة — ثمنه ٥٠ قرشاً مصاغ

ليس هذا الكتاب بحثاً في التعليم في مصر وحسب ، ولكنه علاوة على ذلك سفر علمي جليل في التربية ، يجد فيه القارئ دروساً قيمة في صناعة التربية ، والادارة العامة ، ونظام التعليم ، والتربية المقارنة ، والتربية وراء الحياة الاجتماعية . فكأن المؤلف وهو يحلل نظم التعليم في مصر هذا التحليل الدقيق ، في ضوء فن التربية الحديث ، اتخذ مصر مركزاً لبحث تفرعت منه بحوث ، وتخور تدور حوله سلسلة وافية من الموضوعات ، التي يعنى بها كل من يتصل بالتعليم في شتى نواحيه ، فسواء أكان القارئ مصرياً ام يابانياً ، انكليزياً ام فرنسياً ، المانياً ام اميركياً ، هندياً ام صينياً ، فانه يجد فيه مسائل التربية المتشعبة التي تعترض المربين هنا وهناك ، بهذه الكيفية او تلك ، مستعرضة محللة ، معلقة تعليقاً علمياً على بلد يتأهب للنهوض ، ويستجمع في حياته العلمية والاجتماعية الى الوثوب

استهل المؤلف الكتاب بمقدمة تاريخية تناول فيها بعد شكل موجز في تاريخ مصر الحديث وحياتها السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية ثم اعقب ذلك بتمهيد وصفي للدرجات التعليم في مصر وانواعه ، فتكلم عن التعليم الديني ، فالاولي ، ومن ثم الاوربي ، اي ما يشمل الابتدائي والثانوي والعالي ، وما يتعلق بهذه جميعاً من ادارة ونظم

واستطرد بعد ذلك البحث بلغة متينة عذبة ، وحجة واضحة قوية ، في اثر الازهر في تدريس اللغة العربية خاصة ، وطرق التدريس عامة ، واثر كل من الثقافتين الفرنسية والانكليزية في السياسة التعليمية في مصر . وخرج من هذا الباب الى جولة في المركزية وعيوبها فتحدث الينا عن طبيعة التربية وفلسفتها والمناهج والاستذكار والامتحانات ثم حلل المركزية وطبيعتها ومزاياها وعيوبها

ثم ختم هذا السفر النفيس باقتراحات بسط فيها آراءه في علاج نظم التعليم الحاضرة مسترشداً بأحسن ما في البلدان الراقية ونتائج التجارب العلمية وأحدث النظم في اميركا وأوربا

يدرك كل من طالع هذا الكتاب لاول وهلة ان المؤلف قضى سنوات عدة في مصر وسبر غور التعليم فيها كمعلم بكليته واختصاصي في التربية غير اننا لا نذكر ان اجنبياً او مصرياً عالج موضوع المركزية في هذه البلاد بهذه الطريقة الفنية وبهذا الاسلوب الاحصائي ، وبتلك الادلة والشواهد والحجج القوية ، وبذلك العلم الغزير الخاص

محاضرات في التربية والتعليم

تأليف واصف البارودي — مفتش معارف في الحكومة الانتدابية — الجزء الثاني صفحاته ١٦٢

لعلَّ أفضل ما تقدم به هذه المجموعة النفيسة من المحاضرات كلمات مقتبسة من مقدمة الكتاب بقلم الاستاذ بولس الخولي رئيس دائرة التربية في جامعة بيروت الاميركية . فهو خبير في الموضوعات التي يعالجها المؤلف ورأيه فيها له وزن واحترام قال ان المؤلف « بعد أن تعلّم وعلّم سافر الى فرنسا للوقوف على اعمال المربين هناك فالتحق بالمعهد التربوي المعروف في سان كلود وكان يحضر محاضرات التربية في السوربون ومن توفيقه انهُ في غضون السنة المدرسية في سان كلود كان يصطحبه مفتشو المدارس في دوراتها التفتيشية في باريس وروان والهافر وغيرها وبذلك تأهب للقيام بأعباء وظيفته التي تقلدها في ادارة المعارف الثانية من السنة ١٩٢٩ خير تأهب» وهو على الرغم من مشاغله الادارية ما زال وثيق الصلة بمباحث التربية المستحدثة في الغرب

قال الاستاذ خولي . والذي ارتحت اليه خصوصاً … ص الاستاذ العربي ومراميه القومية ناهيك بالمامه بأحدث الحقائق التربوية من وجهات علم النفس واساليب التعليم وأهداف المدرسة ومكانة المعلم في المجتمع فان الذي يقول « ان التربية الصحيحة هي تلك التي تبث في الولد روح الرغبة في العمل » يضرب بقوله هذا على كل من يحاول ان يعلم الولد بالرغم منهُ . . . . » والذي يقول « ان مساعدة الولد على ابراز نفسه وتحقيقها هو المحور الذي تدور حولهُ كل اعمال التربية في عصرنا هذا » … « ان المدرسة لم تعد للتعليم وانما هي للتربية . وانما الفرق بين مكانته (العلم) في المدرسة التقليدية ومدرستنا الحديثة هو انهُ هدف في تلك ووسيلة في هذه . ان الهدف الاسمى في نظرها هو التربية » . « وان المدرسة التقليدية تعلم كتباً وتحشو أدمغة اما الحديثة فتنمي ملكات وتعدُّ للحياة » — ان من يقول هذه الاقوال وشباهها ويعيدها في محاضراته ، انما هو رسول خير وفلاح يعمل بقول النبي العربي الكريم « ما آتى الله عالماً علماً الا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين ان يبينوهُ للناس ولا يكتموه »

ان جميع المحاضرات التي تشتمل عليها هذه المجموعة ، ترمي الى بسط هذا الرأي الحيّ في التربية . وهي على اختلاف موضوعاتها — « الصلة بين التربية والأدب » . « القراءة والعلم والقرية » « الغرض من المدرسة في القرى » ، « الثقة في التربية » الخ — تجمع بينها هذه الفكرة التي أخذ المؤلف في الاعراب عنها في الحلة التي وضعها تحت العنوان على غلاف الكتاب وهي : « ليس باستطاعة العلم ان يطوّر أمة أو ان يكيّف فرداً ، الا اذا تمثلهُ ذهن الفرد وامتزجت به روح الأمة بحيث يصبح تحويل فكرته الى عمل منتج يتلاءم مع احتياجات المجتمع امراً طبيعياً لا تكلف فيه »

الريف في شعر أبي شادي — أدبي

الاول مجموعة اختارها من شعر أبي شادي محمد عبد الغفور في ٩٤ صفحة من قطع الكبير — والثاني مجلة أنشأها الدكتور ابو شادي في ١٢٠ صفحة — حجم متوسط مصور

ليست شخصية الدكتور أبي شادي بالشخصية التي يتناولها القلم في سطور أو يلم بها في عجالة قصيرة كهذه وقد تنوعت مطامح هذه الشخصية واختلفت وجهاتها نحو كل مطمح

ولقد كان من الخير الذي أتاحهُ الله لأدبنا وجود مثل تلك الشخصية بنواحيها المتعددة لنا من قبل ولئن أبو شادي وجههُ شطرها الأمزج روحه بروحها ولونها بأصباغه وطلاها بألوانه

وكان من وراء اشتغاله بشؤون الفلاح وعنايته بترقيته وادخال العناصر الجديدة من الحياة الى بيئته وإصدار مجلات ثلاث لصالحه أن امتزجت أغانيه بأدبه وارتبطت مقاصده عنه فأحدث في الشعر العربي صوراً جديدة تمثل الريف المصري أجمل تمثيل وتنقل الينا حلاوة الريف وسحره في ربيع وقيظ . ولأبي شادي ريشة صادقة في تصويرها لا تترك دقيقة من ملامح مرئياتها الأعقلها مستعينة على ذلك بنظرة صادقة نفّاذة

وقد أحس الاستاذ محمد عبد الغفور — وهو من رجال وزارة الزراعة عاش في كنف الريف ردحاً حبيباً به لتسرب جماله وتعرف أسراره — الى الأدب المصري إذ لمس في شعر أبي شادي عن الريف وأحبه الروح الصادقة فأخرج للناس هذه المجموعة شاملة أحسن النماذج من شعره وكان من وراء هذا أن التفت كثير من الشعراء الذين نشأوا من الريف الى موطنهم فعمدوا الى تصويره محتذين هذه الخطوة الموفقة التي نأمل من ورائها تحبيب الريف لأهله والدعاية له والأخذ بناصر اللغة والادب بين طبقة المزارعين

هذه كلمة صغيرة عن مجموعة من شعر ابي شادي في ناحية خاصة . اما كلمتي الأخرى فعن مجلته الجديدة « أدبي » التي يصدرها مؤقتاً مرة كل ثلاثة شهور . وقد صدر منها مجموعتان

وهذه المجلة ميدان فسيح لآراء هذا الشاعر ولأفكاره ولنظراته يلمس فيه القارئ اتساعاً في التفكير وصدقاً في الرأي والتعبير واخلاصاً للفن وانطلاقاً وراء الحق والجمال . . .

وإنا نأمل أن تثير هذه المجلة حركة طيبة في الادب كالحركة التي مهّد منشئها عند دعوته الى تكوين (جمعية أبولّو) وأصدر من أجلها تلك المجلة الشعرية الأولى من نوعها والتي كانت مسرحاً طيباً دفع بالشعر العربي الى نهضة عجيبة لم تحدث من قبل وصدر في عهدها عدد من الدواوين لم يسبقها في الكثرة عهد ، ثم توقفت تلك المجلة عن الصدور وخمدت على أثرها تلك الجذوة التي اشتعلت حيناً ولست أريد في هذه الكلمة الصغيرة التي لا تفي هذا الرجل حقهُ إلا التنويه بهذه الجهود الجبارة التي يبذلها في سبيل وطنه ولغته في ايمان وصدق عزيمة واحتمال لصنوف من الأذى وضروب من الجحود والانكار

الصيرفي

المستشرقون والاسلام

تتبع حضرة الدكتور حسين الهراوي مفتش صحة قسم مصر القديمة ما كتبهُ المستشرقون عن الاسلام ونبيه ورد على اقوالهم مستنداً الى اصول علم النفس والطب وحالة العرب الخلقية والنفسية وقد أصدر السيد محي الدين رضا المحرر بالمقطم كتاب الدكتور في حلة قشيبة فجاء حاوياً لسيرة النبي العربي منوهاً باعماله الجليلة وفضائل الاسلام مما دل على سعة علم الدكتور وقوة حجته والكتاب يقع في ١٠٨ صفحات بقطع المقتطف وثمن النسخة منهُ خمسة قروش وهو يستحق عناية رجال التعليم في المدارس الاميرية والجامعة الازهرية فنوجه اليه الانظار

(سلماي) بقلم الاديب يوسف الخال — صفحاتها ١٣٥ — من القطع الوسط — طبعت بمطبعة اللواء في طرابلس الشام رواية ادبية اظهر فيها المؤلف ناحية من الحياة الاجتماعية السورية كان يكون الشاب فقيراً عاطلاً من العمل فتسد في وجهه طرق الزواج ولفتاة بفضل المدنية الحديثة انعدمت فيها تلك العاطفة الزوجية التي تربط الفتاة مع الفتى برباط الحب العذري واستبدلت الى حب مادي سلبي أناني لا اخلاص فيه ولا أدب ولا روح — والرواية مقدمة بكلمة طيبة عن فن الرواية في الادب السوري

(شعراء الغري) — الجزء الاول بقلم عبد الصاحب الدجيلي — صفحاته ٨٤ صفحة من القطع الكبير — طبع بمطبعة الراعي في النجف — العراق

يحوي هذا الجزء مجموعة تراجم موجزة لطائفة كبيرة من شعراء القرون الغابرة كالجاهليين والمخضرمين والاسلاميين وغيرهم وكتب مقدمته الاستاذ الشيخ عبد الحسين الحلي

(حوض البحر المتوسط) — تأليف رفيق التميمي وسعيد الصباغ — صفحاته ١٢٠ صفحة من القطع الكبير — طبع بمطبعة الكشاف ببيروت يحتوي على فصول مطولة مشروحة شرحاً وافياً ومزينة بالصور عن جغرافية بلاد فلسطين وشرقي الاردن وسائر البلاد السورية وبلاد حوض البحر المتوسط المشابهة لها بالمناخ والنبات

وهو وفق منهاج الصف الثالث الابتدائي لادارة معارف فلسطين وترغيباً في مطالعته جعلت مواضيعه شبه رحلات لذيذة مشوقة يستسيغها الطالب الصغير بكل سهولة وهو مزين بكثير من الصور والخرائط تسهيلاً لتفهم الدرس

(الحبشة) تأليف ياسين الحوي وداود الكريتي صفحاته ١٦٢ صفحة من القطع الوسط — يحتوي هذا الكتاب على جغرافية الحبشة وتاريخها وأخلاق اهلها وعاداتهم والاداب والفنون وعلاقة العرب بالاحباش قبل الاسلام وبعده

صفحة من كتاب شرح تشريح القانون لابن نفيس
الوارد فيها الدورة الدموية الصغرى

الصفحة الرابعة من رسالة « الرجل الكامل »
لابن نفيس

حديقة المقتطف

استهلال زرادشت

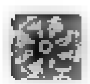
للفيلسوف الالماني فردريك نيتشه

نقلها خليل هنداوي

معبودتي الشمس !

للشاعر الصيني يونه نوغيشي

نقلها رياض معلوف



الغزالات — تصوير فلاسكير —

الزهرة (فينوس) — تصوير فلاسكير —



فهرس الجزء الثالث

من المجلد التاسع والثمانين


المقتطف
العلم والدين لا يتناقضان
مصير الحضارات
العلم أمس واليوم
روح الاستعمار العصرية



الجزء الرابع من المجلد التاسع والثمانين

١ نوفمبر سنة ١٩٣٦ — ١٦ شعبان سنة ١٣٥٥

عجائب الصوت

بين الصوت والاستماع — مباحث جديدة
جعلت من البحث القديم علماً فنيًّا

علم الصوت قديم يرتدُّ الى عهد اليونان الزاهر . ولكن هندسة الاصوات حديثة لانها وليدة عصر التلفون . ففي العهد الاخير الذي ارتقى فيه فن الاذاعة اللاسلكية والصور المتحركة الناطقة كشف العلماء عن حقائق واساليب جديدة خاصة بالصوت وطبيعته ، وحدّدوا ما كان من القواعد القديمة مبنيًّا على الحزر ، حتى ليصحُّ ان يقال ان علم الصوت من أحدث العلوم عهداً وأصغرها سنًّا . فبعض المكتشفات الحديثة قلب بعض ما كان معروفاً من قديم الزمان رأساً على عقب . وقد شرع علماء الطبيعة يستعملون امواج الصوت في النفوذ الى اسرار المادة الغازية وتصرُّف دقائقها ، وعمد المهندسون الى الاستناد الى هذه الحقائق الجديدة في صنع الآلات الموسيقية حتى تكون أضبط وأدقَّ مما كانت قبلاً ، وفي تشييد ابهاء المحاضرات والموسيقى حتى يكون السماع فيها على أتمّ ما يمكن ان يكون

كثيرة هي الادوات الجديدة التي يعتمد عليها في علم الصوت وتطبيقه الحديث . ولكنْ في مقدمتها اداتين اولاهما الميكروفون وثانيتهما الانبوب الحراري المفرَّغ

فالميكروفون هو الاذن الكهربائية التي تلتقط امواج الصوت وتحوّلها الى امواج مقابلة من الكهربائية . وهذا التحويل يمكننا من اخضاعها لاغراضنا في النقل والالتقاط

اما الانبوب المفرغ فضحية من العجائب على ما فيه من بساطة وسهولة في التركيب . واذا حاول

الكاتب ان يعدّد مآثره ومواقده ملأ بتعديدها صفحة كبيرة . وانما يمكن ان يقال بوجه عام ان الانبوب المفرغ مكّن العلماء والمستنبطين من صنع الصمام ... الذي لا يستغنى عنهُ في المخاطبات التلفونية البعيدة المدى وفي الاذاعة اللاسلكية والتقاط ما يذاع ، وفي الصور المتحركة الناطقة وغيرها عشرات من الابواب

وكلا الميكروفون والانبوب المفرغ ، حجران اساسيان في الآلات الحديثة التي تستعمل في قياس أمواج الصوت ومعرفة خصائصها . فبهذه الآلات أحللنا محلّ الاذن المعرّضة للخطاء ، أدوات لا تخطىء ، في تبيّن درجةٍ من موجة ، او في التمييز بين نغم ونغم . وبها صحّحنا ما كان معروفاً على وجهٍ من الخطاء قليلٍ او كثير ، وكشفنا كثيراً مما كان غامضاً بسبب الجهل او الخفاء

خذ مثلاً على ذلك ما قرأناه في كتب الطبيعة ، مما تواضع العلماء على التسليم به ، وهو أن الخواص الثلاث التي يتصف بها النغم الموسيقي ، يرتدُّ كلٌّ منها الى صفةٍ معيّنةٍ في طبيعة موجة الصوت . فارتفاع النغم Pitch يرتدُّ الى توالي الاهتزازات الصوتية اي الى قصر أمواج الصوت او طولها . وضخامة النغم Loudness ترتدُّ الى سعة الموجة ورنّة النغم Timbre ترتد الى شكلها خاصةً

الا ان البحث الحديث في الصوت ، وهو بحثٌ قائم على القياس والتجربة المحكمة ، اثبت ان ما تقدّم ليس صحيحاً على اطلاق القول . فقد اثبت هارفي فلتشر احد العلماء الباحثين في شركة بل التلفونية الاميركية ، ان تغيراً يقع في احد العوامل التي تقدّم ذكرها ، قد يؤثر في خواص النغم الموسيقي جميعاً . فالارتفاع النغم قد يتغير بتغيير يقع في سعة الموجة او شكلها ، مع ان المعروف بحسب ما تعلمنا في كتب الطبيعة من عشرين سنة ، ان ارتفاع النغم لا صلة لهُ الا بطول الموجة أو قصرها . كذلك ضخامة الصوت قد تختلف باختلاف يقع في قصر الموجة او طولها ، مع اننا تعلمنا ان ضخامة النغم لا صلة لها الا بسعة الموجة دون غيرها من العوامل

هذه الحقائق ، ظهرت للوجود في السنوات الاخيرة ، اي من سنة ١٩٣٠ وما بعدها ، ومع ان هذا البحث لم يتمّ بعد — وأي بحث علمي يقف عند حدٍّ من التمام — الا ان فيه من المغرى للمشتغلين بالموسيقى ما يكفي التنويه به . مع ان الموسيقى بلغت في الماضي أعلى ذرى الابداع ، ولكن من يدرينا ، ان مستقبلها لا يكون حافلاً بأمجادٍ اعظم من امجاد الماضي ، عند ما تصبح هذه الحقائق الحديثة وتسلكها العبقرية في سمط الفن الموسيقي العظيم !

***

ليست الاصوات التي نسمعها الا جانباً يسيراً من الاصوات الكثيرة في الطبيعة . والواقع ان الامواج الصوتية الصامتة ، اي التي تطرق آذاننا ولكن آذاننا لا تشعر بها ، اكثر كثيراً من الامواج التي يتألف منها كلامنا وغناؤنا وموسيقانا وضوضاؤنا . وبعض الاصوات لا يسمع لان

عدد أمواجه في الثانية أكثر مما يستطيع عصب السمع ان يتأثر به . فهي تشبه من هذا القبيل امواج الاشعة التي فوق البنفسجي . فان سرعة توالبها في الثانية عظيمة جداً حتى ان العين البشرية لا تشعر بها . ولا تستطيع ان تميّزها ، هذه الامواج ، سواء أامواج صوت كانت ام أمواج ضوء ، الاّ بآلات دقيقة الاحساس اخترعها الانسان لتكون عوناً لحواسّه القاصرة

وقد ظنّ الانسان من قديم الزمان ان هناك امواجاً صوتية لا يسمعها . ولعلّه كان يلتفت الى أحد العصافير تغرّد فيصغي الى تغريده ، ثم يلاحظ أن ارتفاع النغم يزداد رويداً رويداً الى ان يصعد عن سمعه ، ولكن منقار الطائر ما يزال مفتوحاً فكأنه لا يزال يغني ، ولكن امواج غنائه لا تشعر بها الاذن . ويجاري بعض العصافير في ذلك بعض الجداجد (صرّار الليل)

وقد عني المستر جورج بيرس أحد علماء جامعة هارفرد من عهد قريب بنصب شرك ، يلتقط به هذه الاصوات المرتفعة النغم التي لا تحسّها اذن الانسان . واستخدم لذلك بلورات بعض الاملاح التي تتذبذب تذبذباً سريعاً ، استجابة للاصوات التي توجه اليها ، ثم هي تتصل من ناحية أخرى بدورة كهربائية ، فيمكن تحويل ذبذباتها الى ارتفاع وانخفاض في تيار كهربائي

فوضع المستر بيرس وأعوانه بلورة من ملح روشل في قرن شكله شكل قطع مخروطي ، وجعلوا هذا القرن ، الطرف المتلقي لامواج الصوت في جهاز كهربائي خاص بذلك . وقد بلغ من دقة احساس هذا الجهاز ان اصحابه استطاعوا ان يلتقطوا به صوت جدجد وهو على مائتي ذراع . فعندما يقع صوت الجدجد على القرن ، تهتزّ البلورة التي فيه اي تتذبذب وفقاً لذبذبة الامواج في الصوت الواقع عليها ، فتؤثر ذبذبتها في الدورة الكهربائية فتخفض قوة التيار وترفعها

ولكن كيف السبيل الى تبين هذه الامواج التي لا تشعر بها الاذن لسرعة توالبها . قال المستر بيرس اذا خلطنا هذه الامواج بأمواج قيست سرعة توالبها ، ثم وجهنا الخليط الى جهاز فيه أنبوب مفرغ ، فلا بدّ ان تتوافق بعض النبضات في سلسلتي الامواج ، فتحدث هذه النبضات صوتاً مسموعاً في مضخم الصوت فاذا حللت ذبذبة هذا الصوت المسموع . وعمل حساب ما يقابلها لذبذبة الامواج التي قيست سرعة توالبها ، أمكن حينئذٍ ان نعرف سرعة توالي الامواج في صوت الجدجد ، الذي لا تسمعه الاذن ، ولكن تلتقطه البلورة

فعندما جرّبت هذه الطريقة ، بجدجد أسمر اللون — اسمه العلمي نيموبيوس فاشياتوس Nemobius Fasciatus — أسفرت تجربتها عن نجاح ، اذ تبين ان سرعة الامواج المتألفة في غناء هذا الجدجد ، تبلغ ٨٠٠٠ موجة في الثانية ، ولكنه يخرج اصواتاً أخرى ، سرعة الامواج في بعضها ١٦٠٠٠ موجة في الثانية و ٢٤٠٠٠ موجة في الثانية و ٣٢٠٠٠ الف موجة في الثانية . وقد أثبت بعد ذلك تجارب اخرى ان في الطبيعة اصواتاً تبلغ سرعة امواجها ٤٠٠٠٠ موجة في الثانية

ومعظم هذه الاصوات خارج عن نطاق الاذن البشرية . فالآذان التي تستطيع ان تسمع اصواتاً يبلغ عدد امواجها ٢٠٠٠٠ موجة في الثانية نادرة والغالب ان يكون اعلى ما تسمعهُ الاذن صوتاً لا يزيد عدد امواجها على ١٨ الف موجة في الثانية

ولا يخفى انهُ كلما زاد عدد الامواج في الثانية قصر طول الامواج. وليس من يبحث الآن في الجو خالٍ من اصوات امواجها قصيرة سريعة التوالي ، وليس مصدرها اصوات الجداجد والحشرات فقط، بل كثير ما يحدث من الاحتكاك في الطبيعة كاحتكاك الايدي ، واحتكاك عيدان الثقاب بعلب الكبريت، واهتزاز اوراق الاشجار عندما يهب عليها النسيم . فبسبب جميع هذه الاعمال ، تحدث علاوة على الاصوات المسموعة اصوات لا تسمعها الاذن البشرية لسرعة امواجها وقصرها ، اي لشدة ارتفاعها . في الاصوات التي تخرج من الساعة صوت يبلغ عدد امواجه في الثانية ٣٠ الفاً ويلتقط بعض من هذه الاجهزة الدقيقة على بعد ٣٠ قدماً

ثم هناك طائفة من الاصوات التي تستطيع الاذن ان تسمعها ولكنها لا تسمعها ، لان اصواتاً اخرى تحجبها . فلخفقان قلبك صوت مسموع ، في استطاعتنا سماعهُ او سماع بعضهِ على الاقل ولا اصوات اخرى اقوى منه تستبدُّ بسمعنا . فمرور مركبة من مركبات النقل الضخمة في الشارع خارج البيت تحجب بعض الانغام الخفيفة في قطعة موسيقية يحاول الانسان ان يصغي اليها . فاذا حجبت الاصوات القوية ، امتنع الانسان ان يتبين الاصوات الخفيفة . ولو كان في الامكان بناء حجرة تحجب عنها جميع الاصوات خارجها لكان في امكان الانسان ان يسمع الاصوات التي يحدثها نبضهُ وانطلاق الدم في عروقهِ وحركة رئتيهِ

اما الاصوات الخافتة فلا يمكن تبيانها الا بعزلها عن غيرها من الاصوات المختلطة بها . ولعل ابلغ ما روي في هذا الصدد حديث تجربة قام بها الدكتور فري Free ومساعدهُ المستر جنسن في جامعة نيويورك . فانهما أخذا مذياعاً ووضعا في قمعهِ ميكروفوناً دقيق الاحساس ووصلاه بمضخم للصوت وأكملا الدائرة الكهربائية بمذياع . ثم وضعا في القنبان حفنة من حبوب الحنطة فسمعا اصواتاً صاخبة خارجة من المذياع ، حتى لقد بلغ من شدتها أن طلبة الفصول المختلفة وأساتذتها اعترضوا على هذه الضوضاء . فما كان هذا الصوت الصاخب ؟ وما مصدره ؟ فحص الدكتور فري في حبوب الحنطة فوجد حبوباً فيها ثقوب صغيرة . فشق هذه الحبوب ووجد في كل منها دودة صغيرة . فتبين له ان هذه الاصوات الصاخبة مصدرها حركة الديدان ونحتها داخل حبوب الحنطة المثقوبة . فالتقط الميكروفون هذه الاصوات الخافتة وعزلها عن غيرها من الاصوات ، ثم ضخمت هذه الامواج بمضخم الصوت ، ثم اعيدت اصواتاً للديدان في المذياع

فهذا الجهاز كان بمثابة مجهر (مكرسكوب) للصوت . والجزء الدقيق فيه كان الجهاز المضخم

لانهُ كان عليه ان يضخم الامواج الكهربائية التي تحدثها هذه الاصوات الخافتة ، من دون ان يضخم تضخيماً عظيماً صوت حركة الكهارب المنطلقة في الانبوب المفرغ

وقد ضخم صوت الدودة داخل حبة القمح ، مليون مليون ضعف فكان ذلك كافياً لجعله اعلى من صوت الاستاذ . فقال احد العلماء الاميركيين ، انهُ لو ضخمت همسة في أحد شوارع نيويورك ، هذا التضخيم لأمكن سماعها في سان فرنسسكو على بعد ثلاثة آلاف ميل !

***

ولا بدَّ قبل التقدم في البحث من تفسير الوحدة التي يستعملها العلماء في قياس ارتفاع الصوت وهم يدعونها « دسيبل » Decibel . واصلها لفظة « بل » نسبةً الى الكسندر غرهام بل مخترع التلفون وقد تواضع عليها مهندسو التلفون اولاً لقياس ما تصاب به الاشارات التلفونية من الخفوت بعدها عن مركز صدورها . ولكن علماء الصوت وجدوا ان هذه الوحدة كبيرة جدًّا في قياس الاصوات الخافتة والفرق بينها فقسّموها الى عشر وحدات واطلقوا على كلٍّ منها « دسيبل » اي « عُشر بل » ويمكن ان يقال بوجه عام ان وحدة « الدسيبل » تمثل اقل فرق بين صوتٍ وصوتٍ تستطيع الاذن البشرية ان تتبيّنهُ . اما في معامل البحث فتربيها جزءاً من مليون جزء من الواط ولعلَّ التمثيل افضل طريقة لبيان ذلك

فالصوت الذي يحدثهُ التنفس العادي السويُّ اذا قيس على بُعد قدم واحدة من المتنفس كان ١٠ دسيبل . وحفيف الورق في نسيم لطيف ٢٠ دسيبل . والصوت الذي يحدثهُ المطالع عندما يقلب صفحة كتاب بطالعهُ ٣٠ دسيبل . وصوت الحديث العادي في حجرة عادية ٦٥ دسيبل . وصوت البيانو في أثناء التمرين ٧٥ دسيبل . وصوت مرور سيارة من سيارات النقل الكبيرة ٨٠ دسيبل . وزئير الاسد ٩٥ دسيبل . ومرور طائرة على بعد ١٨ قدماً من جهاز تدوين الصوت ١٢٣ دسيبل فاذا زاد قياس الصوت على ١٣٠ دسيبل كانت الاستجابة العصبية في الاذن والدماغ غير سويّة وكان الصوت مؤلماً مثلاً

***

بعد ما تسجل الاصوات المختلفة بالأجهزة العلمية الحديثة وتحلل وتقاس يصبح في مستطاع المهندس ان يستخدمها لقضاء بعض الاغراض الصناعية أو أن يصف الوسيلة لاجتنابها . وهذا التقدم في فهم خصائص الصوت ، مكّن المهندسين من جعل المروحة الكهربائية والطائرة والساعة وغيرها من الآلات ، أخفت صوتاً الآن مما كانت قبل بضع سنوات . وفي أحد المصانع الاميركية جهاز خاص دقيق الاحساس بالصوت يتصل لتبيُّن اي صوت غريب في أثناء دوران الاسطوانات الضخمة في تربين كبير فيكون تبيّنه بمثابة منبّه أو إنذار للمهندس المشرف على العمل

ولعلَّ أهمّ وجوه التطبيق العملي لعلم الصوت الحديث ، يبرز على أتمّه في بناء ابهاء المحاضرات والموسيقى حتى تكون جدرانها مصمتة لا ترد امواج الصوت ، فتحدث في ارتدادها اختلاطاً وتشويشاً في كلام المحاضر او غناء المغني او عزف العازف . وقد وضعت أركان هذا النحو من التطبيق العملي من نحو اربعين سنة . ذلك ان الدكتور ولس سابين Sabine كان استاذاً للرياضة والعلوم الطبيعية في جامعة هارفرد وكانت هذه الجامعة قد بنت داراً لتلقى فيها بعض كبار المحاضرات وما كاد اول محاضر يفوه بعبارته الاولى في ذلك البهو حتى وجد أنّ صدى صوته يشوش كلامهُ فلا يفهم . عندئذٍ لجأ رئيس البوث ، الاستاذ سابين وعهد اليه في حل المشكلة

أهم العوامل التي تؤثر في صدى الاصوات داخل حجرة من الحجر عاملان : اولهما شكل الحجرة وحجمها . وثانيهما المواد التي بنيت بها الجدران وطليت وصنع منها الأثاث . فصرف الدكتور سابين عن الاهتمام بالعامل الاول لانهُ لم يكن في وسعهِ ان يعيد بناء الدار ولا الحجرة وحصر همّهُ في العامل الثاني ، فشرع في تجربة سلسلة من تجارب أفضت الى تحقيق غرضهِ وكشفت عن حقائق جديدة في هذا الميدان من البحث

عندما تنطلق امواج صوتية في فضاء حجرة من الحجر ، يكون مصيرها احد ثلاثة ، إما أن تردها الجدران والاجسام الأخرى التي في الحجرة فيكون الصدى او ان تنفذها فتسمع في حجرة مجاورة أو أن تمتص طاقتها فلا تُرَدُّ ولا تنتقل . فوجد الدكتور سابين بالبحث ان سطوح الجدران والسقف والارض والمقاعد في هذه الحجرة لا تمتص الا جانباً يسيراً من طاقة امواج الصوت ، ولا تنقل شيئاً منها ، وانما كانت وجوهها عوناً على ردّ الامواج الى فضاء الحجرة . فعندما تلفظ الخطيب بلفظ ما ، يبقى صدى لفظه يسمع مشوشاً مدى خمس ثوان لان امواجهُ كانت تنعكس عن سطوح يختلف بعدها عن مصدر اللفظ وهو فم المتكلم ومن البديهي ان اختلاط الامواج الاصلية بالامواج المرتدة عن السطوح المختلفة ، جعل سمع اللفظ واضحاً من الامور المتعذرة . ويزيد في التشويش ان الخطيب لا يكتفي بنطق كلمة واحدة والوقوف عندها ، بل ان كلماته تتلاحق ، فيختلط اللاحق بالسابق ويصبح الكلام الشائع في جوّ الحجرة فوضى وضوضاء

فاتخذ الدكتور سابين « أرغناً » ليكون مصدراً لصوت ثابت الارتفاع والضخامة ، وأقام مقياساً دقيقاً لقياس مدى بقاء الصوت في جوّ الحجرة . فوجد انهُ اذا أخرج الارغن الصوت وأوقف فجأة في الحجرة الخالية من اي شيء الا أثاثها العادي ، ظل ٥،٦ ثانية قبل ان يخفت الى حدهِ من مليون جزء من قوتهِ الاصلية . وهذه الدرجة من الخفوت هي الدرجة التي يسمع عندها الصوت . فأطلق على هذه الفترة (٥،٦ الثانية) « فترة الصدى »

هنا وجّه سابين الى نفسه السؤال التالي : هل يمكن تقصير هذه الفترة بتغطية بعض الاجسام

التي في الحجيرة بمادة لينة ? فاقترض من مسرح مجاور وسائد المقاعد ووضعها على بعض المقاعد في الحجرة ، ثم أعاد التجربة فوجد ان الفترة قصرت الى ٥٢٣ من الثانية ، فزاد عدد المقاعد المغطاة بالوسائد فنقصت الفترة الى ٤٢٩ الثانية ، ومضى في هذه الطريق الى ان غطى ٤٣٦ مقعداً بالوسائد فنقصت الفترة الى ثانيتين . فعرف انهُ سائر على الطريق القويم

لم يكتفِ بتغطية المقاعد بالوسائد بل فرش بها الارض بين المقاعد والمنبر ، وغطى بها الجدار الخلفي من الارض الى السقف ، فنقصت الفترة الى ١٢١ الثانية

كان الدكتور سابين يجرّب معظم هذه التجارب في سكون الليل ، ليكون القياس دقيقاً . وجرّب مواد مختلفة لتغطية الجدران والارض والسقف والمقاعد ، فستغرقت تجاربهُ سنتين فلما أتمها وكتب تقريرهُ قال فيهِ ان الحجرة لم تبلغ حدَّ الكمال ولكنها اصبحت صالحة للاستعمال ولا تزال تستعمل الى الآن في اغراض مختلفة

وقد جاء بعد سابين علماء مختلفون استعملوا أجهزة أدق من الاجهزة التي استعملها ، فزادوا البحث دقة وتفصيلاً ، ولكنهم في الغالب بنوا على القواعد التي وضعها . ان «فترة الصدى» في عرفهم الآن ، مقياس لصلاح حجرة من الحجر من الناحية الصوتية ولما كانت افضل الاحوال للسماع تختلف باختلاف الحجر شكلاً وحجماً ، لذلك اصبح مهندس الصوت عوناً لا يستغني عنهُ المهندس المعماري وفي كثير من الاحوال لا يدعى مهندس الصوت الاَّ بعد انجاز البناء فيستطيع بعنهِ من حلّ المشكلة . ولكن الخير كل الخير ، في بناء دور تستعمل ابهاؤها للخطب والمحاضرات والغناء والعزف ، أن يدعى مهندس الصوت للاشتراك في تصميمها وبنائها قبل ذلك

أما المواد التي يعتمد عليها الآن في هذا الفن ، غير الوسائد والستائر التي استعملت من اربعين سنة او ثلاثين . بل قد نشأت صناعة كبيرة لصنع المواد التي تمتص الصوت . وهي في الغالب اما ذات مسام أو لينة تنثني بالضغط اللطيف ، او تتصف بالصفتين معاً وقد يستعمل لوح صلب من الفولاذ مثقوب ثقوباً عديدة ويوضع تحتهُ غطاء من المواد اللينة ذات المسام . وفضل هذا الاستعمال ان امواج الصوت عند اصطدامها باللوح الصلب تنفذ من ثقوبه الى ما ورائها فتمتصها مادة الغطاء الذي تحتهُ . وقد تفنن مهندسو الصوت في تطبيق هذه المبادئ ، واستعمال هذه المواد على وجوه مختلفة وفقاً للحالة الخاصة التي يعالجونها . ومن اغرب ما صنعوا الواحاً تمتص الاصوات المشوشة دون غيرها ، فكأنها تفصل من صوت الخطيب او غناء المغني ، النبرات المشوشة في الخطابة أو الغناء ، فيبدو الصوت انقى مما هو حقيقة

***

ظلّ العلماء يعتقدون ان الصوت ظاهرة سطحية الى سنة ١٩٣٠ عندما تبين للاستاذ فرن نودسن

فوجد أن الخواص الصوتية في حجرة من الحجر، تختلف باختلاف حالة الهواء. فاذا هبّ من المحيط الهواء الندي، وملأ الحجرة هواء رطباً ظلّت بعض النغمات المرتفعة تتردد فيها اربع ثوانٍ او خمساً، وإذا هبّ من الصحراء وملأ الحجرة هواء جافاً، لم تتردد النغمات نفسها في تلك الحجرة الا ثانيتين او ثلاث ثوانٍ. فالحجرة وسطوحها والنغمات هي هي، لم يتغيّر الا الهواء في الغرفة، فكيف يحدث الهواء هذا الفرق في «فترة الصدى»؟

فقضى الاستاذ نودسن بعد ذلك مدة وهو يسعى الى ايضاح هذا المغلق فظنّ اولاً ان التغير في حالة الهواء يحدث تغيراً في سطوح الغرفة ومقدرتها على امتصاص طاقة الامواج او عكسها. فجرّب تجارب مختلفة أثبتت له خطأ هذا الظن. وفي خلال رحلة رحلها الى أوربا تحدّث مع بعض علماء الطبيعة في هذا الموضوع، فقال له احد العلماء الالمان، غطّ الحجرة بألواح من القاشاني المستعمل في تبطين غرف الحمام فتزول هذه الظاهرة التي تحيّرك

ولكن الاستاذ نودسن لم يرضَ ان ينفق ٤٠٠ جنيه على تبطين حجرة كبيرة كما تقدم، ثم بعد الامتحان قد يصحّ ما قالهُ العالم الالماني وقد لا يصحّ. فعمد الى تجربة ذلك في حجرة صغيرة. فثبت لهُ ان الاختلاف في امتصاص الصوت في هذه الحالة سببهُ اختلاف قدرة الهواء على امتصاصها، وان الهواء الجاف أقدر على امتصاص بعض الأصوات حالة ان الهواء الرطب أقل امتصاصاً وأكثر إيصالاً لها فكان هذا الاكتشاف باعثاً على العجب لان لورد رالي وصحبهُ من واضعي القواعد التجريبية لعلم الصوت في القرن التاسع عشر، قالوا ان الهواء لا دخل لهُ على الاطلاق في إيصال الصوت

ثم ان تجارب نودسن وصحبه قد أثبتت ان الحرارة علاوة على الرطوبة تؤثر في امتصاص الصوت. خذ الحرارة مثلاً، ان الهواء الذي حرارتهُ تحت الصفر يكاد يكون «شفافاً» للصوت اذا صحّ ان ننقل صفة الشفوف من الضوء الى الصوت. فكلما زادت حرارتهُ زادت مقدرتهُ على امتصاص امواج الصوت، حتى اذا بلغنا درجات عالية من الحرارة، رأينا ان بعض النغمات المرتفعة لا تستطيع ان تخترق الا ما سماكتهُ بضع اقدام فقط من الهواء الساخن. فكأنهُ يقوم حجاباً كثيفاً دونها، فلا تسمع اذا كان السامع يبعد عن مصدرها بضعة امتار

اما الرطوبة في الهواء وصلتها بامتصاص الصوت فحالتها عجب. فالهواء الجاف كلّ الجفاف «شفاف» للصوت فاذا كانت رطوبتهُ النسبية من ١٠ الى ٢٠ كان من اكثف ما يكون اي ان مقدرتهُ على امتصاص الاصوات تكون على أعظمها. فاذا زادت الرطوبة عن ذلك قلّت مقدرتهُ على امتصاص الاصوات. حتى اذا بلغت الرطوبة ٩٢ عادت مقدرتهُ على الامتصاص بلغت اعظمها

ومما يطرب لهُ عقل الباحث انهُ يجد في هذه الظاهرة بعض التعليل على الاقل لظاهرات طبيعية عجز الباحثون عن تعليلها حتى الآن تعليلاً وافياً. فالمعروف بين روّاد الاصقاع القطبية

ان حديث رجلين قد سمع أحياناً على بعد اربعة أميال ، وان نباح الكلاب سمع على بعد خمسة عشر ميلاً . وقد علل هذا قبلاً بقولهم ان امواج الصوت تنتقل على مثال الامواج اللاسلكية بين سطح الجمد وطبقة من الهواء تقع فوق الساكن . ولكن اكتشاف نودسن أن الهواء البارد المتوسط الرطوبة ، موصل جيد للصوت ، قد يطيل ذلك تعليلاً مقبولاً

ولهذه المباحث ناحية جلية من التطبيق العملي . ذلك ان تردُّد أمواج الصوت من خطيب او منشد او عازف ، في بهو كبير ، يتأثر بحالة الهواء اكثر من تأثره بطبيعة المواد التي تطلى بها الجدران والارض والسقف ويصنع منها الاثاث . ولنضرب على ذلك مثلاً بهو كبير للموسيقى حيث سرعة الامواج العائدة تبلغ ١٠ آلاف في الثانية . فاذا كانت حرارة الهواء في ذلك البهو ٧٠ درجة بميزان فرنهيت وكانت درجة الرطوبة النسبية ١٨ كانت قدرتهُ على امتصاص امواج الصوت كبيرة جدًّا حتى ان النغم يخفت بعد انقضاء ½ الثانية على صدوره من الآلات الموسيقية ولو كانت الجدران والارض والسقف مطلاة بمواد تعكس امواج الصوت عكساً تامًّا . فاذا أُضيف الى امتصاص الهواء لامواج الصوت ، امتصاص الجمهور وما يرتديه من الملابس لها ، نقصت « مدة الصدى » الى أقل من نصف ثانية . ثم ان هذا الهواء الذي فرضنا وجوده في الابنية أشدُّ جفافاً من الهواء العادي ، ولكن اذا سلمنا ان رطوبتهُ النسبية بلغت ٥٠ بدلاً من ١٨ فان مدة الصدى مع ذلك تظلُّ أقلَّ من ثانية — وهذه الفترة أقصر مما تحتاج اليه الموسيقى لاحداث التأثير الموسيقي المطلوب . واذن فلا بدَّ من السيطرة على حرارة الهواء ورطوبته ، علاوة على المواد التي تطلى بها الجدران والارض والسقف ، في بناء الابنية الموسيقية المتقنة وما اليها

بعد ذلك عمد الاستاذ نودسن الى درس الغازات التي يتألف منها الهواء وقدرتها على امتصاص امواج الصوت . فوجد انهُ اذا اضاف قليلاً من الرطوبة الى الاكسجين التي كانت مقدرتهُ على امتصاص أمواج الصوت اعظم من مقدرة مقدار مماثل من الهواء فيه مثل القدر من الرطوبة خمسة اضعاف . وكذلك أثبت ان اكسجين الهواء ومقدرتهُ على امتصاص امواج الصوت هما العامل الحاسم في الظاهرة التي سبق ذكرها . ولو ان هواءنا كان أكسجيناً صرفاً لا أثر فيه للنتروجين لكان من المتعذر علينا ان نسمع منادياً ينادينا عبر الشارع ولاسيما الحروف من نوع ث التي يقتضي اخراجها امواجاً سريعة التوالي ، لان الهواء يمتصها قبل ان تجتاز خمسين قدماً الى سبعين . بل ان مباحث نودسن الاخيرة دلت على ان قدرة ثاني اكسيد الكربون على امتصاص أمواج الصوت أعظم من قدرة الاكسجين . فالحديث في جوّ خالص من ثاني اكسيد الكربون — اذا كان ممكناً من الناحية البيولوجية — يحتاج الى صاحب صوت قوي لان الحروف المذكورة تتلاشى فيه قبل ان تسير بضع اقدام

كأس الخيام

لعلي محمود طه

رباعيات الخيام آية من آيات الشعر الخالد [illegible] سحر بلاغة والطلاوة، وابتسام من [illegible] الشعراء الذين حاولوا استكناه أسرار الكون [illegible] استشراف المجهول، بالقلب المشبوب والحس المرهف [illegible] الدمع المكبوت [illegible] حباب المرح المتدفق [illegible] القصور الإنساني [illegible] طموح [illegible] آلام وأورثه [illegible] من شدائد [illegible] في الخمر [illegible] رباعيات في نفس الشاعر المصري فكتب قصيدة [illegible] الكأس والمرأة [illegible] الأول منها الذي [illegible] الشرق [illegible] تستيقظ على صياح الديكة وصدح الطيور [illegible] بالمعنى الأول من [illegible]

هاتفُ الفجر الذي راعَ النجومْ ... وأطار الليلَ عن آفاقِه

لم يزلْ يُغري بنا بنتَ الكروم ... ويثير الوجدَ في عُشّاقها

*

صيحةُ حُبٍّ عراما بالسَّحَرْ ... أطلقتهُ لمعةٌ أروعِ المشرق

موثقُ القلبِ وميعادُ الطيرِ ... مهرجانُ النورِ في عرسِ الشروق

*

فرحُ الحقلِ في ألحانه ... وصداهُ في السحابِ العابرِ

أرسل السحرَ على أكوابهِ ... من فمِ شادٍ وقلبِ شاعرِ

*

يا لهُ صوتاً من الماضي البعيدْ ... رائعَ الإيقاعِ فتّانَ النغم

جدّدَ الأشواقَ بالحسّ الجديدْ ... وهو كالدنيا عريقٌ في القِدم

*

كم عيونٍ قبضتْ أحلامَها ... حين نادى، غيرَ حلمٍ واحدِ

سلسلتْ فيهِ الى أيامها ... وهي تشدو بالرحيقِ الخالدِ

*

كلّما لألأ في الشرقِ السّنا ... دقّتِ البابَ الأكفُّ الناحله

أيها الخمّار؟ قمْ وافتح لنا ... واسقنا قبل رحيل القافله!

*

خمرةُ العشّاقِ لا زالتْ ولا ... جفّ من ينبوعها نهرُ الحياة

نفثتْ في قدحِ العمرِ الطلا ... وهي في الارواحِ تستهوي الشفاه!!

كم شموسٍ عبرتْ هذا الفضاء   والوفٌ من بدورٍ ونجومْ
والثرى بين ربيعٍ وشتاء   ضاحكُ النوّار وهّاجُ الكرومْ

كلُّ عنقودٍ دموعٌ جمدتْ   وقلوبٌ صبتْ فيها شعاعا
ما احتواها الثغرُ إلاّ اتقدتْ   جمرةً تذكو حنيناً والتياعا

لو أصابتْ ربعَنا وثبتْ   بجناحين من الشوق القديمْ
فاعذر الكأسَ إذا ما اضطربتْ   حَبَباً يخفق في كفِّ النديمْ

أيها الخالدُ في الدنيا غراما   أين نيسابورُ والروضُ الأنيق؟
أين معشوقتُك إبريقاً وجاما   هل همستَ الكأسَ؟ أم همسَ الرحيق؟

هذه الكرمةُ والوادي الظليلْ   مثلما خلّانا ، وهذا الطللُ
حاضرٌ أشبهُ بالماضي الجميلْ   لو يُشبِّه المضيّ الأوّلُ

اليدُ البيضاء في كل الغصونْ   زهرةٌ تندى ونورٌ يشرقُ
والثرى من نَفَسِ الروح الحنونْ   مهجةٌ تهفو وقلبٌ يخفقُ

كم تشهّيتَ الحبيبَ الحسنا   لو سقى مثواك بالكأس الصبيبْ
وتمنّيتَ ، وما أحلى المنى   خطواتٍ منهُ والمدى قريبْ!

أترى أعطيتَهُ سرَّ الخلودْ؟   أم حبوتَ الحسنَ سلطاناً يدومْ؟
عجباً تخطيه أسرار الوجود   أيها الحاسبُ أعمارَ النجومْ!

شفةُ الكأس التي أطلقتَها   لم تدعْ من منطق الدنيا جوآما
خُضّبتْ عن ناظري مرتشفَها   ورأيتُ البعثَ برقاً وسراما

ولمستُ الخافقَ الحيَّ المنى   طينةً تبكي بكفِّ الجابلِ
تشتهي الرشفةَ مما علّمنا   وهي ملأى تحت ثغر الناهلِ!!

نسيَ الأنخاب من تهوى وأمسى   مثلما أمسيتَ يستسقي الغماما
واشتكت رِقّتُهُ في الأرض يبسا   وغدا الإبريقُ والكأسُ حطاما

لا ! فلا زلتَ ! ولا زال الحبيبْ   أيها القلبُ بالحبّ الوجودا
إنّ من عشتَ بالأمس الغريبْ   منحتهُ ربّةُ الشعر الخلودا !

*

ضمّنا في طيفكما ذات مساء   وأنا ما بين أحلامي وكأسي
استبدتْ بيَ أطياف الخفاء   وتغرّبتُ عن الدنيا بنفسي !

*

همتُ بالليل إلى أنْ أشفقا   فليقف مجلسك وليبدأ السَّحَرْ
جدّدَ العشاق فيك الملتقى   وحلا الهمسُ على ضوء القمرْ !

*

فادخلا بين ضباب وغمامْ   حانةَ الأقدار والليل القديمْ
مجلساً يهفو به روحُ الغرامْ   كلُّ نجمٍ فيه ساقٍ ونديمْ

*

وانهلا من سلسلِ النور المذابْ   خمرةً ليس لها من عاصرِ
قنع الصوفيُّ منها بالحبابْ   وهي تنهلُّ بكأس الشاعر !

*

فارو يا شاعر عن إشراقها   إنما كأسكَ نورٌ وصفاء
كيف طالعتَ على آفاقها   روعةَ الغيب وأسرار السماء ؟

*

كيف أبصرتَ الجمال المشرقا   ببصيرِ الفاني في حبّ الإله
وفضحتَ الأبد المنغلقا   عن ضمير الكون أو قلب الحياة ؟

*

بروحانيةِ الشرق العريق ؟   أم بوجدانية الفنّ الطليق ؟
سبحتْ روحك في الكون السحيقْ   حيث لا يتّسع طائرٌ لطريق

*

حيث أبصرتَ الذي لم تُبصرِ   أعينٌ مرّتْ بهذا العالمِ
ذاك سرّ الشاعر المستهترْ   وفتون الفيلسوف الحالمِ

*

ذاك سرّ النغم المسترسلِ   والصفاء السلسل المطّردِ
روحُ شادٍ فنيتْ في الأزلِ   وتحدّتْ شهوة المتقدِ

*

صرحتْ آلامه في كونهِ   فهوى يثأر من آلامه
إنما الصمتُ الذي تشدو بهِ   يقظة المصروع في أحلامه ! !

أنا أنعثُ المرحّى للورى نغمة الحيِّ التي لا تُحسد
إنما نحن في هذا الثرى بعضُ ما يُقطفُ أو ما يُحصدُ

*

حسبُها تعزيةٌ أنّا سنحيا في غدٍ مثل حياة الزَّهَرِ
وسنطوي الأبد المجهول طيّاً جُدِّد الاطباق شتّى الصورِ

*

حسبُها تعزيةٌ أن نُسمعا بأناشيد الصباح المنتظَرْ
ولشقّ الارض عن ليل الردى حيث نور الشمس أو ضوء القمرْ

*

ربما جسدُ أو حاجٌ لنا ما أو قصةَ من حبنا
بوحُ ورقاءَ أرنّت حولنا أو شجى نبرةٍ مرت بنا

*

أو خطى إثنين في فجر الصبا أترعا كأسيهما من ذوبِهِ
أو صدى راعٍ على تلك الربى صبَّ في الناي أغاني حُبِّهِ

*

حُلُمٌ مثّلته في خاطري صفقتُ الخُلدَ في هذا الرواءْ
أنكروه فكواهن شاعرٍ جُنَّ بالحبّ وأغوته النساءْ

*

ولقد قالوا شذوذٌ مُغربٌ وإباحيةُ لاهٍ لا يُفيق
آهِ لو يدرونَ ما يضطربُ بين جنبيكَ من الحزن العميق!

*

أوَلا يدري الخليُّ اللاهيا من رأى عني الصباح الباسم؟
ورأى الحيَّ جماداً ساكنا بعد ذبّاك الحراك الدائم؟

*

أوَلا يطربُ في نشوتهِ شارب القهوة في اليوم الأخير؟
أوَلا يعبثُ في شهوتهِ مُسلِم الجسم الى الدود الحقير؟

*

قصةُ الخلد التي غنّوا لها علّتهم بالسرابِ الخادعِ
نشوةُ الشاعرِ ما أجملها هي مفتاح الخلود الضائع!!

*

لو أصابوا حكمةً ما اتهموا وبكى لاحيكَ والمستهجنُ
هو من دنياهمُ لو علموا عبثٌ مرٌّ ولهوٌ محزنُ!!

العمي يبصرون

او عجيبة الحس السادس

بسطهُ علي تقي

كما يبعث بعض الناس على الدهشة والاستغراب ، ان يروا في الشارع اعمى يسير وكأنهُ يرى، ويزيد في دهشتهم مقدرة بعض العميان على الاحساس باجسام قريبة منهم او باجتناب اخطار وشيكة ويذهب بعضهم في الارتياب الى أبعد مدى فيقول ، ان هؤلاء العميان ليسوا عمياناً وانما يتصنعون العمى استدراراً للشفقة والرحمة

فهل يستطيع الاعمى ان يرى ؟

والجواب عن هذا السؤال بحسب رأي المستر جبرائيل فارل مدير معهد بركنز للعميان في ووترتون بولاية ماستشوستس الاميركية ان العميان يرون ولكنهم لا يرون بعيونهم

واذا كان العميان لا يرون بعيونهم فبماذا يرون ؟ هذا سؤال ليس الردّ عليه بالامر اليسير، وقد حيّر العلماء ، علماء النفس وعلماء وظائف الاعضاء ، والناس بوجه عام العمي منهم والمبصرين

قال احد العميان للمستر فارل — كاتب هذا المقال — ردّاً على سؤال وجههُ اليهِ : عندما اقترب من شجرة اعلم اني مقترب منها ولكنني لست ادري كيف اعلم ذلك . اني لا اشكُّ مطلقاً ان امامي شجرة . اني احسّ بالحواجز التي تعترض سبيلي فاجتنبها ، وبأناملي اتبين حجم الشجرة وشكلها ولحاها ولحاها يدلني على نوعها فأتصوَّر غصونها وأوراقها وأستنشق اريج أزهارها . والخلاصة اني أرى الشجرة الا لونها

ولكن هل اللون هو العنصر الاساسي في الابصار . والعامل الاولي في الحال ؟ ان عوامل الشكل والحجم والحسّ تعادل اللون على الاقلّ والاعمى يستطيع ان يتبيَّنها جميعاً ثم اذا كان الاعمى قد أصيب بعاهتهِ بعد الطفولة، فان ذاكرتهُ ولا ريب تمكنهُ من تصوّر الاجسام بما فيها الوانها . فالبصر في رأي احدهم ، انما هو الحسّ عن بُعد وقد اضيف اليه قليل من اللون

واذا سلّمنا بقدرة العميان على تذوّق الجمال وتقديرهِ فكيف نفسر قدرتهم على السير في

الشوارع يتخطون العقبات او يحيدون عنها . ليس ثمة ريب في ان عمياناً يفعلون ذلك ، فما هو التعليل ؟

وقد أطلق بعضهم على قدرة العميان هذه اسم «الحس السادس» كان في الامكان تركيزها في عضو معين أو طائفة من الأعضاء كالعين والاذن وما يتصل بهما . والواقع ان هذه القدرة مؤلفة من ثلاثة عناصر . أولها الحس بما يعترض سبيل الأعمى من العقبات والحوائل وهو ما يعرف عادة بالحس السادس ، وثانيها تبادل الاحساس أو تعويض حس بآخر ، وثالثها القدرة على التوجه في جهة معينة ، وهي قدرة قائمة على ما يعرف بالذاكرة العضلية

والذاكرة العضلية ، أقرب هذه العناصر الى العقل ، والتسليم بها محتم عليه ، لأن كل انسان يذكر مقدرته ان يمشي في داره في الظلام ، متخطياً ما قد يكون في سبيله من العقبات من كراسي أو موائد ، من دون ان يراها ، ذلك لأن عضلاته تعلمت مواقعها المألوفة ، فذكرتها في الظلام الدامس . كذلك تعلم عدد الدرجات في سلم تعودنا ترقيه ، من دون أن نحصيها ، فاذا اضطررنا توقل هذا السلم في الظلام ، فعلنا ذلك من دون وعي ولم نخطيء العدد ولا حيث ينعطف السلم يميناً أو يساراً . كذلك العميان ، يتعلمون على هذا المنوال ، ان يمشوا في الاماكن التي تعودوا المشي فيها ، لأن ذاكرتهم العضلية تدون الابعاد بين العقبات التي تعترض سبيلهم ، فيتحنبونها كأنهم يرونها ، وفي كل يوم أرى دليلاً على صحة هذا القول ، في معهد بركلي ، إذ أجد الطلاب يسيرون ولا يخطئون من حجرة الى أخرى ، لا يلوون على شيء ، فأكاد لا أصدق أنهم عميان

خارج مكتبي في هذا المعهد ، طريق بين دارين من دور البنات وعلى بعد معين من نافذة المكتب تنعطف الطريق وكثيراً ما اطل من النافذة فأرى فتاة سائرة ولكنها لا تلبث أن تتردد في سيرها فتصفق براحتيها ، ثم تسير مسددة خطاها وتنعطف حيث يجب ان تنعطف . فهذه فتاة لم تتعلم عضلاتها طول الطريق ولا حيث تنعطف ، فتحاول أن تعرف ذلك بصدى تصفيقها . ومن الغريب ، أننا نرى مثال هذه الفتاة ، في بدء السنة الدراسية ، عند ما تكون طائفة من الفتيات حديثات العهد بالمعهد ، وقبل ان تتمرن ذاكرتهن العضلية ، على الابعاد والأجسام التي تحيط بهن

***

أما العامل الثاني ، أي تبادل الاحساس ، فأعسر على الفهم من الذاكرة العضلية ، لانه قائم على خطأ قديم شائع . فالناس يعتقدون من قديم ان حواس اللمس والشم والسمع والذوق أدق احساساً في الأعمى لانه أعمى ، منها في المبصر . وهذا بعيد عن الصواب او انه تحريف للصواب . مع أنه مصدر كثير من الحكايات والخرافات التي تروى عن العميان ويدهش لها الناس

اما ان حواس العميان ليست ادق احساساً من حواس المبصرين، فقد اثبتتهُ تجارب عديدة . وفي مقدمتها شهادة الاستاذ بيرڤاليه (.....) استاذ الادب في جامعة فلي بفرنسا وكان اعمى ، فان مباحثه السيكولوجية في العميان تعدُّ مرجعاً يعتمد عليهِ . وقد اجرى تجارب بنفسه وكتب ما يلي :

« انما نعلم عن تعزيةٍ لا يكفي الانسان ان يصاب بالعمى ، حتى تتضاعف قوة حواسّه « الاخرى وان هذا التبادل ليس انحاراً تمد اليهِ الطبيعة لتعوض صحاياها واعا سرّ ما يبدو « في الحواس الاخرى من الارهاف يرجع الى تمرينها تمريناً دقيقاً يقتضيه فقد البصر »

اما ما يعقبهُ الاعمى من الجهد والتاقة بعد فقده بصره في تمرين حواسّه الاخرى ، فقلما يكون في مستطاع المبصرين . وقد جمعنا عرضا في معهد بركلي ان نساعد العمي على هذا التمرين ليتناصوا بارهاف حواسهم الاخرى عن فقد بصرهم . فنبدأ في تمرين حسّ اللمس ولكن نوع المرتبة التي تمكن الاعمى من هذا التعويض ، يتوقف على عزمه وصلابة مشيئته وهذا يفسّر لك لماذا يصعب بعض العميان عندما يسمون الرأي السائد في هذا الصدد وهو ان ارهاف حواسهم الاخرى التي يعوضون بها فقد البصر ، منحة من الله ، لا يد لهم فيها

والخطوة الاولى في تمرين حسّ اللمس هي تمرين الانامل ، لان الانامل تصبح عين الاعمى فبالانامل يستطيع الاعمى ان يقرأ ، وبها يرى باللمس ، جميع الاجسام التي في متناوله ومن ثمة تعليم العميان ، يتعين عليك ان تمرّن الانامل على فهم النظام المعقد الدقيق الذي تنطوي عليه طريقة الكتب الخاصة بالعميان ، اي طريقة براي Braille وهذا التمرين هو اساس تعليم العميان وليس بالامر السهل ، لانهُ يتعارض مع قاعدة اساسية من قواعد التعليم ، وهي تمرين العضلات الكبيرة اولاً . فتمرين الانامل هذا تمرين العضلات الصغيرة دون الكبيرة اولاً . وليس النجاح مضموناً . فاحد الصغار عندنا اصيب في السنة الماضية بمرض اتلف انامله . وفتاة صغيرة عجزت عن بلوغ المرتبة المطلوبة من دقة الاحساس في الانامل ولكن معلمتها اكتشفت ان لسانها دقيق الحسّ لما في كتب « براي » ، من النقط فمهّدت لها سبيل التعليم عن طريق اللسان ولكن استعمالها لسانها على هذا النحو اقتضى منا تخصيصها بكتب لا يستعملها الآخرون

وعلاوة على تمرين الانامل، يتعيّن على الاعمى الآخذ في سبيل التعليم ، ان ينشئ روابط متنوعة بين المدركات الحسية والمدركات العقلية . فالنقط في كتب براي ، تمثل لهُ ما تمثله الكلمات في كتاب يقرؤه المبصر . كذلك يجب عليه ان يتمرّن على الربط بين ما يدركهُ بالحواس والصور الذهنية المقابلة لها

ثم يضاف الى هذه المجموعة ، ما يتعلمهُ الاعمى باختباره الخاص ، ولذلك تتوسل الى المبصرين

ان ينسوا الوهم القائل بأن الطبيعة تعوض الاعمى عن فقد بصره بارهاف حواسه الاخرى، وان يحكموا على الاعمى بما يكسب لا بما فقد . وان يجعلوا الشفقة من معاملتهم له، فانه لا يقبلها، بل تغضبه

***

نتقدم الآن الى البحث في مقدرة الاعمى على الاحساس بالعقبات والحوائل التي تعترض سبيله . وهي العامل الثالث في ما يعرف بالحس السادس . وقد وصفناها في اول المقال، في مقدمة العوامل الثلاثة، لانها الباعث الاول على دهشة الناس واستغرابهم لاعمال العميان

سمعت مرة صبيًا يقول : « فلان من اذكى الشبان . فانه يحس بوجود التلغراف على بعد خمس عشرة قدماً » وكان هذا الشاب المشار اليه، لا يقتصر على قدرته على الشعور بعمود التلغراف، كما تقدم، بل هو حاصل على اعلى درجات التحصيل العلمي وهو اول فصل المنتهين في مدرسة الحقوق . ولكن كيف يستطيع هذا الشاب ان يشعر بعمود التلغراف على بعد خمس عشرة قدماً ؟ وجهت اليه السؤال فاجاب :

« الطريقة الوحيدة التي استطيع ان أصف بها شعوري عند ما اقترب من عقبة ما في طريقي »
« انما هي بقولي اني احس كاني ادخل منطقة واقع عليها ظل ذلك الجسم . ومع اني لا أرى »
« النور ، احس عند اقترابي من جسم ما ظلام ، ينبهني الى ان هناك عقبة في طريقي » .
« ولست احس هذا الاحساس عند ما تكون الاجسام أمامي في الطريق فقط ، بل عند ما تكون »
« على جانبيها كذلك . وبعض الاحيان عند ما اسير في شارع يمشي وحده، واكون سائرًا في وسطه »
« احس بالاشجار المغروسة على جانبيه حتى لكاني اراها . وهذا الشعور يكون على اقواه في »
« الليل ، فان احساسي بالاجسام أدق في الليل منه في النهار »

ولما سألته كيف يفسر ذلك قال انه يرجح أن قلة الجلبة في الليل تساعده على دقة الاحساس . وان الضوضاء تشوش عليه احساسه اكثر من اي عامل طبيعي آخر

ومع ذلك نرى هذا الشاب وقد كف بصره وهو في العاشرة، يذهب كل يوم الى مدينة بوسطن، بالترام، ويسير في الشارع ثابت الخطى، حتى ليشك اكثر الذين لا يعرفونه، في انه كفيف . والظاهر ان احساسه بالاجسام والعقبات امامه وحوله، أرهف في حداثته، ويقول رفاقه في المدرسة، انه كان يحس بشجرة امامه حتى يستطيع ان يقذفها بكرة من الثلج ويصيب هدفه

ثم سألت آخرين وكانوا فريقين . فالفريق الاول كان مؤلفاً من ملمين اعتزلنا التعليم، ومعلم متقدم في السن . وكان هذا النوع من الاحساس في الثلاثة مرهفاً اشد الارهاف . مع

ن كلاً منهم فقد بصره في عمر يختلف عن عمر الآخر فاحدى السيدتين فقدت بصرها في العاشرة من عمرها ولكنها تستطيع ان تصور الشجرة عندما تقترب منها والاخرى وهي كفيفة من اولادتها، ليس في مقدرتها ان تصور شجرة ولكنها قالت ان الاشياء عامل اساسي في الاحساس بالاجسام فقضت عليها الاولى سوطاً وبذلك امشي وفي يدي عصا فتحس بالاجسام، لكي أصرف انتباهي الى تحديد المصير وقد وافق الرجل على ما قالته السيدتان واضاف اليه ان الصوت يُضعف من دقة احساسه وبشوشه، وان الثلج في اختباره، كالضباب، يفقد الاجسام معالمها في حسّه ويكل الحس في امره، انهُ بالمرانة صح قادراً على التلمس على « صاب الاعمى » في سيره الى داره، عندما تكون الارض مغطاة بالثلج والجمد

وكان الفريق الثاني مؤلفاً من شبان يتلقون الدروس العالية في معهد بركلي، وكانوا جميعهم عمياناً، أحدهم ولد أعمى والباقون كف بصرهم في أعمار تختلف من سنة الى سبع عشرة سنة أما احساسهم بالاجسام فكان دقيقاً كل الدقة، فكانوا يسيرون وحدهم في الاحياء التي ألفوها من المدينة، وكان أحدهم يحمل عصاً عندما يذهب الى حيٍ غريب

فلما وجهت اليهم السؤال كيف يحسون بالاجسام والعقبات في طريقهم، كان السؤال باعثاً على مناقشة عنيفة بينهم فاتفقوا جميعاً على ان الادراك بالوجه والأذن من أهم العناصر في هذا الادراك الحسي. ولكن ستة منهم اكدوا ان السمع له المقام الأول أما الثلاثة الباقون فجعلوا المقام الأول للاحساس بالوجه لأن الستة الأول ذهبوا الى ان الادراك بالوجه يتحد شكل الاحساس بصد الهواء عن الوجه ولا سيما من الصدغ الى الصدغ. والاحساس في رأي بعضهم أشبه شيء بالشعور بعنكبوت يمرُّ على الوجه وقال أحدهم ان هذا الشعور شبيه بغمس الاصبع في ماء ثم تعريضه للهواء. وجميعهم اعترفوا انهم يحسون بالاجسام على جانبي الطريق التي يسلكونها علاوة على احساسهم بالاجسام التي امامهم واتفقوا جميعاً على ان الاحساس أدق في الليل منهُ في النهار لأن الليل أكثر هدوءاً أو أقل ضجيجاً من النهار

***

وفي خلال البحث حاولنا ان نعرف مدى دقة الاحساس، أي المسافة التي تكون بين الجسم المحسوس والكفيف الذي يحسّهُ. فاتفقوا على ان الاحساس بشجرة أو عمود مصباح يكون على بعد عشر أقدام من أحدهما. اما الاحساس بسيارة مستقرة على جانب الطريق، فيكون والكفيف على عشرين قدماً منها وأنكر بعضهم ان الجسم المحسوس، يجب أن يكون في مستوى موازٍ لمستوى الرأس

وقد اتفق الجميع على ان الاحساس بالاجسام متصل بيقظة دائمة. وهذا افضى الى البحث

في أفضل الطرق لتربية العمي على ارهاف هذا الاحساس فاقترح احدهم ان يُبنى تيه يطلق فيه العمي يبحثون عن مخرج منهُ. واقترح آخر ان يؤخذ فريق منهم في عربة الى الغابة ويترك كل منهم في مكان منها ليبحث عن طريقه الى المعهد

ولا ريب في ان في هذه المقترحات، على تفاوتها، شيئاً من الصحة. فقد اتفقوا جميعاً على ان الاحساس بالاجسام والعقبات وليد الرغبة في الاستقلال والتغلب على العاهة. فالاعمى الذي يلبث مستقراً في داره لن يكتسب هذا النوع من الاحساس. وتمرين هذا الاحساس يتوقف على المثابرة والمراناة. وقد افرغ احد الشبان هذا الرأي في قالب قانون علمي فقال: «ان الاحساس بالاجسام ينمو [illegible] المساعدة التي ينالها او يقبلها من الناس»

ومن الغرائب ما يستطيعهُ هؤلاء الشبان. فجميعهم يذهبون الى حجر الفصول التي يتلقون بها الدروس في بوسطن او كمبردج (ولاية مستشوستس) وحدهم. والشاب الذي وُلد اعمى يستطيع ان يقذف كرة «البايسبول» الى شقيقه الذي يبعد عن مكانه باحداث صوت في القفاز الذي يلتقط به الكرة. والشاب الذي فقد بصره وهو في السابعة عشرة من العمر يلعب الجولف ويستطيع ان يقذف الكرة في الثقوب الخاصة بها في الارض فيصيب ٩ من ٨ منها

يتبين مما تقدم ان هناك اموراً خاصة بالحس السادس لا نزاع فيها. فاولاً من السهل اكتساب ما يدعى بالذاكرة العضلية وهي عنصر اساسي فيه. وثانياً لا ريب في انهُ يمكن ارهاف الحواس الاخرى بالمراناة اذا فقد الانسان حاسة البصر. وثالثاً ان الاحساس بالاجسام والعقبات في الطريق، يمكن اكتسابهُ بالقياس الى ما يبذل في سبيل ذلك من الجهد وبفطنة الحواس بوجه عام. ويكاد يكون من المحقق ان الثلج والصوت يشوشان هذا الاحساس او يضعفانه

اما هل نستطيع ان نمرّن جميع العميان على اكتساب هذا الاحساس الاخير، فموضوع لا يمكن الحكم فيه حكماً فاصلاً الآن

***

لم يهمل العلماء ولا سيما علماء النفس البحث في هذا الموضوع وتعليل ما يبدو في عالم العميان التي من هذا القبيل من الغرائب. فديدرو كان اول من وجّه انظار العلماء الى دقة احساس العميان فكتب سنة ١٧٩١ ان اعمى بويزو يحكم على قربه من النار بدرجة الحرارة وعلى مقدار ما في وعاء من الماء بالصوت الذي يحدثهُ سائل يصب فيهِ وعلى قربه من بعض الاجسام بتأثير الهواء في وجهه. وقد بلغ من دقة احساسه بتغيّر الهواء انهُ يستطيع التمييز بين شارع وزقاق

ولا يخفى ان الاشارة الى تأثير الهواء في الوجه عبارة كأنها منتزعة من اقوال الشبان الذين تقدم ذكرهم في معهد بركنز

وقد كتب اعمى يدعى هانكس ليفي في كتاب له عنوانه العمي والعميان نشر سنة ١٨٧٢ انه سواء كان في الهواء الطلق او في حجرة مغلقة ، واقفاً او ماشياً ، فانه يستطيع ان يدرك اذا كان امام جسم ، وهل ذلك الجسم طويل او قصير

وفي العقد الاخير من القرن التاسع عشر بدأ درس هذا الموضوع درساً علمياً . بدأه الدكتور هلر الالماني ، سنة ١٨٩٥ . وزعم ان الاعمى يقترب من جسم ما ، يدرك اولاً تغيراً في وقع خطواته ثم ينتبه لما يشعر به من الضغط على جبهته . فاذا شعر بزيادة الضغط هناك عرف ان امامه جسماً فيجتنبه وحوالي ذلك الوقت ، عني ثلاثة من علماء النفس في اميركا ، بموضوع احساس العميان بالاجسام وهم وليم جيمز (١٨٩٠) ودسلر (١٨٩٣) وروبرت ماكدوجال (١٩٠٤) ولعل اتم مؤلف كتب في هذا الموضوع هو كتاب الدكتور صموئيل هايز وعنوانه « الرؤية بالوجه او الاحساس بالحوائل »[1] والدكتور هايز استاذ علم النفس في كلية موت هوليوك ومدير قسم المباحث النفسية في معهد بركنز ومعهد بنسلفانيا لتعليم العميان وقد قضى ١٨ سنة في هذا البحث

والخلاصة التي يخرج بها القارىء من كتابه ان الآراء لا تزال متضاربة في تفسير ذلك وان هناك على الاقل ثلاثة اتجاهات عامة يأخذ بها الباحثون في هذا الموضوع

***

وقبل ختام هذا البحث لا بد من القول ، ان وراء تعليل العلماء وتفسيرهم ، يبقى العامل الشخصي الذي قلما يستطاع ضبطه . فان يحيى لي بتقصي ، مهما اقرأ من المؤلفات العلمية ، عند ما اذكر فتى في معهدنا ، في السابعة من عمره ، اعمى واصم في آن ، لا يخطىء مرة في معرفة هل الداخل الى الحجرة رجل او امرأة . او عند ما اذكر فتى آخر اعمى اصم مثله في السابعة عشرة من العمر ، يدعو معلمه باسمه كلما اقترب منه وابن لقيه وفتاة ضريرة ، تعطى مكعبات للعب بها فلا تخطىء في جمعها طوائف طوائف بحسب لونها . وقد تمكنت احدى فتياتنا من العناية بادارة بيت على الرغم من عماها وصممها ، فتراها في المطبخ تروح وتجيء وتقوم بجميع الاعمال كأنها مبصرة[2]

---

(١) Facial Vision or the Sense of Obstacles (٢) حدث الاستاذ ... على مظهر انه عرف في قريته بوتيه رجلاً اعمى كان يستطيع ان يختار اسوأ بغل الماء فوق معرفة كثير من دون ان يرل قدمه ، وكان يجيء ابنته التي يحيك بها ثيابه في كور من اكوار الذرة في روابه واسعة ويستطيع الاهتداء اليه بعد الم من دون ان يخطىء قصده مرة واحدة

جامع دير القديسة

كاترين بطورسينا

للمستر رابينو

قنصل بريطانيا العظمى العام بالقاهرة

[illegible] ١٩٣٥ [illegible] دير القديسة كاترين بطورسينا [illegible] المدونة [illegible] الرسمي الذي قام بها الى الدير الاول في مارس والثانية في ابريل سنة ١٩٣٤ [illegible] للفصل الذي عقده عن جامع دير القديسة كاترين في كتابه الذي [illegible]

ان حاج العصور الوسطى مثله كمثل السائح في ايامنا هذه . كان عند اقترابه من الدير تأخذه الدهشة اذ يرى مأذنة قائمة وسط منطقة الدير وملاصقة لكنيسة التجلي وقد اشار اليها الراهب جاك لفيروني الذي زار طورسينا سنة ١٣٣٥ في كتابه الذي نشر في مجلة الشرق اللاتيني سنة ١٨٩٥ حيث يقول ان الجامع قائم مرجه (مأذنته) وهناك يمارس رجال الدين العرب شعائرهم الدينية وما كان في مكنة الرهبان ان يعترضوا البتة اذ كانوا خاضعين للسلطان الذي كان راضياً عن ذلك . كما اشار اليه الحجاج الايطاليون الذين سافروا من القاهرة الى طورسينا سنة ١٣٨٤ اشارة ممزوجة بروح التعصب الذي كان رمزاً على ذلك العصر

بني جامع الدير كجزء من الاهمية الدينية — كما يؤخذ من الكتابة المدونة على كرسي سنتحدث عنه فيما بعد — بين سنتي ١١٠١ و١١٠٦م (٤٩٥ — ٥٠٠ هـ) بأمر ابي علي المنصور انوشتكين وزير الخليفة الآمر ١١٠١ — ١١٣٠م (٤٩٥ — ٥٢٤ هـ) ولا ريب انه عز عليه ان يرى البدو العرب الذين كانوا يسكنون شبه جزيرة سينا وكانت كثرتهم تدين بالطاعة للدير من دون محل لائق للعبادة ، فشيد الجامع الذي بالدير كما بنى جامعين في وادي فيران وثلاثة مساجد اخرى فوق جبل موسى الذي كان يطلق عليه ويقدر مكان مناجاة موسى عليه السلام

وكان الجامع في نظر الحاج الروسي باسيل بوسنيا كوف كنيسة قديمة اقيمت للقديس باسيل القيصري مؤسس طائفة الرهبان اليونان غير ان الكتابة المدونة على الكرسي الذي ذكرناه لا تحتمل الشك معي تحدثنا (مما امر بعمل ..... الجامع المبارك الذي بالدير الاعلا) غير انه

لا يمكن الاستدلال من هذه العبارة على ان ابا علي المنصور اقام المسجد من اساسه وانما وجود سطح المدخل البرنطي مثبتاً في حائط المحراب يؤيد قوله ان الجامع كان كنيسة قديمة

ان الممدمامة[1] او الاتفاق الذي تم بين الرهبان وبين النبي والذي لم يشك في صحته المؤرخون العرب والمذكور من جهة أخرى في كثير من الوثائق المحررة في عهد السلطان محمد الثاني سلطان تركيا سنة ١٤٥٧ والسلطان سليم الاول سنة ١٥١٧ والسلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٨ والسلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٤ ، فضلاً عن الفرمانات الكثيرة الصادرة من سلاطين مصر وتركيا التي وضعت الدير سكانه وممتلكاته تحت الحماية الخاصة ، لتنهض دليلاً على حسن العلاقات التي كانت قائمة بين السلطات الاسلامية وبين الرهبان وان لم تكن تلك الحماية كافية لوضع حد لغارات البدو التي كانوا يشنونها على الدير انتهازاً للفرص المناسبة وابتغاء نهب ممتلكات الرهبان الا انه لا شك أن الرهبان نزلوا مرغمين على ارادة السلطان التي قضت ببناء منارة تطل على كنيستهم المشهورة

يقوم الجامع على بعد سبعة أمتار تقريباً من الحائط الشمالي الغربي من سور الدير ولا تزيد أطول مسافة بين واجهة كنيسة التجلي المذكورة وبينه عن ستة أمتار وهو قائم على عقادين باقية تقوم مقام الدور الارضي من البناء الذي هو أبسط الابنية هندسة وليست له أي شأن معماري وهو مستطيل الشكل عرضه عشرة أمتار وطوله سبعة أمتار والباب الموصل اليه يهبط إلى أرضه بثلاث درجات تجاه المحراب وفي منتصف الطريق بين الباب وحائط المحراب دعامتان من البناء احداهما عن يمين الداخل والاخرى على يساره في شكل صلب تحملان عقداً في كل اتجاه مستقرة على أكتاف الحيطان الجانبية . وارتفاع العقد من الارض ٣٫٧٨ م

ويعلو كل عقد حائط من البناء تتوسطه نافذة مربعة واسعة ويستقر السقف فوق هذا كله وهو سقف لا شأن له وخلو من أية زخرفة وللجامع تسع نوافذ خارجية منها ست مسدودة أما المحراب فارتفاعه متر تقريباً تكسوه في منتصفه لوحة من المرمر نزعت من مدخل مرمري وعلى جانبيها فسيفساء من الرخام لا قيمة لها أما المئذنة فهي قائمة خارج المسجد على بعد مترين من النهاية الشرقية لحائط البناء الجنوبي الشرقي وهي برج مربع يبلغ ضلعه ٣٫٥ × ٣ م وارتفاعه سبعة أمتار تقريباً وينتهي بقبة صغيرة لها شرفة خشبية على بعد مترين من قمة القبة

وبالمسجد تحفتان منبره وكرسيه المؤرخان . . . فأما المنبر فهو أحد ثلاثة لم يصل الينا غيرها

(١) هذه الوثيقة كانت محفوظة بمكتبة الدير وهي مؤرخة في ٣ محرم سنة ٢ هـ وعليها بصمة يد النبي (صلعم) ولم تقم عليها بعد ذلك من أبي بكر وعمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب ثم من ستة عشر صحابياً وقيل ان سليم الاول سلطان الدولة استولى عليها من الدير واحتفظ بها في دار المحفوظات بالاستانة ويقال ان هناك صورة منها محفوظة بالدير المذكور وصورة اخرى بدير الطاهر بالقاهرة وعلى كل حال فكثير من مؤرخي الاوربيين يشكون في وجود الاصل وصحة الصور . اما نصها فقد نشره كاملا نعوم شقير بك في كتابه « تاريخ سينا » الذي نشر بالقاهرة سنة ١٩١٦ كما نشر ترجمته كثير من مؤرخي الاوربيين في القرنين الاخيرين

من العصر الفاطمي . وأما الثاني فتترفوس بالصعيد والثالث بالخليل في فلسطين . وقد أشار اليه كثير من زوار الدير نطورسينا واليك وصفاً لهُ عن الاستاذ راشد الاميي الاول بدار الآثار العربية الذي كان يرافقني في احدى رحلاتي

« طول المنبر ٤٧ر٢ م (٧٨ و . م + ٦٩ و ١ م) وارتفاعه من الخلف ٤٠ و ٢ م ومن الواجهة ٦٢ و ٢ م أما العرض من الخلف ٦٣ و . م . أما حشوات جانبي المنبر فلا تزال معظمها محفوظة في مكانها ومحلاة بزخارف نباتية مكونة من أوراق وفروع محفورة حفراً رومياً فيه التناسب وكذلك في أمير من الداخل حيث يجلس الخطيب — في الظهر وعلى الجانبين . حشوات من الخشب أكبر حجماً وزخرفتها مماثلة ، وان أسلوب زخرفة الحشوات كلها متفق مع الفن المعاصر لتاريخ المنبر » . أما اللوحة التاريخية التي فوق باب المنبر فقد دلتنا على أن المنبر أنشىء بأمر أبي القاسم شاهنشاه الافضل ابن بدر الجمالي وكان وزيراً للخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله سنة ٥٠٠ هجرية والخط بالخط الكوفي والنص ستة أسطر بارزة على حشوة من الخشب ٧٥ر٥ و . م × ٢٤ و . م واليك النص —

« بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك لهُ — لهُ الملك ولهُ الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير — نصرٌ من الله وفتحٌ قريب — لعبد الله ووليه ابي علي منصور الامام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتصرين أمر بانشاء هذا المنبر السيد الأجل الأفضل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين ابو القاسم شاهنشاه عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه امير المؤمنين وادام قدرته واعلا كلمته وذلك في شهر ربيع الاول سنة خمس مئة الثواب بالله »

اما الكرسي الخشبي المخصص لانارة الشمع فهو من العصر ذاته وأمر بصنعه انوشتكين وزير الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله واليك أبعاده . الارتفاع (ما عدا ارجل الكرسي ومقابضه العلوية الكروية) ٤٦ و . م والعرض من الجانب العلوي ٢٤ و . م ومن الجانب الادنى ٤٨ و . م وعليه كتابة محيط به في اعلاه وفي ادناه اليك نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم مما امر بعمل هذا الشمع والكراسي المباركة والجامع المبارك الذي بالدير الاعلا والثلاث مساجد التي فوق مناجاة موسى عليه السلام والجامع الذي فوق جبل دير فاران والمسجد الذي تحت فاران الجديدة والمنارة التي بحصن الساحل الامير الموفق المنتخب منير الدولة وفارسها ابي المنصور انوشتكين الاميري »

وكان مكتوباً بالحبر على اللوحة الرخامية المثبتة في المحراب السابق ذكرها بحسب ما رأى نعوم شقير بك اثناء رحلته سنة ١٩١٦ « بعض اسماء الزوار المسلمين ومنهم (مفتاح عبد الله في ٢٨ رمضان ٩٢٥هـ اي ٢٥ سبتمبر ١٥١٩) سليم بن محمد الخطيب ومعهُ جماعة من عساكر الاشورق

في ٨ رجب سنة ٥٢١ هـ اي ٢٠ سبتمبر ١١٢٧ م «ثم اسماء كثيرين غيرهم من الزائرين مكتوبة بالقلم الرصاص نقل الاب ميسترس لدي كلس عام ١٩٠٩ عن رحلة قام بها في تلك البقاع

«ويظهر ان الجامع مهمل منذ سنين طويلة واحتفظ المسجد بكرسيه ومنبره ولكن لم يحتفظ بالغرض الذي شيد من اجله بل صار مخزناً للحبوب والمواكل لان الديدة هي حجة برثى لها»

ولم يذكر لنا نعوم شقير بك عن المسجد شيئاً عام ١٩١٦ اذا استثنينا ما يلي — «ويلقب خادم الجامع (بالخوجة) وله جراية من الدير يومية واسبوعية . اما اليومية فعشرة ارغفة وطعام الظهر والمساء مما يأكله الرهبان . واذا صام الرهبان اخذ بدل طعامه قدحاً من القمح اما جرايته الاسبوعية فانه يتناولها عند سبات الاسبوع قبل الانصراف وهي خمسة اقداح مصرية من القمح ونصف قدح من العدس وثلاثة ارغفة واقة ملح عدا وفي الوقت نفسه يأخذ جراية عائلته وهي في كل يومين ثلاثة ارغفة للمرأة وارغفة ارغفة للتابع من اولاده وثلاثة ارغفة لغير التابع منهم . ومعدل وزن رغيف الدير ٣٥ درهماً»

ولا يزال هذا النظام قائماً غير ان الجراية في شهر رمضان اليومية والاسبوعية ضعف ما يصرف في الايام العادية مضافاً اليها رصحة من الزيت في الاسبوع لايقاد مصابيح الجامع . اما وظيفة الخادم فهي وراثية في «رارانه اولاد سعيد» وهم عشرة او خمسة عشر شخصاً يتناوبون العمل بينهم فيتسلم كل نوبته يوم الجمعة بعد غروب الشمس

وكان المغفور له جلالة الملك فؤاد الاول معتزماً زيارة طورسينا منذ عشر سنين تقريباً فاهدى الى الجامع حصراً وسجاداً وزود المنبر باعلام ثمينة من الحمل الاحمر المزركش بالذهب مكتوباً عليها آيات من القرآن واسم مهديها والاعلام لكي ترفع على جانبي المنبر من اجل صلاة الجمعة وفي المسجد فضلاً عن ذلك مثلها من هذا النوع مخصصة لمقابر الاولياء في البقاع المجاورة غير انها لم ترسل الى الجهات المخصصة لها وقد رش المسجد بالجير ودهن سقفه استعداداً لزيارة جلالته غير ان المسجد فقير جداً فلا وقف ولا ريع مخصص لصيانته واقامة الشعائر فيه ولعل يوماً تفكر فيه هيئة ورعة فتوجه عنايتها الى ذلك المسجد النائي وسط جبال طورسينا ويظهر ان خدمة الدير المسلمين لا يقيمون الصلاة في المسجد غير ان مفاتيحه تحت طلب اي زائر او مقيم يود ان يؤدي فيه الفريضة

وقد احتفظ الاب امين الصندوق لديه بالكرسي ولوحة المنبر التاريخية الثمينة مخافة عبث الذين لا يراعون الاً ولا ذمة واذا استطعت اليوم ان اعرض على القارىء صورة للمسجد بالالوان الطبيعية فالفضل راجع الى حضرة احمد افندي يوسف الموظف بمصنع صب القوالب بالمتحف المصري فقد رافقني في رحلتي الاخيرة الى جبال طورسينا وقمت انا شخصياً برسم مسقط الجامع اما الصور الفوتوغرافية فهي من تصوير مسيو تابو الذي كان رفيقي في رحلة ابريل سنة ١٩٣٤

قسطاس الحق

آراء أساطين الفلسفة في كل أدوارها

في ما هو الحق

لحنا خباز

تنحصر المذاهب الفلسفية الكبرى في ما لا يكاد يتجاوز عدد الاصابع

الاول: المذهب المادّي Materialism وقد يدعى الحسّي او الاختباري Empiricism وواضع اصوله ديمقريطس. تلاه فيه الابيقوريون وفي العصر الحديث الانسكلوبيذيون لامتري وهولباخ ورفاقهم

الثاني المذهب الروحي Spiritualism أسس هذا المذهب فيثاغورس ومن أشهر دعاته بركلي الشهير

الثالث: المذهب النفعي Eudemonism or Utilitarianism وضعه ارستيبوس. تلاه فيه الابيقوريون ومن أشهر رافعي علمه في العصر الحديث بنتام

الرابع: المذهب التصوري Idealism مؤسسه الاول افلاطون وواضع قواعده في العصر الحديث كنت العظيم وخلفاؤه شلنغ ولاس وهيغل

الخامس: المذهب العملي Pragmatism نرى اصوله في ارسطوطاليس وقد نظمه المحدثون في اميركا ديوي وشلر وهو ينسب الى وليم جيمس

السادس: مذهب الوهية الكون او المذهب الحلولي Pantheism نرى اصوله في زينوفانس وطاليس. ولكن ناظمه هندسيًّا هو سبينوزا وتبعه فيه نوعًا مالبرانش

السابع: المذهب النشوئي Evolutionism واضعه هربرت سبنسر وقد عارضه هنري برغسن بمذهبه مذهب النشوء الخالق Creative Evolutionism

الثامن: المذهب الارتيابي Scepticism اول من قال بالارتياب هو زينون اليوناني ولكن منظم قواعده الرسمي هو بيرهون

التاسع: المذهب التقليدي وواضعه لامني

العاشر: المذهب اللاادري Agnosticism ويجوز ان يطلق هذا الاسم على فلسفة سبنسر. ولكن واضع هذا الاسم هو هكسلي

هذي هي اشهر المذاهب الفلسفية . ولكل منها قسطاس للحق ، سنراه في عرض هذي المقالة

اممنا في هذا البحث مسألتان — الاولى هل يوجد حق مطلق ? — الثانية ما هو قسطاس ذلك الحق ، او ميزانه ، ان وُجد

هي مسألة الفلسفة . مسألة الاجتماع الانساني . مسألة المسائل . مسألة الادهار . في العلم ، في الشرع ، في الاخلاق ، في كل شيء ما هو الحق ? وكيف نؤكد انهُ حق ?

قال نيتشه Nietzsche ان جملة واحدة فقط في كل الاناجيل تستحق الاعتبار وهي قول بيلاطس : ما هو الحق ? يوافقهُ في ذلك اناطول فرنس قائلاً انها اعظم مسألة عرضت في كل التاريخ

المنطق الصحيح هو رائدنا الى الحق فاذا اضللنا عن الحق فليس من المنطق الصحيح في شيء بل هو سفسطة وفي هذا النوع من المنطق قالوا : من تمنطق فقد تزندق . فالزنادقة هم الذين يتوخون احكام المنطق . فيجعلون الباطل حقاً والحق باطلاً فتخذوا المنطق مطية لاهوائهم

ما هو الحق ? ما مصدر المعرفة ? قال السفسطائيون (المغالطون) أسلاف سقراط ان الحواس مصدر المعرفة . وجاراهم في ذلك المفكر الانكليزي « لوك » فقال ليس في العقل ما لم يكن قبلاً في الحواس

ولكن افلاطون دفع ذلك قائلاً اذا كانت الحواس قسطاس الحق فليس من حق على الاطلاق . لان احكام الحواس تختلف في مختلف الاشخاص ومختلف الاحوال . ولو ان الحواس قسطاس الحق لما كان ثمة فرق بين الانسان والحيوان لان لهذا حواس كذلك . فقسطاس الحق عند افلاطون هو الذهن Reason وعنده ان نسبة الذهن الى الحواس كنسبة الحكومة المدنية الى عامة الناس فيأخذ الذهن تقارير الحواس وينظر فيها ، ويمحصها ، ثم يصدر حكمهُ فيها

وقفّى ارسطوطاليس على آثار استاذه افلاطون فوضع فن القياس الذي ندعوه المنطق لتمييز الحق من الباطل . ويتألف القياس عندهُ من ثلاث قضايا ، هي المقدمتان والنتيجة . مثاله :

١ : الانسان حيوان ناطق — ٢ : سقراط انسان — ٣ : فسقراط حيوان ناطق

هذي صورة من صور القياس

فعارضهُ بيرهون منكراً صحة استنتاجه قال : لا تصح مقدمتك الكبرى : أن سقراط انسان : ما لم يثبت اولاً انهُ حيوان ناطق وتعليق المقدمة على نتيجة ، وهذي على تلك هو الدور الملتوي . فبطل بيرهون القياس . ويرى ان لا سبيل الى ادراك حقيقة في الكون . فيقول أبيقور : نرجع اذن الى السفسطائيين . ونجعل الحواس أصل المعرفة . فيردُّ عليه الارتيابي قائلاً كيف يمكنك أن تعتمد شهادة الحواس وهي خادعة فانها تريك الشمس كرة صغيرة وهي اكبر من بلاد اليونان ! وتريك النجوم كحبات الحمص وهي أكبر من ذلك كثيراً والنتيجة ان ليس من حق في الكون ، او اننا لا نقدر ان نؤكد حقاً ، بشهادة الحواس . وظلت مسألة شهادة

الحواس شغلاً شاغلاً في مبادئ التفكير اليونانية والرومانية حتى أحلّ البرهان المنطقي أمام تصاريفه وحيث أُهملت زوابع أبيقور والسفسطائيين أمام العقيدة المدرسية القاضية باخضاع الحواس للايمان واتفق المدرسيون وهم فلاسفة النصرانية في الأجيال الوسطى آثار أفلاطون وأرسطوطاليس في اعتبار الذهن قسطاساً للحق دون الحواس. ذلك على زعم من تعريفهم الحق بأنه ما طابق الواقع في الخارج. فكانت المُثُل عندهم أثبت من الأشياء المرئية لأن هذي عارضة وتلك خالدة. فقد كانت المُثُل قبل وجود الأشياء، وهي فيها حين وجودها، وستبقى بعد فنائها. فالانسانية أرسخ قدماً في ميدان الوجود من الحي. والانسانية أثبت كياناً من الفرد الانساني أيًّا كان

سيطرت فلسفة أرسطوطاليس على الكنيسة في الجانب الأكبر من الأجيال الوسطى، حتى ان ديكارت زعيم المحدثين في الفلسفة، مع كونه واضعاً علم الحرية، كان هو نفسه عبداً لها فأنكر شهادة الحواس في اثبات الحق

ولكن العصر الحديث استهلّ باعادة الحواس الى عرش مجدها في العلم بغاليليو، وفي الفلسفة بفرنسيس باكن. فوسّع الغاليلو (بكسر اللام) نطاق الحواس بالآلات التي استنبطها، ورفع الفيلسوف قدر العقل بالملاحظة وعلى من رام الاصلاح من المنطق. كتاب فرنسيس باكن المدعو «نوفم ارجنوم» Novum Organum او القانون الجديد يرى المنطق في هذا الكتاب مأثورة يجول الذهن في ميادينها ويصول، رامياً الى اقتناص الحقيقة بالاستقراء. قال باكن في مقدمة ذلك الكتاب — الانسان خادم الطبيعة وشارحها. فيعمل ويفهم بمقدار ما تأذن له ملاحظته الطبيعة

ومن ثمّ نشبت الحرب بين انكلترا في الجانب الواحد وبين القارة الاوروبية في الجانب الآخر من الجهة الاوروبية قام ليبنتز وكنت وهيجل وشلنج ونفت الحواس بقيود الريب وزعزع منها كل ثقة في شهادتها للحق. وفي الجهة الانكليزية هوبس وباكن وجون ستوارت مل فنددوا وقاحة الذهن في تعدّيه لمعارضة شهادة الحواس. فكرّ عليهم كنت قائلاً ان قوانين الرياضة Mathematics مستقلة عن شهادة الاختبار استقلالاً كلياً ولذا يدعوها سامية أو فائقة Transcendental فان قضية ٢ × ٢ = ٤ مفهومة بداهة a priori فكرّ عليه جون ستوارت مل كرة حوارية قائلاً: ان حكمنا بأن ٢ × ٢ = ٤ لم تكن الا نتيجة اختبار متوالٍ طويلاً فليس هو بديهياً، ولا فوق شهادة الحواس

بعد ذلك انقلبت الاوضاع فبات المبدأ الذهني في القارة وتقمّص في انكلترا. فصارت القارة حواسيةً وانكلترا ذهنية. يذكرنا ذلك بحديث اثنين مؤمن وكافر، تناقشا في أمر الديانة وكان كلٌّ منهما يرمي الى تأييد رأيه. المؤمن يبرهن على صحة الدين بما أوتي من حجة. والكافر يدلي بما عنده لدحض مزاعم المؤمن وتأييد الكفر. وانتهى الامر بينهما أن كلاً منهما اقتنع بصحة رأي خصمه. فآمن الكافر، وكفر المؤمن. هذا كان شأن الحسيين والذهنيين في

اوربا وانكلترا فرجحت اوربا على المبدأ العقلي الى الحسي . وانصرفت انكلترا عن هذا الى ذاك فاستولى تفكير كنت وربلانه وحلفائه على نحت الانكليزي حتى زرد لي بعدم الاختبار كل قيمة وبوزنكيه رد المنطق الى الاستنتاج ثم عرف الاستنتاج تعريفاً ايجابيًّا وسلخ برزن رسل المنطق عن كونه علم التفكير وقال انه علم التجريدات الاعم ووافق الاستاذ هوبهد في استقلال الاستدلال الرياضي Mathematic deduction عن الاختبار

وبناء على امتعاض الامريكيين من التجريد قال وليم جيمس ان الغموض ليس هو جمال الفلسفة . وان معنى الحقيقة بسيط الى حد يحير . انما ارادها الفاظ مفهومة حتى عند ارباب الاعمال . وقد جعل العمل قسطاس الحق ووجه معه الاهتمام الى الاشياء دون المثل

ورأى جون ديوي ان الفكر آلة كغيره من الآلات كالمعدة والعين والاطراف . فهو آلة الفهم وآلة ادارته . فعدد المذهب الحسي شأنه في امريكا

البرغماتزم Pragmatism اسم جديد لطريقة تفكير قديمة . وليس هو الا نشر نظرية فرنسيس باكن القائلة : القانون الاصلح عمليًّا هو اعظم نظريًّا . وذلك مبدأ يأتم نفسه : ان المنفعة قسطاس كل شيء

للبرغماتزم عيوب جمة . منها حمل الغموض اصبة على التوهم ان رغباتهم «حق» اذا صحت لهم المبطة ضد قسوة الدنيا . ولكن البرغماتزم لا تعني بمصلحة الفرد ، بل بالمصلحة العامة مع تجاهل ان المبدأ الفلاني حق لان نفعه هو الخطأ . وربما كان كما قال نيتشه اعم انواع الخطأ . فبرانا مدفوعين الى رأي السفسطائيين ، ونتيجتنا نتيجتهم ان الحواس قسطاس الحق . ولكن الحواس بمجموعها ، لا واحدة منها فقط . فقد تخدعنا الحاسة الواحدة فنستعين على اصلاحها بأختها

كما تخدعنا المسافة في امر الحجم ، وكما تخدعنا العين في امر اللون . فالحق هو شعور مطابق ولكن ذلك الشعور يجب ان يمتد الى كل ما عرفنا من الآلات التي توسع مدى الحس كالمكرسكوب والتلسكوب والسكتروسكوب والصفائح الحساسة واشعة إكس ، هذي آلات توسع نطاق البصر . كذلك الآلات التي توسع نطاق السمع كالتلفون والراديو والميكروفون

يضاف الى ما ذكر الحس الباطن .... وهو تلك الحاسة الداخلية التي بها نشعر بحياتنا وعقلنا . هي ثقة كغيرها من الحواس والتقارير الواردة الى العقل من الحواس التي تصلنا بالعالم الخارجي فانّا لا نعرف شيئاً في الكون كما نعرف انفسنا

لا شك في ان الحواس لا تتناول اليقين ولا الحياة . فقد أصاب هيوم كبد الحقيقة لما قال : ان الحواس لا تتناول السببية ولا العلية . انما وظيفتها مقتصرة على السابقة . فلا نقدر أن نؤكد ان الحرف « ج » يلي الحرف « ب » مطرداً كما في كلمة « أبجد » فنحن مرغمون على

الاعتصام بالارجحية . ولكن المنطق يطلب ما هو اكثر من الارجحية يطلب حكماً مبرماً وتجريدات مطلقة . الشك حلو وهذا عيب . فهذا حلو هذا هو شأن المنطق

في الدنيا تباين عظيم وعلينا ان نحسب الحق نوعياً وارجحياً وليس للمطلق من وجود . ليس الا النسبي فيلزم ان نألف النسبية في احكامنا . لان في الدنيا اشخاصاً غيرنا ، وعقولاً غير عقولنا . وقد تباين حواسهم حواسنا وحكمهم حكمنا فيكون الحق عندهم غيره عندنا

قالت السنيورا سيني في رواية بيراندلو «ان اصدق ما تراه عيني وتلمسه انامل» : فكان الرد على ذلك من لوديزي يجب ان نحترم بصر الآخرين ولمسهم، ولو انه ضد ما تشعرين في حقك مستقيم حيث وجد اكثر من شخص واحد وجب ان يكون الحق متعلقاً وحيث تعددت التصور وجب ان يكون الحق مطاطاً بالاستمرار فان ايقن قبة مؤلفة من قطع زجاج مختلفة الالوان كالاحمر والاخضر والاصفر الخ وكل واحد يرى قطعة واحدة من موقعه ، فيحسب ان القبة كلها من ذلك اللون الواحد يرى ان القبة مؤلفة من زجاج احمر . والآخر من زجاج اصفر ، وهكذا فتختلف الاحكام في مختلف المواقف ومختلف الاشخاص وقد تكون الحقيقة حداً بيننا مشتركاً واليقين حصيلة الاجماع فما هي وظيفة الذهن في منطقنا الذي يلائم اعظم رجال الشارع تحيراً ؟

الجواب ان وظيفة الذهن هي ان يساعد في جعل الشعور تصورات ، والتصورات معرفة ، والمعارف حكمة . وجعل المقاصد شخصية ، والشخصيات . والهيئة الاجتماعية سلاماً فميدان الذهن في اقتناص الحقيقة ثانوي ، لكنه حيوي لان عليه ان يتناول المتناقضات والفوضى الناشئة عن تنوع الحواس ، فيلائم بين اجزائها بحيث تتجه في منحى واحد في تصديق الخبر او تكذيبه . ولا يبلغ الذهن من اليقين نصف مبلغ الحواس وبترفعنا عما ادركنا بالعلم يمكننا ان نستنتج دون ادنى ريب

كل خطوة استدلالية تبعدنا عن الحس هي خفضة «مستوى» الارجحية في امر الحق . فعلينا ان نؤلف بين مختلف الحواس والآراء اذا رمنا توسيع نطاق التفاهم بيننا ، وكما هو الامر في الفلسفة والحكمة والحال كذلك في الحق ، يلزم اعتبار تلاؤم الاجزاء في شكل . فالحس تثبت اقدامنا على سطح الكرة . وبالذهن نتمادى ببصيرتنا الى ما وراء حدود الباصرة وباتساع نطاق الحاسة ندرك حقاً جديداً . فالحس قسطاس الحق ولكن الذهن مكتشف الحق

يقول ملخص هذه الآراء : —

لست أنتقص أساطين الفلسفة . ولا أرمي الى التفوق على ما أوردوه في (قسطاس الحق) ولكنني بكل تواضع أقول أن للحق أكثر من قسطاس واحد له قسطاسات متنوعة العنصر ، متباينة مدى الحكم . وكل قسطاس يصلح ضمن دائرة اختصاصه

أولاً — الحواس العين ترى . والأذن تسمع وهكذا. لكن لا ترى كل شيء ولا ترى الى ما هو أبعد من مداها فلها اختصاص ولها حدود . وفي دائرة اختصاصها وضمن حدودها هي قسطاس الحق فتحكم بأن صفيحة الورق في أيدينا أبيض والحبر عليه أسود . لكن ليس للعين أن تحكم من أين جئنا الحبر ، ولا كيفية تركيبه

والاذن لا تسمع كل صوت ، ولا تسمع الى ما هو أبعد من مداها . ولكن ضمن حدود اختصاصها ومداها تدرك الحق وتحددها بأن هذا صوت الطفل وذاك صوت العصفور

لكن حكمها لا يتناول تشريح حنجرة العصفور ولا ماهية الطفل وما فتئنا في حاستي البصر والسمع يمكن تطبيقه على سائر الحواس . فالحواس قسطاس الحق في دائرة اختصاصها ومداها

ثانياً — العقل وهذا قسطاس آخر للحق هو غير الحواس وقد يتناول منها ، ويكمّل ما نقصها ، أو يتعمّق الى أبعد ما أدركت هي . فالعقل يفهم ان الشيء لا يصنع نفسه . لان ذلك يستلزم وجوده قبل وجوده ولا يكون الشيء موجوداً ومعدوماً في وقت واحد باعتبار واحد. كذلك يحكم العقل بأن الجزء أصغر من الكل والبصر يشاركه في هذا الحكم فالعقل قسطاس ضمن دائرة اختصاصه . وكونه قسطاساً لا ينافي وظيفة الحواس . بل يكمّلها ويؤاخيها

ثالثاً — الاختبار والاختبار قسطاس . وهو يعلمنا ان الدخان لا يكون دون احتراق فحيث رأينا الدخان علمنا ان هناك احتراقاً ولكن قسطاسية الاختبار لا تعارض قسطاسية الحواس ولا قسطاسية العقل . بل اني أرى ان الاختبار وليد الفريقين ، العقل والحواس

رابعاً — العلم والعلم قسطاس . وهو يحكم ان اللون ليس في المادة المنظورة بل في البصر ، فالمادة الخضراء فيها كل الالوان الاّ الاخضر . والحمراء فيها كل الالوان الاّ الاحمر ويعلمنا العلم ان القمر يسير من الغرب الى الشرق والعين تراه يسير من الغرب الى الشرق وان القطار يسير والاشجار الى جانبيه ثابتة والبصر يقول بالخلاف

فليس العلم منافياً العقل ولا الاختبار ولا الحواس بل هو نتيجة هذه الثلاث ومتممها

فالقول بمصادمة العقل للحس ، وكون هذا قسطاس الحق دون ذاك هو ، في ما أرى ، قول غير رشيد . فكل من هذه الاربعة الحس والعقل والاختبار والعلم قسطاس في دائرة اختصاصه . بقي ان وراء دوائر كل هذه القسطاسات رحاب اللاّمتناهي

هنا ليس من قسطاس للحق . لان دوائر كل قسطاس هي ضمن تلك الرحاب . فلا يمكن تناولها . غير المحدود كالفضاء مثلاً « . . . » — هو وراء كل حس وعقل واختبار وعلم الاّ اننا مرغمون على الاعتراف بضرورة وجوده فهو واجب الوجود في دائرة فهمنا . ولا يمكن تصور عدمه . فهو لا يُدرَك ولا يُنكَر

العلم الحديث

١ — عجائب التركيب

الصناعي في المستقبل

---

٢ حفظ الطعام

بالحرارة والبرد

١ — عجائب التركيب الصناعي في المستقبل

قال احدهم في تحديد القذر قولاً مأثوراً، اذ وصفه بانهُ « الثروة وقد وضعت في غير موضعها ». فبار الفحم الذي يتجمع في عربة من مخازن الفحم يصلح اذا احسن استعماله لتسيير سفينة تجارية و هباب الدخان الذي ينتشر في الفضاء من المداخن من افضل المواد لصنع الحبر الذي تطبع به الصحف والكتب

فهمُّ العلماء في المستقبل سوف لا يتجه الى ابداع مواد وعروض جديدة فقط بل سوف يزداد اتجاهاً الى حسن توزيع المواد والعروض المعروفة الآن وحسن استعمالها، اي تحويل القذر الى ثروة او استعمال النفايات في صنع مواد تجنى منها فائدة ما. وخلق الثروة لهُ سبيلان :

الاول — الابداع اي ابداع اشياء جديدة لاعهد للناس ولا للطبيعة بها من قبل وهذا حقل محدود

والثاني — تحويل المواد المعروفة الآن الى ثمار جديدة وهذا حقل لاحد له

فقد تعلمنا في المدارس ان المادة لا تخلق ولا تتلاشى اي ان عدد الذرات في الطبيعة ثابت لا يتغير تقريباً. ولكن الاشكال التي تتخذها الذرات تتغير. فعناصر الكربون والايدروجين والنتروجين قد تتحد بعناصر اخرى فتتخذ الوف الاشكال بل الوف الوفها وعلماء الطبيعة لا يكادون يدركون مدى هذا المجال وسعة نطاقه. فكل سنة يأتينا العلماء بمركبات جديدة صنعوها من هذه العناصر لم تكن معروفة في السنة التي قبلها. فقد تتحد هذه العناصر في شكل معين فتكون تراباً او حصى في حديقتك ثمنهُ يسير جداً اذا شئت ان تبتاعه وقد تتحد كذلك في شكل معين آخر فتكون عقاراً طبياً مفيداً ضرورياً تدفع ثمن الدرام الواحد منهُ عشرات الجنيهات

فالمسألة لا تعدو كونها مسألة ترتيب الذرات ترتيباً معيناً ونحن اذ نقرأ عن الحفلات الباهرة التي تقام في بعض الفنادق ونسمع عن الفساتين التي كانت تتلألأ على نحر السيدة الرشيقة مدام فلان وفي جوانبها يحسن ان نذكر ان تلك الماسات هي من نوع الفحم الاسود الذي يحرق في المعامل وقاطرات سكك الحديد

في اوائل القرن التاسع عشر فاز كيماوي الماني يدعى وهلر بتركيب مادة تدعى « يوريا » في المعمل فتح بذلك ميداناً واسعاً امام مبدعي التركيب. كان الكيماويون والعلماء بوجه عام قبل ذلك يعتقدون ان المادة نوعان نوع طبيعي اي حي ولا يمكن أن يركب في معمل الكيماوي بوجه من الوجوه ونوع غير عضوي أي غير حي يوجد في الطبيعة ولكن يمكن ان يركب في معمل الكيماوي

فكانت مادة « اليوريا » اولى المواد العضوية او الطبيعية او الحية التي ركبت في المعمل أي ان الكيماوي ركبها خارج الحياة . والرأي السائد الآن في الاوساط العلمية انهُ لا توجد مادة ما على الاطلاق لا يمكن ان تركب في المعمل اذا عرفت السبيل الى ذلك

عندما توجد مادة جديدة في الطبيعة يحللها الكيماويون ثم يحاولون ان يعيدوا تركيبها بالصناعة فثمة مواد نحتاج الى مقادير كبيرة منها ولكنها لا توجد في الطبيعة الا في مقادير صغيرة فاذا استطعنا ان نركبها بالصناعة من مواد رخيصة استطعنا ان نصنع منها المقادير الكبيرة التي نحتاج اليها على اهون سبيل . فمركبات النترات مثلاً التي تصلح لتسميد المزروعات اصلها من مصدر حيوي ولكن الموجود منها محدود وآخذ في النقص لذلك حاول العلماء ان يصنعوها بالتركيب الصناعي من الهواء والماء ففازوا بذلك بعد جهد عظيم وصار صنع هذه الاسمدة اسهل من نبش الارض التي توجد فيها بالطبيعة

فكيماوي المستقبل سوف يرمي الى اصابة هدف عظيم وهو السيطرة سيطرة كاملة على المادة حتى يستطيع ان يضع القدر في مكانه اي حتى يستطيع أن يخلق الثروة من القذر والمواد البعيدة من النفايا والمواد المسودة . وقد خطونا حتى الآن خطوات عظيمة نحو هذا الهدف العظيم

فالقذر او النفايا التي تنشأ عن احماء الفحم لتوليد غاز الاستصباح لا تطرح جانباً بل تجمع ومنها تصنع مئات بل الوف من المركبات الجديدة المعروفة باسم مركبات قطران الفحم الحجري وهي تختلف من ارقى الاصباغ وابدعها الى السكرين وهو أحلى من السكر الطبيعي مئات الاضعاف

ومن هذه المركبات الصبغ المشهور بالصبغ النيلي واصله طبيعي اذ كان يستخرج من نبات النيلة وقد اشتهرت به الهند وصبغ دم العفريت وهو احمر اللون وكان يستخرج من نبات الفوة وعطر الفانيلا الذي يستعمل في عمل المسكرات والمربيات وكان يستخرج قبلاً من نبات الفانيلا والحبر الاسود الذي يستعمله المصورون وكان يستخرج من حبر الاخطبوط — جميع هذه المواد

كان الاعتماد في استخراجها على مصادر طبيعية ولكنها تصنع الآن في المعامل في مقادير كبيرة ورخيصة تجعلها في متناول كل واحد

وخذوا موضوع العطور . فقد كان الانسان في البدء يعتمد في استخراج العطور على النباتات كالورد والياسمين والصندل والحيوانات كغزال المسك وحوت العنبر ثم ارتقى فجعل يزرع حقولاً مشحونة بالازهار العطرية يستخرج عطرها ويتجر به كما يفعلون في جنوب فرنسا في بلدة غراس وفي وادي نهر امريج في تركيا وبلغاريا ثم ارتقى فجعل يصنع العطور من مواد غير عطرية و يركب عطوراً جديدة

فالمادة الاساسية في عطر الورد مثلاً تدعى جرانيول والمادة الاساسية في ماء الزهر تدعى نيرولي وقد ركبوها وغيرها كذلك تركيباً صناعياً من مشتقات الفحم المعروفة بقطران الفحم الحجري

يقول الاستاذ لو العالم والمستنبط الانكليزي في كتابه «عالم المستقبل العجيب» انهُ يرجح ان أطعمة الانسان في المستقبل ووقوده وملابسه والمواد الكيمائية التي يحتاج اليها سوف تركب تركيباً صناعياً من الهواء والماء والمادة الخشبية التي في النبات وتعرف باسم السلولوس »

وعنده ان الكيميائيين سيكشفون عن طريقة تمكنهم من تحويل السلولوس وهو مادة لا يهضمها الانسان ولا فائدة غذائية له منها الى النشاء فيصير قاعدة من قواعد غذائه ويوفر بذلك شيئاً كثيراً من عناء بعض ضروب الزراعة ومشاقها ولا يخفى ان الحرير الصناعي يصنع من السلولوس ايضاً فاذا تم ما يعتقد الاستاذ لو انهُ يتم اصبحت المادة الخشبية في جذع شجرة مصدراً للغذاء الانساني اذا عولجت بأسلوب معين ومصدراً لجوارب حريرية اذا عولجت بأسلوب آخر

ولا بدَّ ان يكون في معامل المستقبل مصادر قوية للضوء يشبه ضوء الشمس لكي يستعمل فيه ليل نهار استعمالاً مطرداً ومقارعة الانسان وحاجته لنمل فنحن نعلم من التصوير الشمسي ان لضوء الشمس تأثيراً كيميائياً وكذلك نعلم ان ضوء الشمس الواقع على البشرة يحول مادة معينة في داخلها الى نوع خاص من الفيتامين

وهذا التحويل هو احد الاسباب التي تجعل حمامات الشمس لمريض الجسم عارية عملاً صحياً مفيداً . فلا بعد في المستقبل ان يستعمل ضوء الشمس الصناعي اي الصادر من مصابيح خاصة لا من الشمس نفسها في صنع المطاط «الكاوتشك» واعداد نوع مركز جداً من الفيتامين يستعمل حقناً وتحويل الكلور الى كلوروفورم وما يصنع من هذه المادة من المركبات المتعددة . ثم ان هذا العمل اي عمل التركيب قد يشمل الذرات نفسها . ولكنهُ قد يكون فيها ترتيباً جديداً لكهاربها يجعلها ذرات مادة جديدة أي ان تحويل العناصر بعضها الى بعض قد يكون في طاقة علماء المستقبل

فقد قرأنا في كتب الاقدمين كيف حاول الباحثون والاولون ان يحولوا المواد الرخيصة

الى ذهب وما ابتدعوه في ذلك من الآراء والحيل والاكاذيب . ولكن بحثهم هذا أفضى بعضه الى ترقية علم الكيمياء لانهم كانوا في خلال البحث يكتشفون حقائق جديدة عن المادة وتركيبها وتصرفها

والآن أصبح تحويل العناصر حقيقة علمية واقعة ولكنه ليس حقيقة عملية اي ان نفقة التحويل نفسها أعظم جداً من قيمته العلمية او قيمته المادية ولكن ما كشف منه الى الآن قد تكشف طريقة اسهل بعد قليل او كثير وعندئذٍ ماذا نصنع ؟ هل نحول المعادن الرخيصة الى ذهب ؟ كلا اذ ما الفائدة من الذهب متى كثر حتى يصبح رخيصاً . ولكننا نحول الايدروجين مثلاً الذي يدخل في تركيب الماء الى الهليوم لاننا نحتاج الى الهليوم ولا نجد مقادير كافية واسعار رخيصة منهُ فالبلونات الكبيرة لا ترتفع في الجو الا اذا ملئت اكياسها بأحد غازين الهليوم والايدروجين ولكن الايدروجين غاز ملتهب وبه احترق البلون الانكليزي ر ١٠١ — R. 101 في شمال فرنسا وهو مسافر الى الهند . واما الهليوم فغاز غير قابل للاحتراق واذاً فائدته في ترقية السفر الجوي بالبلون لا تقدَّر وتحويل الايدروجين من هذه الناحية الى هليوم أفضل وأجدى على الانسانية من تحويل الرصاص الى ذهب

ومن المؤكد ان المواد والعناصر التي سوف يكثر عليها الطلب وتشتد اليها الحاجة بعد مئة سنة سوف تكون غير المواد والعناصر التي يكثر عليها الطلب وتشتد اليها الحاجة الآن . ومن عجائب تقدم العلم ان معدناً من المعادن يكون نادراً ثم تكتشف طريقة لتحضير مقادير وافرة منه فلا يلبث طويلاً حتى تتعدد نواحي الحاجة اليهِ ويصير استعماله مفيداً بل ضروريًّا في عشرات الصناعات . فمعدن الكروم مثلاً ظل عشرات السنين بعد الكشف عنهُ وهو شيء نادر لا يُرى الا في معامل البحث العلمي ولكن لما تقدمت طريقة تحضيره كثر استعماله ومن اهم وجوه هذا الاستعمال طلاء الحديد به فأفاد الحديد والحضارة لان الكروم لا يصدأ ولا يتآكل

ويرى الاستاذ لوب انه لا يبعد في المستقبل ان تنشأ مكاتب لتخديم العناصر على مثال المكاتب المعروفة الآن لتخديم الناس والبحث عن اعمال لهم . فيجيء عندئذٍ صاحب مصنع الى احد هذه المكاتب ويقول لمديره اني استطيع مثلاً ان انتج كل سنة كذا مئات او ألوف من الاطنان من معدن البريليوم بسعر رخيص ففي اي سبيل استطيع ان استعملها اي ماذا استطيع ان اعمل بها حتى لا تبقى معطلة عن العمل فيعمد الكيميائيون في هذا المكتب الى فحص خواص المعدن واخيراً يجدون ان أجزاء معينة في بعض الآلات يصلح لها هذا المعدن مخلوطاً بمعادن أخرى فيذاع هذا النبأ فيبيع صاحب المصنع ما يخرجهُ من البريليوم ويتناول « مكتب تخديم العناصر » حصتهُ من الربح ويكون الربح النهائي الكامل نفعاً للانسانية والحضارة معاً

ومما لا ريب فيه ان اجيال المستقبل لن تسمح بأن يكون في حياتها مكان للتبذير في المواد وقد شرعنا منذ الآن نسير على هذا الطريق فالتبذير ضياع سهل يجب ان يكون مبدأنا وأن يجب ان نتجنبه قدر الطاقة فالخرق القديمة والورق المستعمل والقش — كل هذا كان اسلافنا يبددونهُ نبذ النواة ولكن مصانع الورق تستعمله الآن في صنع الورق الذي نكتب عليه رسائلنا ونطبع عليه صحفنا وكتبنا بل ان اقراص الفونوغراف تصنع الآن من [illegible] كان اذا حمص يُطحن [illegible] حتى عبارة نبذ النواة التي تقدم استعمالها يجب ان تحذف من قواميسنا [illegible] نوى العنب وغيره من النفايات التي تطرح من معاصر الخمر تصنع زيت جيد للتزييت

ولا يبعد ان يعهد الى محاكم المستقبل في [illegible] شيئاً يحسب نفاية لان العلم لا بد ان يجد فائدة لكل نفاية

ثم هناك الهواء — هذا الجسم الغازي الذي يحيط بنا ولا نستطيع أن نحيا من دونه [illegible] فقد تعوّدنا ان ننظر اليه على ان فيه نسمة الحياة ولكن ناس المستقبل سوف يعلمون انهُ علاوة على ذلك مصدر عظيم للطاقة والطعام واللباس وغيرها

فثاني اوكسيد الكربون فيه لازم لحياة النبات ومعظم الطاقة التي نستعملها سواء أكانت طاقة فحم او طاقة بترول هي وليدة طاقات قديمة جداً استعملت هذا الغاز [illegible] ثم دفنت بفعل طبيعي فكان الفحم وكان البترول ولذلك يجب [illegible] استعمال النبات هذا الغاز الذي في الهواء واستعماله مباشرة لتوليد الطاقة فنوفر أُلوف السنين في توليدها عن طريق النبات

هذه أمثلة يسيرة جداً [illegible] ومما قد تستطيعهُ الكيمياء في [illegible] لم نعرض فيه الا الى حديث المواد

---

٢ — حفظ الطعام بالحرارة والبرد

اذا دخل أحدكم دكاناً من دكاكين البقالة المشهورة في القاهرة رأى في مؤخر الدكان مثلاً [illegible] العلب تحتوي على عشرات من اصناف الاطعمة المحفوظة فيها. من السمك على أصنافه، وأنواع من الحساء والفواكه والخضروات وغيرها. وإذا كان الدكان منظماً على أحدث الاساليب كان له غرفة باردة شديدة البرد فيها كل ما يسهل تطرق الفساد اليها. من هذه الغرفة يستخرج لك البائع لحماً من استراليا تأخذه فتراه غضاً كأنه من ذبيح الساعة وقد يعوقهُ نماء من الجراثيم. في هاتين الناحيتين من دكان البقالة الحديث تتجلى القاعدتان اللتان قامت عليهما

صناعة حفظ الطعام الحديثة فالقاعدة الاولى المتمثلة في الاطعمة المحفوظة في العلب هي قاعدة استعمال الحرارة العالية والقاعدة الثانية المتمثلة في الفحم الاستراني هي قاعدة استعمال البرد الشديد

والواقع انه بعد ما تقدم ذكره في الموضوع يتضح لنا ان صناعة حفظ الاطعمة وهي صناعة حديثة كانت من اهم العوامل تأثيراً في الاحوال الاقتصادية في طائفة كبيرة من بلدان العالم بل ان تأثيرها الى حد ما ، ظاهر في جميع بلدان العالم قاطبة . اذ لا يعرف كيف يستطيع شعب كبير وحضارة شعب صناعي تجمعت اكثر طوائفه في المدن بعيدة عن الارياف، ان يتغذى من دون الوسائل العلمية الحديثة التي تمكن الزارع والتاجر من تعبئة الاطعمة وتبريدها وحفظها من الفساد . وهذه الاطعمة تشمل الزبدة والفاكهة والخضروات والسمك واللبن والبيض واللحم وغيرها من المواد التي يسهل تحللها وتطرق الفساد اليها

فاختراع هذه الاساليب مكن تجارة الاطعمة من الاحتفاظ بمقادير كبيرة من الاطعمة وفقاً للطلب وحال دون تقلب الاسعار تقلباً كبيراً بين كثرة المعروض منها وقلته فلحم استراليا وزبدتها وتفاح كاليفورنيا وسمك السلمون من اسكتلندا والولايات المتحدة الاميركية وغيرها في متناول يدنا دائماً مع انها ليست العناصر الاساسية التي نقوم عليها غذاؤنا في هذه البلاد

كل هذا انما هو ثمرة النظر الذي اجريناه على مكروبات التعفن

أدرك الانسان انه في ظاهرة التعفن في الاطعمة منذ في عصوره الاولى الى تجفيف اللحم والسمك وتدخينهما وتمليحهما . وعرفت الاقوام الزراعية اسلوباً لحفظ اللبن بتحويله الى زبدة وجبن وأدرك الفلاحون أن خير طريقة لحفظ الحبوب من التعفن انما تكون بحفظها جافة لا تتطرق اليها الرطوبة . وتعلمت ربات البيوت حفظ بعض الخضروات بنقعها في الخل، والفواكه بتسكيرها أو عمل شراب منها

فطريقة التجفيف هي الطريقة الطبيعية لحفظ الاطعمة وهي أقدم الطرق كما تقدم ذلك ان المكروبات التي تحدث التعفن من فصيلة الكائنات الدنيا التي تعيش وتتكاثر في الاماكن المظلمة الرطبة فتجفيف ما يمكن تعفنه أو فساده يقيه بعض الشيء منها

وتستعمل طريقة التجفيف كذلك في حفظ بعض الخضروات والثمار فيجفف العنب والتين في الصيف والخريف للاستعمال في الشتاء وتجفف البامياء مثلاً في فصلها لتطهى في الفصل الذي لا توجد فيه غضة طرية وهذا التجفيف يتم بتعريض الثمار او الخضروات للشمس ولكن طرقاً مختلفة استنبطت للتجفيف بالصناعة كطريقة امرار الهواء الساخن فوق ما يراد تجفيفه أو التجفيف في الفراغ ولكن العنب الذي يجفف بهاتين الطريقتين لا يعادل في نكهته العنب الذي يجفف في الشمس

ويلي طريقة التجفيف لحفظ الاطعمة طريقة استعمال المواد الكيميائية التي تقاوم الفساد . والمادة المألوفة في هذا الميدان هي مادة ملح الطعام لرخص ثمنها ثم لانها منصعة بمقدورها على قتل الجراثيم وفائدتها للجسم الانساني اذا أخذت في مقادير معقولة معتدلة . فبعض اصناف السمك واللحم يكفي لحفظها ان تنق وتملح وفي بعض الاحيان تدخن اي تعرض للدخان الصاعد من خشب يحرق . لان في دخان الخشب مادة كيميائية تدعى كريوزوت تساعد على حفظ الطعام المعرض لها . ومع ان الكريوزوت مادة سامة الا ان تعريض بعض اللحوم لها لا يحمل هذه اللحوم عسرة الهضم على ما يظهر

وبعد ما اكتشف العلامة الفرنسي الكبير باستور ان التعفن سببه عمل الكائنات الحية الدقيقة التي تعرف باسم المكروبات زاد استعمال المواد الكيميائية في حفظ الاطعمة زيادة عظيمة واتسع نطاقه وأهم هذه المواد المستعملة الحامض البوريك والبوراكس أو محولات منهما والحامض السليسيليك ومادة الفورملدهيد وبعض مركبات الكبريت فالحامض البوريك والبوركس يستعملان كثيراً في حفظ اللبن والزبدة والقشدة وبعض أنواع اللحوم والسمك . والحامض السليسيليك وهو عقار خطير ويوجد في المشروبات الروحية غالباً فيستعمل في حفظ المربيات والفورملدهيد في حفظ اللحم . وهذه المادة الاخيرة سامة . ثم انها تتحد بمادة معينة في اللحم فتجعله عسر الهضم

ويقال أن ساكن المدينة يتناول في خلال يوم واحد وعن طريق الاطعمة المختلفة المعروفة التي يأكلها جرعة كبيرة من الحامض البوريك وإن ذلك في مقدمة البواعث على تفشي ادواء المعدة وما يتلوه من تعب الاعصاب

يضاف الى هذا أن استعمال المواد الكيميائية يجعل الطعام المحفوظ بها وكأنه جديد طازج حالة انهُ قد يكون في الواقع اخذ يفسد ويتعفن

ولكن استعمال المواد الكيميائية لحفظ الطعام أصبح غير ضروري الآن لان العلم الحديث كشف طرقاً جديدة تمنع التعفن من دون أن تضر بالصحة فالطريقة الاولى تقتل الجراثيم التي تحدث التعفن بالحرارة . والطريقة الثانية تمنع عملها بتعريضها للبرد الشديد

يقال ان مخترعاً فرنسياً كبيراً يدعى آبر وضع الاساس لصناعة حفظ الطعام الحديثة باكتشافه سنة ١٧٩٥ ان طبخ الطعام حتى ينضج ثم تعطيته حتى لا يتلوث بعيد من تطرق الفساد . وقد كان لهذا الاكتشاف شأن كبير من الناحية الحربية ، حتى ان نابليون اجازه عليه باثني عشر الف فرنك لانهُ حل له بذلك مشكلة اطعام الجيش . وقد استعمل آبر آنية من الزجاج والصيني لحفظ الاطعمة التي عولجت بطريقته المتقدمة الذكر . ولا تزال آنية الزجاج والصيني خير ما يستعمل لهذا الغرض ولكن سهولة تكسرها وغلاء ثمنها حالا دون ارتقاء صناعة حفظ الاطعمة واتساع

نطاقها. فلما استنبطوا في اميركا علب الصفيح ، التي يسهل صنعها بآلة ، ازدهرت صناعة حفظ الاطعمة وانتشرت وها هي مئات العلب مرصوفة على رفوف البقالين في جميع انحاء العالم محتوية على عشرات ، ومئات من الاصناف أبلغ شاهد على هذا الارتقاء

والعامل في هذه الناحية من صناعة حفظ الاطعمة ان يقد اللحم مثلاً قدداً تطوى العلب التي يحفظ فيها وترصف القدد في العلب ثم تغطى العلب وتلحم ولكن يبقى فيها ثقب صغير

ثم تؤخذ هذه العلب وتوضع في حجرة خاصة وتقفل الحجرة اقفالاً محكماً ثم يطلق فيها من الداخل عن طريق صمام ، بخار الماء حتى يبلغ ضغطه داخل الغرفة درجة معينة هذا البخار يحمي العلب وما فيها تحت ضغط شديد فيميت مافيها من المكروبات ثم تؤخذ العلب عنيئة ويسد الثقب الصغير الذي فيها بقطرة من القصدير المصهور واذا لاحظت احدى هذه العلب التي تحتوي على الخوخ او الفاكهة او اللحم او السردين ظهر لك اشكال حيث وضعت قطرة القصدير المصهور لسد الثقب على هذا النمط تعد معظم الاطعمة المحفوظة بطريقة الحرارة

ولكن اعداد السمك بهذه الطريقة يحتاج الى زيادة من العناية . لأن تعقيمه وحفظه أسهل وأسرع من تعقيم الاطعمة الاخرى وحفظها . في صناعة حفظ السمك المعروف بسمك السلمون « Salmon » يغسل السمك أولاً بماء بارد جداً ثم ينظف ويغسل ثانية ثم يقطع قطعاً بآلة خاصة ثم يوضع في العلب ويعرض لحرارة عالية . ان هذه الحرارة تبلغ من الشدة مبلغاً يؤثر في عظام السمك نفسها . ولذلك عندما تشترون علبة تحتوي على سمك السلمون ترون العظام مفتتة أو من السهل ان يكون تفتيت . ونعرض علب السلمون على هذا المنوال مرتين . تفحص بعدهما فحصاً دقيقاً . ثم تختم وتلصق عليها البطاقات وتوزع

ولابد لي من كلمة في هذا المقام عن التسمم الناشئ عن بعض الاطعمة المحفوظة وهو مايعرف بالتسمم « التوميني » (Ptomaine) ويعزى هذا الضرب من التسمم في أقوال بعضهم الى تفاعل يقع بين خواص الطعام المحفوظة ومعدن العلب التي يحفظ فيها ولكن العلماء يشكون في مقدرة الطعام المحفوظ على ان يتناول من معدن العلب مقداراً كافياً للتسمم ويرجحون ان السم الذي يوجد احياناً في بعض هذه العلب ويحدث اصابات التسمم (التوميني) سببه عدم تعقيم العلب ومحتوياتها تعقيماً تاماً . وهذا القول يصح على العلب الكبيرة أكثر مما يصح على العلب الصغيرة . لان تخلل حرارة البخار الى داخل العلب الكبيرة اصعب كثيراً من تخلله الى داخل العلب الصغيرة . ولا يخفى ان لبعض المكروبات أغشية تجعلها منيعة تتحمل درجات عالية من الحرارة وواطئة من البرد فاذا زالت الحرارة تأخذ في التكاثر فتفرز سمومها في خلال تكاثرها

اما القاعدة الثانية من قواعد العلم الحديث لحفظ الطعام فهي قاعدة التثليج او التبريد ولعل

تضحكم يذكر شريطاً شوهد في القاهرة مثل فيه بول موني بطل « سكارفيس » وكان اسمه « العالم يتميز »
في هذا الشريط كان بول موني تاجراً كبيراً من تجار اللحم وكانت مشكلته في توسيع نطاق تجارته انه لا يستطيع ان يرسل لحمه بعيداً عن مقر عمله لانه يتعفن ويفسد . الى ان خطر له ان يحمل كل عربة من عربات القطارات التي تحمل اللحم ثلاجة قائمة بنفسها تسير على عجلات وراء القاطرة وبذلك استطاع ان ينقل لحمه الى حيث اراد وقد كان بول موني في تمثيله عندما بدأت هذه الفكرة تتضح له من أبرع و تحف ما يكون

لست اريد أن أتبسط في هذا الصدد في أساليب التبريد والتثليج المختلفة فالمجال لا يتسع لها وحديثها علمي دقيق لا يصلح فيه الاّ دراسته في كتب العلماء ولكني أريد ان اقول ان اساليب التثليج والتبريد قد اتسعت اتساعاً لا مزيد بعده وتأثير التبريد والتثليج في اللحم وغيره من الاطعمة التي من أصل حيواني أو أصل نباتي قد درست كذلك دراسة علمية وافية

فأصبحنا نشتري في القاهرة لحم أغنام أو أبقار ذبحت في استراليا أو الارجنتين وتفاحاً أو موزاً قطف في كليفورنيا أو فلوريدا وزبدة صنعت في استراليا أو الدانمارك . فالمصانع الرئيسية فيها الثلاجات الواقية واسعة والقطارات ودكاكين البقالين كذلك فهذه السلسلة من الثلاجات القائمة على اساس من العلم الحديث تحفظ الاطعمة من مصدرها الى ان نتناولها طهياً وأكلاً

وقد قرأنا في كتاب علمي ان الثلاجة المتقنة تستطيع ان تحفظ اللحم الطري اثني عشر شهراً او اكثر ثم تخرجه من هناك وتأكله فاذا هو كاللحم النئ « الطازج » ثم ان الناس بوجه عام لايزالون متأثرين بما وقع في صناعة تثليج اللحم في بدئها من الاخطاء فيأنفون من اكله ولكن اذا أتيتهم بلحم استرالي او ارجنتيني محفوظ وفقاً لاحدث اساليب التثليج والتبريد أكلوه بشهية ووجدوه سهل الهضم طيب النكهة . فقد عينت من سنوات لجنة في انكلترا مؤلفة من رجال العلم فاخذت من دكان جزار قطعتين من اللحم احداهما من لحم استرالي محفوظ بالتبريد والاخرى من لحم طازج — من دون ان تعلم او يقال لها اي قطعة هي اللحم الاسترالي واي قطعة هي اللحم الانكليزي الطازج فلم تستطع ان تعرف احداهما من الاخرى الاّ بعد بحث مكرسكوبي . وهذا البحث المكرسكوبي لا صلة له بصلاح احداهما وفساد الاخرى بل ان اللحم المحفوظ بالبرد تتأثر خلاياه ببلورات الجمد التي تتكون فيه بعد تثليجه

هذا قليل مما جاء به العلم التطبيقي الحديث في موضوع غذائنا والعلم التطبيقي قائم ابداً على العلم النظري فلولا دراسة تأثير الحرارة في المكروبات وتأثير البرد فيها وما هي القواعد العلمية اللازمة لصنع الثلاجات لما كان لنا شيء من هذا كله

اصلاح الريف

وترقيه حال الفلاح المصري

للدكتور قاسم شمرك

على أثر الرغبة التي أبدتها الحكومة الدستورية الحالية في اصلاح الريف وتحسين حالة الفلاح المصري كثرت الابحاث وتعددت النظريات وتبارى الكتّاب وقادة الرأي في وضع افضل برنامج للوغ الغاية المنشودة من أقصر السبل ولكل منها حسناته فشئت على صفحات المقتطف الاغر ادلي بدلوي بين الدلاء على اصيب هدفاً فان احسنت اكون قد وفقت بعض ما يجب والا فتستميح حضرات القراء عذراً وهم الكرام

اني ارى ان الاصلاح المرغوب لا بد ان يتصف بثلاث

اولها: الشمول او قابليته ليشمل جميع القطر المصري لان كل اصلاح يقتصر على بقعة دون سواها يكون أبتر وناقصاً يساعد على زيادة الشقة بين طبقات الامة وفي ذلك ما فيه من الضرر

ثانيها الاستمرار او الحيوية اي ان يكون الاصلاح قابل البقاء والنمو ولا يقتصر على فترة من الزمن او نوع من الحكم ثم يزول بزواله فاصلاح كهذا ثمرة النزعات السياسية او ظروف خصوصية يولد ميتاً فلا فائدة تُرجى منهُ

ثالثها: الامكان او قابلية التنفيذ ومن تحصيل الحاصل القول بان كل برنامج للاصلاح لا يكون قابلاً للتنفيذ في مدة معقولة يكون ضرباً من الاحلام اللذيذة التي تترك اثراً سيئاً عند اليقظة

هذه هي الصفات التي يجب ان يتصف بها كل اصلاح جدّي واري ان البرنامج الذي ينشد هذه الغاية يجب ان يقوم على اركان خمسة

***

الركن الاول هو الاصلاح الاقتصادي اي تيسير اسباب المعيشة لعامة الفلاحين بشيء من الرغد يزيد عن الكفاف الدقيق كي يتمكن الفلاح بهذا الوفر من حاجته الضرورية من تغذية عقله وتنمية ذوقه فيتقبل ما يلقى عليه من الارشاد ويعيه ويسعى لتطبيقه. اما اذا كان الفلاح او

أي فرد عليه ان يكدح كل وقته كي يحصل على الكفاف من الرزق يقوت نفسه ولا يبقى فيه أي رغبة للاصلاح فالتاريخ يثبت لنا ان المدنيات القديمة لم تنم الا في البقاع التي توفرت فيها اسباب المعيشة لساكنيها وفاض رزقهم عن حاجتهم مثل ضفاف النيل وبين النهرين وشبه جزيرة الهند، اما سكان الصحاري والجرود القاحلة فلبثوا في حالة الهمجية والبداوة الى ان اتيح لهم بواسطة الغزو والهجرة استيطان بقاع اكثر خصباً واوفر رزقاً فتطور سيرهم وبدأت مدنيتهم

فتحصيل الرزق هو غاية المرء الاولى وما لم تتوافر اسبابه لمجموع الامة عامة وللفلاحين خاصة مع شيء من الرخاء فلا فائدة من الاصلاح مهما كان نوعه

وهنا يبدو السؤال كيف يكون الاصلاح الاقتصادي المرغوب والجواب عليه كثير الفصول متضارب الوجهات باختلاف الاهواء والمصالح ولكن اذا شئنا ان نضع برنامجاً للاصلاح الاقتصادي وجب علينا قبل كل شيء اصلاح نظام الضرائب فليس من العدل ان يتساوى افراد الامة في دفع الضرائب غنيهم وفقيرهم فلا يكلف مالك الفدان الواحد ان يدفع عليه ضريبة كما يدفع مالك الالف فدان في كل فدان من اطيانه فالظلم في هذا ظاهر جلي وليس من الشهامة ان يكلف من لا يكون دخله مائة قرش شهرياً ان يدفع من الضرائب الغير مباشرة على ما يبتاعه من ضرورياته مما يستهلكه من الدخان والسكر والشاي كما يدفع المستهلك الذي يزيد ايراده الشهري عن المائة جنيه او بصيغة اخرى يجب ان توزع الضرائب على نسبة الدخل كما هي الحال في البلاد المتمدنة فيعفى من الكثير منها الفقراء لدرجة محدودة وتزاد على الاغنياء تدريجاً فيكون الغرم بالغنم طبقاً للقاعدة المشهورة ولا بد من فرض الضرائب على التركات الكبيرة والحيلولة دون التهرب من دفعها بواسطة الهبة والوقف واذا لم تزد الضرائب على الاغنياء وتخفف عن الفقراء فلا سبيل الى الاصلاح مطلقاً

بعد هذا لا بد للحكومة من زيادة الاراضي الزراعية بتحسين الري والصرف واصلاح المزروع حالياً ليأتي باعظم غلة وبذل كل جهد لارشاد الفلاحين الى افضل الطرق الزراعية لزيادة الانتاج ووقايته من الآفات وتحسين نوع المحصولات وسهولة تصريفها بأعلى الأثمان الممكنة وتعميم التعاون وحمايته وفتح الأسواق الأجنبية وتسهيل الاصدار وتشجيعه الى آخر ما هنالك من الاصلاحات التي تكثر الوعود بها كل حكومة وتكتفي بتنفيذ اليسير منها

***

أما الركن الثاني الذي يجب ان يقام عليه الاصلاح فهو الأمن

لا يستطيع المرء مهما كان متفائلا عندما يطالع اخبار الجرائم بانواعها وخصوصاً ما يرتكب منها لاسباب تافهة ان يشهد وهو مستريح الضمير ان الأمن مستتب في القطر المصري وخصوصاً

في الارياف ومن البديهي ان لا تقدّم ولا عمران ولا مدنية الا في ظل الأمن ومن كان في وجل دائم على مصيره ومصير ماله وزرعه لا يستطيع ان يستثمر جهوده على الوجه الاكمل والمطمع عندما يعرف الأمن بقصد الريف حتى يكون كل فرد فيها سواء كان في مزرعته او حانوته سواء في غيطه أو في تجارته آمناً مطمئناً على حياته وماله وعياله لا يشعر بحاجة الى أي دفاع عنهم ضد أي معتدٍ كان. أما السبل الموصلة الى هذا الأمن فسبل المنشر فكثيرة ومتشعبة وتحتاج الى جهود جبارة منها اصلاح القضاء وجعل القوانين المقتبسة أكثر انطباقاً على الاحوال المحلية. واصلاح الادارة ورفع مستوى العمد والمشايخ وجعلهم اداة عدالة وليس أداة استغلال ولا بدَّ لاستتباب الأمن من منع التعدي والجهاد على لسكن فرد ولا بأس من فرض العمل الاجباري على الكسالى والمتشردين. ولا بدَّ من اصلاح نظام البوليس والخفر وانصاف هذه الفئة كي ينتظر منها العدل والانصاف . ان السبب الاول الذي جعل الفلاح يؤثر النوم مع بهائمه في غرفة واحدة هو رغبته في حمايتها من اللصوص ، وكذلك كان الدافع لبناء منازل القرية متراصة بعضها بجانب بعض ملتفة التواء ضيقة المسالك هو الخوف من الغزاة والاشقياء

ومهما اجتهدنا بالنصح للفلاح من الوجهة الصحية بوجوب الاقلاع عن هذا الطراز من المنازل وتحسين المساكن المتفرقة كثيرة التواء ولطرق تذهب جهودنا عبثاً ما لم يشعر أولاً بالأمن والسلامة والمحافظة على الحياة والمال دائماً مقدمة لتمتع بنور الشمس والهواء النقي وكل جهد لاصلاح القرية المصرية قبل قطع دابر الاشقياء واللصوص من أي فئة كانوا بدواً أو حضراً سيذهب كصرخة في واد

**

أما الركن الثالث للاصلاح فهو التصحيح ويشمل على تعميم الوقاية من الامراض وتسهيل التداوي منها . واذا شئنا التوسع في تفاصيل هذا البرنامج الصحي الضخم لأعوزتنا المجلدات فمن أسباب الوقاية تخفيف المستنقعات مع سن قانون صارم يمنع احداث غيرها . وتوفير مياه الشرب النقي بطريقة عملية وجعله في متناول الفلاح ضمن موارده المحدودة . تعميم المراحيض الصحية والمناسل العمومية . تعميم التلقيح ضد الاوبئة الوافدة والمتوطنة

أما برنامج التداوي فلا يكثر عليه المال مهما بذل فهنالك المستشفيات القروية والمركزية والسيارة وهنالك البرنامج الصحي الذي وضعه حضرة النطاسي الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك ولخصناه في مقتطف مايو سنة ١٩٣٤ ولعله أفضل مشروع من نوعه لنظام التداوي المشترك والخطوة الاولى للضمان الصحي لم يتحقق بعد وبالأحرى ان يبدؤا عنه ويأخذوا بأفضل ما فيه

ولا بد لانفاذ هذا البرنامج الواسع للوقاية والتداوي من اضافة التعليم الصحي اليه فيلزم الاستعانة بكافة أساليب التعليم والنشر لكي تصل الرسالة الصحية الى الجميع وتنطبع في الأذهان وتصبح جزءاً لا يتجزأ من المعرفة العامة. يجب ان يرافق هم حفظ الصحة جميع سني التعليم المدرسي من الروضة الى البكالوريا. يجب على الأئمة والواعظين من جميع الأديان والملل أن يجعلوا الارشاد الصحي جزءاً من مواعظهم ونصحهم. يجب ان يتعاون الراديو والسينما والمطبعة على نشر التعاليم الصحية في كل منزل وجعلها في متناول كل فرد من المهد الى اللحد.

***

أما الركن الرابع فهو التعليم الاجباري أو القضاء على الأمية.

ان المرء ليدهش عندما يرى النتائج الباهرة التي حصلت عليها بعض الشعوب التي صحت عزيمتها على القضاء على الأمية في بلادها. واقرب مثال لنا هو تركيا التي كانت نسبة المتعلمين فيها لا تكاد تبلغ الخمسة في المائة فقد أصبحت في مدة لا تتجاوز العقد الواحد من الامم المتعلمة التي لا تكاد تجد فيها امياً واحداً في كل عشرة من افرادها. يجب تعميم التعليم الالزامي في القرى وتذليل كل ما يعترضه من العقبات سواء أتت من جانب الأهالي أو المعلمين أو الحكومة نفسها. يجب تعميم التعليم في الجيش وفي السجون. وكيف تعوق رغبة الحكومة في نشر التعليم وتشجيعه مع استخدامها عدداً كبيراً من البوليس والخفراء والجند ممن لا يعرفون حرفاً من لغتهم. يجب تعميم المدارس الاهلية وتشجيع كل من يسعى لنشر العلم سواء من الافراد أو الجمعيات.

***

أما الركن الخامس من أركان الاصلاح فيجب أن يكون للصناعة. يجب تعميم الصنائع الصغيرة وتشجيعها بكل الوسائل. فالصناعة أساس التمدن وقد اتفق الأثريون والمؤرخون على قياس حضارة الامم بما وصلت اليه صناعاتها من التقدم والاتقان فيقال مثلا حضارة المصريين قديماً قد فاقت حضارة معاصريهم لان مصنوعاتهم المتخلفة عنهم تفوق إتقاناً وجمالاً مصنوعات أولئك وعلماتهم.

ليست فائدة الصناعة مقتصرة على ما تدره من الربح المادي بل لها فائدة أسمى وهي ترقية عقل الصانع وانماء ملكة الفن والابتكار فيه وتربيته على الدقة والمثابرة. ولهذا السبب عينه ترى أن الاشغال اليدوية هي في صلب برامج المدارس كلها بلا استثناء تقريباً.

وهنالك ما هو اهم من هذا وهو الاستقلال فالتاريخ يعلمنا انه منذ فجره كانت الغلبة ولا تزال الى اليوم للامة الصناعية واذا اشتبكت امتان صناعيتان في نزاع فالغلبة مكفولة لتلك التي تفوق صناعتها متانة وتتوافر في صناعها ملكة الابتكار والتجديد.

على الحكومة الرشيدة اذاً ان تولي جزءاً كبيراً من اهتمامها بتنشيط الصناعات الصغيرة الفردية

ولا نهمل الصناعات الكبرى والمعامل الواسعة الخاصة كي نخلق من الامة عنصراً صناعياً يزوّد البلاد بما تحتاج اليه من المصنوعات الوطنية في السلم ويتوفر فيه معدات الكفاح زمن الحرب

***

ولا يخفى ان اساس كل الصناعات هو الفن من الرسم والحفر . وما توفّق قدماء المصريين بالصناعات الا وليد تقدمهم بفنون الرسم والحفر والبناء لغايات دينية في الاصل متعلقة بعقيدة الخلود والبعث ثم تغلغل الفن في جميع حاجيات الحياة اليومية الى ان أصبح طابعاً وصبغاً ترك أثره على كافة المصنوعات فلا يصعب على من له أقل إلمام بعلم العاديات ان يحكم على أي تحفة قديمة بأنها من المصنوعات المصرية أو الفارسية مثلاً بالنسبة الى الفن الذي ترك طابعه الخاص عليها فلكل أمة فنها وصناعتها الخاصة التي تمتاز بها فاذا شئنا ترقية الصناعة وجب علينا أولاً تكوين الفن الوطني الخاص وانشاء الصانع الذي يتذوقه ويطبعه على مصنوعاته . يجب الاكثار من المتاحف والمعارض وتسهيل الاستفادة منها . يجب الاكثار من المباريات الصناعية والسخاء في جوائز المتفوقين من الصناع . يجب اصلاح حال العمال والصناع على أساس اصلاح اخلاقهم وزيادة نشاطهم وجدهم . يجب تشجيع المصنوعات الوطنية باختيارها في مصالح الحكومة فأنا لا افهم مثلاً كيف يتفق تشجيع الحكومة للصناعات الوطنية مع تعصبها للقيشاني الاوربي وفرض مصلحة الصحة استعماله في دكاكين الجزارين واختيار مصلحة التنظيم له في منشآتها كالمراحيض العامة مثلاً مع ان القيشاني البلدي يقوم مقامه بكل معنى وان لم يكن يفوقه بأساً ولو شئنا التدليل على تهاون الحكومات السابقة في تشجيع الصناعات الوطنية لما عوزنا الدليل وكل الامل معقود على الحكومة الحالية في القيام بعمل جدي لتنشيط الصناعات والنهوض بها ولو غضب الحاسدون . ولا يفوتنا ذكر المعاهد التعليمية الصناعية وفي رأسها معهد الكيمياء الصناعية وما لهذه من الأثر الفعّال في احياء الصناعات وايجاد الجديد منها . وستبدو الحاجة الملحة لمثل هذا المعهد عند ما يأتي دور انشاء الجيش وتسليحه . فالجيش الذي يعتمد في سلاحه على ما يشتريه من الخارج هو جيش كتب له الخذلان والاستقلال الذي يحميه هذا الجيش هو استقلال وهمي حقيقته استغلال . وقد سبق الشاعر العربي فقرر مصير من لم يذد عن حوضه بسلاحه والعاقل من رأى العبرة في غيره فاعتبر . فالبدار البدار الى تشييد دور الصناعة والاستفادة من جميع القوى المحركة في البلاد وارسال البعثات الصناعية الى كافة الجهات واستخدام الاخصائيين في الصناعات أينما وجدوا فالعالم يسير بسرعة والمتأخر سوف لا يلقى عطفاً ولا رحمة والضعيف كان ولا يزال فريسة للقوي والقوي فقط هو الذي يقرر مصيره فتمسكوا بأقوى اسباب القوة بالصحة والمال والعلم والصناعة والاخلاق والسلام

المختار من كتب الفلاسفة والشعراء

شوبنهاور والفن

عن [illegible]

من كتابه فلسفة شوبنهاور

في مقالات [illegible] الادب والفلسفة [illegible] الفلاسفة الذين [illegible] الادب [illegible] في [illegible] الاسلوب [illegible] وقد بدأنا ببسط [illegible] الادب [illegible] مقالات لاشهر الاساتذة الغربيين في هذا الموضوع(1)

« خليل هنداوي »

وما عسى يكون همزة الوصل بين عالم الارادة وعالم الفن ؟ وكيف يجوز فيلسوف الطبيعة معلماً فنياً ؟ هاهنا يتوسط بينهما افلاطون . لان عالم التمثيل الذي حدده كانت وعالم الارادة الذي عينه شوبنهاور ، عالم الحوادث وعالم الحقيقة ، متصلان مشتركان بحسب آراء افلاطون التي هي دساتير مختلطة تشترك الارادة فيها والعقل

الفكرة تخضع لشريعة الثبوت ، فليس عندها تعدد ولا يطرأ عليها استحالة ولا صيرورة فبينما نرى الافراد الذين تطبع عليهم الفكرة متعددين خاضعين للولادة والموت نرى الفكرة ثابتة واحدة . ونرى العمل الوقتي لا غاية له الا نفسه . تبدو الافكار في الطبيعة كأنها رموز للانواع وأمثلة نتكرر عليها كل حقيقة . وقد راع شوبنهاور ان يرى ان الدستور الجديد للعلوم الطبيعية يلغي فصول الاصل والنوع ويهمل امر التصنيف المنطقي ويفتح سبيلاً للاستحالة المطلقة في الوجود الحي فعمل على وقف هذه الموجة الطاغية ، وأخضع الحوادث للافكار الثابتة والنماذج المعينة . وتداخل الافكار في الطبيعة على هذا المثال يشبه — اذا صح القول — الحال الاول الذي نظم النظام في فضاء الاكوان

الفكرة — عند شوبنهاور — هي الوسيط بين عالم الحوادث وعالم الارادة . هي ارادة الطبيعة العمياء الرديئة التي تصطلح وتصلح نفسها فيبان حسنها وصحتها . الفكرة هي درجة من

(1) راجع « نظرة تولستوي الى الفن » في مقتطف فبراير ١٩٣٦

الذي جعلت متقدمة الى الانسان بعد تنتهي [illegible] ذاتيته وذاتية الارادة فتعود [illegible] الحقيقي الذي تتقدمه على العلم والمصلحة بعد [illegible] مرحلة وتقود لتعرض في صفته التوحد وأول وسيلة في معرفة الافكار هي [illegible] موضوع [illegible] لاشكال الذي وما كانت الافكار لا يجري عليها حد [illegible] وسببية [illegible] معرفة [illegible] الافكار هي المصححة بالذاتية . ففي الطبيعة وفي الحياة والعلوم عند العقل [illegible] الارادة [illegible] ولكن حينما [illegible] الذاتية [illegible] العمل امتنق من هذه العبودية واصبح هو [illegible] موضوع معرفة و [illegible] في ذاته

الفكرة التي هي موضوع التأمل [illegible] كرسول يربط بين [illegible] واللانهائي رابطة حية متجاورة . وتبدو صورة الفن الذي يتجلى على [illegible] والوجود ويحقق انواعاً كثيرة من الوجود وهو حر مستقل [illegible] مخلوق . [illegible] من كل [illegible] دون ان يخضع لقواعد الوجود المشتركة [illegible] ان الفكرة [illegible] الذي [illegible] يكون [illegible] عنده هما مطلقان حران من [illegible] الارادة ومن حدود [illegible] . في التأملات [illegible] يصبح الشيء الخاص — بصورة واحدة — فكرة [illegible] ويصبح الشخص [illegible] موضوعاً صافياً للمعرفة . والعقل اذ ذاك يشترك بصفات الاطلاق والبقاء وهو [illegible] ويبدأ [illegible] الارادة حتى [illegible] تفكيره شاملاً يمتد في نظرة من نظراته البريئة الى الاستغراق في الوجود وان المتأمل يجذب الطبيعة اليه حتى ينتهي به تأمله الى ان يشعر بأنها اصبحت جزءاً من ذاته الخاصة

وازاء هذه العاطفة هل يحس الانسان انه [illegible] الطبيعة الثابتة ؟ ان شعراء هذا الجيل شيلي وبيرون ولامرتين — بدلاً من ان يحسوا الطبيعة [illegible] آثروا ان يتلاشوا وان يمتزجوا في العالم الالهي وبدلاً من ان يجدوا بينهم وبين الطبيعة ذلك الانسجام الذي يعبر عنه الفيلسوف اخذوا يملأون الدنيا شكوى ونواحاً وهم غارقون في اليأس والكآبة ، شاعرين بضعفهم وفنائهم امام الخليقة الثابتة الخالية من الشعور ولكن هذا النوع يدل على عاطفة ذاتية عريقة في انانيتها ، إذ ان الفن والشعر — في عرف شوبنهاور — ينبغي لهما ان يكونا متجردين من الوحدانية او الذاتية . وناقل الفكرة يجب ان يكون هادئاً وهكذا يمحي الفرد وتتلاشى الشخصية ولا تبقى الا العبقرية التي هي الرسول الاول لتحرير العالم والمبشر الاول بالتجرد المطلق

العبقرية هي في الحقيقة سيدة الفنون وانما تتميز عن العقل وتسمو بقدرتها على التخلص من قيود الدساتير والقوانين . وعملها ان تعرف الافكار بحالة انفصال عن العقل ، وطبيعتها ان تظل موضوعاً صافياً للمعرفة دون ان تشترك في صخب الذاتية وبؤسها وهكذا تمر بنفسها الى عالم سام تبدو الحياة فيه كشيء للتأمل والتجمل ، كأنه احدى الالهات « لفربطوس » الشاعر الروماني التي تتحول عالم الشر وتجد غبطتها في وحدتها وبينما نجد العلم يخضع للدساتير والمظاهر

الارادة او احساسه ، وبينما يضيع نفسه في حدسه ويعبر عن صور أحكامه عن الحوادث ، نجد الفن يضع نفسه فوق ابسط الواقع وذلك للعين حرية الفن وحده وغايته بذاته

العبقرية كالفيلسوف نفسه تحتقر المعرفة والتجربة وتكره الخضوع للارقام التي تمدها الارادة في كل ما تمس للمنفعة والمصلحة . وهي تمر في الوجود من كل ما لا يتصل بالحدس وهي على رغم بساطتها وحرمانها تؤثر ان تمثل دور ملك غير متوج وان تأوي الى عزلة هادئة سامية . وهكذا تبدو عداوة العبقرية للعلوم وانها تعلل من خيال كل ما يحدث في النفس . ولا يؤمن شوبنهاور باعتقاد « نوفاليس » الشاعر الجرماني القائل بأن المهندس باستطاعته ان يكون شاعراً . وهو يجد على عكس ذلك ان هنالك اتصالاً وثيقاً بين العبقرية والجنون ويرى ان العباقرة والمجانين متشابهون في انهم يعزفون عن الحاضر . وكما ان المعرفة الحصة تجد كل شيء في نظرياتها المطلقة من حدود الزمن كذلك الجنون يخال ان عقله جامع لكل هذه الاشياء المتصلة أزاءه والحقائق ترتسم في ذهنه بجلاء ولا يبدأ يحس بخداعه الا بعد حين ، حين يجرب ان يقرن مشاهداته الحالية الى ذكرياته . الجنون والعبقرية ليس لهما ذاكرة ولا يعيشان الا في الحاضر المشاهدة لتنبيه حاضرهما وتصور تبدو البهاء دائماً رغم الوضع ولونها الناطق حي . وحدة الاحساس عندهما تظهر دائماً جديدة . واما الجنون والعبقرية نتيجة صراع قوي في الدماغ بين المعارف المجردة والادراكات المباشرة . هذا الصراع ينتهي في تركيب الدماغ الفسيولوجي . وعلة ذلك ان العقل يتغلب على الارادة . والدماغ في الحالة الطبيعية يحتوي على ٢/٣ من الارادة و ١/٣ من العقل . اما رجال العبقرية فيختلف هذا القياس فيهم ، فيبلغ العقل ٢/٣ والارادة ١/٣ هذه هي العبقرية السامية التي تزعج عصائلها اصحابها الى التأملات الفنية

— ٢ —

يرى شوبنهاور في الفن ملجأً للراحة والسعادة التي لا تنضب . والطبيعة نفسها تفيض بمثل هذه العاطفة . فان السأم والملل يتلاشيان بنظرة واحدة الى الطبيعة . وكذلك تيار الأهواء والرغبات والمخاوف وهدير الارادة يهدآن بمثل هذا الوضع العجيب . وكذلك يلتقي شوبنهاور مع اكثر القراء والروائيين في هذا المعنى ويتعزى عن شقائه بالنظر الى ما حوله والقلوب المكلومة التي أثقلت بالاهواء تجد علاجها المطلق في النظر الى ما حولها ولكن النفوس المختارة التي صقلها الشقاء واكبرت بالالم باستطاعتها ان تفهم هذه النصيحة . اما اولئك الرجال المحدودون الذين تستخدمهم الارادة ولا يقدرون على ان يخرجوا من ذاتهم ... اولئك ليس باستطاعتهم ان يقفوا ازاء الطبيعة وجهاً لوجه « انهم يفتقرون الى مجتمع يعززهم ، او كتاب يسليهم »

ما اقل الذين يقدرون ان يسيطروا على اهوائهم ويكبتوا عواطفهم ، فالحياة تتردى عند اكثرهم — انها معركة تستمر ، ومجموعة « انانيات » تتلاطم ، وما اقل تلك النفوس المجردة

التي لا نرى في ذكرياتنا الا التأمل المحض . وفي هذه الحالة يتلاشى — عندها — العالم كإرادة ، ويظهر هذا العالم كتمثيل . وفي هذا يتحقق قول ارسطو « ان الفن هو تصوير » . ورمز الفن هو النور … وقد كان النور مرحاً ويسرنا مثله لان النور يطابق المعرفة الكاملة القائمة على التأمل . وقد ادركت الاديان قديماً سر النور فجعلت من النور « النعيم السرمدي » وخلقت « هرمز » المشرق في النور الصافي ، و « اهرمان » الغارق في الليل الدائم . والحب هو كشعاع اول من هذا النور السماوي . وهو الرسالة السامية الموجهة الى هذا العالم من الحياة التأملية الصافية التي جعل منها ارسطو المثل الاعلى لفضيلة الانسانية . ليس الجليل سوى العاطفة التي يولدها فينا مشهد الطبيعة ، و أجمل الآثار الفنية . وانما لنا ان نعرف كيف نفرق بين الشيء الجليل والشيء الجميل يقول شوبنهاور — وفي قوله هذا يتبع آثار كانت — . في الشيء الجميل تستطيع المعرفة الصافية التي تحتوي على حالة بدون صراع . اما في الشيء الجليل فالمعرفة الصافية لا تظفر الا بعد شقاق شديد في الشعور . ويظهر في هذا القول تأثير مذهب « كانت » القائل بأن الشيء الجليل الرائع يتمثل فيه … الذاتي المتعلق بالجهد والارادة ، المختلط بالشقاء والشقاق والارادة التي هي صميم الوجود تتمثل بمظاهر عديدة في الطبيعة والانسان . فالجليل الذي هو ملتقى صراع العقل والارادة قد ينقسم الى جليل في الآلة او الاخلاق او … . فان مشهد ثورة عاصفة ، أو شروق … قد يستطيع ان يخلق جواً للجلال في النفوس مهما كان لونها وهنا يحتاج الممعن الى دقة لادراك الفروق التي تميز الجليل من الجميل

يعتقد شوبنهاور ان الجمال لا يمكن ان ينحصر في فن الانسان . لان الافكار التي ترتكز عليها الجمال حسبه تعود الى الطبيعة كاملة . وهو بدلاً من ان ينحصر في الجمال في الشعور والعقل نراه يعطي الجمال صفة الانطلاق من الذاتية ليصبح موضوعياً . ولكن أليس هذا الثنائي بين الافكار والموضوع محاولة عجيبة تفسر المعرفة ؟ أليست الافكار نفسها كالموضوع تتوزع في الطبيعة ؟ والموضوع أليس بعد ذلك مثوى تأوي اليه الافكار ؟ وهكذا يعرف شوبنهاور الفنان بأنه هو كنه الطبيعة وروحها . هو الارادة خارجة عن نفسها . وكما قال أحدهم « لا يمكن ان يعرف الموضوع الا بالموضوع ، والطبيعة نفسها تستطيع ان تفهم نفسها والعقل لا يفهمه الا العقل . او ان العقل وحده هو الذي يشعر بالعقل » والجمال نفسه يتمثل في الافكار وفي الموضوع لان كلا العنصرين من طينة واحدة . المادة الوجدانية والمادة الموضوعية يتلاقيان . فالفنان حين يرى عجائب نظام الوجود انما يجد صورة ما يحملها في عقله . والفنان وحده يكمل الطبيعة بالاندماج فيها . يسمعها هامسة فيفسر همسها ويصيح بها « ها ما حاولت ان تقوليه » ويمكن القول في هذا المعنى « ان الوجود هو « من جمال » مجهول وان العالم هو المكان الذي يتجه فيه التقدم المستمر الذي يعمل رويداً رويداً على ادماج الطبيعة في العقل والمزج بينهما حتى يأتي يوم الامتزاج المطلق

ان النظر الفني هو الذي يدرك الجمال والجلال، وهو الذي يخلق عبقرية الفنان. والفن الحقيقي هو رقيب الحياة والطبيعة لا لانه يسجل صورتها فحسب ولكن لانه يتعمق صوابها الحقيقية وينفذ في كنه الاشياء والاكوان حيث تصبح عنده الحوادث ظلالاً وانعكاساً وتغدو الافكار حقيقية صافية مستمدة من احضان المثل ولا ارادة. والفنان الذي يدركها جيداً باسرار الاشياء ويلم في الوقت ذاته باسرار الجمال ويدرك ان الوجود إنما هو شقاء، يرى الانسان فيه عبقرية الفن حتى يجيء يوم الانطلاق والشفاء

— ٣ —

والآن اصبح من الجمال معروفاً عند شوبنهاور واصبح الجمال عنده هو الفكرة نفسها على ان للجمال درجات تعد الفكرة فيها في الدرجة العليا التي يتمثل فيها التجرد من الارادة والانسان بهذا هو اجمل الكائنات . ومعرفة الجمال وادراك الفكرة يتصلان الى النفس بواسطة المكاشفة الفنية المحضة . وباستطاعتنا ان نرى الفن زهرة الحياة ولكن كثير التجرد اذا اعطى حكماً على العالم الذي نحن فوقه . وفي الوقت ذاته يساعده هذا النظر الفني او المكاشفة الفنية على تحصيل معاني الالغاز والأحاجي ! وفيما يرى العلم يتبع حاجات الارادة يرى الفن مفتكاً من كل قيد، خالصاً من حدود الارادة وسلطانها ولقد تتفرق الفنون بعضها عن بعض بالمادة ولكنها تتفق بالشكل، اذ ليس في الحقيقة الا فن واحد هو فن « المكاشفة المحضة » ولا نوع واحد من الفنانين هو نوع « المتأملين » والا طريقة واحدة في التعبير عن الطبيعة تتمثل في الجمال على ان الطبيعة نفسها تختلف درجات واختلافها هذا اتى عن تصنيف الفنون او قل تصنيف الفكرات

فهنالك فن العمارة وما هو الا النزاع بين الثقل والثبوت، يتنازعان ثم يتفقان بواسطة الاعمدة والاركان. وهذا فن لا يرتكز فقط على النظم الرياضي وانما يدخل في نظام القوة حيث تشرف علينا من خلاله قوى الطبيعة . والبناء لا يُلقى حراً في فنه لانه مسوق الى ان يجمع النفع والجمال معاً . ولقد يتأذى الجمال من هذا الجمع. ولكن أليس في هذا الجمع شيء من البراعة ؟

اما التزويق فيبرز من فيه صنعة وتعبير وربما يتلاقى شوبنهاور مع جل الفلاسفة المحدثين الذين يرون في النحت فناً مدرسياً، وفي التزويق فناً ابداعياً . فالتزويق يجمع بين الجمال والصفة الطبيعية، وهو مثالي يعبر من حدود الذات الضيقة يترجم عن الفكرة الانسانية حتى يتجسد فيه — المثل الاعلى والذاتية، وبذلك يبلغ حد كماله ويعبر تعبيراً صادقاً عن الحياة . حتى اذا دخل في التعبير عن العواطف والاهواء فقدت قواه، وجاء بعد دوره — دور الشعر والموسيقى

والشعر ايضاً موضوعه « الفكرة الموضوعية » ولكن لغته فيه لغة واضحة . وانما ينبغي للشعر ان يدنو من هذه المكاشفة والنظر الفني عن طريق الصور والاستعارات، مستعيناً

على ذلك بالوزن والتقفية وغايته وغرضه الانسان . يعرضها يتمثل في نفسه مما لا يقدر عليه النثر [illegible] وموضوعه كثيرة [illegible] في أسلوبه أيضاً . لانها الترجمان الصادق عن الالم الانساني . واذا كانت غاية الشعر تصوير الناحية المروعة من الحياة فهنالك — آلام [illegible] وانتصار الرذيلة وظفر الغدر وهلاك الابرياء . أليس في كل هذا ما يفسر طبيعة الكون والوجود ؟ هذا هو نزاع الارادة مع نفسها وانه نزاع عنيف تعبر بها الآلام الآلام التي تعلمنا الغدر والانانية في بعض نواحي . وينشأ هذا النزاع في الارادة الواحدة التي انقسمت على نفسها ، وتنازعت مظاهرها وتنافرت الوانها ويكون هذا النزاع — هنا شديداً وهناك ضعيفاً وقد تضعف الارادة بالنور والمعرفة حتى تصبح متلاشية ، وتموت الانانية فيها حتى لا يبقى فيها الا الارادة المجردة المتوحدة المنعتقة من الحياة ومن كل غريزة لنفس الوجود . وهكذا نرى ابطال المآسي ينصرفون — بعد الصراع العنيف والالم المحض — عن هدفهم الذي طالما سعوا اليه بحرارة وايمان ، ويهجرون كل لذاذات الحياة كلهم تابوا بعد ان توقدت حياتهم بالالم ، وكلهم خمدت في ارواحهم غريزة الحياة . على ان المذهب الشائع عن الشعر انه بيان — او تبيان — مطلق للمأساة والوجود ولكن هذا المذهب ليس له الا فلسفة واحدة متفائلة منطقية تستطيع ان تتلاءم مع هذا المذهب الشعري . اما المعنى الحقيقي للمأساة فهو هذا النظر العميق الى ان الاخطاء التي يضحي الابطال في سبيلها بانفسهم ليست باخطائهم الشخصية ولكنها اخطاء خالقة الوجود وهكذا يبدو الشعر ترجماناً صادقاً عن الحياة ومعبراً عن التشاؤم الذي تولده الوجود

أما الموسيقى فهي تختلف عن بقية الفنون ، وهي مستقلة عن عالم الظواهر والمظاهر لأنها تجهله الجهل كله ، وهي بهذا ليست صورة للافكار وانما هي صورة الارادة نفسها . ومن هنا تنشأ قوة الموسيقى وتميزها عن غيرها من الفنون التي تتعلق عن الأخيلة ، موضوعها هذه الرقة التي تكاد تكون طبيعة هذا الوجود ، والقاعدة التي يرتكز عليها كل شيء ويصعد منها كل شيء ينشأ وينمو

وأخيراً اذا كنا نرى العالم كتمثيل في حالة انفصاله عن الارادة نراه الناحية الصافية المطلقة من نواحي الحياة . واذ ذاك يمكننا ان نرى الفن أكمل شيء لانهُ مظهر من مظاهر هذا العالم المتصور ، ولكنه مظهر كامل مكتوم . واذا كنا نرى العالم كتمثيل موضوعاً متصلاً بالارادة فالفن يغدو شعلة التعبير عن هذه الموضوعية ، ويصبح كمرآة سوداء تظهر عليها الاشياء بوضوح وجلاء ، وتركها أكثر تفوقاً ، وأشد تناسقاً كأنهُ مظهر في قلب مظهر ، أو مشهد على مشهد

ان الفنان — في الحقيقة — لا يترك الوجود الا لحظات معدودة ، في فنه عزاء له عن البقاء ، وليس فنه طريقاً لخروجه من الحياة ، حتى تأتي الساعة التي يسأم فيها من مرحه ، ويوجه الاشياء على حقائقها

مقام القطر المصري
في انتاج سكر القصب

للمستر آرثر روزنفلد
خبير السكر في الحكومة المصرية

أصل اللفظ

يرتدّ اقدم ما نعرفه عن سكر القصب، وبالحري عن قصب السكر، الى فجر التاريخ المدوّن. ففي الاساطير الهندية اشارات اليه حيث قيل ان فشوايمترا صنعه في الفردوس الذي انشأه لراجا تريشانكو، ولم تمنح هبة استعماله للناس الا بعد دمار ذلك الفردوس. والواقع ان لفظ «سكارُم» وهو الاسم الجنسي الذي اطلقه عليه لينيوس سنة ١٧٥٣ مشتقّ من اللفظ السنسكريتي «كركارا» ومعناه الحصى. ومن نحو اربعين قرناً اطلق سكان البلاد المعروفة الآن باسم الهند، هذا اللفظ على ما ينتج من «قصب العسل» عندهم لظهوره الخشن من ناحية ولاختلاطه بالتراب والحصى من ناحية اخرى. وقد كان الهنود يجهلون في ذلك العهد ما اخترعه كيماويو العرب بعدئذٍ من فصل السكر عما يخالطه. وكان هذا اللفظ يكتب في لغة البراكريت السابقة للغة السنسكريت «سكّارة» Sakkara فلما نقل العرب قصب السكر من الهند عن طريق ايران تحوّل لفظ سكّارة الى شكّر فالى سُكّر. ولما نقله اليونان الى بلادهم احتفظوا بالاسم في لغتهم بعد تعديله قليلاً ولذلك عرف السكّر في لغة اليونان الاقدمين بكلمتي سخار Sakchar وسخارون Sakcharon ثم اخذه الرومان عن اليونان وجعلوه سكاروم Saccharum

نبذة تاريخية

اما الصينيون الذين شرعوا في صناعة سكر القصب، من نحو ثلاثة آلاف سنة فيحسبون ان السكّر وصلهم من الشرق الادنى. والظاهر انه ذكر اولاً في كتابات صينية كتبت في القرن الثاني قبل المسيح، واول وصف لقصب السكر ورد في كتاب مطبوع في القرن الرابع الميلادي واليك فقرة من هذا الوصف:

« من السكان نشه (كان = حلو وتشه = خيزران) يوجد في الصين الحديثة وهو »
« عدة برصات قطراً وعامل الخيزران بقطع الجذع قطعاً ، وهي تؤكل لانها شديدة الحلاوة »
« اما العصير الذي يستخرج منها فيجفف في الشمس وبعد بضعة ايام يصبح سكراً »

ومن المؤكد ان استخراج السكر واستعماله في غرب الهند كان معروفاً عند كتّاب اليونان والرومان ، فقد أشار بولوس الا... يعني الى ... هندي حلو الطعم وذكر ثيوفراستوس « عسلاً آخر يستخرج من الخيزران » اما ديسقوريدس ، الذي سبق بيلينوس ، فوصف نوعاً من الأعشاب يستخرج منهُ ضربٌ من العسل في الهند وبلاد العرب وقال بلينيوس : يستخرج في بلاد العرب سكر ولكن سكر الهند أشهر وهو ضرب من العسل يجمع من الخيزران وجاء في فارّون : ينمو في الهند قصب كبير يستخرج منهُ سكر يفوق من حلاوته ان افضل أنواع العسل لا تعادل به أما سكا الحكيم ، فذهب الى ان هذا العسل إما ان ينتج من ندى السماء وإما من عصير القصب وهو عصير كثيف وحلو

وعلى الرغم من معرفة كتّاب اليونان والرومان بالسكر ، لا نجد أي اشارة اليه في مؤلفات المصريين الاقدمين ، وهذا قد يؤخذ دليلاً على ان زراعة قصب السكر لم تكن معروفة في شرق الهند في أيام مصر الفرعون في ... ، ويشير الى ان شمال الهند كان في الراجح المنطقة التي زرع بها قصب السكر أولاً ، ومن الهند انتقلت زراعتهُ الى الصين الف سنة قبل المسيح ، ثم نقلت الى بلاد العرب في مطلع التاريخ الميلادي ومنها انتقلت الى نوبيا والحبشة ومصر

والمرجح ان جنود الاسكندر ذي القرنين ، كانوا الاوربيين الاول الذين رأوا قصب السكر سنة ٣٢٧ قبل المسيح

ويذكر ريتشيدر ان مملكة فونان بالهند بعثت في سنة ٢٨٦ بعد المسيح سكراً على سبيل الجزية الى الصين وفي الحادي الاول من القرن السابع ارسل الامبراطور تساي حنغ Tsai-Heng (ويقول ستبز Stubbs ان هذا الامبراطور كان يدعى ... ساو (Paat ...) وفدا الى بهار بالهند ليتعلموا صناعة السكر وقد امتدت أصول هذه الصناعة رويداً رويداً الى غرب الهند ، فارتقت في ايران والبلاد المجاورة لها وبلغت سوريا حوالي سنة ٦٨٠ ب . م وقبرص وسوقطره حوالي سنة ٧٠٠ ب . م ومراكش حوالي سنة ٧٠٩ ب . م

ويذهب المؤلف نول دير Noel Deerr الى ان الرهبان النسطوريين في جنديسابور كانوا أول من صنع سكراً أبيض وذلك حوالي سنة ٤٥٠ ب . م والغالب ان صنع قوالب السكر المخروطية يرتدّ اليهم كذلك . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان السكر ذكر بين الاسلاب والغنائم التي غنمها البزنطيون سنة ٦٢٧ ب . م من داستاجرد بايران

على شواطئ البحر المتوسط

ترتد اصول صناعة السكر على شواطئ البحر المتوسط الشرقية الى فتح العرب لمصر سنة ٦٤١ ب م . فقد جاء ذكر شجرة من السكر صنعها سلطان مصر في عيد رمضان سنة ١٠٤٠، تماثل شجرة من البرتقال بجذوعها وأغصانها واوراقها وأثمارها . وصنعت كذلك تماثيل صغيرة من السكر . وبلغ وزن ما استعمل من السكر لهذه الاغراض ٧٦ طناً وفي حفلة زواج الخليفة المقتدي سنة ١٠٨٧ استعمل ... وزنه ٦١ طناً منه لاغراض مماثلة والمرجح ان السكر الذي كان يستعمل في قصور ملوك الانكليز في الربع الثالث من القرن الثالث عشر كان يصنع في مصر

صناعة السكر في مصر

يزرع قصب السكر في جميع نواحي القطر المصري ، ولكن ما يزرع منه للاستعمال في صناعة السكر يبتدئ في مديرية المنيا ويمتد جنوباً الى اسوان . اما المنطقة المزروعة قصباً الى الشمال من المنيا وفي منطقة الدلتا فلا يستعمل قصبها الا للمص ولاستخراج عصير منه يباع كشراب يطلق عليه اسم شراب القصب ... في انه من هذا الشراب الذي استخرج منه معظم سكره فيعرف باسم العسل الاسود

ومع ان هناك آلافاً من الزراع يعنون بزراعة القصب ، الا ان استخراج السكر من هذا القصب محصور في خمسة مصانع حديثة ومصنع واحد للتكرير ، وجميعها تابعة لشركة السكر المصرية ، وهي على أحدث طراز وأوفاه وتستعمل فيها احدث الآلات التي تضمن استخراج أكبر قدر من السكر المبلور من القصب . ان المصانع الخمسة هي من الشمال الى الجنوب مصنع الشيخ فضل قرب بني مزار ، ومصنع أبي قرقاص قرب المنيا ، ومصانع نجع حمادي وارمنت وكوم امبو وجميع هذه المصانع تخرج سكراً على درجة عالية من النقاء يحمل الى معمل التكرير في الحوامدية قرب القاهرة ، حيث يستخرج منه « سكرور » يكاد يكون نقاؤه مائة في المائة

مقابلة بالبلدان الاخرى

وعند ما راجع الباحث الاحصاءات العالمية لانتاج السكر يرى ان الهند البريطانية تنتج ستة ملايين طن في السنة ، اي ان انتاجها يفوق اكثر ما انتجته كوبا في سنة واحدة (١٩٢٨ — ٢٩) نحو مليون طن ، ويرى ان محصول جاوى يبلغ نحو ثلاثة ملايين طن كبير (الطن الكبير ٢٢٤٠ رطلاً) قبل ان هبط محصولها بفعل الازمة العالمية الى نصف مليون طن (سنة ١٩٣٥—١٩٣٦) وان كلاًّ من جزائر بورتوريكو وهواي وفورموسا تنتج كل سنة نحو مليون طن وعند ما يرى كل ذلك يظن أن محصول مصر البالغ ١٥٠ الف طن في السنة ، لا يجعلها جديرة بمكان عال بين بلدان العالم منتجة السكر

ولكن اذا نظر الباحث الى الموضوع من الناحية الفنية ، لا من الناحية الاولية ، رأى ما تنتجهُ مصر من السكر ، بقياس المساحة المزروعة به ، اوضحت في نظره مكانها بين منتجي السكر في العالم

تردد اسئلة كثيرة في من يتكلم في زراعة قصب السكر في مصر حتى يصبح متوسط محصول الفدان متوسط المحصول في البلدان المشهورة بهذا الضرب من الزراعة . والرد على ذلك المهم اذا جعلنا اساس القياس متوسط المحصول في الموسم في جزائر هواي وحاوى . ولكن تقدير قيمة الارض يبنى على مقدرتها الانتاجية في السنة . فاذا جعلت هذه القاعدة اساس القياس ، وجب ان نحوّل مقدار المحصول الى اساس سنوي للمقابلة

فالقطر المصري اقليم قريب من الاقاليم الاستوائية ، ومصول الشتاء فيه باردة ، فيجب ان يجنى محصول القصب كل سنة . وكانت هذه القصور ، يصرح انهُ عرف بالخبرة ان متوسط محصول الفدان في مصر ، يفوق ما يقابله في بلاد اخرى تشبه مصر في اقليمها كولاية لوزيانا في الولايات المتحدة الاميركية ، وبلاد الارجنتين وولاية ناتال بجنوب افريقية

المحصول السنوي أساس المقابلة

ولكن اذا نظرنا الى جزائر هواي ، وجدنا ان قصب السكر يجنى في مدة تختلف من ١٨ شهراً الى ٢٤ شهراً بعد زرعه ، وفي جزيرة حاوى يبقى القصب (المعروف باسم [illegible]) مغروساً في الارض ١٤ شهراً وفي بورتوريكو من ١٢ شهراً الى ١٧ شهراً والمتوسط ١٤ شهراً فاذا حولنا مقابلة المحاصيل الى اساس سنوي في اشهر البلدان الزارعة لقصب السكر كان لنا الجدول التالي : —

البلاد	المحصول	عدد الشهور	المحصول السنوي
هواي (المرويّة)	٦٧	٢١	٣٨
هواي (عامة)	٥٨	٢١	٣٤
حاوى	٥٤	١٤	٤٥
بورتوريكو	٣١	١٤	٣١
القطر المصري	٣١	١٢	٣١

فاذا نظرنا الى الموضوع من هذه الناحية ، وهي الناحية المنطقية الوحيدة لمعرفة حساب الخسارة والربح ، وجدنا ان محصول المناطق المروية في هواي ، تقصّر في محصولها السنوي عن محصول حاوى السنوي ، وان محصول بورتوريكو السنوي يعادل محصول مصر وان محصول مصر السنوي لا يقصّر كثيراً عن محصول هواي

زيادة المحصول

وقد تبين لنا من التجارب التي قمنا بها في السنوات الثلاث الأخيرة في حقول التجارب بالمطاعنة وكوم أمبو ان متوسط محصول الفدان في السنة يفوق متوسط حوي . ومن حيث بعض المزروع في ملوي في أفضل وقت لزرعه (اي في فبراير ومارس) كان متوسط محصوله أحسن قليلاً من متوسط محصول حاوي وهذا يدل على انه بالصبر والمثابرة ، وباختيار اصناف من القصب كثيرة المحصول ، وزرعها في اكثر شهور السنة ملاءمة لزرعها ، وتسميدها التسميد اللازم الكافي ، نستطيع ان نزيد محصول قصب السنوي في مصر زيادة تذكر . والواقع ان تجارب القسم الجديد الخاص بمباحث قصب السكر في السنوات الأربع الأخيرة ، تعزز هذه الآراء

وقد عني مصري نوس بك من نحو ثلاثين سنة بادخال زراعة ... المعروف باسم ...

في القطر المصري من حاوي وتعميم زراعته ونشره . وزيد حتى ... مساحة المزروعة منه ٣٠ في المائة لمساحة المزروعة قصباً ملدنيًا . ولتأكيد الأمل في وجود ضرب او اكثر من ٨٢٠٠ ضرب من القصب المزروعة في هذه البلاد ، تفوق هذا القصب النوعي الذي تنسجم مع احوال الجو والارض في هذه البلاد

وقد وجدنا ان ما يخسره الزارع بالتبخر وتلف ، اذا تأخر نضج محصوله ، يمكن ان يجتنب تماماً من الناية ومن دون اية زيادة في النفقة فيزيد متوسط محصوله كذلك نحو ١٠ في المائة . اما الزراع الذين يعمدون الى تأخير غرس القصب الى ان يستأصلوا مزروعاتهم الشتوية يستطيعون ان يزيدوا محصولهم من ٥٠ في المائة الى ٦٠ في المائة اذا بكروا من شهرين الى ثلاثة اشهر في غرس القصب

وتدل التجارب التي جربناها في تسميد القصب على انه في وسع الزراع زيادة ربحهم من محصولهم ، بامتناعهم عن استعمال مقدار من السماد يفوق ... لقصب السكر من الاسمدة المحتوية على النتروجين . وقد دل البحث على ان افضل الاراضي في الصعيد اخرجت محاصيل تامة بعد تسميدها بقليل من السوبر فسفات ، فبلغ متوسط محصول الفدان ٤٤٥ قنطاراً ، او نحو سبعين طناً . وهذه المحصولات مما يباهى به في اشهر البلدان المختصة بزراعة قصب السكر

ولذلك اقول ، ان ارضاً هذا مبلغ خصبها ، ومزايا فلاحيها تعلقهم بالوثيق بالارض قروناً متوالية ، ومقدرتهم على العمل مقدرة لا تبارى في انحاء العالم ، وشركة هذه كفايتها في التنظيم والادارة — اقول غير متردد انه اذا ثابرت الحكومة على الاحتفاظ بكفاءة رجالها المشرفين على العمل ، وبالاستمرار في خطة البحث العلمي العملي ، فلا ريب في ان مصر تبلغ في المستقبل القريب مكاناً في المقدمة بين البلدان المنتجة للسكر في العالم

الطائران

لمحمود أبو الوفا

يا طائريَّ وددتُ لو أنا مثلكما ... أمضي هنا وهناك حيث أشاء

الجو بينكما ملاعب الهوى ... والأرض تحتكما رُبًى خضراء

والحب عندكما حلال كله ... شرع الطبيعة ليس فيه رياء

تتجاوبان كما يشاء هواكما ... لا العذل دونكما ولا الرقباء

ما أيكما بالحب أيكما ابتدى ... وبلحظ أيكما بدا الإغراء

أترى الغرام لديكما طبعٌ كما ... في الأرض أم هو عصمةٌ ووقاء

ليلى الغرام وقيسها هو أنتما ... لا آدم الخاطي ولا حواء

القرود العظام

وأسماؤها العربية

بحث لغوي وعلمي

للدكتور امين المعلوف

٣ — النام وهو القرد الثالث من عصبة السعالي . وقد ذكرتهُ في الصفحة ٩١ وقلت فيه ما يأتي :

بَنَام والواحد بنامة Pan or Anthropopithecus

قرد افريقي وهو اقرب القرود الى الانسان في بناء جسمه

ذكرت هذا القرد في المقتطف ٣٣ : ٨٤٣ وقلت ان ... معروف عند عرب السودان وهو الاسم الذي يعرف به هذا الحيوان عندهم ... الدكتور شوينفورث ذكره في كتابه « قلب افريقية » ١ : ٢٤٩ وكتب الكلمة هكذا ... وقال ان هذا القرد معروف عند العرب من زمن بعيد بهذا الاسم وقلت ان نعوم بك شقير ذكره في تاريخه بهذا الاسم و ... الكاشي امري ذكره في معجمه دليل الحيران الى لغة عرب السودان

وللاب انستاس نظر في معجم الحيوان نشرتهُ في المقتطف ٣٩ : ١٦٩ وما يليه قال فيه ما يأتي « الذي سمعتهُ في السودان هو البنام غالباً وسمعت انا اثنين يقولان الغَنّام بالغين المعجمة وكلاهم فصيح له وجه في العربية فالبنام بالعين المهملة مصحف عن الغنام بالمعجمة وهو مأخوذ من غنم الثيتل والوعل والابل اذا صوَّت تصويتاً غير فصيح وهو الصوت الذي يسمعهُ الانسان اذا ما وقف بجانب هذه الحيوانات . ومثل هذا الصوت يسمع من القرد المعروف بالعنام او الغنام اذا ما وقفت قريباً منهُ » فاجبتهُ بما يأتي « لا شبهة في ان عرب السودان الذين سمعتهم يسمون الشمباري بالعنام بالعين المهملة كما ذكرت في مقالتي وقد اصاب حضرتهُ في قوله انهُ سمي بذلك لتصويته تصويتاً غير فصيح يثبت ذلك ما سمعتهُ من احد اهل السودان عند كتابة مقالتي وقد سألتهُ عن سبب تسمية هذا الحيوان بالعنام فقال لانهُ يُعنم فقلت ماذا تعني بذلك قال اريد انهُ لا يحسن النطق » . انتهى

ثم جئت من بغداد هذه السنة وسألت محمود حلمي السباع مدير حدائق الجيزة فقال ان اهل السودان يسمون هذا القرد نساماً بالنون المهملة وقد سمعت هذه الكلمة في ثغر لمران وحفرة النحاس واقمت هناك سنوات عندما كنت ضابطاً في الجيش فلت ارى انكم كتبتم الاسم نسمة بالتاء فقال عرب السودان يقولون نساماً ونسامة مثل سام وسامة والتاء للافراد لا للتأنيث ثم ذكرت له ما قال الاب انستاس فقال لا شبهة في ان عرب السودان يقولون نسام بالمهملة ولعل الاب المحترم سمع الكلمة من احد النوبيين وانت تعلم انه يصعب عليهم النطق بالسين

وفي كتاب مطول في القرود للدكتور جورج اليوت ورد ذكر النسام باسمه العربي نقلاً عن شوينفورث اي هكذا ... وذكر اسمه العلمي ... كما سماه به الدكتور اوكن كما تقدم في الكلام على القرود واطلقه النبي وهو صنم كان لهم ...

وقفت في الصفحة ١٧ في مادة قرد وهو ما اشرت اليه في ما تقدم

ومنها النسّم وهو على ما في التاج « صنم والتمثال من الخشب والدمية من الصنم والمعجم الذي لا يقول الشعر » . قلت ما اشبه هذه الكلمة بالنسام وهو الشمانزي عند عرب السودان والنسام قديمة عندهم كما ذكر شوينفورث في رحلته ١ : ٢٤٧ وكنت قد ذكرت ذلك في المقتطف ٣٣ : ٨٤٣ واغرب من هذا هو ان علماء الحيوان يسمون هذا القرد « پان » او هان وهو صنم عند اليونانيين اخذوه عن مصر . والذي سمّى الشمبانزي پان هو الدكتور اوكن الالماني وقد توفي سنة ١٨٥١ اي قبل رحلة شوينفورث بسبع عشرة سنة وقبل ان يسمع احد في اوربة كلمة النسام في السودان . وهذا الصنم پان كان في شكل النمر وهو مشهور . وكنت سألت احد عرب السودان كما ذكرت في المقتطف ٣٩ : ١٦٩ لماذا تسمون هذا القرد بالنسام قال لانه يصحم قلت هذا تريد بذلك قال اريد انه لا يحسن النطق فما جاء عن النسم في كتب اللغة وقول اليونان ان پان صنم انشر في شكل النمر وتسمية الدكتور اوكن الشمبانزي پان باسم هذا الصنم وقول عرب السودان ان اسمه النسام — كل ذلك من غرائب الاتفاق . ثم هذا لا يمنع ما سمعته هذا اليوم من الاب انستاس ان النسم تصحيف بتعليم جمع نسل

ثم سمعت من صديق ان الشيخ احمد الاسكندري يظن ان النسام مقلوب عيام من عيل عيم فالعيام العي الثقيل ومن لا عقل له ولا أدب ولا شجاعة ولا رأس مال قلت قد يكون ذلك اي انه مقلوب عيام او انه بالنون المعجمة كما يقول الاب انستاس وهو والشيخ الاسكندري من أئمة اللغة ولكن لماذا لا نقول ان النسام بالمهملة هي الاصل ولو لم يذكرها اللغويون ولا سيما ان مادة نسم واردة في العربية وان اهل السودان من العرب الخلّص والكلمة قديمة جداً عندهم ربما اقدم من الذين دونوا اللغة

وعليه أرى أن كلمة نسنس وقد وردت في كتب اللغة كما تقدم توافق هذا النسناس بأن وأنها قديمة جداً في العربية أو المصرية القديمة وأن النسناس هو هذا القرد ولو لم ترد في كتب اللغة فاللغة العربية قديمة جداً اقدم من الخليل والجوهري والفيروزابادي وجميع الذين دونوا اللغة فالأمم لا تقاس بما وصل الينا من كتب اللغة ورحل الكرملي وقد عاش منذ ثمانين الف سنة لم يتكلم العربية كما نتكلمها أو [illegible] تكلم [illegible] أو [illegible] أو لغة أخرى جاء بها من سواحل بحر فارس وبعض [illegible] كان [illegible] وما يتكلم [illegible] كما تكلمها [illegible] القرطاجي وقد تقدم ذكره في الكلام [illegible] الكرملي أو أجداده رأوا السعلاة والسمدان والشادي في البلاد التي نزلوا بها وهي كلمات [illegible] ذكره [illegible] على الألسنة في الشام والعراق والمغرب ومالطة كما ذكرت في [illegible] قرد [illegible] لأن [illegible] فالشادي والسمدان [illegible] لم يردا في كتب اللغة في [illegible] وهما [illegible] كثيراً [illegible] رجل الكرملي [illegible] من بحر فارس [illegible] الى يومنا [illegible] بعض الباحثين في المصرية القديمة او [illegible] كل [illegible] في [illegible] فالنسناس لم ترد [illegible] في كتب اللغة وأرى أن كلمة [illegible] قديمة جداً فهي [illegible] عنها أحدها اليونان عن قدماء المصريين او العرب فاللغة المصرية واللغة العربية واحد في الاصل كما بين المغفور له أحمد كمال باشا العالم الاثري الكبير ولا يخفى ان حرف العين المهمل ليس في اليونانية واللغات الاوربية الأخرى فكانوا يستبدلون [illegible] لا الف وأحياناً عن الميم [illegible] فصارت كلمة [illegible] وان هذا التبادل بين الميم والنون [illegible] له [illegible] في [illegible] الحروف واللغات [illegible] و [illegible] ليس سوى بأن لذلك ارى ان الدكتور [illegible] لم يكن مخطئاً في تسمية هذا القرد بأن كذلك الدكتور شوينفورث [illegible] في [illegible] هذه [illegible] من اهل [illegible] تركه انها قديمة [illegible]

أما قول [illegible] النسناس هو [illegible] بالهاء فهذه لم يذكرها أحد بهذا المعنى فإن الهاء من العين المهملة

ولعل الذين [illegible] ذلك [illegible] حرف الهاء الذي ذكره شوينفورث فهذا كان اديباً يحقق العربية ويكتبها كما [illegible] الاعاجم وهو وان كان يعرف العربية [illegible] بها كانت محدودة كما تشهد بذلك مؤلفاته التي بين ايدينا وان جميع الذين ذكرتهم يكتبونها بالعين المهملة كما كتبتها [illegible] في السودان

أما الاسم العلمي [illegible] الذي في حديقة الحيوان في ايامنا وترجمته العربية فهو ما يأتي :

النسناس او النسناس الآزر وموطنه غرب أفريقية — [illegible] (Lesson)

والآزر هو الابيض [illegible] الثاج والكلمة ترجمة اسمه النوعي

النور الكهربائي

ومصابيح النفط والغاز

للدكتور الياس صليبي

في اليوم الذي اكتشف فيه الباحثون ان قطع الدورة الكهربائية يولّد شرارة وان مرور تيار كهربائي في سلك قد يؤدّي به الى التوهج في ذلك اليوم أصبح من الممكن التنبؤ بقرب اختراع النور الكهربائي ومع ذلك فان دافي Davy الذي تمكّن بواسطة جهازه المعروف بقصبة دافي من اضاءة قوس لم يخطر بباله انهُ قد اكتشف حينئذٍ أعجب اختراع اهتزّت لهُ أرجاء العالم ولذلك عاد الفضل الى فوكول الذي صنع اول قوس كهربائي مقصود منهُ الاضاءة وقد أنار باختراعه هذا ميدان كونكورد في باريس سنة ١٨٤٤ وفي سنة ١٨٤٨ أنيرت به المصابيح العمومية التي تتطلّب أعمالها نوراً قويًّا

واستخدم فوكول في مصابيحه عيداناً من الفحم لكن المصابيح الأُولى التي صنعها كانت ذات عيوب واضحة أهمها انهُ كان لا بدّ من تقريب عيدان الفحم باليد لأنها كانت تتآكل سريعاً على انهُ تلافى هذا العيب باختراعه منظّمهُ الذي أصبح مثالاً يحتذى في جميع الأجهزة التي صُنعت بعد ذلك وفي سنة ١٨٧٥ انشأ جرم آلة مغناطيسية كهربائية تولّد تياراً كهربائيًّا تضاء به المصابيح من غير الاستعانة بالبطاريات التي كانت تستعمل الى ذلك الوقت

وقد أوحت ايضاً قصبة دافي الى عالم اميركي اختراع اول مصباح متوهج وكان مصباحه هذا مصنوعاً من سلك دقيق من الفحم موضوع في زجاجة جرسيّة الشكل مفرّغ منها الهواء ومتصل ببطريّة وقد جُرِّب هذا المصباح سنة ١٨٤٥ في لندن أمام جمهور حافل فنجحت التجربة نجاحاً عظيماً لكن المخترع قتل في المركب وهو عائد الى اميركا وفقد اختراعه بعده.

وفي سنة ١٨٥٨ صنع دي شنجي De Changy مصباحاً متوهجاً من الفحم كالمصباح السابق ذكره ثم دخل أديسن الميدان وكان يبحث قبل بضع سنوات عن وسيلة تمكّنهُ من الانارة

بالكهربائية بطريقة التوهج أي بمرور تيار كهربائي في سلك من مادة معينة فيحمى السلك لمقاومته التيار ويحمرّ ثم يتوهج ويتقد توهجاً يسطع منه نور باهر يخطف الابصار. وقد كابد مشقات كثيرة قبل ان توّجت مساعيه بالنجاح ولما كانت سنة ١٨٧٩ صنع المصباح الكهربائي الأول على مثال المصابيح المستعملة الآن عرضت له مصاعب كثيرة وجب تذليلها قبل ان يصير عمل الانارة الكهربائية عملاً رابحاً دائماً في كل البلدان من ذلك ان الاسلاك الاولى التي استعملها للتوهج في داخل المصباح كانت سريعة الانكسار تتقصف لأوهى حركة تصيبها لذلك أخذ يمتحن كل شيء تقع عينيه عليه الى ان خطر له ان يستعمل أنبوب خيزران متفحمة ومن المصاعب التي عرضت له ايضاً اختراع نظام كهربائي جديد يمكّنه من توليد الكهربائية وتوزيعها وتقسيم التيار الكهربائي لكي ينير بها حيث يقيم المصابيح الكبيرة والصغيرة على السواء فأقدم على هذا العمل غير هيّاب وأصاب فيه النجاح مع ان علماء من مقام الاستاذ تندل كانوا يهزءون به

وقبل ان اختم هذه النبذة التاريخية أريد ان أذكر ما جاء في مقالة للاستاذ فؤاد صرّوف نشرت في العدد ١٤٣٦٦ من المقطم على ذكر مرور خمسين عاماً على اختراع اديسون السابق. قال:

« في تاريخ العلم والعمران مستنبطات أعظم من النور الكهربائي أثراً في أحوال الشعوب الاقتصادية كالسكك الحديدية والبواخر والتلغراف والتليفون وغيرها ولكن استنباط النور الكهربائي المتوهج الرخيص الذي أحدث ثورة في عادات الناس وشؤون معيشتهم فقد اشترك هذا النور مع المصنعة في اطلاق العقل البشري من القيود التي كبّلته والقضاء على حرب الخرافات التي كانت تظلم أمامه طريق الفكر الحر فاعدّه لتمام العظم وهو تأييد سيطرة الانسان على الارض وعلاوة على ذلك بدّد غياهب الظلام من المدن فقضى على مراتع الجناة ومدّ أجل العمل امام العمال الفقراء وقد مكّنت الانوار الكهربائية الساطعة طائفة العلماء من درس طبائع الميكروبات على لوحة الميكروسكوب وأمدّ الطرق بسكاكها واتقانها »

وأول مصباح كهربائي متوهج من هذه المصابيح عرض في باريس يرجع تاريخه الى المعرض الكهربائي الذي أقيم بها سنة ١٨٨١ وكان مؤلفاً من زجاجة فرغ منها الهواء وفي داخلها سلك موصل من الفحم جعل طوله وعرضه بحيث يتوهج عند مرور تيار معين فيه وتبلغ حرارة هذا الخيط حين توهجه ١٧٠٠ الى ١٨٠٠ درجة ويصرف في الساعة ثلاث واتات ونصف الوات للشمعة في مصباح قوته ١٦ شمعة وواتين في مصباح قوته ٣٢ شمعة وهكذا تتناقص النفقة بازدياد قوة المصباح

أما التيار المستعمل على العموم فقوته ١١٠ الى ١٢٠ فولطاً ولكن هذه القوة قد تُجعل ٢٢٠ فولطاً في الاماكن التي تتطلب انارتها عدداً كبيراً من المصابيح كمصر والحالة عندنا .

ولكلٍّ من هذين التيارين مصابيح خاصة لا تصلح للتيار الآخر ولا تفوق المصابيح التي تضاء بأحد هذين التيارين اكثر مما تفعله المصابيح المساوية لها التي تضاء بالتيار الآخر كما ثبت بالامتحان

وفي سنة ١٩٠٠ اخترع نرنست Nernst مصباحه وقد استعاض فيهِ عن الفحم من المغنيسيوم او من الاوكسيدات المقاومة للنيران ومن مزايا هذا المصباح انهُ لا ينفق في الساعة من التيار سوى وات واحد ونصف الوات في مصباح قوته ٢٥ شمعة

وفي سنة ١٩٠١ صنع فون أور مخترع الشبكة المتوهجة التي تقدَّم وصفها مصباحاً كهربائياً استعاض فيهِ عن خيوط الفحم بخيوط من الاوسميوم تحتمل حرارة أشد من الحرارة التي تحتملها خيوط الفحم وقد امتحنت مصابيح الاوسميوم هذه فظهر ان مصباحاً منها لم يفقد سوى ٢ في المائة من قوة نوره الاصلية بعد ان أضاء ١٥٠٠ ساعة وان الاستهلاك الذي كان في بدء التجربة ١ و ٧٣٪ من الوات في الساعة للشمعة الواحدة أصبح في آخرها ١ و ٩٣٪ من الوات من التيار المستعمل فكانت قوتهُ من ٢٠ الى ٥٠ فولطاً وقد عدُّوا هذا الاختراع فوزاً عظيماً في فن الاضاءة لان المصابيح ذات الخيوط الفحمية التي قوتها عشرون شمعة كانت تهبط قوتها الى ١٦ شمعة بعد ١٧٥ ساعة من العمل والى ١٤ شمعة بعد ٢٧٥ ساعة والى ١٠ شمعات بعد ٧٥٠ ساعة وفضلاً عن ذلك كان ما تنفقهُ يزداد بازدياد استعمالها الى أن تبلغ وقتاً يُعرف بوقت الكسر يصبح فيهِ من الأوفر كسرها والاستعاضة عنها بمصابيح جديدة

وقد كان لمصابيح الاوسميوم الفضل في اهتدائنا الى مصابيح التنتالوم ثم الى مصابيح التنجستن من نوع الوات والنصف وات التي سيأتي الكلام عنها

الاضاءة الصناعية وأصولها

تستمد النور الصناعي من بعض المواد الهيدروكربونية ومن الكحول والمغنيسيوم والكهرباء وتحتوي اضواء شمع الشحم والشمع العسلي والزيوت النباتية وزيت البترول وغاز الاضاءة على مقدار كبير من الاشعة الحمراء والصفراء ولكن الاشعة الزرقاء والبنفسجية قليلة فيها ولذلك كان ضوءها ناقصاً قليلاً بالقياس الى ضوء الشمس وقد أشار بعضهم للاستعاضة عن هذا النقص بلبس النظارات الزرقاء او وضع كرة زجاجية مملوءة بمحلول كبريتات النحاس النشادري الازرق امام المصباح لكن هذه الوسائل لا تصلح النقص المذكور الاَّ قليلاً

ولقد بطل استعمال الشموع الشحمية منذ زمن طويل لعيوبها التي ذكرناها في الفصل السابق ولا تستعمل الشموع العسلية الآن الاَّ نادراً وحين الضرورة اما الشمعة السلبة فهي افضل من الشمعة الشحمية لان نورها أقوى وأثبت وفتيلها يحترق فلا حاجة الى قصّهِ ولكن لا بد

من إشعال عدد كبير منها لعوز نور كافٍ فالاستضاءة بها كثيرة النفقة مما يجعل استعمالها قليلاً في ما خلا بعض الاحتفالات الدينية

اما زيت الفحم فانهُ من خير ما يستخدم لمصابيح المكاتب حيث لا توجد الكهرباء فاذا كانت هذه المصابيح كبيرة كان نورها كافياً وافضل مصابيح زيت الفحم المستعملة مصباح كارسل لأن له آلة معدلة تعمل مقدار الزيت الذي يصل الى الذبالة اكثر من المقدار الذي يحترق ولأن مدخنته واسعة من الاسفل الى موازاة منتصف اللهب وضيقة في ما فوق ذلك فينشأ عن ذلك زيادة سرعة مجرى الهواء في داخل المصباح وبالتالي زيادة احتراق الزيت وما يتبعهُ من زيادة الضوء وهذه المصابيح مريحة [illegible] وهي [illegible] الرائحة المزعجة التي تتصاعد عن غيرها من انواع المصابيح الاخرى المشابهة لها وانها لا ترفع الحرارة الا قليلاً ولكنها لا تخلو من العيب فهي غالية الثمن وكثيرة النفقة ولا بدَّ من عناية شديدة لوقايتها من العطب فضلاً عن صعوبة الحصول عليها وعلى الزيت الجيد اللازم لها. وقد يشعلون زيت الزيتون بهذه المصابيح ولكن نوره أضعف وأقل ضياءً

واما زيت البترول فقد كان اكثر مواد الاضاءة استعمالاً قبل انتشار الكهرباء ومصابيحه العديدة معروفة وينحصر منه غاز قابل للالتهاب يشتعل من تلقاء نفسه على درجة معيَّنة من الحرارة وقد عيَّن مجلس النواب الانكليزي سنة ١٨٧٩ لجنة لدرس الامور التي تسبب انفجار مصابيح البترول وللاشارة الى ما يمنعها فظهر من تقرير تلك اللجنة ان درجة اشتعال بعض انواع البترول بنفسها التي تستخدم حينئذٍ لم تكن تتجاوز ٧٣ درجة بميزان فارنهيت [illegible] قليلاً وان حرارة البترول في خزان المصباح قد تبلغ ١٠٠ درجة وبناءً على ذلك يكون افضل واقرب من اخطار الانفجار هو الامتناع عن استعمال انواع البترول التي تشتعل على أقل من ١ درجة فارنهيت على أنهُ يجب أيضاً ان يكون المصباح متقن الصنع متيناً ثابت القاعدة واسعها ذا ذبالة لينة تصل الى قرارة الخزان وتملأ الانبوب المعد لها ويجب أن يملأ الخزان قبل اضاءة المصباح وان تخفض الذبالة قليلاً قبل إشعالها ثم ترفع تدريجاً بعد الاشتعال واذا لم يكن للمصباح جهاز خاص لإطفائه سهل ذلك بأن تخفض الذبالة حتى يضؤل نوره وبأن يوضع بعد ذلك على فوهة المدخنة (الزجاجة) قطعة من صفيح معدني تسدُّها سدًّا محكماً

وقد تبارت المعامل زمناً في صنع مصابيح البترول وعرضت منها انواعاً عديدة مختلفة الحجم والقوة بعضها ينطفىء من تلقاء نفسه اذا انكفأ ولكن أغلب هذه الانواع قلَّ استعماله الآن وحلت محله مصابيح البترول الحديثة المتوهجة التي تستخدم فيها شبكة أور التي لا تقتصر فوائدها على إضاءة المنازل والمكاتب حيث لا يمكن الانتفاع بغاز الفحم والكهرباء بل تتجاوز ذلك الى إنارة

المعامل والورش والمحطات وإشارات السكك الحديدية والقهاوي والمسارح الخ

وقد وصفنا شبكة نور هذه عند الكلام على تاريخ المصباح وذكرنا كيف اخترعت وقلنا انها تتركب من ٩٩ في المائة من اوكسيد الثوريوم وواحد في المائة من اوكسيد السيريوم اما صنعها فيتم بنسجها أولاً من القطن أو الحرير وتغطيسها بعد ذلك في محلول من نترات الثوريوم والسيريوم بالنسبة المذكورة آنفاً ثم تعريضها لحرارة التي تبيد النسيج القطني أو الحريري وتبقى الاوكسيدات التي تتركب منها الشبكة فتصبح حينئذٍ صالحة للاستعمال. أما طرف هذه الشبكة الذي تثبت به فيصنع من خيط حجر القلي المغطس في سائل يعرف بالمثبت يتكوّن من مذوب نترات الالومين والمغنيسيا وبعد أن تغمس هذه الشبكات تعريضها للهب الغاز المضغوط تكتسب من الصلابة ما يكفي لتناولها بالاصابع دون ان تتكسر فاذا كان المطلوب تصديرها غطست في محلول الكادميوم وزيت الخروع والكافور ثم وضعت في علب من الورق المقوّى يبطنها قليل من القطن. وتتوهج هذه الشبكات توهجاً زاهياً اذا وضعت فوق اللهب الناتج عن احتراق الغازات المضيئة كغاز الفحم او اللهب الناتج عن اشتعال بعض المواد السائلة بعد تحويلها الى غاز كالبترول والكحول والبنزول ويمكن بشرط لحدوث توهج ان ترتفع حرارة اللهب الى درجة عالية جداً ويتم ذلك بادخال مقدار من الهواء الجوي يختلف مقداره باختلاف نوع الغاز المستعمل فيساعد ما فيه من الاوكسجين على زيادة احتراق ذرات الفحم التي في ذلك الغاز وقد تبلغ حرارة اللهب حينئذٍ نحو ١٨٥٠ درجة بمقياس المئوي

وتختلف مصابيح البترول المتوهجة باختلاف الاماكن المطلوب إضاءتها وجميعها تعمل بتحويل سائل البترول الى الحالة الغازية أولاً اما بارساله الى الجزء الساخن بضغط الهواء على سطحه واما بجعل الحوض الذي يحتوي عليه فوق سطح (بكسر الحاء) خاص

ومن افضل المصابيح المتوهجة التي تملأ بالبترول ويسهل نقلها مصباح البتروليت ( ) وهو مصباح مأمون العواقب ومتين جداً ينطفئ حالاً اذا انقلب ويحل فيه محل الفتيل حجر شديد الامتصاص ذو نور وهاج ساطع ومنها مصباح مونيكا وهو يشبه كثيراً مصابيح البترول العادية

ومن مصابيح البترول المتوهجة التي تصلح لانارة المساحات الواسعة مصباح كتسون الذي يمزج فيه بخار البترول والهواء بالضغط فيشع نوراً ساطعاً وهاجاً وهو رخيص الثمن وقليل النفقة وله خزان دائري يسع نحو لترين من البترول ومكبس لضغط الهواء ومقياس لمعرفة مقدار الضغط

ويدخل البترول أيضاً في تركيب ما يسمونه غاز الهواء وهو خليط من الهواء وروح البترول يصنع بمزج هاتين المادتين في مقياس خاص يعرف بالغازومتر ثم ينصرف منه بانابيب دقيقة الى شبكات متوهجة معلقة في مصابيح بسيطة فوقها عاكسات للضوء فينير الابنية بأكملها ويحل محل غاز

الفحم في الاماكن الصغيرة وهو ساطع الانارة لشدة احتراقه. ويطلق الجمهور على جميع مصابيح البترول المتوهجة اسم مصابيح اللوكس Lux

اما غاز الفحم فقد استعمل قبل اكتشاف البترول كما تقدم وكانوا يستخدمون ضوءه من غير شبكات فكانت مصابيحه تفسد الهواء لانها تحرق مقداراً كبيراً من الاوكسجين وترفع حرارة الاماكن التي تنيرها فالمصباح الذي يحرق ١٥٠ لتراً من الغاز في الساعة يحرق في الوقت عينه ٢٢٥ لتراً من الاوكسجين ويرفع درجة حرارة الهواء ارتفاعاً شديداً ولما استخدمت شبكات اور المتوهجة للاضاءة بالغاز تغيرت الحال وازداد انتشاره كثيراً لأن شبكات أور هذه تجعل نوره ناصعاً وتزيل كثيراً من عيوبه فلا ترفع درجة الهواء قدر ما كانت ترتفع حين استعمال المصابيح التي لا شبكات لها وقد أثبت درجلوس Douglas هذه الحقيقة بالتجربة التالية التي قام بها في مدرسة ميفيه يوم من مدرس في الساعة السابعة بعد الظهر وقد كانت الحرارة حينئذٍ ٢٠ عمياس سنتراد داخل المدرسة فاشعل في احدى الحجرات مصباح غاز عليه شبكة أور واشعل في حجرة أخرى مصباحاً بغير شبكة ثم قاس حرارة الهواء في الحجرتين بعد ساعة فوجدها ٨ ر ٢١ درجة في الاولى و٢٣ في الثانية ووجد ايضاً ان مقدار الحمض الكربونيك في هواء الحجرة الثانية اكثر منهُ في هواء الحجرة الاولى

***

ومن عيوب الغاز خطر الانفجار والاختناق اللذين يسببهما احياناً ومنها أن المتحصلات الناتجة عن احتراقه تضر بالصحة وتتلف الكتب واثاث المنازل والصور وسكنهُ على الرغم من كل ذلك كان كثير الاستعمال قبل انتشار الضوء الكهربائي فعم استعماله في المكاتب والمعامل والمدارس والاندية العمومية على اختلاف انواعها وظل يستعمل اليوم للاضاءة في ما خلا الطرق العمومية وكثير من شوارعنا لا تزال تنار به

ولما كانت درجة ضغط غاز الفحم الطبيعية لا تتجاوز ٥٠ مليمتراً من الماء وهو ضغط ضعيف جداً استنبطوا أجهزة خاصة تزيد احتراقه بتسهيل امتزاجه بالهواء فيزداد نوره توهجاً ومن هذه الاجهزة مصباح فيسّو Vissean وهو مصباح قوته ٢٨ شمعة يحرق ٢٥ لتراً من الغاز في الساعة وشبكته متجهة الى الاعلى

ثم اخترعت المصابيح ذات الشبكات المقلوبة اي المتجهة الى الاسفل فتحسنت الاضاءة بالغاز تحسناً عظيماً وصار من السهل الحصول على أنوار قوية

مؤتمر التربية

الدولي السابع

للسيدة احسان القوصي

— الشخصية المتزنة الحرة الآمنة —

— حجر الزاوية في بحوث المؤتمر —

كثرت المؤتمرات الدولية بعد الحرب الكبرى ولا سيما السياسية منها فلا يكاد ينتهي مؤتمر حتى يبدأ الاستعداد لآخر يرنو فيها العالم المتعطش إلى الطمأنينة والسلام ينتابه اليأس من اخفاقها تارة ويتعلق بالأمل في نجاحها أخرى راجياً أن يوفق الله ساسة الدول الى التوفيق بين المصالح المتعارضة والقضاء على روح الجشع والأثرة فيريحوا شبح الحرب وما يتبعها من مصائب وويلات هي وصمة فاضحة في حضارة القرن العشرين . أما المؤتمرات العلمية والاجتماعية فشأنها يختلف عن المؤتمرات السياسية . يجتمع فيها المؤتمرون من شتى بلدان العالم بعيدين عن شوائب الأغراض والألاعيب السياسية للتعاون على تمحيص الحقائق والوصول الى نتائج عملية تنتفع بها الانسانية جمعاء.
ولما كان مؤتمر التربية الدولي من أهم تلك المؤتمرات بحكم مهمته التي لا غنى للدولة عنها ولا مندوحة لها عن العناية بها حبذت بهذا المقال أن أرسم للقارىء صورة عامة للموضوعات العلمية والفنية التي عني بها والمشكلات الاجتماعية والدولية التي عالجها وبحثها حتى اذا شاق البعض شيء من بحوثه بادر الى اقتناء التقرير الشامل الذي ينتظر ان تصدره في آخر هذا العام رابطة التربية الحديثة صاحبة الدعوة إلى المؤتمر

مدينة شلتنهام مدينة جميلة هادئة لا يربي سكانها على خمسين ألفاً . وهي تبعد عن لندن ساعتين ونصف الساعة بالقطار ويقصدها كثيرون لمياهها المعدنية وجمال المناظر الطبيعية من حولها ولذلك اختيرت لانعقاد المؤتمر الدولي السابع للتربية الذي افتتح في آخر أيام شهر يوليو الماضي في دار البلدية ودام انعقاده أسبوعين كاملين كان بين من حضر اجتماعاته فيها ممثلون رسميون من خمس وعشرين أمة من مختلف انحاء العالم في الشرق والغرب . وأهم فكرة دارت حولها خطب الخطباء ومناقشات المؤتمرين فكرة السلام والديمقراطية والحرية والسبل الموصلة اليها . الحرية في كل شيء في

تكوين الشخصية وفي البيئة، في البيت وفي المدرسة، كفرد أو كجماعة. ولعل هذا هو السبب الذي حمل حكومات إيطاليا وألمانيا وروسيا التي يسودها الحكم المطلق على الامتناع عن إرسال مندوبين يمثلونها فيه متذرعة بأعذار مختلفة لا تخفى على فطنة اللبيب. على أن ذلك لم يمنع وجود أفراد من تلك الأمم حضروا إلى المؤتمر بصفتهم الشخصية للاستفادة من بحوثه النفيسة. فقد كان برنامج المؤتمر حافلاً حقاً لم يترك فرصة تمر من دون أن يجعلها مستغلة لفائدة المؤتمرين. من خطب ومناقشات في موضوعات هامة إلى محاضرات قيمة من أخصائيين إلى عرض أفلام مفيدة إلى إقامة معرض فني للرسم والأعمال اليدوية إلى عرض نماذج لتمرينات رياضية. أضف إلى ذلك الفرص الطيبة التي تتيحت لاجتماع المؤتمرين بعضهم ببعض في أوقات الراحة والسمر وجني ثمرات تبادل الأفكار وتمكين صلات المودة بين مختلف الأمم. وها أنا أعرض على حضرات القراء أعمال المؤتمر وأهم الموضوعات التي ألقيت فيه والمباحث التي تناولتها المحاضرات والمناقشات مع نبذ صغيرة اقتطعها منها وهناك يلمسوا شيئاً من الروح التي سادت جوه والاتجاهات التي تتجه نحوها التربية الحديثة في سيرها الحثيث

***

مضى زمن كان المربون فيه يعتبرون الطفل لا شخصية له، ويعطرونه بوابل من الدراسات ثم يستعيدونها منه في الامتحانات. أما اليوم فقد أدركوا أن له شخصية مستقلة جديرة بأن يدرسوا نواحيها المختلفة ويتحرروا على تنميتها وأصبح الاهتمام العلمي بالشخصية أهم المظاهر المشجعة في التربية الحديثة كما قال أحد خطباء المؤتمر. ذلك لأن عظمة التاريخ ما هي إلا عظمة الشخصية وكل تربية لا يكون ذلك أساسها لا قيمة لها » فلا غرابة إذا عنيت هيئة المؤتمر بتكوين الشخصية الحرة وخصصت لها محاضرات عديدة تناولت معرفتنا الحاضرة عن نماء الشخصية وتأثير البيئة في ذلك النماء ومن أهدافه إرشاد الطفل في معرفة عالمها وعلاقة الشخصية بالتربية وبالعلم وبالعقل ولم ينسوا المعلم وهو من أقوى العوامل في تكوين الشخصية الحرة فقال أحدهم « قبل أن نستطيع التربية إيجاد الشخصية الحرة للأجيال المقبلة علينا أولاً أن توجد عدداً كافياً من المعلمين هم أنفسهم أحرار » . « وما كان أعظم الأمم حضارة ما كان بها للفرد قيمة وكان تحرير الضمير من سلطان السلطة أهم ما يتجلى في التاريخ الحديث » فقد كان حظ الحرية الشخصية وهي الثمرة الطبيعية لتكوين الشخصية الحرة موفوراً من بحوث المؤتمر ومحاضراته. فتناول أعضاؤه علاقة الحرية الشخصية بالحياة العائلية وبالنظام الاقتصادي وبالوقاية الاجتماعية وبالديمقراطية وبالفوضى الدولية وبالسلم وبالدين وهل التربية الدينية عامل في استعباد الفرد أم في تحريره. وفي ذلك قال أحد الخطباء « إن هناك نظريتين مختلفتين إلى الدين أولاهما ترى فيه نظاماً من التحريمات

ونأياً دائماً عن محظورات وليس ذلك قاصراً على الأديان الأوربية ذات الطقوس بل يصدق كذلك على الوصايا العشر وعقائد الكنيسة . يقال هذه التربية الدينية لا تساعد على الحرية . أما الثانية فتنظر الى الدين من ناحية سيكولوجية فتراه في التصبير الحي والحب والعاطفة التي تربط الانسان بأسمى ما في الحياة فما الدين الا التسامي عن حدود الطائفية ومفارق الجماعات وظهوره في حب عظيم شامل للانسانية كلها »

أما الطفل الذي يتمثل في ضوء الأمل في تقدم العالم نحو المثل العليا والذي من أجله اجتمعت وفود المؤتمرين من أقصى الارض للبحث عن خير السبل لتربيته وتعليمه فقد تناولوه بالتحليل الدقيق نفسيته ونموه من السنة الاولى الى الرابعة والمشكلات التي تعرض في نموه الطبيعي من السادسة الى العاشرة والتي تعرض كذلك في طور البلوغ وبعض ما يحدث من الانحرافات عن النمو الطبيعي وطرق علاجها ومعضلات سلوكه في المدرسة ووسائل علاجها واتخاذ اللعب كعلاج للاطفال وبحث الاحوال والسمات في تكوين الخلق وتربية الآباء وتفهيمهم في المتاعب التي تصيب أولادهم . قال أحد الخطباء بعد ان فسر الطفل الشقي ودافع عنه ولام الآباء وزودهم بكثير من النصائح « ان للطفل شخصية مستقلة عن شخصياتهم وله من الغرائز ما لأبيه وأمه وان كبت تلك الغرائز بشدة الآباء هو علة متاعب الطفل وشقائه في مستقبل حياته . والوالد الحديث يجب في الحقيقة أن يتعلم كيف يكون صديقاً ومستشاراً لأولاده فيصل ما يمتاز به عنهم من المعرفة لا أن يكون حاكماً بأمره مطلق التصرف في حياة اولاده »

وأما المدرسة الحديثة الحية الى عرض الأعمال التي يقبلون عليها ويأنسون فيها الى القائمين بأمر تعليمهم وتهذيبهم أنفسهم بدونهم وآلهم وتنمو معهم مطامح نمو أجسامهم فقد أتيح لأعضاء المؤتمر أن يشهدوا منها نماذج متنوعة على الشاشة البيضاء فرأوا معاهد مختلفة من أحدث المدارس وأرقاها في الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا واليابان والنمسا والمجر وبلاد السويد وسويسرا وغيرها . وهذه المدرسة الحديثة هي التي تناولت المحاضرات علاقتها بالجماعة وبالعالم وتناولها مع المماثلة في مختلف البلدان ومكان العيادة الطبية في نظامها ووجوب التعاون بينها وبين الآباء والعيادة الطبية وأثر المطبعة المدرسية والاذاعة اللاسلكية في التلاميذ وتدريس العلوم الاجتماعية وما يمكن ان تمنحه الاختبارات العقلية للتربية ولمعرفة الاخلاق ، والاختبارات العلمية كبديل او ملحق للامتحانات وتجنب ارهاق التلاميذ في الامتحانات ببذل العناية قبل الامتحان لمعرفة مقدرتهم ، واختبارات المزاج وكيف يؤثر المزاج في اختيار المهنة واعطاء معنى لمناهج التعلم والتربية الوطنية واعادة تنظيم المناهج

هذا الى الموضوعات التي عرفت السامعين بما يجري في مختلف الامم من التجارب ووجوه التقدم

فقد عرّفتهم بالجهود التجديدية في التعليم الثانوي فرنسا ، والتربية الثانوية بمدرسة في هولاندا، وبنظام التربية في روسيا السوفيتية ، والتعاون بين المدرسة الثانوية والجامعة لتحسين المناهج في الولايات المتحدة وبمبادىء المدارس وتقدمها في بلاد المكسيك وبرسالبات اسبانيا البيداجوجية وبالاتصال لتبادل الثقافة والتعليم الانساني في العالم الحديث

***

هذه مجموعة المحاضرات العامة التي أتيح حضورها لجميع اعضاء المؤتمر . أما المحاضرات الخاصة فقد ألقاها جماعة من المتخصصين كل في الفرع الذي برع فيه وأتيح حضورها لمن شاء من اعضاء المؤتمر مقابل عشرة شلنات تدفع رسم اشتراك في الموضوع الواحد الذي يستغرق خمس محاضرات . وللعضو أن يشترك في اكثر من موضوع اذا شاء . ولن أطيل على القارىء في شرح عشرين موضوعاً تناولتها هذه المحاضرات مكتفية بذكر ما كان منها طريفاً لم تتناوله المحاضرات العامة السابق ذكرها كالعلاقات العائلية وفسيولوجية الحس والتربية الحسية وفن الاسترخاء العضلي وطريقة مرديك في التربية البدنية والتفاهم الدولي في فصول الدراسة وأشفع كل منها بنبذة موجزة توضح ما ترمي اليه —

﴿ العلاقات العائلية ﴾ تأثرت بالتقدم العلمي والفني في القرن الاخير تأثيراً شمل العلاقات الداخلية بين افراد العائلة الواحدة كما شمل علاقاتها الخارجية بالعادات والهيئات والمؤسسات في المجتمع . لذلك تناول البحث تأثير افراد العائلة بعضهم في بعض على ضوء اختلافات الافراد وصفاتهم وكبر العائلة او صغرها وتبدل مقام المرأة وما يقتضيه الشعور بشخصيتها وأنواع السيادة والخضوع والمقاومة وعلة النزاع والغيرة والمنافسة وما الى ذلك من الشأن كمصدر للقوة والسلطان والعلاقة الزوجية وأثرها في الاطفال والعلاقة بين الاخوة والاخوات وتأثير العائلة في تكييف الطفل للمجتمع في نجاحه أو اخفاقه

﴿ الاسترخاء العضلي العصبي ﴾ المراد منه مساعدة المعلم على اكتساب فن الاسترخاء relaxation وتفادي التعب الذي لا ضرورة له والتوتر الذي يشل سواد المعلمين تحت تأثيره وهو تعب اذا استمر يؤثر في الهضم والنوم ويؤدي الى اعياء الاعصاب . ذلك ان الاجهاد يزيد حالة التوتر والتوتر يتطلب زيادة الجهد والجهد يزيد التوتر وهكذا فهو حلقة مفرغة وليس من السهل على المعلم التخلص منهُ من دون مساعدة هذا إلى انهُ وجد بالاختبار ان المعلمين الذين يطبقون هذا الفن لا تقتصر فائدته عليهم وحدهم فتأثير المعلم المتوتر الاعصاب في تلاميذه لا يحتاج الى شرح وتعريف في حين تزيد الكفاية ويقل الجهد والتعب اذا امكن الامر

(طريقة مرسيرث ...) في التربية البدنية طريقة علمية مؤسسة على علوم التشريح والفسيولوجيا والنفسية تدرس فيها التمرينات الرياضية بحيث يعرف الطلاب بقدر الامكان تركيب الجسم والنواحي التي ... تمرينها وهكذا يشعرون بالتمرينات ولا يتعبون ويحسون مرونة في حركاتهم وقدرة على ضبطها وهذه الطريقة لا تستعمل فيها ادوات ولا موسيقى ... التوازن بين التوتر العضلي والاسترخاء فيكسبه الطالب مباشرة بحصر فكره في التمرينات التي يقوم بها لا غير

(سيكولوجية الجنس والتربية الجنسية) شرح المحاضر الاساس الحيواني للدافع الجنسي والخصب واختلاف معنى الابوة عند الاب والام وفرق بين الدافع الجنسي وبين الحب كما فرق بين الحاجة الجنسية عند الحيوان والانسان وبعد ان اجمل شرح سيكولوجية الحب والمراهقة موضحاً الفرق بين عواطف البنات والبنين تطرق الى ذكر الصلات الغرامية وعلاقة المجتمع بمسائل الجنسين وكيف يكفل فيها تكييف عقلي لكل من الجنسين وبعد ان شرح بعض العادات السرية عند الشباب واسبابها تكلم عن مهمة الآباء والمربين والاطباء ازاءها وواجبهم نحو إمداد الشاب بالمعلومات التي تنير سبيلهم وتساعدهم على فهم الطبيعة وتنبههم لما يتعرضون له من اخطار الجهل مبيناً ان دراسة علم الحياة في المدارس لا يكفي وحده لتحقيق هذه الغاية وختم الموضوع بكلام عن الغريزة الجنسية كعنصر من تربية عاطفية عامة وتطلع إلى حياة جنسية طبيعية

(التفاهم الدولي في فصول الدراسة) تجربة هي الاولى من نوعها في انكلترا الغرض منها توفير المعلومات عن بلاد الصين (التي يندر مايعرف عنها في شكل صالح للاستفادة منه في المدارس قياساً بالنسبة الى ما يعرف عن غيرها) حتى اذا نجحت التجربة تناول البحث غيرها من البلدان كالهند واليابان وروسيا. ومحاضرات هذا الموضوع قصد بها اولاً فائدة مدرسي الجغرافيا والتاريخ والدراسات الاجتماعية والحوادث الجارية الذين يرغبون في الوقوف على وصف واضح مختصر موثوق به للصين وعلاقتها بغيرها من البلاد في العصور القديمة والحديثة مع امدادهم بالمراجع اللازمة. وقد تناول الموضوع بعض الافكار الخاطئة بالبحث وتساءل المحاضر هل ثقافة الصين القديمة ثابتة؟ وهل لم تحيَ الصين الى عهد قريب جداً حياتها الخاصة بها منعزلة عن بقية العالم؟ وهل اظهر الصينيون في الماضي قدرة على الاحتفاظ بحكومة منظمة؟ وأليست الصين الآن في حالة فوضى؟ وأليست متأخرة جداً من الناحية الاقتصادية؟ ولا شك ان القارىء يرى أن الاجابة عن هذه الاسئلة اجابة صائبة لا تتيسر من دون معرفة شيء عن التقدم التاريخي لثقافة الصين وأول اتصال الصين بالعالم الخارجي ومعرفة أحوالها الحاضرة وميولها الخ وهو ما تناولته تلك المحاضرات

هذا وقد نظمت هيئة المؤتمر اجتماعات للبحث والمناقشة في موضوعات عديدة بحصري منها أغراض التربية الثانوية وطرق تدريس المواد المختلفة وتنظيم المناهج وأتاحت حضرتها لكل من يهمه موضوع منها من أعضاء المؤتمر وبذلك أتاحت لهم فرصة تبادل الافكار وتوجيه الاسئلة والمناقشة الحرة كذلك تألفت عدة لجان وكل اليها بحث موضوع التفاهم الدولي ومشكلة الامتحانات واعداد المعلمين والمدرسة والبيت والسيكولوجيا والتربية والتربية الافريقية (المقصود جنوب أفريقيا) واقتصرت العضوية في تلك اللجان على افراد توفرت فيهم مؤهلات خاصة أو كان لهم بموضوع البحث اهتمام خاص ولما انتهوا من مهمتهم أطلعوا اعضاء المؤتمر في اجتماع عام على النتيجة التي وصلوا اليها أو المرحلة التي قطعوها في بحوثهم ان كان الامر يتطلب التأجيل مدة استيفاء للبحث والدرس

ولم تغفل هيئة المؤتمر وهي التي تعمل على تكوين الشخصية المتزنة الكاملة في شتى النواحي الفنية والرياضية في برنامج المؤتمر فأقامت معرضاً دولياً للرسم والأشغال اليدوية كل ما عرض فيه من عمل تلاميذ وتلميذات مختلف أعمارهم من السنة الخامسة الى السادسة عشرة وقد تجلى في بعضها الابتكار والابداع تجلياً يستوقف النظر ويستدعي شديد الاعجاب وظهر أثر البيئة واضحاً في الكثير منها في موضوعاتها ومناظرها وألوانها. أما الأمم التي ساهمت في اقامة ذلك المعرض الطريف بعرض معروضات تلاميذها فيه فهي الصين واليابان والولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا والمجر وبولندا وبلغاريا وفنلندا وروسيا وامريكا اللاتينية وكم صفق الحاضرون اعجاباً عندما قام تلاميذ احدى المدارس الثانوية بتمرينات رياضية متنوعة محكمة ورشاقة مدهشة وكم طربوا عندما سرى الى اسماعهم انشاد التلاميذ وغناؤهم بأصواتهم الندية ونغماتهم الشجية وهي تصاحب الموسيقى في ايقاعها تارة وتنفرد بالتغريد أخرى ناهيك بالاستحسان والتقدير اللذين لقيهما فريق الممثلة الذي مثل رواية لشكسبير. فقد اجادوا ادوارهم كل الاجادة وبزوا في رأي الكثيرين المحترفين الذين مثلوا بعض روايات شكسبير في دار الأوبرا مدة انعقاد المؤتمر. وهكذا أثبتت هيئة المؤتمر أن عناية التربية الحديثة بالفنون لا تقل عن اهتمامها وعنايتها بالعلوم وأنها تسمو وراء المثل الأعلى وتنشده في الحق والصلاح والجمال

***

هذه خلاصة عامة لأعمال المؤتمر الذي حضره مندوبو مصر وعلى رأسهم صاحب العزة أمين بك حسونه ناظر معهد التربية أرجو ان أكون قد وفقت في عرضها في ايجاز على القراء وحققت الغاية التي توخيتها من كتابة هذا المقال

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

محمود مصطفى الدمياطي

— ١٣ —

الأَمْلَج

معرب (آمِلَه) بالفارسية على وزن نادرة يطلق على شجر وثمر أما الشجر فتكون الواحدة منهُ صغيرة الحجم او متوسطة ترتفع ٣٠ قدماً او ٤ طول محيط جذعها ثلاث اقدام وست واحياناً اكثر، قلفها احمر سنجابي او اسمر . اجزاؤها الخضراوية ريشية خضراء اللون فاتحة أوراقها في صورة الخطوط ملساء حادة القمم ثخينة الحافات تكاد تكون بلا اعناق طول الواحدة منها نصف بوصة تحملها فريعات مرتّبة طول كل منها ٤ بوصات الى ٨ فتبدو كأنها اوراق ريشية

أزهارها صغيرة صفراء مخضرة مجتمعة في محصل جانبية على الفريعات في آباط الاوراق أو على الجزء العريان من الفرع تحت اسفل الاوراق وكل من زهرات التذكير والتأنيث على الفريعات في الشجرة الواحدة الاولى كثيرة العدد تحملها اعناق قصيرة رفيعة والثانية قليلة تكاد تكون بلا أعناق . اما الثمار وهي التي يطلق عليها ايضاً (الأمْلج) (emblic myrobalans) فالواحدة منها عبارة عن عنبة لحمية مستديرة صفراء اللون فاتحة واحياناً تضرب الى الحمرة عند نضجها وطعمها حامض قابض طول قطرها ثلثا بوصة ثلاثية التجاويف بها ست بذور وعلى سطحها ستة خطوط ظاهرة

اسمهُ العلمي (Phyllanthus Emblica, L) (فيلا نثوس امبليقا) أو (Emblica Officinalis, Gaertn.) (امبليقا أفيشينالس) وفصيلته الفربيونية (Euphorbiaceae) (اوفوربياسية)

وبالانجليزية (shrubby phyllanthus; emblic myrobalan)

وبمرنسية (phyllanthe emblique officinale, myrobolan emblic) يكثر في غابات الهند وبورما وجزيرة سرنديب والارخبيل الهندي وقد يزرع احياناً . والمستعمل منهُ في الطب الثمار مسهلة كما تستعمل في الصباغة والدباغة او تخلط بالخل وتؤكل قيل إن مفروعها مع كل من الاهليلج الاسود (Terminalia chebula, Rox.) والبليلج (Terminalia belerica, Rox.) اذا تعوطي منهُ كل صباح حسّن صحة البدن على وجه عام لأنهُ منظم لوظيفة الكبد وجاء في طب الاشباح لابن الجوزي ان الاملج قابض يسوّد الشعر ويقويه مسهل للبلغم مقوّ للقلب والعصب والعين والمعدة ويشهي الطعام ويمنع من البواسير ويطفئ حرارة الدم أما قلف الشجر فيستعمل في الدبغة وخشبه في صنع الآلات الزراعية ويدخل في تماس الآبار لاحتماله للرطوبة ككشب الجير ويقال إن نشارة الخشب والفروع الصغيرة اذا وضعت في الماء الكدر صفتهُ

شجر البان

معروف ويقال لهُ (الشُّوع) بالصم

شجرته صغيرة الحجم ترتفع الى ٢٥ قدماً . ساقها منتدلة دقيقة قد يبلغ طول محيطها أربع أقدام أو خمس قلفها فليني متشقق أملس سنجابي اللون . أوراقها ريشية من النوع الثلاثي التركيب عادة . أزهارها ذات تويجات بيض في قواعدها نقط صفر رائحتها قوية شبيهة برائحة العسل مجتمعة في عناقيد بأطراف الفروع ثمراتها احقاق تشبه قرون اللوبياء مستطيلة دقيقة متدلية على سطح الواحد منها تسعة ضلوع ممتدة طولا وطوله من ٢٢ سنتيمتراً الى ٤٥ أما البذرة فذات ثلاثة ضلوع بارزة ولها أجنحة

اسمهُ العلمي (Moringa pterygosperma, Gaertn.) (مورنغا بتريغوسبرما) أو (Moringa oleifera, Lamk.) (مورنغا اوليفرا) وفصيلته البانية (Moringaceae) (مورنغاسية) وبالانجليزية (Indian plant; horse-radish tree; moringa tree) وبالفرنسية (morange pterygoide; ben oléifère, moringa ailé)

موطنه الهند وجزيرة سرنديب وكثيراً ما يزرع من أجل بذوره فانها تعصر للحصول على زيت ناعم معروف (بدُهن البان) (ben oil) وهو عديم الرائحة اكثر استعماله عند الساعتيين والجوهريين ويدخل في تركيب (القوزمتيك) (cosmetic) الذي يتحمل به في الشعر والبشرة وذلك لعدم فساده (زنخه) سنين عديدة . وأهل الهند يتعاطون قلف الجذر او الجذع او الاوراق بعامها من الحَرَافة خاصة للطعام كما يستعملونها من الظاهر لتنشيط البشرة وتحميتها . وفي جميع انحاء الهند يأكلون جذر الشجرة غضه بدلاً من حشيشة الملاعق (Cochlearia Armoracia) (قوشليارا آرموراسيا) ثم انهم يطبخون القرون الفجة والاوراق

والأزهار ويأكلونها مسلوقة ويسمونها عندئذٍ (خضر الكَرّي) (curry vegetable) كما يستعملون الاوراق في التوابل او المخللات (pickles) للاكل وقد تستعمل الاغصان والاوراق علفاً للماشية

وهناك نوع ثانٍ من افصيلة عينها هو البان الحقيقي عند العرب يعرف في مصر (بالبَيْسَر) ويقال له في السودان (مَتَايْ) اسمه العلمي (Moringa aptera, Gaertn.) (مورنغا آپترا) وبالانكليزية كالسابق وبالفرنسية (... aptera, ... otane; moringe aptère, gland d'Egypte)

موطنه بلاد العرب والآن منتشر في مصر والشام والسودان. واخشة شجرته صغيرة الحجم او متوسطته. فروعها اشبه شيء بالسياط. اوراقها صغيرة غير كثيفة ازهارها حمراء فاتحة. ثمراتها احقاق مستطيلة شبيهة بالقرون ذات ضلوع طول الواحد ٢٠–٣٠ سنتمتراً تقريباً تسميها العرب (الحب الغالي) اما البذور فتعرف عندهم (بحب البان) فهي بيضية الشكل خضراء تضرب الى البياض ليس لها اجنحة وهي التي كان يعتصر منها العرب دهن البان من قديم وقد قلت شهرته الآن

الإذْخِر

بكسر الهمزة حشيشة طيبة الرائحة يقال لها (التبن المكي) قوية النمو عريضة الاوراق سوقها ذات عقد في قواعد الاوراق قد ترتفع الى متر ونصف

اسمها العلمي (Andropogon Schoenanthus, L.) (اندروپوغون شيناثس)

وعصبتها النجيلية (Gramineae) (غراميني) وبالانكليزية (sweet rush, camel's-hay) وبالفرنسية (schoenanthe officinal, paille de la Mecque; citronelle) مواطنها في جنوب آسيا وشمال الهند الى اليابان وبلاد العرب وشمال افريقية وتناسبها الحزون والسهول الحمة الحدباء

ويحصل من جذور الاذخر بالتقطير على زيت عطري يسمى بالانكليزية (sim oil) يستعمل في الطب. وتعدد اطباء العرب خواص لهذا النبات فيقولون انهُ يفتح السدد وافواه العروق ويدر البول والطمث ويفتت الحصى ويحلل الاورام الصلبة في المعدة والكبد والكليتين شرباً وضماداً. واصله (جذره) يقوي الاسنان والمعدة ويسكن الغثيان ويعقل البطن الى غير ذلك وفي مكة وبلاد العرب يستعملون به في تسقيف البيوت فوق الخشب ويحرقونهُ بدل الفحم وعلفاً للماشية وفراشاً. وهو الذي طلب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم استثناءه يوم فتح مكة حين سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب عن البلد الحرام فيقول لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرَّفها ولا يختلى خلاها فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانهُ لقينهم ولبيوتهم فقال الا الاذخر والقيون جمع قين وهو الحداد والصائغ. والخلا مقصور النبات الرطب الرقيق ومنه اخلت الارض كثر خلاها. واختلاء النبات قطعهُ

قصة شلي الغرامية

حقائقها أغرب من مبتدعات الخيال

تلخيص وتعليق : بقلم م. ع. الهشري

في أوائل القرن التاسع عشر طرد شاب من جامعة أكسفورد على أثر تأليفه رسالة عنوانها « ضرورة الإلحاد » . كان اسم هذا الشاب برسي بيسي شلي وهو الوارث الوحيد للقب بارون في مقاطعة سسكس الذي قدر له بعد ذلك أن يكون أحد شعراء الإنجليز الخالدين . كان الشاب غريب الأطوار وكان يتمتع بنصيب كبير من الجمال بدا في شعره الغزير الخصيب ، وعينيه الزرقاوين المتألقتين ، وعنقه الناعم الذي كان يظهر من فتحة ربقته . وكان في جانبه الرائع القوي وشخصيته الجذابة العطبة قوة لا يتغلب عليها .. قوة خضعت لها كل النساء اللاتي قابلهن وإن كانت تطغى عليها أنوثة رقيقة تقبلها النسيم وأرهفها الإحساس !

وكان الشاب ثائراً على كل قوانين المجتمع آنئذ ، وكان يجاهر بآراء تمرض وما أسمه العرف في ذلك الحين . لقد كان ملحداً وكان ينشر رسالة خطيرة عن تحرر الحب من كل القيود والتقاليد فلا عجب إذن أن رأينا جامعة أكسفورد تفتح بابها لتدفع منه تيار هذه الآراء الشاذة السابقة لأوانها وتغلقه في وجه صاحبها إلى الأبد .

ومن البديهي أن تكون حياة شاب غريب الأطوار كشلي مملوءة بمغامرات غرامية عجيبة تؤلف قصة متباينة الموضوع هي مزيج من عناصر المأساة والمهزلة والملهاة . لقد كان يمتاز بطبيعة سامية قوية تقدس الحق وتعبد الجمال لا تشوبها منقصة ولا يختلط بصفائها فساد . كان يحترم المرأة ويجلها . كان رحب الصدر رحب الفؤاد سمحاً يغفر الإساءة وينساها . ولكن لم تترك هذه الطبيعة الهادئة تنمو في مجراها طويلاً فقد أثارتها المعاملة الوحشية التي قاساها من الطلبة في كلية « إيتون » . كانت حياة المدارس آنئذ كابوساً ثقيلاً يعذب شاباً على هذا الخلق العظيم اعتمد كل الأولاد أن تطارده وتدعوه بـ « شلي المجنون » . وأصبح هدفاً لتضاحكهم ومرمى

لمشاكستهم فتركت كل هذه الأشياء أثرها البعيد في نفسه طول حياته

ولما غادر شلي أكسفورد إلى «سكس» أحب ابنة عمه «هاريت جروف» حباً عميقاً وكان لا يفارقها طيلة النهار وشطراً من الليل وكان يقضي نهاره يلعب معها ومع أخته اليزابت وكثيراً ما كانوا يختلفون الى الكنيسة فيجلسون جنباً وفي وسطهم شلي وقد طوق خصر كل منهن وهن في ذهول يستمعن إلى فلسفته العجيبة ونظريته عن الحياة ولا سيما الى آرائه الشاذة عن الزواج والحب المتحرر الطليق

ولم يتحمل شلي الحياة طويلاً في «سكس» بعد أن بدده والده وكل عائلته فتركها وسافر الى لندن يصحبه صديقه «هوج» — وكان قد طرد من أكسفورد بعده — وفي [illegible] ذلك أخذ حب هاريت وإعجابها بشلي يتضاءلان ، وبدأت تعاليمه تفقد أثرها في نفسها . فكان وقع ذلك أليماً عنده وقضى وقتاً عصيباً في لندن يعاني غصص الخيبة في الحب ، وحمله ذلك على التفكير في الانتحار بعد تبرأ منه والده ، وأصبح لا يملك من حطام الدنيا شروى نقير وكادت المتربة تخنقه لولا ما كان يصله من أخواته مما كنَّ يدخرنه في جيوبهن وكنَّ قد انتهين إلى مدرسة في «كلابم» تعنى بثقافة صغار الفتيات وأخذ شلي يتردد عليهن في هذه المدرسة ولم يلبث أن خطف في سماء حياته مذنب سماوي جديد جعله ينسى خيبة الحب الأول وكان اسم هذا النجم الجديد «هاريت» أيضاً «هاريت وستبروك» وهي ابنة صاحب نزل كان شيخاً هرماً متقاعداً كان يرجو لابنته مستقبلاً سعيداً بما تحصله من ثقافة

***

كانت «هاريت» قد أطلت على السادسة عشرة أو تقدمتها بقليل وكانت خصلة الفاتنة تحتجب جمالها في أسدال شعر أثيث ذهبي وكانت تاعسة في بيتها وشقية منبوذة في المدرسة حيث كانت تحس الغربة بين بنات الأشراف اللاتي كنَّ لا يخفين نفورهن من خسيس نسبها وفرح والدها أن عرف بصداقة ابنته لابن بارون كبير ولم يجد مانعاً من أن يختلي الشاب حتى منتصف الليل بابنته «هاريت» وهي منحرفة المزاج راقدة في غرفة نومها

وسافر شلي على أثر ذلك الى ويلز ، وأمضى هناك غير بعيد وكانت تصله هناك خطابات من هاريت تهدده فيها بالانتحار إن لم يحضر في الحال لقد أمرها والدها بالعودة إلى المدرسة التي أصبحت تمقتها من كل قلبها . وجزع شلي لذلك لأنه هو الذي أثر فيها وغرس تعاليمه الالحادية في عقلها الناشيء الصغير . لقد شعر بأنه مسؤول عن سعادة هذه الفتاة المسكينة وكان من جراء ذلك أن رجع الى لندن وقابل «هاريت» ثم بادلا معاً إعلان حبهما وهربا في

اختطف في عربة البريد التي تسافر الى ادنبره . كان شلي آنئذ في التاسعة عشرة وكانت « هاريت » في السادسة عشرة او نحوها . فاقترض من صديق له بضعة جنيهات نفدت كلها قبل ان يضرب عصاه على ابواب اسكتلندا . ولم يكن له في ادنبره اصدقاء يعتمد عليهم . وقد قص شلي قصته على احد ذوي الاملاك الذي وجده بلا مأوى فآواه ووفر له مالاً ومتاعاً . وقبل أن يبرح لندن أقنعه صديقه « هوج » بضرورة اقترانه بهاريت ولو أن ذلك يخالف مبادئه كلها على طول الطريق . اذ انها وحدها التي ستعاني شقاء الحرمان وتتجرع كل غصصه واخيراً وافق شلي على الزواج بها وأعد له اصدقاؤه الاسكتلنديون الجدد مهرجان العرس

كانت الحفلة تزخر بفريق من تجار ادنبره وكانوا على اعظم ما يكون مجوناً وخلاعة وأخذ عنهم رشاد وسخريتهم تخرج عن حدودها حتى اضطر الروحان الى الانسحاب بين رنين الضحكات . ومن كاد ينتهي الى منزله ويستقر قليلاً حتى سمع طرقة على الباب . ولما فتحه وجد المالك المترنح الضليل وأصدقاءه السكارى

وقال المالك وهو يسعل : « من التقاليد هنا ياسيدي ان نحضر في منتصف الليل لنغسل العروس بالويسكي » !

وهنا ثار الشاعر الغاضب وتناول غدارتين وصوبهما نحوهم فولوا خوفاً

وأحب شلي « هاريت » حبًّا عجباً وان ادعى ان زواجه منها لم يكن الا لمجرد الرغبة في المغامرة . كانت الفتاة ضعيفة الارادة . لا حول لفكرها عليها ، وقد شغفتها تعاليم زوجها هوى حتى استوعبتها استيعاباً . وكانت تقرأ جميع الكتب التي قرأها زوجها . قرأت كتاب « جودوين » في « العدل السياسي » الذي اوحى الى شلي بالكثير من آرائه الطوباوية ومذاهبه الفاسفية الشاذة . وعلى الرغم من ذلك فان الفتى كان راغباً الى الاختلاط بدائرة واسعة من الناس ، وكان شديد التألم لبعده عن صديقه هوج . وكانت هناك ايضاً صديقة عروسه الأطوار هي « المس هتشنر » تمتاز بأنها الرومانسي وقد أملت كثيراً ان تتصل بشلي . وكتب هو اليها يسألها ان تجيء لتشارك الزوجين في احلام شهر العسل . ويقول « سوف تتساءلين - على ما تعلمين من افكاري والحادي - كيف خضعت لفكرة الزواج وكيف قبلته عن رضى . اني سأوضح لك كل ذلك وقد ان تلوعي ، ياصديقتي العزيزة ، او لا تلومي ما اقدمت عليه » . ولكن المس هتشنر لم تنعم عليه بالرد !

وقدم اخيراً صديقه « هوج » . وسافر شلي ليقابل والده مستعيناً بصديق قديم علّه يتوصل الى اقناع هذا الوالد بضرورة اسعاف شلي بالنقود الضرورية . سافر وترك زوجته وحيدة مع « هوج » الذي أحبها وأسرف في هذا الحب ، ولكن شراً لم يقع بينهما وقدمت

أحبت شلي في أول فصل الرواية، وحاولت جهدها أن تمنع «هارييت» من سقوط الهاوية فنصحت وقد سمع شلي الطيب القلب المتسامح عا من صديقه «هوج» غفر له زلته وصفح عن الرجل الذي حاول أن يصيبهُ في شرفه !!

ونجح شلي نجاحاً يسيراً في المهمة التي قام من أجلها بالرحلة فقد توسط له صديقه عند أبيه وقبل هذا — تحت الإلحاح — أن يرفع المبلغ الذي يرسله إلى ابنه. وتعرف شلي بعد رجوعه بقليل إلى جودوين مؤلف كتاب «العدل السياسي» وهو الرجل الذي وقف يدافع عن الحب المتحرر وينشر مذهبه الإباحي وقد تزوج مرتين: تزوج من ماري ولستنكرافت وهي مؤلفة نابهة وتزوج ثانية من أرملة هي مسز كلير

* * *

— ٢ —

رفع الستار عن الفصل الثاني من قصة هذا الشاعر الخيالي الفريد. وقد مضى عهد انتقلت فيه عائلته إلى إيرلندا وويلز ورزقت فيه «هارييت» ابناً جميلاً

هنا قابل شلي نجماً جديداً وهو نجيبته «ماري» ابنة جودوين من زوجته الأولى. وكان قد تغير كثيراً أثناء هذه المدة وبدأ ينظر إلى الزواج لا بعين الخيال وإنما بعين الحكمة الكاملة. أما حبه «لهارييت» فقد بدأ يفتر كأن عاطفتها الساذجة نحوه قد دب فيها روح النسيان والسأم، وكثيراً ما تركته وفضلت الإقامة مع أختها إليزا وقد كثرت حينئذ إشاعات عن اتصال «هارييت» برجل يدعى «الماجور ريان». واشتدت الصداقة بين شلي وآل جودوين وفتنته فتاتان من فتيات العائلة إلى حد العبادة وهما «فاني» و«جين». وأطلق عليه لقبٌ غريبٌ هو «ملك الأطياف». وفي هذه الآونة قدمت ماري من اسكتلندا إلى منزلها. وكان شلي تواقاً إلى رؤية ابنة ماري ولستنكرافت لأنهُ سمع الناس تشيد بجمالها وسحرها

وظفر أخيراً برؤية ابنة ماري. رأى حلماً مجسداً من البياض الناصع والذهب الوهاج وراعه منها وجهها الشاحب النحيل، وشعرها الخاطف المسترسل، وعيناها الساحرتان. وأثر جمال هذه الفتاة ورقتها التي بلغت حد المرض في نفس الشاعر وفي حياته إلى الأعماق. ولما حادثها وجد أن هناك فرقاً كبيراً بينها وبين زوجته «هارييت». لقد كانت «هارييت» سطحية في كل شيء، صغيرة مستهترة لا تتعدى عاطفتها اللهو والمجون بخلاف ماري التي تأثرت بوالدها وتشبعت بأفكاره الخصبة فهي تتكلم عن دراية وفهم .. وهي تتحدث بقوة ويقين

لقد وجد شلي أخيراً في ماري « الروح النائب »(١) الذي كان يبحث في المجهول اليه والذي تجاوب وروحه !

ثم اعتقد شلي أنه وجد ضالته المنشودة . وجد منه الاعلى الذي حسبه حلماً من الاحلام الرائعة واعتقدت ماري بدورها ان شلي ما هو الا روح إله إغريقي مجسد .. لقد انطبعت في ذهنها له صورة متألقة رسمتها احوالها في حضاناتها اليها ولكن — كما صرح احد الكتاب الانكليز — لم تتفق هذه الصورة مع حقيقة شلي . لقد رأته من حساً شعرياً وإن لم يبح بهذا الشعاع أو يعترف به وكانت هي ايضاً ناعمة لما كانت تلاقيه من عنت زوجة أبيها الثائرة المتعنتة دائماً . وكثيراً ما كانت تفضل أن تقضي النهار كله في فناء كنيسة « سانت بانكراس » بجوار مقبرة والدتها تقرأ وتتأمل .

وذات يوم رأى الشاعر ان يرافقها إلى هناك . وللمرة الثانية بدأ يمثل دور الحب ويتنزل بين المقابر التي كان يضفي عليها خياله ثوباً فضفاضاً من السحر . وفي هذا المكان سكب الشاعر الخيالي روحه وقدمها قرباناً في كأس الحب . ولم تتردد « ماري » في ان تبادله هذا الحب وتهوي معه فيه الى قرار سحيق . واعطاها شلي نسخة من قصيدته « الملكة ماب » التي كان قد اهداها الى « هارييت »

اخذت « ماري » النسخة الثمينة وقرأتها بشغف واعجاب ولما انتهت منها كتبت في بيضاء خاتمتها هذه الكلمات ضمن سطور طويلة :—

« إن هذا الكتاب مقدس لديّ ، ولما كنت أعتقد ان أحداً لن يتصفحه غيري ، رأيت »
« أن أكتب ما يبدو لي . ولكن ! ترى ماذا أكتب ؟ أأقول إني أحب مؤلفه حبًّا هو أقوى »
« من أن يصف خيال التعبيرات والقيود ؟ أأقول إني شطر انضم عنه ؟؟ يا أعز ما لديّ »
« وأحب ، لقد تواعدنا على قداس هذا الحب أن يكون كلانا للآخر ، ولتعلم أني إن لم »
« أكن لك فلن أكون لآخر من الناس »

وفي يوليه ترك شلي زوجته الى الأبد . . لقد أخبرها أنه لم يعد يمكنه الحياة معها أكثر من ذلك وكانت هي تحمل في أحشائها جنيناً . ووقع الخبر من نفس « هارييت » موقعاً أليماً وكان ان هوى بها الى قرار من المرض سحيق . ولكن شلي الرحيم القلب لم يكن ليهجر امرأة في هذه الحال . لقد كان باراً بها وليًّا ، وكان يعاملها أثناء مرضها بما لم يعامل به أحد زوجته . ولكن — على الرغم من كل ذلك — لم يكن هناك بصيص أمل رجوعه عما انتواه . فلما عوفيت حمل اليها رسالة

(١) يذهب شلي في قصيدته ابسيكيديون الى ان روح الرجل نصف دائرة لا تكملها الا روح المرأة المنشودة وهو المقصود بعبارة « الروح النائب »

الأخيرة وفيها يقول « إن الاخلاص والثبات على الود، والدوام على الحب، ليس وراءها من حسنة، وإنما هي لعكس ذلك شرٌّ كلها ! »

ووجدت « هاريت » أن من العبث أن تلومه وتعاتبه وألقت تبعة ذلك اللوم كله على « ماري » وحدها فقد استغلت هذه الخبيثة ذكرى أمها وأخذت تغري شلي بان يرافقها كل يوم الى فناء المقبرة التي ترقد فيها هذه الأم. هذا ما رأته « هاريت » وهذا ما دفعها الى ان تحقد على هذه الفتاة التي حالت بينها وبين زوجها الفتى الطائش ! !

واتفق شلي مع صيرفيه ان يعطي الجزء الأكبر من راتبه الى « هاريت » ولما اقتنع انها أصبحت في مأمن من المسغبة والفاقة ركب مع « ماري » في مركبة بريد صغيرة اقلتهما الى دوفر ليركبا منها الى داخل القارة. وهنا تبدأ حادثة هرب لم تدع مخيلة للقصصيين موقفاً شاذاً يعانيها — تخيَّل هذين العاشقين يرحلان في الصباح المبكر — في الساعة الرابعة — تصحبهما اخت ماري — « جين كليرمنت » ! تخيل أختين يعشقان رجلاً واحداً ويرحلان معه !! اي كُتّاب الملهاة كان يجرؤ ان يخلق موقفاً كهذا ؟ ان هذا العاشق الغريب الأطوار لم يقدر شيئاً في اخذ شقيقة حبيبته « ماري » معه في هذه الرحلة الفاضحة الشائنة. تصوّر هؤلاء الثلاثة في دوفر في ظهيرة نفس اليوم . . يساومون البحارة على زورق صغير ينقلهم الى كاليه !

وركب الجميع المركب فرحين مستبشرين ولكن لم تلبث ان هبت زوبعة اخذ المركب على اثرها يترجح بين الامواج. وقضت ماري ليلة عصيبة متكئة رأسها على كتف شلي وهي منهوكة القوى واهنة. وكان الظلام حالكاً شديداً تقصف فيه الرعود وتخطف البروق ولكن ما كاد الفجر يتنفس حتى هدأ الجو وحتى طلع شعاع الرجاء مع ذرور الشمس

ونزلوا في كاليه ينتظرون امتعتهم لانها كانت في زورق آخر. ووصل الزورق اخيراً وفيه مسز جودوين !! وحاولت زوجة الاب ان تحمل ماري على الرجوع معها الى لندن ولما أخفقت حاولت ان تغري « جين » ولكنها خابت كذلك في مسعاها الثاني اذ ان « جين » قد أصرّت على ملازمة العاشقين في شهر العسل غير الشرعي ! وآبت مسز جودوين بخفي حنين. بعد ان اخفقت في اخذ الفتاتين اللتين سحرهما منطق شلي المعسول

ووصل الثلاثة اخيراً الى باريس في عربة يجرها ثلاثة جياد. ولكن لم تمض على اقامتهم في المدينة أيام معدودة حتى تدهورت حالتهم الى الفاقة والحاجة. ورهن الشاعر ساعته وسلسلتها الذهبية وسأل صديقاً فرنسياً يعرفه يسمى « تافرنييه » ان يقرضه ستين جنيهاً

[لها بقية]

علاج البطالة

بعلاج الفاقة

للدكتور احمد سويلم العمرى
مكتب وزير المالية الفنى

علاج البطالة الحاسم عندنا هو في علاج الفاقة الضاربة أطنابها في أنحاء البلاد أو بعبارة أخرى في رفع مستوى الفلاح الذي يمثل السواد الأعظم من السكان حتى يستطيع الحصول على ما يعوزه الآن من وسائل الراحة والرفاهية شأنه شأن أخيه في البلدان المتمدينة . وليس في شفاء هذه الفاقة شفاء البطالة فحسب بل شفاء أهم أمراضنا الاجتماعية والاقتصادية. وما لم تبحث البلاد عن سبيل للغنى والثروة ومورد دخل ترتفع في مجموعته سوف يسقط في يد الساهرين على تقدمها والسبيل الوحيد الى رفاهية البلاد هو الاسراع في اصلاح الأراضي البور الى أقصى حد ممكن وكذلك توجيه أقصى الجهود الى النهوض بالصناعة والتجارة والاتعاظ بما قاله « فردريك ليست » الزعيم الاقتصادي الالماني في هذا الصدد وهو الذي انشأ الوحدة الاقتصادية الالمانية ممهداً لوحدتها السياسية وأقام صرح مجدها الصناعي. قال « لكي يصل الشعب الى المستوى الذي يحافظ به على كيانه يجب ان يشب عن طوق الزراعة الى طوق الصناعة فالتجارة والصناعة . وهو يستطيع بفضل الصناعة والتجارة ان يقوم بالاصلاحات التي تجعله في مصاف الشعوب المتحضرة القوية »

غير انه يمكن درء خطر بطالة الشبان المتعلمين عندنا مؤقتاً حتى يدفع ناموس التطور الاقتصادي بالبلاد نحو استغلال الأراضي البور برمتها وكذلك نحو اقامة دعائم راسخة للصناعة المحلية بالأخذ ببعض الحلول التي أخذت بها الدول الأخرى وكذلك بحلول محلية خاصة تتفق وبيئتنا وهي : —

فيما يختص بإسناد الاعمال والوظائف

١ — انشاء مكتب يقصر جهوده على الاهتمام بشئون الشبان المتعلمين المتعطلين ويوجه طلبة المدارس الابتدائية والثانوية الى المدارس العالية التي يقل ازدحام حملة شهاداتها عن غيرها

، رشد أولياء أمور الطلبة وعموماً تكون حلقة اتصال بين الشباب المثقف والأعمال والوظائف الشاغرة أسوة بما هو متبع في البلدان الأجنبية

٢ — تخفيض سن التقاعد من ٦٥ سنة الى ٥٥ سنة وعدم استخدام الذين يلمسون التقاعد من الموظفين

٣ - تحريم اسناد اعمال او وظائف اضافية الى الموظفين واسنادها الى الشبان المتعطلين عند اختيار كفاياتهم ولا سيما اعمال اللجان وسكرتاريتها

٤ — تحريم التدريس الخاص على اساتذة المدارس الابتدائية والثانوية وارشاد اولياء الامور بواسطة المكتب اعلاه الى المدرسين الخصوصيين من المثقفين المتعطلين

٥ — التشريع لحماية الشبان المتعلمين المتعطلين وذلك بتحتيم تعيين عدد كبير من المصريين في البنوك والشركات ويحسن وضع هذا القيد موضع العناية القصوى في شروط استصدار مراسيم الشركات المساهمة . وتحريم مهاجرة الاجانب الى مصر الذين يرغبون في الاشتغال بالبلاد تحريماً باتاً الا في حالة احتياج البلاد الى كفاءة خاصة على ان يكون التصريح مدة قصيرة الاجل وتحتيم الحصول على دبلومات او اجازات علمية لاداء الاعمال التي يقوم بها الآن من لا يحمل اجازات علمية مثال ذلك : الاشراف على اعمال البناء والمقاولات وضرورة حيازة المشرفين عليها لشهادات فنية

٦ — النصح لاصحاب رؤوس الاموال ولاسيما المصريين الذين يملكون الضياع واصحاب الدوائر الزراعية الكبرى بأن يعينوا حملة الاجازات العلمية الزراعية او التجارية او الصناعية لادارة زراعاتهم على من لا مؤهلات لهم

٧ — تعميم انشاء المصانع الوطنية واتباعها لوزارة التجارة والصناعة ومدها بالآلات الحديثة وتدريب من أتم تعليمه الابتدائي وكذلك الشبان المتعلمين المتعطلين فيها للالمام بالصناعات التي تفتقر اليها البلاد الماماً فنياً كي يستطيعوا مباشرتها اذا شاءوا بعد نهاية التدريب

فيما يختص بالتعليم

٨— تضييق النطاق على تخريج الشبان من المدارس العالية والخاصة وذلك بالاقلال ما امكن من الملاحق وبالتشديد في الامتحانات وفصل من رسب مرات متوالية في الامتحان لظهور عجزه عن مواصلة الدراسة العالية اسوة بما هو متبع في الخارج . وهذا لا يؤثر في سياسة التعليم العامة فالقضاء على الامية هو بنشر التعليم الابتدائي والاولي لا التعليم العالي . والتعليم

العالي لا يحلم مزاياه على الامة الا عن طريق تخريج حملة الدبلومات الاكفاء بكل ما تعنيه هذه الكلمة

٩ — تربية وتشجيع الشبان ثقافة عملية مبنية على التجارب المصرية يلمون عن طريقها بالتطور الصناعي والزراعي والتجاري كما هو حاصل في انكلترا وايطاليا . ويمتدح « اندريه موروى » احد حملة لواء الثقافة الفرنسية التعليم في انكلترا حيث يقول (ان المدرسة الانكليزية تعلم الطفل عن طريق مشاهدته ونفسه لجهود بعض المتمدين عموماً وجهود امته خصوصاً تلك الجهود المبنية على التجارب) وعناية ايضاً تعميم المدارس الثانوية الفنية التي تغني الطالب عن التعليم العالي حيث تلقنه اساليب الزراعة او الصناعة الحديثة وتعده للحياة العملية اسوة بما هو متبع في ايطاليا الفاشستية

١٠ — توجيه المدارس الى عنايتها باللغات الحية الاجنبية المنتشرة في ميدان التجارة والصناعة ولاسيما اللغة الفرنسية حتى يتمكن الشاب المتعلم من ان يجد بسهولة عملاً في الشركات الاجنبية

١١ — القاء محاضرات ليلية منتظمة تتناول اللغات الاجنبية والصناعة في ابهاء الغرف التجارية لسد النقص الحالي الحاصل من عدم المام الشبان المتعلمين المتعطلين باللغات الحية اللازمة للتجارة وكذلك قلة درايتهم بالاساليب الصناعية والتجارية المصرية. وحبذا الحال لو كلفت الحكومة بعض موظفيها الاكفاء ان يحاضروا في هذه الغرف وفي الوقت نفسه يجب عدم تقاضي اي اجر من الذين يستمعون الى هذه المحاضرات . وعلى الحكومة ان تمنحهم مزايا خاصة كتفضيلهم في حالة خلو وظائف او اعمال وكمكافأة المتفوقين منهم في مسابقات تعقد عقب انتهاء سلسلة المحاضرات

فيما يختص بمد الشبان بما يعوزهم من المال

١٢ — تعميم التسليف الصناعي لخريجي المدارس الصناعية المختلفة وجعل أرباحها زهيدة لا تتجاوز مثلاً ٥ ٪ (يلاحظ ان ارباح السلفيات الصناعية الآن التي يشرف عليها بنك مصر تصل الى ٦ ٪) مع التساهل في المطالبة بالوفاء وفي الوقت نفسه الاشراف على اوجه صرف هذه السلفيات

١٣ — تشجيع خريجي المدارس الزراعية على الحياة بالريف وتكوين دعائم الاسرة هناك ببيع الحكومة اراضيها الزراعية البور بعد اصلاحها وتجزئتها الى قطع صغيرة وتقسيط ثمنها على آجال طويلة في صورة عقد إيجار وبيع مع عدم تقاضي أقساط الايجار والبيع في الثلاث السنوات الاولى

وتقسيط ثمن المتجمد مع مبة لاقساط من دون ارباح وتمهيد السبيل لهم للحصول على الدور والاسمدة والآلات والمواشي على ان يوضى ثمنها عند جمع المحصول او يقسّط اقساطاً قصيرة الاجل بحسب الاحوال

١٤ — انشاء صندوق نطلق عليه صندوق اعانة الشباب المثقف المتعطل تشرف عليه هيئة مكونة من الرجال الاقتصاديين الذين يشار اليهم بالبنان في البلاد . وتمدّه الهبات ومساعدة الحكومة المالية واليانصيب وما يشبه مشروع القرش عندنا ومشروع مكافحة السل في فرنسا ببيع طوابع معينة قيمتها زهيدة خمسة قروش مثلاً للطابع وتوجه الاموال المتجمدة فيما يأتي : —

ا — انشاء مجلة اسبوعية ادبية وعلمية يعمل فيها فريق من الشباب المثقف المتعطل الذي تلقى ثقافة عالية ، يدافع في هذه المجلة عن حقوقه ويعبر عن آراء الشباب الحديث وينشر لواء الثقافة المصرية ومما لا شك فيه أن نجاح هذه المجلة مضمون

ب — منح اعانات شهرية متضمنة للشبان المثقفين المتعطلين مع ضمّهم للتمرين والتدريب على العمل انتظاراً لفراغ عمل يليق بمؤهلاتهم ، الى المصالح الحكومية او الشركات او الدوائر الصناعية والتجارية

ج — تمدية المكتب الذي يعنى بالشباب المتعطل بما يلزمه من المال لتسيير دولاب أعماله اذا تعذّر جعله مكتباً حكومياً محضاً تمديه ميزانية الدولة

١٥ — تعضيد الجامعة والمدارس العالية للابحاث الفنية وذلك بمنح مكافآت للشبان المتعلمين المتعطلين الذين ينتمون اليها والذين يظهرون ميلاً واستعداداً للبحث ويقدمون ثمرة جهودهم من مؤلفات منقولة أو موضوعة لفحصها وذلك لحين ايجاد أعمال لهم

الحل المستقبل

١٦ — واذا ضاقت البلاد ذرعاً بمن فيها واستفحلت مشكلة البطالة دون نجاح العلاج فلا مندوحة عن تمهيد مهاجرة الشبان المتعلمين المتعطلين عندنا الى البلدان الشرقية المجاورة التي تتفق وحضارتنا وعاداتنا والتي لا تزال تفتقر الى الكثير من الاصلاح والتعمير وحبذا الحال لو ذلّلت عقبات مهاجرة شباننا الى السودان وان يصبح هذا القطر الشقيق بل هذا الجزء الذي لا يتجزأ من مصر محط رحال المصريين المثقفين يصبغونه بالصبغة الحديثة ويعمرون نواحيه القفراء ويثمّرون موارد ثروته البكر ويرفهون عن ساكنيه

محاورة بين الدودة والثاوية في اللحد

للشاعر الفرنسي تيوفيل غوتييه

الثاوية : هل هنالك وهم ؟ هذه الليلة التي طالما حلمتُ بها !
ليلة القران هل حانت . وهذا سريرها ؟
وهذه الساعة التي يتهادى فيها الحبيب
لامع الشباب . خافق القلب
يقطف من ثمار المحبوبة ما شاء
ويتمتع بجمالها ما يشاء

الدودة : هذه الليلة ستكون طويلة ، أيتها الثاوية البيضاء !
والموت جعلك لي قرينة الى الأبد ، وهذا القبر سريرك
هذه الساعة التي ينبح فيها الكلب القمر
ويخرج فيها — دود الثرى — دائماً
يتحرى عن فريسة حيث لا يقر الا الغراب

الثاوية : تعال اذاً يا حبيبي بعد تولت ساعة ،
ضمني الى قلبك واحصرني بين ذراعيك . .
اني لمذعورة
اني لمقرورة
تعال أبث قبلاتك الحرارة في فمي المتجمد !
تعال اني سأفسح لك بجانبي مكاناً وان كان السرير ضيقاً

الدودة : طول سريرك خمس اقدام وعرضه قدمان
لقد كان قياسه صحيحاً

ان هذا المضجع لخشن جداً
لن يأتي الحبيب ولن يسمع صوتك
انهُ يضحك في احد أنديته

. . . .

الثاوية : ما هي اذاً هذه القبلة الباردة الخالية من الاحساس؟
هذا فم بدون شفة ، وهذا نَفَس بشري؟
أهي قبلة حية؟
لا أحد من جني ولا شيطان
تكاد عظامي تتصفقف فرقاً ، ولحمي يرتعش ذعراً
كسعفة في مهاب النكباء

الدودة : هذه قبلتي ! انا دودة الارض . . .
جئتُ لا كل السر العظيم
دخلت حلزة عليك وانا قرينك الأمين
والبومة الخافق جناحاها في الفضاء تشدو طربة بلقائنا

الثاوية : يا ليت احداً يمر حيال المقبرة !
لقد صدمت بجبيني خشب النعش والكفن المطاف ثقيل
الآن رقاد الحفار أهدأ من رقاد الموتى القي وارائهم !
ما أعمق السكينة هنا !
فالطريق قفر ، والصدى صمه أصم .

الدودة : قربي مني ذراعيك الناحلتين وصدرك الشفاف .
وقامتك الهيفاء ، وقدميك الصغيرتين ، ويديك ومبسمك ،
وقبلتك التي كنت تضنين بها على الحب

الناوية : امضي كل شيء !

انت هنا .

ونهشتك فتحت في احشائي جرحاً عميقاً حتى بلغت فؤادي

يا الهي ! اي اضطراب صارم !

أناديك يا أماه ويا أختاه ، ما د تمتمان ؟

الدودة : ذكراك خمدت في قلبيهما

وهذه الفرسة على جدثك — أنها المهجورة النائية — مهترة الاغصان وارفة الظل .

انهما نسياك كالحلم العابر

نسياك الى الابد .

الناوية : قد يمت العشب على القلب اسمى منه على العمر .

قد يقول الحجر المنصوب والصليب المرفوع والثرى الممهد : ان هنا راقداً يثوي .

ولكن اي صليب يشير الى القبر في النفس ؟

ايها النسيان ! ايها الموت الثاني ! ايها العدم الذي أناديه ! ها انذا هنا

الدودة : تعزي أيتها الناوية . فالموت يعطي الحياة .

والوردة القائمة بجوار صليب تكون اكثر اشراقاً .

والعشب ازهى خضرة .

ان جذور الازهار ستمتد على جوانبك .

والاعشاب ستمد قامتها وأعناقها حيث ترقدين

« كل شيء يقع بيد الله »

[نقلها خليل هنداوي]

الزهرة والفراشة

للشاعر الفرنسي فيكتور هيغو

قالت الزهرة التعسة للفراشة الجميلة :

لا تبتعدي عني فان شأننا مختلف .

أنا راسية في مكاني وانت تخطرين !

نحن — الازهار — نعيم في عوالم حسنا بعيدات عن العالم

ألسنا متشابهات أيتها الفراشة ؟ ألسنا كلنا أزهاراً ؟

لكن والأسفاه — انت يحملك الهواء على متنا كه

والارض تقيد جذوري بها .

أنا أعطر المسارب التي تخطرين فيها بأريجي . . .

وانت تخطرين مبتعدة عني بين الازهار المختلفة

وأنا هنا وحدي أرى ظلي مرتسماً حولي

تمرين ثم ترجعين ثم تذهبين . . . وأنا — هنا — جفني مغرورق بالدموع .

اذا أردت أن يستوي حظانا المتباينان فاعطي جذوراً تربطك بالأرض

وأعطيني أجنحتك أطير بها في الاجواء .

[نقلها خليل هنداوي]

أيها الإنسان

روبرت ناثان الاميركي

من لي بالانسان أستشف في قرارة بأسه السيد النور بارقة من لمحات السلم ، او ظلا من الراحة ، اذن لكنت رسول المهادنة مع أعداء روحه وكنت الداعي الى مؤتمر السلام .

ومن لي بشيء من الرفق والحنان يمر على سمعي من لحن حزنه المتهدج بالانين، إذن لاستطعت ان أصور في نشيد ويلاته الصاحب بخايل مستقبل بهيج ودنيا تجن من دنياه .

ولكنه الانسان لا يصيب من دنياه عطفة ما ، ولا يصيب من حزنه درساً على عليه الرحمة ويعرض عليه الحنان .

انه يبكي منفرداً بعذابه ، منطوياً كالاصوان على حسيه ، باغياً عمومه في عمله ، وحيداً في ترحه ، وحيداً في فرحه، ... من حزنه سلاح مقته ، وحجر عثرته .

لكان أحدى علينا نحن الاحياء المتمرّن في مدار الرجل ، ان نسدد بأحزاننا طريقنا في الحياة، واذا كان تجهم الشتاء هو لون أيامنا الدائم فلنتعلم منه كيف يكون الصفاء والاستقرار .

لم تخلق غضارة الربيع الاخضر ، ولا بهجة العام المستهل السعيد ، لنا ، أيها المصابير المرتلة مدامعها ، بل وتخلع ، معلّمنا المقيم هنا ، الملقي بيده الساكنة على أيام الخريف . ان فيه عظة لنفوسنا

. . . تأمل في الشجرة كيف تحنو على النوّر والزهرة مغرورين في ثقب الحائط ، كذلك فلتتحمل أيها الانسان عواصف الشتاء وزمهريره القارس، وتبحث في فصل حزنك عن الربيع الدائم والورقة المتنظرة

خطرة

للشاعر الفرنسي فكتور هيغو

ها هنا تذوي أزاهير الربى   وأغاني الطير يمحوها السكونْ

لكنْ قلبي هائمْ

في حب صيف لا يموتْ !

والسماء الحر يبدو لونها   باهت اللون ، ويغشاها الذبولْ

لكنني أنا أبتني

قُللاً تدوم ولا تزولْ

ها هنا الكاذب حظًّا صائنا   راح يبكي ترآمن بدعيّن

لكنْ روحي حالمْ

في العاشقين الخالدينْ

[نقلها خليل هنداوي]

الحرب الاهلية الاسبانية

بواعثها ومقدماتها الاجتماعية والاقتصادية

وصداها الدولي

نكتب هذه السطور وقد انقضت ثلاثة اشهر على نشوب نار الحرب الاهلية في اسبانيا، وهي حربٌ اهرق فيها من الدماء واخرج من الآثام ودمّر من القصور والآثار والتحف النفيسة وبدّد من الثروة والمال وأثار من الضغائن والاحقاد، ما يجعل [illegible] بعد الحرب ربّما كان الظاهر عملاً شاقاً علاوة على ما يقتضيه من الهمة العالية والإصلاح الحكيم والرزين، حتى يستقيم الامر ويستتب السلام، اذا كان الاستقرار ممكناً في بلاد تتقلب السياسة فيها اشبه ما يكون بخطرات الرقاص في ساعة شُدّ سلكها

هذا من الناحية الداخلية. اما من الناحية الخارجية، فقد اتضح الآن، ان اسبانيا لن تنجو من حكم دكتاتوري. فاذا فاز المتقصون على الحكومة الجمهورية، كان ذلك الحكم متشبهاً بالنسبة الفاشستية على [illegible]، واذا فازت الحكومة في نهاية الامر، كان الحكم متشبهاً بالشيوعية المتطرفة، لأن الامر خرج في الناحيتين ولا سيما في ناحية الحكومة من أيدي [illegible] المعتدلين من اتباع الرئيس [illegible]. وهذا الانقسام قسم اوربا الى فريقين، فريق الدول الفاشستية وهو يوالي الثوّار وفريق الدول الديمقراطية ولا سيما دولة العمال الكبرى — اي روسيا السوفيتية — وهو يوالي الحكومة القائمة او تعطف بعض طوائفه عليها، ولولا حكمة المسيو بلوم وتأييد بريطانيا، لما انقضى الامر حتى الآن، من دون ما يبعث على امتداد النزاع الى اوربا نفسها

بدء الثورة

كان الباعث المباشر على الثورة، اغتيال الفاشستيين لضابط من ضباط بوليس الهجوم في مدريد، يدعى خوزيه ده كاستيلو. كان هذا النوع من الاعتداء، من الجانبين، [illegible] من يوم ١٦ فبراير عندما فازت احزاب الجبهة الوطنية في الانتخاب العام بأكثرية كبيرة. فلما وقعت حادثة كاستيلو، هاجم فريق من بوليس الهجوم، زعيم الملكيين كالفو سوتيلو، في داره واخذوه في سيارة نقل، ثم لم يسمع عنه الا عندما دفع بجثته الى احدى مقابر مدريد وفي رأسه أثر رصاصة قاتلة. هل كان سوتيلو زعيم الفاشستيين في اسبانيا؟ من المتعذر اثبات ذلك او نفيه الآن، ولكن بوليس الهجوم وهو الذي انشأته الجمهورية سنة ١٩٣١ للاعتماد عليه في الطوارىء كان مقتنعاً بذلك

وتبع مقتل سوتيلو، تهديد عنيف من جماعة الفاشستيين والملكيين وانصارهم. فاجتمع اقطابهم على فورهم واقسموا ان لا بدّ من الثأر له. فلما اجتمعت لجنة الكورتس الدائمة بعد يومين، اطلق الخطباء العنان لاهوائهم. وكان في عداد من خطب الزعيم الكاثوليكي جل روبلز فحذّر الحكومة من ان التبعة ستقع على الاحزاب التي تؤيدها في الجبهة الشعبية فتصيب النظام البرلماني من اساسه وتلوث النظام نفسه بالوحل والبؤس والدم. ثم قبس في خطبته العبارة القوية للملك الفيليبي عندما قال: في وسعك ان تسلبني حياتي، ولكن هذا هو جل ما تستطيع. والخير لي ان اموت مجيداً على ان احيا في عار. وبعد ما القى جل روبلز خطبته، غادر البلاد الى فرنسا ومنها الى البرتغال

وما انقضت اربعة ايام على هذه الخطبة حتى ثارت الحاميات في مراكش الاسبانية بقيادة الجنرال فرنسسكو فرانكو. وفي اليوم التالي ظهرت بوادر الانتقاض في اسبانيا نفسها

مراحل الجمهورية

فالثورة الحالية، هي نتيجة استعداد للثورة مازالت تنبأ براعمه، منذ ما انشئت الجمهورية الاسبانية في ١٤ ابريل سنة ١٩٣١. وتاريخ الجمهورية منذ انشائها يمكن ان يقسم الى ثلاث مراحل

اولاً — مرحلة السنتين الاوليين — كانت مرحلة سادت فيها النزعة الجمهورية الخالصة، فوضع الدستور، ومنحت قطالونية استقلالها الذاتي، وقيدت السلطة التي كان يتمتع بها قوّاد الجيش وضباطه، وفصلت الكنيسة عن الدولة. وتمت سلسلة من الاعمال قام بها الفوضويون والسندكاليون ضد الحكومة الجمهورية

وقد انتهت المرحلة الأولى في انتخاب نوفمبر سنة ١٩٣٣ وهو الانتخاب الذي خذل فيه ادانيا وفازت فيه أحزاب اليمين مشتركة مع حزب الراديكاليين

ثانياً — مرحلة السنتين التاليتين - وكانت مرحلة اتصفت بالنزعة الرجعية، ساد فيها الارتكاب في الحكومة والسعي الى اضعاف الدستور وهدم الاستقلال الذاتي في قطالونية وتمجيد الجيش والغاء القوانين الخاصة بالكنيسة او اهمالها واعادة رجال الاكليروس الى قائمة الموظفين الذين يتناولون مرتباتهم من خزينة الدولة. في هذه المرحلة حدثت ثورة استوريا وثورة قطالونيا فأُخمدتا اخماداً عنيفاً. وقد دامت هذه المرحلة الى انتخاب فبراير سنة ١٩٣٦

ثالثاً — الفترة التي انقضت بعد انتخاب فبراير سنة ١٩٣٦ وقد عاد فيها الى منصة الحكم الجمهوريون بزعامة ادانيا بالاتفاق مع الاشتراكيين والشيوعيين، مع ان هؤلاء لم يشتركوا في تأليف الوزارة

فالجمهوريون والاشتراكيون والشيوعيون ألفوا، قبل الانتخاب ما يدعى بالجبهة الشعبية،

على يدي الجبهة الوطنية في فرنسا ، بعد ان اتفق أقطابهم على برنامج للاصلاح الاجتماعي واتفقوا عليه جميعاً في هذه الفترة ، عزز الدستور ، وألغيت القوانين الاستثنائية ، وأعيد استقلال قطالونيا الذاتي بعد ان اصبح اسماً غير مسمى ، وأطلق سراح المسجونين لتهم سياسية واجتماعية ، وصدرت قوانين بزيادة اجور العمال وتقصير ساعات العمل ، وأجرى شراء بعض الأملاك الواسعة وتوزيعها على الفلاحين

ومما اتصفت به هذه الفترة ، سلسلة الاعتداءات ، التي بعث دروتها في اغتيال دي كاستيلو وسوتيلو ، قبيل الثورة بأيام

وهذا الانتقاص عن الحكومة الجمهورية في اسبانيا عمل ثلاث قوات متضافرة يربط بينها رابط المصلحة المشتركة ، والحرب هو نتيجة سلوك ثلاث طبقات من الشعب الأسباني هي طبقة اصحاب الامتياز والأملاك وطبقة الجيش وطبقة رجال الكنيسة

ان ثمانية أعشار الشعب الأسباني فلاحون ، يعيشون على أرض الملاك الكبار ، في حال يرثى لها من البؤس والفاقة ، ومن كانت حاله خيراً من حال جاره كان من المستأجرين او صغار الملاكين . وعشر آخر من العمال ، لم يكن له حقوق تذكر يعمل في المصانع ساعات طويلة ، لا حدود لها في القانون ، وبأجور يسيرة . يقابل ذلك اقلية صغيرة من الطبقة الوسطى وكبار الملاك ، تملك في أيديها معظم الثروة الأسبانية ، علاوة على ما تملكه الكنيسة من عقار ، وما تسيطر عليه من شركات وبنوك ومصانع

فهذه حالة تصلح ان تكون مهداً لثورة اجتماعية بعيدة الغور واسعة النطاق ، لأن الأكثرية ، وهي لا تملك شيئاً ، أو لا تكاد تملك شيئاً كان في وسعها أن تقاسي بهذا القليل ، في سبيل اصلاح حالها . وكانت حكومة الجبهة الشعبية التي تألفت بعد انتخابات فبراير الماضي تدرك كل هذا ، وكانت تدرك كذلك من انه لا بد لها من ان تضع حدوداً لهذه الامتيازات التي تتمتع بها أقلية الشعب ، فأقبلت بحذر وحكمة على عملها باصدار قوانين تمكنها من منح أرض للفلاحين بعد شرائها من أصحابها ، وبقصر ساعات العمل للعمال ورفع مستوى أجورهم ، وتحويل ممتلكات الكنيسة ملكاً للأمة

وقد أجمع الكتاب الذين كتبوا عن أسبانيا ، ان ما تقدّم من بوادر الثورة الاجتماعية حقيقة لا يتطرق اليها الشك ، وان صلابة اصحاب الامتياز والأملاك ، في المحافظة على امتيازاتهم منع التحول الاجتماعي التدريجي ، فتجمعت بواعث الثورة التي بدأت سنة ١٩٣١ بفرار الملك الفونسو والمناداة بالجمهورية

الجيش

ولا يسع الباحث الانتقال من بواعث الحرب الأهلية الاسبانية ، من دون ان يتريث قليلاً للنظر في موقف الجيش والكنيسة

ان الجيش الاسباني لا يزال مطبوعاً بطابع العهد الاقطاعي . في العصور الوسطى ، كان في اسبانيا بل وفي سائر اوربا ، طبقات مختلفة ، لكل منها حقوقها وامتيازاتها . فكان الصانع ، مثلاً للملك ، بل ومثالاً مصغراً له . فكل اثم يرتكب ضد الجيش كان اثماً ضد الملك ولذلك كان من الخطورة انتقاد الضباط دع عنك عصيانهم فكانوا في الواقع فوق القانون الذي يطبّق على سائر الشعب

وقد احتفظت الملكية الاسبانية بهذه التقاليد الخاصة بالجيش حتى العهد الاخير . في عهد الملك الفونسو الثالث عشر ، كان انتقاد الجيش ، يعرّض المنتقد للسجن ، حتى في ابان السلم ، بعد محاكمته في محكمة عسكرية فكأن الجيش كان مدلّل الملك وكان الملك الفونسو نفسه يفضل صحبة الضباط ، على غيرهم من الاسبان ، وكانت مكانتهم عنده كبيرة ، ولذلك كان تأثيرهم في الحكومة مما يصعب تحديده . وقد صدر قانون في عهده يمنح الجيش الحق في محاكمة كل من اتى عملاً يمكن تفسيره بانهُ ينطوي على عداء للملك او الدولة او نظام الحكم وعلى ذلك كانت الدعوة الى الجمهورية ، جريمة عسكرية . فساد دوائر الجيش الاسباني ، الاعتقاد بان رسالته في هذه الدنيا ، انقاذ اسبانيا . وكان للجيش نظامهُ الخاص ، وقانونهُ الخاص ، وكان يتدخل في الشؤون السياسية بواسطة لجان سرية تدعى « خونتس » Juntas . وكان لا يندر ان تدس هذه اللجان الدسائس للحكومة القائمة بنية اسقاطها وقد بلغ من سوء اعمال هذه اللجان ، ان الدكتاتور الاسباني بريمو ده ريفيرا ألغاها فانشأ الجيش عندئذٍ لجاناً اخرى تدس للدكتاتور نفسه ، مع انهُ كان احد قوّاد الجيش

فلما انشئت الجمهورية حدّ من سلطان الجيش الاسباني . واطلق الصحافيون والخطباء من قيود الخضوع للمحاكم العسكرية اي الغي القانون الذي صدر في ايام الفونسو بخول الجيش الحق في محاكمة كل من يأتي عملاً يمكن حسبانهُ منطوياً على عداء للملك او للدولة او لنظام الحكم القائم وصدر قانون بأن الجيش خاضع للسلطات المدنية وخوّل للضباط المتمسكين بمذهبهم الملكي في نظام الحكم طلب الاحالة على المعاش . فاقبلت على ذلك طائفة كبيرة منهم ولكن اشدّهم نزوعاً الى الملكية ظل في صفوف الجيش ، لكي يدبر الخطط ويدس الدسائس ، مدعياً في الظاهر ولاءهُ للنظام الجمهوري . وقد حدث ان طائفة كبيرة من الضباط المتصفين بنزعة

الاحرار استمالوا من الجيش ، ليقينهم ان اصلاح الجيش متعذر ، فظل الجيش في اساليب خاضعاً لسيطرة «المستميتين» من ضباطه وقواده

اما من الناحية المادية ، فقد بذلت الحكومة الجمهورية عناية عظيمة ، باعادة تنظيم الجيش ، وتجهيزه بأحدث المعدات ، رغبةً منها في ان تفوز بتأييده رويداً رويداً

ولعلَّ الحادث الذي وقع للصحافي سرفال ، يمثل لك اساليب الجيش الاسباني ، واتصالهُ ببعض السلطات المدنية من الرجعيين . وسرفال هذا كان صحافيًّا ذهب الى اوفيدو في اكتوبر سنة ١٩٣٤ (اي في المرحلة الثانية من حكم اسبانيا بعد الجمهورية وهي المرحلة التي كانت السيادة فيها في الغالب لاحزاب اليمين) فألقي القبض عليه لانهُ كتب مقالاً فضح فيه تصرف بعض الضباط . فدخل الى سجنه ثلاثة ضباط وأخرجوه من حجرته وقتلوه في فناء السجن فسلوا بذلك « شرف الجيش وسمعتهُ » . فحملت الصحافة حملة شعواء على هذا العمل ، حتى اضطرت الحكومة ، وهي حكومة احزاب اليمين ، ان تعمل شيئاً ارضاء للرأي العام ، بعد ان بذلت ما في وسعها لاسكات الصحف . فاستقدم احد الضباط الثلاثة ، وكان مغاربيًّا قد اخذ حديثاً في الفرقة الاجنبية ، وسمح له بأن يتقدم الى المحكمة العسكرية ، محملاً التهمة على نفسه دون رفيقيه . ويقول مكاتب التيمس البرشلوني في عدد الشؤون الخارجية ، ان المحاكمة كانت مهزلة ، لان المدعي العام ، كان في الواقع محامياً عن المتهم ، وقد عمل ذلك بالاتفاق مع رئيس المحكمة فكان الحكم « قتل خطأ » وحكم على الضابط بالسجن ستة أشهر ويوم ، ولكن التنفيذ اوقف لان مدة القاء القبض عليه واطلاق سراحه على عهد الشرف اعتبرت موازية للحكم . وقررت المحكمة ان ما كتبهُ القتيل يعتبر ظروفاً مثيرة

والواقع ان سعي الجمهورية ، الى الحد من سلطان الجيش ، وتعديل حقوقه المتداولة من ايام الاقطاع ، وجعله خاضعاً للسلطات المدنية ، كانت ضربة في نظر الجيش ، موجهة الى كرامته ، ولم يسعهُ ان يغتفرها ولا أن ينساها . فلما همس اعداء الجمهورية ، في آذان الجيش ، كما فعل جل روبلز وغيره من اقطاب أحزاب اليمين ، بأنهُ منقذ اسبانيا ، اغتنم الفرصة لانقاذ مصالحه الخاصة وراء ستار انقاذ الدولة

الكنيسة والسياسة

أسبانيا بلاد كاثوليكية . فكيف يعلَّل قيام السواد من شعب كاثوليكي على كنيسته . وقد يحيّر الكاثوليكي وغير الكاثوليكي على السواء خارج أسبانيا ، ان مؤسسة اجتماعية عالية المكانة ، من قواعدها الاساسية الدفاع عن مبدإ حب الجار وتأييد كرامة الفرد وقيمته في عيون الله والناس والسعي لتعزيز العدل والرحمة على الارض ، أخفقت وما لها من وسائل النجاح ما لها في تحقيق

أغراضها فأثارت هوساً تحركت بالريب والكره ، بدلاً من ان يحقق بها الحب والاحترام

ان الانتقاض الشعبي على الكنيسة في اسبانيا ليس حديث العهد . ففي سنة ١٨٣٥ حدثت حركة كان من جرائها ان حرقت طائفة من الكنائس والاديرة ، وكانت الشكوى الاساسية في ذلك العهد ، سعة ثروة الكنيسة ،بالقياس الى بؤس الشعب وفاقته ولكن الكنيسة ، عادت فعززت مكانتها ، ووسعت نطاق ثروتها وسلطتها

كان في اسبانيا في العهد السابق لاعلان الجمهورية الثانية في سنة ١٩٣١ ، شبه اتحاد بين الدولة والكنيسة ، وكان رجال الكنيسة يتناولون مرتبات من خزينة الدولة ، وكان الاساقفة يعينون باسم الملك ، اي ان مناصبهم كانت مناصب سياسية ، او على الاقل كانت شخصياتهم بحكم التعيين الملكي ، ذوات سياسية . وكان لبعض الاساقفة مقاعد في مجلس الشيوخ ، وكان للكنيسة يدٌ في المدارس القومية في ما يختص بالتعليم الديني ، وبكلمة كانت الكنيسة حليف الدولة ، ولكن الشعب كان يعتقد ان الدولة تحكم حكم ظلم واستبداد او على الاقل كانت الطبقات التي يعوزها العلم والقوت ، ترى هذا الرأي . وعلاوة على ذلك كانت الكنيسة مصرفاً لمبلغ كبير من مال الامة فكان من أيسر الامور ان ترى في مأتم رجل متوسط الحال من ١٦ الى ٢٠ رجلاً من رجالها ، وكل منهم يتقاضى أجراً

وكانت صلة الشعب بالكنيسة محصورة في الغالب في المآتم والقداديس وما يوزع من التحليل الكنسي فرسخ في ذهن الشعب ان الكنيسة تاجر Negocio ثم ان بعض رجالها كانوا يعيشون معيشة معيبة ، وبعض آخر كان يحاول ان يسيطر على الاسر التي تتصل به او على القرى الواقعة في دائرته فأخذ الصالح بجريرة الطالح ، وأصبح السواد من كاثوليك اسبانيا متبرماً برجال الكنيسة حتى ان طائفة من الكاثوليك الراسخي الايمان ، قالوا انهم ضد الاكليروس لا ضد العقيدة الكاثوليكية . ومعظم مؤيدي الجمهورية من الكاثوليك كانوا من هذا الطراز وكانوا يتبرمون اشد التبرم بسعي رجال الاكليروس الى حملهم على مقاومة الجمهورية

وشد ما كان هذا الفريق من الاسبان ينقمُ على رجال الكنيسة تدخلهم في السياسة فالاساقفة والقسوس كانوا يشاطرون الولاة والمختصين السلطة السياسية وكان للقاصد الرسولي نفوذ يفوق نفوذ رئيس الوزراء وكان في اسبانيا شريعتان الشريعة المدنية والشريعة الكنسية وهما متعارضتان فكانت النتيجة انقلاب الشعب على الكنيسة والملكية معاً . فلما سقطت الملكية ، قطعت هذه الصلة ، ولكن الكنيسة لم تسلم بذلك . . . .

هذا على الاقل هو رأي الفريق الذي كان يسعى الى فصل الكنيسة عن الدولة ، كما ظهر في جريدة آل سوسياليستا في ١١ إبريل سنة ١٩٣٦

ولو ان الكنيسة عولت بعد انهيار سنة ١٩٣١، على أخذ الامور بالحكمة والصبر والحنكة لاستعادت ما فقدته من عطف الجماهير، ولتمكنت من تعديل بعض القوانين الدينية التي اصدرتها الحكومة الجمهورية، وظفرت بالاعتراف بحقوقها المشروعة. فلو ان الحكومة الجمهورية اقتنعت مثلاً بان رجال الكنيسة لا يستعملون المدارس كمراكز للدعاية ضد حكومة لم يرها الرئيس الاعلى للكنيسة الكاثوليكية متعارضة ومصلحة الكنيسة، فلا ريب في ان الكنيسة كانت تستطيع بعد قليل استعادة مدارسها التي اقفلت ابوابها. ولكنها لم تعمد الى ذلك بل ائتلفت مع حزب وزعيم كان معروفاً عنهما انهما الد خصوم الجمهورية. فاعتقد الناس ان الكنيسة مستعدة لتدمير الجمهورية في سبيل الاحتفاظ بسلطانها

وليس الكلام المتقدم مقصوراً على جميع رجال الكنيسة، لان رجالاً ونساء كثيرين منهم عرفوا بالاخلاص لمبادئ الدين القويم، وبالتضحية في سبيلها، وبالاكباب على اعمال الخير والتعليم

فلنلق الآن نظرة على القوانين التي سنتها الحكومة الجمهورية للحد من سلطة الكنيسة. فاولاً، حذفت الحكومة اسماء رجال الكنيسة من قائمة الموظفين الذين يتناولون مرتبات من خزينة الدولة. ووضعت يدها على المدارس الدينية، ومنعتهم من اي عمل دون قيامهم بمراسم الماتم الدينية. وقضت بان الماتم الدينية لا تتم الا اذا كان الميت قد سمح بها قبل وفاته، ... الماتم الدينية ... والمواكب في الشوارع في الاعياد الدينية فلا بد من استصدار اذن بها من السلطات المدنية. ... السلطات ... الدينية ... دق الاجراس او فرض ضريبة على ذلك

وصدر قانون خاص بحل الرهبنة اليسوعية ومصادرة املاكها. وصدر قانون آخر يعرف بقانون الاجتماع الديني اقتضى الغاء المدارس الدينية وحدّ من نمو بعض الرهبانات واخضعت لرقابة دقيقة. وكان القانون الثالث خاصاً بتحويل املاك الكنيسة الى الدولة اي جعلها ملكاً للامة ... وهذا القانون لا يعني مصادرة املاك الكنيسة، بل يعني انه لا يحق للكنيسة ان تبيعها او تهديها مثلاً كانها ملك خاص. وما لا يحق للكنيسة لا يحق للدولة اي ان الدولة بمقتضى هذا القانون لا يحق لها ان تبيع شيئاً من ممتلكات الكنيسة او تهديه. ولما كانت هذه الاملاك قد أصبحت ملكاً للامة فقد اعفيت من الضرائب

ثم ان الحكومة الجمهورية لم تقطع صلتها الدبلوماسية بالمقر البابوي. فقد بقي القاصد الرسولي في مدريد في السنتين الاوليين من حياة الجمهورية، ولو وافق الفاتيكان على المرشح لمنصب سفير اسبانيا فيه، لكانت الصلة الدبلوماسية تمت تمتينه. فلما جاءت حكومة الوسط مؤيدة من احزاب اليمين، عين سفير لاسبانيا الجمهورية في الفاتيكان

هذا ملخص ما لقيته الكنيسة في عهد الجمهورية من ان بعض هذه القوانين كان أعنف مما يجب ، ولكن تعديله لم يكن مستحيلاً . وعلى كلٍّ لم تبلغ هذه القوانين في شدّتها ، ما بلغته في المانيا والمكسيك

الا ان الكنيسة نزلت الى ميدان النزاع السياسي بصحافتها واتباعها فقد انشئ الى جانب جماعة اكسيون بوبيلار (اي العمل الشعبي) جماعة من الرجال والنساء والاحداث ورجال الاكليروس تعرف باسم اكسيون كاتوليكا (اي العمل الكاثوليكي) وحُثّ كل كاثوليكي على الانضمام اليها . فلما بدأت المعدات تعد لانتخاب سنة ١٩٣٦ برزت الى الميدان لتكافح جماعة الجبهة الشعبية وهي الجماعة المؤلفة من الجمهوريين واحزاب اليسار اي الاشتراكيين والشيوعيين فاذاع فريق زاجونا من جماعة العمل الكاثوليكي بياناً على الشعب محذراً فيه من المخاطر التي يتعرض لها اذا فاز العناصر الثورية (الجبهة الشعبية) في الانتخاب ، وحاثاً على انتخاب ممثلي النظام لانهُ بانتخابهم هذا يكون قد عمل وفقاً لرغبة رئيس الكنيسة الاعلى ، كما بسطها الكردينال جوما رئيس اساقفة طليطلة وكل امتناع في هذه الحال يعدُّ فراراً وخيانةً للوطن وعصياناً للقواعد التي وضعها الفاتيكان ورئاسة الكنيسة الاسبانية . « فليمرع كلكم كشخص واحد في جانب الدين والوطن »

ويقول مكاتب التيمس في برشلونة انهُ يشهد انهُ يعرف جماعة لا تربطهم بالجمهورية رابطة عطف ما ، غاظهم ما في هذا المنشور ، فاقترعوا في جانب الجبهة الشعبية او امتنعوا عن الاقتراع بتاتاً

وليس هذا الا مثالاً واحداً للدلالة على سعي الكنيسة للتدخل في السياسة رغبةً منها في اضعاف النظام الجمهوري وهناك امثلة اخرى للنشرات وزعت على الناخبين فيها مثل هذه العبارة: « ان ضمير الناخب لا يسمح له بالاقتراع لمرشّح اليسار » وثمة رسائل اسقفية من هذا القبيل ، اشهرها رسائل الكردينال سيجورا وكان رئيساً لاساقفة اسبانيا

الحرب الاهلية وصداها الدولي

ان الحرب الاهلية الاسبانية ليست فقط نزاعاً دامياً ، بين ابناء امة واحدة ، بل هي في نظر اوروبا ، باعث على معضلات دولية خطيرة تثير اعظم المخاوف

فاوروبا مقسومة ازاءها الى « جبهتين فلسفيتين » كما يقول الالمان جبهة الدول المقاومة للفاشستية وجبهة الدول الموالية لها او الآخذة بها . فقد كان الرأي الى عهد قريب ، ان اطلاق الحرية لتيارات الفكر يفضي الى بعث حياة جديدة في الامم بعد تدمير الحرب الكبرى وويلاتها ، والى تعزيز روح السلام والوئام . ولكن اصحاب هذا الرأي يخشون الآن ان يكون الامر قد انقلب الى ضدّه ،

ولهم من الادلة ما يؤيد رأيهم هذا . ذلك ان حدوداً جديدة قد خطّت على وجه القارة الاوروبية ، تساير الحدود الجغرافية احياناً وتنقضها أُخرى . علاوة على كثير من الدول تواجه بعضها بعضاً بحد طبقات من الشعوب مؤتلفة ضد طبقات اخرى . فالجبهات الشعبية او ما كان من قبيلها في فرنسا واسبانيا وانكلترا ، تحركها فكرات عامة ، ضد احزاب اليمين في البلدان عينها . وقد قالت جريدة إل سوسياليستا الاسبانية في ذلك ان المُثُل التي تحرك اسبانيا وروسيا هي نفس المثل التي تحرك فرنسا وانكلترا وهي مقاومة الفاشستية ، وصون الديمقراطيات من وثنية القوميات . وحماية الجماعة الانسانية من وحشية التكتلات . فردّت عليها جريدة الفولكيشر بيوباختر الالمانية ان اوروبا واقفة امام معضلة خطيرة وهي هل يسعها ان تحني الجباه امام مشيئة البولشفيك الحربية او ان الشعوب السليمة تستطيع ان تجمع عزمها وتؤلف قوتها جيشاً للدفع ضد الفوضى الحمراء . هذا فضلاً عن قول الجريدة الاسبانية صريح الوثنية على انه دون روسيا ووضعها روسيا وانكلترا وفرنسا واسبانيا في صعيد واحد من دون ان تهيّئ شأناً لبعض المتطرفين من احزاب اليمين في انكلترا وفرنسا واسبانيا ، فان كلام الجريدتين يصوّر انقسام الرأي العام الأوربي حيال هذا الموضوع، تصويراً لا بأس به

ولا يخفى انهُ منذ ما انشئ النظام الشيوعي في روسيا ، تطلع اقطاب الثورة العالمية فيها ، الى أسبانيا ، وجعلوها هدفهم الاول في اوربا ، وكانوا يعتقدون ، حتى قبل سقوط الملكية فيها وقيام الجمهورية ، ان حالتها الاقتصادية والاجتماعية ، تجعلها اخصب تربة لزرع التعاليم الشيوعية فيها . وقد تنبأ لنين قبيل وفاته بأن اسبانيا ستتقدم الدول الاوربية في الاخذ بقواعد النظام الشيوعي

الا ان روسيا لا يكفيها ما يلقاه كُتّابها من إقبال في أسبانيا لما بين الشعب الاسباني والشعب الروسي قبل الثورة (١٩١٧) من تشابه في الاحوال ، لان من مصلحتها ان يكون لها قدم راسخة في شبه الجزيرة الاسبانية حيث تلتقي وتتقاطع الخطوط «الاستراتيجية» في ثلاث دول كبيرة هي بريطانيا وفرنسا وايطاليا . اما من الناحية (الماركسية) فانشاء قطب شيوعي ثوري في اسبانيا ، بمثابة احتلال لطرف الجسر الموصل الى القارة الافريقية . واذن فلا ريب في ان انتصار قوى احزاب اليسار ، وهي شيوعية النزعة في الغالب بعد ائتلافها واقصاء المعتدلين عن امرهم ، يحسب تعزيزاً لمكانة روسيا البلشفية من الناحية الدولية

يقابل هذا ، ان التغلب على القوى النازعة نزعة شيوعية في اسبانيا ، يفضي الى انشاء دكتاتورية في مدريد وبرشلونة ، يغلب عليها الميل الى روما وبرلين . فالمسألة واضحة من هذه الناحية ، والجنرال فرانكو قائد قوات المتعصبين على حكومة مدريد غير تصريح واحد بهذا المعنى . ويضيف بعض الكتّاب ، ان الجنرال فرانكو يتكلم كلام من يطلب المعونة في العمل

الكبير الذي تصدى له . وليس المقصود بتلك الفوز في الحرب فقط ، بل القيام بأعمال التعمير والتنظيم بعد الحرب ، وهي اعمال تقتضي كثيراً من المال ، لا بدَّ من اقتراضه . فماذا يضمن هذه القروض ؟ وعندهم انه كيف اتجه لا بدّ ان يكون جانب كبير من استقلاله ثمناً لهذه المعونة

ثم ان هنالك اعتباراً آخر . ان عقب النزاع ، وما تثيره من الاحقاد والضغن ، اتلع جميع الاسبان في ذروته . فلسنا نجد اسبانيًّا ، أو يندر ان نجد اسبانيًّا ، واقفاً بمعزل عن النزاع ، فهو إما مع المتعصبين على الحكومة أو ضدهم . والفريق الذي يحرز النصر ، لابدَّ ان يصرف عداته ، عن معالجة المشكلات الاسبانية الداخلية ، من جميع نواحيها لنفسه ، لانه مضطر ولا ريب ، بالدم المهراق والتضحيات الجديدة التي بذلها انصاره ، ان يقدم سلطتهم على مصلحة الفريق المغلوب . والاحصاءات تدل على ان اسبانيا مقسومة الى فريقين متكافئين تقريباً ، وإذن فلا يمكن ان يكون ظفر احدهما ، الا توطئة لاستعداد الفريق الآخر للانتقاض . ولذلك قلنا ، ان تمثل السياسة في اسبانيا أشبه ما يكون برقص في ساعة شدَّ سلكها . انهُ لا يستقرُّ وتاريخ أسبانيا من اوائل القرن التاسع عشر ، حافل بالادلة على صحة ما نعرب

فتحت لواء المتعصبين على الحكومة نجد طوائف مختلفة النزعات ، من أنصار دون كارلوس وأنصار الفونسو ، وأنصار النظام الفاشستي ، وأنصار الجمهورية البورجوازية المعارضين للسمة الماركسية فيها . وتحت لواء الحكومة الجمهوريون ينضوي الآن المتحدون من اتباع آزانيا والاشتراكيون والشيوعيون والفوضويون والسنديكاليون . فكيف يضمن استمرار الائتلاف السائد الآن في صفوف كلٍّ من الفريقين غداة الظفر ، أيًّا كان الظافر ؟

هذه النظرة الى اسبانيا — اذا صحت — تفسّر لنا اهتمام الدول الاوربية بمصير الحرب الاهلية الناشبة فيها . فأسبانيا بموقعها الجغرافي عند مدخل البحر المتوسط ، وعلى مقربة من شواطئ افريقية ، قطعة لا بدّ منها لحفظ التوازن الاوربي . فكل عمل يبان من استقلال اسبانيا ، ويمنح دولة من الدول نفوذاً متفوقاً فيها على نفوذ سائر الدول ، يفتح الباب على مشكلات اوربية معقدة

فقد قيل ان انكلترا اتفقت مع اسبانيا خلال الحرب الكبرى ، اتفاقاً سريًّا يخوّلها حق استعمال مرفإ ماهون في جزيرة مينوركا من جزائر البليار ، في حالة انضمام ايطاليا الى المانيا والنمسا . ولم يكذب هذا القول على ما نعلم . ومما يدلك على ما لجزائر البليار من مقام في « استراتيجية » البحر المتوسط ، الاضطراب الذي نشأ من بضع سنوات عند ما قيل ان الدكتاتور الاسباني بريمو ده ريفيرا اتفق مع موسوليني ، على السماح لايطاليا في استعمال جزائر البليار كقاعدة بحرية . فماذا يحدث الآن ، اذا تجدّد البحث في مشكلات من هذا القبيل ، وحالة

أوربا السياسية هي ما هي؟ وماذا يكون شأن أسبانيا عن ممتلكاتها الافريقية من حيث وجودها في دوائر أوربا السياسية؟ ومن يستطيع ان يقدر ما يكون لانفصال قطالونية عن سائر أسبانيا من أثر، ولا سيما اذا طلبت المعونة من احدى دول أوربا المجاورة لها؟

ذلك أقلق أقطاب الدول من القدم، الخطر الناشئ عن مشكلات اسبانيا فاتجهت بعضها هذا حتى الدول التي كانت موقنة، انه لا بد للثوار من الانتصار على الحكومة انتصاراً سريعاً حاسماً أصبحت ترى الآن ان ذلك متعذر. وغدا الكتّاب لا يدرون، هل هذه الحرب الدامية، ستولد فيها أسبانيا جديدة، أو قد تدفن فيها الوحدة الاسبانية. وفي هذه الحال لم يكن مناص، من ان تتبع الدول الأوربية ازاء هذا الحادث الجلل، خطة أخرى غير خطة الحياد

لا ريب في ان موقف الحياد هذا، له من الناحية النظرية ما يعترض عليه. فحكومة مدريد حكومة شرعية أي انها الحكومة المعترف بها من جميع الدول. والقانون الدولي يحتم ان تعامل هذه الحكومة معاملة دولة صديقة. أما الثوار فليس لهم حكومة مدنية معترف بها. نعم انهم انشأوا حكومة في برغوس ولكن دولة من الدول لم تعترف بها بعد، وان كان انتشر بعد زيارة الكونت تشانو وزير خارجية ايطاليا لبرلين في أواخر اكتوبر، ان المانيا وايطاليا تنويان الاعتراف بها. وللحكومة الشرعية ان تنتظر من الحكومة المعترفة بها، ألا تمسك عنها اي عون يمكنها من اخماد انتقاض على سلطتها. فموقف الحياد، هذا يتنافى من الناحية النظرية ومقتضيات القانون الدولي[1]

لعلماء القانون الدولي ان يتناقشوا في هذا، ولكن ما تنطوي عليه الحرب الاهلية الاسبانية، من المحتملات الخطيرة، يجعل موقف الحياد الرسمي، السبيل العملي الوحيد، للحيلولة دون امتداد النزاع الى الدول الاوربية نفسها، اذ لا ريب في ان التنافس في تسليح الحكومة والثوار، والسعي الى الفوز من الفريقين في هذا التسليح، يزج اوربا نفسها في أتون تلتهم ناره الاخضر واليابس

مصادر البحث

اعتمدنا في كتابة هذا البحث على طائفة من أعلى المجلات العالمية مقاماً منها مجلة «الشؤون الخارجية» الرسمية (اميركية) ومجلة «الذهن الدولي» (اميركية فرنسية) ومجلة «القرن التاسع عشر وما بعده» (انكليزية) ومجلة «كونتمبوراري» (انكليزية)

---

(١) يعترض بعضهم على هذا الرأي بان الحكومة التي انشأها رئيس الجمهورية عند نشوب الانتقاض في ١٩ يوليو الماضي لم تؤلف وفقاً لقواعد الدستور. فعلى الدستور ان رئيس الجمهورية حين يعين رئيس الوزارة ثم يعين الاعضاء بناء على اقتراح الرئيس الجديد. فلما سقطت وزارة كيروغا في فجر ١٩ يوليو واراد رئيس الجمهورية تعيين السنيور باريو رئيساً للوزارة عارض الماركسيون في ذلك لاعتداله فتألفت وزارة يؤيدها الماركسيون وكذلك استبيح نص من نصوص الدستور

المضايق بعد مؤتمر مونترو

في ١٠ ابريل من هذه السنة، طلبت حكومة الجمهورية التركية تعديل الاتفاق الخاص بالمضايق، فوجهت الانظار بطلبها هذا الى مشكلة قديمة جداً. والمضايق لفظ يطلق على الممر البحري من بحر ايجه الى البحر الاسود وهو مؤلف من الدردنيل وبحر مرمرة والبوسفور وطوله يبلغ ٢٣٥ ميلاً.

ان مشكلة المضايق في وضعها الحديث ترتدّ الى سنة ١٧٧٤ عندما فازت روسيا باستعمال الدردنيل كممر تجاري، وهو حق منح بعد ذلك للدول الاخرى. وبقيت المضايق مغلقة في وجه السفن الحربية، وهي قاعدة قديمة جرت عليها الدولة العثمانية وسلمت بها [illegible] سنة ١٨٠٩. وقد كاد النزاع للسيطرة على المضايق في القرن التاسع عشر ينحصر في روسيا وانكلترا. فروسيا كانت تريدها طريقاً مباحاً لسفنها الحربية دون سفن غيرها من الدول حالة ان انكلترا كانت تريدها مغلقة في وجه السفن الحربية مباحة للسفن التجارية فقط. واذا كان لا بدّ من اباحة استعمالها للسفن الحربية، فالانكليز كانوا يرغبون في ان يسمح لسفن اسطولهم في اجتيازها الى البحر الاسود. وقد فازت روسيا بما تريد في معاهدة أنكيار اسكلسي المعقودة سنة ١٨٣٣، الا ان الاتفاقين اللذين عقدا سنة ١٨٤٠ و١٨٤١ نصّا على اقفالها في وجه جميع السفن الحربية، ما عدا السفن التركية طبعاً. وقد ظلّ هذا النص نافذاً الى سنة ١٩٢٣.

فلما خذلت تركيا في الحرب الكبرى، وعقدت هدنة مدروس (١٣ اكتوبر ١٩١٨) ومعاهدة سيفر (١٩٢٠) وضعت المضايق تحت اشراف لجنة دولية، وجعلت القاعدة اباحة المرور بها في السلم والحرب لكل سفينة تجارية او حربية، وللطيارات التجارية والحربية، من دون تمييز. الا انّ حرب الاستقلال التي شنّتها الامة التركية بزعامة مصطفى كمال ثم فوزه وانتصاره فيها على اليونان الغت معاهدة سيفر وأفضت الى عقد معاهدة لوزان (١٩٢٣).

وفي معاهدة لوزان أعترف باستقلال تركيا ووضع اتفاق خاص بالمضايق نصّت فيه اباحته للسفن التجارية في زمان السلم، على ان تفرض بعض القيود عليها في زمان الحرب. اما السفن الحربية التي يحق لأية دولة ان تمرّ بها المضايق في زمان السلم، فيجب ألاّ تزيد قوتها على أقوى اسطول في البحر الاسود أي الاسطول الروسي. ولكن الدول احتفظت بحق ارسال ما لا يزيد على ثلاث بوارج في جميع الأوقات والاحوال لا تزيد حمولة كلّ منها على عشرة آلاف طن. اما منطقة المضايق فنزع سلاحها، على ان تستبقي الاستانة حامية مؤلفة من ١٢ الف جندي وقاعدة بحرية وترسانة. وللاشراف على تنفيذ هذا الاتفاق أُلّفت لجنة دولية تعمل تحت اشراف

جامعة الأمم . ولما طلبت تركيا ضماناً فردياً او اجماعياً رفض طلبها ، ولكن الدول اتفقت على ان تعمل جنباً الى جنب تحت اشراف الجامعة اذا تعرضت سلامة المضايق لخطر ما

الا ان روسيا وتركيا رأتا ان هذا الاتفاق لا يكفي لضمان سلامة المضايق . واذن فمعاهدة لوزان لم تحلّ المشكلة القديمة

ولكن اعتراض تركيا على اتفاق المضايق هذا لم يسمع له صدى الا بعد ما بدا في نظام الجامعة من الوهن بعد سنة ١٩٣١ فما بعد . فلما التأم مؤتمر نزع السلاح سنة ١٩٣٣ طلبت حكومة تركيا الغاء نصوص لوزان الخاصة بالمضايق لانها لا تتفق « وحق الدفاع المشروع » وصرّحت انه اذا الغيت النصوص الحربية في معاهدات الصلح فيجب ان تلغى النصوص الحربية في معاهدة لوزان كذلك

وكانت تركيا في خلال ذلك اي من سنة ١٩٢٣—١٩٣٣ قد اصبحت عاملاً من عوامل الاستقرار في الشرق الادنى . فصداقتها بروسيا ترتد الى ما قبل فوزها بالاستقلال . ولكنها في سنة ١٩٣٢ انتظمت في جامعة الامم وفي السنة التي تلتها عقدت معاهدة صداقة مع اليونان ثم كان لها شأن كبير في مؤتمرات البلقان وفي سنة ١٩٣٤ عقدت مع اليونان ورومانيا ويوغوسلافيا الاتفاق البلقاني . فرفعها الدولي واستقرارها الداخلي، مكّناها من ان تطلب تنقيح اتفاق المضايق

كان الاستعداد للمؤتمر من الناحية الدبلوماسية على أوفق ما يمكن ان يكون . ففي خلال الازمة الحبشية ، فازت تركيا من فرنسا وبريطانيا « بتأكيدات متبادلة » لقاء تعاونها في الالتزامات الناشئة من المادة السادسة عشرة من عهد الجامعة ، والراجح ان هذه التأكيدات كانت خاصة بالمضايق . ولكن تركيا لم تطلب رسميًّا تنقيح اتفاق المضايق الا في شهر ابريل من هذه السنة

ففي ٧ من شهر مارس ١٩٣٦ احتلّت المانيا منطقة الرين المجرّدة من السلاح ناقضة بذلك معاهدتي فرساي ولوكارنو . وفي ١٠ ابريل طلبت حكومة تركيا من الدول الموقعة معاهدة لوزان وسكرتير جامعة الأمم العام ، عقد مؤتمر لتنقيح اتفاق المضايق . وقد أشارت الحكومة التركية في مذكرتها ، الى ان حالة أوربا عند عقد اتفاق المضايق كانت غير ما هي الآن . فقد كانت الجامعة عزيزة الجانب وضماناتها فعّالة والمستقبل يبشر باستتباب السلام وبدا في الأفق أمل خلاّب بنقص السلاح . ولكن هذا كلّه قد تغيّر . لقد جرّبت الضمانات الدولية فأخفقت . ولا بدّ لتركيا من ان تعتمد على قوّتها

فردّت حكومتا بريطانيا وروسيا في ١٦ ابريل بالموافقة على دعوة هذا المؤتمر ، وأعربت روسيا في ردّها عن تأييدها لتركيا في طلب تحصين المضايق . ولم يكد ينتهي شهر ابريل حتى وافقت فرنسا كذلك . وكان موقف الاتفاق الصغير واليابان ينطوي على المودّة والعطف . ولم

يسع بماريو الاعتراض وهي الدولة الوحيدة التي لم تنتظم في الاتفاق الثماني وكذلك وقعت جميع الدول على طلب تركيا الا ايطاليا

ثم التأم المؤتمر في مونترو بسويسرا في ٢٢ يونيو فتمثلت فيه جميع الدول التي وقعت معاهدة لوزان الا ايطاليا وقد رفضت ايفاد مندوبيها ، ما زالت العقوبات واتفاقات التعاون المتبادل في حوض البحر المتوسط قائمة. وكان من المسلم به من بدء المؤتمر ان اتفاقاً جديداً سيحل محل الاتفاق القديم ، تنص فيه حرية السفن التجارية وتمنح تركيا حق تحصين المضايق ولكن اختلافاً اساسياً نشأ بين بريطانيا وبعض الدول الاوربية ، على حق تركيا في اغلاق المضايق

فلما اجتمع المؤتمر عرض الدكتور توفيق رشدي أراس وزير خارجية تركيا على اعضائه مشروع اتفاق جديد ، اشتد من حوله الجدل بين روسيا وبريطانيا ، لان روسيا كانت تسعى بوجه عام ان تجعل البحر الاسود حراماً على اي اسطول حربي ما عدا الاسطول السوفيتي ، اما انكلترا فطلبت ان يحق لاية دولة ان تتعقب اعداءها في حالة الحرب ، من خلال المضايق الى البحر الاسود ، وان اقفال المضايق لا يتم الا بقرار من مجلس جامعة الامم يوافق عليه ثلثا الاعضاء وان يحتفظ بلجنة الرقابة الدولية . فثارت ثائرة روسيا على مقترحات انكلترا وايدتها رومانيا حتى ان وزير خارجية رومانيا اتهم انكلترا بالمؤامرة على تأييد السلامة الاجتماعية والمواثيق الحلية في جنيف وتحاول هدمها في مونترو وظن اولاً ان بريطانيا كانت متأثرة بموقف المانيا نحو روسيا في عرض هذه المقترحات . ولكنها غيرت موقفها على اثر توسط المسيو بول بونكور في ١٥ يوليو وظن ان الاتفاق النمسوي الالماني الذي عقد في ١١ يوليو كان له يد في ذلك . وكذلك مهدت الطريق لعقد الاتفاق الجديد في ٢٠ يوليو

بمقتضى هذا الاتفاق اعيدت سيادة تركيا كاملة على المضايق ، اذ اعترف لها بحقها كاملاً في تحصينها والغاء لجنة المضايق ابتداء من اول اكتوبر سنة ١٩٣٦ وعلاوة على ذلك يضمن الاتفاق حرية اجتياز السفن التجارية للمضايق في اثناء السلم والحرب ، على ان لا تقوم باعمال حربية

اما السفن الحربية فقد قيدت بقيود دقيقة في حالتي الحرب والسلم ففي اثناء الحرب ، لا يحق لسفن الدول المتحاربة ان تجتاز المضايق ، الا اذا كانت منتدبة لذلك من قبل جامعة الامم ، او وفقاً لنصوص ميثاق محلي ، تركيا احد اعضائه كالميثاق البلقاني ولكن يجب ان يكون هذا الميثاق قد سجل في جامعة الامم وفقاً للمادة الثامنة عشرة من عهد الجامعة . ويحق لتركيا ان تقفل المضايق اذا هددت بحرب او اعتداء ولمجلس الجامعة ان يبدي رأياً في ذلك بقرار يوافق عليه ثلثا اعضائه

اما مدة الاتفاق فعشرون سنة ويمكن النظر في تعديله كل خمس سنوات

يسمح بلغاريا الاعتراض وهي الدولة البلقانية الوحيدة التي لم تنتظم في الاتفاق البلقاني

وكذلك وافقت جميع الدول على طلب تركيا الا ايطاليا

ثمَّ المؤتمر في مونترو بسويسرا في ٢٢ يونيو . فتمثلت فيه جميع الدول التي وقَّعت معاهدة لوزان الا ايطاليا . وقد رفضت ايطاليا ومفيد اليه، ما زالت العقوبات والاتفاقات لتعاون البلدان في حوض البحر المتوسط قائمة . وكان من المسلَّم به من بدء المؤتمر ان اتفاقاً جديداً سيحل محل الاتفاق القديم ، تضمن فيه حرية السفن التجارية وتمنح تركيا حق تحصين المضايق وسكن اختلافاً اساسيًّا نشأ بين بريطانيا وبعض الدول الاوروبية ، على حق تركيا في اغلاق المضايق

فلما اجتمع المؤتمر عرض الدكتور توفيق رشدي آرس وزير خارجية تركيا على اعضائه مشروع اتفاق جديد ، اشتدَّ من حوله الجدل بين روسيا وبريطانيا ، لان روسيا كانت ترمي بوجه عام ان تجعل البحر الاسود حرماً على اي اسطول حربي ما عدا الاسطول السوفيتي ، اما انكلترا فطلبت ان يحق لاية دولة ان تتعقب اعداءها في حالة الحرب ، من خلال المضايق الى البحر الاسود ، وان اقفال المضايق لا يتم الا بقرار من مجلس جمعية الامم يوافق عليه ثلثا الاعضاء وان يحتفظ بلجنة الرقابة الدولية . فثارت ثائرة روسيا على مقترحات انكلترا وايدتها رومانيا حتى ان وزير خارجية رومانيا اتهم انكلترا ، بالموازنة بين تأييد السلامة الاجتماعية والمواثيق المحلية في جنيف وتحاول هدمها في مونترو . وظن اولاً ان بريطانيا كانت متأثرة بموقف المانيا نحو روسيا في عرض هذه المقترحات . ولكنها غيرت موقفها ، على اثر توسط المسيو برنس بونكور في ١٥ يوليو ويظن ان الاتفاق النمسوي الالماني الذي عقد في ١١ يوليو كان له يدٌ في ذلك . وكذلك مهدت الطريق لعقد الاتفاق الجديد في ٢٠ يوليو

فبمقتضى هذا الاتفاق اعيدت سيادة تركيا كاملة على المضايق ، اذ اعترف لها بحقها كاملاً في تحصينها والغاء لجنة المضايق ابتداء من اول اكتوبر سنة ١٩٣٦ وعلاوة على ذلك يضمن الاتفاق حرية اجتياز السفن التجارية المضايق في زمن السلم والحرب ، على ان لا تقوم باعمال حربية

اما السفن الحربية فقد قيدت بقيود دقيقة في حالي الحرب والسلم . ففي اثناء الحرب ، لا يحق لسفن الدول المتحاربة ان تجتاز المضايق ، الا اذا كانت منتدبة لذلك من قبل جامعة الامم ، او وفقاً لنصوص ميثاق محلي ، تركيا احد اعضائه كالميثاق البلقاني . ولكن يجب ان يكون هذا الميثاق قد سجل في جامعة الامم وفقاً للمادة الثامنة عشرة من عهد الجامعة . ويحق لتركيا ان تقفل المضايق اذا هددت بحرب او اعتداء ولمجلس الجامعة ان يبدي رأياً في ذلك بقرار يوافق عليه ثلثا اعضائه

أما مدة الاتفاق فعشرون سنة ويمكن النظر في تعديله كل خمس سنوات

باب الأخبار العلمية

دار الاذاعة اللاسلكية البريطانية

وبعض نواحيها العلمية العجيبة

الدار كبيرة ، ولكنها لا تقاس حجماً ولا علواً ، بناطحات السحاب الاميركية فعلوها من دورها السفلي ، الهابط عن مستوى الشارع نحو ٣٤ قدماً ، الى قمتها لا يزيد على ١٤٧ قدماً ، حالة ان علو بناية الامبيرستيت في نيويورك يزيد على الفي من الاقدام . والدار فخمة ولكن مباني كثيرة في لندن تفوقها فخامة ، وجمال عمارة . ولكن ميزة هذه الدار ، انها بنيت صناعة لعمل لا عهد للعالم به قبل سنوات — وهذا العمل هو الاذاعة اللاسلكية ، للموسيقى والغناء والاحاديث والقصص . والاذاعة لا تكون واضحة جلية الا اذا امتنعت عوامل متعددة من الحجر التي تذاع منها ، اي ان هذه الحجر ، يجب ان تكون صامتة الصمت كله ، الا من صوت المتحدث او غناء المغني او عزف العازف

اي ان مهندسي الشركة ، واجهوا مشكلات جديدة ، لم يواجهها المهندسون من قبل ، فكانت النتيجة داراً ولا كالدور ، او بالحري قل هي برج داخل برج ، لان الدار من الخارج ، اشبه ما تكون بقلعة مستديرة ، عند ما تواجهها وانت صاعد من شارع ريجنت المشهور ولكنها في الواقع صف بيضوي الشكل ، الا ان داخل هذه القلعة الخارجية برجاً آخر ، معزولاً عن العالم ، عن نور الشمس والهواء وضجة الشارع كل الانفصال

هذا البرج الداخلي ، يشتمل على حجر الاذاعة المختلفة وعددها نحو المائة وهي مختلفة الحجوم والاشكال فمنها الصغير ، الذي لا يزيد طوله عن ثلاثة امتار وعرضه عن ثلاثة امتار اخرى او اقل . وهذا النمط من حجر الاذاعة يستعمل في الغالب ، لاذاعة الاحاديث ، اذ لا تكون الحجرة في حاجة الى ان تسع اكثر من شخص واحد ومنها المتوسط الذي يبلغ طوله ٨ امتار وعرضه ٤ امتار وعلوه ٧ امتار وهذا النمط من الحجر يستعمل لجوقات الموسيقى التي تعزف موسيقى الرقص . ومنها ما هو اكبر من ذلك فيكون طوله مثلاً ١٠ امتار وعرضه ٨ امتار وعلوه ٧ امتار ويستعمل في الغالب للتمثيل المعروف باسم « فودفيل » اي الهزلي المصحوب بموسيقى . واكبر حجرة اذاعة في هذا البرج الداخلي ،

هي ما يعرف عندهم بحجرة « اسكوير »
[illegible] وهي حجرة طولها نحو ٣٠ متراً وعلوها ٩ أمتار وعرضها ١٥ متراً وفيها منبر متسع لجوقة موسيقية عدد اعضائها يقرب من ثمانين عازفاً

تختلف جميع هذه الانماط من حجر الاذاعة ولكنها تشترك جميعاً في صفة واحدة ، وهي انها تكون في البرج الداخلي ، مفصولة فصلاً تاماً عن النور والهواء والصوت

ولكن العجيب أنك تدخلها واحدة واحدة ، فترى فيها ضوءاً ، تظنه ضوء الشمس الطبيعي في صباح ربيعي جميل ، وتتنفس هواء ، تقول لك رئتاك وحلقك انه هواء نقي ، وتلمس حولك ، فلا ترى نافذة ، وان رأيت ما يشبه النافذة ، ولكن الحرارة طبيعية مرتاح الى البقاء في جو هذه حرارته ، وهذا برده الملطف ، وتنصت اذا سكت محدثك ، فلا تسمع نأمة ما ، فكأنك في لندن الصاخبة وسط فيها ، اذا اين اصوات السيارات العديدة السائرة في الشوارع ، وهي تكاد تكون آخذاً بعضها برقاب بعض

بهذا الاسلوب الهندسي البديع ، تمكن مهندسو شركة الاذاعة بلندن من بناء حجر للاذاعة تتوافر فيها الاحوال المثلى ، التي يجب أن تتوافر ، حتى تكون الاذاعة كاملة او قريبة جداً من الكمال

ولكن كيف تمت هذه التدابير وسائل التهوية والتنفس وضبط الحرارة ؟

والجواب عن هذا السؤال ان في كل حجرة من هذه الحجر ، جهازاً اوتوماتيكياً اي يعمل من تلقاء نفسه ، وهو دقيق الاحساس جداً بحرارة الهواء في الحجرة ومقدار الرطوبة في الهواء . فاذا دخل حجرة صغيرة من حجر الاذاعة رجل او اكثر ، ولبث فيها قليلاً يتنفس ، فان حرارة الغرفة ولا ريب ترتفع ، ورطوبة الهواء ولا ريب تزيد بما يزفره في جوها من رئتيه [illegible] فيظهر زيادة الحرارة وزيادة الرطوبة ، فيعمل من تلقاء نفسه على زيادة مقدار الهواء المار في الغرفة حتى تهبط الحرارة وحتى تهبط الرطوبة الى المستوى الامثل

ولكن أين وجه الخطر في هذه الناحية من العمل ، اقول ان الآلات التي تبرد الهواء وتدفعه في حجر الاذاعة وتسحبه منها تستهلك من القوة ما يعدل قوة ٤٥٠ حصاناً في الساعة وان مقدار ما يمر من الهواء في هذه الآلات في اليوم يبلغ وزنه ٢٦٠ طناً من الهواء . وان عدد الحجر التي يشملها هذا العمل اي التبريد والتهوية ١٨٠ حجرة وان وزن الرطوبة التي يزفرها الناس الذين في حجرة البرج الداخلي ، مع الهواء الذي يزفرونه ، يبلغ طناً كل ١٢ ساعة

فهذا المقدار الكبير من الهواء ، وهذا القدر الكبير من الرطوبة ، يجب ان تتناوله هذه الآلات ، بحيث يكون الهواء في كل حجرة من الحجر عند مستوى معين من الحرارة والرطوبة هي اصلح ما يكون لتنفس الانسان وراحته

نهاية سفينة « البوركواي با »
وفقيدها الدكتور شاركو

في نوفمبر سنة ١٨٢٥ ولد في باريس جان مرتان شاركو وهو العالم الذي اشتهر في القرن التاسع عشر بعلم الاعصاب واحتل منصب استاذ التشريح المرضي في جامعة باريس سنين متعددة ثم كان له شأن في الطب النفساني وفي عيادته بباريس تلقى العلامة فرويد وحيه الاول لنظرياته الخاصة بالتحليل النفسي ومكان الغريزة الجنسية في الحياة

وولد شاركو هذا في سنة ١٨٦٧ ولداً دعي جان بابتست اتين اوغست شاركو فاقتفى اثر والده وبرع في تلك الناحية من العلم فاصبح بعدما مارس صناعة الطب من سنة ١٨٩٠ — ١٨٩٦ رئيساً لعيادة جامعة باريس وهذا ما لم يسمع بمثله في بلاد تحترم فيها الشيخوخة في مناصب العلم او مناصب الحكم

ولكن في السنوات السبع التالية احس شاركو ان الريادة والاكتشاف دون الطب هما ما تنزع اليه نفسه فرحل الى الاصقاع المتجمدة الجنوبية سنة ١٩٠٣ وراد ارخبيل بالمر ثم عاد الى فرنسا وامر ببناء سفينة جديدة تجمع احدث الاساليب والوسائل العلمية المتصلة في الريادة ودعيت تلك السفينة (بوركواي با) ومعنى الاسم الحرفي « ماذا يمنع » او « لماذا لا يكون ذلك » وراد بها في سنة ١٩٠٨ ناحية اخرى من الاصقاع المتجمدة الجنوبية

وعين الدكتور شاركو في خلال الحرب الكبرى رباناً لسفينة من مطاردات الغواصات وفاز بصليب الحرب من فرنسا وصليب الخدمة الممتازة من انكلترا

ولما وضعت الحرب اوزارها اتجهت الى قطب الكرة الشمالي فراد الاصقاع الجليدية سبع مرات ودرس احوال الجو والبحر واسكان في تلك الاصقاع فقد اقتفى اثر الرحالة النرويجي امندسن سنة ١٩٢٨ عن الرائد النرويجي وهو في الحادية والستين من العمر الى البحث عن زميله

واهدى سفينته بعد ذلك الى المتحف الفرنسي للتاريخ الطبيعي

ولكنه اخرجها في سنة ١٩٣٥ وسافر بها في رحلة الى جرينلندة وقال قبل سفره لاحد اصحابه « هذه هي رحلتي الاخيرة » فكانت الاخيرة حقاً لانه لم يرجع منها الا محمولاً

فقد غادرت سفينته جرينلندة في اغسطس ووقع عطل في مرجلها فعادت الى مرفأ ريكيافك في جزيرة ايسلندة للاصلاح . فلما ثبت ان هذا العمل يستغرق نحو اسبوعين سافر من ركابها من كان على عجل بسفن تجارية فلما تم اصلاحها خرج بها شاركو من المرفأ وكان معه عالمان من علماء التاريخ الطبيعي وجغرافي ومصور وثلاثة علماء آخرين ونوتية السفينة وثلاثون كلباً ومجموعة ثمينة من الوثائق العلمية

فهجم الليل هبت عاصفة شديدة ثم تبيت ه اسفينه تحول ردها العودة بها الى المرفأ فأصطدمت بصخر وتصدعت السفينة بصخور كسرت مقدمها وعطلت محركاتها وكان البحر شديد الهياج فلاذ الرجال بقوارب النجاة وسكن اول القوارب الى البحر كان معدرأ ملبس كل منهم جهاز نجاة ولكنهم لم يشحوا من البحر

الكيمياء والعوامل الاساسية في السلوك الانساني

القصة التالية رواها الاستاذ كولب استاذ الكيمياء الحيوية في جامعة ماكجل الكندية في محاضرة القاها بالمؤتمر المتقدم

قال ان مصاباً بالداء السكري جرى على استعمال علاج الانسولين وكان في احد الايام سائراً في الشارع فاحس بما يحس المتعالجون بالانسولين وهو ان تناول جرعة منه تفوق الجرعة المقيدة يفضي احياناً الى الضعف والدوخ والتعثر في الكلام وقد يتلو ذلك غيبوبة فالموت . وعلاج هذه الحالة الخاصة يكون بتناول قطعة من الحلوى لاعادة مقدار السكر في الدم الى الحالة الطبيعية

وكان هذا الرجل يدرك حقيقة حاله فاسرع جهده الى اقرب صيدلية ليشتري منها قطعة من الشكولاته ولكن تعثره في الكلام حال دون الافصاح عن مراده فظنه الصيدلي ثملاً فطرحه في الشارع . فثارت ثائرة المصاب لهذه المعاملة الفظة فنهض وذهب في طريقه الى صيدلية اخرى فابتاع قطعة من الشكولاته

ويفسر الدكتور كولب ما وقع بان ثورة الرجل لطرحه خارج الصيدلية الاولى هيج غدده الكظرية فراد ما تفرزه في الدم من الادرينين فنتج عن ذلك زيادة السكر في دمه زيادة كافية لتعيد اليه شيئاً من وعيه وقدرته على النطق . فهذه القصة في رأي الدكتور كولب تبين امرين بياناً واضحاً اولهما طبيعة الانسان من الناحية الكيمائية حتى في سلوكه الاجتماعي، وثانيهما زيادة فهمنا لكيمياء الحياة او الكيمياء الحيوية. كل انسان كيماوي بقدر يتناول طوائف متنوعة من المواد الخام فيحللها الجسم ويهضمها ويتمثل بعضها ويفرز الباقي

هذه الافعال الكيمائية الحيوية قديمة ، اقدم من الانسان ولكن الانسان لم يشرع في تطبيق معارفه الكيمائية الا في العصور الاخيرة فاحدث تغييراً وتبديلاً في العالم الذي يعيش فيه من ناحية وازداد فهماً وادراكاً لما يقع فيه من التفاعل وقد اتجه علمه في بضعة العقود الاخيرة الى جسم الانسان نفسه فبدأ يكشف من اسراره فنشأ علم جديد يشترك فيه البيولوجي والكيماوي هو علم الكيمياء الحيوية (البيوكمستري)

فيتامين (ا)

ومقاومة المرض والعدوى

ظهر من بحث علمي للدكتورين كاوزن وماكورد من اساتذة كلية الطب بجامعة روتشستر الاميركية ان ڤيتامين (ا) شأناً في مقاومة الامراض المعدية والتغلب عليها

كان الرأي قبل ظهور بحثهما ان اناس الذين يتغذون بغذاء ينقصه ڤيتامين (ا) معرضون للاصابة بالامراض المعدية . ولكن هذا الرأي لم يقم على اساس علمي حتى ظهر بحث هذين العالمين وقد ثبت فيه ان الجسم يحشد ڤيتامين (ا) ضد اصابته كما يحشد قوات الجسم الاخرى للدفاع ضد العدو

فالفيتامين الذي يكثر في الجزر والمشمش وغيرهما من الخضراوات والفواكه وفي زيت السمك يخزن في كبد الانسان وغيره من الاحياء وقد وجد هذان العالمان انه متى اصيبت الجرذان البيض بداء يعرف بتيفود الفئران ينتقل جانب من الفيتامين المخزون من الكبد الى الغدد الكلوية

والظاهر ان مثلاً من هذا القبيل يقع في الناس المصابين بالنزلة الصدرية فعندما تكون حالة المريض على اشدها تنقص انواع الفيتامين التي في الدم نقصاً عظيماً فاذا تحسن المريض لا زمة عادت مقادير الفيتامين في الدم الى حالتها السوية او قريبة منها ولكنها قبل ان تصبح سوية تزداد زيادة كبيرة ثم تنقص ثم تستقر . والظاهر ان لهذا الفيتامين شأناً كذلك في الغذاء علاوة على شأنه في الدفاع

وقد لاحظ هذان الباحثان تغيراً من هذا القبيل في اناس اصيبوا بحمى مفتعلة بتعريضهم للامواج اللاسلكية القصيرة وهو نوع من الحمى يمكن التحكم به فهو من اصلح ما يكون لهذا الضرب من التجارب

*

ابرد نجم في الكون

الف درجة مئوية

اعلن الدكتور ستروف الفلكي المشهور ومدير مرصد يركيس التابع لجامعة شيكاغو ان الدكتور تشارلز هرزر احد علماء المرصد اكتشف نجماً قد يكون من ابرد النجوم في الكون عند ما تحمى الحديد بالنار يحمر . فالاحمرار يقترن في نظر الناس بوجه عام بالحرارة العالية ولكن الاحمرار بين النجوم دليل على ان حرارتها اقل من حرارة النجوم البيض والزرق والنجمة التي اكتشفها الدكتور هرزر اشد حمرة من اية نجمة اخرى رصدت حتى الآن

فحرارة النجوم التي قيست حرارتها تختلف من ٣٠٠٠ درجة مئوية الى ٣٠ الف درجة مئوية ونحوها وهو نادر تبلغ حرارته ٥٠٠٠٠ درجة مئوية ولكن حرارة النجمة الجديدة التي اكتشفها هرزر لا تزيد على ١٠٠٠ درجة مئوية

صور شمال سورية

بحضارة جزيرة كريت

اذاع السر «لورد ولي» الباحث الاثري الانكليزي المشهور وصفاً لما وجده من الآثار النفيسة في شمال سورية تدل على وجود صلة وثيقة بين سورية وحضارة كريت في عهد مينوس ولا يخفى ان حضارة كريت في ذلك العهد كشف عنها السر آرثر ايفانس من نحو ثلاثين سنة

سمحت مصلحة الآثار السورية للسر ليونرد ولي ورجاله بالبحث في ثلاث اكمات فاختار بعد موازنة بينها ان يبدأ البحث في اكمة تعرف باسم «تل اتشانا» وهي في وسط سهل العمق وقريبة من ضفة العاصي . واراد ان يتحرى ما قد ينطوي عليه هذا التل من الآثار فحفر خندقين طول كل منهما ٧٠ ذراعاً وعمقه ثماني اقدام فكان ما وجد في هذين الخندقين مما يبعث على الدهشة ويغري بمواصلة العمل

دلت هذه الآثار على ان مدينةً تغلب عليها الصبغة الكريتية كانت قائمة في غرب سورية والظاهر ان سكان هذه البقعة أخلوها قديماً لان الجدران التي يبلغ عرض أسسها ثماني اقدام لا يحتمل ان تكون قد بنيت بعد القرن الثاني عشر. وتحتها وجدت آثار بناية كبيرة دمرت او دمر جانب منها على الاقل بالنار فرض البناء من الصلصال المطلي بطلاء جيري ابيض وكان يعلوها طبقة من الرماد وآثار النار ظاهرة في جدرانها

جرت العادة في المباحث الاثرية ان تكثر الاشياء التي يعثر عليها في مكان دمرت بالنار وتهدمت . فارض هذه البناية كانت مغطاة بآنية مكسرة من الفخار بعضها يشبه ما اشتهرت سورية بصنعه وبعضها الآخر مما اشتهرت به كريت . فبينها وجدت كسر من جرار كبيرة رسمت عليها وردات بيض على ارض سوداء . ورسم على عنق جرة كبيرة رسم دقيق لاشجار علمت بها العلامة المشهورة وهي علامة « الفأسين » وكان على اخرى رسم نبات جذر من يقرن بالزهر بما استخرج من كنوسوس عاصمة الحضارة المينوية في كريت

هذه الآثار وغيرها تابعة للعصر المينوي الثالث بحسب وصف السر آرثر ايفانس وتاريخ هذا العصر يمتد من سنة ١٧٠٠ الى سنة ١٥٧٠ ق . م ووجدت آثار اخرى في زاوية منعزلة تدل على ان هذا الموقع ظل مأهولاً حتى بعد انقضاء العهد المينوي الثالث اي بعد سنة ١٥٧٠ ق . م

وعدا ما وجد من الفخار وجد في الخندق سيف نصله رقيق مصنوع من البرونز ويرتد الى العهد المينوي ووجدت آثار اخرى بعضها مطبوع بالطابع المصري وبعضها مطبوع بالطابع العراقي القديم و بعضها يصح أن يكون كريتيًّا او حثيًّا

العمى اللوني

حقائق وأمثلة غريبة

يوصف المصابون بالعمى اللوني بأنهم لا يدركون أنهم مصابون به إلا بعد امتحانهم امتحاناً خاصاً وحتى بعضهم لا يصدق حينئذٍ لانه تعوّد ان يرى الطبيعة على نحو ما في العصب عليه ان يصدق انه يجب ان يراها على نحو آخر

والعمى اللوني أنواع أندرها العمى اللوني التام فالمصابون به لا يرون الطبيعة الا لوناً واحداً متفاوت الظلال كما نراها على الصورة الشمسية وتدوّنها على لوح التصوير . ولكن هذا النوع نادر جداً ولم يذكر الا مائة اصابة منه في انحاء العالم ويؤخذ من احصائها انه يكاد يصيب النساء والرجال على السواء وانه وراثي ولكنه قد يعبر عدة اجيال لا يظهر فيها ثم يظهر في جيل يليها اي انه في لفظ علم الوراثة صفة وراثية مغلوبة

ثم هنالك نوع من العمى اللوني يستطيع المصاب به ان يرى الالوان القوية ولكنه يعجز عن رؤية ظلالها الخفيفة فهو يرى الاحمر مثلاً ولا يرى اللون الوردي الفاتح جداً ويرى الاخضر المعروف بأخضر النيل ولا يرى الفستقي الخفيف وهكذا وهو وراثي ويقتصر على الذكور في الغالب

وهناك النوع الثالث من العمى اللوني وهو اشهرها وأعمها وهو العجز عن التمييز بين اللونين الاحمر والاخضر . ويروى في هذا الصدد قصة عن دالتن واضع النظرية الذرية في مطلع القرن التاسع عشر انه جاء لندن وتوسط له بعض اصحابه فدعي الى التشرف بمقابلة الملك وكان عليه ان يلبس لباس البلاط ولباس البلاط فيه سيف وهو من شيعة الكويكرز والاسلحة محرمة عليها فرخص لهُ تفضلاً لاحدهم ان يسمح لهُ ان يبدل لباس البلاط برداء جامعة نال احد ألقابها فرضي الجميع بذلك وفي الدقيقة الاخيرة تنبه احدهم الى ان في الرداء الجامعي قطعة ارجوانية وكل ما هو أحمر او الى الاحمر محرم على الكويكرز فحل دالتن المعضلة بقوله تقولون انها حمراء واما اراها خضراء وهو لون الطبيعة

وهذا الضرب من العمى اللوني أعم بين الرجال منهُ بين النساء ويورَّث فالوالد المصاب به لا يورث ابنه هذه الاصابة ولكنهُ يورثهُ عن طريق بناته لتصيب ما يلدنهُ من الذكور . واذا تزوج رجل مصاب به من امرأة بعض اقاربها مصابون به فالراجح ان بعض ابنائهما يصاب به . اما اذا كانت المرأة مصابة به فكل ابن من ابنائها يصاب به وينتقل من طريق بناتها الى نصف ما يلدنهُ من الذكور . واذا كان الوالدان مصابين به فجميع اولادهما يصابون به

وقد يكون العمى اللوني ناشئاً عن اصابة في عصب البصر ناجمة عن التدخين او تناول المشروبات الروحية فهذه الاصابة مكتسبة ولا تنتقل بالوراثة

المستشرق الهولندي

الدكتور سنوك هورجرونيه

توفي المستشرق الهولندي الدكتور سنوك هورجرونيه في ليدن يوم السبت ٤ يونيو في الحادية والثمانين من عمره

وُلد هورجرونيه في ٨ فبراير سنة ١٨٥٧ وبعد ما أتمَّ دراسته العالية في علوم اللاهوت واللغات الشرقية رحل الى بلاد العرب وكانت رحلته اليها متأخرة عن رحلة السر رتشرد برتون المشهورة نحو ثلاثين سنة فتمم بالمعلومات التي جمعها معلومات السر رتشرد برتون ومباحثه

نزل في جدَّة في حريف سنة ١٨٨٥ فمضى على سواحل البلاد خمسة أشهر قبل ان قصد الى مكة المكرمة في زي طبيب عالم فمضى في مكة خمسة أشهر درس في خلالها المجتمع العربي هناك بين وصول قوافل الحجاج ورجوعها ولولا ارشاد فضل بن ساعده لاستطاع ان يطيل اقامته هناك اذ انبأ السلطات التركية بوجود هورجرونيه في مكة فاخرج منها

وفي سنة ١٨٨٨ — ١٨٨٩ اصدر كتابه « مكة » في مجلدين وقد ضمنه وصفه لقديمة الكعبة مؤيداً لدقة وصف بوركهرت . اما وصفه للمجتمع العربي في مكة فكان دقيقاً ومسهباً وصف الاسواق والعبيد والاماكن المقدسة وحراسها والبيوت والاعياد والولائم والفضائل والنقائص وكان بحثه في حياة المدن ببلاد العرب مدققاً ولكن يقال انه كان ينقصه شيء من التعاطف كي يخرج تاماً وعدم الصحة صفة اتصف بها كتبت بالعربية ودوزي من الاستشراق والتعمق في ما كتباه عن حياة الجزيرة

وعندما أتم هورجرونيه كتابه عن بلاد العرب رفض ان يعين استاذاً للغة العربية في جامعة كمبردج خلفاً للاستاذ روبرتسن سمث وكذلك رفض ما عرض عليه من هذا القبيل في لندن وبدن مفضلاً ان يمضي في دراساته الاسلامية في جزائر الهند الشرقية التابعة لهولندا حيث بقي سبع سنوات مستشاراً للحكومة في الشؤون الاسلامية

وعاد الى هولندا سنة ١٩٠٦ حيث تمكن ان يشغل منصب استاذ اللغة العربية في جامعة ليدن وفي سنة ١٩٠٧ عين مستشاراً في الشؤون الهندية والعربية لحكومة جزائر الهند الشرقية الهولندية

•

آذان الحشرات العجيبة

ثبت للباحثين بغري وودن ممبث من علماء جامعة كمبردج ان بعض الحشرات يستطيع ان يسمع اصواتاً اعلى واوطأ من الاصوات التي تستطيع الاذن البشرية سماعها . فثمة انواع من الجنادب لها عضو للسمع موقعه في مؤخرة الجسم شديد الاحساس بأصوات منخفضة جداً اي ان امواجها طويلة وبطيئة التوالي بالقياس الى الاصوات الرفيعة التي تكون امواجها قصيرة وسريعة التوالي . اما الجراد فيستطيع ان يسمع الاصوات الرفيعة التي تعجز الاذن البشرية عن سماعها بواسطة شعيرات منتشرة على جسمه

نوبات الصرع

يؤخذ من تصريح اذاعه الطبيبان جبس ولنوكس وهما ستاذان في كلية هارفرد الطبيه ان درسهما للتمس الكهربائي في الدماغ قد يمكنهما من الوصول الى اسلوب يعرفان به النوبات التي يصاب بها المصروعون قبل وقوعها. فقد قضيا مائة يوم قبل اذاعة تصريحهما يقيسان في خلالها مرتين كل يوم الحركة الكهربائية في دماغ مصروع يصاب بنوبات الصرع مرة او مرتين في الاسبوع . فتبين لهما ان تغيراً ظاهراً يقع في كهربائية الدماغ نحو ١٨ الى ٢٤ ساعة قبل كل نوبة . فاذا مكنتهما هذه الدراسة من استنباط اسلوب لمعرفة مواعيد نوباته قبل وقوعها فليس في رأيهما ما يمنع تعميم ذلك بعد استيفاء البحث

الشعور بالاثم

القى الدكتور ولم براون سير مهومد علم النفس التجريبي في جامعة اكسفورد خطبة في قسم علم النفس في مؤتمر مجمع تقدم العلوم البريطاني وكان موضوعه « الشعور بالاثم » وضرب عليه امثلة غريبة لاناس ساءت احوالهم النفسية لاعتقادهم انهم مصابون بنقائص هي في الواقع غير النقائص الحقيقية المصابين بها . ومن هذه الامثلة التي ضربها طالب ساءت حالتهُ النفسية لاعتقاده انهُ غش استاذه في امتحان بنقله الاجوبة من كتاب الدراسة. فلما فشل في تحصيل اتهم عجز عن التحصيل . ثم قال الخطيب أن هذا الشعور يحدث مرضاً جسمانيًّا قد يطول امره . مثال ذلك رجل اصيب في كليتيه لانهُ كان راسخ الاعتقاد بأنهُ لم يقم بواجبه نحو اولاده . واصيب آخر بقروح في قرنية عينيه وهو يظن ان اصابته هذه حدثت عقاباً له على تجديفه على الرب وقد شفي الرجلان بعد ما ثنا ما في نفسيهما لطبيبهما

■

الحرارة وتكوين الدم

معلوم ان نخاع العظم هو المكان الذي يولد فيه دم الجسم ولكن نخاع بعض العظم لا يصلح لذلك فما السبب ؟

يقول جماعة من جراحي جامعة شيكاغو — وهم الدكتور ونترنيتز والدكتور بونن والدكتور هوكسوم انهم اكتشفوا ان هناك صلة اساسية لم تكن معروفة حتى الآن بين الحرارة وتكوين الدم في نخاع العظم وهي ان نخاع العظم لا يستطيع ان يولد الدم عندما تكون حرارتهُ واطئة فعظام اليدين والقدمين واسفل الذراعين والفخذين لا تولد الدم لان حرارتها اقل مما يصلح لذلك . والظاهر من تحقيق هؤلاء الاطباء ان درجة ٩٦ فارنهيت (اي ٣٥ سنتغراد) هي الحرارة الصالحة لتكون الدم في نخاع العظم

أما نحن فلم نقع على تفسير لهذا في ما نقلتهُ رسالة العلم الاسبوعية عن هذا الاكتشاف فهو ماذا تختلف حرارة نخاع العظم في مواقع مختلفة من الجسم مع ان الانسان والحيوانات التي جربوا تجاربهم فيها من الحيوانات الدافئة الدم حرارتها قلما تقل في حالها السويه عن ٣٧ درجة بمقياس سنتغراد وهي اعلى من الحرارة اللازمة لتكوين الدم

النور البارد

صناعته وعجائبه ومستقبله

[illegible]

وإذا عدت المصابيح (اللمبات) المشعة مستعملة يوماً من الأيام في الإضاءة العامة، وجب بحث الضرر الصحي الذي ينتج عنها بحثاً مدققاً. وللإضاءة الذاتية نقائص أخرى وهي منزلة الكثافة وتعذر التحكم في مصدرها عند إزماع إطفائها

ومن الذرائع الميسورة للإضاءة، فضلاً عما تقدم وصفه، طريقة الإضاءة بأنابيب جيسلر (Geissler) وقد اعتمدناها خمسة طرق. وهاتيك الأنابيب (تنسب الى مخترعها جيسلر وقد عرضت أولاً في سنة ١٨٦٠) وتتألف من أنبوب زجاجي مفرغ تفريغاً جزئياً من الهواء، وفي طرفيه قطبان كهربائيان. فإذا مر في الأنبوب تيار كهربائي سريع التذبذب، أضاء ضوءاً باهراً، ذا لون يتفق والغاز الجوي الذي يحويه الأنبوب عينه. ويتوقف الضوء على سلم تنشيط ذرات الغاز بمجرى الكهيربات «الالكترونات» في الأنبوب. ومتى يصدم كهيرب مسرع ذرة غاز، يلتصق بها. فاذا ما انفصل عنها في أية لحظة بعد، انبعث منها طاقة مشعة وهي التي نراها

وقد ينطوي ذلك التنشيط على سوء ساقة الكهيربات التي في ذرة الغاز، إذ تزحزح إحداها من مكانها أو من مدارها وذلك بامتصاص الطاقة الكهربائية. وعند ما يرتد الكهيرب الى مكانه الأصلي، يصدر نور ذو موجة معيّنة. وأصبحت أنابيب جيسلر مألوفة عند الجمهور وذلك بمثابة لوحات أو أعلومات «نيون» النيون وجعل الملأ يعرفونها أيضاً «بشكل مُعَدَّل» كمصباح بخار الصوديوم وربما تصلح المصابيح الكهربائية القوسية «المعروفة عند العامة في المملكة المصرية بالحلونات الكهربائية» كنوع متوسط من أجهزة جيسلر، اذ تضيء ضوءاً أبيض ساطعاً على شكل القوس، يتولد من سخونة الفحم وجزيئات الغاز. غير أنه قد يحدث فيها أيضاً بعض التنشيط الذري

***

أما المصباح القوسي لبخار الزئبق المألوف عند كثير من عمال المصانع في أمريكا، فهو جهاز آخر من أجهزة الإضاءة. ومداره على تنشيط جزيئات غاز الزئبق ومن ثمّ يتولد نوره على مثال نور أنابيب جيسلر. وجميع تلك الأجهزة أقوى كثيراً من مصباح

المتوهج ، اذ تحول فيها طاقة التيار المتولدة من الحرارة ، فتقل جداً خسارة الحرارة فيها . عنها في الأجهزة الأخرى

ومصابيح بخار الصوديوم ، تكاد تنتج قوة الطاقة المحولة فيها ١٠٪ وهي أدنى قابلة للتحسين ومثلها في ذلك مثل مصابيح النيون تقريباً ، وتتصل ذلك النوع … من أجهزة الاضاءة ، ولذلك ذاع صيته واستعمل في كل مكان من الولايات المتحدة وسيفضي ذلك الى توفير ملايين الريالات سنوياً من نفقات الانارة . وربّ سائل يسأل قائلاً « ولمَ لا تستبدل زجاجات مصابيح التحسين بجهاز من هذه الأجهزة (النيونية) ؟؟ » فنجيبه قائلين يحول دون ذلك ثلاثة حوائل وهي : أولاً . السخط العام الفيزيولوجي ، وثانياً : مداحة النفقات الابتدائية، وثالثاً : عدم الراحة

فلئن خطر لك ذات ليلة مطالعة جريدة على ضوء لوحة نيون . فلا تلبث أن تلقي الجريدة جانباً وأنت ساخط … ضياء النيون لا يروق العين البشرية لعدم ثباته . فاذا فرضنا أن في مقدورنا تلافي ذبذبته فاننا عاجزون عن جعله بهجة للابصار . وذلك لأن جهازنا البصري خلق موافقاً للاشعة التي تصدر من جسم محمي الى درجة عالية جداً اي الشمس وفيها أشعة منظورة ، من جميع الاطوال

ويكون الضوء في لوحات النيون الخالص أحمر . ويشع عادة من هاتيك الذرات النارية المشتعلة موجة أو بضع موجات خاصة ، ومصابيح بخار الزئبق ، تضيء ضياء أخضر مشرباً بالزرقة . ومصابيح بخار الصوديوم تولد نوراً أصفر فاقعاً ، وهذه كلها أجهزة ضوئية قوية ، غير انها ليست مريحة للعيون البشرية ، رغم اطناب صانعيها في مدحها

فاذا قيل انه من الميسور اعتيادنا الاستضاءة بمصابيح بخار الصوديوم . نعترض على ذلك بأنه يحول دون … بيولوجية يتعذر تذليلها . وقد صلحت أنابيب جيسلر لاضاءة اللوحات والاعلانات الدعائية في الشوارع وواجهات المتاجر والملاعب ، إعلاناً عن السلع المختلفة وغيرها ، فانها لا تصلح للقراءة . اذ القارئ إنما يفضل عليها الضوء الابيض الناصع المؤلف من … ، وهو الضياء الملائم لجهازه البصري

***

ويتيح لنا حشد عدة غازات في الانابيب الحصول على مزيج من الالوان ، اذ كل غاز تشع منه موجة مميزة له . فموجة غاز النيون حمراء قانية . وقد تكون موجة … او زرقاء أو خضراء . وهذا يدل على مزج الغازات بعضها ببعض ، دون النيون

ويبدو انه يلوح لنا إمكان تأليف مجموعة الوان تولد ضياء ناصعاً كاملاً ، ترتاح اليه عيوننا كل الارتياح بيد أننا لما نظفر بتلك الامنية وكل ما كدنا نبلغه حتى الآن هو مصباح غاز

الخاص اسكر ووست [1] غير ان نفراً من جرّبوه متشائمون من نتائجه . ولكن غيرهم يقولون انهُ من هينات الامور

***

وذلك العمل يقتضي مجهودات نوع من علماء الطبيعة الطبيعية ، وهم الذين ندعوهم « المهندسين الكهربائيين » على ان للمدة الكيميائية كملة تحسينه واظهار عنه من عيبه وقد تبلغ التكاليف الابتدائية للاضاءة بجهاز من اجهزة جيسلر مبلغاً كبيراً ، على حين انهُ من شيءٍ ارخص وربح من زجاجة المصباح الكهربائي الذرّي المرلي ، التي نشتريها متركها في بؤرتها الكهربائية وكن . والجمهور انما يعني الراحة ، والرونق ، ايًّا كانت نفقاتها . فلا يضيره ارتفاعها دفع الاثمان الباهظة للاضاءة الحالية المريحة

***

وجدير بنا أن نلخص المذاهب التي اشرنا اليها فيما تقدم فنقول :—

إن مصادر النور الصناعي الذي نستنير به ، محصورة

(١) في الحرارة التي تستحيل ضياء

(٢) وانابيب جيسلر

(٣) والاضاءة الكيميائية

(٤) والاضاءة الذاتية

فاذا شئنا الحصول على نور كهربائي قوي ، وجب علينا تسخين منبعه ، ما استطعنا الى ذلك سبيلاً ، اما نور اجهزة جيسلر فبارد ما امكن والنور الكهربائي المرلي ، أهون الانوار جميعاً وان كان اصعبها . والاضاءة بانابيب جيسلر اقوى كثيراً منهُ الا انها عسيرة الاستعمال ، متعبة للعيون والاضاءة الكيميائية التي اخترعها البشر ، لا ينبغي عدها حتى الآن ، مصدراً من مصادر الضوء فاذا وجدت كانت قوية جداً ، غير انها لا تلائم الناس اذ يتعذر تعميمها في كل مكان

اما الاضاءة الذاتية ، فيبدو لنا انها تفتقر الى نفقات فادحة ، عدا اخطارها الصحية ، وعدم التمكن من اصلاحه عند الحاجة

***

اذن سيظل جهاز النور الكهربائي الحالي محتفظاً بمرتبته الحاضرة الى ما شاء الله تعالى ، ولم يبق امامنا سوى جهاز واحد من اجهزة الضوء الميسور تحسينه مع مراعاة كل ما قدمناه من الملاحظات ، وهي به الاضاءة بالغازات الجوية النادرة وذلك بانابيب جيسلر

فاذا ميزنا تلك البيئة ، واستطعنا صنع جهاز صالح للانارة العامة ، قلت نفقات الاضاءة في السنة الوف الجنيهات وأمكننا المطالعة على نوره بلا استمرار فسأله تعالى توفيق العلماء الى صالحهم

عوض جندي

(١) انظر وصفه الذي نشرناه في مقتطف اكتوبر الماضي في باب الاخبار العلمية . ويعلم القارئ ان هذا الاختراع قد تم تحسينه كما ذكرناه هناك وذلك بعد صدور كتاب مائة السنة القادمة الذي نقل عنه هذا المقال



عبقر

١١٢ صفحة من القطع الوسط — علاه برسوم فنية وريشة الرسام الايطالي فرنكوشيني —
مجلدة تجليداً فاخراً — طبع بمطبعة مجلة الشرق في سان باولو (البرازيل)

في العقد الاول من القرن العشرين قامت في الادب العربي ثورة فكرية دعا اليها فريق من الادباء اللبنانيين والسوريين في المهجر الاميركي فما عتّم أن التفت اليها العالم العربي بجديده وفي ذلك عاملان . عامل تفاؤلٍ وأملٍ في جانب منه ، وعامل تشاؤمٍ وجمودٍ في جانب الآخر . بعد حاول الجانب المتشائم أن يقف بجموده في وجوه القائمين بهذه الحركة وفي وجوه مناصريها والآملين الخير منها ، وأن يقضي على تلك الثورة في مهدها ويخمد انفاسها قبل نموّها فوقفت دون غايته دعائم قوية تمت عليها تلك الثورة الجديدة و [illegible] ت أفكارها وأغراضها وأساليبها من ذلك المهجر السحيق تغزو العالم العربي في ربوعه فكانت النهضة الحديثة ، وكان أن تحوّل تفكير المصلحين بتأثير الحرب العالمية نحو خلق أدب جديد بروح جديدة

لم تكن دعوة الناهضين الثائرين إلاّ حياةً للأدب منتشلةً من عالم الصناعة الكلامية والترصيع اللفظي الى عالم الفكر والعاطفة الدائبين على التجديد والابتكار الى عالم الإفصاح عن مكنونات النفس والتعبير عن أسرار الحياة . الى عالم يستمد الأدب فيه غذاءه من الحياة لا من بطون الكتب والقواميس . الى الحرية والطلاقة والصدق في التعبير والإخلاص في الفن لذاته

هذه هي الدعوة التي قامت بها تلك الحركة ، وهذه هي سمات الأدب الجديد الذي انبثقت شرارته الكبرى من المهجر الاميركي . فلا غرابة اذا كان هذا الأدب محبباً الى النفس لأنه استخلص كنوزه من أغوارها ، مقرباً الى الفكر لأنه ارتوى من ينبوعه ، مبادراً للحياة لأنه استمدّ غذاءه منها

ولا يزال كتّاب المهجر وشعراؤه يتحفون العالم العربي بآثارهم المبتكرة يوماً بعد يوم . فها هو شفيق معلوف يخرج لنا عبقره الخالدة وعليها جميع تلك السمات التي اشرنا اليها

وشفيق معلوف شاعرٌ بعيد النظر ، دقيق الفكر ، جيّاش العاطفة . يجمع الى جانب خياله الوثّاب وإحساسه المرهف ديباجةً قويةً تتفق وأفكاره وتتناسب ومعانيه ، وهو اقرب في شعره الى التصوير منه الى المثل . . رسّام دقيق الريشة ، « يَرى بين الفن ما لا يُرى . . »

نحسُّ ثم تمر دون ان نحسّ بها ، ولهذا تجد في عبقر ما فيها من صورٍ ومعانٍ وألفاظٍ ورنين فهو عبقر ، وهي القرية التي زعم العرب ان الجن تسكنها وتسير اليها كل دقيق جليل .

وقد تناول شاعرنا هذه الاسطورة العربية وشيئاً بسحره فرسم لنا ابدع صورة لهذه القرية الخيالية ، وتناول في اثناء ذلك معتقدات العرب في الكهان وفي زعمهم ان لكل شاعر شيطاناً يلهمه أجود شعره . وليس هناك اي اعتراض على ان يصوّر الشاعر اسطورة ليس لها ظلٌّ من الوجود لان مادة الشعر إن هي إلا الصور الباطنية والاخيلة الرمزية لا الاشياء المحسوسة فما يهتنا من الصور المعطرة إلا الاحساسات الدقيقة التي تحدثها في النفس ، وما يروقنا من الغناء إلا الصدى المتجاوب صداه في عواطفنا ، وما يسحرنا من خلجات النفس إلا احلامنا وأمانينا . وكلُّها أشياء لا ظلَّ لها من الوجود

يبدأ الشاعر قصيدته في طريقه الى عبقر فيصور تلك اللحظة الخالدة التي تستولي على الشاعر وقت إلهامه ثم يصور لنا شيطانه بهذه الابيات الرائعة

في قمةٍ من عبقرٍ جذوةٌ ... منها يطير الشرر الثائرْ
ووجهه جمجمةٌ راعني ... أنيابها والمحجر الغائرْ
كأنما محجرها كوّةٌ ... يطلّ منها الزمن الغابرْ

ثم يروي لنا حديثه مع شيطانه الذي أزمع ان يريه البقعة التي … منها والتي اصطلح الانس على تسميتها « عبقر » فاذا هي « البلد المرصود » قرية الجن التي يصورها لنا وقد عمتها الغمائم الزرق وسطع النور من جدران منازلها وملأ عبيرها الجو ارجاءها ووقفت أبالس الارواح حراساً عليها ، واذا هي امام عرافة عبقر وقد انتصبت على وسطها تمثالاً واستوى الدخان من شعرها والشرر من مقلتيها ، وهنا يبث الشاعر رأيه في الناس ومدنيتهم عن لسانها في قوله :

ويحك يا إنسانُ !
ألقِ عصا سحرِكْ
دعوتَ فينا الجانَّ ... فَعُدْنَ بالشيطان
من شَرِّكْ
وددتُ يا غادر لو انني ... أطلقتُ ثعباني لا يتّقي
عنك فيرديك ، ولكنني

اخشى على الثبات من عدرك
في ثابه السم كان وصار في صدرك

وما زال المرّامة تلقي عليه سخرية بالناس ومدنياتهم حتى يضيق صدره فيطلب الى شيطانه ان يرحل به عن هذه النقمة فيطلقه راحباً منه ان يمضي الى أميرة الجن التي أزمعت فتنة الجن بعصيانها وهي ترتل أنشودتها ومن هذه الأميرة الا الشهوة الساخطة على عالم الأرواح وهنا نستمع للشاعر وهو يصوّرها لنا في أروع صورة ·

حيّة تنساب في وثب — كأن شيئاً حولها راعها
حلّتها كالضوء لمّاعة — عن نضرة تزيد إشعاعها
كأنما الشمس التي كوّرت — من حلقات النور أضلاعها
أنمت الى الارض ما أبدعت — ليكبر العالم إبداعها
إن بسطت ذراعها أحجمت — مذاعة تودّ إرجاعها
ثم تراها وهي مأخوذة — تطوي على ما لا أرى باعها
من عالم الأجساد منية — سهمة تودّ إشباعها
لشهوة في نفسها طاردت — في ظلمة الأذهان أتباعها
تسابق الأرواح حتى اذا — جاءت مضت تحصي أوجاعها

وقد أبدع شاعرنا في تلك الأغنية التي صاغها لهذه الحيّة وفيها يقول ·

ويحي ! من يشبع في النهم ؟
كلما استلقت على معصمي روحٌ ، تقرّبت اليها في
نقمتي . . . لم أقبل ولم
أشم إلا عدماً في عدم !!

ثم يقوده شيطانه الى كهفٍ كاهني عفر سطيح ذي الجسد الرخو الذي لا عظم فيه وشق ذي الجسد المشطور فيلقاه حكيمهما فاذا سطيح يذكر له ان الله عند ما استلّ عظمه من جسده انما اراد أن يملأ هذا الفراغ من حكمته وحكمة هذا الكاهن هي في « نسمة تغمض المرء بها في الشماء » . اما شق فانه لم يصل الى الحكمة الا بالسكوت وانه لولا النقص الذي فيه لما كان كاملاً فحسبه يدٌ واحدة ما دام لا يمكنه دفع القضاء عنه باليدين وما دامت اليد الواحدة تهدم

ما تبني حبها وحسبه من المشرعين بي سنة بالحكمة المشرقة . من قلبه الشعر الأبيض النيّر الحساس لا الشطر الأسود المظلم الخامد

ثم يشرف الشاعر على عالم الحور فاذا به امام ربات الهوى وقد درج من الله في عصر يحو من «العبقريات» بعد ان صح اهل الثار منهن يشعن نشيدهن في سحر مريرة . حتى اذا احتار الشاعر هذه العالم اشرف على صحراء عارقة في عالم السنات وقد لاذ الموت فيها شملات الحياة «فيسأل شيطانه عن هذه الرفات» فيجيبه ضاحكاً : «هذه التي تلده الامهات» و هذه الأرفات للعبقريين واذا بالحاجم نفسه قائلة :

لم تنظــــر الايام   منـــــا سير الصدد
سكنّ عش الغرام   وصيرن مأوى الجرذ
لكنها أحلامنا لم تزل   ترقص سكرى فوق غلف المقل
حاملة للناس خمر الهوى   مشعة خلف كؤوس الأمل
أحلامنا نحن نقل للألى   شادوا لنا الأنصاب إكبارا
أحلامنا سكنّ لما فلا   تصيّروا الاحلام احجارا . .

لقد سمت هذه الأرواح الباقية فقست بأحلامها وعناقها راعدة في زخرف الحياة التي ما عاشت فيها إلا حاملة للناس خمر الهوى فما حاجتها في سموها الى ان تلي بالاجساد المتعطشة ، وهي ليست في حاجة الى الحب الارضي الذي لا تنال منه الارواح شيئاً فهو حب الجسد للجسد وعناق العدم للعدم فليظل هذا الحب المحرك للرفات في الارض مثلا معبودها لتهأ به

هذه هي الفكرة التي صبا شاعرنا في تلك التحفة الرائعة موفق كل التوفيق ، وهذه هي عبقر التي حلق بها الاستاذ شفيق جيد الأدب العربي وطلع بها عليه منذ سنوات ثم عاد أخيراً فطبعها تلك الطبعة الأنيقة بعد ان أضاف اليها الجزء الذي صور فيه مأساة الارواح والجزء الاخير من همس الجماجم ابتداء من الصفحة ١١٠ . وقد وضع والد الشاعر البحاثة المدقق الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف توطئة قيمة هذه القصيدة استغرقت واحدة وعشرين صفحة بحث فيها أصل كلمة عبقر والجن ومراتبها وشياطين الشعراء والكهانة والعرافة وما قيل في ذلك من شعر

وبعد ، فأني أقدم تهنئتي للشاعر في ملحمته الخالدة متمنياً أن يطلع على العالم العربي بمصباه اخرى فيها من القوة والحياة ما في عبقر

حسن كامل الصيرفي

رأي آخر في كتاب سعد

بقلم الاستاذ العقاد

ربما كان من حسن حظ العربية ومن محاسن تراثها ان يتصدى للكتابة في ترجمة سعد العظيم الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد. ولا ادري كم كاتباً من كبار الكتّاب المعدودين اذا كتبوا ترجمة سعد يستطيعون ان يقدموا لخزانة الآداب والعلوم العربية سفراً بهذا الموضوع يضارع سفر العقاد او توازيه قيمة. واذا كان لكتاب ان يوازي كتاب العقاد قيمة فلا بدّ ان يضارعه او يشابهه شكلاً، لان هذا الكتاب لا تكاد تنقصه صفة من صفات البراعة علماً وتفكيراً وتمحيصاً وبياناً واسلوباً. وقبل ان تقرأ كتاب سعد للعقاد قد تظن انك ستقرأ تاريخ رجل عظيم منذ يوم مولده الى تنقله في دوائر الحركة الحيوية الى يوم وفاته. ولكنك لا تشرع تقرأ هذا السفر الكبير حتى تشعر ان [illegible] تاريخاً فحسب بل ترى انك تدرس دراسات متنوعة. تدرس على الاقل ثلاثة علوم او علميات: (١) علم الاجتماع principles of Sociology (٢) [illegible] الادبية Ethics (٣) علم السياسة Politics تشعر انك تدرس هذه الفروع العلمية درساً عاماً عميقاً في حين انك تدرسها اولاً في نشاط المجتمع المصري ثانياً في اخلاق الجمهور المصري ثالثاً في مجاري القضية المصرية — تدرس كل ذلك درساً وافياً في سياق درسك حياة سعد

حياة سعد والقضية المصرية في [illegible] متوحدتان اسمج الرتق بالمعنى [illegible] فلا تحيط علماً بتفاصيل القضية المصرية الا تراك محيطاً علماً بحياة سعد. وكذلك لا تفهم [illegible] الا تراك فاهماً القضية المصرية بحذافيرها. ومن جراء هذا الفهم تدرك عظمة سعد

كتاب سعد يجلو لك هذه الصورة [illegible] التي يندمج فيها الاثنان «سعد والقضية» واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار — لا يجلوها بالخيال الشعري ولا بالرسم الرمزي، بل يبسط الحقائق تحت الضوء العلمي، والاسانيد الرسمية والتاريخية اليقينية التي يؤمّن عليها كل من ماشى الحركة الوطنية وشاهد وقائعها عن كثب. والعقاد ماشاها وروى وقائعها رأي العين وسمعها سمع الاذن. ولهذا قلت في مستهل هذا المقال الحمد لله ان العقاد تصدى لكتابة هذا السفر النفيس. فهو لم يسجل حياة سعد كرجل عظيم فقط، بل سجل وقائع حركة القضية المصرية بكل ما يستطاع من التمحيص والتحقيق والامانة مستوفية التعليلات العلمية الاجتماعية والاخلاقية

تخرج من مطالعة كتاب «سعد» او دراسته وقد قام في ذهنك أمران [illegible] بارزان كل البروز: — الاول ان سعداً اعظم جداً مما كنت تتصور لانك متى اطلعت على دخائل

حياته السياسية وأنه شخصية تكاد تكون انموذج الامم في قوة عمليته ومتانة اخلاقه وسمو غايته حتى وراء وقد وضع انانيته وراء ظهره ووضع تشكيرة امامه نصب عينيه وبين عدمه (غاية النبيلة) ورأسه على كتفه صخرة تلك الصدف من حواجز عناده — عاد قائم على ثلاث قوائم الحكم العقلي الحازم ، وسياسة النبيلة ، والاستعداد لتصحيحه فماذا لا يصر وبعد ؟ وتم يخاف ادن ؟ الثاني ان وقائع القصة كما حدثت في الكتاب تكشف تلك الصور الحقيقية لأصدقائها وأعدائها وتمحو كل تمويه عنها من تماويه الرياء والمراوغة والخداع الخ

ونحن نراه جلاء في كتاب سعد . ولا مماراة فيه ولا تشيع ولا تعصب ، ان المندوبين السامين الانكليز الذين لعبوا ادواراً كبرى في القضية المصرية ظهروا امام حنكة سعد جهلة في السياسة ، يخطون فيها خبط عشواء ، ومتارتهم في سبيلهم أعوازهم الشخصية وشهواتهم التشجيعية . وما ترك واحد منهم منصبه الأ وعرانسه مخلوعاً منه حلماً متعوماً عليه ، لأن حكومته (بالرغم من بلادة السياسة الانكليزية وتأخر الساسة الانكليز في رؤية الحقائق) رأت انه أضر بمصالحها ضرراً بيناً وأقام العقبات في تسوية الخلاف بينها وبين الحكومة المصرية . وأظن كل مصري وكل مراقب للحوادث المصرية يعلم ان اللنبي ولويد وغيرهما ، بل كلهم خيبوا من منصب المندوب حلماً هذا الشعب . وما من واحد منهم الا شهر سلاحه بعد ان سقطت حججه وخابت حيله امام حنكة سعد . ومع ذلك تكسرت أسلحتهم على صخرة عناد سعد والرجل الذي يقول كرومر المعدود من أعاظم ساستهم « ان سعد علي كيف احترمه » لخليق ان يصبح تحت أبطه جميع أولئك الذين حاولوا يحلون العقدة المصرية بسيف الاسكندر

فلا الانكليز الذين تولوا رعاية القضية في مصر لمصلحة حكومتهم كانوا من الحنكة بحيث يستطيعون حلها على الوجه المرضي للطرفين ، ولا أعوان سعد الذين تخاذلوا عنه كانوا مخلصين (الا قليلون جداً منهم) غيريين في مساعيهم . فهؤلاء وكلا ولئن أضروا القضية المصرية وعرقلوها في طريق نجاحها . ولو بقوا مصرين تحت لوائه لانحلت القضية في حياته على الأرجح وسويت تسوية حسنة . لا يمكنك ان تدرك قيمة هذا الكتاب « سعد » ككتاب علمي في القضية المصرية الا اذا قرأته وأنت ، كائناً من كنت مصرياً أو شرقياً غير مصري حري بأن تقرأه . فاقرأه

شبرا نقولا الحداد

منبر الشباب

هذه مجموعة مواعظ قيمة للقس ابراهيم سعيد واعظ الكنيسة الانجيلية ترمي الى تهذيب النفس وترقيق جوانبها والتسامي بالعنصر الانساني عن طريق الايمان في سياق كلمات شائقة وأسلوب مرسل حبيب الى النفوس الادبية الخيرة والعقول المثقفة النيرة

زاد المعاد

مجموعة مقالات في شؤون واحدة ألفها ميخائيل نعيمه ، وهي ضمن هدايا المقتطف سنة ١٩٣٦
— في ١٢٠ صفحة من القطع الكبير

عندما كتبتُ كلمتي في هذه المجلة منذ ثلاثة أعوام ونصف عن كتاب « المراحل » الذي أصدره ونشره الاستاذ ميخائيل نعيمة قلت في ختامها : « ... هذه الروح الوثابة الى نشدان الذات العالية مع بوذه ولطاو مع لاوتسو والآب مع يسوع ترى ميخائيل نعيمة حاملاً قبسهُ متطلعاً الى النور العلوي الذي ترى روحهُ آفاق إشعاعهِ ليعود مسرعاً من نيويورك — ذلك التنين الممتد بين نهرين ، الفاغر فاه ليشرب البحر ويبتلع البر دون ان يرتوي يوماً أو يشبع — يعود مسرعاً الى صنين ليستلقي — في الأصيل على صخرة دهرية بيضاء مما وراء مسننة كالحراب تتخللها منبسطات مليسة ككف العذراء ، من ورائهِ صخور تتعالى الى السماء وتطرح عليه ستراً من الظل ناعماً كالمحبة مؤنساً كالرحمة عابقاً بالسلام والطمأنينة كالايمان » .

أجل ! قد عاد ابن صنين الى وطنهِ وها هو زاد معاده يقدمهُ صحفاً في النفس والحياة هاتفاً بين ابناء بلاده قائلاً : « ما بعد السلام لحقتم في حاسكم عن الحلة المسكرة في مدينة نيويورك ! علام تصرّون على تزويج ... تلك الحلة ؟ سلامكم هو أساس ... القدسية المنعقدة في صخوركم وترابكم وأعشابكم . وتلك الحلة هي تطاحن المطامع والاهواء في سبيل الريال ، والاتقان لا ... ؟

ثم يعود قائلاً : « ... أما صنين فعلّمني كيف أزجّ مدينة الآلات والارقام في شقّ صخر من ... ترقة عصفور . وأطهّر انفاسها بعبير زهرة و... عرياناً في حضرة الفنان الأكبر — فارقب يده تنحت من الصخور تماثيل يتزين ... وتنقش في الحقول رسوماً تخضع عجائبها حسي . ... وكل ما ... بيانه »

في هذه المرحلة يعيش ميخائيل نعيمه يبحث عن الجمال والحق ويدعو للجمال والحق وعملاً بنفسه من معينهما ويكحل عينيهِ بمرائيهما . يعرف الله لا في معبد ولا في كتاب وانما يعرفهُ في أعماق قلبه ، ومن فتح قلبه لله فقد عرفهُ في ارحب مكان وقدّسهُ بأجلّ الاديان . ومن هنا يشعر القارىء في كتاب نعيمه روح الطمأنينة والايمان تغمر نفسه وتتغلغل في صميمها ، وما أحوجنا في هذا العالم الآن الى الطمأنينة والايمان ، والى التعرّي من أثواب المطامع والتخلّص من أغلال الرغائب وقيود الأهواء ، والى مجاهدة النفس والانتصار عليها . واي نفس يغمرها

لايمان وتمسكها الطمأنينة وان حست خلف الف سور وسكنت أجل معبد وترنمت بأجل صلاة ، ما دامت ابوابها عنده تطبق روحها وما زالت أعلاقها تقيدها الى الحضيض!

لقد رسم نعيمه للشباب — عهد فيضان أشواق الروح وشهوات الجسد — طريقه لدى « فعلى من شاء تقريبَ من الدين ان يجعل الدين اوسع من المذهب ومن نصح من المصلحين عليه ان يبيّن للشباب بحجة لا تحد ببصره ان سبيل الدين السبيل الاوحد الى الحرية وان باب المعبد — مها يكن مقدساً — ليس بالباب الوحيد اليها . عليه ان يمشي بالشباب من دهشة الحس الى نشوة الروح ، من وحشة الحيرة الصاخبة الى أنس الايمان الحنون ، من تشويش وآلام (المادة) الى سلام وغبطة (اللا أنا) - من الله في المعبد الى الله في الحب . واذ ذاك تصبح كل عثرات الشباب ، وكل سيئاته ، وكل آثامه درجات يرقى بها الى حريته المثلى - الى ذاته الكبرى — الى الله »

والحق ان في « زاد المعاد » الذي يقدمهُ الينا نعيمه اليوم رياً لكل روح متعطشة الى الحبة والسلام ، وشبعاً لكل نفس لم تذق طعم الطمأنينة والمعرفة ، وكأساً نخرج بأرواحنا من الدهشة الى النشوة ومن الحيرة الى الهدى . فما أحلى هذا الزاد ! الصيرفي

لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومطبوعاتها الجديدة النفيسة

اهدت الينا لجنة التأليف والترجمة والنشر طائفة من مطبوعاتها الحديثة ، هي والحق يقال من انفس ما اخرجتهُ المطابع العربية في العهد الاخير . منها « قواعد النقد الادبي » تأليف لاسل آبر كرومبي وقد نقله الى العربية الدكتور محمد عوض محمد . و« عرض تاريخي للفلسفة والعلم » تأليف الاستاذ ولف وترجمة الاستاذ محمد عبد الواحد خلاف . و« فلسفة المحدثين والمعاصرين » تأليف ولف كذلك وترجمة الدكتور ابو العلا عفيفي . و« علم الآثار » تأليف الاستاذ جاردنر وترجمة الاستاذين محمود حمزه والدكتور زكي محمد حسن و« النتائج السياسية للحرب العظمى » تأليف المؤرخ هنري بيور وترجمة الاستاذ محمد بدران . و« تاريخ المسألة المصرية » تأليف تيودور رتشتين وترجمة الاستاذين عبد الحميد العبادي ومحمد بدران

الكتب الأربعة الأولى ترجمة فصول منسبة ظهرت في كتاب ضخم نشر من بضع سنوات في انكلترا بعنوان « خلاصة المعارف الحديثة » وقد اشترك في وضعه طائفة من أكبر أعلام انكلترا في العلم والفن والتاريخ والفلسفة والأدب — فنقل فصول هذا الكتاب الى اللغة العربية

كل فصل منها في كتاب على حدة ، خدمة جليلة تسديها لجنة التأليف والترجمة والنشر الى الثقافة العربية ، ولسنا في حاجة الى اقامة الدليل ، على ان مثل الكتب التي من هذا القبيل ، لا مندحة عنهُ لتلقيح الأذهان وتقويم المقاييس . عسى ان تقوم اللجنة بمثال على هذه الكتب ، يشجعها على المضيّ في خطتها الحكيمة

أما الكتابان الآخران فاحدهما في التاريخ العام ومؤلفهُ الاستاذ رمزي ميور من اشهر مؤرخي العصر الحديث في انكلترا والثاني خاص بمصر وقد وضعهُ تيودور رتشتين مكاتب اللواء المالي وصديق مصطفى كامل باشا ومحمد فريد بك رحمهما الله وكلاهما مما لا يستغني عنهُ مثقف مصري ، يريد ان يفهم التيارات الجارية في عروق المدنية الحديثة بوجه عام وفي عروق الحياة المصرية العامة بوجه خاص

هذه كلمة مجملة كل الاجمال وانما نرى من حق القرّاء علينا ان ننظر في كل كتاب منها على حدة نظرة خاصة وموعدنا بذلك أعداد المقتطف القادمة ان شاء الله

أعيان الشيعة

أصدر حضرة المفضال السيد محسن الأمين الحسيني العاملي الجزء الثاني من كتاب « أعيان الشيعة » في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة السيدة فاطمة الزهراء وهو يقع في ٥٤٠ صفحة بالقطع الكبير طبع في مطبعة ابن زيدون بدمشق الشام عناية فائقة خصص منهُ ٧٨ صفحة لسيرة السيدة فاطمة الزهراء وأسهب القول في السيرة النبوية الشريفة فذكر نسبهُ ومولدهُ وكفالته وشهودهُ بناء الكعبة وصفته وأخلاقه وآدابه وشمائلهُ ومؤذنيه وسلاحه ودوابه وخاتمه وكتبه وسهولة الشريعة الاسلامية والعلوم التي امر الاسلام بتعلمها والعدل والمساواة والعناية بالمرأة والمحافظة على حقوق الزوجة ومقاصد السفور والمحافظة على العرض والناموس والشرف ووصف غزوات النبي وهجرته وكتبه للملوك ونزول القرآن وحجة الوداع ووفاته ومراثي النبي وخبر السقيفة وجملة من خطبه ووصاياه وحكمه وجوامع كلمه

والكتاب على غرار كتب السير القديمة غير انهُ حذف الاسانيد وجنح الى الاختصار مع استيفاء البحوث فجاء كتاباً قيماً يجدر بمحبي التاريخ الاستفادة من محتوياته فنوجه اليه الانظار وستتلوه أجزاء أخرى في السيرة العلوية وسير الائمة الأحد عشر وتراجم العلماء مرتبة على حروف الهجاء فنرجو أن يتم هذا العمل الجليل ليعم نفعه

دار الكتب المصرية

١ — كتاب الأغاني

كتاب الأغاني ، في الادب العربي، أشهر من ان يعرف . وقد شرعت دار الكتب المصرية من سنوات في طبع هذا الكتاب النفيس ، طبعاً متقناً ، على أن يعنى قسم التحقيق الأدبي واللغوي في دار الكتب ، بتحقيق القراءات المختلفة لبعض العبارات والألفاظ وشرح ما يحتاج الى الشرح وعمل فهارس مسهبة لكل جزء ، وقد أخرجت حتى الآن سبعة أجزاء ، في نحو ثلاثة آلاف صفحة ، هي من أبدع الصفحات في الأدب العربي وكان آخرها الجزآن السادس والسابع ، فحقّ للدار الشكر من جميع الأدباء والمتأدبين

٢ — نهاية الأرب

ولم تقتصر عناية الدار وقسمها الأدبي على طبع الاغاني ، بل عمدا كذلك من سنوات الى كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب تأليف شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري فاخرجت من اجزائه احد عشر جزءاً ، أحدثها الجزء الحادي عشر، في النبات وهو اربعة اقسام واثنا عشر باباً فتحنا الكتاب اتفاقاً فافتتح عند الصفحة ١٨٤ — ١٨٥ فوجدنا ما يلي عن الورد ،

فاما الورد وما قيل فيه — فالورد الوان اشهرها الاحمر والابيض وقال صاحب نشوار المحاضرة انهُ رأى ورداً اصفر ، ووردا اسود حالك السواد ، لهُ رائحة ذكية . ورأى بالبصرة وردة نصفها احمر، قانيء ونصفها ابيض ناصع وكأنها مقسومة بقلم ، وفيه ما لهُ وجهان احمر وابيض ، ويقال انهُ ربما وجد وردٌ احد وجهي الورقة منهُ احمر قانيء والآخر اصفر ومن الوان الورد الازرق . وهذا اللون يقال انهُ يتحيَّل فيه بان تسقى شجرة الورد الابيض الماء المخلوط بالنيل فيصير الورد ازرق ، وقد يتحيَّل على الاسود بمثل ذلك ، والله تعالى اعلم . هذه نبذة مما جاء عن الوان الورد ، وتليها صفحات عن خواصه الطبية وأقوال الشعراء فيه ومختارات مما قالوه وما ذكر عن الورد ذكر عن انواع النبات والرياحين والازهار والاشجار وكلُّه في هذا الاسلوب البارع الجامع بين الادب والعلم رشاقة وتحقيقاً على طريقة ذلك العصر ويصلحُ ان يكون مثالاً يحتذيه كتاب عصرنا في نواح مختلفة من الكتابة

٣ — النجوم الزاهرة

الف هذا الكتاب في ملوك مصر والقاهرة جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي . وقد اخرجت دار الكتب اربعة اجزاء منه وبين ايدينا الجزء الخامس وهو يشمل تاريخ ولاة مصر من ولاية المستنصر بالله الى مطلع ولاية السلطان الناصر صلاح الدين

الحياة الجديدة

تأليف نقولا يوسف — صفحاته ١٤٨ — ... ...

الرابطة التي تربط بين الفصول الستة في هذا الكتاب، انها تجمع عن قرب المؤلف ... كثير من هموم العصر الحاضر التي تشغل اليوم افكارنا ... فالباب الاول يشتمل على بحوث عامة، تغلب عليها النزعة الفلسفية الاصلاحية، ولو تناولت موضوعات السياسة والتاريخ الحديث . ... ان السياسة وسير التاريخ الحديث لا يمكن ان يفهما بمعزل عن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية الناشئة عن العلم وتطبيقه ... وعجائبها . اما الباب الثاني فيشتمل على بحوث خاصة بعصرنا ... والموسيقى والتأليف والتمثيل فيها . واذا كانت الغاية ... على فصول هذه الابواب، فان المؤلف لم يهمل بعض نواحي الحياة الاجتماعية كالعلاج والحجاب ... الباب الثالث ... في الغالب على فصول في الآداب الاجنبية، وقد افرغ اكثرها في مقالات عنوانها ساعة مع ... طاغور او هوراس او ملتون او شلي ... الخ

هذا الكتاب كيف قلبته واي صفحة طالعت فيه تقع على آثار قلم ... دمن واسع ... ونباهة ...

سفرة الى الهند

لـ ... سر انتاسيوس اغناطيوس نوري — صفحاته ١٠٠ قطع متوسط — طبع مطبعة حريصا لبنان — ...

هذا الكتاب حديث رحلة رحلها سيادة ... الكاثوليك سابقاً في أواخر القرن الماضي وهو حديث جمع بين حقائق التاريخ والجغرافية والاجتماع جمعاً طريفاً

كل فقرة فيه حافلة بالحقائق وتكاد كل صفحة تكون مزدانة ... الصفحة ٣٤ فوجدنا في الفقرة الأخيرة من هذه الصفحة ما يلي

وأهل البصرة يرقدون مدة الصيف على السطوح ولا ينامون بدون الكلة (الناموسية) توقياً للندى الساقط ليلاً . والمرء اذا خرج صباحاً من داره يشاهد الشوارع كأنها مرشوشة بالماء . وما هو الا الندى . وكثيرون يذهبون صيفاً الى بغداد ترويحاً للنفس وهرباً من الحر، مع ان درجة الحرارة في بغداد ترتفع الى ٤٥ او ٥٠ (سنتيغراد) في الظل . ولكن هواء بغداد ناشف والماء يبرد فيها ولا سيما ليلاً وهو أنقى من ماء البصرة



رسم للجامع الفاطمي الكائن داخل دور المدينة كاتزينا بطورسينا

[وضعهُ أحمد يوسف]



بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي و .. بيده الخير وهو على كل شيء قدير نصر من الله

وفتح قريب لعبد الله ووليه ابي علي المنصور الامام الآمر باحكام الله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه المنتظرين

امر باذاء هذا المنبر السيد الاجل الافضل امير الحرمين سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين ابو القاسم

شاهنشاه عضد الله به الدين وامتع بطول بقائه امير المؤمنين وادام قدرته واعلى كلمته وذلك في شهر ر .. الاول سنة خمس مئة اتق بالله

منبر المسجد وهو تحفة نادرة من العصر الفاطمي

كرسي المسجد وهو تحفة فنية نادرة من العصر الفاطمي

حديقة المقتطف

محاورة بين الدودة

والثاوية في اللحد

للشاعر الفرنسي تيوفيل غوتييه

الزهرة والفراشة

للشاعر الفرنسي فكتور هيغو

[نقلها خليل هنداوي]

أيها الإنسان

لروبرت ناثان الاميركي

خطرة

للشاعر الفرنسي فكتور هيغو

[نقلها حبيب هنداوي]



الشاعر شلي

(راجع قصة غرامه صفحة ٤٥٩ من هذا الجزء)



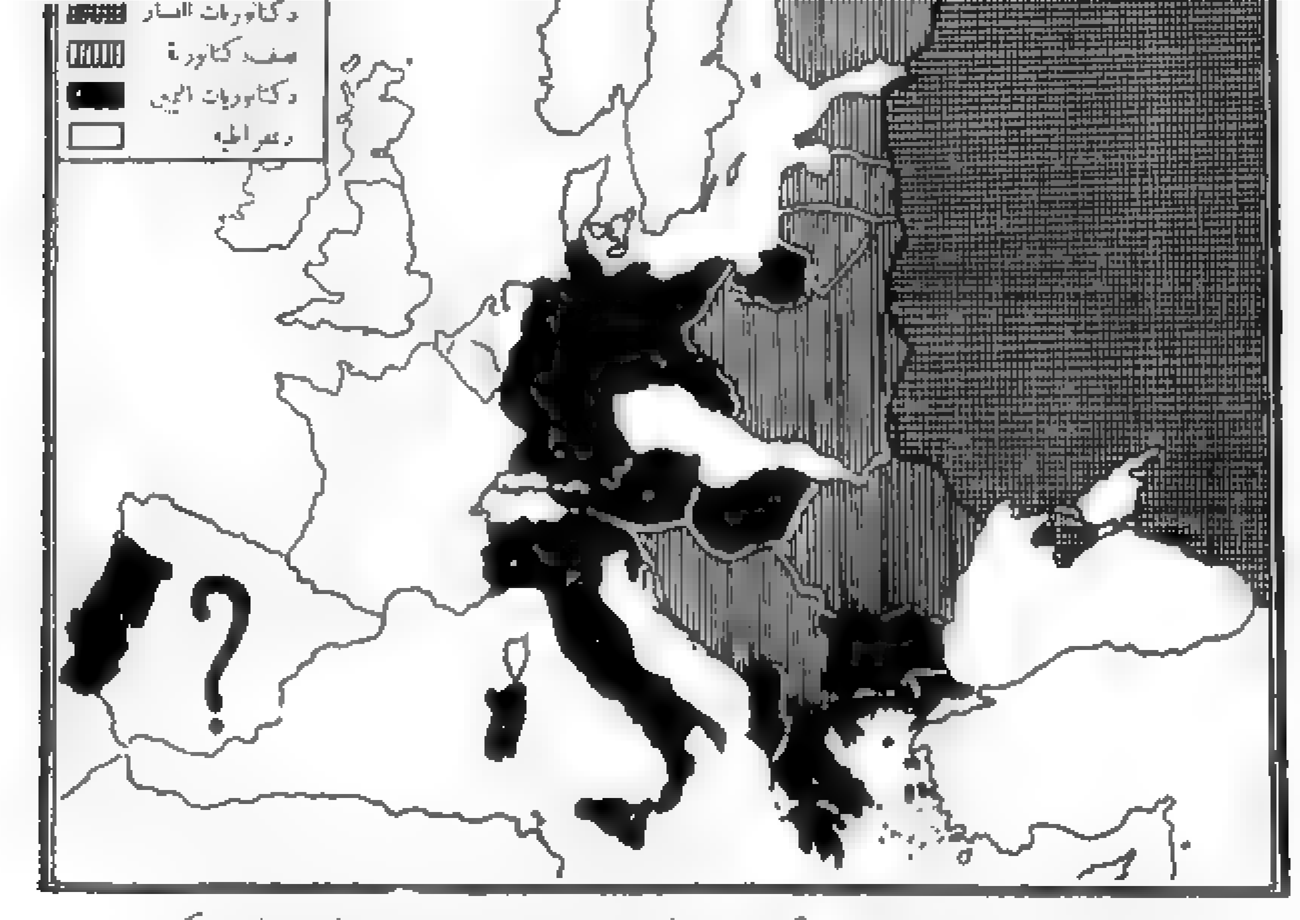
الحرب الاهلية الاسبانية

بواعثها ومقدماتها الاجتماعية والاقتصادية

وصداها الدولي

المضايق

بعد مؤتمر مونترو



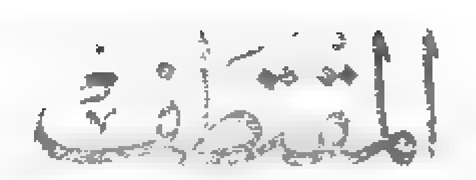
دكتاتوريات اليسار : روسيا السوفيتية — دكتاتوريات اليمين : ألمانيا وإيطاليا والبرتغال والنمسا والمجر وتركيا واليونان واليابان — نصف دكتاتورية : فنلندا ولاتفيا واستونيا ولتوانيا وبولونيا ورومانيا ويوغوسلافيا — ديمقراطية : السويد والنرويج والدنمارك وتشكوسلوفاكيا وهولاندة وبلجيكا وفرنسا وبريطانيا



« .. وحدّقت في السحب و مدى ما تستطيع عين الانسان ... »
« ورأيت الجوّ حافلاً بالحمرة وأشباح الجوّ ذات الأشرعة السحرية . »
« وطائرات الشفق القرمزي مثقلة بالآلات الثمينة .. وسمعت الصباح يدوي في »
« السماوات العلى [illegible] من أساطيل [illegible] الهوائية وهي تتصارع »
« في كبد السماء . »
الشاعر تنيس !

فهرس الجزء الرابع من المجلد التاسع والثمانين


المقتطف
العلم والدين
مصير الحضارات
العلم أمس واليوم
روح الاستعمار العصرية



الجزء الخامس من المجلد التاسع والثمانين

١ ديسمبر سنة ١٩٣٦ — ١٧ رمضان سنة ١٣٥٥

الطيران والحرب القادمة

للفيلسوف برترند رسل

ملخص من كتابه الجديد « سبيل السلام »

كان لتغيّر أساليب الحرب تأثيرٌ في تاريخ العمران اكبر مما يسلّم به الذين يؤثرون تفسير التاريخ بالنزعات والنوازع الاقتصادية. ومنذ بدأ الانسان يحارب حروباً منظمة، نشأ تنافس بين اصحاب وسائل الدفاع واصحاب وسائل الهجوم. ويمكن ان يقال بوجه عام، انهُ متى كانت وسائل الدفاع متفوقة على وسائل الهجوم، يتسع المجال لتقدم الحضارة وارتقائها. وعلى الضد من ذلك، فانها ترجع القهقرى اذا تفوقت اساليب الهجوم على اساليب الدفاع

ومن وجوه المنافسة بين وسائل الحروب، تفوّق الجيوش الكبيرة احياناً، وتفوّق البراعة العسكرية والمعدات الحربية احياناً اخرى. ففي العصور الوسطى، كان تجهيز الفارس بالخوذة والدرع والرمح يقتضي نفقة، فكان النظام ارستقراطياً. فلما جاء البارود قضى على الفروسية، وسار بالنظام رويداً رويداً الى الجيوش الاهلية الكبيرة والنظم الديمقراطية

وقد ارتقت اساليب الهجوم والدفاع منذ وضعت الحرب اوزارها سنة ١٩١٨ ولكن ارتقاء اساليب الهجوم كان أسرع خطى وأوسع نطاقاً، ففقد « العدد » ما لهُ من اهمية في الجيوش، بالقياس الى البراعة والمعدات الميكانيكية. وهاتان الحقيقتان، تجعلان المستقبل ملبّداً بغيوم قاتمة.

فلا، بل تعرض الاهداف للهلاك في الحرب [illegible] تحمل تاقين على قيد الحياة، خصوصاً في الراجح لمبصرة دولة عسكرية

وكلامنا الآن [illegible] تجارب الحرب [illegible] حصرنا النظر في الحرب على سطح الارض، [illegible] اساليب الدفاع [illegible] اساليب الهجوم، حتى صار في تفوقها ما كانت عليه في الجبهة الغربية في الحرب [illegible] وعلى [illegible] الرأي، انه من المتعذر على الالمان اختراق خط [illegible] على حدود فرنسا الشرقية كانت الخطط العسكرية التي يعمدون اليه ما كانت [illegible] على [illegible] الاساطيل الحربية، اذا حصرنا في الحرب على سطح الماء و[illegible] [illegible] ان [illegible] الصحة سكون في الحرب القادمة اقل منه في الحرب الماضية، من حيث هي وسائل للهجوم، ويكفي بها في الدفاع عن شواطئ البلاد التي تحميها. لا ريب في ان السفن التجارية [illegible] معرضة لخطر الغواصات، ولكن اذا كان كل الخطر عليها محصوراً في الغواصات، فمن غير المتعذر التغلب عليه. ولولا الطيارات، لا تزال كما كانت من عشرين سنة، لكانت الحرب القادمة في العالم على نمط الحرب الماضية

ولكن الطيارات الحربية عززت اساليب الهجوم حتى تفوقت على اساليب الدفاع، وكان لتفوقها هذا تأثير عظيم في خطط الحرب وخطط السياسة جميعاً

على ان بين الخاصين من القواد وامراء البحر من لا يسلم بهذا [illegible] Requin « ان الصفة العسكرية للحرب في المستقبل ستشبه [illegible] ١٩١٤ — ١٩١٨ في دورها الاخير » [illegible] في ما يتعلق بالبحر [illegible] على ما يظهر من اقناع الحكومة بأن البوارج من الدرجة الاولى شأناً هاماً في [illegible] الا ان كثرة الخبراء ترى غير هذا الرأي، وعندها ان الطيارات الحربية، في البر والبحر، ستجعل اساليب الحرب القديمة عديمة التأثير، ان لم تجعلها متعذرة

خذ رأي الماجور [illegible] وهو سويدي راقب سير الحرب الكبرى، مبرهناً على انه وهو يجاري طائفة كبيرة من الخبراء العسكريين في حبه للسلام. قال في كتابه « الحرب القادمة »

« وما هو رأيت ادن؟ ان التفوق في الجو سيكون العامل الحاسم في الحرب الاوربية وان هذا التفوق مرادف للتفوق الحربي ولكن هذا الرأي لا يصدق كل الصدق الآن » (نشر كتابهُ بالانكليزية سنة ١٩٣٠) وعنده ان صدق هذا الرأي يتجلى كل التجلي سنة ١٩٤ وقد أقام الحجة على ان التفوق في الاسطول الجوي يحول دون تعبئة الجنود ويشل حركة الجيش بقطع انتقال على الطرق وسكك الحديد التي تنقل المعدات والذخائر. قال « ان جيشاً ضعيفاً في سلاحه الجوي أداة لا فائدة منها في الحرب، والخطط العسكرية التي يجري عليها

حطط عظيمة » ثم أضاف الى ما تقدم قوله « ان دعم الطيارة في الجو قد يحول دون استعمال القوات البحرية في سبيل ما صنعت له »

ولكن هل من المستطاع ان تنفرد دولة من الدول بسيادة جوية ؟ ألا تستطيع الأساطيل الجوية الفرنسية مثلاً ان تعمل في ألمانيا ما تعمله الأساطيل الألمانية الجوية في فرنسا ؟

يرى الماجور برات وغيره من الخبراء ان خطط الأساطيل الجوية تتجه ولا ريب الى هجوم مباشر على أهداف كبيرة ثابتة ولا سيما المدن الكبيرة . الا انه يختلف عن معظم الخبراء في انه يتوقع في بدء الحرب معركة جوية عظيمة يصيب فيها أحد الفريقين نصراً حاسماً والآخر خذلاناً حاسماً . ولو صح هذا لكان الأمر هيناً فتمضي ساعات او أيام من القتال بين طائفة كبيرة من المتقاتلين الجويين في الجو ، ثم ينقضي الأمر . عندئذٍ يشعر الجانب المغلوب ان المقاومة لا تجدي فيطلب الصلح على خير ما يستطاع . ان حرباً من هذا القبيل ، لا تسفر عن تدمير مادي كبير ، مع انها لا بد ان تسفر عن احلال الحكم الدكتاتوري في البلدان الديمقراطية المغلوبة محل النظم القديمة ، ولكنها على كل حال لا تهدم كيان المجتمع البشري ولا تفضي الى انتشار الفوضى

الا ان الطيارة ، على قوتها العظيمة في الهجوم ، ضعيفة كل الضعف في الدفاع . ولنفرض جدلاً ان حرباً نشبت بين ألمانيا وفرنسا . فالفرنسيون يدركون انه لا بد للألمان من مهاجمة باريس بطياراتهم ، ولا ريب في انهم يودون ان يحشدوا جميع قواتهم الممكنة للدفاع عن عاصمتهم ولكن جميع الأدلة تدل على ان اكتشاف طيارات العدو وهي سائرة الى هدفها لا يمكن ان يتم بسرعة كافية (المستند في هذا القول الجنرال جروفز ويؤيده في ذلك ثقة ثانٍ) وانه من المتعذر ان تصد أسطولاً جوياً عن الوصول الى هدفه اذا كان قائده مستعداً ان يفقد في سبيله بعض أسطوله . والأخير في هذه الحالة ان يعمد الفرنسيون الى مهاجمة برلين وتدمير ما يتيسر تدميره ثم مهاجمة مدينة اخرى الصناعية ، بدلاً من محاولة الدفاع عن باريس . واذا دارت معارك جوية ، فانها تدور بعد ان تلقي الأساطيل الجوية قنابلها على مدن العدو ومناطقه الصناعية

هذه هي الحالة التي حملت المستر بلدوين في البرلمان ، على تصريحه بأن الدفاع الوحيد ضد هجوم جوي انما هو الهجوم . وهذا يعني انه يتعين عليك ان تقتل من النساء والأطفال اكثر مما يقتله عدوك اذا شئت ان تنجو بنفسك . ومعظم الخبراء الفنيين يؤيدون هذا الرأي . ومن بواعث الأسف انه يلوح لنا اننا مضطرون الى التسليم بأرجحيته على رأي الماجور برات

وتأييداً لهذا الرأي نسوق رأي خبير آخر في هذا الصدد هو كومودور الجو تشارلتن Charlton في محاضراته التي ألقاها بكلية ترنتي في جامعة كمبردج ثم توسع فيها وشرحها في كتاب عنوانه الحرب في الجو War from the Air . فالكومودور تشارلتن يرى كالماجور برات في م

يعرفه [illegible] الطائرات [illegible] لندن [illegible] في حرب [illegible] المقبل ولكنه يختلف عنه [illegible] ان [illegible] عن معركة جوية حقيقية تقع في مستهل حرب [illegible] فان ما يتبادر [illegible] لا [illegible] بعض الناس يظن ان الحرب في الجو يمكن ان تكون حرباً [illegible] وتقتصر على الاساطيل الجوية التي [illegible] ويقاتل هؤلاء طائفة من الكتاب تتصور ان خير اساليب الحرب الجوية هو [illegible] عن الطائرات وهي مستقرة في مطاراتها [illegible] هدف للقنابل عليها قبل ان تحلق في الجو وكأنهم يريدون ان يقولوا باستئصال الخطر من منبعه كأنك تقتل جنيناً [illegible] خروج الخرطوم فتمنع الماء من الوصول الى المدينة [illegible] لا نستطيع ان نفهم لماذا تتجه المحاربون [illegible] وراء [illegible] الوقت في اثناء [illegible] كالبحث عن مطارات [illegible] واسعة الرحاب [illegible] باشكال [illegible] عددها ولقنابل الجهنمية من عمل [illegible] فالمطارات [illegible] تسهل اصابتها [illegible] والمناطق الصناعية مما يسهل [illegible] بل اليه وتدمير [illegible] منه [illegible] الطائرات التي يسعى المحاربون تدميرها في المطارات قد تكون [illegible] هنا وهنا وكل ما يتصل بها مما له ضرورة حربية قد يكون محفوظاً في اقبية تحت الارض [illegible]

واسكوادرون لدر تشارلتن [illegible] لدى [illegible] يعتقدون ان في وسع الاساطيل البحرية ان تصمد لهجوم من الجو [illegible] كان في سنة ١٩٢١ ملحقاً جوياً للسفارة البريطانية في وشنطن [illegible] عينه تجارب جربتها الحكومة الاميركية [illegible] بسفينتين حربيتين آلت اليها من [illegible] الالمان [illegible] كانت الحكومة قد عزمت على اغراق السفينتين وكان الجدل شديداً بين انصار سلاح الطيران وقدرته على اغراقهما بعوامل يتخذها من الجو، وامراء البحر الذين اصروا على ان ذلك [illegible] [illegible] وحلقت الطائرات في الجو واحدت تلقي قنابلها الجهنمية، تصيب هدفها حيناً وتخطئه [illegible] اخرى، واحدت السفينتان في الغرق، وتبين ان غرقهما نشأ [illegible] التي اصابتها [illegible] التي اخطأتها قبلاً [illegible] هذه القنابل تحت الماء [illegible] حيث تتصل الالواح بعضها ببعض [illegible] تحولت امارات الدهشة المرتسمة على وجوه امراء البحر الى امارات الذهول

وهذا مع العلم بان احدى السفينتين كانت في رأي خبراء البحر من السفن التي لا تغرق وكانت قد اشتركت في معركة جتلند فتمكنت من الوصول الى المرفأ على الرغم من اصطدامها بلغمين واصابتها بعدة قنابل [illegible] وها هي ذي قنابل الطائرات التي لم تمسها بل وقعت [illegible] منها ذات اثر فعال في اغراقها. وجميع التجارب التي جربت بعد ذلك أيدت هذا الرأي

واذن يصح ان نقول ان الخبراء [illegible]، او يكادون يجمعون، على ان مهمة الاساطيل الجوية [illegible] تكون في الحرب القادمة [illegible] تدمير بعضها بعضاً، بل تدمير المدن المزدحمة بالسكان والمناطق

الحافلة بالمصانع . فالحرب المقبلة تتجه في تدميرها الى الاهلين اولاً . وقد بين الجنرال جروفر في كتابه « وراء ستار الدخان » Behind the Smoke Screen ان الغرض الاول الذي يتجه اليه كل محارب ، انما هو اضعاف شعب العدو لحمله على اقناع حكومته بوجوب طلب الصلح

***

فما هي الوسائل التي ينتظر ان يعمد اليها المحاربون لتحقيق هذا الغرض ؟

كان تأثير الهجوم الجوي الالماني في لندن خلال الحرب الكبرى اعظم مما يظن مع ان الذين نعرض معظمهم فئة يسيرة بالقياس الى ألوف الالوف من سكان تلك العاصمة . ولكن الجنرال جروفر أثبت ان من آثار هذه الهجمات نقص ما كانت تخرجه مصانع الذخيرة نحو ٦٠ في المائة علاوة على انحطاط الروح المعنوية في عامة الشعب . فمن المشهور ان محطات سكة حديد لندن تحت الارض كانت تزدحم باللاجئين اليها احياناً حتى كان يخشى عليهم من الموت اختناقاً . ويقدر عدد الذين كانوا يلجأون اليها بنحو ٣٠٠ الف كل ليلة حينئذٍ ، وان نصف مليون غيرهم كانوا يلجأون الى اقبية تحت الارض . اما مدينة هل وهي اكثر تعرضاً لمثل هذه الحملات الجوية الليلية ، فكان نصف اهلها يغادرونها بعد الهجومين الاولين لاجئين الى الحقول ، مفضلين ذلك على المبيت في مدينة لا تقيهم وسائل الدفاع الواقية ضد شياطين الجو . وحدث في هجوم ٢٥ مايو سنة ١٩١٧ ان تجمع جمهور كبير وهاجم المطار محاولاً ان يمنع الطيارين ويدمر طائراتهم ظناً لان سلاح الجو لم يرد غائلة هجوم العدو عن البلدة . وصرح احد موظفي وزارة الذخيرة في ١٢ مارس سنة ١٩٢٢ ان العمال رفضوا العمل ليلاً الا اذا تعهد لهم باندارهم قبيل حدوث هجوم جوي ليلي انذاراً يمكنهم من التفرق

هذا في الحرب الماضية . اما في الحرب المقبلة فاسمع ما يقوله السر صموئيل هور . بلغ وزن القنابل التي القاها الالمان على هذه البلاد خلال الحرب الكبرى ثلاثمائة طن . ولكن اساطيل الجو الآن تستطيع ان تقذف هذا القدر من القنابل في اليوم الاول وان تمضي فيه على هذا المنوال الى ما شاء الله

وعلاوة على ذلك كانت القنابل التي كانت الاساطيل الجوية تلقيها من الجو في الحرب الكبرى تحتوي على مواد متفجرة . ولكنها اليوم تستطيع ان تلقي ثلاثة اصناف من القنابل ، اولها القنابل التي تحتوي على مواد متفجرة . وثانيها القنابل التي تحتوي على مواد مشتعلة ، وثالثها القنابل التي تحتوي على غازات حربية . فتستعمل القنابل من الصنف الاول في تدمير الجسور والمباني والمصانع ومحطات السكة الحديد ومحطات القوة الكهربائية . والقنابل التي من الصنف

التي تستعمل لاحداث حرائق كبيرة فقنبلة الترميت Thermite تولّد حرارة درجتها ٥٠٠٠ بميزان سنتغراد فتصهر الصلب وتخرق الفولاذ . ولا يبعد ان تنفجر أنابيب الغاز فتندفع ألسنة اللهب منها . ولا ريب في أن فرق المطافئ تعجز عن اطفاء هذه النيران لأن حرارتها تحول الماء في حين

والصنف الثالث من القنابل يحتوي على غازات الحرب (وقد اكتفينا بالاشارة الى هذه الغازات هنا لانّا وفيّنا الموضوع حقّهُ من البحث في المقتطف فليراجع القارئ مقال الدكتور شوشه بك « الغازات الحربية » في مقتطف نوفمبر ١٩٣٥ صفحة ٢٩٩ ومقال « الغاز الحربي السائل » في مقتطف مارس ١٩٣٦ صفحة ١٧٨

وقد اشار الكاتب الى غاز يدعى لوسيت Lewisite يقال انهُ اشدّ فعلاً من غاز الخردل وكلاهما يحدث حروقاً اذا اتصل بالبشرة ولكن الحروق التي يحدثها غاز اللوسيت سُمّيّة لانه يحتوي على مقدار من الزرنيخ وهو من العناصر التي تدخل في تركيبه، وقلما ينجو المصاب من هذا السم . ولا يمكن توقّيه الا بتغطية كل الظاهر من بشرة الانسان بغطاء واقٍ . ويكفي ما تحمله عشرون طائرة قادمة من قنابله لتسميم لندن وضواحيها ، اذا كانت احوال الجو ملائمة ومن حسن الحظ ، ان الاحوال قلّما تكون ملائمة كل الملاءمة . ولكن هلاك الناس به في المدن الكبيرة ، يظلّ مع ذلك عظيماً

فماذا عندنا من وسائل الوقاية ضدّ هذا الهجوم الجهنمي ؟

ليس في وسع الطائرات الحامية ان تتيح وقاية وافية لان الوقت بين الانذار ووصول طائرات العدوّ ووصولها وشروعها في القاء قنابلها قصير جداً . وقد ترغم المدافع المقاومة للطائرات المهاجمة على الارتفاع فلا تستطيع ان تسدّد قنابلها الى هدف معيّن ، ولكن كل شيء في المدينة الكبيرة يكاد يكون هدفاً ملائماً في هذه المدافع حماية للشعب . ولا تستطيع الانوار الكشافة الا في النادر ان تعيّن مواقع الطائرات المهاجمة . ولا سيما ان هذه الطائرات تستتر في الجو بسرعة عظيمة جداً ، واكتشافها في حقبة معيّنة لا يساعد كثيراً على الوقاية منها

وقد جاء في بيان اذاعتهُ وزارة الداخلية الانكليزية عنوانهُ « الاحتياطات للهجوم الجوي » (٩ يوليو ١٩٣٥) ان ضمان السلامة من هجوم جوي متعذر ، فالزيادة في سرعة الطائرات تجعل عمل الدفاع شاقاً ، وقدرتها على زيادة ما تحمله ، تمكّن طائرة واحدة افلتت من وسائل الدفاع ، من ان تحدث ضرراً بالغاً

وجاء في البيان بعد هذه المقدمة ان بناء ملاجئ واسعة النطاق تكون بمأمن من التعرّض لقنابل العدو غير عملي . . . واذا صرف النظر عن كل وجه من وجوه استعمالهِ كفى ان

تكون سقفه طاقة حتى لا يمكن الاضطلاع بها. ولكن حتى يمكن توقي الاخطار عامةً نصنع الملاجئ الواقية في الجو من الخشب والحجر والشظايا سقفه السترة ... ليس في هذا شيء من الغرابة !

****

... وقاية من الغارات بأساليب أخرى وفي بيان وزارة الداخلية ان الحكومة ستوزع منشورات تحتوي على ما يجب ان تعمله السكان لوقاية منازلهم من تسرب الغاز اليها . ولكن المهم في هذا الامر ليس توزيع التعليمات بل الاخذ بها والاخذ بها يقتضي معرفة وقدرة على الانفاق

وفي بيان وزارة الداخلية ، ان كمامات الغاز والملابس الواقية ستوزع على رجال المرافق العامة كرجال المطافيء والبوليس . حتى اذا استطاعت الحكومة ان توزع كمامات الغازات على جميع السكان — وهو عمل قد يكون متعذراً من الناحية الصناعية — فلا ريب في ان الاعداء سيحاولون استعمال غاز يخترق الكمامات . ومن المعلوم ان غازاً من الغازات المعروفة الآن يخترق ويحمل صاحب الكمامة على رفعها . ثم كيف تستطيع الامة ان تمضي في عملها اليومي ، وهي لابسة هذه الكمامات ؟ ثم كيف يستطيع الصغار والاطفال استعمالها ؟

لا ريب في ان البيانات الرسمية تحاول ان تخفف من وقع الخطر الذي يتعرض له الناس وفي ذلك يقول الكومدور تشارلتن « ثمة وسائل للدفاع على الارض متحركة وساكنة وهي على الاقل تمكن الشعوب من الاحتفاظ برباطة جأشها وتحول بينها وبين الذعر ، وتؤخر الساعة التي تذهب فيها الى طلب الصلح بأي ثمن . اما في الحرب من الجو ، فلا ريب في ان الغار سيدمر محطات السكك الحديد وارصفة الموانئ ومخازن الاسواق العامة ، والمواد المتفجرة ستدمر الجسور والارصفة ومحطات الطاقة المحركة والمواد المشتعلة — الثرميت — ستشعل في المدينة المبنية على الراجح حريقاً يفوق النار الكبيرة التي دمرت لندن تدميراً سنة ١٦٦٦

ويؤيده في ذلك الماجور ماي فيقول ، ان الخطة العسكرية المحتملة في المستقبلة ستتجه الى القاء قنابل المواد المتفجرة على المدن اولاً لحمل الناس على اللجوء الى الاقبية التي تحت الارض . ويلي ذلك قنابل ملأى بغاز اثقل من الهواء فيتغلغل الى الاقبية ويلبث فيها . وليس في المستطاع تجهيز ملايين من الكمامات لسكان جميع المدن في المناطق المعرضة لذلك

ويرى الجنرال فلر أن الغارات التي تستعمل في المستقبل ستكون مما يفقد لا مما يميت ، الاّ ان الجنرال جروفز يذهب الى ان الخوف والكره سيدفع الشعوب المتحاربة الى نوع من الجنون يتجه الى إهلاك الجماهير

وقد أعد في المانيا كتاب عنوانه « الحرب الكيميائية » اعده جيران من خبراء الغارات الحربية فجاء فيه ما يلي : ان الحرب المقبلة ستكون حرباً تنشر فيها الغازات بواسطة الطائرات

والمستشفيات ، وقد يضطر ان يعاودوا العمل بعد الغارة مع ان البحث يدور على تجهيزهم بكمامات ودروع واقية

أما الطيار الجنرال ... فكان اصرح في قوله عند تقدم ... قال في حروب المستقبل يوجه الهجوم ... أولاً الى عقد العصبية في مواصلات العدو ، والى المدن الكبيرة والمناطق التي تكثر فيها المصانع وحيث المستودعات الرئيسية للذخائر والماء والنار والعصب — ويكون الهدف الاول من الهجوم الاول ان يكون له اثر في جسم العدو والقاعدة ... مسافات بعيدة وراء الخطوط التي تراقبها الجيوش . كذلك تتعرض للدمار التام مناطق واسعة يقطنها الشعب ... ان الحرب ستصبح حرباً ... واسع النطاق للشعوب المتحاربة ، لا مظهر قتال بين جنود

وقد اقام الماجور ... وهو من اعظم ثقاة الانكليز في موضوع الغارات الجوية على تقدير وقاية الشعب من اخطار الغازات ... الكمامات . قال انه اذا سلم جدلاً بامكان اعداد العدد اللازم من الكمامات ، فالشعب يحتاج الى مراقبة واقية ، فهذا لا تعدى اقيه بسيره فما يمكن ان يكون ... والاطفال والشيوخ ... منها ثم ان الهجوم من الجو لا بد ان يوقع ... في الناس لان الحكومات ... الاسطول الجوي الذي يسوق ... الى الحرب ... الامور ... وليس في امكان الناس ان تكون كماماتهم في متناولهم في كل ساعة من ساعات النهار او الليل ويرى الدكتور ... رئيس معهد البيولوجية الكيميائية ... ان اعداد الابنية الواقية لتكون ... على النار ... لان قنابل المواد المحرقة ... المواد المشتعلة ... السطوح والجدران ... النار اليها

ومهما يكن من اثر هذه ... الواقية ... في تقليل عدد الهالكين ، فان ... يصيب الاهالي ... حياة البلاد الاقتصادية ... وما الفائدة من حماية الاعضاء عند اصابة الجهاز العصبي بالشلل !

***

يقول الفيلسوف برتراند رسل : ان تفكيري عند ما افكر في هذه الامور ، لا ... على لندن ، لان ما تتعرض له لندن تتعرض له كل مدينة كبيرة في ... القارتين الاميركيتين في مأمن من هذا الخطر الآن واتحاد روسيا السوفيتي كذلك . اما اميركا فلبعدها وانفصالها بمحيطين عظيمين عن سائر العالم ... روسيا فسعة اراضيها وانتشار سكانها يحولان دون انهيارها انهياراً تاماً على اثر هجوم جوي . ولكن باريس وبرلين وميلانو وجميع المناطق الصناعية في غرب اوربا معرضة لما تتعرض له لندن من هذا الخطر العظيم

التمثال

للمهندس علي محمود طه

الإنسان صانع الأمل، ينحت تمثاله من قلبه وروحه، ولا يزال عاكفاً عليه يبدع في تصويره وصقله متخيلاً فيه الحياة وسحرها وجمالها، ولكن الزمن يمضي ولا يزال تمثاله طيناً جامداً وحجراً أصم، حتى تخمد وقدة الشباب في دم الصانع العابد وتشعره السنون بالعجز والضعف فيفزع الى معبد أحلامه هاتفاً بتمثاله، ولكن التمثال لا يتحرك، ولكن الحلم الجميل لا يتحقق، وهكذا تجتاح الليالي ذلك المعبد وتعصف بالتمثال فيهوى حطاماً، وهنا يصرخ اليأس الانساني ويمضي القدر في عمله

أقبلَ الليلُ واتّخذتُ طريقي　　لكَ والنجمُ مؤنسي ورفيقي

وتوارى النهارُ خلفَ ستارٍ　　شفقيٍّ من الغمام رقيق

مدَّ طيرُ المساء فيهِ جناحاً　　كشراعٍ في لجّةٍ من عقيق

هو مثلي حيرانُ يضرب في الليـ　　ـلِ ويجتاز كلَّ وادٍ سحيق

عاد من رحلةِ الحياة كما عد　　تُ وكلٌّ لوكرهِ في طريق !!

***

أيّهذا التمثالُ ها أنذا جئـ　　ـتُ لألقاكَ في السكون العميق

حاملاً من غرائب البرِّ والبحـ　　ـرِ ومن كلِّ محدثٍ وعريق

وإذا صحتُ بين أعوادِ ... ـلاً وأمضي إليهِ عند الشروق
حشدتني ... في ظلمة الغروب المشوق
عائداً منهُ ... ساعةً ... ومشتاقاً لعودة المشوق !

* * *

صورةٌ أنتِ من بدائعَ شتّى ومثالٌ من كلِّ فنٍّ رشيق
بيدي هذه جُبلتِ من عطفي ومن رونق الشباب الأنيق
كلّما شمتُ بارقاً من خيالٍ صرتُ في إثرهِ أشقُّ طريقي
شهد النجمُ كم حدثتُ من الروعة عنهُ ومن صفاء البريق
شهد الطيرُ كم سكبتُ أغانيه على سمعيكِ سكبَ الرحيق
شهد الزهرُ كم حويتُ ثناياه وقرّبتُ كلَّ ... عبيق
شهد الكرمُ كم عصرتُ جناهُ وملأتُ الكؤوسَ من إبريقي
شهد الروضُ ما تركتُ من الآثار على معطف الربيع الوريق
شهد البحرُ ... من درٍّ جديرٍ بعنقكِ خليق
ولقد خيّرَ الطبيعةَ إنسا نٌ لها كلُّ لبقٍ وطروقِ
وانتحاها الصحبُ عليها كراهٍ أسيويٌّ أو صائدٌ إفريقي
أو إلهٍ مُجسّمٍ يتراءى في أساطير شاعرٍ إغريقي
قلتُ لا تنحني فما أنا إلّا شبحٌ لاحَ في الخفاء الوثيق
أنا يا أمُّ صانعُ الأملِ الضا حكِ في صورة الغد المرموق
منهُ صوغٌ لخالقٍ يشقُّ السقفَ ويسمو لكلّ معنىً دقيق

وتظّرتهُ حياةً فغشّاني دبيب الحياة في عروقي !!

كل يوم أقول في الغد لكن لست أبدو في غدٍ بالصديق

ضاع عمري وما بلغتُ طريقي وشكا القلبُ من عذابٍ وضيق

!!!!!

صدى يا صدى! دعا الليل الأ رعشة الصوت في انسراح الخفوق

زأرتْ حولك العواصفُ غضبا فهمه الرعدُ لا التماع البروق

لطمت في الدجى حواشيك الصمُّ ودقّت بكل سيلٍ دفوق

يا لتمثال الجبال الخرساء سارت الماء كالشهيد الغريق

لم أعُدْ ذلك القويّ فأحيـــــه سَطا الموت والبلاء الحقيق

لياليّ ليالٍ حنيتُ من الآ لام حتى حملتُ ما لم تطيق

فاطربي واشربي صُبابة كأسٍ خمرها سال من صميم عروقي!

!!!!!

من نورٌ لصحى على آدميٍّ مطرقٍ في احتلاجة المصعوق

في يديه حطامة الأملِ الغا ضب في ميتة الصبا الموموق

واجماً أطبق الأسى شفتيه غير صوتٍ عبّر الحياة طليق

صاح بالشمس لا برغم عذابي فاسكبي النار في دمي وأريقي

دونك المشتهاةُ أندى على القلـــب وأحنى من الفؤاد الشفيق

خذي الجسم حفنةً من رمادٍ وخذي الروح شعلةً من حريق

حسّ قلبي فلا يرى دمعةَ القلـــب على خنجر القضاء الرفيق !!

الادب والآلة

تأثير الادب في عصر الآلات
وتأثير الآلات في أساليب الادب

بين الادب والآلة صلة قديمة ترتد الى اختراع المطبعة في القرن الخامس عشر . كان الادب قبل ذلك التاريخ مقتصراً على جماعات يسيرة من الناس . فكلام الخطيب كان لا يسمع الا في دائرة ضيقة حول خشبة المنبر . وكان في مستطاع الشاعر او المؤرخ او العالم أن يؤلف كتباً ولكن نفقة نسخها كانت كبيرة فحالت دون ذيوعها . حتى المؤلف المسرحي ، وهو اديب يجمع بين القرّاء والسامع ، كان لا يفوز الا بجمهور يسير من المعجبين اذا قيس بمسرحيّ اليوم

الأ اما في القرن العشرين فعندنا لا نحسب المطبعة آخر المخترعات التي لها صلة وثيقة بالادب من حيث توسيعها لنطاقه . لان هناك وسائل اخرى استحدثها العلم . فاذا كتب برنارد شو كتاباً الى محرر صحيفة كبيرة في لندن ، ينطوي على رأي ألمعي او نقد لاذع ، نقلت كلماته كلها كلمة كلمة بالبرق الى نيويورك فتنشر في سلسلة متصلة الحلقات من صحفها يطالعها الوف الالوف . فالبرق يوسع نطاق الادب . والاذاعة اللاسلكية تكمل هذا العمل . ولو انه كان في الامكان اقناع برنارد شو مثلاً ان يقف خطيباً في لندن امام مذياع لامكن ان يسمعه جمهور من الاميركيين والانكليز لا يقل عدده عن مائة مليون

كان على سقراط ان يكتفي بطائفة يسيرة تحاوره ويحاورهم في الاجورا ، وعلى قيقرون ان يسمع بعضه من شيوخ روما في مجلس شيوخها . ولكن المحاورات اللاسلكية تدور الآن بين ادباء يقيمون في مدن متباعدة ، وخطباء الامم من أمثال روزفلت وهتلر وموسوليني وبلدوين يخطبون فيصغي اليهم العالم قاطبة . ولو عاش سقراط ، أو قيقرون الف سنة ، لما سمعهما في حياتهما عدد من الناس ، يقارب من يسمع شو أو هتلر أو روزفلت في ساعة واحدة

نسلم بأن عدد الجمهور المستمع للخطيب لا يعلي من شأن الجمهور وان الجمهور المستمع مثقفاً كان او غير مثقف ، كبيراً او صغيراً ، لا يجعل من كلام الأديب او الخطيب فناً . ولكن

الأدب في عصر الآلة لا يمكن ان يبحث على أوفى وجه الا من حيث ارتباطه بالآلات التي خلقت للادب مجالاً جديداً وأشكالاً مستحدثة . ومن المؤكد ان لاستخدامها قيمة كبيرة ، على ان هذه الوظائف وهذه الاشكال دخيلة على الادب وانها لم تغير شيئاً من قواعد الابداع . فالشعر لا يزال شعراً ، والدرامة لا تزال درامة ، والقصص لا يزال قصصاً ، والموضوعات الرئيسية التي يعالجها الادب لا تزال الموضوعات التي كان يعالجها من قرون وقرون . ولكن شأن الادب في الحضارة قد تغير منذ اخترعت المطبعة ، ولا بد ان يمضي في تغيره متأثراً بكل أداة جديدة يبدعها العلم ويلقيها على باب الكاتب ، فتكون صلة جديدة بينه وبين القارئ .

وقد يقال ان الاذاعة اللاسلكية التي تنقل صوت المذيع الى آذان السامعين لا صلة لها بالادب ، لان ما يقال لم يدون ، وانما تمددت ذبذباته مع امواج الهواء والاثير . ولكن ليعد القارئ بالذاكرة الى العصور القديمة ، عندما كان الادب ، ولا سيما الشعر ينتقل بالرواية من جيل الى جيل ومن عصر الى عصر . ولنتصور مثلاً شاعراً كفرنسوى ڤيون ينشد بباريس . فقد كان ڤيون يقرأ اناشيده لصحبه في خمارة من الخمارات ، وكان يسمح لهم ان يدونوها اذا شاؤا والمرجح ان شيئاً منها لم يطبع الا بعد حينه ، او بعد وفاته . اي ان الجمهور الكبير الذي قرأ ڤيون قرأه بعد ما عدا من انشده عليه ان يرقه . ولو ان شاعراً كڤيون وقف امام المذيع في هذا العصر وقرأ اشعاره فنقلتها الامواج السحرية الى الوف الالوف ، ثم تدون في اقراص الحاكي فيستعيدها كل من يأنس من نفسه رغبة في سماع صوته . فلكل من للاذاعة واقراص الحاكي مكانة وأية مكانة ، في نشر قصيدة من القصائد تطرب لها النفوس او تجرحها . قد يعرف الجمهور بعد شهر عن هذه القصيدة بعدل على اخرى تليها من شاعر آخر . وقد تطوى هذه القصيدة او تلك بعد سنة في زوايا النسيان ، ولكن ذلك لا يهم . لان الآلة تكون ، قد اطالت من عمرها ووسعت من نطاق تأثيرها . وهو ما لم يكن ڤيون ولا غير ڤيون من شعراء العصور القديمة يطمع فيه . وكذلك يكون الادب قد أثر على وجه ما في عصر الآلة تأثيراً كان مستحيلاً على الادب قبل عصر الآلة

بين قراءة ڤيون لاشعاره في خمارة بباريس ، وقراءة ڤيون الموهوم لاشعاره امام المذيع تطور عظيم الشأن ، ترتد اوسع خطواته الى المطبعة . والمطبعة تمكن ، تمكين الادب من تعديد النسخ التي تنشر من كتاباته . ولكن هذا التعديد افضى الى اشياء اخرى . ذلك ان ندرة الكتب لفداحة ثمنها كما كانت قبل عهد المطبعة ، حتمت ان تكون في متناول قلة من الناس اي ان قليلاً من الناس كان يأنس من نفسه باعثاً على العناية بفن القراءة ليعرفه . فلما كثرت النسخ ، بعدها بدلا من نسخها ، حركت في الجماهير الناشئة بها ، كما تخلق صناعة جديدة رغبة في شرائها

فقد كثرت الكتب [illegible] كثرة [illegible] كثرت الكتب. وما كاد القرن السابع عشر يبلغ [illegible] حتى كانت كثرة [illegible] من الأدب [illegible]. وفي مستهل القرن الثامن عشر كان من [illegible] مؤلفاً [illegible] يعثر عليه نشر مؤلفاته. ولما كان القرن التاسع عشر [illegible] تمام الطفولة، وصارت تماس الأدب. وفي مطلع القرن العشرين [illegible] صفحات [illegible]، واتسع نطاق الأدب [illegible] وفروعه، حتى [illegible] الأدب في [illegible] جزيرة صغيرة في محيط [illegible] من [illegible] الثلث [illegible] القرن العشرين [illegible] الأدب الى [illegible] الوسائل التي تؤثر في حواس [illegible] النظر [illegible] بواسطة [illegible] والصور المتحركة في الدرامة وثمة صفحات المصورة في الصحافة [illegible] أن الأدب قد [illegible]، وان الناس بفضل الوسائل الميكانيكية [illegible] في عرض [illegible] الفكر [illegible] ووقائع الحياة عليهم [illegible] القهقرى الى عصر [illegible] عليهم [illegible] الخروج من [illegible]

وليس يهمنا هنا [illegible] هؤلاء [illegible] من [illegible] الآلة في الأدب [illegible] المقام الأول كان من [illegible] الآلة في الأدب [illegible] بوجه عام [illegible] فرع منه أو جزء من فرع. حتى [illegible] في دولة الأدب [illegible] في دولة الاجتماع طبقات وطبقات [illegible] الصحافة [illegible] الاثنين نوعاً من [illegible] والصراع [illegible] الأدب وكذلك العلم [illegible] كثير من المؤلفات التاريخية [illegible] كانت [illegible] المسكال للصور المتحركة

فالأدب في عالم يكاد يكون فيه كل انسان قارئاً [illegible] لا [illegible] الا على نطاق محدود [illegible] وفقاً [illegible] طبقة [illegible] ناس [illegible] معينة. وليس هذا [illegible] من قبيل [illegible]، ولكنه [illegible] حقيقة [illegible]. وهي ان جميع الوسائل التي تشجع الكتاب على الكتابة، وتعينهم على ذيوع أسمائهم، لا نستطيع ان [illegible] الموضوعين [illegible] بين الكتاب [illegible] بابتداع هذه الوسائل والأدب. [illegible] المحصور لا يزال نادراً ولكن الطلب الكثير على كتب الأدب [illegible] ولا ريب الى كثرة المتوسط منها او ما هو دون المتوسط

ولو ان المطابع حصرت عملها في طبع الآيات الأدبية فقط، لاجتنب [illegible] من هذه الشرور [illegible] ولكن دون [illegible] من هذا [illegible] عقبات كبيرة. فالناشرون لا يدركون دائماً قيمة الآثار الأدبية التي تعرض عليهم للنشر، وعلاوة على ذلك لجمهور القراء مطالب تغري بنشر كتب تؤدي اغراضاً خاصة لا يؤديها الأدب [illegible]. فكتب الملخصات لحقائق العلوم والمعارف

سامة وكتب التسلية وما كان من قبيل ذلك مما لا [illegible] ليومه [illegible] من [illegible] للناشرين [illegible] وبيت هذه [illegible] عصر الآلة [illegible] الناشرين في عصر الآلة، وجدوا [illegible] ان ملاحاً [illegible] في العصور القديمة [illegible] في [illegible] عن مرض [illegible] قطعة [illegible] في [illegible] حدث في أقرب مدينة [illegible] الملاح الأمريكي [illegible] يقرأ الآن نشرات الحكومة الخاصة بوقاية الفلاحين من مرض [illegible]، ويطالع رواية ويقرأ جريدة، فيشبع من الميول التي كان يشبعها الملاح [illegible] على طريقته [illegible] — وليس من فرق بين الاثنين إلا المطبعة

على أن البحث في الأدب يجري [illegible] عادة [illegible] للتعرض لكل ما كان دون الأدب الحسن وحصره في الأدب الذي تكمل فيه [illegible] ويرجى له الخلود. ولكن بحثاً من هذا القبيل [illegible] اتساعاً [illegible] جميع عناصر البحث لأن كلمة «ليتراتور» وهي التي نترجمها عادة بلفظ الأدب هي كل ما يكتب ليقرأ [illegible] الأدب [illegible] ووسيلة لتمكين الفكر الإنساني من بلوغ مدى لا يبلغه إذا اكتفى الإنسان بالنطق. ثم كيف السبيل إلى التفريق الحاسم بين [illegible] أدبية، هي من الآيات الخالدة على الدهر، والمؤلفات التي تروج مدة طويلة أو قصيرة ثم يطويها النسيان. فرواية دون كيشوت كتبت لتكون صورة «كاريكاتورية» من روايات كانت رائجة في ذلك العصر. وقصة روبنصن كروزو كانت احدى الكتب الكثيرة التي ألفت في ذلك العهد في وصف الرحالين [illegible] والمسافرين الذين [illegible] سفنهم على شواطئ جزائر نائية غير آهلة بالناس. وليس بين تلك الكتب الآن — إذا استثنينا روبنصن كروزو — ما يحفل به أحد إلا أصحاب غرض خاص في البحث. ولا يستطيع أحد من النقاد أن يقول إن سرفانتس مؤلف دون كيشوت وديفو مؤلف روبنصن كروزو، أقبلا على كتابة مؤلفيهما وهما يقصدان [illegible] أن يسما كتابيهما بسمة الفن والخلود. ولكنهما كانا كاتبين عبقريين، فظهر كتاباهما على الكتب التي [illegible] والتي جريا على غرارها. والأرجح أنهما لم يدركا أنهما يقومان بعمل يعجز معاصروهما عن القيام به. فكان الحكم للزمن. والزمن هو الغربال الأخير، يغربل الكتب التي تؤلف ولا يستبقي إلا النادر منها. على أن الأدب عمل متصل ولا يمكن أن يفهم إلا بالمقابلة بين الكتب التي يكتب لها الخلود والكتب الأخرى التي لا يدوم نجاحها إلا بين ليلة وضحاها من ليالي الزمن وضحاه.

وليس أدل على تأثير المطبعة في المطبوعات من دراسة تأثيرها في القصة لأن القصة في عصر الآلة، هي أبرز الأساليب الكتابية وأوسعها انتشاراً وأكثرها رواجاً. فلولا المطبعة لما أدركت القصة على أشد تقدير ما أدركته الآن من الذيوع. ومع أن القصة كأسلوب من أساليب الأدب اخترعت قبل عهد المطبعة، إلا أنها لو اعتمدت على جهد النساخ في إخراج نسخ متعددة

من قصة واحدة ... الذيوع الذي أدركته عن طريق ... حتى بعد اختراع المطبعة ، كان لا بد من انقضاء ثلاثة قرون قبل ان تتم ... دون الآلة ... الرواية ولا تزال أوسع ... الادب انتشاراً ولكن ... في جميع الصفات التي ... ان تحتوي عليها أسلوب الادب ... قبل نشوء طبقة كبيرة من القراء ... في ... والقصة هي الآلة التي ... هذه الطبقة ... وقد ... عهد كان للقصة خصوم كثيرون حسبها خصومها نوعاً من التسلية غير المفيدة . وكان الرأي عندهم ان القراءة يجب ان تنحصر في ... بعيد . ولكنهم تحولوا عن هذا الحصر لان القصة التي ... طبقة من الناس ... عن ... وكذلك زاد ... القصة ... وكذلك تسنى للقصة في القرن التاسع عشر ان تبز جميع الاساليب الادبية في تقدمها وتطورها ... في تقدمها ، ... شكلها ... القصصية . لان ... اسهل في القراءة من الشعر ، ... لانه اسهل عليك ان تبحث في ... كتاب من الشعر بعد ... ميل من ... عشرين ميلاً ... مشاهدة دراسة ... وكذلك اصبحت القصة مدرسة للسلوك ، ومصدراً للمعرفة ، ومعلماً للتاريخ ، ومسرحاً مصغراً للحياة ... احكمت الصلة بين جمهور الناس والادب ، بل فاقت جميع اساليب الادب الاخرى في ذلك ... في ميدان الادب لعصر الآلة

اما الرواية المسرحية ، وهي اسلوب ادبي اقدم من القصة ، فقد خضعت كذلك لتأثير الآلة . فالمسرحيات الاغريقية واللاتينية ، وكذلك مسرحيات شكسبير وموليير ، كانت تخرج بالايدي ، علاوة على نسخها نسخاً ... يكتشف الانسان الوسائل الحديثة لاضاءة المسارح وتغيير المشاهد ورفع الستار وخفضه الا في القرن التاسع عشر ، فتحول هذا الجانب من المسرح الى عمل ميكانيكي محض ، او يكاد يكون كذلك . وقد ... كل ذلك في ... من اسلوب المسرحيات في الكتابة والاخراج ، ولكن المسرحيات لا تزال ... المسرحيات والممثلون ... ، وبرنارد شو اقرب من هذا ... الى يوريبيدس من تولستوي الى هوميروس . الا ان الجديد حقيقة في الادب المسرحي في عصر الآلة ، هو الصور المتحركة فمقام الصورة الصوتية في الادب المسرحي كمقام المطبعة في ادب القصة وغيرها من المؤلفات ... تمكن الناس من اخراج نسخ متعددة من مسرحية واحدة تمثيلة . فالمسرحية عندما تمثل على مسرح لا يمكن ان تتعدى عدد النظارة الذين يشاهدونها في وقت ما ولكن المسرحية التي تمثل وتصور في خلال تمثيلها على شريط ... ، يمكن ان تصنع ... نسخاً متعددة فلا تمضي اسابيع على توزيع الشريط حتى يعرض في جميع انحاء العالم . واللغة لا تحول دون هذا الانتشار . قبل الصور المتحركة الناطقة كان يعتمد على ان التمثيل الصامت لغة عالمية . وقد نشوء الصور المتحركة الناطقة اخترعت

[illegible] كلام [illegible] لا [illegible] التي يعرض فيها الشريط . ولعل في اسم [illegible] أسلوب لا يمكن ان يكون [illegible] كيف [illegible] من الصور من [illegible] من [illegible] من ان يختار [illegible] على [illegible] الارض [illegible] على قمة جبل [illegible] في [illegible] [illegible] محلة في [illegible] او في شوارع مدينة كبيرة [illegible] ثم تصور ارسم ما [illegible] [illegible] لا يكاد [illegible] ثم ان مجال التمثيل أوسع مما [illegible] مسرح كبير في [illegible] ولما كانت صور [illegible] والممثلين تصوّر في معزل عن الناس [illegible] وكذلك لا يعرض [illegible] الا [illegible] الممثلون على [illegible] والفرح والترح ، وقلة النظارة وكثرتهم.

الا ان الصور المتحركة [illegible] ولذلك يفضل منتجوها ان تكون [illegible] وان يكون [illegible] الكثرة [illegible] في [illegible] عادية لا ابداع فيها . ويمثلونها من [illegible] محددة ومعروفة ، وموضوعاتها مبتذلة . ذلك ان الآلات تجيد التصوير ولا تجيد [illegible]

وقد لا تكون [illegible] للصحافة من [illegible] ، ولكنها على كل حال من [illegible] أوسع [illegible] قد تأثرت الى ابعد مدى بالآلات [illegible] في الاطلاع على الاخبار [illegible] ، ولكن مدى [illegible] لم تعرف على حقيقتها حتى ظهرت [illegible] الآلات التي تصنع الورق ، في ساعات كبيرة ، الى المطابع [illegible] الحروف ، الى وسائل [illegible] الحديث في نقل الانباء والصور على اختلافها [illegible] الباحثون في هل تصنع [illegible] او هل تصنع الجريدة الانباء . ولكن [illegible] يشر في الصحف من الانباء ، لا تحدث [illegible] حوادث على جانب [illegible] الثأن تكفي لملء جريدة من جرائد اميركا او اوربا الكبيرة . ولكن الآلات التي اخترعت واتقنت لجمع الاخبار وتنضيد حروفها وطبعها ، لا يمكن ان تبقى ساكنة ، واذن فلا بد من نشر كل ما يتيسر جمعه من الانباء [illegible] ما بلغت من التفاهة [illegible] الواقع ان الصحف التي يقرؤها [illegible] الالوف من الناس [illegible] مضطرة الى نشر جميع الانباء الخطيرة والتافهة ، حتى يتيسر لكل قارىء من قرائها ان يجد فيها ما يهمه أو يلذ له

وهذا ينشر بعض الصحف الكبيرة في [illegible] من كل عدد من الصحيفة ان يكون قرأته يوماً واحداً ، فالآلة تكتب [illegible] حيث [illegible] مستحق من الاطلاع عليها بسرعة [illegible] تكتب بسرعة [illegible] بسرعة ، فلولا الآلات ما كانت الصحف الحديثة [illegible] الصحف . ومع ذلك يسعنا ان نقول ان كلها أثر من [illegible] صورة [illegible] كالصورة التي ترسمها الطبعة الاحدية من جريدة [illegible] مثلاً [illegible] الاميركية

قد يعترض معترض على سياق هذا البحث [illegible] الادبية في العهد الاخير ، من حيث تأثرها بالآلة [illegible] شيئاً من [illegible] الادب . في القرون التي انقضت بين اختراع المطبعة [illegible] هذا الاعتراض ، ان المطابع لم تنل مقاماً عالياً في الحضارة الغربية ، حتى ظهر [illegible] كبيرة من القرن [illegible] كان لا بد ان تصبح المطالعة عادة لا غنى عنها [illegible] وذلك منذ المطبعة من الكتابات الى [illegible] ذلك [illegible] ان الاشاعات أصبحت تسرع [illegible] الارض [illegible] تمضي شهوراً حتى تنتقل من بلد الى بلد بالرواية [illegible] في جميع الاقطار كل يوم . [illegible] عن ذلك توسيع نطاق التأثير [illegible] في الامكان اليوم ان تثير قارة بأسرها ، كما [illegible] في العصور القديمة [illegible] في الامكان ان تصنع نطاقاً بين بيئة وصحافها ، وان تنظم [illegible] . وحرباً عصيبة في شهر ! ان الحضارة الغربية — [illegible] والصحافة الحديثة — [illegible] يكون بمشاهد جالس في مسرح [illegible] كتاب [illegible] صفحاته [illegible] نفسها

يكاد يستوي على [illegible] . [illegible] شعور غريب [illegible] الادب في عصر الآلة هو التبديد . تبديد في الجهد وتبديد في الوقت وتبديد في المال . الوف من الكتب تكتب وتطبع ثم تطوى وتنسى . ومئات الخزائن على رفوفها الوف من مجلدات لم تفتح . والوف الالوف من الصفحات تخرجها مطابع الصحف والمجلات ثم تذروها الرياح . ان الآلة التي مكّنت الصلة بين الجمهور والكتّاب ومكّنت ظهور المؤلفات الادبية وعدّدت نسخها ، حشدت كذلك منها ما لا قبل لعقل به ، فيقرأ ما يقرؤه منها ثم ينساها [illegible] صورة قاتمة ! ولكن الانسان تعلّم ان يسير في شوارع تعج بالمارة والمركبات متحامياً جميع الاخطار ، أفليس في وسعه اذا اصاب نصيباً من الثقافة الصحيحة ، ان يجتنب كذلك الانصراف تحت سيل الادب المتدفق ، فلا يقرأ منه الا الآيات المختارة ؟ وبعد فليس ثمة ريب في ان بين آلاف الكتب التي تخرجها المطابع كل سنة بضع آيات . . . !

المصور محمود سعيد

من وحي الأسبوع

حليم متري

« إن « سعيد » مصوّر مصري [illegible] في هذه الكلمة من معنى ولبس »
« فهو مصري لا لأنه [illegible] ولا لأنه يستقل »
« عن [illegible] ولا لأنه أبرز مناظر حرة تصوّر »
« في [illegible] ولا [illegible] »
« و [illegible] كان [illegible] من لون السماء والنهر وما يبعث »
« منه من حرارة و [illegible] ذبالة الضياء الذائب في »
« أعماق النهر [illegible] أو [illegible] أشعرك »
« بأن هذا النهر [illegible] دون أن يلجأ إلى إضافة منظر »
« شيخ [illegible] أو عادة محلية » أحمد راسم

**

يحدث في بعض الأحيان أن تقف جماعة من الناس أمام أثر فني فيستولي عليها الخشوع ويسودها ذوق واحد وشعور واحد وإن بلغ استقلال فكر بعضهم ما بلغ. وهذا ما تستطيع أن تتبينه عند المثول أمام رسوم المصوّر الفنان « محمود سعيد » فالناظر إلى لوحاته يتبيّن أثر الوحي من خلاله الذي تفيض به مشارع [illegible] أو [illegible] أو الدقة. وقد أستعير هذا التشبيه [illegible] فأثبت أن المصوّر المصري [illegible] بين نفسه شخصان: شخص يشعر ويعطف ويصور وشخص [illegible] ويحدد ما يخرجه في الصورة الفنية التي هو بها خبير.

ونفس محمود سعيد دائمًا حياته بهذه العواطف المتباينة. وهي النفس الفنية — إن صحّ هذا التعبير — التي تهتز للشعور المعنوي بفكرة طارئة أو خيال قوي، لا يلوح مما حولها من ألوان ومناظر. فإذا تبيّنت صور « ذات الثوب الوردي » أو « حياة » أو « الجميلات الثلاث »

لا [illegible] [illegible]

[illegible] « [illegible] » [illegible] في [illegible]

المعاني المقصودة . أو التعبير [illegible]

الفكر وإطلاق الخيال ومنه تستطيع ان [illegible]

وهي « روح » الفنان في [illegible]

[illegible]

والوحي [illegible]

« سعيد » [illegible]

الفنية [illegible] الذي

[illegible]

[illegible] الثورة [illegible]

إلى الشاعر [illegible]

[illegible]

التحويد والخلق في [illegible]

[illegible]

المكدود ، وهو يتناول الرسوم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الوقية [illegible] الآثار [illegible]

لأن دافعهم النفسي لا يماس عليه

اذا [illegible]

[illegible] تمثل في وجهها [illegible]

[illegible]

[illegible]

الحمام اذا [illegible] ان تقرر في [illegible]

بأنه لا يعتمد على [illegible]

وكما [illegible] لأن الفكرة الفنية التي يعرض لها

وبتعبير [illegible] هي الفكرة التي تتمثل في خيال الفنان هي نفس الفكرة التي تتمثل في خيال الرائي [illegible] فأن في اوجه صورة رائعة من صور الحياة بل هو مجمع في حيز [illegible] بل في كثير من [illegible] المعاني والتقاسيم والالوان ما تعجز به الحياة على الكثير من [illegible] الاجسام ولعل الفن يستطيع في [illegible] ان يصل الى [illegible] الحرية — في اوسع معانيها من في دقة [illegible] التي يصيبه في عالم الحقيقة . ولعل الحرية التي تظهرها القيود وتحدث عنها الضرورات هي سر الفن بل هي سر الجمال

يستلهم المصور باعتباره من الفنون الجميلة وحيه من مصدرين « الطبيعة والمرأة » والطبيعة لا تعطي [illegible] نفسها ولا يفتض رجل الفن كل اسرارها [illegible] المرأة [illegible] ولقد أطلقوا على الطبيعة التي لا تمت المرأة اليها وحي الجمال الطبيعة الصامتة ولا يزال الفن المصري الرفيع [illegible] من وحي المرأة [illegible] ونستطيع ان نستعرض ما [illegible] المصورين المصريين فلا نرى للمرأة فيه الا اثراً قليلاً وتلك لا نرى فيه اثراً قط للمرأة [illegible] وهو بعد لم [illegible] وحي المرأة بعد [illegible] الذي نلمحه في الفن الاوربي منذ نهضته في القرن الخامس عشر والسادس عشر حين كانت المرأة مصدر الوحي في العصور الذهبية كما [illegible] بعد ذلك مصدر الوحي في اطوار الفن جميعاً

ويلوح لي ان « سعيداً » أوحت اليه المرأة بالكثير من المعاني التي تركت في نفسه اثراً بليغاً وهو يعمد الى « التحوير »(1) باعتباره من العناصر الضرورية في العمل الفني [illegible] التحوير للتعبير عن مجرد شعور نفسي او فكرة كامنة او معنى من المعاني المبهمة ولعل [illegible] « محمود سعيد » لا تخلو في [illegible] من هذا التحوير وهنا [illegible] ان ندرك تلك الصلة الوثيقة بين [illegible] النفسية للفنان وبين الدوافع والرغبات التي تحفزه لاخراج صورة من الصور التي تتركز معانيها في عقله الباطن حتى يتسنى له ابراز « المعنى » الذي يحدده « الفن » [illegible] « محمود سعيد » [illegible] ينقلك من عالم المادة الذي ألفته والذي تتشابه فيه « القيم » الى عالم جديد يخلقه الفنان [illegible] ويلهب به خيال الرائي . ولعل « عدم الاتساق » بعض ما تثمر به من هذه الفلسفة الجديدة التي اوجدها « سعيد » وآيتها ان كل شيء [illegible] فيه عنصر غير متسق هو أحرى بأن يدل على الشكل دلالة قاطعة ودونك لوحة « المرأة ذات الخصلات الذهبية » فهي من غير شك لا تمت الا الى المرأة باعتبارها « جنساً » لا باعتبارها مخلوقة معينة أو سيدة من بنات حواء وانما هي تلك الفكرة المبهمة التي تظلل تفكير المصور فيأخذ في تحوير أجزائها مصيباً بها الغاية كلها ولعله أراد ان يظهر صفة من هذه الصفات [illegible] الرقيقة كما ظهر

(1) المقصود بالتحوير هنا التعديلات التي تدخل في الصورة عن حقيقتها [illegible] شيء من التشويه

[illegible] « ميكل انجلو » عند ما [illegible] معه لا [illegible] الوصول الى معاني الجلال والروعة والقوة ومع [illegible] هذه الصورة الرمزية في [illegible] « الشحن الفكري » للمصور لوصفه بمحور في عداد « التعبيريين » [illegible] كما [illegible] في تصوير ملامح الوجه من أعماق العواطف عليه ومع [illegible] الجو الخاص بالصورة في صورة [illegible]

واني لأثبت في هذا المقام رأي الاستاذ الشاعر الفنان أحمد راسم في كتابه عن « محمود سعيد » فقد قال « ولقد أبدع أيضاً في تصوير تلك القسوة التي ترى عيون بعض العذارى حين يصطرم [illegible] شهوات عامرة لا تشبع [illegible] تلك المرأة التي كانت في حديقة أشبه ما تكون [illegible] شرود [illegible] ملامح [illegible] على معقبها [illegible] الأشجار [illegible] والسماء في [illegible] ينحدر منها لعاب الشمس [illegible] ورقه ورق الازهار في الصبح وكان لهذا المصور أزهاراً أخضر [illegible] أوراق ندية »

ولقد تلمح هذه [illegible] التي [illegible] في [illegible] سعيد [illegible] صوره للاشخاص فهو [illegible] تمثيلاً صادقاً [illegible] عن عواطفهم [illegible] الذي يدرس النفس « ويشخصها [illegible] » [illegible] في [illegible] وجه [illegible] الطائفة من المصورين لشخصيين الذين ظهروا [illegible] في [illegible] القرن [illegible] عشر [illegible] مصوري الشخصيات وعلى رأسهم [illegible] « [illegible] » ولورنس وغيرهم وكم أرى ذلك الشبه [illegible] صورة « [illegible] الثوب الوردي » لمحمود سعيد وبين صورة « الصغير [illegible] » وهي التحفة [illegible] العظيمة لرمبرندت رغم ما فيها من [illegible] ولقد امتازت صورة « [illegible] » [illegible] بما فيها من قدرة عظيمة في تصوير الرجولة ووقارها [illegible] واحد [illegible] في صورة « أحد الابناء » لمحمود سعيد فهي مثل أعلى في قوة الاداء والتمثيل . [illegible] « [illegible] سعيد » [illegible] بنات تتحدث عن [illegible] المصور وأفكاره بل هي تمثل شخصيته تمثيلاً [illegible] الاستاذ الكبير راسم « لا تستطيع ان تنسبها الى غيره من أصحاب [illegible] وتذكر [illegible] مصرياً لاشتماله على المناظر التي [illegible] لمصر [illegible] كان [illegible] عما [illegible] من لون السماء والنهر [illegible] حرارة وقوة [illegible] على [illegible] الضياء [illegible] في أعماق النهر والسماء وهاتان الخاصتان هما وحدهما اللتان [illegible] « سعيد من [illegible] في [illegible] لوحاته [illegible] » فاذا ما أبرز لك سعيد على لوحة نهراً أو سماء [illegible] هذا النهر [illegible] السماء هما في مصر حقاً دون ان يلجأ الى اضافة منظر شيخ معمم أو عادة [illegible] للمنظر طابعه المحلي »

[illegible] « محمود سعيد » [illegible] المشاعر وتأكد الناحية الروحية في فنه وهو بهذا يدل المشاهد على المناحي الخاصة التي يستقر فيها خيال « الموضوع » ان كان انساناً او نهراً أو منزلاً أو مقبرة

وهو يكاد يصل [illegible] شكل [illegible] الألوان التي تتفق و[illegible]
انه يستجمع هذه الألوان التي [illegible] من [illegible] هو الطبيعي « الموضوع » حتى اذا
تم له ذلك [illegible] الفكرة من [illegible] الا صورة مختصرة من [illegible] الحياة
وروعتها [illegible] لا يبعث الى [illegible] الاعراب [illegible] عن اثارة [illegible] والا [illegible] القصة
بحق يخرج عن طبيعة الشعور او [illegible] الصادق [illegible] ولا تكاد من اصحاب مذهب [illegible]

يحتج الفيلسوف ديوي « [illegible] » [illegible] عنده عن « الموضوع والمادة »
[illegible] في كتابه « الفن كاختبار » [illegible] كانت موضوعات الفن تصويرية —
[illegible] او [illegible] فهي [illegible] موضوعة لناحية [illegible] في التعبير
[illegible] موسيقية [illegible] من [illegible] بما تحسه عامة في اية لغة »

ولعل خير ما يشبه [illegible] محمود سعيد [illegible] هذه الناحية التي [illegible] الاستاذ احمد
راسم [illegible] « ومن اجمل هذا النوع من التصوير صورة [illegible] على « [illegible] » [illegible]
[illegible] شيئاً جديداً وروعة [illegible] [illegible] وهما الشيئان اللذان [illegible]
الصورة [illegible] ورنين وعميق [illegible] لا [illegible] دام [illegible] تعطر [illegible]
[illegible] سعيد في هذه الصورة [illegible] جديدة [illegible] دون [illegible]
[illegible] الواقع [illegible] الى ان [illegible] على [illegible] صورة
[illegible] شكل [illegible] صورة [illegible] ووجدها [illegible]
في خلال الصورة [illegible] في [illegible] وفي [illegible] شكل
[illegible] ايضاً [illegible]
موسيقي [illegible] في [illegible] التي تعطي الصورة [illegible]
وذلك السحر الذي يعرق [illegible] »

ولقد [illegible] سعيد في عملية التأليف كما [illegible] في وضع الألوان [illegible] الحقيقية وهي بعض
الميزات التي تميز [illegible] وهكذا يكلف سعيد بتخليد المناظر الطبيعية
وهو في هذا كالمصورين السابقين في كل جيل [illegible] من مراتب الفن ما بلغوا حتى استعانوا
بالطبيعة [illegible] من محاسنها تلك الروعة وذلك الجلال المقدس [illegible] « قوة »
الا من نال من الطبيعة المدد الاعظم . يقول العالم السيكولوجي « الفريد ادلر Adler » ان العبقرية
ثمرة « مركب النقص » ويعني بذلك ان العبقريين يحسون بموطن ضعف فيهم فيتجهون الى
[illegible] والتغلب عليه [illegible] في ناحية من النواحي . والامثلة وإن كانت لكثرتها تؤيد هذا
الزعم الا أن « مركب النقص » وحده قد لا يكون سبيلاً للعبقرية اذا ما نظرنا الى الكفايات

الآخرين [illegible] والمعجبات [illegible] على أنه من الناس أن [illegible]
[illegible] الأسباب الى هذا [illegible] في [illegible]
ذلك [illegible] أحسبه [illegible] محمود سعيد [illegible]
[illegible] أربعة [illegible] الفنان [illegible]
[illegible] امرأة

[illegible] لا سبيل الى [illegible] وقد وصل الى [illegible]
استقلاله [illegible] حتى [illegible] تتلمس روحه وطابعه في الأثر الفني دون غيره من [illegible]
هذا الفن [illegible] مظهر من مظاهر التجديد للوصول الى المثل [illegible]

[illegible] الى « محاولات » محمود سعيد وفي مصايرنا تلك الخواطر التي [illegible]
الاحساس [illegible] العنف والغدر [illegible] الى ذكريات عديدة [illegible]
المختلفة التي [illegible] الابدية [illegible] هذا وأساسه الفهم الصحيح والتعبير الصادق

[illegible] الشرق الأكبر والمصور العالمي « جبران خليل جبران » [illegible]
بل الحكمة [illegible] رفعها الأدب الى الفن [illegible]
نحو الأبدية [illegible] دائماً [illegible] والوحي لا [illegible] لا [illegible] »
فهل لي أن [illegible] هذا [illegible] الفني الذي أقامه « محمود سعيد » [illegible]
هذا الفنان [illegible] من [illegible] الكبيرة ليبعث على الناس وكأن الطبيعة [illegible]
الفنانين [illegible] كما [illegible] العربية من [illegible] الفائقة [illegible]
الخاص في [illegible] وان كان المصدر واحداً

[illegible] صفحة من أرقى صفحات الفن خدمة القومية المصرية [illegible]
[illegible] ربع قرن التي [illegible] عنت النقاد [illegible] الكثير على انه [illegible] الى
ان [illegible] الى [illegible] ما يستقل به من طرائق فنية خاصة تضعه جنباً الى جنب مع
قادة الفن الأوربي الحديث

[illegible] لأختم هذا البحث [illegible] على الشاعر الفنان الأستاذ « احمد راسم » [illegible]
فقد كان أول من [illegible] « محمود سعيد » الى الجمهور المثقف في مصر [illegible] النقدية [illegible]
العربية والفرنسية [illegible] في هذه المحالة ما يبديه [illegible]
الخواطر والآراء التي يصدرها في كتب مصورة عن الفنانين المصريين عامة وفي هذا من [illegible]
والجهد ما تنوء به الجماعات فضلاً عن الأفراد ولقد أشاد بهذا الفضل حافظ عفيفي [illegible] في كلمة
التي كتبها كمقدمة لرسالة الاستاذ احمد راسم عن المصور « جورج صبّاغ »

الزجاج والحضارة

وصناعته في مصر قديماً وحديثاً

لحبيب اسكندر
ناظر القسم الثانوي بجامعة القاهرة الامريكية
ومدرس الكيمياء فيها

الزجاج والحضارة

الزجاج مادة من [illegible] المواد وأكثرها اتصالاً بحياة الانسان نراها في [illegible] كما نراها في مكاتب عملنا ونجدها في ادوات طعامنا كما نجدها في اواني شرابنا ونشاهدها في ملابسنا وحلينا [illegible] وقد كانت صناعتها في معابد [illegible] ودور [illegible] فكأنها قد تغلغلت في جميع مرافق حياتنا وهي عنصر عظيم في [illegible] وقايته وراحته وصحته [illegible] لها أثر أكبر في ثقافته وفي توسيع دائرة علومه ومعارفه ولكن الى اي حد كان [illegible] لنفكر قليلاً في فضل زجاج الاستضاءة والتصوير وزجاج النوافذ وزجاج العدسات والنظارات وزجاج اواني الادوية [illegible] المستخدمة في المستشفيات وزجاج [illegible] فهل نستطيع بلا انسانية راحة [illegible] دون [illegible] الادوات الزجاجية ؟ ألا يحق [illegible] لولاها ، [illegible] كثيرة الى الوراء [illegible] تعليب الاطعمة [illegible] الراحة ؟ ولادراك أثر الزجاج في تقدم الثقافة الحديثة [illegible] فكر [illegible] في مبلغ العلوم والمعارف والاسرار الكونية والنتائج العملية والنظرية التي اهتدى اليها الانسان بالميكروسكوب والتلسكوب والفوتوغراف والسينماتوغراف والاجهزة الكيميائية [illegible] اركان الثقافة العصرية ومن عناصر كثير من صروح المدنية الحديثة [illegible] الوجود نتائج هذه الاجهزة الزجاجية .
ألم يتمكن الانسان بالعدسات الزجاجية من كشف عالم الاجسام المتناهية في الصغر والتوصل الى البحث في عالم الميكروبات والوقوف على اسرارها وأنواعها ومقاومة امراضها الخبيثة ؟ ألم يتوصل الانسان بالعدسات والمنشورات الزجاجية الى درس النجوم والكواكب التي نراها في الليل كأنقط

منتشرة في السماء فعرف اجرامها وحركاتها ووقف على تركيبها [illegible] استطاع الرجل المتمدن في هذا العصر ان [illegible] عن التصور [illegible] نسبية وعظات [illegible] كشوف نامة في الطب والزراعة والصناعة [illegible] الى ذلك من [illegible] الرقي [illegible] ذكرنا ذلك وجب ان لا يغيب عنا [illegible] الى اجدادنا الاقدمين

تاريخ الصناعة

بدأت صناعة الزجاج في وادي النيل منذ [illegible] الآلاف عام قبل التاريخ المسيحي في زمن كانت فيه الامم الاخرى تائهة في ظلمات [illegible] والجهالات [illegible] كشف الزجاج [illegible] واحدة بل له مقدمات متسلسلة ودرجات متتالية [illegible] متصلة بعضها بالآخر

صنع المصريون القدماء قبل مطلع التاريخ [illegible] الآجر وشبهه ولاحظ الخزاف المصري القديم [illegible] الآجر وشبهه في [illegible] صقيلة [illegible] هذه الطبقة الرائقة نظر الصانع المصري [illegible] الى [illegible] ذكائه وقوة دهائه الى عمل كتل [illegible] الآجر [illegible] هذه الكتل [illegible] يدخل الهرم المدرّج في [illegible] (سقارة) [illegible] الاسرة الاولى [illegible] آلاف سنة قبل التاريخ المسيحي وهذه الكتل [illegible] موجودة [illegible] في متحف الآثار [illegible] وهي اقدم اثر صناعي في العالم

تدرج المصريون من صناعة الخزف [illegible] الى [illegible] الزجاج [illegible] والملون وصنعوا منه عقوداً واقراطاً [illegible] ثم ساروا في طريق الارتقاء والتقدم حتى وصلوا الى صناعة زجاج ارقى وصنعوا منه كؤوساً مختلفة الاشكال [illegible] والاواني وفي دور الآثار كثير من هذه الاواني يرجع عهدها الى [illegible]٣٠ سنة قبل الميلاد [illegible] كل ذلك انهم وجدوا على جدران بعض الهياكل القديمة في بني حسن [illegible] صوراً تمثل الصناع المصريين وهم يعالجون صناعة الزجاج ٢٠٠٠ ق م بطرق لا تختلف في جوهرها عن بعض الطرق المستعملة في عصرنا الحاضر ومن اجمل ما روته بعض المجلات العلمية خبر العثور على وثائق تاريخية تنبيء بان المأمون بن هارون الرشيد لما زار مصر في سنة ٨٢٩ م دخل مقبرة خوفو في هرم الجيزة ووجد فيها تماثيل اثرية من بينها سلاح من حديد لا يصدأ وادوات من زجاج مارن يمكن ثنيه وبسطه دون ان يصيبه كسر فكان قدماء المصريين قد توصلوا بحذقهم الى حل مسألة

يسمو على [illegible] خصوصيات أثرية [illegible] وما لديهم من وسائط في صنعها ولم يتمكنوا منه إلا في [illegible] الزجاج [illegible] الدكتور [illegible] الدويدي [illegible] يشبه [illegible] المصريين [illegible] بهم في ذلك [illegible] هؤلاء [illegible] على الصناع [illegible] الزجاج المصري ورواج سوقه في بلاد العرب [illegible] كثير من [illegible] الزجاج [illegible] في كثير من متاحف العالم في [illegible] الحكام [illegible] والله يبارك

ومما [illegible] مصنوعات مصر الى بلاد الغرب [illegible] عظمة مصر [illegible] عن [illegible] أنظار [illegible] وعجم [illegible] ذلك [illegible] كانت [illegible] سائر الشعوب [illegible] قيصر [illegible] على [illegible] الى روما من مصنوعات الزجاج

وفي التاريخ أدلة وشواهد كثيرة على [illegible] مصنوعات زجاج مصر ونفاسته في عيون الرومانيين [illegible] الامبراطور ادريانوس في اثناء رحلة من رحلاته الى مصر سنة ١٣٢م أهدي [illegible] سرفانيوس [illegible] مصنوعات الزجاج التي كانت تصنع في الاسكندرية [illegible] بعثت اليك بمجموعة مختلفة الألوان من أنفس [illegible] الى [illegible] بأن يبعث اليكم [illegible] في حوزتكم [illegible] لتتمكنوا من تقديمها [illegible] في الاعياد والمواسم »

وكان الامبراطور [illegible] الزجاج الى حد عظيم حتى انه استدعى صناعاً مصريين [illegible] الزجاج [illegible] وهذا المصنع [illegible] وادارته أيد مصرية كان النواة الأولى لصناعة الزجاج في اوربا

ولما [illegible] الرومان [illegible] وأسبانيا [illegible] صناعة الزجاج [illegible] الصناع المصريين [illegible] الى روما [illegible] مصانع الزجاج [illegible] في أسبانيا [illegible] الامبراطورية الرومانية ولما نقل قسطنطين الاول عاصمة ملكه الى [illegible] سنة ٣٣٠ م (التي سماها قسطنطينية) استدعى كثيراً من صناع الزجاج من روما وأسبانيا والمانيا وغيرهم [illegible] فرهت صناعة الزجاج في القسطنطينية وذاع صيتها في العالم وكان الملوك والأمراء في ذلك العهد يفخرون بما يقدم لهم هدايا من زجاج القسطنطينية

ولما استولى الاتراك على القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ م هرب صناع الزجاج مع من هرب وأقاموا [illegible] في مدينة البندقية [illegible] أهل البندقية هذه الفرصة [illegible] عليهم العطايا

ومحترفو [illegible] في [illegible] هذه الصناعة [illegible] مجلس العشرة الذي كان يحكم في ذلك العهد [illegible] هذه الصناعة حثيثة وحولها الى الامم المجاورة [illegible] جزيرة مورانو وأقاموا [illegible] حتى [illegible] من وسائل القهر حتى تمكنت مدينة البندقية من [illegible] صناعة الزجاج [illegible] البندقية يرجع الفضل في نقل الزجاج [illegible] استعماله [illegible] هذه الصناعة في البلاد الاجنبية مع ما اتخذته من [illegible] والحراسة الشديدة

وقصارى القول ان صناعة الزجاج نشأت في مصر على ضفاف نهر النيل وكانت زاهية باهرة ومنها وصلت الى روما ثم الى [illegible] ثم عادت الى الشرق في القسطنطينية ومنها الى البندقية ثم الى فرنسا وانكلترا [illegible] ومن ذلك العهد بدأ انتشار صناعة الزجاج في اوربا وانحطاطها في الشرق وبالاخص في مصر. وقد احياها العرب زمناً من الزمن عند فتحهم مصر [illegible] وقد جمع صناع الزجاج العرب بين اتقان الصناعة وقوة الخيال في ابتداع أشياء جديدة [illegible] الالوان ثم على سلامة الذوق وتشهد على ذلك مصنوعاتهم في دار الآثار العربية بالقاهرة

في مصر الحديثة

ومن عهد العرب حتى الوقت الحاضر [illegible] صناعة الزجاج [illegible] في مصر [illegible] تكاد. ولقد ظهر في مصر الحديثة محاولتان لاحياء صناعة الزجاج احداهما في عهد [illegible] الخديوي [illegible] والثانية في سنة ١٨٩٧ وكان الاخفاق حليف كلتيهما لان الذين قاموا بالامر [illegible] ماليين [illegible] وعهدوا بالعمل الى فنيين من الاجانب [illegible] في العرب [illegible] حتى هذه الصناعة في المهد فقد كانوا يستوردون كل شيء من الخارج حتى (القش) [illegible] كنوزاً وفيرة من خامات [illegible] مشقة البحث والتنقيب عليها واستغلالها. وقد ترك اخفاق هاتين المحاولتين أثراً سيئاً في نفوس المصريين ازاء فكرة احياء صناعة الزجاج في مصر حتى قيض الله لنا رجلاً مصرياً من خيرة الرجال اسمه الدكتور عبد الله [illegible] صبوحي الاخصائي في صناعة الزجاج. شغف هذا الرجل بصناعة الزجاج وقام بأوربا سنوات طويلة وتنقل في معاهد ومصانع كثيرة حتى وقف على دقائق هذه الصناعة ثم فحص فحصاً كيماوياً ما في البلاد من خامات زجاجية وحللها ووازنها بالخامات الاجنبية فكانت نتائج بحوثه مشجعة له على المضي في اقامة مصنع بجوار [illegible] بذل فيه كل ماله وجهوده مستعملاً خامات

[illegible] لاحياء هذه الصناعة [illegible] [illegible] الا مصنع [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على اصلها [illegible] وهي كذلك السيد [illegible] تأسيس مصنع كبير في شبرا ظهرت مصنوعاته في السوق المصرية وأحرزت نجاحاً عظيماً

تركيب الزجاج

يتركب الزجاج المعتاد من ثلاث مواد رئيسية وهي الجير والصودا والسلكا او مادة الرمل النقي. والمادة الأخيرة هي أساس الزجاج. وقد تعودوا الآن ان يستعملوا الصودا بشكل [illegible] ويسمونها [illegible]. غير ان المادة الناتجة عن صهر الرمل النقي مع [illegible] وتكوين سلكات الصوديوم وان كانت زجاجية المظهر شفافة فهي تذوب في الماء كما يذوب الملح مكوّنة محلولاً رخواً يسمى الزجاج المائي ويستعمل في صناعة الصابون وحفظ البيض ووقاية الخشب من الحريق. كذلك اضافوا الجير الى السلكا والصودا فيكسب الزجاج صفة عدم الذوبان

تطحن هذه الخامات جيداً وتوضع في بوادق او قدور من الحجر الناري وتسخن في أفران حتى ينصهر المخلوط، فتتكوّن منه عجينة متماسكة تؤخذ وهي رخوة وتصنع أشكالاً متنوعة بالنفخ او الدلك او الكبس. وتختلف انواع الزجاج باختلاف نسب مقادير هذه المواد الثلاث. فالزجاج المحتوي على قدر وافر من السلكا (الرمل) ينصهر في درجات حرارة عالية ومنه تصنع زجاج المداخن والمصابيح. والزجاج المحتوي على مقدار وافر من الجير متين مقاوم ومنه تصنع القناني المتينة. والزجاج المحتوي على قدر كبير من الصودا يلين على النار في درجات حرارة قريبة ومنه تصنع الانابيب التي تلوى بسهولة على النار

واذا ما استعضنا عن الجير بأكسيد الرصاص في المخلوط السابق نتج الزجاج البلوري المعروف بالكرستال المستعمل في الزينة وعمل العدسات والادوات البصرية. واذا زادت نسبة الرصاص نتج نوع رائق من الزجاج البلوري يؤخذ منه الالماس الكاذب. واذا استبدلت البوتاسا بالصودا نتج الزجاج البوهيمي وهو أقل قبولاً للانصهار من النوع الاول ويستعمل عادةً في عمل الدوارق والكاسات الكيماوية

يتضح مما تقدّم ان المواد الاولية اللازمة لصناعة انواع الزجاج المختلفة لا تتجاوز الخمسة الأكاسيد وهي السلكا والصودا والجير والبوتاسا وأكسيد الرصاص والأساس فيها السلكا. ويعد الزجاج من الوجهة الكيماوية مزيجاً من بعض سلكات الصوديوم والجير والرصاص والبوتاسيوم

هذا وهناك انواع أُخرى كثيرة للزجاج يدخل في تركيبها عناصر غير ما ذكر لا متسع للكلام عنها

ويلوَّن الزجاج بمزج خيوط قليلة من مركبات المعادن او اكاسيدها مثل اكسيد الحديد (أخضر) واكسيد الكوبلت (أزرق) واكسيد المنغنيز (بنفسجي) واملاح الذهب (أحمر) وكبريتور الكادميوم (أصفر) وهكذا . ولا يجب ان يكون الرمل المستعمل في صنع الزجاج نقياً فاللون الاخضر العام الذي نشاهده في معظم الزجاجات سببه ما يحتويه الرمل من اكسيد الحديد

صنع الادوات الزجاجية

اذا تأمل الانسان في الادوات الزجاجية المستعملة في الحياة العامة عرف انها تتشكل الى حدٍّ عظيم جداً . من صفائح رقيقة . الى انواع متينة الى مصابيح مصمتة الى انابيب جوفاء . الى قنانٍ ودوارق مختلفة الى كؤوس واقداح متنوعة الى ادوات عديدة للزينة والمائدة الى عدسات ابصارية الى ترمومترات . الى حلقات مفرغة الى خرز وأساور (غوايش) الى مصابيح كهربائية الى أجهزة علمية بسيطة وأُخرى معقدة الى غير ذلك مما لا يدخل تحت عد او حصر بحسب ارادة الانسان الذي في استطاعته ان يشكل عجينة الزجاج ويسخرها في اغراضه غير المحدودة

وتختلف العمليات المتبعة باختلاف هذه الانواع فهناك آلات وطرق خاصة بعمل زجاج النوافذ واخرى لصنع الزجاج المصقول وأُخرى لعمل القناني والكؤوس وهكذا بل ان هنالك مصانع خاصة تشتغل بنوع واحد فقط ولما كان الكلام عليها جميعاً متعذراً رأينا ان نقتصر القول على وصف صناعة اكثرها رواجاً واستعمالاً في الحياة العامة

صنع القناني والاقداح

كانت تنفخ القناني في العصور الأُولى في مصر بالفم واليد . وكان العامل يأخذ قطعة من عجين الزجاج على طرف قضيب اجوف من الحديد وينفخ بالفم من الطرف الآخر . فتنتفخ العجينة . وتستحيل كروية أو اسطوانية الشكل وكان العامل الماهر يستطيع بالنفخ وحركة اليد أن يصوغها أشكالاً عجيبة وأواني جميلة غير أن الطريقة المتبعة اليوم هي النفخ بالهواء المضغوط في قوالب وذلك بان تنفخ العجينة بعد ادخالها القالب فتأخذ شكله ثم يفتح القالب وينزع الجسم الزجاجي وتقطع قمته ويسوّى على النار وبعض الآلات الحديثة تشتغل بسرعة فائقة فتخرج ما معدله ١٧ الف زجاجة في اليوم

زجاج النوافذ

أول من اخترع زجاج النوافذ راهب جرمنكسوني يدعى ثيوفيلوس كان يعيش في القرن الثاني عشر . ولا تختلف طريقته في جوهرها عن طريقة الصنعة الآن وتتلخص في اخذ عجينة على طرف ساق جوفاء من الحديد ثم ينفخ في الطرف الآخر حتى تكون منها اسطوانة كبيرة تشق شقاً طويلاً وتبسط على سطح مستو من الحديد في افران مخصوصة وبعد ما تبرد تدريجاً تقطع قطعاً تختلف بحسب الطلب . وفي بعض الآلات الحديثة استبدل النفخ بالآلات فالنفخ باليد يبلغ قطر الاسطوانة قدمين وطولها ٤ اقدام وبعده الاسطوانة تقطع اسطوانات صغيرة بالسلك الكهربائي ثم تشق الاسطوانات شقاً طولياً وتبسط على سطوح مسخنة من الحديد وقد كانت عمليات النفخ والشق والبسط تتطلب وقتاً حتى توصل بعض المهندسين الى عمل آلات تحول مصهور الزجاج الى صفائح مباشرة بعملية واحدة تستطيع الآلة الواحدة عمل كميات وافرة من زجاج النوافذ بسرعة تعادل ٤٠ عاملاً مشتغلين بايديهم

الزجاج الصفيح

يصنع الزجاج الصفيح بصب مصهور الزجاج على سطوح مستوية من الصلب ثم يدلك بعد ذلك بدالك اسطوانية من الحديد وبعد ان تبرد تنعم وتصقل وفي بعض المصانع الحديثة آلات تؤدي جميع العمليات في عملية واحدة كما في زجاج النوافذ

هذا وهنالك نوع من الزجاج الصفيح يسمى زجاج المسلح ويعمل بوضع شباك من السلك بين طبقتين من الزجاج المصهور او يلصق صفحات عديدة من الزجاج الصفيح بمواد لاصقة تحت ضغط عظيم وقد يطلق على هذا الزجاج الاخير اسم الصلب الشفاف لانه متين جداً فان رصاصة البندقية لا يمكنها ان تخترقه او تنال منه شيئاً وهو يستعمل بنوع خاص في نوافذ المصارف المالية والغرض الرئيسي من عمل الزجاج المسلح والزجاج الاخير المتين هو عدم تطاير شظايا منه في حوادث اصطدام السيارات لان هذا الزجاج ينثني ولا يتطاير قط

الزجاج في المطبخ

يوجد الآن في الاسواق اوانٍ زجاجية تستعمل في المطبخ مصنوعة من زجاج مقاوم للتغيرات الحرارية الفجائية وهذا الزجاج يحتوي على حامض البوريك (الذي يستعمل محلوله في غسل العيون) ونسبة قليلة من الصودا ولقد توصلوا بالفرن الكهربائي الى صهر السلكا النقية وعمل اجسام شفافة منها يمكن تسخينها الى درجة الاحمرار وغمسها وهي ساخنة في ماء بارد دون ان يصيبها كسر وهذه المادة تنفذها جميع انواع الاشعة الضوئية والحرارة والاشعة الطبية حتى الاشعة البنفسجية . وهي شفافة الى حد عظيم تقرأ هذه الكتابة من خلال كتلة منها سمكها ٢٥ سنتيمتراً

سر شكسبير

[illegible] هذه الصور التي يصح أن نسميها أدبية هي اختبارات من [illegible] في [illegible] ولا نعدها في الواقع [illegible] في نفوسهم

هذه الصور هي [illegible] الجيل البشري منذ القدم حتى الآن

نجدها عند [illegible] وفي آثار [illegible] ونقرأها في كتب الأغريق [illegible] لا [illegible] [illegible] في كل [illegible] من الأدب فكانت ميراث البشرية يتوارثه الآدميون [illegible] لم يزد عليها المتأخرون حرفاً وما أضافوا إليها جديداً [illegible] غير الأسلوب وبقي الجوهر [illegible] الحكم والأمثال [illegible] نجدها في شكسبير ونجدها في المتنبي ونجدها كلها في أدب الأغريق [illegible] [illegible] حكم شكسبير [illegible] في ديوان [illegible] على [illegible] في ديوان [illegible]

ذلك أن [illegible] هذه الصور في اللغة [illegible] لأنها تتصل بما في الإنسان من [illegible] [illegible] فكانت [illegible] شائعاً في البشرية [illegible]

[illegible] تلك الصور التي [illegible] مثلاً [illegible] ولا [illegible] تلك الصور التي تكون لشخصية [illegible] عن الأخرى تلك الصور من الحياة الحقيقية [illegible] شكسبير على [illegible] في تصويرها [illegible] في هذا الفن سر من أسرار العبقرية لم يجاره فيه أحد حتى الآن

فشكسبير لا يتكلم ولا يبدي رأياً فكأنه يقف وراء ستار لا تشعر به ولا تراه وإنما [illegible] إلى الشخصيات يبرزون إلى مسرح الحياة ويمرون بك ممثلين هذه الحياة [illegible] وشرها، تارة في زي ملك وأخرى في زي صعلوك أو امرأة أو مجنون

فكأنه [illegible] تلك الحياة بأنماط وكأنك لا [illegible] وألوان

[illegible] الأدبية هو في هذه القدرة على إخراج الحياة على [illegible] أقوام [illegible] أحلامهم [illegible] الواحد للآخر [illegible] والنبل والبخل [illegible] والمكر والجنون ماثلة أمامك أناساً يأكلون ويشربون ويمشون فتعرف البخيل أو [illegible] لأن الشاعر وصفه لك أو لأن أحداً من أشخاص الرواية نعت الآخر بهذا النعت، بل لأنك ترى الرجل يقول «ويمشي» أمام عينيك فتحكم أنت حكمك [illegible] وتصفه حيث [illegible] فشكسبير لا يضحك ولا يبكي، بل يحضر أمامك الضاحك والباكي و[illegible] والحسود و[illegible] [illegible] وقد ارتسمت على لوحة ذهنك صورة رجل حي ذي خلق معلوم. فهو يمحو شخصيته ويظهر شخصية رجال رواياته وهذه هي كل عبقريته، فإنه لم يعط لآدمي ما أعطته الطبيعة [illegible] من هذه القوة التي تخرق طبائع الآدميين وتظهرهم كما هم

(١) من مقدمة ترجمة رواية هنري الخامس تأليف شكسبير ترجمة سامي الجريديني، نشر دار الهلال

ذاكرة الالوان

نظرية جديدة لباحث مصري

لظهير سعيد

استاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية اصول الدين

عرضت هذه النظرية على المؤتمر الدولي لعلم النفس في سنة ١٩٣٦، وأقرها مكتب

وجدت في أثناء دراستي علم النفس ان كثيراً من علماء النفس قد استطاعوا بتجاربهم الواسعة النطاق وأجهزتهم ومعاملهم ان يهدموا بالدليل القاطع مذهب الملكات العقلية الذي نادى به أفلاطون منذ ألفي سنة. وظل الناس يؤمنون به ويتخذونه أساساً للتربية والتعليم الى القرن العشرين فأثبتوا أولاً ان الذاكرة ليست ملكة عامة أو قوة موروثة إذا وهبها الله انساناً ما كان سريع الحفظ قوي التذكر، يذكر كل شيء من أتفه الأمور الى أخطرها خطراً ويتعلم بسرعة وإتقان ومن حرمها كان بطيء التعلم ضعيف التذكر سريع النسيان وانما هناك انواع من الذاكرة كل منها يستقل في وظيفته الى حد كبير أو صغير، ولكنه مستقل على كل حال، عن الانواع الأخرى بحيث يصح ان يكون الانسان قوياً جداً في بعض الذاكرات وضعيفاً جداً أو متوسطاً في البعض الآخر، من غير ان يقال عنه انه قوي الذاكرة أو ضعيفها على وجه العموم. وان التعلم استعداد عقلي آخر غير التذكر. وان كان تعليم طرق الحفظ والتحصيل له أثر مباشر في التذكر والاسترجاع. ولكل حاسة من الحواس المعروفة ذاكرة قائمة بذاتها فهناك الذاكرة البصرية للمرئيات وصاحبها يكون سريعاً في استعمال الآثار البصرية سريعاً في تذكرها، ولذلك يفضل ان يذاكر ويحصل عن طريق القراءة والنظر. والذاكرة السمعية صاحبها يفضل طريق السمع والانصات او يحفظ بصوت مرتفع ثم ذاكرة الحركة والشم والذوق وغيرها وخطا البحث التجريبي خطوات أخرى. فتوصل الى ان الذاكرة البصرية تضم تحتها انواعاً أخرى مستقلة بعضها عن بعض كذاكرة الحروف وذاكرة الأشكال والألوان والأسماء والوجوه فلكل منها استعداد خاص أو عامل خاص بحسب الاصطلاح أي أن مجرد الصحة البصرية لكل منها لا تؤثر أثراً كبيراً في الاستعداد الخاص لكل منها فيصح ان يكون الانسان قوياً جداً في تذكر

أرقام [illegible] صفحة في [illegible] سوسورة في التاريخ مع أب كم أرقام ووقف البحث عند [illegible] وكان موضوعه ذاكرتي الالوان والاشكال .

[illegible] وجامعاتها ومصر بمختلف الوسائل المستعمله في معامل جامعة [illegible] ومعهد التربية ووضعت القواعد والمعادلات الرياضية التي لا يتسع المجال لذكرها في هذا المقام . [illegible] من هذا البحث [illegible] الى النظريات الآتية ، التي ايدتها التجارب وقستها المقاييس الرياضية [illegible]

١ — ان ذاكرة الالوان ليست [illegible] واحداً أو ملكة أو ذاكرة واحدة عامة كما [illegible] الى [illegible] هذا البحث [illegible] عامل واحد عام (اللونية) يدخل في كل عمليات الالوان من تذكر وتمييز وادراك أطلقت عليه الرمز (C) اي لون . وبذلك اضفت الى العوامل التي كشفها العلماء السابقون عاملاً جديداً

٢ — [illegible] لون من الوان الطيف الشمسي الرئيسية ودرجاته المختلفة من خفيف وثقيل أو غامق [illegible] أو لامع [illegible] كل ما يتصل به أو بعبارة أخرى مجموعته استعداد خاص يجعله مستقلاً عن غيره من الالوان [illegible] في وظيفته من حيث الادراك والتمييز والتذكر بحيث يكون [illegible] قوياً جداً في تذكر الالوان الحمراء وضعيفاً جداً في تذكر الزرقاء وأطلقت على هذه الاستعدادات [illegible] الخاصة (R, O, Y, G, Bl, [illegible]) وهي اوائل أسماء الالوان (الاحمر والبرتقالي والاصفر والاخضر والازرق و[illegible])

٣ — هذه الالوان مع استقلالها [illegible] الخاصة [illegible] عامل [illegible] يؤثر [illegible] و[illegible] لا [illegible] مع درجة العامل الخاص بكل منها وهو عامل (اللونية) Cl [illegible]

٤ — [illegible] حفظ وتمييز وتركيب لون خاص أو مجموعة خاصة لمدة طويلة يؤدي الى تحسن كبير في هذه المجموعة و[illegible] هذا التحسن لا [illegible] الى المجموعات الاخرى التي لم يحدث فيها أي تمرين

وقد أدت هذه النظرية الجديدة الى تغير كبير في أساليب البحث العلمي وفي ميدان التربية والتعليم وكشفت كثيراً من الاخطاء التي [illegible] فيها العلماء السابقون الذين عنوا موضوع الالوان في علم النفس . أهمها : —

— ان العلماء كانوا يستخدمون أي لون من الالوان ويجرون عليه تجارب ثم يتخذون نتائج هذه التجارب دليلاً على ذاكرة الالوان على وجه العموم باعتبارها استعداداً واحداً عاماً ووجه الخطأ في هذا — كما قدمنا — ان كل مجموعة طبيعية لها استعداد خاص فلا يصح ان تتخذ مقياساً في اي ناحية من النواحي العقلية للمجموعات الطبيعية الاخرى باعتبارها كلها شيء واحد .

ما دامت كل مجموعة مستقلة عن الأخرى . فلا بد أن يكون التمرين كاملاً شاملاً في كل المجموعات الطبيعية

٢ — وكذلك كانوا يعتقدون أن ذاكرة الالوان عامة وأن التمرين عليها يؤدي الى ان تكون التجارب مثبتة تماماً لتمييز الألوان في حين أنه ليس هناك استعداد عقلي واحد لتمييز جميع الالوان وانما لكل مجموعة استعداد خاص للتمييز

٣ — وايضاً اعتبروا تمييز الالوان ناحية من نواحي الذكاء العام او المقدرة العقلية العامة على التصرف والفهم . وقد اختبرت ذكاء جميع الاشخاص الذين اجريت عليهم التجارب في مصر وانكلترا فوجدت درجة الارتباط بين الذكاء كما يقاس باختبارات الذكاء المختلفة المتفق عليها وبين تمييز الالوان وتذكرها كما يقاس بالالوان الخمسة ضعيفة جداً حتى لا يكاد يذكر . فتمييز الالوان وتذكرها لا صلة له بالذكاء أو التصرف العقلي العام . أما من الوجهة التربوية والتعليم فمن الآثار المباشرة لتطبيق هذه النظرية في التعليم الفني على الخصوص —

١ — ان استعداد كل تلميذ او فنان لا يكون واحداً في جميع مجموعات الالوان بحيث يستخدم كل الالوان في لوحاته أو رسومه . و يتعذر منه أن يرسم صورة من الذاكرة ويضع فيها جميع الالوان في اوضاعها ودرجاتها الطبيعية . فهو عرضة لأن يذكر الالوان التي يكون استعداده فيها قوياً وينسى او يخطئ في الالوان التي يكون استعداده فيها ضعيفاً

٢ — في استعمال الالوان في الرسم والاشغال اليدوية يجب ان يراعى استعداد التلاميذ وأعمارهم فيعطى لهم الالوان التي يكون قد اكتمل استعدادهم فيها لان لكل لون عمراً خاصاً لا يستطيع الطفل ان يدركه تماماً الا اذا وصل اليه

٣ — يجب كذلك ان نفرق بين البنين والبنات لأن الاستعداد الجنسي يختلف والالوان التي يدركها الاولاد في سن خاصة هي غير التي يدركها البنات . فالبنات مثلاً أصعب في تذكر اللون الأصفر من الاولاد ثم انهن يصلن الى تمام الاستعداد لادراك الالوان في سن ١٢ في حين ان الاولاد يتأخرون الى سن ١٥ — ١٨

٤ — لا يكفي في تمرين ذاكرة التلاميذ والطلاب في مدارس الفنون الجميلة على بعض الالوان اعتقاداً بأن اثر هذا التمرين سينتقل حتماً الى الالوان الاخرى ما دامت كلها الوان وانما يجب ان يكون التمرين الخاص لكل لون على حدة . او يكون التمرين على عدة الوان معاً بشرط ان تكون المجموعات الطبيعية ممثلة جميعها

هذه هي اهم النتائج التي يمكن لجمهور القراء غير الفنيين ان يفهمها . وعساني وفقت الى ان اضيف شيئاً جديداً الى جهود العلماء العاملين

اللذة والسلوك

— فلسفة اللذة وخواطر من حولها

بقلم اسماعيل مظهر

«شاء القدر أن يظل مذهب ارستبس [illegible] غير معروف عند العرب إلا لماماً، شأن أكثر المذاهب التي تفرّعت عن دوحة سقراط العظيم. وشاء القدر أن يحاول ارسطوطاليس ألاّ يذكر اسم ارستبس بالرغم من أنه ناقش في مذهبه مناقشات طويلة في كتاب الاخلاق الى نيقوماخس، بل وأخذ بعض مبادئ المذهب القوريني فحوّلها وأدمجها في مذهبه. وشاء القدر أن لا يذكر «رتلي سنتلير» هذا المذهب في المقدمة [illegible] ترجمة كتاب ارسطوطاليس في الاخلاق تبييناً كما انه لم يناقش في مذهب ارستبس [illegible]. وهو فرع من دوحة ارستبس وحدة اتباع في المذاهب الاخلاقية، أساسها المذهب القوريني. وما كان ارستبس اول فيلسوف أساءت اليه الأقدار، وما كان اول انسان «ظلم حيّاً وميتاً». وقد عني صديقنا اسماعيل مظهر بتأليف كتاب ضمنه بحوثاً مبتكرة في فلسفة اللذة والالم من عهد اليونان الى الآن، والصفحات التالية مختارات من بعض فصوله» المحرر

قورينة: مهد فلسفة ارستبس

في مقاطعة «برقة»، وعلى شاطئ طرابلس الغرب، نزل عدد من اليونان يستعمرون تلك البقاع التي لم يكن ينقصها من شيء لتكون رقعة من رقاع الفردوس، إلاّ مهارة الصانع، وقدرة الفنان، وخيال الشاعر، وإقدام الرائد. وعلى مدى الزمن شيّد هؤلاء اليونان الذين نزحوا إلى تلك البقاع، ليروّجوها بما كانت تحتاج اليه من المكمّلات لها، خمس مدائن كانت «قُورينة» Cyrene أقدمها وأزهاها وأعمرها

وقد اتفق كلّ من زار مدينة « قورينة » من الأقدمين، كما [illegible] كلّ من زار أطلالها من المحدثين، على أن تلك المدينة قد تفرّدت بموقع جغرافي [illegible] به الطبيعة في إبداعه، وأنفقت فيه كل ما كمن في تضاعيفها من مهارة الصنع والتخطيط، كأنما [illegible] لها بجمال، يكفي أن تقول فيه إنه جمال الطبيعة، إذ تخصه بعد [illegible] الشاهقة، ينبسط من تحتها مرج أخضر كأنه السندس، وتتراءى من [illegible] لا يحدها الخيال، وكأنها التبر المنثور. ولقد حمت تلك المدينة [illegible] من [illegible] كانت [illegible] عاتية الصحراء برمضائها صيفاً، وزمهريرها شتاء، واستوت « قورينة » [illegible] على [illegible] مطلة من سماء أنقى من [illegible] ذلك الخصب الذي [illegible] فكان ذلك سبباً في اعتدال أقاليمها على مدار الفصول. كما كان [illegible] من [illegible] التي حلت عرش « قورينة » سمة الجمال [illegible] لا يبيض، [illegible] في موقعها هذا، أشبه بالدرة العصماء، تحدق بها اليد [illegible] .

وكان للسحر الذي ينفث من عرش « قورينة » في النفوس [illegible] من مختلف أنحاء العالم المتمدن، يحفزون [illegible] كما [illegible] الرواد والنقاد، أو ليتزودوا منها بخيرات حسان، أو ليحجوا إليها [illegible] « ثيرا »[1] و « البلوبونيز »[2] و « اسفقلاد »[3]، والكل مستهوى [illegible] قبائل البربر، التي تكتنفها مواطنهم التاريخية، بل ليحمدوا على [illegible] الذي تفرّد به إذ ذاك أبناء اليونان، وعلى الأخص في الألعاب [illegible] فإن هذه القدرة كانت قد بلغت في « قورينة » أقصى [illegible] وأرفع [illegible] المنحدرة التي كانت تترامى تحت « قورينة » قد [illegible] تتعرج ثم تمتد، وتمتد ثم تتعرج، وتلتوي ثم تدور من حول القمم في [illegible] الذروة التي استوت عليها المدينة مطلة على البحر، وكأنها « نرجس » في [illegible] الأقدمين[4]

(١) جزيرة في جنوبي أرخبيل الاسبوراد، [illegible] باسم ثيرا Thera الى [illegible] الحرب الصليبية [illegible]

(٢) البلوبونيز Peloponnese اسم [illegible] جزيرة [illegible] وكانت تسمى (مورة) في القرون الوسطى [illegible] جزيرة المورة [illegible] (٣) [illegible] أرخبيل اليونان [illegible] حول جزيرة [illegible] Syra [illegible] Syr [illegible] (٤) أسطورة الصدى ونرجس Echo and Narcissus في أساطير اليونان [illegible] الصدى [illegible] زهرة هي زهرة النرجس [illegible] رأسه [illegible] الأصوات

ورأى [illegible] وقد نحتت صخورها يد الطبيعة حتى لكأنها الجدران المشمخرة، شامخة [illegible] من عمران عند أبيه، [illegible] حتى [illegible] فتلقي عليك ظلالاً من مختلف ما [illegible] وقد استمدت مياه المتحدرة من ينابيع الصخور، إستدلالاً منع على الشمس أن تحرمها إلا القدر الذي تحتاجه الزهرة الشريدة عن أن تغالب فيه فعل الطبيعة. فانحصرت [illegible] «سرينية» الجدول، ونبتت في سفوح جبالها أشجار السرو والصنوبر والجوز، منثورة متناثرة، كأنها الجنود [illegible] وفي مروج رتعت قطعان من الماشية والأغنام، وردت [illegible] القديمة بأنها أنواع الصوف، وأن [illegible] سلائل من الخيل، عرفت في ملاعب أثينا بأنها لا يشق لها غبار

وفي هذه البيئة نشأ الفيلسوف «ارسطس» صاحب الفلسفة المنسوبة إلى تلك المدينة المهجورة، التي تركها [illegible] في وحدتها الأبدية «تبكي في الليل بكاء، ودموعها على خدها»(1)

الضمير بين العقل والشهوة

إن تحصيل اللذة الراهنة — كما يقول أرسطس — هي القاعدة في الحياة. على الضد مما يقول «كانت» — Kant — على أن الفارق بين الاثنين أن فلسفة «كانت» تحتفظ للانسان بخطة في حساب النفس، يرجع فيها إلى الضمير، ويتساءل عند مباشرة أي عمل: «أيجوز أن يكون هذا العمل قانون الانسانية الأدبي؟» «وهل ينطبق هذا العمل على ما تجيز الفضائل؟» في حين أن فلسفة «ارسطس» لا تتقيد إلا بالمشاعر التي تستولي على النفس في ساعة سببها فتحصيل اللذة الراهنة، سواء أكانت لذاتها أم للتحرر من ألم عارض، هي عنده قاعدة الحياة وناموس السلوك

إذا استمرت اللذة (ايجاباً) أو التحرر من الألم (سلباً) على الانسان وهو يزاول أي عمل من أعمال الحياة، فإن صوت ضميره يخفت تماماً. حتى إذا تم العمل، وكانت على غير ما تجيز شرائع الآداب أو العرف استيقظ الضمير. وأخذ يحاسب النفس على ما اقترفت من استسلام للشهوة. فالضمير قوة ثانوية، والشهوة قوة أولية. غير أن «أرسطس» احتاط هذا، فقال بأن اللذة لا يجب أن تكون مرجوحة بالألم الذي يعقبها من حساب الضمير

(1) من مراثي ارميا في العهد القديم — «كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب. صارت كأرملة العظيمة في الأمم. السيدة في البلدان صارت تحت الجزية. تبكي في الليل بكاء ودموعها على خديها. ليس لها معز من كل محبيها. كل أصحابها غدروا بها، صاروا لها أعداء» [illegible] ومراثي ارميا قصيدة منثورة من أروع ما اخرجت القرائح

عبثاً يحاول الانسان أن يوقظ ضميره، إذا استولت عليه الشهوة. وعلى قدر ما تكون قوة استيلاء الشهوة على الانسان يكون عجز إرادته عن إيقاظ ضميره فضلاً عن تغلب الضمير عليه. في بعض الحالات يخفت صوت الضمير فلا يتكلم ويستحي، وفي غيرها يعلو صوته قليلاً، وفي ثالثة يعارضك فتزجره، وإما تطيعه وهذا على ندرة. فتكون تحكم الشهوة في الشعور

ان تحصيل اللذة او راحته، قد تكون نتيجتها ما نعتبره خيراً. وللخير الاجتماعي كما يكون نتيجتها لما نعتبره شراً، وللشر الادبي. والانسان في كل الحالات خاضع للشهوة اولاً. فاذا استقوت وكانت بواعثها مما لا يمكن قمعه، تغلبت. واذا لم تستقو، فشلت. ولكن الشهوة على كل حال أكثر انتصاراً، وأقل من الضمير انكساراً. والشهوة للخير أقوى من الشهوة للشر كماً وكيفاً، مع تقدير اعتباري الخير والشر في مفهومنا! كما ان للشهوة منازل ودرجات. بين عنها أرسطس في مذهبه كل بيان. ومما يدل على ان الشهوة اقوى من الضمير عملاً في النفس، ان الضمير لا يستيقظ الا نادراً وبعد وقوع الفعل في الغالب. وان استيقاظ الضمير لا يكون الا لقمع شهوة تقوم في النفس او محاسبة على فعل أتته، خضوعاً لشهوة ما. فالشهوة اذن اقوى من الضمير أثراً في السلوك الانساني. واذا قلت بأن كل أعمال الناس أثر من آثار الشهوة، او بالاحرى ان اعمال الانسان شهوات، توضع موضع التنفيذ، كنت أقرب ما يكون من الواقع.

يحتاج الضمير الى حكم العقل اولاً ليستيقظ. فان الحكم على عمل من الاعمال، بأنه مخالف او موافق لشرائع الآداب، يحتاج الى موازنة العقل. والعقل قد يخطىء. كما ان حكمه نسبي اعتباري، يختلف باختلاف الزمان، وباختلاف الافراد، وباختلاف الجماعات. ثم ان العقل خاضع في غالب امره للتقاليد والوراثة والاوضاع التي درجت عليها كل جماعة من الجماعات. واذن فالضمير خاضع لجملة من المؤثرات. وهو عرضة لتضارب احكام العقل، او للاصطلاحات التقليدية التي ورثت ولبست مع الزمان ثوب القداسة. فقد اتفقت كل الشرائع وتقاليد الجماعات الانسانية المتحضرة، على ان القتل جريمة. ولكنه جائز في الحروب. فيقتل الناس بعضهم بعضاً من غير ان يتحرك الضمير وازعاً يصد الانسان عن ارتكاب هذه الجريمة. والسبب في هذا أن الضمير يخضع للتقاليد والأوضاع. وهنا تستولي شهوة القتل على النفس، غير متورعة عنه بصورة من الصور. واذا فرضنا أن القتل في الحرب دفاع عن النفس، كما يذهب البعض، فليس الدفاع عن النفس الا فعل عكسي أصيل، لا يلبث أن يتحول سراعاً الى فعل عكسي متحول، هو حب القتل والفتك بالأرواح خضوعاً لمؤثرات مألوفة. كما أن الدفاع عن النفس، ليس كل ما في الحرب من بواعث. فقتل الأسرى والضعفاء والنساء والأطفال والتخريب وقذف المدن التي تجردت من وسائل الدفاع بالقنابل المدمرة، شهوة تستولي على المحاربين، بعد أن يتملك

بحب الذوق من اللذة ... في تلذذ حقيقي مجرب كما أوضحنا . وإذن تصبح النفس في الحرب ثم ... تحصل ... أنست وسفك الدماء . ومثله هي لذة الساعة التي أنت من أنه لا ... لكن تحققها ... عليها على القصد من الضمير في احتياجه إلى احكام العقل محدد الشهوات ... معين الى غرض معين لا يمكن تحاشيه من الأحوال ، إذا استقوت على المشاعر ، أو ... الغرض الأصلي الذي ترمي اليه غرض حر ، مهما كان في الغرض الذي ترمي إليه ، من تشاجر مع احكام العقل ، ومهما كان في اي غرض حر ، من اتفاق مع المنطق السليم ... فالشهوة في الدرجة تتحكم في أعمال الانسان ، وتحصيل اللذة الراقية هي المنفعة التي تجري عليها سلوك الانسان وتحسمها [1]

اذا كان اللذة ... أصلين ضروريين في الحياة ، ... كانت الحياة الانسانية قد هذبت آدابها بواعث الشهوة التي تدفع الى تحصيل اللذة الراقية ، فهل من امل في تقويم الخلق البشري بأن تتحرر من انفعالاته وشهواته الى درجة يستوي فيها حب الخير على الشر ، وتستعلي فيه الفضيلة على الرذيلة . السؤال يجب أن نفكر قليلاً قبل ... الاجابة عنه ، ولكن لا بد من الرجوع الى تاريخ تطور الانسان من الحيوانات التي هي أحط منه ، ليمكن أن نعرف إن كان الانسان سائراً في تطوره نحو الارتقاء الشعوري ، أم أن ارتقاءه العقلي فيه . فقد تشمل تطور في العواطف والانفعالات والشهوات ... وجعلها تخضع العقل إخضاعاً . ولكن الظاهر أن العلاقة بين تطور العقل ... وتطور الشعور ... حتى ما يظهر يرتقي ويتطور في ناحية بعينها . ولا شك في أن المشاعر ... في تطورها السمت الأعلى من فضائل الأخلاق ، على ما تحتاج الطبيعة البشرية أن تكون ... باعتبار الزمان والمكان

ولا شبهة في أن الحيوانات العليا من الرئيسات — Primates — تحوز كل الصفات التي رشحت الانسان ، ولكن بدرجة أقل ... فهي تتفق مع الانسان في أن لها غرائز وميولاً وعقولاً وانفعالات وشهوات . غير أن هذه الظاهرات فيها ، أحط منها في الانسان . والدليل على هذا أن حس الحب في الانسان أقوى ، والمطامع أطغى ، والآمال أوسع وأشهى ، واتصال الانسان بالمستقبل البعيد ، صفة تفقدها الحيوانات حتى القرود العليا ، أمثال غوريلا الافريقية . وكثيراً ما يتطور احساس الانسان من حيث صلته بالمستقبل ، الى صورة من الجشع الاجتماعي ، تقوي انفعالاته وتوقظ شهواته هذا يحكم بأن الانسان سائر نحو المادية الأدبية . ومقصدها تغلب الشهوات على الحس الأدبي ، والتخلص من محكمة الضمير ، على مقتضى حاجات الزمان والمكان ، وتحكم الاقتصاديات الرأسمالية

(١) يقول مكدوغل « لا ريب عندنا أن العقل قد تطور تطوراً هائلاً ، ولكنه لا يلبث أن يقف عند المشكل الذي يواجهه ... حتى ... شهوة جديدة ، أو يوجد أخرى كانت نائمة »

[illegible] ان لا سبيل لأحد في سبيل التخلص من حكمها. نعم إن أكثر المرافق التي تكوّن حضارة الانسان، كالتجارة والصناعة والزراعة، ونظام الاحزاب والديمقراطيات بأنواعها وحربيات ... تختلف نوعها، كلها تحركها العوامل التي تنشئها الشهوات وتحكم فيها المطامع والاغراض، ولو قدر ان تكون خضوعاً لحكمة الضمير، ولو ان تخضع هذه المرافق لحكمة الضمير لكان أحمد للنوع البشري وأجدى. ولكنك لا تجد هذا إلا في الكتابات، دون الواقع

ولا ريب بعد هذا أن نقول ان تحصيل اللذة الراجحة هي قاعدة مثلى الجديرة بحياة الانسان الادبية، وعلى ما يدرك من هذا معنى في أرفع مشارفه. بل نقول إنها قاعدة الضرورية. وبهذا نستطيع أن نعلل الاوامر والنواهي التي جاءت بها الاديان. فلما كانت الشهوة أقوى ما يستولي على النفس، كان لا بد لقمعها من مؤثر آخر يوازيها قوة وأثراً. فاهتدت الاديان إلى الايمان توقظه في النفس. فاذا استيقظ عرفت فيه نواهيها وأوامرها. وهنالك يقوم العراك بين نواهي الايمان، وبين بواعث الشهوة. ومع الاسف نقول ان بواعث الشهوة لا تزال في المكنة الراجحة حتى اليوم وبين كل شعوب الارض قاطبة

ولا يقمع الشهوة إلا الايمان. إذن فالنوع البشري محتاج الى الايمان. الايمان في الدين، لأن الدين بلا إيمان لا أثر له في حرج النفس. ويحتاج إلى الايمان في كل مرافق الحياة في العلم والادب والفن والفلسفة، وفي السياسة والتجارة والصناعة والزراعة. وعلى الاخص الايمان بقدسية الحياة الانسانية، وحريتها، وحقوقها، وواجباتها. فاذا الايمان نستطيع ان نقمع كثيراً من الشهوات التي تتهدد عليها الحياة الآن. ونحن مع هذا نقول ان الايمان محتاج الى الشك، لأن التسليم بلا شك، قاعدة فاسدة الاساس، بل نستطيع ان نقول ان الايمان لن يكون تسليماً على اطلاق القول. وما ندعوه إيماناً في الغالب، ليس الا تسليماً، اساسه حمق وعماه وتقليد، ليس من الايمان في شيء.

وقد يخيل الى الذين لم يتعمقوا في درس الفلسفة، ان أرسططاليس انما يدعو الى اتباع الفلسفة التي توحي بها فكرة تحصيل اللذة، الراجحة، كيفما كانت هذه اللذة، وعلى أية صورة وقعت. وانه يرى ان هذه القاعدة هي القاعدة المثلى في السلوك الاخلاقي. ولكن الحقيقة على عكس ذلك فان أرسططاليس انما يقول بأن تحصيل اللذة الراجحة ضرورة نفسية، نخضع لها قسراً عنا. وان الاعتراف بذلك خير من انكاره. لاننا اذا اعترفنا وادركنا حقيقة كانت، نستطيع ان نرفه شيئاً من حدة ميولنا، وان نطلبها ونروضها على ان تتحول الى عمل خير على قدر المستطاع. ذلك على الضد مما تكون، اذا اهملنا الاعتراف بها. ومعنى هذا نقول ان حكم الضمير كاف للتهذيب، من غير ان نعير الشهوة، وأثرها في الحياة، التفاتاً. فالفرق بين «أرسططاليس» و«كانت» ينحصر في ان الاول يعترف بالواقع، والثاني يدعو إلى المثل العليا

الحضارة الحثية

أقدم آثار آسيا الصغرى وسوريا الشمالية

بقلم قيصر صادر

عضو جمعية العاديات السورية

ليس أدلّ على حضارات الأمم البائدة من آثارها الراسخة في بطون الأحجار القديمة. فمهما تقادم العهد عليها فلا بدّ من أن يأتيها يوم تنهض فيه من باطن الثرى وتمثل الى عالم الوجود، ناقضة عن نفسها غبار الأجيال السحيقة، فتبوح نقوشها البارزة بأسرار العصور الغابرة وتنطق بحروف أنصابها الضخمة بعظمة الماضي الطويل الذي خلّفه الانسان وراءه في ثنايا القرون المظلمة. ومن أقدم تلك الآثار التاريخية التي توصل العلم الى انتشالها من جوف الأطلال وأماط عن محاياها حجاب الخفاء هي آثار الحضارة الحثية التي ازدهرت منذ أربعة آلاف سنة في سهوب آسيا الصغرى وشمالي سوريا وبلغت من الرقي شأواً بعيداً. وقد عنينا بدراسة هذه الحضارة العريقة على ضوء أوثق المعلومات المقتبسة من الأسفار القديمة ومؤلفات فحول الأثريين واستعنا على معرفتها بما بقي في متحف حلب الخاص بجمع العاديات الحثية من هذه الآثار المكتشفة في سورية متتبعين مراحل الاكتشافات خطوة خطوة

فقد كان الرحالة الفرنسي لاروك أول من أشار في سنة ١٧٢٢ م الى وجود مخطوطات هيروغليفية في مدينة حماه بوصفه عموداً شاهقاً من المرمر استرعى نظره في حديقة جامع على شط العاصي بما ازدان به من نقوش بديعة تمثل رؤوس أناس وطيور وحيوانات وأزهار شتى ثم قدم بعده بنحو قرن العالم بوركهاردت الى حماه باحثاً عن ذلك العمود المرمري فلم يعثر له على أثر الا أنه اكتشف هنالك مخطوطات غامضة منقوشة على بعض أحجار سود مُعاد بناؤها في زوايا عمارة في البازار تشبه مخطوطها الهيروغليفية المصرية بعض الشبه فسميت هذه مخطوطات حماه

وبينما كان بعض السيّاح الأميركيين يمرون بهذه المدينة في سنة ١٨٧٠ لاحظوا المخطوطات المذكورة ثم سافروا الى حلب فعثروا فيها على لوح حجري كبير مخطوط على النمط نفسه فصككوه

من عنهم وكادوا يأخذونه منهم لو لم يتصد لهم الأهالي ويحولوا دون مأربهم حتى تم ما شاؤوا ان نهوا اليه فتصل دمشق الخبر ولم تزل تراقب فاستأذن القنصل الحكومة بنقل الالواح المذكورة مع مخطوطات حماه الى متحف استامبول وأتم ما أراد في عام ١٨٧٢

وقد أثارت تلك الكتابات المغلقة اهتمام علماء الآثار فتولوا عليها يتفحصون عنها ويحاولون حل رموزها وتعيين نسبتها فذاعت شهرتها وتطرقت الى مسامع المستر سكين قنصل بريطانيا في حلب اذ ذاك فهب يستقصي مصدرها متتبعا على آثارها فاقتاده بحثه الى زيارة قصر جرابلس الواقع على ضفة الفرات الغربية شمالي مدينة حلب وعلى بعد ١١٩ كيلو مترا منها فوقف في ساحة قلعته المترامية الأطراف على كثير من أمثال هذه الخطوطات منقوشة على أحجار سود تتخلل الانقاض المبعثرة تحت الردم فتساءل عما عسى ان تكون [illegible] الاطلال البائدة ورسوم آثارها الصخمة على أبنية على جانب من العظمة وانتهى في تلك الآونة ان الاستاذ سايس الذي أكب على دراسة مخطوطات حماه المغلقة منذ بداية عام ١٨٧٦ عرا [illegible] الى لعل ان تكون تلك الاطلال [illegible] منطوية على خرائب مدينة كركميش احدى عواصم الحثيين الواقعة على ضفة الفرات كما تشير اليها نصوص الفراعنة القدماء فطار صيت هذا الاكتشاف الخطير وسرعان ما أيدت صحته علماء الآثار فتنبهت الأذهان الى هذه المخطوطات الحثية وتوغل البحث عنها في انحاء سوريا وآسيا الصغرى كافة فظهر للباحثين آثار كثيرة على مثالها من عند اطلال كركميش الى ازمير وفي وادي الحلبس منطقة ملاطيه وارضروم فأخذت تتسابق البعثات الاثرية الى هذه البلاد وشمرت عن ساعد الجد منقبة عن عاديات تلك الدولة العظيمة التي جهلها التاريخ زمنا طويلا

وقد بدأت أول بعثة انكليزية حفريات منتظمة في كركميش سنة ١٨٧٦ م فدامت اعمالها اربع سنوات ثم استأنفتها في سنة ١٩٠٢م بعثة المستر (السر الآن) لرد وولي والداعية المعروف الكولونيل لورنس وقد كان من هواة الآثار بيد ان الحرب العظمى حالت دون اتمام حفرياتها على انه ما كادت تخمد هذه الحرب اوزارها حتى واصلت تلك البعثة اعمالها من دون لورنس الذي شغلته عن الآثار شواغل فكانت المكتشفات خصبة وافرة من مخطوطات ونقوش وتماثيل واصنام نقلت برمتها الى المتحف البريطاني ولم يبق لسوء حظنا اثر منها بين أيدينا يصلح لدراسة اللهم غير تلك الاركان الحجرية الضخمة التي سلبت معظم نقوشها وطمست معالم منها

وكذلك عملت بعثة المانية عام ١٨٨٨ م في خرائب زنجيرلي الواقعة في شمالي غربي كركميش فوقعت فيها على آثار حثية كثيرة توزعت بين متاحف استامبول وبرلين

ثم عقبتها حفريات عديدة كان معظمها في آسيا الصغرى فنقلت آثارها المهمة الى متاحف اوربا من غير ان ندري بها نخص منها بالذكر التنقيبات التي شرع بها مسيو شانتر الفرنسي عام ١٨٩٤

في قرية بوغاز كوي ... [illegible] ... ثلاثة
في معركة منها وقد استمرت حفريات ... [illegible] ... من
اكتشاف خطير يعد من أعظم الاكتشافات الأثرية ... الأثري هوجو فنكلر ...
في تلول تلك القرية الآسيوية مجهودات ... عن ... عاصمة الحثيين القديمة
وقد عثر في هيكل ... كبيرة تضم نحواً من عشرين الف لوحة من
الآجر المشوي مخطوطة بالخط المسماري كانت مصدر معلومات ثمينة عن حضارة الحثية لأن معظمها
وجد مكتوباً باللغة الأكادية السامية مما سهل معه تفسير بعض نصوصه ومن أهم ما عثر عليه بين
هذه الألواح نسخة لمعاهدة المعقودة في سنة ١٢٧٨ ق. م. بين الفرعون رعمسيس الثاني وملك
حاتوشيل الحثي مكتوبة باللغة الأكادية وكان قد سبق ان اكتشفت نسخة المصرية في حفريات تل العمارنه

وقد اقتفت بعثة انكليزية اثر ذلك الاكتشاف الخطير ونبشت أطلال سانجي كوزي القائمة على مقربة من قرية بوغاز كوي في سنة ١٩٠٨ م فوفقت الى العثور على آثار حضارة عريقة ترتقي الى اقدم عهود الحثيين كما ان اكتشاف كركميش حدا بالعلامة الأثري المسيو تورو دانجان الفرنسي الى اجراء حفريات حول تلك العاصمة في ناحية كانت تدعى تل أحمر ثم عرفت بتل برسيب قائمة على ضفة الفرات اليسرى فاكتشفت فيها خلال سنوات ١٩٢٧ و ١٩٢٨ و ١٩٢٩ كتابات ونقوشاً وأصناماً حثية تحت طبقة من بعض قصور اشورية وآرامية رائعة بصحاحتها ورسومها الملونة استدل منها على ... تل ... القدوم المذكورة تباعاً مع تعاقب الايام

ويجدر بنا ان نشير كذلك الى الحفريات غير المجدية التي قام بها المسيو هروزني في كول تبه قرب القيصرية عام ١٩٢٧ فأماطت اللثام عن العصر الحثية ولا يفوتنا ان نلمح الى تنقيبات بعثة شيكاغو منذ عام ١٩٢٧ على روابي اليشار الواقعة على مسافة ٧٠ كيلو متراً من شرقي بوغاز كوي والى اعمال مسيو دولابورت في تلول آرمولوك عام ١٦٣١ وفي ارسلان تبه عام ١٩٣٢ تلك التي كشفت عن خرائب قصور حثية وعدة نقوش تمثل طقوساً دينية وصنم الملك حثي مصنوع بتسم من اشوري وآنية من فخار وخزف تمت صناعتها الى الحثيين القدماء

وقد خدم الاتفاق بعض المنقبين في قرب حلب وجوارها وفي مدينتي حمص وحماه وفي معظم البلاد التركيه بالعثور على آثار حثيه تحت طبقات كثيفة من انقاض حضارات احدث تاريخاً دلت على ايتال تلك المدن العامرة في القدم

ولم يبرح معول التنقيب ينبش التلول المنتشرة في سهول آسيا الصغرى وسوريا الشمالية باحثاً عن

آثار تلك الدولة العظيمة التي تقدم وصفها من حيث الاتكال [illegible] فاستعمروا بلادهم واخضعوها لسلطانهم

وقد اتجهت في المدة الاخيرة جهود علماء الآثار [illegible] جامعة شيكاغو بعثة منظمة الى قرية جطل هويوك [illegible] حيث [illegible] لتبحث بين خرائب المطمورة تحت الردم عن مدينة [illegible] خرائب الحثيين القديمة في سوريا الشمالية كما شرعت بعثات أخرى في تنقيب تل [illegible] وبعض الاطلال [illegible] وسويدية وقد وصل الينا مؤخراً [illegible] عثور هذه البعثات على آثار حثية [illegible] مدة قيد الدرس والتمحيص ولعله لا يبعد ان تتحصر [illegible] سهول [illegible] آثار بقية المستعمرات الحثية [illegible] ينبغي للعلماء ان يستطلعوا منها بعض اسرار التاريخ الغامضة التي ما برح جوابها معلقاً على نتائج البحث والتنقيب

عند ما [illegible] العلم من باطن الثرى بقايا تلك [illegible] ولكن [illegible] علماء الآثار الى مراجعة الاسفار المقدسة فتوصلوا [illegible] التاريخ الحثيين القديم ومن اهم النصوص التي ساعدت على التعرف الى تلك [illegible] الفصل الاول من سفر يشوع بن نون من أن الرب [illegible] على ان [illegible] الى الفرات جميع ارض الحثيين ، ثم ما ورد في الفصل الثالث من [illegible] عندما انقذ شعبه من نير عبودية المصريين [illegible] ارضاً واسعة طيبة [illegible] كانت موطن الكنعانيين والحثيين والاموريين

ومما ورد ايضاً في الفصل الثالث عشر من سفر العدد ان موسى [illegible] مع جماعته في برية فاران اوفد رؤساء اسباط اسرائيل ليجتسوا الارض [illegible] مدينة حماه فوجدوا تلك المناطق [illegible] وشعبها قوياً ومدنها حصينة عظيمة وقد كانت [illegible] والحثيون واليبوسيون والاموريون يقطنون الجبال والكنعانيون منبسطون في سواحل البحر وقد انتشروا حتى عدوة الاردن

وهنالك شهادات أخرى في الكتاب تتصل بموضوعنا [illegible] سفر [illegible] ابراهيم اضطر عند وفاة زوجته سارة في قرية حبرون الكنعانية الى ان يشتري من عفرون بن صوحر الحثي مغارة المكفيلة وحقلها بأربعمائة مثقال فضة ليجعلها مدفناً لعائلته

وان عيسو بن اسحاق لما بلغ من العمر اربعين سنة اتخذ يهوديت بنت بئيري الحثي و[illegible] بنت ايلون الحثي امرأتين له ويلوح ان النساء الحثيات كن جميلات [illegible] حتى عظماء اسرائيل كما تثبت ذلك اسطورة في سفر الملوك الثاني تروي لنا علاقة غير شرعية [illegible] مع امرأة

تسعى لتشبه روحه بروح الحق . على ان هذه الاساليب وحدها لم تكن كافية لتمكين علماء الآثار من اجلاء وجه تاريخ الحثيين وانما توصلوا اليه بما استمدوه من معلومات مستمدة من الالواح الهيروغليفية المصرية ومن الكتابات الاكادية والاشورية وما تيسر حل رموزه من مخطوطات الحثيين انفسهم

فقد ورد ذكر البلاد الحثية لاول مرة من ايامنا في الواح تل العمارنة المكتشفة سنة ١٨٨٧ في عاصمة مصر القديمة وهذه الالواح انما هي رسائل متبادلة بين فرعون مصر وملوك آسيا وبعض الامراء السوريين الذين كانوا خاضعين لسلطة مصر في القرن الرابع عشر والخامس عشر ق م ثم عثر في سنة [illegible] على لوح آخر مكتوب باللغة الاكادية ربما كان اقدم اثر تاريخي عرفناه على الاطلاق يشير الى حملة عسكرية قام بها سرجون ملك اكاده على [illegible] العظيم في سنة ٢٧٢٥ ق.م. على امارات آسيا الصغرى وتوغل في جبال الفضة ونحن بها بلاد الحثيين انفسهم وقد اكتشفت في بوغاز كوي ترجمة هذا اللوح باللغة الحثية القديمة كما ظهرت في حفريات اشور نسخة مستورة ، وفي لوح حثي آخر محفوظ باعز المتاحف يشيد الملك نارام سين من سلالة ملوك اكاده بنصره الذي احرزه على سبعة عشر ملكاً اسيوياً حاربوه متحدين منهم پاما ملك البلاد الحثية وهو اول من عرفناه من سلالة ملوك الحثيين وقد ورد ذكره مراراً في الواح اخرى مكتشفة في كركوك مما يدل على شيوع اسمه في كل انحاء آسيا الصغرى . ومن الملوك الحثيين القدماء الذين تواتر ذكر اعمالهم في تلك النصوص البعيدة زبياني ملك بلدة كانس التي كشف النقاب عن انقاضها في كول تپه قرب قيصرية وپتسكي ملك بلدة كوسورا التي يحتمل ان موقعها الجنوبي غربي افرة في الطرائف المعروفة بكادور قيسي وهنالك اسماء ملوك واعلام عديدة توصلنا الى معرفتهم وسنورد ذكرهم تباعاً فيما يلي مقروناً باعمالهم الخطيرة

***

بالاستناد الى الادلة والبينات التي توافرت لدى علماء الآثار حديثاً على ان الحثيين انحدروا من عرق آري طرح رحاله على آسيا الصغرى في قديم الزمن فقطنوا اولاً جبال الاموس المعروفة بجبال اللكام ثم تكاثروا فاندفعوا الى اودية الجبال وتبسطوا في سهولها على انهم تفرقوا الى عصابتين سكنت الاولى في الكبادوك وفي سائر انحاء آسيا الصغرى ثم انتشرت بكرور الايام من الفرات الى حلب فحماه فقادش ورحلت العصابة الثانية الى ابعد من ذلك فاستوطنت معظم بلاد كنعان من قبل عهد ابراهيم اي في اواخر القرن الحادي والعشرين ق م . بدليل حادثة شراء ابي المؤمنين مدفن عائلته في حبرون من عفرون الحثي وقد عرفت الاولى بالعصبة الشمالية والاخرى بالجنوبية بيد ان هنالك من يستبعد وجود علاقة ثمة بين العصبتين بغير تشابه الاسم . فيبقى حل الغموض في هذه النقطة المبهمة متوقفاً على مستقبل الاكتشافات الاثرية

على انهُ يظهر ان كل من اطلق عليه الاسم الحثي كان قوي الشكيمة ذا سؤدد في مواقعه الحربية اذ يحدثنا الكتاب ان الشعوب الحثية الحثوية قاومت استيلاء الاسرائيليين على ارض كنعان مقاومة عنيفة وحاربتهم حروباً شعواء ولكنها لما غلبت على امرها لم تبرح البلاد بل اتفقت مع بني اسرائيل وتوطدت العلاقات ما بينهم فاصبحوا تحت رايتهم وناصروهم في سائر فتوحاتهم

أما في شمال فقد فصلوا صولتهم على العناصر السامية التي اجتاحوا بلادها وشادوا فيها مملكة عظيمة منذ أوائل الألف الثانية ق.م ضمت تحت لوائها تدريجاً كل الشعوب الأسيوية العديدة التي كانت منتشرة في آسيا الصغرى وفي السهول الممتدة ما بين الفرات والنواحي وان من أقدم الآثار التي تدلنا على سطوتهم لوح مخطوط بالقلم المسماري أشار اليه العالم الاثري السيد هروزني يتضمن أسطورة فتوحاتهم الأولى في آسيا الصغرى بين سنة ١٨٥٠ و ... ومفادها ان بتحانا ملك بلاد الكوثر استولى على مدينة نارا التي سكنها الحثيون القدماء واشتقت منها تسمية لغتهم القديمة بالنرية وان عينا بن بتحانا ألحق بالمملكة التي استعمرها والده مملكتي ... وحتى وكثير مدينة نارا ونصب عند بابها مسلة تذكارية لاستمرار ... ستمدُّ فيها للنون عن تأييد ملكه من اله ... والصواعق ... ان حاتوشا عاصمة مملكة حتى المغلوبة لم تعد الى الخضوع والسكينة ... شر ... جيوش ملك ... فكوها بعد شرّ تنكيل وحملوا مغانم مملكته الى معابد نارا وكوثر فكان بينها الكثير من الذهب والفضة مع مجموعة من أغرب الحيوانات المتوحشة

فيستفاد مما تقدّم انهُ كان لدولة الحثيين القدماء اربع حواضر في آسيا ... الثانية قبل المسيح وهي كوثر ونارا ورلبا وحاتوشا التي مرّ ما ذكرها على انهُ لم يتيسر للاثريين بعد تعيين امكنة هذه الحواضر الاربع بيد انه يغلب على ظن ان تكون خرائب الحاضرة الاولى هي المعروفة اليوم باسم كادور قلعه سي غربي ... ان نارا من المرجح انها مطمورة تحت تلول مرادلي هويوك على بعد ١٥٠ كيلو متراً من كادور قلعه سي كما انهُ ينبغي البحث عن الحاضرة الثالثة رلبا في قلب آسيا الصغرى بجوار منطقة الكابادوك بالنظر الى تواتر ذكرها في كتاباتهم ويلوح انها كانت من اعظم الممالك القديمة بالنظر الى ان الملك عينا عند استيلائه عليها لقب نفسه بالملك الاعظم . اما حاتوشا فهي العاصمة الوحيدة التي كشف ... خرائبها في بوغازكوي جنوبي ولاية سينوب التركية ويهم ان ... ايضاً مدينة عامرة ... كانت تحت حماية آلهة الشمس وقد ورد ذكرها في بعض الواح بوغازكوي مما يدل على انها كانت على مقربة منها وقد تكون خرائب هويوك الواقعة على بعد ٢٨ كيلو متراً من شمالي شرقي تلك العاصمة

[البحث بقية]

الكهربائية البشرية (1)

من تسجيل تصوير الاحلام والافكار

بقلم عوض جندي

يطلق الذكي في درس مشكلة ما من الطاقة الكهربائية أقل مما يطلق البليد الذهن

تم حديثاً وفد من العلماء، بحبرات ومباحث علمية في تكسيدوبارك من أعمال نيوورث بالولايات أميركا المتحدة، ليعقدوا أول اجتماع في أميركا للبحث في ميدان طريف من ميادين المباحث العلمية وهو الأول من نوعه في أميركا

وكان ذلك الوفد مؤلفاً من ستين خبيراً من خبراء «الأمواج الكهربائية الحية» جمعوا يتناقشون في شعاب الدوية التي تم على التيار الكهربائي الذي ينبعث من ملايين خلايا المخ البشري

وقد تذرعوا الى مباحثهم بآلات حساسة لتسجيل الكهربائية، تستطيع تدوين أقل من جزء من مليون من وحدة التيار الكهربائي المعروف فتبينوا حقائق مدهشة، في الأدمغة البشرية، ووقفوا على سلوك عاملها ووظائفها، إذ استطاعوا انجاز أعمال رائعة ومنها (تصوير الأحلام) ومراقبة الأعمال الفكرية ... حلال ... على حل المسائل الحسابية وشاهدوا ما يسمى (بالعاصفة الكهربائية) التي تؤثر في مخ المصروع ثم توسلوا بما تكشف لهم من الحركات النظامية في تلك التيارات الكهربائية الضئيلة ذات الطاقات المختلفة، الى اكتشاف براعة فنية جديدة من كل الوجوه، في اكتشاف الأدواء المختلفة التي تصيب المخ وتمثيلها

كان فليشل فون ماركسو Fleischl von Marxow الألماني أول عالم تمكن من تحويل بعض تيار تلك القوة الضئيلة عن مجراه الطبيعي اذ اكتشف في سنة ١٨٩٠ نبضات كهربائية طبيعية تمر في جماجم الحيوانات، متوسلاً الى ذلك بجهاز ضعيف الاحساس، غير متقن الصنع، بمقابلته بما يوجد الآن على شاكلته

(1) أشرنا الى هذه الكهربائية في باب الأخبار العلمية في مقتطف أكتوبر الماضي (وقد ذكرناها أيضاً في مقالتنا عن العلم والصحة ... في مقتطف ابريل سنة ١٩٣٥) ثم قرأنا في مجلة العلم العام الاميركية مقالاً تقيباً في أحدث التجارب التي قام بها العلماء في هذا الموضوع ... فيه ما يعرفه كثير من قراء المقتطف

وكان علماء الفسيولوجية قد [illegible] قبل ذلك [illegible] أن [illegible] كثير من الاعضاء الجسدية ، يصحبه تيار كهربائي [illegible] عضلة أو [illegible] وسنة [illegible] كان كل حدث منها مصدراً لتيار كهربائي [illegible] وعلى ذلك [illegible] الطبية ، عدة [illegible] ، العلاقة بين الكهربائية والحياة [illegible]

ووصل الدكتور أدريان Adrian [illegible] الاستاذ [illegible] كامبردج بانكلترا ، [illegible] ، عصب [illegible] ، بجهاز [illegible] للتيار الكهربائي . [illegible] (آلة تحدد مقدار قوة التيار الكهربائي) فكشف له [illegible] الكهربائية [illegible] العصب ، كما [illegible] أصبع [illegible]

وجربت في جامعة [illegible] [illegible] تجربة [illegible] . قام بها الاستاذان [illegible] وبراي [illegible] إذ [illegible] ووصلا عصب السمع من [illegible] . ووصلاه بأنابيب مفرغة من الهواء ، وتليفون ، وذلك [illegible] كهربائية [illegible] التي تلقى في أذن الارنب ، تسمع بالتليفون ، فثبت من ذلك أن الآذان ميكروفونات حقيقية تحوّل [illegible] الصوت ، الى نبضات كهربائية

وتبيّن للعلماء في [illegible] على [illegible] الفرح [illegible] يؤثر في جلدها ومقر حساسها . [illegible] في [illegible] حركات المرآة [illegible] وذلك [illegible] [illegible] ووقعت عليها شعاعة من النور ، فاذا تغيرت [illegible] [illegible]

وقد طلقت [illegible] التيار الكهربائي [illegible] حركة مرآة [illegible] ، حتى [illegible] الأدلة الظاهرة التي تدل على الحياة في ذلك [illegible] ، واستمرت [illegible] النور المنعكسة على الحائط [illegible] العجيبة الصامتة ، ساعات [illegible] الكهربائي في ذلك [illegible] الميت موتاً ظاهرياً [illegible]

ويستطيع الاطباء المتخصصون في امراض القلب ، تدوين التقلبات التي تحدث في التيار الكهربائي المتولد من القلب البشري ، في جهاز رسام يسمى الكتروكاردوجراف اي مصورة القلب الكهربائي . [illegible] امراض القلب وتدل [illegible] الخطوط المنحنية في تلك الرسوم [illegible] على مصادر الداء ، وتساعد على وصف الدواء [illegible]

وبعد اكتشاف فون ماركسو للامواج الكهربائية بعدة عشرات [illegible] ، لبثت المباحث في ذلك الميدان رهينة التحسين في اجهزة البحث حتى [illegible] بالانابيب المفرغة من الهواء التي تقوي النبضات الكهربائية [illegible] مئات الوف المرات فأصبحت التجارب [illegible]

وفي سنة ١٩٢٩ قام هانس برجر Hans Berger في جامعة [illegible] بالبحث الاول

من سيرة صاحبه لتستعيض بالامواج المعبة، فكان أساساً متيناً، شيّد عليه من قد أتوه من أنداد وضروح منهم دعم تجاربه الانسانية في جوار شتى وفي أشخاص مختلفي الامزجة من العصبيين وعديمي المبالاة، وفي غيرهم من الضعف والاشداء والنائمين والسوّيين، فكان يفحص غرر الصفات الجراحية فتقوم بسيط قضيبين كهربائيين على المخ مباشرة وذلك من ثقوب يحفرها في الجمجمة. وقد شخّص بهذه الوسيلة طوائف من الطلاب الاذكياء والتلاميذ البلداء، فشاهد في احدى تجاربه ترحت في الموجات حينما فقد الشخص (الذي كان يمتحنه) وعيه بحرمانه من الهواء

وفي الولايات المتحدة الاميركية عشرات من العلماء في معاهد مختلفة مكبّون على هذا البحث المستمر. وقد شاهد المستر إدوين تيل الكاتب الاميركي مفتش هذا الميدان، تجربة من التجارب التي جربها الدكتور ماكي في جامعة نيويورك من عهد قريب، فوصفها قائلاً —

شهدت احدى تجاربه عن كثب، في مختبره العلمي الخاص بالامواج الكهربائية المخية، فرأيت معاونيه مكبين على عملهم في مراقبة التصويرات الكهربائية، يفحصون الاقطاب الكهربائية، ويعدون آلات التصوير التي تسجل تلك التقلبات المخية المدهشة، وكانوا يستغرقون احياناً ساعتين في الفحص وتركيب الآلات الدقيقة وما يصحبها من الادوات اللازمة للتجارب

وبعد ذلك كان يؤتى بالمرء المزمع امتحانه فيرقد على سرير خاص. ثم يدلك أحد مساعديه بالصابون والماء دلكا جيداً، ويغسل بالكحول ثم يدلك بالاثير ليزول منه جميع الزيوت الطبيعية، وبعدئذ يؤتى بشيء من القماش وتشبع بمحلول ملحي ويلصق بها الساعد لتصمد القضبان الكهربائية على احدها عند المعصم وعلى الساعد، ويلبس الشخص عمامة يصاه (مثل العصابة) تحتوي على قضبان الكهربائية القضبان الخاصة بالرأس، فتضغط العاقبة على فروة الرأس. ويجرب الآن الدكتور ماكي سلسلة تجارب مدهشة في الصم البكم، اذ تبين له انهم «يعقلون بايديهم» أي ان التأثير الكهربائي الذي يتولد في الدماغ، يساويه تأثير مثله، يتولد في اليدين، وان لم تأتيا بأية حركة من الحركات. وهذا لا يصدق على الاشخاص المتمتعين بنعمة النطق، اذ يحدث تأثير كهربائي مساويه في الدماغ واللسان وهذا أساس موضوع خطير وهو «هل ندرك بأدمغتنا فقط أو بأجسامنا كلها؟؟» وهي المعضلة التي آلى الدكتور ماكي على نفسه حلها، فأسفرت مباحثه وسجلاته الكهربائية عن كوننا ندرك بأجسامنا بأسرها!!

في إحدى تجاربه الاولية، تبيّن له ان نبضات كهربائية عجيبة، متعاقبة تسري في الآلات التي كان يستعملها وتثير الحيرة في تعليلها، فشك بحاجة مزدوجة بالدائرة الكهربائية، فظهر له انه كان يلتقط أمواجاً قصيرة مذاعة!! وتعليل ذلك ان جسم الشخص

الذي كان موضوعاً وضعاً افقيًّا ، كان هدوء عقله ووعيه موضع [illegible] الاميركي . ولكن الاشخاص الذين تجري فيهم التجارب ، تخطّ أسفل جبهم بطار [illegible] مغطى بشيء من النحاس الاحمر ، يُلقى عليهم وهم في السرير ثم قوم [illegible] ذلك الاطار الى مقره . وسرعان ما تُنقل الامواج الكهربائية حتى أخذ الدكتور [illegible] كي يلتقط النبضات الكهربائية الضعيفة بعطفين الكهربائيين ، فتسري في اسلاك مرونة الى مقويات مودعة في صندوق في زاوية غرفة الآلات حيث تقوم صفوف من الانابيب المفرغة من الهواء ، بتقوية هاتيك النبضات الكهربائية الضئيلة الصادرة من دماغ [illegible] الموضوع التجربة ، وساعدهم هذا الجهاز الجديد على طريقة كلها ابداع

ذلك ان النبضات تسري الى اوسيلوغرافين من طراز متفوق أي جلفانومترين حساسين جداً مجهزين بأسلاك دقيقة جداً من اللون الفضي مصفحة بالذهب لا يزيد ثخانتها على جزء من الف من العقدة وتلك الاسلاك معلقة في مجالات مغنطيسية تتولد من مغنطيسين كهربائيين ضخمين ، على شكل حذاء الفرس وتسري النبضات الكهربائية [illegible] الصادرة من دماغ الشخص ودماغه ، في الاسلاك اللولبية العجيبة الشكل ، فيهزها هزّاً يتفق قوة [illegible]

ومتى اهتزت تلك الخيوط تجاه مصابيح المرض [illegible] تم انعكاس على فيلم لمحررة Camera تشتغل [illegible] لتيارات الكهربائية تعتمد [illegible] الحرب . تتموج هذه الخطوط القائمة نحو عشرين دقيقة [illegible] ثم تستمر [illegible] في حركة [illegible] تامة مما يدل على ان صاحبه قد [illegible] الدماغ والجسم بوقته كل الاستقرار . وقد تمكن الدكتور [illegible] اكثر من عشرين مرة ، من تدوين الاحلام على الشرط الفوتوغرافية [illegible] كان يحلم في المرة الاولى [illegible] يتجول في حديقة [illegible] (احد شواطيء مدينة نيويورك) وفي المرة الثانية كان الحالم يشترك في معركة . فاصبحت تلك الصورة المؤلفة [illegible] خطوط متموجة الاولى من نوعها للاحلام في العالم اجمع . فاثارت البحث في معضلة طال [illegible] فيها في علم النفس وطالما تساءل العلماء بشأنها وهي : كم من الزمن يستغرق الحلم ؟

قال الكاتب الاميركي [illegible] وقد راقني ذلك البحث خاصة لاني كنت اختبرته بنفسي منذ بضع سنين اذ حلمت اني كنت اصارع لصًّا في مطبخ مظلم فسقط من المطبخ في اثناء الصراع إناء من اواني الطبخ ، كان معلقاً في حائط فاستيقظت عندئذٍ وصوت الاناء الساقط على الارض يتردد في اذنيّ وأخبرني فيما بعد صديق لي من علماء النفس في جامعة هارفرد ان الصراع كله قد تمّ في هنية اي في اللحظة نفسها التي استيقظت فيها على صوت الاناء الذي

[illegible] محادثة في الخطاب . ثم اجمع علماء النفس [illegible] في [illegible] ودقيقتين من الزمن . وتدل سجلات الدكتور ماكس الخاصة بالتيار [illegible] في [illegible] على ان الحلم قد يستغرق دقيقتين او دقيقتين ونصف [illegible] او [illegible] .

وربّ سائل يسأل [illegible] وكيف [illegible] على ان النبضات التي [illegible] صادرة من الدماغ حقيقة ؟ ؟ فيجيب الدكتور [illegible] ان لذلك الاستدلال عدة أسباب [illegible] ان شكل النبضات وحركاتها النظامية ، التي تصدر من العضلات والدماغ ، تختلف [illegible] بعض اختلافاً شديداً . وعدا ذلك فان رجير [illegible] الاب وضع قطبي الكهربائين على الدماغ مباشرة في غرفة العمليات الجراحية ، فحصل على تيار قوي كالذي حصل عليه عند وضعهما على سطح الجمجمة ولو كان التيار منبعثاً من أي مكان غير الدماغ نفسه ، لاختلفت حاله عن ذلك

ويكشف [illegible] في [illegible] ان الامواج الدماغية تنحصر في طائفتين رئيسيتين وهما حركات [illegible] العصبية . وكل منها تتموج نحو عشر مرات في الثانية وحركات بيتا النظامية ، وهذه تتموج عشرين مرة او اكثر في الثانية وكل نوع من تلك النبضات الكهربائية يبقى على حاله تقريباً في أي شخص يوماً فيوماً ولذلك يرجو [illegible] العلم [illegible] انه يكتشف الموجة [illegible] التي يسترشد بها او بالانحراف عنها الى تمثيل أمراض الدماغ تمثيلاً كهربائياً أسوة بالاطباء الاخصائيين لامراض القلب اذ يمثلونها بواسطة الالكتروكاردوجراف ، كما تقدم القول

وعلى تلك الوتيرة اتضح للباحثين في جامعة هارفرد ان داء الصرع يمكن اكتشافه بالامواج الحية الشاذة التي تصدر من المصاب به وأن نوبة الصرع عواصف عصبية [illegible] شحنات كهربائية عظيمة ، وفي اثناء النوبة يزداد تدفق الكهربائية من المخ ٣٠٠ في المائة ، علماً [illegible] يكون الدماغ [illegible] وفي [illegible] طبيعية [illegible] امرؤ بالاغماء ، اما [illegible] الموجات الحية فيتراوح بين ثلاث او خمس في الثانية

ويقول الدكتور ماكس في تقريره العلمي ، انه كلما اشتغل الدماغ بحل المسائل الحسابية المعقدة اشتدت الكهربائية الصادرة من سواعد [illegible] . وقد شاهد ان حل المسائل الرياضية الصعبة يحدث تياراً جسمياً اشد منه عند حل مسألة سهلة وان استظهار جملة من جمل المطبوب حفظها غيباً يقتضي انفاق قدر من الكهربائية اكبر منه عند قراءتها فقط

ويظهر من التجارب التي جرت حتى الآن ، انه كلما اشتد ذكاء امرىء ، قل تولد التيار في جسمه عند ادراك اي موضوع وانه عند اقتصار حسه ، تشتد فيه وحدة القوة الكهربائية المحركة ، كما في إبان دقته جيداً

ومن دأب الدكتور ماكس في عصور تجاربه ان يمتح ناحية مصورته في المسائل الحسابية

حيث تجري ظلال الأسلاك النورية فتضبط ترددها خطوطاً على ورقة حساسة من نوع الورق الحساس وهو يرجو ان تحصل علاقة لمعرفة أخرى من متعلقات النوم وبفرد نوع حلم يحلم به المرء في النوم من دراسة تلك الخطوط ويتوقع انه يصل الى معرفة علاقة بين تلك الخطوط وبين درجات النوم

وفي الولايات المتحدة الاميركية سعة مختبرات علمية ، تل ذلك مثال في مختبر الدكتور لومس في تكسيدو بارك في نيويورك تشاهد اتم الأجهزة العلمية لدرس هذه المباحث دراسة شاملة وقد ركبت فيها — بدلاً من مصورات الصحف ، وما يشبهها من الأسلاك النورية — اسطوانة دقيقة ، طولها ثمانية أقدام وقطرها ٤ عقدة وتستطيع استيعاب سجل مستمر يستغرق ثماني ساعات

وسلك يوضع في غرفة نوم الشخص المزمع امتحانه ، ميكروفون حساس يلتقط كل صوت يصدر منه ، ويصحب الميكروفون صفائح كهربائية ذي مقاومة كهربائية حساسة بالضوء تفيد كل حركة من حركاته وهو على فراشه فيقوى التيار الصادر من المصدر الكهربائيين مثبتين على فروة رأس النائم فيحركان آلات سريعة مسجلة مزدوجة وهي ثلاثة أقلام جوفاء يتدفق عليها المداد باستمرار فترسم خطوطاً متموجة ، كل منها على سن حبس عقدة من بين وذلك على ورقة مثبتة على الاسطوانة الدوارة فيرسم خطاً بالمداد الاحمر وآخر بالمداد الاخضر ، فيدل الخط الاحمر على كل خفقة من خفقات القلب ، وعلى كل حركة من حركات التنفس وحركات الشخص النائم على السرير ، على حين يسجل الخط الاخضر دقائق التيار الكهربائي المنبعث من الدماغ ويدور الدوران على الاسطوانة بمعدل قدم واحدة في كل ساعة

وتركيب هذا الجهاز يمكن المجربين من ارسال صوت الى النائم في فترات معينة ثم مراقبة تأثير ذلك الصوت في التيارات الصادرة من الدماغ كما تدوّن في سجل الخط الاخضر

والدكتور لومس على يقين انه قد أتيح له بدراسة تلك الرسوم العلمية اكتشاف ستة أشكال من الموجات الخفية يمتاز كل منها عن الآخر بخطوط متموجة حاداً ، متمايزة الشكل ، واما بخطوط كروية . ويرى ايضاً انه في خلال بعض ساعات الليل ، تحدث في الدماغ انفجارات مجهولة ذات تأثير كهربائي لمدة قصيرة متعاقبة تتراوح بين خمس ثوانٍ واثنتي عشرة ثانية . ومن المشاهدات الغريبة التي شوهدت ان الشخير الدائم ، لا تأثير له في التيار الكهربائي المنبعث من المخ ، ولكن الشخير الشديد الذي يزعج النائم ، قد يحدث في دماغه ، نبضات متعاقبة تزيد رويداً رويداً وان كثيراً من الاصوات كضرب الابواب المفاجئ ، عند اعلائها تحدث تأثيراً كهربائياً متزايداً في خلايا المخ حينما يكون المرء نائماً ولكنها لا تفعل ذلك في اليقظة اذن يقوم الباحثون بتلمس منهاج جديد في هذا العلم الحديث وقد أسفرت مباحثهم الاحادية حتى الآن عن كونها اساساً لما ينتظر من المعلومات الجليلة في هذا الميدان العلمي المترامي الاطراف

الزعيم والفيلسوف

هتلر وفيشته

ما بينهما من شبه واختلاف

بقلم ابراهيم ابراهيم يوسف

ان المآرب السياسية والاقتصادية التي نادى بها الفيلسوف فيشته (...) سنة ١٧٩٥ ، تشبه من حيث نزعتها الى « الاشتراكية الوطنية » مبادئ هتلر التي جاهر بها بعد الحرب العالمية فان « اشتراكية » هتلر مركزة في تلك العبارة البارزة من برنامجه التي تنص على « اننا نطالب بجعل كل المؤسسات التي في حوزة الشركات ملكاً للدولة » ، بينما نجد « اشتراكية » فيشته قائمة على وجوب استيلاء الدولة على أهم مؤسسات الانتاج ووسائله

ويقول هتلر : « اننا نطالب باصلاح الاراضي ووجوب وضع قانون لالغاء ملكية الارض ، وما ذلك الا لاستغلالها استغلالاً جماعياً يحقق وحدتنا الوطنية » وقال فيشته مثل ذلك ولكن في غير ابهام . اذ دعا الى وجوب تقسيم الاراضي تقسيماً عادلاً

وكلاهما يتظاهر « باشتراكية » غير التي وصل اليها كارل ماركس (K. Marx) القائل بتحريم الملكية . فهما يخولان لكل فرد ان يمتلك من الارض قدراً لا يزيد عما في وسعه ان يفلحه . واشتراكية هتلر الوطنية تأبى على الرأسماليين استبقاء ملكية ما استحوذوا عليه عن طريق اللصوصية (يشير الى المضاربات في أعمال البورصة) ، رغبة منه في وضع حد لتكدس الثروة في أيدي فئة صغيرة . وأدق من هذا رأي فيشته القائل بحق كل فرد في الملكية على شريطة أن يكون هذا الحق مكفولاً لكل مواطن

كذلك نرى فكرة « وجوب اتاحة عمل لكل فرد ، وحق حصوله على عمل » ، ماثلة عند كل منهما وكذلك يتفق كلاهما في اعتبار الانانية مصدر الخبائث ، ويجب القضاء عليها ولكن الانانية عند هتلر تتمثل في « اليهودية » القائمة على انواع المضاربة المالية والتجارية . بينما نراها عند فيشته ممثلة في مختلف انواع « شهوة الانتفاع الذاتي »

كذلك يتفق برنامج كل من هتلر وفيشته في تقديم النفع العام ، وانهُ مفضل على النفع الفردي . غير ان النفع العام عند هتلر هو ما يعود على الدولة ، بينما هو عند فيشته النفع الذي يعود على الشعب

ومن الحق ان التشابه بين الاثنين يتجسم في مقترحاتهما الاقتصادية الخاصة « بمسألة النقد » . ففيشته يقول بوجوب تعميم عملة من مادة لا قيمة لها ، بينما يقول هتلر بتداول عملة قيمتها الفعلية منحطة ، على ان الرأي السائد اليوم في الدولة الالمانية هو رأي مدرسة الدكتور شاخت مدير بنك الدولة . ويمثل هذه العملة التي لا رصيد لها بنوك المانيا ، غير خاضعة للعالم الاقتصادي ومؤثرات السوق العالمية . ويقول الهر فيدر (Feder) مستشار هتلر في الامور الاقتصادية « انهُ يخاف في فكرة العملة هذه التي امرها كل خطر ، اذ نتوقع ان لا بد للدول الاخرى من مجاراة المانيا في هذا العمل . وبهذا يتم التقارب بينها ويقوم على اساس وطني جديد ، غير ذلك الاساس الذي اوجدتهُ البورجوازية » . اما فيشته فلم ير حاجة الى إخفاء غرضه وصارح بوجوب انفصال المانيا انفصالاً اقتصاديًّا تامًّا عن بقية الدول ، كيما تصبح « دولة تجارية قائمة بذاتها »

ومما تقدم يتبين مبلغ التشابه في تفكير كل من هتلر وفيشته غير ان « اشتراكية » هتلر ليست الا مجرد « تمويه » ، الغرض منهُ استدراج الفلاحين السذج لقبول مبادئ هتلر ، الذي يتعاون سرًّا مع « الارستقراطيين » الذين هم من قبيل اللصوص ، ولم يبق هناك من يحافظ على احد من حزبه . اما « اشتراكية » فيشته فمنها اسس دعمت بتأثير الاحوال التي احاطت بشخصيته منذ نشأته . فقد انحدر من عائلة اشتغل افرادها بالحياكة . وبدأ يعمل لكسب قوته وهو لم يتجاوز سن الطفولة فاشتغل برعي الاوز ، ثم أصبح فيما بعد مدرساً متنقلاً بين المنازل . وأتاحت لهُ حياته هذه ان يتفهم « الاشتراكية » فهماً عميقاً فأصبحت في دمه ، ولم تكن هنالك قوة تستطيع ان تمحو آثارها من ذهنه . ثم هو الى جانب ذلك قد امتدح الثورة الفرنسية وناصب أمراء المانيا العداء . بينما هتلر لا يزال على زلفة اليهم رغم سقوطهم عن عروشهم

ولقد كان فيشته ميالاً كل الميل الى « الديمقراطية » ، بينما هتلر يبغضها كل البغض ، وينعتها « بالانسانية الوضيعة » . وبينما كان فيشته يحس ويؤمن « بمبدأ حق التساوي » ، لا يتحرج هتلر عن ان يتبرأ من هذا المبدأ . ومن هذا كله يتضح لنا ان « اشتراكية » فيشته كانت عندهُ بمثابة العقيدة وليست مجرد أوضاع اقتضاها التنسيق في البرنامج لأغراض معينة

ولا يقل التفاوت بين « وطنية » فيشته « ووطنية » هتلر عما لمسناهُ من تفاوت بين اشتراكية كل من الرجلين ، مع الاعتراف بوجود تشابه ظاهري في تفكيرهما السياسي ، وتشابه أشد منهُ في التفكير الاقتصادي فكل من فيشته وهتلر يسعى الى الحرب مدفوعاً في ذلك بعوامل متشابهة هي هزيمة سابقة في ميدان الحرب ، وصلح شائن ، وضغط عدو يزيد على المانيا في العدد

والنعمة . وكان نيتشه قد [illegible] وهو في [illegible] في « فرقة الهجوم » . [illegible] ان ظهر واسبب في [illegible] في [illegible] له [illegible] وتتجلى خلاصة عقيدته في ذلك البيان

وقد [illegible] مظهر لا [illegible] لانهن [illegible] ان تتفق أصولها عندهما . فدوافع الحرب عند [illegible] وغيرها عند [illegible] . فكان نيتشه [illegible] نابليون . ولكنه لا يكره « المنتصر » وكان يكره أعداء وطنه . ولكنه لا يكره « الناس » . اما الدكتاتور هتلر فانه يمثل شخص الدكتاتور الايطالي ، ولكنه لا يأبه للشعب الايطالي وقد ذكر [illegible] في كثير من خطبه

وكان نيتشه يعتبر نابليون ليس فقط عدوًّا لالمانيا ، بل هو عدو العالم اجمع ، وفرنسا في المقدمة لان نابليون . في عرفه ، لا يهتم بشيء سوى [illegible] ومستقبله [illegible] . فالبشرية كافة ، في عرف نابليون ، كما يصفها نيتشه ، مجاميع من الناس لا ارادة لهم ، له حق التصرف فيهم كيفما شاء وكانت ارادته هي [illegible] ، وكان لا يأبه للحق ، ولكنه دائم التفكير في القوة وكان يريدها لنفسه لا لغيره ، ويريدها الى ما شاء [illegible] وهكذا هزأ نابليون بفرنسا وبالشعب الذي هيأ الثورة وقام بها وقد استغل نابليون [illegible] في الحرب من أجل الحرية [illegible] من المجد أعظمه . ولكنه [illegible] في السير [illegible] لم يشعر [illegible] لحرية [illegible] الطريق [illegible] بالاشلاء . وعلى الرغم من ان الحرية كانت تنقص الرعب نابليون [illegible] متعمداً الى تحطيمها ، عوضاً عن ان يعيد اقامتها مرة أخرى [illegible] كذلك عمل على ان يجعل من مواطنيه [illegible] أذلاء ، [illegible] التصرف [illegible] » و[illegible] من دون [illegible] يوم الحكم الصحيح بعد ان اشرق على باريس [illegible] ذلك اليوم الذي كان قد [illegible] ان يسود فيه [illegible] الحق وتتجلى كرامة الفرد وتنتصر قوة الضمير الانساني الحي ، وهو يوم عام صحوج [illegible] الثورة . ولكنه فرض على الناس ان تضحي بكل شيء الا « [illegible] نابليون [illegible] في [illegible] لنزواته » اما انه يضحي هو بمقترحاته [illegible] لا [illegible] « [illegible] » [illegible] ، فيضحي بحرية الجنس البشري ، وعن [illegible] ، واصبح مثلي وكل من [illegible] في [illegible] الى ان [illegible] فرحاً حين يقدم نفسه قرباناً للنار المقدسة » — هذا هو قول نيتشه

ومن ذلك كله يتضح لنا الآن مقدار الهوة العميقة والتباعد الشاسع بين اشتراكية نيتشه الوطنية وبين النازيزم الالماني أو الاشتراكية الوطنية التي دعا اليها هتلر

وليس من شأن ذلك التباعد ان يحجب عنا احساس نيتشه الوطني الحاد ، ولا دعوته الى الحرب . ولكن نيتشه يعني الكفاح الفكري والخلقي أكثر مما يعني الحرب المادية لمجرد الأخذ بالثأر او التحرر [illegible] . ثم هو يعني ذلك الانتصار الاعلى . انتصار الحرية على القوة وهو يعتقد ان هذه هي رسالة الالمان من دون الذين [illegible] نابليون . ولكن كيف ينال ذلك ؟

يدس فيشته « دمس فرنسا وجهد بقوى عدو لمرض الاسمى بأقصى ما استطاعت من قوة ؟ » لا شك مما مضى ذلك ويمكن . كما يجوز فيشته « دون ان تصل الى مبتغاها ، لان الدأ... كان يحصها وهكذا قضى على تلك المحاولات لان العصر لم تكن قد تهيأ بعد للحرية » ، «ورجل الفكر الحر لا ... ان يكون في صميمه متحرراً ، والدولة الكاملة لا تكون الا بناس كمثل »

والآن ما هو مركز المانيا ؟ ان فيشته يشير الى « كانت » (Kant) ، والى ماله من « فلسفة جديدة » تهيء وتنشيء المانياً احراراً حقاً ولم تكن فلسفة « كانت » الحديثة هذه نتاج المصادفة ، بل انها نمت وترعرعت على مدى الايام ، متمثلة من طبيعة الالمان وخلقهم . ومن ثمّ ادرك ... ما كان مستقراً في العقل الباطن منذ مئات السنين . ويشير فيشته الى دفاع الشعب الشروسكي من اجل حريته (Preussens ... Cheruster) متسائلاً : لم حارب الرومان ؟ ولم دافع عن ... ؟ لقد قدمت اليه روما كل اسباب الرقي ، ولكن ... المانيا كان عنده مفضلا ومرجحاً فوق كل شيء وهكذا احتفظ بطبيعته سليمة

ويرى فيشته ان هذه الظاهرة قد استبانت جلية في عهد الاصلاح ، وعلى الاخص في شخص « لوثر » . وقد كان لوثر في كفاحه وعقيدته وفي نشأته وجميع احساساته المانياً صميماً ثم استبان غيره ما تحلى به لوثر من تهاون بعض المساواة وتحليل لغموض الشرية فالمواعظ المرقمة ... ، وكثيراً ... في ... ولكن عزيمة لوثر كانت تدفعهم ، وما كانوا ليدركوا سهولة تناول مسائل معينة من الناحية السياسية اذا ما تعسرت معالجتها من الناحية الدينية . وكان لهم بعد التحقق من ذلك فصل الخطاب وهذا التحامل كما يقول فيشته هو من طبيعة الالمان . وكان لمجاحهم هذا صدى في البلاد لا يستهان به

... ليس من السهل ... ولكن هذه الحالة تريد انه اذا ... فرد مصالحهم ، فسرعان ما تأجج النار في نفوسهم

وان كان هذا كذلك ، فهل الالمان هم « شعب الله المختار » ؟

يقول فيشته في ذلك ان لكل شعب رسالته ، ورسالة الشعب الالماني تهم العالم اجمع ، اذ هي تتلخص في تحمل مسئولية تطور البشرية

ولهذا كان واجب المانيا المحافظة على جميع البلدان كما تحافظ على كيانها سواء بسواء ، وكان فرضاً عليها « ان تحمي فرنسا من نابليون . » — وهذا تفاوت آخر بين « وطنية » كل من فيشته وهتلر ، فوطنية هتلر محلية ضيقة محدودة ، ووطنية فيشته عالمية غير محدودة

ولقد جعل فيشته وطنية الامة الكفاح من اجل الحرية وتقويم البشرية ، وبهذا اشعر الناس باندماج ما ربه الوطنية في المآرب الاجتماعية ، فكانت « اشتراكيته الوطنية » الممتازة .

لدى نيتشه نبعاً لفكرته الالمانية التي تحاول جهده بثه ومن هتلر تعميمه غاية في السعي

ولنا ان نسأل الآن ما هي فكرة نيتشه الحقيقية ؟ وماذا يقصد في رسالته من الحرية وسمو البشرية ؟ وماذا تقرر دعوته هذه ؟ وكيف انبثقت الفكرة عنده ونمت ؟

لقد وجد نيتشه ان عصره كان مادياً بحتاً . وان حب الذات هو الذي تدفق كل الامور فاحتقر ثم ابر عصره في اسعاد النفس البشرية ولكنه لا يعرف هذه الحالة علاجاً ولم يوفق الى رأي يدحض به آراءهم ، ولا وسيلة يقضي بها على تعاليمهم . واهتاجت عواطفه وتعطل تفكيره . والادهى من ذلك انه ماون اعداء فكره ، اذ قال ان الانسان لا يبني المعاملة ، وليس الذنب يوافق عليه اذ شاء ، اذ البيئة المحيطة به هي التي تسوقه الى ذلك . فهو تابع للعالم ، « وهو اشبه ما يكون بكرة الصبي في يد الحياة » واحس نيتشه ان رأيه هذا ضعيف ، ولكنه على كل حال رأي لا سبيل الى معارضته . وكل اعتراض عليه لم يكن سوى رغبة غير مسببة ولقد كان نيتشه آخر من يخلط بين الرغبات والحقائق ، فلم يكن ليغمض يوماً عن الحقائق الثابتة ، بل كان الامر الواقع عنده في المقام الاول وهكذا عاش تحت ضغط كابوس لا امل بالمزحزح عنه . ومن لبث ان عكف على فلسفة « كانت » فوجد فيها اساساً علمياً قوي المنطق ، مبدأ عن العاطفة ، يؤيد حرية النفس ولم يكن نيتشه ذلك المدرس المتشرد ، الغارق في آلامه ، المتشائم المحتاج القائم في حزن على أشياء تثيره السوداوية ، لا ، لم يكن هذا نيتشه بكامله . في اعماق نفسه ، اذ ان وحي الخير في صميم نفسه كان يشعر قوياً ليجعله مدرأ وبشيراً . وكان هذا الوحي جاءه من العالم العلوي الذي تربطنا به صلات خفية مجهولة

هنا تنفس نيتشه الصعداء ، وزال عنه الكابوس اذ أدرك ان الانسان ليس بخاضع للاحوال والاشياء المحيطة به ، وان القدر لا قدرة له على تحطيم النفس البشرية مهما قسى وضغط ، وان الارادة لا يمكن ان تذروها « الحرية » مع الريح . وما ذلك الا لان تلك الرغبة الطائشة ليست بصادرة عن ذاتنا الحقيقية فقد تسلط الاحوال والاشياء المحيطة بنا على ارغامنا ولكنها لا ترغم من كانت له نفس حرة أبية خالصة من الانانية . ولا بد ان تحدد النفس الابية من ان تتعدى في الحياة . ولكن عند ما تصبح قوة قائمة بذاتها بتكيف تكييف المصير كما تشاء وتهوى ، وهي في عملها هذا لا تقوم الا بمساعدة لتطور الحقيقي لسعادة البشرية وهذه النفس الابية تعيش في ذاتها لذاتها ، اي انها تعيش للحرية مستقلة عما حولها . وهي في خدمتها للغير انما تخدم ذاتها وتحمي نفسها وتتوسع في حريتها

ومن ثم شعر نيتشه بأنه يحيا في عالم جديد . ولا شك انه مدين في ذلك لـ « كانت » الذي انتزع منه تعاليم الانانية ، فلما تبينت له حقيقة النفس البشرية ، تأكد من وجود صدى

يتجاوب في أعماق نفس كل انسان . ويجمع بين الاحساس وصوت الارادة « وبنفس الصادقة في حريتها لا تأبه بشيء ما يصدر عنها من أوامر ، ولكنها تدرك وتعرف علاقة النفس بالنفس المنبثة التي من صميمها » . ولقد كان « كانت » فرداً من أحيا في نفوس الالمان الايمان الصحيح والتوجه الى الالهة دون غيره ، كما أثار فيهم النزعة الى النصوصية ، وهو لو حررهم من هذه النزعة ، الا انه اعادهم اليها ثانية في صورة اخرى وهكذا تدرجوا من الانقياد الى التنافس في القيام بالواجب ، ومن مجرد قراءة ما في الكتاب المقدس الى وعيه في الصدور ، ومن الاعراض عن الرأي المصائب الى الالتفات اليه وجعله قانوناً

« ولكن اي فائدة من ذلك اذا كان وعي هذا كله قاصراً على فئة قليلة »؟ — كما يقول نيتشه في حيوان الاولى بالشعب كله او بغالبيته العظمى ان تعي هذه العقيدة ، من نفسها وعي عقيدتها

وانتهى نيتشه الى الرأي بأن مهمته هي اتمام ما قام به (كانت) ، والعمل على تحقيقه وقد أدى عمله هذا بسرعة اولى الحرم غير معبد محرب او متأثر بعدم ، مجرداً نفسه لخدمة الحقيقة المنبثقة من الحياة في اشكالها التي وضعها ويؤكد نيتشه ان طريقته ليست الا طريقة (كانت) نفسها ، وان اختلفت من حيث الغرض والواقع ان (تعاليم الحرية) كما ذكرها (كانت) هي عند نيتشه أجل اعماله ، وهي نفس مؤلفاته وروحها وقد حمل نيشه لواءها متحمساً

ولكن كيف كان الرأي عند « كانت » ؟

ان الانسان عند ما يرى حقيقة نفسه يبدأ بالارتفاع عن طبيعته الوضيعة التي لا تعرف الا الشهوات ، ومن ثم يدرك ان عليه واجبات نحو نفسه اي انه حينما تتكشف له طبيعته العالية يؤدي طوعاً ما عليه من واجبات والواقع انه حينما بدو لنا طبيعتنا غير كاملة نعمل حثيثاً على استكمالها . لاننا مطالبون بذلك ، بل ومجبرون عليه ، فدفعنا نسمع لصوت ضميرنا الذي لا ارتداد

ويقول نيتشه : (ليس عندي ما له ثبوت الاحدية سوى شيئين : صوت ضميري، والسماء وحي فوقي . فأولهما يجمع لي عالم الفكر والطوي عليه كجزء مني وثانيهما استقر في هذا العالم بروحي فأشرف على استاده)

وهذا وحده كاف لرؤية عظم الهوة التي تفصل ما بين نيتشه وهتلر . وهذه الهوة هي الفارق بين الوطنية الاشتراكية كما وصفها نيتشه ، وتتلخص في التوجه بالعنصر البشري نحو الكمال ، وبين وطنية هتلر الاشتراكية التي تبرأ من ذلك فنيتشه يرى عدوه قائماً في صميم نفسه ، فيريد لنفسه الكمال لا السكوت على التدني . بينما يرى هتلر عدوه كما يراه الرجل الساذج ، غريباً عنه ، فيراه في الروسي والفرنسي واليهودي

وأقصى ما يطمح اليه نيتشه في ميدان السياسة هو توطيد نظام الجمهورية فهو كما يقول ،

« لكن نظام تتحقق فيه الحرب في صميمه [illegible] هي غاية السياسة في الدكتاتورية أي الرجعية في سوا مبادئها [illegible] جديد . وهما في ذلك على طرفي نقيض

ولا شك ان الاسباب [illegible] الخطأ كله اذا ما قابل بين كتاب [illegible] من هتلر وما أصل عند نيتشه ليثبت لنا تشابه بينهما [illegible] ومع نيتشه تتغلب فيه النزعة العالمية في برنامج هتلر تتغلب فيه النزعة المحلية ولا تتفق [illegible] الاشتراكية التي دعا اليها نيتشه مع تلك التي لهتلر ، لان الاخير لا ينظر الى هذه المقاصد نظرة حديثة . اما ما قيل عن الدولة التجارية المتحررة ، فامرها لا يحتمل وجهاً ثانوياً ؛ لان مثل هذا الرأي كان لعهد نيتشه ممكن الوقوع . اما اليوم فالمانيا ليست عضواً في اوربا الاقتصادية فحسب ، بل هي كذلك عضو في [illegible] الاقتصادي ولهذا كانت فكرة الدولة التجارية المتحررة لا معنى لها في عصرنا هذا

وكان نيتشه يريد ولا شك الحرب ، وكذا يريدها هتلر ولكن تباعد الزمن بينهما جعل المقابلة في حكم المستحيل . ومع ذلك فقد كانت تتجلى آمال نيتشه يوماً في السلام وكانت الحرب اذ ذاك مكافحة ومبارزة ، وليست افناء للجيوش والشعوب كما هي الحال اليوم . وكانت الشجاعة والموهبة والاصطبار ، وهي اسمى الصفات ، عوامل الانتصار . اما اليوم فوسائل الانتصار هي التفوق في نوع العلوم الرياضية والكيماوية التي تسخر لقتل اكبر عدد من الناس ولهذا كان الانتصار اليوم رهين من يكون اشد وحشية من عدوه حتى النهاية غير ان الخراب المحقق هو نهاية حروب اليوم

ويقول نيتشه « يجب ان لا تنتصروا على اعدائكم بأسلحة قتاله ، بل يجب ان تتغلبوا عليهم بمكارمكم » وكان نيتشه صريحاً في تطبيق هذا المذهب ، اذ رأى ان التربية الصحيحة اسمى من الكفاح بالحديد والنار وهتلر كذلك حديث عن التربية ، ولكن ما اشد الفارق بين الاثنين فتربية الخلق عند هتلر تقع في المرتبة الثانية . يؤيد ذلك بيانه الذي جاء فيه (ان الحياة الخادمة لا تأتي امر لا ينبغي) . اما ابطال الضرب بالعصي الحديدية والطعن بالمدى ، فهم لا ان يحتويهم كرمة الشعب الالماني . ويكفي ان يقول نيتشه (يوجب [illegible] جديداً قبل ان يتولوا العمل السياسي) لنرى فيه نقيضاً هتلر

وليس أصلح لختام هذا البحث من كلمة قالها الاديب العالمي توماس مان (Thomas Mann) في حديثه (الى اولي الالباب !) أكد فيه (عدم امكان الجمع بين الفكر والدعوة الاشتراكية الوطنية الهتلرية التي اذا ما أزيل عنها الستار فظهرت عارية ، انكشفت عن انطلاق الهمجية من عقالها)

مراجع البحث

I) F[illegible] Franz von [illegible]
F[illegible] und der Nationalsozialismus
II) Adolf Hitler : Mein Kampf
III) Prof. Jonas Cohn Fuehrende Denker
IV) Prof. Paul Deussen Geschichte der Philosophie

السمك الرامي

يغتذي بحشرات يقتنصها رمياً

بقذف قطيرات ماء عليها [1]

بلغ علماء اوربا في القرن الثامن عشر انباء غامضة عن سمك شرقي عجيب يغتذي بهوام وحشرات يقتنصها رمياً بقطيرات ماء يقذفها عليها من فيهِ. ولما كانت هذه الانباء غير معزَّزة بأسانيد يرتاح اليها المنصف، شكَّ في صحتها علماء الطبيعيين وجمهور الناس الذين سمعوا بها

ولكن في ١٥ مارس من سنة ١٧٦٤ قرأ الدكتور جون البرت شلوسر Schlosser عضو الجمعية الملكية رسالة في تلك الجمعية عرض في خلال قراءتها هيكلاً عظمياً لسمكة قال في وصفها انهُ يعتقد ان احداً من الباحثين في التاريخ الطبيعي لم يصفها قبلاً. وقد بسط الدكتور شلوسر في رسالتهِ تلك، طبائع تلك السمكة، مستنداً الى مشاهدات المستر همل Hommel مدير مستشفى في باتافيا بجزيرة جاوى. وقد سمّاها « السمكة الصيادة او السمكة القناصة وهو اسم يشير الى احد طبائعها » اما وصفها على ما جاء في رسالتهِ فهو يلي ملخصاً: —

تختلف الى شواطئ البحر والانهار طلباً للرزق. فاذا لمحت ذبابة على نبات ينمو في ماء ضحضاح، تقترب منها حتى تصبح على اربع اقدام او ست ثم تقذف من فيها الذي يشبه الانبوب قطرة واحدة من الماء فلا تخطئ في اصابة الذبابة فتقع الى البحر فتلتهمها السمكة. وقد كان ما روي عن هذه السمكة باعثاً على استغراب الحاكم فاراد ان يتحقق الامر بالمشاهدة فأمر بوعاء كبير يملأ ماء وصيدت سمكات من هذا السمك، ووضعت في الماء فما لبثت ان استقرت في بيئتها الجديدة، وبعد ايام جيء بقضيب سُمّرت في اعلاهُ ذبابة ووضع القضيب بحيث يرى السمك الذبابة ويستطيع ان يوجه اليها مقذوفاتهِ، وكان من بواعث بهجتهِ ان يراقب هذا السمك يقذف الذبابة كل يوم ببراعة فائقة من دون ان يخطئ قصدهُ مرة واحدة. ثم ظهرت مقالة أخرى

(١) ملخص فصل للمستر هيو سمث مستشار قسم المصايد في حكومة سيام سابقاً وقد نشره في مجلة التاريخ الطبيعي Natural History التي يصدرها متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك

للدكتور شلوسر في وصف هذا السمك . وقد وقع في روايته [illegible] اخطاء علمية يبين ما [illegible] استعد فيها . ولعلّ يهمنا ان نقول انهُ كان اول من وصفهُ في مراسلتي رسائل مطبوعة

والظاهر ان الباحثين لم يضيفوا شيئاً جديداً في خلال القرن التاسع عشر الى ما عرف ونُقل عن هذا السمك ومقدرته على اقتناص الحشرات والهوام رمياً بقطيرات من الماء . ولم يجد أحد ما يؤيد اقوال هملر التي نشرت سنة ١٧٦٥ و١٧٦٧ بل على العكس من ذلك ، كان الاتجاه بين علماء الحيوان الى انكار ما روي عنهُ . ومما عزّز هذا الرأي الأخير ، ان الدكتور بيتر بليكر ، وهو من اكبر علماء الأسماك ، وكان قد قضى خمساً وثلاثين سنة يدرس أسماك الشرق ، وقطن مدةً مدينة باتافيا التي كان هملر يقطنها ، صرّح سنة ١٨٧٥ ان هذا السمك غير جدير بالشهرة التي احاطته ، وان وصفهُ بالقدرة على اقتناص الحشرات رمياً بقذف قطيرات من الماء عليها ، نسبتهُ خطأٌ بصريٌّ . وانكر الدكتور فرنسيس داي الذي قضى ربع قرن في دراسة أسماك الهند وبرما قدرة هذا السمك على رمي الحشرات ، مع انهُ [illegible] هذه القدرة خطأ الى نوع آخر من السمك يعيش في مياه جزائر المرجان [illegible] في [illegible] واسمهُ العلمي توكسوتيس [illegible] في [illegible] ان هذا السمك اوسع [illegible] بقذف الحشرات بقطرات من الماء . وقد قال بليكر انهُ لم يشاهد هذا السمك وان أشداق هذه الأسماك عاجزة عن القيام به . وقال الاستاذ كنثر في كتاب « التاريخ الطبيعي للسمك » ج ٣ طبعة ١٨٨٠ عند الكلام عن سمك التوكسوتيس [illegible] من أنواعهِ نوعٌ يقال انهُ يستطيع ان يقذف قطيرات من الماء على حشرات [illegible] على أغصان متدلية فيسقطها ويلتهمها ولكن يظهر ان شدق هذا السمك لا يحتوي على الخواص التشريحية التي تمكّنهُ من هذا العمل فيجب التحفظ في قبول هذا القول وعلى كل حال لم [illegible]

الا ان القرن التاسع عشر انقضى ، والشك يحوّم حول ما يقال من طبائع هذا السمك العجيب . ولكن في مستهل القرن العشرين عكف عالم روسي من علماء الأسماك يدعى زولوتنسكي Zolotnitsky على دراسة هذا السمك فأيدت مشاهداته الحقائق الاساسية التي وردت في الروايات الأولى . فقد راقب هذا العالم [illegible] من هذا السمك في حوض من [illegible] تسهل مراقبتها الدقيقة فيه ، فرأى ما رآهُ شبيه ما رواه شلوسر عن هملر ، واضاف اليه حقائق جديدة عن طبائعه

واهم الحقائق التي ذكرها زولوتنسكي وحققها كاتب هذه السطور ما يأتي :

١ — هذا السمك يصيد حشرات تحوّم فوق الماء او تجثم على غصون متدليه وعندما تعرف السمكة حتى تصير على بعد معيّن من [illegible] الحشرة تقف من دون حراك ، وتوجه رأسها وعينيها الى فريستها ، ثم ترفع شدقها فوق سطح الماء وتقذف منهُ قطرة واحدة او قطرات

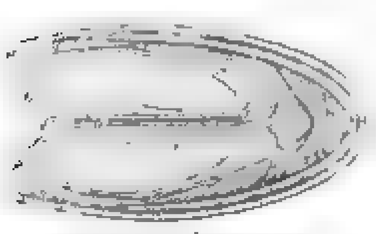
متعددة على الحشرة حتى تمكن مدة في عمر يختلف من قدم الى قدم ونصف ... على بعد ثلاث اقدام وبعض قدم ... والسمكة تصيب فريستها في ... ٢ — ... تستطيع السمكة من الزرع ... ان تستشرف حشرة ، فرمت عنها حتى تسدد صيدها

٣ — تطمع عين السمكة ... على ذكاء ، وقدرتها على تحريكهما جديرة بالعناية ... تستطيع ان ترفعهما وان تحركهما الى الجانبين والى الوراء ولكنها لا تستطيع ان تخفضهما

٤ — قوة ابصارها عجيبة وهي تستطيع ان ترى الحشرات الصغيرة على مسافة بعيدة وان تسدد اليها صيدها وقلما تخطىء

٥ — لا تصيد هذه السمكة اية حشرة من غير تمييز ، بل يظهر انها تختار الحشرات التي تلذها فتصيدها . ثم انها تقدر المسافة وقوة الدفعة التي تطلبها بدقة عجيبة

وقدم لي الدكتور تيودور على (؟) احد علماء المعهد السمثسوني بحث العالم رولونسكي فكشف في سنة ١٩٠٩ ان بعض النتائج التي خلص اليها رولونسكي تثير شكوكاً وريباً عند علماء الفسيولوجية والسيكولوجية لانها تناقض بعض القواعد المسلم بها عن قوة الابصار ومداه في الاسماك علاوة على ذكاء هذه الحيوانات الدنيئة وقدرتها العقلية . واذن فلا بدّ من التفريق بين الحقائق المشاهدة وتعليل بعض هذه المشاهدات ، والنتائج العامة المبنية عليها . ولكن حيوانا هذه بعض صفاته جديرٌ بالعناية


بطن الفك الاعلى وفيه القناة

فلما اتيح لكاتب هذا المقال ان يذهب الى سيام ، كان في مقدمة امانيه ان يتناول هذا السمك بالبحث الدقيق . فاتجه اولاً الى ما يمكنهُ من فهم الطريقة التي يستطيع بها هذا السمك ان يقذف قطرات الماء على الحشرات ، لان جلّ الشكّ الذي ساور العلماء في تصديقهم ما روي عنهُ ، انما كان مردّهُ الى عجزهم عن اكتشاف تركيب خاص في شدق السمك يمكنهُ من هذا . فاكتشف بالمشاهدة والتجربة ان في باطن الفك الاعلى قناة دقيقة يغطيها لسان السمك فتصبح عندئذٍ انبوباً قطره $\frac{1}{16}$ من البوصة فاذا ملئت هذه القناة ماء وغطيت باللسان وضغط على جانبيها انقذف من الشدق قطرة او قطرات متتابعة من الماء او قد ينطلق الماء تياراً واحداً كما ينطلق من فتحة انبوب الماء في الحديقة


اللسان الذي يغطي القناة فتصبح عندئذٍ انبوباً

الاّ ان هذا التركيب الخاص في فم السمكة لا يجدي نفعاً اذا لم توآزرهُ عينان حادتان ابصر تمكنان السمكة من رؤية فريستها وتقدير بعدها وهل هي تصلح للصيد وهل هي حائمة على غصن او على صفحة الماء او عائمة في الهواء . ومن عجائب هذا السمك قوة إبصاره بل من بواعث دهشتي العظيمة سرعة هذا السمك الى رؤية الحشرات ومعرفة ما يجب معرفتهُ عنها

اما مقدار ما يرتفع رأس السمكة فوق سطح الماء عند ما تقذف الماء من شدقها فيختلف باختلاف الاحوال . فاذا كان الماء عكراً وجب ان تكون العينان فوق سطح الماء لتتمكن السمكة من رؤية الحشرة وتسديد القذيفة . واما اذا كان الماء صافياً لم يرتفع من رأس السمكة الاّ مقدمهُ حيث تنطلق القطرة منهُ

ولا تكتفي هذه الاسماك بالحشرات التي تصيدها بقذائفها بل تأكل كذلك بعض ما في الماء من يرقات الحشرات وغيرها . وقد حدث مرّة ان وضعت قرنبة نمل في الماء فكفت سمك تلك الفسقية غذاء ثلاثة ايام وقد لا ترفض ما يرمى لها من قطع من اللحم النيء او المفروم او انواع الحيوانات المائية

واذكر اني رأيت مرة في بانكوك عناكب صغيرة تمشي على قدة من الخشب قائمة على حافة الشاطئ بضع بوصات فوق سطح الماء . فاذا بقذيفة التوكسوتيس تمتد اليها فتسقطها . ولكني لا ادري ما كان مصيرها فاني اشك في استطاعة سمكة التوكسوتيس ان تلتهمها لضيق شدقها . والغالب في هذا السمك ان يصيد الحشرات الحائمة ولكنهُ يستطيع ان يصيد كذلك الحشرات الطائرة

ومن أبعث طبائع هذا السمك على الدهشة قدرتهُ على اصابة الهدف . فهو قلما يخطئهُ اذا كانت المسافة لا تزيد على اربع اقدام مع ان العلماء قد دوّنوا مسافات اطول من ذلك . ففي معهد الاحياء المائية بنيويورك ، تمكنت سمكة من هذا السمك من اصابة خنفساء صغيرة كانت حائمة على خمس اقدام فوق سطح الماء . والغالب انهُ قد تضعف دقة السمكة في اصابة هدفها عند ما يكون على مسافة تختلف من ثلاث اقدام الى اربع ، فيردُّ ذلك الى اهتزاز الغصن الذي تكون الحشرة جاثمة عليه . ولكن السمكة لا تكتفي من الصيد بالاياب بل تعيد الكرة مسرعة في الغالب

اما قوة القطرات المقذوفة من شدق هذه السمكة فتكاد لا تصدّق . فاذا أصابت حشرة جاثمة فقد تقذفها في الهواء او تسقطها على مسافة من الشاطئ . واذا اصابت وجه رجل من مسافة قريبة أحسّ كأنّ شيئاً يلسعهُ . وليس من النادر ان يسمع صوت القطرات الخابطة على سطح شرفة تطل على الماء وقد لا يكون ارتفاع سطح الشرفة عن سطح الماء اقلّ من عشر أقدام وكما حدث لصديق لي غير مرة ، ان قطرات من الماء سُددت اليه وهو يدخن لفافة من التبغ فاطفأت لفافتهُ !

الشمس المحتضرة (١)

من بحث للسر جيمز جينز

بقلم فرحات حماده

ان في السماء بضع نجوم لا يكاد حجمها يفوق حجم الأرض ، ولكن معظم النجوم أكبر من الأرض مئات الآلاف من المرات ، وهناك بضع نجوم أكبر من الأرض ملايين الملايين من المرات ، أما عدد النجوم في الكون فانه على الراجح يعدد ذرات الرمل على شطآن بحار العالم ، فتأمل الى أي حدّ بلغت أرضنا من الحقارة والصغر اذا قيست بمادة الكون أجمع

وهذه النجوم التي يفوق عددها حدّ التصوّر تسير في الفضاء في جهات مختلفة ، البعض منها يؤلف جماعات تسير سوية ، ولكن معظمها يطوي الفضاء الرحيب منفرداً والكون الذي تسير فيه واسع الارجاء ، حتى ان اقتراب نجمة من الأخرى يعدّ حادثاً نادر الوقوع ، لا بل وراء حدّ التصوّر . فالنجوم تسير في الفضاء في عزلة تامة كمركب في بحر خال من المراكب . فلو شبهنا النجوم بالمراكب والفضاء ببحر واسع الارجاء كان كل مركب يبعد عن الآخر أكثر من مليون ميل . فواضح اذاً لماذا يعدّ اقتراب مركب من الآخر حادثاً نادر الوقوع

أجل هو حادث نادر الوقوع ، ولكننا نعتقد على الرغم من ذلك انه عين ما وقع منذ مدة تقرب من الفي مليون سنة ، عندما اقتربت نجمة أخرى كانت تسير في الفضاء على غير هدى ، من شمسنا ، وكما يسبب القمر والشمس المدّ والجزر على أرضنا فقد أحدثت تلك النجمة القريبة المدّ والجزر على سطح الشمس ، ولكنهما يختلفان كثيراً عما يحدثه القمر الصغير الحجم في بحارنا . فاجتاحت سطح الشمس من جراء ذلك موجة جبّارة تحوّلت في النهاية الى جبل هائل العلوّ ، أخذ يزداد علوّاً بدنو تلك النجمة المسببة لهذا الاضطراب وقبل ان تأخذ النجمة بالتراجع كانت قد ازدادت جاذبيتها ازدياداً عظيماً فتمزّق هذا الجبل وتطايرت منه الشظايا كما يتطاير

(١) وهو الفصل الاول من كتابه المشهور باسم « الكون الغامض » The Mysterious Universe

الزبد ويلمع عند التطام موجة بصخور الشاطئ . ولا تزال هذه القطع سائرة حول الشمس الى الآن ، وهي أرضنا والسيارات الأخرى الكبيرة منها والصغيرة

ان حرارة الشمس والنجوم التي نشاهدها في السماء عظيمة جداً ، فمن المستحيل ان توجد عليها حياة ، لأن الحياة لا تتمكن من ان تقاوم تلك الدرجات العالية من الحرارة . ولقد كانت القطع المنفصلة عن الشمس شديدة الحرارة في أول عهدها كحرارة الشمس التي انفصلت عنها ، ولكنها أخذت تبرد تدريجيًّا ، حتى لم يبق لها من حرارة ذاتية الا القليل ، وحرارتها الآن مكتسبة مما ترسله اليها أمها الشمس من اشعاع مستديم . وعلى مر الزمن ظهرت الحياة على احدى هذه القطع أي الارض ، ولسنا ندري لماذا نشأت ، وكيف كان ظهورها ومتى ، وكل ما نعرفه انها ابتدأت بشوء عضويات صغيرة ، أهم امتازت به من الخواص خاصية النمو والتناسل والموت ولكن من هذه المخلوقات الصغيرة تحولت على مر السنين احياء مختلفة لم تزل تتقدم وتترقى حتى نشأ منها أخيراً مخلوق يحس ويشعر ، يفرح ويتألم ، تسيطر على حياته اسمى العواطف والأماني ويجيش في صدره حب الابتكار في الأدب والموسيقى والتصوير وسائر الفنون ، ويستحوذ على نفسه الخشوع الديني الذي تودعه أقدس عواطفه وأسمى آماله

وها نحن سكان هذه الذرة الحقيرة من الرمل ، نحاول ان نكشف القناع عن كنه هذا الكون العجيب ، الذي يحيط بنا في الفضاء والزمان . أي شعور يستحوذ على نفوسنا لأول وهلة ؟ خوف هائل ! أجل ان هذا الكون مخيف لاتساعه العظيم الذي لا يمكننا تصوره ، مخيف للأزمان الطويلة التي مرت عليه والتي يعبر عنها الخيال ، مخيف لانفرادنا الموحش في الفضاء وحقارة مسكننا وهو ليس الا جزءاً من مليون جزء من ذرة رمل من الرمال على شواطئ بحار الارض . ولكن أكثر ما يخيفنا ويهولنا منه هو عدم اكتراثه بالحياة كما نعرفها ، فالعواطف التي نجيش بها نفوسنا ، والأديان ، والطموح الذي يحثنا الى التفوق ، والابتكار الفني ، كلها تظهر غريبة عن الخطة التي بني عليها ، أو بالأحرى ان الكون يبين كأنه معادٍ للحياة فمعظم الفضاء بارد الى درجة ان الاحياء تتجمد فيه ، ومعظم الاجرام السماوية شديد الحرارة فبقاء الحياة عليها مستحيل . وفضلاً عن ذلك فالفضاء تخترقه دائماً أنواع مختلفة من الأشعة ، فتصيب الاجرام السماوية التي تعترضها في سيرها ، وكثير من هذه الأشعة ربما كان مضراً بالحياة ، لا بل مميتاً لها . وكون الأنظمة المشابهة لنظامنا الشمسي نادرة الوجود في الفلك حقيقة ذات شأن ، وهي حقيقة يجب ان نعيرها اهتمامنا الزائد لان الحياة كما نعرفها على الارض لا يمكنها ان توجد الا على سيارات مشابهة لأرضنا فهي محتاجة الى حالات طبيعية صالحة لنشوئها ، أهمها حرارة مواتية تمكن بعض المواد من ان توجد في حالة السيولة

فالنجوم والحالة هذه غير صالحة لظهور الحياة ويمكن أن نعتبر النجوم كأنها مجموعات عظيمة من النيران موزعة في رحاب الكون ثم درجة حرارة الفضاء تقرب درجة حرارته من أربع درجات فوق الصفر المطلق اي ٢٦٩ تحت الصفر بميزان سنتيغراد ودرجة حرارة الفضاء المكاني خلف الغيوم أقل من ذلك. فبعيداً عن هذه النيران من النجوم يسود برد شديد الذي لا يحده الفكر، وقريباً منها حرارة تبلغ آلاف الدرجات تغلي كل سائل وتصهر كل جسم صلب

والحياة لا يمكنها ان توجد الا في منطقة معتدلة ضيقة تحيط بهذه النجوم على بعد معين. خارج تلك المنطقة تكون درجة الحرارة منخفضة كثيراً، أو مرتفعة كثيراً، وفي كلتا الحالتين يتعذر على الحياة النشوء والبقاء. ويقدر مجموع هذه المناطق التي حرارتها صالحة للحياة بأقل من جزء من ألف مليون مليون جزء من مجموع الفضاء. وتعد هذه المناطق نادرة الوجود حتى ضمن هذه المناطق المحدودة التي تؤلف هذا الجزء اليسير من الفضاء وذلك لان من الحوادث النادرة أن تتعلق بالنجوم سيارات تدور حولها كما قلت لشمسنا، وكما رأينا في بدء هذا البحث، ومن المحتمل أنّ نجماً فقط من كلّ مائة ألف من النجوم له سيار يدور حوله في المنطقة الضيقة الصالحة لظهور الحياة. فليس من الممكن اذاً ان يكون القصد من خلق الكون وتنظيمه انتاج الحياة وترجيحها بالدرجة الاولى. وحقاً لو كان الامر كذلك ما خلت الكون من آيات الحياة اكثر مما هو. فالحياة تظهر كأنها متوح شرعي ... الشأن ويبدو نحن جماعة الاحياء كأننا خارجون عن نطاق النظام الاساسي الذي يخضع له الكون

●●●

اننا لا نعلم هل الاحوال الطبيعية الملائمة كافية وحدها لان تنشئ الحياة. فمن العلماء من يعتقد ان الارض بعد ما بردت تدريجيًا كان نشوء الحياة طبيعيًا لا بد منه. وهناك فئة اخرى من العلماء ترى انه كما أتت الى عالم الوجود خلقاً لصدمة ... فمن الضروري ايضاً ان تحدث صدمة اخرى تسبب ظهور الحياة. ومع المركبات الكيماوية التي تدخل في تركيب الجسم الحي هي مؤلفة من نفس العناصر التي تدخل في تركيب كثير من الجوامد. واهم هذه العناصر الكربون. وهي المادة التي نجدها في الفحم والايدروجين والاوكسجين وهما العنصران المؤلفان للماء والنتروجين الذي يؤلف اربعة اخماس الهواء وغير هذه من العناصر المألوفة. وجميع هذه العناصر الضرورية للحياة وجب ان تكون في الارض الحديثة التكون، ومن الممكن أثناء الوقت الذي مرّ على الارض منذ تكونها ان تتحد ذرات مختلفة فتؤلف مركبات شبيهة بالمركبات الموجودة في الاجسام الحية، ولكن هل تكون هذه المركبات الناتجة خلايا حية؟ او بكلمة اخرى هل الخلية الحية ليست الا مجموعة من

العناصر للمادة الترابية بطريقة عجيبة ؟ ام هل هي شيء اكثر من ذلك ؟ هل هي ذرات عادية فقط ام هي ذرات مضاف اليها شيء ؟ هل يستطيع كيماوي ذو مهارة كافية ان يصنع المادة الحية في مختبره من العناصر الضرورية ؟ هذا سؤال غامض لا يمكننا الاجابة عنه . وعند ما يتحقق هذا الحلم ، يظهر لنا بعض الادلة على امكان وجود الحياة على عوالم اخرى في الفضاء . ويكون له أبعد الاثر في تأويل معنى الحياة . واليوم الذي نشهد فيه صنع المادة الحية في مختبر الكيماوي نشهد فيه ايضاً انقلاباً خطيراً في التفكير ، أعظم شأناً . وابعد أثراً من مكتشفات غاليليو في الفلك او نظريات داروين في البيولوجيا

قلنا ان المادة الحية مركبة من ذرات عادية ، لا تختلف في شيء عن الذرات المؤلفة للجماد ، ولكن معظم الذرات المؤلفة للجسم الحي لها مقدرة خاصة على الاتحاد لتؤلف جزيئات ضخمة ، فمعظم ذرات العناصر لا تملك هذه الميزة . فمثلاً يمكن لذرات الايدروجين ان تتحد لتؤلف جزيئات الهيدروجين ، H_2 او … وذرات الاوكسجين لتؤلف جزيئات الاوكسجين … او الاوزون … ، وذرات الايدروجين والاوكسجين لتؤلف جزيئات الماء … او بروكسيد الايدروجين … ، ولكن ما من مركب من هذه المركبات يحتوي على اكثر من اربع ذرات . واما اضافة النتروجين فلا تغير من الوضع كثيراً ، فمركبات الايدروجين والاوكسجين والنتروجين كلها تحتوي على بضع ذرات نسبياً ، ولكن عند زيادة الكربون يتغير الوضع تماماً ، فذرات الايدروجين والاوكسجين والنتروجين والكربون تتحد بعضها ببعض لتؤلف مركبات تحتوي جزيئاتها على مئات واحياناً آلاف وفي بعض الاحيان عشرات الآلاف من الذرات . والجسم الحي يتألف في الغالب من مركبات كهذه معقدة التركيب . … كان الاعتقاد شائعاً لديه … ان تركيب هذه المواد ، واخرى شبيهة بها مما يدخل في تركيب الجسم الحي ، لا بدّ ان يحدث داخل حيوان او نبات بتأثير قوة حيوية . وبقي هذا الاعتقاد شائعاً في الاوساط العلمية الى ان تمكن فوهلر Wöhler من تركيب مادة اليوريا ، او $CO(NH_2)_2$ ، وهي المادة التي تفرزها الحيوانات مع البول ، في مختبره بالطرق العادية للتركيب الكيمياوي . وتلا ذلك تركيب عدة مواد كان يُظنّ انها لا تتركب الا في اجسام الاحياء . والآن نشاهد الظاهرة تلو الاخرى من الظاهرات الحيوية تُفسَّر على أسس قوانين فيزياوية وكيمياوية ، وكانت قبلاً تعزى الى قوة حيوية ، ومع ان المسألة لا تزال بعيدة عن الحل ، فان الاعتقاد يزداد وضوحاً بان ما يميز مادة الاجسام الحية عن غيرها من المواد ، ليس وجود قوة حيوية ، بل وجود الكربون ، ذلك العنصر العادي الذي من ميزاته اتحاده بالعناصر الاخرى لتأليف جزيئات ضخمة تحوي عدداً كبيراً من الذرات

وإذا كان الامر كذلك ، فرجوع خواص الكربون الى تركيب ذرة الكربون لها بعض الميزات الفريدة الشاذة ، وربما كان الكربون مهمًا من توجيه الكيمياء ، لانهُ حلقة الوصل بين الهيدروجين والاوكسجين والنتروجين ، ولكننا لا نعرف في تركيب ذرة الكربون شيئاً يفسر لنا سلوك هذا العنصر الشاذ ، اي تلك المقدرة الفريدة على ربط ذرات العناصر الاخرى بعضها ببعض ، فذرة الكربون مؤلفة من ستة الكترونات تدور حول نواة في الوسط ، كأنها سيارات تدور حول شمس ، وتختلف عن جارتيها في جدول العناصر الكيماوية وهما ذرتا البورون والنتروجين ، بأنها تحتوي على الكترون اكثر من الاولى والكترون اقل من الثانية ولكن هذا الفرق الضئيل ينبغي ان يعلل لنا في النهاية الفرق بين الحياة وعدمها ولا شك ان نواميس الطبيعة النهائية شرح السر الذي يجعل ذرة الكربون الحاوية ستة الكترونات تملك هذه الميزات العجيبة ولكن علم الفيزياء الرياضية لم يستطع غور ذلك بعد

وهنالك حالات اخرى شديدة الشبه بما قدَّمنا معروفة عند علماء الكيمياء . فالمغناطيسية تظهر بصورة عجيبة في الحديد ، وبدرجة اقلّ في الكوبلت والنكل ، وهما العنصران المجاوران للحديد في جدول العناصر الكيمائية ، فذرة الحديد تحوي ستة وعشرين الكتروناً ، وذرة الكوبلت سبعة وعشرين ، وذرة النكل ثمانية وعشرين ، ولكن خواص المغنطيسية للعناصر الباقية ضعيفة جداً بالقياس الى هذه العناصر الثلاثة ، فهذه الظاهرة الطبيعية تتوقف اذاً على الخصائص الغريبة لذرات هذه العناصر الثلاثة الناجمة عن عدد الالكترونات الخاص بكل عنصر ، ولا سيما الحديد الذي تحتوي ذرته على ستة وعشرين الكتروناً . ولكن علم الفيزياء الرياضية لم يتمكن من كشف الستار عن ذلك . ولنا في خاصة الاشعاع التي تتفرد بها العناصر التي تحوي ذراتها من ثلاثة وثمانين الى اثنين وتسعين الكتروناً عند بعض المواد التي لا نعدّها ، مثل آخر على الفكرة التي اوضحناها وهنا يجب ان نعترف اننا نجهل سبب ذلك ايضاً

وكذلك حيرنا الكيمياء ان تضع الحياة في نفس المرتبة التي وضعنا فيها ظاهرتي المغناطيسية والاشعاع ، فالكون مبنيٌّ لان نسلك طبقاً لنواميس طبيعية ، وكنتيجة لهذه النواميس كانت الذرات التي تحتوي على عدد معين من الالكترونات ، ستة في الكربون ، وستة وعشرين في الحديد ، وسبعة وعشرين في الكوبلت ، وثمانية وعشرين في النكل ، ومن ثلاثة وثمانين الى اثنين وتسعين في العناصر المشعة ، تتفرد ببعض الخصائص ، اي الحياة والمغنطيسية والاشعاع

قلنا إن الحياة كما نعرفها لا تتمكن من البقاء الا في احوال موافقة من الحرارة والنور ، فنحن انما نستمرّ في البقاء لان الارض يصلها من الشمس قدر وافر من الاشعاع ، لا زيادة فيه ولا نقصان ، فلو حدث اي اختلال في هذا التوازن من اقلال او اكثار في قدر الاشعاع ،

تتلاشى الحياة . وما اكثر الاسباب التي يمكن ان تؤدي الى هذه النتيجة

ترجع بافكارنا الى الانسان الذي كان يسكن المنطقة المعتدلة في بدء العصر الجليدي [illegible] حدث منذ ظهوره من دون ان يرى تغيراً غير اعتيادي في مناخ تلك المنطقة ، ولا يدرك ان العصر الجليدي بدأ . فيتكاثر الجليد ، وتزحف الثلاجات مكتسحة الارض ، متوغلة في الوديان سنة بعد سنة ، والحر يبرد تدريجياً فيشاهد كل شيء ان شمس الارض آخذة في الضعف ، وان شمسها ليس لها تلك الحرارة الضرورية لادامة الحياة . ولعل اطفاله شعروا كما نشعر الآن ان الكون لا يشفق على الحياة ولا يرأف بها

ونحن في هذه القرون المتأخرة وسكان تلك المنطقة المعتدلة التي تحيط بالشمس ، ننظر بعين خيالنا الى المستقبل ، فلا نرى الا عصراً جليدياً من نوع آخر يهددنا كما [illegible] وكما ان الاقدمين زعموا انه قُدِّر على تنتالوس ان يموت عطشاً وهو واقف في بحيرة بصره ، وماء حتى حقويه عصمه من الغرق ، كذلك ستكون مأساة هذا النوع البشري الذي سيتدرج له الموت من البرد ، في حين ان اجزاء الاكبر من مادة الكون حار الى درجة ان الحياة لا يمكنها البقاء فيه . فالشمس ليس لها مصدر خارجي تستمد منه طاقة حرارية ، ولذلك سيخمد اشعاعها الذي هو اصل الحياة على ارضنا تدريجياً . فمن الضروري والحالة هذه ان تقترب الارض من الشمس المحتضرة اكثر فاكثر ، كي تبقى موطناً ملائماً للحياة ، ولكن القوانين [illegible] الامر على نقيض ذلك ، فالارض بتأثير نواميس طبيعية لا تلين ولا ترحم ، تبتعد عن الشمس تدريجياً نحو ظلمة حالكة وصقيع مميت ، وبقدر ما يمكننا ان نتخيل ، ستبقى [illegible] في ثقلها ، تحث الارض في سيرها مبتعدة عن الشمس ، الى ان ينتهي [illegible] من الحياة ، الا اذا حدث اصطدام فلكي او كارثة من كوارث السماء ، تبيد الحياة [illegible] الصقيع . وهذه النهاية المنتظرة لا تختص بأرضنا فقط ، فشموس اخرى ستنتهي نحوها كشمسنا ومهما كان من حي على سيارات اخرى سيلاقي تلك النهاية المرتبطة بها

ولو انتقلنا من علم الفلك الى الفزياء لوجدنا الحقيقة عينها ، فبصرف النظر عن الاعتبارات الفلكية ، يظهر لنا القانون الثاني في علم الترموديناميكس ان الكون سيكون له نهاية واحدة ، وهي موت حراري ، حيث تكون طاقة الكون الحرارية موزعة بالتساوي ، ومادة الكون بأجمعها لها نفس الدرجة من الحرارة . وستكون درجة الحرارة هذه منخفضة فلا تسمح ببقاء الحياة ولا يهمنا كثيراً الطريق الخاصة التي توصلنا الى هذه النتيجة ، فكل الطرق توصل الى رومية يقول المثل السائر ، فالنهاية واحدة وهي موتٌ شاملٌ محتم

[مدرسة النجف الثانوية بالعراق]

قصة شلي الغرامية

حقائقها أغرب من مبتدعات الخيال

تلخيص وتعليق . بقلم م . ع . الهاشمي

— ٣ —

حتى إذا ما كنا في الفصل الثالث من هذه المأساة المضحكة رأينا هؤلاء الثلاثة يسافرون على الأقدام من باريس ومعهم حمار هزيل كان قد اشتراه شلي ليحمل متاعهم . وعجز الحمار عن أن يقوم بمهمته لضعفه وسقط عاجزاً في الطريق واضطرت الفتاتان على أن تحملاه حتى أقرب قرية ، وهناك باعوه وشروا بغلة بدلاً منه

وصاروا في مقاطعة خربتها الحرب حديثاً ومن ثمّ لم يجدوا مأوى مواتياً يرجعون إليه ويستريحون من عناء هذا السفر الطويل . لقد كانت الخانات مرثة البناء ، وفي حالة سيئة من القذارة . وكانت حوش الجرذان المستوحشة تزحف في الليل على غرف هذه الخانات مما جعل الثلاثة يقضون ساعات الظلام الطويلة في ركن من ماء مطبخ الخان

ولم ينس شلي « هاريت » على الرغم من هذه المشاكل الشاغلة التي كان يجب أن تصرف ذهنه عن كل شيء آخر عداها . لقد أخذ يفكر في حالها وأخذ يؤنبه ضميره على ما جرّه عليها من أذى وأسى . ومن المستغرب أنه أرسل إليها كتاباً طويلاً يدعوها فيه إلى الانضمام إليهم والاشتراك معهم في كل ما ينالون من سعادة ويتحصلون من متاع وسرور . ونحن نقتبس هنا بعض ما جاء في هذا الكتاب الطويل :-

« هل لك أن تحضري إلى سويسرا لتشركي معنا في هذه الرحلات الحبيبة ؟ إنك لن »
« تجدي على الأقل صديقاً وفياً يتعاطف على آمالك وأحلامك ويحبها أن تصاب بضر أو أذى »

وقرأت هاريت الكتاب ولكنها طرحته جانباً ولم تجب عليه

ووصل الجميع إلى سويسرا أخيراً ونزلوا في غرفتين من قلعة عتيقة متهدمة لم تصممهم من

القلق والخوف . ولما استقبل شلي أصدقاءه معه أصبح لا يرى حتى ثلاثة وعشرين جنيهاً ففكر في ذات غيه ، وأخيراً عزم الجميع — بعد أن تبادلوا الآراء — على أن يرحلوا عن وطنهم مختفين

وسافروا إلى روتردام ونزلوها وجيبهم صفر وقد وقفوا على سفينة ... شلي مع قبطان السفينة بأن يحملهم معه إلى وطنهم ... كبير ... حيث استأجروا مركبة لنقل العائلة كلها إلى ... ولكن شلي ... الخروج ... وبعد تفكير — تمكن من ... حل هذه المسألة إذ أرسل في استدعاء زوجته فلما أتت اختفت الفتاتان وراء الباب واستقبل الزوج وحده هاريت ... قليلاً من الشبهات

كانت هاريت — ... شلي ، ولم ... في عودة زوجها إليها يوماً ما إذ انها كانت تعتقد ان حبه لماري إن هو الا عاطفة ... سوف ... ويبدو ... منها شيئاً ... ثم يبرد بعد ذلك ... إلى داره ... ولكن كان هذا الأمل بعيداً عن الحقيقة — لقد كان حلماً ... ورزقت هاريت ... في آخر العام ولكن لم يؤثر مجيء الولد في شلي ... الزوج ... إلى أحضان زوجته ... كان شلي يحب ماري ويعبدها وكان يجد ... سعادة ... عما يكتنفهما من شدة وعسر ، ومما يجب ذكره هنا ان « جين » ... أخت ماري ... اسمها « كلير » واصطحبت الزوجين ولزمتهما لزاماً وبدأت تحس في قلبها عاطفة نحو الشاعر الخيالي الجميل الذي ... من دونها

وساءت حال شلي بعد قليل من هذا الوقت واصبح الحصرون الذين كانوا يلاحقونه ويزعجون ... إلى الاختفاء عن أعينهم والى ... مع ماري في ... فقط دون ... وكانا يتبادلان أثناء ذلك رسائل ... الأدب والتاريخ ... و ... الإعجاب

وبينما كان شلي يعاني آلام الفاقة وبينما كانت جميع أسباب الرزق ... في وجهه إذ أتاه نبأ جده ... أصبحت ... وأصبح شلي الوارث الوحيد ... . وقد خلف ... ثروة طائلة ونال شلي منها ... جنيه في العام وعلى هذا رأى ان يرفع المبلغ الذي يدفعه الى « هاريت » كل شهر ومد يد المعونة الى ... الذي كان غارقاً في الديون

ورزقت « ماري » ولداً ولكنه لم يلبث ان ... شهر من ولادته فحزنت « ماري » حزناً شديداً وأصبحت ... أختها « كلير » ولا تطيق الاقامة معها في المنزل أكثر من ذلك . لقد بدأت الغيرة تنهش قلبها وتولد فيها ... نحو أختها التي كانت ... عنها بجاذبية وحشية ساحرة مما جعل « ماري » تخشى ... في أمرها شلي يوماً ما على الرغم من صدق ولائه لها . ومما ضايقها أكثر وأثار ... قيام الشاعر وكلير شطراً كبيراً من الليل معاً — ان

لم يكن الليل كله — يتذاكران في العلوم العالية واخيراً نجحت «ماري» في التخلص من كلير وديئاً

ولما وجدت هذه الفتاة الحياته اسعيدة — كلير — انها لم تتمكن من كسب شلي عزمت ان تبحث عن حب في مكان آخر، حب شاعري يصارع حب شلي واتاحت لها الاقدار أخيراً اللورد بيرون الشاعر الارستقراطي الانيق

ولا يهمنا هنا ان نتعرض للعلاقة الطويلة بين بيرون وكلير وانما كل ما يهمنا ان نقوله هو انه لما ضاقت الحال بشلي وماري فكرا في ان يرحلا الى سويسرا ليجدا عيشة ارخص فيها وليبعد شلي عن الجو الذي يشيع فيه المقت له ولماري وصحبتهما كلير في هذه الرحلة وعند قيل وقع التعارف بين الثالوث وبين بيرون وأحب بيرون كلير حباً عميقاً ولكنه لم يلبث ان سئم منها ولم تلبث ثمرة هذه العلاقة — ألبجرا — ان قضت نحبها دون السادسة من عمرها

— ٤ —

وبينما كان شلي في سويسرا كان سوء الطالع يترسم أثره وكانت الاقدار تخبط في الخفاء نسيجاً اسود في افق حياته . لقد ظلت « فاني جودوين » المسكينة تعاني الم الوحشة وتمقت امها وبدأت تحسد اختيها — ماري وكلير — ان اصبحتا طليقتين من قيود المنزل واوضاعه الثقيلة وكتبت « فاني » الى شلي خطاباً لم تخف فيه حسدها وتوقها للحياة التي يحيونها جميعاً في ذلك الجو الجبالي الطليق

مسكينة « فاني » !! لقد كانت ... ايضاً ! ! وكانت حياة الوحدة التي تحياها ، والشماء الذي يثقل كاهلها من جراء قسوة امها ، كان كل ذلك سبباً لاثارة اعصابها واشتعال هذا الحب وعلى ... عزم شلي ان يرجع الى انكلترا ورحل الجميع شلي ، وماري ، وكلير — الى « ... » حيث اعتزموا ان يعيشوا وقد قابلوا « فاني » في لندن وقضت معهم وقتاً ... .

ولما آن رحيلها جزعت وهي تصافح الشاعر جزعاً شديداً وقد سالت دموعها وهو يمهلها !

وتلقى شلي منها خطاباً غريباً كتبته من برستول . لقد كانت تودعهم وداعاً يقطر حزناً . . وتقول : —

« اني ذاهبة الى مكان ارجو ألا أعود منه ثانية ! »

ووقع الخطاب من نفس الشاعر وماري موقعاً اليماً فأسرع بالذهاب الى برستول ليلحق « بفاني » قبل ان تودي نفسها . ولكنه وجد انها قد تركت برستول الى سوانسي . وفي اليوم الثاني وجدت ميتة وبجانبها زجاجة فارغة باللودانوم « صبغة الافيون » تاركة خطاباً لم تكشف فيه سبب انتحارها

واعتقدت مسز جودوين ان شلي هو السبب في هذه المأساة التي توضحت ما تمَّ من كيان

العائلة . لقد سحرت الفتاة لانها كانت تحب الفتى الشاعر الذي اغرى اختها من قبل

واثر ذلك في شلي تاثيراً كبيراً وحده على التبتل الى ابعد من حياته . ولكن حدث انه اقام مع اسرة صديقه «لي هنت» في منزله بهامستد وقضى زمناً كاد بسببه ينسى الماضي الكئيب . ولكن الاقدار ما فتئت تناجحه من تلك ان دهمته صرعة زلزلت كيانه . لقد اختفت هاريت ! واستمر شلي وصديقه هكوم على اقتفاء اثر هاريت . ولما ترك شلي هامستد وجد رسالة من هكوم تنتظره فيما فضها وجد فيها ما يأتي :

« سيدي العزيز »

« لقد مضى شهر على التشرف بتلقي خطابك الكريم واظنك قد دهشت — ولا شك — »

« من عدم الاسراع في الرد عليه . لقد صدت دهشتك عن عمد لأني قد وجدت انه من الصعوبة »

« ان اخبرك بما تريده عن مسز شلي وعن اولادك »

« فبينما كنت اسعى ياسيدي لمعرفة عنوان مسز شلي ، اذ فاجأني انها توفيت . لقد انتحرت »

« وانت تعتقد باني لم اصدق الخبر في حينه واستعنت بمحل صديق للمستر وستروك ليتحقق الخبر »

« وانا اقرع بأملي الى الشك والكذب . ولكن لشديد اسفي اخبرت انها انتشلت من »

« السربنتين يوم الثلاثاء الماضي . وقد اعتبر القضاة والطبيب الشرعي ان الوفاة كان سببها الغرق »

« اما ولداك فكلاهما في صحة جيدة وهما — على ما اعتقد — في لندن »

وفي صباح اليوم التالي ظهرت هذه العبارة في جريدة التيمس

« وجدت في يوم الثلاثاء الماضي جثة سيدة كريمة متقدمة في اشهر الحمل غريقة في السربنتين »

« وحملت الى منزلها في شارع الملكة مرمبي وكانت قد تغيبت عنه ستة اسابيع . لقد كانت تلبس »

« في اصبعها خاتماً ثميناً ، والمظنون ان هذه السيدة قد استهترت بشرفها وحدها هذا على وضع »

« حد لعذابها والتفكير في هذه النهاية المحزنة بينما كان زوجها متغيباً في الخارج »

وكان وقع المصاب على شلي شديداً ولكنه اخذ يقنع نفسه بانه لم يكن مسئولاً عن ذلك وانه سلك مسلكاً كريماً لا معاً فيه ، اي انه لم يسيء إليها وانما كان براً بها رحيماً

وبعد اخراج جثة هاريت بأسبوع عقد شلي زواجه على ماري جودون في كنيسة سانت ملدرد . وفرحت عائلة جودون لنجاح ماري وسرورها أن أصبحت زوجة شلي ومارونة صكس في النهاية . وقد غير هذا من موقفهم الماضي . ومما يذكر ان جودون وزوجته حضرا عقد زواج العروسين في الكنيسة . وكتب والدها إلى أحد أصدقائه يحدثه عن الزواج ويقول : —

« إن زوجها هو أكبر ابناء سير تيموثي شلي بارون مقاطعة صكس ، وأنت ترى انه »

«على الرغم من اشاعات العالم وأقاويله فقد تزوجت ابنتي زواجاً سعيداً . وأنا عظيم الايمان بأن »

« زوجها سيحسن معاملتها . ولعلك تعجب كيف أن فتاة كاري لا تكاد تملك ثروة ما كان لها »
« هذا الحظ الوافر من السعادة والثراء ولكن هذا شأن الحياة فهي « بين تصويب وتصعيد »
« وكل ما أرجوه لها هو أن تحيا حياة محترمة ، فاضلة ، راضية »

ورجا شلي أن تشرف ماري على تربية أولاده من زوجته هاريت ولكن حكمت محكمة شانسري بغير ذلك . لقد قررت المحكمة عدم صلاحية كل من شلي وعائلة وستبروك للوصاية على الاولاد . واختارت تربية هؤلاء الاولاد طبيباً من أطباء الجيش هو وزوجته وقد أذنت المحكمة لشلي ان يزور اولاده مرة في كل شهر بشرط ان يكون هذا في حضرة الوصيين

أثرت كل هذه الصدمات في شلي تأثيراً كبيراً وبدأ ظهره ينحني تحت عبئها المرهق الذي وكثيراً ما حرمه التفكير النوم . لقد اصبح يائساً من كل شيء وضاق في وجهه كل منفذ ومن الكتاب الذين احدوا وصف حالته آنذ الكاتب الناقد الفرنسي اندريه موروى اذ يقول : —

« لقد احدثت الصروح الهوائية والقصور الذهبية الشامخة التي كانت تختبئ تحت أطباق ضبابها »
« واقية الحياة عنه عهداً طويلاً — اقول احدثت هذه الصروح والقصور الخيالية تتخبط رويداً »
« رويداً وتفقد صلتها بالارض سابحة نحو السماء كأن هناك قوة غير مرئية تجذبها اليها ، انها لم »
« تتلاش وإنما سرت في موكبها الساحر الهفاف ترقى صوب عوالم علوية من الشعر الخالص »
« النقي . وبدأ شلي ينظر من المكان الذي احتلته هذه الاطياف إلى الدنيا نظرة حقيقية مجردة »
« من كل خيال . بدا يرى الحياة بما كيا السيرة ، ووجوه الرجال الكالحة العابسة ، والنساء »
« القانطات المصبيات ، والمجتمع الإنساني القاسي الذي ود من قلبه لو فر منه إلى الأبد »

واشترى بيتاً في حريت مارلو وعاش فيه مع ماري وطفليهما وألبحرا ميت كثير من اللورد بيرون ركانت على درجة كبيرة من الجمال . وكان شلي يقضي وقته على شطآن النهر في هذا المصطاف الجميل ، وكان يغذى خياله من جمال وادي التيمس الرائع الفخم وقد زاره في هذا المصطاف كثير من معارفه وسمرائه امثال حبيه جودوين وصديقه لي هنت وزوجته واولاده .

واصبحت حياته في انكلترا لا تطاق بعد ان كثرت الاشاعات عن وجود كبير مع شلي مما جعل الالسنة تنهش شرفهما . لقد زعم الناس ان أليجرا لم تكن الا ابنة شلي وليست ابنة بيرون ولهذا اعتزم شلي وماري أن يفرا إلى ايطاليا

— ٥ —

ولا يتسع المجال هنا لأن نسهب في وصف حياة شلي وموته في ايطاليا أو علاقاته فيها بالشاعر اللورد بيرون . وإنما سنجمل ذلك اجمالاً

لقد سبق شلي زوجته إلى ايطاليا وصحب حضورها مأساة حدثت كيانها إذ ان طفلتهم كلارا توفيت في البندقية. وكانت تصحبهما أثناء ذلك كلير التي فرضت نفسها عليهما فرضاً. ورحلوا من البندقية إلى روما ونابلي ولم تلبث ان دهمتهما كارثة أخرى بعد ان أصيب ابنهما الصغير وليم بمرض الدوسنطاريا ثم مات بعد قليل

حطمت هذه الضربة الثانية قلب ماري وسحقته سحقاً وقد أثر ذلك في قلب الشاعر الرقيق الضعيف وأخذ يشكو ذلك في شعره :—

(أين ذهبت يا عزيزتي ماري وخلفتني وحيداً في هذا العالم الموحش المخيف ؟ إنك ما زلت)
(قائمة هنا . وهذا طيفك الجذوب ما زال بين خاطري ، ولكنك أنت قد فررت بعيداً)
(وركبت الطريق الموحش الذي يهبط بالمرء إلى مراح الأحزان الكئيب المظلم)

ورزقت ماري ولداً في فلورنسا فهدأ روعها قليلاً وبدأت تفيق من غيبوبة أحزانها . ولم تطل وحدتهما في ايطاليا إذ زارهما صديقان من أعز أصدقائهما وهما إدوارد وليمس وزوجته الفاتنة الجميلة « جين » . وأحس شلي انه قد احب « جين » ولكنها كانت امرأة ذكية حساسة حرصت على ان تكون علاقتها بالشاعر علاقة عذرية بريئة حتى لا تعكر صفو الجو الخيالي السعيد الذي يعيش فيه الاصدقاء الاربعة

وفي خلال ذلك رأى شلي فتاة ايطالية فتنه جمالها وكانت تدعى اميليا حبسها ابوها في الدير وكان رجلاً غليظ القلب عنيداً . ونظم شلي قصيدة كبيرة في هذه الفتاة واطلق عليها عنواناً غريباً حار النقاد في فهمه وهو Epipsychidion وقد اثارت هذه الفتاة غريزة الشاعر الانسانية واخذ قلبه الرحب الرحيم يحنو على هذا الروح اليتيم — كما كان يدعوها في قصيدته ويوقف عليه في هيكل قلبه هذه الاكاليل المقدسة الباقية من الذكرى الذابلة . واحب شلي اميليا والح على زوجته ماري في ان تذهب اليها في الدير . وظلت ماري وقتاً طويلاً وهي قلقة من هذه العلاقة الجديدة ولكن افرخ روعها عندما تزوجت اميليا من رجل يدعى بيوندي

وبعد ذلك بقليل اكتنفت حياة الشاعر مشكلات جديدة اخذت تنغص عليه حياته . واخذ يتنقل بين بيزا وكارا ماجي وقد قضى فيهما مدة طويلة

وفي آخر صيف ذلك العام ركب شلي مع صديقه وليمس قارباً في البحر وهبت زوبعة شديدة اجتاحت القارب الصغير فابتلعته الأمواج الثائرة . وكانت هذه خاتمة الشاعر

ولما أخرجت جثته احرقت على الشاطيء في حضور جمع من خلصائه . وكانت هذه وصية الشاعر وأمنيته

—١٤—

الحَبَق أو الفَلِيَّة[1]

وبالفارسية (فُوتَنْج) و (فُودَنْج) و (سِيسَنْبَر)[2] و (پُودِنَه) على ما ذكره تاج العروس وغيره

نبات عشبي معمر عطري متساقط الورق ساقه مفترشة أو قائمة متفرعة القاعدة أوراقه بيضية منفرجة مسننة الحافة قليلاً ذات عنق أزهاره أرجوانية اللون مجتمعة في دوائر متباعدة

اسمهُ العلمي (Mentha Pulegium, L.) (منتا بوليجيوم)[3] من الفصيلة الشفوية (Labiatae) (لابياتية) وبالانجليزية (pennyroyal) وبالفرنسية (pouliot, pouliot vulgaire, menthe pouliot)

شائع في أوربا وغرب آسيا وشمال افريقية ورائحتهُ كرائحة النعناع الأحمر لكنها أقل أريجاً وطعمه عطري لذاع أشبه شيء بطعم الكافور. وهذه الخواص ناشئة عن زيت طيار يحصل عليه منهُ بالاستقطار مع الماء. وقديماً كان هذا الحبق يعتبر مدراً للطمث ومنفثاً (أي مخرجاً للمخاط الشمي) ومعرقاً وكان يستعمل لتخفيف مرض الهستيريا والسعال الديكي والربو لكنهُ يعتبر الآن عديم الفائدة وقلما استعمل

---

(١) وفي بعض المراجع (حبق الماء) (٢) وقد يطلق اسم سيسنبر على الصعتر البري أيضاً واسمه الانجليزي (wild thyme) والعلمي (thymus serpyllum) (٣) اشتقوا اسم بوليجيوم من بوليكس (pulex) اللاتينية ومعناها قملة لتوهمهم أن هذا النبات طارد للقمل

النعناع المائي

ويقال له (حبق التمساح) و (حبق الماء) و (الفوتنج النهري)

عشب معمر ساقه ذات أوبار منكسة ترتفع عن الأرض قدماً أو أكثر أوراقه بيضية الشكل ذات عنق منشارية الحافة أزهاره أرجوانية مجتمعة في رؤوس كروية

اسمه العلمي (Mentha aquatica, L.) (منتا أكواتيكا) وفصيلته الشفوية وبالانجليزية (water-mint) وبالفرنسية (menthe aquatique)

ينمو في أوربا وشمال أفريقة وشمال آسيا وغربها والراجح ان النعناع الفلفلي صنف منه وهو الذي ينتسب اليه النعنع المزروع في مصر وكذلك قد نشأ عنه كل من النعناع المجعد واسمه الانجليزي (crisp mint) والفرنسي (menthe crépue) والنعناع الليموني واسمه الانجليزي (bergamot mint) والفرنسي (menthe aquatique; calament des sarrasins)

النعناع البري

عشب معمر متساقط الورق ساقه قائمة متفرعة اوراقه بيضية الشكل مستطيلة أو شبه رمحية عديمة العنق تقريباً ذات زغب في وجهها السفلي وحافتها دقيقة التسنين وأزهاره قرمزية قاتمة مجتمعة في سنابل اسطوانية او مخروطية

اسمه العلمي (Mentha sylvestris, L.) (منتاسيلوستريس) وفصيلته الشفوية وبالانجليزية (the "horse-mint", wild mint) وبالفرنسية (menthe sauvage)

ينمو في اوربا وشمال افريقة وفي المنطقة المعتدلة من آسيا وقد نشأ منه صنف من النعناع المجعد ومنه صنف في مصر يسمى عند العامة (الحبقبق أو الحبق) أو (حبق البحر)

اسمه العلمي (Mentha sylvestris, L. var. niliaca, Del.) (منتاسيلوستريس نيلياكا) وبالانجليزية (Egyptian mint) وبالفرنسية (menthe d'Egypte)

وهو عشب معمر اوراقه مستطيلة شبه رمحية ذات زغب في وجهها السفلي حافاتها دقيقة التسنين وأزهاره أرجوانية اللون مجتمعة في سنابل مستطيلة وينمو طبيعياً على ضفاف الترع والسواقي

نعناع الحقول

عشب معمر متساقط الورق سوقه كثيرة التفرع اوراقه بيضية الشكل ذات وبر منشارية الحافة ذات عنق وأزهاره أرجوانية اللون قاتمة مجتمعة في دوائر

اسمه العلمي (Mentha arvensis, L.) (منتا آروسيس) وفصيلته الشفوية وبالانجليزية (corn mint) وبالفرنسية (menthe des champs.)

ينمو في اوربا ومناطق آسيا القريبة من خط الاستواء وقد نشأ عنهُ صنف خاص هو النعناع الفلفلي اليباني اسمهُ العلمي (Mentha arvensis, L. piperascens) (منثا اروينسيس بيپراسنس) والانكليزي (Japanese peppermint) والفرنسي (menthe du Japon)

النعناع الاخضر

ويقال له (النعناع الرومي) عشب معمر متساقط الورق ساقه قائمة ورقهُ شبه رمحية عديمة العنق وازهاره ارجوانية مجتمعة في سنابل مستطيلة

اسمهُ العلمي (Mentha viridis, L.) (منثاويريديس) وصفتهُ الشعوبية والانكليزية (the "spearmint" , garden mint) والفرنسية (menthe romaine, menthe verte)

يزرع في وسط اوربا وجنوبها ويقال أن قد نشأ عنهُ صنف خاص من النعناع الجعد ... غير لذاع كالنعناع الفلفلي وانهُ اكثر الانواع الاخرى ميولاً مصلوه في التوابل ماوره وكثيراً ما تستعمل اوراقهُ في الطبخ ومن المقاصد الطبية كما تستعمل اطرافه في صلاحة الربيع عندهم او تمزج مجمعة مع صلصة الضأن او تدخل في طهي الحساء (الشوربة) اما مستحضراته الطبية فمرغوب فيها اكثر من النعناع الفلفلي وان كانت اقل تأثيراً في امتاب فتكون على صورة زيت طيار أو منقوع محفوظ أو ماء نعناع أو روح نعناع والنعناع الاخضر كالانواع الاخرى يحتوي على زيت طيار وافر ولكن اريجه اقل قبولاً عنهُ في الخزامى (اللاوندة) والمرزنجوش (البردقوش) ولذلك كان استعماله اقل ... منهما في ... على عضو في الجسم كان له تأثير قوي مضاد للتشنج ولا سيما على المعدة فيكون مخففاً للآلام والمغص معطلاً للقيء هذا ومنقوع النعناع الاخضر في الماء الساخن اكثر صلاحية للسعه من ماله اذا استقطر

النعناع مستدير الورق

عشب معمر متساقط الورق ساقه قائمة خشنة اوراقه بيضية مستديرة وريه عديمة العنق (جالسة) وازهاره بيضاء او حمراء فاتحة مجتمعة في سنابل صينية مستطيلة ذات زغب

اسمه العلمي (Mentha rotundifolia, L.) (منثاروتونديفوليا) وصفته الشعوبية والانكليزية (round-leaved mint; wild mint) والفرنسية (menthe à feuilles rondes; menthastre)

شائع في غرب اوربا وجنوبها وشمال افريقة وغرب آسيا وينمو في الامكنة الرطبة وأريجه اشبه بأريج البقلة الاترجية التي سبق الكلام عنها

وقيل ان هذا النوع من النعناع انما هو اصل لما يوجد في فرنسا وايطاليا من النعناع الجعد وهو قريب الشبه بالنعناع البري

النعناع الظريف

عشب معمر متساقط الورق ساقه قرمزية اللون تمت راجحة على الارض كثيرة الفروع اوراقهُ بيضية الشكل محددة الطرف ذات عنق وأزهاره أرجوانية اللون مجتمعة في دوائر

اسمه العلمي (Mentha gentilis, [illegible]) (منتا جنتيليس) وفصيلته الشفوية وبالانكليزية (bushy-red mint) وبالفرنسية (menthe baume, baume de jardins) ينمو في بريطانيا بطبيعته على شواطىء البحيرات

النعناع المجعد

عشب معمر متساقط الورق ورقهُ على صورة القلب مجعدة عديمة العنق (جالسة) حافتها مقسمة الى اسنان غير متساوية وأزهاره ارجوانية فاتحة مجتمعة في سنابل كالرؤوس

اسمه العلمي (mentha crispa) (منتا قريسبا) من الفصيلة الشفوية وبالانكليزية (the true crisp mint; curled mint) وبالفرنسية (menthe crépue) . منتشر في سيبيريا وقد يزرع للزينة في اوربا وهناك انواع أخرى من النعناع كثيرة رأينا الاكتفاء منها بما تقدم

الماهون العادي

ويسمى عند العامة (بالماهوجوني) شجرته متفرعة دائمة الاخضرار متسعة القمة جميلة المنظر قد تبلغ ارتفاعاً عظيماً ولاسيما في المواطن الجبلية أوراقها ريشية في الواحدة منها اربعة أزواج من الوريقات البيضية المستطيلة وأزهارها حمراء مجتمعة في عناقيد ابطية غير مكتظة شبيهة بأزهار (الزنزلخت) وثمرها في حجم بيضة الدجاجة الرومية تقريباً

اسمها العلمي (Swietenia Mahogoni, Jacq) (سويتنيا ماهوغوني)[1] وفصيلتها الآزدرختية (Meliaceae) (ميلياسية) وبالانكليزية (common mahogany tree) وبالفرنسية (acajou; swietenie)

تنمو في أشد المناطق حرارة بأمريكة حتى فلوريدا والمكسيك وفي جزيرتي كوبا وجاميكا وغيرهما من جزائر الهند الغربية

وخشب الماهون ثمين مرغوب فيهِ لصنع أجود الأثاث وهو كالأخشاب الأخرى يتفاوت في قوَّة احتماله وصلابته تبعاً لتربة الارض التي نبت فيها شجره ويحصل على أجود أنواعهِ من التربة الصخرية في جزائر باهاما بأمريكة الشمالية وسنت دومنغو

(١) اطلق عليها النباتي جاكين (Jaquin) اسم سويتنيا تخليداً لذكرى جيرارد فون سويتن (Gerard L.B. Von Swieten) امبراطوره جرمانيا التي أشار على ماريا تيريزا (Maria Theresa) اذ ذاك بانشاء حديقة النبات بفينا

امراض نادرة غريبة

صفحات عجيبة من دفاتر الاطباء

حيّر المعالجين والباحثين

على الرغم من تقدّم علوم الطبّ ومهارة اربابها ونجاحهم في تبيّن اسباب الامراض وتعيين وسائل العلاج لا يزال الاطباء يصادفون بين آونة وأخرى خلال قيامهم بعملهم، إصابات غريبة لم يروا لها شبيهاً من قبل وقلما قرأوا عنها شيئاً في مراجع الطب الكثيرة. وبعض هذه الحوادث قد يبدو لك انها من ابتكار خيال خصب، ولكنها في الواقع مستخرجة من دفاتر الاطباء الذين باشروها وحاروا في تشخيصها او علاجها

***

منذ بضع سنوات، ان رجلاً كان جالساً في شرفة احد مسارح لندن، فاشتم [illegible] تنفخ [illegible] هذا نفسه يلهث ويصفر [illegible] [illegible] من [illegible] متاز [illegible] الدكتور [illegible] ايست، في مستشفى [illegible] [illegible] ان [illegible] أصيب بحالة مرض غامضة، جعلت معدته تستقي الطعام فيها، مدة اطول من المدة السوية، فيسمر التخمّر [illegible] فيها من [illegible] غازات متفجرة، هي التي التهبت وانفجرت عندما قرب عود الثقاب المشتعل من فيه

***

وفي السنة الماضية لاحظ شاب يقطن احدى المدن الاميركية، ضعفاً غريباً في عضلاته. ووجه الغرابة في هذا الضعف، ان العضلات كانت على [illegible] حجماً ومظهراً خارجيّاً ولكن الضعف استولى عليها حتى اصبح الشاب عاجزاً عن القيام بأي عمل [illegible] منهُ مبلغاً عجز معهُ عن رفع الطعام الى فيه بيديه، وعن مضغ الاطعمة الجامدة بفكيه. فاستجار اطباؤهُ بالاختصاصيين، ففحصوهُ وقالوا انهُ مرض نادر يدعى myasthenia gravis تحتفظ فيه العضلات بشكلها ولكنها تعجز عن الاستجابة للرسائل العصبية التي يبعث بها الدماغ اليها. وقد

[illegible] يحفر بهذا المرض حقنة تعيد اليه القدرة على احتمال [illegible] ثم تعود [illegible] كان عليه

***

[illegible] سنوات حدث غريب [illegible] فتى أصيب [illegible] (فما أصبح [illegible] [illegible] بالحمى الفالجية ، ثم [illegible] وعرفت الصحف [illegible] ووصفت الفتى بأنه « صاحب حمّى الحبس »

[illegible] الانكليز [illegible] على صفحات الجرائد على [illegible] عند نفران أحد [illegible] باثولوجيين ، انه الموضوع [illegible] قصرة [illegible] وخصص [illegible] قوي [illegible] معرفة سبب الاصابة

[illegible] الفتى كان قد أصيب قبل [illegible] الحمّى بعضة في احدى قدميه من [illegible] [illegible] فكان مرضه ذلك المرض [illegible] في الشرق باسم « حمى عضة الجرذ » . ولا [illegible] الحرب الكبرى ، [illegible]

ثلاث [illegible] الحميات الطبية بعد الحرب

***

[illegible] اكثر من مرة ان انتفخ [illegible] حتى اصبح كالبلون . ولعل احدث اصابة من [illegible] عن رجل في بورتلند [illegible] الاميركية . فقد أصيب في حادثة [illegible] في [illegible] فكان الهواء الذي يتنفسه [illegible] تحت الجلد . ولما كان الجلد [illegible] جسم هذا الرجل حتى أصبح كالبلون ، وحتى [illegible] ان يبقى [illegible] في الانتفاخ حتى يعجز الجلد عن تحمل الضغط فيتفجر قبل ان [illegible] عظيمة المصاب ، [illegible] حتى أصبح [illegible] سويًّا

***

ومن الاصابات التي حيّرت عقول [illegible] والاطباء في فرنسا ، مدة عقد من الزمان ولم يكشف سرها الا من عهد قريب ، على يدي لجنة خاصة من أكادمية الطب ، كثرة اصابات التسمم بالرصاص في مقاطعة [illegible] فقال بعضهم ان سبب ذلك الانابيب التي تنقل مياه الشرب . فرُدَّ عليهم بأن باريس تستعمل هذه الانابيب وليس فيها أثر لهذه الاصابات . وبعد بحث طويل وجدت اللجنة أن في مياه باريس [illegible] على باطن الانابيب فيقي الماء الجاري فيها ، وان

في مياه [illegible] وغيرها من [illegible] رصاص من الانابيب ويذوب في الماء ، فيصاب من يشرب هذا الماء [illegible] الرصاص [illegible] عصارة المعدة ان يذاب الحبر في الماء حتى ترسب طبقة منه على [illegible] [illegible]

* * *

ولعل أغرب حوادث [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وحال البوليس في مدينة [illegible] [illegible] [illegible] سكران ، وعا [illegible] في [illegible] [illegible]

وهناك طائفة أخرى من غرائب الامراض [illegible] في لون [illegible] الجسم ، كأن تتحول الجلد زرقة [illegible] الى الاخضر او الاصفر او الاحمر [illegible]

* * *

ومن اغرب هذه الحوادث حادثة وقعت في [illegible] كانت [illegible] ان شرة [illegible] ، تغير لونها اربع مرات في [illegible] كان لون [illegible] في ذلك [illegible] الى آخر [illegible] في حدود ٢ [illegible] الاطباء في امرها ، ولكنهم قالوا ان [illegible] الا ان السيدة انكرت [illegible]

* * *

ومن هذه الامراض مرض معروف يدعى [illegible] يتحول به لون [illegible] اززق ، وهو يؤثر في العروق [illegible] وقد حاول جراحون من جراحي [illegible] معالجة هذه الحالة من عهد قريب [illegible] عملية في الاعصاب الممتدة الى العروق المصابة فأصابه نجاحاً في [illegible]

ومن بضع سنوات أصيب رجل [illegible] اصابة غامضة جعلت لونه يتحول [illegible] الاطباء بحالته عناية خاصة فوجدوا انه كان قد انقضى عليه عشرون سنة وهو يعمل في مصنع تركب فيه [illegible] . والمرتبة الاولى في تركيب هذه المادة [illegible] في الحامض [illegible] ،

فترتفع درجة ... عادل لا يمرون حتى ... تقع ... ... تتحجر تارة في أغوار دقائق العصب ... ... بشعور الوقت الاول من دقائق العصب ... ... شيء في جسمه ... ... الناس في مثل ... لون رمادي داكن او أسود ... ... جرثومة دم عقبت ... ... عروق الدم في المعدة ويظن الاطباء ان رواسب ... ... جدران العرق سبّبت ذلك

***

ويروي الدكتور ... ... كتاب ... ... في مجلة العلم ... انه يذكر ان احد الذين عالجهم تحوّل لونه اخضر كالعشب ... ... من آلام ... من حصوة المرارة. وآخر اصبح لونه بلون الليمون بعد ... ... بالانيميا الخبيثة وآخر وكان سيدة سمراء تحوّل نصفها ابيض ... ... المادة الملونة من جسمها (البهق) وبقي نصفها اسمر الى السواد

والبهق داء يصيب الجسم ويزيل المادة الملونة في البشرة، فتظهر بقع بيض ... ... واذا ظهرت على ظهر المصاب ... الظهر وهو اشبه ما يكون بخريطة ولا ... ان ... ... اثراً ضاراً. فالمصابون به يتمتعون بصحة جيدة ويروي احد الاطباء المتوفرين على الامراض الجلدية ان زنجياً أصيب به، فتحوّل لونه رويداً رويداً، حتى اصبح ابيض

***

ومن أعجب ما روي، عن الخلق العجيب، رجل في ... ... له قلب يصفر، وآخر في هارتفورد كونكتكت (الولايات المتحدة) له أذن تحدث صوتاً كصوت الساعة ويبلغ عدد دقات هذه الأذن من ١٠٠ دقة الى ٣٢، دقة في الدقيقة وشاب في لوس انجلوس ورث نصف رأسه من والده ونصفهُ الآخر من أمه، فشعر في النصف الموروث من أمه أحمر، وفي الباقي أشقر ثم ان احدى عينيه شهلاء والأخرى زرقاء، ولون بشرته في الجانب الايمن من الجسم أقتم منهُ في الجانب الأيسر

***

وقد تكون العظام المرضة الانكسار، أو التي تزيد نحافتها عن النحافة السوية، الباعث على اصابات غريبة فقد عرف مثلاً في مدينة ... بولاية اوهايو الاميركية فتى أصيب بأربعة وستين كسراً كبيراً في عظامه فكان أحد عظامه ينكسر كلما وقع. وثمة سيدة ثبت ان ثلاثة من عظامها انكسرت وهي تتقلب في الفراش ... ... عليها في احدى السنوات شهر واحد كان متوسط

[illegible] من [illegible] في [illegible] كي قد [illegible]
الخير من حنانها فأصبحت وكأنها صخرة او خاوية لا تستطيع ان تتحمل ثقلاً او ضغطاً

***

ويقابل هذا بين الانساج التي تولد العظم وتنشئه في الجسم، تشرع في انتاجها الى حد يفوق الحد الذي يحتاج اليه الانسان، فيبدأ العظم يترسب في الاعضاء، وفي غير العظام من الانسجة، حيث لا يجب ان يكون، فتتحجر العضلات ويصبح المصاب وكأنه تمثال من الحجر. وقد ورد على المجلات الطبية الاميركية، اوصاف مصابين من هذا القبيل من كاليفورنيا وبنسلفانيا وفلوريدا. واشهر هذه الاصابات اصابة سيدة في سان فرنسسكو بولاية كاليفورنيا، وقد اثبت الفحص بالاشعة السينية ان غلافاً من العظم يحيط قلبها، وانه اذا لم يزل فلا بد لها من ان تموت. فأخذت الى مستشفى جبل صهيون في المدينة حيث افلح الجراحون في ازالة الجانب الاكبر من ذلك النسيج المتحجر. ولا تزال الحالة التي يكثر فيها رسوب العظم (الكلسيوم) سراً مغلقاً. وبعض العلماء يعتقد ان الغدد الشبيهة بالدرقية parathyroid — وهي اربع — سبب ذلك، فانها تسيطر بهرموناتها على رسوب كربونات الكلسيوم في العظام، وكل ما يعرف عن هذه الغدد عن عملها يفضي الى طغيان هذه المادة على العظام وغيرها من الانساج

وقريب من ذلك «مرض باجت» الذي يصيب الغدد الشبيهة بالدرقية، ومظاهر هذا المرض تضخم الرأس وقصر الرأس وتقوس العمود الفقري، فيصبح شكل المصاب شبيهاً بشكل القرد. واحدث ما عرف من هذا القبيل اصابة رجل في كاليفورنيا به. هذا الرجل في التاسعة والاربعين من العمر، وقد اصيب به من نحو ثماني سنوات. ورأسه الآن ثلاثة اضعاف حجمه السوي وقد قصر جسمه حتى صار عشر بوصات اقصر مما كان

***

ومن اغرب ما يروى اصابة سيدة بالنوم — وهو غير مرض النوم واسمه العلمي encephalitis lethargica — فقد انقضى عليها اكثر من مليون دقيقة اي نحو سنتين وهي مستغرقة في سبات عجيب. شعرت في شهر فبراير سنة ١٩٣٢ بنعاس شديد يستولي عليها ثم نامت نوماً عميقاً. وقد عملت لها عملية نقل الدم Transfusion وحقنت بأدوية مختلفة ومصول خاصة قصد ايقاظها فلم تستيقظ ولكن الاطباء يظنون (عند كتابة هذا المقال في نوفمبر من سنة ١٩٣٥) ان سباتها قد قارب الانتهاء

القرود العظام

وأسماؤها العربية

لحضرة الدكتور امين المعلوف

٤ — الشق وهو قرد ارى انه [illegible] من هذه الفصيلة [illegible] من فصيلة أخرى وقد ذكرته في الصفحة ١٥ من معجم الحيوان وقلت فيه ما يأتي

شِقٌّ [illegible]

قرد من فصيلة [illegible] الحركة موطنه جزائر البحر الهندي [illegible] بالشق فقد ذكرته في مادة قِرْد [illegible]

وفي الصفحة [illegible] من المعجم [illegible] في مادة قرد وهو [illegible]

ومنه الشق قال القزويني « ومن [illegible] صورته صورة نصف آدمي [illegible] ان النسناس مركب من الشق ومن الآدمي يظهر للانسان في اسفاره » الى آخر ما ذكر عنه وقد ورد ذكر [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] واحد [illegible] اي ذو الرجل الواحدة

[illegible] ان القزويني [illegible] كلام [illegible] الشق اصلي في العربية وهو ما ارجحه لاسباب يطول شرحها [illegible] كما [illegible] صاحب تاج العروس ذكر الشق وقال انه من الشيطنة او الجن وفي نخبة الدهر لشمس الدين الدمشقي [illegible] في دمشق المولود في سنة ٦٥٤ للهجرة اي سنة ١٢٥٦ مسيحية فصل في الشق اورده في الصفحة ٢١٨ قال فيه ما نصه·

وذهب بعض الاخباريين ان عاداً الاولى كانت اجسامهم عظاماً [illegible] جداً فلما احل الله بهم [illegible] بكفرهم [illegible] وبدل خلقهم فصاروا انصافاً لكل واحد منهم شق انسان بعين واحدة ونصف رأس ونصف فم ونصف صدر ويد واحدة وهم النسناس [illegible] في تلك الآجام والغياض الى شاطيء البحر ويقال بل هم طائفة على تلك الخلقة وهم ولد النسناس بن اميم بن لاود

ومنهم من ذهب الى [illegible] [illegible] ويقصد [illegible] وهو كل مشوي [illegible] ومنهم ان [illegible] قدم من الاعجم [illegible] من [illegible] وذكروا [illegible] طريق الاستغراق [illegible] [illegible] ان يقصدوا منها شيئاً [illegible] شيء له [illegible] [illegible] [illegible] وحش و [illegible] كأنه [illegible] شعر [illegible] [illegible] من حلقه فقال [illegible] الله في الاطلاق [illegible] عنه و [illegible] الكلاب [illegible] و [illegible] ينظر اليه يقدر [illegible] اسرعنا حتى [illegible]

ثم اورد [illegible] شيئاً من اشعر [illegible] الشق وروى من قصة [illegible] ان الحاج احمد الحروف [illegible] حمام الملك المنصور انه كان مسافراً الى [illegible] وأقام عند صاحب [illegible] مدة سنين وان صاحب [illegible] خرج الى الصيد واخذ معه احمد الحروف [illegible] وصلوا الى موضع الصيد قال ووضعوا في مكان و [illegible] كلباً وقالوا اذا طلع عليك شق فارسل عليه هذا الكلب فما كان الا قليلاً [illegible] شق [illegible] [illegible] وهو [illegible] ويقول

قد كنت فحلاً قوياً جلدا   وها انا اليوم ضعيف جدا

تنح عن طريقي يا ابن [illegible]   واستحي من الشيخ [illegible] الفدا

قال [illegible] [illegible] الاول [illegible] ما لا ارسلت عليه الكلب كأنه [illegible] ثم [illegible] لانه شيخ [illegible] كان وقت [illegible] شيئاً مشوياً فقالوا كل من [illegible] [illegible] هذا [illegible] شق مشوي قال [illegible] ولم آكل منه شيئاً . انتهى ما أريد نقله .

اما قول [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] عادي عُمان وقوله ان رجالاً قدم من الشحر [illegible] [illegible] [illegible] الى العدوة الاخرى من بحر فارس اي الى [illegible] او الى [illegible] [illegible] البحر [illegible] [illegible] [illegible] مسلمين لذلك كانوا يصيدون الشق ويأكلونه وراوي [illegible] الحاج احمد الحروف كان مسلماً لذلك ابى ان يأكل الشق وهانه ثم ان شيخ الربوة والحاج احمد الحروف ذكرا الشق ووصفاه وصفاً حسناً مع انه من المتشيطنة او الجن فكونه من المشيطنة لم يمنعهما من ذكره ووصفه وانه حقيقة لا ريب فيها

هذا وقد ذكرت الشقوق في ص ١٩٤ من مقتطف اكتوبر سنة ١٩٣٤ وسميتها الشقوق او الطاعرات في الشحر ولا بأس بحمل الطاعرات الصفارات كما يقال رحافات وطنارات ولكن الشقوق أحسن كثيراً فلماذا نصوغ كلمة جديدة فالشق وارد في كتب اللغة ولا شبهة في انه هذا [illegible] ولو كان من الجن او المشيطنة

وفي ما يلي الاسماء العلمية لبعض الشقوق أوردها هنا دفعاً للمخالفة في المستقبل فلا يقول أحدهم في الشق لا بل هو الطفار فيقول آخر لا بل هو [illegible] ويقول غيره هذا غلط شنيع

ووجه لو [illegible] فلا يقف على الحقيقة وفي ان اسمهُ الشق دون غيره [illegible] حدالقة مكان المتحدلقين فالحدالقه جمع حدلاق وحدلاقة [illegible] صفتها قياساً من تحدلق وتحدلق وعرضتها على صديقي [illegible] فتحبها واختار الحدلاقة للتكثير الحدمة وقرّها وهي كلّه جميه جداً ولا يجوز ان [illegible] غير المتحدلق وهذه واردة في كتب اللغة

ومن [illegible] الشقوق وفصيلتها واجناسها وانواعها وهي الشقوق التي في حديقة الحيوان في ايامنا

فصيلة الشقوق أو الطافرات في [illegible]	Hylobatidae. The tree walkers
جنس الشق	Hyl[illegible]ates (Illiger) T[illegible] gibbon
الشق الرشيق موطنهُ سومطرة	Hylobates agilis (Cuvier)
الشق [illegible] موطنهُ [illegible] والتكين	Hylobates [illegible] (Harlan)
الشق المترّح موطنهُ كسوجية وسيام وكوشين الصينية	Hyl[illegible]ates pileatus Gray
الشق [illegible] موطنهُ [illegible]	Hyl[illegible]ates lene[illegible] (Schla[illegible])
الشق الابيض [illegible] موطنهُ سيام [illegible]	[illegible]
ومنهُ الذي رآهُ الشيخ [illegible] له دقن [illegible]	

***

تقدّم في هذه المقالة أربعة من القرود العظام وهي الغول والسعلاة والمام والشق وقد قالوا انها من الجن أو المتشيطنة ما عدا [illegible] يقولوا ذلك عنهُ في [illegible] لانهُ لا [illegible] معروفاً بهذا الاسم في السودان [illegible] أهل السودان [illegible] من أن يقولوا انهُ من المتشيطنة وهو قرد من القرود فلماذا نأخذ كلام اللغويين حرفيًّا لأن هذه القرود لم تكن من الجن أو المتشيطنة بل كانت قروداً من خلق الله ولا أعلم سبب خوف الناس من القرد وكرههم لهُ وقولهم انهُ من الجن أو المتشيطنة ولعل بعض الأمم في [illegible] كانت تعظم القرد أو تقدسهُ فقال اللغويون انهُ من المتشيطنة كرهاً لذلك فان بعض الهنود يقدسون قرداً يسمونهُ القرد المقدس فلو سألنا رجلاً عاقلاً منهم لقال انها خرافة ولو [illegible] آخر لعدهُ من القرود المقدسة لذلك لا أرى ان قول اللغويين يجب ان يؤخذ حرفيًّا

كواكب لامعة

في الادب الاسباني

يرتدُّ اللسان الاسباني على الرغم من كلمات جرمانية وعربية دخيلة فيه اشتغلت اليه عن طريق القوط والعرب ، الى اللغة اللاتينية فيشبه في ذلك اللسين الفرنسية والايطالية ولكن اللغة اللاتينية في اسبانيا كانت لهجات مختلفة منها الغجرية والليونية والقشتالية وغيرها الا أن اللهجة القشتالية تغلبت على اللهجات الباقية ، على أثر حوادث وانقلابات اجتماعية وسياسية ، فاصبحت هي اللغة الاسبانية ، يتكلم بها النبلاء ويكتب بها الكتّاب وتحوّلت اللهجات الاخرى الى لهجات عامية

وقد كانت النسمة الغالبة على الادب الاسباني ، خلال قرنين ونصف قرن ، اي من منتصف القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر ، نسمة قصائد دينية ووطنية وعاطفية منظومة وهذه القصائد لها أبعد الاثر في تكوين الادب الاسباني . فكانت القصائد التاريخية ، نمطاً من الملاحم القديمة ، او اناشيد شعبية ، حفظت ونقلت بالرواية من قرن الى قرن أما القصائد الغنائية والعاطفية والرعوية وما اليها ، فقد نظمت في الغالب وافرغت في شكل يختلف عن الاشكال التي تحدّرت الى أهل هذا العصر وقد طبع بعضها اولاً في مطلع القرن السادس عشر ثم تلتها مجموعات اخرى تحتوي على هذا الشعر الحيّ

وليس في وسع الباحث ان يبالغ في وصف [illegible] هذه المجموعات من [illegible] في دراسة الادب الاسباني ، بل وحياة اسبانيا القومية . لان هذه القصائد مطبوعة بطابع الشعب وصفاته من اقدم الازمنة ، فهي في الواقع لوحة رسمت عليها صورة الماضي رسماً تامّاً . هنا الملوك والامراء والفرسان والعسس والفلاحون والمتسولون والمتشردون — تجدهم يروحون ويجيئون في هذه القصائد كأنهم احياء يرزقون

يقول « مريميه » Mérimée في كتابه « تاريخ الآداب الاسبانية » ان هذه الاناشيد تحتوي على تاريخ اسبانيا وعلى حضارتها وعلى حياتها مركزة في هذه المادة الشعرية مبلورة على مر الزمان في صفحاتها انها تختلف قدراً وشاعرية وصفاء وسكنك تجد البساطة والاحكام في اقدمها ومن بساطة الحياة البدائية ومساويها . وتجد الرشاقة في [illegible]

ترجع بهم الى عصر سبقه ... في صدر العصر الذهبي

ويذكر المؤرخون ... كانت ... حصة ... ، مجموعة من القصائد ... الخاصة بالسيد كومبيادور عن مائتي قصيدة . ومنها ما هو موقوف ... حروب القوط رودريك . او على حروب الاسبان مع العرب ومن شهرها « روزة العرب » اي عبد الرحمن الذي يخرج عن حماية غرناطة . ولا ريب في ان قارئ القصائد الموقوفة على حروب الاسبان والعرب ، يتبين فيها نوعاً من سمات الفصاحة اتصلت بآثاره بالادب الاسباني بعد ذلك

سرفانتس ودون كيشوت وغيرهما

سرفانتس اشهر ادباء الاسبان على الاطلاق وكتابه دون كيشوت من الكتب التي اشتهرت شهرة عالمية من عصر السيارة ... والبرق وجوار ... . ولكن مكانة سرفانتس والاسبان مكانة كبيرة ... لا يمكن ان تفهم الا اذا اشرنا اشارة موجزة الى « رواية الفروسية » التي كانت ذائعة في اواخر القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر في اسبانيا واشهرها رواية الامادي ده غول (L'Amadis de Gaule) ويقال انها ترتد الى اصل فرنسي ولكنها نقلت وحولت حتى توافق الحياة الاسبانية بقلم غارسيا اوردونيز ده مونتالفو في العقد الاخير من القرن الخامس عشر . في هذه القصة كان الشاب امادي مغرماً بالاميرة اوريانا ابنة الملك ليزوارت ، فشبَّ فارساً يجمع في شخصه جميع الفضائل التي اشتهر بها فرسان ذلك العصر . فهو عاشق مقيم على الحب ومقدم عظم الولاء لسيده ومقاتل شجاع بارع في فنون القتال منتصر في جميع مغامراته على الجبابرة والجن ... في آن والرواية حديث مغامراته المختلفة

وقد ظهر بعد هذه الرواية روايات على غرارها ، فيها مغامرات فرسان مختلفين

وكان الى جانب رواية الفروسية الاسبانية نوعان آخران من الرواية في ذلك العصر احدهما الرواية الرعوية . تقرأ الآن فاذا هي ... حقيقة الطبيعة ... مصطنعة فيها مصطنعة ، والشعور الانساني مصطنع ، وكل ما فيها مصطنع تقريباً ولا سيما انه كان ينسب فيها الى السحر . ولكن النقاد ... شيوعها بقولهم انها كانت تدور من حول اشخاص عاشوا حقيقة في ذلك العصر فكان يلذ لمعاصريهم ان يقرأوا سيرهم مفرغة في هذا القالب . اما النوع الثالث من الرواية فكان النوع المعروف برواية التشرد

اذ يعمد المؤلف الى الاستهزاء من الامراء والاميرات ومن رعاة الضيعة لواسطة من الناس ، لكي يبعد من السوقة والمسرحيين ... التي نشأ الأوربية ... هذا النوع من التأليف من منتصف القرن سابع عشر الى القرن الثاني عشر

وكتاب دون كيشوت ، مزيج في الواقع من النوعين كليهما ... ولكن عصا الساحر التي مزجت ، واخرجت المركب الجديد . كانت في كاتب عبقري هو صاحبنا ميجويل سرفانتس

ولد في ١٧ اكتوبر سنة ١٥٤٧ في الكالا ... هارس وهي بلدة في مشتاء الحديدة ، وكان من اسرة فقيرة وسكنها سيئة . ومع ان الكتاب لم يشيروا في الترجمة به الى انه تلقى العلوم في جامعة من الجامعات الاسبانية ولا ريب ... على دراسة اللغة اللاتينية فلما كان في العشرين ... اضطر الى ان يرحل من وطنه لانه تجرأ على تجريد السيف في ساحة قصر بطانة الملك وفي سنة ١٥٧٠ ... في رومة في منزل الكردينال كاتباً ثم انتظم في الجيش واشترك في معركة ليبانتو في سنة ١٥٧١ فأصيب بجروح عديدة بالغة وكسرت ذراعه اليسرى بسبب اصابتها فاضطر الى بترها

وكان عائداً مع شقيقه الى اسبانيا في سنة ١٥٧٥ ... جوار ... قيادة فرقة من فرق المشاة ، فهجم فرسان جزائريون على السفينة ... مع سائر الركب أسيراً . حاول عدة مرات ان يفر من الاسر ... وثاق الاسر من حوله وكانت اسرته قد علمت بمصيره ومصير شقيقه فجمعت مالاً من اجل افتدائهما فلما وصل المال الى آسرهما ، رأى المال يسيراً فأطلق سراح شقيقه واستبقاه الى ان كانت سنة ١٥٧٩ فعاد الى اسبانيا . وقد روى حوادث اسره في كتابه «الأسير» ويقال ان سرفانتس اشترك في حملة دوق البا على البرتغال سنة ١٥٨٠ ولكنه لم يلبث حتى ترك الجندية وشأنها

نشر في سنة ١٥٨٤ روايته «غلاتية» فأصابت نجاحاً ... شجعه ذلك على الاقدام على التأليف المسرحي ، ولكن قلما يعرف من مسرحياته العديدة الآن سوى مسرحية أو اثنتين . وعلى الرغم من الاقبال على مؤلفاته ظل ضيق الحال ، فذهب الى اشبيلية حيث شغل منصباً في مكتب مدير شؤون أساطيل الهند الجديدة . ثم انتقل الى غرناطة . وقد اتهم في كلتا المدينتين تهماً لو صحت لأدت الى شرفه ، ولكن

جميع مؤرخيه مجمعون على ان مناصبهم لم تكن ارتكاماً مدبراً من قبله ، ولكن بعثهُ كان اهمالهُ مراقبة من كانوا يعملون في نفسه

ظهر الجزء الاول من كتاب دون كيشوت سنة ١٦٠٥ فنفدت نسخ الطبعة الاولى في بضعة أسابيع ، وطبع بعدها أربع مرات في السنة نفسها . وقد ترجم كتاب دون كيشوت الى الفرنسية حالاً ثم تلا ذلك ترجمتهُ الى سائر اللغات . وانقضى عليه ثماني سنوات قبل نشر كتاب آخر ، فكان هذا الكتاب مجموعة من القصص الادبية والمضحكة وهي قصص يحسبها الانسان آية الآيات في ادبهم ، لانها وصف دقيق بارع للمجتمع الاسباني في ولايات اسبانيا المختلفة . وإذ كان المؤلف يستعد لاصدار القسم الثاني من كتابه دون كيشوت ، اخرج مؤلف يدعى الونسو فرنانديز داڤلانيدا كتاباً زعم انهُ ملحق لكتاب دون كيشوت الاول . وقد تحامل المؤلف في مقدمة كتابه على سرفنتس وحمل عليه حملة منكرة وادعى انهُ لن يلبث ان يبني بكتابه هذا ستاراً كثيفاً من النسيان على دون كيشوت وصاحبه . ولكن هذا المنتحل لم يصب من النجاح الا ما كان بسبب الرغبة في الاطلاع على كل شيء جديد ، وكان من حسنات كتابه انهُ حمل سرفنتس على التعجيل في اخراج الجزء الثاني من كتابه فاخرجهُ في سنة ١٦١٥

وكانت صحتهُ قد اعتلت ولكنهُ على الرغم من اعتلالها ، ظلَّ مكبًّا على اتمام رواية اراد ان يقدمها الى اميره وحاميه كونت ده ليموس . الاَّ ان علتهُ عاقت اتمام الكتاب فسقط صريع المرض الاخير في ٢٣ ابريل سنة ١٦١٦ في نفس السنة بل وفي نفس الشهر الذي مات فيه شكسبير

بطل سرفنتس في كتابه دون كيشوت ، رجل في الخمسين من العمر يقطن قرية مع مدبرة بيته العجوز وابنة أخيه وهي فتاة في العشرين من عمرها ، وقضى معظم وقته في مطالعة قصص الفرسان ، معجباً بمغامراتهم اعجاباً ملك عليه نفسهُ ، فتصوَّر في احد الأيام ، انهُ يريد ان يمثل في شخصه بطولة أولئك الفرسان الجوابين . وكان سرفنتس يعلم ان محاولة من هذا القبيل ، والزمن أواخر القرن السادس عشر ، كان مقضيًّا عليها بالخيبة وعلى صاحبها ان يكون مضغة في الافواه وهدفًا لسخرية الساخرين فجعل ذلك سمة كتابه . وبحث دون كيشوت في قبو داره فوجد بقايا درع وخوذة وسيف فرممها وصقلها ثم لبس الدرع والخوذة في صباح يوم وتقلد السيف ،

وخرج من الدار من دون ان يشعر بمبارحته احد ولا امه ولا صحبه وامتطى جواداً أسماه « روسينانت » وأخذ سمته في تحقيق أمانيه وهي انتصاف مظلوم والثأر للارملة واليتيم ووضع الحق في نصابه ورد حقاً مهدوراً

الا ان الفارس الجديد بهذا اللقب يجب ان يجعل كل شيء في سبيل حبيبة يلقي عند أقدامها ثمار مغامراته، فتذكر فتاة قروية حسناء من قرية توبوزو، فاطلق عليها في ذات نفسه اسم « دولسينه ده توبوزو » ووقف على ذكراها مقدماً جميع انتصاراته الباهرة. ثم انه لا يستطيع ان يمضي في سبيله المرسوم قبل ان يصبح فارساً لانه اذا لم يفعل فالتوفيق لن يكون من نصيبه. فقرر ان يلتمس من اول فارس يلتقيه ان يمسحه فارساً. هو ذا قصر، وأمام القصر سيدتان نبيلتان تتحدثان أمام الباب. وهو ذا خادم يقرع الجرس منبئاً بقدومه، والأمير يتقدم لملاقاته.

ولكن هذا القصر ليس الا في مخيلة دون كيشوت. لان ما رآه لم يكن الا فندقاً حقيراً والسيدتان النبيلتان ليستا الا خادمتين، والأمير ليس الا صاحب الفندق

وكذلك حول دون كيشوت بسحر رغباته وأمانيه، حقائق العالم الواقع الى صورة رائعة لا وجود لها الا في ذهنه. وادرك صاحب الفندق ما بالرجل من مس، فسمح له ان يتصور الفندق قصر أمير كبير، وفي الصباح وسمه فارساً. فأحس دون كيشوت بعد ذلك بأنه أصبح قادراً على جميع أعمال البطولة، وسار في طريقه

واذ هو سائر استوقفه صراخ في الغابة فسدد خطواته الى مصدر الصوت فوجد فلاحاً منهالاً بالضرب على فتى موثق الى جذع شجرة. فحتم على الفلاح ان يفك عقال الفتى ويعوضه من طلبه له وجوره عليه، ومضى في طريقه جذلاً بانتصاره الاول. ولكنه ما يكاد يبتعد حتى هجم الفلاح على الفتى ثانية وأوسعه ضرباً ولكماً وجرده مما يملكه من النقود

ثم يشاهد دون كيشوت تجاراً سائرين الى بلدة مجاورة فيخطر له ان يحملهم على اعلان دولسينه ده توبوزو (محبوبته الوهمية) اجمل نساء الكون فيردون عليه رداً ساخراً لاذعاً في سخريته فيمتشق دون كيشوت رمحه ويهجم عليهم، فيكبو به جواده ويقع معفراً بالتراب، فيتناول احد السابلة رمحه ويقصمه على ظهره ويظل هو ملقياً على الارض حتى يمر به فلاح فيحمله على ظهر حماره الى داره

كانت مكتبته وهي تسلية أُنسه ، وصاحباه القسيس والحلاق ، قد أدركوا أن قراءة هذه الروايات قد أحدثت خللاً في عقله ، فاغتنموا فرصة ملازمته الفراش بعد وقعته الأخيرة وأحرقوا الكتب وسمّروا باب حجرة المكتبة . فلما عاد إلى الشفاء بحث عن كتبه ولم يجدها فرسخ في ذهنه أن ساحراً سحرها

إلا أنه لا يستطيع أن يستقر حتى يريد أن يقوم برحلة ثانية ولكن يصطحب تابعاً ، فيختار فلاحاً فقيراً من قريته يدعى سانشو بانسا ويعرض عليه مبادئه التي حركته ، ويرسم له بأزهى الألوان صوراً تستهوي ويعده بأن يمنحه ملكاً على الجزيرة الأولى التي يتاح له غزوها وافتتاحها . فاقتنع الفلاح مأخوذاً بهذه الصور الخلابة وفي ذات مساء سافرا من دون أن يعلم أحد بسفرهما ، دون كيشوت على صهوة روسينانت وسانشو بانسا على حمار بطيء . ولعل الوقعة الأولى التي وقعت من أشهر وقائع [illegible] ذلك أنهما [illegible] رأيا طواحين الهواء ، فحسب [illegible] دون كيشوت أنها جبابرة مردة ، فانتضى رمحه وحث جواده ، وهجم عليها ، على رغم تحذير صاحبه وتابعه . ولكنه خرج من المعركة مثخناً بالجراح والرضوض [illegible] على أن إصابته لم تصلح من شأن عقله لأنه ظل معتقداً أن أعداءه السحرة الذين سحروا كتبه قد حولوا المردة إلى طواحين

ثم يلي ذلك سلسلة من الوقائع ، نكتفي بالإشارة إليها . فدون كيشوت يلتقي مرة بقوم أن فيها أميرة أحدث غصباً فيحاول إنقاذها . ثم تراه يلتقي جماعة من الرعاة فيستقبلها كأنها جماعة من الأصدقاء المقربين ويصف لها وصفاً شعرياً العصر الذهبي أو تبرأ عنه وهو يلتهم قطعاً من الجبن فيتوهم في ذهنه أنه جيش [illegible]

وبعد مرض طويل ، يستعيد صحته ويبدو لمحبيه أنه استعاد صحة عقله كذلك . ولكنه كجميع أمثاله ، يثور جنونه عند ذكر « الفروسية » . فتحركه هذه النزعة من جديد ليقوم برحلة ثالثة في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل ورد الظالمين وثأر المظلومين باسم السيدة الفاتنة التي يهواها . وكان من [illegible] شجعه على ذلك يدعى كاراسكو . فيوفد دون كيشوت تابعه سانشو إلى تحية السيدة الفاتنة في قصرها الفخم ، وعندها يمنعه كاراسكو من [illegible] الفاتنة . فيذهب في سبيل اللقاء ولكنه عند ما يرى طائفة من أسافل الفلاحين على حميرهم يتوهم أن

ساحرٌ شريرٌ انتقض من عمل احيانه محواً والنيل منه . واذ هو يسرح في عامة يلحق به فارس بصحبة تابعه . فيتصارع هذا الفارس في مدينة برشلونة فاتحه ويتصدى له دون كيشوت محاولاً ان يحمله على الاعتراف بتفوق دولسينه — فتاة دون كيشوت — عليها فيمضي الحداد الى التراب ، فيتغلب دون كيشوت على خصمه فيحث هذا أمره بطلب الرحمة والشفقة — ثم يتبين له ان هذا الفارس المغوار الذي تغلب عليه ليس الاّ صاحبه كاراسكو ولكن دون كيشوت لا يصدق الا ان ساحراً مسخ الفارس المغوار هذا الصاحب الشهم . وكان الغرض من هذا تدبير اقناع دون كيشوت بالعودة الى داره . ولكن عودته هذه غريبة ، مثيرة ، فيحضر بعد وقت مسرحاً للدُمى فيجار الى الأميرة مليزاندرا التي سباها المغرب فينتضي سيفهُ ويعمل في الدمى انتقاماً لها

سلسلة من الحوادث لا ينقطع سببها ولا ينضب فيها معين الابتكار . واخيراً يعود الرجل الى قريته وقد شفي من جنونه ، والواقع انهُ مرض مرضاً مميتاً تشفاه المرض الجنوني مما ألمّ بعقله فينكر ويستنكر ما حولهُ من المغامرات المضحكة ويودع وصيتهُ أحكم الأقوال ويمضي عنهُ تائباً ورعاً

ما اكثر ما كتب في اسبانيا وايطاليا وفرنسا والمانيا وانكلترا في سرفنتس وآثاره دون كيشوت ومقامها في الادب العالمي . ما اكثر ما بحث الكتّاب في البواعث التي حملت الكاتب على كتابتها والاغراض التي انتحى اليها . لماذا احرزت هذه الرواية وهي من مبدئها الى نهايتها سلسلة من المغامرات تنطوي على سخرية من المثل الفروسية ، اقبالاً عظيماً في اسبانيا حيث يقدس الشرف ويعبد بعد الله ؟ ولماذا احرزت اقبالاً في سائر بلدان اوربا ؟ مسألة صعبة قد لا يمكن الاجابة عنها الاّ بشرحها

اما من حيث البواعث والاغراض فيلوح لنا ان رأي مريميه هو اقرب الآراء الى الصواب قال : يبدو لنا ان سرفانتس انما أراد عندما عزم على كتابة هذه الرواية ان يصنف رواية اخرى يسلي بها قراءهُ بما يجمع لرجل غريب الاطوار شاذ الطبع من الحوادث . وكانت السخرية في ذلك العصر ابرز الصفات في الادب . بل لقد قال هو نفسهُ ان غرضهُ كان السخرية من روايات الفروسية التي كانت قد أصبحت في ذلك العصر كتلة من الاكاذيب . ولكن ايّاً كانت البواعث التي حملتهُ على الشروع في

تألف . فلا ريب انه ادرك عندما شرع فيه انه عثر على عرق من الذهب ، عرف قيمته . . . ثم اتسع امامه المجال فاصبحت روايته صورة متقنة للاحوال الانسانية في ذلك العصر بنبلائه وفرسانه و... ورهبانه وقسوسه وتجاره وفلاحيه ومشرديه وملاحاته وغوانيه

ويكاد يكون من المؤكد ان روايات الفروسية ، كانت في ذلك العصر لا تتمتع ببعض المكانة التي كانت لها قبلا ، ولكن الكتّاب اجمعوا على كتاب دون كيشوت انه اقصى سخريته للادعاء الى تبديل من فكرة الشرف عينه ، وهذا بعد عن جانب من الصحة لأن تقليد دون كيشوت فأصبح يطلق بعد ذلك على كل من يحاول التدخل في ما لا يعنيه

الا انه على الرغم مما وصف به دون كيشوت من صفات الحمق ... وانت تقرأ بيانه ... وقع له رجلاً محباً قريباً الى القلب ... بل انك لتجده ، عندما لا تكون روح الفروسية مسيطرة عليه ، رجلاً عاقلاً متزن الرأي ، وقد وصفه سرفنتس وهو يتحدث مع الفلاحين ، حديثاً كله ... وذكاء ولطف إشارة ولا سيما عندما كان يصور لهم العصر الذهبي او مع الأسياد يبسط لهم آراءه في التربية

وكثيراً ما كان يفوق صاحبه سانشو بانسا رجاحة عقل واصالة رأي ، ويوجه خاص عندما كان يلقي عليه النصح في كيف يجب ان يحكم جزيرته الموهومة

ان الجمع في خلق رجل واحد ، بين ما يثير سخريتك واستهزاءك من ناحية ، وحبك واعجابك من ناحية أخرى ، من آثار السحر في ريشة سرفانتس . ولعل هذا هو السر في اقبال الناس على دون كيشوت وذيوع الرواية هذا الذيوع ...

اما سانشو بانسا ، فشخصية ابدعتها عبقرية سرفانتس ، لتستعملها في المقابلة بين الجنون في سبيل المثل الأعلى ، وحطة الاثرة التي تحرك الناس بل لعل الصفتين ناحيتان ، من نواحي الانسان الواحد ، عبر بهما وفقاً لتغلب الاحوال عليه ، فهو آناً مثل دون كيشوت في حماسته لمثله الأعلى ورغبته ، وآناً آخر كسانشو عملي كل العملي في سبيل المصلحة الخاصة الى حد الاثرة

[في الشهر القادم « لوبي ده فيجا ومسرحياته »]

قوى الدفاع الاوربية

اقسامها، قوتها وطرق تنظيمها

تسير الدنيا على التاريخ وتغير من صفحاته جيلاً بعد جيل ... ثم تتكون الامبراطوريات العظيمة وتبدأ النظريات والعقائد على أسس قوة الجيوش التي سارت ... أو تحوتمس ورمسيس الثاني واسكندر وهنيبال وجنكيز خان و... ومرد ... هؤلاء الذين صنعوا التاريخ ... ولو أنهم لم يدونوه

وإذا كان تحول التاريخ قد أسرع ... في السنين الاخيرة اسراعاً لم يعرف من قبل فلأن الأمم أصبحت ... كل منها بقوتها فقد وضعت الحرب العظمى أوزارها وشاهدنا سرعة في تطورات الاجتماعية وكثرة في الاضطرابات السياسية وتقلباً في المذاهب الاقتصادية وتماماً في ... والشيء الوحيد الذي أصبح يعلو على كل تلك التطورات والاضطرابات والمذاهب على الناس هو القوة الحربية ... مصدر العظمة

ان أبهى عصور التاريخ اقترنت بانتصارات الأسلحة — تلك المعارك التي ... وقادش ومراثون وأربلا وكانيه ... وواترلو وسيدان . فالأمم لا تبلغ المجد التي تصبو اليه الا بالجيوش وكان الحق للقوة وسيكون حليفها دائماً والأمم القوية قوية في كل العناصر في آدابها وعلومها وصناعاتها وتجارتها فعندما كان الفن المصري في أحسن فترة للامبراطورية المصرية كما كان للفن اليوناني وللأدب الفرنسي ولولا القوة لما كانت الالياذة الخالدة أو الشاهنامة أو قصائد الشاعر المصري بنتاور أو تجارة بريطانيا

ولنبدأ الآن بوصف قوات الدفاع في الدول الأوربية المتوسطة مرجئين الكلام على الجيوش الكبيرة الى فرصة مقبلة . ولكي يسهل علينا تناول هذا البحث نتصور أمامنا خريطة أوربا ممتدة في الشمال

أقسام الجيش

وما يقابلها في الجيش المصري

فيلق	Army Corps
فرقة	Division
لواء	[illegible]
آلاي	Re[illegible]
أورطة	Battalion
بطارية	[illegible]
[illegible]	Squadron
بلوك	Company
بلوك	Platoon
صف	Section

دول الشمال

ان النرويج والسويد والدنمرك في عداد الدول الثلاث الضعيفة جميع ببسط قدها مصالح كثيرة حيوية معرضة للخطر ومع ذلك تحتفظ كل من جيشه قوية فالنرويج ذات جيش عدده في وقت السلم ١١٢١٠٠ يصل في حالة التعبئة ... ٢٤ وهو مؤلف من ست فرق كاملة وعلى سبيل المثال نذكر العناصر التي تتألف منها الفرقة في الجيش النرويجي

ثلاث آلايات مشاة وآلاي خيالة وبصيلة دراجات وآلاي مدفعية ميدان ومدفعية حصون موسوستروك وسوسرج ومدفعية فردريكسن وفردريكستاد

وبجانب الفرق الست هناك آلاي المهندسين وآلاي مدفع مقاومة الطائرات وفرقة حربية. أما قوة الطيران النرويجية فمؤلفة من ... ٩ جندي وضابط و ٩٦ طائرة

والجيش السويدي في وقت السلم عدده ٢٣،٣٠٠ وفي اثناء الحرب يمكن تعبئة ٥٧٥،٠٠٠ والسويد منقسمة الى اربع مناطق عسكرية رئيسية وثلاث مناطق صغيرة والتجنيد اجباري من سن العشرين الى الثانية والاربعين والجيش مؤلف من اربع فرق ولواء مستقل وقوات Norrland اسبب وقوات ... وتتألف الخيالة من أربعة الآيات والمدفعية من أربعة آلايات مدفعية للفرق وآلاي مدفعية للجيش وقسمين حلا مدفعية الحصون ومدفعية ضد الطائرات والمهندسين . وقوة الطيران في السويد عددها الف رجل يسيطرون على ٩٣ طائرة قوتها ٤٣،٥٤٠ حصان و٧٩ طائرة للتعليم تسلي والعي

وعدد الدنمارك التي لا يزيد عدد سكانها على ٣٦٦٨٤٠٠٠ نفس تحتفظ بجيش عدده ... ٩٥ وفي حالة الحرب يصل الى ٢٨٠٢٠٠ بسهولة . والجيش الدنماركي يتألف من فرقتين فرقة زيلند ومقرها في كوبنهاجن وفرقة جتلند في فيبورج وتشتمل المشاة على ثمانية آلايات والخيالة من آلايين والمدفعية على ثلاثة آلايات مدفعية ميدان مختلفة. وآلاي المهندسين يتكون من أورطتين أما القوة الجوية فمؤلفة من مجموعتين (أربعة أسراب) وعدد طائراتها ٦٥ قوتها ٢١٠٠٠ حصان وعدد رجالها ٥٠٠

دول البلطيق

ان أكثرنا لا يتتبع أخبار الدويلات الأربع المطلة على البلطيق التي استولى عليها الألمان أثناء الحرب الكبرى ثم انفصلت عن الامبراطورية الروسية وأصبحت دولاً مستقلة . فتحولت جهود لتوانيا والعالم نحو روسيا الاسيوية مداخلها أيام القيصر فضاعت مكانته لتحراد وزع مجم موسكو ولا شك أن روسيا القوية لم يرضها هذا الانفصال واستمرت تتحدى حكومات تلك الدول

الى ان انتهى الأمر بعقد ميثاق عدم الاعتداء [illegible] كانت ليتوانيا تسعى الى استرداد [illegible] من بولونيا ، وتضمنت استونيا ولاتفيا وليتوانيا [illegible] تحتفظ على دقة عددها ومعداتها وأسلحتها ومرونة [illegible] وله الصدفة عليها سحقت [illegible] وبه تمر [illegible] أن جيوش المحور في أيامها [illegible] من وسط البروسيين والخدمة العسكرية بها تجاوز ولا عدد العسكري [illegible] على أحدث نظم بعد الحرب ويستند الى القوات العسكرية [illegible] حرس الحدود والجمعيات الشبه العسكرية

فاستونيا وسكانها لا يزيدون عن [illegible] لها جيش عدده ١٣٣٠٠ رجل وفي وقت الحرب يبلغ عدده [illegible] ٩٠٠٠ وهي مقسمة الى ثلاث مناطق عسكرية في كل منها فرقة كاملة والقوة الجوية تتألف من ٦٨ طائرة قوتها ٣٣٠٠٠ حصان وعمالها [illegible] جندي وضابط

ولاتفيا جيش مؤلف من ١٩٠٠٠ جندي مع أن عدد سكانها لا يتجاوز [illegible] ويصل هذا العدد أثناء الحرب الى ٤٠٠٠٠ وهو مركب من أربع فرق ومعاها الدبابات الحديثة والميكانيكية ويبلغ عدد طائرات هذه الدولة مائة وعدد رجالها ألفا تقريبا

ولليتوانيا لها جيش عدده ٢٢٥٥٠ جندي وسكانها لا يزيدون عن [illegible] ويستطيع في حالة الحرب أن تعبئ [illegible] وتضم طائرات وقوة رجالها ألف تقريبا

أما جمهورية فنلنده وهي أكبر الدول الاربع وسكانها يبلغ عددهم ٣٣٧٦٢٢٠ فعدد جيشها ٢٤٣٧٠ ويرتفع في وقت التعبئة الى [illegible] وهو مقسمة الى تسع مناطق عسكرية كبيرة وتتبع الفرقة [illegible] المثال من الراحة [illegible] ثلاث مشاة وحوك كلاب ولايين [illegible] ميدانية وبلوك دبابات ومستودعات للتدريب [illegible] والقوة الجوية ومقرها في هلسنكي [illegible] على ٢٠ طائرة وعدد رجالها ثمانمائة وعناصر الجيوش الأربعة مؤسسة على أحدث [illegible]

بولنده

نشأت الجمهورية البولندية في أواخر الحرب العظمى وهي مدينة بمنصب لقواتها العسكرية . فبعد ان تلاشت قرناً طويلاً أعاد اليها رجالها الحياة مواجهين كل ضروب [illegible] والأزمات وكان الجيش البولندي الحديث وليد نهضة بولندة ومرتبته الاوربية بعد جيوش فرنسا وايطاليا والمانيا [illegible] الحربية في [illegible] العسكرية [illegible] والعشرين وتنتهي في الخمسين ومدتها عامان في الجيش العامل ولما كان التجنيد الاجباري يمد الجيش بعدد من الجنود يفيض على العدد المقرر للجيش خفضت مدة الخدمة الالزامية الى ١٨ شهراً والشبان الذين لا يأتي دورهم للخدمة في الجيش العامل ينضمون الى الوحدات المساعدة (الاحتياطية) وهي التي تضم بين صفوفها مجندات من الفتيات

وعدد سكان بولندة [illegible] ٨٠٠٠ وجيشها [illegible] ٢٨٧ [illegible] في وقت الحرب ثلاثة ملايين [illegible] وتنقسم بولندة الى [illegible] مناطق عسكرية [illegible] يتألف من ثلاث فرق [illegible] على الاقل فرقة [illegible] وفرقتين [illegible] وفرقة خيالة و[illegible] لواء [illegible] [illegible] ست [illegible] [illegible] عنه [illegible] آلاي مدفعية [illegible] [illegible] المهندسين [illegible] [illegible]

وأعلى الرتب العسكرية هي «المفتش العام للقوات العسكرية» وقد انشئ هذا المنصب المارشال «بلسودسكي» ودعمه [illegible] وزير الدفاع الى ان مات وتولاه [illegible] المارشال «سمجلي ريدز» [illegible] اليوم على جميع أعمال الدفاع الوطني [illegible] [illegible] [illegible]

والاعداد العسكري اجباري وفي المدارس يقوم بالتدريب العسكري [illegible] [illegible] [illegible] والجمعيات [illegible] العسكرية مثل «Sokols». وفي بولندة جمعيات حربية كثيرة للدفاع السلبي وتنظيم الوقاية ضد الغازات

والقوة الجوية في بولندة تتألف من ١٤٨٠ طائرة قوتها [illegible] ٨ [illegible] وقد أحيت قوة الطيران [illegible] المحركات والاجهزة التي تحتاج اليها الطائرات وتسع [illegible] كل ما تحتاج اليه من مستلزمات الصناعات الجوية فضلاً عن ان طبيعة البلاد وامتداد [illegible] و[illegible] مداها تساعد على تقدم السلاح الجوي المؤلف من ستة آلايات وأوروبيين [illegible] يبلغ عدد طائرات المطاردة والاستكشاف فقط سبعمائة

ولولا الازمة المالية التي تعانيها بولندة لكان لديها أضعاف هذا الجيش و[illegible] أعمال التسليح به ومن مصلحته [illegible] وربما ان تختط بولندة [illegible] دفاعية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تصرف الوشيبة [illegible] في السلم بأن ٣٣ الى ٣٤ / من ميزانية [illegible] لاعمال الدفاع

بلجيكا وهولندا

اهتمت بلجيكا بحكم موقعها الاستراتيجي وكونها الهدف الاول للهجوم [illegible] بإقامة الحصون وتشييد الاستحكامات التي تعرقل العدو المهاجم من حوض الرين [illegible] [illegible] تعطيل أعمال الهجوم وقتاً ما [illegible] من جمع قواها المعدّة لمقابلة العدو وقد [illegible] سياستها الدفاعية على هذه الاركان وهي سياسة عسكرية لاشك انها [illegible] «بلجيك خط الدفاع الاول لها ولا [illegible] الى اي حد [illegible] أو [illegible] خطط البلجيك الحربية [illegible] [illegible] [illegible]

والجيش البلجيكي يتألف في وقت السلم من ثلاثة فيالق (ست فرق مشاة) و[illegible] دراجات الحدود وفيلق خيالة ولواء مدفعية وقوات «التريتوريال» الجوية وقوات المهندسين و[illegible] وقوات النقل والاعمال والاقسام الطبية وقوات «التريتوريال» يضاف الى تلك القوات [illegible] مخصص

لخطوط الدفاع القائمة في الاردن على حدود [illegible] مدينة ليج ونامور وما بين اقرس ونامور وأمام ايسكو

وبالاختصار فان عدد الجيش [illegible] اربعة آلاف ضابط وتسعة آلاف ضابط صف وتسعين [illegible] في وقت الحرب ان تعبئ ما لا يقل عن ٨٠٠٫٠٠٠ جندي

وجيشها في المستعمرات عدده ١٣٫٠٠٠ من اهالي الكونغو البلجيكي وضباطه من البلجيكيين وعددهم ٣٠٠ وكذلك ضباط الصف بلجيكيون

ونظام التجنيد البلجيكي مؤسس على [illegible] وبلغ عدد المجندين ٤٤٫٠٠٠ منهم ٢٠٠ [illegible] يخدمون ثمانية أشهر و [illegible] ١٩٫٠٠٠ اثني عشر شهراً و [illegible] ثلاثة عشر شهراً بحسب الأسلحة التي يوزعون عليها ولكن من المحتمل تغيير هذا النظام بعد تغير [illegible] السياسة الأخيرة في البلجيك

والقوة الجوية تشتمل على ٣٨٠ طائرة مختلفة وعدد رجالها ٨٤٠٠ [illegible] اضفنا الى [illegible] حديقة الاسرة [illegible] فرنسا والبلجيك [illegible] الاستحكامات والحصون [illegible] على الحدود التي تقاوم بها [illegible] هجوم الالمانية. وتخشى اليوم هولنده أن تغير المانيا طرق هجومها التي اتبعتها اثناء الحرب العظمى (١٩١٤) [illegible] ضابطان المانيان [illegible] وهذا المشروع يقضي باكتساح جانب كبير من هولنده بواسطة قواتها الميكانيكية [illegible] البلاد الى قسمين ويجعل من القسم الشمالي مركزاً هاماً للغواصات والطائرات الالمانية

وفي [illegible] السنين الأخيرة اهتمت هولنده بوقاية الترع ورؤوس القناطر والقنوات والسدود وذلك بتجهيزها بالمرصات والمدافع السريعة [illegible] في حالة الهجوم المفاجئ تقوم قواتها بفتح السدود ونسف القناطر واغراق المناطق التي تدفع منها قوات الاعداء وتعرقل تقدمها بكل الوسائل

ويبلغ [illegible] سكان هولندة ثمانية ملايين تقريباً وجيشها (ما عدا قوات المستعمرات) قوته ١٩٫٢٥٠ — ويبلغ جيش المستعمرات ٣١٫٥٠٠ وفي مقدرتها تجنيد [illegible] في وقت الحرب على الاقل . والجيش الهولندي مؤلف من اربع فرق ولواء مشاة خفيفة وآلاي مدفعية للسواحل وفيلق مدفعية ضد الطيارات وآلاي مهندسين وفيلق للسكك والالغام والفرقة الهولندية تشتمل على لوائين مشاة ولواء مدفعية خفيفة (آلاي) وحدات ميكانيكية

وتتألف القوة الجوية في هولندة من ٢٦٦ طائرة مجموع قوة محركاتها ١٣٣٫٧٠٠ حصان وعدد رجالها خمسمائة

ا... ... وبلغاريا

نصت معاهدة الصلح بعد الحرب على ان يكون جيش النمسا ... ... لا يزيد على ... ٣٥ وجيش بلغاريا ... ... ونصت الدول الثلاث من شروط معاهدة ... حرب ... وريانون ونويي الى ان ... من ... فرقت ... شروط معاهدة ... شرط بعد آخر واستمرت ... حفظ ... الناحية ... و الاقتصادية الى ان نظمت جيشاً مؤلفاً من سبع فرق مشاة وفرقة ... وبعض الوحدات الميكانيكية والمدرعات

والفرقتان الاولى والثانية تعسكران في ... والثالثة في سنت بولتن (النمسا السفلى) والرابعة في لنز (النمسا العليا) والخامسة في جراتز والسادسة في سالزبرج والسابعة في كارينثيا وتيرول الشرقي . وهنالك فرقة للطوارىء المرسة ب فيينا ايضاً

ويبلغ عدد سكان النمسا ٦٧٨٦٠٠٠ وعدد هذا الجيش ثلاثون ألفاً وتستطيع ان تعبىء ستمائة ألف على الأقل

ولم يكن للنمسا من قوات الجوية سوى الآلاف ومعدات الطيارات وقد اضطرت في الايام الاخيرة الى بذل عنايتها بسلاح الجوي فنصدت حكومة الامة النمسوية بلسان الجنرال زهنر وزير الدفاع في خطاب اذاعه بالراديو طلب ... تجديد ... ... للاستعمال الجوي الذي تفتقر اليه النمسا كثيراً في هذه الاوقات وقد بدأت حركة الاكتتاب في منتصف شهر أكتوبر الماضي وتطوع لهذا الغرض اكثر من خمسة عشر الفاً يجولون في البلاد ويحثون الشعب على التبرع كل بحسب مقدرته المالية

وهذه المجر التي يبلغ عدد سكانها ٨٦٨٣٠٠٠ لها جيش قوته العددية ٣٣٢٠٠ وتقدر على تعبئة ... ٨٠ جندي في وقت الحرب ... ... مستنفعي من معاهدات ١٩١٩ التي سلخت منها ولايات تعدها مجرية وقوى هذا الشعور خلال العامين الاخيرين بتشجيع موسوليني فهي الآن تنتهز الفرصة لتحقيق آمال المجريين ولو على الأقل جمع الشعوب المجرية التي انتزعت بقوة المعاهدات الى رومانيا ويوجوسلافيا وتشكوسلوفاكيا

وهي تعمل الآن على زيادة عدد جيشها واعداد الوسائل الميكانيكية وخلق قوة جوية مناسبة واهم الوحدات الكبيرة في الجيش المجري سبعة لواءات مشاة ولواءان خيالة مستقلة وخمس بطاريات مدفعية وثلاث أورط من المهندسين وقوة من السيارات المدرعة . ومن المحتمل ان يغير التجنيد الاختياري الى الاجباري

اما بلغاريا وسكانها ستة ملايين فلها اليوم جيش يبلغ عدده ٣٢٣١٥ تقريباً وفي مقدرتها تجنيد نصف مليون وقوتها الجوية لا تكاد تذكر وليست لها بحرية ايضاً ويتألف جيشها من

غايته آلات مشاة وثلاثة حيالة و٢٤ طارة مدفعية مختلفة وفوة من المهندسين

وبلغاريا من الدول الاوروبية القليلة التي تتبع نظاماً لا يرغبون في خدمة العسكرية من تلقاء نفسهم

سويسرة

وهذه سويسرة وكانت مضرب الامثال في الحياد الاوروبي اضطرت اخيراً ان تخوض معترك التسلح فمركزها الحربي من الناحية الاستراتيجية مما لا تحسد عليه لانها محصورة من جميع حدودها بدول مختلفة في مذاهب السياسية وتتصادم مصالحها معها بشدة ثم انها شهدت خطوط تجربة المواثيق والمعاهدات . وسويسرة كما نعلم جمهورية صغيرة عدد سكانها ... ولها جيش قوته اربعون الف جندي وتستطيع تعبئة ما لا يقل عن ... ٣٥٠

والجيش السويسري من الجيوش التي تستحق دراسة انظمتها ولولا ضيق المقام لأسهبنا في الكلام على تنظيمه وتسليحه واعداده وهو في الواقع ميليشيا نظامية يجند له سنوياً ... عدد ينضمون في وحدات الميليشيا مدة تختلف من ستين يوماً الى مئة يوم فقط . وبذلك ليس لسويسرة جيش ثابت كما هو الحال في الدول الاخرى وليس لها سوى ثلثمائة معسكر للتدريب !

ويتألف الجيش السويسري من ثلاث طبقات . فالطبقة الاولى وهي النخبة (...) ورجالها تتفاوت اعمارهم من العشرين الى الثانية والثلاثين والطبقة الثانية (اللاندوهر) واعمار رجالها بين الثلاثة والثلاثين والاربعين ثم الطبقة الثالثة (اللاندستورم) وهي للعشرة الذين تختلف اعمارهم من الواحد والاربعين الى الثامنة والاربعين . ولسويسرا ... اعمال دفاع حصينة وتبلغ عدد الطائرات العسكرية ٢٥٠ طائرة وعدد رجالها ... ٩٠٠ ... ٣

وقد اصدرت الحكومة السويسرية في ... ١٩٣٦ امراً باعادة تنظيم قوات التجنيد على أساس جديد مؤلف من ثلاثة فيالق وتسع فرق وثلاثة الوية جبلية مستقلة غير قوات الحصون والحدود وينتخب الضباط من بين ضباط الصف في الجيش بعد تأدية امتحانات خاصة

دول التحالف الصغير

واذا انتقلنا الى الكلام عن تشكوسلوفاكيا التي انشئت على انقاض جانب من امبراطورية النمسا والمجر وسيليزيا العليا الألمانية وحدناها تشغل مساحة ... ١٤٠ كيلو متر مربع ويزدحم بخمسة عشر مليوناً من الانفس ويحيط بها المانيا وبولنده والمجر والنمسا ورومانيا ولكي تطمئن ولا تهدد احتفظت بقوات كبيرة للدفاع . لم يكن للتشك قبل عام ١٩١٩ سوى قوات غير نظامية فاستقدمت الحكومة الجديدة بعثة عسكرية من فرنسا لتنظيم الجيش الجديد . بيد ان سياسة

[illegible] يمتعوا كثيراً [illegible] جيش كبير في [illegible] [illegible] الديموقراطية اشياء جديدة [illegible] [illegible] تستهوي [illegible] [illegible] السلم الاوربي جعلهم يمشون [illegible] [illegible].

تألفت القوات الاولى للجيش على أحدث [illegible] [illegible] الادوار السياسية الدولية [illegible] سياسة [illegible] للدفاع

ان الخدمة العسكرية في تشكوسلوفاكيا [illegible] ومدة عامين في الجيش العامل وجميع الشبان الذين تتفاوت أعمارهم بين [illegible] [illegible] يستدعون [illegible] في [illegible] وقوة الجيش في اثناء السلم [illegible] ١٧٨٥ [illegible] [illegible] ضابط و [illegible] للعدات الحربية

ويتألف الجيش من ١٣ فرقة مشاة [illegible] [illegible] [illegible] الحدود وأربع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الجمهورية [illegible] تشكوسلوفاكيا [illegible] البلاد الصناعية [illegible] في هذه الناحية على حليفتيها رومانيا ويوغوسلافيا [illegible] مصانع سكودا للاسلحة والذخيرة [illegible] المصانع التي كانت [illegible] قبل الحرب [illegible] [illegible] [illegible]

وتسير الجمهورية سيراً حثيثاً في [illegible] العناصر الميكانيكية على [illegible] [illegible] منها وحدات كاملة [illegible] [illegible] جهوداً في [illegible] [illegible] على الحدود وقد تطور التعليم العسكري كما كثرت المعاهد الحربية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قبل الحرب [illegible] التعليم [illegible] في البلاد [illegible] [illegible] ضابط [illegible] [illegible] وقوة الطيران مؤلفة من ستة [illegible] وعدد [illegible] [illegible]

والجيش التشكوسلوفاكي [illegible] [illegible] الاول في [illegible] [illegible] السلم [illegible] لا نعلم كيف يكون موقفه اذا قامت [illegible] فهناك عوامل كثيرة قد تؤثر فيه من ناحية طبيعة تكوين الجمهورية من عناصر مختلفة

واذا عطفنا على رومانيا وجدنا دولة قد ظفرت بمعاهدة الصلح بمقاطعات جديدة تعادل أكثر من نصف مساحتها الأصلية وبها ازداد عدد سكانها الى ١٩ مليوناً تقريباً ولا شك في انها ترغب في الاحتفاظ بهذا كله وتقاوم كل تعديل يمس المعاهدات التي كسبت بها هذا الكسب ولذلك كان اهتمام رومانيا بجيشها في مقدمة أعمال الدولة مدربة بعثة عسكرية فرنسية

والخدمة العسكرية في رومانيا اجبارية تبدأ في سن الواحد والعشرين الى الخمسين ومدتها عامان في الجيش العامل وثلاثة أعوام في الطيران والبحرية والجندرمة وحراس الحدود وقد خفضت تلك المدة في الأعوام الأخيرة فأصبحت ١٨ شهراً للجيش و٢٧ شهراً للقوات الأخرى.

ويقضي الشبان الذين تبلغ أعمارهم من ١٨ - ٢٠ سنة خدمة اجبارية شبه عسكرية قبل انضمامهم الى وحدات الجيش مدتها شهران تمريناً سنوياً في معسكرات التدريب

ويتألف الجيش الروسي من ٢٢ فرقة مشاة وفرقتين للرماة وأربع فرق خيالة وأربعة آلايات عربات ميكانيكية و٥٣ آلاي مدفعية مختلفة وعدد ورط للمهندسين والقوات اللاسلكية وغيرها ويبلغ عدده ٠٠٠ ٢٥٠ جندي و ٠٠٠ ١٥ ضابط و ١٣٦٠٠ للقوات الجوية التي يبلغ عدد طائراتها ٩٤٠ قوتها ٢٧٠ الف حصان ورجالها ١٣٦٠٠

واذا عدنا الى الكلام عن يوجوسلافيا وجدنا الصرب قد حققت حلمها القديم بانشائها دولة كبيرة على شاطىء الادرياتيك مؤلفة من ولايات الصرب والكروات والسلوفين والجبل الاسود فوصل عدد سكانها الى ١٥ مليون تقريباً ولها اليوم جيش كبير منسق على الاسلوب الفرنسي وهي مقسمة الى خمس مناطق عسكرية موزعة فيها الوحدات الآتية

١٦ فرقة مشاة وفرقتان للخيالة وثلاثون آلاي مدفعية مختلفة وثمانية آلايات مهندسين . والخدمة العسكرية اجبارية لمن هم في سن العشرين الى الخمسين مدتها ١٨ شهراً في الجيش وعامان في القوة الجوية ويبلغ عدد الجيش ١٣٨٠٠٠ منهم ٩٠٠٠ ضابط و ١٠٠٠٠ للقوة الجوية . أما عدد الطائرات فلا يقل عن ٨٦ طائرة

ويمتاز الجندي الصربي والكرواتي بشجاع وممتاز من الطراز الاول بيد ان تدريبه على النظم الحديثة يلاقي صعوبة ولا سيما تدريب الضباط كما انها تحتاج ايضاً في الاسلحة الفنية ويعمل الآن على تحسين مستوى اسمي في الجيش على الرغم من الصعوبات التي يلاقونها من رؤسائهم الذين تخرجوا على الاساليب القديمة

دول البحر المتوسط

وتعد تركيا التي لا تريد غير السلام مع جاراتها وليس لها في ... مع الجمهورية ولكن تحمي سياستها المحتملة بقوات دفاعية من الطراز الاول . فالجمهورية التركية التي انشأها أتاتورك ومساحتها ٧٦٣٠٠٠ كيلو متر مربع يقطنها ١٤٠٠٠ ١٦٢ تركي وتتاخم حدودها بلغاريا واليونان وروسيا وإيران والعراق وسوريا

والجيش التركي الحديد وليد النهضة الحديثة وهو أهم عناصر الدولة التركية ومؤلف من عشرة فيالق والفيلق التركي يحتوي على فرقتين مشاة وآلاي خيالة وآلاي مدفعية ثقيلة وأورطة مهندسين وأورطة للنقل وأورطة قطارات ميكانيكية . ويبلغ عدد الجيش التركي ١٣١٦٢٧ من هؤلاء عشرون الف ضابط وعشرة آلاف ضابط صف . أما القوات الجوية فتتألف من ٨٣٨٣ جندياً و ٣٧٠ طائرة من أحدث طراز

والخدمة العسكرية في تركيا [illegible] في [illegible] والعشرين وتنتهي في سن الخامسة والاربعين [illegible] في الجيش العامل سنة ونصف [illegible] في الاسلحة الخفيفة والخيالة والمدفعية [illegible] ونصف في [illegible] وثلاث سنوات في البحرية [illegible] كل عامين للتدريب العسكري مدة شهر ونصف. وفي [illegible] تستطيع تجنيد مليون جندي

[illegible] قانون جديد للخدمة العسكرية في تركيا [illegible] تجنيد حربي [illegible] من ١٦ الى ٢٠ وفرض الخدمة العسكرية [illegible] من ٢٠ الى ٦٠ سنة [illegible] على النساء [illegible] خدمة عسكرية وفي حالة التجنيد العام يجب عليهن القيام بالخدمة من سن ١٦ الى ٦٠ في [illegible] في ميدان [illegible]

[illegible] صديقة تركيا اليوم كان جيشها في عهد قريب كثير الاشتراك في الادارة السياسية. [illegible] الانقلابية [illegible] جيش عدده ٤٩٨٢٠ ولا يزيد عدد سكانها عن [illegible] ٦٠٧ [illegible] وهذا الجيش [illegible] من [illegible] في آثينا ولاريسا [illegible] وقوله [illegible] على جميع الاسلحة [illegible] التعليم العسكري معظم تقوم به المدرسة [illegible] الدراسات العسكرية ([illegible]) وكلية اركان الحرب ([illegible] والبوليتكنيك) والمدرسة الحربية ومدة التعليم بها اربع سنوات

[illegible] الجوية مؤلفة من ١١٩ طائرة قوتها [illegible] ٦٣٠٠ حصان وعدد رجالها ٣٠٨٠

البانيا والبرتغال

وهذه المملكة الصغيرة [illegible] جيش عاملٍ عدده ١٢٦٣٩ جندياً [illegible] ٧٧١ ضابطاً مع ان عدد سكانها لا [illegible] عن [illegible] ٠٠٠٣٠ و [illegible] ويتألف الجيش الالباني من الحرس الملكي وقوات الحدود ([illegible]) و ١٢ اورطة مشاة [illegible] المدرعة والمدافع و ٣٢ بطارية مدفعية [illegible] وقد [illegible] التعليم العسكري فيها اخيراً

أما جمهورية البرتغال وعدد سكانها ستة ملايين فلها جيش مؤلف من ثلاثين الف جندي وتستطيع في وقت الحرب تعبئة [illegible] ٦٥٠ جندي وجيشها مؤلف من ٢١ آلاي مشاة و٤ اورط مشاة مستقلة وتسع اورط مشاة خفيفة وثلاث اورط [illegible] ولوائين للخيالة [illegible] الآيات المدفعية [illegible] الطاريات [illegible] ومدفعية السواحل ومدافع مقاومة للطائرات وفريق المهندسين وعدد الطائرات العسكرية في البرتغال ١٣٠ طائرة وعدد رجالها ١٠٠٠

والكلام عن الجيش الاسباني ليس في محله الآن ، ولعلنا نوفق الى التحدث عنهُ في فرصة مقبلة

[كولونل]

أهم الحوادث الدولية

في سنة ١٩٣٦

كانت السمة العامة الغالبة على أحوال السياسة الدولية في سنة ١٩٣٦ سمة الاضطراب وعدم [الاستقرار] وقد أطلت السنة ولهيب القتال محتدمٌ في ميادين الحبشة وشبح الحرب يحوم فوق البحر المتوسط والجفاء مستحكم في صلات ايطاليا ببريطانيا . كانت جمعية الأمم قد حكمت في ٧ اكتوبر سنة ١٩٣٥ بأن ايطاليا معتدية ، وقررت فرض العقوبات المالية والاقتصادية التي نص عليها المادة السادسة عشرة من عهد الجامعة ، الا ان حكومتي [illegible] رفضتا الاشتراك في العقوبات [illegible] الجامعة ان تدخل النفط والفحم والصلب في عداد المواد التي تشملها العقوبات ، أنذر السنيور موسوليني وتوعّد . لأن النفط وحده من عصب الحرب الحديثة تسير به الدبابات والسيارات على الارض ويحلّق به الطائرات في الفضاء . وقال انه يعتبر هذا القرار عملاً عدائياً موجهاً من جانبها بعمل حربي . فأُجّل البحث في الموضوع ، وتمكّن الجيش الايطالي في [illegible] الحبشة الى ان دخل اديس أبابا بعد خروج النجاشي منها ، فقضي الأمر وأصبحت [illegible] الجامعة أمام الأمر الواقع . ولكنها لم تستطع ان تلغي العقوبات الا بعد شهور ، فقررت في الاجتماع الذي عقدته على الجامعة ان الاستمرار في فرض العقوبات لا يحقق أي غرض من أغراض فرضها ، وعلاوة على ذلك يبقى باعثاً من بواعث الاستفزاز فأُلغيت ، وكذلك مُهّد السبيل قليلاً قليلاً ، لتحسين العلاقات بين ايطاليا وبريطانيا ، ولا سيما بعد ما أعلن المستر ايدن وزير خارجية بريطانيا ، انتهاء اتفاقات التعاون المتبادل التي عقدتها بريطانيا في أثناء الازمة الحبشية مع دول البحر المتوسط كيوغوسلافيا وتركيا وغيرها ، فتمت بين الدولتين في الشهر الأخير تسوية المسائل التجارية المعلقة بينهما ، واستؤنفت العلاقات التجارية وأُشرعت اسسه على [illegible] الدولتين [illegible] ، ان ليس ثمة حائل يحول دون تعاونهما على حفظ السلام في البحر المتوسط .

في اليوم السابع من شهر مارس الماضي اصدر الهر هتلر أوامره الى الجيش الالماني باحتلال منطقة الرين التي قضت معاهدة فرساي بتجريدها من السلاح . ثم قضى ذلك بمعاهدة لوكارنو التي وقعتها المانيا بمحض اختيارها وأعلن الهر هتلر غير مرة احترامها ولكن عذره في الاقدام على نقض معاهدة قبلتها مختارة ، كان ان فرنسا عقدت ميثاقاً قائماً على قاعدة التعاون المتبادل مع روسيا السوفييتية غرضه الاحداق بها وان هذا ينقض معاهدة لوكارنو ، قبل احتلاله لمنطقة الرين . وقد ردّ الفرنسيون والروس وغيرهم على ذلك بأن الميثاق عقد ضمن نطاق جامعة الأمم ، وانه دفاعي لا هجومي ، وانه مفتوح لالمانيا اذا شاءت الانضمام اليه

ومن كان احتلال منطقة الرين فاتحة ازمة سياسية خطيرة في غرب اوربا ... انكلترة تقدم الآن وسكانها لم تنحل . وقد كان ميل الفرنسيين اولاً الى مقاومة الاحتلال ... وعقاب المانيا لنقضها معاهدات الحدود لا ... من دون ان تشترك معهم في ... لان هذا كان امراً مهماً . ذلك ان قواد الاركان الحرب كانوا يخشون ان يعني الاحتلال ... حرب ، واذا لم تتم استعدادات عسكرية . فاما هتلر فكان مقتنعاً بان الاحتلال لا يفضي الى حرب، فاصدر الاوامر الى جيشه بالنكوص اذا تصدت له قوات فرنسية مسلحة ...

فتلا ذلك اجتماعات عقدها ممثلو دول لوكارنو اي فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وايطاليا ... ان تشترك فيها اشتراكاً فعالاً ... العقوبات مفروضة عليها . ورضيت حكومة بريطانيا بان تتعهد بالنهوض بالتزاماتها الموضحة في معاهدة لوكارنو ، اذا وقع اعتداء ... مستفز على فرنسا او بلجيكا او كلتيهما ، وشرع اركان الحرب في جيوش هذه الدول في ... غرضها تنسيق العمل بين الجيوش الثلاثة اذا قضت الحالة باشتراكها في عمل حربي واحد . وعقد مجلس جامعة الامم في لندن برآسة المستر ستانلي بروس ممثل حكومة استراليا ، وحضره الهر فون ريبنتروب موفداً من قبل حكومة الريخ لبيان موقفها والرد على ... فاتجه الرأي حينئذٍ الى عقد مؤتمر جديد يكون غرضه وضع ميثاق آخر على نمط ميثاق لوكارنو يشمل دول اوربا الغربية ولكن الحوادث توالت من اوائل الصيف ، وعلى الرغم من تجديد الدعوة الى هذا المؤتمر من قبل حكومة بريطانيا لا تزال العقبات السياسية تحول دون عقده ، وليس ثمة من امل في عقده قبل آخر هذه السنة ، اذا كان ذلك مستطاعاً على الاطلاق

ومن بواعث القلق في اوربا اشتداد الخصام بين المانيا وروسيا السوفييتية . ففي ربيع سنة ١٩٢٢ عقدت بين روسيا والمانيا معاهدة رابالو المشهورة التي بموجبها مؤتمر جنوى الاقتصادي . كانت روسيا والمانيا تشعران في ذلك العهد ، بانهما بين الدول الكبرى منبوذتان فعاهدة رابالو ... هذا الشعور أفضى الى تفاهم عسكري غير ضيق النطاق بينهما ، وكان للخبراء والمهندسين الالمان شأن كبير في تشييد مصانع الذخيرة والسلاح في روسيا ، ولا يستبعد الصحافي الكبير دوراتي انه كان في روسيا عشرات من المهندسين الكيميائيين الالمان يعلمون الروس صناعة الغازات الحربية

وعلاوة على ذلك كانت المانيا الدولة الاوربية الاولى التي بعثت بملحق عسكري الى موسكو وسمحت بتعيين ملحق عسكري سوفييتي في برلين ، وحضر الجنرال همرشتين رئيس اركان حرب ... مناورات الجيش الاحمر فاستقبل أحسن استقبال نظراً الى هذا ... كانت تتمتع به المانيا في روسيا من الامتيازات التفضيلية بميزة فيها على سائر دول أوربا ، وما فتح لروسيا في ابداء من الاعتمادات المالية ، حتى قيل ان دين روسيا لالمانيا بين ١٩٢٩ ــ ١٩٣١ بلغ ١٢٥٠ مليون مارك

فماذا حدث حتى انقلبت هذه الصداقة عداء ؟ لا نذكر انه حدث من حوادث في خلال السنوات الاربع الاخيرة حادث واحد كبير من شأنه ان يعكر صفو العلاقات بين دولتين كبيرتين ؟

ولكن كتابات اقطاب النازي في الادب وخطبهم ، من كتاب « كفاحي » الى خطب مؤتمر نورمبرج الذي عقد في خريف سنة ١٩٣٦ تشير جميعاً الى غرض واحد ، وهو اعادة المانيا الى المقام العالي الذي خسرته سنة ١٩١٨ وهو غرض عال لا يسع احداً ان ينكره على الذين تحركهم محبة الوطن والرغبة في اعلاء شأنه الا ان كره الهر هتلر لفرنسا و[illegible] فيما اسماه « الديمقراطية اليهودية الماركسية » وجهت انظاره الى روسيا فصرح في كتابه « كفاحي » ان [illegible] المانيا في الشرق يجب ان يكون هدفها ، لان في روسيا والولايات الخاصة بها عبر حدودها متسعاً لذلك

اما في الخطب التي لقيت في مؤتمر نورمبرج الاخير ، فقد كانت الصراحة فيها تفوق عند الاشارة الى ثروة جبال الاورال المعدنية واحراجات اوكرانيا الخصبة ، وهذه النزعة تعترضها عقبات سياسية واقتصادية . اولها ان احتلال اوكرانيا لا يكون سبيلاً الى [illegible] حوض الدونتز وفيها الحديد والفحم فقط ، بل سبيلاً كذلك الى الاستيلاء على منابع النفط في قفقاسيا . ثانياً ان التوسع في الغرب متعذر او هو صعب كل الصعوبة لان [illegible] فرنسا الدفاعية عظيمة جداً . وثالثاً موقف بريطانيا ونفوذها يقفان اي ميل في المانيا الى مهاجمة دول غرب اوربا . وقد كان المستر ايدن صريحاً في ذلك كل الصراحة في خطبته [illegible] ولما نشبت الحرب الاهلية الاسبانية اغتنمت المانيا فرصتها لتجديد التنديد بالشيوعية [illegible] وكان آخر ما حدث انها عقدت اتفاقاً مع اليابان لمقاومة الشيوعية [illegible]

وكان اوربا كان ينقصها عوامل جديدة لتعقيد مشكلاتها ، فجاءت الحرب الاهلية الاسبانية [illegible] بذلك . فانتقض فريق من الشعب الاسباني بزعامة الجنرال فرنسسكو فرانكو في ١٨ [illegible] على حكومته وكان الظن في بادئ الامر ان الانتقاض يحسم حالاً بفوز فريق على آخر . ولكن لم تنقض ايام ، حتى ظهر ان النزاع سيطول لان الحكومة عاجزة عن خضد شوكة الثوار ، ولان الثورة لخطأ في التدبير ، لم تنتشر في وقت قصير انتشاراً يكفي لارغام [illegible] الحكومة وحملها على التسليم ، فتحول الانتقاض الى حرب اهلية دامية ، دامت حتى كتابة هذه السطور ، اربعة اشهر ونصف شهر ، وليس يعلم احد كيف تنتهي ولا متى

وخشي العاقلون من بدء هذه الحرب ، ان تمتد من ميدان اسبانيا الى ميدان اوربا ، لان طائفة من الدول انقسمت ازاءها الى فريقين ، فريق يؤيد الثوار ويمدهم بالمدد ، وفريق يعطف على الحكومة ويؤيدها . فاقترح المسيو بلوم رئيس وزراء فرنسا ، على الرغم من انه اشتراكي ورئيس وزارة تستند الى الجبهة الشعبية ، وهي في اغراضها ومقاصدها تشبه الجبهة الشعبية

الاسبانية التي تستند اليها حكومة مدريد [illegible] فنجح اقتراح المسيو بلوم بان تتفق الدول على عدم التدخل في الحرب الاهلية الاسبانية وتقدمته بريطانيا في ذلك . فاجمعت الدول على ذلك ، بعد تردد [illegible] المانيا والبرتغال والشك في نشوء لجنة دولية للاشراف على تنفيذ [illegible] في رآستها اللورد بليموث الانكليزي وقد كان عمل هذه اللجنة محفوفاً بالمصاعب [illegible] التي وجهتها الدول بعضها الى بعض بنقض الاتفاق . واضطرار اللجنة الى الاعتماد [illegible] الرسمية التي تقدمها الحكومات . ولكن المجمع عليه ان هذه اللجنة ، مع ما يمكن ان [illegible] فيها من وجوه التقصير ، حالت حتماً حتى النصف الاول من نوفمبر دون امتداد النزاع من اسبانيا الى اوربا [illegible] النصف الاول من نوفمبر لان حكومتي ايطاليا والمانيا اعترفتا بعد ذلك بحكومة برجوس التي انشأها الجنرال فرنكو ، ولا نلبث حتى كتابة هذه السطور ما يسفر عنه الاعتراف من نتائج دولية . الا ان الحالة في اسبانيا وهي مكتنفة قاتمة من ناحيتها الداخلية لانه يلوح لنا ان الحرب الاهلية ستطول بعد ما وقف الثوار على ابواب مدريد ، ومن ناحيتها الدولية ، لان [illegible] الجنرال فرنكو ينوي ان يطلق [illegible] على برشلونة وبلنسية ، ومن يوقع الحصر البحري على شواطئ اسبانيا الشرقية ، قد يفضي الى مشكلات دولية معقدة كل التعقيد

واذا صرفنا النظر عن غرب اوربا وغربها الجنوبي الى قلبها وشرقها الجنوبي ، رأينا ان السنة الماضية كانت غنية بالحوادث والاتجاهات الخطيرة . ففي ١١ يوليو تم الاتفاق بين المانيا والنمسا على ان تحترم الاولى استقلال الثانية اي ان المانيا سلمت الآن بان لا تحاول احداث انقلاب نازي كما حاولت سنة ١٩٣٤ عندما لقي المستشار دولفوس مصرعه ، ويقال ان هذا الاتفاق كان في الواقع ثمرة [illegible] تعاون ايطاليا معها في بعض الاغراض العامة التي تتجه اليها ، لانه ما دامت المانيا [illegible] موقفها الاول فايطاليا لا يسعها ان تضع يدها في يد الريخ . وفي اواخر اكتوبر زار [illegible] الكونت تشانو وزير خارجية ايطاليا [illegible] برلين [illegible] حيث قابل البارون فون نويرات والهر هتلر ، فكان نتيجة المقابلتين ، اعتراف المانيا بفتح ايطاليا للحبشة ، واشتراكهما في بعض الاغراض العامة وفي مقدمتها مقاومة الشيوعية في اوربا ، والتعاون الاقتصادي في حوض الدانوب والوقوف موقفاً واحداً ازاء الحرب الاهلية الاسبانية ومؤتمر لوكارنو المقترح

وقد نشطت المانيا في خلال السنة الى بسط نفوذها الاقتصادي في دول شرق اوربا الجنوبي ولا سيما في يوغسلافيا ورومانيا ، ففازت بقسط وافر من النجاح ، لانها جرت على خطة ابتدعها الدكتور شاخت وهي زيادة ما تستورده المانيا من هاتين الدولتين ، ولا سيما اولاهما التي فقدت اكبر اسواقها باشتراكها في فرض العقوبات على ايطاليا ، على ان لا توفي الثمن مالاً بل بضاعة من مصنوعات المانيا . ويقال ان الغرض السياسي من هذه الخطة ، علاوة على الغرض الاقتصادي ،

تفكيك العرى التي تربط دول الاتفاق الصغير بعد الضغط على تشكوسلوفاكيا ... لانها ما يربطهما بروسيا من معاهدة التعاون المتبادل واخيراً ... المانيا ... فرساي ، باعلانها استعادة سيادتها الكاملة على انهر الاودر والالب والنيمن والدانوب و ... كيل وقد كانت ملاحة هذه الانهر من قبل خاضعة لسيطرة لجان دولية

أما في ميدان التسلح فالامم الاوربية جميعاً سائرة فيه على قدم وساق . فروسيا خفضت السن العسكرية الى ١٩ سنة والمانيا اعلنت مضاعفتها مدة جنديتها وعين الهر هتلر الجنرال جورنج للاشراف على تنفيذ مشروع السنوات الاربع وغرضه ان تنظم الصناعة الالمانية بحيث تستطيع في حرب ... دائم في كل ما تحتاج اليه في حالة نشوب حرب . وبريطانيا ادركت وجوب العناية ... فاقدمت على تجديد سلاح الجو والاسطول والجيش . ولاسيما الاول وعينت وزيراً لتنسيق قوى الدفاع ولم تكتف بما تخرجه مصانعها من المعدات بل اوصت بطائرات تصنع لها في اميركا وفرنسا قررت تجديد سلاحها الجوي وبناء خط حصين على مدى الحدود الفاصلة بينها وبين بلجيكا — بعدما اعلنت هذه خطة الحياد — ... بينها وبين سويسرا . وتركيا طلبت تعديل الاتفاق الخاص بالمضايق فنالت معظم ما تبغيه في مؤتمر مونترو وفي مقدمته الاذن في تحصين الدردنيل والبوسفور . والمانيا قررت ان تمضي في تعزيز اسطولها البحري وسلاحها الجوي والنمسا نقضت النصوص العسكرية في معاهدة سان جرمان باعلانها التجنيد الاجباري في اول ... ويتوقع العارفون ان تحذو المجر حذوها فتنقض النصوص العسكرية في معاهدة تريانون بعدما اعترف لها مؤتمر فيينا الذي عقد في اواسط نوفمبر بين ممثلي ايطاليا والنمسا والمجر بحق المساواة في التسلح وشجعها السنيور موسوليني باشارته الى وجوب انصافها

اما في الشرق الاقصى ، فاليابان ماضية في سياستها في الصين ، بالتهديد والفتح ... والغزو التجاري آناً آخر . وقد رفضت الاشتراك في الاتفاق البحري الذي عقد في لندن في اوائل هذه السنة ، لانه لم ينلها مطالبها البحرية ، وآخر اعمالها ... جانب منه تجاري ، وجانب منه عسكري يوجه موضع التهديد في حالة اعتداء ...

ومن حوادث السنة ، وفاة الملك جورج الخامس وارتقاء الملك ادورد الثامن العرش خلفاً له وعودة اليونان الى النظام الملكي ورجوع الملك جورج الى البلاد وفوز الجبهة الشعبية الاسبانية في انتخاب فبراير وفوز الجبهة الشعبية الفرنسية في انتخاب ابريل ومايو واعادة انتخاب المستر روزفلت لرئاسة الولايات المتحدة الاميركية ، بكثرة ساحقة والاتفاق النقدي الدولي بين بريطانيا واميركا وفرنسا وانضمام سويسرا وهولندا وبلجيكا اليه بعد كتابة هذه السطور وعقد المعاهدة المصرية البريطانية ، والسورية الفرنسية ، واللبنانية الفرنسية ، وثورة فلسطين الدامية ، وما انتهت اليه من تعيين لجنة ملكية بريطانية للتحقيق في مطالب العرب وتقديم مقترحاتها للحكومة

حول

الشذوذ في النظام الشمسي

[illegible] الاستاذ الزعاني [illegible] من أرقام وقد رأيت في مقاله حول « الشذوذ في [illegible]
الشمسي »[1] [illegible] في كلمة [illegible] لقد [illegible] ان [illegible]
ولا [illegible] على [illegible] لا [illegible]
ان الاستاذ [illegible] قوله : « في الحقائق الا [illegible]
في [illegible] الشمس هو عطارد [illegible] » ومن [illegible]
لنا ان [illegible] لم يطلع [illegible] وهو الآن أبعد السيارات [illegible]
الشمس [illegible] الفلك [illegible] اكتشاف هذا السيار

[illegible] الاستاذ [illegible] في [illegible] بعد [illegible] كلمة [illegible] »
[illegible] في [illegible] « ليس
[illegible] » [illegible] هذا القول [illegible]
هذه [illegible] « [illegible] » لكان التعبير ادق [illegible] في
[illegible]

[illegible] ان للأكوان [illegible] في
السيارات [illegible] » [illegible] لا تزال [illegible] ولم يستطع [illegible] الآن
[illegible] هذه الموضوعات [illegible]
[illegible] ولا [illegible] في [illegible] وصفه في قالب [illegible]
واسلوب يعرب عن ادب جم

[illegible] الشمسي [illegible] نظمه وان [illegible] كل
[illegible] الوجود [illegible] اوسع [illegible] اعتقدنا بوجود
[illegible] الاستاذ الزعاني في
[illegible] من علم [illegible] والفوضى » اذ ان العلم لم
يستطع [illegible] ولا [illegible] الى ان [illegible]
ونواميس لا [illegible] كل [illegible] في علم [illegible] والفوضى [illegible] في علم هو [illegible]

[illegible] او فوضى في [illegible] لان [illegible] لم تقف
على [illegible] ولا [illegible] هذا الشذوذ وذلك [illegible] تلك
الفوضى [illegible] وتوافقاً [illegible] بعد ان [illegible] المتقلبات وبعد ان يزيد [illegible]
[illegible] الى [illegible] الاكوان

لا يزال الانسان على [illegible] من [illegible] له في المراصد و[illegible]

نابلس — قدري حافظ طوقان

---

(١) مقال الاستاذ الزعاني ظهر في مقتطف يونيو الماضي



جائزة نوبل الطبيعية

اندرسن وهس ومباحثهما

حملت الينا الانباء البرقية أن جائزة نوبل الطبيعية منحت لعالمين أحدهما اميركي هو الاستاذ اندرسن والثاني نمسوي هو الاستاذ هس

اندرسن والبوزيترون

ان الاستاذ اندرسن من أعوان العلامة الاميركي الدكتور مليكان صاحب المباحث المشهورة في الاشعة الكونية ووازن الشحنة الكهربائية على انه سبق ونال جائزة نوبل الطبيعية

وقد فاز الاستاذ اندرسن بنصف جائزة نوبل الطبيعية جزاء له على اكتشافه البوزيترون او الكهرب الموجب

كان اندرسن يبحث في الاشعة الكونية وهي على ما يعلم القراء اشعة شديدة النفوذ تخترق لوحاً سمكه بضع أقدام من الرصاص ولكنها تعيي الباحثين فلا يستطيعون درسها مباشرة ولذلك يعمدون الى تأثيرها في دقائق الهواء ذلك ان هذه الأشعة تصيب بعض دقائق الهواء فتشطرها أي تزيل منها كهرباً فيصبح الباقي وله شحنة كهربائية. ففي سنة ١٩٢٩ حاول عالم روسي ان يصوّر مسارات هذه الأشعة وتبعه مليكان واندرسن فحسّنا طريقته وأتقناها وصوّرا مساراتها كما يدل عليها اصطدامها بدقائق الهواء في غرفة غائمة (جهاز دقيق استنبطه ولسن الانكليزي). في هذه الصور لاحظ اندرسن علاوة على مسارات الأشعة الكونية خطوطاً مزدوجة ومنحنية. فاسترعى نظره اولاً ان هذه الخطوط لا تكون الا أزواجاً وثانياً ان أحدها منحرف الى اليمين والآخر الى اليسار أي ان أحدها سالب والآخر موجب وبعد البحث تبيّن ان الخط السالب المنحني يمثل كهرباً فما هو الخط الآخر؟

ان أصغر وحدة للكهربائية الموجبة هي الشحنة في البروتون والبروتون يفوق الكهرب نحو ١٨٥ ضعفاً في كتلته فاذا كان الخط الموجب يمثل البروتون فيجب ان يكون انحرافه أعظم جداً من انحراف الخط البادي في هذه الصورة

فقال اندرسن ان البروتون ليس بصنو الكهرب بل ان صنو الكهرب يجب ان يكون دقيقة أخرى مجهولة أصغر من البروتون — ويجب ان تكون كتلتها مثل كتلة الكهرب وانما تختلف عنه في ان شحنة الكهرب سالبة وشحنة

[illegible] موجة [illegible] في [illegible] صورة تمثل هذه الدقيقة [illegible] في [illegible] في [illegible] في [illegible] وبوكيالين في جامعة كمبردج

هس والاشعة الكونية

هناك عالمان كبيران كل منهما يدعى هس احدهما يدعى فكتور هس وهو [illegible] عمل في تيبور والكبير وتوسع في مواد تبدأ بتعرضها للاشعة [illegible] والدي شاطر الاستاذ اندرسن جائزة نوبل الطبيعية والثاني عالم نمسوي يدعى فكتور هس ، كان في مقدمة الباحثين في الاشعة الكونية قبل الحرب . هذا هو الاستاذ هس الذي شاطر الاستاذ اندرسن جائزة نوبل الطبيعية [illegible] فقد [illegible] الاستاذ هس قبل الحرب الى الحساب الرياضي الدقيق [illegible] ان اشعة [illegible] [illegible] لا يمكن ان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] في [illegible] [illegible] وقد [illegible] صحة وجود اشعة تأتي [illegible] الارض [illegible] الكون

فالاستاذ هس بتجربته هذه [illegible] [illegible] [illegible] وكلهن [illegible] من العلماء الذين عنوا بدرس الاشعة الكونية

[illegible] انه اختير مع الاستاذ اندرسن لجائزة الطبيعة هذه السنة لانه من المتكرين في درس هذه الاشعة ولان درس هذه الاشعة [illegible] الاستاذ اندرسن الى اكتشاف [illegible] من الدقائق الاساسية في المادة [illegible] الكهرب الموجب

جائزة نوبل الطبية وكيمياء الاعصاب

منحت جائزة نوبل الطبية هذه السنة للسر هنري هلت ديل مدير المعهد القومي للبحث الطبي في [illegible] لندن وللدكتور [illegible] لوي Loewi استاذ الصيدلة في جامعة غراتز بالنمسا جزاء لهما على بحوثهما الخاصة بانتقال الرسائل العصبية انتقالاً كيمائياً

فمنحت الاستاذ لوي في غرف الجراء أساسيٌ ومبتكر ولكن جانباً كبيراً منه يرد الى بحث السر هنري ديل في مركب كيماوي يدعى «استيل كولين» وهو مادة وجد السر هنري انها تسبب تحت وصول بين الاعصاب والعضلات . ثم ان السر هنري [illegible] بحثه مباحث العلامة النمسوي

فبين البحثين صلة وثيقة ولهذا يُسر منح الجائزة لكليهما معاً مع ان كلاً منهما قدم بنتائجه على حدة

[illegible] أكثر الرسائل العصبية التي تبعث بها الجهاز العصبي كل دقيقة الى العضلات. ولكن أمر النقل دون العضلات التحرك مطلق مقدار يسير جداً من هذا المركب [illegible] استركوبين حملا الرسالة الى عضلات و [illegible] [illegible] ثلاثة ملايين جزيء. وهو يسير جداً وان عدت جزيئاته بالملايين والدلالة على دقة هذا [illegible]

[illegible] جزيء لا [illegible] لا جزء من ثلاثين [illegible] لاوقية [illegible] [illegible] في [illegible] اما فائدتها في [illegible] فالبحث كشف باظهارها [illegible] لا [illegible] في [illegible] في [illegible] والعصبة [illegible] الاعصاب الحيوية يدعى العصب الثالث

أدق العمليات الجراحية في ذبابة الفاكهة

ذبان الفاكهة المعروف باسم دروسوفيلا من خير الحشرات للتجربة في التجارب العلمية به ولا سيما ما كان منها متعلقاً بالوراثة

وقد قرأنا الآن في مجلة طبية [illegible] عمليات جراحية من ادق العمليات على الاطلاق قد عملت في يرقات هذا الذباب [illegible] ان اليرقة لا تبلغ اكثر من سدس بوصة طولاً وجزءاً من ٢٠ جزءاً من البوصة قطراً

قام بها طبيبان احدهما يدعى افروسي وهو فرنسي الاصل والثاني [illegible] وهو اميركي [illegible] الطبيبان تجاربهما في ١٩٠٠ البيولوجية [illegible] الطبيعية بباريس وواصلاها في معامل كركهوف في معهد كاليفورنيا التكنولوجي

أساس هذه العمليات العجيبة استئصال أعضاء اليرقة المختلفة — كالعيون والاجنحة والقوائم وعدد التناسل — في حال تكونها ثم زرعها في اجسام يرقات اخرى ومراقبة نموها

تجري العملية على شريحة من الزجاج [illegible] طويلة دقيقة جداً من الزجاج [illegible] في [illegible] مجهر [illegible] الى رؤية هذه الاعضاء الدقيقة [illegible]

[illegible] في [illegible] [illegible] لا [illegible] عصب [illegible] [illegible] يمكن ان يتصل في [illegible] في [illegible] ويولد فيه [illegible] [illegible] من استئصال [illegible] ذبابة (دروسوفيلا) وزرعها في يرقة ذبابة من نوع آخر فلما كبرت هذه الذبابة [illegible] من نوعها مولدت ذبابة [illegible]

والغرض من هذه العمليات الدقيقة ليس [illegible] غرابتها ودقتها بل امتحان نظرية عوامل الوراثة وانتقالها وهي النظرية التي ابتدعها الباحث الاميركي توماس هنت مورغن

الذكاء وحجم الدماغ

الروائيان تكري وتورجنيف والشاعر ومن

وجد العالم الانتروبولوجي الاميركي الدكتور هرلكا بقايا شعب منقرض في بعض جزائر المحيط الهادئ وبين هذه البقايا عثر على جمجمة رجل ثبت انها اكبر جمجمة وجدت حتى الآن في نصف الكرة الغربي لان سعتها ٢٠٠٥ سنتيمترات مكعبة اي انها تنقص ٢٥ سنتيمتراً مكعباً فقط عن سعة اكبر جمجمة بشرية عرفت حتى الآن وهي جمجمة الروائي الروسي المشهور تورجنيف

ويقول الدكتور هرلكا في التعليق على هذه الجمجمة ان بين حجم الدماغ والذكاء صلة اكيدة وان كانت غير واضحة كل الوضوح ولا ريب في ان كبر الدماغ في هذه الطائفة من الناس التي تمثلها صاحب هذه الجمجمة صحبها تفوق في ذكاء اصحابها فقد كان في قدرتهم ان يصنعوا ادوات تبدو فيها البراعة الميكانيكية وكانت تساورهم رغبة الاستطلاع العلمي بل هناك ما يشير الى انهم كانوا يكسرون جماجم الغنم رغبة منهم في اكتشاف علة ما اتصفت به من حدة السمع

ومع ان الدكتور هرلكا يعتقد ان حجم الدماغ احد المميزات التي تميز الانسان عن الحيوان الا انه ليس من الحق ان يقولوا ان جميع العباقرة كانت ادمغتهم كبيرة فحجم دماغ الاسكيمو وبلادته الذهنية معروفة يفوق وزن دماغه المتوسط السوي . يقابل هذا ان المتوسد وكان حجم الفيلسوف ... نقص وزن دماغهم عن هذا المتوسط ... الروائي البريطاني وتورجنيف ... وزن دماغ الاول كان ٦ و ٥٨ الاوقية ... وزن دماغ الثاني كان ٧٤ اوقية ... من يعرف ان تكري ... من روائي الطبقة الاولى ثم ان وزن دماغ ولت وتمن الشاعر الاميركي المبدع ... ٥ و ٤٥ الاوقية

واذا عمدنا الى المقابلة بين حجم الادمغة وجدنا فروقاً كبيرة بين رجال يعتبرون في الطبقة الاولى ... في تاريخ العالم فحجم دماغ تورجنيف كان اكبر ... منها اطلاقاً اذ كان ٣٠ ٢٠ سنتيمتراً مكعباً يقابل ذلك ان حجم دماغ بسمارك كان ١٩٦٥ سنتيمتراً مكعباً ويفوق ... ١٧٥ سنتيمتراً مكعباً

●

الفيتامين في التفاح

في التفاح فيتامين (ج) ويؤكد الابحاث الحديثة التي اجريت في كلية ولاية وشنطن الاميركية تدل على ان مقدار هذا الفيتامين في التفاح يختلف باختلاف صنف التفاح وثبت كذلك ان مقدار الفيتامين ينقص بالقياس الى طول المدة التي تنقضي على خزن الثمر بعد قطفه ويزيد النقص بزيادة حرارة المخزن

الكهربائية في كريات الدم الحمر

يعنى علماء المعهد البيولوجي في ولاية [illegible] بدراسة كريات الدم الحمر [illegible] حيث ما فيها من شحنة كهربائية . وقد وجد الدكتور موير والدكتور [illegible] ان الشحنة الكهربائية في كريات الدم الحمر في الانسان تفوق ما يقابلها في الكريات الحمر في دماء سائر الاحياء العليا وان مبلغ هذه الشحنة على سطح الكريات ١٥ مليون كهرب . ولعل هذا لا يعني لاجمهم مجرداً ولكن لبيان هذه الطاقة نقول انه اذا جمعت الشحنات الكهربائية على سطوح جميع الكريات الحمر في دم رجل صحيح الجسم وسرى التيار في مصباح كهربائي (٢٥ واطاً) انارته مدة خمس دقائق . ووجه الخطر في دراسة الطاقة الكهربائية في الكريات الحمر معرفة علاقتها بتخثر الدم عند مصاب الانسان بجرح من ناحية وباحوال تخثر الدم من ناحية اخرى

•

الارض تكسب رطلاً كل ساعة

الشهب اجسام مادية مظلمة منثورة في رحاب الفضاء او تدور في افلاك معينة حول جرم الشمس تلتقي بها الارض في اثناء سيرها بسرعة ١٨ ميلاً ونصف ميل في الثانية ومعظم هذه الاجسام دقيق الحجم لا يزيد على ارمال الدقيق او رشاش النادق او الحصى الصغير

وقد قدر الاستاذ شابلي مدير مرصد جامعة هارفرد ان نحو عشرة ملايين من هذه الاجسام [illegible] الارض [illegible] ولكننا لا نرى منها [illegible] ونحن استعملنا المظار

ولا يصل منها الى سطح الارض الا مقدار [illegible] لان معظمها [illegible] في [illegible] كه بجو الارض

وقد بحثت طائفة من علماء اميركا ان ما تكسبه الارض [illegible] الشهب [illegible] او سطحها [illegible] او [illegible] سبع وطلاً كل ساعة

•

٣٠ مليون كمامة للوقاية

تصنع المصانع البريطانية اليوم نحو ثلاثين مليون كمامة للوقاية من [illegible] للحكومة البريطانية التي ستوزعها عاماً على الشعب اذا نشبت الحرب لان بريطانيا متخوفة جداً من الحرب الجوية [illegible] وكل شخص يرغب في الحصول على كمامة والاستعداد بها الى وقت الحاجة في وسعه ان يشتريها من المصانع التي تصنع الكمامات حسب تعليمات الحكومة وارشاداتها

ويقولون في اوربا ان الكمامات باتت ضرورية اليوم للانسان كانها قطعة من ثيابه لا بد من ارتدائها في وقت من الاوقات

وقد رأينا امس في دار الصور المتحركة المصانع الكبيرة في روسيا وقد جهز كل عامل وعاملة بكمامة من هذا الصنف تستعمل عند وقوع الاغارات الجوية حتى يبقى العمل في المصانع سائراً سيراً منتظماً

صلة الهر بمحصول العسل

حدث من سنوات ان طائفة من الهررة كثر عددها في [illegible] او قتلوها بالنار ثم بعد حين حتى قل محصول العسل — عسل النحل — في تلك القرية فهذه ظاهرة تدل [illegible] ان هناك صلة وثيقة بين الهررة وهذا المحصول لعسل فكيف ذلك ؟

الهررة لا تصنع عسلاً ولكنها تأكل جرذان الحقول

فاذا قلت الهررة كثرت الجرذان

والجرذان تدمر اوكار نوع من النحل يدعى النحل الطنان

فاذا كثرت الجرذان قل هذا النوع من النحل

وهذا النوع من النحل يلقح ازهار البرسيم فاذا قل هذا النوع من النحل قلت ازهار البرسيم

وازهار البرسيم من اكبر المصادر التي يجني النحل منها العسل ومن هنا قلة الهررة تفضي الى قلة محصول العسل

*

فيتامين (د)

في قشور جوز الكاكاو

ثبت للباحثين في معامل كدبري التابعة لمصانع الشوكولاته المشهورة ان في قشور جوز الكاكاو قدراً كبيراً من فيتامين (د) وهو الفيتامين الذي يفضي نقصه الى الكساح وقد جرت التجارب بجرذان [illegible] الاكتشاف فطعمت طائفة من الجرذان طعاماً ينقصه هذا الفيتامين فضعفت وهزلت واصيبت بالكساح فاضيف الى طعامها قشور جوز الكاكاو المسحوقة [illegible]

وجربت تجربة اخرى بالابقار الحلائب [illegible] قشر جوز الكاكاو [illegible] فيتامين (د) في الزبدة التي تستخرج من لبن [illegible] في الشتاء على متوسطه في الزبدة المستخرجة من [illegible] في الربيع [illegible] الشتاء وهو [illegible] من [illegible] الربيع [illegible] فيتامينه على فيتامين [illegible] الربيع [illegible] قشر جوز الكاكاو الى غذاء البقر

*

وقف السرطان في الحيوان

بواسطة الغذاء

تمكنت طائفة من الاطباء في معهد الصحة القومي في وشنطن من وقف سير السرطانات في [illegible] ومادة [illegible] لنمو الخلايا

وقد حذروا [illegible] في الاعتقاد بان هذه التجارب تمكن الناس الآن من الاعتماد على هذا النوع من الغذاء لوقف نمو السرطان في المصابين وانما يقولون ان موالاة التجارب في الحيوانات قد تفضي الى شيء عملي يمكن تطبيقه على الانسان

سؤال علمي على الثوم

كيف تتأثر نفس الانسان بالثوم الذي يأكله . هل الأدهان التي فيه تلوث النفس عن طريق المعدة والدم والرئتين او عن طريق دقائق تبقى في الفم ؟ هذا هو السؤال

في سنة ١٩٣٥ أجرى طبيبان من علماء جامعة هارفرد هما الدكتوران هاغرد وغرينبرج تجارب في طائفة من الناس ونشرا نتائج مباحثهما في مجلة الجمعية الطبية الاميركية

وقد كانت تجاربهما كما يلي :

اعطيا الذين جربا تجاربهما بهم قليلاً من الثوم فمضغوه وازدردوه . وقليلاً فمضغوه ولم يزدردوه . وقليلاً مغلفاً بغلاف من الجلاتين فازدردوه دون مضغه . وذلك في أوقات مختلفة جداً . وكانا في كل حالة يقيسان مقدار تأثر النفس برائحة الثوم فوجدا انه بعد ما يزدرد الثوم من دون مضغ لا يتأثر نفس الانسان برائحته . واما في الحالتين الاخريين فيتأثر النفس بهذه الرائحة

وبعد قليل جربت طائفة من اطباء جامعة ستانفورد هذه التجارب ونشرت نتائج مناقضة لتجارب هاغرد وغرينبرج مما يدل على ان الرائحة تتصل بالنفس من المعدة والدم

ولكن مقدار الثوم الذي جربوا به تجاربهم كان كبيراً اي جعلوا الرجل الواحد يتناول بلعاً مقدار رطل من الثوم . فرد الطبيبان الاولان انهما يسلمان بان رطلاً من الثوم اذا وصل الى المجرى الدموي في الدم فلا بد ان يتأثر به النفس ولكن من ذا الذي يأكل هذا المقدار من الثوم ؟ وقالا ان تجاربهما كانت تتناول [illegible] من الثوم مما يتناوله الانسان عادة . ان نتائج مباحثهما مبنية على ذلك وهما متمسكان بها الى ان يثبت خطؤها

*

الجوع وسلوك الانسان

ألقى الاستاذ شارل جونستون يونغ الاستاذ بجامعة روزنج وأحد كبار علماء النفس الحديثين محاضرة في جامعة هارفرد عند الاحتفال بانقضاء ثلاثمائة سنة على تأسيسها قال فيها ان الباعث الجنسي ليس الباعث الغريزي الوحيد الذي يؤثر في سلوك الانسان الذهني بل هنالك عوامل اخرى اصلها فسيولوجي ولكنها تصبح مسيطرة على مر الزمان بعد ما تدرك قيمتها الاجتماعية وفي مقدمتها جميعاً الجوع

الجوع في أساسه حالة طبيعية فسيولوجية ولكنه في مظاهره نفسية متعدد النواحي فانه باشتراكه مع عوامل أخرى يتحول الى طمع او جشع

لا ريب في ان الجوع وهو الاعراب الخارجي عن دافع حفظ الحياة في مقدمة العوامل الغريزية الاصلية التي تؤثر في سلوك الانسان . بل ان حياة الاقوام البدائية أشد تأثراً بعامل الجوع منها بعامل الدوافع الجنسية لان الجوع واكتفاءه في احوال تلك الاقوام ينطويان على حفظ الحياة او تلاشيها

نجم جديد في صورة الرامي

اكتشف في طوكيو يوم ٦ اكتوبر الماضي نجم جديد كبير في صورة الرامي (او القوس) رؤيته مستطاعة بالعين المجردة. وهو الآن من القدر السادس ولما كان وجود نجم من هذا القدر في صورة معروفة ومشهورة من الصور لتحسبه وتجهل اسمه بيد مصدره والنتيجة [illegible] او حقيقة ممكنة هي انه نجم جديد. والنجم الجديد اما ان يظهر في مكان من السماء لم يكن فيه نجم قبلاً او كان فيه نجم ولكنه لم يرَ فيه لا بالعين ولا بالصور الفوتغرافية

ومن اشهر النجوم في العصر الحديث النجم الذي ظهر في صورة العقاب سنة ١٩١٨ فان صورته كانت ظاهرة في الصور الفوتغرافية التي صورت في مرصد جامعة هارفرد سنة ١٨٨٨ وكان حينئذٍ من القدر الحادي عشر وظهر ايضاً في الصور التي صورت في بلاد الانكليز سنة ١٩٠٦ وكان اشراقه يتغير قليلاً وفي ٧ يونيو سنة ١٩١٨ كان لا يزال من القدر الحادي عشر ثم زاد اشراقه فصار من القدر السادس وفي اليوم التالي اصبح واضحاً للعين المجردة وبعد اربع وعشرين ساعة فاق نوره نور الشعرى

وقد اذيع نبأ اكتشاف النجم الجديد على مراصد العالم لمراقبته ورصده

فعسى ان يكون مرصد حلوان بهمة مديره الدكتور محمد رضا مدور في مقدمة من يعنى برصده كما كان في مقدمة من عني برصد النجم الجديد طوطو

*

صناعة حفظ البيض بالصين

صناعة حفظ البيض صناعة رائجة في مدينة شنغهاي بالصين حيث انشئت عدة منشآت كبيرة لشراء البيض وتبريده ونقله الى اقاصي المعمورة وأهم هذه المنشآت ستة يشترون كل منها مليون بيضة كل يوم

وليس في الصين مزارع كبيرة تخصصت في تربية الدجاج لاجل البيض الذي يصدّر وبذلك تعتمد هذه المنشآت على صغار الفلاحين في مزارعهم الخاصة حيث يندر ان تجد في المزرعة الواحدة منها ما يزيد على مئة دجاجة بياضة

يؤخذ بعض البيض فيكسر بيضة بيضة بواسطة بنات متخصصات في هذا العمل وتكسر البيضة ثم ليعرف تسليم منها الفاسد ويفرق الصفار والبياض في آنية صغيرة ثم يمر امام مفتش دقيق حس الشم ثم في الفنجان قبل تفريغه في حوض كبير ويقال ان دقة حس الشم في هذا المفتش ومن كان من فئته ممكنة من تبين بيضة فاسدة في حوض كبير من صفار ابيض وبياضه

ثم يجفف الصفار على حدة والبياض بأساليب خاصة مسجلة. ومن البيض ما يبقى في قشره فيبرد في اجهزة خاصة ويشحن الى اوربا واميركا وجنوب اميركا



ديوان الامير شكيب ارسلان

الامير شكيب ارسلان كوكب سيّار إن غاب عن أرض فالمدار يلي في كل أرض. وهو إمامٌ في كل ميدان من الأدب واللغة والترسّل والشعر والتاريخ والسياسة، مقدَّمٌ في جميعها منظورٌ اليهِ نظرة أهل المسجد لإمام المسجد. ولو أوجزتُ في شرح حقيقته العظيمة لقلت إنهُ رجل بشّرت به القدرة الالهية في أقطار الدنيا لتخرج منهُ هذا المجموع الذي لا يجمعهُ فرد، ثم تخرج من هذا المجموع قوة، ثم لتصل بهذه القوة تمامها في نهضة العالم العربي. فروحه للثورة، وقلبهُ للايمان، وعقله للسياسة، ولسانهُ للبيان، وهو في جملته حملة متمرة تعارَض عليها الأفراد ولا يعارَض هو بفرد

وهذا ديوان شعره كما يقول في مقدمته خصائص ثلاث: احداها لا ينسب اليه غير شعره ولا ينسب شعره الى غيره، والثانية أن بعض قصائده تتعلق بوقائع تاريخية مشهورة فنشرها حفظه من التاريخ، والاخرى توفية الذين رثاهم في ديوانه من أعلام العصر بعض حقوق الرثاء. قال «فلم يكن غرضي من نشر هذا الديوان إظهار فصاحة أفتخر بها، ولا إثبات براعة تعلق بأسبابها، ولا حشد كلام أتوخى إرسالها، ولا تسيير شوارد يقالُ من ذا قالها»

وهذا من تواضع الامير وسمو أدبه والا فكل ما عابه على نفسه ثبّته شعره لنفسه، فهو شعر باهر بفصاحته وبراعته، يعد من شعر العصر منزلة فصحاء الأعراب من المولّدين في صدر تاريخ اللغة واتساعه، في السليقة على أصحّها والموهبة على أعلاها، وهو آية في الجزالة وقوة السبك وإشراق البيان وحسن العرض وكمال الصنعة، يتحدّر من طبع متين رزين، ويتفجّر من ينبوع هدّار فوّار

ولا عيب في شعر الامير شكيب الا انهُ شعر الامير شكيب، فالشاعر هنا تامٌّ بكل أسبابه ولكنهُ مصروف عن الشعر برسالة عظيمة يؤديها في غير ممالك الخيال، فهو في الميادين لا في الرياض، وفي الخنادق لا في القصور، وفي الحقائق لا في الاخيلة، ومع الاسود لا مع الظباء، وهو لتأليف امة لا تأليف ديوان، فكان الشعر دلالة على ناحية واحدة من نواحي كماله، فهو بقدر هذه الدلالة في قلته وعظمته وانحصار اغراضه. وهذا فرق ما بين الامير وبين رجل كشوقي عاش مدة عمره كلها ليكون لساناً للذة والالم

وقد كان الامير يقول الشعر وهو في الرابعة عشرة من سنّه، ولما بلغ السابعة عشرة طبع

دبو . . . لنا كوره ، وقد اختار منه طائفة من مقتطعاته والمقاطيع [illegible] لاحير وهي نحية الدلالة على قائلها فأعطانا ان شاعر يقصر القصيدة فحاور [illegible] بيت وهو في الخامسة عشرة كما صنع الامير في حداثته ، ولا ريب [illegible] من قائل العرب خصائصها في [illegible] العربي الحر ، ولا ريب ان هذا هو الذي صرفه عن الشعر من بعد [illegible] هذه لعيبه بختمه كذلك في [illegible] وأسلحتها

ومن الرائع [illegible] في ديوان الامير قصيدته الاندلسية التي نظمها بعد ان شاهد مسجد قرطبة في سياحته الى الاندلس سنة ١٩٣ وهي [illegible] بيت يقول في حرمتها

وم يبق في هذي الديار لنا سوى — معالم فكر من حروف وأسطر
معالم لا تقوى عليها [illegible] — ولا سالك مارعها زحف عسكر
اذا حضرت آثار قوم وان خلوا — فإن [illegible] في [illegible] ومشعر
واشعر اني في بلادي كأنما — تعاطي الارواح من كل معبر

ولا أبدع ولا أجمل من وصفه لشوقي فيما رثاه به إذ يقول :

جلى الاله به الامور كأنما — يلقي عليها شمس من طرفه
فترى الطبيعة [illegible] فطرته لها — غير الطبيعة وهي في مرآته
والحسن يشرق في العيون بذاته — وبما يضيء بدائه وصفاته
[illegible] في [illegible] كوجده وحنينه — أو في النسيب كخطبه ومماته

ولا نطيل بايراد الامثلة من هذا الشعر السري فالوردة الحية عنوان الورد

مصطفى صادق [illegible]

مقاومة دودة ورق القطن بالطرق الحديثة

تأليف عبد الواحد فهمي الاخصائي في الكيمياء الزراعية — ٢٠٤ ص بالقطع المتوسط

أورد المؤلف في كتابه تاريخ انتشار هذه الدودة وادوار حياتها والأحوال المساعدة على تكثير ظهورها وتقليله وطرق مقاومتها المتداولة اما الطرق الحديثة التي بحثها فهي طرق المقاومة بالمواد الكيماوية وبعد أن عددها وذكر ملاحظاته على استعمالها وصفتها خص منها بالتفصيل طريقة لتعفير زرنيخات الجير وشرح اسلوب تحضيرها واستعمالها والحالة التي يفيد فيها هذا الاستعمال في ابادة دودة ورق القطن وابادة دودة لوزه وأعقب ذلك ببحث آخر في الدودة القسلية ومقاومتها رشها بسلفات النيكوتين التي تفوق تأثيرها على غيرها من المبيدات الاخرى . واسلوب المؤلف في كتابه يدل على اتزانه وحسن فطره ويدعو الى الثقة بتجاربه ومشاهداته ، ولذلك فاني اود ان يقتني طلاب الزراعة والمشتغلين بها هذا الكتاب — احمد الالفي

طب الامراض الباطنة

[illegible]

لقد سبق لي ان نقدت كتاباً سابقاً للمؤلف في السنة الماضية وهذا مؤلف آخر له ولا يخفى ان نقد الكتب الطبية يجب ان يكون في مجلة طبية واعتقد ان مجلة [illegible] علمية وادبية يقرأها الناس على اختلاف طبقاتهم ويكن لا بأس من نقد الكتاب من وجوه [illegible]

الطبع — حسن جداً ويسرني انهُ مثل طبع سائر المطابع السورية والعربية فان [illegible] مشكولة بخلاف المطابع المصرية فان ليس التهجئة بلا تنقيط فالامة قد صعبت سرعة التعلم لا [illegible]

[illegible] الكتاب [illegible] صحيحة وقد توخى فيه المؤلف الالفاظ الدارجة الفصيحة كما قال في مقدمته ويسرني انهُ تلق النقد الماضي بصدر رحب شأن كبار العلماء فلم يتعصب ولم يتبرم او يعاند ويكابر بل اصلح ما سها عنهُ في الماضي مع الشكر

متن الكتاب — وهو الجزء الثاني منهُ واني لا انقدهُ لانهُ آخر ما وصل اليهِ العلم

المصطلحات العلمية — وضع المؤلف ازاء كل كلمة عربية تفسيرها الفرنسي ووضع في آخر الكتاب معجماً عربياً وآخر فرنسياً ووضع ترجمة الالفاظ العربية ومثلها ترجمة الالفاظ الفرنسية وقد احسن في وضع كلمة واحدة دون غيرها وهو دليل على الثقة بالنفس اي انهُ لم يحمل مصححه طاقة وشأن اذا لم تعم الكلمة الواحدة معنى غيرها

والمعجمان من أحسن ما رأيته فقد وضع الكلمة العربية او الفرنسية ووضع أمامها كلمة واحدة كما تقدم والمعجمان في ٣٢ صفحة فيها نحو ٤٠٠٠ كلمة ومثل ذلك في المجلد الاول وقد أصدره في السنة الماضية [illegible] لم يصنعها وحده بل اشترك فيها على ما يظهر سائر أساتذة المعهد الطبي العربي في دمشق وقد علمت ان الدكتورين مرشد خاطر واحمد حمدي الخياط يعدان معجماً فرنسياً يكون عمدة المعهد في المستقبل وكنت أود لو ان الجمعية الطبية العربية اعتمدته في توحيد المصطلحات واتخذته أساساً لانهُ لا توحيد الاَّ بجعل المصطلحات واحدة اي لا تكون كثيرة المترادفات فانها اذا كثرت يحار الواحد فيها ولا يدري ايها يختار منها وهذا لا يتم الاَّ بالاتفاق على جميع المصطلحات وقد جعل لنا المؤلف نواة نسير عليها ونعتمدها

وقد احسن المؤلف في جمع هذه المصطلحات وان كنت لا اوافقهُ عليها كلها وهي كثيرة جداً فما لا اوافقهُ عليه الكلمات القليلة الآتية وهي القول بمعنى الكحول والامرعي بمعنى احتقان والحكمي بمعنى الطمثي والنقم بمعنى التقة وقليل غيرها ولكنهُ قليل جداً على اني اوافقهُ على معظم الالفاظ وهي كثيرة جداً

مصر الجديدة — امين المعلوف

تاريخ ابن الفرات

المجلد التاسع الجزء الاول — … الدكتور قسطنطين زريق — المطبعة الاميركانية
… ٢٤٣ …

صاحب هذا التاريخ هو ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الفرات المصري الحنفي ولد سنة ٧٣٥ هـ ودرس على جماعة من علماء عصره واخذ عنهم … وأكب على دراسة التاريخ وكتب فيه موسوعة مؤلفة … وتوفي في القاهرة سنة ٨٠٧ هـ

أما تاريخه فقد اجمع المؤرخون على انه كان كبيراً جداً … نحو مائة مجلدة ولكن ابن الفرات لم يكمل تبييضه بل اتمَّ تبييض … الثامنة ثم السابعة … السادسة … ولم يبلغ المائة الخامسة، فالراجح ادركه أجله … وبعد التاريخ كثير الفائدة الا ان عبارته عامية جداً وغير سليمة من الاخطاء النحوية. وقد جرى على قاعدة اكثر مؤرخي عصره فرتب حوادث تاريخه بحسب السنين واورد الوفيات في آخر كل سنة

لم يحفظ من هذا الكتاب الا نسخة واحدة فريدة توجد منها في المكتبة الامبراطورية في فينا تسعة مجلدات وقد نقلت بالفوتوغراف للعلامة المغفور له احمد تيمور باشا فوضع لها مقدمة وجيزة واستقصى المصادر التي اعتمد عليها ابن الفرات وذكر ما في نسخته من نقص والتقديم والتأخير. وهذه النسخة محفوظة في دار الآثار العربية. وفي مكتبة الفاتيكان مجلد يظن … انه احد المجلدات الساقطة من نسخة فينا وبين مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس مجلد يظهر من وصف … انه ينتمي كذلك الى النسخة الاصلية. وفي مجموعة شيفر مخطوطة … انها المجلد التاسع او الثامن من تاريخ ابن الفرات وهي تشمل أخبار الملوك الساسانيين وتنتهي بشعراء الجاهلية

هذا وقد صحت عزيمة الدكتور قسطنطين زريق احد اساتذة التاريخ الشرقي بجامعة بيروت الاميركية على نشر هذا التاريخ كاملاً باعتباره اصلاً من الاصول التاريخية الثمينة وابرازه الى الوجود في نصه الاصلي. وقد استند الى تاريخ ابن الفرات غير واحد من كبار المؤرخين ولكن لم يتصدَّ احد منهم لنشره

والمجلد الذي بين ايدينا هو الجزء الاول من المجلد التاسع وقد جرى فيه على احدث الطرق العلمية في نشر الاصول التاريخية، تحقيقاً وتدقيقاً واسناداً «ولم يغير في الاصل الا … في امور قليلة حاولت ان أوفق فيها بين الدقة في المحافظة على الاصل وبين طرق الاملاء والتنقيط الحديثة» فللدكتور زريق وللعلماء الافاضل الذين عاونوه على اخراج هذا السفر اعظم الشكر وأطيب الثناء

النظام الاقتصادي في سورية ولبنان

اشرنا الى هذا الكتاب [illegible] عند صدوره باللغة الانكليزية في السنة الماضية وقد جاءتنا الآن النسخة العربية وهي من [illegible] شاكر نصار وليب جريديني وقد مهَّد له [illegible] سعيد حماده استاذ الاقتصاد العملي في جامعة بيروت الاميركية بكلمة [illegible] فيها [illegible] عراضهُ ننقل منها ما يلي :

[illegible] كان الشعور [illegible] الحاجة الى بحث الاحوال الاقتصادية في الشرق الأدنى العربي بحثاً شاملاً [illegible] الاحصاءات [illegible] لقيام بعمل كهذا متعذراً. [illegible] الحرب العظمى كثر الاهتمام بجمع الاحصاءات والمعلومات ونشرها ، وذلك بالاكثر نتيجة ما كان يوجب على السلطات المنتدبة تقديمه من التقارير السنوية الى جمعية الأمم غير ان هذه الاحصاءات والمعلومات [illegible] ناقصة من حيث متناولها وفي بعض الحالات من حيث ضبطها وصحتها [illegible] وهذا الكتاب هو احد ثلاثة ابحاث اقتصادية شاملة قد عزمت على وضعها دائرة الابحاث الاجتماعية في جامعة بيروت الاميركية ، وهو نتيجة عمل مشترك اتحدت فيه جهود الثلاثة المذكورين المتخصصين في العلوم الاقتصادية والتجارة في صف سنة ١٩٣٢ — ١٩٣٣ وجهود [illegible] في دائرة الاقتصاد والتجارة ، اضف الى ذلك جهود عالمين من علماء الاقتصاد كانا من [illegible] الجامعة المذكورة والغاية من هذه الكتب ان تقدم الى القراء بحثاً عاماً شاملاً عن النظم والاحوال الاقتصادية في بلدان الشرق الادنى العربي بما فيها سكانها ومرافقها الطبيعية و[illegible] الرأسمالية ونظامها الزراعية والصناعية والتجارية والمالية

ويمكن تلخيص أهمية هذه الكتب [illegible] ست هي (اولاً) انها تمهد الطريق للابحاث [illegible] في نواحٍ خاصة من حياة هذه البلدان الاقتصادية (ثانياً) انهُ يمكن ان تتخذها البلدان المذكورة اساساً لتنظيم [illegible] طويلة او قصيرة (ثالثاً) انها ترشد الزعماء في هذه البلدان وتساعد على ايجاد التعاون بين الجماعات الاقتصادية المختلفة فيها (رابعاً) انها ذات قيمة كمراجع للاقتصاديين والتجار (خامساً) انهُ يمكن استعمالها ككتب للتدريس (سادساً) انها ذات قيمة تاريخية ككتب قد وضعت للبحث في اقتصاديات هذه البلدان في زمن معين فيمكن اذ ذاك ان تستخدم في المستقبل كاساس للمقابلة والقياس

والكتاب عشرة فصول تتناول السكان وثروة البلاد الطبيعية والاراضي وانظمة حيازتها والزراعة والصناعة والنقل والمواصلات والتجارة الداخلية والتجارة الخارجية والنظام النقدي والمصرفي والنظام المالي الحكومي ، والبحث فيها جميعاً قائم على الاسلوب العلمي من حيث التبويب والتقسيم والاعتماد على المشاهدات والاحصاءات فهو اوثق مرجع يعتمد عليه في هذا الموضوع

الشيخ عبد الله وقصص أخرى

تأليف محمود تيمور — إحدى عشرة قصة — صفحاتها ١٧٦

الاستاذ محمود تيمور قصَّاص مصري حقًّا. تقرأ معظم قصصه فتعلم انها صور منتزعة من صميم الحياة المصرية. لا بمعنى ان قصص لا تروج وقد صُنعت فيها لاستعارة منه قصَّاص مصريٌّ لا لأنَّ اشخاص قصصه يدعون الشيخ عبد الله وعبد الله والحلاق الاسطى يتوب والحاج علي والدكتور مهابه ولا لأنَّ حوادثها وقعت في القاهرة او الاسكندرية او قرى الريف، بل هي مصرية في طابعها النفسي والاجتماعي. ولم يرجع عنصرها الى كنت ثانية وحملت اسماء اشخاصها اسماء غير مصرية، ولم تكن حدوثها في غير هذه البلاد، لعرف القارئ الطابع المصريّ فيها

وهذا طبيعيٌّ في القصَّاص المبدع. فموضوعات القصص لم تتغير من يوم كانت القصص رواية حول نار مشتعلة الى ان اصبح كتباً تطبع وتباع في اقشب الحلل واغلى الاثمان. هي بواعث الحياة الاساسية من حبٍّ وطمع وشهوةٍ ومنافسةٍ ... في مختلف العصور ومختلف الامم على صور شتى، والقصَّاص قلما يكشف موضوعاً جديداً، ولكنهُ لا يبلغ رتبة الاجادة الا اذا دقّ احساسهُ ورأى رجع هذه البواعث الاساسية، في صور جديدة، وانطلق قلمهُ في وصفها

هنا الشابُّ الذي تتملكه الشهوة لزوج أخيه ... فيمضي بقية العمر يبوح من شوق متصبه، وهنا ... في صميم الحياة ... فما عند ما تعرفُ أنها مع عشيقها ان أمها ماتت ... وهناك تعصف المتعصب نحو سلعة والديمقراطية وبين ... الحياة ... ويفرع من ... الى دواوين الشعر، وهناك الورع الذي تغلب عليه الابوّة ... الى ... وهو يستنزل اللعنات عليها، فيموت بين ذراعيه تائبة الى الله ... — صور تزينك ... في الملاحظة والوصف وحدة من انساطه الفلسفية ترتاح اليها

●●●

وقد أهدى الينا الاستاذ تيمور مع مجموعة قصصه هذه رسالة في « نشوء القصة وتطورها » وهي نص محاضرة كان قد القاها في جامعة القاهرة الاميركية، والبحث فيها ثلاثة أقسام، أولها نشوء القصة في العالم وتطورها في العصر القديم والثاني القصة في الأدب العربي القديم والثالث القصة المصرية في العهد الحديث

فلسفة المحدثين والمعاصرين

[illegible]

وضع هذه الرسالة الاستاذ وولف استاذ المنطق بجامعة لندن ونقلها الى اللغة العربية الدكتور ابو العلا عفيفي مدرس الفلسفة بكلية الآداب في الجامعة المصرية. والرسالة من خير الملخصات في مذاهب الفلسفة الحديثة . في فصليها الاولين تحديد للفلسفة وموضوعاتها وهي الوجود والمعرفة والخير والجمال . واما ما بقي من فصول فيدور كل باب منها على مذهب معين من مذاهب الفلسفة الحديثة واعظم اساطينه . هذا المذهب المادي والمذهب المثالي المطلق ومذهب التعدد الروحي ومذهب التجريد الجديد ومذهب الحياة ومذهب الواقعية ، وقد ذكرت تحت هذه المذاهب المختلفة اسماء تسعة وثلاثين فيلسوفاً ، وملخص فلسفة كل منهم . والترجمة دقيقة الاداء ، فقد قابلنا بين فقرات كثيرة في الاصل والترجمة فأفضت بنا المقابلة الى هذا الحكم ، وحبذا الحال لو لم يحذف الدكتور عفيفي ، اسماء اهم الكتب التي يرجع اليها في دراسة كل من هؤلاء الفلاسفة ، فهي في نهاية كل نبذة في الاصل الانكليزي ولم نعثر عليها ولا على اشارة اليها في الترجمة

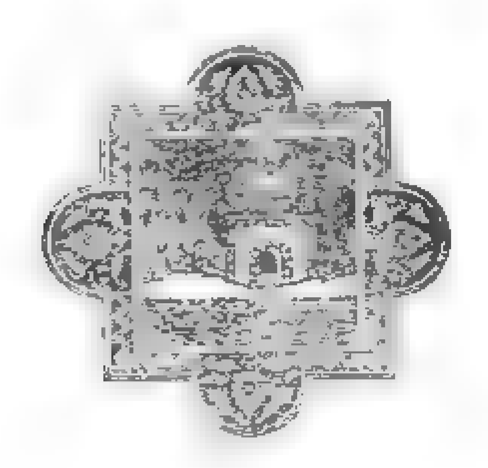
وكان يحسن لو وفق المترجم الى عبارة التطور المنبثق في ترجمة [illegible] مثلاً فيحفظ « التحول الفجائي » وهي ترجمة سائرة الآن لـ [illegible] ولأن فلسفة لويد مورغن المعروفة بهذا الاسم تنصرف على الاكثر الى بروغ صفة لم يكن توقعها ممكناً [illegible] لا على « فجائية » بروغها او ظهورها . فهو يقول مثلاً ان السيولة وهي صفة الماء ليست من صفات الايدروجين على حدة ولا الاكسجين على حدة ولا يمكن توقع ظهورها من دراسة خواص هذين الغازين (راجع التنسيق في الكون مقتطف مارس ١٩٣٣ صفحة ٣٣ — ٣٩ ولا سيما هامش صفحة ٣٤)

وفي السطر الاول من صفحة ١٨٠ : « وفلسفته موجه عام واقعية اثنينية » والمقصود بالثنينية [illegible] ولكن المشكلة في استعمال صيغة « اثنينية » انها هنا في موقع رفع وكان يجب ان تكون « اثنانية » ولعل وضعها بهذه الصورة لم يفت دون الدكتور ابو العلا ، ولو استعمل ثنائية وقد سبق استعمالها ترجمة لـ [illegible] في السياسة والفلسفة لاجتنب مشكلة الاعراب في « اثنان » و « اثنين »

وبعد فكل من عالج الترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية في موضوعات فلسفية علمية يدرك بعد قراءة هذه الرسالة ان نقل الدكتور عفيفي لها آية في الامانة والقوة

فهرس الجزء الخامس من المجلد التاسع والثمانين

فهرس المجلد التاسع و [illegible]



فهرس المجلد الثامن والثمانين



احد الانبياء



ذات الخصل الذهبية



(فوق) صورة الحاج علي البواب — الى اليسار صورة نبية



خرائب قلعة كركين كما تبدو في الوقت الحاضر



في الوسط : نصب حثي كبير من الحجر البركاني الازرق (٣٫٠٣ × ٠٫٩٨ × ٠٫٥٨) اكتشف في حفريات تل برسيب عام ١٩٢٨ ونقل الى متحف حلب يمثل تشوب اله الصواعق الحثي المعروف واقفا على الثور ثور يرمز الى هدير العاصفة وقد شهر بيمناه الفأس وامسك باليسرى رمز الصاعقة . اعلى النصب والعصب مع قرص شمسي داخل هلال مزدان بجناحين على شكل النقوش المصرية . وفي اسفل النصب نقش حلزوني الشكل كما يعرف بالنقوش الحثية . وفي الطرفين مسلتان عليهما كتابة هيروغليفية مدمجة ترجع الى القرن الثاني عشر ق.م وجدتا مع النصب المذكور في تل برسيب وارسلت الى متحف الموصل



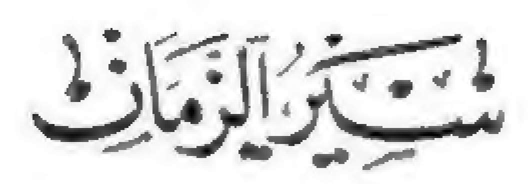
السمك الرامي عن مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية

حديقة المقتطف

سرفانتس ودون كيشوت

ومكانتها الأدبية





قوى الدفاع الاوربية

اقسامها وقوتها وطرق تنظيمها

أهم الحوادث الدولية

في سنة ١٩٣٦